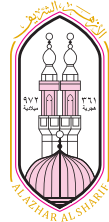




بَيْتُكَ الصَّفَا الْعَلِيَّةُ



# مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

مَجَلَّةُ شَهْرِيَّة جَامِعَةِ

تصدر عن شيخه الأزهري في أول كل شهر عربي



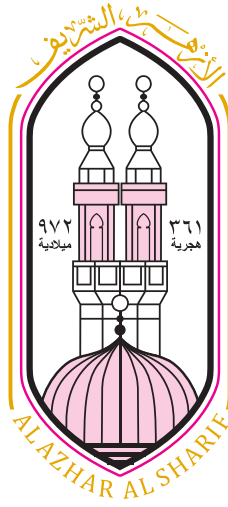
المجلد الرابع والثلاثون

السنة ١٣٨٢ هـ

بَيْتُكَ الصَّفَا الْعَلِيَّةُ

الأزهري الشافعي





مشيخة الأزهر الشريف

تليفون : 25907497 / 25899823

فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123

[www.azhar.eg](http://www.azhar.eg)

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م



SAQIFAT AL-SAFA TRUST

لبوان - ماليزيا

[www.saqifat-alsafa.org](http://www.saqifat-alsafa.org)

E-mail : [info@saqifat-alsafa.org](mailto:info@saqifat-alsafa.org)

# مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

## مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المفتون  
إدارة أبحاث الأزهر  
بالقاهرة

ت : ٤٦١٤

بصدد ركن مشيخة الأزهر في أول كل شهر جمادى الأولى

الجزء الأول — السنة الرابعة والثلاثون — المحرم سنة ١٣٨٢ هـ — يونيو ١٩٦٢ م

لِسَمَاءِ الدَّامِغَةِ الرَّسْمِيَّةِ

عام جديد على أزهري جديد  
بقلم: أحمد حسن الزيات

التجدد والتقدم والانساع والشمول من طبيعة الرسالة المحمدية لأنها رسالة الدهر كله والناس كلهم. تضمن أصلها السماوي الخالد سر المجتمع البشري المثالي كما تتضمن النواة من النخلة السحوق، والنفطة معنى الإنسان الكامل، فهي تسير مع الزمن، وتتطور مع الناس، وتنسج مع العمران، وتعمق مع العلم، ليكون فيها لكل غاية منهج، ولكل أمة دستور، ولكل علة علاج، ولكل قضية حكم.

نفطرت هذه النواة عن سرها الإلهي على يد غارسها الأعظم بالمدينة، فغذاها الوحي، وسقاها الإيمان، وتعمدها النبوة، حتى قام في ظلها البادئ مجتمع الانصار والمهاجرين على الوحدة والأخوة والتعاون. ثم انبسط هذا الظل في بوادي الجزيرة كلها، فجعلها واحة للعادل والإحسان على قدر ما تتقبله الحياة البدوية والطبيعة الجافة، ثم امتدت الرسالة مع خلافة الراشدين إلى مشارف الشام وأرياف العراق وجنات مصر، فنفتخت في الحضارتين الرومية والفارسية من رواح الله فنفت عنها الخبيث، وأبقت

لرسالة محمد أن تنكر للاشتراكية العادلة المعتدلة وهي التي جعلت للفقير حقاً معلوماً في مال الغنى لا يكفل دينه إلا بأدائه، وطالبت الفقر علاج من يعلم علم الاضطراب أنه أصل كل داء ومصدر كل شر . وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفع أركان الإسلام شأنًا وأكثر أوامره ذكراً وأوفر مقاصده عناية .

ولو ذهبت تستقصى ما نزل من الآيات وورد من الأحاديث في الصدقات والبر، لحسبت أن رسالة الإسلام لم يبعث بها الله آخر الدهر إلا لتنفيذ الإنسانية من غوائل الفقر وجراثيم الجوع . وحسبك أن تعلم أن آى الصيام في الكتاب أربع ، وآى الحج بضع عشرة ، وآى الصلاة لا تبلغ الثلاثين . أما آى الزكاة والصدقات فأنها ترقى على الخسعين .

فأنت ترى أن هذه الرسالة التي نزلت على جبل النور في وادعير ذى زرع لم تلبث بفضل ما استكن فيها من نور الله وعلمه أن سارت مسير الشمس من مشرقها تتدرج مع طاقة العقل وحاجة الناس في الارتفاع والاتساع حتى أضاءت كل مكان وأحييت كل هامد . تدرجت من خلافة عمر في المدينة إلى ملكية معاوية في دمشق ، ومن امبراطورية الرشيد في بغداد إلى جمهورية عبد الناصر

منهما الطيب ، وساستهما على نظام فريد من نظم الحضارة الروحية المسلمة . ثم أدركت الخلافة الأموية في دمشق وهي تمد عينها إلى أبهة البلاط الكسروى وترفه فكسرت من نظراتها الرغبة ، وشغلتها بالفتح الزاحف ، وأسعفتها بالتشريع المقيد ، وأقرتها على اقتباس النظم السياسية والإدارية والاجتماعية مما لا يخالف أصلاً من أصول الإسلام ، ولا يجافى خلقاً من أخلاق العروبة .

ثم انتقل سلطانها مع بني العباس إلى العراق وكان العرب قد فتحوا أكثر المعروف يومئذ من الدنيا القديمة ، فامتد ملكهم من الهند والصين شرقاً إلى جبال البرانس غرباً ، فأوت إلى ظلها الوارف وكنفها الرحب أجناس الناس وحضارات الأمم وثقافات الشعوب ، فلم تضق بمسلم ولا فن ، ولم تبرح بحضارة ولا عمارة ، ولم تتجهم لزخرف ولا زينة ، ولم تنم عن جواب ولا حل ، ولم تصد عن تطور ولا تقدم ، وإنما أخرجت مما خلفته القرون من العادات والاعتقادات والمذاهب والنظم مزاجاً من العقلية العربية والمدنية الإسلامية كرم الإنسان وعدل الميزان ومدن العالم .

وما هي ذى تتقبل اليوم للنظام الاشتراكي العربى في مصر كما يتقبل الأصل فرعه الذى اشتق منه لا تنكره ولا تزور عنه ، وما كان

زار القاهرة في عهد محمد علي مستشرق أوروبي  
فطلب أن يجتمع بعالم أزهري له دراية بعلم  
الفلك فلم يجدوا له بعد طول البحث إلا  
شيخا واحدا درس هذا العلم على نفسه هو  
الشيخ عبد الرحمن الجبرتي .

كان ذلك ولا ريب ميلا عن طريق الرسالة  
المحمدية التي جاءت لتصل الأرض بالسما ،  
وتنظم الدنيا بالدين ، وتحيي المادة بالروح ،  
وتكشف الجاهل بالعلم ، وتمحو الضلالة  
بالهدى ، ولكنه كان ولا ريب أيضا عرضا  
زائلا ومرضا موقوتا لا تلبث علته أن تزول  
متى انجابت تلك السحب وتجلي من ورائها  
دين الله نور السموات والأرض فجمع  
المتفرقين على الوحدة ، وحفز المتخلفين على  
التقدم ، لذلك لم تسكد عواصف الثورة تبدد  
السحب عن وجه الشمس حتى عاد الأزهري إلى  
مداره من فلك الرسالة وقد بلغت عصر الغدرة ،  
يتبس منها أشعة الهدى والعلم ليسهم في بناء  
الاشتراكية العربية التي وضع قواعدها  
( ميثاق عبد الناصر ) على أسس ثابتة من  
الدين والخلق والعلم والعمل والعدل والكفاية  
والحرية والسلام والوئام والوحدة ، وهي  
أسس كانت في كل عهد مضى وفي كل جيل خلا  
أحلاما لا تحقق ومبادئ لا تطبق حتى جمعها  
الله في رسالته وأوحاها إلى رسوله فصلاح عليها  
الناس ما داموا على طريقها المستقيم الواضح

في القاهرة ، لم يخفت لها نور ، ولم يفقر  
لها حرور ، ولم تسكن لها حركة . وإذا حدث  
في بعض العصور المختلفة أن احتجبت  
أشعتها الهادية المحيية عن النفوس فأصابها  
البرود والهمود والغفلة ، فذلك لأن فساد  
الزمان وذهاب السلطان واستعجام اللسان  
تنشئ سخابا ثقلا من الجهل والشك تحول  
بين الأبصار والهدى ، وتفصل بين البصائر  
والحكمة .

في عصر من هذه العصور التي غامت فيها  
الآفاق الإسلامية بهذا الزكام انقطع الأزهري  
وهو وريث النبوة عن دنيا الناس فلم يتصل  
بها منه إلا أعلام قلائل كانوا كالصوى في  
هذه المفاضة يصطفهم الله من حين إلى حين  
ليجدوا دعوته ويعلموا كلمته .

كان الأزهري يعيش حينئذ على بعض التراث  
الإسلامي من فقه وحديث وتفسير وما يعين  
عليها من نحو وصرف وبلاغة . ولم يكن  
يعنى من الفقه إلا بالعبادات وهي مناط الصلة  
بين العبد ورب . أما المعاملات وهي مناط  
الصلات بين المرء وغيره فلم يكن يعنى بها  
ويتفقه فيها إلا رجال القضاء والحكم في  
الدولة . ولا تسلب بعد ذلك عن علوم الدنيا  
من طب وفلك ورياضة وزراعة وكيمياء  
وفيزياء وصيدلة ، فقد كانت من الفضول  
التي لا يعبا به أحد ولا يفرغ له بال .

يؤثر رضا ربه على رضا نفسه في كل نزعة أو نزوة ، وهذا هو الإصلاح الجوهرى الشامل الذى تمنى بعضه المصلحون فلم يجدوا من أرباب السلطان والحكم معيناً عليه ولا سبيلاً إليه .

إن (ميثاقك) الذى عاهدت الله على الوفاء به ، وعاهدك الشعب على اللقاء عليه ، حروف من كلمات الله لم يؤلفها أحد من قبلك فى أى عهد ، لا فى القديم والحديث ، ولا فى الشرق والغرب . لم يبق شيء فى نفوس المعذبين فى الأرض والمستضعفين من الناس إلا وجدوه فيه . ولو كان واضعه ممن جرب عليه الكذب وعرفت عنه الخديعة لقلنا سراب ولا ماء ، وقمعة ولا طحن ، ودوحة فينانة من شجر الصفصاف : خضرة فى العين ، ولا ثمر فى اليدين ! ولكنه عبد الناصر الذى عود العالم فى عشرينين ألا يقول إلا بعد أن يعمل ، ويجتهد وألا يعمل إلا بعد أن يعلم ويعتقد ! فسيرى أيتها الثورة على بركة الله وأنا أسمى بين يديك بكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ؟

أحمد حسن الزيات

قلنا توقع المنكر واستهتر البغى واستحكم الجهل انطمأت أضواؤها السبوية فى نفوسهم فآمنوا بها إيماناً أثريا ظاهرياً لا يتعدى تحريك الألسنة والجوارح بالآيات والصلوات لتترك أو العادة !

ولكن الثورة التى أطاحت بالظغيات وبطشت بالإقطاع وبشرت بالديمقراطية ودانت بالاشتراكية واتخذت سندها وهداها من كتاب الله وسنة الرسول وإرادة الشعب لن تدع بعد ذلك سبيلاً إلى علة تصيب الحكم ولا آفة تفسد المجتمع .

\* \* \*

قال الأزهر للثورة يوم دخلت عليه المحراب تستنضه ليتبوأ الصدر من قيادة الإصلاح وإمامة النهضة : نعم ونعام عين ! إن الثورة من طبعى ، وإن الاشتراكية من روى ، وإن الهداية من واجبي ، وستجدنى فى طورى الجديد إن شاء الله مظهراً لرسالة الشائر الأعظم فأكون كما كنت طباقاً من العلم والعمل ، ونظاماً من الدين والدنيا ، أخرج العالم المجتهد الذى يجعل من فقهه رسالة ومن بيانه دعوة ، والطبيب الروحى الذى يجعل من عيادته عبادة ومن مرضاه إخوة ، والمهندس للتقى الذى يجعل من عمله جهادا ومن خلقه قدوة ، والموظف المتدين الذى

# مَعْنَى الْهَجْرَةِ وَدَوَائِعِهَا

لفضيلة الإمام الأكبر لشيخ محمود شلتوت

وسلب الأموال ، واستهانة بالقيم ... وكثير غير ذلك مما تستمره الوثنية ، ويدفع إليه الإشرار بالله .

ومن أجل القضاء على تلك المفسد وإعلاء شأن الإنسان كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن أجل الارتفاع بمستوى البشرية وتمكين المشل الرفيعة من نفوس الناس وقلوبهم كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، طلبا للاطمئنان ، وتمكيننا للدعوة ، وتعاوننا مع الأيدي المتكاثفة على إنقاذ البشرية من الهوة التي تردت فيها ، وذلك بانتقاء المؤمنين من أهل مكة رجال المدينة : رجال البيعة على الصدق والوفاء ، والمعاهدة على النصرة والتأييد والتفاني في سبيل تعظيم الأرض من عبادة غير الله ، والقضاء على معالم المجتمع الجاهل لتعلو كلمة الله ، كلمة الحق والعدل والمساواة ...

وإذن فالهجرة نوع من محاولات الإصلاح والتهديب والتقدم في الحياة . وهي كذلك

إذا كان تاريخ الدعوة الإسلامية عامراً بالمعاني العظيمة ، والأحداث الجليلة ، فإن هجرة محمد صلى الله عليه وسلم من أجل الأحداث قدراً وأعظمها أثراً في حياة الرسالة المحمدية ، والدعوة إلى توحيد الله والعمل من أجل حياة أفضل للبشر جميعاً . فالهجرة كانت فيصلاً قاطعاً بين التخلف بالدعوة والجهر بها ، بين التستر عليها والإفصاح عنها ... كانت انتقالاً لها من النطاق المحدود والحصار المضروب ، والاضطهاد القاسي ، إلى الآفاق الرحبة والانطلاق الفسيح ، والنصير الفدائي .

والهجرة من الهجر وهو الترك ، وعند العقلاء أن المتروك يكون دائماً أقل حظاً من المطلوب المهاجر إليه .

ولقد هاجر محمد وصحبه من مكة إلى المدينة يوم كانت مكة تموج بالشرك وعبادة غير الله يحكم سلوكها آثار العقيدة الفاسدة ، من ظلم وطغيان ، وعبودية واستغلال ، وأكل للحقوق ... وإراقة الدماء وهتك للأعراض

لرسوله وللبؤمنين معه فقال : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

والمهاجر على هذا النحو لا يقوم جهة معينة يتجه إليها إنما يتجه حيث يرى مرعاه في إزالة المنكرات خصيبا ، وظروفه مهيئة ، وقد نعى الله في كتابه على من قعد عن الهجرة مع قدرته عليها فقال : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » .

وإن مضمون هذه الآية هو حظ البلاد الإفريقية والآسيوية الآن من هجرة المخلصين وأصحاب الدعوة السليمة إليها ، يهاجرون إلى ربوعها بقلوبهم إذا لم تسعفهم أبدانهم ، بأرائهم إذا لم تمكنهم أجسامهم ، بكل ما يستطيعون به تبديل شرهم خيرا ، وذلم عزا وضعفهم قوة ، وشئاتهم جمعا . وتختلفهم تقدما وزحفا ...

والهجرة بهذا المعنى رسالة كل قادر بنفسه ، أو فكره : بلسانه أو قلبه ، برأيه ، بتجربته ، بيعته بها إلى المواطن التي تحتاجها والأقاليم التي تنشد الخير والإصلاح فيها .

وقد ضمن الله للمهاجرين العز والنصر كما

عمل إيجابى لرفع مستوى الإنسانية والنهوض بها من كبوتها التي حرمتها كل كمال وكل شرف ، وأفقدتها الإحساس بجلال الحق ، وجمال العدل وفعمة السلام ...

هذا ما هاجر إليه محمد وصحبه ، وهناك اتلفت القلوب وتشابكت الأيدي ، وتعاقت الأرواح وتأكدت المواثيق ، واتسع نطاق النصرة ...

وهذا هو معنى الهجرة في صدر الإسلام ، وقد كانت في ذلك الحين واجبا دينيا ، لمن يؤديه هظا المشوبة ووافر الأجر ، ولمن يهمله سوء العاقبة وشر المنقلب .

وقد أعلى القرآن من شأن المهاجرين ، ونكل بالمعرضين عن الهجرة والمتخلفين .

فقال جل شأنه : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم » .

وما أروع قول الله في عاقبة المهاجرين المخلصين الصابرين على الأذى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوهم في الدنيا حسنة والأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » . واعتبرا بعد هذا وذاك نصرا وتأيدا

نحن لم التوفيق والتأييد ، واعتبر الهجرة  
التي تقع موقعا وهي المصحوة بنة إنقاذ

للضعفاء ونشر الخير ، وإشاعة البر ، مجلة  
للثواب ورضا الله ، وقد جاء ذلك في الحديث

المشهور وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله

فهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمِنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ  
إِلَى دُنْيَا بَصِيحَةٍ أَوْ امْرَأَةٍ يَتَوَحَّاهَا فَنَحْتُهُ

إلى ما هاجر إليه ، .  
والمحبة بنو عملا : قلعة ، مدينة ، شأن

طبيعي لمن عضه الظلم وأذله الطغيان... أدرك

فعمل على الهجرة إليه بقلبه أو بدنه ، بضمه

والمهجرة بهذين المعنيين سنة من سنن الأنبياء

والمسلمين ، وشأن من شئون الدعاة المحققين  
فما من نبي أو رسول أو داع إلا وهاجر إلى

الأرض التي نبتت بذرهما ، وأعرض عن  
الأرض الجدية تطبيقاً لقول الله عز وجل :

والببل الطیب یخرج نباته یاذن ربہ ،  
والذی خبت لا یخرج إلا نسکدا ، .

• هذه هي الهجرة ، وتلك فلسفتها .  
• الانتقال من حال إلى حال أصح وأعظم ،

\* تغيير حياة الأمة تغييراً أساسياً وعميقاً  
في اتجاهات المبادئ والأفكار الأساسية هي:

في اتجاه آمالها الإنسانية الواسعة هجرة .



# عوامل الإعراب في اللغة العربية

## للأستاذ عباس محمود العقاد

لأن امتناع سبب من الأسباب لا يكون سببا موجبا لشيء كما قالوا وشايعهم على قولهم العالم الفقيد ، وقد بنى على هذا الاعتراض مذهبه كله في إحياء النحو ، لأنه أقام لحركة الضم في آخر الكلمة سببا موجبا سماه « الإسناد » ورأى أن الفتحة هي الحركة التي تأتي بغير عامل ولا تعتبر علما من أهلام الإعراب .

والأستاذ إبراهيم - رحمه الله - لا ينكر أن أواخر الكلمات المعربة تختلف في اللغة العربية باختلاف المعنى أو باختلاف العلاقة بين معاني الجمل ودلالة كلماتها ، ولكنه ينكر أن يتحول العامل من « معنى مفهوم » إلى لفظ محدود يقيد ذلك المعنى بلوازمه اللفظية ، لأن اللفظ قد يرمز إلى المعنى المقصود من إحدى نواحيه على سبيل المجاز ولا يتابعه في جميع لوازمه ومصاحباته وتفريعاته على جميع الأحوال ، ولا مناص من الخلط في التقدير والتأويل إذا جعلنا الرفع - مثلا - مساويا للمفهوم من الارتفاع في اللغة على جميع الوجوه ، أو جعلنا الجزم مساويا للمفهوم من القطع ، أو جعلنا الجر مساويا للمفهوم من السحب ، أو جعلنا الكسر مساويا

عاد بعض المشتغلين باللغة إلى البحث في مسألة العامل ، في لغتنا العربية ، وهي مسألة من أهم مسائل النحو في هذه اللغة ، بل هي مسألته الكبرى أو مسألته الأولى والأخيرة لأنها ترتبط بأسباب الحركة على أواخر الكلمات ، وتلك هي أسباب الإعراب والبناء .

وقد كان من أسباب العودة إلى مسألة العامل تعليق المؤننين على آراء العالم النحوى الكبير الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله وطيب ذكراه .

ورأيه المشهور - كما يعرف قراء كتابه في إحياء النحو - إنه ينكر على النحاة الأقدمين إقراطهم في تقدير العامل الذى ينسبون إليه تغيير الحركة في آخر الكلمة ، ويعملون لكل حركة من حركات الإعراب عاملا ظاهرا أو مستترا يوجب الفتح أو الكسر في آخر الكلمة ، ولا يذكرون للضم عاملا غير امتناع الحركتين الآخرين ، فيقولون : إن الكلمة مرفوعة لامتناع الناصب والخافض ، وهو فيما رأى بعض الأقدمين تعليل غير معقول ،

والظاهر من سياق القصة أن الإمام أباعل  
الفارسي تجنب اللجاجة عمداً مع الأمير في  
ذلك المجلس لسبب رآه وهو يرجي الجواب  
الصحيح إلى موضعه من البيان . وإلا فإن  
الجواب يسير لو أراد أبو علي لزر جميع  
تقديره في هذا المقام ، فإن الأفعال التي  
تستخدم للاستثناء تدل على معنى الحرف  
الذي ينوب عنها ، فيأتي معنى «إلا» ، موافقا  
لمعنى حاشا وما خلا وما عدا وكل فعل يستثنى  
ما بعده على هذا القياس ، ولا موجب  
لإعطاء الحرف هنا معنى غير معنى الفعل  
الذي يدل مثل دلالة ، إلا أن يكون حرفا  
من حروف الجر في حكمه المعروف .

ومن الخطأ في تطبيق القياس أن يحسب  
الاستاذ إبراهيم كثرة الفتحة على أواخر  
الكلمات بحساب العدد وهو في مقام النظر  
إلى «حكم» الكلمة بين أحكام سائر الكلمات .  
فإذا كان حكم الفعل الماضي مثلاً أن يبنى  
على الفتح فإن سريان هذا الحكم على فعل  
واحد كاف لاستغراق جميع المواد في اللغة  
العربية على وجه التقريب ، لأن كل مادة  
لفظية قابلة للاشتقاق لا تخلو من فعلها الماضي  
المجرد والمزيد ، ثم يأتي الفعل المضارع  
المعرب بالنصب فيضاف إلى هذا العدد الوافر  
من أواخر الماضي المفتوحة ، ويأتي بعد  
ذلك عدد المنصوبات من الأسماء بعوامل

اللفهوم من البتر ، إلى أشباه ذلك من المفاهيم  
التي تنفق من ناحية واحدة مجازية ولا تنفق  
من نواحيها الحقيقية كل الاتفاق .

فلا شك في وجاهة الاعتراض على إفراط  
النحاة في التقديرات التي يوجبها نقل للسبب  
من معنى ملحوظ إلى لفظ محدود ، ثم تقييد  
المعنى بهذا الحد اللفظي في جميع تفرعاته  
وتصريفاته على غير موجب لذلك التقييد .

لكن هذا الخطأ يلزم المعترضين على  
النحاة في تقديراتهم وتأويلاتهم كما يلزم  
النحاة في تلك التقديرات والتأويلات ، بل  
نرى من الإنصاف أن نقرر هنا أن أخطاء  
المعترضين أكبر وأكثر من أخطاء المقدرين ،  
وأمثلة ذلك كثيرة جداً في الشواهد التي  
استند إليها الاستاذ إبراهيم مصطفى أو ابتدأ  
بها ابتداء من عنده في كتاب «إحياء النحو»  
وفي غيره من دراساته اللغوية ، وفيما يلي  
قليل من ذلك الكثير :

روى الاستاذ قصة الإمام أبي علي الفارسي  
مع عضد الدولة فقال : إن عضد الدولة سأله :  
«لماذا ينصب المستثنى في نحو قام القوم  
إلا زيدا؟ فقال الإمام : بتقدير أستاذي زيدا .  
قال عضد الدولة : لم قدرت أستاذي؟ هلا  
قدرت : امتنع زيد ، فرفعت؟ فلم يحرف الفارسي  
جواباً وقال : هذا الذي ذكرته لك جواب  
ميداني ، فإذا رجعت ذكرت الجواب الصحيح .»

القطن والغصن والعمر والكتب والأسد ،  
إلى كثير من أمثالها لأن الاستمرار في  
حركة واحدة أيسر من الانتقال منها إلى  
تسكين ثم للعودة بعد التسكين إلى التحريك .

\* \* \*

قال الأستاذ : « إذا رجعت إلى علم مخارج  
الحروف واستشهدت طبيعة الفتحة في نطقها ،  
وقستها إلى غيرها من الحركات ، وجدت  
البرهان الجلي على خفة الفتحة والشهادة لذوق  
العرب في استحبابها ، وذلك أن الفتحة القصيرة  
أو الفتحة الطويلة — وهي الألف —  
لا تكلف اللسان إلا إرسال النفس حراً ،  
وترك مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء  
في تكييفه . »

ونرجع إلى النحاة في اعتبارهم أن الضمة  
غنية عن التعليل فنرى أنهم أقرب إلى الصواب  
لأن الضمة لا تكلف اللسان شيئاً على  
الإطلاق إذا كانت الفتحة — كما قال  
الأستاذ — تكلفه إرسال النفس حراً وترك  
مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء . فإن  
الضمة هي حالة انطباق الشفتين عند انتهاء كل  
كلام ، وهي كذلك حالة الشفتين قبل  
كل كلام .

فإذا احتجنا إلى تعليل الحركة فإنما نحتاج  
إليه في حالة غير حالة إطباق الشفتين وهي  
إما حالة الفتح أو حالة الكسر ، ولا نذكر

النصب فلا يكون في هذه الزيادة دليل على  
أصالة حركة الفتح بين سائر الحركات ، وإنما  
هي حكم واحد على آخر فعل ماض واحد  
ينتهي بنا إلى هذا العدد الكثير .

يقول الأستاذ إبراهيم : « إن الفتحة أخف  
من السكون أيضاً وأيسر نطقاً ، خصوصاً  
إذا كان ذلك في وسط اللفظ ودرج الكلام . »  
ثم يذكر من شواهد على ذلك : « أن  
العرب قد فروا في بعض المواضع من  
الإسكان إلى الفتح ، ومن ذلك صنيعهم في  
جمع المؤنث السالم لمثل : فترة ، وحسرة ،  
ودعد ، فإن العين في المفرد ساكنة ومن  
حقها في جمع المؤنث السالم أن تبقى ساكنة  
أيضاً ، لأن الجمع السالم لا يبدل فيه بناء  
مفردة ، ولكن للعرب أوجب في مثل هذا  
فتح العين فيقولون : فترات ، وحسرات ،  
ووعادات ، ولا يجوزون الإسكان إلا في  
ضرورة من الشعر . »

وهذا أيضاً من خطأ القياس عند المعترضين  
على طرائق النحاة في التقدير ، لأن السكون  
هنا لا يستقل وإنما يستقل الانتقال من  
التحريك إلى التسكين ثم من التسكين إلى  
التحريك ، ولا فرق في ذلك بين الفتحة  
والضمة لأنهم يقولون : الحركات والعرفات  
والقبلات والظلمات بدلا من تسكين الجم  
أو الراء أو الباء أو اللام ، وكذلك يقولون

(ها) Ha وهي ضمير إشارة مستعمل في اللغات السامية ، ولم يزل في الحبشة يلحق بالأعلام في حالة النصب إذا وقع عليها فعل ذواتها . مثل : أقبل وقصد ، وأصل معناها في هذا الاستعمال الاتجاه إلى شيء أو شخص معين ... .

فإن لم يكن هذا سبب الفتح في كلمات اللغة العربية ففيه إشارة إلى بعض أصولها في لغة من اللغات السامية ، وهي قرينة من قرائن التطور في أقدم هذه اللغات وأجمعها لقواعد الإعراب ، وهي اللغة العربية .

على أن الأستاذ إبراهيم قد بنى مذهبه كله في إحياء النحو على الحاجة إلى تعليل الضم وعدم الحاجة إلى تعليل الفتح فأصبح المذهب كله مرتبنا بثبوت هذا الرأي وذهاب الشك فيه ، وأول ما يتطرق إليه من دواهي الشك القوى أن « الإنسان ، لا يصلح لتعليل الضمة لسبب يسير ، وهو أن الضمة أو انضمام الفم في نهاية الكلام لا حاجة بها إلى سبب ، سواء كان هو الإسناد كما سماه صاحب إحياء النحو رحمه الله أو كان له سبب سواء .

وحسبنا مثل واحد نختم به هذا المقال لبيان الفارق في دقة التقدير بين طريقة للنحاة الأقدمين وطريقة المعترضين عليهم في مسألة من ألصق المسائل بالإسناد والمُسند إليه وهما (البقية على الصفحة التالية)

السكون لأنه هو حالة قطع الحركة ولا يحسب من أجل ذلك في عداد الحركات ، ولهذا كان موقعه الغالب موقع البناء حيث لا تتغير أواخر الكلمة بالإعراب .

وليس من اليسور الآن تعليل معنى الفتح أو معنى الجر في مواقع الإضافة ، ولكن المحقق أن الفتح والجر لا يطردان في مواضعهما جزافا لغير سبب دعا إليه عند وضع اللغة بين أوائل المتكلمين بها ، ولغنى بهم أولئك الذين كانوا يتكلمون ويقرنون الكلمات بحركات يدوية أو شفوية مصطلح عليها لدفع اللبس بينها وبين ما عداها .

وتقول على سبيل اللظن الذي تعززه إشارتنا في هذا الزمن إن الفتح كان علامة على الابتعاد بحركة من الفم تؤكد حركتها من اليد إلى الفضاء ، وراقب المتكلم وهو يقول عن أحد أو عن شيء إنه ذهب واتقضى ... فإنه سواء تكلم بالفصحى أو العامية يقول : واه ، وفات ، وانتهى ، ويدفع يده مرتفعة إلى الفضاء ، كأنما يشير إلى شيء غاب عن العيان .

وقد نجد من قرائن المقابلة بين اللغات السامية ما يؤيد هذا الظن أو هذا التخمين ، فقد نقل الأستاذ إبراهيم أقوال بعض العارفين بالحبشية من أمثال بروكلمان ورايت فقال : « إنه يمكن أن يرى أن الفتحة أصلها

# القوانين التي وضعها الإسلام ضماناً وتنفيذاً للحقوق الطبيعية للأستاذ محمد محمد المدني

قلنا في مقالنا السابق : إن الإسلام يكفل الحقوق الطبيعية للواعظين ، وهي : حق المواطن في المساواة ، وفي الحرية ، وفي اعتبار كرامته الإنسانية ، وفي أن يأمن على حياته ، وفي أن يعيش عيشة كريمة .

وقلنا : إن الإسلام لم يكتف بتقرير هذه الحقوق تقريراً نظرياً ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عملياً ، ويكفل تنفيذها على أحسن وضع .

ونريد الآن أن نبين القوانين التي وضعها الإسلام في هذا الشأن :

١ — فأول ذلك أنه ضماناً لحق المساواة ، وتنفيذاً له ، قرر قانون العدل أو القسط . والعدل من أهم الأركان التي يقوم عليها المجتمع الصالح ، وكل مجتمع لا يقوم على أساس من العدل هو مجتمع فاسد صائر إلى الانحلال ثم الزوال .

وقد جاءت جميع تعاليم الإسلام متمشية

## ( بقية مقال عوامل الإهراب )

دعامة النحو الجديد كما يسميه المعترضون على النحاة المتقدمين .

يسأل الأستاذ إبراهيم : د ما الفرق بين كسر الإباء وانكسر الإباء إلا ما ترى بين صيغتي كسر وانكسر ، وما اكل صيغة من خاصة في تصوير المعنى ؟... أما لفظ الإباء فإنه في المثالين مسند إليه ، وإن اختلف المسند . فهذا تقدير يلاحظ عليه ما لاحظه الأستاذ الفاضل رحمه الله على النحاة وهو يأخذ عليهم نقل العامل من معناه المفهوم إلى لفظ محدود يقاس عليه في جميع الأحوال .

فإذا كان معنى الإسناد هو موضوع الكلام

ولم يكن معناه هو اللفظ في موضع الفاعل أو نائب الفاعل ، فالفرق كبير بين انكسر الإباء ، وكسر الإباء ، لأن الموضوع في قولنا انكسر الإباء هو موضوع الكسر بغير نظر إلى فاعل معلوم أو مجهول ، ولكن صيغة الفاعل د كسر ، مبنياً على المجهول تشغل الذهن بمعنى غم معنى الكسر ، وهو النظر إلى الفاعل والعلم بعد ذلك بأنه غير معلوم ، وهو معنى من معاني الإسناد أو التكلم عن الموضوع لا يتساوى عند التعبير بالكلمتين . عباس محمود العقاد

وهناك آيتان متميزتان بينهما كثير من أوجه التشابه تحدثان عن للعدل وترسمان قانونه :

لإحداهما في سورة النساء، وهي قوله تعالى: «يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا».

والثانية قوله تعالى في سورة المائدة :

«يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون».

وقد توافق هاتان الآيتان في كثير من جزئيات هذا القانون الإلهي، وإن اختلف التعبير بعض الاختلاف :

فترى كلا منهما تطلب من المؤمنين أن يكونوا «قوامين لله»، أو «قوامين بالقسط»، الذي هو العدل والتوازن.

و«القوام»، هو المبالغ في القيام بالشئ، المضطلع به اضطلاعا قويا، فهو شديد الحرص عليه، شديد الوفاء له، شديد الغيرة على تمامه وصلاحه.

هذا هو «القوام» بالشئ، وهذا هو الذي يطلب الله إلى المؤمنين أن يكونوه، له وللعدل، فهو يريد أن يكونوا «قوامين لله»

مع العدل، فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات، وقواعد السلوك الاجتماعي، وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم، كل ذلك يقوم على العدل ويرمي إلى تحقيق العدل، حتى العقائد الإلهية والمبادئ الاجتماعية :

فاعتقاد الوحدةانية مثلا عدل في الاعتقاد، وفيه إنصاف للعقل؛ لأن العقل يحكم بأن للكون صانعا واحدا تبدو آثار قدرته وربوبيته في كل ما خلق على طراز واحد من الاستقامة والإتقان والطراد السنن والخواص ولذلك جاء في وصية لقمان لابنه : «يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم»، وإذا كان للشرك ظلما لأنه لإخلال بما يقتضيه العقل والنظر؛ فإن الوحدةانية عدل لأنها هي التعبير الصحيح عن واقع الأمر في هذا الكون المتناسق في وضعه وفي قوانينه، الدال بتهاسسه على وحدة خالقه.

والتضامن الاجتماعي كذلك عدل، لأنه لا يمكن أن يتحقق التوازن بين الناس على وجه يكفل الاستقرار إلا به، ولا يمكن أن يقبل في العقول أن يكون أحد أعضاء المجتمع متخما بالمال والنعيم، وبجانبه من هو مستحق بعض ذلك ليعيش ثم يعني هذا المتطرف المنعّم من أن يعاون أخاه وزميله في المجتمع بشئ من ماله.

وهكذا ...

ثم إن سورة النساء تقول : ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، فتنهى عن ملاحظة عوامل التعصب للنفس ، أو التحيز للقربة ، مما يبعث على تلوين العدل بغير لونه ، وإعطاء المشهود له ما لا يستحقه ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق محاباة النفس أو من تميل إليه النفس .

ويقابل هذا في سورة المائدة : ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، وهو نهى عن ملاحظة عوامل الكراهية ، التي من شأنها أن تلون العدل بغير لونه أيضاً ، وأن تحمل على التحيف وإضاعة الحق ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق الإجحاف بصاحب الحق ، والحيولة بينه وبين الوصول إلى حقه .

هذا وفي الآيتين أصرار أخرى كثيرة حسبنا منها ما تقدم .

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذا العدل على أدق وجه ، وحسبنا ما يروى في ذلك عن عمر بن الخطاب ، فهو يقول بعد توليه الخلافة : إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه . ويقول في رسالته لأبي موسى الأشعري : دأب بين الناس في وجهك وهدلك ومجلسك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا يأس ضعيف من عدلك ، ويقول في وصيته للخليفة من بعده : دأب مع الناس عندك سواء ،

د قوامين بالقسط ، مضطلمين بهذا وذلك على نحو قوى ظاهر القوة ، لا أن يكونوا صورا ضعيفة هزيلة ، يرضون بأيسر الأمور ، وأدنى الآمال ، ولا يبدلون أكرم الجهود ، ويلتمسون المآذير عن ضعفهم وتخاذلهم ، فكل الناس مطالبون بأن يكونوا ذوي شخصيات قوية مضطلمة بما تضطلع به من القوامية على العدل في ثبات وهزم وشجاعة ، واضطلاعها بذلك لله ، فهو قصدها ، وهو باعثها ، وهو ملهمها ، وهو غايتها — ههنا يكون الحاكم د قواما لله ، د قواما بالقسط ، ويكون المحكوم د قواما لله ، د قواما بالقسط ، ويكون الناصح كذلك ، والمنتصح كذلك ، والعامل كذلك ، والموظف كذلك ، كل فيما خوله الله ، قوام لله ، قوام بالقسط . وعندها تكون الأمة بناء قويا ، من لبنات قوية ، وتكون في حصانة من أن تهضم أو تهدم أو تهزم ، أو تظلم أو تهمل .

وقد اختلف التعبير بين آية النساء وآية المائدة في أول مادة من هذا القانون ، إذ تقول سورة النساء : كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، وتقول سورة المائدة : كونوا قوامين لله شهداء بالقسط .

وفي هذا الاختلاف إيحاء بأن كلا منهما يصح أن يوضع موضع الآخر ، وأن القوامية لله هي عين القوامية بالقسط ، ولا شك أن ذلك تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله .



مطمئناً بالإيمان .

والإسلام يفتح باب الاجتهاد احتراماً  
للحرية العلمية والتفكير العقلي ، وقد وضع  
لذلك قانوناً مشجعاً ، هو أن المصيب له أجران ،  
والمخطئ له أجر واحد ، وهذا هو أعظم  
ما يتصور من تشجيع الحرية الفكرية ،  
وكأنه يقول لأصحاب العقول : فكروا  
ولا تخافوا من عواقب التفكير ، فقد أبحت  
لكم أن تخطئوا غير متعدين ، بل جعلت  
لكم مكافأة من ثوابي إن أخطأتم أضعافها  
لكم إن أصبتم !

\* \* \*

٣ - وفي سبيل الاحتفاظ بحق الحياة  
للواطنين ، وبحق الأمن والطمأنينة  
على النفس في المجتمع ، شرع القصاص ،  
واعتبر أن قتل النفس الواحدة بغير الحق  
بمثابة قتل الناس جميعاً ، وإحياء النفس  
الواحدة بالمحافظة عليها ، وإفراجها في الحياة  
بمثابة إحياء الناس جميعاً : ه أنه من قتل نفساً  
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل  
الناس جميعاً ، ومن أحيأها فكأنما أحيأ  
الناس جميعاً .

وكذلك شرع كل ما يحفظ الحياة للحى :  
فنهى عن الانتحار بقتل النفس أو ما هو  
بمثابة قطعة من النفس : « ولا تقتلوا أنفسكم  
إن الله كان بكم رحيماً » ، « ولا تقتلوا أولادكم  
خشية إملاق » ، « ولا تقتلوا أولادكم

لا تبال على من وجب الحق ، ثم لا تأخذك  
في أهولة لآثم ، وإياك والآثرة والمحابة » .  
هذا هو عدل الإسلام الذي شرعه  
في سبيل تحقيق المساواة وهي أول حق طبيعي  
مشترك بين الناس

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة أيضاً يعمل  
الإسلام على تحقيق ما نسميه ( تكافؤ الفرص )  
ويشرع لذلك أحكاماً من شأنها أن تؤيده وتثبتته :  
منها الحيولة دون تضخم المال ، وأن يكون  
دولة بين الأغنياء خاصة ، بتحريم الاحتكار  
وإغلاء الاسعار وتلقى الركان ، ونحو ذلك .  
ومنها تحريم الرشوة أخذاً وإعطاء لئلا  
يكون الغنى أقدر على تحقيق منافع من الفقير .  
ومنها تشريع الموارث الذي لوحظ فيه  
توزيع التركة على الأولاد والأقارب بنسب  
مقابلة وملائمة لما كرم وواجباتهم مما  
يجعل الفرص متكافئة في الحقيقة ، وإن  
اختلفت الأنصاء في الظاهر .

٢ - وفي الحرية والكرامة الإنسانية  
شرع الإسلام نظاماً من شأنه تصفية الرق  
البشرى ، وذلك بأن ضيق الموارد المؤدية إلى  
العبودية وحذر من التوسع فيها تحذيراً شديداً  
ووسع المخرج المؤدية إلى الحرية ، ورغب  
فيها ترغيباً عظيماً .

والإسلام لا يرضى عن الإكراه الدينى ،  
ولا يرى إيمان المكروه صحيحاً ، كما لا يرب  
أثراً على الإكراه على الكفر ، مادام القلب



الحاضر للبأدى ، فيقول : لا يبيع حاضر لباد ،  
دهوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم  
من بعض ، وذلك لأن الحاضر أى المقيم  
فى الحضر أخبر وأقدر على أن يبيع بسعر  
أعلى ترويجا للسلمة التى جاء بها للبأدى  
أى المقيم بالبادية ، فيترتب على ذلك ألا تنهيا  
فرص الرزق التى يجب أن تترك حرة بين الناس ،  
فربما غفل أهل البادية فانتفع بذلك أهل  
الحاضرة ، وليست الغفلة حينئذ معيبة منهم  
بل هى مسأرة للسهولة والبسر وعدم المغالاة  
نتيجة لأنهم عادة يكسبون مكاسب طبيعية  
بما تنبت الأرض ، وتخرج الماشية ونحو ذلك ،  
فلا يفسد هم أن يتساحوا ويغلبوا بعض  
الغلب إذا قيس أمرهم فى البيع والكسب  
بسكان المدن والحواضر .

\*\*\*

وهكذا يتبين أن الإسلام يكفل الحقوق  
الطبيعية للوطنين ، ولا يكتفى بهذه الكفالة  
نظريا ، بل يشرع من اللقوانين والنظم ما يجعلها  
مضمونة نافذة قوية .

وصدق الله العظيم إذ يقول : إن هذا القرآن  
يهدى للقى هو أقوم ، .

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

بجامعة الأزهر

من إملاق ، ، د ولا تلقوا بأيديكم  
إلى التهلكة .

وشرح كل ما يحفظ الصحة من النظافة  
والوضوء والغسل وعدم الإسراف فى الطعام  
والشراب ، وعدم تناول المسكرات والمخدرات  
والمحافظة على صحة الأجنة والأطفال بإباحة  
الفطر للحامل والمرضع ، والنهى فى أوقات  
الوباء عن الخروج من الأرض الموبوءة  
بالنسبة لمن فيها ، والدخول إليها بالنسبة لمن  
هم خارجها .

٤ - وفى سبيل الارتفاع بالمستوى  
الإنسانى ، حث على العمل والتشجير والاتجار  
والضرب فى الأرض وإثارتها بالحرث التماسا  
للنبات ، وأباح التمتع بالزينة والطيبات  
من الرزق ، وطلب من المرء أن يعمل  
على أن يكون غنيا ليعطى ، لا أن يكون  
فقيرا لياخذ ، فإن اليد العليا خير من اليد السفلى .

وفصل قواعد التعامل والبيع والشراء ،  
والأخذ والعطاء ، على وجه يجعل الناس  
متعاونين ينتفع بعضهم من بعض ، وينفع  
بعضهم بعضا ، كل ذلك بالمعروف دون ضرر  
ولا ضرار ، ولا تربص ولا احتكار .

فبينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم  
ينهى عن تلقى الركبان ليتيسر للناس فرسا  
متكافئة حين ترد البضائع إلى السوق فيتساوى  
الناس فى التقدم لشرائها ؛ نراه ينهى عن أن يبيع

# نِعْمَاتُ الْقُرْآنِ

سُلْطَانُ الْأُمَّةِ مَنْوُظٌ بِاسْتِقَامَتِهَا  
وَدَوَامُ النِّعْمَةِ رَهِيْنٌ بِصِيَانَتِهَا

لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّبَّحِيِّ

ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما  
بأنفسهم : . وأن الله سميع عليم .

يغيروا ما بأنفسهم ، ، فمن ذلك فإنما  
ينكث على نفسه ، .

ونحن في عالم فسيح الأرجاء ، تتناوبه  
صروف القدر ، وتماوج فيه أحداث الزمن ،  
وهو في طريقه يستقبل جديدا ، ويودع قديما ،  
إلى أن يستقر الركب على أى نحو يشاء الله .  
والله تعالى - يجب إلينا دائما أن نعيش  
على الهدى ، وأن نلتمس الخير من سبله  
عامة ، لندرك حظنا من دنيانا ، وليكون  
الخير بعدها موصولا بما هو خير منه ، وأبقى  
في حياة الخلود .

٢ - وكان من فضل الله على الناس أن  
يمنحهم العقل ليفكروا ، والوعى ليتدبروا ،  
وأضفى عليهم نعمة العلم ، والرزق ، والصحة  
ليسلكوا سبلهم عن بيئة إلى خير ما دعاهم  
إليه وبين لهم أن الإحسان منهم إحسان إلى  
أنفسهم . . وأن الإساءة منهم إساءة إليهم .

١ - الله سبحانه - يضئ على الأمة جانبا  
من تأييده ، ويمنحها حظا من سلطانه . فتكرن  
لها شخصية ومهابة ، ويمز شأنها ، وتستقر  
سيادتها في رعاية الله ما دامت على الجادة ،  
وغير ملتوية في مسالكها عما رسم الله من  
شئون دينه ودنياه في محيط الأمة ، وفي  
علاقاتها مع الغير ، والله سبحانه يمنح الأفراد  
كذلك من فضله ، ويحفظ هليهم نعماءه  
ما دامت النعمة فيهم مرعية الجانب ،  
ومحفوظة بالتقدير ، والحمد وحسن التصرف .  
وقد عاهد الله خلقه على أنه لا يسلبهم  
نعمته ، ولا يبدل من عطائه إلا إذا كانت  
الإساءة منهم إلى أنفسهم .

حينذاك يكونون رافضين لما منحهم ،  
ومعرضين عما نصحهم ، فلا يكونون أهلا  
لما تفضل به عليهم . . وهذا هو قوله سبحانه :  
ولم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى

وأوعده بالشر فاستهان بوعيده ؟؟ ذهب  
ريحهم ، وخلت منهم ديارهم ، وبأوا بشر  
ما يبوء به من دخل دنياه راجحا ، ثم خرج  
منها خاسرا ، واندحر على هوان ، وليته  
لم يكن في الدنيا شيئا مذكورا .

تلك أمم : انفرجت لهم حياتهم واتسعت  
لحاج دنياهم ، وكان لهم سلطان ومتاع ،  
فما بقي لهم غير ذكريات سيئات ، وما ورننا  
عنهم سوى العبرة بهم ، والتخويف من  
عقبام إذا غيرنا ما بأنفسنا كما غيروا ، فإن  
سنة الله قائمة ، وقدرته متمكنة .

ونحن عباد مثلهم ، ولسنا أعز على الله منهم  
إلا بتقواه ، وباتخاذ سبلنا في الحياة على هداه .  
ورحمة الله لمن يهتدى بهديه ونعمته تدوم  
مع من يرعاها بالأمانة عليها ، وحسن تصرفه  
فيها . ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا .  
٤ - والدنيا عند الله هيئة ، وهو  
يعطيها لمن يحبها ولمن لا يحبها . ولا يضيره  
- سبحانه - أن تظل نعمته عند من يعصيه  
ويبقى السلطان عند من لا يتقيه .

ولكن حكمة الله تترك الدنيا لمن لا يستحقها  
ناعما فيها ، حتى يتم اختبارها بها ، ثم يكون  
زوالها وبالا عليه ، وحسرة له .

ومن أجل ذلك التدبير تراها دولة بين  
الناس - ويغير الله من حال إلى حال ...  
فقوم كانوا على صلاح ثم أفسدوا ، وعلى

وأن ما يصيبهم من سوء فهم الكاسيون له ،  
وما ينالهم من جزاء فما ظلمهم الله فيه .  
وهذه شرعة الله مع عباده قديما وحديثا .  
فإذا كان ؟ .

٣ - كانت للناس مسالك متباينة ، وتقلبات  
مضطربة ، وعلاقات غير وحيمة فيما بينهم  
وخصومات لديهم ، ومقاومة كريهة  
للدعوة رسلهم .

وهكذا ضلكت فيهم عقول ، وعميت منهم  
بصائر ، فتجاهلوا ما عرفوا من شرائعهم ،  
وانحرفت بهم النعمة ، ومرءوا على شقاق  
وضلالة .

وماذا يستحق الماكر غير هوان به ،  
وسلب نعمته بمد توافرها ، وكسر شوكته  
بعد قوتها ؟؟ وإذلال نفسه بعد جبروتها ؟ .  
هكذا كانوا ، وهكذا صنع الله بهم .

نجى الله من بينهم أنبياءه وأتقياءه ،  
ثم سلط على الآخرين بلاءه ، فأهلكهم  
بالصيحات ، والصواعق الماسحات ،  
وبالحسف ، والمسخ ، وبالريح العاتية ،  
والإغراق المبيد ، وأذاقهم من بأسه ما لم  
يكن لهم في حساب .

وتلك عدالة الله مع خلقه ، وحكمته في  
تدبير ملكه .

ثم ماذا يستحق من الله من أحسن الله  
إليه فأساء ، ووعده بالخير فكذب وعده ؟

عدل ثم جاروا ، وعلى تناصح ثم جحدوا  
وعلى حياء ثم تبجحوا وعلى قناعة ثم جشعوا ،  
وعلى اجتهاد في حياتهم ودنياهم ثم تواكوا  
هؤلاء جميعا غيروا ما بأنفسهم ، فغير الله  
ما بهم من صنوف نعماته ،

ورب قوم على فساد وضلال ثم ازدادوا  
وتتمادوا ، فهم كذلك غيروا ما بأنفسهم  
من قبيح إلى أقبح وإن كانوا من قبل في مهلة  
من وعيد الله ، فإن الله لا يطيل لإمهم بل  
يلحقهم بما يزعزع أمنهم وينتقص من  
راحتهم ، ويهز من كيانهم ، ويسلط عليهم  
من غصص الحياة وأكدارها ما يبذلهم سوءا  
بعد حسن ، وشرا بعد خير . وشؤما بعد  
رجاء .

وكذلك كانت قريش ... هاشوا في رخاء  
وتجدوا بعصبية وأنساب ، وتمتعوا في  
شموخ وأنف ، وكان فيهم كفر ووثنية ،  
غير أنهم كانوا في مهلة ، وفي شبه معذرة ،  
لأن رسولا لم يأتهم ، ولأن دعوة لم توجه  
إليهم ، وكانت لهم مع الكفر والضلالات  
مبررات خلقية كريهة ، كصلة الأرحام ، والوفاء  
بالعهد وحماية الجار ، وإغاثة الملهوف ،  
وسحبة البكرم ، والإيثار .

وإزاء هذه المبررات مع وثنيتهم كانوا في  
مهلة من تغير الحال بهم ، وفي هدوء من  
التهديد والتشنيع واقتضاح أمرهم .

ه — فلما جاءهم رسول منهم ، ووجهت  
إليهم دعوة . وقامت عليهم حجة غدروا  
بالقربة ، واحتقروا الرحم آتى بينهم وبينه  
وتخلفوا عن عصيتهم للحق ، في سبيل  
اعتصامهم بالباطل ، وأنكروا محمداً وهو  
من صميمهم ، وأكرمهم نسباً فيهم ، بل هو  
كما هتف فيهم أرحم بهم من أنفسهم ، وهو  
أصدق من عرف بالصدق فيهم ، وأوفى من  
عرف بالأمانة بينهم .

نكلت قريش عن دعوته ، ولم يشكروا  
نعمة الله بهدايته .

فكان هذا مناقضا لما عرف عنهم من  
مؤازرة العصبية ، ومنافيا لما عهد فيهم من  
عرفان الجليل . طاشت عقولهم ، وضلوا سبيلهم  
فبدل الله أمنهم خوفاً ، وراحتهم شقاء ،  
وأصبحت كثرتهم في تقلص ، وسيادتهم  
في أفول ، وصارت فلاحتهم الهزائم ، وتهز  
من كيانهم الناقبات ، وتطفئ من وجاهتهم  
فضائح سيرتهم مع خير رسول بعث منهم  
وإليهم ، وإلى الناس جميعا .

أولئك قوم أُميح لهم أن يهتدوا بهدى  
رسول الله ، وأن يسودوا في ظل دين الله ،  
وأن يعظموا بالعالم ، ومدنية الإسلام ، وأن  
تدوم لهم المسكنة المرموقة لهم وزيادة ، وأن  
يتصل مجد عروبتهم في الجاهلية بمجد عروبتهم  
في الإسلام ، وفي ظلال القرآن .

أصابت خيراً كثيراً يوم كانت على عهدنا  
مع الله ورسوله .

ولكنها تراخت من بعد ، وتلثت من  
مناهج دينها ، وانغمست في جهالة ، وركنت  
إلى كسل في شئوننا ، وأرخصت مجدها  
فزلت لغيرها عما كان بيدها من سلطان  
بالدين ، وتسابق في العلم ، واعتزاز بالخلق .  
وأخيراً تناهت أم مسلّة على السير في ركاب  
الخنادعين ، طواعية للأهواء .

وبقدر ما تساهلت في مقوماتها كان تخلفها  
عن مكاتها حتى أصبح الإسلام غريباً فيهم ،  
ومحارباً منهم .

ولا يزال القرآن ينادى فيهم ، ويسقطنض  
همتهم ، ولعل الله يعفيهم من هذا الامتحان ،  
ويوفقهم لخير ما يكون .

ولعلمهم يدركون أن أجدر الناس بالحرص  
على مجدهم ، وإحياء تراثهم هم الذين تنطوى  
قلوبهم وتلهج ألسنتهم - بلا إله إلا الله محمد  
رسول الله ، فتلك أصدق كلمة تجري على لسان .

وهي أقوى عهد بين الله والإنسان .

وهي شعار الحياة البالغة متهى الكمال .

وفي طيها رموز واضحة لكل ما يبتغيه الدين  
والدنيا من الآمال - وفق الله الجميع .

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

فلم يكن منهم إلا نكوص ، وإعراض ،  
ولجاج وعناد ، وطغيان وجلاد في سبيل  
الباطل والسير في جند الشيطان .

وما كان رسولهم يسألهم على دعوته لهم أجرا  
غير المودة منهم في القربى التي تجمعهم .

قوم نبذوا ما كان يليق بهم ، وآثروا  
ما كان قبيحاً منهم ، لا يستحقون إلا أن  
تجهنم لهم الحياة ، ويكون الدين الجديد حرباً  
على جوصهم ، وشؤماً على مطامعهم ، وناعماً  
لسلطانهم ، ونذيراً لهم بالعذاب في آخرهم .

٦ - وهذا جانب من تغيير الله لما كانت  
تحظى به قريش قبل تمردوا على ربها وهكذا  
رسم الله للأمم في تعاقبها أن تعتبر بمن سبقها  
ودعاها أن تدرك نفسها من مفاتن دنياها ،  
وأن تتفادى العاقبة التي ترى فيها غيرها .

ولم يكن باقياً بعد أولئك سوى أمة دعاها  
محمد بن عبد الله ، وليس بعده من داع جديد .  
ونزل عليه القرآن من عند الله ، وليس  
بعد القرآن من مزيد .

فأمنت به طائفة ، وبقيت طوائف أخرى  
كذبت به ، وعاشت في غير استجابة له ، فهل  
يفلت المخالفون له من هوان الله وإن أغرام  
الإمهال ؟ لا !!

إن لله موعداً أن يخلفه ، وما يغيب عن  
وعينا اليوم سيصبح أمراً مقضياً .

ثم انظر : تجد أن الأمة المستجيبة لمحمد

# سَيِّخُ تَهَابِهِ الْمُلُوكُ

لِلأُسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

وأحاطت بالوطن الإسلامي الزعازع والخطوب ترك صومعة الزاهد إلى سيف المجاهد، وخلي بينه وبين التحرير والبيان، ليحمل الروح والسنان، فإذا شارك في الجهاد وفرح بالنصر عاد إلى كتابه وبيانه وشهر قلبه ولسانه في وجه الظلم والظالمين، من حكام المسلمين، فلم يكن في شجاعته هذه معهم، أقل قوة ولا إخلاصاً ولا عنفاً منه في حربه وتحريضه على حرب أعداء الإسلام.

كان داعية للتضحية والفدائية، في العلم وفي الحرب، يضرب المثل من نفسه فيعمل، ويضرب المثل من منطقته فيقول: «إن الجهاد ضربان: ضرب بالجدل والبيان، وضرب بالسيف والسنان، وسلاح العالم عليه ولسانه كما أن سلاح الملك عليه وسنانه، وكما لا يجوز للولك إغتماد أسلحتهم لا يجوز للعالماء إغتماد ألسنتهم... والمخاطرة بالنفوس مشروعة في إهزاز الدين، ولذلك يجوز للبطل من المسلمين أن ينغمر في صفوف المشركين، وكذلك المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن قال بأن التفرير بالنفوس لا يجوز فقد بعد عن الحق، ونأى عن الصواب».

ولد في عصر كان جديراً به، وعاش في عهد من الفن والحن كان الناس فيه يحتاجون إلى إخلاصه وإيمانه وشجاعته، ليضرب لهم المثل ويضع أمام أبصارهم وبصائرهم القدوة.

خلع عليه معاصروه لقب: «سلطان العلماء»، وكان جديراً بأن يسمى «سلطان السلاطين»، فقد كانوا يهابونه ويخشون بأسه، ولم يكن له من بأس ولا سطوة إلا عرفانه حق الدين وأمانة العلم وسُلطان القضاة، وما كان له - بسبب هذا كله - من غلبة على الناس يقودهم بها، وحب من الناس يملأ قلبه بالثقة والإيمان والعبر، وقلوبهم بالتضحية والشجاعة والطاعة سماء أهله: «عبد العزيز»، فعاش عمره كله لا يعرف لغير الله عزة، ولا يحصر بأن لغير «العزیز القهار»، في نفسه وقلبه عبودية ولا قبيحة ولا مهابة ولا خشية، وكان أهم أبنائه: «عبد السلام»، ولكنه عاش في عصر لا يعرف السلام، بل لم يعرف أهله غير الحرب والخصام والرجح والحسام وتفليق الحام.

كان، في ضميره وروحه، زاهداً عابداً يتصوف وينقطع للعلم، فإذا جد الجد

لا نعرف عن طفولته شيئا كثيرا . ولكننا نعرف من حياته بعد ذلك أنه ولي التدريس والقضاء والإفتاء في دمشق ، وأن دفنة ، عن مسألة كلامية ، - كما يقول صاحب طبقات الشافعية - ثارت في دمشق جهر فيها الشيخ برأى لم يرض عنه الملك الأشرف ، ولكن الشيخ لم يجزع لغضب السلطان ، مادام قد أرضى دينه وضميره ، واستطاب غضب السلطان ، في سبيل رضا الله . ثم رجع الأشرف بعد ذلك فطلب الشيخ وقربه ، وترضاه ، وطلب رأيه ونصحه . ونعرف من سيرته أنه خدم ، بعد الأشرف ، أخاه الملك الصالح ، والملك الكامل ، الفتي اختاره مدرسا في زاوية الغزالي وقاضيا على دمشق . وأن الملك الصالح لقي من خصومة الشيخ وحربه ما أزعجه وأثار عليه سخطه فلما ساط عليه الصالح سوط غضبه . ترك الشيخ دمشق - بعد أن هيج الناس وأثارهم على السلطان - ونزع إلى بيت المقدس فأخذه صاحبا إلى السجن . وأرسل له الصالح يستصلحه ، ولكنه نفر وأبى ، فأسره الصالح . ورحل الشيخ إلى القاهرة فولاه سلطانتها الصالح نجم الدين خطاباتها وقضاءها وعمارها المساجد فيها وفي بلاد مصر كلها . ثم عزل الشيخ نفسه ، ورجا من السلطان أن يعفيه ، فقبل رجاءه وأعفاه . ومات نجم الدين ثم جاء ابنه . د توران شاه ،

ويحرص أصحاب القلوب السليمة والضمائر المستقيمة على أن يبذلوا - حتى حياتهم ونفوسهم - في سبيل الله والحق فيقول : « إننا نزع أنفسنا من جملة حزب الله ، وأنصار دينه ، وجنده وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي . وكذلك كانت حياته - كما قلنا - مصداق منطقته ودهوته . »

### هياة ووفاء :

كانت بلاد الإسلام : مصر والشام ، يحكمها بحكم القرون الوسطى ملوك وسلاطين وأمراء ، يعرفون الشجاعة ويقتحمون على الموت ، ولكنهم لا يعرفون الحرية ولا الحق ولا العدل في الرعية ، وكانت حروبهم يصلها أهلهم وإخوانهم ، وشجاعتهم يبيلوها أعمامهم وإخوتهم وأبناءؤهم ، بينما يغزو بلاد الإسلام الغزاة القساة الفجرة من التتار والصليبيين ، فيستعين بعضهم هؤلاء الغزاة البغاة الفجرة على إخوته وأهل دينه ، كما فعل الملك الصالح إسماعيل .

في هذا الظلم والإثم ، وبين هذا الظلام والعدوان ، عاش د عبد العزيز ، الذي ولد في سنة ٥٧٧ هـ ( ١١٨١ م ) في عهد الملك البطل صلاح الدين الأيوبي ، في مدينة دمشق ، وطاصر بقيمة سلاطين الدولة الأيوبية ، ونفرا من سلاطين المماليك البحرية وله مع كل واحد منهم مشاهد ومواقف .

بعد حياة اهتز فيها بالدين فلم يخش فيه سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه ، وهز فيها الدين وعزت رجاله وأهله وكلته . فقد جعل الشيخ من حياته ، منذ كان إلى الآن ، وعلى طول الزمان ، مثلا مضروباً وقدوة متبوعة لمن يتبع .

يا ليتنا ندرك ، فنقتدى ونحتذى ونفيد .

### منزلة وكرامة :

يقول السبكي ، صاحب طبقات الشافعية ، عنه : « شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ... لم ير مثله هلبا وورعا ، وقياماً في الحق ، وشجاعة ، وقوة جنان ، وسلاطة لسان . »

ويقول عنه شيخ الحنفية في عصره - والمعاصرة حجاب كما يقولون بحق - : « هذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا ، كان ينبغي للسلطان أن يسمي في حلوله في بلاده أتم بركته عليه وعلى بلاده ، ويفتخر به على سائر الملوك . »

وبلغ من منزلة الشيخ وكرامته أن الملك الظاهر بيبرس عندما أثبت قاضي قضاء مصر نسب الخليفة المستنصر ، لم يتقدم لبيعته إلا بعد أن بايعه الشيخ ، ثم تقدم السلطان فبايع ، ثم القضاء والأمراء .

فأكرم الشيخ ورعا منزلته وأحسن معاملته . ثم صارت الدولة إلى الأتراك بعد بني أيوب فأكرم سلاطينهم الشيخ أعظم إكرام . وبخاصة الظاهر بيبرس ، الذي كان - كما يقول : مؤرخوه - منقماً ، تحت كلمة الشيخ لا يستطيع أن يخرج عن أمره .

ومات الشيخ : « سلطان العلماء ، في عهد الظاهر بيبرس ، فأمر جنده وخاصة بملكته أن يحملوا نعشه وبسروا في جنازته ، ووقف هو يشهد ما تحت القلعة ويرى أفواج الناس وأموالهم تودع الشيخ وقبره وترحم عليه وتبكيه . ثم نزل السلطان نفسه بعد ذلك فحضر دفنه . ثم قال بعد ذلك كلمتين تدل أولاهما على ما كان للشيخ من منزلة كريمة في قلوب الناس وإدراك السلطان نفسه واعترافه بهذه المنزلة ، وهي : « اليوم استقر أمرى في الملك ، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لا تنزع الملك مني . »

والكلمة الثانية تدل على ما كان يشعر به السلطان نحو للشيخ من كرامة وتقدير ، رغم هذه الخشية منه على عرشه ، وهي حزنه الذي هب منه في هذه الكلمات القوية : « لا إله إلا الله . ما اتفقت وفاة للشيخ إلا في دولتي . » . ومات الشيخ في سنة ٦٦٠ هـ : ( ١٢٦١ - ١٢٦٢ م ) .

ومات الشيخ « عز الدين بن عبد السلام ،



## مشاهد ومواقف :

كانت حياة الشيخ كلها ، كما قلنا ، هزة بالدين والدين . فلم يخش سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه . وهذه مشاهد ومواقف من عزته بالدين وعزة الدين به ، وكيف خذل بعزته الملوك والسلاطين ، واستطال عليهم بكلمة الحق وسلطان الكرامة والخلق والدين .

١ - كان الملك الأشرف يحكم دمشق ، وأخوه الملك الكامل يملك مصر . وعاد للملك الأشرف عقله فسمى إلى الشيخ في أن يرضى عنه ويؤذره . بعد الجفوة التي أشرنا إليها من قبل . ورضى الشيخ أن يزور الملك ، ولكنه أضر في نفسه شيئا أكبر من الزيارة وملاقة السلطان : هي أن يسعى لخير الإسلام ويجمع شمل الأخوين المتخاصمين على حرب عدو الإسلام والمسلمين وعدوهما . فقد كان الشيخ يعرف أن خصومة قائمة بين الأشرف وأخيه الكامل ، وأن الحرب توشك أن تقع بينهما . ذهب الشيخ ليزور السلطان ، فوجده قد نصب دهليزه صوب مصر ، . وتلك ، في اصطلاح ذلك العصر ، أمارة على رغبة السلطان في غزوها ، وإشارة بإعلان الحرب عليها . وأنه لا بد أن يفتحها ويدخلها ، سلبا أو حربا ، مادام وجه دهليزه صوبها ، كما يدخل صاحب الدار داره .

وبدأ الشيخ حديثه مع السلطان فقال : إن الملك الكامل أخوك الكبير ، ورحمك . وأنت ملك عظيم عرف الناس كلهم بشجاعتك وفتوحاتك . وتعرف أن التتار - أعداء الله والإسلام - يغزون بلاد المسلمين ويفتحونها . ومع ذلك تتركهم يحاربونهم ، ويفتحون بلادهم ويقتلون نساءهم وصبيانهم ، ويهدمون مساجدهم ، لو أمكنهم الله منهم ، وحاشا لله . تترك - يا سلطان المسلمين - أعداء الإسلام يصنعون ذلك بالمسلمين ، لتحارب أخاك الملك المسلم

ثم قال الشيخ : دع ذلك أيها السلطان ، فما فيه إلا قطع الرحم ، وخذلان الدين ونصر أعداء الإسلام ، وقم لنصرة الله وحرب أعدائه وأعدائك وإعزاز كلمة الحق . وكان السلطان مريضا ، فقال الشيخ : إن شاء الله لسلطاننا وسلطان المسلمين الشفاء والعافية ، رجونا من الله أن ينهرك على عدوه وعدوك ، وكانت لك بذلك الحسنة في الدنيا والآخرة . وإن شاء الله لك أمرا آخر جازاك الله بحسن قصدك وإخلاصك وسعيك وإنما الأعمال بالنيات .

وتأثر الملك الأشرف من حديث الشيخ وإخلاصه فأمر ، والشيخ حاضر ، بنقل دهليزه من ناحية مصر ، صوب التتار ، وأعلن الحرب عليهم . ثم طلب إلى الشيخ

وأوشك الشيخ أن ينشق صدره من الغيظ والغضب. فأمر الناس ألا يتعاملوا مع أعداء الإسلام وأعدائهم، ولو أباح لهم السلطان ذلك، ولم يذكر اسم الملك الصالح في خطبة الجمعة، إيدانا بخلمه والخروج على طاعته، وكان الصالح ولده خطابة دمشق بل ذكر الصالح في خطبته بشيء من السوء. والناس من ورائه تهمل وتكبر. وأخذ رجال الملك الصالح الشيخ إلى السجن<sup>(١)</sup> فلما قدم الصالح أخرجه منه ومن دمشق كلها، خوفاً منه، فسار الشيخ يقصد بيت المقدس، واسكنه وقع في أسر حاكم نابلس، وكان من رجال الملك الصالح.

وتكاثر الصليبيون وقوادهم وملوكهم على الشام، يريدون النزول منها إلى مصر، ووقع الصالح في حرج بالغ، والشيخ لا يكف عن مهاجمته والتحريض عليه. وجلس الصالح في خيمته يفكر في الحرب وفيما جره على نفسه، بخيائته من الخزي وعلى وطنه ودينه من الشر. وفي هذا الشيخ الذي يثير عليه من الحرب وتهيبج الناس مالا يستطيع أن يصنع إزاءه شيئاً. ورأى أن يطلب الشيخ ليصلحه، أو ليرشوه ويشتريه.

وطلب السلطان رجلاً من خاصته فبعث به

أن يزيد في نصحه، فطلب إليه أن يبطل المحرمات، وأن يرفع عن الناس المظالم. فأمر الملك بذلك، وطلب إلى الشيخ أن يتولى بنفسه الإشراف على رعاية الحق والعدل في الرعية. ثم أمر للشيخ بألف دينار مصرية جزاء إخلاصه ونصحه. فاهتذر الشيخ من قبولها وهو يقول للسلطان: لقد حضرت إليك لنصحك ولخير المسلمين، وكان اجتماعنا في الله والله، فلا تكدر على صفاء نفسي بعد ذلك بشيء من متاع الدنيا.

ولم يمض يسير زمن حتى قدم الملك الكامل بجيوشه من مصر لحرب أخيه - ثم تصالحا - ولو وجد الكامل في مصر شيخاً مثل عز الدين ينصحه وينجزه ويقومه، ما فعل. وقد أكرم الكامل الشيخ واستدعاه فأجلسه على بساطه، وأخو الكمال، الصالح إسماعيل، واقف يشهد ويهيب.

٢ - في هذه الفتن السود خاف الملك الصالح إسماعيل على نفسه وعرشه في دمشق، من هجوم الملك نجم الدين أيوب، سلطان مصر الذي حالفه الملك الصالح ثم خافه، فلم يجد الصالح - ميلاً لآمنه وسلامته إلا في أن يخون دينه ووطنه ١٠٠٠ فتصالح مع الصليبيين على أن يسلمهم دميماً، وقلعة د الشقيف، وبعض الحصون الأخرى. وأن يبيع لهم دخول دمشق ليشتروا منها ويبيعوا فيها. ودخل الصليبيون دمشق يشترون السلاح ١٠٠٠

[١] أنكر ذلك أيضاً من الملك الصالح الفقيه المالكي الكبير أبو عمر بن الحاجب، فبس مع الشيخ عز الدين.

وبهت الرسول المنافق الماذق . وقال الشيخ  
أمرنى السلطان — إن لم توافق — أن  
أعتقلك . فقال الشيخ : حبا وكرامة .  
وحبس الشيخ في خيمة تجاور خيمة الملك  
الصالح . فكان يكثّر من الصلاة والتلاوة يرفع  
صوته بها حتى يسمع السلطان .

وجاء إلى الملك يوما جماعة من حلفائه  
الصليبيين يتحدثون إليه في أمر الحرب .  
وأراد الخائن أن يظهرهم على مقدار ما قدم  
لهم من العون ، وما لقي في سبيلهم من الإنكار  
فقال لهم : هل تسمعون هذا الشيخ الذي  
يقرأ القرآن ... ؟ قالوا : نعم . قال : هذا  
أكبر علماء المسلمين .

وقد حبسته لإنكاره على تسليم حصون  
المسلمين لكم ، فعزلته عن جميع مناصبه  
وأخرجته من دمشق ، لجاء إلى بيت المقدس  
يحاربني ويتحداني ويفسد علىّ وعليكم  
الناس ، فجددت حبسه واعتقاله لأجلكم .

عند ذلك جبهه جلساؤه الصليبيون وأخزوه  
بهذا الجواب : لو كان هذا الشيخ قسيسا عندنا  
أقمنا بين يديه فغسلنا رجله ، وشربنا ماء  
غسلهما ... !

وفي مقال آخر نجد مشاهد أخرى ومواقف  
للشيخ الذي أعز الدين واعتز به فأعزه الله  
وذلل له الناس وهابته الملوك والسلاطين .

محمود الشرفاوى

رسولا إلى الشيخ . ووصاه : تطف بالشيخ  
وأكثر من ملاينته ، وعده على بأنى سأرجعه  
إلى مناصبه وأزيد في إكرامه ، فإن قبل  
فهاه إلى وأسرع . وإن أبى فأحضره بيميننا  
في خيمة تجاور خيمتى .

وكان رسول الملك منافقا مما ذقا من عباد  
الدنيا وخدام السلاطين ، فظن أنه ، عن  
طريق الجاه والمال ، يستطيع أن يعود  
بالشيخ إلى سلطانه وسيده ، وأن يرضيه  
ولو هان وذل ، كما هان غيره وذل .

قال الرسول المنافق الماذق للشيخ المؤمن  
الجسور : إنك شيخ جليل وعالم كبير من  
حقك أن تنال أعظم المال وتحوز أرفع  
المناصب ، وأن تعيش حيا نك كلها معززا  
مكرما ينال الناس من بركاتك وينتفعون بهملك .  
وليس أمامك لتحوز ذلك وتناله وتعود  
إلى ما كنت عليه وزيادة ، إلا أن تخضع  
للسلطان وتدخل عليه فتهب يده ... لا شئ  
أكثر من ذلك ... !

وهنا نسمع عجبا ونرى عجبا : نرى الشيخ  
يحيج ويصرخ في رسول الملك ويقول :  
إنك لمسكين ... ! إني لا أرضى أن يقبل  
السلطان يدى وأنت تريد منى أن أقبل يده .  
إنك وسلطانك وقومك في واد وأنا في واد .  
إنكم عبيد المال والجاه والشهوة . وأنا لا  
أعبد إلا الله ولا أعرف ولا أخشى سواه .  
والحمد لله الذى عافاني مما ابتلاك به .

من رهاب الحرم :

## شحنة للمشاعر الإنسانية

للأستاذ فتحي عثمان

منكم ، هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام  
مساكين ، أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال  
أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم  
الله منه ، والله عزيز ذو انتقام . أحل لكم  
صيد البحر وطعامه ، متاعا لكم وللسيارة ،  
وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، واتقوا  
الله الذي إليه تحشرون .

وعلى هذه التريبة النبيلة للمشاعر الرقيقة ،  
تقوم شعائر الحج ...

وهي تشرّ ثمارها في تعامل الإنسان  
والإنسان :

« ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم عن  
المسجد الحرام أن تعبدوا وتعارنوا على  
البر والتقوى ، ولا تصاونوا على الإثم  
والعدوان واتقوا الله ، إن الله شديد العقاب . »

وهكذا يسمح الحج على القلوب ، فيبرئها  
من الحقد والضغن والدخل ...

ويعالج الحج النفوس ، فيشفها من العقد  
والعلل ...

ويربي الحج المشاعر ... بثياب الإحرام  
في بساطتها ، وشعائر الحج في روعتها ،

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله  
في أيام معلومات . »

أما المنافع المادية المباشرة ، فهي بارزة  
للعيان ... رواج للتجارة ، وتعارف على  
الخير ، وتعاون على الحق بين الأفراد  
والشعوب والحكومات .

ولنأما أتناول هنا الشحنة الشعورية الضخمة  
التي يسكبها الحج في نفوس الحجاج ... شحنة  
من أجل المشاعر الإنسانية والقيم النبيلة .

\*\*\*

في الحج تربية للإحساس المرفه النبيل ...  
فالحاج في بساطة ثياب الإحرام ، محظور  
عليه العدوان ... حتى على الطير والحيوان !  
« غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم  
ما يريد . »

« يأبى الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء  
من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، ليعلم الله  
من يخافه بالغيب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله  
عذاب أليم . يأبى الذين آمنوا لا تقتلوا

الصيد وأنتم حرم ، ومن قتل منكم متعمدا  
فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل

والرسول الإسلام حذب بالغ على القوارير،  
ومشاهر من وعواطفهم ... وهو الذى قرن  
« النساء » ، « بالطيب » ، فيما حجب إليه من  
متاع الدنيا ... وهو الذى من أجل مرضاة  
أزواجه حرم ما أحل الله له حتى نزل وحى  
الله بصرفه عما فعل ... وهو الذى فى مرض  
الموت كان يصبر على العدل فى رعاية مشاعر  
أزواجه ، لينقل محمولا بين بيوتهم وفق  
ما قسم بينهم فى معاملته لهم ، فكان عليه  
الصلاة والسلام يتساءل وهو صريع المرض:  
أين أنا غدا ؟

إنها المشاعر الحساسة المرفقة ، فى الموقف  
الدقيق الرهيب ...  
إنها العدالة الإنسانية المقررة فى الخطاب  
الجامع الخطير ...

« أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا  
يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس  
منه ، فلا تظلموا أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟  
اللهم فاشهد ١١ .

فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضهم  
رقاب بعض ...

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم  
واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن  
أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل  
على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم  
فاشهد ١١ ، إنه الإخاء الذى أثمره الإيمان ..  
والذى لا يمزقه إلا الكفران ١١

والسلام المرسل من القلوب والألسنة  
والجوارح ... فى دار السلام ١ .

« والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من  
يشاء إلى صراط مستقيم » .

إنها شحنة شعورية هائلة ... تعالج الإنسانية  
من « داخلها » ، وتأتى النفوس من أبوابها ،  
وتضع قواعد السلام والإخاء والمساواة  
على أساس ضارب فى الأعماق ١ .

\*\*\*

وفى هذا الجو النبيل ... انطلق صوت  
رسول الإسلام ، يقرر حقوق الإنسان فى  
خطبته الخالدة فى « حجة الوداع » .

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم حرام  
عليكم إلى أن تلقوا ربكم ... كحرمة يومكم  
هذا فى بلدكم هذا ... حتى تلقوا ربكم فبئس ألسنكم  
هن أعمالكم » .

إن تربية المشاعر النبيلة لا بد أن تشر  
تمارها العملية فى السلوك ... وإن حرمة الشهر  
الحرام فى البلد الحرام ، ينبغى أن يسكب فى  
مشاعر المؤمنين رعاية حقوق الله فى كل زمان  
ومكان ١١

« أيها الناس : إن لنساءكم عليكم حقا ،  
ولكم عليهن حق ... فأتقوا الله فى النساء ،  
واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم  
فاشهد ١١ .

إن الإسلام لا يتجاهل شطر المجتمع ...

فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر  
ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أصلبا  
وتلته للجبين ، ونادينا أن يا إبراهيم ، قد  
صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين .  
إن هذا هو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم  
وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم .  
كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا  
المؤمنين ، ١١

إن الله لأرحم بعباده من أن يقتلوا أنفسهم  
تقرباً إليه ...

« وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم  
أنفسكم بالتخاذل العجل ، فتوبوا إلى بارئكم  
فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ،  
فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم » .

إن الطاعة يكفي فيها الرمز ... والقربان  
يجدر أن يأتي منه النفع ... ومن هنا كانت  
الأضحية حيواناً يؤكل لحمه ، ويطم منه الفقير  
والمسكين .

« والبدن جعلناها لكم من شعائر الله  
لكم فيها خير

فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا  
وجبت جنوبها فكلوا منها ، وأطعموا الفقاع  
والمعتر ، كذلك سنخرها لكم لعلكم تشكرون .  
لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن  
يناله التقوى منكم ، كذلك سنخرها لكم  
لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين .»

إنها المساواة ... التي أتت بها الإيمان بالله  
واحده وحده صفات الاستعلاء والكبرياء  
وكل البشر بعد ذلك سواء ، لأنهم جميعاً  
مربوبيهم ولأنهم جميعاً عباد ١١

لقد سجل التاريخ أن ملكاً حديث عهد بالإسلام  
لطم عربياً مسلماً لأنه وطىء طرف ثوبه وهو  
يطوف حول الحرم ... فإذا بالخليفة المسلم  
يصر على القصاص ، بما أدى بالملك المتكبر  
أن يرتد عن دين لا يؤله إلا الكبير المتعال !  
ومن هذه الأعماق العقيدية البعيدة ...  
ومن هذه التربية النفسية العميقة ... تأتي  
« المساواة » الحقيقية ، « يأتي الإخاء »  
للنابع من التجاوب والتفاهم في المشاعر  
والأفكار .

« وألف بين قلوبهم .  
لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت  
بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم » .  
إن الإيمان « باقه » ... خير رعاية  
« للإنسان ، ١١١

\*\*\*

ويعقب أيام الحج عيد الأضحية ، وفيه  
ذكرى نقلة إنسانية كبرى في التاريخ البشري ...  
ذكرى إعلان نهاية القرابين البشرية ، منذ  
عهد إبراهيم عليه السلام .

« فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي  
قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ،

فإذا قتلتم ... فأحسنوا القتلة .

وليحده أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته ،  
حفاظاً على الإنسان ، ... حتى وهو

يستعمل السكين !!

إن الحيوان هالك على أية مينة ... ولكن  
ما أفدح الخسارة حين تكون في مشاعر  
الإنسان ، !!

ومن أجل هذا ... أخبر رسول الإسلام  
أن امرأة عذبت في (هرة) حبستها حتى  
ماتت جوعاً فدخلت فيها للنار ...

وأخبر رسول الإسلام أن رجلاً سقى كلباً  
بلغ به العطش ، فغفر له ...

إن المؤمن موصول بحبال الله ... الرحيم  
الرحمن .

إنه يراقبه ويتنقح رضاه ، في تعامله مع  
الناس ...

في رعاية خلجات نفوسهم ومكنونات  
مشاعرهم ...

إن المؤمن يسير في ركاب رسوله ... الرحمة  
المهم — داء !

« ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا  
من حولك ،

فأعف عنهم ،

واستغفر لهم ،

وشاورهم في الأمر ... ، ،

« رسول من أنفسكم

وبذلك انتهى عهد القرابين ذات الدلالة  
العقيدية المجردة ، وغير ذات المنفعة البشرية  
المباشرة :

« الذين قالوا : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن  
لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار

قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالحق  
قلت ، فلم تلتنمواهم إن كنتم صادقين ؟ ؟ .

فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك ،  
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ، !!

\* أية مراحل قطعها المجتمع الإنساني ...  
وهو يتدرج في السمو والرقى والارتفاع .

\* وأية مراحل قطعها التشريع الديني ...  
ليسائر التطور الاجتماعي البشري .

\* وأية دروس يستفيدها علم الاجتماع ...  
استوعبت دراساته تاريخ النبوات ، وتطور

الأديان ... بغير تحن أو تجاهل أو اعتساف !  
\* \* \*

وفي العين تربية البشائر الإنسانية ... حتى  
في ذبح الحيوان !

إن ذكر الله عند مسيل الدماء ، وإزهاق  
الأرواح ، عوان على ترقيق القلوب ، وترقية

المشاعر ، حتى لا يقسمها المنظر المألوف  
للدماء الجارية ...

وإن في إراحة الذبيحة رعاية للبشائر  
الإنسانية في هذا الموقف العصيب : « إن الله

كتب عليكم الإحسان في كل شيء . ...

ولكم تشقى الإنسانية ... من هذه البصائر  
المطموسة !!

ولكم يسعد الإنسان ، ... حين يجد  
إلى جواره - في دوامة الحياة - الإنسان ...

وإن الإنسان ، ليجد نفسه ، ويجد  
أخاه ... على نور الإيمان ...

فأين من هذا النور غلاظ القلوب من  
المتزمتين المنتطعين ، المتعطشين للناسيم ،  
الملتصمين للعيوب ...

وأين من هذا النور من ران على قلوبهم  
ما كانوا يكسبون . وتبدلت مشاعرهم في رطوبة  
بجن الأنانية ، وضيق أفق النفعية ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى المشاعر الدافئة ،  
والحنان الفامر ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى الجدد والعمق  
والصدق في عالم الوجدان ، ليحس الإنسان ،  
بمستوى أرفع في علاقة الإنسان بالإنسان ...  
مستوى أرفع من العلاقات الحيوية  
البيولوجية ، والضرورات الاجتماعية ...

مستوى يرضى الإنسان ، في أعماق  
نفس الإنسان ، ؟

فتسمى عثمان

عزيز عليه ما عنتم  
حريص عليكم

بالمؤمنين رؤوف رحيم ، .

\*\*\*

وبعد :

فإنما يتميز الإنسان ، عن غيره من  
الاحياء ... بالمشاعر الواعية ، والتمييز المدرك  
والحس المرهف ، والانفعال الخلاق ...

وإنما يتميز الإيمان ، بأنه يصقل  
الأجهزة الروحية والنفسية في الإنسان ، ..  
فيجعله أرق ما يكون حساسية ، وأعمق  
ما يكون وعيا ...

إن تجربة التعامل مع الله ، ... تعكس  
آثاراً عجيبة في التعامل مع الإنسان ، ...  
ومع معجزة الله في الإنسان ، II .

وبهذه الأجهزة البلورية الحساسة يتعامل  
المؤمنون ... فيسكون لهم نور يمشون به II  
أما الذين عاشوا في حدود ذواتهم ، ،  
ضائق أو انسعت ، فهم عن هذه المشاعر  
المتلازمة محجوبون ...

وأما الذين عاشوا في حدود أشباح  
الرسوم ، من شعائر خامدة ، ومشاعر  
ميتة ، فهم عن حقيقة الإيمان بعيدون ...



## من معاني القرآن

وقد جعل الله منها البنين والأحفاد ،  
وبذلك يرى فيها الزوج نماء فرعه وبقاء  
نوعه وامتداد وجوده ، فإذا كبر أولاده  
وأحفاده وجد فيهم قرة العين . وقوة العون ،  
فإذا أضيف إلى ذلك ما خلق الله له ولزوجته  
ولذريته من زوجه من طيبات الرزق .  
فإذا وراء ذلك من مطالب الحياة . .

الزوجة نعمة يجب أن تقابل بما ينبغي من  
شكر المنعم .

والبنون والحفدة الذين يسرعون في طاعة  
آبائهم وخدمتهم نعمة يجب أن تقابل بما  
ينبغي من شكر المنعم .

والله وحده هو الذي جعل لنا من أنفسنا  
أزواجا .

وهو وحده الذي جعل لنا من أزواجنا  
بنين وحفدة .

وهو وحده الذي يرزقنا من الطيبات .  
لأنه دون - غيره - الخالق الرازق ، فالإيمان  
بغيره باطل لأنه إيمان بباطل لا فائدة منه ولا  
خير فيه ، فإذا أضيف إلى ذلك نعمة التي لا تحصى  
ولا تنكر ، بل يجب أن تذكر وتشكر ،  
فأي إثم أكبر من هذا الإثم وأي ظلم أظلم  
من هذا الظلم ؟ عبد الرحيم فوره

والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا  
وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة  
ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون  
وبنعمة الله هم يكفرون .

الحفدة الأعوان ، وأصل معنى الحفدة  
( بسكون الفاء ) إسراع البعير في سيره  
مع تدارك خطوه .

ثم استعمل في الإسراع إلى الطاعة ، ومن  
ذلك ما جاء في الدعاء المأثور ( وإليك نسعى  
ونخضع ) أى نسرع إلى الطاعة ، كما استعمل  
في أولاد الأولاد لأنهم كالخدام في الصغر .  
والباطل ما لا بقاء له ولا فائدة منه .

### هذه الحياة :

في هذه الآية على إيجازها تتمثل الحياة  
بأجل ما فيها من ألوان المتاع المشروع . .  
فالزوجة نعمة ورحمة ، إذ جعلها الله للزوج  
من جنسه ، ليشر بها أنها من نفسه فيسكن  
إليها ، ويكمل بها نفسه . ويحمل بها حياته ،  
ويجد فيها فطرت عليه من رقة الشعور ،  
ولين الجانب ، وجمال الظل والتسكين  
ما يروى شوقه ، ويرضى ذوقه كما يجد فيما  
تجيد من أعمال لا يجيدها الرجال ، ما يكفيه  
الحاجة ويهيئ له أسباب الراحة .

## الموضوع في الأدب العربي

### للأستاذ محمد فريد أبو حديد

للفن والاتصال بالمجتمع معا ، وعلى هذا فإن الشعار الذي تدور المناقشات حوله وهو « هل الفن للفن أم هو للمجتمع » ، يبدو شعارا خاليا من الدلالة إذا كان المقصود منه المقابلة بين قيمتي الأسلوب والموضوع في العمل الفني ، لأن القيمتين لا بد أن يتوافرا معا لكل عمل فني .

وإذن يكون المعنى الحقيقي الذي تدور المناقشات حوله هو أن بعض النقاد يذهبون إلى أن الأدب مطاق الحرية في اختيار موضوع إنتاجه سواء كان مما يقبله المجتمع ويرضى مثله العليا وقيمته المعنوية أو كان مما يرفضه المجتمع وينكر مثله وقيمته ، على حين أن البعض الآخر منهم يذهبون إلى أن الأدب الحق هو الذي يختار موضوع إنتاجه مما يقبله المجتمع ويعزز قيمته ومثله العليا .

ولا يخفى ما يحيط بالرأي في كل من الجانبين من غموض يستحسن إلقاء بعض الضوء عليه حتى يمكن أن يسلم من التعثر . وقد رأيت أنه بما قد ينير سبيل الرأي أن أستعرض الموضوع الشعري في هصور ثلاثة وهي العصر الجاهلي والإسلامي الأموي والعباسي

يتحدث النقاد والأدباء عن الفن الأدبي وهل ينبغي أن يكون المعول في تقدير قيمة العمل الأدبي على ما يمتاز به في أسلوبه أو أن يكون المعول في ذلك التقدير على قيمة موضوعه كذلك بالفسبة إلى المجتمع وإلى الإنسانية ، ولست أقصد بحديثي هذا أن أعرض لما يسوقه طرفا المناقشة من الحجج ، فهي معروفة كثرت المجادلات فيها ، غير أن الذي يبدو من هذه الأحاديث أن موطن الخلاف بين الجانبين المتناقشين معنى آخر خفي لم يظهر واضحا في ثنايا المناقشات فأردت في كلمتي هذه أن أحاول إظهار هذا المعنى الخفي بتوجيه بعض نظرات إلى أدبنا العربي لعلها تستبين حقيقة الصلة بين الموضوع في الأدب وبين الحال التي كان عليها المجتمع في العصور المختلفة ، فإن الكشف عن تلك الحقيقة جدير بأن يزيل كثيرا من الغموض الذي يحيط ببعض ما يبدى من الآراء .

ونقطة البداية التي أبدأ منها أن الإنتاج لا يمكن أن يسمى إنتاجا أدبيا إلا إذا توافر له الأسلوب الأدبي الفني . ومعنى هذا أن كل إنتاج أدبي لا بد أن يتوافر فيه الأسلوب

تعبيراً صادقاً عن معاني الصداقة والعداوة وعن المحبة والبغضاء وعن الإجلال والازدراء وعن الشجاعة والمروءة وأضدادها ، وفيها ينطوى سجل حافل بما كان للعرب من قيم فردية واجتماعية تتصل بمسالك الأفراد والجماعات في الحياة الخاصة والعامة .

فالشعر الجاهلي مثال للإنتاج الأدبي الذي يعكس لنا تجارباً كاملاً بين الأديب وبينته البشرية ... وإلى جانب هذه الخاصة كانت طبيعة الصحراء لا تكاد تسمح للعربي بما يرفه عنه في حياته القلقة المتحفزة للصراع إلا من ناحيتين يتنسم منهما البهجة والأنس أولهما جمال المرأة والإيناس الذي يحده الفرد في مجالس السمر بين الأصدقاء وما كان يشيع فيهم من النشوة على أثر معاطاتهم الحمر . وأما الناحية الأخرى فكانت مشاهد الطبيعة الطليقة التي تبعث السلوى إلى قلب المحزون والمهموم . وكانت الحياة أمام العربي حياة حرة يتعامل فيها أحرار لا يعترفون بالقيود ولا بطيقتونها ، فلم يكن فيها حدود غير ما تعارف عليه المجتمع من قواعد الولاء بالنسبة إلى القبيلة وقواعد الشرف والمروءة بالنسبة إلى الفرد . وكان للمرأة العربية في الجاهلية مكانة الفرد الحر كالرجل ولهذا كان الحب بين الرجل والمرأة يتم بالتقدير

الأول ، وأن أختار لذلك الاستعراض ما يمثل الاتجاه الأكبر في كل من هذه العصور وهي تمثل ثلاثة أدوار من مراحل التطور الحضاري للمجتمع العربي .

وأما النتائج التي يمكن الوصول إليها من هذا الاستعراض فقد رأيت من المستحسن تأجيلها إلى نهاية الحديث .

كانت حياة أجدادنا العرب في العصر الجاهلي مطبوعة بطابع بيئتهم الصحراوية إذا استثنينا بعض البقاع الخصبة في اليمن والمدن المتصلة بال عمران كالخيرة .

وكان النظام القبلي دعامة حياتهم بصفة عامة وأول مميز لهذا النظام هو الولاء الكامل المتبادل بين الفرد وقيبلته ، وهذا الولاء هو الاتصال النفسي بين الفرد ومجتمعه . فكان الشاعر العربي فرداً من قبيلته ويصدر في مشاعره وفي إنشاده عن شعوره القوي بالصلة التي تربطه بقبيلته . فهو يتغنى بمآثر قومه وبانتصارهم في الصراع مع القبائل الأخرى ويشيد بفضل أبطالهم ويفخر ببطولته فيهم وقد يهجو خصومهم أو يعاتب حلفاءهم ، وهو في كل الأحوال يعبر عن مشاعره كفرد متصل أتم الاتصال بمجتمعه .

وقد خلف لنا العصر الجاهلي بعض صور الدفقات العاطفية القوية التي أثارها مواقف قومه ومواقفه في قومه ، وهي تعبر لنا

الشعراء في عصر من العصور وهو في تعبيره الساذج الصادق عن مشاعره في هذه الوقفات يصور لنا لوحات فيها أبدع تمثيل للعاطفة الإنسانية الأولى .

وكان انطلاق العربي في الصحراء يتيح له أن يرى بعينه الدقيقة الملاحظة ما كان يضطرب في الصحراء من حياة الحيوان عامة وحياة الوحش بخاصة ، وما كانت يجاهد الطبيعة القاسية من نبات أو زهر ، فكان يصور في شعره ما يحسه من بهجة حين يرى الزهرة اليانعة بين الرمال وحين يرى الظبية تنحدر على وليدها أو تنفر ناجية إذا أحست الخوف . وكان يصور ما تجيش به نفسه من الرحمة أو الإعجاب حين يرى الصراع بين الأحياء كالبقرة الوحشية حين تستبسل في الدفاع عن نفسها ضد كلاب الصيد أو الذئاب التي تحتوشها أو كالعير الوحشي حين يدفع أأنانه دفعا شديدا نحو الماء إذا اشتد عطشهما فتصوير مشاهد الطبيعة الطليقة من أروع ما سجله الشعر في لغة من اللغات وهو يمتاز دائما بالصدق وقوة ما فيه من تعبير عن العاطفة .

أما التغني بمجاس الخمر فكان في أكثر الحالات إذا لم نقل فيها جميعا لا يزيد على التهديد لوصف ما يمتاز به الشاعر من الفتوة والكرم والبطولة في مواقع القتال .

المتبادل بينهما ، وإذا استثنينا بعض ما جاء في قصائد بعض الشعراء كالأعشى وامرئ القيس أمكن أن نقول : إن شعر الغزل الجاهلي يمتاز بإحلال المرأة الحرة محلا رفيعا في قلب صاحبها ، ففيه من صور الحب الرفيع ما يسمو إلى أعلى مراتب الشعر الغنائي في الآداب العالمية .

ومن اليسير أن ندرك العلة في انحراف أمثال الأعشى وامرئ القيس أحيانا عن مذهب شعراء العرب الجاهليين في الحب . فقد كان الأعشى شاعرا مرتزقا جوالا في الآفاق يتردد بين عمان وحمص وأورشليم وذهب إلى النجاشي في أرضه وإلى أرض النبط وأرض العجم ، ونزل بنجران وأعلى السرو في اليمن ، وكان في هذه البلاد يتصل بالحياة المسترفة وما فيها من معاهد اللهو والمجون الحضري . وأما امرؤ القيس فكان منذ مطلع شبابه ضحية لالتواءات نفسية كثيرة أدت به إلى الخروج على قومه والاطلاق في الأرض شريدا مع طائفة من الخلعاء الذين تبرأت منهم قبائلهم لخروجهم على ما تعارفوا عليه .

فكان لمسكنة المرأة عند العربي أثر واضح في الموضوع الشعري فكان الشاعر يصف وقوفه بديار الحببية إذا هي نزحت عنها ويتغنى بأناشيد من أصدق ما صدر عن

في شعراء الحضر مثل عدى بن زيد أو من في حكمهم مثل الأعشى ، وذلك التفكير لا يتعدى حدود العبر الدالة على زوال الحياة وغرورها وتداول المجد بين الدول .

غير أن شعر الجاهليين لا يخلو من تأمل الحياة من جانبها الواقعي المتصل بالحياة في المجتمع ، ولإيضاح ما نقصد نورد مثالا واحدا وهو قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه فهو لا يقتصر على وصف بطولة أخيه ووصف إقدامه هو حين اندفع بين الفرسان للدفاع عنه ، بل يعرج على معاني الولاء للقبيلة والتضامن معها في رشدتها وغياها ويشير إلى المثل العليا التي كان أخوه يتمسك بها فهو قليل التشكي للنصيبات ، حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد ، وهو قنوع يكتفي بأقل الزاد ، والزاد حاضر ولا يعبأ بما يلبس مع أنه كريم يجود بما في يده ويزيده سماحا وإتلافا لماله تنسك الدهر له ، واشتداد الظروف عليه .

فالشعر الجاهلي يمثل أدب عصر من عصور الحياة العربية كان يسوده التضامن والولاء بين الفرد والمجتمع وكان لذلك يتصف بالصدق في تصوير العواطف كما يتصف بالانطلاق النغمي الذي لا يشوبه التواء أو انطواء .

وبما له صلة بهذا المعنى أن شعر صعاليك العرب أنفسهم لا يشذ عن أنماط الشعر

فالظاهرة العامة للشعر الجاهلي أنه كان ينبع مما نبهته الحياة في الشاعر من الأحاسيس وهي جميعا متصلة أوثق الاتصال ببيئته وبولائه لقومه وتعلقه بقيم السلوك الفردي والاجتماعي التي تعارف عليها قومه واملتها عليهم طبيعة قاهرة ونظام اجتماعي مستقر . وقبلنا نجد في الشعر الجاهلي ما ينم عن انطواء الشاعر في نفسه أو انفزاله عن قومه أو الحقد عليهم ، حتى إن الهجاء الجاهلي نفسه لم يكن سوى تصوير نقسدى يوجه إلى قوم أو إلى فرد لخروجه على القيم السلوكية الفاضلة في نظر أهل العصر . فلم يكن فيه إلا هفوات قليلة من المثالب المقتذعة المسفة التي كثرت في شعر العصور الأخرى .

وكان الأعشى من أكثر الشعراء هجاء . ولكننا لا نكاد نرى في هجائه - وهو المرتزق بالشعر - ما يخرج عن حدود النقد التي أشرت إليها . وكان من أشد أبياته في الهجاء وقعا قوله في علقمة ابن علاثة إذ قال :

تيتون في المشتى ملاء بطونكم  
وجارنكم غرثي يبتن خناصا  
حتى لقد قيل إن علقمة بسكى حين سمع ذلك البيت وجعل يقول في الأعشى :

« قاتله الله ! أنحن كذلك ؟ » .

وقد نجد في الشعر الجاهلي أمثلة للتأمل الفكرى المجرد . وأكثر ما نجد ذلك

المدة أنه خلا من ذكر الخمر ومن التشبيب  
بالمرأة ، حتى لقد قيل إن أحد الشعراء  
وهو حميد بن ثور الهلالي أراد أن يتغنى بحبه  
فكفنى عن الحبيبة بالسرحة فقال :  
سقى السرحة المحلال والابطح الذى

به الثرى غيث هدى من وىروق  
وقد أنف أهل المرأة من ذكره لها  
مع إخفائها وراء ( السرحة ) فعابوه بذلك  
فرد عليهم قائلا :

تجرم أهلها لأن كنت مشعرا  
جنونا بها يا طول هذا التجرم  
ومالى من ذنب إليهم علمته  
سوى أننى قد قلت يا سرحة اسلى  
بلى فاسلى ثم اسلى ثم اسلى

ثلاث تحيات وإن لم نكلمى  
وكان الشعراء من العرب بغير شك لا  
ينة طعون عن الإنشاد حين تتحرك نفوسهم  
فى موقف من المواقف وهم ينساحون فى الأرض  
على بعوث الفتح ولكن ما وصل إلينا من هذه  
المقطوعات قليل وهو يشبه الشعر الجاهلى فى  
صدقه ودلالته على الولاء الكامل بين الفرد  
ومجتمعه .

وجاءت دولة بنى أمية بعد نحو أربعين عاما  
من الهجرة النبوية وكان لها أثر كبير فى توجيه  
الامة العربية إلى وجهة جديدة ، وكان  
للأحداث التاريخية الكبرى التى وقعت فى

الجاهلى عامة فمؤلا كانوا مع خروجهم  
عن مجتمعهم لم يخرجوا عليه بل كانوا  
يتمسكون بمثله العليا فى الكرم والشجاعة  
والمرودة ومن أمثلتهم عروة بن الورد  
والشغفرى وتأبط شرا .

وقد جاء الإسلام فأضاف إلى الحياة  
العربية إضافات كثيرة من القيم الإنسانية  
والمثل العليا وأنكر من قيم الجاهلية ما كان  
يشوه حياتها كالمبالغة فى القسوة والصرامة  
والاندفاع مع شعور العصية القبلية الضيقة  
كما أنكر الخمر وأحاط علاقة الرجل بالمرأة  
بطائفة من الحدود التى تكفل سلامتها من  
العبث . ثم وجه العرب إلى حياة جديدة  
قوامها الوحدة بين القبائل والمساواة بين  
الأفراد من كل الطبقات والأجناس وجعل  
مقياس التفاضل بينهم ما يتمتع به كل منهم  
من صفات الإنسانية ، وحملهم مسئولية  
نشر دعوة الحرية والمساواة فى أمم العالم .

فشغل العرب حينما بمواجهة الدين الجديد  
حتى دخلوا فيه ثم شغلوا حينما آخر بمواجهة  
الحوادث الكبرى التى أعقبت موت النبى  
عليه الصلاة والسلام ، ثم خرجوا من جزيرتهم  
فى بعوث الفتح لنشر رسالة الإسلام فكانت  
هذه المشاغل سببا فى قلة ما روى من الشعر  
العربى مدة تقرب من ثلاثين أو أربعين عاما .  
ومن أظهر آثار الإسلام فى شعر هذه

الشعراء للأحزاب لم يكن ثابتاً في كثير من الأحوال لأنهم كانوا مرتزقة بالشعر ولأن الأحزاب كانت عرضة للتغير . فقليل مثلاً إن جريراً لم يسكن مواليساً لبنى أمية في مطلع حياته ثم توسل بأحد الولاة كي يوصله إلى الحجاج . ثم توسل بالحجاج ليوصله إلى عبد الملك بن مروان ، فوجد عند خلفاء بني أمية ما يغنيه عن التذبذب بين الأحزاب . ولكن النابغة الجعدي وعبيد الله بن قيس الرقيات لم يثبتا على الاتصاف لحزب واحد وإسماعيل بن يسار النسائي انقطع أولاً إلى ابن الزبير ثم تحول إلى بني أمية ولزم فيما بعد الوليد بن يزيد . وطريح بن عبيد السقفي انقطع أولاً إلى الوليد بن يزيد وبالغ في مدحه حتى قال له :

لو فلت للسليل دع طريقك

والموج عليه كالهصب يعتلج

لساخ وارتد أو لكان له

في سائر الأرض هناك منعرج

وقد هاش حتى أدرك عهد أبي جعفر المنصور وأراد التقرب منه فسأله أبو جعفر عن هذين البيتين فقال إنه كان يرفع يديه إلى الله تعالى عندما أنشدما موجهاً خطابه إليه ولكن أبا جعفر لم يقربه إليه . وكان من الطبيعي أن ينقطع أكثر الشعراء في ذلك العصر إلى بني أمية طلباً لما عندهم من الجزاء

مدة هذه الدولة أثر كبير في توجيه الشعر كذلك من ناحية موضوعه .

ومن الظواهر الجديدة التي طرأت على الشعر العربي عند ذلك أن ولاء كثير من الشعراء انصرف إلى حزب من الأحزاب التي ينتمون إليها ، بعد أن كان ولاء الشاعر من قبل متجهاً إلى قبيلته وما كان أكثر الأحزاب المتطاحنة طوال ذلك العصر .

ولم يكن ولاء الشاعر الأموي لحزبه مثل ولاء الشاعر الجاهلي لقبيلته فقد كان الشاعر الجاهلي يشد منطلقاً في التعبير عن مشاعره غير متكلف فيه ، كما كان في العادة غير مرتزق بشعره . ولكن الشاعر الأموي كان في كثير من الأحوال مرتزقاً في ولاءه لحزبه . وكان لذلك يمرض عن نقص حرارة الولاة بزيادة التألق وبزيادة للعنف في تعبيره سواء في ذلك المغالاة عند المدح والإقذاع عند الهجاء ، فخرج كلا المدح والهجاء عن حدود الصدق ، وبعد أن كانت المفارقة بشواهد الحوادث الجارية أصبحت تعتمد على ذكر المآثر السابقة لأبطال الجاهلية الذين ينتمى المفارقة إلى قبائلهم . ومن هناك أحيى الشعر بعصبية القبائل بعد أن نهى الإسلام عنها ووجه العرب إلى الوحدة الشاملة ، وقصائد الشعراء لثلاثة الكبار - جرير والأخطل والفردزق - ملأى بغبار المعارك القبلية . على أن ولاء

كانوا من أبناء السراري لا من أبناء الحرائر من عقائل الأمر العربية الخالصة ، فيمكن أن يقال إنهم لم ينشئوا على ما اتجه إليه المجتمع الإسلامي الجديد من تحفظ نحو المرأة على أنه من الممكن كذلك أن يعزى انقطاع هؤلاء للشعر الغزلي إلى أسباب سياسية فيحكي مثلاً أن سليمان بن عبد الملك سأل ابن أبي ربيعة يوماً عن سبب امتناعه عن مدحه فأجابه : « إنني لا أمدح الرجال وإنما أمدح النساء » . فكان هؤلاء الشعراء أرادوا أن يقطعوا الذريعة إلى مدح الخلفاء الأمويين والدعاية لهم بشعرهم فأنقطعوا إلى شعرهم الغزلي . وتروى عن ابن أبي ربيعة أخبار تدل على أنه كان يشنح أحياناً على خلفاء بني أمية .

غير أنه إلى جانب هؤلاء الشعراء أبناء الأعيان كان شعراء آخرون قد انقطعوا لشعر الغزل أو صرفوا إليه كثيراً من اهتمامهم وتخلف لنا من ذلك تراث ضخم ينسب إلى مجنون ليلى وإلى جميل بن معمر صاحب بئنة ومنه ما ورد في أقوال كثير ونصيب والصمة القشيري الذي قيل إنه هاجم إلى طبرستان حزناً على حرماته من حبيبته وهو يصور حبيبته إلى معاهاذبه في هيئته المعروفة التي يقول فيها مخاطباً نفسه :

حننت إلى ربا ونفسك باهدت

مزارك من ربا وشعبا كما معا

فقد انقطع عبد الرحمن بن أرطاة إلى الوليد بن عثمان بن عفان وانقطع نابغة بن شيان إلى عبد الملك بن مروان وهجا خصمه ابن الزبير وانقطع الأخطل ونصيب إلى مدح بني أمية حتى كان سليمان بن عبد الملك يفضلهم على الفردق ولزم الحكم بن عبد الأسد بشر ابن مروان وكانت قلة من الشعراء تخلص للولويين ومنهم السيد الحصري وقد غالى في ذم السلف تعصبا لهم حتى تخرج الرواة من رواية شعره .

فإذا تركنا الشعر السياسي أمكن أن ندرك مقدار ما طرأ على المجتمع العربي من التبدل الاجتماعي في العصر الأموي فقد نشأت طبقة من أبناء الأعيان وخاصة في مدن الحجاز ، توفرت لهم وسائل الحياة الناعمة ويسرت لهم مكاتبتهم الاجتماعية الانقطاع عن العمل فانصرف الشعراء منهم إلى وصف مغامراتهم اللاهية . وكان رائد هؤلاء عمر بن أبي ربيعة ومنهم ابن أبي هتيق وهو من سلالة أبي بكر الصديق والفرجى وهو من سلالة عثمان بن عفان ، والأحوص وهو من سلالة عاصم بن ثابت بن الأفلح . فكانوا يتعرضون لزوجات الأمراء والأعيان وبناتهم ويذكرونهن في شعرهم وأذاعوا ذلك الشعر عن طريق الغناء وما كان أكثر المغنين هند ذلك من رجال ونساء . وبما يلاحظ أن هؤلاء الشعراء



قلة شعورهم بالولاء له ، فابن ميادة مثلاً كان ابن جارية بربرية أو صقلية وكان الحطيطية مطعوناً في نسبه .

وقد ظهر شعور الانفصال عن الحياة العربية في صورة أخرى وهي بدء الانتساب إلى العجم والمفاخرة بذلك الانتساب . قال ابن ميادة في بعض شعره :

أليس غلام بين كسرى وظالم  
بأكرم من نيظت عليه العائم  
وقال إسماعيل بن يسار - وهو مولى فارسي :

إنما سمي الفوارس بالفرس  
مضاهاة رفعة الأنساب  
اتركي الفخر يا أمام علينا

واتركي الجور وانطقي بالصواب  
واسألي إن جهلت هنا وعنكم  
كيف كنا في سالف الأحقاب

إذ نربي بناتنا وتدسون  
سفاها بناتكم في التراب  
ومما يذكر هنا أن ابن يسار هذا سبق

إلى نوع جديد من الغزل المكشوف بإبراز قصص دنيئة إلى الفساق . ومن أمثلة ذلك قصيدته التي يصف فيها هجومه على بيت امرأة متزوجة وقضاء ليلة معها ويقول في آخرها :  
حتى إذا الليل بدا ضوءه

وغابت الجوزاء والمرزم  
خرجت والوطء خفي كما  
ينساب من مكنه الأرقم

فما حسن أن تأتي الأمر طامعاً  
وتجزع أن داعي الصباية أسما  
وقد سما بعض هذا الشعر بالحب إلى مرتبة فوق مرتبة الجسد وجعله أقرب إلى روحانية المتصوفة مثل قول الشاعر :

وإني لأستحييك حتى كأنما  
على بظهر الغيب منك رقيب

هلى أننا حين نستعرض شعر الغزل الأموي عامة سواء منه ما قاله أبناء الأعيان في مغامراتهم اللاهية أو ما قاله سواهم نستطيع أن نلمح أثر الإسلام في تطهير ذلك الشعر والحيلولة بينه وبين الإسفاف ، وإن كان بعض أهل ذلك العصر قد أنكر بعضه .

ومما يقال في هذا المعنى إن يزيد بن معاوية غضب على الشاعر أبي دهل حين قال في أخته عائكة بنت معاوية أبياتاً منها قوله :

وهي زهراء مثل أولوة الغواص  
وميزت من أولو مكنون

غير أن أباه الحكيم لم يوافق على غضبه ولم يجد في ذلك الشعر ما يذمُّ لأحد أن يغضب منه وهناك ظاهرة أخرى جديدة ظهرت لأول مرة في الشعر العربي وهي اتجاه قلة من الشعراء إلى الارتزاق بالهجاء لا بالمدح ، مثل ابن ميادة والحطيطية ، ويمكن تعليل هذا بأن الظروف الجديدة أدت إلى انفصال بعض طوائف المجتمع عنه وسببت

استطاعوا أن يقوضوا دولة بني أمية و يقيموا بدلها دولة بني العباس وكان من المنتظر أن يتم الانصهار بينهم وبين العرب ويتكون من الجميع أمة عربية واحدة أسماها مثل الإسلام في الحرية والمساواة ، ولكن ظروفها كثيرة لا محل لذكرها هنا حالت دون هذا الانصهار . فاستمرت العناصر المختلفة في الأمة تعيش جنبا إلى جنب وهي شاعرة بتمييزها . وكانت خيبة أمل الموالي عقب انتصارهم وإقامتهم للدولة العباسية سببا في شعورهم بالانفصال عن المجتمع الذي يعيشون فيه .

وكان لذلك الشعور أثر كبير في اتجاه الشعراء نحاول أن نقبضه في إنتاج ثلاثة من كبار شعراء هذا العصر وهم بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس ، وهم جميعا من الموالي .

كان بشار مولى لإذ كان أبوه مولى لإحدى سيدات بني عقيل وكانت أمه بغير شك غير عربية وكان أبوه عاملا فقيرا ودوق قد ولد أعمى ، وكل هذه عوامل تؤدي إلى الانواء النفسي والشعور بالنقص وبالانفصال عن المجتمع ، ولكن بشارا نشأ كما قال في حجور ثمانين من شيوخ فصحاء بني هقيل فكانت لغته عربية فصيحة خالصة ، ودرس العلم في حلقات كبار العلماء والمفكرين ولكنه لم يستقر على مذهب غير الشك ، وكان من الطبيعي أن يبدأ حياته الشعرية بالهجا . وصرح بأن ذلك وسيلته إلى شق طريقه في مجتمع

فكان هذا الشعر من أشد ما قيل في هذا العصر جرأة على المحارم ، وما يجب أن نذكره هنا أن الخمر لم ترد إلا قليلا في شعر هذا العصر إذا استثنينا الأخطل وأبا زبيد وعبد الرحمن بن أرقط .

فالشعر العربي كما يبدو من هذا الاستعراض الجمل يبين مائلا على المجتمع العربي من طوارئ أحدثت ثلثة في وحدته الكاملة وأدت إلى شيء من الانفصام بين بعض الأفراد ومجتمعهم . ولكنه مع ذلك يدل على أنه بقي متصلا بالحياة إلى حد بعيد متأثرا بها مؤثرا فيها محتفظا بالولاء له وإن كان بعضه ولاء متكلفا متذبذبا . وقلنا نجد في هذا العصر من الشعراء من تبدو على شعرهم دلائل الثورة أو الحقد على المجتمع أو الانفصال عنه والافطواء في أنفسهم شعورا منهم بأنهم غير شاعرين بالانتماء إليه .

ولا نملك إلا أن نقول إن مكانة الشاعر في العصر الأموي قد هبطت هبوطا ملحوظا عن مكانته الاجتماعية في العصر الجاهلي ، فقد أصبح الكثير منهم تابعا مرتزقا من ساداته لا صديقا مواليا لقومه .

أما العصر العباسي الأول فقد شهد في الشعر تطورا أبعد بكثير مما شهدته العصر الأموي ، وذلك لأن المجتمع العربي شهد انقلابا من أشد الانقلابات التي تطرأ على حياة الأمم . فقد أصبح الموالي فيهم قوة خطيرة إلى حد أنهم

وأجني عنه ، واستمر في حياته يضر ثورة  
عفيفة على ذلك المجتمع فلما أعلن إبراهيم  
ابن عبد الله بن حسن العلوي ثورته على  
أبي جعفر المنصور سارع بالانضمام إليه  
وبعث إليه بقصيدة يهاجم فيها أبا جعفر  
ويخاطبه قائلا :  
أبا جعفر ما طول عيش بدائم  
وما سالم عما قليل بسالم  
غير أن هذه الثورة أخفقت وقبض على  
إبراهيم وقتل ، فخشع بشار وبادر إلى تغيير  
قصيدته وجعل مطلعها هجوما على أبي مسلم  
الحراساني الذي قضى عليه أبو جعفر فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم .  
وفي هذه القصيدة ينطلق بشار مع ثورته  
مع إبراهيم العلوي فيقول متحمسا :

وخل الهوي للضعيف ولا تكن  
نثوما فإن الحزم ليس بنائم  
وما خير كف أمسك الغل أختها  
وما خير سيف لم يؤيد بقائم  
وحارب إذا لم تعط إلا ظلامه

شبا الحرب خير من قبول المظالم  
إلى آخر ما قال فيها ، وهي تظهر قوة  
شعوره الشار على الدولة وعلى النظام القائم  
معه .

وظهرت ثورته في نواح أخرى غير السياسة  
فقد سلك مسلك ابن أبي ربيعة في الغزل

طبع على ما في غير غدير  
هوأي ولو خيرت كنت المهذبا  
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد  
وقصر على أن أنال المغنيا  
فأصرف عن قصدي وعلى مقصر  
وأسمى وما أعقت إلا التعجبا  
وكان في حياته الخاصة على ما يبدو لا يري  
حدًا من حدود الأخلاق الإسلامية وما يدل  
على مذهبه الإباحي قوله :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته  
وفاز بالطيبات الفاتك اللهب  
فهو يسخر من القضاة ويسخر من الققيم  
الاجتماعية ويذكرنا بمن يزعمون أنهم يتبعون  
مذهب الوجودية .

وكان يصف عصره بأنه دهر اللثام : ويظهر

وكان يتوخى السهولة في ذلك الشعر ليكون  
أسير بين العامة وماتزال بعض أشعاره تجري  
إلى اليوم على الألسنة وقليل من الناس من  
يعرف أنها لأبي العتاهية ، مثل قوله :

إن الفراغ والشباب والجدّة  
مفسدة للمرء أى مفسدة  
وقوله :

في سبيل الله أنفشنا  
كلنا بالموث مرتين  
كل حى عند ميتته  
حظه من ماله الكفن  
وقوله :

وكانت في حياتك لى عظام  
وأنت اليوم أو عظم منك حيا  
ومن أقواله في الهجاء :

وما تصنع بالسيف  
إذا لم تكن قتالا  
فصغ ما كنت حليـ  
ت به سيفك خلخالا  
ومنه في الشكوى .

حتى إذا انقلب الزمان  
على حرت مع الزمان  
وفي الغزل :

يا من رأى قبلى قتيلا بكى  
من شدة الوجد على القتال  
ومنه في التصويف والزهد :

ضيقه به وتبرمه منه ، وظهرت ثورته كذلك  
في ثورته على العرب وعلى قيمهم ، كما تدل  
عليه أخباره وبعض أشعاره .

ولا شك أن هذا الروح الثائر الجريء  
هو الذى حرك عليه خصومه حتى أوقعوا به  
عند الخليفة المهدي الذى أخذه كما قيل بتهمة  
الزندقة وأمر بقتله أو بإهدار دمه ، وقيل إن  
الخليفة نفسه لم ينج من لسانه ففسب إليه  
شعر فيه تحريض شديد عليه وهو قوله :

بني أمية هبوا طال نومكم  
كما نسب إليه شعرا آخر فيه سب شنيع له  
وطعن مقذع عليه . فشعر بشار مثال على  
ما يكون عليه موضوع الشعر حين يحدث  
الانقسام بين الشاعر وبين المجتمع الذى  
يعيش فيه .

والشاعر الثانى هو أبو العتاهية . وهو مثل  
بشار من أبناء الموالى ، وقد نهل الفصاحة  
من مواليه في بادية الكوفة ، غير أنه لم  
يكن في مثل جرأة بشار ، فلم يستطع أن  
يشق طريقه في المجتمع بالهجاء ، بل اتجه  
إلى أن يظهر التواضع حتى لقد قيل إنه  
اشتغل بالحجامة لإظهار تواضعه ، وقد نهل  
من العلم قدرا ولكنه لم يتخذ لنفسه مذهبا  
إذا لم يجد من نفسه القدرة على الدفاع عن  
مذهب يعتقد ، فاتجه إلى شعر الزهد وجعله  
وسيلته للاعتياز والظهور في المجتمع .

فيا عجباً كيف يعصى الإله  
 أم كيف يحجده الجاحد  
 وفي كل شيء له آية  
 تدل على أنه الواحد .  
 ولكنه كان في قرارة نفسه ثائراً على  
 الحياة والمجتمع . قيل إن أحد الناس سأله  
 ماذا ينقش على خاتمه فأجاب : أكتب لعنة  
 الله على الناس .  
 وقال :  
 برمت بالناس وأخلاقهم  
 فصرت أستأنس بالوحدة  
 ما أكثر الناس لعمرى وما  
 أقلهم في حاصل العسدة .  
 ومن قوله :  
 فقتضت في الدنيا فليس بها  
 أحد أراه لآخر حامد  
 حتى كأن الناس كلهم  
 قد أفرغوا في قالب واحد  
 وقوله :  
 فاضرب بطرفك حيث شئت  
 فلن ترى إلا بخيلاً  
 وقوله :  
 يا أنتن من حش  
 على حش إذا تماها  
 أرى قوما يقيمون  
 حشوشاً وزقوا جاهها  
 والحش هو بيت الخلاء طبعاً .  
 وبما يدل على يأسره من المجتمع :  
 ليس لمن ليست له حيلة  
 موجودة خير من الصبر  
 فاخط مع الدهر إذا ما خطا  
 واجر مع الدهر كما يجري  
 من سابق الدهر كبا كبوة  
 لم يستقلها آخر الدهر .  
 ويبدو أن نظرنه المتشائمة بالحياة وما فيها  
 وقسوته في الحكم على عصره هما السرفى  
 انصرافه إلى شعر الزهد . فهو من هذه الناحية  
 منفصل عن مجتمعه ثائر عليه وإن كانت ثورته  
 من نوع آخر غير ثورة معاصره بشار ،  
 فهي ثورة حقد ولسكنها مقرونة بالهروب .  
 والثالث من شعراء هذا العصر أبو نواس .  
 وهو مولى كصاحبيه . وكان منذ طفولته  
 وحيداً إذ خلفه أبوه طفلاً ، وكانت أمه على  
 ما قيل ترتزق من حياة غير شريفة صرفتها  
 عن رعايته ، فوزع وقته منذ صغره بين  
 التماس الرزق الضئيل لنفسه وبين الاختلاف  
 إلى مجالس العلم والأدب في المسجد والجامع  
 بالبصرة وهي من أكبر مراكز العلم والأدب  
 في عصره ، وتقاذفت به ظروف حياته  
 القاسية وهو وحيد من العائلة والحامى  
 والعاطف ، فطرحته به هذه الظروف إلى  
 الكوفة ، وكانت مركزاً للحياة زاخرة مثل

البصرة ، وكان ما زال في سن الشباب ، فألقى نفسه في محيط مائج من دفعات الغرائز ومن تيارات الأفكار المنضادة والعقائد الاجتماعية المتصارعة ، وكان لا يستطيع بالطبع أن يجد منفذا إلى طبقة من الناس غير أمثاله من الموالى الذين لا يجدون من تقاليد طبقتهم ما يحول بينهم وبين اقتحام الحدود التي يتجنب أصحاب المروءة اقتحامها ، وقد نزح حيناً إلى البادية فعاش بين فصحاء بني أسد كما عاش بشار بين فصحاء بني عقيل .

وكان عاش أبو العتاهية بين فصحاء بادية الكوفة ثم نزح إلى بغداد فواجه الحياة المضطربة فيها كما يواجه الحيوان الصغير الوحيد مخاطر الغابة ، متحدياً دائماً متحفزاً للدفاع عن وجوده في كل لحظة ولم يجد لنفسه الطموح فرصة تحقق له ما يرضى طموحه فامتلات بالحبية ، ولم يجد متنفساً لطموحه إلا في مجتمع صخبر من أمثاله ، رفهوا عن نفوسهم التي امتلات بشعور الحبية بالنماس النسيان الذي تبعه الخمر أو في الإثارة التي تبعها نشوتها فيهم فكانت ثورتهم على مقدسات المجتمع تشعرهم بشيء من رضى التشنى .

وانطلق في حياته هذه ثائراً حائقاً على كل ما يتصل بالمجتمع من دين وعرف ، بل لقد شملت ثورته كل ما خاب في تحقيقه من

فقلت ما ضرت به صاحباً  
والقلب متى جامع قاس  
لا خير في اللذات ما لم يكن  
صاحبها منكشف الرأس  
ولست أريد أن أجادل في قيمة شعره  
من ناحيته الفنية فهذا خارج عن حدود هذا  
الحديث الذي أتناول فيه الموضوع في الشعر ،  
غير أنني أجد من الضروري أن أشير إلى  
ظاهرة واحدة تميز أسلوبه فهو لا يكاد يبتكر  
معنى وتكاد صوره تكون محصورة في  
عدد قليل من المعاني يكررها ويلبسها  
أثواباً شتى .

فهو مثلاً يكثر من تشبيه الخمر بالنار أو  
النور ويكثر من تشبيه الحبب بالجواهر من  
لؤلؤ ودر وغيرها .  
ومثل أمثلة هذا أقواله الآتية :

ما يتصل بالمجتمع من دين وعرف ، بل لقد شملت ثورته كل ما خاب في تحقيقه من

فالحمر ياقوتة والعماس لؤلؤة :  
 كأن صفري وكبرى من فواقها  
 وأمثال هذه كثيرة تكاد لا تخلو منها  
 قطعة من خرياته .  
 حصباء در على أرض من الذهب  
 ومن استعارته النار أو النور لوصف  
 الخمر قوله :  
 فإذا علاها الماء ألبسها  
 كأن شعاع الشمس يلتصق دونها  
 حبيا كمثل جلاجل الججل  
 ترى لها إلى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا  
 ثم شبت فأدارت  
 ففوقها طوقا فدارا  
 تلتهب الكف من تلمها  
 وتحمس العين أن تقصاها  
 كقتران الدر بالدر  
 كأن نارا بها محرشة  
 صفارا وكبارا  
 نهاها تارة ونغشاها  
 شبت فعالت فوقها حبيا  
 فلو مزجت بها نورا لمازجها  
 متراصفا كتراصف النظم  
 حتى تولد أنوارا وأضواء  
 ثم شبت فـأدارت  
 وهو يصف الخمر بالقدم ، ويكرر هذا  
 فوقها مثل العيون  
 المعنى كذلك تكرارا لا ينبغي أن أطيل  
 حدقا تنو إلى هنا  
 بعد هذا في إيراد الأمثلة عليه . ومن هذا  
 لم تحجر بجفون  
 يظهر أن صورته لم تكن أصيلة ولا غزيرة  
 ذهبيا يثمر درأ  
 النبع فالصفة الأصلية في أبي نواس هي أنه  
 كل إبان وحين  
 كان ثائرا على مجتمعه وكافت ثورنه عليه تتمثل  
 إذا شجها الساقى بماء وأيتها  
 في تحدى مقدساته ومثله ونظمه .  
 مكلفة الأعلى بطوق جمان  
 وكان أحيانا يبحر بما يدل صراحة على  
 حتى إذا مزجت بالماء واختلطت  
 الشورة المنطوية في أعماقه فمن ذلك قوله :  
 حاك المزاج لها من لؤلؤ فلها  
 سأبغى الغنى إما نديم خليفة  
 وإذا ما علاها الماء خلعت حباها  
 يقوم سواء أو يخيف سبيل  
 تفاريق در في جوانبها شتى  
 بكل قى لا يستطار جناه  
 فإذا الماء شجها خلعت فيها  
 إذا نوه الزحفان باسم قتيل  
 لؤلؤا فوق لؤلؤ مسلوكا

فلانقل بعد هذا إلى عرض نتيجتين لهما علاقة وثيقة بشقاقتنا العربية في عصرنا الحاضر: النتيجة الأولى هي أن تراثنا الثقافي يشتمل على هذا الإنتاج الأدبي الذي انحدر إلينا من عصر بعد عصر ، متزايداً على مر الزمن حتى صار اليوم خزاناً ضخماً تجمعت فيه روافد شتى الألوان والأنواع مما بعث به العصور المتعاقبة التي مرت بها الأمة العربية في أدوار حياتها الماضية ، منها عصر الجاهلية الذي سادته الانسجام بين الفرد ومجتمعه ومنها العصر الإسلامي الأموي الذي بدأت عوامل الحياة الجديدة تطرأ عليه وأهمها بدء امتزاج العرب بغيرهم من الشعوب ، ثم العصر العباسي الأول الذي اجتمعت فيه أخلاط شتى من شعوب لم يتح لها بعد أن تنصهر في أمة واحدة جديدة متجانسة ، ثم أخذت هذه العناصر المختلفة تنصهر معا على توالي القرون وواجهت معا أحداثاً عنيفة ومغامرات قاسية ، خرجت منها أمة عربية حديثة صارت تزداد انصهاراً وامتزاجاً على مرعدة مئات من السنين حتى انتهت إلى هذا العصر الحاضر وقد تم انصهارها معا أو كاد ، وأصبحت أمة عربية موحدة الوعي والشعور موحدة المثل العليا والقيم إلى حد كبير .

فإذا أردنا أن نعرض تراثنا الأدبي على ناشئة هذه الأمة الجديدة كان جديراً بنا أن

ليخمس مال الله من كل فاجر  
وذى بطنة للطيبات أكل  
ألم تر أن المسال هون على التقى  
وليس جواد معدم كبخيل  
من هذا الاستعراض للبوضوح الشعري في العصور الثلاثة التي مر بها يمكن أن أقول إنه انتقل من تعبير صادق يميزه الولاء للمجتمع في العصر الجاهلي إلى تعبير مختلف الوجهة في العصر الأموي وانتهى في العصر العباسي الأول إلى تعبير فردي تميزه الثورة على المجتمع ، ومن الممكن أن نميز بين طرفي هذا التطور في موضوع الشعر العربي بما يميز به علماء النفس بين الظواهر النفسية للأفراد إذ يصفون بعضهم بالانطلاق Extrovert ويصفون بعضاً آخر بالانطواء Introvert فالشاعر الجاهلي كان منطلقاً يعيش في المجتمع ومعه وينظر إلى شخصه من خلال نظرته إلى الحياة ويعبر عن انفعاله بما حوله تعبيراً يسوده الولاء لمجتمعه سواء كان راضياً عنه أو ساخطاً عليه على حين كان الشاعر في العصر العباسي الأول أقرب ما يكون إلى وصف الانطواء ، إذا كان ينظر إلى الحياة من خلال شخصه فلا ينفعل إلا طوعاً لمشاعره الخاصة واتجاهاته النفسية التي يميزها الانقصاص عن المجتمع ، فهو لا يضمحل للمجتمع ولأهل بل يضمحل له الحقد والثورة والسخرية المرة القاسية .



والنتيجة الثانية التي أود أن أهرضها تتصل بنقد الأدب ونقاده وهذا ما سقت هذا الحديث من أجله قصدا . فنحن اليوم كما قدمت أمة عربية حديثة موحدة الوعى والمشاعرومن الطبعي أن يشعر الفرد منا اليوم بالولاء الكامل لمجتمعه سواء في حال رضاه عنه أو سخطه عن بعض مافيه ، غير أننا في الوقت عينه نعيش وسط عالم إنسانى أصبح قريبا منا سهل الاتصال بنا ولا نستطيع أن نباعد بيننا وبينه سواء أردنا ذلك أو لم نرده .

وأهم العالم تفاوت في ظروفها وقد يكون منها أمة استقرت فيها الحياة على الولاء الكامل بين الفرد ومجتمعه ومنها أمة أخرى قد تكون في مرحلة زعزعة وبلبله تتعرض لظاهرة الانقسام بين الأفراد ومجتمعهم . وهناك ما يدل دلالة واضحة على أن بعض اتجاهات الأدب في بعض الأمم تشبه اتجاه الأدب في العصر العباسى الأول من ناحية ثورته وخروجه على مثل المجتمع وقيمه ومن حيث احتقار أدبائها لتلك المثل والقيم .

والأسباب التي تجعلنا نطلب التحرى في اختيار ما يناسب حياتنا الحاضرة من تراثنا الأدبى تجعلنا نطلب من النقد والنقاد أن يتحرروا كذلك في اختيار مذاهبهم النقدية فلا يقبلون مذاهب النقد الأدبى التي ترد إلينا من الأمم التي أصاب الانقسام بمجتمعها ، فإن

نذكر أنه تراث مختلف الأنماط منبعث من شتى الانفعالات في العصور المتوالية وأن حياتنا الحاضرة لا يلائمها إلا أن يكون أدبها متميزا بالولاء الكامل للمجتمع فالتراث الأدبى في مجموعه وإن كان جديرا بأن يتوفر عليه الدارسون المتخصصون ، فإن الثقافة العامة للأجيال الناشئة تتطلب أشد التحرى في اختيار ما يعرض منه على الناشئة مما يلائم حياتهم الاجتماعية الحاضرة والمنشودة في نهضتنا الحديثة .

وقد أدركت أجيال سابقة من الأمة العربية ضرورة التحرى في اختيارها لما يعرض على طلاب الثقافة من نأشئها ، فعمد كبار أدبائها إلى إعداد المختارات الملائمة التي تعزز المثل العليا والقيم التي ينبغي للناشئة أن يتعلقوا بها ومن هذه المختارات حماسة أبى تمام وحماسة البحرى وغيرهما .

فمن الواجب أن يهتم المشرفون على تثقيف الأجيال الناشئة في وقتنا هذا بإعداد المختارات الأدبية الجامعة لروائع الشعر للعرب بخاصة وأن يهتموا بنشر روائع الأدب العربى والأجنبى بصفة عامة مع التحرى أن يكون هذا كله مما يلائم روح هذا العصر الذى عادت فيه الوحدة إلى الأمة العربية بعد انحصار عناصرها معا وصار من الطبعي أن يكون التضامن أو التجاوب كاملا بين الفرد والمجتمع

سخط الولي العاطف المتضامن لا يخرجه للناشر المنعزل الكاره المتحدى .

أما الأديب الذي لا يأبه إلى خير مجتمعه ولا يمتد بقيمه ولا بمشله العليا ويرغم أنه يعيش لنفسه وأنه ينصرف إلى فنه من أجل الفن وحده ولا يعنيه ما يشول إليه أمر المجتمع فلا يهمه أن يبقى متماسكا ويزيد صلاحا أو أن يضطرب أمره ويضمحل شأنه ، فإن المعنى الحقيقي لموقفه من مجتمعه هو أنه ثائر عليه ويقصد إلى هدمه وهذا ما أقصده حين أقول إن مثل هذا الأديب ينطبق عليه وصف الانطوائى الساخر الخائق الذي لا ينطوى على ولاء لمجتمعه .

وهناك أمثلة لهذا الصنف من الأدباء في أمم العالم الأخرى ممن بدأبون على إثارة الغرائز الهوجاء البدائية التي لا تلائم المجتمعات في وقت نهضتها بل تنطاق فيها حين تدركها الشيخوخة الحضارية وتقرب بها إلى الفناء ، وهناك من هذا الصنف من الأدباء من يدعون إلى التخلل من الحدود والقيود التي تعارف عليها المجتمع صيانة لسيكانه من الانهيار فيزيفون لأنفسهم بعض المذاهب الفلسفية كالوجودية وهم لا يدرون ما هو ذلك المذهب الذي يزيفونه لأنفسهم كما فعل غيرهم من قبل حين زيفوا مذهب أبيقور الفلاسفي وصرفوا معناه إلى التماس اللذات (البقية على صفحة ٧٠)

تلك المذاهب تتعارض ومرحلة الحياة التي نحياها في هذا العصر .

وقد بينا في أول هذا المقال أن مذهب النقد القائم على شعار « الفن للفن » ليس له معنى في الحقيقة إلا أن يتحمل الأديب من كل اعتبار اجتماعي ، فلا يلتزم بأن يكون الإنتاج متصفا بالولاء للمجتمع سواء كان راضيا عنه أو متعرضا لنقده ، ولا يلتزم بأن يكون الإنتاج مسائرا للمثل العليا التي يؤمن المجتمع بها أو يكفر بها ولا يهمه في شيء أن يكون الإنتاج حاقدا على المجتمع هادما له أو داعرا ما جئنا يسخر من مقدماته وينتهك حرمانه ما دام يحقق غاية واحدة وهي خضوعه لشعار « الفن للفن » .

إن الأسلوب الفني مفترض في كل إنتاج أدبي ، فأهم ما ينبغي أن ينظر إليه في النقد بعد تحقق الأسلوب الفني هو « الموضوع » ، ومقدار ما ينطوى عليه من ولاء للمجتمع واتصال نفسى عاطف به .

وليس معنى ذلك أن يكون الإنتاج راضيا عن كل ما في المجتمع بل قد يكون متصفا بالولاء الكامل له مع نقده وإبداء السخط على بعض مظاهره ، ففي هذه الحالة يكون نقد الأديب لمجتمعه تابعا من رغبته في تسديده وتوجيهه إلى وجهة أفضل ، فيكون سخطه

# السَّبْعَةُ الْأَحْرَفُ

التي أنزل عليها القرآن

للأستاذ محمد محمد الشرفاوي

— ٢ —

فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى أتتهى إلى سبعة أحرف ، أقول : هذا الحديث لم يصرح بسأعه من الرسول ، وقال ابن حجر فيه : « لعله سمعه من أبي ابن كعب ، والحديث مشهور عن أبي ونصه كما في مسلم : « كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ ، « حسن النبي شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيتني .. ضرب في صدري ، ففقت هرقا . وكأنا أنظر إلى الله عز وجل فرقا .. فقال : يا أبا .. أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هوّن على أمي ، فرد إلى الثانية : اقرأه على حرفين ، فرددت إليه :

مهما يكن الاختلاف في صور كلمات القرآن الكريم فهي لم تخرج في مجموعها عن لغات القبائل السبع من مضر ، وعلى هذا يتخرج قول عمر : إن القرآن نزل بلغة مضر .. ونرى أن هذا أولى من القول المنسوب لابن عباس من أنه نزل بلغة خمس من قبائل هوازن وتسمى هليسا ، هوازن وبلغتين لسائر العرب .. ذلك لأن ابن عباس الذي نسب إليه هذا قد نسب إليه رأى آخر وهو أن القرآن نزل بلغة الكعبيين : كعب قريش ، كعب خزاعة ، قيل وكيف كان ذلك قال : لأن الدار واحدة ، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليهم لغاتهم .. وبهذا ظهر التردد واضحاً في هذا الرأي .. وذلك بالإضافة إلى أن ابن عباس رضي الله عنه يعتبر في حديث الأحرف السبعة ناقلاً عن سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا سامعاً منه عليه الصلاة والسلام وحديثه الذي أخرجه الشيخان عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف ..

سوى خمسة لأن أكثرها غير مختار ، وقد أوصلها البعض إلى أربعين ، ولا داعي للإفاضة في تعدادها ، وتفصيل ما بها ، لأنها متشابهة ، ومحملة ، وغيرها محتمل ، ولذا قال المرسى : « لا أدرى مستندها ، ولا عن نفك ، ومنها أشياء لا أفهمها على الحقيقة ، وأكثرها معارضة لحديث عمرو وهشام الذي في الصحيح » ، ولقد وقع الاختلاف في قراءات القرآن بين أكثر من اثنين من الصحابة : فمن ذلك ما بين عمر وهشام ، وما بين أبي وابن مسعود ، والأول في الفرقان ، والثاني في سورة النحل ، ومن ذلك ما وقع بين عمرو بن العاص وصحابي آخر .. وتراجع أسباب هذا الاضطراب .. بين الأصحاب في جملتها .. إلى عامل تمخضت عنه طبيعة الظروف التي عاشتها الدعوة الإسلامية وحتمية الأطوار التي مرت بها .. وذلك هو انعدام عنصر التجميع لهذه القراءات في مقام واحد ، أو مقال جامع ، إذا كان التشريع يسير احتياجات الناس في كل بادرة تسنح ، أو فرصة تواتى ، .. الأمر الذي جعل من المتعذر على عمر وهو من أصدق الناس بالرسول - أن يتعرف ما يكون قد طرأ على ما قد كان من أوجه القراءة . بحيث استنكر قراءة هشام حين سماعها منه ولم يكن قد سمعها من الرسول بعد .. في الوقت الذي

أن هو تن على أمي ، فرد إلى الثالثة : أقرأه على سبعة أحرف .. فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها ، فقلت : اللهم اغفر لأمي ، اللهم اغفر لأمي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم .

فابن عباس رضي الله عنه - نظراً لحدائث سنه وقت للترخيص بالقراءة - قد رجح العلماء أنه ناقل لاسامع ، ومن هذه الرواية نجد أن عمر من حيث إنه سامع لا ناقل أبرز في معرض الاستدلال حين يحدد قراءات القرآن بقبائل مضر - ولذا قلنا إن الأحرف السبعة هي على تعددها لا تخرج عن تلك القبائل التي هي أفصح من لفظ بالاضاد .

وكما روى هذا الحديث عن أبي بن كعب روى مثله عن عمر بن الخطاب ، وهشام ابن حكيم ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي بكر ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمره بن جندب ، وعمر بن أبي سلمة ، وأبي الجهم . وأبي طلحة الأنصاري ، وأم أيوب الأنصارية حتى عده البعض من المتواتر وقد بلغ الخلاف في هذه الأحرف السبعة مبلغاً كبيراً حتى أوصلها القرطبي فيما نقل عن ابن حبان إلى خمسة وثلاثين قولاً وإن كان لم يذكر منها القرطبي .

وانتساب كل حرف إلى صحابي على حدة إنما يعني أنه كان أضبط له وأقرأ به حتى عرف منه ، وأخذ منه ، فهي إضافة اختيار في إطار الاتباع ، وليست إضافة اختراع في مجال الابتداع .

ومهما تنوعت ألفاظ القرآن فهي لم تخرج في جملتها عن أمرين : إما اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى ، وذلك كأصوف والعين ، وإما اختلاف الأمرين معا مع التوافق في المفهوم المشترك مثل : قال رب ، وقل رب - أما الاختلاف في صفة النطق كالمدة والتخفيف والإمالة ونحوها فهو ليس من نوع اختلاف الألفاظ والمعاني .. بل هو اختلاف في الوصف لا يخرج اللفظ عن وحدته ، وقد ظل ابن الجزرى مستشكلا حديث الأحرف السبعة .. كلغاً بفهمه على وجهه نيافا وثلاثين سنة حتى رأى أن الله تعالى قد فتح عليه بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله ، وذلك أنه تتبع القراءات صحيحها ، وشاذها ، ضعیفها ومنكرها ، فلم يجدها تعدو سبعة أضرب على النحو الآتي :

أولا : اختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو : يحسب بفتح السين وكسرها . ثانياً : اختلاف في الحركات مع تغيير في المعنى دون الصورة : نحو : إذا كر بعد أمة بالشدید ، وأمه بالتخفيف وهو النسيان .

سبقة بعلمها من دعت الحاجة إلى التعجيل بعلمه .. قال ابن حجر : « كان سبب اختلاف عمر وهشام في القراءة أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً .. ثم لم يسمع ما نزل فيها بعد ذلك .. لأن هشام كان من مسلمة الفتح .. فكان النبي أقرأه على ما نزل أخيراً فنشأ اختلافهما من ذلك .. » . وحقيقة اختلاف الأحرف السبعة كما نقل عن ابن الجزرى : أنه اختلاف تنوع وتغاير . لا اختلاف تضاد وتناقض .. فهذا محال في كلام الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » . وكل ما صح عن النبي من ذلك وجب قبوله .. إذ كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، ومن كفر بحرف قرآني تواتر ثبوته فقد كفر بالقرآن كله ، كما أشار إلى ذلك ابن مسعود ، وكما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله لأحد المخلفين في القراءة : « أحسنت ، وللآخر : « أصبت ، ، وثالث ، هكذا أزلت ، .

وبهذا يفترق خلاف القراء مع خلاف اللغة ، فالأول كله طعني وحق لأنه من عند الله بيقين ، والثاني كله ظني لأنه نتيجة لإعمال الرأي ، وإمعان الروية ، فكل مذهب فقهي بالنسبة لصنوه صواب يحتمل الخطأ .. في حين أن كل قراءة بالنسبة إلى صاحبها صواب تقطع به .

ثالثاً : اختلاف في الحروف مع تغير المعنى دون الصورة نحو : تلو ، تلو .  
 رابعاً : اختلاف في الحروف مع تغير الصورة دون المعنى نحو : الصراط والسراط .  
 خامساً : اختلاف في الحروف مع تغير في المعنى والصورة نحو : يأتل : يتأل بتشديد اللام .  
 سادساً : اختلاف بالتقديم والتأخير نحو وجاءت سكرة الموت بالحق ، وجاءت سكرة الحق بالموت  
 سابعاً : اختلاف بالزيادة والنقصان : نحو أوصى ، ووصى . وقد حاول الرازي مثل تلك المحاولات في الفهم والاستنباط كما حاول ابن قتيبة .  
 ولم تخل تلك الخلافات التي انطوت عليها الأحرف السبعة من حكم بالغة : فهي إما لبيان حكم يجمع عليه مثل « وله أخ أو أخت من أم » ، في قراءة سعد بن أبي وقاص فإنها توضح المراد من الإخوة وأنهم لأم وهو محل اتفاق وإما لترجيح حكم يختلف فيه كقراءة أو تحرير رقبة مؤمنة ، في كفارة اليمين وفيها ترجيح دليل من اشترط الإيمان في الرقبة ، وإما لتجميع حكمين متخالفين في العمل نحو « حتى يطهرن » بتخفيف الطاء وتشديد ما حيث أفادت وجوب الجمع بين انقطاع الدم والغسل أو مدة الغسل عند حل الاستمتاع بالمرأة ، وإما لبيان حكمين متخالفين نحو « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بنصب

أرجل وخفصها ، والأولى توجب غسل الرجلين ، والثانية توجب المسح ، وقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح للابس الخف ، والغسل لغيره ، وإما لتفسير كلمة على خلاف ما يظهر منها : « فامضوا إلى ذكر الله » فقد بينت أن المراد من قراءة « فامضوا » ليس السير السريع ، وإما لتوضيح المراد بما قد لا يعرف مثل : « كالصوف المنفوش » بالنسبة إلى « العن المنفوش » ومنها ما يتخذ أهل الحق برهانا يحجون به من عداهم مثل « وملسكا كبيراً » بكسر اللام ، وهو من أعظم الأدلة على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ونحو ذلك .

وتمت مسألة جديرة بالنظر في هذا المقام وهي : هل مصحف عثمان الإمام الذي نتداوله اليوم يشتمل على الأحرف السبعة كلا أو بعضا ... ونحن إذا ضربنا صفحا من الخلاف الذي وقع حول تلك المسألة وما أكثره . نرى أن الذي ارتضاه المحققون مما يتماشى مع روح الدليل هو ما قرره السيوطي في الإيقان بقوله : « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف التي بالأمصار مشتملة من الأحرف السبعة على ما يتفق مع رسم المصحف العثماني وما يحتمله رسمه ، وأن هذا المصحف جمع العرضة الأخيرة التي عرضها

سابعاً : اختلاف بالزيادة والنقصان : نحو أوصى ، ووصى . وقد حاول الرازي مثل تلك المحاولات في الفهم والاستنباط كما حاول ابن قتيبة .  
 ولم تخل تلك الخلافات التي انطوت عليها الأحرف السبعة من حكم بالغة : فهي إما لبيان حكم يجمع عليه مثل « وله أخ أو أخت من أم » ، في قراءة سعد بن أبي وقاص فإنها توضح المراد من الإخوة وأنهم لأم وهو محل اتفاق وإما لترجيح حكم يختلف فيه كقراءة أو تحرير رقبة مؤمنة ، في كفارة اليمين وفيها ترجيح دليل من اشترط الإيمان في الرقبة ، وإما لتجميع حكمين متخالفين في العمل نحو « حتى يطهرن » بتخفيف الطاء وتشديد ما حيث أفادت وجوب الجمع بين انقطاع الدم والغسل أو مدة الغسل عند حل الاستمتاع بالمرأة ، وإما لبيان حكمين متخالفين نحو « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بنصب

النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه ولم يترك منها حرفا واحدا ، قال ابن الجزرى : « وهذا هو الذي يظهر صوابه وهو المتفق على إنزاله المقطوع به المكشوب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما وقع في المصحف المكي : « تجرى من تحتها الأنهار » في آخر برادة ، وفي غير هذا المصحف بدون من ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون البعض ، وكذا عدة هاءات ، وعدة لامات ونحو ذلك ، وهو محمول على أنه نزل بالأميرين معا ، وأمر النبي شخصين بكتابتهما ، أو أعلم شخصا واحدا مرتين وأمره بإثباتهما ، وهذا يقوى ما سبق أن حققه ابن الجزرى من أن أساس جمع المصحف شيثان : العرضة الأخيرة ، وما صح مما لم ينسخ ولولم يرد بالعرضة الأخيرة . ومن هنا نشأ خلاف المصاحف ، وأما ما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو بما كان قد جوز توسعة على الناس في أول الأمر ... فلما آل الحال إلى أن قال بعضهم لبعض : قراتي خير من قراءتك ، وأشار بعض ذوى الفطنة على عثمان بضرورة تلافى الشر قبل استفحاله اختار الصحابة بزعامه عثمان الاقتصاد على اللفظ المأذون في كتابته ، وتركوا الباقي . قال الطبرى : وصار هذا

الاقتصاد كمن اقتصر على خصلة واحدة من خصال الواجب الخير ، لأن أمرهم بالقراءة على الأوجه المذكورة لم يكن على سبيل الإيجاب ... بلى على سبيل الرخصة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاقروا ما تيسر منه » ، ووافق الطبرى جماعة منهم ابن عمار في شرح الهداية حيث قال : « أصبح ما عليه الخذاق أن الذي يقرأ به الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراءتها لا كلها ، وضابطه ما وافق رسم المصحف ، فأما ما خالفه مثل : أوف تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج ومثل : « إذا جاء فتح الله والنصر ، فهي من تلك القراءات التي تركت ، وعلى هذا تكون القراءات السبع المشهورة جزءا من الأحرف السبعة - لا أنها الأحرف السبعة ، وكذا غيرها من سائر القراءات .

وقال البغوى : « المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العروضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف وجمع الناس عليه ، وأحرق ما سوى ذلك قطعا لمادة الخلاف ... فصار ما يخالف رسم المصحف في حكم المنسوخ كسائر ما نسخ ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم .

فالحق : أن القرآن الذي بأيدينا اليوم هو من جمع عثمان ، وأنه تتوزع فيه الأحرف



السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الأحاديث الشريفة . . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة . .

وأول من جمع القراءات السبع المعروفة هو أبو بكر بن مجاهد في المائة الرابعة من الهجرة ، وقد كان السبب في نشوء هذا الاشتباه أن الناس سمعوا حديث د أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وسمعوا أيضاً معه القراءات السبع . . فأشكل عليهم الأمر ، وخلطوا بين قراءات سبع ، وأحرف سبعة ، وظنوا أنهما سواء . . ولذا كره كثير من المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء ، وخطئوه في ذلك ، ورأوا أن الصواب إما النقص عن هذا العدد . . أو الزيادة عليه ليزول الالتباس ، من أفهام الناس . . قال الإمام أبو العباس المهدوي : « فاما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وطائفة وحمة والكسائي فقد ذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً واختياراً ، فجعله عامة الناس كالغرض المحتوم . . حتى إذا سمع ما يخالفها . . حكم بالخطأ والكفر . . » ووبما كان ما يخالفها أظهر وأشهر ، ولقد فعل مسبع السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله ، وأشكل على العامة حتى جهلوا ، وليته إذا اقتصر . . نقص عن السبعة أو زاد ليزيل هذه المشبهة . .

السبعة . . بمعنى أن بعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أسد ، وهكذا . . ولا تساعدنا النقول التي بأيدينا على تحديد كل بعض من هذه الأبعاض ، وأن الأحرف السبعة لا يوجد منها في ذلك المصحف إلا ما يحتمله الرسم فقط وهو ما يتفق مع آخر عرضة للقرآن على جبريل عليه السلام ، وما سوى ذلك فقد أجمع الصحابة على تركه ، ولا يترتب على تركه محذور . . لأنها قراءات اختيارية بحسب أصلها . . قال ابن جرير : « إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن أمراً واجباً . . بل كانت جائزة . . فلما رأى الصحابة أن الأمة تفرق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد . . اجتمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً . . وهم معصومون من الاجتماع على ضلالة ، ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة ، فانفق رأى الصحابة على أن يكتبوا ما تحققوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك . .

وبما تجدر الإشارة إليه : أن مفهوم الأحرف السبعة شيء ، ومفهوم القراءات السبع التي يترجم بها القراء اليوم شيء آخر . . ذلك لأن القراء الذين تنتمي إليهم هذه القراءات لم يكونوا قد خلقوا زمن الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن . . قال أبو شامة : « ظن قوم أن القراءات



اقتصروا على ما يوافق خط المصحف مما يسهل حفظه ، وتنضبط قراءته ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر ، في ملازمة القراءة ، ثم انفقوا على الأخذ عنه ، وأفردوا لكل مصر إماما واحدا .

وقد اقتصروا ابن جبير على خمس قراءات لأن مصاحف عثمان إلى الأمصار كانت خمسة ، ويقال إن عثمان وجه إلى البحرين مصحفا سادسا ، وإلى اليمن سابعا ، ولكن لم يسمع لهذين المصحفين الآخرين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف فاستبدل من غير البحرين واليمن قارئين ليكمل بهما العدد ، فتصادف توافق عدد القراءات مع عدد الأحرف ، فظن من لم يعرف أصل المسألة أنهما سواء ، وليس الأمر كما ظنه . وتعمد القراءات السبع في ثبوتها على دعائم ثلاث : ما صح سنده في السماع .. ، وما استقام على العربية وجهه .. ، وما وافق خط المصحف .. ومق فقد شرط من ذلك فهو الشاذ - كما نقل عن السكاكشي .

وأول من جمع القراءات كلها في كتاب : أبو عبيدة بن سلام وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة .

وأول من اقتصروا على هؤلاء السبعة ابن مجاهد ثم تتابع المؤلفون حتى بلغ عدد القراء في كتبهم أكثر من سبعين من هو أعلى رتبة ،

وقد سئل ابن عبيدة عن الاختلاف بين العراقيين والمدنيين في القراءة : هل هو الأحرف السبعة ؟ قال : لا ، إنما الأحرف السبعة مثل : هلم وتعال وأقبل . . أى ذلك قلت أجزأك ، وقال ابن وهب مثله .

وقال ابن العربي : ليست هذه السبعة متعينة للجواز بحيث لا يجوز غيرها . . بل هناك غيرها ما هو مثلها أو فوقها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعشى ونحوهم . . والسبب في اختلاف القراءات السبع المشهورة - على ما ذكره ابن أبي هاشم : أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها عدد من الصحابة ، وكانت المصاحف بلا نقط ولا شكل ، فأخذ أهل كل جهة يتلقون القرآن من الصحابة الذين بساحتهم بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط أمثالا لأمير عثمان ومن معه ، واحتياطا للقرآن ، فمن ثم .. نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم على بعض من الأحرف السبعة .

وقد تعددت القراءات إلى ما وراء السبع والعشر وأوصلها أبو حاتم إلى ما فوق عشرين رجلا لكل منهم قراءة ، واقتصروا أبو عبيدة على خمسة عشر ، وزادها الطبري إلى اثنتين وعشرين . . بيد أن الاختصار على السبعة له ما يبرره . . فمن ذلك ما قاله مكي : إن الرواة كانوا كثيرين جدا ، فلما تقاصرت المهم ..

أنزل عليها القرآن ليست موجودة الآن بالوضع الذي كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن عثمان اكتفى بما جمع منها في المصحف الإمام ، وأحرق ما سوى ذلك ، وصار ما عداه في حكم المنسوخ ، وأن الموجود بالمصحف الذي بأيدينا هو خليط من هذه الأحرف السبعة من غير تحديد لكل بعض على حدة ، وأن الأحرف السبعة هي كلمات متنوعة مترادفة تعبر عن معنى الكلمة الواحدة وأن هذه الكلمات المتنوعة قد تكون في لغة واحدة ، وقد تكون في لغات مختلفة ، وأن السبب في شرعيتها هو إرادة التيسير والتسهيل على الأمة وأن عثمان استهدف من الاختصار على بعض الأحرف السبعة لإخاد وميض الفتنة الذي هدد الأمة الواحدة بالتصدع والانحيار . ومن أمثلة هذه المترادفات : انظرونا أمهلونا آخرونا أرقبونا ، تعال .. هلم أقبل فامضوا إلى ذكر الله ، فاسعوا إلى ذكر الله . والكلمات التي تصل مترادفاتهما في القرآن إلى سبعة قليلة جدا .

وأن الشارع الحكيم اقتصر على سبع قراءات للكلمة الواحدة لعله أن للكلمة من القرآن لا يزيد عدد مترادفاتهما عن ذلك بحسب أفصح اللغات .. أو غالبا .

**محمد محمد الشرفاوى**

المدرس بمعهد الإسكندرية الديني

وأجل قدرا من هؤلاء السبعة ، وقد ترك للبعض ذكر بعض هؤلاء السبعة ، فأهمل أبو حاتم ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو العشرين من هم فوق ذلك ، وكذلك فعل الطبري ، وزاد نحو خمسة عشر ، فكيف يظن ظان بعد ذلك أن هؤلاء السبعة المتأخرين هم أصحاب الأحرف السبعة المنصوص عليها .. هذا تخلف عظيم .. أكان ذلك بنص نبوي ؟ .. أم كيف كان ذلك ؟ على حد تعبير أبو محمد مكي .. وكيف يكون ذلك .. والكسائي إنما ألحق بالسبعة في أيام المأمون ، وكان السابع في ترتيب السبعة : يعقوب الحضرمي .. ثم جاء ابن مجاهد سنة ثمانمائة فأثبت الكسائي في موضع يعقوب ، وقال ابن تيمية : لا نزاع في أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة ، وأول من جمعها ابن مجاهد ليوافق عدد الأحرف .. لا لاعتقاده أنها هي .. أو أنه لا يجوز أن يقرأ بغيرها ، وكذلك ليست هذه القراءات السبع هي مجموع حروف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم .

هذا .. وأصح القراءات السبع المشهورة من جهة السند : قراءتا نافع وطاسم ، وأفصحها قراءتا أبي عمرو والكسائي .

وبعد :

فما تقدم يتبين أن : الأحرف السبعة التي

نقد و سؤال :

## الموازنة في التاريخ الإسلامي

للاستاذ محمد رجب البيومي

ارتقت فنون الكتابة التاريخية في عصرنا الحديث ارتقاء حميدا فأصبحنا نرى التاريخ الإسلامي يقدم في أنماط مختلفة ، ويفسر تفسيراً منهجياً على ضوء ما استحدثت من المذاهب الأدبية والنفسية والاجتماعية ، حتى إنك لتقرأ الموضوع الواحد لتفر من الكتاب ، فتجد من اختلاف النظر ، وتنوع المذهب ، وتميز الأسلوب ما يكون موضع عجبك وإعجابك ، فمنذ أعلن ابن خلدون طريقته التحليلية في معرفة العلل والأسباب ، واتصال النتائج بالمقدمات ، وملء الفجوات المتسعة بما يوحى به منطق الأشياء . وتعليه ظروف المكان والزمان ، وكتابة للتاريخ تحيد قليلاً قليلاً عن النسق التقليدي في الرواية والإسناد ، وسرد الحوادث في نطاق السنين والأيام دون نقد حصيف لرواية مدخولة ، أو وقوف دقيق عند تناقص مضطرب لإفهام قدر عند القليل من المتعمقين ، حتى جاء العصر الحديث بأسلوبه المنهجي ، ومنطقه القوى ، وتعليقه العلمي ، فأوجد في الحقل التاريخي زرعاً ناضر اللون شهى الثمر متعدد الألفانين .

التاريخ ميدان فسيح يجذب إليه أقلام الكاتبيين ، فترى الحادثة القديمة تقرر بالحادثة الطارئة ، في نسق دقيق تتضح معه العلل والنتائج ، فترجح كفة عن كفة أو تتساوى الكفتان في موضع واحد من الملامة أو الإطراء ، وقد تنقل الموازنة إلى الأبطال فترى للتليد والطارف من هؤلاء على بساط النقد في مستوى عادل دقيق ، والقارى بلا شك ظافر بالفائدة الجزيلة تمتع بما يقرأ من التعليل والترجيح ، فيسير مع الكاتب في أفقه المتسع ، يرصدان ما يفد من أسباب الإرتقاء والهبوط أو ينجم من علل الانحراف والاعتدال ، وذلك لذة فكرية هنية يحرص عليها من يقدر معدنها الأصيل .

غير أن هذه الموازنة الممتعة ، تتعرض في بعض الأحيان إلى تيارات خفية تجعل من الصعب الشاق على الكاتب أن يصيب مقطع الحق فيما يقول . ومرد ذلك إلى الإعجاب الخفي أو الواضح ببطل معين تتضائل بإزائه محاسن سواه ، فمؤرخه يفسر الأشياء بما يرضى هذا الإعجاب الواضح لديه ، وقد يكون غافلاً عن حقيقة إعجابه اللاشعوري ، حين يميل على

عن البطل العظيم نور الدين محمود زكى قاهر الصليبيين .

وقبل كل شيء أعلن الدكتور الفاضل أنى أشاركه الإعجاب المطلق بهذه الشخصية المثالية ، وأعد كل ما ذكره عن فضائلها الباهرة حقاً لا مرية فيه ، وأذكر بادية ذى بدء أنى كتبت مقالين كبيرين عن نور الدين منذ سنوات قلت فى أحدهما :

« إن نور الدين يلتقى بعلى بن أبى طالب فى أبرز صفاته وأخلص معادنه ، فإذا كان تقديس الحق وحده دون نظر إلى مغم سياسى أو ظفر حزنى هو مبدأ أمير المؤمنين الورع الزاهد فإن هذا التقديس العظيم للحق وحده دون اعتبار لسواه كان مبدأ نور الدين فطالما اصطدم الرجلان بأهواء المغرضين ونزوات الوصوليين وكان فى بعض التهاون على حساب الحق ما يجمع المتفرق ويمل للشعث ويطنق الثنوات ، ولكن المثل الأعلى يصيح فى أذنى البطلين الكريمين أن قدسا الحق وحده ولا تخفلا بغنيمة يعقبها وخز الضمير وتعب البال ، وياله من نداء مؤمن صادق يرتفع عن الرغبات والأهواء ، وإن عاد على سامعه بكثير من الغنى والإرهاق . »

بل أزيد على ذلك فأزعم أنى أنصفت نور الدين من الدكتور نفسه فقد ذكر فى معرض حديثه عنه أنه لم يكن : « بالجندى الماهر ولا بالسياسى الضليع وإنما كان المؤمن الذى يغنيه الإيمان الصادق عن

الطرف الثانى بالملامة والمواخذة ، وتلك مرحلة شائكة تدهو إلى التزيت الوثيد حتى يتبين الكاتب حقيقة نفسه بالمعاودة والتحليل ، وفيما بلى شاهد قوى الدليل :

لقد ظفرت المكتبة التاريخية أندلسية وشرقية بكثير من مؤلفات المورخ الموهوب الأستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وأشهد لقد انتفعت كثير أبحاثه المتقنة وآرائه الصائبة ، وما زلت أرجع إلى آثاره التاريخية فى نشوة سعيدة ، وحين أخالفه الرأى هنا فى بعض ما اعترضنى من أبحاثه النفيسة لا أزعم لنفسى حق التوجيه والتنصيص فأنا دون الكاتب اطلاعا ونفاذا وقوة حدس ، ولكنى أعرض وجهة نظر متواضعة قد تكون مقبولة فتصحح وضعا مخطئا وقد تكون مرفوضة فتحتاج إلى تصحيح .

لقد قرأت كتابه القوى « من قصص البطولة » ، فرأيت مالا مزيد عليه من الروعة والنصاعة والاتزان ولكن بعض الفصول تجنح إلى الموازنة بين شخص وشخص ، فأراها من وجهة نظرى المختصة تشتت كثيراً فى التهم على من لا يستحق غير التأييد فى أكثر الأحيان والتبرير فى أقلها فأقع فى حيرة مربكة حين أرى الإعجاب اللاشعورى لدى الكاتب يغلو ويحتد حتى يمحور على أناس معقلين ، وسأضرب المثل بما كتبه الدكتور

غدرأ بعهد أو تحرشا بغير خصم ! فليكونا في جلالها السامق سياسيين مثاليين في دنيا الأملع .

وإذن فمكانة نور الدين لدى أقوى من مكانته لدى الدكتور !! ولكن موضوع هذا المقال لا يقف عند ذلك بل يتجه إلى تصحيح ما ذكره المؤلف — في معرض الموازنة — عن عماد الدين زنكي والد نور الدين من ناحية وعن صلاح الدين الأيوبي خليفة نور الدين من ناحية ثانية ، فقد أجهف بالرجلين بعض الإجحاف ، وفيما يلي تصحيح وإنصاف .

قال الدكتور — في معرض بحثه عن نور الدين — « لم يكن نور الدين كأبيه عماد الدين زنكي ينشد ملكا بأى ثمن ، ولا يتردد في مصالحه الصليبيين والمضى معهم إلى حيث يريدون ، ولا يحفل بوضع يده في يد مسلم أو نصراني مادام الأمر ينتهى بانساع ملكة أو زيادة موارد » .

وقال الدكتور مؤنس عن صلاح الدين في هذا البحث عينه « قد كان صلاح الدين لا يكاد يتشم ربح خطر من ناحية إلا تغيرت نفسه ، وغاضت فيها عيون الحلم والصبر وكانت مشاريعه ومطالبه متعددة لا تنهى فسكانت حاجته للبال لا تنهى أيضا وكان عماله وجباته من أقصى خلق الله على الناس ما مربك تاجر إلا قسم الجباة ظهره ،

مهارة القيادة وحذكة السياسة ، وهذا كلام يحتاج إلى تصحيح ولعل قاربت الحق حين قلت خلاصا في تنفيذه .

« إن تقديس مبادئ الإسلام سياسة رفيعة عالية ، يصعب على كثير من الناس أن يتمسكوا بها فيما يأخذون ويدعون من الأمور ويعز عليهم في الوقت نفسه أن يعترفوا بتقصير تنأكد ملامته ، ويتحقق عيبه ، فيحاولون أن يجعلوا من تهاونهم الناقص كياسة حاذقة توجهها الظروف ، وتفرضها الملابس ، ثم يتجهون بأبصارهم إلى أناس لا يعرفون التهاون في الحق ، فيرون بعد ما بين الفريقين من خلاف في الهدف والغاية والطريقة . وإذ ذاك ينحون باللائمة على من يستمعون الحق فيتعجبون أحسنه ولو رجعوا إلى ضمائرهم في لحظة مؤمنة بصيرة لانكشف الغطاء عن خداعهم الزائف وعرفوا أن أصحاب المثل أناس لا تنقصهم السياسة والسياسة والمراف ، ولكنها سياسة القرآن وحده يؤكد بها الإيمان ! أفكان في تربيتهم وحصافته وفقهم وبصره غير سياسى أفكان نور الدين في تسامحه وإيفائه بعهد وصدق وعده غير سياسى !! لا ياهؤلاء !! ! إنهما سياسيان عظيمان ! لهما مبادئ خالدة لا تتطرق إليها رغبة جامحة ولا تشين نقاءها نزوة هوجاء ! هما سياسيان محنكان يلتزمان سياسة القرآن ، وكياسة الإسلام فلا يعرفان

لا تبنية في الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس بعد أن جرت خيولهم في أنهار الدماء إلى صدورهم وضاع في معركة بيت المقدس أكثر من سبعين ألف شهيد من المسلمين ١١ وقد هيات الأقدار عماد الدين زنكي أمير الموصل للنهوض بهذا العبء الجسيم ، وكان وافر الكياسة دقيق الإدارة واسع الحيلة فصمم على توحيد الإمارات العربية تحت قيادته فضم إلى الموصل معظم بلاد الجزيرة ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكثير من بلاد الشام واستطاع أن يقف وجهه لوجه أمام الفرنجة ، ونقل عليهم بخيله ورجله وتبعهم في الدروب والأزقة فاستجدوا مذعورين بملك القسطنطينية ، ثم هجم على الرها فاستردها ، وبدأ المسلمون يشعرون بقوتهم على يديه وأشرقت بوارق الأمل في نفوسهم خلف قيادته ، على حين زهر الصليبيون وأيقنوا أن ما خدعهم به الكنيسة من اطراد النصر ، وتماقب الفوز سراب مغرور في صحراء حامية يشتعل بها الهجير ... فعاد الدين لم يكن ينشد ملكاً بأى ثمن ، ولكنه كان يجمع الصفوف خلف قيادته كيلا يطعنه طاعن من خلفه ، وفي ذلك من بُعد النظر ، وعمق الفراسة ما يسجل بالإعجاب ، وحين هادن الصليبيين في بعض المآزق كان يماطلهم بدعائه ليقسع أمامه

وما بدت على إنسان علامة من علامات اليسار إلا أنذر بعذاب من رجال السلطان ، وكان الفلاحون والضعفاء معه في جهد ما أينعت في حقولهم ثمرة إلا تلقفها الجبابة ، ولا بدت منبلة قبح إلا استقرت في خزائن السلطان حتى أملق الناس في أيامه وخلفهم على أبواب محن ومجاعات حصدت الناس حصداً .

هذا كلام الدكتور عن البطلين الكبيرين ، ولولا الإعجاب المتدفق بنور الدين ما جار هكذا على أبيه عماد وتليذه صلاح في مجال الموازنة والترجيح ، وسنعرض لهما بإيجاز محدد ، نعرف موضع الجور الأليم فيما سبق من الكلام ١١

لقد زحفت جيوش الصليبيين على الشرق الإسلامي في وقت عصيب فإمارات الشام تخضع للنظام الإقطاعي الذي ينفرد فيه كل حاكم بولاية صغيرة لا تملك جيشاً أو تدخر قوة ، وأمراء الدول الصغيرة في تنابذ يحول دون التفاهم والاتحاد ، والخلافة العباسية ببغداد عاجزة ضعيفة لا تملك أن تدفع عن نفسها الشر ، وقد استصرخت ولاذ بها اللانذون فقطعوا شعورهم وبكوادون طائل ، والدولة الفاطمية بمصر متجهة إلى مكاييد القصر ، ودسائس الوزراء ، والانشقاق الداخلي بين الخليفة ورؤساء الجيش ١١ وبهذا التحاذل المنحل في ممالك الإسلام استطاع الصليبيون أن يؤسسوا أربع إمارات

حين راحوا يلفقون أساطير موهومة عن  
 حيل السلطان في اصطیاد الجواهر والحلى من  
 اليهود والنصارى بنوع خاص ! أما ما ذكره  
 مؤرخو العرب ، ومنصفو الأوربيين عن  
 شجاعة وسخاء صلاح الدين وكرمه فبعيد كل  
 البعد عن هذه الأراجيف ! ! ولولا ما أسميه  
 عبادة البطل الواحد ، في مجال الموازنة التاريخية  
 لا فضت في ذكر ما نسيه الدكتور المؤرخ من  
 البدائنه الذائعة ، والأمثال السائرة مما تُتَوَقَّل  
 عن شهامة صلاح الدين وأريحته ، وما أُظن  
 أحداً ممن تصدر لتسجيل أعمال السلطان  
 ينسى أنه أخذ من مال الفداء يوم المقدس  
 مائتي ألف دينار ، وعشرين ألفاً فوقها ،  
 ففرقها على العلماء والمجاهدين والفقراء ،  
 وأطلق كثيراً من ضعفاء الصليبيين دون  
 فداء كما أغضى عن جواهرهم وحليهم فلم  
 يعرض لها بمصادرة مما لا نظنه يصدر عن  
 أرقى رجل مهذب في القرن العشرين ،  
 وقد خرجت ابنة الملك مرى تحمل صلبانها  
 الذهبية ، وحليتها المتوجهة المغربية . وهم  
 أصحابها بها خال بشهامته النادرة دون  
 ما يبتغون ، بل إن بطريق القدس جمع  
 أموال البيع والكنائس في صناديق مختلفة  
 وأخبر بها صلاح الدين فتركها له ، وقال في  
 أريحته مثالية لا يجوز أن نجمعه في ثروته  
 بعد لحيته في أحلامه الدينية ! ! فليت شعري

الوقت للنجيم فالوثوب ، وكانت ظروفه  
 في ذلك غير ظروف ولده نور الدين إذ أنه  
 صاحب الصيحة الأولى في التجمع والاستعداد  
 ولولا جهوده الشاقة في ضم الشمل ، ومطاردة  
 المفرضين ، ما ترك لولده هذا التراث المسكين  
 قد يكون الدكتور صادقاً إذ يقول إن  
 نور الدين أزهده في الجاه والرياسة من أبيه  
 فهذا ما لا يجحده جاحد ! ولكنه يحور على  
 الحقيقة حين يذكر أنه كان يمضى مع الصليبيين  
 إلى حيث يريدون ! وإذن فقيم السلاح  
 والعتاد والحرب والصيل ! وكيف قطف  
 أولى ثمرات النجاح وهياً طريقه الواضحة  
 لنور الدين ثم لصلاح ! ! إن مثل عماد مع  
 خلفيه كمثل أسرة أرادت أن تنشئ حديقة  
 فيحاء في أرض ذات صخور وأشواك  
 وآكام فقام عميدها الكبير بإزاحة الأشواك  
 وتسوية الطريق وشق الجداول وتنمية  
 البذور ثم وافته أجله فاستأنف قومه الغرس  
 والبسندر وتعمدوا الزرع بالرى والتسميد  
 حتى ترعرعت الأفنان وتهدلت الثمار ! !  
 فهو مشكور مأجور دون نزاع فكيف ننعمه  
 بالوصولية المفرضة دون برهان ! !

هذا عماد ! فماذا كان من أمر صلاح ؟ !  
 يخيل إلى أن الدكتور مؤنس قد اعتمد  
 فيما ادعاه على ما كتبه غلاة المفرضين من  
 مؤرخي الفرنجة وما وسعه خيال قصاصيهم



المسيحية لغير هذا الكاتب المنصف ، لصاق بنا القول ، دع ما قفيض به الروايات الإسلامية من باهر المزايا ورائع الخيال ولا نريد أن ننقل هنا ما سجله أصدقاء الرجل من خالطوه وصادقوه كابن شداد وغيره كيلا فظن بهم بعض المبالغات فى رأى من يتشددون فى الرفض والقبول ! بل إننا سننقل عن رحلة ابن جبير ما شهد به بنفسه من كرم السلطان وسخائه ، وهو بعد من لم يتعمدوا كتابة تاريخ السلطان على وجه يشم منه التحيز ، وإنما هو عابر سبيل طاف وقتا ما بمصر فرأى وشاهد ثم سجل انطباعاته بعد أن فارق البلاد دون أدنى تأثير من حاكم ، أو زلى إلى كبير . ولم يكن الرجل مؤرخا رسمياً يدفعه الإعجاب بالبطولة إلى التزيد ، وإنما كان وصافا يفيض بخوالجه دون أن يحب لنفسه مكان المسجل العلى ، فانخذت كتابته طابع الصدق الساذج والوصف الأمين ، وكان بما قال :

ومن مناقب هذا البلد ومفاخره العائدة فى الحقيقة إلى سلطانه : المدارس والمحارس الموضوعه فيه لأهل الطب والتعبد يقدون من الأقطار النائية فيأتى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ، ومدرسا يعلمه الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به فى جميع أحواله

أ يكون السلطان بعد ذلك لا يترك إنسانا من المسلمين تبدو عليه علامات اليسار إلا أنذره بالويل والعذاب !! لتأمل ما سطره الدكتور المسلم ولتقرنه بما ذكره مسيحي أوربى وهو صاحب كتاب « تاريخ المؤرخين » : إذ يقول ما ترجمته نقلا عن كتاب الدكتور أحمد البيلى فى صلاح الدين « ولقد كان من شدة كرمه أن عماله كانوا ينكرون عليه المال ، حتى إذا جاءت ساعة الحاجة أخرجوا إليه ما يريد ، وهذا من كثرة بذله وعطائه ، وكان من عادته أنه إذا استولى على مقاطعة من المقاطعات نشر أعلام كرمه وسخائه على أتباعه ، وسكان الجهة فلك بذلك رقابهم ، ولما استولى على دمشق لم يأخذ لنفسه شيئا من خزائنها ، بل وزع ما وجد على الأهالى وكان يحترم كل من فى خدمته ويعاملهم معاملة لينة فإذا وقع من أحدهم ما يسيئه كتمه ولم يظهره ، أما مجلسه فكان ظاهرا لا يحسر فرد أن يقول سوءا فى جواره ، ولم يرقيا إلا تحركت فيه عاطفة الشفقة والحنان عليه ، وكان فوق هذا محبا لأولاده وأهله ، وكثيرا ما شارك أطفاله لعبهم ، وكان يحب العدل ويعاقب كل من خالف أحكامه ، فكان يجلس للظالم بنفسه مرتين فى الأسبوع للغنى والفقير فى حله وترحاله وفى سفره ومقامه . ولو شئنا أن ننقل كثيرا من النصوص



وانحراف ، وقد تكون الموازنة الأدبية بين نص ونص أو نص وأصل من الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان ، لأن الموازنة الأدبية في النصوص الفنية تعرض الأثرين الأدبيين أمام القارئ المنصف أولاً ، وسيكون له رأي فيما يقرأ من أسلوب وما يسجل من حكم ، أما الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان فترجع إلى ما كونه الموازن في نفسه من أحكام عن الشخصيتين دون أن يسرد الوقائع الكثيرة لصاحبها !! لذلك كانت الدقة البالغة من ألزم اللوازم في هذا المجال ، وإلا نشز وجه الحق فيما يقال . هذه خواطر مغلظة أقدمها لسادتنا المؤرخين راجياً أن تجد من الصدر الواسع ما يدفع إلى الاهتمام بها تأييداً أو تفنييداً فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وقد يكون من المفيد أن أعلن لقرائي الكرام أني انتفعت في هذه العجالة بالطائفة بما سبق أن نشرته من بحوث مختلفة بمجلات الأزهر ومنبر الإسلام والحج السعودية عن الأبطال الثلاثة عماد ونور وصلاح فإذا وجدوا بعض التكرار فيما سوت فعدري الواضح أن طبيعة المقال قد اقتضت أن أرجع إلى آثارى العلوية قبل أن أرجع إلى آثار الناس .

**محمد رجب البيومي**

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

واتسع اعتناء السلطان بؤلاء الغرباء الطارئین حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مارستاناً لعلاج من مرض منهم ووكّل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمر ونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء ، وينهون الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم ومن أشرف هذه المقاصد أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغاً ما بلغوا ونصب لتفريق ذلك كل يوم لإنساناً أميناً من قبله فقد يفتى في اليوم إلى ألني خبزة أو أزيد بحسب القلة والكثرة وهكذا دائماً ... أما أهل بلده ففي نهاية من الترفيه واتساع الأحوال لا يلزمهم وظيف البتة ! .

فماذا عسانا نقول في هذا التسجيل العرضي الذي لم يتعمد سوى النقل للفوتوغرافي لما كان دون احتفال بإطراء ، أو اعتناء بتمجيد ! إن ما سطره الدكتور عن البطلين الكبيرين في معرض حديثه عن نور الدين يدفعنا إلى الحذر المفرط عند الموازنة الشخصية بين إنسان وإنسان ، وإذا كان في هذه الموازنة ما يفسح وجهات النظر ، ويجعل غوامض الحقائق . ويفسح مجال التحليل والتأمل فإن في الانحياز الحفي ما يجعل منها أداة إحجاف

# الإسلام في تشاد

## لأستاذ عطية صفر

ومن أشهر المدن أبشه Abéché العاصمة الدينية للبلاد الواقعة على طريق قوافل الحجاج، والتي تعد سوقا كبيرة لمنتجات دارفور السودان وواداي، ومن المدن الهامة أيضا: فورت أرشيمبول Fort Archambault، ماو Mao، فايا Faya.

وجو الإقليم شديد الحرارة في الصيف دافئ في الشتاء، وتسقط الأمطار بغزارة في الجنوب، ويشغل معظم الأهالي بالزراعة والرعي وتربية الماشية وتجارة الجلود والحاصلات الأخرى.

ويبلغ عدد السكان ١٧٤٠٠٠ ر ٢٠٠ نسمة ينتمون إلى عدة قبائل منها:

البودوما Boudouma ويكثرون في الجهات الشمالية والوسطى من البحيرة، وهم مسلمون يتكلمون لغة أهل كانم، المجاورين لهم. والسكوري Kouri ويكثرون شرق الأرخيبيل، التيبو Tibu ويكثرون أيضا في الشمال، وهم رعاة إبل مسلمون يحملون العطش كثيرا وإبلهم سريعة كما يكثرون أيضا في وسط الإقليم. وبوجود في إقليم كانم

بين خطي عرض ٨، ٢٢ شمال خط الاستواء، وخطي طول ١٣، ٢٤ شرق جرينتش، وفي قلب القارة الإفريقية، يقع إقليم هو أهم الأقاليم الأربعة، التي تتكون منها إفريقيا الاستوائية، الواقعة تحت الحكم الفرنسي منذ أكثر من خمسين عاما، ذلك هو إقليم تشاد Tchad الذي يحده من الشرق جمهورية السودان ومن الغرب نيجيريا والكامرون، ومن الشمال ليبيا وحدود المغرب العربي، ومن الجنوب إقليم أوبانجي شاري أحد أقاليم إفريقيا الاستوائية.

وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٢٨٤٠٠٠ كم. وينقسم إلى تسع مقاطعات، يمثل ثلاث منها الإقليم الجنوبي، الذي يمتاز بكثافة السكان وكثرة المزارع والمراعي، وللسكان الباقية تمثل الإقليم الشمالي الذي تكثرت صحاريه وبقل سكانه، ويفصل بينهما في أغلب الأماكن نهر شاري أكبر الأنهار الجارية في هذا الإقليم.

وعاصمة تشاد هي فورت لامي Fort Lamy الواقعة على نهر شاري قريبا من الدلتا،

وهم يخشون أن يزحف الإسلام من الشمال على الجنوب ويرقبون حركة الانتقال بين الإقليمين بحذر . ولا يرتاحون للأكثرية الإسلامية الموجودة في العاصمة ، فمن بين سكانها البالغين ٥٣ ألفاً يوجد ٥٠ ألفاً من المسلمين ، يكون العرب منهم أكبر نسبة .

وقد دخل الإسلام إلى هذا الإقليم منذ القرن الحادى عشر وذلك من طريقين : السودان والحجاز ومصر من الشرق ، وبلاد المغرب من الجهة المقابلة ، وكان زحف الإسلام إلى هذه البلاد زحفاً سليماً هادئاً فقد جاء إليها المسلمون مهاجرين أو تجاراً لا يبغيون وراء ذلك شيئاً ، حتى إذا ثبتت أقدامهم في البلاد ، وكثر الداخلون في الإسلام ، أقاموا بمالك منظمة كان لها أثرها في نشر الدعوة الدينية في المناطق المجاورة من إفريقية الوسطى والغربية ، وأهم هذه الممالك : مملكة « كانم » ، في الشمال الشرقى من البحيرة التي قامت فيها أسرة سيف

Seif نحو ألف عام ( ٨٠٠ - ١٨٠٠ م ) وظلت على وثبيتها حتى دخلها الإسلام في أواخر القرن الحادى عشر في عهد « دوجو برى » .

وازدهرت المملكة في أوائل القرن الثالث عشر الذى بلغت فيه قوة الجيش ٣٠ ألف فارس ، وامتدت أطرافها حتى شملت بلاداً كثيرة ، ومنذ أواسط القرن

ووادى عرب رحل وعرب « بقارة » وبعض التيبو ، وكثير من السكان القدامى مثل : التاما والمون والأرنجا ، كما توجد قبائل المساسا والموسجو وسارا والبولالا .

والمسلمون يمثلون أكثر من ٧٠ ٪ من عدد السكان ، وأوصلتهم بعض المصادر الإسلامية إلى ٩٠ ٪ . بينما تقول نشرات التبشير إنهم لا يجاوزون ٥٠ ٪ ، والغرض معروف من تقليل نسبة المسلمين ، فهم يحاولون جهدهم أن يمحوا الفكرة الشائعة من قديم إن البلاد إسلامية ، ويفتحون بذلك باب الأمل لإيجاد أغلبية غير مسلمة ليفيدوا من ذلك من الناحية الدينية والسياسية معاً . وهناك نحو المليون من الوثنيين الذين يعتقدون في الأرواح ويقدمسون الأشباح ، كما يوجد بعض الآلاف من المسيحيين الذين تنصروا منذ أن لوث التبشير أرض البلاد سنة ١٩٣٨ .

ومنذ أن دخل الإسلام إلى المنطقة في القرن الحادى عشر والمسلمون يتكاثرون ، حتى صارت لهم الأغلبية في البلاد ، وهم يكثرون جداً في المناطق الشمالية ويقبلون في الجنوب حيث يسيطر عليه المبشرون الذين أقاموا خفياً تبشيرياً يبدأ من « كيان » وينتهى في « بنجور » ، ماراً « بفورت شمول » ، « كومرا » ، « موندو » ، « كيلو » ، « بالا » ،

سرعان ما هاجمهم ملك واداي سنة ١٨٧٠ ، حتى جاء رايح سنة ١٨٩٢ فضم باجرى إلى مملكته .

ومنطقة واداي شرقي الإقليم تأخر دخول الإسلام فيها نسبيا ، بسبب تعدد القبائل وبسبب وجود أسرة «التنجر» التي حكمت المنطقة بعد هربها من دارفور في السودان ، التي كانت ما تزال وثنية إلى القرن الرابع عشر وأول الملوك المسلمين فيها هو السلطان عبد الكريم ، وهو عربي أبوه من بلدة شندى شمالي الخرطوم ، وكان قد وصل إلى البلاد وأقام ضيفا عند إحدى القبائل يدعو إلى الإسلام ، ثم تزوج منها وصارت له الكلمة فيهم ، وكان يسمى هناك «جد الإسلام» . وبعد موته تولى ابنه «عروت» مهمة نشر الدين في المناطق المجاورة ، وقد حدث أن أحد الحكام رفض قبول دعوته

وعمل على عرقلة جهوده ، فثار عليه الأهالي وعزلوه وولوا «عروت» سلطانا عليهم ، فأسس مدينة «وارا» وجعلها عاصمة لمملكة إسلامية في إقليم واداي ، حتى انتقلت إلى «أبشة» ، وقد كانت المملكة تدفع الجزية لسلطان دارفور ثم تخلصت منها في أواخر القرن السابع عشر ، وازدهرت المملكة في عهد صابون (١٨٠٥ - ١٨١٥) وفي سنة ١٨٤٣ تولى أخوه السلطان محمد شريف

الرابع عشر اشتبكت في معارك مع قبيلة البولالا حتى بداية القرن الخامس عشر قتل فيها أربعة من ملوك كانم ، فاضطروا إلى الهجرة إلى «بورنو» . ولما جاء الملك «على دوناما» (١٤٧٢ - ١٥٠٤) هاجم البولالا وأعاد نظام المملكة ، وجاء عهد الازدهار الثاني (١٥٧١ - ١٩٠٣) الذي وسع فيه الملك إدريس ألوما حدود المملكة . وبعد فترة هدوء ثم تدهور استدعى الملك الشيخ محمد الأمين الكانمي الذي صد هجوم الفولاني سنة ١٨٩٠ . وتولى الحكم بنفسه وأنهى حكم أسرة سيف ، ثم حدثت منازعات بين ممالك واداي وكانم وباجرامى ، حتى وصل إلى الإقليم السلطان رايح «أحد قواد سلجان ابن الوزير باشا» سنة ١٨٩٣ م فأنشأ إمبراطورية قوية غير أنه قتل في حربه مع الفرنسيين سنة ١٩٠٠ م .

ونشأت أيضا مملكة إسلامية في «باجرى» جنوب البحيرة على يد السلطان «بريمى» (لعله محرف عن إبراهيم) في أوائل القرن السادس عشر وازدهرت في عهد السلطان الحاج محمود الأمين (١٧٥١ - ١٧٨٥) . وفي سنة ١٨٠٩ خضعت لسلطان واداي ، حتى ضمها الشيخ الأمين الكانمي (المنخرج في الأزهر) إلى مملكته ، ولما جاءت سنة ١٨٤٦ قوى ملوكها نسبيا ، ولكن

ففسكرو في القضاء عليهم والتخلص من سلطانهم ففرر بهم حتى جمعهم في مكان واحد ، وأوسعهم تقتيلا يبرهن على أن فرنسا تستحق أن تسمى بجدارة حاملة شعلة الحرية والإخاء والمساواة ، وكان عدد القتلى من العلماء فقط في هذه المجزرة البشرية في « أبشة » سنة ١٩١٧ نحو ٤٠٠ عالم ، وتبعوا الطلاب وأئمة المساجد ومعلمي القرآن حتى طردوهم من البلاد ، وكانت تسمى هذه المجزرة بمذبحة « السكبك » أي الساطور . وبعد أن هدأت الحالة عاد الهاربون إلى « أبشة » وزاولوا نشاطهم الديني والعلمي في هدوء وتسليم .

كانت البلاد قبل دخول الإسلام على حالها من الوثنية والبداءة ، حتى قدم العلماء والدعاة من الشرق ومن المغرب ، فنشروا لواء الدعوة وثقفوا الأهالي في المساجد والكتاتيب ، وتخرج كثير من العلماء الذين أتموا دراستهم في الأزهر وجامع الزيتونة بتونس . ولما جاء الاحتلال الفرنسي أهمل التعليم الديني بل اضطهد ، ولم يعد للسلبيين بعد من المدارس الإسلامية المنظمة إلا عدد ضئيل . كمعهد « أبشة » الديني الثانوي ، والمعهد الإسلامي الابتدائي في « فورت لامي » والمدرسة الابتدائية في « فورت شيمول » التي تدرس فيها علوم الشريعة . والتعليم في هذين المعهدين على النظام الأزهرى القديم مع قليل من العلوم

صالح المحكم ثم ابنه السلطان على ( ١٨٥٨ - ١٨٨٣ ) ففوقت الدولة ، ثم حدث نزاع بين الأسرة الحاكمة على العرش ، وبينها وبين البلاد حتى دخل الفرنسيون سنة ١٩٠٢ لنصرة أحد الأطراف واحتلوا وادأى .

وقد احتل فرنسا إقليم تشاد لتصل مستعمراتها في وسط القاهرة بمستعمراتها في شمال إفريقيا ، لجأت حملات من الجنوب ومن الغرب ، واشتركت مع البلاد في حرب كان يقودها السلطان راجح ، انتهت بقتله هو والقائد الفرنسي « لامي » في بلدة « كسوري » التي تحول اسمها إلى « فورت لامي » وجعلت عاصمة الإقليم .

لم يعرف الغربيون إقليم تشاد قبل القرن الخامس عشر الذي تحركت فيه بعثات الملاحه والاستكشاف حول قارة إفريقيا ، حيث وصلت إلى مصب نهر الكونغو ، ووصلت أخبار البلاد إلى أوروبا وسال لعابها على القارة البسكرة ، فتكونت في فرنسا فكرة بناء أسطول لاحتلال إفريقيا الاستوائية في القرن الثامن عشر ، ونجح « فلمستر » في احتلال إقليم « جابون » في مارس ١٨٤٢ ، وظل الاستعمار يزحف حتى بسط سلطانه على المنطقة كلها ، وقد أحس المستعمر بخطر العلماء والقضاة الذين كانوا يحملون لواء المقاومة ضد الفرنسيين مدة سبع سنين ،

سنة ١١٧٦ هـ وكان الأهالي هم الذين ينفقون على هذه المساجد حتى سلبها المستعمر للجمعيات. ومن الجمعيات الدينية في البلاد : الهيئة التشادية الإسلامية . وجمعية الشباب المؤمن في فورت لامي . وجمعية الفقهاء في أبشة ، وقد أنشئت كلها بعد سنة ١٩٤٥ ، كما يوجد من الجمعيات الخيرية : الجمعية التجارية الوطنية ، وجمعية الأخوة التشادية . والرابطة الساراوية ، ويوجد ناد للثقافة الإسلامية في فورت لامي . والطرق الصوفية موجودة في البلاد ، وقد وفدت إليها مع الدعاة الأولين ، وأهمها التيجانية ، والقادرية ، والميرغنية .

ومن الشخصيات الهامة ذات الأثر البارز في الكفاح الوطني والديني ، الشيخ محمد عليلش عويضة مؤسس معهد أبشة ، والشيخ إبراهيم جباي خليل المتخرج في كلية الشريعة بالأزهر ، والذي أنشأ مدرستين عربيتين في أبشة ، والشيخ محمد المهدي قاضي القضاة ، والأستاذ أحمد غلام الله ، وغيرهم .

هذا والبلاد ما زالت ترزح تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي لا يعرف معنى للحرية والرحمة والإنسانية ، والمنطقة لها ماض إسلامي مجيد يمتد نحو عشرة قرون ، ولها أهميتها في وسط الغارة الإفريقية من جهة نشر الوعي الديني والوطني والقومي ، وهي في حاجة ماسة إلى مساعدة فعالة لتستطيع

المدنية ، والأهالي هم الذين يتولون الإقفاق على التعليم وإدارة شئون المعهدين ، ما عدا معهد أبشة فقد تولته الإدارة الرسمية ليسكون تحت رقابتها ، وقد أنشئ هذا المعهد سنة ١٩٤٦ بفضل أحد خريجي كلية الشريعة بالأزهر وهو الشيخ محمد عليلش عويضة ، وقد أغلقه الفرنسيون سنة ١٩٥٣ وطرّدوا مؤسسه ، ثم عاد تحت ضغط الأهالي واضطرت الحكومة إلى فتح المعهد سنة ١٩٥٧ ، غير أنها هي التي تولت الإشراف عليه لإدرا م مراقبته .

واللغة السائدة في الإقليم هي العربية التي يتحدث بها ٩٠ ٪ من السكان : المسلمون منهم وغير المسلمين سواء ، وهي لغة التعليم في الدراسة الدينية ، أما اللغة الرسمية فهي لغة المستعمر « الفرنسية » ولا تدرس العربية في المدارس إلا كلغة ثانوية .

والمسلمون يدينون بعقيدة أهل السنة والجماعة ، ويتفقون على مذهب الإمام مالك الذي وفد مع الدعاة والمعلمين ، والذي شجع الأخذ به السلطان راجح .

والمساجد كثيرة منتشرة في البلاد حيث يوجد المسلمون ، وفي « أبشة » جامع السلطان الذي أنشئ سنة ١٠٧٦ هـ ، وجامع السوق الذي أنشئ سنة ١٢٠٠ هـ . كما يوجد في « فورت لامي » للماصمة مسجد كبير أنشئ

إن المبشرين كتبوا في تقريرهم المنشور في نشرة ٧ من يوليو ١٩٥٦ أن الأحداث الخطيرة في شمال إفريقيا والمغرب ودول الساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي ، والدول القائمة في قلب الصحراء هي أثر للعمل الخطير الذي تقوم به في مهارة وجدد ، الجامعة العربية ورايو القاهرة والبعوث الدينية الأزهرية ، ويقولون : إن الإنسان يشعر في هذه الأيام بأن مصير تشاد متعلق تماما بما جرى هذه الحوادث ، ويطلبون زيادة نشاط الكنيسة لإيجاد مسيحية سوداء في السكرون وجابون والكونغو على حدود العالم الإسلامي ، وينبغي ألا نكون أقل يقظة منهم ، وأن نعمل مخلصين لهداية هؤلاء المتطلعين إلى الإيمان الصحيح والحرية الحقيقية ، والله هو الموقف والمعين ؟

عطية صقر

المضى في القيام بدورها الإيجابي في العالم الأفريقي المتطلع إلى الحرية والاستقلال ، والذي يعلق آمالا كباراً على الجماهير العربية وعلى الأزهر الشريف . وأعتقد أننا سنكسب الجولة لو أننا عطينا بقوة الروح الدينية في نفوس هؤلاء المسلمين ، وإفهامهم النواحي الحية في الدين التي تبعث على الكفاح والعمل المتواصل للتحرر ، والتيار الاستعماري هناك شديد باعتماده على المبشرين الذين كادوا بسكنائهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومبعوثيهم أن تكون لهم السيطرة الدينية والفسكرية في البلاد ، وإذا أردنا أن نحاربه فليكن سلاحه الذي يستطيع الأزهر أن يقوم بتسليح كبير منه ، إذا أراد أن يبرهن على أن خطوته الإصلاحية الجديدة هي من وحي الواقع الذي يعيش فيه المسلمون في هذه الأيام .

( بقية المنشور على صفحة ٤٩ )

الإنسان أديبا إلا حين يتوافر له ، والجانب الآخر الذي هو الفيصل في المفاضلة بين إنتاج أدبي وآخر هو الموضوع ، الذي لا بد للنقد أن يتحرى الدقة في الكشف عن حقيقته ، وهل هو موضوع وبيل ينفض السم في المجتمع أو هو مما يبعث الحياة ويظهرها ويسمو بها إلى مراتب أعلى ويدفع بها إلى مستوى حضارى أجدر بالبقاء .

محمد فريد أبو مريم

الجسدية وجعلوا ذلك غاية الحياة التي يحبوها ، وما أحرانا أن ننفذ أيدينا من أدب هؤلاء ومن يريدون من نقادنا أن يحولوا إليه مذهبهم في النقد . فصيحة الفن للفن تبعد بالنقد عن ميدانه الصحيح وهو نقد الموضوع الذي يختاره الأديب ليبرزه بأسلوبه الفني ، فإن قيمة الإنتاج الأدبي لا تعرف إلا بمقياس مزدوج على الأقل : بجانب من هذه القيمة يرجع إلى توافر العناصر الفنية في أسلوبه وهذا شرط أولى لا يمكن أن يسمى



مفردات قرآنية :

## التجارة في القرآن

للأستاذ أحمد الشراصي

- ٢ -

التجارة في نظر القرآن الكريم ليست عملا ماديا دنيويا صرفا ، بل له صلته بالجوانب الدنيوية في حياة الإنسان، ولذلك يشير القرآن إلى ارتباط تجارة الدنيا بتجارة الدين ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وإذا رأوا تجارة أو لهوا افضوا إليها وتركوا قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازيين .<sup>(١)</sup> » .

ذكرنا كثيرا حتى ينالوا الفلاح والنجاح في الحياة .

وقد روى في سبب نزول الآية أن دحية ابن خليفة الكلبي أقبل بتجارة من الشام في يوم جمعة قبل أن يسلم ، وكان معه أنواع من التجارة ، وكان الناس يتلفونه بالطليل والتصفيق والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب ففرج الناس إلى التجارة واللهو ، وتركوا النبي ، ولم يبق معه إلا القليل ؛ قيل ثمانية ، وقيل اثنا عشر ، وقيل أربعون<sup>(٢)</sup> ؛ فقال النبي : « لولا هؤلاء لسومت لهم التجارة » ، ويروى أن النبي قال : « لو اتبع آخرهم أو لم لا تهب الوادي عليهم نارا<sup>(٣)</sup> » .

ولما حدث هذا نزلت الآيات تعريضا وإنذارا وتحذيرا من فعل ذلك ، وقد خصت الآية البيع بالذكر لأهميته والحرص عليه ، ويقاس عليه غيره ، وفي ذلك يقول جاركه الرخيشي : « أراد الأمر بترك ما يذهل عن [١] في تفسير الطبري روايات تفيد أنهم كانوا اثني عشر رجلا وامرأة ، ج ٢٨ ص ١٠٤ .

[٢] عن تفسير الرازي ، ج ٨ ص ١٥٤ بتصرف واختصار .

وفهم من هذه الآيات الكريمة أنه إذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة لم يحل البيع والشراء ووجبت المبادرة إلى الصلاة ، فذلك خير وأنفع وأحسن ، وأنه إذا انتهت الصلاة فينبغي للمسلمين أن يعودوا إلى رحاب الحياة عاملين متاجرين مكتسبين متطلبين الوصول إلى الرزق بفضل الله وعونه ، ذاكرين ربهم



وبنظرنا في الآية المتقدمة نجد أن الله تعالى يعلم عباده أن يتذكروا واجب العبادة الدينية وهم يباشرون الأعمال الدنيوية ، فإذا تردد النداء لصلاة الجمعة تركوا التجارة وغيرها من أعمال الدنيا ، وهرعوا إلى الصلاة ، فتتصل أعمال الآخرة بأعمال الحياة ، وإذا كانوا في الصلاة سمعوا حديث هذه الحياة ، بما فيها من تجارة وتعاقد ، فقد يتلو عليهم إمامهم قول ربهم : « وأحل الله البيع وحرم الربا » ، أو قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدافعتكم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .... » . فيكون هذا جمعا بين حديث الدنيا وحديث الآخرة .

وإذا انتهت الصلاة فقد انفتحت أمامهم من جديد أبواب السعى في الحياة ، وقد جاءت « الغاء » هنا . وهي التي تفيد التعقيب بلا تراخ : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » . أي إنه يحل لكم الانتشار للكسب والاتجار بمجرد انتهاء الصلاة ، وبلا فاصل زمني ما .

ولكن إذا انتشرتم وسعيتم فلا تنسوا أنكم تسرون في أرض الله ، وتأخذون من رزق ، وتبتغون من فضل الله : « وابتغوا من فضل الله » .

وهذا التذكير يربط أيضا بين التجارة والدين فلا تكون عملا ماديا مجردا من معاني الإيمان

ذكر الله من شواغل الدنيا ، وإنما خص البيع من بينها ، لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديههم ، وينصبون إلى المصر من كل أوب ، ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ، ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى إلى المسجد قيل لهم : بادروا إلى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأرجح ، وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه مقارب (١) .

وقد فات الزمخشري أن يذكر مع هذا أيضا ما نكاد نلمحه وهو أن صلاة الجمعة صلاة جامعة ، فلا تتحقق ثمرتها إلا بالاجتماع والتلاقى بين المسلمين ، فإذا تكامل هذا وذاك أمر تشاغلو بالتجارة عن الاستجابة للنداء لم يكن الهدف المطلوب ، وهناك الخطبة التي يجب على المسلمين أن يستمعوا إليها ويستفيدوا منها ، ولو أهملوا أو أجلوا لفاتهم ذلك ، كما أن صلاة الجمعة تؤدي في وقت معين محدد ، وليست كالفروض الفردية التي يتسع أمام الفرد وقت أدائها ، فيؤديها في أول الوقت أو في وسطه فيما يسره له من مكان صالح للصلاة .

كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين .

ويتعرض كتاب د في ظلال القرآن ، للحديث عن الآية السابقة ، فيقول فيما يقول : الآية تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماعهم للأذان ، وترغبهم في هذا الانخلاع عن شئون المعاش والدخول في الذكر في هذا الوقت ... فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش وجواذب الأرض ، ليخلوا إلى ربه ويتجرد لذكره ويتذوق هذا الطعم الخاص للتجرد والاتصال بالملا الأعلى ، ويملا قلبه وصدره من ذلك الهواء اللذي الخالص العطر ويستروح شذاه ، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله ، وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي : التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب ، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو ، وانقطاع القلب وتجرده المذكر وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتألق والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى ، (١) .

ولأن القرآن قد ربط بين العبادة والتجارة بذلك الرباط الدقيق الوثيق ، رأينا أن فقه القرآن والسنة يضع للتجارة آداباً تجعل التاجر

والروح ، بل تكون موصولة بالأواصر بالقيم والأخلاق ...

ولا تسكنفوا بتذكر أنكم تبغون من فضل الله ، بل أضيفوا إليه أمراً آخر : واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، ، وذكر الله في أثناء العمل الديني يباركه ويعصمه من الزلل والخلل ، ويباعد بينه وبين الانحراف والاعتساف .

واحدروا أن تكونوا كأولئك الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فجذبهم جواذب الحياة المادية في وقت واجبه الديني ، فانصرفوا إلى عرض الدنيا وتركوا ما هي أذكى وأبقى ، لأن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين .

فنحن نرى الآيات تشير في صدرها إلى أن الناس من شأنهم أن يكونوا في سعيهم وتجارته ، وأن هذا أمر مشروع مرضى منه من الشارع ، فإذا جاء وقت الصلاة وصلوه بوقت العمل والسعي ، وإذا ما انتهى واجب لله عاد الناس إلى ميادين الحياة ، ولكنها ميادين من فضل الله ، ولذلك يجب عليهم أن يتذكروا ، وأن يذكروا ربهم ذكراً كثيراً ... وليس وراء ذلك مزج رائع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة .

ولقد كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة وقف بباب المسجد وقال : اللهم أجب دعوتك ، وصليت فريضة ، وانتشرت

[١] في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، ج ٢٨

فجاراً لما في البيع والشراء من الإيمان الكاذبة والنغن والتدليس والربا الذي لا يتعاشاه أكثرهم ولا يفتنون له ، ولهذا قال في تمامه :  
إلا من اتقى الله وبر وصدق ، (١) .

وفي الحديث أيضاً : « إياكم وكثرة الحلف في البيع ، فإنه ينفق ثم يحرق ، أى يروج أولاً ، ثم تكون عاقبته ذهاب البركة . »

وكان عمر بن الخطاب إذا دخل السوق قال : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفسوق ، ومن شر ما أحاطت به السوق ، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة . »

ومن آداب التجارة في الإسلام أن لا يثنى البائع على السلعة بما ليس فيها ، وألا يكتم شيئاً من عيوبها أو خفايا صفاتها ، فإن هذا من الخداع الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولقد مر النبي برجل يبيع قمحاً فأعجبه فأدخل يده فيه فوجد بللاً ، فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فأجاب : أصابته السماء فقال النبي : « هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا ، » ومن قواعد الإسلام أن النصيح واجب لكل مسلم ، وعن بعض التابعين أنه قال : لو دخلت الجامع وهو غاص بأهله وقيل لى : من خير هؤلاء ؟

يقوم بها وهو محافظ على خلق المسلم وأمانة المسلم وإخلاص المسلم ، ومن هذه الآداب الحذر من اتخاذ الحلف الكاذب وسيلة لترويج السلعة أو زيادة الكسب في التجارة والحديث المتفق عليه يقول : « واليمين الكاذبة منقفة للسلعة بمحققة للبركة ، وفي حديث مسلم « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم : المنان والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب . »

وفي تفسير القرطبي : « ويكره (١) للتاجر أن يحلف لأجل ترويج السلعة وتزيينها ، أو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في عرض سلعته ، وهو أن يقول : صلى الله على محمد ، ما أجود هذا . ويستحب للتاجر أن لا تشغله تجارته عن أداء الفرائض ، (٢) . »

ويلحق بما ذكره القرطبي حلف التاجر بحق لحيته ، أو حق شيعته ، أو حق « شباك النبي ، الذي وضع عليه يده وهو يحج ، أو حق الكعبة التي طاف حولها ولمسها ، أو حق « الحجر الأسود ، الذي قبله ... إلخ . »

ولقد قال الرسول : إن التجار يبيعون يوم القيامة فجراً إلا من اتقى الله وبر وصدق . وقال ابن الأثير تعليقا على ذلك : « سماهم

[١] النهاية في غريب الحديث ، ج ١

ص ١٠٩ ، ١١٠ .

[١] الكراهية هنا فيها معنى الحرمة .

[٢] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥٦ .

بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع في غيبته غلامه شقة من ذوات الخمسة بعشرة ، فلما عرف ابن المنكدر أطال البحث عن المشتري حتى وجده وقال له : إن الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة . فقال الرجل : يا هذا قد رضيت . فقال : وإن رضيت فإنما لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختار إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من العشریات بدراهمك ، وإما أن نرد عليك خمسة ، وإما أن نرد شقتنا وتأخذ دراهمك . فقال المشتري : أعطني خمسة ؛ فرد عليه خمسة ، وانصرف الأعرابي يسأل : من هذا الشيخ ؟ ف قيل له : هذا محمد بن المنكدر . فقال : لا إله إلا الله ، هذا الذي نستسقي به في البوادي إذا قمطنا ! .

وروى أن وائلة بن الأسقع كان في السوق فرأى بائعا يبيع لرجل ناقة بثلاثمائة درهم ، ومضى المشتري ، ولكن وائلة رأى شيئا ، فنادى على الرجل ، وقال له يا هذا اشتريتها للحم أو للظهر ؟ (الركوب) فقال بل للظهر فقال وائلة : إن بخفها نقبا قد رأيت . وإنها لا تنابع السير . ونصحه بردها للبائع ، فتنصعها البائع مائة درهم من ثمنها الأول ، وقال لوائلة : رحمك الله ، أفسدت على بيعي ، فقال وائلة : إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصع لكل مسلم . وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحل لأحد

قلت : من أنصحهم لهم ؟ فإذا قالوا : هذا . قلت : هو خيرهم ، ولو قيل من شرهم ؟ قلت : من أغشهم ؟ فإذا قيل هذا ، قلت هو شرهم ! . ولقد كان السلف يضربون الأمثلة الرائعة في الأمانة والنصح والصدق ، فهذا يونس ابن عبيد - كما يروى عنه الغزالي (١) - كان عنده حبل مختلفه الأثمان ، ومنها صنف ثمن كل حلة منه أربعائة درهم ، ومنها صنف آخر ، ثمن كل حلة منه مائتان ، فذهب يونس إلى الصلاة وترك ابن أخيه عند الثياب ، فجاء أعرابي وطلب حلة بأربعائة فعرض عليه الفتى من حلل المائتين فاستحسنها الأعرابي ورضيها واشتراها ومشى بها وهي على يديه ، فلقبه يونس فعرف حبله فقال للأعرابي : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعائة . فقال : لا تساوى أكثر من مائتين ، فارجع حتى تردها فقال : هذه في بلدنا تساوى خمسمائة وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف فإن النصع في الدنيا خير من الدنيا بما فيها . ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك ، وقال له : أما استحييت ؟ أما اتقييت الله ؟ تبيع مثل الثمن ، وترك النصع للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها . قال فهلا رضيت له بما نرضاه لنفسك ؟ .

وهذا محمد بن المنكدر أيضا كان له شقق ،

وقد يؤدي به ذلك إلى الاحتكار<sup>(١)</sup> الذي حاربه الإسلام وحذر منه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « لا يحتكر إلا خاطئ » ، وقال : « من احتكر حكرة يريد أن يغلب بها على المسلمين فهو خاطئ » ، وقال : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » ، وقال : « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه » .

وقال علي بن أبي طالب : « من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه » . وحث النبي على جلب الأقوات والسلع وبيعها بالسعر المناسب الميسر ، فقال : « من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » . وجاء في الحديث المرسل : « إن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله » . وفي الحديث : « الجالب مرزوق والمحتكر خاطئ » .

ولنتذكر هنا أن البيوع — كما يقول القرطبي في تفسيره : « نوعان : قلب في الحضر من غير نقلة ولا سفر ، وهذا تر بص و احتكار قد رغب عنه أولو الأقدار ، وزهد فيه ذوو الأخطار ( المراتب ) والثاني قلب المال بالأسفار ونقله إلى الأمصار ، فهذا أليق بأهل المروءة ، وأعم جدوى ومنفعة ،

أن يبيع بيعا إلا أن يبين آفته ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا نبيئته » ١ .

ولما بايع الرسول جرير بن عبد الله على الإسلام ، ذهب جرير لينصرف ، فجذب النبي ثوبه ، واشترط عليه النصح لكل مسلم . وحسبنا قول الرسول : « البيعان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما » ، وإذا كتبا وكذبا نزعت بركة بيعهما » .

ومن أدب أهل القرآن في التجارة ألا يتخذوا في سعر الوقت ، وألا يحتالوا للتغير بالناس في الأسعار ، ولذلك نهى النبي عن « تلقى الركبان » الذين يقدمون من البوادي إلى الأمصار ومعهم سلع يريدون بيعها ، ولا علم لهم بسعر الوقت ، فيلقاهم من يتخذهم فيه ويستولى على سلعهم بشمن بخص ؛ كما نهى النبي عن « النجش » وهو تظاهر من لا يريد الشراء بالرغبة فعلا في الشراء ، ويرفع في الثمن ليتخذ الراغب في الشراء ، فينخدع ويشتري بشمن مرتفع ، وهذا مثل ما يحدث الآن في المزايدات الصورية .

ونهى كذلك عن خداع من لا يحيطون بأسرار التجارة علما ، فقال : « لا يبيع حاضر لباد » ، لأن البادي يريد أن يبيع بسعر معقول ، إذ يحتاج إلى البيع ، ولكن الحاضر — المقيم في المدينة أو البلد — يريد أن يستولى على السلعة ويخزنها ويتحكم في السعر ،

[١] قال ابن الأثير : ( احتكر الشيء أى اشتراه ليقل فيطو ) النهاية ج ١ ص ٢٤٥ .  
[٢] انظر نيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢٢١ والإحياء للزالي ج ٧ ص ٦٦ .

وقال النبي : « إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » .  
كما حرم الإسلام (كسب البغى) وهو الكسب الناشئ عن المتاجرة بالعرض ، كما حرم (حلوان الكاهن) وهو ما يعطى للمدعى التنبؤ أو ضارب الرمل أو الودع أو ما أشبهه ، وحرم كسب الربا .

وقال الرسول : « لا يبيعين أحدكم على بيع أخيه ، أى لا يشتري على شراء (١) » ، يقول ابن الأثير عن هذا الحديث : « فيه قولان : أحدهما : إذا كان المتعاقدان في مجلس العقد ، وطلب طالب السلعة بأكثر من الثمن ليرغب البائع في فسخ العقد ، فهو محرم ، لأنه إضرار بالغير ، ولكنه منعقد ، لأن نفس البيع غير مقصود بالنهي ، لأنه لا خلل فيه ؛ الثاني أن يرغب المشتري في الفسخ بعرض سلعة أجود منها بمثل ثمنها ، أو مثلها بدون ذلك الثمن ، فإنه مثل الأول في النهي ، وسواء كانا قد تعاقدنا على المبيع أو أساوما وقاربا الانعقاد ، ولم يبق إلا العقد » (٢) .

وهذه كلها شواهد تؤكد ما أشار إليه القرآن من وجوب ارتباط التجارة بالمعنى الديني ، حتى يكون قائدا لها ورائدا أمامها .

### أصح المصطلحات

غير أنه أكثر خطرا وأعظم غررا (١) .  
ويتصل بهذا نهى الإسلام عن التغالي في الربح ، وعن الفحش في الكسب ، لأن قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان إلى وفرة المكسب مع التيسير على المسلمين ، وكان علي بن أبي طالب يدور في سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار ، خذوا الحق تسلبوا ، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

ومن صفة أهل القرآن في تجارتهم أنهم يضبطون الكيل والوزن والقياس ، لأن وبهم تبارك وتعالى يحذر أشد التحذر من التطفيف في هذه الأمور ، فيقول : « ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون . ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » ، ويقول : « والسماء وقعها ووضع الميزان . ألا تطفخوا في الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان » ، ويقول النبي لأصحاب المكيال والميزان : « إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السابقة قبلكم ، أى فاحذروا البخس في ذلك ، وإلا هلكتم كما هلك السابقون .

ولأن التجارة متصلة بالعبادة حرم الإسلام الاتجار في الأشياء الخبيثة ، كالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير والأصنام والأزلام والأنصاب وما أشبهها (٢) .

[١] مفردات القرآن ، ص ٦٦ .

[١] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥١ .

[٢] النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٥ .

[٢] انظر زاد المعاد ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

# البيان العزني

للأستاذ علي محمد حسن العاري

ضرورة لهذا العلم كالشأن في كل علم ،  
فكيف نضعها ؟

\* \* \*

وسنتحدث في هذا المقال عن كتاب من  
هذه الكتب التي عنت بتتبع خطوات البيان  
العربي ، وأبانت عن تصور العرب لمعناه  
في العصور المختلفة ، وكشفت عن مصادره  
الكبرى وعن الأذواق والعقول التي تضافرت  
على بناء هيكله حتى استقر علما واضحا المعالم  
يمثل منزلته الظاهرة بين علوم الأدب ،  
ويحتل منزلته أيضا في تراث الأمة العربية  
في العلم والتفكير ، <sup>(١)</sup> وهذا الكتاب هو  
البيان العربي للدكتور بدوي طيبانه .

وقد يكون من الوفاء للتاريخ ، وهذه  
الدراسة بخاصة أن أثبت هنا بعض ما عرفته ،  
من هذه المحاولات .

فمن هذه الدراسات ، مقالات وبحوث  
نشرت في المجلات الأدبية ، كالثقافة والرسالة ،  
ومجلة كلية الآداب ، وصحيفة دار العلوم .  
ومنها دراسات مستفيضة نشرتها مجلة الأزهر

اتجاه جديد نحمده للدارسين ، ذلك  
هو العناية بالبلاغة العربية ، وقد نشطت -  
في السنوات الأخيرة - الدراسات حول البيان  
العربي ، وإن كانت لا تزال في أول الطريق ،  
وتشعبت الغايات من هذه الدراسة ، فبعضها  
يضع منهجا لتجديد البيان العربي ، وبعضها  
يكتفي بالاطعن على الطريقة التعليمية في هذا  
البيان ، وبعضها يؤرخ لنشأة البلاغة  
وتطورها ، وكلها جهود مشكورة تدل على  
ما يبذله الدارسون من جهد في سبيل التقدم  
بدراسة هي من أولى الدراسات بالعناية .

ومن للعجيب أن كل هذه الدراسات تحوم  
حول المشكلة ، ولا تجرؤ على اقتحامها ،  
قالذي وضع المنهج لتجديد دراسة البلاغة  
لم يضع بابا واحدا يمكن أن نعتبره أنموذجا ،  
والذين نظروا في الكتب القديمة فخللوا ،  
وأبرزوا ما فيها من نظريات لم يحاولوا  
كذلك أن يقولوا لنا : ماذا نعلم للناشئة ،  
هل نكتفي بعرض ما كتب المتقدمون أمام  
أعينهم ، أم لابد أن نرشدهم إلى ضوابط  
تعينهم وترشدهم ، وإذا كانت الضوابط

[١] من مقدمة كتاب البيان العربي .



يدرس فى كلية دار العلوم ، فغاياته تعليمية ، فمن الطبعى أن يكون النظر البلاغى غالبا عليه ، وقد قال مؤلفه : « وإذا كانت طبيعة هذا البحث تقتضى أن يكون منهجه منهجا تاريخيا ، لأنه يقوم على دراسة تطور الفكرة البلاغية ، إلا أن الدراسة الفنية لم تفارقه ، فقد أبرزت قيمة البلاغة وفنونها ، وآثارها فى قوة المعنى ، أو فى صورة ذلك المعنى ، كما أن هذه الدراسة تعتمد فيما تعتمد على أسلوب الموازنة بين الفكر والآثار ، ومدى التوافق أو التخالف بينها ، وحظ كل منها من الابتكار أو التقليد ، وبيان تأثيره بما قبله وتأثيره فيما بعده ، وفى كل ذلك كان رأى يطل فى تقويم تلك الجهود ، والإشادة بما يستحق منها الإشادة ، ونقد ما رأيت فيه بعدا عن طبيعة البحث البيانى بعد تقرير الفكرة وتوضيحها ، وعرضها عرضا مجردا يعتمد على النص الصحيح من غير تعصب ولا هوى ، أو محاولة لتحميل النص فوق طاقته من الاحتمال (١) .

وبهذا البيان الواضح . أبرز لنا المؤلف منهجه فى وضع كتابه ، وقد وفى بكل ما رسمه هنا ، غير أنى كنت أحب أن يطل بنظره أكثر ، لاسيما على بعض المشكلات التى وقف الدارسون عندها ، ولا يزالون يقفون ، مثل مشكلة التوفيق بين نظريتي عبد القاهر

فى المجلدات الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر عن كتب عبد القاهر ، وقدامة ، والآمدى ، والجاحظ ، وابن سنان ، وابن الأثير ، والباقلاوى ، وعلى بن عبد العزيز الجرجاني .

ثم أخرجت المطبعة كتابا قيمة - فى هذه الدراسات - منها كتاب (من الوجهة النفسية) للدكتور محمد خلف الله ، وكتاب ( بلاغة أرسطو ) للدكتور إبراهيم سلامه ، وكتاب ( أثر القرآن فى تطور النقد العربى إلى آخر القرن الرابع الهجرى ) للأستاذ محمد زغلول سلام .

ومن أمتنع هذه الكتب وأدقها كتاب ( النقد المبهجى عند العرب ) للدكتور محمد مندور وإن كان سبقه كتاب فى تاريخ النقد أكثر تركيزا ، وهو كتاب ( تاريخ النقد الأدبى عند العرب ) وقد نتبع فيه مؤلفه المرحوم طه أحمد إبراهيم ، تطور النقد العربى منذ جافليته إلى القرن الرابع الهجرى ، وطبع الكتاب فى سنة ١٩٣٧ م . ولكل كتاب من هذه الكتب - كما أشرت آنفا - زاوية ينظر منها فيما كتبه النقاد والبلاغيون السابقون وإن كان موضوع الدراسة واحدا وهى كتب النقد والبلاغة أو بعبارة أدق هى كتب معينة دارت حولها هذه الدراسات .

وكتاب ( البيان العربى ) نظر فى هذه الكتب من ناحيته الخاصة ، وهو كتاب



عن تأثر الجاحظ بكتاب ( الخطابة ) لأرسطو ، وذلك حيث يقول مرددا القول : « وقد رجحنا أنه إن لم يكن أدرك كتاب الخطابة لأرسطو مترجما ، فقد عرف ما فيه من أفواء النقلة الذين اعتزموا ترجمته ، والجاحظ يلقف الثقافة من الفهم والعقل ، كما يلقفها من الكتب ومن أسواقها » (١) . وهذا دليل لا ينتهي العجب منه .

وقد وقع صاحب البيان العربي في شيء من هذا ، حين قال تبعا لأستاذه إبراهيم سلامة بعد أن ذكر مناظرة أبي سعيد السيرافي ، ومتى بن يونس حول النحو العربي والمنطق اليوناني وانتصار أبي سعيد للنحو العربي : « وذلك هي حقيقة الأفكار التي تقناها عبد القاهر ، وصاغ منها كتابه دلائل الإعجاز » (٢) ومن قبل قال الدكتور إبراهيم سلامة : « عرضنا لهذه المناقشة بشيء من التفصيل لأهميتها في اتجاه عبد القاهر الجرجاني ، الذي جعل مدار كتابيه « دلائل الإعجاز » ، و « أسرار البلاغة » ، حول محور هذه المناقشة ( النحو والمعنى ) وما المعنى الذي أشاعه في الكتاب الثاني وجعله قرين اللفظ بل المتحكم فيه إلا المعنى العقلي الخاضع للنطق البريء من التناقض والإحالة . »

الجرجاني في اللفظ والمعنى ، وسيجيء لهذه النقطة مزيد بيان .

وقد أعجبني من المؤلف اعتداله ، وإنصافه لعلمائنا ، وإصراره على أصالة البيان العربي ، إلا حين يقوم الدليل الحاسم على أن المؤلف احتذى أو نقل من البلاغة اليونانية ، وقد عاب على بعض الباحثين من المعاصرين أنهم حكموا بالاحتذاء والتقليد لبلاغة اليونان لمجرد أنهم رأوا صفات مشتركة ، وملاح متشابهة بين البيان العربي وغيره . أو بين طرق النظر فيه ، وطرق النظر في غيره من الآداب الأجنبية ، واعتبر هذا بعيدا عن الإنصاف لأنه ينبغي أن ينظر إلى الأمور النظرة الطبيعية البعيدة عن آثار التحامل ، والبعيدة أيضا عن آثار الهوى والتعصب .

ولقد عرض الدكتور محمد مندور في بعض بحوثه لهذه الفكرة ، وحذر منها ، وقال : « وليس في ميدان البحث شيء أشق من التثقيب عن المؤثرات العقلية ، ولا أخطر ، وكم ظلم الباحثون رجال الفكر بدعواهم الأخذ عن هذا أو ذاك في غير دليل قاطع ، اللهم إلا أن يجهل الباحث نفسه فيقيم أدلة مصطنعة » (٣) .

قلت : ومن هذه الأدلة المصطنعة ، ما ذكره المرحوم الدكتور إبراهيم سلامة

[١] بلاغة أرسطو ص ٣٩٦ .

[٢] البيان العربي ص ١٦٧ .

[٣] مجلة الثقافة ص ١٢ العدد ٢١٩ . في بحث

تحت عنوان (النظم عند الجرجاني) .

كما أراد ، لأنهم قتلوا وأهلكوا ، وقوتلوا  
ولعنوا ، وما كان الله ليسعدو على أحد  
فتحديد الدعوة هذه .

قال المؤلف : ولا شيء على ابن قتيبة في  
هذا لأنه نظر إلى القرآن نظرة مجردة ، وقاسه  
على سنن العرب في كلامها واستعمالها ، أما  
ابن فارس فإنه ينظر نظرية دينية ، ويرى  
أن مثل هذا الإعلاق لا يصح أن يقال في  
كلام الله أو يوصف به دعاؤه ، والحقيقة  
أن الله تعالى ليس في حاجة إلى هذا ، وإنما  
هو أسلوب ألفه الفصحاء ، فجاء على منواله  
التعبير .

وكتعليقه على تحليل عبد القاهر لقوله  
تعالى : « وقيل يا أرض ابلعى ماك ... »  
الآية ( ص ١٧٠ ) .

وكذلك هشتت محاولته التقريب بين  
قواعد البلاغة النظرية وبين النقد  
الأدبى ، وصناعة الأدب ، حتى لا تكون  
البلاغة بمعزل عما خلقت له ، وهو درس  
الأدب وفهمه ، وتذوقه ونقده ، وهذا  
الاتجاه — كما يقول — يعيد على البيان  
شيئا من عظمتة ، ويحفظ عليه حياته وجدته .  
وكم كنت أتمنى أن يحقق المؤلف هذه  
الغاية ، وليس تحقيقها — فيما أرى —  
بأن نؤرخ لتطور البيان ، وعمل العلماء  
السابقين فيه ، ولكن تحقيقها يكون بأن

فالمؤلفان يريان أن عبد القاهر اطلع على  
هذه المناظرة ، وصاغ منها كتابيه ، ولو  
أردنا التعبير الدقيق في هذا الموضع لقلنا  
إن هذا مجرد فرض .

أولا لأنه ثابت في تاريخ عبد القاهر  
أنه لم يخرج من بلده جرجان ، وليس تبادل  
المعلومات في ذلك الزمان من السهولة بحيث  
يصل إلى عبد القاهر في القرن الرابع ما جرى  
من مناظرة في النحو في القرن الثالث .

وثانيا لأن عبد القاهر كان إماما  
في النحو ، حتى إنه كان يلقب بالنحوى ،  
وله فيه مؤلفات عظيمة ، وله آراء  
انفرد بها ، ونسب إليه في كتب النحو  
المتأخرة ، فلو فرضنا أن هذه المناظرة وصلت  
إلى عبد القاهر ، فمن الظلم للرجل أن نقول  
إنه ( صاغ منها كتابه ) إلا ما أشار إليه  
الدكتور مندور من اصطناع الأدلة .

كما أعجبني في المؤلف ، بعض تعليقات  
دلت على دقة في الفهم ، وحسن في الإدراك  
ومن هذه التعليقات ، رده على ابن فارس ،  
في نقده لابن قتيبة فقد قال ابن قتيبة في قوله  
تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » ، إن هذا  
دعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع ، فقال  
ابن فارس : وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره  
من الأمثلة فإنه لا يجوز لأحد أن يطلق فيما  
ذكره الله أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل  
هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم ، فكان

المصور المستقيرة النتائج الصحيحة ، ثم صاغوها قواعد ، وقالوا بأنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يخضعوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لهواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاما هو أحق أن يؤثر ويتبع<sup>(١)</sup>.

وهذه القواعد الجديدة - على الرغم من الصيحات المتتابعة - لم نضعها ، وما أظننا حين نضعها نستغنى عن قواعد (السكاكي) ومن هذا حذوه .

ولما أن نصوغ هذه القواعد التي بين أيدينا صياغة جديدة ، ونلتمس لها من كتب النقد والأدب شواهد جديدة . وحينئذ نكون قد قاربنا حقاً بين قواعد البلاغة النظرية وبين النقد الأدبي وصناعة الأدب . وهذا ما لم يفعله المؤلف .

على أن المؤلف ، ومن سبقوه ، وإن جهدوا جهدهم في خدمة البيان العربي ، وقفوا عند مباحث علم البيان ، وقليل من مسائل علم المعاني وعلم البديع ، ويكفي أن هذا الكتاب الضخم الذي يدرس في كلية مهمتها أن تخرج مدرسين للغة العربية خلا خلا يكاد يكون تاماً من الإشارة إلى فصول في علم المعاني ، لأن السكتب التي عني بدراستها لم تدون هذه

نصوص قواعد البيان من جديد في ظل القواعد والضوابط التي يمكن أن نستخلصها من هذه الكتب ، والذي أصل الجزء الأكبر منها السكاكي ومدرسته ، فكل ما أخذناه على هذه الضوابط ، وأخذنا غيرنا أنها (جافة) أي أنها لم تصغ في ظل النصوص الأدبية السكاكية .

وعندنا أمران لا ثالث لهما ، إما أن نضع ضوابط جديدة لهذه العلوم (علوم البلاغة) وهذه الضوابط أمر لا بد منه - كما يقول الأستاذ الزيات : (على أن الطبع والقريحة لا يغنيان في البلاغة عن الفن ، وإذا كانت القواعد هي النتائج التي استنبطتها الأذهان القوية من وسائل الطبيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن في البلاغة يجب أن يكون هو الشأن في سائر الفنون التي اخترعتها الغريزة وأصلحتها التجربة ورقاها المران ، فعمل البيان - إذن - هو الجزء النظري من فن الإقناع ، والبلاغة هي الجزء العملي منه ، هو يهيج الطريق ، وهي تسلكها ، وهو يملل الوسائل ، وهي تملكها ، وهو يرشد إلى ينبوع ، وهي تغترف منه ، والقواعد البيانية لم يضعها الواضعون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ، ودرسوا علاقتها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلاقات من الألم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب

[١] دفاع عن البلاغة ص ١٦ .

الفصول : ولأنه ليس من اليسير هضم هذه المسائل ، كما تيسر لكثيرين هضم مسائل علم الحياة .

١ - أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى صنيع بعض الكاتبيين ، وإفادتهم من كتابه دون أن يشيروا إليه قال : « وقد أفاد بعض الكاتبيين ، من خطة هذا الكتاب ومنهجه ، كما أفادوا بما أثار من فكر وآراء حول هذا البيان ، ومن المادة التي بذلنا في تحصيلها جهوداً يعلم الله مداها من غير أن يكلفوا أنفسهم أقل ما تقتضيه أمانة العلم وأيسر ما يقتضيه واجب رهاية الحق من إشارة إلى هذا البحث الذي أنار لهم الطريق » .

وإنه لشيء يؤسف له حقاً أن يستفيد باحث من منهج كتاب ومن آراء مؤلفه دون أن يكلف نفسه الإشارة إليه .

ولكن ألا يوافقني الدكتور أنه وقع في الغلظة نفسها ، إن بحوثنا وكتبا نشرت قبل أن يخرج المؤلف كتابه ، وفي هذه البحوث والكتب نفس المنهج ، ونفس الآراء ، ومع ذلك فقد راجعت ثبوت المراجع التي ذكرها المؤلف فلم أجدها ذكرها لهذه الكتب .

وقد أشرت في أول هذا البحث إلى بعض هذه الكتب ، ونسيت أن أذكر أقدمها ، وهو كتاب ( النثر الفني في القرن الرابع ) الذي وضعه الدكتور زكي مبارك ، وقد تحدث فيه

ولقد رأينا المؤلف حين وصل إلى البلاغة السكاكية أجمالها في فصل ، ولم يشر إلى جهود أتباع هذه المدرسة لأنه يراهم مقلدين في البلاغة ، مع أن دراستهم تعيننا على فهم البلاغة النظرية ، وهذا ما هنيت في كتابي ( تاريخ البلاغة العربية ) الذي ترجم لأشهر المؤلفين في البلاغة ، وبين طرائقهم في التأليف ، وعنى بصفة خاصة برجال المدرسة السكاكية الذين أهمل شأنهم الباحثون ، حتى أصبح متعلبون لا يعرفون عن الخطيب والسعد والسيد والأيحي إلا أسماءهم ، وحين يصدر هذا الكتاب سيتم هذه السلسلة التي وقف أكثرها عند القرن الرابع ، وبعضها ككتاب المؤلف قفز إلى العصر الحديث ، فتحدث عن أهم ما كتب فيه عن البلاغة ، ولكنه ترك فترة طويلة من الزمن دون أن يكشف الدور الهام الذي قام به رجالها في خدمة البلاغة النظرية .

وأنا - في الحقيقة - معجب بما يكتبه الدكتور طبانة في البلاغة والنقد ، غير أنني أحببت أن أقف معه رفة قصيرة في كتابه هذا ( البيان العربي ) لعل صدر المؤلف الفاضل

المؤلف اطلع على كل ما كتبه المعاصرون حول موضوعه ، أو على بعضه ، وأفاد بما قرأ ، ولكنه لم يكلف نفسه الإشارة إلى هذه المراجع .

إن المؤلف ينبئنا في مقدمة الطبعة الأولى أنه كتبها في سنة ١٩٥٥ م ومعنى ذلك أنه سبق بكتيب وبحوث كثيرة .

فالدكتور زكي مبارك أخرج كتابه سنة ١٩٣٤ م وأنا لا أعتقد أن كاتباً يكتب في البلاغة العربية - سيما إذا كان أستاذاً في جامعة - أو في الأدب العربي لم يقرأ هذا الكتاب ولم يستفد منه .

والدكتور محمد مندور أخرج كتابه في سنة ١٩٤٨ م ، وقد تحدث فيه حديثاً مستفيضاً عن ابن المعتز وقدامة ، والآمدي ، والجرجاني والعسكري ، وعبد القاهر ، كما تحدث عن موضوعات تتصل بالبيان العربي .

والاستاذ زغلول أخرج كتابه سنة ١٩٥٢ م وفيه تحدث عن أكثر الكتب التي عرض لها مؤلف البيان العربي ، وحللها .

والذين كتبوا في مجلة الأزهر نشروا دراساتهم ما بين سنتي ١٩٤٢ ، ١٩٤٥ م . فهل من حقنا أن نقول للمؤلف إنك استفدت من كل هذه الدراسات ولكنك لم تشر إليها .

عن بعض هؤلاء العلماء ، وعن مؤلفاتهم التي تحدث عنها مؤلف البيان العربي .

ولكن هل أشار المؤلف إلى هذا الكتاب وهل أشار إلى السكتب الحديثة التي سبقته في هذه الدراسات ، وإلى هذه البحوث التي نشرت في مجلة الأزهر ، والتي لا نجد فكرة في كتابه ولا تحليلاً - إلا ما قل - يخرج عما كتبه هؤلاء الكتاب ، في مؤلفات معينة تعرض لها المؤلف ، على أن هذه البحوث أوسع وأشمل مما كتبه صاحب البيان العربي . إنني لم أجد - في المراجع - ذكراً للكتاب بلاغة أرسطو ، وهو كتاب أستاذ من أساتيد المؤلف والمواقفة بينهما واضحة فيما حملاه من كتب مشتركة . بل لم أجد المؤلف أشار في المراجع إلى أحد من المعاصرين إلا لاستاذين اثنين ، الأستاذ أحمد الشايب ، والأستاذ أمين الخولي ، أف يكون معنى ذلك أن المؤلف لم يطلع على جهود أحد من المعاصرين غير هذين أو أنه اطلع ، ولم يستفد شيئاً ؟

لئن كان الأول فإنني أعده قصوراً من مؤلف في علم لم يراجع جهود الباحثين المعاصرين فيه ، ولئن كان الثاني ، فإنني أعجب كيف يسبقك كاتب برأى ، ثم تعيد أنه رأيه ، وتدعى بعد ذلك أنك لم تستفد منه . فلم يبق إلا الفرض الثالث ، وهو أن

التقنين (ص ٣٢٢) وأنه استمرار لقدامة بل بعث له ، وإن له دراية بالأدب العربي شعره ونثره (ص ٣١٥) . وأخيراً يقرر في غير موارد أن كتاب العسكري كان نقطة تحول النقد إلى بلاغة ، بل يجعل هذه العبارة عنواناً من عناوين كتابه .

فنحن لا نرى المؤلف زاد شيئاً عما ذكره الدكتور مندور ، وكل ما بينهما من خلاف أن المؤلف يقول عن أبي هلال : إن ذوقه أدبي رفيع (ص ١٢٠) وأن دراساته تعتمد على الفهم الدقيق والذوق الخبير بصناعة الأدب (ص ١٢٣) في حين يرى الدكتور مندور أن العسكري سقيم الذوق (ص ٣٢٣) وأنه يورد الأمثلة من نثر الصحاح بن عباد المسجوع السقيم ومن نثره هو نفسه الذي لا يقل سقماً عن نثر الصحاح (ص ٣٢٥) ، ويرى أن سبب فساد ذوق أبي هلال يرجع إلى فرط إعجابه بالبديع وأوجهه ، ويضرب لذلك أمثلة في (ص ٢٢٤) .

أما زكي مبارك فيعد نثر أبي هلال من الطبقة العالية ، وتعابيره من التعابير المشرفة ، ويراه من الشعراء المجيدين ، ويرى أن كتابه الصناعيتين ، كتاب جيد نادر المثال وهو كتاب أدب قبل أن يكون كتاب نقد ، وأن شخصية أبي هلال قوية جذابة .

والملاحظة التي لاحظها المؤلف ، من أن

الواقع أني — وإن لم أعرف المؤلف شخصياً — حسن الظن به إلى حد كبير ، فلهـل له عن هذا الاعتراض جواباً لا يحضرن .

وقد رأيت — قبل أن أوجه هذا الاعتراض المؤلف — أن اختار فصلاً من كتابه ، ثم أواجهه فيما كتب قبله ، فاخترت حديثه عن أبي هلال العسكري .

رأيت يذكّر أن أبا هلال من مدرسة الجاحظ التي تفضل الصياغة (ص ١١٩) وأنه عني بدراسة السرقات الأدبية (ص ١٢٠) وأن الكتاب زاخر بالدراسات النقدية (ص ١٢٣) وأن أبا هلال كان غزير العلم ، ولم يتحدث عن إعجاز القرآن في الكتاب مع أنه ذكره في المقدمة ، وأنه تناول البلاغة بروح أدبية ، وأخيراً قال : ( ويمكن القول بأن كتاب الصناعيتين يمكن أن يعد نقطة تحول في الدراسات البيانية والنقدية ، وأنه جنح بتلك المعالم الذوقية اتجاهاً قاعدياً بما وضع من أسس فن البلاغة التي يعد كتابه من أهم مصادرها ) .

أما الدكتور مندور فإنه يمتدح منهج العسكري في السرقات ويقول إنه وضع لهذه المشكلة أصدق حل (ص ٣٢٤) وأن كتاب الصناعيتين يمثل الأوج الذي وصل إليه مذهب البديع (ص ٣٢٥) وأن العسكري لجأ إلى

فمن نرى أنه اقتنى أثر أستاذه بل تابعه  
مقابلة حرفية ، حتى إنه قال بعد العبارات  
التي نقلناها : ( واكتفى بالاستشهاد بآية في  
فنون الكلام ومحاسنه كما استشهد بغيره من  
مأثور المنشور والمنظوم ) . فهل نجد فرقا  
بين عباراته هذه وما سبقها في هذه الملاحظة  
وبين عبارات أستاذه ؟ .

ينبغي أن نعترف بأن أى مؤلف ينتفع  
بالدراسات التي سبقت في موضوعه ولا عيب  
على المؤلف في ذلك ، ما دامت بمجهوداته  
معروفة ومشكورة في فنه ، ولكن العيب هو  
إغفال الإشارة بالآخرين .

( للحديث بقية )

على محمد حسن العمارة

أبا هلال ( قد ذكر في أول كتاب بالصناعتين  
أثر معرفة علم البلاغة في إثبات إعجاز كتاب  
الله تعالى ) ولكنه ( لم يبحث في كتابه شيئا  
ذا بال في القرآن أو في إعجازه ) هذه الملاحظة  
هي التي لاحظها أستاذه إبراهيم سلامه حيث  
يقول : ( يبين أبو هلال في أول كتابه عن  
غرض ديني هو معرفة الإعجاز في القرآن  
الكريم ... ولكنه بعد هذه المقدمة يهمل  
هذه الناحية تماما ، فيأتى على كتابه كله من  
غير أن يتعرض للإعجاز إلا بما يورده من  
الأمثلة القرآنية على سبيل الاستشهاد بالآيات  
إلى جانب الآيات من الشعر والعبارات من  
النثر إلا في الأقل النادر ) (١) .

[١] بلاغة أرسطو ص ٥٧ .

## من الشعر الجيد

قول محمود سامي البارودي :

وإن كان ذا عقل إذا لم يكن جد  
طلاب العلا مجد ، وإن كان لي مجد  
يعض عليها كفه الحاسد الوغد  
أصاب ، ولا يلوى بأخلاقه الكد  
وأقنع بالميسور يعقبه الحمد  
لعزته الدنيا ، وذات له الأسد  
وما خير قلب لا يدوم له عهد

أود وما ود امرئ نافعا له  
وما بي من فقر لهنيا ، وإنما  
وكم من يد لله عندي ونعمة  
أنا المرء لا يطغيه عز ثروة  
أصد عن الموفور يدركه الخنا  
ومن كان ذا نفس كنفسي تصدعت  
ومن شيمي حب الوفاء سجية

# دراسات في علم المعنى

« التيمانيك »

للدكتور كمال بشر

- ٤ -

المدارس الرئيسية في التفكير اللغوي بوجه عام وفي مشكلات المعنى بوجه خاص .

يقرر أولمان أن خير سبيل إلى تحديد مكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية ، وإلى معرفة الفروع المختلفة التي يمكن أن يتكون منها علم اللغة إنما يتحقق بالنظر في طبيعة الرموز اللغوية أو الوحدات التي يتألف منها التركيب اللغوي وهذه الرموز أو الوحدات التي يعنها أولمان هي رموز ووحدات من نوع معين ، تقتضى معرفتها الوقوف على أساس مهم من أسس البحث التي لم يتبعها هذا العالم في معالجة هذه القضية فحسب ، بل اتبعها كذلك في معالجة غيرها من القضايا اللغوية بوجه عام .

هذا الأساس هو ما ذهب إليه من وجوب التفريق بين جانبيين من جوانب الكلام الإنساني .

الجانب الأول هو ما سماه دي سوسير de Saussure - رائد هذه الفكرة الثنائية - «الكلام» parole ، والجانب الثاني «اللغة»

لقد كشفنا في البحث السابق <sup>(١)</sup> عن آراء بعض اللغويين فيما يتعلق بمكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية وعلاقته بغيره من فروع علم اللغة ، وسوف نحاول الآن أن نكمل ما بدأناه فنأتى على وجهات نظر أخرى في الموضوع نفسه ، حتى نقبين لنا حقيقة الأمر في هذه القضية التي تلزم معرفتها قبل الدخول في أية تفصيلات ، وذلك لأن هذه القضية - في نظرنا - هي الأساس الذي تبنى عليه مناهج البحث المختلفة التي يتبعها العلماء في دراسة هذه التفصيلات نفسها ، أو بعبارة أخرى ، إن التعرف على آراء الدارسين لإزاء هذه القضية هو السبيل الأول إلى فهم كل ما يعرضون له من مشكلات فرعية تتعلق بالمعنى اللغوي .

وقد رأينا أن نقصر كلامنا هنا على ما ذهب إليه في هذا الشأن عالمان مشهوران ، هما أولمان Ullmann وفيرث Firth ، وبذلك يتم لنا الوقوف على تلك الآراء التي تشمل

[١] انظر العدد السابق من هذه المجلة .



الكلام إنما يفعلون ذلك لارغبة في التعرف عليه وعلى خصائصه ، وإنما يهدفون إلى اللغة وحقاقتها من خلال دراسته .

ووححدات اللغة عند أولمان - طبقا للفهوم الذى أشرنا إليه سابقا - تتكون من ثلاث مجموعات ، هى :

( أ ) الوحدات الصوتية أو ما يسمى بالفونيمات phonemes .

( ب ) الكلمات أو بعبارة أدق ، الصور الذهنية للكلمات word-engrams .

( ج ) التراكيب أو بعبارة أدق ، الصور الذهنية لهذه التراكيب syntagmas .

وهذه الوحدات من الممكن دراستها والنظر فيها من نواح أو زوايا ثلاث ، لا يعيننا منها فى هذا المقام إلا اثنتان فقط ، هما :

( أ ) وظيفة هذه الوحدات .

( ب ) التركيب الداخلى لهذه الوحدات .

فوظيفة للفونيمات ( ومفردها فونيم ) التفريق بين الكلمات أو بين معانى هذه الكلمات ، وذلك كالتفريق الذى نلاحظه بين « كال ، ودجال ، مثلا ، بسبب وجود الفونيم المسماة « كافا » فى الكلمة الأولى و « دجيا » فى الكلمة الثانية . ووظيفة الكلمات هى الدلالة أو استدعاء الفكر ، أو صور الأشياء المشاؤ إليها بهذه الكلمات . أما وظيفة التراكيب

langue . والرأى عند هذين العالمين - كما هو الرأى عند جميع أقباع هذه المدرسة - أن الكلام شىء فردى ، ومادته الأحداث اللغوية الحقيقية ، أى الأصوات والكلمات والعبارات والجل المنطوقة المسموعة بالفعل ، وهذه المادة المنطوقة المسموعة على اختلاف أنواعها تترك فى إثرها مجموعات من الآثار أو الصور العقلية التى تنطبع وتستقر فى ذهن الجماعة اللغوية المعينة ، وهذه الآثار أو الصور التى تمثل الأحداث اللغوية ومدلولاتها معاً - هى مادة اللغة التى يتم بها التفاهم فى المجتمع المعين (١) .

ومعنى هذا أن هناك فرقا بين مادة الكلام ومادة اللغة . أو بعبارة أخرى ، إن رموز الكلام ووحداته تختلف عن رموز اللغة ووحداتها ، فالوحدات الأولى تنسم بالطابع المادى ، أما الثانية فهى وحدات عقلية أو ذهنية . والوحدات التى يعينها أولمان فى هذا المجال والتى يبنى عليها رأيه هنا هى وحدات اللغة لا وحدات الكلام ، وذلك لأن اللغة عنده - وعند جميع من نهجوا نهجه - هى موضوع البحث فى علم اللغة ، وهى هدف الدارسين جميعا . أما الكلام فهو شىء ثانوى ولا يعنى به اللغويون إلا بوصفه وسيلة لا غاية فى ذاته ، أى أنهم إذا أقدموا على دراسة هذا

(1) See Ullmann, The principles of Semantics, pp. 27-8.

جانبان ، أحدهما الجانب الخارجى أو الدال  
signifiant على حد تعبير دى سوسير ،  
وثانيهما جانب المعنى أو المدلول signifié ،  
وهذان الجانبان قد يطلق عليهما أحيانا  
الصيغة والمعنى أو القالب والمضمون . وهذه  
الثنائية في عناصر هذه الوحدات تقتضى حتما  
ثنائية تقابلها في العلم الذى اختص بدراستها .

ومن ثم كان من الضرورى تفريع كل من  
علم الكلمات وعلم النحو فرعين اثنين . فعلم  
الكلمات يتفرع إلى علمى الصرف المعجمى ،  
والمعنى المعجمى ، أما علم النحو فيندرج تحته  
علم الصرف النحوى وعلم المعنى النحوى .

ولكن هذا التقسيم الثنائى لعناصر وحدات  
اللغة لا يطبق - عند أولمان - على الوحدات  
الصوتية أو الفونيات ، وذلك لأنها -  
في نظره - خالية من عنصر المعنى ، وليس  
لها من وظيفة إلا مجرد التفريق بين الكلمات .  
فهى إذن وحدات ذات عنصر واحد ،  
ولا تحتل التشقيق والتنويع ، ومن ثم  
لا تقتضى تفريعا في العلم الذى يقوم بدراستها ،  
وهو علم الأصوات التنظيمى .

والنتيجة التى وصل إليها أولمان من هذا  
كله هى أن النظر في وحدات اللغة من الناحيتين  
السابقتين معاً - وهما ناحية الوظيفة وناحية  
التركيب - يؤدى حتما إلى تفريع علم اللغة  
على الوجه التالى :

( أ ) علم الأصوات التنظيمى .

( ب ) علم الكلمات :

فهى الإفصاح عن العلاقات بين الأشياء التى  
تمثلها الكلمات التى تتكون منها هذه التراكيب .  
ثم يقرر أولمان بعد ذلك أننا إذا نظرنا  
إلى هذه الوحدات من الناحية الأولى - أى  
من ناحية الوظيفة - وجب علينا أن نقسم  
علم اللغة ثلاثة فروع رئيسية ، كل فرع منها  
يقابل مجموعة معينة من هذه الوحدات ،  
ويعنى بدراستها والنظر فيها . هذه الفروع  
الثلاثة هى :

( أ ) علم الأصوات التنظيمى phonology

( ب ) علم الكلمات lexicology .

( ح ) علم النحو أو علم العلاقات اللغوية  
syntax .

فعلم الأصوات التنظيمى هو الذى يقابل  
الوحدات الصوتية أو الفونيات ، وهو الذى  
يختص ببحثها وتحديد وظائفها في اللغة .  
وعلم الكلمات وظيفته البحث في الكلمات  
ومشكلاتها ، أما النحو فيبحث التراكيب  
وهدفه بيان العلاقات بين مفردات هذه  
التراكيب .

ولكن هذا التقسيم الثلاثى لفروع علم  
اللغة سوف يتعرض لشيء من التغيير أو  
التعديل ، إذا ما نظرنا إلى وحدات اللغة من  
زاويتها الثانية ، وهى زاوية تركيبها الداخلى .  
يرى أولمان أن وحدات اللغة ، أو بعبارة  
أدق ، أن وحدات المجموعتين الأخيرتين  
منها - وهى الكلمات والتراكيب - لها

ما يكون البحث في المعنى على مستوى الكلمة المفردة ، وهذه المرحلة من اختصاص « علم المعنى المعجمي » ، وهو ذلك العلم الذي عينه أولمان لدراسة معاني الكلمات دراسة عامة ، على نحو ما هو معروف ومألوف في صناعة المعجمات . ومن الواضح أن « علم المعنى المعجمي » إنما يعنى بناحية المعنى أو المضمون أو المدلول فقط ، أما الناحية اللفظية المحضة فيتولى شأنها قسمه الآخر في التفريع السابق وهو « علم الصرف المعجمي » . فهذا العلم الأخير إنما يركز كل اهتمامه على البحث في أصول الكلمات وفي طرق تركيبها واشتقاقها وما إلى ذلك من قضايا خاصة باللفظ أو الدال signifiant ، كما يحلو لبعض اللباحثين أن يسموه .

أما المرحلة الثانية التي نتعرض فيها لعلم المعنى فتتمثل في دراسة المعنى على مستوى العبارة والجملة . وهذه المرحلة هي مجال البحث فيما سماه أولمان « علم المعنى النحوي » ، ويعنى به ذلك العلم الذي يتولى الكشف عن وظائف الوسائل النحوية المختلفة التي تستعملها اللغة للإفصاح عن العلاقات ، بين الأجزاء أو الوحدات المكونة للجملة أو العبارة . ومن هذه الوسائل التنعيم أو موسيقى الكلام ، وطرائق نظم هذا الكلام ، والسوابق واللاحق التي تغير المعنى الأساسي للكلمة ، وكذلك الأدوات على اختلاف أنواعها ، كحروف الجر

١ - علم الصرف المعجمي

lexical morphology

٢ - علم المعنى المعجمي

lexical semantics

(ج) علم النحو :

١ - علم الصرف النحوي

syntactic morphology

٢ - علم المعنى النحوي

syntactic semantics

ويرى أولمان أن هذا التفريع من أقرب التفريعات إلى المثالية والكمال ، وأن منطق الأشياء يشير إلى ضرورة الأخذ به ؛ لأن فيه — على حسب ما يفهم من كلام هذا الباحث — ما يقابل حاجة اللغة وما يشبع رغبة الدارس المدقق في الحصول على مناهج علمية واضحة الحدود والمعالم : مناهج تيسر له سبل البحث في الظواهر اللغوية المختلفة بحسب لا خلط فيه ولا اضطراب .

ومهما يكن الرأي في مثالية هذا التقسيم أو عدم مثاليته ، ومهما تكن نظرنا إلى الأسس والمبادئ التي بنى عليها ، فإننا نستشف منه أن صاحبه قد عنى بعلم المعنى عناية فائقة ، وأنه لم يأل جهداً في إبراز هذه الأهمية وتأكيدها . فهو — وإن لم يجعل هذا العلم قسماً للفروع الرئيسية ومقابلاً لها — قد أوجب على الدارسين تنالته والتعرض له على مرحلتين اثنتين : المرحلة الأولى عند

بالمصطلح المشهور : علم المعنى أو السيماتيك Semantics ، فهذه المدارس حين تستعمل هذا المصطلح لا تعنى به إلا ذلك العلم الذى يعنى بدراسة معانى الكلمات على مستوى المعجم ، سواء أكانت هذه المعانى معانى أساسية أو أولية أم معانى فرعية أو ثانوية. أما ذلك الفرع الآخر الذى سماه أولمان « علم المعنى النحوى » ، والذى قرر أن وظيفته هى بيان العلاقات بين عناصر الجملة وبيان المعانى النحوية لهذه العناصر — أما ذلك الفرع فلا يدخل فى مفهوم المصطلح « سيماتيك » ، عند أصحاب هذه المدارس : إن هذا الفرع يقابل ما يعرف عندهم « بعلم النحو » ، بمعناه الفنى المعروف لدى أغلبية اللغويين . على أن الناظر المدقق فى وظيفة علم النحو عند هؤلاء ووظيفة علم المعنى النحوى عند أولمان سوف لا يجد فروقا جوهرية بين هذين العلمين ، وإنما تتمثل الفروق فى بعض القضايا الجزئية التى ترجع فى أساسها إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

(١) اختلاف الدارسين فى المبادئ التى يبنى عليها تقسيم علم اللغة إلى فروع مختلفة كبدأ التفريق أو الفصل بين جانب اللفظ وجانب المعنى للسلام الإنسانى ، أو عدم الفصل بينهما ووجوب النظر إلى الحدث اللغوى على أنه وحدة متكاملة .

وحروف العطف إلخ . ومن وظائف علم النحو أيضا « بيان المعانى النحوية لأنواع الكلمة » ، كالأسماء والأفعال والأدوات ، وبيان « الدلالات التى تنبئ عنها أجزاء الجملة »<sup>(١)</sup> ، كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وكذلك يدخل فى نطاق هذا العلم البحث فى الوحدات العليا للغة ، كالنظر فى أنواع الجمل ، من استفهامية وإثباتية مثلا ، وكالنظر فى هذه الجمل من حيث استقلالها أو اعتمادها على غيرها وارتباطها به . ومن البديهي أن وظيفة هذا العلم مقصورة على بيان جانب المعنى النحوى أو الوظيفة النحوية للوسائل أو الوحدات التى تتألف منها العبارات والجمل . أما جانبها اللفظى فهو من اختصاص « علم الصرف النحوى » ، وهو ذلك العلم الذى تنحصر وظيفته فى بيان نوع هذه الوسائل والوحدات ، والكشف عن خصائصها المميزة لها من الناحية اللفظية أو الصرفية المختصة .

من هذا يتبين لنا أن أولمان قد وزع مباحث المعنى اللغوى على فرعين اثنين من فروع علم اللغة ، ولم يقتصرهما على فرع واحد ، كما فعل غيره من الدارسين . والفرع الأول منهما — وهو علم المعنى المعجمى — هو فى الواقع ما تعنيه بعض المدارس الأخرى [١] انظر أولمان : المرجع السابق ص ٣٤ .

الميادين اللغوية التي يرى كل منهما أنها تنصوى تحت لواء علم المعنى . يرى بلومفيلد - كما سبق بيانه في موضعه (١) - أن هذا العلم يتفرع ثلاثة فروع هي ما سماها : المعجم ، الصرف ، النحو ، ويذهب أولمان إلى تقسيمه قسمين اثنين هما : علم المعنى المعجمي وعلم المعنى النحوي . فالمعجم عند بلومفيلد يقابل علم المعنى المعجمي عند أولمان ، والنحو عند الأول يقابل علم المعنى النحوي عند الثاني . وجدير بالذكر أن كلا من الفرعين المتقابلين يتفق مع الآخر في وظيفته ومجال اختصاصه ، وليس بينهما من فرق إلا في التسمية ، وإلا في بعض القضايا الجزئية التي يرجع الخلاف فيها إلى بعض المبادئ الخاصة بمناهج البحث اللغوي عند كل منهما . وهذه المبادئ نفسها هي التي دفعت بلومفيلد إلى أن يجعل « الصرف » - بالمفهوم الذي ارتضاه هو - فرعاً من فروع علم المعنى . ومهما يكن الأمر فمن الواضح أن كلا من هذين اللغويين قد اهتم بعلم المعنى اهتماماً فائقاً . وحاول جاهداً توسيع دائرته ومجالاته بحيث يشمل جوانب لغوية ، هي في الواقع من اختصاص علوم أخرى مستقلة عن علم المعنى . فعلم النحو مثلاً ، أو ما سماه أولمان علم المعنى النحوي لا يدخل في نطاق السيانتيك بالمعنى الذي يرتضيه من يعتاد بآرائهم من اللغويين

(٢) اختلاف وجهات نظرهم في مكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية ، وفي وظيفة هذا العلم .  
(٣) اختلاف الرأي في تحديد معنى « المعنى » نفسه .

والحق أن أولمان نفسه قد صرح أكثر من مرة بأن المصطلح « سيانتيك » ، حين يستعمل استعمالاً عاماً أي بدون ذكر صفة تحدد المقصود منه وتعيينه ، يجب أن يؤخذ على أن المراد به إنما هو الفرع الأول فقط وهو علم المعنى المعجمي . أما إذا كانت الدراسة تعنى ببيان العلاقات بين أجزاء الجملة ، وبيان المعاني النحوية لهذه الأجزاء . فعلى الدارس حينئذ أن ينص صراحة على أن المقصود هو علم المعنى النحوي أو السيانتيك النحوي . وكل ما يعنيه أولمان بهذا التفسير هو مجرد وجوب تحديد المراد بالمصطلح « سيانتيك » ، حين استعماله ، لا وجوب قصره على فرع واحد من الدراسات اللغوية كما فعل أتباع المدارس الأخرى .

وهذا الإيضاح الأخير يقودنا إلى القول بأن نظرة أولمان إلى علم المعنى وإلى مكانته في الدراسات اللغوية تلتقي - أو تسكد تلتقي - مع نظرة بلومفيلد إلى الموضوع نفسه . ويظهر هذا الالتقاء أو التشابه بين النظرتين فيما لو قارنا بين مسلكي هذين العالمين تجاه

[١] انظر العدد السابق من هذه المجلة : ص ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ .

وأصرح . لقد قرر هذا العالم منذ البداية أنه سيبنى تفريعه لعلم اللغة على مجموعة من الأسس ، منها الاعتماد على طبيعة التركيب الداخلي ، للوحدات أو الأحداث اللغوية ، وعلى النظر إلى هذه الوحدات أو الأحداث على أنها مكونة من جانبين متميزين : هما جانب اللفظ وجانب المعنى ، ومن ثم جاء تفريعه النهائي لهذا العلم مطابقا تمام المطابقة لهذا الأساس الذي ذكره . وهذا الأساس نفسه يتمشى بدوره مع مبدأ آخر يؤمن به أولمان : ذلك هو مبدأ تقسيم الكلام الإنساني قسمين ، الأول ما سماه « اللغة » language والآخر ما سماه « الكلام » speech ، قاصدا باللغة تلك القضايا والعناوين اللغوية المخزونة في ذهن الجماعة ، وبالكلام تلك الأحداث الفعلية الصادرة من المتكلم للفرد أثناء الكلام الحقيقي <sup>(١)</sup> .

وليس يخاف أن هذه النظرة إلى الحدث اللغوي وإلى الكلام الإنساني تتضمن فكرة « الثنائية » ، فهما ، تلك الثنائية التي سبق أن رفضناها بكل أنواعها ، والتي أنكرنا على الدارسين الأخذ بها في الدراسات اللغوية <sup>(٢)</sup> ، ومن ثم كان لابد لنا من رفض ما بنى عليها من قضايا ومشكلات ، ومن هذه القضايا

المعاصرين ، وكذلك الصرف ليس من السيماتيك في شيء عندهؤلاء اللغويين وغيرهم . وكذلك يظهر الاتفاق بين أولمان وبولومفيلد في قضية أخرى لا تتصل بعلم المعنى وحده ، وإنما تتعلق بجميع فروع الدراسات اللغوية كما تتعلق بالمبادئ التي يبنى عليها تفريع هذه الدراسات إلى تلك الفروع . هذه القضية تتمثل في نظرتهما إلى الحدث اللغوي ( كلمة كان أو جملة أو عبارة ) كما لو كان مكوناً من جانبين أو عنصرين متميزين ومنفصلين : أحدهما عنصر اللفظ أو الدال أو القالب والثاني عنصر المعنى أو المدلول أو المضمون . ويشهد على إيمانها بهذه النظرة ذلك المسلك الذي سلكاه في تقسيم علوم اللغة ، فقد حرص كل منهما على تقسيم هذه العلوم بطريقة تضمن - بل تؤكد - تخصيص بعضها لدراسة الجانب الأول وهو جانب اللفظ ومرادفاته ، وبعضها الآخر للبحث في الجانب الثاني وهو جانب المعنى أو المدلول أو المضمون . ولسنا نظن أن هناك سببا آخر دفع ببولومفيلد إلى تقسيم علم اللغة قسمين رئيسيين هما : علم الأصوات وعلم المعنى <sup>(٣)</sup> ، حتى يكون هناك تقابل تام بين هذين العليين وبين الجانبين المذكورين . أما بالنسبة لأولمان فالأمر أوضح من هذا

[١] انظر ص ٨٧ - ٩٠ .

[٢] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨٠

- ١٣٨١ ، ١٣٨٥ .

[٣] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨١ .

يجمل نظريته هذه نظرية لغوية صرفية ، تستمد مبادئها وأسسها من الواقع اللغوي نفسه ، وترى إلى بيان الحقائق اللغوية كما هي ، بدون إقحام عامل الذاتية أو الافتراض والتخمين فيها . وكان ينكر على غيره من اللغويين التجاءهم إلى بعض العلوم الأخرى يستمدون منها العون في معالجة قضاياهم اللغوية وتفسيرها ، ويشدد هذا الإنكار ويقوى حين يحاول هؤلاء اللغويون أن يجمعوا أو يخلطوا بين مبادئ هذه العلوم - كلها أو بعضها - وبين مبادئ الدراسات اللغوية . فهذا المسلك - عنده - إنما يؤدي في النهاية إلى تكوين منهج واه ضعيف ، تنقصه وحدة العناصر وتكاملها ، والنتيجة الحتمية لتطبيق هذا المنهج هي الخلط في الدراسة والاضطراب والزيغ فيما يصل إليه الدارس من نتائج .

### دكتور كمال بشر

مدرس علم اللغة العام

بكلية دار العلوم

( البقية في العدد القادم )

ذلك التقسيم الذي أتى به أولمان هنا خاصا بعلوم اللغة ، وتلك الوظيفة التي عينها لعلم المعنى .

أما رأينا في هذه المشكلات وفي مشكلة علم المعنى ومكانته في الدراسات اللغوية فيعتمد في أساسه على منهج أستاذنا فيرث ، ذلك المنهج الذي شكله صاحبه بعد خبرة طويلة في البحث اللغوي ، دامت ما يقرب من الثلاثين عاما . وقد استطاع فيرث في هذه الفترة أن يكون نظرية لغوية جديدة أن تنسب إليه وحده فهو صانعها ومبتكر أصولها وواضع الخطوط العامة والخاصة التي ينبغي على الباحث اللغوي أن يتبعها في كل مراحل الدراسة . وكان أول ما وجه إليه الاهتمام في عمله هذا هو التخلص من كل أوجه القصور والنقص التي اتسمت بها النظريات والمناهج الأخرى ، والتي تتمثل في اعتماد أصحاب هذه النظريات والمناهج على المبادئ أو الأفكار الفلسفية والنفسية والمنطقية في بحوثهم . لقد قرأ هذا اللغوي الكبير منذ البداية أن

من ذخيرة لغتنا عراعر بمعنى سادة .

قال شرحبيل بن مالك يمدح معد يكر ب بن عكب :

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العري وعراعر الأقوام

( عن كتاب الأملاني لأبي علي الغالي )



# الإمام الأعظم أبو حنيفة

رسائل رابضة في مذهبه

للأستاذ عباس طه

عن محمد بن أبي حنيفة استنبطه الفقه النعماني :

لما لم يكن بدون معرفة حكم الله تعالى في الوقائع ، ولما كانت الحوادث في العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر ، وكان من المقطوع به أنه لم يرد في كل حادثة نص ، كان هذا من الدواعي إلى وجوب اعتبار الاجتهاد ليسكون بصدد كل حادثة لم ينص على حكمها ، وكان من الدواعي التي دعت الإمام الأعظم إلى إحداثه الفقه المستنبط أو التقديرى ، فوضع المسائل التي لم تقس وفرض نزول الحوادث التي لم تحدث ، وقدر وقوع الواقعات ، واستنبط لها الأحكام من أصول الشرع ، حتى إذا وقعت كان الإفتاء عنها قائماً ؛ إذ ليس من المتيسر دائماً وجود المفتي الذي يفتي الناس في حوادثهم التي تقع وتحدث لهم في كل يوم وفي كل مكان ، وكان بعض السلف لا يجيب عن مسألة إلا إذا وقعت بالفعل ولا يفتي في أمر لم يحدث ، روى الحافظ ابن عبد البر أن قتادة قدم إلى الكوفة فجلس في مجلس له وقال : سلوني عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجيبكم ، فقال جماعة

لأبي حنيفة قم فأسأله : فقام إليه وقال له ما تقول يا أبا الخطاب في رجل غاب عن أهله فظنت امرأته فقده فتزوجت ثم قدم زوجها الأول فدخل عليها وقال لها : يا زانية تزوجت وأنا حي ، ثم دخل زوجها الثاني فقال لها تزوجت يا زانية ولك زوج . كيف يكون اللعان فقال قتادة وهل وقعت هذه المسألة فقال أبو حنيفة وإن لم تقع فإننا نستعد لها حتى إذا وقعت كان جوابها حاضراً ، وعلى هذا المنوال أحدث أبو حنيفة الفقه التقديرى فكان بهذا وأمثاله مجدداً في الإسلام غير مدافع .

ولقد ارتضى جمهور العلماء هذه الطريقة فاقنننى بأبي حنيفة في هذا فقهاء الأمصار إلا أقلهم فقدروا المسائل وفرضوا وقوعها ثم استنبطوا أحكامها من أصول الشرع نسجاً على منوال أبي حنيفة وبذلك نما الفقه الإسلامى واتسع حتى صار بحراً زاخراً لا ساحل له وثروة غنية للجمع في التشريع والنظم الصالحة مع أنه كان قبل أبي حنيفة مقصوراً على الحوادث التي وقعت في ذلك العهد الأول .



شيء من تبرير أبي حنيفة في علم  
القضاء والاستنباط :

من بدع استنباط أبي حنيفة ومقدومه  
الفقهية وتوقد ذكائه وسرعة خاطره وتبريزه  
في علم القضاء ، وعلم القضاء غير معرفة الأحكام  
والبصر بالحلال والحرام ، فقد يكون الرجل  
بصيراً بأحكام الأفعال عارفاً بالحلال والحرام  
ولكنه لا يستطيع أن يقوم بفصل القضاء .  
أقول : من ذلك ما ذكره الإمام الحافظ  
ابن العربي في كتابه أحكام القرآن قال :  
بما يروى في معرفة أبي حنيفة بالقضاء  
أن رجلاً جاء وقال له : إن ابن أبي ليلى  
قاضى الكوفة جلد امرأة مجنونة قالت لرجل  
يابن الزائنين فحدها حدين في المسجد .

فقال أبو حنيفة على الفور : لقد أخطأ  
ابن أبي ليلى من ستة أوجه : الأول :  
أن المجنونة لا حد عليها لأن الجنون يسقط  
التكليف ، هذا إذا كان القذف في حال الجنون  
فأما إذا كان يُجن مرة ويفيق أخرى فإنه يحده  
بالقذف في حال إفاقته إذا قذف في حال  
إفاقته أيضاً .

الثاني : قولها يابن الزائنين فحدها من أجله  
حدين لكل أب حد وهو خطأ لأن حد القذف  
يتداخل ولا يتعدد بتعدد المقتذوف لأنه حق  
الله تعالى كحد الخمر والزنا ، ولو أن رجلاً قذف  
قوماً ما كان عليه إلا حد واحد .

فهل يجوز في شرع الله فرض المسائل  
واستنباط أحكامها قبل وقوعها كما فعل  
أبو حنيفة ؟ هذه مسألة تختلف فيها ولكن  
جماهير علماء الإسلام أجازوا ذلك مستدلين  
بأدلة كثيرة صحيحة . منها ما روى في صحيح  
مسلم ( ج ٢ ص ٩٨ ) عن المتنبي بن الأسود  
أنه قال : يا رسول الله : أرأيت إن لقيت  
رجلاً من الكفار فقتلني فضرب إحدى يدي  
بالسيف فقطعها ثم لاذتني بشجرة فقتلتني  
أسلبت الله . أفأقتله ، يا رسول الله بعد أن  
قالها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا  
تقتله . قال . فقلت : يا رسول الله إنه قطع  
يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفأقتله ؟ قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتله فإن  
قتلته فإنه بمنزلة من قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلة  
من قبل أن يقول كلمته التي قال . ففي هذا الحديث  
الشريف لم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المقصد عن فرض مسألة لم تقع بل أجابه عنها  
وبين حكمها فدل ذلك على جواز فرض المسائل  
واستنباط أحكامها قبل وقوعها ، وكان لإحداث  
أبي حنيفة لهذا الفقه المستنبط أو التقديرى  
موافقاً لسنة النبوية بل هو تطبيق عليها  
ونسج على منوالها واقتداء بعمل الرسول  
الكريم صلى الله عليه وسلم ، فمن عاب أبا حنيفة  
على ذلك فإنه لم يحط بالسنة خبراً ولم يعرفها  
معرفة أن حنيفة بها ، بل لم يعرف مذهب أبي  
حنيفة ولا مداركه الدقيقة .

وهذه من مناقب أبي حنيفة في حسن تمسكه بالطاعة لأولى الأمر .

ومن ذلك ما رواه الحسن بن أبي مالك أحد أصحاب أبي يوسف أن أبا حنيفة دخل إلى قاضي الكوفة ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضى حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه . انفذ لمن حضر من الخصوم بالدخول كأنه أراد أن يرى أبا حنيفة كيفية الإجراءات التي يتخذها مع الخصوم وكيفية أعماله في القضاء وإيضائه الحكم فدخل عليه الخصوم وتقدم إليه جماعة فحكم بينهم ثم تقدم إليه وجلان فقال أحدهما : أعزك الله إن هذا الرجل قذف أمي بالزنا وقال لي يابن الزانية وأنا أسأل القاضي أن يأخذني بحقي منه ، فقال ابن أبي ليلى للدعي عليه : ما تقول في هذا ؟ .

فقال له أبو حنيفة أتسأله عن دعواه وليس هو له بخصم ؟ إنه رمى بالزنا أمه فهل ثبتت وكالته هن أمه عندك ؟ قال لا فقال : أقبل على المدعي واسأله أحية أم أم ميتة ؟ فإن كانت حية فلا وجه لدعواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كان قولاً آخر فسأل ابن أبي ليلى المدعي فقال له أمك حية أم ميتة ؟ قال : بل ميتة ، قال له أقم عندى البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك فأقام عنده البينة بوفاتها ، فسأل ابن أبي ليلى المدعي

الثالث : أنه حد بدون مطالبة المقذوف ولا يجوز إقامة حد بإجماع الأمة إلا بعد المطالبة بإقامته .

الرابع : أنه والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال بينهما بل يحد لأحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ويستقبل المضروب ثم يقام عليه الحد الآخر .

الخامس : أنه حدها قائمة ولا تحد المرأة إلا في حالة مستورة .

السادس : أنه أقام الحد في المسجد والحدود لا تقام في المساجد إجماعاً .

ثم قال ابن العربي : إن هذا الذي قاله أبو حنيفة على البدية لا يدركه أحد بالرواية إلا العلماء الماهرون الراصون في العلم وهو يدل على معرفته بعلم القضاء .

لم يبلغ ابن أبي ليلى هذا النقد شكاً بأباحتهم للوالى وقال له : إن بالكوفة شاباً يعارضنى في الأحكام ويشنع على بالخطأ فمنعه الوالى من الفتوى ولزم بيته . ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فاستفتى أبا حنيفة فيها فأفتى بما استحسنته عيسى وأذن له بالفتوى فجلس في مجلسه كما كان . وفي رواية أخرى أن امرأة استفتته يوماً بأنه خرج من أسنانها دم وهى صائمة فبصقته حتى عاد الريق أبيض فهل تفتل إذا بلعت الريق فأمر أبو حنيفة ولده حماداً أن يفتيها وقال لها : إن الوالى منعى من الإفتاء ،

الآن فسل المدعى عليه عن دعوى المدعى  
فسأله فأنكر فقال للمدعى ألك بيعة قال : نعم  
جماعة من وجوه أهل الكوفة ، قال فأحضرهم  
مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه ثم نهض  
أبو حنيفة وانصرف . فمن هذه الوقائع يتبين  
تبريز أبي حنيفة في علم القضاء واستنباطه  
وسرعة خاطره وتوقد ذكائه ومقدرته الفقهية  
التي بلغت في التجديد في الدين أعلى الدرجات .  
نقول لو صح هذا كله لكان ابن أبي ليلى  
غير جدير بتولى القضاء . فإن ما لاحظناه  
أبو حنيفة عليه من الإجراءات الأولية فنحن  
نشك في صحته وإنما أوردناه لمأفيه من  
الطراوة ودلالة على اعتراف الجماهير بصدق  
نظر أبي حنيفة في إدارة شئون التقاضى  
مع أنه لما دعى لتولى القضاء أبى أن يقبله  
تورعا ، وشدد عليه في القبول فأصر على  
الإباء وهكذا يتحفظ العالم في إجابته أمانة  
في أداء الفتوى وخروجا من العهد أمام الله  
والناس حتى يظل العالم خليقا بمحمل أمانة  
ما يفق فيه ؟

عباس ط

عليه عن دعوى المدعى فقال له أبو حنيفة  
سل المدعى هل لأمه وارث غيره ؟ فإن كان له  
لأخوة كانت المطالبة له ولهم وإن كان هو  
وحده كان قولنا آخر . فقال ابن أبي ليلى  
للمدعى هل لأمك وارث غيرك ؟ قال لا قال  
فأقم عندى البيعة بذلك فأقام البيعة بأنه وارث  
أمه ولا وارث لها سواء فذهب ابن أبي ليلى  
ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعى فقال  
أبو حنيفة : سله عن أمه أحره أم أمه ؟  
فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرة أم أمه ؟  
قال بل حرة : قال فأقم عندى البيعة فأقام بيعة  
بذلك ، فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه  
فقال أبو حنيفة : أسأله أمسلة أم أمه معاهدة ؟  
قال : هي حرة مسلة من بنات آل فلان  
سراة بالكوفة قال فأقم عندى البيعة بأنها  
مسلة فأقام البيعة عنده بأنها مسلة ، ثم أقام  
البيعة على أن أمه عفيفة عن وطء نحبده ، وأن  
ذلك الرجل لم يقذفها في حياتها وأنها ساعته  
من حد القذف لأنه إذا قذفها وهي حية  
وساعته من الحد لم يحدهم بقذفها . ثم قال  
أبو حنيفة لابن أبي ليلى بعد ذلك شأنك

قال الشاعر :

فيا بك أن تغتر يا صاح بالهوى فإن الردى حلف الهوى وهقيد

# هَائِقًا عَنِ الْإِسْلَامِ

## المسلمون السود في أمريكا

للاستاذ عباس محمود العقاد

### The Black Muslims In America

التحقيق هذه أو يكلف القارىء تصديق  
عالمًا يقبل التصديق من دخائل تلك الحركة .  
ولا غرابة في حرص الدكتور أريك  
لنسكون على تحقيق أخباره عن حركة كبيرة  
من حركات أبناء قومه في بلاده . لأنه لا  
يستطيع أن يتنكر لشعوره بالقرابة الحيمة  
بينه وبين من يكتب عنهم وإن نشأ على  
عقيدة غير عقيدتهم ، وربما كان انقسابه  
إلى طائفة مسيحية كاطائفة « الميثودية » سببا  
آخر من أسباب الصدق في وصف هيوب  
المجتمع الغربى وتسويغ الشكاية التى يشكوها  
الناقون على تلك العيوب ومنهم السود  
الأمريكيون ، فإن الطائفة الميثودية إنما  
نشأت وانتشرت بعض الانتشار فى القرن  
الماضى لأنها دعوة صارمة إلى إصلاح تلك  
العيوب وتبديل العادات والتقاليد التى من  
أجلها تبرمت طائفة السود بالحياة الاجتماعية  
بين البيض فى القارة الأمريكية ، وقد يكون

فى هذا الكتاب بيان واف عن حركة  
جدية فى مقدمة الحركات الإسلامية المعاصرة  
بالقارة الشمالية من بلاد العالم الجديد ، منذ  
سنة ( ١٩٣٠ م ) إلى اليوم .  
ومؤلف الكتاب قس من الأمريكيين  
السود يسمى أريك لنسكون ينتمى إلى الطائفة  
المسيحية التى تعرف باسم المنهجيين أو  
الميثوديين Methodists ويدرس الفلسفة  
الاجتماعية بإحدى كليات « أتلانتا » ويكاد  
يتخصص لدراسات التى تتعلق بمذاهب السود  
فى القارتين الأمريكيتين .

وقد دلت طريقته فى وصف حركة الدعوة  
الإسلامية بين السود الأمريكيين على عناية  
بالصدق فى تحرير الوقائع والبحث عن مصادر  
الأخبار ، فهو - فيما عدا بعض العقائد التى  
ينسبها إلى السود المسلمين ونستبعد أن يدين  
بها أحد ينتسب إلى الإسلام - لم يذكر خبرا  
من الأخبار التاريخية يشير الريبة فى نية

باقترار أولئك الدعاة على تعويد أتباعهم ، بعد فترة وجيزة ، أن يستقيموا على حياة العفة والورع وإن كانوا قبل ذلك من مدمني السكر ومقارفي الشهوات وملتمسي الكسب من أنواع المحرمات والموبقات .

ويشهد المؤلف لمؤسس الدعوة ( فراج محمد ) أو فراج محمد على بحسن تدبيره لأمر الدعوة وتنظيم برنامجها واتباع الخطة التي تجتدي في التوجيه وصيانة الحركة على سوائها ما ليست تجديه خطة أخرى في مكانها ، ومن آثار هذه الخطة المنتظمة أن أتباعه بلغوا بعد سنوات نحو مائة ألف ( وقد يزيدون ) وأنهم أقاموا لهم بين الولايات الشمالية نحو سبعين مسجدا وزاوية للعبادة عد المدارس والمكاتب وأندية الاجتماع والمحاضرة ، ومن دلائل تدبيره أنه كان يخفي عدد أتباعه ويتجنب الخوض بهم في غمار الانتخابات ويوصى أتباعه بمثل ذلك إلى أن يحين الوقت لاستخدام أصواتهم على الوجه المقدور في ترجيح فريق على فريق من الخصوم السياسيين .

ويحيط المؤلف لإمام الدعوة بجموع الغرابة يلائم جو « الغيب » الذي يأتي من قبله رسل الدعوات ، فقد حضر إلى « ديترويت » حوالى سنة ( ١٩٢٠ م ) ولم يحفل بحضوره أحد قبل بضعة شهور ، لأنه كان يحترف ببيع

في بيان تلك العيوب على حقيقتها شيء من الاعتذار عن إخفاق الدكتور أريك لنكون وزملائه السود في تبشير أبناء قومه بمذهبهم المسيحى ، لأنه يقول ويستشهد على قوله بكلام المؤرخ الكبير « توينبى » إن السود شعروا بخيبة الرجاء حين دانوا بمذهب من المذاهب المسيحية ثم وجدوا أن وحدة الدين لم تغن عنهم شيئا لدفع المهانة عنهم ولا لحمايتهم من ظلم التفرقة بينهم وبين البيض في معاملاتهم وعلاقاتهم الشخصية أو الاجتماعية ويراى من بين السطور اعتذار آخر عن إخفاق المبشرين السود في ضم أبناء قومهم إلى زمريتهم . فإن مؤلف الكتاب يلاحظ أن رؤساء الكنائس يرفعون عن قبول الشذاذ والوضعاء وذوى الشبهات بين أتباع كنائسهم ، في حين إن الدعوة الإسلامية قد أسفرت عن نجاحها التام في إصلاح هؤلاء المنبوذين بعد امتزاجهم بأبناء البيئة الإسلامية . وقد يكون توكيد هذا النجاح عذرا للدكتور أريك لنكون وزملائه من ذلك الإخفاق الذى يمتنون به كلما حاولوا أن يضيعوا صنيع الدعاة المسلمين الذين يرحبون بمن يستجيبون لدعوتهم وينشئونهم نشأة أخرى كما يقول المؤلف بغير مواربة في شهادته لمؤسسى الدعوة الإسلامية الأولين ولمن خلفهم على هداية أتباعهم المؤمنين ، فلا يخفى المؤلف إعجابه

الأقارب ، فإنه أناب عنه أكبر مرديه السيد محمد إيليا ، ثم انزوى عن الأنظار ولم يرجع من غيبته تلك إلى هذه الساعة ، وقيل عن أسباب احتجاجه إنه ينتظر ساعته الموعودة ، وقال كثيرون إنه ذهب ضحية لمكائد أعدائه الدينيين أو السياسيين ، ولم يستبعد فريق من أبناء الإقليم أنه اغتيل وأن اغتياله كان على يد ناس من أتباعه المنشقين عليه ، لأنه كان مجرد حملته السياسية لعداوة الرجل الأبيض ولا يوصى أتباعه بالولاء للدولة القائمة في البلاد ، وانفشت عليه فتنة من أتباعه أشفقوا من تعريض الحركة كلها لبطش الدولة باسم القانون نخالفوه وجهروا بولائهم للسلطة الدينية مع احتفاظهم برسالتهم الدينية والثقافية ، وإلى بعض هؤلاء المنشقين يعزى اغتياله على قول أناس من شيعة وأناس من مخالفه .

وكل ما ينسبه مؤلف الكتاب إلى هذه الدعوة يدخل في باب الاحتمال المقبول إلا ما يرويه عن شيعة قليلة اعتقدت فيه أنه إله تجسد لينقذ خلافة المظلومين ، وأنه ظهر بالجسد على صورة إنسان من السود لأنه أراد أن يطهر الأرض من فساد الرجل الأبيض ويسلمها لأيدي السود من ضحايا ذلك الفساد .

فنحن نستبعد أن يشيع هذا الاعتقاد

الملابس والمنسوجات ولم بلغت إليه الأنظار إلا بعد افتتاح البيت الأول للوعظ والصلاة فلما التفت إليه ولاية الأمر ومستطام الأخبار بحشوا عن أصله والمكان الذي أقبل منه فلم يمتدوا من أمره قط إلى يقين ، وبلغ من اضطراب الظنون حول حقيقته أن بعضهم ينميه إلى مكة وبعضهم ينميه إلى فلسطين ، ويقول أناس إنه من الإفريقيين التابعين للدولة التركية ويقول غيرهم إنه من رسل النازيين إلى أمريكا لإثارة رعاياها المتمردين عليها ، بل زعم بعضهم أنه من دعاة السياسة اليابانية كما زعم آخرون أنه من دعاة السياسة الروسية ، ولولا أن تنظيم الحركة كان أقوى وأثبت من أن تستمال إلى خدمة الدعايات لحقت فيه شبهات القائلين إنه داعية من أولئك الدعاة الدوليين مستتر عن الأنظار بستار القومية والدين ، ولكن الرأي المحقق الذي انتهى إليه الباحثون عنه أنه د مبشر مسلم ، شديد العصية لدينه ، مع مغالاة فنسب إليه في مزج الدعوة الدينية بالدعوة العنصرية إلى تغليب الرجل الأسود على سلطان الرجل الأبيض ، خلافا للعنصرية النازية التي حاول بعضهم أن يحسبه من أذناها .

ولما احتجب عن مقر الدعوة بمدينة ديترويت وما حولها كان احتجاجه أغرب من ظهوره وأدعى إلى إثارة الظنون واضطراب

بين أناس يقرءون القرآن ويعرفون طرقاً من مسيرة النبي عليه السلام ، ولكننا لا نستبعد الغلو في الحملة على الرجل الأبيض وما يتبعه من الغلو في تقدير رسالة الرجل الأسود الذي يضطلع بإصلاح فساد وإزالة سلطانه . فإن مؤسس الدعوة بمدينة « ديترويت » قد عول على النخوة القومية ولم يكن له مناص من التعويل عليها للارتفاع بنفسه أتباعه إلى مقام الكرامة التي تأتي الخنوع لأصحاب السلطان وتطمح إلى الوقوف منهم موقف المصلحين المعلمين ، فليس قصاره من الإقناع أن يقنع سامعيه بمشابهة السادة في بلادهم وبين مظاهر سلطانتهم واعتزازهم ، بل هو ينادهم ليصلحوا حيث فسد أولئك السادة ويملكوا زمام الولاية حيث كانوا من قبل مملوكين مسخرين .

ووافقت هذه الدعوة « المحلية » دعوة أخرى عالمية من قبل الآسيويين والإفريقيين ، لم يكن لها شعار منذ قيامها مع حركات

الاستقلال غير الثورة على دعوى الرجل الأبيض في حق السيادة على الأمم الصغراء والسمراء أو الأمم غير البيضاء على الإجماله ، ولم ينس إمام الدعوة أن الإسلام لا يقوم على كراهة جنس من الأجناس ولا على التفرقة بين الشعوب والألوان ، ولكنه كان يقول : إنها « كراهية تولدت من الكراهية » وإن عداوة الأسود للبيض فرع من أصل عريق فيما حوله ، وهو عداوة البيض للـسود . فإذا تقدم الزمن بدعوة « ديترويت » إلى ما وراء هذه البواعث « المحلية » أو الموقوتة لم يكن عسيراً على المؤمنين بها أن يصنوا لها تلك الغيرة التي استمدتها من النخوة القومية ليستقيموا بها على النهج القويم من الغيرة « الإسلامية » أو الغيرة الإلهية . ولهذا الموضوع عودة نعرض فيها لجوانب البحث التي شملتها فصول الكتاب ولم يتسع لها هذا المقال ؟

عباس محمود العقاد

من قصيدة لسلمة بن يزيد يرثي أخاه قيس بن سلمة :

فتى كان يعطى السيف في الروع حقه	إذا ثوب الداعي وتشقى به الجزر
فتى كان يدنيه الغنى من صديقه	إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
فتى لا يعد المال ربا ولا تُرى	له جفوة إن نال مالا ولا كبر
فنعم مُناخ الضيف كان إذا سرت	شمال وأمست لا يعرجها ستر
وماوى اليتامى المحلين إذا انتهوا	إلى باب سغي وقد قحط القطر

# مُحَمَّدٌ مِنَ الشَّجَرِ الْقَيْدِ وَالْحَدِيثِ

## عابد الشمس

للأستاذ العوضي الوكيل

« على شاطئ نهر الكنج في الهند قوم يعبدون الشمس ، ولهم زعم  
ظل ينظر إلى إلهه حتى كف بصره ، ولكنه مع ذلك استمر يجه إلى  
الشمس منذ مشرقها إلى أن تغرب كل يوم متعبدا خاشعا . »

أيها العابد قد جاء ألباح وتبدى من سناه في وشاح  
وصحا الكون على ترنمة لك سارت في الروابي والبطح  
ترمق الشمس لدى غدوتها وتحببها إذا حان الرواح  
قبلة أنت إليها ناظر دأباً ، لم ينصرف منك التماح !

\*\*\*

لم تزل ترنو إليها خاشعاً خافض القلب لديها والجناح  
رحت تدعوها دعاء خافتا خافي اللفظ وإن معناه صاح  
ونجاء أنت في لجته غارق ، نشوان منه غير صاح  
قد اتخذت الكون طراً معبدا ورحيب الأفق للبعيد ساح

\*\*\*

أيها العابد نخ الغمض وارن لاح منها حاجب ، أو ذر قرن  
ناجها بالصمت حيناً واللغى وكلا ذين به سحر وفن  
وتوسل في خشوع شاعر وانهل الأضواء فالآفاق دن  
ولئن غانك طرف ناظر فلك القلب له أذن وعين

\*\*\*

أيها العابد للشمس التي لم تزل تسخو علينا بالاسنا  
نحن عشاق لها ، لكننا ما اتخذناها إلهاً بيننا  
إنما نعبد من أبدعها ولديه وحده نبغى المني  
ولنا شعر وترنم له وتهليل تسامت في الدني

( البقية على صفحة )



# من رحاب الله مزیداً من النور للأستاذ إبراهيم محمد نجأ

( يا إلهي .. يا نور النور ، سأظل طول أيامي  
أدعوك : مزیداً من النور .. مزیداً من النور ، تتحول به  
ظلمتي إلى نور ، يعيدني إلى رحابك في عالم النور ) .

مزیداً من النور يا خالق	فقد جن ليلى بفجر الضياء .
مزیداً من النور يهدي خطاي	إلى حيث نبع الهدى والصفاء
مزیداً من النور في ظلمتي	ليجود فجرى ظلام المساء
مزیداً من النور يسعد قلبي	بما يسعد النبع ركب الظاء
ظلمت إليه بروحي التي	تري النور نبعا سخي العطاء
مزیداً من النور ، فالنور حب	وبالحب يشرق ليل الخفاء
وبالحب ألقى البعيد القريب	وما أروع الوصل يوم اللقاء !
وبالحب أشعر أني فني	فكنت الخلود بهذا الفناء
أنا عاشق النور مثل الفراش	وفي النور ألقى خلود البقاء

\* \* \*

مزیداً من النور علمي أعود	إلى عالمي في رحاب السماء
فأحيا كما كنت أحيا هناك	حياة الصفاء ، حياة النقاء
أغني ، وأسمع غيري يغني	فيمتد عمري بسحر الغناء
وأرني إلى الله في باطني	فتأخذني هزة وانتشاء

قضيت زمانا بهذا المكان	ومر كحلم فريد الرواء
رأيت الحياة على ضفتيه	ربيعا ييوح بسر النماء
ولما صحوت تولى الربيع	وجاء الخريف ، وجاء للشتاء
وألقيتني هاهنا في التراب	أسير كمن تاه بين العراء
أجاهد وحدي ظلام الحياة	بروح تضيء ككنجم أضواء
وأمشي أجبر قيود الوهاد	لأبلاغ يوما قباب العلاء
وقد يغلق اليأس باب النجاة	فأفتح في القلب باب الرجاء
إذا كان جسمي يخوض العثرى	فروحي تتحلق بين الفضاء
وإن حجب النور عني غطاء	فما قريب أزيح الغطاء
وعما قريب ستلبس روحى	رداء من النور جم البهاء
وتنزع عنها الرداء الذى	أعد لها من تراب وماء

\* \* \*

فيارب يا نور هذا الوجود	ويا خير من يستجيب الدعاء
مزيدا من النور يهدى خطاى	إلى حيث نبع الهدى والصفاء
مزيدا من النور على أعود	إلى عالمى فى رحاب السماء
إذا كان دائى ظلام الحياة	فذكرك يارب خير الدواء

ابراهيم محمد نجما

( بقية المنشور صفحـه ١٠٣ )

أيها العابد فى شط النهر	انظر الشمس ، جميعا ، والقمر
وانظر الروضات فيها فتنة	من ظلال وغصون وزهر
وانظر الأنجم تبدو زينة	وهدايات بداء وحضر
وانظر الإنسان أمسى خلقه	عجب الكون ، ومرتاد الفكر
ربنا الرحمن ، والكون له	أثر ، يا حبذا هذا الأثر

الموضى الوكيل

# الكتاب

نقد و تعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

البطولة الذي ناضل — على الرغم من كل الظروف ضد القوى الغاشمة المفترسة من أجل الإخاء البشرى .

إذن ، فالمؤلف يضع حدودا لدراسته ، فهو يريد أن يعرض تعاليم ومبادئ محمد الإنسان . لا النبي . و يقيم منهجه على التصوير والسرديات القصصى ، و يبعد به عن إطار الدراسة والبحث ، وهذه محاولة ليست جديدة في الجانب المنهجى ، وإن كانت جديدة في تحديد الهدف من عرض شخصية الرسول من الجانب الإنسانى والبشرى ، دون ما ارتباط بالجانب الدينى .

يبدأ الأستاذ الشرقاوى فى أسلوب قصصى بقصة والد الرسول عبد الله ، الذى كادت دماؤه تسيل تحت أقدام تماثيل الآلهة الرهيبة ، لولا المصادفة التى تدخلت لتنفيذ حياته ، ثم يصور الحياة فى مكة قبيل الرسالة المحمدية حيث : المال والآلهة والسكبة والمتاع للسادة ، والرمضاء والمرارة والالم والحرمان للمستضعفين ، الذين سقطوا تحت ضربات الحاجة لينحولوا إلى عبيد عند دائنهم ، كما يصور فترة القلق الذى ساور عقليات بعض

١ — محمد — رسول المحرر :

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى

هذا الكتاب الجديد للكاتب المعروف الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، الذى نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة ، جدير بالعرض والمناقشة لسببين رئيسيين :

أولهما : أن المؤلف — وهو كاتب له شهرته ، لا فى داخل محيطنا العربى وحسب ، بل خارجه أيضا — يكتب لأول مرة عن عن الرسول — صلوات الله عليه — دراسته استغرقت بضع سنوات ، وهذه الدراسة لم تتأثر كثيرا بالسطحيات التى عنى بها كثير من كتب السيرة ، وتأثر بها عدد غير قليل من عامة المسلمين .

وثانيهما : أن المؤلف — كما ذكر فى المقدمة — لا يقدم كتابا جديدا فى السيرة بضمير حقيقة جديدة فيها ، وإنما يصور قصة لإنسان اتسع لآلام البشر ومشكلاتهم وأحلامهم ، وكونت تعاليمه حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طوال ، إنه يقدم صورة الرجل . . لا النبي ، وقصة الإنسان الرائع

طويلا معه ، فهو محاولة فصل محمد الإنسان عن محمد النبي والرسول ، إذ الجانب الإنساني أو الجانب العبقري لا يمكن استغناؤه عن الجانب الديني متمثلا في النبوة والرسالة معا ، واللذين ليس لهما مصدر سوى الوحي السماوي والمؤلف حاول عبثا هذا الفصل ولكن لم يقو عليه ، والصور الرفيعة التي قدمها لشخصية محمد كانت وثيقة الصلة بتوجيه القرآن له ، ولو قوى على تحقيق هدفه وهو أن يقدم محمدا الرجل والإنسان لا النبي والرسول ، للجأ لحسب - إلى أحاديث الرسول وأعماله التي لا تمت إلى الوحي بسبب ، ولا يصلح عذرا للمؤلف قوله دفاعا عن نفسه : إنه يكتب لغير المسلمين ممن يناقشون الرجل والتعاليم ، فلا يجب أن يواجههم بالنبي ، فهذا شيء حقيقه من قبله غير المسلمين من كتاب الغرب والشرق المنصفين ، وإذا كان هؤلاء كتبوا عن محمد العبقري لشغفهم بالكتابة عن العباقرة ، فإن مهمة أمثال الأستاذ الشرقاوي في كفاءته ومقدرته على البحث والدراسة والتحليل ، أن يقدم إلى غير المسلمين محمد الرسول العبقري دون ما فصل بين الرسالة والعبقرية ، وهو الذي دعا إلى المبادئ الرفيعة والمثل العليا باسم الإسلام لا باسمه الشخصي كرجل وإنسان وعبقري .. ونحن مضطرون إلى أن نقف مع المؤلف وقفة أخرى أكثر طولا : فهو في أسلوبه الحوارى يشير إبهاما وغموضا

المستديرين من أمثال ورقة بن نوفل وزيد ابن عمرو ، إزاء هذه الآلهة المسيطرة وإزاء تلك الأوضاع الفاسدة التي تباركها الآلهة نفسها ثم يعرض المؤلف محمدا في طفولته وفي صباه ، وحينما أصبح رجلا يدبر بيتا ، وعاقلا ناضج العقل بتأفف من آلهة مكة وأوضاعها المليئة بالخدع والكاذب ، وبعد ذلك حين أصبح رسولا مستولا عن التطويج بآلهة مكة وأوضاعها الزائفة ، وحينما اضطر إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليقم فيها ديننا ودولة ، وينشر في الآفاق إغا ومساواة ، وينشر حرية وعدلا ، وحينما اضطرت أعصاب الظروف إلى أن يرفع سيفا في وجوه الطغاة المعتدين بهن أرجاء مكة وما حولها ، وفي وجوه الخونة البارقين من اليهود المقيمين معه بالمدينة ، وحينما اضطرت الظروف أيضا أن يفتح عينيه لهدسائس المنافقين ومؤامرات الحاقدين ، والرسول صلوات الله عليه إزاء هذه الظروف جميعها يناضل دون يأس ، ويسير دون توقف ، يحمل قلب رجل وإنسان معا . هذا مجرد عرض موجز سريع ، ولنا بعد ذلك أن نقول :

إن المؤلف حيث التزم في منهج الكتاب الإطار القصصى كان موقفا ، وموقفا للغاية حين التفت نماذج حية ناطقة عن عظمة محمد ذى القلب الكبير والعقلية الواعية والآفاق الواسع البعيد النظر - أما الذى نقف فيه

شهير في لإسلام وامرأة جعفر بن أبي طالب عم الرسول، وقاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وأسماء بنت عميس أخت ميمونة أم المؤمنين . ويذكر المؤلف : أن من أهدر الرسول دماءهم في فتح مكة ، عبد الله بن سعد ، عهد إليه محمد بكتابة الوحي - أي القرآن - فكان يغير على هواه ثم يذهب إلى المنافقين ويقتدر بما صنع ، فلما كشف محمد أمره رجع إلى مكة مرتدا - والمعروف أن تدوين الوحي قام به الكشير، وسجله أصحاب محمد في صدورهم وعبد الله هذا ارتد كما ارتد غيره ، ثم عفا عنه الرسول كما عفا عن غيره ، وأسلم مرة أخرى وحسن إسلامه ، وولاه كل من الخليفين عمر وعثمان بعض أعمالهما .

ويسمع المؤلف لنفسه أن يذكر عن حمزة سيد الشهداء أنه بعد عودته من رحلة على شاطئ البحر ، رجع إلى عهد الله ، وظل ليلة كاملة يعب الخمر مع فانتين إسرائيليتين ، ثم غدا على المسجد ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، ورائحة العطر تفوح من بين أصابعه ، والرحلة التي ذكرها المؤلف ، هي سرية « سيف البحر » ولو سلمنا بأن حمزة قد شرب الخمر - وهي لم تحرم بعد - فكيف نسلم بقصة الفانتين من بنات إسرائيل ، وهي أكثر من قرية . لاسيما حينما تنسب إلى سيد الشهداء ومن أعز الله لإسلام باثنين هو أولهما ؟

يوهمان القارىء أنه إنما يحاول إبراز القرآن في إطار بشرى ، دون أن يتعمد التصريح - أى أنه مجرد الطباع في نفس محمد ، نشأ عن تأثره ببيئته التي نشأ فيها ، وتعبير عن الحياة نفسها التي عاش فيها ، وهو في هذا لم يزد شيئا عن بعض المستشرقين وفي مقدمتهم المستشرق الانجليزى « جب » في كتابه « المذهب المحمدى ، فالاستاذ الشرقاوى كثيرا ما يردد : فهذا هو الحد الذي جاء به محمد - لقد جاء بكثير من العقوبات - خرج يستقبل القرآن - ثم أخذ يتلو ، وهو في كل هذا يسوق عبارات القرآن كأنها من تفسير محمد السريع - لا من وحى السماء ، وحتى الوحي لم يقطع به المؤلف ، فقد حصره في الرؤيا ، أو بين اليقظة والنوم ، مع أنه من المسلم به والمقطوع بتواتره ، أن جبريل لقي الرسول جهارا وواجهه بالقرآن مشافهة .

هناك ملاحظات لا مجال لاستيعابها ، فقد كنا نود ألا يتأثر المكاتب ببعض السطحيات التي حشيت حشوا في بعض كتب السيرة ، بل يجعل من قلبه - وهو الناقد اللامع - قاحسا يميز الحق من الباطل ، ويفصل الغناء عن الزبد .

لأنه يذكر أن عدد المسلمين الأوائل بلغ أربعين منهم الأجراء والصعاليك والجواري والبغايا والأرقاء - وكلمة البغايا لا مكان لها ، فالمسلمات الأوليات منهن : خديجة وسمية أول

والى المدينة الذى استغل أداة للبطلش ،  
بل تصدر الأوامر إلى أن يقف الوالى  
المعزول أمام دار مروان ليقص منه كل من  
آذنه . شتمة بشتمة ، ولعنة بلعنة ، ولطمة  
بلطمة ، وتنفذ الرعية أمر الخليفة للقتل ،  
وبأنى دور زين العابدين بن الحسين الذى  
ذاق ما ذاق من بطش الوالى ، فتملكه  
أخلاق النبوة ويقف أمام الوالى الأعزل  
ويلقى السلام عليه ويقول له : « إن كانت  
لك حاجة فإننا نقضها لك ، وإن كان عليك  
دين من ولايتك فإننا نسدد دينك . . . » ،  
وانهمرت دموع الأمير . وزين العابدين  
ينصرف وهو يتمتم : إنه معزول ، فليست  
له قوة ، ونحن نعلم ونستكبر عن إيذاء  
الضعفاء ، وهكذا توقف الناس عن إيذائه ..  
اثنتا عشرة قصة من تاريخنا تجلى فيها دروس  
وعبر ، منها قصة القلب الكبير ، قلب التابعى  
الجليل عبد الله بن المبارك ، والإمام الأعظم  
أبو حنيفة فى اعتزازه بعلمه وإيمانه وتمسكه  
بالحق أينما كان ، وأبو معزى أحد المساكين  
الجزائريين فى نزائته المظلة ، حيث استطاع  
إيمانه أن يصمد أمام التذيب والحرمان  
وطغيان فرنسا ، ثم صانع الرجال القائد  
المظفر سعد بن أبى وقاص ، البطل الذى قهر  
إيمانه إصرار أمه على الإضراب عن الأكل  
والشراب حتى يرتد سعد عن الإسلام ،  
ثم العرش المحطم عرش عبد الحميد السلطان

وبعد - فالأفق الواسع يرحب بالأفكار  
الجريئة مهما كان خطرها ، والذين تضيق  
عقولهم بكل رأى حر عليهم أن يشهروا  
أقلامهم ليردوا وينقدوا ، أما حين نحاول  
أن نثقب الآراء الجريئة ونستعدى عليها  
لمصادرتها ، فإننا نقنع بمنطق النعام حين يرى  
من الأسلم له أن يدفن رؤوسه فى الرمال ..

## ٢ - دموع الأمير :

للدكتور نجيب الكيلانى .

هذه مجموعة قصص نشرتها مكتبة وهبة  
بعابدين فى كتاب للتأليف ، وهذه القصص  
من واقع تاريخ الإسلام والمسلمين ،  
والأديب المؤلف ، وهو من المتأثرين  
بالدراسات الإسلامية استطاع أن يقدم  
فى هذه القصص صوراً حية للبادئ الإسلامية  
نستشف منها عظات وعبراً تصل إلى أعماق  
نفوسنا من واقع تاريخنا البعيد . .

للقصة الأولى وأطول القصص هى دموع  
الأمير ، تعرض جانباً من تاريخ حكم بنى أمية  
فى مرحلته الأولى ، حيث كان هشام بن  
اسماعيل الخزرى والياً على المدينة من قبل  
الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ،  
وسيفاً مصلتاً على رقاب المعارضة من آل البيت  
وغيرهم ، ويشاء القدر أن يموت الخليفة  
ويتولى ابنه الوليد . فتغير سياسة الحكم إلى  
نوع من تخفيف حدة العنف والبطش  
والانتقام ، ولا يكتفى الخليفة الجديد بمعزل

المبادئ الهدامة ، ومكافحة الاستثمار ،  
وتعقب التبشير والمبشرين . وفي فرائض  
الإسلام . وأخلاق المؤمنين ، وفي كثير من  
المعاني الإسلامية ، وفي التكافل الاجتماعي ،  
وأدوار المجتمع وغير ذلك . .

فضيلة أستاذنا الشيخ على رفاعي يتناول  
موضوعاته بأسلوب عصري جيد ، فيه كثير  
من نضوج الفكر وسعة الأفق ، والتجاوب  
مع الأحداث الاجتماعية والسياسية في بلادنا  
الإسلامية ، إلا أن عنوان كتابه في هذه  
المرة ( التربية الأساسية في الخطب المنبرية )  
يوحى بأن الكتاب دراسة عن الخطب  
المنبرية وأثرها في التوجيه والتربية ، ولكن  
الكتاب جاء بمجموعة قيمة من الخطب فيها  
تطور وتجديد ، وكنا نود على الأقل أن  
يقدم الكتاب بتمهيد صهـب يكون وثيق  
الصلة بعنوان الكتاب الجليل في موضوعاته .

#### ٤ - المؤرخ في التربية الإسلامية :

لفضيلة الشيخ على المنصوري  
نشرت هذا الكتاب دار القومية العربية  
للطباعة والنشر بالقاهرة ، وفضيلة المؤلف  
من قطعوا أمدا بعيدا مجاهدا في سبيل  
الإسلام . فهو رئيس جماعة التربية الإسلامية  
بشبرا ، والكتاب مجموعة من البحوث عن  
القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، في  
ثلاثة أبواب : الباب الأول يتناول العقائد

الطاغية ، ثم قصة أبي خيثمة الذي تخلف  
في بادية الأمر عن الرحيل مع الرسول إلى  
تبوك ، ثم جذبه إيمانه إلى اللحق بجيش  
الإيمان ، ثم قصة سلطان العلماء العز بن  
هبة السلام الذي كان يهز بإيمانه عروش  
السلطين ، ثم خاتمة القصص درجل في المنفى ،  
أما الرجل فهو الصحابي الجليل أبوذر الغفاري  
الذي نبي لله ولرسوله ولصدعه بالحق ضد  
ترف بني أمية . .

الدكتور نجيب الكيلاني يقدم لونا جديدا  
من القصة ، غفل عنه معظم كتاب القصة  
هندنا ، فهم يهرعون إلى موضوعات عاطفية  
مكررة ، مع أن في تاريخنا الإسلامي مادة دسمة  
لكل مفكر ، ولكن يظهر أن كتابنا  
يؤثرون السطحيات التي لا تكلف جهداً  
ولا تستغرق وقتاً وكفى . .

#### ٣ - التربية الأساسية في الخطب المنبرية :

لفضيلة الأستاذ الشيخ على رفاعي  
كتاب جديد نشرته مكتبة صبيح بالأزهر  
للأستاذ الشيخ على رفاعي المفتش العام للوعظ  
بالأزهر الشريف ، قدم له فضيلة الأستاذ  
الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

فضيلة المؤلف له عدة كتب في هذا المجال -  
مجال الخطب المنبرية وهي ذات أثر فعال  
في قلوب المسلمين ، كما يقول الأستاذ الأكبر ،  
والكتاب استوعب بين دفتيه أربعاً وستين  
خطبة منبرية ، في الوحدة الإسلامية ومقاومة

خمس وتسعين اسما، كان آخرها «المدينة المنورة» كما سماها الرسول، وقبله يثرب نسبة إلى اسم أول ساكنيها، وتبحث الدراسة عن معالمها وما أثرها، وتعرض قبسا من السيرة الشريفة،

وبيوت الله فيها، وتلقى أضواء من التاريخ القديم والحديث على أحداثها، ثم تقدم الدراسة عددا من أعلام المدينة الأقدمين والمعاصرين، كما تقدم هذه المدينة الخالدة في العصر الحديث، والمؤلفات التي كتبت عنها قديما منذ القرن الثاني الهجري مثل كتاب الأوس والخزرج لأبي عبيدة المشي البصري وفضائل المدينة لابن الجوزي، والإمارة في الزيارة لابن حجر، وفضائل المدينة مرة أخرى لابن عساكر، وغير هذه كثير..

لموضوع الكتاب أهميته كما قلت إلا أن المؤلف عمد إلى خلط لا مبرر له، حيث لا ارتباط له بالكتاب، كموضوع من بناء النهضة في الحجاز، قدم منهم فقط فضيلة الشيخ محمد سرور الصبان، وأياديه على الفكر والأدب والدراسات الإسلامية، وهذا حق لا فكران عليه، لولا أن فقدان الصلة قائم بين هذا الباب وموضوع الكتاب، والمؤلف يترجم لنفسه مع التراجم للأعلام وهذا اتجاه غير منطقي إذ غيره يترجم له، ولو أنه وضع الترجمة مستقلة في أول الكتاب أو آخره كترتيب المؤلف لكان هذا أسلم..

والكتاب بعد ذلك جدير بتهديرنا..

محمد عبد الله السحمان

والإيمان، التوحيد، الملائكة، القرآن، الرسل، اليوم الآخر، والباب الثاني يتناول الإسلام وأركانه الخمسة، والباب الثالث يتناول المأثورات كالاستخارة والدعاء..

عنوان الكتاب «الموجز في التربية الإسلامية» لا يفهم منه إلا أن يكون تربويا خالصا، ولكن فضيلة الشيخ جعل منه دائرة معارف صغيرة، للفقه والتوحيد والتفسير والحديث وعظات السلف وما إلى ذلك، وإن كان ما استوعبه الكتاب كله إسلاميات معتمدة على الكتاب والسنة، إلا أن الواجب أن يكون الموضوع مرتبطا كل الارتباط بعنوانه، وكنا نود أن يربط فضيلة المؤلف على الأقل بين الموضوعات التي طرقها وبين التربية. إلا أن جانب الفقه غلب على الطابع التربوي، ونحن لا ننكر بعد ذلك أن فضيلته عرف بالإخلاص فيما يكتب والغيرة على الإسلام وقيمه في كل نشاطه.

## ٥ - المدينة المنورة في التاريخ:

للأديب الأستاذ عبد السلام هاشم هذا الكتاب نشرته دار الجهاد بعبدين، والمؤلف أديب وشاعر حجازي هاجر من المدينة إلى القاهرة واعتبرها وطنه الثاني. موضوع الكتاب له أهميته من حيث موضوعه، فهو دراسة تاريخية مركزة، تبحث عن بداية تكوين المدينة منذ عهد ما بعد الطوفان، ثم عن أسمائها التي بلغت



# بريد المجلة

أخذها على عباده ، أخذها على الأنبياء  
والمرسلين ، أخذها على العلماء ، أخذها على  
الحكام ، أخذها على الأفراد والجماعات كذلك .

وإني بأسم الإسلام وبأسم الأزهر ، وبأسم  
الملايين المتطلعة إلى انبثاق الفجر الصادق في  
جوانب حياتها ، أهنيكم بتوفيق الله لكم ،  
وأهني الأمة المصرية والوطن العربي بما  
تضمنه مشروع الميثاق الوطني من مبادئ  
هادية على طريق الحق والعمل والخير من  
أجل رفاهية السكادحين والعاملين في سبيل  
الله .

نفع الله بكم أمته ودينه ، وسدد على الهدى  
خطاكم ، ونصركم بالحق ، ونصر الحق بكم .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمد شلتوت

شيخ الأزهر

عود إلى التسمية في بدء القراءة

كان الأستاذ محمد محمد الشراوى من علماء  
الإسكندرية مصرأ على إنكار التسمية  
في أول القراءة - سواء : أكانت القراءة  
من أوائل السور ، أو من أثنائها .

رقية الإسلام إلى الرئيس :

من محمود شلتوت شيخ الأزهر :  
إلى ابن العروبة والإسلام الرئيس  
جمال عبد الناصر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :  
فقد شرحت صدورنا بما أعلنتم من تخطيط  
يعلى كلمة الحق ويحفظ ميزان العدل ، ويرسى  
قواعد الحرية والكرامة ...

ولقد أرضيت أرواح الشهداء بما حققتم  
من آمال ، وما وصلتم إليه من نصر ..  
فإن أجل الحق الذى ضعف عنه أنصاره  
كانت ثورة الشعب بقيادتكم ...

ومن أجل العدل الذى اختلت موازينه  
كانت تضحياتكم وفدائيتكم ...

ومن أجل الحرية السليمة والكرامة  
المهددة كان كفاح السنين العشر في حرب  
أعداء الحرية وخصوم الكرامة ...

ومن أجل هذه المعاني الإنسانية الكريمة  
كانت الرسائل الإلهية التى تضمنت النظم  
الصحيحة لحياة الجماعة الإنسانية ...

ومن هذه المعاني الإنسانية الكريمة كذلك  
أخذ الله لرسالاته المواثيق أساساً ومتكأ ،

والفقهاء . مع أنه ليس كذلك ، بدليل ما نقل عنهم .

إذ هؤلاء يقولون بالتسمية ، وظاهر الأدلة معهم .

وإذا كان الأستاذ يقول : إن أقوال هؤلاء معارضة بأقوال القراء ، فكذلك نقول له :

وإن أقوال القراء - وهم قلة - معارضة بأقوال هذه الكثرة من الأئمة ومن الخير أن يقتصد

الأستاذ في هذا الجدل في شأن موسع ، ولا حرج مطلقا في القول به - بل هو أوفق

لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله .

فقد كان يذكر التسمية في كل شيء ، حتى في دخوله الحلاء ونحو ذلك .

وهناك أشياء جديرة بالبحث والعناية ، وهي أولى بالتفاهم فيها فضلا عن أن القراء

يجهزون للقارئ أن يختار التسمية في الاثنين - وكفى .

عبد اللطيف السبكي

### وضع الزهور على القبور :

دارت مناقشات في بعض الأندية حول هذه العادة وكيف نشأت . فمن قائل إنها غريبة ،

ومن قائل إنها شرعية إسلامية . والرأي الثاني هو الصحيح ، فقد جاء في صحيح البخاري

عن ابن عباس قال : مر النبي عليه السلام بقبرين فقال : لهما ليعذبان وما يعذبان في

وكان اعتياده على قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

ويرى الأستاذ في مقاله الأول أن التسمية في أي موضع تعتبر زيادة على النص

بالاستعاذة ، وهذه الزيادة تكون ناسخة للنص دون مسوغ للنسخ .

وقد نشرنا تعليقا على هذا بأن الزيادة غير موجودة ، إذ أن الاستعاذة والتسمية مأخوذان من نصوص القرآن نفسه ، والجمع

بين النصين في موضع كل منهما لا يسمى نسخا . وكذلك نشر الأستاذ الحسيني هاشم من

علماء الزقازيق بحثا واسعا قويا يفند فيه بحث الأستاذ الشرقاوي ويثبت مشروعية التسمية

على الوجه الذي رآه العلماء ، وينبغي الأخذ به . ولكن الأستاذ الشرقاوي عاد إلى الكلام

في هذا بشيء من التعديل في كلامه .

إذ قصر إنكاره على التسمية في أواسط السور ، وسكت عن التسمية في أولها ،

فكأنه سلم به وهذا جانب من الإنصاف نحمده له .

غير أن الأستاذ يتشبث بالإنكار في أواسط السور ، وكل اعتياده في هذا على ما ذكره من إجماع القراء على أنه لا تسمية

في أواسط السور .

وظن الأستاذ أن إجماع القراء وحدهم يقوم حجة مطلقة على جميع المفسرين والمحدثين

كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرى من بوله ،  
وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم أخذ  
جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قـر  
واحدة ، قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟  
قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ، والحكمة  
في ذلك أن كل حي ونام يسبح الله دون الميت  
واليابس ، وفي الحديث الشريف إشارة إلى  
أنهما يسبحان ما دامتا رطبتين دون ما إذا  
يبستا ، وهذا الإشراق الروحي للرسول  
عليه السلام حيث يشاهد تسبيح النبات والجماد  
من خصوصياته ، وقد يكشف الحجاب  
لبعض الأطهار من أمته حتى يسمع تسبيح  
السكانات كما حصل ذلك لبعض الخراس من  
أهل الطريق ، ولا زالت هذه العادة عند  
العامة في جميع البلاد متأسية بالرسول الطاهر ،  
ثم أبدلت بالزهور عند الخاصة ، والتسبيح  
من كليهما واقع ، والتخفيف - على الترجي -  
بيد الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن الرحيم .

عبد السلام الحصري

بارأه :

قرأت في إحدى المجلات كلاما لبعض  
رجال اللغة يخطئ فيه كاتبها كبيرا في إدخاله  
أن على الفعل المضارع الواقع في خبر كاد  
ويقول: إن ذلك هو القياس المطرد إلى آخره ،  
وهذا القول غير صحيح من عدة أوجه : إذ  
أن الرأي المتفق عليه عند النحاة أن ( كاد )

يترجح تجرد خبرها من أن كقوله تعالى :  
« يكاد زيتها يضيء » ، وما كادوا يفعلون ،  
فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد ، كما أنه  
يجوز اقتران خبرها بأن مع القلة ، وهذا  
بخلاف ما نص عليه الأندلسيون من  
أن اقتران خبرها بأن مخصوص بالشعر .  
وقد جاء مقترنا بأن في غير الشعر كقول  
الرسول عليه الصلاة والسلام : ( وما كدت  
أن أصلى العصر حتى كادت الشمس أن تغيب )  
والحديث الشريف متفق مع القرآن في أن  
القرآن لا يأتي باللغات الشاذة وإلا لما كان  
معجزا وكذلك الحديث لا يأتي باللغات  
الشاذة ، والله تعالى يقول : « وما ينطق عن  
الهووى ، وقول الشاعر :

كادت الشمس أن تفيض عليه

مذ ثوى حشو ربطة وبرود  
والشعر العربي إذا تعددت فيه الأمثلة  
لا يكون ذلك ضرورة ولا شاذاً وإنما هو  
قاعدة مسلم بها .

فاروق أحمد سلام

التقليد بمعنى المحاكاة :

أنكر أحد المدرسين على تلاميذه استعمال  
التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد في  
كتب اللغة ، وهذا ليس بصحيح ، فقد جاء  
في لسان العرب وشرح القاموس ومعيار  
اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه :

الأرض برحمة : أثر فيها ، وسميت المسألة  
الدقيقة نكتة لتأثير الخواطر في استنباطها. اه  
وفي السكيات : النكتة هي المسألة الحاصلة  
بالتفكير المؤثرة في القلب التي يقارنها نكت  
الأرض بنحو الإصبع غالبا .

والبيضاضى أطلق النكتة على نفس  
الكلام إذ قال ، هي طائفة من الكلام منقحة  
مشملة على لطيفة مؤثرة في القلوب .

وقال بعضهم : هي طائفة من الكلام يؤثر  
في النفس نوعا من التأثير قبضا أو بسطا ،  
وفي بعض الحواشي : هي ما يستخرج من  
الكلام ، وفي حاشية الكشف ، نكت  
الكلام أسراره ولطائفه لحصولها بالتفكير ،  
ولا يخلو صاحبها غالبا من نكت للأرض  
بنحو الإصبع .

وجمعها نكت ونكات وفي أساس البلاغة  
ومن المجاز جاء بنكتة ، ونكت في كلامه  
تنسكتا. ورجل منك ونكات ، وقد ألف  
كتب باسم ( التنكيك والتبكيك ) .

ومن هنا يظهر لك تطور الكلمة وصحة  
استعمالها في الفكاهة ونحوها .

محمد أحمد عمر

وصم الكبش وءاء السكيب :

قرأت في مجلة سعودية لأديب فاتى اسمه  
كلمة يقول فيها : وكان المرضى في الجاهلية

قلدها قلادة جعلتها في عنقه . ومنه التقليد  
في الدين ، وتقليد الولاة الأعمال ، وهو  
بجاز كأنه جعل قلادة في عنقه ...

وجاء في كتاب التعريفات للجرجاني :  
التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما  
يقول أو يفعل معتقدا للحقيقة من غير نظر  
وتأمل في الدليل ، كأن هذا المتبع ( وهو  
المقلد ) جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه ،  
والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا  
حجة ولا دليل . اه

ومن هذه للنصوص يظهر لك أن المعنى  
الأصلي للتقليد واحد وهو وضع القلادة في  
العنق ، ثم استعمل في غيره على سبيل التجوز  
والتشبيه والاستعارة ، وقد ألف كتب  
ووضعت بحوث في التقليد ولم يظن فيه أحد  
لأنه يرجع إلى معنى عويص صحيح .  
عبد الله معروف

معنى النكتة حقيقة ومجازا :

جاء في شرح القاموس : النكتة النقطة ،  
ونقل شيخنا عن الفنارى في حاشية التلويح  
هي اللطيفة المؤثرة في القلب من النكت  
كالنقطة من النقط ، وتطابق على المسائل  
الحاصلة بالنقل المؤثرة في القلب التي يقارنها  
نكت الأرض غالبا بنحو الإصبع .

وفي التعريفات : النكتة هي مسألة لطيفة  
أخرجت بدقة نظر وإمعان فكره من نكت

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان في إثر ضيفنا

ولكننا نكفيه زاداً ليرجعنا

وبعد فمعتقدات القوم في الجاهلية كانت

جلها أباطيل ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

محمد نمان

### ملاحظات على بعض الأوهام

في الكتاب العربي المخطوط :

للدكتور صلاح الدين المنجد

نشر الدكتور صلاح الدين المنجد وهو

مشهور معروف بكثرة النشر والتأليف —

(الكتاب العربي المخطوط) محتويًا على نماذج

المخطوطات إلى القرن العاشر . ومع حرص

الدكتور على أن يكون الكتاب كاملاً فقد

وقع في بعض الأوهام التي كنت أود لو تنبه

لها . وهذا بعضها : —

١ — في اللوح رقم ٧٤ نشر صورة خاتم

على كتاب عيون الانباء يفيد أن الكتاب

نسخ للسلطان سليمان بن غازي بن محمد

الأيوبي . ثم ذكر تحت الصورة أن هذه

النسخة نسخت سنة ٨٢١ برسم خزانة السلطان

سليمان العثماني . فأخطأ ثلاثة أخطاء : —

(١) لا يوجد في الخاتم أى لفظ يشير

إلى السلطان العثماني سواء في اسم أبيه أو جده

أو نسبه .

الأولى يتداولون بدم ( السكبش ) في شفائهم

من داء السكب ... إلخ .

وقد اختلط على الأديب الطريق وفهم

ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .

فالسكبش في لغة العرب معناه السيد أو الرئيس .

وفلان كبش التوم أى سيدهم ورتبهم .

قال عمرو بن معد يكرب :

نازلت كبشهم ولم

أر من نزال السكبش بدا

وبعض الأعراب في الجاهلية الأولى كانوا

يعتقدون أن دم الرئيس يشفي من داء السكب

وفي ذلك يقول شاعرهم :

بناء مكارم وأساة جرح

دماؤهم من السكب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسقام الجهل شافية

كما دماؤكم تشفي من السكب

ولست أدري ما فضل دم الرئيس على دم

المروء في شفاء السكب إن كان ثم شفاء ؟

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإنني أذكر

أن العرب كان من عاداتهم المفاشية إلى يومنا

هذا أنهم إذا رحل عنهم الضيف الثقيل

وكرموا عودته كسروا في أثره شيئاً من

الأواني . وفي ذلك يقول شاعرهم :

كسرنا القدر بعد أبي سراح

فماد وقدونا ذهب ضياعا

(٢) نشر في اللوح رقم ١٠ صفحتين من مصحف يدل شكل الصورة على أنهما متواليتان وليكن النبي بها الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل واليسرى بها الآيتان ٢٣ ، ٢٤ من نفس السورة مما يؤكد أن هذه الصورة لورقتين من أوراق غير مرتبة من مصحف (دشت) وكان يجب عليه الإشارة إلى ذلك لأن قراءة الصفحتين تحدث تشويشا لغير الحافظ .

(٣) غفل الدكتور المنجد عن تصوير مؤلفات بخطوط مؤلفيها — وهم من أعلام الإسلام أو عليها خطوطهم وما أهمل ما هو أولي بالنشر مما صور مثل : —

١ — رسالة الإمام الشافعي رضى الله عنه وعليها خط د الربيع ، المتوفى سنة ٢٧٠ وتاريخ الخط في ذى القعدة سنة ٢٦٥ .

٢ — أخبار سيويه (وهو غير النحوى المشهور) تأليف ابن زولاق المصرى بخط المؤلف سنة ٣٨٦ .

٣ — مقامات الحريرى منقولة من خط مصنفها وعليها خط الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ .

٤ — التحرير في شرح الجامع الكبير بخط مؤلفه سنة ٦١٦ — وهو الإمام جمال الدين محمود الحصرى المتوفى سنة ٦٣٦ .

٥ — التيسير في التفسير لعبد العزيز بن أحمد الديري بخط المؤلف سنة ٦٧٣ .

(ب) السلطان سليمان العثمانى ولد سنة ٩٠٠ فلا يعقل أن تكون له خزانة نسخ برسمها الكتب سنة ٨٢١ أى قبل مولد السلطان بقس وسبعين سنة .

(ج) اسم الأيوبى واضح في الخاتم المصور . وقليل من التروى يدل على أن المراد هو السلطان سليمان بن غازى الأيوبى صاحب د حصن كيفا ، المتوفى سنة ٨٢٧ بعد ملك دام نحو خمسين سنة .

(٢) نشر اللوح رقم ٦١ ضمن مخطوطاته القرن العاشر مع أنه مخطوط سنة ٩٠٠ فكان يجب وضعه ضمن نماذج القرن التاسع الذى انتهى بهذه السنة .

(٣) ذكر أسفل اللوح رقم ٣٨ أن القاضي عياض توفى سنة ٥٩٤ والصواب قبل ذلك بخمسين سنة أى سنة ٥٤٤

(٤) ذكر في اللوح رقم ٢٣ أن وفاة الطبرى سنة ٣١١ والصواب سنة ٣١٠ .

وهناك بعض المأخذ التى كنت أود للدكتور ألا يجعل لها لآليه سيلا مثل : —

(١) نشر الكتاب خلوا من تاريخ العرب بل تاريخ الإسلام . ولست أفهم كيف تفسر جامعة الدول العربية كتاباً عن المخطوطات العربية ثم يهدر فيه التاريخ العربى — إن هذا البلاء الذى وورثناه عن الغرب والذى أخذ يستشرى يجب أن يكون له حد .

- ٦ - جزء من الطبقات الكبرى لابن السبكي المتوفى سنة ٧٧١ بخطه .
- ٧ - المصباح المنير بخط مؤلفه الفيومي سنة ٧٣٤ .
- ٨ - مختصر البداية والنهاية والمنتهى من مغازى الواقدي وتعليق من تاريخ ابن عساكر كل ذلك بخط ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ .
- ٩ - شرح القصيدة للتائية لعز الدين الكناني والشرح للفيروزبادي صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٦ وبخطه .
- وهذه الكتب جميعها موجودة في معرض دار الكتب المصرية أى أنها سهلة المنال وأهمية مؤلفيها كانت تستوجب تصوير خطوطهم .
- ٤ - اللوح ٥٣ عبارة عن الصفحة الأولى من مشيخة المراغى المتوفى سنة ٨١٦ واللوح ٥٤ الصفحة الأخيرة من نفس الكتاب وكانت تكفى في التصوير لأن المراد النماذج وكان يجب تصوير كتاب آخر من المخطوطات المهمة في اللوح ٥٣ .
- ٥ - بدأ الدكتور بنماذج القرن الثالث قبل نفهم من هذا أنه لا يوجد اليوم مخطوطات من القرنين الأول والثاني وإلا فما هي الحكمة في أن الدكتور أغفل تصوير نماذج القرنين المذكورين ؟
- هذه هي المآخذ والملاحظات التي لاحظتها على الكتاب المذكور ولا يسعني في الختام سوى إهداء الشكر للدكتور على الجهد القيم الذي بذله في الكتاب المذكور والله سبحانه وتعالى الموفق والهادي للصواب وإليه المرجع والمآب .
- عبد السلام محمد النجار  
روضة خيرى باشا - دسونس بحيرة

# مِنْ ضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَوَى

باب يشرح عليه : إبراهيم محمد الأصيل

تحت هذا الباب ستنتشر المجلة ابتداء من هذا العدد مختاراً مما أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر في شئون مختلفة تعميماً للفائدة للرجوة وإجابة للطلبات المتجددة التي تدعو أصحابها إلى الاستفسار عن موضوعات سبق للجنة للوقرة الإفتاء فيها .

## الجواب :

إن التمثيل في ذاته وسيلة ثقافية سواء كان على المسارح أو الشاشة أو التليفزيون فإن كثيراً من وقائع التاريخ ، وأحداث السياسة ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد ، والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدد ذكرها وينادي بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال الحديثة . وخير وسيلة لإحياء تلك الذكريات أن يكون القصص عنها بتمثيلها تمثيلاً واقعياً ، غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف الجدية ، ويتخذ وسيلة للترفيه الممنوع ، وبث الدعاية نحو أغراض غير كريمة ، وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ حول شخصيات من السابقين ، والتاريخ يكون مشوباً بما يحتاج إلى تمحيص من العصبية .

وبما أن السابقين من الصحابة رضي الله عنهم لهم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعة

حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية ، ومن لم يثبت إسلامهم ولم يحرمهم عون أكيد للنبي الكريم في دعوته .

## السؤال :

١ - ما حكم الشريعة الإسلامية فيمن يمثل الشخصيات الآتية على شاشة التليفزيون :  
١ - الصحابة ، وهل منهم من يجوز ظهور من يمثله علماً بأن بلالاً قد ظهر من يمثله في فيلم ظهور الإسلام وخالد بن الوليد في فيلم خالد بن الوليد ؟

٢ - بنات النبي صلى الله عليه وسلم ؟  
٣ - أبا طالب ممن لم يثبت إسلامهم وكان لهم عون أكيد للنبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وكذلك التابعين وتابع التابعين ؟

٤ - مسلمين ومسلمات لم تثبت صحبتهم للرسول وعلى الأخص طالب بن أبي طالب ؟



وكذلك التابعون وأتباعهم لآمانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متى روعى في التمثيل ما من شأنه ألا يخل بكرامة المسلم .

وأما النساء المسلمات فيجب الاحتياط في تمثيلهن أكثر مما يحتاط في تمثيل الرجال المسلمين الذين لم تثبت صحبتهن ، وعلى المرأة التي تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبي عنها من الرجال ، ولا يصحبه كشف ما يحرم كشفه من جسمها ، ولا يكون معه تسكس في صوتها ، ولا حركات مثيرة للغرائز ولو مع ستر الجسم ، إذا كان الأمر كذلك فلا حرمة في التمثيل خصوصا إذا كان التمثيل لغرض على يعود على الأفراد والأمة بالفائدة .

وأما إن صحبه اختلاط بالرجال الأجانب أو كشف ما لا يحل كشفه من جسمها أو وجد معه تسكس في صوتها أو حركات مثيرة للغرائز بجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحدد مفاتيح جسمها فإن التمثيل حينئذ يكون محرما على من تقوم بهذا التمثيل .

رابعا : من لم يثبت إسلامه كأبي طالب وغيره ممن له عون أكيد في دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لآمانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صلة مودته للنبي عليه الصلاة والسلام بحيث لا يكون في تمثيله

المسلمين ، وبما أن تمثيلهم على المسارح أو الشاشة قد ينحرف بهم إلى ما يمس بشخصياتهم أو عن تاريخهم الحق — لما يتعرضون له أحيانا من أكاذيب القصاصين أو أهواء المتعصبين لبعض ضد البعض الآخر من جراء الفتن والخلافات التي قامت حولهم في أزمانهم وانقسام الناس في تبعيتهم إلى طوائف وأشياء بسبب الدسائس بينهم — فإن اللجنة إذا هذه الاعتبارات تفتى بما يأتي :

أولا - عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم رضي الله عنهم جميعا لقداستهم ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات ، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس في شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله .

ثانيا : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته ، لأن حرمتهم من حرمة عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله في شأن نسائه : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، وبناته بذلك أولى .

ثالثا : من لم تثبت صحبته من الرجال المسلمين

ورد السؤال من :

السيد / منير عامر رئيس الجمعية الشرعية  
لإحياء السنة المحمدية بالإسكندرية

حكم زواج مختلني الأديان .

**السؤال :**

ما حكم الشريعة الإسلامية في المسائل  
التي تتصل بزواج مختلني الأديان ؟

**الجواب :**

الرجل المسلم يحل له أن يتزوج بغير المسلمة  
إذا كانت من أهل الكتاب بأن كانت يهودية  
أو نصرانية ولو بقيت على دينها . قال تعالى :  
« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين  
أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ،  
والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من  
الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، .  
« ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ، .

وأما المرأة المسلمة فلا يحل لها أن تتزوج  
بغير المسلم مطلقا سواء أكان كتابيا  
أو مجوسيا أو مشركا لأن الرجال قوامون  
على النساء وقال تعالى : « ولن يجعل الله  
للكافرين على المؤمنين سبيلا ، .

ورد السؤال من : ١ . ١ . وإذا بهادى  
( جنوب إفريقيا - جوهانسبرج )

ما يخذش مقامه وتقديره لما كان منه نحو الرسول  
عليه السلام من مناصرة وعودن أكيد .

وردت الأسئلة من :

السيد / عبد الرحيم محمد سرور  
الإدارة العامة للتليفزيون

حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات  
النفع العام .

**السؤال :**

هل يجوز شرعا الصرف من زكاة الأموال  
في النفقة على إنشاء وتجهيز المستوصفات  
الحيرية المخصصة لعلاج مرضى الفقراء  
بالمجان أو بأجر يسير وكذلك على منشآت  
دور الحضانه والكفالة التي تخصص لتربية  
الأطفال الفقراء والأيتام ؟

**الجواب :**

سرف الزكاة إلى الملاجي\* والمستشفيات  
وغيرها من المصالح العامة جائز شرعا لقوله  
تعالى في مصارف الصدقات : « وفي سبيل الله ،  
وقد قرر بعض العلماء سبيل الله بأنه كل جهة  
خيرية فيدخل فيها تعمير المساجد وإنشاء  
الملاجي\* والمستشفيات وإصلاحها ، وغيرها  
من المصالح العامة .

حكم استعمال دواء يزيل آلام الوضع .

السؤال :

ما هو موقف الدين الإسلامى من قضية استعمال علاج يزيل آلام الولادة أثناء عملية الوضع ، نوصلت إلى استنباطه بتجاربي واختباراتي الخاصة ، وشرعت باستعماله بنجاح تام ؟

الجواب :

إن استطاع الطبيب بعلمه وتجاربه أن يخترع دواء لإزالة آلام الولادة فذلك عمل إنسانى يبيحه الدين ، ففيه معونة للبريى ، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه . كما أن فى هذا إزالة للحرى والمشقة وذلك مما يدعو إليه الدين ويقره ، والله تعالى يقول : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » ويقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( إن الدين يسر ) .

ولامانع من استعمال هذا العلاج إذا لم يكن من مادة محرمة بمنوعة شرعا ولم يصحب ذلك محذور شرعا كنظر أجنبى أو مباشرة عملية الوضع من غير ضرورة ، فإن صحب استعماله شىء من هذا كان محظورا شرعا ، وإن كان الاختراع فى حد ذاته عملا إنسانيا ،

حكم عقد القران فى شهر المحرم .

السؤال :

هل يوجد فى الشرع ما يحرم عقد القران فى شهر المحرم أم أن ذلك عرف جرى عليه الناس ؟

الجواب :

لا يوجد فى الشرع ما يحرم عقد القران فى شهر المحرم وما تعرف عليه عند بعض الناس فعرف فاسد لا أصل له .  
ورد السؤال من : السيد / سيد حسين

حكم الذبائح فى النحر الواجب .

السؤال :

فى موسم الحج وفى النحر الواجب فكثير الذبائح كثرة عظيمة حتى إنه ليفسد كثير من اللحوم لعدم وجود محتاجين إليها فهل تجزى القيمة ؟ وفى أى زمان ومكان ؟

الجواب :

إن إراقة الدم مقصود للشارع فلا يجزى عنه إخراج القيمة . وأما فساد اللحم فيمكن تداركه بواسطة تجفيفه والانتفاع به ولو بأن يقوم بذلك المسئولون فى البلاد الإسلامية .

ورد السؤال من : السيد / فهمى الطلباوى

حكم التوسل بالاولياء وما يصحبه .

**السؤال :**

ما حكم التوسل بأولياء الله الصالحين والتقرب إليهم بالقرايين كذبح الذبائح والسجود لهم حينما يدخل الناس مقابرهم ؟

**الجواب :**

إن التوسل إلى الله بأوليائه الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأنًا وأقرب إليه من غيرهم بعملهم الصالح أمر لا شيء فيه ما دام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم ، وأما ذبح الذبائح لهم فإن قصد الفاعل النذر لنفس الأولياء فالنذر باطل والوفاء به حرام . وإن قصد بذلك انتفاع الفقراء فهو جائز لا شيء فيه لأنه نوع من الصدقة ، ولا يلزم بنقل الذبائح إلى محال الأولياء . بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على فقراء بلده إلا إذا قصد الفقراء الذين يوجدون بحي الأولياء فيجب عليه الوفاء بما نذره . وأما السجود فلا يجوز لغير الله تعالى فيحرم السجود للبشر تعظيما لهم لا فرق بين الأولياء وغيرهم .

ورد السؤال من :

عمران محمود عمران

مع ملاحظة أنه عند العلاج يقدم للطبيبات فإن لم يكن فالطبيب الحاذق المعروف بحسن الخلق والعدالة .

ورد السؤال من : السيد الطيب

سامي فؤاد طراد - بيروت

حكم إقلاق راحة الجار بالزار .

**السؤال :**

بحوارى جار دأب على عمل الزار في أوقات كثيرة مما أدى إلى إقلاق راحة السكان المجاورين لبيته كما يصاحب الزار كثير من الأشياء المخلة بالشرف والآداب العامة فما الحكم ؟

**الجواب :**

إن إيذاء الجار بمثل ما تذكر من حفلات الزار وغيرها ممنوع شرعا يجب العمل على إزالته تنظيفا للمجتمع من مثل هذه العادات المرزولة وعلى المتسبب في هذه المنكرات أن يكف وإلا فللحاكم تأديبه حتى يمتنع .

ورد السؤال من :

أحمد محمود على - باب الشعربة

# بَيْنَ الصَّحِيفَةِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

مع هزل المحرم :

جرت عادة المسلمين أن يذكروا مع هلال شهر المحرم من كل عام هجرة النبي عليه الصلاة والسلام ، وما كان لها من أثر بالغ في انتصار دعوته ، وانتشار رسالته . وإظهار دينه .

والحديث عن الهجرة طالما تردد وتجدد . وانطلقت به الألسنة ، وجرت به الأقلام . واهتزت له الأفئدة ، ومع ذلك ظل عذبا رطبا قويا أخذا فقاذا ، وسيظل كذلك ما بقي هذا الدين القويم يعمر قلوب مئات الملايين من المسلمين .

وإذا كان الحديث يمل بالتكرار وكثرة التذكار ، فإن حديث الهجرة تلقاه القلوب دائما بإحساس وليد ، وشعور جديد ، لأنه ينطوى على معان ومثل ومبادئ خالدة لا تبلى جديتها ، ومن ثم كان لهذه الذكرى عالها من جلال وجمال .

وأى جلال أروع من تمثل منظر محمد صلى الله عليه وسلم مع صديقه أبى بكر رضى الله عنه وهما فى غار أحدق به الكفار وأطبقوا عليه بخيلهم ورجلهم ، يقول له أبو بكر وهو خائف واجف : لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا . فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم فى ثقة بالله وإيمان به وأطمئنان إليه : لا تحزن إن الله معنا .

وأى جمال أجمل من تخيل منظر هؤلاء وقد احتشدوا للفتك بمحمد وصاحبه ثم وقفوا حول الغار يتلفتون يمنة ويسرة ، ويسائلون الأرض والسماء والفضاء والصحراء عن محمد ومكان محمد ، فلا تجيبهم السماء ، ولا ترد عليهم الصحراء ولا يتحرك لهم الفضاء إلا بأصداء النداء . ثم يرتدون بخيبة المسعى ، لأن يد الله أقوى منهم ، وتقديره فوق تقديرهم ، وتقديره فوق تدبيرهم .

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

للتجلى والتقدير ، لأنها قصة مثالية واقعية ،  
تحميل إلى البشر مالا تحمله قصة أخرى من العبر .  
( ع . ف )  
[ من جريدة الزمان عام ١٩٥١ ]

### بشارة من التوراة والإنجيل :

جاء في التوراة في السفر الخامس ثنية  
٣٣ ، ٢٠ .

« أقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساهير ،  
وظهر من جبال فاران ومعه ربوات الأطهار  
عن يمينه » ، قال ابن القيم في كتابه « هداية  
الخياري في أجوبة اليهود والنصارى » : وهذه  
بشارة متضمنة للنبوات الثلاث ، نبوة موسى  
ونبوة عيسى ، ونبوة محمد ، فمجيئته من سيناء  
وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه  
عليه أخبار نبوته ، وتجليه من ساهير هو  
مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساهير قرية  
معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة  
المسيح ، وفاران هى مكة التى ظهر فيها للنبي  
محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد جاء في قرآنا العظيم نص مشابه حيث  
يقول الله عز وجل : « والتين والزيتون  
وطور سينين وهذا البلد الأمين » .

ودليلنا على أن فاران هى مكة أن التوراة  
ذكرت عن اسماعيل أنه قارق أباه وسكن

وأى مثل للتضحية في سبيل العقيدة .  
والفناء في سبيل المبدأ ، والشجاعة في الجهر  
بالحق أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد  
ترك أهله ، ووطنه ، واستهان بكل ما في الدنيا  
من مغريات ، وسخر من كل ما سمع من وعده  
ووعيد ، وتحدى كل قوى الإرهاب والتهديد ،  
ثم مضى بدعوته يلتمس لها أفقا أرحب تشرق  
منه ، وأرضا أخصب تنمو فيها ، وجوا  
أطهر تنفس فيه ، وعونا أكبر تعتمد عليه ،  
حتى إذا أظهر الله دينه ، وأتم نعمته ، وأظفر  
المؤمنين على الكافرين ، ومكن لنبيه صلى الله  
عليه وسلم من رقاب أعدائه ، لم يشف منهم  
حقده عليهم ، لأن نفسه كانت أعلى من أن  
تحقد ولم تمتد يده إلى أحد منهم بسوء لأن  
يده كانت أطهر من أن تنتقم ، وإنما مديد  
الصفح عنهم ، وأظهر لهم ما عرف به دائماً  
من سماحة نقية ، وعفو جميل « اذهبوا  
فأنتم الطلقاء » .

إن جوانب الجمال والجلال في ذكرى  
الهجرة أرفع من أن ترقى إليها الأقلام  
بالتصوير ، وأوسع من أن تستوعبها الأفهام  
بالتأمل ، ومن ثم كانت حقيقة بأن يحتفل  
لها المسلمون مع هلال شهر المحرم من كل عام ،  
جدرة بأن تحظى من الناس أجمعين بآيات

وأنا لا أريد أن أشغل بالحديث عن  
خلافات المتقدمين والمتأخرين في أصل اشتقاق  
هذا اللفظ ، وهل هو من الصفاء أو الصوافة  
أو الصفة ، أو أن مرده إلى غير ذلك من  
علل للتسمية ، فذلك أمر لا طائل تحته ، وما  
يرجى من البحث وراءه لا يستحق أى عنا .  
ولنأخذ الذى يجب أن يفهم منه أنه أمم دال  
على صدق التوجه إلى الله تعالى ، والمتصوف  
من كان له نصيب من ذلك يدخله فى مقام  
الإحسان الذى فسرهُ الرسول صلى الله عليه  
وسلم بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ،  
فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وهذا هو تمام  
المراقبة ، وهو الأصل الذى يرجع إليه صدق  
التوجه ويمتد منه حبل الاتصال .

ولا بد للتصوف من الإيمان ولزوم العمل  
بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقهِ تعرف منه  
أحكام الله الظاهرة ، كما أن العمل بالفقهِ يقوم  
على تصوف ؛ لأن العمل على مقتضى ظاهر  
الشرع يلزم له صدق التوجه على ضوء ما جاء  
فى القرآن الكريم « يدعون ربهم بالغداة  
والعشي يريدون وجهه » ، كما يلزم له سبق النية  
على ضوء ما جاء فى الحديث الشريف ( إنما  
الأعمال بالنيات ) .

ولا وزن للفقهِ والتصوف إلا بالإيمان ،  
وتلازم الفقهِ والتصوف كتلازم الروح  
والجسد ، ولا حياة إلا بهما معا ، فهما

فى برية فاران ... وأن نبوة من ذريته تظهر  
وتملأ السهل والجبل .

وكانت هذه الكلمات تحدد معالم النبوة  
المحمدية وتبشر بها وتمهد لها كما ذكر القرآن  
الكریم « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي  
الذى يجسدونه مكتوبا عندهم فى التوراة  
والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر  
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث  
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت  
عليهم » .

من كتاب المستقبل للإسلام :  
الأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

### صباحه المتألى :

شاق الوجود صباحه المتألى  
يوم بمولده نور طه يشرق  
مرحوته من السناء سريرة  
نشوى بأنوار النبوة تحقق  
للشاعر ( حسن جاد )

### هَذَا هُوَ التَّصَوُّف :

قال أبو الفتح البستي رضى الله عنه :

تتازع الناس فى الصوفى واختلفوا  
وظنه البعض مشتقا من الصوف  
ولست أمنح هذا الوصف غير فى  
صفا فصوفى حتى سمي الصوفى

### في كل مطبخ :

سأل أحمد الصحفيين الرائد الكوني الأمريكي « جون جلين » هل يعتقد أن الله موجود في الفضاء ؟ فأجاب « جلين » أن الله موجود في كل مكان ، وليس من العبادة أن يحاول المرء أن يمحصر وجود الله في مكان ما من الكون دون سواه ، ذلك لأن الله أعظم من الكون . وحيثما توجهنا فهو هناك .

وكان جون « جلين » قد صرح في الخطاب الذي ألقاه أمام « الكونجرس » بعدما عاد سالماً من رحلته الكونية التي دار أثناءها حول الأرض في فبراير الماضي بما يلي :

كلما تقدمت خبرة يزداد إعجابي بمدى ما نعلم من أسرار الكون ، بل بالمجالات الهائلة التي لم نتمكن بعد من استكشافها ، أما الآن وقد أخذت معلوماتنا عن الكون تتسع شيئاً فشيئاً ، فإني أرجو أن ينعم الله علينا بأن نستفيد من هذه المعلومات بحكمة ودراية وتبصر .  
[ من مجلة الحسنى بالرباط ]

### تعليق :

« سنرىهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه هلي كل شيء شهيد . »

قرآن كريم

متكافئان وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه فأصاب كبد الحقيقة : « من تصوف ولم يتفقه فهو زنديق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد فسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق » .

فالتصوف على هذا مسلم مؤمن عرف ربه نخشيه عن علم ، وانبع أمره على فقه ، كما تقرر ذلك في القرآن بصريح قول الله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » .

الاستاذ أحمد حنفي نصار القوصي ،

[ من مقال بجريدة المقطم عام ١٩٤٨ ]

### بارسول الله :

المصلحون أصابع جمعت يدا  
هي أنت ... بل أنت اليد البيضاء  
أدعوك عن قومي الضعاف لازمة  
في مثلها يلقي عليك رجاء  
أدري رسول الله أن نفوسهم  
ركبت هواها ، والقلوب هوا  
متفككون فما تضم نفوسهم  
ثقة ، ولا جمع القلوب صفاء  
وقدوا وغرهمسو نعيم باطل  
ونعيم قوم في القيود بلاء  
من ديوان الشوقيات « شوقي ،



## الطبيعة الفنية :

وامتنع الإعجاب بهن جميعا على المحصر  
والتعريف غير أن المزية التي لا غنى عنها  
والتي لا يكون الشاعر شاعراً إلا بنصيب منها  
هى مزية واحدة ، أو هى مزية نستطيع أن  
نسميها باسم واحد ، وتلك هى الطبيعة الفنية .  
تعمد أن نقول : إنها تسمى باسم واحد ،  
لأنها فى الحقيقة أشياء شتى تدخل فى عموم  
هذه التسمية .

فالطبيعة الفنية هى الطبيعة التى بها يقظة بينة  
للإحساس بجوانب الحياة المختلفة ، وهنا  
ينتهى بنا الإجمال إلى كلمة كأنها كلمات أو  
كأنها معجم كامل من المصطلحات ...  
للأستاذ عباس محمود العقاد  
من كتاب « ابن الرومى »

## الشعر :

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة  
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان  
( شوقي )

## نثر :

نثر تركت به الأشعار حاسدة  
فكان تقطيعها من شدة الحسد  
( أحمد الزين )

إن مزايَا الشعر كثيرة تتفرق بين الشعراء  
ويتفرق الإعجاب بها بين القراء ، وقد يحرم  
الشاعر إحداها أو أكثرها وهو يعد شاعراً  
لا غبار عليه ، لأنه يحسن نمطا من الشعر  
تصح به الشاعرية ، كالجمال فى الحسان . وروقتنا  
فى كل وجه بلون وسمة وهو فى جميع الوجوه  
رائق جميل ، وكاللمحة الواحدة من ملاح  
الجمال . تحلو فى هذا الوجه وتحلو فى ذاك  
ولا تشابه بينهما فى غير الخلاوة ، ففى العيون  
ألف عين جميلة . لا تشبه الواحدة أختها  
ولا تتفق اثنتان منها فى معانى النظرات  
ومعاسن الصفات . وليس هناك إلا جمال  
واحد عند الكلام على جوهر الجمال .

وكذلك الشعر . يعجبنا فى كل شاعر  
بطراز مختلف ، وهو شعر سائح مستملح فى  
كل طراز ، فالذى يعجبنا من المتنبي غير الذى  
يعجبنا من البحتري ، والذى يعجبنا من هذين  
غير الذى يعجبنا من الشريف الرضى أو من  
أبي العلاء أو من أبي نواس أو من ابن  
زبدرف ، والذى يستحق به كل واحد منهم  
صفة الشاعرية غير الذى يستحقها به البقية ،  
فقد تفرقت مزايَا الشعر كما قلنا أيما تفرق ،

the moral but also for the physical welfare of society.

Prostitution, the great evil of civilization, which is a real cancer, with its concomitant increase of bastardy, is practically unknown to countries where plurality of wives is allowed as a remedial measure.

IT IS WRONG to suppose that any of the Islamic institutions can ever do wrong to mankind, for Islam aims at the welfare of humanity. If we carefully and with an unprejudiced mind study the law of divorce, we shall find that: it is sanctioned for no other reason but good of Society. Occasions do arise when the separation of a married couple becomes indispensable. The Qur'an sanctions divorce only in cases when all attempts to bring about conciliation between husband and wife fails. It may be added here that, though divorce is allowed by Islam if sufficient cause exists, yet the right is to be exercised under exceptional circumstances. The Prophet Mohammed said: "Of all the things which have been permitted to men, divorce is the most hated by God".

Thus, it is clear that Islam has not allowed divorce as a general rule, it is only to be exercised in cases when nothing but divorce can help the society.

The Holy Qur'an says: "Your wives have rights against you as you have rights against them".

Islam is the only religion that imposes itself as a universal religion of all humanity in all times and as such it appears as a natural religion which man embraces, guided by his moral and intellectual faculties without being in need of preliminary apprenticeship.

It offers itself as the first religion revealed to all those who are sent by God, whom people in a state of ignorance wronged by untrue and false commentations with a view to satiate their ambitions and subdue the peoples.

It recommends to its adepts to put faith in all those who are sent by God whether known by their names or remain unheeded.

It uplifts the mind so as to make in the only master in all the disputes that arise concerning faith and the private and social behaviour, thus conferring the mind all the power which belong to it.

It condemns imitation and claims from the believer to establish the truth of his faith.

It claims absolute equality between all, and condemns any sense of nationality.

That is Islam, the Religion of God; open your heart to its light, and try to study and practise the teachings in the Holy Qur'an, leave every fanaticism out of your mind, be just and true.

There is none like God, from Him all has come and to Him all return. He is the light of the heavens and earth, the Glorious, the Magnificent, the Beautiful, the Eternal, the Infinite, the First and the Last.

ISLAM TEACHS US to respect all the prophets of God, and to believe in them, Mohammad was the last and not the only prophet of Islam. From the begining of the world "Islam" has existed inspired by God, but the people wrongly named it after the prophets of every period. This incorrect step was the root of misunderstanding and fanaticism between various elements of humanity.

God has sent prophets to all mankind, to tell them to fulfil His will and to lead a sound life, and to believe in the resurrection after death, and in the day of judgement.

Erroneously one speaks of fatalism and predestination in Islam: the Muslim believes in direct separation of good and evil, all that is created by God is good, and being used after its true direction will lead to happiness, but if it be abused will lead to evil and sorrow.

Every Muslim believes in the responsibility of his own deeds, and carries his own burdens, and none can take the responsibility of other's sins.

Difference of nations and colours as well as varieties of beliefs are unknown in Islam. In Islam the

whole of humanity forms one family, combining the black and white into one unity of brethren.

Many bad ideas are spread by fanatics about polygamy and divorce in Islam.

Islam does not enjoin polygamy nor even permit it unconditionally. It permits polygamy under certain circumstances, and its chief aim is to give protection to the gentle sex. The Holy Qur'an has sanctioned polygamy as an exception to the general rule, and has laid down justic and equality between wives as a necessary condition for it. Polygamy helps the society.

It will be admitted on all hands that men are breadwinners; they take part in strife, struggle and hard out-door duties. They also have to go to the battlefields and face the bullets of the enemy, therefore, their death-rate must be higher than that of the female population; and consequently there must be a huge disparity between the number of men and women as actually happened after the great wars. Polygamy in such cases will be a blessing for those women who cannot easily find husbands to protect them. It is not only the preponderance of females over males that necessitates polygamy in certain cases, but there are a variety of other circumstances which require polygamy to be adopted under exceptional circumstances, not only for

# WHAT IS RELIGION ?

by

MOHAMMED TAWFIK AHMAD

Editor : " Al Bareed Al-Islami "

---

Religion is the great school, in which God ( Allah ) has put His law and commandments, to teach all mankind how to live happily during this life, and after death.

But this programme differs according to the long spaces of time, and progress of thought. It is just like the programme of our schools now, beginning with elementary school, then the primary and after the secondary, to reach the high college. God sent His Prophets, every one of them taught the programme of his time. Now we are in the high college, our teacher is the prophet Mohammad, who taught the high programme of the Universal Religion ( Islam ); its text Book is : The Holy Quran.

Those who don't study and practice this high programme, live in bygone ancient centuries, even when they are living with us now; they are fanatics, their fanaticism that religion never changes in its foundations.

ISLAM MEANS PEACE among humanity and submission to God, every follower of the religion of God

( Islam ) is called a ( Muslim-) Man of peace. A Muslim learns to believe in one God, possessing all the conceivable good attributes and absolutely free from all defects. The Most Perfect Being, The Originator, The Sustainer, and Ultimate Cause of all things. God is one, there is absolute unity in the Divine nature; it admits of no participation or manifoldness. He has no partner or co-charer, He begets not' He is free from passions, and is indivisible and impersonal

The religion of Islam denies all plurality of persons in God-head, and any participation of any being in the, affairs of the world. God created us to obey His laws, and serve Him and to do good because it is goodness that God loves.

God has begotten neither sons nor daughters. He is the All-Mighty, the All-Knowing, the All-Just, the Cherisher of the worlds, the Master of the East and West, the Author of the Heavens and the Earth, the Creator of all that exists. He is Loving and Forgiving but also just and swift in reckoning, The friend, the Guide and the Helper.

of the verses without looking to a dictionary put after the revelation of the Qur'an to serve the principles of a certain sect, and without inclination to a certain type of explanation subjected to weak factors or the orientation of those who tries to humiliate the islamic nation as one of history and message imposed upon it to struggle for them.

This calls to a new revision of the books, thosis and treatise which speak about Islam and be produced to Muslims in their schools, institutes or their common life. As well as it calls to a new revision of the culture which is produced to the people in the mosques, in order to become an expression of the actual reality of the islamic message as a

perfect system of the respectful human life. A man being strong in the whole aspects of that life, is really one element of that human life, while in the same time he is polite and self-righteous, especially in manner and treating others.

From all what we before mentioned, we come to conclude that the begining point is to restore the islamic significances to their first meanings, and to take the glorious Qur'an and the correct prophetical sayings as guides in order to define cleary that denotations and not to be influenced by the other openions which were related to Muslims and affected by the different human states which factly are away from the aims of the Islamic message.

---

"The recompense for an injury is an injury equal thereto (in degree), but if a person forgives and makes reconciliation, his reward is due from God." [S. The consultation, V. 40].

This verse clears that man can treat the other the same as he treats him, evil to evil, but it asks believers to be of a higher human standard and not to meet evil by evil, but by forgiveness and mercy.

Forgiveness, when it turned to the meaning of tolerance — in case of the inability to meet evil by evil —, it would surely be another intruder meaning for the forgiveness virtue which Islam had made it one of the distinguished human manner. Indeed, weakness of the Islamic society was the cause of giving that new meaning which is the weakling feature of the Islamic society. That feature, by turn, emanated from the untiding of the individual relations and giving no attention to the supreme examples, but they were only struggling to keep their individual life.

If we trace all the significances which represent the Islamic virtues, and upon which stands the correct way of the practical behaviour of the believer one, we shall find that they turned and changed to the opposition of their first sense. And beside that, we shall find that the reason of that change is the society

itself. Then if we look for the feature of the society which inspired that change of the significances from their first sense to their oppositions, we shall find also that the individual in the Islamic society had changed from his former state. And that change is in no way out of that the belief which filled the first Muslim's heart became lighter in weight or turned from being high examples to worldly needs and trifle objectives in the human life.

Therefore, it is impossible that these significances can be restored to their first sense, except when the Muslim individual be brought up according to the Islamic teachings, and when he feeds the Islamic values and represents them in his spirit, belief and manner. Furthermore Muslim can not be brought up on Islamic education, unless these significances be turned to their first sense and be put before him in order to understand and carry them out.

The reformation way, however, is a dual one, but it can be passed in the same time at which the first significances of the Islamic understandings be restored and produced to the individuals of the society bearing that meanings.

The way to utilize that, is to carry out the instructions of the holy Qur'an according to the full meaning

the reach of hand, as in the meantime, it did not consider the meaning of humiliation or at least accept the humbleness in any of its different phases. The glorious Qur'an clears that evidence completely in its verses, it says :

" Soon will God produce a people when He will love as they will love Him, lowly with the believers, mighty against the rejecters" [S. The Table, V. 57.]

"And out of kindness lower to them the wing of humility" [ S. The children of Isreal, V. 24.] "But lower your wing ( in gentleness ) to the believers." [ S. The Rocky tract, V. 83. ] " And lower thy wing to the believers who follow thee." [ S. The poets V. 215.] "Wert thou severe or harsh hearted, they would have broken away from about thee" [ S. The family of Imran, V. 259.]

Actually these verses ask man to avoid urging the believers - by any means - to treat their fellows or parents arrogantly. But he should be of a good behaviour with. The Qur'anic expressions "lowly" "And lower your wing" "And lower wing to them" refer to that.

The inclination and deviation from the right significance of modesty to another meaning such as the acceptance of humiliation, keeping in

humbleness or being unable to remove the means of that humiliation or humbleness. That surely will be an intruder meaning to the former sense' which the new condition of the islamic society resulted it because of its new state which is the state of weakness and humiliation that springs not from Islam, but it completely emanates from the relations of Muslims to each other or from the relations of the Muslim society with the other nations.

#### 5—The Forgiveness :

The same way is forgiveness in its significance and its evolution from its first meaning to another one attached to it. Reading, for instance, the saying of the Almighty God "Those who restrain anger, and pardon (all) men; for God loves those who do good" [ S. The family of Imran, V. 134.], we will be sure that the significance of forgiveness which was considered one of the virtues is the abandonment of penalty inspite of the ability to perform it. This may be more evident in the following saying of God "For God loves those who do good." So, clemency here is nothing but a methodical picture of the respected humanity which can be represented in the self-control and forgiving with the ability to take revenge. This meaning is very evident in God's saying



" ( they are) those who persevere in patience, and put their trust on their God" [ S. The Bees, V. 42. ] And " Then when thou hast taken a decision, put thy trust in God. For God loves those who put their trust ( in Him. )" [ S. The family of Imran, V. 105 ], we will find that duality in which the dependence-in the islamic point of view - will be no virtue or desired by Islam, except with the joining between its two edges.

But if-in any time-the meaning of dependence become nothing but waiting for God's help without producing any effort or using human activity, surely that meaning and significance will be an intruder one on the islamic society. As it means that it changed as a result of the change of society itself.

Looking for the factors which intruded and came to the islamic society and caused that change in the society and the significance of the dependence which turned to be equal to the indolence, we will find the same thing which we already found. That is the weakness of the islamic society, the separation of the relations, being away from the examples and values, and turning to the daily needs which help man to realize his material duration as a living entity inclines by the duration instinct to covet it eagerly.

Going more and more in the analysis of the specific elements of weakness, separation and avoiding the supreme values, we may find that these elements emanate from the spread of the individuality and egoism which direct the individuals of the society, especially when it goes into successive difficulties and its members lose their self-reliance and mutual relations.

The islamic society - like any other human society - passed with many difficulties. Its members lost their self - reliance as they left doubt towards each other. Therefore, they strived only to realize personal stability or rather to keep the individual and personal duration.

The significance of the dependence in its evolution and changing speaks about the turning of the society itself from power to weakness, and that by turn clears that it is the result of the turning of the society.

#### 4.—The Modesty :

The significance of modesty is not an exception or away from the former ones. But it changed as a result of the change of the society itself. Indeed, the first sense of modesty-thetfore it was a virtue-was the self bearing in order to avoid the means of power deception and pride which may sometime be in



So, the significance of patience can represent two kinds of the Islamic society, as in the mean time, the change of the Islamic society is responsible for turning the former meaning of patience to the latter one. Hence, we can say that the powerful society can add to the meaning its aim and power. Also the weak society will lose the power of the meaning or replaces it with a weak significance.

### 3 — The dependence :

The same as we found the clemency and the patience significances, the same we find in the other meanings and significances which firstly were of certain sense, then they turned according to the alteration factors that changed the society, its aims and feature. A clear evidence for that statute is the dependence. Reviewing the Qur'anic verses that ask man to depend upon God, we will find that they never went away from the meaning of joining the human endeavour and using all the abilities, with asking help of the almighty God "exalted be He". In the Qur'an also there is no distinguish between the human endeavour and asking God's help. In this respect the glorious Qur'an says : "No reason have we why we should not put our trust on God. Indeed, He has guided us to the ways we (follow). We

shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on God." (S. Abraham, V. 12.) And says also addressing the prophet : "peace be upon him" "And obey not (the behests) of the unbelievers and the hypocrites, and heed not their annoyances, but put thy trust in God, for enough is God as a disposer of affairs." (S. The confederates, V. 48.)

Reading these verses, we will clearly observe that the glorious Qur'an has joined two facts to each other. It linked the human effort to the asking of God's help. In the first verse, it tied between the human effort in being patient towards the harm caused to them by enemies, and between the asking of God's help in order to enable them to be patient till they realize the prospective result which is to raise the values of the human life according to the teachings of Islam. The second verse also tied between the human effort in being disobedient to the unbelievers and hypocrites and bearing their harm without giving them any attention, and between asking the divine support till the realization of the believer's victory.

Like that, if we turned to other verses such as the saying of God

So, if we passed over the quranic verses in which patience was mentioned, we would find that sense which we already denote to, and which we considered as the first meaning of the patience. This may be clear in God's saying "But verily thy God, to those who leave their homes after trials and persecutions, and who thereafter strive and fight for the faith and patiently persevere, thy God after all this is oft-forgiving' most merciful," [S. The Bees, V. 110.] and the saying of God "But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for God compasseth round about all that they do" [S. the family of Imran, V. 120]. "And obey God and His prophet and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart, and be patient and persevering for God is with those who patiently persevere." [S. The Spoils of war, V. 46.]

"And join to-gether in the mutual teaching of truth and of patience and constancy." [S. Time through the age, V. 3.]

Saying these verses and more than them, Qur'an calls people to patience and asks them to take it as a behaviour. It does not mean more than the spiritual bearing for the sake of the belief, values and the prominent examples. This is because the good

aim is the most important thing in the life of man who has a human character and supremacy in his humanity. This in fact is the distinguished aim in life. The aim of life will not be a human and a distinguished one, unless it is for belief in a certain system of life, and for the sake of realizing this system and carrying it out.

But the patience of one who can not afford his living needs, or who has no way to earn his living because of illness, and the patience of one who is hungry waiting something to satisfy him, that is another meaning and significance of patience, but it is not the patience which mentioned in the prophetic saying "patience forms half of the belief."

Therefore, when the meaning of patience turned to the latter meaning, this surely mean that it turned under the new impression of the society at which the Muslim society had turned at the beginning. But the new sphere of that society will be a materialistic one which urges people to seek their material needs, especially after the relations and unionization among the individuals became weak and after the muslims became far from seeking the human values and examples and struggling in order to realize and to keep that values.

changing the meaning and significance of the word "clemency : Ihsan", we can say also that this change illustrates the alteration of the society itself. Therefore, the history of Islam illustrates two kinds of the human societies. The first looks for superiority, highness and it is ready to perish in that cause, while the other one looks only for the sufficient means of poverty and hunger. Surely, clemency in its turning from a significance to another refers to the turning from a society to another.

### The Patience :

As to the significance of patience, it had a certain meaning since the advent of the first islamic society. Then when that society turned to another one, the patience took another meaning in order to go with that society.

Patience at the begining of the islamic message was the practical representative of the powerful belief, meaning that the powerful belief was attached to man, he could not leave it, as it also could not leave him, Consequently, man bears, for the sake of belief, all the means of spiritual and the material harm. This is because as long as he is a practical expression for the powerful belief, there is no room for being impatient or fretful. God the Almighty, when He addresses the prophet "peace may be upon him" saying "Therefore patiently persever"

as did all messengers of inflexible purpose and be in no haste about the unbelievers". He actually means to advise him to be patient especially for the belief and preaching to the islamic call. This patience was not at all a cause of poverty or a psychological crisis resulting from despair in realizing a material personal wish, but firstly and lastly it was psychological bearing and patience for the sake of the call and to face the hindrances and obstacles which his opponents put before him. He also considered that patience will be the bridge on which he will arrive to the main purpose, that was to succeed in his call. In other words, he aimed to turn the belief in the call to a practical result which was to build the new society wanted by the heavenly message.

This sense may be assured by the saying of God "But they never lost heart if they met with disaster in God's way; nor did they weaken (in will) nor give in. And God loves those who are firm and steadfast." [S. the Family of Inran, V. 146.]

This verse clearly denotes that patience in its first meaning and significance was spiritual bearing-for the sake of belief and call to the divine message-before being a material one, especially because poverty and hunger.

first islamic significances alone-which is the distinguished human one. Therefore, when the Qur'an says "But do good, for God loveth those who do good" "We have enjoined on man kindness to his parents", it does not mean more than to utilize a human treatment, manner and behaviour. Furthermore, when it says "whoever submits his whole self to God and is a doer of good, has grasped indeed the most trustworthy hand-hold" [ S. Luqman, V. 22. ] "Behold! he that is righteous and patient, never will God suffer the reward to be lost, of those who do right" "And those who strive in our ( cause ), We will certainly guide them to our paths: For verily God is with those who do right", it surely means alone the character of piou-ness, patience and struggling in the cause of the high principles and the human values. It is the human character which raised to the high stand-ard of humanity defined by the significance of clemency.

All what the holy Qur'an men-tioned, whether related to goodness or adapted from it such as clemency and good doer, does not bear any more meaning than what we refered to. That is the standard which causes spiritual stability and strong relations between man and other.

When the meaning of clemency

after that changed or deviated to the meaning of material giving or charity, that really came as a result of turn-ing of the society and its objectives from struggling the cause of the high standard of humanity, its prin-ciples and examples, to the means of earning living and struggling for it alone. In other words, this change came as a result of the alteration of the society's objectives from being methodical to materialistic ones.

As a matter of fact, the islamic society turned to that material objec-tive only when it became weak and when there was a long distance be-tween the conception of the actuality of the human values and the mobi-lization through belief in order to realize its actuality. Clemency in its turning from the meaning of the high standard of humanity to the meaning of how to earn the material living, surely illustrates the evolution of the islamic society itself, when it turned from the methodical society of the power, belief, stability, co-operation, unionization and of strong advance-ment in realizing its examples and aims, into a society away from all that, whether in the relations among its members or in its aims and ob-jectives or in the way of realizing its own purposes of life.

IF we say that the alteration of that society was the cause of

reach to that standard, except the one who strives hard to become a man and to reach the standard of humanity. He is always careful to avoid egoism, all the means of lusts, sexual desires and both internal and external instigative factors which have the power to deviate him from being of prominent human standard. This sense is clearly illustrated by the Qur'an in God's saying "But do thou good, as God has been good to thee, and seek not (occasions for) mischief in the land" (S. The Narration, V. 77.).

The good things which God the Almighty has bestowed on man are as follows: Firstly, the creation of man, the holy Qur'an says "And has given you shape, and made your shapes beautiful" (S. The believer, V. 64.)

Secondly, His guidance to man which is completed by belief in God and worshipping Him, as it is illustrated in the prophetic saying "You worship God the same as if you see Him" answering a questioner about clemency.

As a matter of fact, clemency in its first significance and meaning, since the advent of Islam, is the human distinguished and instructive sense which is expressed by saying and action. In this respect the Qur'an says: "O ye who believe! the law

of equality is prescribed to you in cases of murder: The free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman, but if any remission is made by the brother of the slain; then grant any reasonable demand and compensate him with handsome gratitude." (S. The cow, V. 178.) "Come not nigh to the orphan's property except to improve it" "The parties should either hold together on equitable terms, or separate with kindness." "When a (courteous) greeting is offered you, meet it with a greeting still more courteous or (at last) of equal courtesy" "Speak fair to the people" "Say to My servants that they should (only) say those things that are best."

"Invite (all) to the way of thy God with wisdom and beautiful preaching; and argue with them in ways that are best and most gracious".

The above mentioned verses have demonstrated the different aspects of the honourable human picture which gives the quality of clemency to its owner, and which makes any thing springs from him good, whether it is deed, words, action, behaviour, call or neighbourhood.

The other verses in which the holy Qur'an asked man to be clement, give the meaning of clemency in its

Remaining not too long to this theoretical aspect in order to interpret the changes of these significances from their former position, we have to indicate to some of them, as we also have to indicate to the changes of aims and purposes of life. To reach easily to the link which we mentioned before, it may be better to explain the relation between the objectives of the islamic message, when it was revealed to the Prophet Mohammad "peace may be upon him", and the meanings and significances which the message had embodied at that time. This link was that the change of the aim led to the change of the former definition of the significances and meanings. Verily, the islamic Message — as we aggregately before said — put the lines of the high standard of the human beings which Muslim — by means of his religion — should reach and keep it during all his life time as long as he believes in Islam and its values. These lines also forms significances and meanings which are, in the same time, commendments and which muslims can turn them into actions.

Shortly, these significances and meanings are called "Virtues" by the ethic scholars. Every body should be practised in them till they become some of his habits and a second

nature for him. It may also be said that the formation of these significances and meanings in the human being is a picture for the supposed rectifying of the good person, a picture for the good manner in the good mannered person, and a picture of education in the educated one.

### 1 — The Clemency :

The islamic message when it calls people and induce them to clemency, it surely aims at creating such a man of clemency, or in other words the attributes which lead him to be of humanity, as humanity in its actual meaning is the goodness in all sides and aspects. The glorious verses in this respect obviously denote to that meaning. The holy Qur'an says in the chapter of Cave : "As to those who believe and work righteousness, Verily We shall not suffer to perish the reward of any who do a (single) righteous deed." ( V. 30 ). The clemency and goodness which mentioned in that verse, and which God promised a good recompense for it, is the same one which is represented in belief and good deeds. Undoubtedly, belief is an elevated picture for humanity, and the good deeds — which have their effect in leading to co-operation and unionization — are also an elevated picture for humanity. No one can



# THE ISLAMIC CALL REVIVAL SHOULD BEGIN FROM THE ESSENCE

BY

Dr. Mohammed El-Bahay  
chancellor of Al-Azhar University

---

The islamic message has embodied - since it was revealed - the meanings and significances which denote the way of life and the behaviour of the human being, whether towards his God, his family, or towards the other individuals of his society. These meanings and significances were the source of urging and motive of life. The Muslim people, during the message era and not long after it, represented all these meanings and significances, as they clearly took them in. This was before they had any touch of obliquity in their understanding.

The individuals of the islamic society were so strong as they had correct orientations and motives in life. The islamic society itself, according to that, was a powerful, united and more supportable one, whenever these meanings and significances were sincerely practised as a rule of behaviour and a monde of life. Surely, the aims of the society were emanating from these significances and meanings, that are not more

than a defination for the human standard to which the human beings should raise, if they became lower in behaviour or away in direction, and to which they should stand at and keep when they reach it.

But after that, it was remarked that these meanings and significances started to be away from its former position, and accordingly had another view of life and other way of behaviour that differs from that which they denoted to during their former time of the message and not long after it till that change happened.

This change may be happened because of the other objectives which differ from that of the message that embodied and defined as to be pratctically utilized in the life. In other words, the cause of turning these significances from its former position-which was to raise people to the human standard and to keep standing at it-may be the abandonment of the true objectives of the message itself.

The charge of the orphaned Mohamed was undertaken by Abd Al Mu'alib his grandfather A. D. 576.

Ibn Hisham in his book "Assira" narrated how his grandfather has preserved traditions of fondness, and how the old man of fourscore years has treated the child spreading a rug for him under the shadow of the kaaba protecting him from the rudeness of his own sons etc.

God adds in the same Surah "And found thee erring and guided thee" This verse refers also to the puzzle which Mohamed was enduring, and the loss in which Mohamed was staggering without comfort.

Up to his 40<sup>th</sup> year, Mohamed followed the religion of Ebrahim the prophet. Tabari says that when he first entered on his office of prophet, even his wife khadiga had read the scriptures, and was acquainted with the history of the prophets, but his comfirmity can only have been partial.

God rescued Mohamed from erring and wandering. His puzzle reached its zenith when he became forty years old. He isolated himself in the cave of "Heraa" to worship his almighty Lord. All of a sudden he found his way to comfort and bliss.

Some interpreters say that Mohamed was once lost in the desert of Mecca, and somebody led him to his uncle Abu Taleb. Others say that he lost his way across the way leading to Syria.

On the other hand some interpreters say that Mohamed sustained loss after his nurse "Halima" has taken him when he was a baby.

According to me his puzzle was due to the impatience, and idolatry with which he was living. He was anxious to leave the foul air to a pure one.

God addresses his messenger not to wrong the orphan, and not to chide away one who asks him, and to tell abroad the favours of his Lord.

God gave him these orders because he was an orphan, and underwent heavily the burdens of orphanage. Every person is exposed to have an orphan, or to be himself the orphan.

The prophet was in search of guidance, and asking for comfort. It is not meant by "one who asks" a beggar, but it is meant generally one who seeks your aid, guide, or consult.

One should confess with the favours of God. The rich who does not spend his money in the respects of good deeds not tell about the favours of his great Lord.

The savant who does not spread knowledge, and teach one who seeks cognisance does not tell abroad the invaluable favours of the bounteous God.

It is stated that if God bestows upon a slave a favour, He loves to see its traces on him.



hate thee, and verily the latter portion will be better for thee than the former. And verily thy Lord will give unto thee so that thou wilt be content. Did He not find thee an orphan and protect thee. Did He not find thee wandering and direct thee? Did He not find thee destitute and enrich thee? Therefore the orphan oppress not. Therefore One who asks, drive not away, therefore Of the bounty of thy Lord be thy discourse."

This Surah is called "Ad'Duha" or the morning hours. It took its name from the first verse. Ad'Duha is the light of the sun during the youth of the day. God swears by the lightness of the day explaining the first meaning "By the sun and his noonday lightness" (S. the sun, V. 1.) On the other hand He swears explaining the second meaning "On the feast day be your meeting, and in broad daylight let the people be assembled" (S. Taha. V. 59.)

Consequently the word "Ad Duha" has two meanings, but in both cases it is worthy of swearing.

God swears after that by the night when it is still. In this way God swears by two contrasts: movement, and stillness. The hours of the morning refer to the revelation, and the night symbolizes its suspense. Movement is always followed by stillness.

God adds that surely the future should be better for him than the past. It is not necessary to focus the meaning of the future on the day of judge-

ment, but one may understand that the consequences of affairs would be better than the previous attitudes.

God reassures his pledge, and swears that his Lord will be bounteous to him in the end, and the Prophet will be satisfied.

God fulfilled his promise, and Mohamed emerged triumphant from all these calamities. God revealed him at the pilgrimage of farewell "This day have I perfected your religion for you, and completed my favour unto you, and have chosen for you as religion "Al Islam", [Surah the table spread V. 3.]

God adds in the Surah of Ad'Duha "Did he not find thee an orphan, and gave thee home" This verse refers to the early life of Mohamed.

Mohamed grew up orphaned because as soon as his father got married with his mother "Amina" He made for Syria with the view to carrying on commerce. On his arrival at Madina he sent his last breath, and was buried there. His son Mohamed was not yet born.

Abu Taleb took care of him and he was the person who called him "Mohamed". His love exceeded when his mother died and the child was still six years old.

His mother was accustomed to visit his father's tomb at Madina every year. In the course of the last visit she fell ill. Then she faced smiling her doomed fate.

Elbokhari related that Aisha had said : " the divine inspriation appeared at first to the messenger of God as a righteous dream while he was asleep. Every dream which he had dreamt appeared as the breaking of the morning. He became sticked to the empty places to forget the world. He isolated himself in the cave of " Heraa " where he worshipped God several nights before returning to his family.

He was accustomed to return at times to Khadiga to supply himself with food. Afterwards he hastened to the cave to continue his task to worship his Lord. All of a sudden God revealed the loss which had befallen him. Gabriel, the angel, descended, and addressed him " Recite " Mohamed replied " I am not a reciter ! " Then he embrassed, and covered him, and directed the speech to him again " Recite ". The prophet answered " I am not a reciter ". The angel took him once more, then he said " Recite " The prophet reanswered " I am not a reciter " .

Gabriel did not despair, and took the prophet and covered him. When he releazed him he told him abruptly " Recite thou in the name of thy Lord who created man from clots of blood. Recp thou ! for thy Lord is the most beneficent, who hath taught the use of pen, hath

taught man that which he knoweth not " .

The prophet returned back trembling out of fear. As soon as he caught a glimpse of his wife Khadiga bent Khowayled he cried out " wrad me ! wrap me ! " .

They wrapped him till the images of fears, and the portraits of terror forsook him.

Notwithstanding Mohamed was afraid, and filled with fright yet he was convinced that the right which had espied was the light which he had been eager to fill his eyes with it. It was the guidance which he was anxious to appear to enlighten the dark hearts, the bliss, and the blessing for the confused souls.

When the divine inspiration forwent him, and the prophet received no revelation he became downcasted, and seemed in low spirits. Many appeals were raised to God to reveal his sorrow, sadness, fear, and inpatience. The idolators mocked him saying Allah of whom we used to hear so much, had forsaken poor Mohamed and now hates him. God animated his dead hopes, and vitalised his lost prospects " In the name of Allah, the beneficent, the merciful. By the morning hours and by the night when it is stillest, the Lord hath not forsaken thee, nor doth God

# A PERIOD OF PUZZLE

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

---

Mohamed, the prophet, was born in the 10<sup>th</sup> of Rabee Alawal 571 A. D. which was called the elephant year. When he grew up, and reached the age of consideration, discernment, and choice, he felt that he was foreign to the environment in which he lived. He felt loathsome-ness, and disgust towards the customs, and habits of the Arab society.

He refused to drink wine, and gamble. He rejected to eat what was slaughtered on the posts. He declined to attend the feasts of their idols, and image worshipping.

He hold strong aversion, deep detestation, and profound repugnance towards the pre-Islamic custom of burying daughters alive, injuring the rights of the weak, and appropriating the wealth of the others without the atom of right.

As well as he grew up he became more disgustive with idolatry and oppression. He felt great pain, and wching spiritual torture. All of a

sudden he made up his mind to wipe out these evils, abolish these ills, and get rid of these mischiefs. He asked God to sustain him in his bitter trial.

Some people noticed his noble manners, and mildness, and was attracted with his good conduct. They called him "the honest".

No wonder he holds this name because he was a typical ideal of fidelity and candidness. No one found a way to injure his behaviour.

When he reached the age of forty he got to the climax of distress, and annoyance. He became puzzled and confused, on occasion of finding no way to guide his people or to be satisfied with the environments.

He seeked a method to secure him from this bitter impasse, and critical predicament.

He made for the empty place, relinquished all people and waited for the mercy of our Lord.

by Moslem jurists as all other aspects of Moslem legislation until they became of so wide a scope as to regulate all relations in a way that would realise social benefit, and general peace.

These bases were laid by Islam, and expounded by Moslem jurists and legislators at a time when former civilised countries were the victims of obsolete traditions that gave little or no consideration to justice and peace. These countries' example and outdated tradition were followed by the countries of modern civilisation until the modern international law in the 17th century laid down by a Dutch jurist, and based on the principles of natural law now rejected by all jurists as a reliable law worthy of the consideration accorded to all other laws.

The world has in our modern times tried to ensure peace through the establishment of international organisations, but the human holocausts taking place all over the globe, are conclusive evidence of the utter failure of these trials to achieve their desired ends.

Compare these with Islam's just and frank rules, and its guarantee of the realisation of its laws and dictates, since it is incumbent on all moslems in accordance with their religion to observe and obey these dictates whether as concerns themselves or others.

Quotation may be made in this connection of certain God's sayings as a commentary on some of these international rules, "This is God's judgments, God would judge among you for He is wise and knowing."

"Should you do it, there will be on earth great discord and corruption."

"Judge amongst them in accordance with God's revelation, and do not follow their whims, and beware lest they should draw you away from some of God's revelation. Should they refuse to you, know, therefore, that it is God's desire that should be the victims of their own sins, for many people are impious. Do they want the rule of ignorance? But surely God's rule is best for those who are judicious and wise."

*Interpreted by Pilot Ali Effat*

*Director Photographic & Ciné. Dept. Military Factories  
( Ex. Secretary Youngmen Moslems Association )*

party is more numerous than another party." "Therefore take not your oaths between you deceitfully, lest your foot slips, after it hath been steadfastly fixed, and ye taste evil in this life, for that you have turned aside from the way of God; and ye suffer a grievous punishment in the life to come."

Islam laid such strong emphasis on the principle of strict compliance with covenants. That it considered a covenant as constituting a bar to the necessity of religious protection, in that if a community in a foreign country between which and Moslems a covenant is concluded, are persecuted because of their embracing Islam, Moslems may not go to their support or protection out of respect of their Moslems covenant with that country. In this sense the Koran says, "But they whom have believed, but have not fled their country, shall have no right of kindred at all with you, until they also fly. Yet if they ask assistance of you on account of religion, it belongeth to you to give the assistance, except against a people between whom and yourselves there shall be a league subsisting."

The above are briefly the most important rules by which Islam regulated the relations between Moslems and other countries, and the treatment accorded by Moslems to non-moslem residents of their own countries.

Islam has further regulated general international relations on the basis explained before; and laid a sound foundation for the organisation of the treatment of the non-Muslem population of moslem countries; based on the following :—

1) Participation with Moslems in general rights and obligations.

2) Allowability of non-moslem ruler; and that a moslem ruler may deal with such affairs in accordance with their own religions.

3) Fair treatment to non-moslems. Various commandments were given by the Prophet to treat non-moslems fairly and equitably.

4) Religious tolerance provided non-moslems, religious practices are not of a nature to impair Moslems, faith in their religion. Islam has, thus, and since 14 centuries ago, ensured freedom of faith which was responsible for much aggression and persecution in Europe, until it was at long last ensured in modern times.

These are the basis on which international general and private relations were regulated by Islam. They were laid down by the Koran, expounded by Moslem legislation, explained by the Prophet's and his followers' actions, and then subjected to exhaustive discussion and study

tribute that has been collected from them, and inform them that you return their money on account of the news received of the considerable forces levied against Moslems who being incapable to check them in accordance with a previous condition, should return the collected tribute until such time as they emerged victorious by God's will, when the said condition and the agreements between them and non-moslems would again be given effect."

In this Islam does not ignore the necessity of exercising mercy and clemency, through the unpermissibility of any tribute being imposed on women, minors, those of weak constitution, or unable to earn their living, or on monks who follow a secluded life.

Convents in the view of Islam :

Islam makes it incumbent on Moslems that their policy regarding covenants in general should be based on relaxation with a view to the establishment of peace and justice. It abhors all covenants that are founded on force, aggression, or repression, and detests hypocrisy and treason. It describes violators of treaties as worse in God's view than beasts, and recommends severe treatment for traitors who respect no obligations and do not fear God.

Islam permits, however, revocation of covenants only in case this is justified by any emergency or expediency between Moslems and their enemies, but necessitates that the enemy should be enabled to communicate the notice of revocation to all parts of their country. A relevant statement by El-Kamal Ibn El-Hammam, the Hanafi Jurist, in expounding God's saying, "Should you fear treason from a people, revokes your covenant with them, for God dislikes traitors," is to the following effect, "Mere notice of revocation is insufficient, for the enemy should be allowed enough time for their king to communicate the new all over his kingdom. During such delay it is forbidden for Moslems to take any aggressive action."

In this connection it might be appropriate to quote the following koranic verses which rightly provide a clear illustration of Islam's general rule regarding the respect of promises, "Perform your covenant with God, when you enter into covenant with him, and violate not your oaths, after the ratification thereof, since ye have made God a witness over you. Verily God knoweth that which ye do. And be not like her who undoeth that which she hath spun, untwisting it after she hath twisted it strongly; taking your oaths between you deceitfully, because one



example of this is provided by the treatment meted out by Moawieh to Armenians to whom full liberty was given to appoint their own rulers, judges, and chiefs, and to retain their own religious and military traditions.

Islam leaves to Moslems the appreciation at their discretion of the value to them of each kind of these treaties, with one single restriction, namely that the treaty should be consistent with basic islamic rules, and the general legislation of Islam.

This is derived from the Prophet's saying, "All conditions that are not found in God's book are null and void," and is similar with the practice of modern countries to consider all treaties that are not consistent with the Constitution as invalid.

The above principle is not, however, exclusively used in the interests of Moslems, as it is also applied to non-moslems. In this sense certain jurists say: "If a ruler saks freedom of faith against a tribute provided he is given freedom to rule his people in an arbitrary manner, killing men, and managing their affairs corruptly and injustice while being able to stamp it out is ungodly."

Islam permits Moslems to forego in necessity certain of their rights; or to conclude peace treaties

with others, or to advance them with money in expectation of some future good, or as protection of foreseen evil. A good example of this is afforded by the Hodaybieh Peace Treaty which is indicative of Islam's tolerance, and flexibility for the attainment of a state of peace and tranquility.

Closely related to the peace treaties is Islam's establishment of the principle of tribute payment. Tribute is not as imagined by certain people an exemption from embracing Islam, or a security from aggression, for it only serves as a symbol of the loyalty of tribute payers, and their abstention from causing disturbances, or hindering the Islamic movemen. It also represents a financial contribution which enables them to take part in the active administration of their country's affairs, and be afforded with full security as regards their families and wealth.

It was related in the "Book of Tribute" by Imam Abou Youssef that Abou-Abda, having concluded a peace with the people of Syria and collected taxes from them, learnt that the Greeks had levied strong armies against the Moslems, and subsequently wrote to the rulers of moslem cities in the following terms.

"Return to non-moslems the

is an expect of true faith. God says in appreciating the qualities of true believers.

"They give food to the poor, and the orphan, and the bondman, for his sake, saying. We feed you for God's sake only, we desier no recompense from you, nor any thanks."

Moslem rulers were given full liberty to release their prisoners at their discretion either with or without ransom, in the light of public interest. The Prophet himself has given money ransom to release prisoners and to that same end arranged for the instruction of Moslem children in writing. As to the Prophet's giving authority for slavery in was necessitated by the social conditions prrevailin at the time, thoug inconsistent with the general legislation words," and either give them a free dismissal afterwards or exact a ransom."

The legislation embodied in the above verse together with the Prophet's own actions are clearly indicative of the fact that Moslem rulers are entitled in certain circumstances to such rights as would enable them to deal with problems without their rights constituting general legislation for all times.

Just as Islam has advocated

generous and merciful treatment to war prisoners, it has also made legislation for the distribution of the spoils of war justly and equitably, giving the right of their acquisition to those who obtained them without distinction being drawn in this respect between Moslems and others.

Islam is most observant of the realisation of peace and security for the world, and therefore calls on all Moslems to be peaceful, and not to follow the footsteps of Satan. In this sense God revealed to his Prophet, "If they incline to peace, do you also incline thereto, and put thy confidence in God."

Islam seeks to achieve this end through negotiations in accordance with usual practice, accepting messengers and envoys' mediation, without formalities that might lead to competition or confusion. On these bases Islam concludes treaties either for the temporary cessation of hostilities or in other words armistice, the Hodaybieh Treaty, or final termination of war as occurred in the Negrans wars when the enemy was required to place themselves under Moslem protection on certain agreed conditions.

There is another sort of treaties whereby the country forming party to a treaty is assured of self-government under moslem sovereignty. An



other benefits in the fields of industry, culture, and other aspects of social activity. A striking example of Moslem tolerance is provided by the great attention given by Moslem doctors to their wounded enemies as in the wars of Salah-el-Dino against the crusaders.

No restriction is placed on Moslems in this connection except to take such precautionary measures as to protect themselves, their country, and their religion. They are thus prohibited to sell their arms, munitions, equipment or horses to their enemies.

The system of "security" further serves to provide an opportunity for those to whom it is granted to be acquainted with the realities of Islam, and to closely study its aims and objects, and this served in turn to propagate islamic principles, and to communicate God's words and commandments to distant countries without war.

Certain Moslem jurists are of the opinion that "Moslem rulers should on the expiry of the period of security offered to a preson, allow him a further period of time which may be sufficiently long as to obviate any possible embarrassment to him especially if he has such dealings as might require a lengthy time."

6) Of the traditions of Islam in wartime is the protection of messengers charged with the communication of information between Moslems and their enemies, the extreme care exercised for their safety until they return of their bases, and the refusal to retain them even if they disown their people. Evidence of this tradition is provided by many actions of the Prophet, a distinguished example of which was reported by Abu-Rafei. He said, "Quoraish sent me to the Prophet on whom be God's peace and blessings. When I came to him; I experienced an ardent desire to embrace Islam, and therefore considered not to return back to Quoraish. So I said to the Prophet, "O Messenger of God; I shall not return to them", whereupon he replied, "I never break a promise or a pledge. So return to them, and if you still feel the same desire, come back to us."

7) Treatment of war prisoners constitutes an important section of Moslem Legislation recommending that they should be treated with kindness and generosity.

Regarding such treatment, the Prophet once said, "Thou must treat thy prisoners fairly, and "Gather" thy food and send it to them". On the other hand the Koran urges that war prisoners be treated with clemency and considers this as charity which

conformity with the principle of the unpermissibility of fighting the non-combattant women, children, the old; the incapacitated and civilians that fighting nations should on no account be starved, and the necessary provisions prevented from reaching them, although this may be permitted as regards fighting forces.

5) One of Islam's principles during wartime which is indicative of tolerance is the permissibility for fighting individuals and nations to get in touch with Moslems, enter their country where they may stay for a certain period during which they are entitled to transact commercial and other business under the protection of certain tradition known in Moslem Legislation as "Security" whereby they are assured of every protection both as regards their lives and wealth so long as they remain in Moslem territories. They are granted further facilities, privileges, and immunities which are not even enjoyed by Moslems and are called to account only for crimes which endangered the safety and security of the State, or involve aggression against Moslems.

Islam has gone a further step forward in this respect by entitling all moslems of all social classes, to give refuge and security, provided that the safety of moslems be assured

by ascertaining that the persons to whom security is granted have no such power at their disposal, and are not disposed in such a way as to threaten Moslems to act as spies on them, or to cause disturbances.

This does not; however, mean that the rights of Moslem rulers to exercise their authority in the management of their people's affairs is either overlooked or ignored, for on the contrary, they are entitled in virtue of their general jurisdiction, and discretionary management of affairs in the best interests of their people to invalidate any "security" offered by a Moslem which has not fulfilled the necessary requirements. They are further authorised to restrict or to prevent altogether the practice of individuals to grant security.

This principle of security which as already referred to is clearly illustrative one of Islamic tolerance in a degree that has never been attained even by modern civilised nations has its origin in God's saying, "Should an unbeliever seek thy protection, grant him protection until he hears the words of God, and then assure him of his security."

By the grace of this "security" Islam allows commercial exchanges between Moslems and their fighting enemies; as well as the exchange of

thy enemy, invite him to accept one of three alternatives."

In this connection a noted religious jurist said, "Through this invitation we make our intention clear to our enemy that we do not aim at extorting their wealth or taking their families captives, for this might lead to their submission without due invitation is a great sin deserving of God's displeasure."

B. In the course of War.

Islam's aim from war is not oppressive or destruction; neither does it favour that people should in wars forget the dictates of humanity to treat people with kindness and mercy, in a spirit of observing justice, and fearing God.

It places on Moslems certain obligations in wartime which if observed by modern people would have greatly alleviated humanity's distresses and healed its wounds.

It is only too appropriate to refer in this connection, at a time when the world is sunk deeply in the horrors of war created by man or his own destruction, in which he wasted his effort, blood and wealth, to certain aspects of Islamic principles regarding wars, so that people may learn that Islam is the religion of mercy, kindness, justice and reform.

1) Islam prohibits the killing of women, the young, the old, the crippled, the blind, and the mad. It also forbids the killing of monastery inmates, farmers, and non-combattant workmen.

2) Islam disapproves of arson, trees cutting, and demolition unless the enemy has taken the first step in that direction in which case these measures are permitted on the strength of the principle of retaliation; "The evil should be met by a similar evil."

3) It also forbids finishing the wounded off and prohibits burning.

One of the Prophet's counsels to a leader which serve to illustrate these principles was, "Do not kill a woman, or a boy, or an old person, neither cut a yielding tree, or demolish a populated place, or kill a cattle unless for eating, or sink or burn palm trees." Another counsel being: "Only God should punish by fire."

A further famous saying of the Prophet was to the effect that, "Don't kill children in wars, and the people enquired, "O Prophet, but are not they the children of infidels?" whereupon the Prophet answered, "but are not the best of you the children of infidels?"

4) Islam further establishes in

for invasion and colonisation, nor has it consented to wars of oppression, and persecution urged by covetousness, or a desire to impose authority on the weak to extort their resources and reduce their standards of life. It considered all such wars as wars of aggressiveness and oppression that should not be prosecuted by any nation that held any respect for humane principles, and therefore restricted the scope of war being a necessity within a narrow circle; limiting it to its reasonable causes and justifications such as :—

A. The redress of wrongs and injustices.

B. The establishment of the freedom of faith.

C. The defence of the mother country.

Guidance to these aims is given in various parts of the Koran, e.g. "Fight for the sake of God's religion those who fight you, but do not transgressors." "Fight against unbelievers collectively, as they fight against you, and know that God supports the pious." "He permitted those who were wronged to fight, and God capable of bringing them victory, and commanded those who were unjustly compelled to leave their dwellings to say God is our Lord."

The general basis of the justification of war is amply provided in God's saying, "As to those who have borne arms against you on account of religion, and have dispossessed you of your habitations and have assisted in dispossessing you, God forbiddeth you to enter into friendship with them, and whosever of you entereth into friendship with them, those are unjust doers."

Islam later laid down for war itself a detailed legislative ruling based on justice, mercy, respect of rights and defence of humanity. This ruling applies to all stages of war, either before, or in its course.

A. Before the War (refer in this connection to the chapters of struggle and biography in the books of the "Hadith" ( Prophets, sayings ) and Moslem Legislation.

Islam establishes that on no account should war be started until the enemy's feelings of antagonism towards Moslems has been ascertained, and when this has been ascertained it is incumbent upon Moslems to notify their enemies of their intentions. This is similar to the final warnings in the modern international practice and is clearly illustrated in the Prophet's saying to one of his leaders, "should those meet

who have not aggressed against them because of their religion or dwellings, and goes further in this direction to the extent of dealing kindly and generously with them. This constitutes the first state — the conditions of peace and friendly relations.

### The State of War :

As to the second state — of war and antagonism, it was viewed by Islam from various standpoints.

### Islam's recognition of war:

Islam viewed war in itself as an unavoidable exigency necessitated by the nature of the human society. Islam has not, therefore, attempted to deny it, or to repute its consistency with the true requirements of human nature, but recognised it as a necessary means of meeting aggression, resisting oppression, and controlling revolutionary Moslems.

War was recognized by Islam on the strength of the fact that human nature and social relations frequently engender disputes, antagonisms, and aggressions against liberties, and violation of religious principles.

Had Islam which is essentially a practical and reformatory legislation that appreciates the strength of

actual facts and not recognised war as a mean of resistance in face of aggression, and for removing such obstacles as were placed in the way of its appeal for the general good; the elements of corruption and evil supported by the power of aggression and obstinacy would have destroyed all possibilities for the success of the Islamic Movement in its early stages, thereby depriving humanity from gleaning the healthy fruits of this movement ?

This sense is clearly illustrated by the Koran in God's saying, "Had it not been for God's urging people against each other, the world would have been a place of corruption, but God is indulgent towards people." "Had it not been for God's urging people against each other, monasteries and mosques wherein God's name is repeatedly celebrated would have been destroyed."

The above is an illustration of Islam recognition of the legitimacy of war.

Islam has, furthermore, considered the justifications and the reasons of war in a way that conformed with its aim at general righteousness; equality among people, and upholding the dictates of justice and mercy. It has not, therefore, permitted wars which were motivated by a desire

and exchange benefits with each other, and to co-operate together without restriction except in so far as was necessitated by the prohibition under Moslem legislation of certain dealings and relations as usury, marriages between Jews and Christians and Moslem women, or between Moslems and the unbelievers in any heavenly religion.

No restriction is placed on Moslems by their religion to institute such relations or to conclude such treaties as are in their discretion beneficial to them in the fields of commerce, industry, politics, education or culture. They were at liberty to organise such relations on the basis which they found suitable, and which while being consistent with the normal rules of society, was not contradictory with their own mode of life.

Islam further lays down certain kinds of benefits whose appreciation is left to the discretion of the community of Moslems.

It is on this basis that Islam calls for the conclusion of treaties for the maintenance and preservation of the natural state of peace. An example of this being the treaty made by the Prophet, peace be upon him, with the non-Moslems in the early period of his stay at Medina.

This treaty constituted the foundation stone in the structure of Islamic Rule, as well as the first political relation established by Islam, whereby the freedom of creed and thought was recognised, and the security, sanctity and civilisation of Moslems assured.

Islam also called for the conclusion of treaties of military alliance with non-Moslems as indicated by the Prophet's words, "Thou wilt make a peace with the Greek with whom thou wilt then fight a common enemy behind thee."

Various treaties of this nature were concluded by the Moslems of the distant past, while the Prophet himself had fought the tribe of Quraish in fulfilment of the "Khozaa" promise as provided under the "Hodaybeyah" peace treaty.

The Koran has laid the foundation of this peaceful relation in God's saying, "As to those who have not borne arms against you on account of religion, nor turned you out of your dwellings, God forbiddeth you not to deal kindly with them, and to behave justly towards them; for God loveth those who act justly."

This divine verse obviously authorises Moslems to establish such relations as they desired, with those



moslems, or between them and other nations.

Our intention from this essay is to discuss the rules laid down by Islam for the organisation of international relations, by regulating :

(1) Treatment accorded by one Islamic country to another.

(2) Treatment meted out by an Islamic country to non-moslems residid within its territory.

### An Islamic Country's Relations with other Countries :

Relations between moslems and other nations may only be governed by two situations : a situation of peace and cordiality, or a situation of war and dispute.

#### The Peace Situation :

It is obvious, in the light of the above, that Islam views the first situation — that of peace — as the natural state of affairs in which non-moslems are only required not to hinder its appeal for the embracement of its principles, without placing any obstacles, in its way. This is because the Islamic Mouem-ent being one of truth, justice, and reform, minds will, if left free, be inclined to adopt its priciples through persuasion, and not by force and

repression. "Appeal for God's religion with wisdom, and good counsel, and argue with people kindly." "There is no repression in religion, thus impiety has been distinguished from righteousness." "For thou shall not compele people to be true believers."

The Koran thus declares that the appeal for righteousness should be through plausible arguments and sound proofs and not by force and repression has therefor, no hinderance been placed between the Koran's persuasive arguments and proofs and the minds of people, no drop of human blood would have been shed for the sake of God's religion for its appeal would have naturally penetrated into the minds and souls of people.

In its peaceful and persuasive appeal, Islam adopts all such methods as have been followed by people in the propagation, defence and appraisal of their principles. These methods include public speeches, messages to kings and rulers, and the hospitable receiving of delegations to whom Islamic principles are explained and expounded.

In this state of complete peace and tranquility, peopel were allowed full freedom in the managements of their affairs in their own preferable ways. They were at liberty to deal

*Elements of the Islamic Movement :*

The Islamic Movement, however numerous its aspects may be, can be summed up in one principle, namely "The Appeal for Good" which may for the sake of detail, be divided into three fundamental aims : (1) God's Unity. (2) Equality, and. (3) Justice.

(1) Islam has, through the principle of God's Unity, dissipated the corruption of faith. It called upon people to respect their reasons, and to abandon idolatry, declaring that the Universe has an omnipotent and wise God who is alone worthy of their prayer.

"He whom human eyes cannot behold but He beholds them for He is indulgent and omniscient."

This appeal to human reason did not, however, constitute any departure from the nature of humanity, nor did it contradict any previous religion. It is the nature of God in which man was created. "He has of religion made legislation for your similar to our counsels to Noah, our revelations to you, and our commandments to Moses and Jesus to establish religion and not to differ concerning it."

(2) Through the principle of

equality, Islam established the unity of all humanity which does not admit of any form of racial discrimination. "O Men, verily we have created you of a male and a female, and we have distributed you into nations and tribes, that you might know one another; verily the most honourable of you, in the sight of God, is the most pious of you."

"O Men fear your Lord, who hath created you out of one man and out of him created his wife, and from the two hath multiplied many men and women; and fear God by whom ye beseech one another, and respect women."

(3) By justice Islam stamped out despotism and arbitrariness, establishing peace, tranquility and satisfaction without differentiation between friends and enemies, faithful and idol worshippers. "We have formerly sent our messengers with evident miracles and arguments; and balance, that men might observe justice."

O you who have believed, support God's commandments, and be truthful witnesses and not be discouraged into injustice by other people's infidelity, for justice is nearer to piety."

On these bases, Islam formulated its policy of reform among





# ISLAM AND THE REGULATION OF INTERNATIONAL RELATIONS

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar

## The World before Islam.

The world, before the Islamic Movement came into being, was deeply sunk in polytheism and idolatry, ignorance and fanaticism; despotism and injustice.

The general phenomena of human society at that time was corruption in all aspects of life : corruption of faith, social relations, systems of governments, and politics, while immorality was the rule. People were victims of fancies, misconceptions, suspicions, and erroneous beliefs, and their characters and behaviour dominated by carnal instincts, and savage disposition. Humane qualities were almost absent from the society of that time.

Relation between individuals, or nations were based upon power. The strong man aggressed against the weak one, and extorted his legitimate rights, while the victor subdued and humiliated the vanquished.

In politics, the ambitions and worldly desires of rulers, and those in authority were the rule governing the relations between them and their peoples. They manage the peoples affairs in a despotic manner, wasting human life, tainting honours, and extorting wealth at their free will.

It was, therefore, God's wisdom that ordained to save the world from the prevalent corruption, and to heal it from these social evils that spread everywhere like epidemics, threatening its whole being.

Islam dawned, dispelling the darkness of evil and corruption, "Light and a perspicuous book of revelations come to you from God. Thereby will God direct him who shall follow his good pleasure, into the paths of peace; and shall lead them out of darkness into light, by his will, and shall direct them in the right way. [Verses 15 and 16 of the Chapter of the Table.]

# مجلة الأندلس

## مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المستشار  
إدارة اجتماع الأزهر  
بالقاهرة  
ت ٤٦٤١٤

يشتترك في التحرير  
عبد الرحمن محمد العقاد  
بذلك الاشتراك  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ خارج الجمهورية  
والمدارس والطلبة تخفيضاً

تصدر عن مشيخة الأزهر في (أول كل شهر جمادى الأولى)

الجزء الثاني — السنة الرابعة والثلاثون — صفر سنة ١٣٨٢ هـ — يولييه سنة ١٩٦٢ م

للسنة الرابعة والثلاثون

١٤  
٤٤٤٤٦  
رور

## الأدب رسالة، يوجّه ولا يوجّه

### بقلم: أحمد حسن الزيات

فهو من أصحاب الرسائل الفكرية الذين  
يشعرون قبل غيرهم بالنقص لقوة الحس  
فيهم ، ويضكرون أكثر من غيرهم في الكمال  
لصفاء النفس منهم ، ويتخيّلون دون غيرهم  
ما وراء الواقع لخصوبة الخيال لديهم ،  
وحكمهم في تبليغ رسائل الله عن طريق  
الإلهام ، حكم الأنبياء الذين بلغوا رسالاته  
عن طريق الوحي ، إلا أن طبيعة الرسالة  
الأدبية تختلف عن طبيعة الرسالة الدينية :  
رسالة الأدب تغذية الشعور بالجميل والجليل ،  
ورسالة الدين تهوية الضمير بالخير والحق .

إلى الذين يبررونه أنه مخلوقا الأديب  
بالأمر :

ليس الكاتب أو الشاعر الخلق بهذا  
الوصف إنسانا كسائر الناس تبين له الوجهة  
وتعين له الغاية ، وإنما هو إنسان أعلى ،  
ميزه الله بقوة الفكر وحدة العاطفة وسمو  
الخيال ، ليشارك في عملية التقدم العام لركب  
الخليقة ، يدفعه بحوافزه العظمى إلى أمام ،  
ويرفعه بمثله العليا إلى فوق .

الروسية ؟ ومن الذى وجه الافغانى ومحمد عبده والبارودى ونديم إلى التهديد للثورة الممرائية ؟ فقول السادة القائلين : بأن الأدب يجب أن يوجه إلى الحياة أو إلى الشعب ، وأن يقصد به بعد الاستقلال إلى العيين أو إلى اليسار ، قول من يعتقدون أن الأدب آلة لا نفس ، وصنعة لا طبع ، وعلمية لا إلهام ، وفى هذا الاعتقاد نزول بالأدب إلى منزلة الوسائل المادية للعيش ، يوجه إلى القصد الذى تريده الجماعة ، كما توجه العمارة أو التجارة إلى الطراز الذى تقتضيه الحضارة ! وليس هذا من عمل الأدب أو الفن ، وإنما هو من عمل العلم أو التعليم . العلم وحده هو الذى يوجه إلى تحقيق تلك الوسائل وتطبيقها على الوجه الملائم لحاجة الشعب ورفاهيته .

أما الأدب فهو السياسة العليا للأمة كما سموه بحق ، زعامته مستقلة ، ورسالة متبعة ، يوجه ولا يوجه ، ويقود ولا يقاد ، وإذا جاز للجيش أن يوجه القائد ، جاز للشعب أن يوجه الأديب .

ومن المحال أن يجوز ذلك ، لأن الشعب ينفعل بالأدب ولا يفعله ، ويتأثر به ولا يؤثر فيه ، ولا تعترض على بالمأثورات الشعبية « الفولكلور » ، باعتبارك إياها إنتاجا للشعب ، فإن أولئك الأدباء المجهولين الذين أرسلوا الأمثال والحكم ، ونظموا المواويل

والأدباء كالأنبياء يصطفهم الله من خلقه ، ويصنعهم على عينه ، ويؤتهم العلم من لدنه . فقول علماء الدين : « ما اتخذ الله من نبي جاهل ، ولو اتخذ له له » ، يصدق على الأديب . فلقمان وبديبا وعمر وعلى وابن المقفع والمتنبى كانوا فى العلم اللدنى الصادر عن صفاء النفس وخلوص الفطرة أشبه بالأنبياء الله ورسله ، لم يتلقوا الأدب عن أستاذ ، ولم يتخرجوا فى العلوم من جامعة ، وإنما أفاض الله عليهم من علمه ، وكشفهم بالمحجوب من غيبه . فانبثقت فى أفئدتهم أشعة الهداية ، وتفجرت على ألسنتهم ينابيع الحكمة ، فأثروا بالأمم بأبوابهم فيلسوف ولا عالم !

فالأديب الموهوب زعيم بالفطرة ، توجه نفسه الكبيرة بطبيعتها إلى أن يحرك فى شعبه الشعور بالنقص ، ويوقظ فى وعيه الطموح إلى السكال ، بتلك الصرخات التى يرسلها فيه ، مؤلفة فى كتب ، أو منظومة فى قصائد ، أو مصورة فى مقالات ، أو محللة فى قصص ، أو ممثلة على مسرح .

يفعل ذلك من تلقاء نفسه لا عن تلقين ملقن ولا توجيه موجه ، وإلا فمن الذى وجه ديدرو ومونتسكيو وروسو إلى التهديد للثورة الفرنسية ؟ ومن الذى وجه توستوى وجوركى وتورجنيف إلى التهديد للثورة

ولا يشتهن عليكم أمره فإن له سلامات  
تميزه وتدل عليه :

لأنه إنسان متمرد متجدد منطلق . لا يرجع  
القهرى ، ولا يعاقب الركود ، ولا يقبل  
الإسفاف . لا يتم به واحد البلاغة لأن  
قوانينها مقتبسة من فنه ، ولا يعاب بمذاهب  
النقد لأن مقاييسها مقدرة على كلامه . يبصر  
في الظلام أبعد مما يبصر في النور ، ويشعر  
في الشدة أقوى مما يشعر في الرخاء ، وينتج في  
القيود أبلغ مما ينتج في السراح ، والأدباء أو  
العلماء الذين يصطفون للإصلاح هم في ندرة  
الأنبياء الذين يبعثون بالدعوة ، لأن المصلح  
أو الرسول إنما يرسله الله حين يطفى الظلم  
ويبعد الضلال ويغي المنكر ، حتى إذا بلغت  
الرسالة واستكان الجور واستبان العاريق ،  
فتر الوحى وهدأ الجهاد وقرت النفس وحادت  
الأنوار إلى مشرقها الأول .

أما إن كان غفلا من هذه الدلائل ، خلوا  
من تلك الصفات ، فهو من طبقة المتشاهرين  
والمستكاتبين الذين يسكون الأقلام الحديد ،  
كما كان يسلك خطباء المساجد السيوف الخشب .  
أنتم وشأنكم معه ، قيدوه بما شئتم من  
القيود ، ووجهوه بما استطعتم خارج الحدود .

أحمد حسن الزيات

والأغاني ، وألقوا الأساطير والنوادر ،  
وصاغوا العواطف الزعاعية والمناخية ،  
قوم تميزوا على نظرائهم من العامة بما آتاهم  
الله من صحة التفكير وقوة التعبير وصدق  
النظر ، فارتفعوا في طبقتهم وبيتهم إلى مقام  
القادة . يأخذ الناس بتجارهم في الأمور ،  
وينزلون على أحكامهم في القضايا ، ولا فرق  
بينهم وبين الأدباء المعلومين إلا أنهم جعلوا  
لغة الخاصة فاستعملوا لغة العامة ، فغض ذلك  
منهم ، وصرف عين التاريخ عنهم ، ولكن  
البلاغة ليست مقصورة على قوم دون قوم ،  
ولا خاصة بلغة دون لغة .

وقصارى ما أقوله للعامة الذين يريدون أن  
يخلقوا الأدب بالأمر ، وينشئوه على  
القواعد ، ويسدوه بالنقد ، إن الأدب  
من صنع الله ومن إعداد الطبيعة ، فانتظروا  
حتى يرسله ، فإذا أرسله فاتبعوه ودعوه يعمل  
على سجيته ، لا ترمسوا لرسائله الحدود ،  
ولا تقيموا لفريجه الحواجز ، ولا تحبسوه  
في القفص الذى حبستم فيه البابل ، ولا تعوقوه  
بالسد الذى عوقم به النهر دعوه يرسل التغريد  
فى كل أفق ، ويسلسل الحرير فى كل اتجاه .

## الميثاق الوطنى فى رأى الأزهر

دعا الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، أساندة الكليات وشيوخ المعاهد ومدرسيها وطلابها إلى مؤتمر عام ، يناقشون فيه مشروع الميثاق الوطنى من الوجهة الأزهرية ، فلبى دعوته عشرات الألوف من جنود الرسالة المحمدية وورثتها فى القاهرة والمحافظات ، واجتمعوا تحت رياسته فى قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر ، يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر المحرم سنة ١٣٨٢ هـ وكانت فاتحة هذا الحفل الحافل آيات من الذكر الحكيم ألقى بعدها كلمة الإمام الأكبر ، ثم بدأت المناقشة وتولى إدارتها الأستاذ الدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر ، فكان يشرح كل استفسار ويوضح كل غامض ، ويسلط الضوء على كل جانب من جوانب الميثاق ، حتى أسفرت المناقشة عن قرارات أجمع عليها الحضور ، وستقرؤها مفصلة بعد كلمة شيخ الشيوخ .

### كلمة الإمام الأكبر :

لحياتها الدينية ومنازاً على طريق الدعوة إلى الله . تلك الجهود التى تحمل صاحبها على أن يعمل ليله ونهاره ، صباحه ومساءه ، فى نشر الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح ، وإبراز حقيقتها مبرأة من كل ما لفتنق بها فى العصور الماضية من بدع شوهت جمالها ، ونقول أخفت حقيقتها وقدمتها للناس فى ثوب مهمل من انحراف العقل الإنسانى أو ضمف الإيمان .

هذه هى مهمة الأزهر — المنشأة العلمية الإسلامية — كما يحدها الأزهر فى تاريخه وكما تؤثر فى أروقة بحوثه ، مما يتصل بإبراز

أما بعد : فإن مهمة الأزهر من يوم أن برز للعالم على وجه الأرض ، ومن يوم أن تلقى علوم الشرع والدين من الأمصار الإسلامية التى وقفت عن الاستمرار فى السير بها ، منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله فى مستقبل الحياة ، هذه المهمة تنحصر فى مجال واحد هو مجال العمل الجاد المخلص فى تكوين المواطن المؤمن ، الذى لا تقف جهوده عند حدود الأزهر ، ولا عند حدود الجمهورية العربية المتحدة ، بل تتعدى ذلك إلى الدول الإسلامية التى تعرف الأزهر منبعها

بالقوة على نهضة مجتمعا من جانب ، وصيانة القيم الإسلامية من جانب آخر ، كما تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وتابعوه ... تلقوها علما من ناحية العرض والنشر والتثقيف . وتلقوها عملا من ناحية التهذيب والتقويم وتربية المملكات وتكوين العادات الفاضلة ...

فليست مبادئ الإسلام مجرد صور لمعلومات تخزن فى العقول ، وإنما هى قوة دافعة لها آثارها فى تكوين المملكات والعادات حتى تنطبع على الجوارح ، وتصدر عنها أعمال لها طابع البناء والتشيد ، ولها قوة الانطلاق والدفع ، فلا تعرف الوقوف فضلا عن أن تعرف الضعف ، ولها قوة الوضوح فلا تشوبها صورة من صور البلبلة والجهمة .

إخوانى وأبنائى علماء الأزهر وطلابه :  
باسم الأزهر تحمل الجمهورية العربية المتحدة أمانة تعاليم الإسلام فى العقيدة وفى الشريعة ، وتدعو المسلمين فى كافة أرجاء الأرض إلى الاعتصام بحبل الله الذى بين بأسلوبه الواضح عقيدة المسلمين ، وشريعة المسلمين ، وأخلاق المسلمين ، والأزهر بهذا الاعتبار هو المحور الذى تدور حوله الدول الإسلامية كلها فى التمسك بالدين ونشر آدابه وأخلاقه باعتبارها أسسا للإنسانية الفاضلة التى لا تعرف العنصرية بوجه من الوجوه ...

أسرار الشريعة فى نواحي الحياة المختلفة ، والقيام بالدعوة إليها فى المجالات المتعددة : فى حلقات الدرس ، وفى مجالس البحث ، وفى مواطن الوعظ ، فى المسجد وفى الفصل ، فى المنتدى والسوق ، فى القرية والشارع ... فى كل أوضاع المجتمع بدواعيها المتباينة وصورها المتعددة .

ونحن بصفتنا الأزهريين العاملين فى ضروب الحياة ، وفى مجالات المجتمع المختلفة إذا استقبلنا مشروعات تنظيمية لأممتنا ومجتمعنا نظرنا إليها وقدرناها بقدر ما بينها وبين مبادئ الدعوة الإسلامية من ارتباط أكيد وصلات وثيقة ، قريبة كانت أم بعيدة .

ورجأؤنا من إخواننا وأبنائنا علماء الأزهر وطلابه فى هذا المؤتمر الأزهرى العام أن يستقبلوا مشروع الميثاق الوطنى ويناقشوه فى ضوء هذه السمكات القصيرة التى نمد بها للتوجيه وأن يخرجوا من هذه المناقشة بتوصيات محددة لها قوتها ووضوحها : لها قوتها فى إرساء بناء المجتمع على مبادئ ديننا للقيم ... ولها وضوحها فى الوصول إلى الأهداف التى يعملون لها طوال حياتكم فى أزهرنا العامر المبارك .

وليس علينا إلا أن نتقدم بكل صراحة وأمانة بما يعدل الفكرة ويرسم الطريق لإبراز التعاليم الدينية ، مما من شأنه أن يعود

إخواني وأبنائي :  
سدد الله خطاكم وكتب لنا ولكم التوفيق  
والهداية إلى أقوم طريق .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

### قرارات المؤتمر :

١ — إن الأزهر قام وبقي وسيبقى إلى  
ما شاء الله معهداً إسلامياً عالمياً لدراسة التراث  
الإسلامي والعربي وصيانة القيم الإسلامية  
والدعوة إليها والعناية بتوجيه المسلمين في  
المجتمع الداخلي والمجتمعات الأخرى الخارجية  
في البلاد الإسلامية .

٢ — إن ارتباط الأزهر بالتراث  
الإسلامي وبالدهوة الإسلامية وصيانة القيم  
الإسلامية والربط بين الشعوب على أساس  
من هذه القيم جعل للأزهر مكانة مقدرة في  
العالم الإسلامي كله : عربي وغير عربي ، وجعل  
لآراء علمائه وأئمة حجية بالنسبة لأطمئنان  
المسلمين في حياتهم .

٣ — إن الأزهر لم يكن معهداً علمياً  
فحسب ، وإنما كان معقلاً وطنياً وكان كذلك  
مصدراً للحركات الوطنية سواء تلك التي ظهرت  
في مجتمعات بالجمهورية العربية المتحدة ، أم في  
المجتمعات الأخرى عن طريق أولئك الذين  
يفدون إليه وما زالوا يفدون في رغبة وتقدير  
ثم يعودون إلى بلادهم قادة وروادا للحركات  
التحررية .

وأنا بوصفي شيخاً للأزهر أدعو الجمهورية  
العربية المتحدة إلى أن يكون دستورها الجديد  
- المنبثق من ميثاقها - على أسس الإسلام  
وعبادته ، معلناً في صراحة بأن دينها الرسمي  
هو الإسلام ... وبصفتي شيخاً للأزهر أدعو  
مرة أخرى سائر الدول العربية والإسلامية  
إلى مадعوت إليه الجمهورية العربية المتحدة  
وأن ينزل الجميع في حياتهم على مضمون قوله  
تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا  
بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة  
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم  
فأصبحتم بنعمته إخواناً .

وبذلك يتحقق تكامل المسلمين ووحدتهم  
فيهود إليهم مجد الوحدة وعز التكتل الذي  
عرفناه من تاريخ الإسلام والمسلمين .

إخواني وأبنائي :

إن الموقف الريادي للأزهر يفرض عليكم  
تبعات جسيمة ، وإنني لأرجو إن شاء الله أن  
نصل إلى نتائج من مناقشة مؤتمر هذا لمشروع  
الميثاق الوطني الذي قدمه السيد الرئيس  
جمال عبد الناصر إلى الشعب ... من شأنها  
أنه نضى سبيل العمل الذي يحقق مهمتنا ،  
وتتناسب مع رسالة معهدنا وتاريخه ومجده ،  
وأن تحقق هذه النتائج المشاركة الإيجابية في  
تأكيد أهداف أمتنا العزيزة .



قامت الدعوة الإسلامية في مسكة على أساسه وجاءت مرحلة المدينة لتنظيم حياة هذا المجتمع. فهذا الميثاق فضلا عن أنه يجعل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قوة دافعة في الحياة نحو السعى والإنتاج ونحو السلوك المستقيم ، فهو يجعل من مبادئه الأخرى نظاما اجتماعيا يقضى على الاستغلال والظلم بآية وسيلة من الوسائل ويقم العلاقات بين الأفراد على أساس من عدم الحقد والغل وعلى أساس من الأخوة والمحبة والرضا ، كما يجعل من مبادئه سياجا يحول دون عودة الظلم والاستغلال ويؤمن جانب الطمأنينة وعامل الأخوة والمحبة المشترك بين الأفراد .

\* \* \*

وتطبيقا لهذه الدراسة قرر المجتمعون ما يأتي :

أولا : يتوجه الأزهر برجاله أساتذة وعلماء ووعاظا بالشكر العظيم إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الميثاق الذى سيكون فاتحة عهد جديد فى مجتمعنا العربى الإسلامى فى جمهوريتنا العربية المتحدة والذى سيكون مثلا ونموذجا يجب أن يحتذىه جميع الشعوب والأمم العربية والإسلامية ما داموا منتسبين إلى الإسلام . وهم إذ يقدمون هذا الشكر للسيد الرئيس على هذا الميثاق يعتبرونه مستجيبا لرسالتهم التى حملهم إياها

من هذا الواقع كان للأزهر دوره العلمى ، وكان له أيضا دوره التحريرى ، فلم يدع التراث الإسلامى يدرس فى عزلة عن حياة المجتمع ، وإنما ربط حياة هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى بالدعوة الإسلامية وبمنهجها وأسلوبها فى الحياة وأهدافها . ومن ذلك أيضا لم يكن دوره عاديا وإنما كان دور المكافح بمحائب دور الباحث والكاشف .

والأزهر كان كذلك فيما مضى وسيظل حاملا هذا الدور المزدوج وحاملا هذه الرسالة التى هى فى أساسها دعامة لمبادئ وتطبيق لهذه المبادئ .

ومن واقع الأزهر على هذا النحو من تاريخه وعلى هدى من رسالة فضيلة الإمام الأكبر إلينا قرر المجتمعون أن يدخلوا فى دراسة الميثاق الوطنى الذى أعلنه السيد / الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بتاريخ ١٧ ذى الحجة سنة ١٣٨١ هـ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ م فى دور رسالته المزدوجة حاملين للتراث الإسلامى ولقيم الرسالة الإسلامية بكخود ومكافحين فى سبيل صيانة هذه القيم وفى سبيل تحرير الشعوب الإسلامية من الاعتداء عليها .

وبعد دراسته ومناقشته قرر المجتمعون أن هذا الميثاق الوطنى فى مبادئه يتفق ومبادئ الدعوة الإسلامية وأنه يثمد مجتمعنا إنسانيا

الحين والحين . وهذا الميثاق يعتبر أول محاولة شاملة تسير على هذا النهج القوي وأن التطبيق لهذا الميثاق في حياة الأمم وللشعوب العربية والإسلامية سيذيب الفوارق المصطنعة والظلمة بين الطبقات وسيضع حدا للاستعمار والدخلاء . كما يحول دون الطغيان والاستغلال في أية صورة من الصور . كما سيبتغ الفرصة لهذه الشعوب أن تزيل العوائق من طريقها في سبيل العمل في الحياة . كما سيكون شعارها الأوحـد لا إله إلا الله محمد رسول الله لا تخضع لسواه ولا ترتبط بولاية إلا مستمدة من دينه ورسالته التي جا بها رسوله الكريم .

\* \* \*

خامساً : يدعو علماء الأزهر جميع الشعوب الإسلامية بعد أن يتخذوا من الإسلام أساساً لنظام المجتمعات أن يواجهوا في قوة الحركات الداخلية والخارجية التي تعمل على إبقاء العزلة بين هذه الشعوب وعلى إضعاف مقوماتها حتى تعود كلمتهم كلمة واحدة كما أن لهم إله واحد ورسولهم رسول واحد وشعارهم شعار واحد وكتابتهم كتاب واحد وأمتهم أمة واحدة . والمصلون إذا اتحدت قوتهم وزالت الفواصل المصطنعة بينهم فسوف تعود لهم العزة والقوة بفضل ما في دينهم من قيم هي للإنسانية الخالصة أصل ودعامة .

التاريخ . كما يعتبرون أنفسهم دعاة للتوعية لهذا الميثاق .

ثانياً : يقررون أن دستور الدولة الذي سينبثق عن هذا الميثاق ويقوم على أسسه يجب أن يعلن صراحة أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي يشع في قوانين الدولة وفي مناهج التعليم فيها وفي سلوك المجتمع في حياته وفي توجيه وسائل الإعلام وفي ربط الأسرة وفي كل رعاية تقدمها الدولة إلى المجتمع والأفراد .

ثالثاً : أن يضاف إلى الفقرة التي جاءت في الميثاق خاصة بمساواة المرأة بالرجل عبارة (أن يكون ذلك في حدود الشريعة الإسلامية) .

رابعاً : يناشد الأزهر الشعوب الإسلامية أن يكون نظام مجتمعاتها قائماً على أساس من هذا الميثاق ؛ فهذا الميثاق كفيل للإنسان والمجتمع للكرامة الإنسانية والمحبة والأخوة في العلاقة القوية بين العبد وربّه ، وتلك هي أهداف الرسالة الإسلامية إذ أن هذا الميثاق يعتبر فتحاً جديداً في مجال التطبيق الجاد للبادئ الإسلامية ؛ وقد كان يؤخذ على المسلمين أن انفصلوا أزماناً طويلة عن التطبيق الناجح الجاد لما يدعو إليه الإسلام ولم يعد للسلم أن يعود بالذاكرة في مجال التطبيق إلى عهود خلت في عصر النبوة أو الخلفاء الراشدين أو الومضات التي كانت تظهر بين

# قدم الكتاب العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

جزيرة اقريطش (كريت) مركز من أهم مراكز الحضريات التي ينتفع بها طلاب التحقيق في تاريخ علم الإنسان ، أو « الأنثروبولوجية » .  
لأنها جزيرة تتوسط بين القارات الثلاث : إفريقية وآسيا وأوربة ، وردت عليها حضارة بعد حضارة من هذه القارات ، ثم

اختلفت الحضارات في برما الأصيل كما اختلفت في داخل الجزيرة باختلاف عوامل التطور العالمية واختلاف عوامل التطور المحلية ، فكل ما يهتدى إليه علماء الحضريات من بقايا الجزيرة للقدمية فهو مادة صالحة لاستقراء الأصول والفروع من هذه الحضارات ، ولاستقراء عوامل التطور مع

وإن علماء الأزهر إذ يدعون شعوب العالم الإسلامي كله ليتخذوا الإسلام نظاما عمليا لمجتمعاتهم ومصدرا لمكاخفة الاستعمار والطغيان وإزالة الفواصل يدعون المسلمين جميعا أن يتدبروا كتاب الله وسنة رسوله ويرون أن هذا الميثاق يتفق ومبادئ الإسلام وأن العائق الذي قد يعوق الناس عن إدراك الصلة بين هذا الميثاق ومبادئ الإسلام أمران : إما طائفية وعصبية ومذهبية قد أغلقت القلوب والعقول معا ، وإما جمود وركود في فهم الإسلام ومدى ملائمته لحياة الإنسان حياة إسلامية كريمة .

إن الأزهر ، باعتباره الجامعة الإسلامية الكبرى ، وباعتبار علمائه هم الدعاة والموجهين لشعوب العالم الإسلامي كله ، يرون من واجبهم أن يبلغوا هذه الدعوة لجميع الشعوب ويرون من حق الله عليهم أن يعملوا جامعين في تبليغ هذا النداء إلى إخوانهم في العالم الإسلامي كي يتضامنوا جميعا في رد الحقوق المسلوقة من أجزاء الوطن العربي والإسلامي إلى أهله وكي يحرروا مجموعات من أبناء هذه الشعوب من رق الاستعمار — استعمار المبادئ — أو استعمار الجيوش — أو استعمار العقول — أو استعمار القلوب .

أأهل بلغنا؟ اللهم فاشهد .

برانديس أنه امتدى إلى مفناح الكتابة التي  
نقشت على ألواح الجزيرة فوضع له أن اللغة  
« سامية » ، لا شك فيها ، وأن بعض كلماتها  
تقارب الكلمات العربية التي تتكلمها في العصر  
الحاضر ، ومنها كلمة « قرية » ، وكلمة « ميت » ،  
وكلمة « داود » ، منطوقة بما يقرب من لفظ  
حروفها التي تكتب بها الآن .

والعلماء الآخرون ممن اطلعوا على تأويلات  
الأستاذ جوردون ولم يشتركوا في أعمال  
الحفريات يراجعونه في مقارناته بين الحروف ،  
ويقولون إنها قد توافق للنطق الفينيقي ،  
ولكنها قد تكون مرادفة لمعاني الكلمات  
في لغات أخرى ، إذا أراد الناطق أن يتصرف  
بالماء والقصر ، أو التفخيم والقرقيق ، في أداء  
الأصوات بما شاء من مخارج الحروف .

على أن المنكرين لمفتاح الأستاذ جوردون  
يتكلفون عنتا شديدا إذا كان إنكارهم مبني  
على الشك في وصول الفينيقيين إلى الجزيرة  
وإقامتهم فيها قبل الميلاد بقرون عدة ،  
ويتكلفون عنتا أشد من ذلك إذا قدروا أن  
الملاحين الفينيقيين لم يكن لهم شأن في حضارتها  
ولم تكن لهم صلة « لغوية » بأهلها ، كأننا  
ما كان أولئك الأهلون قبل وصولهم إليها .

فهما يكن رأى المؤرخ في الأساطير القديمة  
فهى خيال لا يخلو من الواقع وخبر لا يخلو  
من الدلالة ، وليس من المعقول أن تزعم

حوادث التاريخ الإنسانى الشامل وعوامل  
التطور المنحصرة في جزيرة محدودة تنعزل  
حينما وتتصل حينما آخر بما يحيط بها من  
أقطار القارات الثلاث .

ويأتى في المرتبة الأولى بين مباحث هذه  
الحفريات مبحث اللغة التي تسلم بها أبناء  
الجزيرة قبل الميلاد ببضعة عشر قرنا ، قد  
ترقى إلى أثنى سنة .

فإذا ترجمنا الأساطير اليونانية القديمة  
بلغة التاريخ فالمفهوم من أشهر هذه الأساطير  
التي وردت في شهر « هوميروس » ، أن  
الكريتيين كانوا من سلالة فينيقية ، لأن  
ملك الجزيرة « مينوس » ، كان ابن الحساء  
« أوربة » ، أميرة مدينة صور التي كان يحكمها  
الملك فونيق .

ولكن علماء الحفريات يحاولون أن يحققوا  
التواريخ الأسطورية بنفسهم النقوش التي  
ترجع إلى تلك الفترة من حضارة الجزيرة  
قبل الميلاد ، ومنها نقوش عثروا عليها منذ  
نصف قرن ولا يزالون مختلفين في المقابلة بين  
حروفها والحروف الأبجدية التي استخدمها  
سكان الجزيرة على أثر اتصالهم بالحضارة  
الأغريقية .

وبعد خمسين سنة في الفروض والتأويلات  
أعلن الأستاذ سيروس جوردون رئيس  
مباحث البحر الأبيض المتوسط بجامعة

أما الذى نؤثره ونستند فى إثباته على الأصول الممقولة فهو تغليب كلمة « العربية » على كلمة الفينيقية أو كلمة السامية على اختلاف مدلولاتها حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات للقديم ، أو على الأصح من تاريخ تلك اللهجات كما ينبغي أن تسمى فى ذلك الحين لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرناً لهجات تنفرح على أصل واحد قديم .

فقد كان الفينيقيون يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب قبل انتقالهم إلى صور وغيرها من المدن على شواطئ فلسطين وقد كانت الحروف المنسوبة إليهم هرية على التحقيق ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية فى العراق أو فلسطين ، ولولم تكن عربية عامة لما وجدت بصورها الباقية إلى اليوم فى الخط المسند الذى لاشك فى قدمه وقدم الحضارة النمانية بل العروبة النمانية - من قبله - فإن الأبجدية المشهورة باسم الفينيقية ، والأبجدية التى كانت تكتب فى بلاد النين متشابهتان فى أكثر الحروف ، وما اختلف منها قليلاً فهو اختلاف فى الأداء دون الأصول ، ومثله هذا الاختلاف الذى نفاهده بين كتابة المشارة وكتابة المغاربة لبعض الحروف العربية إلى اليوم .

وإذا جاز الشك فى العلاقة القديمة بين

الأساطير أن أميرة صور كانت ملكة على جزيرة كريت إن لم تكن هناك علاقة من علاقات الملاحة والتجارة بين البلدين ، ولم تكن تلك العلاقة فى ذاكرة الرواة والشعراء ، يتناقلونها خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل ، ولا يخفونها ساعة روايتها ، بلغة القصة أو لغة التاريخ .

فالقول بأن اللغة الفينيقية عرفت فى جزيرة كريت قبل أربعة آلاف سنة أو نحوها هو أقرب الأقوال إلى التاريخ الصحيح ، سواء نظرنا إلى تاريخ الملاحة فى الجانب الشرقى من البحر الأبيض المتوسط ، أو نظرنا إلى الأساطير المروية عن علاقة الجزيرة بمدينة صور ، أو نظرنا إلى تفسيرات الحفريين ولم يظهر ما هو أولى منها بالقبول إلى الآن ، أو نظرنا إلى الحروف الفينيقية التى اقتبسها اليونان وأبناء الجزر اليونانية جميعاً بعده العصر المقدونى لوجود الأميرة « أوربة » والملك « مينوس » ببضعة قرون .

ونحن - إلى هنا - نذكر اللغة الفينيقية والحروف الفينيقية عند الكلام على التاريخ قبل أربعة آلاف سنة ، لأننا نقب هذا الكلام على تعبيرات العلماء الأوربيين الذين يسمون الشعوب السامية بتلك الأسماء ، كلما ذكروا شيئاً عن تواريخها فى تلك الأزمنة الحالية .

حرفنا على النحو الذى أشرنا إليه .

ومن المؤرخين الأوربيين من يتصعبون في نسبة كل ثقافة أوروبية إلى أصل من أصوله العربية أو الشرقية ، فهم يدركون هذا الشبه بين الأبجدية عندنا والأبجدية عند اليونان فيعترفون به ولكنهم يسألون : ولماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوروبي قديم ؟

وقد ظل هذا السؤال زمنا معلق الجواب أو احتملا للإجابة بنسبة الأصول الأبجدية إلى المصادر الأوروبية ، لولا أن أسماء الحروف العربية عرفت بمعانيها وأشكالها ولم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها إلى لغة من لغات الأوربيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه في أحاديثنا اليومية إلى هذه الأيام ، كالباء من البيت والجيم من الجمل والعين من العين ، والكاف من الكف ، والنون من النون أو الحوت .

وكلما كشف الحفريون حرقا مكتوبا وعرفوا معناه وعمله في الجملة عاينهم هذا الكشف الجديد إلى أصل قديم يقدر تاريخه بآلاف السنين ، فقد كشف الحفريون من آثار بلاد النبط بعض حروف الجر التي كانت تستعمل في مثل موقعها من الجملة عندنا قبل ثلاثة آلاف سنة ، فإذا قدرنا أن حرف الجر عادة هو اسم أو فعل تختزل لا تعود

الحضارة العربية وجزيرة كريب فليس هناك محل للشك في علاقة هذه الحضارة باليونان منذ عصر الملك د قد موس ، وهو مقارب في حساب التاريخ وحساب الأساطير لعصر الأميرة د أوربة ، والملك مينوس على رواية الشاعر هوميروس .

نعم لا شك في هذا ، لأن الأبجدية اليونانية باقية إلى اليوم تدل على تاريخ تلك للعلاقة القديم .

فهذه الأبجدية التي يكتبها اليونانيون في عصرنا هذا موافقة بترتيبها حرقا حرقا لترتيب الأبجدية للعربية ، ولا يختلف هذا الترتيب مرة إلا إذا تقابل حرف من حروف الحلق بحرف من الحروف التي تقاربه في نطق الأوربيين ، لأن الأوربيين لا ينطقون حروف الحلق كما هو معلوم .

فالأبجدية اليونانية تبتدى بحروف ( ألفا وبيتا وجما ودلتا ) وهي حروف الألف والباء ، والجيم والدال في د أبجد ، على هذا الترتيب . ثم تتقابل حروف د هوز ، بما يقاربها مع اختلاف نطق الماء ، ونطق الواو حين تكون حركة مد عندهم وحرقا منطوقا عندنا في بعض الأحيان ، ثم تأتي د كلن ، متتابعة كما هي عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والماء ، وهم ينطقونها د كافا ولا متاوى ونى ، ويتبعونها ببقية

في غيرها من العائلات اللغوية كما يسميها المحدثون ، ولكن لغة من اللغات - سامية كانت أو آرية أو طورانية - لم تتحرر فيها المخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغة الضاد ، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ولا مخرج ملتبس بين حرفين .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقفان ، فوق المنبت ، جذورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بد ما وصل إليه ، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها ، في كل عضو من أعضائها .

ومن الواجب أن تتمثل هذه الظواهر العربية الخاصة في أذهان أولئك المصلحين ، الذين يحسبون أنهم يتناولون هذه اللغة بالإصلاح كلها احتاج الأمر إلى توفيق بينها وبين مطالب العصر الحديث ... فلا محل في البنية الحية النامية لإصلاح التركيب أو تقويم البنية من جديد ، وإنما هو « الغذاء » الذي يوافق تلك البنية وتأخذ منه بقدرتها الحية ما يأخذه الأحياء الأصحاء من كل غذاء طيب وكل طعام مفيد ؟

عباس محمود العقاد

الأسفة اختزاله قبل انقضاء مئات السنين فلا بد من تقدير زمان سابق لتاريخ تلك الكتابة النبطية بعدة قرون ، كانت فيها اللغة العربية لغة تركيب وإعراب بقواعدها التي تطورت مع الزمن حتى وصلت إلى ما هي عليه ، وبلغت فيها قواعدها غاية مداها من الضبط والاستقرار .

وها هنا ننهي إلى بيت القصيد من تحقيق القول بقديم اللغة العربية .

فإن قدم اللغة ، هل أية حال ، هراقة تحسب لها كما تحسب لسكل كائن حي هريق ، ولكن الذي يعنيننا منه في هذا المقام هو جانب التمام والنضج بعد طول التطور والتقويم .

فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها ونضجت في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية ، بعد ذلك التقدم المتطاوّل من أقدم العصور :

في اللغات السامية لإعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ « القانون » الذي تعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء .

وفي اللغات السامية اشتقاق ولكن قوالب المشتقات فيها لم تتميز بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حررف لم تعرف



# فكرة وتطبيق

“أن التقدم الوطنى لا يتحققه كلمات محفوظة عالية الرنين”

للمستاذ الدكتور محمد البهى

وطائفة السكينة المستقلة والمسألة الاعتبارية الإنسانية .

تجلىت هذه الأحداث من بداية التنازل والصليبيين ، إلى حملة نابليون ، إلى الاحتلال البريطانى ، ثم الاستقلال الداخلى فى ظل الاستقلال الذى جعله المستعمر امتدادا غير مباشر لاستغلاله وسلبه الاعتبار البشرى . وإذا كانت هذه الأحداث التاريخية التى

مرت على الأمة المصرية فى دائرة النطاق العربى هى التى أوصلت إلى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وبالتالى أملت على الاشتراكية العربية مفهومها - فالاشتراكية للعربية تساوى رد الاعتبار للبشرى إلى أفراد المجتمع المصرى ثم بالتالى إلى أفراد الوطن العربى .

ورد الاعتبار للبشرى هو بداية وغاية فى الوقت نفسه ، بداية للثورة المصرية فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وغاية للاشتراكية العربية التى تمخضت عن الأحداث المتتالية على الشعب المصرى فى النطاق العربى .

وقوانين يوليو سنة ١٩٦١ ليست إلا تعبيراً عن رد الاعتبار للبشرى لمن سلب منهم هذا الاعتبار فيما مضى ، وليست إلا إحدى نتائج

من دواية مشروع الميثاق يستخلص القارىء أن هذا المشروع قوامه فكرة أصيلة . وامتداده تطبيق لهذه الفكرة . أما الفكرة الأصيلة فهى الاشتراكية العربية .

وأما امتدادها وهو التطبيق لها فهو المجالات المختلفة فى المجتمع : المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

## الاشتراكية العربية :

أما الفكرة فلم يحاول المشروع أن يحدد مفهومها من أصل لغوى يشتق منه ، كما لم يحاول أن ينقل هذا المفهوم من فلسفة أخرى أو توجيه أجنبى عن النطاق العربى . وإنما استخلص هذا المفهوم من أحداث التاريخ التى مرت بالأمة المصرية فى دائرة الأمة العربية . وأحداث التاريخ نفسها هى التى حددت مفهوم الاشتراكية العربية . وهذه الأحداث التى تتابعت على الأمة المصرية فى دائرة النطاق العربى كانت تهدف كلها إلى الاستقلال المادى والمعنوى حتى أصبحت مجموعة للشعب مسلوكة الاعتبار البشرى . ونشأ عن ذلك أن المجتمع انقسم إلى طائفتين : طائفة القلة المستغلة ،

والاشتراكية العربية إذن هو الذى يكون إنتاجه فى ظل الاشتراكية العربية أفضل حتماً من إنتاجه فيما قبل الثورة .

والاشتراكية العربية إذن مساوية للإنتاج الأفضل ، وقرينة له ودافعة إليه . وعلى هذا الأساس عندما طالب الميثاق بالإنتاج وبالمزيد فيه ، وبالجودة فيه لم يعبر إلا عن النتيجة الحتمية لتطبيق الاشتراكية العربية . فإذا جئنا إلى مجال العمال أو مجال الفلاحين وأردنا أن نتعرف الاشتراكية العربى من غيره فمقياس ذلك واضح ، وهو الأفضلية فى الإنتاج . والأفضلية فى الإنتاج فى النوع مقدمة على أفضليته فى السكم ، فإذا اجتمع الأمران معا كانت أفضلية الإنتاج واضحة . وكذلك إذا ذهبنا إلى المجالات الأخرى ، إلى مجالات المثقفين والمعلمين أو مجالات الموظفين فالأمارة التى تميز الاشتراكية العربى من غيره هى أفضلية الإنتاج فى نوعه قبل كنه أو أفضليته فى الأمرين معا .

وإذا سألنا أنفسنا عن توضيح هذه الأفضلية فمحافظة العامل فى مصنعه على الجودة والإتقان ، وعلى صيانة الآلة بحيث تبقى مستمرة فى إعطاء الإنتاج الجيد نموذج من نماذج هذه الأفضلية ، ومحافظة الفلاح على جودة الإنتاج والإبقاء على خصوبة الأرض صورة أخرى من صور هذه الأفضلية ومحافظة المدرس والأستاذ والموظف كل منهم

الاشتراكية العربية وواضح إذن أن هذه القوانين ليست هى الاشتراكية ، وإنما ظاهرة تحكى صورة من هذه الاشتراكية .

### مجال العمل والإنتاج :

والغاية الحقيقية من الاشتراكية العربية أو بمعنى آخر من رد الاعتبار البشرى لمن سلب منه هذا الاعتبار فى ظل الاستعمار والاستغلال سواء كان من طريق الإقطاع أم الرأسمالية — هو إفساح الطريق للعمل والإنتاج ، هو إزالة العقبات من طريق العمل والإنتاج . فإذا رد الإنسان اعتباره البشرى وأحس بأنه فرد ككل الأفراد الآخرين معه فى مجتمعه ، يساويهم فى الطبيعة الإنسانية وفى القيمة والاعتبار — وإن كان يختلف معهم فى الطاقة والإدراك — فإنه لا شك لا يجد معوقاً فى انطلاقه نحو العمل والإنتاج فالاشتراكية العربية إذن معبدة الطريق إلى العمل ، والاشتراكية العربى هو العامل المنتج دون طاق قسوى يعوقه عن الدفع والانطلاق .

### نحو إنتاج أفضل :

ولكن إذا كان عمل الأفراد فى ظل الاشتراكية العربية سيظل مساوياً لعملم فيما قبل ثورة ٢٣ يوليو فعنى ذلك أن الاشتراكية العربية بقيت فى دائرة التصور الذهنى ، وعلى شفى الفهم دون أن تتعمق فحصل إلى القلب وتصبح إيماناً وعقيدة .

### القوى الروحية :

ولأن الاشتراكية العربية تساعد على الدفع الحر نحو العمل والإنتاج ، وبالتالي تساعد على الإنتاج الأفضل فإنها ترحب بالقوى الروحية التي من شأنها أن تدفع والتي من شأنها كذلك أن تساعد على رفع العقبات من طريق العامل والمستهلك .

وتقدير الاشتراكية العربية للقوى الروحية آتئذ ليس فقط لأن القوى الروحية حملها تاريخنا في كل فتراته وتسليح بها الشعب المصري في إطارنا العربي ضد الاستعمار الممنوع وغير الممنوع ، وإنما أيضا لأن القوى الروحية كما ذكرنا تساعد على الانطلاق وعلى الدفع . فكل ما من شأنه أن يساعد على هذا الانطلاق إذن تشجع عليه الاشتراكية العربية ولذلك تشجع على العلم ؛ لأن طريق العلم أقرب إلى الغاية وآمن في الوصول إليها . ولذا كانت القوة الروحية دافعة ، فالعلم قوة كاشفة . ولاغنى للإنسان الذي يريد أن يكون صاحب إنتاج أفضل - وهو الإنسان الاشتراكي العربي - عن هاتين القوتين معا : للقوة الروحية ، وقوة العلم ، إحداهما اللاندفاع ، والآخرى للكشف والتبصير .

والمزاوجة بين هاتين القوتين إذن أمر حتمي وضروري في مجتمعاتنا الاشتراكي العربي وعلى الذين يحملون رسالة الروحية أن يتفهموا العلم ، وعلى الذين يقومون برسالة العلم أن

على إتقان عمله سواء في التوجيه أو في إنجاز المصالح صورة ثالثة من صور هذه الأفضلية .

### الفصل :

وإذا خرجنا من مجال الإنتاج المادي إلى مجال الإنتاج البشري في الأسرة بخودة الإنتاج التي تتمثل في الأولاد ، التي تتمثل في القوة المادية والمعنوية والإيمانية صورة رابعة من صور هذه الأفضلية .

وإذا تجاوزنا مجال الإنتاج المادي والأسري إلى مجال الإنفاق فالاعتدال فيه وعدم الإسراف سواء أكان في الجاني الخاص أم في الجاني العام صورة خامسة من صور الاشتراكية العربية لأن الاعتدال في الإنفاق سترتب عليه تربية غير مباشرة فضلة تدخر . والادخار صورة من صور الإنتاج . لأن الإنتاج هو الحصيلة التي ينتفع بها في تغطية التكاليف العامة والخاصة .

وإذا كانت الاشتراكية العربية هي رد الاعتبار البشري للإنسان الذي سلب منه هذا الاعتبار ، وإزالة العقبات من طريقه ليكون ذا انطلاق في عمله وإنتاجه ، وإذا كان الاشتراكي العربي هو صاحب الإنتاج الأفضل فإن الاشتراكية العربية مبدأ يوصل إلى الإجابة ، والإنسان المجيد هو الإنسان المحسن ، وهو الإنسان الذي انطلقت طاقاته في تحقيق أهداف الإنسان كإنسان .

والعالم المسلم وصاحب الرسالة الروحية لا يكون كذلك اشتراكيا عربيا إلا إذا كان متجاوبا مع مجتمعه وذا إنتاج أفضل وإنتاجه الأفضل هنا هو أن ينظر إلى المجتمع ككل وينظر إلى الدين كنظام للحياة . ومن هاتين النظرتين الشاملتين يصدر رأيه فيما يشكل على الناس في أمر دينهم ويحمل الريادة في توجيه الناس في حياتهم نحو أهدافهم .

والصحيح لا يكون اشتراكيا عربيا بكثرة مقالاته أو بطول مقاله ، وإنما يكون بإجادة ما يكتب . والجودة فيما يكتب : أن يرعى الاشتراكية العربية في مفهومها وفي تطبيقها فلا يغض النظر في مفهومها عن أحداث التاريخ التي استتبعته ، ومن بين هذه الأحداث القوة الدافعة التي دفعت إلى التحرير وإلى قيام الثورة والتي تدفع دائما إلى صيانة هذه الاشتراكية وهكذا . . .

فما ذكره الميثاق هو تحديد للاشتراكية في مفهومها ، وتحديد لما تكون عليه الاشتراكية في تطبيقها في المجالات المختلفة .

ومشروع الميثاق أخيرا هو عهد على أنفسنا أن نكون مؤمنين بآله وأنفسنا وبإنسانيتنا في وطننا العربي الكبير الذي نعيش فيه .

المركنور محمد البهي  
مدير جامعة الأزهر

يتفهموا القوة الروحية . وأصحاب الرسالة الروحية إن هم داروا في إطار نظري مفترض دون نظر إلى الواقع فإنهم سيدفعون أنفسهم إلى البقاء دوما في عزلة ، وبالتالي سيجعلون من المجتمع فريقا لا يكشف الواقع . وأصحاب الرسالة العلمية إن هم تجاهلوا القوة الروحية فإنهم يتغاضون عن قوة كبيرة في الدفع نحو إنتاج أفضل ونحو الإتقان والإحسان معا .

### جامعة الأزهر :

وإذا كان هذا الازدواج بين القوة الروحية وقوة العلم لم يدخل بعد في إطار واحد في مجتمعنا الذي نعيش فيه الآن فإن الأمل معقود على جامعة الأزهر الجديدة في أن العلم والقيم الروحية لا يسير بعضها جنباً إلى جنب لحسب وإنما تتكون منها وحدة تدفع وتعين على الانطلاق نحو العمل وإنتاج أفضل .

إننا إذ نحن عمالا وفلاحين وموظفين وأصحاب وأسمالية وطنية وجنوداً لا نتحدث عن أنفسنا بأننا اشتراكيون عرب إلا إذا كنا ذوي إنتاج أفضل كل في مجاله وكل في دائرته . وإذن ليس العامل في المصنع الذي زاد أجره واشترك في أرباح مصنعه ، وليس الفلاح في أرض وزعت عليه ، أو في أرض يستأجرها ، هو الاشتراكي العربي طالما لم يكن ذا إنتاج أفضل في مصنعه وفي مزرعته ، وكذلك الشأن في طوائف المهن المختلفة لا يكونون اشتراكيين عربا إلا إذا كانوا ذوي جودة وإحسان في عملهم .

من طرائف بحوث الفرائض :

## استخراج القياس الأصولي من القرآن

للأستاذ محمد محمد المدني

مثال ذلك : أنك تقيس قطعة من النسيج بوحدة قياسية كالتر مثلاً ، فنسبها إلى هذه الوحدة أي أضيقها إليها وتعتبرها بها ، فقد تجددها مساوية للتر مرة واحدة أو أكثر من مرة ، أو تجددها مساوية لجزء من المتر . ولهذا يسمى كل ما يقاس به الشيء ، ويعتبر تقديره على أساسه « مقياساً » ، ولو كان من المسكايل أو الموازين أو غيرها : فالمتر مقياس ، والإردب مقياس ، والقنطار مقياس ، ونسبة الخريطة التي تقدر بها المساحات والمواقع مقياس ، والمسبار الذي يقيس به الطيب الجرح ليعرف غوره مقياس ... وهكذا .

وكما يستعمل هذا اللفظ في تقدير الأجسام ؛ يستعمل أيضاً في تقدير المعنويات ، فيقال مثلاً : فلان يقاس بفلان في علمه وفضله ، أو لا يقاس به في علمه وفضله ، أي يساويه أو لا يساويه .

ومنه قياس الرأي بالرأي ، أو قيس الرأي بالرأي على معنى الموازنة والمفاضلة بينهما ،

للقياس أصل عظيم من الأصول التي دار حولها نظر الفقهاء في الشريعة الإسلامية ، ولحق تأثيرها الفقه الإسلامي تأثيراً شديداً في جانب الاستنباط لإثباتاً ونفياً ، وإليه يرجع الكثير من أسباب الاختلاف بين الأئمة ، ومن درس هذا الأصل العظيم دراسة قوية ، وأحاط بأقسامه وتفصيله ومواطن الخلاف بين العلماء فيه ، فإنه يكون قد جمع علماً غزيراً ، واكتسب مراناً ومرونة في معرفة مدارك الأحكام ، وطرائق الاجتهاد وتميهاً إلى مدى بعيد لاستقبال ما جدد من الحوادث وصور المعاملات بمثل ما كان يستقبلها به أهل الفتوى والتخريج والاستنباط من العلماء الأولين .

\*\*\*

وأصل القياس في اللغة : التقدير ، ومنه : قسست الثوب بالذراع أي قدرته ، ويلاحظ فيه معنى التسوية بين المقدر والمقدر به ، فإذا قدرت شيئاً بشيء فقد سويته به في وحدته أو ضعفه أو جزئه .

أرأيت لو وضعها في حرام أليس يكون عليه في ذلك وزر ؟

ومن أمثلة اختلاف الاصطلاح في استعمال هذا اللفظ ما يرد أحيانا من قول بعضهم : إن إباحة كذا على خلاف القياس ، يريدون على خلاف الأصل المطرد ، مثال ذلك قول الفقهاء : إن إباحة السلم على خلاف القياس ، أى أنه يخالف لأصل مقرر يقول ( لا تبع ما ليس عندك ) فهذا الأصل يقتضى الإباحة السلم لأنه يبيع ما ليس عندك ، غير أنه استثنى ورخص فيه للحاجة فكانت إباحته مخالفة للقياس والأصل .

وقد يطلق القياس ويراد به المعنى المدرك بالعقل ، كما لو قيل ( التيمم خلاف القياس ) أى خلاف المعنى الممقول لتشريع التطهر ، فإن التراب ملوث لا منظف ، بخلاف الغسل بالماء فإنه على مقتضى القياس أى ما يحكم به العقل ، فهو مزيل للدرن ، منظف للبدن .

ومثل هذه الاستعمالات لها صلة بالمعنى اللغوى للقياس أكثر من صلتها بالمعنى الاصطلاحى له ، فإن معناها يرجع إلى تقدير شئ بشئ ، وإضافة شئ إلى شئ ، حتى يتبين أن المقدر على وفق المقدر به أو على خلافه .

\*\*\*

والكلام في استقصاء هذه التعريفات ،

وقد زعم بعضهم أن هذا المعنى ملاحظ في تسميته « امرئ القيس » الشاعر بهذا الاسم لأن شعره اعتبر به ، وجعل كأنه مقياس للشعر ، وهو زعم فيه طرافة ، وإنما نسوقه توضيحا لمعنى القياس والقيس في أصل اللغة .

\*\*\*

أما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه لتعدد أقسامه ، والتفاوت في ملاحظة بعض القيود أو إلغائها ، ثم لتعدد الاصطلاح في استعماله بحسب المواضع المختلفة : فقول : « هو حل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما » .

وقيل : « هو حكك على الفرع بمثل ما حكمت به على الأصل ، لاشتراكهما في العلة التي اقتضت ذلك في الأصل » .

وقيل « هو حل الفرع على الأصل ببعض أوصاف الأصل » .

وكل هذه تعريفات متقاربة ، ولكنها تناسب نوعا من القياس هو المعروف « بقياس الطرد » مع أن هناك نوعا آخر من القياس لا تنطبق عليه هذه التعريفات هو النوع المعروف عندهم « بقياس العكس » ، وهو إثبات عكس الحكم في الفرع الذى وجد فيه عكس الأصل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله : أيقضى أحدنا شهوته من زوجته فيكون له بذلك أجر ؟ فقال

صده الناس عن ذكر الله وعن الصلاة إنما يرجع في الخمر إلى غيبوبة شاربها بالسكر أيضا . والحكم الذي انتقل من الأصل إلى الفرع ؛ هو التحريم المستفاد من قوله تعالى في الخمر وما عطف عليها « فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . وقد سبق التمثيل لقياس العكس ، وإليك بيان أركانه :

فالصورة المقيسة عليها - وهي الأصل - هي قضاء المرء شهوته في غير زوجة ولا مملوكة .

وحكمها : ثبوت الوزر .

والصورة المقيسة - وهي الفرع - هي عكس للصورة الأصلية ، أي قضاء المرء شهوته مع زوجته .

وحكمها : ثبوت الاجر ، وهو عكس حكم الأصل .

والمعنى المناسب ، هو التعاكس بين العلتين . وهكذا لا بد في القياس من أصل وفرع وحكم يتحقق فيها التماثل على سبيل التعاكس .

\* \* \*

وقد اختلف الناس في القياس فمنهم من يثبته كأصل تشريعي ، ومنهم من ينفيه ولا يعتد به .

فالذين يثبتون القياس :

١ - قالوا إن القياس أحد أصول

وما ورد عليها من الأسئلة والاعتراضات ، والاجوبة والتعليقات ؛ كلام طويل وليس فيه كبير فائدة ، ويكفي أن نعلم أن لكل قياس أركانا أربعة لا يتم إلا بها : الأصل ، والفرع ، والعلة ، والحكم ، وقد يقال إن الأركان هي الثلاثة الأولى فقط ، أما الحكم فهو الثرة التي تأتي بعد تحقق هذه الثلاثة ، والأمر حين على كل حال .

مثال قياس الطرد : أن تحكم على النبيذ بحكم الخمر وهو الحرمة ، لا اشتراكهما في الإسكار .

فالخمر هي الأصل ، لأنها هي التي وردت في شأنها النص : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متعون ، (١) .

والفرع هو النبيذ لأنه غير منصوص على حكمه .

والعلة التي من أجلها حرمت الخمر هي الإسكار ، باتفاق العلماء استنادا إلى الآية الثانية ، فإن إيقاع الشيطان العداوة والبغضاء بين الناس ، إنما يرجع في الخمر إلى كونها مسكرة تخرج شاربها عن الصواب ، وكذلك

[١] الآيات ٩٠ ، ٩١ من سورة المائدة .



في الزبر، <sup>(١)</sup> وفي ذلك قياس للآخرين على الأولين، فالكفار الأولون أصل للعقاب الذي وقع عليهم حكم، وعلة هذا الحكم هي التكذيب وهذه العلة قد وجدت في الكفار الآخرين، فلا بد من تعدى الحكم إليهم بعموم العلة، وهذا محض القياس.

ومثل ذلك قوله تعالى: «أفلم يسعروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم: دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها» <sup>(٢)</sup> فقد أخبر الله تعالى أن حكم الشيء حكم مثله.

<sup>(٣)</sup> وقالوا: إن الله تعالى نفى عن حكمه وحكمته التسوية بين المختلفين في الحكم، فقال: «أفنجعل المسلمين كالمجرمين». ما لكم كيف تحكمون، <sup>(٤)</sup> وقال: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم وبماتهم، سواء ما يحكمون»، <sup>(٥)</sup> وقال: «أم تجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار»، <sup>(٦)</sup> وفي ذلك كله استنكار للتسوية بين المختلفين، وهو يستلزم استحسان التسوية بين المتماثلين.

<sup>(٧)</sup> وقالوا: إن الله تعالى قد امتن على

الشريعة، وقد أرشد الله تعالى إليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، انظر إلى قوله تعالى: «فسية ولون من يعبدنا قل الذي فطركم أول مرة»، <sup>(٨)</sup> وقوله تعالى: «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه»، قال من يحیی العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة، <sup>(٩)</sup> وأمثال ذلك فإن الله تعالى يقيس النشأة الآخرة على النشأة الأولى، وانظروا إلى قوله تعالى: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت لأن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير» <sup>(١٠)</sup>، يقيس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بالإنبات بعد موتها وانظروا إلى قوله تعالى: «خلق السموات والأرض أكثر من خلق الناس»، <sup>(١١)</sup> فإنه يقيس الخلق الجديد الذي أنكروه على خلق السموات والأرض، ويجعله من قياس الأولى، إلى غير ذلك من المواضع التي يقيس الله تعالى فيها شيئا على شيء.

٢ — وقالوا إن الله تعالى بعد أن أخبر عن عقوبات الأمم المكذبة للرسل، قال: «أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة

(١) الآية ٤٣ من سورة القمر.

(٢) الآية ١٠ من سورة محمد.

(٣) الآيتان ٣٥، ٣٦ من سورة القلم.

(٤) الآية ٢١ من سورة الجاثية.

(٥) الآية ٢٨ من سورة ص.

(١) الآية ٥١ من سورة الإسراء.

(٢) الآيتان ٧٨، ٧٩ من سورة يس.

(٣) الآية ٣٩ من سورة فصلت.

(٤) الآية ٥٧ من سورة قافر.

في الحكم لاستوائهما في العلة الجامعة بينهما .  
وقل مثل ذلك في قوله تعالى : « ألم يروا  
كم أهلكنا من قبلكم من قوم مكنهم  
في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء  
عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحته  
فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا  
آخريين » (١) فقد بين الله تعالى أن إهلاكهم  
كان بسبب ذنوبهم ، وفهم من هذا أن العلة  
تعم ، فمن أذنب مثلهم كان مستحقا لمثل  
حكمهم وهو الإهلاك ، وكل هذا من قبيل  
قياس العلة .

وقل مثل ذلك أيضا في قوله تعالى :  
« وربك الغني ذو الرحمة ، إن يشأ يذهبكم  
ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم  
من ذرية قوم آخرين » (٢) وقوله تعالى :  
« إنا أرسلنا إليك رسولا شاهدا عليكم ،  
كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فقصى فرعون  
الرسول فأخذناه أخذًا وبيلًا » (٣) .  
وهذا في القرآن كثير .

وأما قياس الدلالة ، وهو الجمع بين الأصل  
والفرع بدليل العلة و ملازمتها ، فقد جاء  
في مثل قوله تعالى « يا أيها الناس إن كنتم  
في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ،

عباده بأنه « علم القرآن . . . والسماء رفعها  
ووضع الميزان ، ألا تطغوا في الميزان » (١)  
والميزان هو آلة العدل والتسوية ، والقياس  
ما هو إلا ميزان ، ومنه ما هو قياس صحيح  
كالميزان الصحيح ، وما هو قياس باطل  
كالميزان المضطرب ، فالذين قاسوا البيع على  
الربا بجامع ما يشتركان فيه من التراضي ،  
قياسهم باطل ، والذين قاسوا الميتة على المذكي  
بجامع أنهما مشتركان في خروج الروح  
قياسهم باطل . . . الخ ، فليكن في القياس  
ما يذم لبطلانه وفساده كالميزان الفاسد الباطل  
ولكن هذا لا ينطبق على كل قياس فإن  
هناك آلاف الأقيسة الصادقة ، كما أن هناك  
آلاف الموازين الصالحة .

• — وقالوا : إن أنواع القياس المستعملة  
موجودة كلها في القرآن :

فقياس العلة موجود في مثل قوله تعالى :  
« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من  
تراب ثم قال له كن فيكون » (٢) ، فآدم  
أصل ، وعيسى فرع ، وكلاهما يشارك الآخر  
في أنه مخلوق على غير السنة المألوفة طوعا  
لمشيئة الله وتكوينه ، فمن أقر بوجود آدم  
من غير أب وأم ، فكيف يستنكر وجود  
عيسى من غير أب ، واذن فهما مستويان

(١) الآية ٦ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة الأنعام .

(٣) الآيات ١٥ ، ١٦ من سورة الزمّل .

(١) الآية ٨ وما قبلها من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٥٩ من السورة آل عمران .

باطل لأن التساوى في قرابة الأخوة ليس بعلّة للتساوى في السرقة - على فرض أنها حصلت من أخى يوسف - ولا دليل على التساوى فيها .

ومن ذلك أن الكفار يقولون في الاعتراض على الرسل : « إن أنتم إلا بشر مثلنا ، <sup>(١)</sup> فيعتبرون مجرد التساوى في البشرية ، ويقيسون حال الرسل على حالهم هم ، ويحكمون عليهم بأنهم ليسوا برسل كما أنهم هم أنفسهم ليسوا برسل .

وقد أجابت الرسل عن هذا القياس ببيان الفارق ، حيث قالوا : « إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمين على من يشاء من عباده ، <sup>(٢)</sup> أى نحن نسلم أننا مثلكم في البشرية ولكننا نختلف عنكم في مزية ، هى أن الله منّ علينا ولم يمين عليكم ، والله يمين على من يشاء ، فهذا ، هو الفارق ، ولا قياس مع الفارق .

إلى غير ذلك من الآيات ؟

**محمد محمد المرنى**

عميد كلية الشريعة

ثم من لفظة ، ثم من عطفة ، ثم من مضغة مخلفة وغير مخلفة لتبيين لكم ، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ، <sup>(١)</sup> فذكر الله تعالى أطوار الخلق من المبدأ إلى حين الموت ، وكلها ممكنة الوقوع بدليل المشاهدة التى لا ارتياب فيها ، فالبعث الذى ترتابون فيه ما هو إلا نشأة ثانية وخلق جديد كالنشأة الأولى التى تعرفونها وترون تطورها .

وفي القرآن الكريم من هذا كثير . وأما قياس الشبه ، وهو الخالى من العلة المؤثرة والوصف المقتضى للحكم ، فإنه قياس باطل ، ولم يرد في القرآن الكريم إلا على السنة المبطلين .

فمنه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف « قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل <sup>(٢)</sup> » ، فهم لم يجمعوا بين الأصل والفرع بعلّة أو دليلها ، وإنما ألحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بين الآخرين وهو التساوى في القرابة ، وهذا

(١) الآية ١٠ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ١١ من سورة يس .

(١) الآية ٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٧٧ من سورة يوسف .

# نفاية القرآن

المجتمع الإسلامي يحتمى بالقوة  
ليعيش في ظل السلام من أعدائه  
للأستاذ عبداً اللطيف السبكي

- ١ - د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، .  
٢ - د وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ، .

- ١ — كان ظهور الإسلام مفاجأة لقوم عاشوا طويلاً في طلاقة من الفوضى ، وفي مجبوحة من التقاليد التي تنكف بها حياتهم كأمة لها مجتمع .  
وكان كذلك مفاجأة لأمم أخرى ؛ لها سابقة في التدين على أى نحو من التشريع اليهودي ، أو المسيحي .  
فكان طبيعياً أن تثور حول هذا الدين خصومات ومشادة بين يرون فيه تحويلاً لهم عما ألفوا .  
وكان مفروضاً أن يحتاج هذا الدين إلى وسائل وقائية يحتمى بها من يناصبونه الخصومة ، ويذودونه عن تبليغ رسالته إلى الناس ما استطاع .
- ٢ — ونحن في موقفنا الآن - أمام آيتين متعاقبتين في سياق القرآن .  
الأولى : د وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتباعونهم الله يعلمهم ... .  
والثانية : د وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم ... .  
فآية في جانب القوة والدعوة إليها في شموخ وتأكيد ...  
وآية في جانب المسالمة والدعوة إليها في تشجيع وترغيب ...  
فهل بين التوجيهين تناقض ؟؟ أو في السياق ما يثير غمضاً نحو مسلك الإسلام في دعوته الرحيمة بالإنسانية ؟؟

(ب) وبنو النضير — وهم الطائفة الثانية من اليهود — ينتهزون جلوس النبي عدهم للتفاهم معهم على أمر ، مطمئناً إلى عهدهم ، فيدبرون الحيلة العاجلة لقتله غيلة بإلقاء حجر عليه من فوق منازلهم .

ولكن الله — تعالى — يعصم رسوله من خيانتهم ، ويخبره الوحي بتدبيرهم ، فينصرف عنهم ، وينجسهم من شرهم ، ثم يجاهرون بالاستعداد للحربه ، فيحاصروهم كذلك أياماً كانت نصحات عليهم ، حتى ارتضوا أن يخرجوا من المدينة بقليل من أموالهم — دون سلاح — إلى أرض خيبر مع زعيمهم — حسين بن أخطب .

(ج) وكذلك فعلت قريظة — وهي أشد اليهود عداوة للإسلام وأهله .

حضر إليهم من خيبر — زعيم النضير : حسين بن أخطب . . ثم دلفوا إلى قريش في مكة وسواها ، وحالفوهم على تكوين جيش منهم ومن أحزابهم لحرب المسلمين في المدينة .

فكان من أثر صنيعهم هذا غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق .

لما تبين للمسلمين تكاتف الأحزاب من قريش ومن يواليها حفروا حول المدينة خندقاً يعوق عن دخولها ، واكتفوا بالدفاع من داخل الخندق .

ولما اجتمع القوم ووجدوا ذلك الحاجز

نظرة في سبب النزول لماتين الآيتين تكشف عن حكمة القرآن في بناء مجتمعه على القوة ، والمسالمة . . فقد كان في المدينة وحولها يهود يعيشون إلى جانب المسلمين في رغد ، وفي أمن ، ولهم قدم راسخة في هذا الوطن .

ولما استقر الإسلام في المدينة تظاهروا بالمسالمة أكثر وعقدوا مع النبي عهداً على الأمان ، وألا يظاهروا على المسلمين هدواً من أعداء الإسلام وما كادت غزوة بدر تنتهى بنجاحها على قريش مع قلة جيش المسلمين وكثرة الكافرين حتى ثار الحقد في نفس اليهود ، واستكثروا على محمد أن يظهر شأنه ، وهو هربي وليس من بني إسرائيل .

وتوجسوا أن هذا الانتصار الباهر ، له ما بعده من نجاح الإسلام . فهوت عليهم الأحقاد ، وخبت الطباع أن ينتصروا عهودهم طائفة بعد أخرى .

(١) فبنو قينقاع يبدون بالسفاهة على النبي وأصحابه ، ويتمشون لحرب المسلمين معتمدين بالحصون المنيعه ، لحاصرهم النبي في حصونهم هذه . وضيق عليهم ، حتى رضوا أن يزولوا من الحصون على حكم النبي فيهم بما يرى .

فحكم بتجريدهم من أموالهم غنيمة للمسلمين ، وإخراجهم سالمين من القتل إلى جهة أذرعهم من بلاد الشام بعيدين عن الحجاز كله ، وظلوا هناك حتى بادروا جميعاً .

الأقل ولكن سعد بن معاذ كان أوفى لدينه من هؤلاء الخونة الذين أسرفوا أكثر من سوام في السكيد للمسلمين فقال لبنى قريظة : أترضون بحكمي ؟ قالوا : نعم .

لحكم بقتل الرجال جميعا - وكانوا ألفا - وأن تقسم الأموال بين المسلمين ، وأن تسبي النساء والأطفال ، وحينئذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ثم نفذ الحكم ، وطهرت المدينة من خبثها ، وحقا - هي كما قيل فيها : تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد .

بل طهرت أرض الجزيرة كلها من أهل الكتاب جميعا ، وتم هذا في عهد عمر رضی الله عنه تنفيذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان ، فلم يعد يهودى ولا نصرانى بالجزيرة منذ عهد عمر رضی الله عنه والجزيرة يومذاك مكة، والمدينة وخيبر واليمامة .

وكانت قريظة شر الجميع ولعنة الله على الجميع .

٣ - إزاء هذا الانقراض على العهود ، والتحالف على المسلمين كان الأمر بحاجة إلى رسم سياسة منيعة تحفظ على المسلمين حياتهم وتسكفل سير دعوهم الإصلاحية ، فلا تتعرض في حواجز التضليل ، ومقاومة المبطلين .

فآلية الأولى - تطلب الاستعداد للعدو

في طريقهم رابطوا على جانبه ، ومنعوا المسلمين من الخروج عن المدينة إلى أسفارهم ، أو مراعيهم ، ومتاجرم . وصاروا يناوئونهم بالسهم والنبال حتى أحس المسلمون بشيء من الجهد .

ثم ساط الله على الأحزاب أسباب الهزيمة المفاجئة ، فعصفت بهم الريح ، واجتاحهم زوابعها ، وأطاح بخيامهم ، وأمتعهم ، وددت شملهم على شر ما وقع بهم من خزي وهوان ، ورد الله الذين كفروا بغیظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، وفى نفس اليوم ، وعقب فراغ النبي من الخندق نزل عليه الوحي ألا يضع سلاحه ، فإن الملائكة لم تضع أسلحتها .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن في الناس : من كان سميعا فلا يصاين العصر إلا في بنى قريظة .

ثم حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى رضوا أخيرا أن ينزلوا على حكمه فيهم فتوسط الأوس لدى الرسول مجاملة لقريظة وكانوا حلفاء لهم من قبل .

فرضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكم فيهم زعيم الأوس سعد بن معاذ ، فقرحت قريظة بذلك وظنوا أنهم سيظفرون بالخروج مع شيء من المال ، أو سالمين بأنفسهم على

وأنت ترى في هذا التوجيه حرصا على تربية المهابة للإسلام في نفوس أعدائه جميعا ، فيسكف عنه المناوئون له ، ويخشاه المستترون في أحضان النفاق ، ويتربصون به الدوائر والأحداث .

وهذا ينبه الله أهل دينه إلى أن لم خصوما يخفون في هداوتهم ، ولكن الله يعلمهم وحده ، فلا يحسن بنا الاستسلام للغلبة ، والمخادعة ، وتحصين الظن .

وعندما يكون الإسلام في أهبة يخشاها عدوه نتاح للسليبين حياة مستقرة الأوضاع ، واضحة المعالم ، ولا يهابون سفراء الشيطان الذين يحركون العداوات ويبغون الإفساد في الأرض ، وهي حياة أجدى على الدنيا من حياة تضطرب فيها الوثنية ، أو العصبيات المختلفة ، ولا توجد بينها وشائج روحية تقضى على الفوارق الجنسية ، والإقليمية بل تكون حياة تقتلع الأنانية ، وتركز فيهم نزعة الإخاء الإنساني كما يفعل كل ذلك الإسلام . فاتجاه الإسلام إلى ناحية القوة علانية بأنه لا يتعفف عن ولوج الحرب .

ولا يقتصد في اقتحامها عندما يقتضيه أمر من جانب أعدائه .

ومن هذه الناحية - زعم خصومه أنه دين يفرض نفسه على الناس بالعنف ، وأنه ليس دين تفاهم بالعقل والحجة كما يدعى أهله .

بتوفير أدوات الحرب دون وقوف عند غاية ، أو اكتفاء بنوع من معدات النضال ، بل بكل ما تشمله القوة لفظا ، ومدلولا من جنود ، وفنون وأدوات ، وتخطيط ، وكل ما يعتبر مجديا في النضال ، وتمدى إليه سياسة الحروب .

ولما كانت الخيل أهم ما يستعان به قديما في المصاولة ، وخفة الحركة صرح بذكرها للقرآن : لا على سبيل الحصر فيها .

بل للاهتمام بها أكثر من سواها ، كالإبل ، والأفيال مما كان يستخدم في الخل والهجوم على العدو قديما .

والقرآن يحض على إعداد القوة دون تحديده ، فيمتد مفهومها إلى كل ما يستحدث على طول الزمن بواسطة العلم ، والاختراع . وإذا لحظنا أن عداوة أولئك المحصور قد توارثت في نفوسهم ، وفي أعقابهم ، وأن الإسلام غلب حيلهم ، ومحاولاتهم ، حتى صار غير مقدور لهم أن يدروا نشاطه ، ولم يعد في مطمعهم أن ينالوا منه مآربا . . إذا لحظنا ذلك أدركنا حاجته إلى الحيلة منهم ، والاستعداد لهم . . والوقاية من الشر سلامة من الوقوع فيه .

وهذا ما صرح به القرآن في قوله تعالى « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلم » .



فإذا لم يكن اقتناع بالدين الذي يحاربونه فليكن سلام ترف ظلاله على الحياة وأهلها وتستقر في أمنه الأرواح . ثم حسابهم فيما بعد ذلك إلى الله الذي يتولى الجزاء .

وبهذا التوجيه الرحيم يعلمنا الله أن الأمر ليس أمر حرب تقام ، أو صلح يعقد ، فهذه وسائل عرقية جرت عليها شئون الدنيا .

أما الانتصار وغيره فتدبير من الله وحده ، وقد ينصر الله القلة ، ويهزم الكثرة دون قياس بالعدد ، أو الوسائل .

وبهذا يطمئن الله رسوله والمؤمنين فيقول له : ... وتوكل على الله ، إنه هو السميع العليم ، ثم يطمئنه ثانيا إلى أنه الراغبين في السلم حقا في رعاية الله ، وأن المخادعين في صلحهم هم في خصومة مع الله .

وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ، يتكفل الله بك فينصرك على مخادعك ، ولك سابقة النصر على الكفار بما جمع الله حولك من الأنصار والمهاجرين في المدينة حتى ألف بين قلوبكم جميعا فأصبحوا قوة متأخية لا يستهان بها ، وبهذه القوة زلزل الله الشرك وأهله ، وقوض حصونهم ، ومعالم كفرهم ...

وهذه سنة الله مع أوليائه المؤمنين : يؤلف بينهم ، ويشد من أزرهم ، ويهيئ لهم حياة طيبة بقدر ما يكون لإخلاصهم لله .

٤ — وفي الحق أن هذا زعم البلداء الذين لم يتصلوا بتعاليمه ، ولم يعطوه من وعيهم قليلا ، بل هم يتخبطون في رجم بالغيب ، فيستبيحون متابعة المرجفين فيه .

وكثيرا ما تنبه أناس من خصومه إلى النظر في آياته ، واستطلاع مقاصده ، فهداهم البحث والموازنة بين ما فهموه وما سمعوا عنه إلى اعتناقه عن بينة ، واطمئنان ، بل شرعوا أقلامهم في وجوه الآخرين منصفين لهذا الدين العام ، الخير للإنسانية ، ويبنوا أن الإسلام دين دعوة سلبية ، ولا ينبغي من القوة إلا أن يحمي نفسه بين موجات صاخبة من مطامع الشعوب ، تتقاذف الغواة من شياطين الإنس يمينا وشمالا .

وهذا تحقيق مستمد من نسق الكتاب نفسه .  
٥ — فبينما يحض على القوة في آيتنا هذه يردفها بآية الترغيب في السلم والحض على الأخذ به ، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ، وتوكل على الله ... .

فأنت ترى القرآن يطنى\* وقود الحرب بقبول الصلح مع خصومه إذا طلبوا المسالمة وأقلعوا عن التشبث بالحرب ، والعداوة .

وهذا أسلوب الرحمة يكسف كسف به نيران الحروب وهذه دعوة الإنسانية يرطب بها وهج الخصومة ، ويجذب الأنفس إلى التقارب في ظلال السلام . . . وفي ذلك خير للجميع

أقعد هذا الترغيب في السلام ، وطرح  
 الخصومه يظن من يظن أن الإسلام غير رحيم  
 بالناس ، وأنه يتهاف على إراقة الدماء  
 وإشعال الحروب ، أم ينسون ما يفعله  
 يهود اليوم ، ؟

٦ — كثرت في القرآن آيات للقتال ،  
 وكثر فيه الأمر بقتال المشركين كافة وبقتالهم  
 حتى لا تكون فتنة منهم يتغلبون بها على دعوة  
 الله عند من يتمكنون من قتلهم .

ومع هذا فإنك تجد القرآن في موقف  
 الدفاع ، فإن الحرب قائمة عليه من جهة  
 أعدائه دائماً وما كانوا يهادنونه إلا ريثما  
 يستعدون لمهاجمته .

فعلوا ذلك حينما أخرجوا الرسول وصحبه  
 من مكة ، وفعلوه يوم أفقت عيرهم فهدتها  
 من طريق المدينة ، ثم ألغوا جموعهم لحرب  
 المسلمين فكانت الدائرة عليهم في بدر .

وفعلوا ذلك يوم الأحزاب ، ويوم الحديبية  
 وكل هذه الأحداث استمرار للحرب عدائية  
 مع المسلمين . . . وقديما يقول الناس : الشر  
 بالشر والبادي أظلم .

وما هو الإسلام إزاء خصومه اليوم يلاقى  
 منهم الغدر والفتك ، والتألب ، والإيذاء ..  
 وليست حكاه المسلمين المعاصرين يفتنون إلى  
 ما ينبغي الأخذ به : من تضامن في الخير  
 وبقطة من مخادعة خصومهم ... ولا نقول  
 بحرب ولا عصية ، وإنما نقول بحيلة وعبرة .  
 وإذا لم يكن فيما تلووه من كلام الله زاجر  
 لنا ، ولفتة إلى تنظيم صفوفنا فلن يستقيم  
 للعود الأوج ظل ، ولن يبقى على الفساد  
 وبجانب الدين ملك ، والله لا يصلح عمل  
 المفسدين ؟

عبد اللطيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

قال حسان بن ثابت :

وإن امرأ أمتى وأصبح سالماً

من الناس إلا ما جنى لسعيد

# بنداء الفتران

## إلى كل مسلم، وإلى كل عربي، وإلى كل محب للسلام

لمؤنسان طه محمد الساكت

### بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق أمل فيكم ، بأن أكون دستوركم  
الرسمي والحكمي ، ومنهجكم العلمي والعملية ،  
فأنا الكفيل بسعادتكم العظمى ، في الآخرة  
والأولى ...

ولا عجب ! فقد نزل في الروح الأمين ،  
على قلب خاتم النبيين ، بلسان عربي مبين :  
« تبياناً لكل شيء » وهدى ورحمة وبشرى  
للسالين .

وليس بيني وبينكم إلا أن تبصروني ،  
فتعصموا بي . وتهتدوا بهدي ، فإني أهدى  
التي هي أقوم ... ومن اهتدى بغيري فقد اتبع  
غير سبيل المؤمنين ، وضل ضلالاً بعيداً !  
« أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى  
سويًا على صراط مستقيم » .

\*\*\*

لقد دعوتم لي بين يدي قائمكم ، وفي أزهركم  
ومعاهدكم ، وفي مؤتمراتكم ومساجدكم :

سلام الله عليكم ورحمته ، وأيدكم الله بروح  
منه ، ووفقكم لأن تستجيبوا لله وللرسول إذا  
دعاكم لما يحبيكم ...

أما بعد ؛ فإن مشروع الميثاق الوطني ،  
الذي قدمه السيد الرئيس ... هبة من هبات  
الله لكم ، على شرط واحد ، تباعون الرئيس  
على الوفاء به ، يد كل واحد منكم في يده ،  
ويد الله فوق أيديكم ، فمن نكث فإنما ينكث  
على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه  
أجرًا عظيماً .

ذلكم الشرط : أن تتخذوني دستوراً لكم  
وإماماً يعزكم الله بي كما أهن نبيكم وأنصاره ،  
فلم يكن أحد أعز على وجه الأرض منهم ...  
« وقه العزة ولسوله وللمؤمنين ولكن  
المنافقين لا يعلمون » .

\*\*\*

لأنه إن يكن يومكم هذا يوم القبول والتعليق ؛  
فإن يومى غداً ، يوم الفعل والتحقيق :

إلا كلمة في قال حسن ، وأخرى في بشارة حسنة ، وثالثة في إشارة إلى رؤى رأها لقائكم وأزهركم ، تبشر - إن كانت صادقة - بأن الله ناصرهما بنصره ، وحافظهما بحفظه . والرؤيا للصادقة هي البقية الباقية من آثار النبوة ...

\*\*\*

لأنه « إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم وأهه غفور رحيم » .

وإن يرد الله بكم وبقادتكم خيراً ورشداً يحقق في آماله الإسلام والسلام والعروة فيكم ، ويجمع في شملكم ، ويؤلف بين قلوبكم .. وإذا لا يضركم من خالفكم وإن جمعوا لكم وزادوا عليكم أضعافاً مضاعفة : عدة وعديداً ، وتاريخكم المجيد : قديماً وحديثاً أصدق شاهد :

« فاعتبروا .. وانظروا .. واحذروا .. » .  
واعلموا أن التاريخ يعيد نفسه ، فاتقوا ...  
واصبروا ... « لأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين » .

« واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأراكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » .

فإن يكن دعاؤكم هذا وفق ما في قلوبكم ، وترجمة ما في ضمائركم ، فإنكم مصدقون ومؤمنون بي حقاً ، والله يستجيب لكم ويؤيدكم « وأنتم الأهلون والله معكم ... » .

وآية إيمانكم بي وصدق بيعتكم ، أن كفدوني بالأرواح والمهج ، وأن تهاجروا وتجاهدوا في سبيل بأموالكم وأنفسكم « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوتهم في الدنيا حسنة ولا جرة الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » ...  
« والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ، ... » « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

\*\*\*

وإن كنتم تقولون بألسنتكم ما ليس في قلوبكم وتحبون أني تحمدوا بما لم تفعلوا ، وتحسبون أنكم بقولكم هذا ، تؤدون حقى عليكم فما أضيعكم ! وأكبر مقتكم ! وما أبعد الشقة بيني وبينكم ! وافرقوا إن شئتم : « يأيا الذين آمنوا لم تقولوا ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » .

\*\*\*

لأنه ليس لكاتب هذا النداء فيما قلتم ودعوتهم ،

وإن يرد بكم غير ذلك - وأعينكم بالله من غضبه وحره - يكلّكم إلى أنفسكم ، ويجعل قلوبكم شتى ١ وإذا لا تؤلفون بينها أبدا ولو أنفقتم ما في الأرض جميعا ١١١

\*\*\*

واعلموا أن من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته ، فنيبكم خصمه يوم القيامة ، نبيكم وحيبيكم ١١١ نبيكم الحريص عليكم ، الرؤوف الرحيم بكم ، الذي استوصى بإخوانكم الأقباط خيراً ، وأنباكم أنهم أصهاره ، وأن لهم بهذه المصاهرة ذمة ورحما ...

\*\*\*

ألا ، فاكتبوا ندائى هذا وانشروه ، وتداولوه بينكم وتدارسوه : فرادى وجماعات ، وأما . واجعلوه أساس هذا الميثاق ، وأساس كل ميثاق وهد بينكم ، حتى يحكم الله لى ، أو يقضى الله أمراً كان مفعولاً .  
« والسلام على من اتبع الهدى » .  
« طه »

ألا ، فاحفظونى يحفظكم الله ، وانصرونى ينصركم الله ، واقروا : « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وهلى الله فليتوكل المؤمنون » .

\*\*\*

لا تخافوا منى على من لا يؤمن بى ، من أهل العهد والذمة ، فإنى أرحم بهم منكم ، بل إنى لأرحم بهم منهم ... ومن لا تصبه وحى ، فلن تحطئه عدالتى ، واقروا :  
« يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون » ، « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوك فى الدين ولم يخرجوكم

## من مذكرات أبى أمانة :

- البيان بالإحسان . قبل الحديد فى القرآن .
- أوفى الناس : الخليل ؛ وأكرمهم : الصديق ؛ وأقوامهم : الأمين ؛ وروحهم : الكلمة ؛ وسيدهم : من لا يفخر .
- الهجرة فى إبانها : من شجاعة الشجعان ؛ والهجرة فى غير إبانها : فرار من الميدان .

# ابن خلكان المؤرخ

للأستاذ محمد رضا الشيبى

ومن ذلك أنه ظفر بكثير مما ألفه المغاربة والأندلسيون في تاريخ المغرب والأندلس . كما ظفر بكثير مما ألفه المشارقة من عراقيين وشاميين ومصريين هذا بالإضافة إلى بعض ما ألف بالعارسية من كتب التاريخ .

## ابن خلكان وأسابيل المؤرخين :

والفاضل ابن خلكان خبير بأساليب المؤرخين وما جرت عاداتهم في وضع مصنفاتهم وترتيب معجماتهم ، ففي كتابه إشارة إلى مختلف تلك العادات من ذلك مثلاً عادتهم في ذكر من عرف بكنيته دون اسمه من الأعلام . فمن المؤرخين من يفرد باباً لمن عرف بكنيته دون اسمه ، ومنهم من يراعى في الترتيب أول حرف من المضاف إليه . وهكذا نجد ابن خلكان يقول في ترجمة ( أبي بكر ابن عبد الرحمن ) أحد الفقهاء السبعة : « والمعروف أن كنيته اسمه ، وعادة المؤرخين أن يذكروا من كنيته اسمه في الحرف الأول الموافق لأول المضاف إليه ، والمضاف إليه هنا بكر ، فلهذا ذكرته بالباء (١) .

كان ابن خلكان ولا شك من حذاق المؤرخين اطلع على أمهات الكتب التاريخية وسبرها سبراً جيداً وعنى بمناقشة قضايا أو أحداث تاريخية مناقشة دقيقة . ونبه على أغلاط وأوهام غير قليلة في اللغة والتاريخ والأنساب وقمت في تصانيف المؤرخين والمحدثين متقدمين ومتأخرين كما ستره . ولا بد لنا في هذا المكان من الإشارة إلى الفارق البعيد بين طريقتيه في مناقشة الأحداث وطريقة ابن خلدون ، فابن خلدون يناقش في بحوثه قضايا عمرانية أو شئون اجتماعية عامة بأسلوبه المعروف في فلسفة التاريخ . وابن خلكان يناقش مضافاً إلى بحوثه في الشعر واللغة والأدب قضايا تاريخية خاصة لا علاقة لها بتاريخ العمران والاجتماع . على أن ذلك لا يقلل من شأن بحوث مصنف الوفيات ولا يحيط من قيمتها سواء أكانت فقهية أم تاريخية أم لغوية وأدبية بما يتخللها من تحقيق واستقراء في حدود منهجه المرسوم . قلنا شذ عن ابن خلكان كتاب أو مأخذ جليل من مأخذ التاريخ مما ألف قبل زمانه في العالم الإسلامي بأسره شرقاً وغرباً ،

(١) الوفيات ( ٢٨٦/١ ) .

المصرية كانت من مأخذه وهو في سبيل إخراج كتاب الوفيات .

وهذا المنذرى كما لا يخفى من أجل مشايخه الذين لقيهم في القاهرة بعد استقراره فيها وأخذ عنه إلى أن مات . وعاش القاضي ابن خلكان من بعده مدة . وكان كما يستفاد من كتاب الوفيات يفاوض شيخه المذكور ويستطلع طلع رأيه في مسائل عويصة ومطالب غامضة من التاريخ والحديث وعلومه . ولم يكن للشيخ - والحق يقال - ضئيل بالإفادة والإجابة وما أكثر حديثه عن المنذرى في الكتاب . وقد أورد نبذة عنه في ترجمة الحافظ أبي الحسن المقدسى <sup>(١)</sup> . هذا وفي كتاب الوفيات نوادر وتعليق تاريخية وأخرى في علوم الرواية منقولة عن شيخه المنذرى المذكور <sup>(٢)</sup> ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة الحافظ المؤرخ المعروف بابن عساكر محدث الشام من كتاب الوفيات وهذا نصه :  
« قال لي شيخنا الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذرى حافظ مصر أدام الله به النفع وقد جرى ذكر هذا التاريخ - ( يعنى تاريخ ابن عساكر ) - وأخرج لي منه مجلدا وطال الحديث في أمره واستعظامه : « ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من

وقال مثل ذلك في ترجمة ( أبي عمرو بن العلاء ) ثم قال : « ومن المؤرخين من يفرد الكنى بابا ، ومعنى هذا أنه عني بملاحظة مختلف عادات المصنفين في التاريخ من هذا القبيل .

### خزانة كتب ابن خلكان :

يستفاد من تضايف كتاب الوفيات أن مصنفه اقتنى خزانة كتب جليلة من كتب التاريخ خاصة هني بالثقل عنها في كتابه . والمرجح أنه ظفر بمجموعة نفيسة من تراث حفاظ مصر ومحدثيها أو مشايخها . منها نسخ مختارة مقروءة أو مضبوطة أو ذات خطوط منسوبة أو عليها خطوط مؤلفيها أو خطوط علماء آخرين . ومن جملة ذلك التراث على الغالب بعض مصنفات شيخه الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى مصنف كتاب ( التكملة في وفيات النقلة ) وكتب أخرى عليها خط شيخه الحافظ المذكور . وفيما يلي بعض أقواله التي تدل على ظفره في القاهرة بالكتب التي استعان بها على تأليف الكتاب :

« قلنا وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتبا أوثر الوقوف عليها وأخذت منها حاجتي لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة ، وهذا يعنى أن تلك الكتب

(١) الوفيات [ ٢٢٦ / ١ ] .

(٢) [ ٩٩ / ١ ] و [ ٩٩ ] .



يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع منذ ذلك الوقت وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والشبهة ، قال ابن خلكان ولقد قال - يعني شيخه المنذرى - الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله . وهذا الذي ظهر هو الذي اختصره وما صح له ومن ذلك ما قاله في ترجمته ابن طباطبا العلوى وقد ناقش اجتماعه بالمعز الفاطمى وهذا نصه : وأما في تاريخ وفاته - يعني ابن طباطبا - فإن شيخنا الحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى وكنت راجعته في هذا التناقض فقال : أما الوفاة في هذا التاريخ فمحقة ، ولعل صاحب الواقعة مع المعز كان ولده والله أعلم أى ذلك كان . وما يقال عن كتب الحديث والتاريخ ، يقال عن كتب الأدب والشعر وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف والفنون البلاغية كالبيان والمعاني والبديع . ولا نبالغ إذا قلنا إن ابن خلكان كون لنفسه خزانة خاصة لكل فن من هذه الفنون ، وفي مقدمة ذلك خزائنه من دواوين الشعراء : جاهليين وإسلاميين مختصرين ومولدين إلى دواوين من عاصره أو قارب عصره من الشعراء . وهذه الدواوين كلها من مآخذ ابن خلكان فيما يكتبه عن الشعراء وهو من المجودين في الكتابة

عنهم . وله في وصف الكتب والدواوين المذكورة أسلوب جميل . وقد يقتنى من كتاب أو من ديوان شعر أكثر من نسخة لكل نسخة خصائصها ومزاياها وهو لا يغفل الإشارة إلى تلك الخصائص والمزايا في كتاب الوفيات . توافرت أداة التأليف الدقيق والبحث العميق لابن خلكان في كل بلد نزل ، من ذلك خزانة كتبه النادرة المار ذكرها التي عني بجمعها ومضاعفتها وزيادة عددها مدة حياته ، ويتضح أيضا من مطالعة كتابه الوفيات أنه يستند في نقله إلى أصول جلييلة وأهميات نادرة من المؤلفات في أكثر الفنون والعلوم المعروفة في تلك العصور ، اقتناها وعنى مدرستها . وقلنا نقل عن كتاب ضئيل . ويتضح أيضا من مطالعة كتابه ( الوفيات ) أن مؤلفه اقتنى مجموعة نادرة من أجل كتب التاريخ ودواوين الشعر وأسفار الفلاسفة وكتب الأدب واللغة . وإلى إقامته في ( أربل ) و ( الموصل ) و ( حلب ) ودراسته في مدارسها - وكانت حلب غنية بمدارسها ودور كتبها في عصره - ثم إلى عمله في القضاء وما إليه مرد حصوله على تلك الذخائر النفيسة التي سماها سفرا سفرا وكتابا كتابا ، وهى بتعرفها ، ويستفاد مما علقه عن أحواله وسيرته في تضاعيف كتابه أن شواغل منصبه في قضاء الشام مدة طويلة - وكان ذلك في عصر

من مناصب الدولة ، ولم يسكن الرجل بعد العزل - وهو معنى بالتأليف - أفرغ من حجام سباط - كما قال - بل كان أشغل من ذات النعميين ، ولكنها العادة في الحنين إلى المناصب واللعادة حكما . هذا وإلى تخليه عن المناصب السلطانية وإلى إقامته في القاهرة واستقراره فيها وظفره بما ظفر به من الكتب النادرة في خزائنها - وهي كتب خلت منها خزائن حلب والشام والموصل وأربل - مرد لإكمال كتابه وإخراجه بهذه الصورة الشائقة ، فإن مأخذه من خزائن كتب الشرق لم تكن وافية بالمرام وإن كانت كثيرة جليلة القدر كما صرح بذلك وكما يلاحظ مما حرره عن الأدوار التي مرت عليه في تأليف الكتاب . وقد يكون ابن خلكان محقا في شكواه من العطلة بعد العزل وانكبابه على التأليف في القاهرة وذلك لقلة من يتردد عليه أو يساعده في الكتابة في فترة العزل ، وعزل القضاة والحكام في تلك العصور نكبة يعقبا ما يعقبا من التشفي والشامة . وفي معرض قلة الأعوان يقول ابن خلكان في ترجمة مجد الدين ابن الأثير مصنف كتاب النهاية بعد أن سمي تصانيفه ووصفها بالجودة على كثرتها : د بلغنى أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة فإنه تفرغ لها وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار

الماليك - شغلته عن تأليف كتابه أو تنسيقه وتبليغه في دمشق . ثم لما عزل وحل محله زميل له من قضاة عصره يعرف بابن الصامخ عاد إلى القاهرة عاطلا لا يشغله منصب من مناصب الدولة وتوفر على التأليف وانكب على البحث قائلا في هذا الباب : د ثم حصل الانفصال عن الشام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكانت مدة المقام بدمشق عشرين كوامل لا تزيد ولا تنقص يوما ، فلما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتباً أوثر الوقوف عليها ، وما كنت أفرغ لها ، فلما صرت أفرغ من حجام سباط ، بعد أن كنت أشغل من ذات النعميين - كما يقال في هذين المثليين - طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة .

هذا ما قاله المؤلف عن نفسه في هذا الباب . ولسنا نشاطر ابن خلكان رأيه في شكواه من العطلة بعد العزل وهو معنى بالتأليف وأى شغل أعظم من شغله بتنسيق مادة كتابه في هذه الفترة ، وبإياديه لم يتقلد تلك المناصب التي شغلته عن التأليف أكثر من عشر سنين وإن تقلدنا - والحق يقال - بمجادة وكفاءة منقطعة النظير . ذلك أن بحوثه الممتعة في العلم والأدب والتاريخ أجدى وأكثر فائدة للناس من كل أعماله في منصب القضاء أو غيره

ومجالس حسب ما يشهد بذلك تاريخه الكبير المذكور على ما يقول ابن خلكان . وقد عرف كتاب المسيحي هذا نقلا عن مقدمته بقوله : « التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب ، وهو في أخبار مصر ومن حلها من الولاة والخلفاء والأمراء وما بها من عجائب الابنية وأصناف الألعمة وذكر نيلها وأحواله إلى الوقت الذي كتبنا في هذه الترجمة وأشعار الشعراء وأخبار المغنيين ومجالس القضاة والحكام والمحدثين والأدباء وغيرهم وهو ثلاثة عشر ألف ورقة . » هذا والكتاب من أجل ما أخذ ابن خلكان في الوفيات ويستفاد من فهرس خزنة دير طور سيناء الذي نشره مؤخرا وجود نسخة من بعض أجزاء تاريخ المسيحي المذكور ، (١) .

٢ — تاريخ العتيق وإن لم يكثر من النقل عنه وقد فشت كثيرا عن معنى هذه النسبة إلى أن وجدتها في ترجمة عبد الرحمن بن القاسم العتيق بالولاء الفقيه المشهور قال ابن خلكان (٢)

(١) (٥١٥/١) ترجم ابن خلكان ترجمة حسنة للمؤرخ المذكور وهذه النسبة فما يقول السعاني إلى الجند قال وعرف بها المسيحي صاحب تاريخ المغاربة ومصر - يعني الأمير للمذكور - وانظر أيضا (٣٣٨/١) من كتاب الوفيات ومما نقله عن تاريخ للمسيحي خبر استنار حافظ مصر عبد الفتي بن سعيد وسبب ذلك وهو خبر طريف (١ : ١١٧) .

(٢) الوفيات (١/٢٣٦) .

والكتابة ، . فابن خلكان لم يتهيا له ما تهيا لابن الأثير في عطلته من الكتاب والأعوان لأن كثيرا من أصحابه قاطعوه وانفضوا من حوله فأعلن شكواه . وما أبعد الفرق بين ابن الأثير وابن خلكان من هذه الناحية كما يستفاد من سيرة ابن الأثير هذا ، ولم تكن الدولة في عصر ابن خلكان وما إليه غالبا تعنى بشئون أعلامها الذين يعلنون ذكرها ويرفمون اسمها ، وتوفر أسباب العمل وإزاحة العلل وكفاية المؤن لهم - ولو وجد ابن خلكان مثل هذه العناية في فترة العطفة لما جاهر بشكواه .

### تاريخ مصر بأقنوم المصريين :

ويستفاد من تسميته لما أخذه في التاريخ أنه اقتنى وهو في القاهرة مجموعة كبيرة من الكتب المجردة في تاريخ مصر لمؤرخين مصريين خالص في الغالب وبعضهم من نزلاء الديار المصرية ، أو من الكتب المجردة في خطط مصر لبلدانيين مصريين . هذا ومن المفيد تسمية بعض هذه التواريخ استناداً إلى ما جاء في كتاب الوفيات على الصورة التالية :

١ — تاريخ مصر لمصنفه الأمير المختار المعروف بالمسيحي من مؤرخي عصر الحاكم ابن عبد العزيز الفاطمي وله معه محاضرات

في الترجمة المذكورة : د العتيق بضم العين وفتح  
التاء هذه النسبة إلى (العتقاء) وإيسوا من قبيلة  
واحدة بل هم من قبائل شتى منهم حجر حير  
ومن سعد العشيرة ومن كنانة مضر وغيرهم .  
وطاعتهم بمصر ويقال لهم ( أهل الراية ) ، .  
هذا ما جاء في هذه الترجمة من كتاب الوفيات  
هن العتقاء وفيها مضافا إلى ذلك فوائد غير قليلة  
عن أولية أولئك العتقاء ولماذا دعوا بذلك  
وعن خططهم التي نزلوا بها من مصر وتسمى  
( الظاهر ) ويستفاد من هذا البحث أن العتقاء  
الذين ينسب إليهم الفقيه العتيق . كانوا في الأصل  
قطاع طرق فأسروهم الحكام عنوة ثم منوا عليهم  
بالتق و ما كانوا من العبيد . وقد نقل  
ابن خلكان هذه الفائدة عن كتاب ( خطط  
مصر ) تأليف محمد بن يوسف بن يعقوب

التنجيبي .

٣ — مذكرات مغفلة في تاريخ مصر  
- جاء في ترجمة التهامي الشاعر الأندلسي  
هكذا نقلته من بعض تواريخ المصريين  
وهو مرتب على الأيام . كتب مؤلفه كل يوم  
وما جرى فيه من الحوادث رأيت  
منه مجلداً واحداً ولا أعلم عدد مجلداته (١) .  
هذا ما قاله ابن خلكان عن هذا التاريخ الطريف  
وإن لم يرد ذكر لاسم مؤلفه فيما كتب عنه .  
وطاد صاحب الوفيات إلى النقل عن هذه

دعيت بصارع فتداوكته  
مبالغة ترد إلى فعليل  
هذا ما ورد عن تاريخ وفاة صريع الدلاء  
نقلنا عن التاريخ المبني على الحوادث الكاتنة  
بمصر يوما فيوما ويستفاد منه أنه من أنفص  
ما كتب في تاريخ الديار المصرية .

٤ — مذكرات القاضي الفاضل : نسب  
ابن خلكان إلى القاضي الفاضل صاحب ديوان  
الإلشاء على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي  
كتابا في التاريخ مرتبا على الأيام رآه بخطه

وتقل عنه في الوفيات ، وليس من المستبعد أن يعنى القاضى المذكور بتدوين هذه المذكرات فإن أخبار العالم الإسلامى وحوادث الدول وخصوصا دولة بنى أيوب كانت على طرف الثمام من صاحب ديوان الإنشاء في الدولة الأيوبية . هذا وتجد مثلا من هذه اليوميات الفاضلية في ترجمة الملك الأفضل من كتاب الوفيات (١) .

٧ - كتاب المعارف المتاخرة لمحمد ابن عبد الملك الحمداني (١) .

٨ - التكملة في وفيات النقلة للحافظ زكى الدين المنفردى من أجل مأخذ ابن خلكان في كتاب الوفيات .

٩ - تاريخ الفرغانى - وهو أحمد ابن عبد الله بن أحمد الفرغانى نزيل مصر (٢) .

١٠ - المذهب في تاريخ أئمة المذهب تأليف أبى حفص عمر بن على المطوعى .

١١ - كتاب المنظم في أخبار من سكن المقطم تأليف أبى سعيه ابن يونس .

١٢ - تاريخ أبى موسى العنزى هكذا نسب في الوفيات (٣) .

١٣ - المنكبت العصرية في أخبار الوزارة المصرية للمقيه عمارة البنى .

١٤ - تاريخ الحضرمى وهو أبو للقاسم محمد ابن على المعروف بابن الطحان ذيل به

على كتاب ابن يونس في التاريخ .

( البقية على صفحة ١٨٢ )

٥ - تواريخ مصر للصدقى : هو عبد الرحمن ابن أحمد الصدقى المحدث المؤرخ المصرى جمع لمصر تاريخين أحدهما وهو الأكبر يختص بالمصريين والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر الغرباء الوارد بن على مصر . قال ابن خلكان : وما قصر فيهما وقد ذيلهما أبو القاسم يحيى ابن على الحضرمى وبني عليهما . وهذا المؤرخ أعنى الصدقى هو الذى يقول في رثائه عبد الرحمن بن إسماعيل الخولانى المصرى الخشاب من أبيات :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه

حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا  
وتواريخ الصدقى وذيلها من مأخذ صاحب الوفيات في التاريخ (٢) .

٦ - كتاب التنف والطرف للوزير أبى سعد (٣) .

(١) ٨٦ / ١ .

(٢) ٢٧٩ / ١ - ٢٩٠ وانظر ترجمة الصدقى .

(٣) الوفيات ٩١ / ١ .

(٢) ٢٦٩ / ١ .

(٣) ٢٥٠ / ١ .

(١) الوفيات ٩٨ / ١ وللهمدانى ذيل على كتاب طبقات الفقهاء لأبى إسحاق الشيرازى راجع عنه الوفيات ( ٢٧٧ / ١ ) وله كتاب آخر سماه هيون سير الوفيات ( ٤٢ / ١ ) وقد أورد ابن خلكان في ترجمة محمد بن طنج أسماء ثلاثة تواريخ هي تاريخ الحمدانى وتاريخ العتقى وتاريخ الفرغانى .

# كلمة عرب

نحدها ونطوِّرها ونهتقرها في معناها القويحة

## للدكتور عَرَفَرَف

في شعره . ويبدو أن الغالين هم الذين سموا  
الجرمان باسمهم هذا اشتقاقا من كلمة ( غير ) ،  
بمعنى الجار . والفرنسيون سموا بذلك لأن  
سلاحهم القبلي الخاص بهم كان يسمى  
( فرانكا ) ، أى عنزة ، والعنزة هى  
الروح القصير . وللفينيون سماهم التجار  
القصادمون إلى بلادهم من الشمال والجنوب  
أسماء كثيرة : صين ، ثين ، شين ، سيريس ،  
كائاي ولا ندرى اليوم ما معناها . والهنود  
يزعمون أنهم ينتسبون إلى بهارتا فارشا ،  
وقد أطلقوا على بلادهم بعد استقلالها اسم  
( بهارتا ) ، مع أن اسمهم المشهور في الشرق  
والغرب قديما وحديثا ( الهند ) ، اختصارا  
من التسمية الفارسية : ما وراء النهر ، نهر  
الهند المحرف اسمه عن الكلمة السنسكريتية  
( سند ) ومعناها النهر عامة وتطلق على نهر  
السند خاصة . ولقد أطلق الفرس اسم ( الهند )  
في العالم الشرقى ، كما جعل اليونان كلمة الهند  
( إندس ) ، على مقتضى لفظهم وإعراب  
الكلمات في لغتهم ، ثم أطلقوا الاسم في العالم  
الغربي : إنديا .

وما كان اسم العرب بدعا في أسماء الأمم .

من المؤلف أن تنسب الأمم والشعوب  
إلى أسلاف لها حقيقة يمين أو خرافيين  
فيتألف من ذلك الانتساب جماعات قبلية  
صغيرة أو كبيرة ، كما عرفنا في تاريخ  
العرب من انتسابهم إلى عدنان أو قحطان  
ثم تقسمهم بكرأ وتبجا وأسدا وعبسا  
وشيبان أو طيها وخزاعة وأزدا وعنسا  
ومحمدان . ومثل هذا كان شأن الهنود  
واليونان والجرمان

وإذا اتفق أن اتخذت الأمم أسماء جامعة  
فإما أن تشير إلى نفسها بأنها ( الشعب ) أو  
( الأمة ) ، وإما أن تتخذ أسماء كريمة .  
فإن سكان شمالى غربى إفريقية يسمون أنفسهم  
( الإيمازيغن ) أى الأشراف ، والجرمان  
يدعون أن اسمهم محرف من ( هرمان ) ،  
أى السيد . وكذلك الفرنسيون يزعمون  
أن اسمهم معناه ( الأحرار ) .

غير أن جميع الأسماء المشتهرة على الأمم  
في التاريخ إنما هى من صنع جيرانها ، أعداء  
كانوا أم أصدقاء . إن سكان شمالى غربى  
إفريقية سماهم الرومان البربر ، وهذا هو  
الاسم الذى أشار به إليهم امرؤ القيس

ما بين النهرين بمشتقاته غربا فيسلك طريقين أساسيين أحدهما ينحرف شمالا والآخر يتجه جنوبا .

في أثناء هذه الهجرة ينخفض مبعث الحمزة في الحنجرة فتصبح هاء مرة نحوو أيكلو التي تصبح هيكل ، وهنا مرة ثانية نحوو أزوال التي أصبحت « حنة » ، وتصبح غينا معجمة مرة ثالثة نحوو أربي فاذا هي غروب ، وأحيانا تبقى الحمزة حمزة نحوو إربا ( بفتح الحمزة ولما التها ) بمعنى أربعين وقد تجر الحمزة أحيانا فتجد في القاموس العربي كلمات مثل : أرب وهرب وذرب بمعنى واحد هو فساد المعدة ، وأحيانا يذكر القاموس مثل هذه الجملة : « الأربان بضم الحمزة لغة في العربان بالعين ( تاج ١ : ١٤٧ ) .

ليس فيما مر تعرض للغة التي أخذت من أختها ، إذ الغاية مما مر أن ندل على أن كلمة « عرب » تشرك كلمات كثيرة تبدأ بغير العين في لغة مضر التي تتكلمها ونكتب بها ، من أجل ذلك وجب أن يكون الجذر الذي جاءت منه هذه الكلمة جذرا هجينا غير خالص .

ونمر بالشعر الجاهلي الذي وصل إلينا فلا نجد فيه صيغة من جذر ع - ر - ب للدلالة على معنى قومي يتعلق بالجنس ولا على معنى يتعلق باللغة التي تتكلمها ، وهذا أمر له تحليله من تاريخنا السابق على الإسلام . لقد كان

ويبدو أن سكان ما بين النهرين القدماء ، البابليين والآشوريين ، كانوا على حق لما أطلقوا على أقاربهم الساميين وجيرانهم إلى الغرب والجنوب الغربي اسم أ - رى - بي . ولا معدى لنا عن الرجوع بهذه الصيغة ( أربي ) ( إلى الجذر ) ( - رب ) ( غير أن هذا الجذر هجين جدا في لفظه وفي معناه . إن الحمزة في هذا الجذر تأتي في الصيغ التي يقال : إنها مشتقة منه مفتوحة ومائلة ، وربما جاءت مكسورة ( والباء ) فيه في الأصل باء تفرج عنها الشفتان بيسر ، ولكن قد ترد في عدد من مشتقات هذا الجذر باء مهموسة أو منفوثة .

وكذلك معاني المشتقات التي يقال : إنها من هذا الجذر كثيرة جدا ، ثم هي مزيج غير مؤتلف في بعض الأحيان ، ويبدو أن المعنى الاصيل لهذا الجذر « الغرب » الذي يقابل الشرق ، ثم تناول هذا الجذر معاني تتصل بجهة الغرب من قرب ومن بعد . ومن هذه المعاني غروب الشمس والمساء والعمية ، ثم هنالك الغراب لأن لونه يشبه لون العمية ، ومن المعاني المتعلقة بهذا الجذر من بعد : الجراد لوجوده في تلك المنطقة الغربية بالإضافة إلى سكان ما بين النهرين ، ومن معانيه أيضا القفر ( الصحراء ) لطبيعة تلك المنطقة عموما ، وبهاجر هذا الجذر من بلاد



إحدى عشرة مرة ، في سور مدنية وفي سور  
مكية أيضا ، غير أن هذه الكلمة قد وردت  
عشر مرات نعتا للغة التي نزل بها القرآن بأنها  
لغة واضحة بينة ، من مثل قوله تعالى :  
« إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ،  
( ١٢ يوسف ٢ ) ، أى تفهمون ، ويبدو  
أن هنالك مكانا واحدا استعملت فيه الكلمة  
( عربى ) لتنتعش شخص الرسول صلى الله عليه  
وسلم . في قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنا  
عجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، ألعجمي  
وعربى ؟ » ( ٤١ السجدة ٤٤ ) أى أكتاب  
أعجمي اللغة ونبي عربى ؟ .

إن استعمال كلمة عربى في القرآن الكريم  
دلت الشعراء على التعبير الذى لم يقع عليه  
عنترة ، ومنذ السنة الثالثة للهجرة قال كعب  
ابن مالك يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
هذا لنا قاتبعناه نصدقه

وكذبوه ، فكنا أسعد العرب  
وبعد ذلك بمدة يسيرة فيما يبدو قال حسان  
ابن ثابت يقرع بنى هذيل لما اشترطوا على  
الرسول أن يحمل لهم الزنا حتى يدخلوا في الإسلام :  
سألت هذيل رسول الله فاحشة  
ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

سألو رسولهم ما ليس معطيهم  
حتى المات ، وكانوا سبة للعرب  
وهكذا بدأ في الشعر العربى مدرك لم يكن  
معروفا من قبل ، هو أن العرب جماعة واحدة

الجاهليون غارقين في منازعاتهم القبلية فلم يكن  
لديهم ، فما لدينا من التراث اللغوى ، ما يدل  
على المدرك القومى الجامع ، ولكن لما وقف  
الجاهليون في أعقاب العصر الجاهلى وجها  
لوجه أمام الفرس على حدودهم الشرقية ، ثم  
كروهوا الحسك الفارسى الذى كان قد استطال  
في شبه الجزيرة ، بدءوا يستشعرون شيئا من  
البغضة للفرس ، وشعر عنترة بهذه البغضة  
فقال في معلقته عن ناقته :

شربت بماء الدحرتين فأصبحت

ذورا تنفر عن حياض الهذيل  
إن عنترة قد أحس بالدافع القومى الجامع  
ولكن لم يجد الكلمة التي تعبر عنه فاضطر إلى  
أن يدور حول المعنى بييت كامل من الشعر .  
وجاء الإسلام ونزل القرآن الكريم منجيا  
في ثلاث وعشرين سنة فلم يرد فيه من الجذر  
« ع - رب » ، إلا ثلاث صيغ : عربا جمع  
عروب ( بفتح العين ) نعتا للسرأة المتحجبة  
لزوجها في قوله تعالى : « عربا أتربا » ( ٥٦  
الواقعة ٣٧ ) . ثم جاءت الصيغة « أعراب » ،  
عشر مرات في سور مدنية فقط ، منها ست  
مرات في سورة التوبة وحدها ، ولا حاجة  
للاستشهاد على أن كلمة أعراب تدل في القرآن  
وفي غير القرآن على البدو .

أما الكلمة الفاصلة في هذا الشأن فهي كلمة  
« عربى » التي وردت في القرآن الكريم



الاهتم : ) بل هم ، والله يا رسول الله ، من الروم ولبسوا عنا ( ثم قال عمرو بن الاهتم مخاطبا قيس بن عاصم ) :

لئن تبغضونا فإن الروم أصلكم

والروم لا تملك للبغضاء للعرب  
ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم  
قيسا وعمرا عن هذا التلاحى وأفهمها تلميحاً  
أن الإسلام قد أغرق العصبية كلها .

وفي أثناء الفتوح العربية ، أو الفتح  
الإسلامي على الأصح في أيام عمر بن الخطاب ،  
بلغ الشعور العربي من الناحية القومية مبلغاً  
يتمثل في البيت التالي ليربوع بن مالك ،  
والذي أورده الطبري ( ١ : ٢٥٣٦ ليدن ) ، وهو :  
إذا العرب العرباء جاشت بحورها

نغرنا على كل البحور الزواجر  
ثم تقلبت كلمة عرب بعد ذلك بين المدرك  
القومي الخاص وبين المدرك المنصل بالإسلام  
اتصالاً وثيقاً . وجرى المدركان جنباً إلى  
جنب عصوراً ، والشواهد على ذلك كله كثيرة  
تحتاج إلى دراسة مستقلة .

هذا كله من الناحية اللغوية في تاريخ كلمة  
عرب ، ولكن يبدو لنا أيضاً أن الإسلام  
هو الذي جعل لكلمة عرب هذا المقام في  
شعور الجماعة ، ولكن نهى عن أن يكون  
هذا الشعور عاملاً مفرقاً بين صفوف الأمة  
التي وحدها الإسلام .

الدكتور عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية

ذات نطاق من الوحدة الجامعة . على أن  
مدرك العروبة يومذاك أو المدرك القومي  
العام على الأصح ، كان يعد هو والإسلام  
شيئاً واحداً . بعد غزوة الخندق ، في السنة  
الخامسة للهجرة ، وإجلاء اليهود من بني النضير  
وبني قريظة ، رثى شاعر من بني الأشهل اسمه  
الضحاك لحال أولئك اليهود ، من أجل ذلك  
مجا حسان بن ثابت هذا الشاعر وذكره بأن  
نفر من قبيلته بني الأشهل قد كانوا مسلمين  
حقاً ، منهم إياس بن أوس بن عتيك الذي  
استشهد في غزوة أحد ، وأنس بن أوس  
ابن عتيك الذي استشهد في غزوة الخندق ،  
وهكذا قال حسان بن ثابت للضحاك هذا :  
أحب يهدان<sup>(١)</sup> الحجاز ودينهم

كبد الحمار ، ولا تحب محمداً ؟  
لو كنت مناً لم تفارق ديننا  
وتبعت دين عتيك حين تشهدا  
وسرعان ما برزت كلمة عرب في مقابل كلمة  
روم وكلمة نبط ( آراميين ) واكتسبت بذلك  
معنى قومياً واضحاً . جاء في الأغاني  
( دار الكتب ، ١٤ : ٨٧ - ٨٨ ) :

بعد فتح مكة ، في السنة الثامنة للهجرة ،  
قدم قيس بن عاصم وعمرو بن الاهتم ابن عمه  
على الرسول ، فلما صاروا عنده تسابوا وتهاوتوا .  
ثم قال قيس بن عاصم للرسول عن عمرو  
وقومه : ( والله ، يا رسول الله ، ما هم منا ،  
ولهم لمن أهل الحيرة ) ( فقال عمرو بن

# الاستقلال في التشريع

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

غير تقاليدنا وعرفنا ، وببئها غير بينتنا كان شوكة في ظهورنا ، ووصمة عار في جبيننا أمام غيرنا ، وثغرة نفذ منها إلى النيل منا أعداؤنا - أعداء العروبة والإسلام - ورمونا بالعمى وعدم الإنتاج وأتانا نعيش عالة على قوانينهم وثمرات أفكارهم ومعارفهم .

ويظهر أنه قد آن لطلبات القوانين الأجنبية المستوردة أن تنجلي ، وأن الألوان لأن نحكم بتشريعات تابعة من عقائدنا وتقاليدنا وهرفنا وببئتنا وأخلاقنا وتتفق هي وما وصلنا إليه من استقلال سياسي واقتصادي ونقدم اجتماعي فقد جاء بمشروع الميثاق الوطني هذا النص ( كذلك فإن القوانين لابد أن تعاد صياغتها لتخدم العلاقات الاجتماعية الجديدة التي تقيمها الديمقراطية السياسية تعبيرا عن الديمقراطية الاجتماعية ) وهو شيء تفتحت له القلوب المؤمنة برها ورسالاته وأنيابته . والمؤمنة بنفسها وبحق الوطن عليها واستبشرت به النفوس التي طالما راودها هذا الأمل الحلو ، والأمان العذاب ، وتلقته الأمة بالقبول ، وبما يشبه الإجماع عليه أليس بما يملأ جوانب النفس أمي ونحسرا

من منذ بضع سنوات وعلى صفحات هذه المجلة الزهراء كتبت مقالا تحت عنوان ( الحكم بما أنزل الله ) بينت فيه ضرورة الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية في كل ما يعرض لنا من أفضية ، وحكم الله في العمل بغير شريعته ، ورغبت فيه إلى أولى الأمر أن تعدل القوانين المدنية والجنائية بما يتواءم هو والشريعة الإسلامية الغراء .

وفي هذه الفترة أمكن للشعب بفضل الله ، ثم بتوجيهات قاده الرشيدة أن يحصل على مكاسب جمّة في النواحي السياسية والاقتصادية كانت أمانى وأحلاما فأصبحت حقائق واقعة . وقد استقللنا - ولله الحمد والمنة - سياسيا واقتصاديا ، ولم تعد لنا تبعية لغيرنا وذهب إلى غير رجعة ذلك العهد الذي كانت فيه مصائرنا وأمورنا بين المستعمرين وصنائعهم وأذنانهم ، ووصلنا إلى منزلة يغبطنا عليها الكثيرون ، ولم يبق علينا إلا أن نستقل استقلالاً تشريعياً .

وفي الحق أن تبعيتنا التشريعية في قوانيننا المدنية والجنائية لدول دينها غير ديننا ، وطبائعها غير طبائعنا ، وتقاليدنا وعرفنا

في الحضارة ولها ثروة فقهية عظيمة ،  
وتشريعات هي من خصائصها ، ولها ارتباط  
وثيق بأخلاقيها وتقاليدها وجوها وأرضها  
فلسنا في حاجة قط إلى أن نكون عالة على  
قوانين غيرنا ولا سيما أن الشرف والكرامة  
يفرضان علينا أن تكون لنا شخصيتنا التشريعية  
المستقلة .

ولم تكن كنوز الشريعة الإسلامية وما فيها  
من ثروة فنية فقهية معروفة في أوروبا في  
العصر الحديث حتى وفق الله بعض علماء  
القانون العرب الذين جمعوا بين فقه الشريعة  
وفقه القوانين الوضعية الأجنبية فوضعوا  
مؤلفات قيمة أبانوا فيها عن سمو التشريعات  
الإسلامية وسبقها للقوانين في كثير من  
موضوعاتها من بضعة قرون وقد بدأ هذا  
العمل الجليل المرحوم الدكتور محمد فتحي  
فقد نشر في أوروبا بعضا مما حوته الشريعة  
الإسلامية من ثروة فقهية حيث وضع مؤلفه  
بالفرنسية ( التعسف في الحقوق في الفقه  
الإسلامي ) سنة ١٩١٣ أبان فيه بوضوح  
ودقة أنه بينما تبدأ في العصر الحديث أعرق  
الأمم مدنية في أوروبا في الأخذ بتلك النظرية  
إذ كان قد فرغ منها علماء الشريعة الإسلامية  
من قرون عدة وتوسعوا في تطبيقها حتى  
هيمنت على جميع فروع القانون العام  
والخاص وقد وجه هذا المؤلف أنظار علماء

أننا لازلنا نحكم بقوانين مهلهلة مرقعة بعضها  
فرنسي ، وبعضها بلجيكي ، وبعضها انجليزي  
وبعضها ألماني ، بل نصل أحيانا إلى نحو  
عشرين فقهاء أجنبيين متباينة المقاصد ، بخلفة  
الزعات ١١٩ وهكذا جاءت القوانين ثوبا  
خلقا غير متجانس ولا يلائم بعضه بعضا ،  
ونحن أعرق من هذه الأمم كلها حضارة ،  
وعلماء ، وتشريعا ، وفقها .

ألم تبلغ الأمة العربية الإسلامية أوج  
عظمتها التشريعية يوم أن كانت هذه الدول  
لا تزال تحبوا ، ولا تزال تحكم بقوانين الغاب  
وتسودها البربرية والهمجية ؟

لقد وسعت الشريعة الإسلامية الدولة  
الإسلامية المنزامية الأطراف ، والتي كانت  
تمتد من المحيط إلى المحيط ، وكان في هذه  
الدولة العربي ، والفارسي ، والرومي ،  
والآسيوي والإفريقي ، بل والأوروبي في  
الفردوس المفقود - الأندلس الشهيدة - وكان  
فيها المسلم ، واليهودي ، والنصراني ، وسعت  
هؤلاء وأولئك تشريعا وعدلا ورحمة ،  
وإخاء وبراً ، وأمنا وسلاما ، ونعم العالم  
المعروف آنئذ بشريعة الله - شريعة الحق  
والعدل والسلام - وكان غير المسلم يتمتع  
بحريته الدينية ، والاجتماعية والأدبية كالمسلم  
سواء بسواء ، وارجع إلى التاريخ الصادق  
ينبئك عن ذلك النبأ اليقين إننا أمة عريقة

بهذا المؤلف اهتماما خاصا ونشرت البحث  
للشرعى فى مجلّتها سنة ١٩٣٠ .

ولم يسع بعض علماء القانون فى أوربا  
وقد اطلعوا على التشريعات الإسلامية  
ودرسوها إلا أن يعلنوا إعجابهم بها وتفوقها  
على القوانين الأوروبية وصلاحياتها للعالم طرا  
كما سمعت آنفا .

ومن ذلك ما قاله الدكتور د أنريكو  
انساباتوا ، فى كتابه ، الإسلام وسياسة  
الخلفاء ، : : إن الإسلام إذا كان  
محدوداً غير متغير فى شكله ، فإنه مع ذلك  
يسابر ما تقتضيه الظروف فهو يستطيع أن  
يتطور دون أن يتضال مع مرور الزمن ،  
يحفظ بكمال حيويته ومرونته ، ولا يجوز  
أن تهدم يد الخلافة هذا للصرح العظيم من  
العلوم الإسلامية أو أن تغفله أو أن تمسه  
بصوء ، فقد أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتا  
شرية تفوق فى كنهه من التفاصيل الشرائع  
الأوربية .

ولإليك النصيحة الذهبية التى أسداها لمصر  
الاستاذ الكبير د باولا كازيلي ، الإيطالى  
الجنسية ، الذى كان مستشاراً لوزارة العدل  
بمصر زمنا طويلا وهى : : إنه يجب على مصر  
أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية  
فهى أكثر انفاقا من غيرها مع روح البلد  
القانونية .

القانون فى أوربا إلى الشريعة الإسلامية ،  
والاهتمام بها .

وفى سنة ١٩٢٣ وضع الدكتور للفاضل  
محمد صادق فهمى مؤلفه ، الإثبات فى القانون  
المدنى المقارن ، أبان فيه عن مقدار تفوق  
الفقه الإسلامى بدقته الفنية على كل ما هو  
معروف فى الأمم المتعدنة فى أوربا وأمريكا .

وقد وضع الأستاذ د ليني أولمان ، أستاذ  
علم مقارنة الشرائع بجامعة باريس ووكيل  
المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى عقد  
سنة ١٩٢٨ مقدمة عن هذا الكتاب قال  
فيها : : إنه يندج بلا جدل بين مؤلفات  
أساطين علم القانون المدنى فى فرنسا أمثال  
د شالى ، و د بولى جيد ، و د تالير جلاسون ،  
وأنه أبان مافى الشريعة الإسلامية من كنوز  
وثررة علمية يحسوز أن تكون هدى ونورا  
للعالم طرا .

وفى سنة ١٩٣٠ وضع الدكتور محمد صادق  
فهمى بالاشتراك مع الأستاذ الفرنسى د ألبرت  
شيرون ، مؤلفانى د حوالة الديون فى الشريعة  
الإسلامية ومقارنتها بالقوانين الأوروبية ،  
وقد أظهرافيه بما لا يدع مجالا للشك تفوق  
الفقه الإسلامى على شرائع أكبر الأمم  
المتعدنة فى أوربا .

وقداهتمت جمعية مقارنة القوانين بباريس

علماء الأزهر المتضلعين في الفقه الإسلامي على تعدد مذاهبه ومهمهم آخرون من علماء القانون الذين جمعوا فقه الشريعة وحذق القانون وأعدوا دراسة علمية فنية لكتاب العقد لأنه أعقد للكتب ، وليكون نموذجا صالحا لغيره ، وأبانوا في هذه الدراسة عن تفوق لفقه الإسلامي على غيره من القوانين بطريقة لا تختمل أي جدال وقد طبع تحت عنوان " نموذج لكتاب العقد مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية لجامعة من علماء القانون والشريعة الإسلامية " .

وقد عرض هذا النموذج على مستشارين من هيئة النقض مشهود لهم بسمعة الاطلاع وعمق البحث فأعجبوا به ، وكتبوا في شأنه تقريراً ضافياً جاء من بين سطورهم ( يجب اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر للحكم حتى تكون هي المرجع في تفسيره وتطبيقه ، تلك التي عمل بها في هذه البلاد وفي سائر الأقطار العربية الشقيقة ثلاثة عشر قرناً ونيفاً ، والتي فيها من الاتساع في المذاهب والأقوال ما يجعلها كفيلة بأن يستمد منها قانون مدني على أحدث المبادئ العصرية ) .

كما أنه عرض على نقابة المحاماة الوطنية فاستقصاه المحامون على اختلاف درجاتهم دراسة ومبحثاً ولم يسعهم بعد أن اقتصروا به

وهي شهادات من غير مسلمين لا ترتق إليها تهمة التعصب أو التحيز ومن قانونيين كبار لا يظن بهم المجازفة في الحكم أو الجهل وقصر النظر .

وهناك بحوث أخرى لها قيمتها ووزنها في الإبانة عما في الشريعة الإسلامية من كنوز وجواهر .

فقد قرر المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد بمدينة دلاهاي ، سنة ١٩٣٢ : أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن وبذلك صارت مصادر القانون أربعة هي : للشريعة الإسلامية ، والقوانين الفرنسية ، والألمانية ، والانجليزية . وفي مؤتمر سنة ١٩٣٨ للقانون المقارن قرر المؤتمر بصفة قاطعة بناء على تقرير تقدم به مندوبو الجامعة الأزهرية : أن الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الروماني ولا إلى أي شريعة أخرى بصلة وأنها صالحة لمجاراة التطور الحديث ، وكان أحد الأعضاء الممثلين للأزهر الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الحالي .

ثم حدثت خطوة عملية في سبيل الإبانة هي تفوق التشريعات الإسلامية على غيرها من القوانين الوضعية بطريقة فنية دقيقة لا تدع مجالاً لأي ارتياب فقد قام جماعة من

التي عمادها علوم الدين واللغة العربية - لغة القرآن - قد اكتسبت زعامة العالم الإسلامي من قديم ، وهي بالمكانة المرموقة ، والمنزلة التي لا تدفع عنها ، فإن هي عملت جادة على التخلص من هذه التركة البغيضة تركه القوانين الملقاة من كل قانون ، فستبقى لها زعامتها لا محالة وستزداد قوة إلى قوة ونفوذا إلى نفوذ. (وبعد) فإن في كتب الفقه الإسلامي كنوزا مطمورة وثروة دفينية لو أنها استخرجت وهذبت ونظمت على غرار القوانين ووضع لها الشروح الكاشفة عن أسرارها لكانت مرآة صادقة يرى فيها الغربيون والشرقيون سمو تشريعاتنا وأصالة فقهنا ولاغنتنا عن استيراد القوانين من غير بلادنا ، هذا وفي المقال الآتي سأعرض للمقارنة بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية إن شاء الله ؟ .

محمد محمد أبو شريفة

وأيقنوا ميزته إلا أن قاموا بطبعه مرة ثانية (١) .

ولأمر ما توقفت هذه الجماعة عن عملها ولو أنها سارت على هذا المنهج لقدمت لنا الفقه كله على هذا النموذج المصالح ، ولأدت إلى الإسلام والمسلمين أكبر خدمة تشريعية في هذا العصر الحديث .

على أن الكثرة من علماء الجامعة الأزهرية وبعض علماء القانون على أوفى استعداد لأن يحملوا الأمانة ويكملوا هذا العمل الجليل وبصوغوا الفقه الإسلامي صياغة قانونية عصرية إذا صدقنا النية وأجمعنا الأمر على أن نتخلص من كابوس القانون الوضعي الذي جثم على صدر الأمة ما يقرب من قرن من الزمان بإرادة الاستعمار وأهوانه . إن الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيق العتيق وحفاظها على الثقافة الإسلامية الأصيلة

[١] رسالة الفقه في المجتمع الإسلامي ص ١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار في حديث له معهم :

إنكم لتكثرون عند الفزع . وتقلون عند الطمع .

من علماء الإسلام :

## عالم جرى يستشهد

للأستاذ محمد رجب البيومي

ونتقدم قما شائعة في دنيا الصراحة المؤمنة  
فلماذا لا يقرن بهم يعقوب بن السكيت ؟  
وقد بذل دمه في سبيل وأيه ، أما هؤلاء فقه  
حفظت لهم أقدارهم في الحياة ، ولم تكن  
لأحدهم هذه الخاتمة المؤسية الالامية وما أريد  
بذلك أن أبخس جهودهم العالية ، معاذ الله ،  
ولكنني ألحق بهم زميلا على الهمة ، وافر  
العلم أدى أمانة دينه حين جاهر حاكما ظالما  
بقوله الحق ، فخر الدنيا ليفوز برضوان  
من الله أكبر ...

كانت الفترة العصيبة التي شهدت حياة  
ابن السكيت من أحلك فترات التعصب  
والاضطهاد . لأن المأمون مع سعة أفقه ،  
وغزارة معارفه ، وولوعه بالبحث والمناظرة  
لم يشأ أن يترك للناس أحرارا في آرائهم  
الخاصة بل ضاق بخصومه ، وشن عليهم حربا  
ظالمة لا طائل وراءها غير التشكيل والتعذيب  
والقتل في بعض الأحيان !! مع أن صاحب  
الرأى الحر في مضمار البحث العلمي يجب أن  
يفسح صدره لمعارضيه ، إذ أن من الجور

كنت أضرت في عبارة موجزة بأحد  
أعداد مجلة الأزهر ( صفر ١٣٨٠ هـ ) إلى  
ابن السكيت ، وموقفه الجريء في نصرة  
الحق ، ثم قابلني من صفرة القراء من يطلبون  
تفصيل الحديث عن هذا الشجاع الباسل  
ليكون بجرته الصريحة قدوة محبة لمن يتلمسون  
المثل الصالحة لدى علماء يقصدون الحقيقة  
ويجاهون الطغيان :

وقد وجدت في نفسي نشاطا سريعا إلى  
الحديث عن الرجل ، لأن الذين كتبوا حياته  
لم يهتموا كثيرا بيطولته النادرة ، واستشهاده  
المثالي ، وإنما أقاضوا في تحليل مكانته اللغوية  
والأدبية وتعرضوا لأساذته وتلاميذه من  
أئمة اللغة والعلوم اللسانية وسردوا فهرس  
مؤلفاته وتصانيفه ثم أشاروا إلى موقفه  
البطولي في سطور قليلة متضائلة ، مع أنه  
ذهب شهيد هذا الموقف النادر ، فلا بد أن  
تفصل أدواره الرائعة باهتمام ، وإذا كنا  
نردد في كل مناسبة مواقف العزيم عبد السلام  
والمندثر بن سعيد ، وسعيد بن المسيب ،



السكيت يتبوا مكانه الأدبي مضيار التدريس العلمى والتأليف اللغوى والصرفى ، فأصدر كتباً كثيرة ، لا يزال بأيدينا منها كتاب ( إصلاح المنطق ) شاهداً بمنهجه وعمقه واستقرائه على مكانة الرجل ودقته ، وقد ذكر ياقوت فهرس مؤلفاته ص ٥٢ ج ٢٠ من معجم الأدباء فأوقفنا على كثرة متعدد المعادن متنوع للفنائس ، فالشيخ الثبت يؤلف كتاب القلب والإبدال وكتاب النوادر وكتاب الألفاظ ، وكتاب فعل وأفصل وكتبا مختلفة فى الفرق والأمثال والوحوش والعجبر والحشرات والأيام والليالى وسرفات الشعراء ومعاني الشعر مما يدل على ذهن متقد وفكر جامع مستوعب ، واتجاه متنوع مختلف ، ونحن نظلم الرجل إذا وقفنا به ضد المضيار اللغوى والصرفى كما يصنع مترجموه ولو كانت بأيدينا مؤلفاته السالفة لوضعناه فى مكانه الموسسوعى على التحديد لا على التقريب ١١ .

هذا العالم المفضل كان على ثرائه العلمى ذا نفس ثرية حافلة بالخلق العالى والتواضع الحميد وكان يزن الأشياء بميزان الإسلام لا بميزان التقاليد المترفعة فى عصر مختلف الأجناس والنزعات ، وهو بعد كوالده العالم اللغوى إسحاق السكيت كثير الصمت فى المحافل وهو صمت المفكر المتأمل الذى يغنيه خاطره

الشائن أن نلزم كل فرد من أبناء العقيدة الإسلامية بأراء المعتزلة فى خلق القرآن فإذا كانت لبعض المخالفين وجهة نظرهم الخاصة صحيحة أو باطلة فليس لنا أن نزيهم فى أعماق السجون ، وأن نعتهم بالسياط ونكبلهم بالأغلال . وعاشق الحرية الفكرية هو الذى يمنحها أنصاره وخصومه على السواء أما أن يستغل نفوذه السياسى لمحاربة مذهب فكرى لا صلة له بدعائم عرشه ، وهيبة سلطانه فهذا ما يؤاخذ به فى معرض الموازنة والحساب ! ...

وقد تلا المأمون من الخلفاء ومن نهجوا نهجه فى التعذيب والاضطهاد ، لجاء المعتصم والوائق والمتوكل ليضايقوا العامة والخاصة بأعنف ضروب الإعنات ١١ وإذا كان المتوكل على الله قد منع القول بخلق القرآن ونصر أهل السنة فى مذهبهم الخاص فإنه انقلب طاغية جبّاراً يضطهد أنصار الاعتزال ويمسأ بهم المحابس والسجون ١٢ وهذا ما لا يرتضيه منصف حكيم ، لأننا لا نذهب إلى فصرة فريق على فريق ، ولكننا نأمل من الحاكم أن يترك العلماء ومعتقداتهم ما دامت فى معتركها الفكرى لا تهدم أصلاً من أصول التشريع ، أو تعارض ما يراه من سياسة الدولة فى الحكم والتنفيذ نقول .

فى هذا العصر المضطرب المثار كان ابن

المأزني فنهروه ، وقال لا تجلس إلى فسأله  
المأزني عن سبب ذلك فقال أبو عبيدة رأيتك  
مع إنسان خوزي سرق مني قطيفة ١ ، مهما  
يكن من شيء فقد كان ابن السكيت أكبر من  
أن يعترف بأوضاع زائفة أو يقيم اعتبارا  
لقيم تافهة تأخذ البريء بجرم المذنب لو صح  
أن ساكني هذا الإقليم مرقة سارقون ١١  
ونحن بعد نرى كل مكان في الدنيا لا يخلو  
من الطيب والحديث ١ ولم يخل ما كتب في  
سيرة هذا الإمام الكبير من افتراء مغرض ،  
إذ أننا لظالم عنه وعن غيره ، من كبار  
المؤلفين أخبارا كاذبة لا تثبت لنظرة واحدة  
من نظرات النقد النزيه ، والسبب الأول في  
اختلاق هذه الأكاذيب هو إلصاق المعرفة  
العلبية بالخلفاء والحكام تزلفا وطمعا ، ثم  
يجيء من الرواة من ينقلها دون تححيص مع  
أنه لو فهم أن مهمة المؤرخ لا تقف عند الجع  
الحاشد ، بل تتعداه إلى القسديد والتصويب ،  
لا تضح له بجلاء باطل ما يسجله عن الأئمة  
المتنصلين . فقد أجمع مؤرخو ابن السكيت على  
رواية هذه الحادثة الملفقة ، والرواية هنا عن  
ياقوت معجم الأدباء - ٧ ص ١١٧ في ترجمة  
أبي عثمان المأزني ، ونقلها ابن خلدون في  
الجزء الخامس من الوفيات في ترجمة ابن  
السكيت نفسه .

قال الوراق لأبي عثمان د صله - أي ابن

المزدهم عن الاشتراك في عادثة لا تسمى  
وراء هدف ، أو تعمد إلى غير الإعلان  
والهداء ، ولعله بسكوته المتأمل قد وفق  
كثيراً في رصد معلوماته وتبج سوانحه ،  
وتحليل خواطره فإذا انكفأ إلى تسجيل  
بحوثه أو إلقاء دروسه ساعده التأمل الصامت  
على الجودة والإبداع .

د قال الفراء سألت ابن السكيت عن نسبه  
فقال في تواضع : خوزي - أصلحك الله من  
دورق ، فكشكت أربعين يوماً في المنزل أستحي  
من لقاء ابن السكيت لأنني سألته عن نسبه  
فصدقتي ، وقول الفراء على اقتضائه يرشدنا  
إلى شيء كبير جدا عن ابن السكيت ، فالرجل  
وهو في مكان الصدارة العلمية لا يخضع إلى  
مصطلحات عصره الزائفة فينكر مولده  
ومنشأه ، بل يعترف أنه خوزي من دورق ١١  
وقد وقفت كثيرا عند هذه العبارة لأن  
مدلولها اللغوي وحده لا يفيد إلا أنه من  
خوزستان والنسبة إليها خوزي ، ولكن  
مدلولها السياقي يلقى إجماعاً مريباً على منزلة  
هذا المكان التنعس ١١ وإلا فكيف يستحي  
الفراء من صدق الإجابة حتى يملكث أربعين  
يوماً لا يقابل ابن السكيت ، ولعل مما يؤكد  
هذا المدلول السياقي بإيجائه المتواضع ما قرأته  
بالجزء السابع من معجم الأدباء ص ١٠٩  
د من أن أبا عبيدة اللغوي دعا تلميذه أبا عثمان

أن يرفعوا الخلفاء فوق مستوى المحققين من العلماء ، يفضحون أنفسهم حين يخالفون منطق الأشياء فيأتون بما تقوم آلاف الهوامد على دحضه ، وكان الأقدار أرادت أن تكشف مبالغاتهم المقيمة حين جمعت هذه الروايات المفترقة متعارض وتناقض ليهدم بعضها بعضاً ثم لتجلى أنقاضها الشائنة عن ميدان الحقد حين يكشفها باحث دقيق .

هذه أضواء متواضعة نرسلها من بعيد ، لنكشف ملاح ابن السكيت ، فتمهد بذلك إلى حديثنا عن بطولته الباسية ! وقد كتب عليه أن يقوم بدوره المثالي في عهد المتوكل على الله ، ليلقى مصرعه الفاجع على يديه فيذهب شهيد الرجولة في حومة الكرامة والإباء .

كان المتوكل على الله مبذراً متلاقاً ، وطاغية سفاكاً ، أجمع على ذلك مؤرخوه في الحديث والتقديم حتى أطلق عليه لقب نبيرون العرب ، وفي عهده ابتدأ اضمحلال الدولة العباسية . إذ ترك أمور الدولة لقواده ، وانغمس في الملذات والشراب وانتشرت الرشوة بين الولاة والموظفين ، ولم يبق أحد من الخلفاء من الأبنية مثل ما بنىه فن ذلك القصر المعروف بالعروس أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم ، والقصر الغريب أنفق عليه عشرة آلاف ألف درهم ، والقصر المختار

السكيت — فقال المازني لصاحبه : ما وزن فكتل من الفعل فأجابه ابن السكيت : فعل ، فقال الوراق : غلطت ثم قال للمازني فسرده فقال المازني : نسكتل تقدير ، نفعل وأصله نكتيل ، فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها ، فصار لفظها نكتال . فأسكنت اللام للجزم لأنه جواب الأمر فحذفت الألف لالتقاء الساكنين ، فقال الوراق هذا هو الجواب لا جوابك يا يعقوب ١١ .

فهذه النادرة للصرفية من الطرائف المختلقة لأن حذف العين في هذا الوضع ليس من الدقائق التي تفوت مبتدئاً في قواعد الصرف فضلاً عن إمام كابن السكيت ألف كتاباً حافلاً عن ( القلب والإبدال ) وكتاباً آخر عن ( فعل وأفعل ) ثم لا أدري هل كان الوراق أعلم بقواعد التصريف من ابن السكيت حتى يقول له أخطأت ثم يقول للمازني هذا هو الجواب ! وأين تلقى كل ذلك ! مع أن رواية أخرى ذكرها أبو الفرج وياقوت وعشرات غيرهما تقول إنه - الوراق نفسه - قد استدعى أبا هيثم المازني ليسأله عن خبر إن في قول الشاعر :

أظلم إن مصابكم رجلاً  
ألقى السلام تحية ظم  
فليت شعري أينظن إلى العين المحنوقة  
من لا يظن إلى خبر إن ، إن الذين يحاولون

ثم يضطرون إلى الملحق المناسق فيتسمون ضاحكين ١١ ليه لم يغش مجلس الخليفة قبل اليوم حق لا تقضى عينه بما يؤلم من المشاهد ، وتصك مسامعه بما يصم من الشتام ١١ .

لأنه ليتحدث في همس إلى معارفه ليكون رأيا عاما يستطيع أن يجابه به هذا البغي السافر . ولكن نفرا ممن خسروا ضمايرهم المتيقظة يستمعون إلى ابن السكيت لا ليعاونوه على ما التزم من إصلاح ولا ليلوذوا بالصمت حين تعذر عليهم أن يرتفعوا إلى مصاف الرجال ، بل لينقلوا الحديث إلى المتوكل واشين متعلقين ! وتأتى الأنباء الطاغية ، فيصمم على أن يخزى الشيخ في مجلسه ليظهر باكيا يستنكر ويتزلف ويقسم الأيمان المغلظة أنه لم يقتل ولن يقول . هكذا تصور المتوكل على أفه ، فأرسل بمن يدعو الرجل لساعته ، فأقدم في وقار المؤمن ، وهدوء الواثق ، ثم فزع عينيه ليرى جلساء الطاغية يتغامزون متضاحكين ، والخليفة ينظر إليه في استمزاز مترفع . وقد جلس بين ولديه الأميرين ثم يسأل في تعاضم .

يا معقوب أترى الأميرين هذين ؟

فيقول في هدوء وقور : أراهما يا أمير المؤمنين ؟

فيهز الخليفة رأسه في ضحيرة ويبرز أسنانه مستهزئاً ثم يسأل : أيهما أحسن ؟ ولهاى هذان ،

أنفق عليه خمسة آلاف ألف درهم والقصر المعروف بالوحيد أنفق عليه ألفي ألف درهم إلى قصور بمائة مثل قصر الماحوزة وقصر الجعفرى وقصر البهو ، وقصر اللؤلؤة ، وقصر الكامل عما يوقف القارى على تبذير أخرق لا يرعى مال العمامة ، وموارد الدولة ... وكانت هذه القصور جميعها تحتل مكانا فسيحا بسر من رأى يسمى ( المنوكية ) والبحترى في أوصافها من الآيات ما يعرفه المدارس ... وهو إلى ذلك السفه الأرعن ، والظلم الباطش ، يقتدر بسب آل البيت ، ويرسل أعيانه إلى كربلاء فيهدمون قبر الحسين ويحطمون ما حوله من الدور نسفا وإحراقا ثم يعقد المجالس من هلية وزوائه وخاصته ليشهدوا المضحكين ) ممن يمثلون أبا تراب ، ويستهنئون برهط على وبنه ١١ ويلتفت الخليفة إلى جلسائه ليسمع صيحات الإعجاب ، ويرى بسات التأيد ، فيعتقد أنه بطل فاتح رجع من الميدان مكلا بغار النصر ومسجلا أعظم معارك التاريخ .

وقد هز على ابن السكيت أن يكون خليفة المسلمين بهذه اللضعة الثقافة من الرعونة والإسفاف ، وآله أن يسمع جلساؤه - وفيهم بعض العقلاء والمتضلعين - أقذار السباب وأضرار الشتام تهال على وفاطمة والحسن والحسين وصفوة آل بيت الرسول

وإشياء القدر الساخر أن يرى المتوكل إجابة سؤاله صريحة دون كتمان ، حين يتأمر أحد هذين الأميرين المفضلين على حياته ، فيلقى مصرعه ذليلاً ضارحاً بتدبير ولده تحت سيوف الخدم من الأتراك !! هؤلاء الذين فرغوا من إعدام ابن السكيت لينتهيوا بعد قليل لسحق الطاغية العنيد ، فتأكله سيوف الأوشاب في ليلة وهيبة دامية وتقذف جثته في العراء ، ويراها الناس فيشتمون بالصريع ويترحمون على يعقوب ثم يصيحون دهشين ! ما أجمل الثأر ! لقد انتصفت السماء !

**محمد رجب السيوى**

المدرس الأول بدار المعلمات بالقىوم

أم الحسن والحسين أيها الشيخ المجنون ١٢  
فرغ يعقوب رأسه في صلابه ، واتجه بنظره الفاحص إلى غريمه ثم قال بصوت مرتفع زاده جلال الإيمان ووقار الشيب روعة وتأثيراً :  
إن قنبراً خادم الحسن والحسين أحسن منهما ومنك يا أمير المؤمنين !!

صدم المتوكل بما لم يكن يتوقع وكسا الخزي الأحمر وجوه جلسائه ، فقام كالثور الهائج يرغى ويزبد ، ثم أمر غلمانه الأتراك فطرحوا الشيخ أرضاً ليدوسوه بالنعال ، ثم ألقوه في سكرات الزرع ، فيحمل إلى داره فاقد الإدراك ، ويقلب المحتضر الشهيد عينيه في أهليه مودعا حتى إذا قضى وطراً بما يريد ، جاءه اليقين فلقى رضوان الله .

( بقيه المنشور على صفحته ١٧٦ )

خلكان والغالب أنه لم يتيسر له إنجاز ذلك الكتاب وكل ما في الأمر أنه هباً الأصول والمآخذ لتأليف ذلك التاريخ الكبير .

١٦ — كتاب الجنان ورياض الأذهان :  
الرشيد ابن الزبير الأسواني وهو في تراجم الشعراء المصريين . وهذا الكتاب من أمتع المؤلفات فيه ، وهو من مآخذ علماء الكاتب في الحريرة والقاضي ابن خلكان في الوفيات .  
١٧ — كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي .

**محمد رضا الحبيبي**

عضو بجمع اللغة العربية

١٥ — تاريخ ابن خلكان الكبير :  
يستفاد من تصانيف كتاب الوفيات ومن مقدمته خاصة أن هذا الكتاب مختصر من تاريخ كبير لأن خلكان ذكر ذلك غير مرة ووعده أن يستوفى مباحث الوفيات الموجزة في تاريخه الكبير . ومن ذلك ما جاء في ترجمة الحلّاج وقد أنجز الكلام فيها إلى ذكر القرامطة (١) فقال ... وحدثهم وحروبهم وخروجهم على الخلفاء مشهور فلا حاجة إلى الإطالة في شرحه في هذا المكان بل إذا يسر الله تحرير ( التاريخ الكبير ) فسأذكر فيه حديثهم مستوفى إن شاء الله ، هذا ما قاله ابن

## من معاني القرآن

والضار والنافع ، والحرام والحلال ، فكل ما يضر ويسوء ويستكره خبيث حرمه الله ، وكل ما ينفع ويسر ويستحسن طيب أحله الله وبين الخبيث والطيب بون شاسع ، وفرق واسع - فهما لا يستويا عند الله ولا عنه ذوى العقول السليمة والفطر القويمة ولو كان الخبيث من الوفرة والكثرة بحيث يشير الإعجاب .

ينفع الطيب للقليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث فالنية الطيبة والكلمة الطيبة والعمل الطيب . والرزق الطيب ، وكل ما أحله الله أو أمر به لا يسأره أو يرقى إليه لنية الخبيثة والكلمة الخبيثة والعمل الخبيث والرزق الخبيث وكل ما حرمه الله ونهى عنه ، غافوا غضب الله واحفظوا أنفسهم من عقابه بامتنال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وحمل ما يرضيه . يا أصحاب العقول التي أنعم الله بها عليكم لتعرفوا بها ما ينفع وما يضر ، وما يسوء وما يسر ، فإن تقوى الله سبب الفلاح والنجاح ، وعسى أن يصلح الله حالكم إن اتقيتموه وتوخيتم مرضاته فتنفوزوا في الدنيا وفي الآخرة بالنجاح والفلاح والحياة الطيبة السعيدة ؟

عبد الرحمن فوده

قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون .

الخبيث ضد الطيب ، فإذا كان الطيب تستمره النفس وتعليب به وترتاح له وتراه حسنا جميلا فإن الخبيث تسترده وتكرهه وتراه سيئا قبيحا ، ومن ثم كان من رحمة الله بالناس أن يجعل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فكل ما أحله الله طيب ، وكل ما حرمه الله خبيث . وإن خفي على بعض الناس سبب خبيثه فإن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو أعلم بخلقهم وبما تستقيم عليه حياة خلقه .

والتقوى ، مأخوذة من الوقاية بمعنى الحفظ والصيانة ، فهي أطلاق وتصدق على كل عمل يكون الباعث عليه اتقاء الشر وابتغاء الخير والأساس الذي تقوم عليه هو الخوف من المكروه أو الشر :

والألباب . جمع لب وهو العقل .  
الفلاح . الفوز . والظفر .

المعنى :

قل أيها النبي لكل من يتأتى خطابه لا يستوى الردى والجيد ، والسئ والحسن ،

# سَيِّحُ تَهَابُهُ الْمُلُوكُ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

« تَمَّةٌ لِمَا نُشِرَ ،

فإن الشيخ الشجاع عز الدين بن عبد السلام كان ينطق عن رأيه وإيمانه المخلص بأنه لا يجوز أن تلى ولاية أمر المسلمين امرأة . وموقفه هذا من دلائل شجاعته وعظمته نفسه وقوة إيمانه .

٤ - جاء يوم العيد ، وجاء الأمراء وللشيوخ ووجوه القوم يصعدون إلى القلعة يهتفون السلطان بالعيد ، ووقفت الجند صفاً صفاً بين يديه والأمراء والشيوخ ووجوه القوم يقفون حتى يخرج عليهم السلطان في أبهى زينة وأبهج مظهر وأعظم نخامة : نخامة سلاطين مصر التقليدية ، حتى إذا خرج عليهم أسرع الأمراء يضعون جباههم على الأرض ثم يقبلونها بين يدي السلطان ...! وفي هذا الصمت وهذه الرهبة سمع الناس وسمع السلطان صوت الشيخ هالياً يناديه باسمه مجرداً من التثخيم والتعظيم واللقب والجلالة : يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا سألك عن ملك مصر هذا الذي أنعم به عليك ثم ترى الناس فيها يعصون الله بأمرك أنت ؟ فقال السلطان للشيخ - مهوتاً - كيف يقع

٣ - شاء الله أن يخذله الصليبيين وحليفهم الملك الصالح ، وأن ينصر جيش المخلصين من المسلمين على يد سلطان مصر : الصالح نجم الدين أيوب ، فسار الشيخ إلى مصر الظافرة المنتصرة ، وولاه الصالح نجم الدين قضاء مصر وخطبتها وعمارة المساجد فيها ، فأقام ذلك زمناً ثم عزل نفسه ورجا من السلطان أن يعزله ، فقبل ، ولكنه تكريماً للشيخ ، أبقى جميع نوابه ووكلائه الذين اختارهم .

ثم انتقل ملك مصر بعد قليل إلى المملوك : « شجرة الدر » وأرسل الخليفة المنتصر « يعاتب أهل مصر ، على توليتهم امرأة ، ولم يخش الشيخ بطش المملوك القوية « أم خليل » فتحدث في بعض كتبه عن ذلك بما لا ترضاه . ولئن كان لشجرة الدر أكبر الفضل في إنقاذ مصر والإسلام من أخطر حملة صليبية (١) ، بحيلتها وثباتها وشجاعتها ،

(١) حملة لويس التاسع ملك فرنسا الذي هزمت جيوشه وأسر في المنصورة .

ويذكر الله فيخشع ، ويقول له الشيخ الكبير : أما خفت غضبه ؟ فيجيب سلطان العلماء : والله يا بني ، لقد استحضرت في نفسي هبة الله فصار السلطان في عيني كأنه قط ... !

٥ - تجمع التتار في جيوش كأنها سحب من الجراد ، يمددون بأعظم الخطر بلاد الشام ، ثم جميع البلاد الإسلامية إذا كتب لهم النصر . وأوشك هذا الطوفان المخرب منهم أن يلتحم بجيوش المسلمين في « عين جالوت » <sup>(١)</sup> ، وكان سلطان المسلمين يحس بغريزته ويدرك بضميره أنه عسير عليه أن يتصر على هذا الطوفان من التتار . وبعث السلطان إلى سلطان العلماء يستدعيه ويستشيريه ، فقال له الشيخ : ( أخرجوا الحربهم مؤمنين بالله وسينصركم ) ، ويقول له السلطان : إن المال في خزائني قليل ، وأريد أن أفرض على التجار فريضا لنشترى منه سلاحا ، فيقف الشيخ في وجه طمعه ويقول فلا يخلو حديثه من لوم للسلطان وتأنيب : ( إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك ، وأحضر الأمراء ما عندهم من الذهب الحرام ، وضربك هذا وذاك نقودا وأنفقتة على الجيش فلم يكف حاجته ، عند ذلك

ذلك ؟ فأخذ سلطان العلماء ، يعدد السلطان مظاهر هذا العصيان وأماكنه ، ثم قال : يجرى ذلك في ملكك ، وبأمرك . وأنت تغلب في نعم هذه المملكة التي أنعم الله بها عليك . وكان صوت الشيخ يزجر ويدوى في قاعة العرش ، وجند السلطان وكبار قومه صامتين مهوتين متعجبين يخافون على الشيخ غضب السلطان وبطشه ، ولكن السلطان صاحب السطوة والجبروت ، الذي كان يشهد قبل قليل بسجود الأمراء له ينادى الشيخ « بياسيدي » ، ثم يقول : إني ما فعلت ذلك ، بل وجدته من زمن السلاطين قبل ، فيجيب الشيخ كأنه يزجر ويعلم ويقوم ويلوم : وهل أنت من الذين قال الله فيهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتنون » ، ... ؟

ولم يحد السلطان الشاخ بدأ من التصاغر والتسليم ، فأمر بأن تبطل تلك المنكرات التي ذكرها الشيخ ، وانتهى مجلس السلطان للعيد ، وخرج للشيخ شاخاً راضى النفس ، والناس جميعاً يلهجون بحديثه ويعجبون ، ولحق به شيخ من كبار الشيوخ يسأله كيف فعل ذلك بالسلطان في يوم زينته وأهنته وأمام قومه ؟ فقال الشيخ العظيم : رأيت السلطان في تلك العظيمة وهذا الشموخ فأردت أن أعيد إليه نفسه وأذكره قدره ليتواضع

(١) قرية صغيرة بين نابلس وبيسان ، جرت فيها الواقعة الفاصلة بين جيوش مصر بقيادة « قطز الظفر » وبين التتار سنة ٦٥٨ هـ [ ١٢٦٠ م ] .



استراهم سلطانهم أيوب من مال بيت المال ، ثم أعتقهم ولم يصح عند الشيخ هذا وأقضى بأنهم لا يزالون ملكا لبيت المال ، وأنهم لا بد أن يباعوا ، كما يباع الرقيق . ومعنى هذه الفتوى من سلطان العلماء ، أنه يبطل عقود هؤلاء الأمراء ، فلا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ، ولا تصرف مما يتصرف به الأحرار . وكان من الأمراء الذين يقع عليهم هذا الحجر والرق : نائب السلطان نفسه . . . واجتمع الأمراء يتدارسون هذا القرار الخطير ، الذي أصدره عليهم الشيخ ، ونستطيع أن ندرك من ذلك ما ملأ قلوبهم من الغيظ والسخط واللعجب . وما ملأ نفوس الناس من الإكبار والإعجاب والإشفاق على الشيخ من بطش هؤلاء الأمراء . وما كان يملأ نفسه هو من العزة والسعوط والإيمان والثقة .

أرسل الأمراء بعد اجتماعهم يطلبون الشيخ ليحدثوه في هذا الأمر العجيب . فقال : لا رأى عندي ولا حكم إلا أن نعقد لكم مجلساً ينادى عليكم فيه للبيع ، مثل سوق الرقيق ، ويدخل ثمنكم إلى بيت المال ، ثم يكون عتقكم بطريق شرعى بعد ذلك . ولم يجد الأمراء ونائب السلطان مفرأ من رفع الأمر السلطان . وبعث هذا للشيخ من يتحدث إليه في أن يرجع عن فتواه ، فلم يرجع .

نستطيع أن نطلب من التجار وغيرهم قرضا . أما قبل ذلك فلا يجوز لك . واستجاب السلطان والأمراء للشيخ فأحضروا ما عندهم من ذهب وجوهر ووضعوه بين يدي الشيخ فأنفقه على جيش المسلمين . ونصر الله السلطان وجيوشه ، وحفظ الإسلام وبلاده من الحراب والدمار .

٦ - ثم يسجل المؤرخون للشيخ قصة كأنها خرافة . وقف فيها ، منفردا ، بل مستنصرا بسلطان الدين ، وعزة الحق ، أمام نائب السلطان وأمرائه . وكانوا يقتلون النفس ، ويزهقون الروح ، وهم يلهون ويلعبون . وقف سلطان العلماء أمام هؤلاء يستدلهم ويضعهم في موضع العبيد ، بل يبيعهم كما يباعون وينفق ثمنهم في مصالح المسلمين .

قال المؤرخون إن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سلطان مصر أسرف في شراء المماليك الأتراك وأسكنهم في قلعة الروضة ، وأخذ بعد ذلك يعتقهم ويجعل منهم أمراء يتسلطون على رقاب الناس ، ويكثرون بينهم الأذى والشر . حتى قال في ذلك شاعرهم :

الصالح المرتضى أيوب أكثر من

ترك بدولته ، يا شر مجلوب قد أخذ الله أيوباً بفعلته

فالناس كلهم في ضر أيوب وكان بعض هؤلاء الأمراء المماليك قد

إليه مرة أخرى بمصرضيه ويستلنيه . ولكن الشيخ لم يرض ، ولم يلب ولم يساير . عند ذلك اشتد بنائب السلطان غضبه وثار بحظه واحتلأ قلبه بالغيط . فخرج ثائرا وهو يقول : كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض وسلاطين مصر ... ؟ والله لأقتله بسيفي هذا . وركب مع جماعة له من المماليك والقواد إلى بيت الشيخ وسيفه مسلول في يده . وفتح الباب للنائب الهائج الغضبان ابن الشيخ ، فلما رآه وفي يده السيف وفي وجهه الشر أسرع إلى أبيه غائضا عذرا . ولكن الشيخ كان مطمئن القلب ثابت الجنان يحدث ولده فيقول : يا ولدى أبوك أصغر شأننا من أن يقتل في سبيل الله ... وأسرع فخرج لنائب السلطان كأنه إعصار أوبركان . ولم يقع بصبر نائب السلطان على وجه الشيخ وما فيه من عزم وحزم وقوة وغضب ، حتى تخاذلت يده عن سيفه ، وسقط قلبه بين ضلوعه . وبأخ غضبه وبرد غيظه ، واستحال إنسانا آخر ضعيفا متخاذلا يشعر بالصغار والخطيئة ، على ما أجرم في حق الشيخ من التهم على بيته وهيبته وشخصه . وبكى نائب السلطان ، ندما ، أمام الشيخ ، الذي لم يحدثه كلمة . وطلب إلى الشيخ أن يدعو الله له . ثم قال : ما يريد الشيخ أن يصنع بنا ... ؟ ( البقية على صحيفة ١٩٢ )

وقال السلطان كلمة ينكر فيها على الشيخ أن يدخل في هذا الأمر الذي ليس من شأنه . عند ذلك غضب الشيخ أعنف الغضب ، وأخرج متاعه اليسير وأوكف حماره فوضع عليه هذا المتاع وحبرا أخرى أركب عليها حائلته وأهله ، ثم سارت القافلة ، وهو يمشي خلفها على قدميه ... ! يريد أن يعود إلى وطنه : الشام . وتسامع الناس وتناقلوا أن سلطان العلماء قد غضب على البلد وعلى سلطانها وأمرائه فلن يتخذها له مقرا ولا وطنًا . وأن هذا الغضب وهذه الهجرة نذير من النذر على غضب الله وبحظه . ولم يسر الشيخ وقافته إلا يسيرا حتى لحق به غالب المسلمين ، لم يتخلف عن ذلك رجل ولا صبي ولا امرأة ، ولا صبا العلماء والصالحون والتجار وأمثالهم من أهل الرأي والمنزلة . وهرب السلطان الخبير وما حل بالناس من الجزع . وقال له الناصحون : لو هاجر الشيخ وترك مصر سيجل بملكك شريك لا تستطيع له احتمالا ولا دفعا . وأسرع السلطان فركب بنفسه وسار حتى لحق بالشيخ ، وأخذ يلاطفه ويرتضاه ويطلب نفسه بالتودد والملاينة حتى قبل أن يرجع إلى بيته . ولكنه لا يرجع عن رأيه . وعاد الشيخ وأهله إلى القاهرة . وعلم نائب السلطان أن الشيخ لم ينزل عن قنواه فأرسل

# مجتمع الطبقة الواحدة في الإسلام

للأستاذ فتحي عثمان

مقررة إزاء حكاهم ، وهذا هو العدل  
الإسلامي ... .

ويتبع جب ظروف انهيار الدولة العباسية  
ثم يقول في نهاية البحث :

« إن انهيار الخلافة العباسية لا يعنى أنه لم  
يعد هناك مكان للإسلام ومؤثراته في الحياة  
السياسية لغربي آسيا ... » .

\* \* \*

والاستاذ جب من الدارسين المتعمقين  
للإسلام وتاريخه ... ومن المتنبهين لحركاته  
قديمًا وحديثًا ، ومن هنا كان لفوله أهمية .  
وقد تضمن هذا القول ثلاث مسائل هامة :

\* النزعة الثورية في الإسلام .

\* النظام السياسي في الإسلام .

\* مجتمع الطبقة الواحدة في الإسلام .

وكل من هذه المسائل بعيد الآن عن الفكر  
الإسلامي المعاصر ... بل قد تكون الأفكار  
السائدة مضادة لذلك ، ووجهها الجرد والضعف  
بين المسلمين ، ووجهها الاستشراق والخصر  
لغربي !!

فن الأفكار المذاعة أن الإسلام هو  
استسلام ، ويأتى هنا الفهم الخاطى . ( للقضاء

في حلقة دراسية نظمها مركز الدراسات  
العلية المتخصصة في تاريخ الأديان بمدينة  
استراسبورج من ١٢ إلى ١٤ يونيو ١٩٥٩ ،  
ألقى الأستاذ جب H.A.R. Gibb بحثا عن  
الدولة والدين في عهد العباسيين الأوائل  
Government and Islam under the  
Early Abbasids ، كان بما جاء فيه (١) :

« إن الإسلام كنظام سياسى ، كان يحمل  
في أصوله فكرة ثورية تحدى التقاليد القديمة  
للحكومة السياسية في غربي آسيا وهذه هي فكرة  
مجتمع الطبقة الواحدة one class society  
التي يكون فيها بعض الناس حاكين والآخرين  
محكومين ، لا على أساس ميزات المركز  
والوضع status ولكن على أساس من  
ميزات الصلاحية لوظائفهم المعينة وكل من  
الحاكين والمحكومين سواء أمام مزاج من  
الحقوق والواجبات المتبادلة التي فرضها  
الوحي الإلهي . ويفرض على الحاكين بوجه  
أخص واجبات تجاه إخوانهم المسلمين —  
إخوانهم لا رعاياهم ، كما أن للمحكومين حقوقا

(١) نص البحث في مجموعة دراسات الحلقة التي

نشرت بالفرنسية بعنوان .

L'Elaboration de l'Islam - Paris 1961

وتاريخ الإسلام... رصيد لتجارب الكفاح  
الثورى المتصل ...

كفاح ضد طواغيت قريش ، وضد  
طواغيت الروم والفرس ...

كفاح ضد طغيان الحكم ولو كان الحاكم  
أمويًا أو عباسيًا ، وكفاح ضد عدوان الغزو  
الأجنبي ... ضد الصليبيين والمغول ... ثم ضد  
المستعمرين الغربيين فى العصر الحديث !!  
ومع ذلك يقال إن الدين مخدر ، وإن الإسلام  
استسلام ...

وغفل القائلون عن أن الانقياد لله عصمة  
من الانقياد للأهواء والجبارة ... وعصمة  
من اليأس من مجاهدة الأهواء ومقاومة  
الجبارة !!!

« ولا تنهوا فى ابتغاء القوم إنهم تكونوا  
تألمون ، فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من  
الله ما لا يرجون وكان الله عليا حكيما ، .

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا  
لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله  
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ،  
لم يمسسهم سوء ... » .

« وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله ،  
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان  
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية

والقدر ) ، واطاعة ( أولى الأمر ) بما كان  
يروجه بعض مشايخ الطرق فى المغرب  
ويستفيد منه الاستثمار الفرنسى !!

والهزعة الثورية فى الإسلام ، حقيقة تنطق  
بها تعاليم الدين وأحداث التاريخ ...  
فالإيمان بالله واحد ، لإفراد له بالخصوع  
والانقياد ، وكفر بمن عداه من الطواغيت  
والجبارة ...

فهو وحده العزيز الجبار المتكبر ، وهو  
وحده الذى يحمد على كل حال ، وهو وحده  
الذى لا يُسأل عما يفعل ... لكن الناس  
جميعا يستلون !!

والله تعالى قد أمر بالعدل ، ونهى عن  
اللبى ... وقد ورد أن أشد الناس عذابا يوم  
القيامة رجل أشركه الله فى حكمه ، فأدخل  
عليه الجور فى عدله !!

والله تعالى قد أمر المسلمين أن يتناصفوا ،  
وأن يكونوا بدأ واحدة على من بغى وعلنى :  
« فإن بغت إحداهما على الأخرى ، فقاتلوا  
حتى تبغى حتى تنفى إلى أمر الله ، !!

فالؤمن بطبيعة إيمانه لا يعبد إلا الله ...  
ولا يدين بمشاعر الخوف والرجاء لأحد سواه .  
وهذا الإيمان فى المؤمن طاقة ثورية

هائلة ... موصولة بمصدر لا ينفد . هو  
رب العالمين ، الذى له جنود السموات  
والأرضين ، وخزائن السموات والأرضين !!

والحكومات ، وإذا بالزعماء متدينون ،  
والأحزاب مسيحية ، والحكومات صليبية :  
سواء في محاربة الشيوعية أو في محاربة الإسلام .  
ومع ذلك فقد نفذت الأسطورة إلى  
عقولنا ... الأسطورة التي لا تتلام مع  
تاريخنا ، ولا تتلام مع حاضر الغرب ...

فديننا دين العدل ، الذي يعلن الجهاد  
المقدس ضد البغي ...

وخلفاؤنا المسلمون لم يدعوا عصمة ولا  
قداسة ، بل كانوا بشرًا يقومهم الرعية إذا  
أخطئوا ، وبلتمسون الرأي ويدينون  
بالشورى ...

وجاهيرنا كانت تحاكم حكماها إلى الإسلام ...  
وحين يحور الحكم أو ينحرفون نرى علماء  
الإسلام قوادا شيعيين ضد الحكم الجائرين ..  
وكما سجل تاريخنا جهود أبي بكر وعمر ومعاوية  
وعمر بن عبد العزيز والرشيدي والمأمون —  
وهم حاكمون ، سجل كفاح أبي ذر وابن الزبير  
والحسين وابن تيمية والعز بن عبد السلام  
وعمر مكرم — وهم قواد شيعيون ثائرون  
من أجل العدل ١١ .

فإذا تركنا جانبنا ( العهد النفسي ) التي  
تغشى المشاعر والأفكار عند الحديث عن  
( نظام الإسلام السياسي ) وعالجنا البحث  
الموضوعي لأصول هذا النظام وجدنا أصولا  
لا يعضيق بها عاقل أو منصف في الأرض ...

الظالم أهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا  
واجعل لنا من لدنك نصيرا ...

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين  
كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت  
فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان  
كان ضعيفا .

« قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين  
ونحن تربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من  
عنده أو بأيدينا فتربصوا ، إنا معكم  
متربصون ، ١١١ »

\* \* \*

والنظام السياسي في الإسلام ... شيء  
لا يطيقه الفكر الغربي وتلاميذه ... لقد  
فصل هناك أخدود غائر بين السياسة والدين ،  
ولا يراد إقامة أبي جسر للعبور والاتصال .  
إن معاودة الاتصال بين السياسة والدين ،  
في الغرب معناه عودة تاريخ مرير : صراع  
الامبراطورية والبابوية ... ثم صراع  
البروتستنت والكاثوليك ... ثم تحالف  
الأشراف والمكهنات ضد العامة ... ثم  
مذابج التعصب ومحاكم التفتيش وقرارات  
الحرمان ... إلخ .

ومن هنا فصل القوم في الغرب بين السياسة  
والدين ... وما كادوا يسيرون في طريق  
الانفصال ، حتى استحال عليهم الشذوذ من  
الفطرة ، فإذا بالدين يوجه الأفراد والهيئات

في الإسلام من أصل عميق مسكين ... من الإيمان ذاته ...

فأله وحده هو الذي له الاستعلاء والكبرياء والناس بعد ذلك سواء ، وهم أشباه وأنناد ، إذ كلهم مخلوقون وكلهم عباد الله ...

( وحقبة الإيمان تستحق هذا الرتل المتعاقب من رسل الله ، وتستحق ما اقوا من عنت في سبيل الله ... ) .

( إن الإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغي لأحد غيره ، فهو الحاكم القهار وحده الذي فطر الناس على معرفته وطاعته ، يسلبون له في السراء والضراء ولا يحمدون على مكروهه سواء ... أما موقف البشر مع بعضهم فهو غير هذا الموقف ، إذ يختارون حاكمهم — فلا يفرض عليهم ، ويناقشونه الحساب فيحمدون له ويسخطون منه ... ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ، ) !!

( والإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغي لأحد غيره ، فهو وحده دليس كمثلته شيء ، وهو وحده دلم يكن له كفوا أحد ، ... ) . والناس بعد ذلك كلهم أشباه وأنناد ، كلهم مخلوقون وكلهم عباد ، وكلهم في ذلك سواء . وهم حين يحرسون سوا سيئهم يحرسون إيمانهم حتى لا يعلو عليهم إلا الخالق المعبود

فلسفة النظام السياسي في الإسلام تقوم على العدل ، والشورى ، والنزاهة والسباحة ، والعزة ... إلى غير ذلك من الأصول التي لها ترجمتها التشريعية في تفاصيل النظام ، بما هو متروك للفقه الدستوري والإداري والدولي عند المسلمين .

وحسبنا أن نقول إن نظام الإسلام السياسي يقدر الحرية ، ويقرر الحقوق السياسية والاجتماعية ، وبضمن إنفاذها ... وقد وقف أول خليفة مسلم يقول : ( إنى وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأطيعوني ، وإن رأيتموني على باطل فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم ... الضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ) ... وعلق الإمام مالك على هذا الخطاب الخطير للخليفة الأول فقال : لا تصح خلافة إلى على ما اشترطه أبو بكر !!

\*\*\*

أما مجتمع الطبقة الواحدة الذي يفتده المفكرون والمصلحون من قديم ... فلا يقوم إلا على أساس ، من الأعماق ... وهذه خصيصة الإسلام ... إن ( المساواة الإنسانية ) قد نبعت

في الرزق ، فما الذين فضلوا برادى رزقهم  
على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء  
أفبعمة الله بمحمدون ، ٢٢ .

( وجملة القول أن الإيمان بأن لا إله  
إلا الله ، إعلان للأخوة الإنسانية ، عن طريق  
أفراد الله بالرؤية ... ، ١٠١ هـ .<sup>(١)</sup> .

فهل ترانا نقف عند لفظة ( جب ) ...  
وتندبرها ، ونعرف سرها بالرجوع إلى تعاليم  
ديتنا ، وننتفع من هذه التعاليم في تحقيق الأمل  
المرموق وإقامة المجتمع السعيد ١١٤٩ .  
نرجو أن يكون لنا إدراك ( جب ) ،  
وإخلاص المؤمنين ؟ .

فتى عثمان

(١) رسالة (الدين لأوانع) لكاتب السطور .

ويعوذون بالله ، من كل متكبر لا يؤمن  
بيوم الحساب ، ١١ .

( والإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله  
بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبغى  
لأحد غيره ، فهو وحده الرزاق الذى يعطى  
ويمنع ، ليلو الناس هل يؤدون الحقوق  
وهل يطلبون الحقوق ... والحلق بعد ذلك  
مطالبون بأن يتداولوا عطاء الله بينهم بالقسط  
د كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ،  
مطالبون بالآلا ينتحلوا لأنفسهم حقوق المالك  
الأصيل الذى استخلفهم على خزائنه  
د وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، ...  
فلا تجمعيد للطبقات ولا تأييد للفوارق ، بل  
توجيه لتكافل والتضامن من زاع عنه فقد  
جحد نعمة الله د والله فضل بعمكم على بعض

( بقية المنشور على صفحة ١٨٧ )

وأنفقها في مصالح المسلمين . وكان يوما  
مشهوداً وأمرأ عجبا وعزة للدين ليس لها  
مثيل ولا نظير .

هذا هو العزيز بن عبد السلام : سلطان  
العلماء ، وأولى به أن يسمى سلطان  
السلطين .

محمود الشرفاوى

قال : أبيعكم في د مزاد ، عام ... ا وقال  
وماذا تصنع بثماننا ... قال الشيخ : أنفقه  
في مصالح المسلمين . فقال النائب : ومن الذى  
يقبض الثمن وينفقه ... ؟ قال الشيخ : أنا  
الذى يبيع ، ويقبض وينفق .

وكان للشيخ ما أراد : أقام لنائب السلطان  
والأمراء سوقاً فنادى عليهم للبيع واحداً  
بعد واحد . وغالى في أثمانهم ، وقبضها ،

# البيان العزني

للأستاذ علي محمد حسن العماري

— ٢ —

فياقوت اضطرب رأيه ، ثم إن القاضي توفي سنة ٣٦٦ هـ على ما صحح ابن خلكان ، أو سنة ٣٩٢ هـ على ما ذكره ياقوت ، وعبد القاهر توفي سنة ٤٧١ هـ ، أو ٤٧٤ هـ . وعلى أي من التاريخين في وفاة القاضي فيبعد أن يكون عبد القاهر تلميذا له يفتخر بالاتباع إليه ، لأن بينهما نحو قرن تقريبا ، ولم يذكر أحد من الذين ترجموا لعبد القاهر أنه عمر طويلا .

وكان على المؤلف أن يحقق هذه المسألة ، وألا يقع في هذا التناقض ، وبعض الباحثين يرجع أن القاضي كان أستاذ عبد القاهر في الثقافة والروح ، وهو أمر غير مانحن فيه . أما ياقوت ، فلعله سمع الخبرين فأثبتهما دون أن يتنبه للتناقض بينهما ، أو لعل كتاب ( المعجم ) ليس كله لياقوت كما صح عند أحد الباحثين من أن ما وجد من كتاب ياقوت ينتهي في الصفحة ٢١٤ من الجزء السابع من طبعة سنة ١٩٣٨ م وهي آخر حرف الميم (١) .

٢ — ذكر المؤلف في هامش ص ١٩٣ في ترجمة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني أن من تلاميذه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ونقل عن ياقوت أن عبد القاهر قد قرأ عليه ، واغترف من بحره ، وأن عبد القاهر كان إذا ذكر القاضي تبخيش به ، وشمخ بأنفه بالاتباع إليه .

ثم أعاد مثل ذلك في ص ١٦٠ ، فقال عن الشيخ عبد القاهر : قال السيوطي : إنه أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج من بلده ، ثم علق المؤلف قائلا : ولعل هذا في النحو فقط ، أما الأدب فإن من أهم أساتذته فيه القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة .

قلت : وقد ذكر ياقوت نفسه في ترجمة محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت علي الفارسي ، أنه استوطن جرجان ، وقرأ عليه أهلها منهم عبد القاهر الجرجاني ، وليس له أستاذ سواه (١) .

(١) مجلة الرسالة ص ٧٦٥ .

(١) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٨٧ ط دار للأمن



إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا فله اختياره )  
 قابن المعتز - إذن - يفرق بين البديع  
 وبين محاسن الكلام ، وهذا ما فهمه ابن رشيق  
 حيث قال في العمدة : ( على أن ابن المعتز  
 وهو أول من جمع البديع وألف فيه  
 كتابا لم يعد إلا خمسة أبواب أولها الاستعارة  
 ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الإعجاز  
 على الصدور ثم المذهب الكلامي ، وعدة  
 ما سوى هذه الخمسة الأنواع محاسن ، وأباح  
 أن يسميها من شاء ذلك بديعا ) .

فالامر واضح في أن ابن المعتز يفصل  
 بين الأنواع الخمسة الأولى ، وبين الأنواع  
 الثلاثة عشر الثانية ، فلا داعي للافتراضات  
 في هذا الصنيع ، وإنما الذي يحتاج إلى التعليل  
 هو لماذا سمي النوع الأول بديعا ، وسمى النوع  
 الثاني محاسن ، وقد حاول ذلك صاحب كتاب  
 ( بلاغة أرسطو ) غير أنه افترض فرضا قال :  
 ( وهناك شيء ثالث يمكن أن يفسر لنا هذا  
 الفصل بين البديع ، و المحاسن ، . أ يكون  
 ابن المعتز قد عرف شيئا من بلاغة أرسطو ،  
 ادعاه ودونه في القسم الثاني بعد أن سلم القسم  
 الأول للعرب وللشعر العربي ١٩ . هذا يمكن  
 ولكنه يحتاج في إثباته إلى تثبت ) ثم انتهى  
 به التثبت إلى أن القسم الثاني الذي جمع فيه  
 ابن المعتز محاسن الشعر أو الكلام من خاصة  
 تفكيره .

فإذا صح ذلك كان منشا هذا الاختلاف  
 هو العبث بكتاب المعجم .

٣ - عرض المؤلف لصنيع ابن المعتز  
 في تقسيم كتابه قسمين (١) البديع (٢) محاسن  
 الكلام .

ورأى تعليلا لذلك ( أن ابن المعتز لم يؤلف  
 كتابه في وقت واحد ، بل ألفه على مرحلتين ،  
 وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة  
 المذكورة في البديع ... ولعل ابن المعتز سمع  
 بعد ذلك من بعض النقاد والمتبعين اعتراضا  
 على قصر للبديع على الفنون الخمسة الأولى ،  
 وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر ، فأقرم  
 على دعواهم ، وكتب بقية المحسنات وضما  
 إلى الفنون الخمسة لينفي عن نفسه مظنة الجهل  
 بتلك البقية .

وواضح من هذا الكلام أن ابن المعتز يرى  
 أن الأنواع الأخيرة التي عتونه لها بمحاسن  
 الكلام من البديع ، وأنه أضافها بعد الاعتراض  
 عليه ، ولكن التأمل والدراسة يؤيدان  
 إلى أن ابن المعتز كان يرى أن البديع  
 غير محاسن الكلام ، ودليل ذلك من كلامه هو ،  
 قوله بعد أن أورد الأصناف الخمسة الأولى :  
 ( قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكل عندنا )  
 وقوله مرة أخرى : ( فمن أحب أن يقتدى بنا  
 ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ،  
 ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا

وجعله أساس كل جمال في العمل الأدبي هي السائدة في هذا الكتاب .

والحقيقة أن رأى عبد القاهر مضطرب - في الظاهر على الأقل - وأن كل الذين كتبوا عن عبد القاهر تنهوا إلى هذا الاضطراب ، وحاولوا التوفيق بين نظريتيه ، فالحطيب القزويني يوفق على النحو الذي ذكره المؤلف والدكتور مندور يرى أن النظريتين : نظرية الدلائل ونظرية الأسرار متعارضتان وذلك بعد أن يقول في موضع آخر : ( ينكر عبد القاهر كل مزية في اللفظ <sup>(١)</sup> ) .

والدكتور ابراهيم سلامة يعترف بأن عبد القاهر لا ينكر قيمة الألفاظ جملة ، وإنما يريد أن يحدد مكانها في النظم ، ويفر كل الفرار من أن تكون المزية البلاغية في اللفظ وحده ، ويعيد قول الحطيب القزويني بأسلوب عسري ، فيرى أن عبد القاهر في تقريره للصورة وللتصوير الذي أفاض الكلام فيه وفي كتابه ( أسرار البلاغة ) يدخل عنصرا ثالثا في النقد الأدبي الذي لا ينبغي أن يقتصر على تقدير المعنى ، واللفظ فقط بل لابد فيه من مراعاة للصورة التي تحدث من اجتماعهما <sup>(٢)</sup> . وهو بذلك يفسر قول عبد القاهر : ( ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير

وقد كنت أحب لصاحب ( البيان العربي ) أن يثبت هو أيضا ليصل من وراء البحث إلى أن ابن المعتز ألف كتابه في فترتين ، أو في فترة واحدة . على أنه لا حاجة لما قلت لافتراض الأستاذ إلا إذا سلمنا له أن البديع ومحاسن الكلام - في نظر ابن المعتز - شيء واحد ونحن لا نسلم له ذلك ، فليبحث من يشاء ليعرف السر الذي جعل ابن المعتز يفصل بين النوعين .

٤ - أصر المؤلف على أن الشيخ عبد القاهر زعيم مدرسة المعاني والأفكار ، وإذا كانت البلاغة تعنى قبل كل شيء بالأسلوب وهو مجال تلك الصناعة فإن عبد القاهر على هذا من الذين يناوئون ذلك الرأي ويسرون في اتجاه واحد معضاد لاتجاه سير البلاغة .

ومع أن المؤلف سجل في كتابه أن الحطيب القزويني فطن إلى التناقض في رأى عبد القاهر الذي ينادى بأن البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إقادته المعنى عند التركيب ، وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا ، وهو مراد عبد القاهر بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة راجعة إلى المعنى دون اللفظ مع هذا تناسى هذا التناقض في رأى عبد القاهر وبني كل حديثه على أن عبد القاهر يرجع الجمال في الكلام إلى معناه فقط ، حتى في أسرار البلاغة ، فنظرة عبد القاهر إلى المعنى وإكباره

(١) مجلة الثقافة ص ١٢ العدد ٢١٦ .

(٢) بلاغة أرسطو ص ٣٨٩ .

متخلفين هن كثير منه ، يقدمون ويؤخرون  
ويقولون ويكثرون ، قد يوبوه أبواباً مهمة ،  
ولقبوه ألقاباً متهمه ، وكل واحد منهم قد  
ضرب في جهة وانتحل مذهباً هو فيه إمام  
نفسه وشاهد دعواه ، لجمعت أحسن ما قاله  
كل واحد منهم في كتابه ليكون العمدة في  
محاسن الشعر وآدابه إن شاء الله .

والذي أقهقه من قول ابن رشيق أن كثيراً  
من تسلكوا في الشعر لم يرجعوا إلى أصول  
ثابتة في النقد ، ولم يخضعوا إلا لأهوائهم  
الخاصة ، فكل منهم يستحسن معتمداً على  
قريحته ، ويضع الألقاب على حسب ما يميله  
عليه رأيه ، ولا يجد إنساناً آخر يوافقه على  
مذهبه ، وقد نفهم من هذه العبارات ،  
ما يقوله بعض النقاد المحدثين في أحد الكتاب  
البارزين إنه يفصل آراءه على نفسه ، بمعنى  
أنه يستحسن من الكلام ما يحسنه ، فإذا كان  
يجيد القصة ، فهي أرق فنون الأدب ، وإذا  
كان يجيد نوحاً خاصاً من القصة فهذا النوع  
هو أفضل الأنواع ، وهكذا . فلعل ابن  
رشيق يريد أن هؤلاء الذين يوبوا الشعر أبواباً  
مهمة ، وانتحلوا فيه مذاهب كل منهم إمام  
دعواه فيها ، من هذا النوع الذي لا يستحسن  
من القول إلا ما يحسن ، ويعتبر نفسه دليلاً  
على جمال هذا اللون .

ولو فهمنا من قول ابن رشيق ما فهمه

والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه  
سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه كالفضة  
والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ، فكما  
أنه محال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم  
وجودة العمل وروادته أن تنظر إلى الفضة  
الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع  
فيه ذلك العمل كذلك محال أن تعرف مكان  
الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد  
معناه .

ومن هنا يتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك  
أن عبد القاهر لا ينكر قيمة اللفظ ، ولا  
يجعل الفضيلة كلها للعنى ، وإذا كان الأمر  
كذلك فقد كنت أحب لمؤلف البيان العربي  
أن يتنبه لهذه المشاكل ، وأن يحاول أن  
يضع لها حلاً ، وبذلك يضيف جديداً في  
الكشف عن اتجاه هذا الإمام العظيم .

هـ — قسا المؤلف على ابن رشيق صاحب  
العمدة ، وحمله الدعوة إلى توقف العقول  
والأذواق عن البحث حيث يريد ابن رشيق  
— على ما فهم المؤلف — أن يجمع العلماء والنقاد  
على كلمة واحدة لا يختلفون عليها ، قال :  
ولقد كانت هذه الدعوة أهم الأسباب في  
توقف البلاغة العربية وتخلفها عن متابعة  
الأدب ، ورصد حركات تقدمه .

وهو يشير إلى قول ابن رشيق في المقدمة :  
« ووجدت الناس مختلفين فيه — يريد الشعر —

القرن الخامس الذي عاش فيه ابن رشيقي ، ويتقنا العلمية تختلف عن بيئة ابن رشيقي في المغرب في ذلك العصر ، فإذا كنا نأثق في تأليفنا ، فذلك لا يفض من شأن صاحب العمدة ، ما دامت طريقتنا لا تبعد كثيراً عن طريقته .

على أن ابن خلدون قد ذكر ( العمدة ) أكثر من مرة ، فامتدح الكتاب ، وذكر في باب صناعة الشعر أن هذا الكتاب ( هو الكتاب الذي انفرده بهذه الصناعة ، وإعطائها حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله ) وقال في موضع آخر من هذا الفصل : ( وبالمجلة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيقي <sup>(١)</sup> ) .

وقد شهد له بعض العلماء المحدثين ، وإن كان رمى كتابه بأن فيه عوجاً ونقصاً ، ورمى ابن رشيقي بأن عقله لم يكن يعرف الربط ، قال : « ومع ذلك فينبغي ألا نغمط ابن رشيقي حقّه ، إذ ليس من شك في أنه تعب في جمع هذه المادة وترتيبها على هذا النسق الذي اختاره لنفسه ، وإن من يتبعه في عرضه لتلك المادة الوفيرة يجد له كثيراً من الأفكار النيرة <sup>(٢)</sup> » .

المؤلف ، فهل لنا أن نقول إن دعوة ابن رشيقي هذه هي التي وقفت بالبلاغة ، وكانت سبباً في تخلفها ، إننا نعد هذا كثيراً على جماعة من المؤلفين وكيف نلقى هبته على مؤلف واحد ، إن تخلف البلاغة عن متابعة الأدب له أسباب كثيرة لا أعتقد أن المؤلف يجملها وهي لم تصنع في عصر واحد ، ولا من رجل واحد ، فكيف تكون دعوة ابن رشيقي من أهم الأسباب التي دعت إليها .

وابن رشيقي عند المؤلف ضيق الأفق في البحث البياني ، ولا يحسب له في كتابه إلا القليل الجيد ، وهو ليس إلا حاكياً آراء السابقين . ونحب أن نقول للمؤلف أن ابن رشيقي ألف كتابه في صناعة الشعر ونقده ، وأنه له نظرات جيدة في النقد ، تتصل بنقد شعراء عصره ، فلو قلنا إنه نقل — فقط — عن المتقدمين ولم يزد شيئاً في بعض الأبواب عن الأقوال المأثورة عن السابقين ، أفلا يكون ذلك عملاً يستحق الثناء ، وهل يسمع لنا المؤلف أن نقول له إن صديقه في كتاب ( البيان العربي ) هو لون من صنيع صاحب العمدة ، ذاك روى لنا ما قاله المتقدمون في النقد والبلاغة وهذا أرخ لتطور الفكرة البيانية ، فكيف نحرم على ابن رشيقي ما نجهزه لأنفسنا ؟

لا شك أن طبيعة عصرنا تختلف عن طبيعة

(١) للقدمة ص ٥٨٤ - ٥٧٥ ط التجارية .

(٢) مجلة الثقافة العدد ٢٨٠ . شوقي ضيف .

إيراد الكلام بطرق مختلفة في الوضوح بعد مراعاة المطابقة لمقتضى الحال ، ومعنى ذلك أن الشاعر أو الكاتب يريد أن يصوغ معنى ، فيأتى بتشبيه أو مجاز أو كناية ، فهو حينئذ أخذ بجزء من علم البيان ، فإذا لاحظ أن هذا الأداء يطابق مقتضى الحال كان آخذاً بالعلم كله ، فالنظر في هذه الصور البيانية ( التشبيه - المجاز - الكناية ) يتأتى من ناحيتين ، من ناحية أنها صور يعبر بها عن المعاني ، ومن ناحية أنها تطابق أو لا تطابق ، والنظرة الثانية هي موضوع علم المعاني والنظران معاً موضوع علم البيان ، ولذلك قالوا إن علم المعاني من علم البيان بمنزلة المفرد من المركب ، على أن ابن السبكي يناقش هذا الرأي فيقول : ( لا نسلم أن علم البيان يتوقف على علم المعاني ؛ لجواز أن يعلم لإنسان حقيقة التشبيه والكناية والاستعارة وغير ذلك من علم البيان ، ولا يعلم تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، فليس علم المعاني جزءاً منه البيان ، ولا لازماً له ) (١) .

وقد قالوا : تطبيق الكلام على مقتضى الحال كالمادة ، وهذه الطرق كالصورة والمادة ليس جزءاً من الصورة .

والمشهور عند علماء البلاغة السكاكية أن أى بحث إذا نظرت إليه من زاوية المطابقة

وذكر أنه كان موافقاً في باب اللفظ والمعنى وفي باب موضوعات الشعر وفي باب المعاني المحدثة .

وأياً ما كان فإن المادة الأدبية التي ذكرها ابن رشيق في كتابه ، والآراء النقدية التي حفل بها الكتاب لها خطرها في بناء هيكل البيان العربي سواء من حيث المصير إلى التقعيد ، ومن حيث التذوق الفني للمعاني الأدبية .

٦ - المؤلف : وأنا أقول ذلك على كره مني - لم يطل النظر في البلاغة السكاكية ولو أنه أمعن النظر في بعض الشروح والخواشي التي عنت ببسط قواعد هذه البلاغة لكان حرياً أن يكتب بعض ما كتبه عن ( البيان البلاغي ) بغير الطريقة التي كتبه بها .

السكاكي فصل علم المعاني من علم البيان ، للملاحظة لاحظها ، ذلك أنه جعل الغرض من علم المعاني الاحتراز من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره وجعل موضوع علم المعاني هو البحث في اللفظ العربي من الناحية التي تؤدي إلى هذه الغاية ، فعلم المعاني عنده هو معرفة خواص تراكيب الكلام ، أما علم البيان فهو معرفة صياغات المعاني ، ليتوصل بها إلى توفيق مقامات الكلام حقها ، وقال إن علم البيان يتوقف على علم المعاني ، ذلك أن علم البيان هو معرفة

(١) هروس الأفراح ج ٣ ص ٢٦١ .

قدرة وتقليدا كل الذين خلفوه في أدبه وبيانه وحاولوا أن ينسجوا على منواله من غير أن يعلم علم الاستدلال الذي يجعله السكاكي أساسا من أسس البيان ، ومن غير أن يعلم بلاغة السكاكي أيضا ( فإذا أراد المؤلف من هذا ؟ هل أراد أن السكاكي - وهو العالم المجهز - وقع في خاطره أن العربي لم يدبج البيان الرفيع إلا بعد أن درس بلاغة السكاكي ؟ هل أراد أن السكاكي وضع هذه الضوابط والقواعد ليتعلم الناس البيان ؟ )

إن السكاكي أجاب في صراحة عن هذا الذي ، ما أظن المؤلف ظنه بالسكاكي . فقال بعد أن ذكر أقوالا أربعة في إعجاز القرآن : ( يحمسها ما يجده أصحاب الذوق من أن وجه الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة واللفصاحة ، ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العليين بعد فضل إلهي من هبة يهبها بحكمته من يشاء ، وهي النفس المستعدة لذلك فكل ميسر لما خلق (١) ) .

فإدراك إعجاز القرآن بالذوق ، والذوق لا يكون إلا بشرطين : الأول طول خدمة هذين العليين . وطبعاً لا يعني السكاكي بطول خدمتهما حفظ قواعدهما ، وإنما يعني النظر في مصادرهما ، وتطبيق الشواهد على القواعد

( البقية على صفحة ٢٠٤ )

وعدهما فهو من علم المعاني ، فلو نظرت إلى السجع هذه النظرة كنت صادراً في بحثك عن هذا العلم وإذا نظرت إليه من ناحية أنه يزيد الكلام حسنا كنت صاحب بديع ، وهكذا النظر في غيره من المحسنات البديعية . أو من الصور البيانية .

وأظن بعد هذا البيان لا نجد مسوغاً للمؤلف أن يقول : ومن هنا يتبين الخطأ في قصر تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره على مسائل علم المعاني ، فإن ذلك شامل لفنون البلاغة جميعاً .

فلو أنا وضعنا هدف كل علم عربي في العلوم الأخرى لما أمكن فصل مباحث هذا العلم ، ألا ترى أنه لا بد في السجع وغيره أن نلاحظ أحكام النحو والصرف ، فلم نجعل ذلك في هذه العلوم ؟ إننا ولا شك لا نحكم على كلام بالجودة حتى يكون مستوفياً لكل ما قررت علوم العربية ، ولكننا حين نصنف نرجع كل مسألة إلى علمها ، وهذا هو الشأن هنا ، فلو نظرت في المحسنات البديعية من ناحية مطابقتها ، لم تكن صادراً عن ضوابط علم البديع ، وإنما كنت صادراً عن ضوابط علم المعاني . وهكذا .

ولقد عجبت لقول المؤلف : ( لقد كان العربي البادي في جزيرته يصوغ المعاني المعجبة ويدبج البيان الرفيع الذي اتخذ منهجه فيه

رؤا التجديد في الشعر العربي :

## المازني شاعراً

للأستاذ العوضي الوكيل،

وفصل الأمر بين القديم والحديث ليس في موضوع الشعر نفسه ، وإنما هو في إحساس الشاعر بهذا الموضوع ، ونقله عن هذا الإحساس .

وانتشرت الدعوة بين الناس حينذاك ، فتلقاها بعضهم تلقياً غريباً ، فإنه - حين أراد أن يكون شاعراً عصرياً - دون ما وصف القدماء وما شهبوا في ديوان ، ثم قال متحدياً معارضاً ، فإذا وصفوا الناقة مضى هو إلى الطائرة والقطار ، وإذا ذكروا هذا ودعوا والرباب مضى هو إلى أسماء النساء المستحذات في العصر فأوسعها غزلاً وتشبيهاً .

وضحك المازني - رحمه الله - وزميله ، وأنصارهم من هؤلاء المقلدين في إنكار التقليد وسوم أصحاب مذهب الابتداع التقليدي ، لأنه في حقيقة أمره لون من ألوان التقليد ، ويقول العقاد عن هؤلاء : لو أن الشاعر منهم كان نقاشاً لما عرف كيف يطل جداره بالون الأبيض ، ما لم ير أمامه جداراً أسود الدهان .

وإذا كان الشاعر العربي قد أصابه الركود

منذ نيف وخمسين سنة وقف المازني يدعو إلى مذهب جديد في الشعر ، مع زميلين شاهرين هما العقاد وعبد الرحمن شكري .

ولم تكن دعوتهم محاربة القديم ونبذه ، وإنما كانت دعوة إلى الابتداع ، وترك التقليد ، والاستجابة لوحى الشعور الصادق والوجدان الصحيح .

وعلى هذا الأساس <sup>(١)</sup> كان شعر العرب ( في نظرهم ) مطبوعاً لا تصنع فيه ، وكانوا يصفون ما وصفوا في أشعارهم ، ويذكرون ما ذكروا لأنهم لو لم ينطقوا به شعراً لجاشت به صدورهم زفيراً ، وجرت به حيونهم دمماً ، واشتغلت به أفئدتهم فكراً ، وأما نحن فلا موضع لتلك الأشياء من أنفسنا فهي لا نحتاجنا كما أحتاجتهم ، ولا تصبينا كما أصابتهم ، وإذا سكنتنا عن النظم فيها لا تخطر لنا إلا كما تمر الذكرى بالذهن ، والمرء إذا تذكر لا يقلد من يتذكرهم ، ولكنه يتحدث بهم .

(١) مقدمة للعقاد لديوان المازني طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - القاهرة ١٩٦١ .



والضعف طوال حكم الأتراك والعثمانيين ،  
كسائر فروع الأدب ، لما غشى العيش من  
غواشي الحمر والطغيان ، وانحطاط الثقافة  
العامية ، وفراغ الأذهان والقلوب من المعاني  
الشريفة والأحاسيس السامية ، فإن الأدب  
لم ينقذ من ذلك إلا قبيل مجيء القرن العشرين  
حين استيقظت الحرية في مشاعر الشرقيين ،  
وكانت علامة تلك النهضة ، أن شعر كل  
أديب بشخصيته واستقلال نفسه ، وصاد  
لكل طريقة في الشعور والقول فتحة يهيم  
سواء من القائلين .

وأسطوانة ، تعاد مع تبديل العنوان ،  
أو قالب يتكرر فلا تعريه زيادة ولا نقصان .  
وصدره دواوين الشعراء الثلاثة دعاء  
التجديد ، نماذج لما يدعوون إليه وصورا  
صحيحة لمنهجهم في دعوتهم ، ومنها ديوان  
المأزنى الذي نحن بصده ، وقد أعاد إصداره  
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب  
بالقاهرة منذ مدة ، وتضمن الجزء من اللذين  
كان الشاعر قد نشرهما في حياته وجزء آخر  
قدمته أسرته إلى المجلس ، فكان الجزء الثالث  
والأخير من ديوان المؤلف رحمه الله .

ولقد أعلن المؤلف ذات يوم بعد طبع  
الجزءين الأول والثاني من ديوانه أنه لم يعد  
شاعرا ، وأنه ينكر على نفسه الشاعرية ،  
وفي هذا يقول حماد شارح ديوانه ومقدمه :

على أنه التقليد معنى لا ينصب به الأدب ،  
ولا تزيد به على الزمان ثمرات القرائح ، لأن  
الشعراء ينظمون على قالب واحد من قوالب  
القول ، ويدورون حول محور واحد من  
محاوره ، فتقرأ المائة منهم كأنك تقرأ الواحد  
أو كأنك تسمع أصدا من الماضي ولا تقرأ  
لأحد ، ويقول العقاد في ذلك .

نظم الشاعر هذا الشعر  
يوما وارتماه  
ويوم آخر أنه  
سكره ثم نفاه  
قال إن الشعر فن  
ماله عندي أداه

ورأينا المؤرخين يكتبون عن هشرين  
شاعرا أو نائرا في عصر واحد ، فيقولون  
هن كل شاعر أو نائر منهم : إنه وحيد زمانه  
وفريد عصره وأوانه . ورأينا الشاعر يمدح  
ويرثي ، ويردد مدحه ورتائه في العشرات ،  
بل في المئات ، فلا يختلفون في صفة ولا عمل  
ولا يتميزون ببلغة ولا علامة ، كأنها

ويقول صاحب ديوان رسوم وشخصيات :  
المأزنى شاعر  
وإن يقل بنهم ذا



من يفسدون الصدق فيما يقولون وفيما يفعلون .

وتعبر ديوان المازني فتلج فيه روح عصره  
الشاك المتردد ، من مثل قوله :

آليت لا يستخفى أمل  
في الغد أو تستغرق في حسنه  
الدهر لولا الآمال مشتببه  
والمرء في نفسه يرى زمنه  
وقوله :

يا ليتني لو يصح لي أمل  
أعشى ، له من كفافه شغل  
أبيت لا مرهقا ولا قلق إلا  
حشاء بما تحرك الملل  
ويقول عن الإخوان :

ركبت إليهم ظهر الأمان  
على ثقة ، فعدت أذم وحدى  
وغر ماضغ بالغيب لحي  
خلاه الذم إذ جدنا بمحمد  
صفوت له على العلات دهرأ  
فرنق بالسفاهة ما . وردى  
وقوله جوابا على أبيات بعث بها إليه  
العقاد :

وما طاف الكرى بالعين إلا  
ليفتحها على الكرب العظام  
وفي ظلم القبور لنا مجير  
يجلى وحشة العيش الجهام  
وما إن أرتجى شيئا ولكن  
هي الأحلام عون ذوى السقام

محمد فما اقتدى

مبتكر فما احتذى  
وقد صفا أسلوبه

فليس فيه من قذى  
وهي خطرة من خطرات الشاعر ، لم يلبث  
التاريخ أن ردها عليه ، وصحح وضعه بين  
الشعراء في مجله الباقي .

ولقد عاش الناس مستهل هذا القرن وهم  
في حيرة وشك لما أصاب الحياة من اضطراب  
فلا جرم يظهر ذلك في شعر الذين يدعون  
إلى الصدق في التعبير عن أنفسهم ، ولا جرم  
يبدو زمان الشاعر في طوايا نفسه ، وفيما  
يصدر عن هذه الطوايا من شعر  
لأن المرء في نفسه يرى زمنه ، كما يقول  
المازني في بعض مقطوعاته . ولا معابة على  
شاعر ينقل عن عصره التردد والاستياء  
إذا كان التردد والاستياء سمة تغلب على ذلك  
العصر ، ولا بد لهذا الاستياء — كما يقول  
العقاد — أن يأخذ مداه ، ويطلع على كل  
ققص في أحوالنا ، حتى إذا تمكن من  
النفوس غرکہا إلى العمل ، وعاد عليها العمل  
بالرضا فلا ينسى الناس — يومئذ — فضل  
شعر الضجر والاستياء .

على أن الشكوى مما يؤلم ، والضرر  
مما يضر منه ليس أمرين غريبين عجيبين  
ولكنهما الواجب الذي لا ينبغي سواء عند

معاني شعراء الغرب ، والإغارة على قصائدهم  
وادعائهم ، ولقد رماه بهذه التهمة بعض  
أصدقائه من شمت به مثلى - المذهب العتيق -  
وهذه عبارة المازنى بنصها ، ويعنى بذلك  
أصحاب الشعر الذى يدور فى فلك القساماء  
ويجربى فى غبارهم .

ويعترف المازنى - فى بساطته المعروفة -  
بأن بعض قصائده فى الجزء الأول فيها معان  
من بعض شعراء الغرب ، ولكنه يمالئ ذلك  
بأنه د علق بخاطره من شعرهم وهو لا يعلم ،  
يقول المازنى :

د أما ما اتهمنا بسرقة فى الجزء الأول من  
ديواننا ، فقصيدته قفى فى سياق الموت ، وهى  
ثمانية أبيات ، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر  
د هود ، فوجدنا فى قصيدتنا أبيانا ليست  
له ، ونحن نزل عن القصيدة كلها راضين  
ونسبأ إلى الله من تعمد أخذها والإغارة  
عليها ، وقصيدته قبر الشعر وهى خمسة أبيات  
نكلم إلى حظ أختها .

ولقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة  
لتبيط عنه هذا الأذى ، وراجعنا دراوين  
الشعراء التى عندنا زهادة من أفعالهم أن يكون  
قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم ،  
فلم نعر على شيء يجوز من أجله اتهامنا بالسرقه  
إلا أبيانا فى د رقية حسناء ، وهى لشبلى  
والجزء الأخير من قصيدة د أمانى وذكر ،

ويقول فى مطلع قصيدة بلغت مائة بيت :  
بعض بغضائكم أولى البغضاء  
إنما التستم شيمه السفهاء  
وهو يعارض بها - فى حدة وشدة وعنف -  
قصيدة ابن الرومى التى يقول فى مطلعها :  
يا أخى أين عهد ذاك الإخاء  
أين ما كان بيننا من صفاء  
ويبرز معنى المعارضة فى ختام قصيدته  
فيجمله هكذا :

قضى الأمر بيننا فسلام  
وسقى الله عهد ذاك الإخاء  
وصور المازنى فى ديوانه ذات دقة وقوة ،  
فهو يصور صديقه القنادر بصورة القرد  
السكران ، فيجمع القردية وما فيها من غرابة  
وقبح إلى السكر ، يقول :  
لو تراه بالليل يخطر عجباً  
فى مسوك الفرنجية السوداء  
قلت قرد من آل دروين ناش

أخذت منه سورة الصهايا  
وكتب المازنى مقدمة للجزء الثانى من  
ديوانه ، فتحدث عن الشعر ، وعن التجديد  
فيه ، وجارى العقاد فى الحديث عن الصدق  
والتعبير عن النفس ، ولكن أهم ما فى المقدمة  
ليس هو هذا الحديث ، فإن العقاد قد أتى فيه  
بما لا حاجة معه إلى زيادة مستزيد ، ولكنه  
الحديث همارى به المازنى من السطو على

وهو لبيرنز وأول هذا الجزء . ياليت  
حي وردة .  
على سعة الاطلاع وسرعة النسيان وهو  
ما يعرفه هنا إخواننا جميعا ،

ولو أن ما أخذ علينا في الجزء الأول  
وما نهينا إليه القراء من تلقاء أنفسنا حذف  
لما أنقص ذلك من قيمة شعرنا فإن في ديواننا  
الأول نحو ألف بيت وليس ما أخذ  
علينا خيرها .  
أما من وماه بهذه التهمة فهو صديقه شكرى  
فقد جرت بينهما على أثر ذلك أهاج شاع  
أمرها بين الأدباء في ذلك العصر ، وسجل  
للشاعران بعضها في دواوينهما .  
وحم الله المازنى وجزاه عما قدم للأدب  
واللغة خير الجزاء .

العضى الوكيل

ولئن كان هذا دليلا على شيء ، فهو دليل

( بقية المنشور على صفحة ١٩٩ )

والشرط الثانى هو الاستعداد الفطرى ، كما هو  
واضح فى كلامه .  
ليحترز بها . . . الخ لأن عليهم يطعمهم وكل  
ما كان كذلك لا يكون لغرض ، لأن الأغراض

وبعيد جدا أن يظن ظان أن العربى كان فى  
حاجة إلى قواعد النحو أو قواعد الصرف  
أو قواعد البلاغة والعروض لينطق فلقا  
صحيحا فصيحاً .  
إنما تكون فى الأفعال الاختيارية ، لافى  
الأفعال التى بسبب الطبيعة (١) .

هذا . وأختم هذا الحديث بالثناء على كل  
من يضع فى علم البلاغة لبنة ، وبتحية الأستاذ  
المؤلف وتقديره ؟  
على محمد صمدى العمادى

على أن بعض أصحاب الحواشى تنبه لهذه  
الفكرة فأراد أن يحللى التعريف بما يخرج  
العربى ، قال الترمذى : علم العرب خرج بقوله

(١) عروس الأفراح ج ١ ص ١٦١ .

## دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

قوية ، واستطاعوا بفضل قوة شخصياتهم ، وتمسكهم بعقيدتهم ، أن يبسطوا سلطانهم على أمم كانت ذات سطوة وسلطان ، وأن ينشروا عقائدهم ويعلموا شعوب الأرض مبادئ الحياة الكريمة .

لقد خلقت العقيدة الإسلامية شخصية أولئك المسلمين الأولين ، فكانت هذه الشخصية مبعث تلك القوة التي اندكت أمامها صروح الظلم والظغيان ، وفتحت أمامها أبواب الممالك ، ولا تظن أيها القارئ الكريم أن ذلك ضرب من الخيال ، أو أن ذلك الصنف من المسلمين لم يعد له وجود في زماننا .

إن معركة بور سعيد في عام ١٩٥٦ لتبين بوضوح ما كان لقوة العقيدة من أثر في بعث روح النضال التي تحطم ذلك العدوان الأنيم على صخرتها ، فعندما ذهب الرئيس جمال عبد الناصر إلى الأزهر الشريف في بدء المعركة وصاح في جموع المحتشدين صيحته المدوية : ( سنقاتل ، سنقاتل . ) كان يعلم تفوق الأعداء في العدد والعتاد ، ولكنه كان يعلم كذلك علم اليقين أن الروح المعنوية التي تنبعث من أعماق العقيدة والإيمان بالنصر ،

انتقل الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن محا عبادة الأوثان التي كان العرب يقصدونها ، ويخرون أمامها ساجدين ، زاعمين أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وأن مجودهم لها وإشراكهم إياها في العبادة مع الله إنما كان بإرادة الله ؛ ثم أرسى مكان تلك العقائد الفاسدة ، عقيدة التوحيد الخاص ، والإيمان بأن لهذا الكون إلهًا واحدًا قادرًا على كل شيء ، وأنه قريب من عباده يستجيب لهماتهم إذا ما أخلصوا له العبادة ، دون حاجة إلى وسيط يقربهم إليه . كذلك قد بين للناس أعلى مثل للنظم الاجتماعية ، وتقلهم من دور الفوضى في المعاملات حين كان الحكم لقوة الذراع ، والخضوع لأشبع العادات ، إلى دور التهذيب ومحاسبة الضمير .

وقد كانت غاية المبادئ التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام من لدن رب العالمين ، هي الوصول بالبشرية إلى أسمى غاية ، وللبعد بها عن مظاهر الانحطاط ، وقد رسمت هذه المبادئ الصورة الكاملة للعقيدة الإسلامية ، التي دان بها العرب فأصبحوا أمة موحدة ،

نزلت بهم نازلة ، ومنه كانت تنبعث صيحات إعلان الجهاد ضد كل غزو تقصد به الأمة الإسلامية ، وهناك صاحب الرئيس صيحته المدوية ، وأعلن الجهاد فاستجابت القلوب ، وتجمعت ، وكان للنصر المبين . وهكذا برز أثر العقيدة في شخصية الأمة العربية جمعاء حين التفت شعوبها ، ووقفت صفاً واحداً أُرهب الأعداء المقيرين .

وبعينا في كلتنا هذه أن نوضح مقومات هذه العقيدة التي كانت مصدر القوة في شخصية المسلمين الأولين ، ومن اقتدى بهم إلى يومنا هذا ، ثم بمن سوف يقتدى بهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

إن كلمة « عقيدة » من الألفاظ الكلية ، التي لا يحدد مدلولها إلا بما تضاف إليه . غير أنها من حيث اشتقاقها ، تدل على مفهوم عام لكل ما يعقد المرء عليه هزمه ، ويجعله مناط تصميمه مهما كلفه من من أمر .

وأقرب ما ينحو إليه هذا المدلول العام لهذه الكلمة من سائر المفاهيم التي تستفاد منها إنما هو الوجه الديني .

وسيتناول حديثنا في هذا المقال « العقيدة الإسلامية » على ضوء فهمها عند الرعيل الأول من المسلمين الذين عاصروا نشأتها وتطورها واستكمالها . فيوم أن نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت

والنصديق الكامل بوعد الله في تأييد المؤمنين ونصرهم مهما قل عددهم وعنادهم في قوله تعالى : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » ، والله مع الصابرين » ... كان يعلم أن تلك الروح كفيّة أن تعوض كل نقص في العدد أو العناد .

لم يكن ذهاب الرئيس إلى الأزهر يومذاك ليتمسح بالجدران ، أو ليتبرك بقبر ولي ، وإنما برزت أمامه صورة المجاهدين من أبطال بدر ، وكيف نصرهم الله على قتلهم ، لأنهم على الحق وأيدهم بروح من عنده ، ثم صور أولئك الأبطال من الرعيل الأول ، حين وقفوا أمام حصون كسرى ، ولم ترهبهم الدروع ولا الأفيال ، وحين وقفوا أمام حصون قيصر ولم يرهبهم ارتفاعها ، ولا ضخامتها ، ولا بريق السلاح في يد أضخم الأجناد ، لأن أولئك الأبرار كانوا ينشدون انتشال شعوب قد غمرها الظلم ، وينشرون مبادئ العدالة ، والحرية ، والمساواة ، ويردون للإنسانية اعتبارها الذي اغتالته أيادي الطغاة الظالمين .

تذكر الرئيس كل ذلك ، فأمرع إلى الأزهر باعتباره قبلة المسلمين في مختلف العصور الإسلامية منذ إنشائه كلها حزبهم أمر أو

ورسخت في القلوب « وحدانية الله ، الذي هو وحده المجدير بأن يخشى وأن يعبد وأن يرجى في الملمات .

وثاني الأمرين : هو الإيمان الراسخ بالمسئولية الشخصية : فكل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن أعماله في يوم البعث والنشور .

فلا ينفع الاحتجاج بأن العبد مجبور على ما عمل : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون » . و « كل امرئ بما كسب رهين » . و « كل نفس بما كسبت رهينة » . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها ، وكفى بنا حاسبين » . إلى غير ذلك من الصور العديدة التي أشاعتها آيات الوحي حول تحديد المسئولية للشخصية وتحميل الفرد نتيجة أعماله .

ولا ينفع الاحتجاج بالافتداء بالخير : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، « ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أتمم لكنا مؤمنين . قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : نحن صدوناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، في عصر عرفة من حجة الوداع ، كانت هناك صورة كاملة واضحة في أذهان المسلمين لما أراد الله أن يكون عليه المسلم الحق ، بعد ذلك الصراع العنيف الذي دارت رحاه بين عقائد الجاهليين ، وبين العقيدة الإسلامية . وعندما نبحت عن مقومات تلك العقيدة - كما فهمت في عهدها الأول - نجدتها تلخص في أمرين كبيرين :

أولها : توحيد الإله ، والإيمان بقدرته وعظمته ، وأنه ليس في حاجة إلى شريك أو معين . « لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد » .

لقد ترك ذلك الهدى الهائل الذي أحدثته آيات الوحي ، وما تضمنته من صور تهكية بالآوثان وطاغيها ، وما أبرزته من عجز هذه الآوثان عن كل حركة فضلا عن أنها تقدر على خلق ، أو نفع أو خير ، ثم ما في العكوف عليها اقتداء بالسالفين من دلالة على ضعف الشخصية ، وإمداد للكرامة الإنسانية ، وما أثارته تلك الآيات من حجاج منطقي سليم حول وحدانية الله تعالى ، وأنه وحده القادر على الخلق ... كل ذلك قد عثي على آثار الوثنية ، وأزال فكرة إشراك الأصنام المنحوتة ، الصماء ، العاجزة كل العجز - في العبادة ، أو التقرب إليها ، أو خشيتها ،

كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار، إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا . وأسروا للندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا . هل يحززون إلا ما كانوا يعملون ، . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب، وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا : لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرزوا منا ؟ كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار .

إلى غير ذلك من الآيات التي نشرت ذلك الوعي العظيم بالمسئولية الشخصية ، وأن لا طاعة إلا لله ، وإلا في حدود ما أمر به الله . ثم ما كان من أعمال النبي الكريم ، وأقواله السريمة : فهو دائما متجه إلى الله ، يحرص على أداء ما فرض الله ، ويذكر أصحابه بيوم لقاء الله يوم ( يحشر الناس حفاة عراة غولاً ) . حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ( أو يرى بعضنا سوء بعض ) ؟ فأجاب الرسول الكريم ( يا عائشة : لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه ) .

ولا ينفع الاحتجاج بالانسياق في تيار النفس الأمارة بالسوء ، أو الاندفاع وراء وسوسة الشيطان ؛ فإن باب التوبة مفتوح أمام الخطائين : إنما التوبة على الله للذين

يعملون سوءا بجهالة ثم يتوبون من قريب ؛ فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليا حكيما . . وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . . قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم . وأنبيوا إلى ربكم ، وأسألوا له ، من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون . أن تقول نفس : يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين . أو تقول : لو أن الله هداني ، لكنت من المتقين . أو تقول حين ترى العذاب : لو أن لي كرة فأكون من المحسنين . بل : قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين . . إلى غير ذلك من الصور التي رسمتها الآيات ليوم القيامة ، وما يدور فيه من حوار بين مرتكبي الجرائم ومن أغوهم مثل : « وبرزوا لله جميعا ؛ فقال الضعفاء للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا : لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا : أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص . وقال الشيطان لما قضي الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم . وما كان لي عليكم من سلطان

وشعور كريم بالمساواة بين المسلمين ،  
فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ،  
ولا خضوع أمام ذي جاء من أجل جاهه :  
بل الحق يسيطر على الجميع ؛ لا أحساب ،  
ولا أنساب ؛ فالناس جميعا لآدم ، وآدم  
من تراب .

واستعداد تام للبذل والفسداء في نصرة  
الحق ، ونشر راية مبادئ الإسلام ، فإن نال  
المراء بغيتسه ، وانتصر فالشعور بالرضا  
لما أداه من خدمة نحو رفع الإنسانية ،  
ثم العزة والسيادة وإن هو قتل دون غايته ،  
فإنما هي إحدى الحسينيين : الشهادة ، والجنة ؛  
ورضوان من الله أكبر .

تلك هي معالم الصورة العامة للعقيدة  
الإسلامية كما فهمها المسلمون الأولون ،  
فשמروا عن ساعد الجدل لنشرها ، حتى ذلك  
لهم الصعاب ، ودانت لمبادئهم السامية  
الرقاب : دفأوهنوا لما أصابهم في سبيل  
الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله  
يحب الصابرين .

وبعد : فإن تلك الصورة باقية هي ، هي ،  
إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض  
ومن عليها ، لم يحل لونها ، ولن يلبسها الزمان .  
بل إن كر الأيام يزيد بها وضوحا وقوة .  
ولكن هل المرء أن يسأل نفسه : أين هو  
من هذه الصورة ؟

إلا أن دعوتكم فاستجيتم لي ، فلا تلوموني  
ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم ، وما أنتم  
بمصرخي ؛ إني كفرت بما أشركتمون  
من قبل ؛ إن الظالمين لهم عذاب أليم .

خرج المسلمون بعد ذلك الصراع العنيف  
بين الشرك والإسلام بتلك الصورة الرائعة  
للعقيدة الإسلامية :

إيمان عميق بوجود إله واحد ، كامل  
القدرة ؛ فلا نصب ترتجي ، ولا حاجة  
إلى وساطة بين العبد وربّه . وإنما هو ميزان  
الطاعة ، وامتنال ما أمر به ، والبعد  
عما نهى عنه .

وشعور كامل بالمسئولية للشخصية ، فإذا  
استهوت المرء نفسه إلى فعل شر بعيد عن أعين  
الرقباء ، فسرعان ما يتذكر السكرام الحافظين  
يكتبون ويسجلون كل كبيرة وصغيرة ،  
وسرعان ما تمثل أمامه صورة يوم القيامة ،  
والميزان ، والصراط ، وناطق الجوارح ...  
وإذا بعزمته تقوى ، ثم تقوى ؛ فإن تغلب  
الشیطان مرة ، فسرعان ما يتذكر باب التوبة ،  
فيندم على ما فرط منه ، ثم يندم ويأسف ،  
ويستغفر ، ثم يستغفر . وهكذا خلق هذا  
الشعور بالمسئولية من شخصية المسلم إنسانا  
قد جعل بينه وبين المحرمات حجابا ، وعاش  
بين الخوف والرجاء . فكان الإنسان المهذب  
الذي ينشده المجتمع الراقي .



والصالحين... ثم ما نراه في زماننا هذا من انحياز بعض الملوك والرؤساء من أبناء الأمة الإسلامية إلى جانب أعداء الإسلام والعروبة، يستجدون رغد العيش من يد من يستغلونهم ويسخرونهم لمآربهم الاستعمارية. كأن لم يسمع هؤلاء السادة ما قد جاء في كتاب الله عن أمثالهم إن كانوا حقاً من المؤمنين: «يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض». ومن يتولم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة. فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين».

نعم !! لنسأل أنفسنا أولاً، ثم لنسأل التاريخ بعد ذلك، ثم نحكم على مدى ما للقرب أو البعد من هذه الصورة من أثر في شخصية الفرد، وما يترتب على ذلك من شخصية الأمة.

وفقنا الله جميعاً إلى السداد، وهذا ما صراطه المستقيم ؟

دكتور سعد الدين الجبزاوي

لنسأل التاريخ في مختلف العصور الإسلامية من أمثال أبطال بدر وفتح مكة لإبان حياة الرسول الأمين؛ وعن أبطال الفتوح الإسلامية في العراق والفرس والشام وشمال إفريقيا، زمان الخلفاء الراشدين ثم بنى أمية. ثم عن الأبطال الذين تصدوا بعد ذلك لرد عدوان الروم وغيرهم طوال العصر العباسي، ثم عن صلاح الدين الأيوبي، وحطين، وأخيراً عن أبطاله بوسعيد في عام ١٩٥٦. وغير أولئك من أبطال القتال في سبيل الدفاع عن العقيدة ونشر الحق.

ثم لنسأل التاريخ أيضاً عن لون آخر من أبطال المبادئ من أمثال أحمد بن حنبل، وابن تيمية، والعز بن عبد السلام، ثم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم ممن استمسكوا بعقائدهم ومبادئهم غير مباليين بما كان يصيبهم من مكروه؛ لأنهم قد استمدوا قوة شخصيتهم من تلك العقيدة الإسلامية التي عاشوا بها ولها.

ثم لنسأل في الطرف الآخر عن الوهن الذي كان يصيب الأمة الإسلامية في مثل العصر العثماني حين شاعت عقائد الجبر، والقطبائية، والتغالي في التوسل بالأولياء

## مفردات قرآنية : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

- ٣ -

ولقد روى ابن كثير في تفسيره هذا الحديث : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولي الكرم ليقيم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الخلائق ، » .

وقال مطر الوراق : « كانوا يبيعون ويشترون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة <sup>(١)</sup> . »  
ونلاحظ هنا أن الآية قالت : « تجارة ولا بيع ، مع أن التجارة تشمل البيع والشراء ، ولكنه نص على البيع بخصوصه لأن البيع فيه انتظار الربح بمجرد تمام الصفقة بخلاف الشراء فإنه قد يكون لغير الربح ، ولو أريد منه الربح فإن الربح فيه غير عاجل ويقول الزحشرى في تفسير الآية :  
« فإما أن يريد : لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ، ثم خص البيع لأنه في الإلهاء

من الملاح الظاهرة في حديث القرآن الكريم عن التجارة الخوض على ذكر الله في أثناء الاشتغال بالتجارة ، حتى يكون هذا الذكر عاصما من الزلل فيها ، ومذكرا بإقامتها على أساس الصدق والفضيلة ؛ وقد جاء في سورة النور قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، » .

وقد جاء في تفسير الرازي أن هؤلاء الرجال تجار وباعة ، ومع ذلك لا تشغلهم التجارة عن ربهم ، وقال الحسن : « أما والله إن كانوا ليتجروا ، ولكن إذا جاءت فرائض الله لم يلهيهم عنها شيء . فقاموا بالصلاة والزكاة ، » . ونظر سالم بن عبد الله إلى قوم من أهل السوق تركوا متاجرهم وذهبوا إلى الصلاة فقال : « هم الذين قال الله تعالى فيهم : لا تلهيهم تجارة ، » وعن ابن مسعود مثله <sup>(٢)</sup> .

(١) تفسير الرازي ، ج ٦ ص ٢٧٧ . وانظر تفسير الطبري ، ج ١٨ ص ١٤٦ طبعة الحلبي .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩٦ .

بالمِرصاد، فيوفيه حساب أعماله التي عملها في الدنيا، ويجازيه عليها جزاءه الذي يستحقه (١).

ونفهم من روح الهدى القرآني في هذا المقام أن للتاجر عليه أن يستحضر ذكر ربه وهو يباشر تجارته في سوقه، لأن السوق حماتها المعاملات المالية، وهذه ألصق بالدنيا وأدعى إلى الانفعال بها، فإذا لم يستحضر التاجر ذكر ربه وسوس إليه الشيطان بكثير مما يمحى الدين أو يذهب بالمروءة، ولذلك روى أن الرسول قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة». وإنما تتحقق ثمرة هذا الدعاء إذا أثر في قائله تأثيراً عملياً فهداه إلى الخير، وصدده عن الشر، وحال بينه وبين مالا يرضاه الله جل جلاله، وأقام تجارته على الحق والصدق والأمانة والتقوى. ومن كلام الحسن: «ذاكر الله في السوق يحيي». يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعدد أهلها.

وفي ضوء الهدى القرآني للتاجر تعارف الفقهاء وللعلماء على طائفة من الآداب التي

أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة، وهي طلبته السكينة من صناعته ألغته مالا يلبيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني، لأن هذا يقين، وذلك مظنون؛ وإما أن يسمى الشراء تجارة إطلافاً لاسم الجنس على النوع، كما تقول: رزق فلان تجارة رابحة، إذا اتجه له ببيع صالح أو شراء (١).

والقرآن الكريم في سورة النور بعد أن ذكر الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أبان ثوابهم العظيم بقوله: «ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب». ثم عقب على هذا بعرض الصورة المقابلة، وهي صورة الخاسرين في تجارتهم، فقال: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب».

والمعنى أن الظمآن يأتي نحو السراب ملتصاً ماء يستفيث به من عطشه فلا يجد شيئاً، وكذلك الكافرون، يحسبون أن أعمالهم الضالة تنجيهم من عذاب الله، حتى إذا هلكوا وصاروا إلى الله لم يجدوا أعمالهم نافعة لهم شيئاً، وهناك يجحد الكافر ربه

(١) انظر تفسير ابن جرير، ج ١٨ ص ١٤٨.

(١) تفسير الكشاف، ج ٣ ص ٢٨.

ولقد قال بعض السابقين : ( أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول : من ترون لي أن أحامل من الناس ؟ فيقال له : حامل من شئت ، ثم أتى زمان آخر كانوا يقولون : حامل من شئت إلا فلانا وفلانا ، ثم أتى زمان آخر فكان يقال : لا تعامل إلا فلانا وفلانا ، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا ) ١ .

ويعلق الغزالي على هذا الكلام بقوله : ( وكأنه قد كان الذي يحذر أن يكون ، إنا لله وإنا إليه راجعون ) ١١

وإذا كان الغزالي قد قال هذا — وهو قد مات سنة خمس وخمسة — فماذا يقول الذين أتوا بعده ممن أدركوا عهد الظلابة والمظالم ؟ ما أحوجنا هنا أن نتذكر على الدوام ذلك التعريض النبوي البليغ الموجع الذي يقول فيما يرويه البخاري والنسائي : ( يأتي على الإنسان زمان لا يبالي بمأخذ المال : أمن حلال أم من حرام ) ١ .

ومن الواضح وضوح الشمس أن القرآن يجمعه بين التجارة وذكر الله ، وبمحة على تجنب التلهي بالتجارة مهما كانت مغرية عن أداء واجبات الله عز وجل ، يريد ألا يجعل التجارة عملية مادية دنيوية خالصة ، بل يريد أن يعمرها بالعنصر الأخلاقي والوابع الديني ، حتى لا تكون مجال ظلم

يفنى للتاجر أن يحرص عليها ، ومن هذه الآداب أن يقصد بالتجارة إضفاف النفس والأهل والاستغناء عن الحاجة ومعاونة الغير وبذلك يكون ساعيا في سبيل الله ، وأن يفضل الاتجار في السلعة الهامة التي يحتاج إليها الناس ، حتى ييسر لهم أسباب الحياة ، والرسول يقول : « الجالب مرزوق » ، ويقول الغزالي في حق التاجر : « فليفتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامه بها كافيا عن المسلمين مهما في الدين » (٢) .

ومن آداب التجارة في الإسلام ألا يستغل التاجر فرص الاضطراب عند الناس ، فيتحكم فيهم أو يستبد بهم أو يشتط معهم ، وقد قال الإمام علي محذرا من ذلك : « سيأتي على الناس زمان عضوض ، بعض الظالم على مافي يديه ولم يؤمر بذلك ، قال تعالى : « ولا تنسوا الفضل بينكم ، ويباع المضطرون وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر » .

ومن آدابها المياسرة والسهولة والسباحة ، والحديث يقول : ( رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء ، ويقول : ( اسبح يسمع لك ) .

ومن آدابها الأمانة ، وهذه صفة غالية نادرة ، يتلصها الغيور على سعادة المجتمع ،

والميامرة في البيع والشراء ، فليس معنى هذا أن يقف الإنسان نفسه موقف المغبون في الاتجار ، بل له أن يحقق ويدقق ، وكما لا يحب أن تظلم غيرك ، ينبغي ألا تقبل أن يظلمك غيرك .

ولقد وصف بعضهم مهارة عمر بن الخطاب في أمور البيع والشراء فقال : « كان أكرم من أن يخدع ، وكان أعدل من أن يخدع ، وكان الحسن والحسين وغيرهما من السلف الصالح يدققون في الشراء ، ولا يرضون أن يغبنهم أحد فيه ، ولو كان موطن الغبن قليلا ، وكانوا مع ذلك يعطون الجزيل طواعية واختيارا .

وقيل لبعض السلف : تستقصي في شرائك على اليسير ، ثم تهب الكثير ولا تبالي ؟ فقال : « إن الواهب يعطى فضله ، وإن المغبون يغبن عقله ، ا .

وعلى التاجر أن يتجنب معاملة الظلة والآثمين والمرايين والخونة . يقول الغزالي : « الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله ، فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله ، وكذلك الأجناد الظلة لا يعاملهم البتة ، ولا يعامل أصحابهم وأهوانهم ، لأنه معين بذلك على الظلم ، .

ولا يكتفي حجة الإسلام في هذا الباب بأن يتجنب التاجر ما هو واضح الإثم أو ظاهر

أو خيانة أو تعسير أو سوء استغلال ، وإذا كانت القاعدة الإسلامية تقول : « الدين المعاملة » ، فمعنى ذلك أن المعاملة يجب أن تكون مهتدية بهدى الدين الداعي إلى الأمانة والسهولة واليسر ، والمحرض على الورع وتجنب الآثام والشبهات ؛ ولقد قال عمر لرجل في قضية : ائتني بمن يعرفك . فأماه برجل فائتي عليه خيرا . فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا . فقال عمر كست رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق ؟ فقال : لا . قال : فعاملته بالدينار والدرهم الذي يستبين به ورع الرجل ؟ فقال : لا . قال عمر : أظنك رأيته قائما في المسجد يهيمهم بالقرآن ، يخفض رأسه مرة ويرفعه أخرى ؟ قال نعم . قال عمر اذهب فلسك تعرفه . ثم قال للرجل صاحب القضية : اذهب فائتي بمن يعرفك . وقال بعض الأولين : « إذا أتني على الرجل جيرانه في الحضر ، وأصحابه في السفر ، ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه ، . وقال أحد الشعراء :

لا يفرنك من المرء قيص رقعته  
أو إزار فوق كعب الساق منه رقعته  
أوجبين لاح فيه أثر قد أطلعه  
ولدى الدرهم فانظر غيه أو ورعه  
وإذا كان الهدى الإسلامي يدعو إلى السهولة

الإحسان ، ثم فوقة التزام وظائف الدين والاعتصام بروحه ونوره ، فمن اقتصر على العدل في معاملته كان من الصالحين ، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين ؛ وإن راعى مع ذلك وظائف الدين كان من الصديقين <sup>(١)</sup> وما يبين عن العنصر الأخلاقي أو الوازع الديني الذي يجب أن يتوافر باسم الإسلام في التجارة أن يقرر الفقهاء أنه يلزم للدشتغل بالتجارة العلم بأحكام الإسلام في المسائل التي يتعرض لها في التجارة كالبيع والربا والإجارة والسلم والقراض والشركة ، وفي هذا يقول الغزالي عن التاجر : « اهتم أن تحصل علم الباب - باب علم الكسب - واجب على كل مسلم مكتسب ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب المحتاج إليه والمكتسب - بطريق البيع والشراء - يحتاج إلى علم الكسب ، ومهما حصل علم هذا الباب وقف على مفسدات المعاملة فينتقمها ، وما شذ عنه من الفروع المشكلة فيقف على سبب إشكالها ، فيتوقف فيها إلى أن يسأل ؛ فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد بعلم جلي ، فلا يدرى متى يجب عليه التوقف والسؤال ، وله قال : لا أقدم العلم ، ولكنني أصبو إلى أن تقع لي الواقعة ، فعندها أتعلم وأستفتي ؛ فيقال له : وبم تعلم وقوع

الظلم ، بل يطالب بالابتعاد عن مواطن الشبهات والأمور التي تتضمن الريبة أو احتمال الإثم والانحراف ، فراه حينئذ يعدد الأمور التي تم بمراعاتها « شفقة التاجر على دينه » يقول في الأمر السادس منها : السادس ألا يقتصر على اجتناب الحرام ، بل يتقى مواقع الشبهات ومظان الريب ، ولا ينظر إلى الفتاوى ، بل يستفتي قلبه ، فإذا وجد فيه حزاة اجتنبه ، وإذا حمل إليه سلعة رآه أمرها سأل عنها حتى يعرف وإلا أكل الشبهة وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن ، فقال : من أين لكم هذا ؟ فقالوا : من الشاة ؛ فقال : ومن أين لكم هذه الشاة ؟ فقليل : من موضع كذا فشرب منه ، ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا ألا نأكل إلا طيبا ، ولا نعمل إلا صالحا <sup>(٢)</sup> ، وقال : إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المسلمين ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الشيء وأصل أصله ، ولم يزد ، لأن ما وراء ذلك يتعذر » <sup>(٣)</sup> .

ولا ينسى حجة الإسلام في خاتمة المطاف أن ينصر على أن المقام هنا ذو درجات بعضها فوق بعض ، وأولها العدل ، ثم فوقها

(١) ذكر الإمام العراقي أن هذا الحديث من حديث أم عبد الله أخت هداد بن أوس بسند ضعيف

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٩ .

الواقعة إذا لم تعلم بحمل مفسدات العقود ؟ فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ، لتمييز له المباح عن المحظور ، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ؛ ولذلك روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالدرّة ، ويقول : لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، (١) .

ولا شك أن الغرض الأول والآخر من الوقوف على أحكام الدين في العقود والمعاملات هو أن تخضع هذه العقود والمعاملات لتلك الأحكام ، فتلتزم بحدودها ، وتتقيد بقيودها ، وجوه هذه الأحكام قائم على تصفية المعاملات من كل ما يشوبها بشائبة

والإذ كان القرآن قد قال عقب هذا في وصف عباد الرحمن المتاجرين : « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » ، فمعنى هذا أنهم يراقبون ربهم في كل كبيرة وصغيرة من معاملاتهم ، وليس وراء ذلك تأكيد للعنصر الأخلاقي والوازع الديني في مجال التجارة كما يرسم حدودها القرآن الكريم .

أحمد الشرباصي

(١) المرجع ، السابق ٥٩ .

من الشعر الجيد لدريد بن الصمة قوله :

أمرتهم أمرى بمنعرج السوى  
فلما عصوني كنت منهم وقد رأى  
وهل أنا إلا منى غرية إن غوت  
فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد  
غوايتهم وأننى غير مهتدى  
غويت وإن ترشد غرية أرشد

# الإسلام في بورما

## للأستاذ عطيّة صقر

وأساس السعادة عنده هي المحافظة على نوااميسه وأهمها عدم القتل ، وعدم الونا ، وعدم الكذب ، وعدم تناول المسكرات الشديدة وأساس الآداب هو تجنب كل شر ، وعمل كل خير ، ورياضة الفكر تكون بالتأمل في براهما خالق الكون ، ويبيع الدين البوذي تعدد الزوجات بدون حد ، وإن كان أغلب البوذيين يقتصرون على زوجة واحدة ، والزواج سهل الإجراءات ، وإذا حدث شقاق يفرق الزوجان ، غير أن هذا الافتراق لا يمد طلاقاً إلا إذا مرت عليه ثلاث سنوات دون أن يحدث بينهما مخاطب حتى بالرسائل ، ومع ذلك فالطلاق نادر جداً ، لأن معظم حالات الزواج ناجحة .

ومن العادات الشائعة في بورما والتي هي ظل للدين البوذي كثرة الأعياد ، ومن أهمها .  
١ — عيد رأس السنة البوذية ، وهو يحل عادة في شهر أبريل ويستمر أربعة أيام ، يرقص فيها الشعب في الشوارع ، ويرشون المياه المعطرة بعضهم على بعض .

٢ — عيد بوذا ، ويبدأ في منتصف شهر يونيه وينتهي في أكتوبر ، ومظاهره عظيمة

في الجنوب الشرقي لنارة آسيا . وفي الجزء الذي كان يسمى قديماً بالهند الصينية تقع جمهورية بورما Burma التي تحدها لا بالهين والتبت ، وشرقا بسلام وبعض الممالك ، وجنوباً بخليج البنغال ، وغرباً بباكستان ، وتبلغ مساحتها ٧٨٩ ر ٢٦١ ميلاً مربعاً ، يسكنها حوالي عشرين مليوناً ٧٠ ٪ منهم برميون انحدروا من قبائل المغول ، التي هاجرت إليها منذ زمن بعيد من غرب الصين والتبت ، كما هاجر إليها كثير من الهنود والصينيين ، ويعيش فيها حوالي عشرة آلاف أوربي .

والدين الرسمي في هذه الجمهورية هو البوذية ويتبعه نحو ٨٥ ٪ من السكان .

وهذا الدين منسوب إلى مؤسسه ( بوذا ) الذي ولد بشمال الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، وقد نشأ في بيت ملك ولكنه هرب من حياة الترف وآثر الخلوة والزهد والتنسك على مبادئ الدين البرهمي ، الذي عمل على تهذيبه ، واجتهد في نشره حتى توفي حوالي ٤٨٨ قبل الميلاد ، وهذا الدين يقول بخلود الأرواح والتناسخ ، والجواز بعد الموت ،



مدينتي « مندلاي » ، و « أكيا » ، ٧٠٪ من المسلمين برميون يتبعون عادات السكان الأصليين في ملابسهم ومساكنهم ولغتهم البرومية وهي لغة سهلة يقول الخبراء إنه يمكن تعلمها في مدة قصيرة لقلة حروفها . ومن المسلمين أيضا جاليات هندية وأخرى صينية . وهم على العموم يقسمون أنفسهم إلى أربع مجموعات حسب أصولهم ومنهم التي يزاوولونها في بورما ، وهذه المجموعات هي :

١ - Souraties وهم المهاجرون من Surat بالهند . وهؤلاء هم ملاك الأراضي وأصحاب المصانع وتجار الجلة في بورما .

٢ - Memans ، وهم المهاجرون من Mathiawar ، وهؤلاء يشتغلون بالاستيراد والتصدير .

٣ - Cholyas . وهم المهاجرون من Madras . وهؤلاء نشاط كبير في تجارة التجزئة .

٤ - Zair Badi وهؤلاء هم الذين استوطنوا بورما ، واعتبروا أنفسهم كأهلها الأصليين . وتلعب العنصرية بين هذه المجموعات دوراً كبيراً فالهنود في جانب ، والبرميون المسلمون في جانب آخر يشعر بصلة أشد نحو البرميون البوذيين ، وليس لهؤلاء الآخرين من النفوذ والسلطان ولأمن التعليم مالهينود الذين نجحوا نجاحاً كبيراً في الميادين الاقتصادية والسياسية

خصوصاً في المعبد الأثري الضخم الذي شيد في ( رانجون ) عاصمة البلاد ، منذ أني سنة ، ويبلغ ارتفاعه ٩٦ متراً ، تغطيه قشرة سميكه من الذهب .

٣ - عيد الصواريج ، ومن تقاليد أنه يقبع الأهالي في بلادهم ، لا يغادرونها لمدة ثلاثة أشهر .

وإلى جانب الدين البوذي توجد الوثنية التي تقوم على عبادة الآباء والأجداد، ويتبعها نحو ٥٠٪ من السكان ، كما توجد الهندوسية ، التي يدين بها نحو ٥٠٪ أيضاً ، وهي أشبه بالمذهب الفلسفي ، حيث لا يوجد لها نبي معين ولا كتاب مقدس ، ومن مبادئها القول بخلود الروح وحرية الفرد في اختيار سيده في الحياة .

أما الإسلام فيدين به ٥٠٪ من السكان أي حوالي مليون نسمة . وقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد كما دخل « تايلاند » ، والممالك المجاورة عن طريق الدول الإسلامية المحيطة بالمنطقة وأخصها الهند . وقد انتشر الإسلام في أيام الحكم المغولي الذي سيطر على الهند من سنة ١٥٢٦ - ١٨٥٧ م .

ولمست هناك إحصاءات دقيقة تبين نسبة توزيع المسلمين في البلاد ، ويوجد نحو ١٥٠ ألف مسلم في « رانجون » ، العاصمة ، التي يسكنها نصف مليون نسمة . كما يوجد كثير منهم في

لجميع الطوائف يسمى: Religious Affairs Council وهو تحت إشراف وزير العدل بحكم منصبه. وفي المسلمين عدد لا بأس به ارتقى مناصب عليا في الدولة، كما سذكه بعد. والتعليم العام في الدولة مجاني ومختلط في جميع المراحل، وبها جامعتان إحداها في رانجون، والأخرى في «منداى»، وتضم الجامعتان كل أنواع الكليات المعروفة. غير أن التعليم الديني غير موجود في مدارس الحكومة، ولهذا اضطر المسلمون إلى إنشاء مدارس لتعليم الدين الإسلامى، غير أن أكثرها يشبه «الكاتيك» وهى ملحقة بالمساجد، ويوجد نحو ٥٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية، ومدرسة خاصة للبنات.

وقد أنشئت مدرسة «دار العلوم» سنة ١٩٣٦، وكان بها نحو ٥٠٠ تلميذ سنة ١٩٥٨، نصفهم داخلى، وهم يحفظون بعض القرآن دون أن يفهموا معناه، وتعتبر هذه المدرسة مرحلة دراسية إسلامية عالية، وهى تقوم فى ضواحي رانجون، ويرأس مجلس إدارتها المفتى الأعظم للمسلمين، ولها مدير أو شيخ كما يلقبونه، ويلتحق البنات بهذه المدرسة، ولكنهن يغادرنها عندما يبلغن سن التاسعة، ويدرس بها القرآن وتفسيره والحديث والأدب وأصول الفقه، والمنطق والهندسة واللغات الأوردية والانجليزية.

والاجتماعية. ومن أهم أسباب النزاع بين المسلمين والبوذيين ذبح الحيوان، فهو محرم عند البوذيين، ويشهد هذا النزاع بنوع خاص في المواسم والأعياد حيث يكسر ذبح الحيوان. وفي الهنود طبقة مثقفة راقية، فهم الأطباء والمحامون وأعضاء البرلمان والأحزاب المختلفة، ومنهم أساتذة في جامعة رانجون، في الطبيعة والكيمياء، وفي الرياضة وعلم النفس، ورئيسة قسم الأتروفلوجى في هذه الجامعة سيدة مسلمة، وهناك مجموعة كبيرة من الطلبة المسلمين والمسلمات، وعدد كبير من خريجي الجامعة من النساء يشتغلن بالطب وغيره.

وغير الهنود مستوأم المادى كالبوذيين تماما. يقل عن الهنود بكثير، وأهم أعمالهم الزراعة والحرف البسيطة، وإن كان منهم عدد من أعضاء البرلمان.

والحكومة متساهلة مع المسلمين، ولهذا يؤثرون ألا يكونوا حزبا سياسيا خاصا، حتى لا يعتبروا منفصلين عن الغالبية. وهم يعاملون بالقانون الإسلامى فى الأحوال الشخصية، وهناك حالات من تعدد الزوجات ولكنها قليلة، كما أن الطلاق نادر أيضا ندرته بين البوذيين. والمرأة المسلمة على العموم تنال حظا وافيا من التعليم. وفي الحكومة قسم خاص برعى الشؤون الدينية

في د رانجون ، ٣٦٥ مسجدا كما يوجد  
في د أكيا ، ٥٠ مسجدا ، ومن أشهر  
الجمعيات هناك :

١ - الجمعية الإسلامية ، ويرأسها  
السيد / محمد رشيد ، وكان وزيرا للتجارة ،  
والجمعية تشرف على ترجمة القرآن بمعاونة  
الحكومة ، كما تشرف على ملجأ للأيتام يضم  
نحو ٦٠ تلميذا ، نصفهم من مدرسة بورما  
الإسلامية العليا .

٢ - جمعية الطلبة المسلمين ، ولها مجلة  
سنوية ، وأهدافها ثقافية محضة وتلقى  
محاضرات أسبوعية .

٣ - جهة العلماء وهدفها ، نشر الدعوة  
الإسلامية بين المسلمين .

وهناك مستشفى إسلامي في د رانجون ،  
ساعدت الحكومة المصرية في بنائه .

ومن أبرز الشخصيات الإسلامية :

١ - السيد / محمد رشيد ، رئيس الجمعية  
الإسلامية ، وعضو جهة العلماء ، وثقافته  
قانونية .

٢ - السيد / موسى ماذا ، وهو من سراق  
المسلمين ويحرص على النهوض بالتعليم .

٣ - السيد / مولانا هاشم ، سكرتير  
الجمعية الإسلامية ، وهو من التقدميين ،  
ويشرف على ترجمة القرآن ، كما يشارك في  
جميع المؤسسات الإسلامية .

وقد اتجه المسلمون أخيراً إلى إعادة فتح  
الكتائب التي أغلق أكثرها لقلة مواردها  
المالية وضعف مستوى القائمين على التعليم  
فيها ، كما اتجهوا إلى إنشاء مدارس إسلامية  
تدرس البرامج التي تضعها الدولة لمدارسها ،  
ثم تدرس الدين في غير أوقات الدراسة  
العادية . ومن هذه المدارس مدرسة خاصة  
للبنات ، كما توجد مدرسة في د أكيا ، تسمى  
« تكيل العلوم » ومدرسة في د بوتهي دنج ،  
يؤمها الطلبة من أقصى البلاد ، ومدرسة  
« إشاعت إسلام » في د نول ، وعلى العموم  
مستوى التعليم الديني ضعيف جدا .

وجميع المسلمين في بورما من أهل السنة ،  
ويتبعون على مذهب الإمام أبي حنيفة  
بما يقوى الصلة بينهم وبين الهند ، التي تصدر  
لهم ثقافتهم خصوصا من المنطقة الجنوبية .  
وهم شارهون في ترجمة القرآن إلى اللغة  
البرمية . والمسلمون فريقان : رجعيون  
وتقدميون ، ويتزعم الأولين من تعلوا  
في جنوب الهند في د شيرانفور ، وهم  
مقشدون في المظاهر ، يعارضون التجديد  
كأكل بالملاقى وعلى الموائد ، وكاستعمال  
مكبرات الصوت في المساجد ، والآخرين  
يثنون روح التقدم بين الشباب عن طريق  
الثقافة والمعارضة بين الفريقين شديدة .

في بورما مساجد كثيرة يوجد منها

ووفدت أول بعثة من طلاب بورما إلى الأزهر سنة ١٩٥٦، وكانت مكونة من طالبيها تخرجاً من مدرسة دار العلوم التي أشرنا إليها ويبلغ عدد الطلاب اليوم في الأزهر ٦ ، يتقاضى كل منهم ٨ جنيهات شهرياً إلى جانب الرعاية الطبية والثقافية والاجتماعية .

هذه لمحة يسيرة عن المسلمين في بورما أرجو أن تلقى بعض الضوء على إخواننا في هذه المنطقة التي تفصلنا عنها المسافات الطويلة ، لتزيد صلتنا بهم عن طريق الرباط الروحي إلى جانب الرباط السياسي ، والأمل كبير في الأزهر بعد تطوره أن يزيد من عنايته بالمسلمين في هذه المناطق التي تتجاذبها التيارات السياسية والفكرية ، والتي نشطت فيها الدعاية الصهيونية لتشويه سمعة البلاد والمسلمين بالمقدمات الإسلامية بخاصة ، والله هو الموفق والمعين ؟

عطية صفر

٤ - السيد / يونس ، رئيس الفرقة التجارية الإسلامية في بورما .

٥ - السيد / لطيف ، وزير الشؤون الشرعية في رانجون ، وقد زار مصر .

٦ - شيخ الإسلام توان سونسام ، وقد اشترك في مؤتمر الدراسات الإسلامية في لاهور سنة ١٩٥٧ بكلمة عن الاجتهاد .

٧ - الشيخ عيد الله رشيد ، وكان خطيباً لمسجد رانجون سنة ١٩٣٧ ، وقد أرسل طلباً إلى الأزهر لإيفاد بعثة تزور بورما ، على غرار البعثة التي زارت الهند .

٨ - الأستاذ عبد المعين ، وله نشاط في نشر الدعوة الإسلامية ، وترجم بعض كتب الشيخ أشرف على النهاوى إلى اللغة البرموية . وجمهوريةنا على صلة طيبة ببورما ، وقد أرسل الأزهر اثنين من علمائه إلى الملايو وقد زارا هذه البلاد وتفقدوا الشؤون الدينية والعلمية فيها .

من شعر ابن يسير الرياشي الذي سار له في العرب والعجم قوله :

لو لا البنية لم أجزع من العدم	ولم أجب في القبالى خندس الظلم
وزادنى رغبة في العيش معرقه	ذل اليتيمة يحفوها ذرو الرحم
أخشى فظاظة هم أو جفاء أخ	وكنت أخشى عليها من أذى الكلم
إذا تذكرت بقى حين تندبنى	جرت لمعبرة بقى عبرتى بهم

# دراسات في علم المعنى

## « التيمانيك »

### للدكتور كمال بشر

(تتمة ما نشر)

- يتحدد الإطار العام الذي رسمه فيرث  
لبحث اللغوي بمجموعة من الخطوط العريضة  
التي يهمنها منها في هذا المقام ما يلي :
- ١ - اللغة ظاهرة اجتماعية ، شأنها في ذلك  
شأن العادات والتقاليد ، وهي منه صنع  
الإنسان وابتكاره ، ومن ثم فهي لصيقة به  
وقريبة إليه ، بل هي جزء من معناه الذي  
لا ندرك حقيقته إلا بها . فأنت عربي ،  
لا بالدم والجنس ، وإنما بمجموعة من  
الخصائص والمميزات ، منها أنك تتكلم  
اللغة العربية .
- ٢ - اللغة بهذا المعنى هي نتاج الإنسان  
ومحصوله اللفظي في المجتمع المعين ، ولكنها  
نتاج عقله وجسمه معاً ، وليست نتاج عقله  
فقط كما يظن البعض ، إن كل جزء فيك له  
دوره المعين ووظيفته الخاصة في إصدار هذه  
الأصوات التي نسميها لغة ، والتي ندركها  
- أول ما ندرك - عن طريق الفم وغيره من  
الأعضاء التي سميت تجاوزاً أعضاء النطق .
- ٣ - هذا الإنسان في نظرنا وحدة متكاملة  
العناصر والجوانب ، إن تكوينه من عنصري  
المادة والروح أو الجسم والعقل لا يعني
- التفريق أو الفصل بين هذين العنصرين ،  
بحيث يجوز النظر إلى كل منهما منفصلاً عن  
صاحبه ، إن صبح هذا التفريق أو الفصل في  
بعض العلوم فإنه لا يصح في الدراسات اللغوية  
بمحال من الأحوال ، ألم نقرر من قبل أن  
اللغة نتاج عقل الإنسان وجسمه معاً ؟ إذا  
ثبت هذا ، فأني لنا أن نفرق بين عناصر  
صاحب اللغة وهو الإنسان ؟ .
- ٤ - يلزم من كل ما تقدم أن الأحداث  
اللغوية - كلمات كانت أو عبارات أو جملا -  
هي الأخرى وحدات متكاملة الأجزاء ،  
ومن ثم لا يجوز لنا أن نفصل عنصريها  
الصوتي أو اللفظي من عنصري المعنى والمضمون  
فيها ، وعلى هذا ليس لنا أن نخصص فروعا  
معينة من علم اللغة لدراسة الجانب الأول ،  
وفروعا أخرى للنظر في الجانب الثاني ، كما  
فعل بعض الدارسين من اللغويين .
- ٥ - « الإنسان ، جزء من بيئته التي يعيش  
فيها ، وهو يمثل صحيح لها ؛ إذ تنعكس فيه  
كل خصائصها من عادات وتقاليد ومن هذه  
العادات لغته القومية التي يراعى فيها -  
بطريق الشعور أو اللاشعور - كل النماذج

٦ - ثبوت وحدة العناصر وتكاملها للإنسان ولكل ما يصدر عنه من أصوات لغوية - سواء أسمىها أحداً أم لغة أم كلاماً - يقتضى أن منهج البحث في اللغة هو الآخر ذو وحدة متكاملة الجوانب والمبادئ. ومن ثم قد اشترطنا منذ البداية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - أن يكون طريقنا في الدراسة طريقاً لغوياً محضاً ، لا تشوبه أية شائبة من التفكير المنطقي أو الفلسفي أو النفساني أو غير ذلك من أنواع التفكير التي قد تؤدي إلى الازدواج أو الثنائية في مبادئ هذا المنهج وأساسه .

أما جوانب هذا المنهج المتكامل فتتمثل في مجموعة من الخطوات الرئيسية التي يؤدي بعضها إلى بعض والتي يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً من نوع ما . هذه الخطوات هي ما اصطلاح على تسميتها بفروع علم اللغة . وهذه الفروع في نظرنا هي :

- ١ - علم الأصوات العام phonetics .
- ٢ - علم الأصوات التنظيمي phonology .
- ٣ - علم الصرف morphology .
- ٤ - علم النحو syntax .
- ٥ - المعجم أو الدراسة المعجمية .

lexicography ، أو lexicon

٦ - علم المعنى ( الاجتماعي ) semantics  
وواضح من هذا التقسيم أن علم المعنى ليس لإفراغاً واحداً أو خطوة واحدة من خطوات

والقواعد التي تعارفت عليها هذه البيئة ، والتي أصبحت جزءاً من مقوماتها الاجتماعية ، ومعنى هذا أنه لا فرق من الناحية العملية بين لغة الفرد ولغة الجماعة التي ينتمي إليها ، وإن صح القول بوجود فروق فهمي فروق ثانوية ترجع إلى خصائص الفرد وسمياته الجسمانية والعقلية ، ولكنها لا تمس من قريب أو بعيد جوهر اللغة أو خصائصها الأساسية التي جعلت منها لغة عربية أو إنجليزية أو فرنسية أو أية لغة أخرى ، على حسب ما تكون الحالة المعينة . وهذه الحقيقة تقودنا إلى القول بعدم التفريق بين ما سماه البعض « اللغة » language وما سموه « الكلام » speech ، قاصدين باللغة تلك القواعد والنظم اللغوية المخزونة في ذهن الجماعة المعينة ، وبالكلام تلك الأحداث والأصوات الفعلية الصادرة من المتكلم الفرد . بل إننا - كما سبق أن ذكرنا أكثر من مرة - نشكر هذا التفريق ، لأنه - بالإضافة إلى عدم اعتماده على أسس حقيقية - يتضمن فكرة « الثنائية » ، في الكلام الإنساني ، تلك الثنائية التي تعني أن أحد جانبي هذا الكلام جانب عقلي أو نفساني وأن الجانب الآخر جانب مادي أو ميكانيكي . إننا ننظر إلى الكلام الإنساني على أنه وحدة متكاملة العناصر ، وليس من الجائز لنا أن نفصل هذه العناصر بعضها عن بعض في الدراسات اللغوية .

للحدث اللغوى ، وهو بهذا الكشف يكون قد بين فى الوقت نفسه جزءا من المعنى اللغوى العام لهذا الحدث ، ثم يأتى من بعده علم الصرف فيبنى دراسته على نتائج سابقة ، ويضيف إليها حقائق جديدة تقرب الشقة بينه وبين العلم الذى يليه ، وهكذا يقوم كل علم بدوره المعين فى هذا الشأن حتى نصل إلى علم المعنى أو السيماتيك الذى تكون وظيفته حيفتذ البحث فى الجزء الباقى من المعنى ، وهذا الجزء - وهو ما نطلق عليه المعنى الاجتماعى - يستخلص ويستفاد من الحدث اللغوى بطريق الاستعمال الحى فى السياقات المختلفة ، ولا بد لنا عند استخلاص هذا المعنى الاجتماعى من مراعاة ظروف الموقف وملابساته ، وما يرتبط بذلك من أحوال المتكلمين والسماعين وهلاقتهم بعضهم ببعض كما ينبغى علينا أن نوجه اهتمامنا إلى ما يتميز به الكلام من صفات صوتية كالتنخيم والنبر ، وإلى ما يصحبه هذا الكلام من إشارات جسمية كتحريك اليدين أو العين أو هز الرأس إلخ . كل هذه الاعتبارات ضرورية وحتمية فى دراسة المعنى على مستوى اجتماعى ، وكلها عوامل ذات أهمية بالغة فى تحديد المعنى المراد بدقة ووضوح فالعبارة الخارجة بإسدى ، مثلا ، حين تؤخذ منعزلة عن سياقها ومقامها قد لا تعنى شيئا أو قد تعنى معانى كثيرة غامضة غير محددة . ولكنها حين تدرس فى سياقها

البحث فى اللغة ، وأن العلاقة بينه وبين غيره من الفروع ليست إلا علاقة الند بالند ، وبهذا ينتفى كونه أصلا لهذا الغير أو تابعاً له على ما يزعم بعض اللغويين . إن هذه الفروع جميعا تتساوى من حيث الأهمية والمسكنة ، وليس أحدها بأولى ولا أهم من الآخر فى الدراسة ، إذ أن لكل منها وظيفته الخاصة ودوره المعين فى البحث اللغوى ، وهذا الترتيب الذى وضعت فيه ليس ترتيب رتبة أو منزلة ، وإنما هو ترتيب روعى فيه التيسير على الباحثين ، حيث إن كل فرع منها يعد خطوة ممهدة لما يأتى بعده من فروع ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفروع - بالرغم من انفراد كل منها بدور معين - تعمل كلها فى سبيل الوصول إلى هدف عام واحد ، ذلك الهدف هو بيان حقائق اللغة المدروسة أو هو - على حد تعبير فيرث - بيان المعنى اللغوى للأحداث الكلامية ، والمعنى اللغوى عنده ليس شيئا مخزونا فى الذهن أو فى العقل أو علاقة بين الشيء وفكرته ، وإنما هو عبارة عن مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية ، وهذه الخصائص والمميزات لا يمكن النظر فيها دفعة واحدة ، ولا يقوى على دراستها علم واحد من علوم اللغة ، وهى هذا كان من الضروري أن تسير الدراسة على مراحل أو خطوات يسلم بعضها إلى البعض الآخر ، فلم الأصوات بنوعيه مثلا يتولى الكشف عن الخصائص والمميزات الصوتية

وفي هذا ما يدل على أن فيرث يرى أن كل فرع من فروع علم اللغة يصبح أن يسمى « علم معنى » بدون أداة التعريف ، وهذا بالطبع يطبق على السيميائيك ، الذي نقلناه إلى العربية باسم : « علم المعنى » ، بذكر الأداة . فذكر أداة التعريف في المصطلح العربي إذن إنما جاء ليقابل المفهوم المشهور من المصطلح الغربي « السيميائيك » ، Semantics عند المدارس الأخرى التي ترى أنه هو العلم الوحيد الذي يدرس المعنى ، أى بالمداول الذي ارتضوه ، ومن ثم رأينا - عند الكلام على رأى فيرث في هذه القضية - أن تمتع المصطلح العربي بالنعمة : « الاجتماعي » ، للتفريق بينه وبين غيره من الفروع . وليبيان دوره المخصص له في دراسة المعنى .

الحقيقة الثالثة : إن دراسة المعنى على مستوى علم المعنى الاجتماعي أو السيميائيك تختلف عن دراسته على مستوى المعجم فالعلاقة بين المعنى الاجتماعي وبين مرحلة المعجم إذن ليست علاقة الترادف ، كما يظن بعض الدارسين ، وليست علاقة العموم والخصوص كما يرى البعض الآخر ، على ما سنبينه بشيء من التفصيل في فرصة أخرى .

دكتور كمال بشمر

مدرس علم اللغة العام  
بكلية دار العلوم

ومقامها قد تعنى مجرد النداء ، أو الإعجاب أو الاشتزاز أو غير ذلك من المعاني المحددة الدقيقة . ولاشك أن دراسة المعنى على مستوى السيميائيك - بهذا المفهوم الذي المعنا إليه - يختلف عن دراسته على مستوى المعجم ، فالمعجم كما هو معروف - إنما يعنى بالمعاني العامة للكلمات ، ولا يهتم عادة بالمعاني الدقيقة والألوان الأخرى التي تستفاد من المواقف الحية . لسنا ننكر أن بعض المعاني التي يسجلها المعجم قد تكون مستخلصة من سياقات معينة ، ولكنها بمرور الزمن وتطور الاستعمال تتحول إلى التعميم والإبهام لا إلى التخصيص والوضوح . من كل ما تقدم تبرز لنا ثلاث حقائق مهمة . أولاها : إن علم المعنى ( الاجتماعي ) أو السيميائيك عند فيرث لا يعدو أن يكون جزءا من كل وله صفات هذا الجزء من حيث التبعية والاستقلال .

الحقيقة الثانية : إن كل علوم اللغة بلا استثناء هدفها الوصول إلى المعنى اللغوي ، ولكن بالمفهوم الذي بيناه فيما تقدم ، وهو أنه مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للكلام المدروس . وكل علم من هذه العلوم يتولى بيان جزء من هذا المعنى ، على حسب وظيفته والدور المخصص له في الدراسات اللغوية . وحصيللة الدراسات التي تقوم بها كل هذه العلوم مجتمعة ، هي المعنى السكلي لموضوع هذه الدراسات



# بين الشريعة والفلسفة

## للأستاذ عباس طه

وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام تهدف كلها إلى هدف واحد ومرمى واحد هو العمل لخير الإنسانية والتواصي بالصبر والمرحمة وتجنب الظلم والمأثمه وبجأفة الضرور في أقل صورها حتى تكبر فتتفاقم ولا تنمو فتعظم .

قالوا للناس أيها الناس عليكم أن تطرحوا الكذب في معاملة بعضكم لبعض وتطفيئ المكايل وبخس الموازين وتقدير السلع الذي ينفي الغبن عنها فينال كل ذي حق حقه ، وتطهير القلوب من أرجاس الغش والملق والرياء والآثرة والعدوان والطمع والافك والبهتان ، والسير بالفضائل قدما إلى المستوى الذي يضفي على الإنسانية المثل الخيرة وينهض بها إلى ما أعد لها من سوؤد ومجد ، بهذا كله وأكثر منه تواصت الرسل والأنبياء ، ثم جاء من يمدحهم القادة والزعماء فساروا على هدى سابقهم وأمعنوا في الدعوة إلى الرفق بروابط المجتمع أن تتفكك أوصاله وتنحل عراه وتنهار قوائمه ، وليشوا آلاف السنين يطالبون أبناء البشرية بالعمل لخير البشرية . لكن ما كان أسرع هؤلاء وأولئك ممن

عما لا مربة فيه أن الشريعة الغراء كانت ولا تزال مصدراً لسعادة البشرية منذ تواضع الناس على أن تكون لهم شرائع ، وما من أمة خلعت من الأمم إلا كانت لها شريعة تربط أفرادها برابط وثيق وتحكم صلة الفرد بالمجموع وصلة المجموع بالفرد ، لتكون ملاك الفضائل كلها إذا تفاعلت فيها المصالح وتناصرت عليها المرافق ، فأحكام الدنيا التي تؤلف روابط المجتمع من بيع وشراء ووصية وهبة وما إلى ذلك من التصرفات التي تنظم المجتمع وتجعله متفاعلاً بعضه مع بعض حتى إذا خرج هذا المجتمع عن الطريق المستقيم كان أخرى به أن يتخلف عن مواكب الطبيعة التي أودعها الله في خلقه منذ القدم .

من أجل ذلك بعثت الرسل والأنبياء فرسموا لأنهم الحدود والمعالم ، وعبدوا للفضائل السامية طرقها حتى بلغوا بها القمة . ثم قالوا للناس هذا حلال وهذا حرام ، هذا واجب الترك وهذا واجب الفعل ، هذا يخطو بالبشرية إلى دنيا فاضلة ويخطو لبني الإنسان سيديلاً إلى السعادة المثل والطريقة التي لا عوج فيها فشريعة آدم البدائية إلى شريعة إبراهيم وموسى

في جيل سابق لا يصلح للعمل به في جيل لاحق كشف أولياء الكلمة هن الدواء فاستأصلوا به الداء .

لكن يبقى بعد ذلك أن كل هذه الحلول لم تغن عن منازعات طاحنة ومشاكسات بعيدة الغور ، وهذا بطبيعته ضرورى البقاء ما فتئت المصالح في تشابك وتفاعل وما ظلت المنافع في طغيان بعضها على بعض .

على أن علماء الفروع وقد استنفدوا الجهد وكدوا قرايحهم في استنباط أمثل الوسائل لخير البشرية لا يزالون في افتقار إلى مزيد من الجهد في سد مرافق الناس وكفائهم . عرف جمهور من الشافعية والحنفية علم الفقه : بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية . وعرفه أكثر الحنفية بأنه معرفة النفس ما لها وما عليها وإن كان هذا الأكثر لا يخالف جمهور الشافعية بأن الحكم في اصطلاح الأصوليين خطاب الله المتعلق بأحوال المسكفين بالاعتناء أو التخيير ، أى بالطلب أو الإباحة . والطلب إما طلب الفعل وهو الأمر أو طلب الترك وهو النهى والأمر إن كان جازما فهو إيجاب ، وإلا فهو ندى ، والنهى إن كان جازما فهو تحريم ، وإلا فهو كراهة . وهذه هى الأحكام الخمسة للتكليفية وهذه هى التى تفرعت عنها نظريات الفقه الإسلامى التى ألفت فيها مئات المجلدات وملأت

ذهوبا فى أحقاب التاريخ الغابر أن تنكروا لهذه المبادئ الصالحة ، بل ما أسرعهم إلى أن أحالوها إلى نفااضها وجعلوا منها مرتعا لقضاء شهواتهم فى سائر أنحائها .

حدث بعد ذلك أن تطورت تلك النظريات لا إلى الخير المطلق بل إلى طور أكثره ضرور وآثام فمدا القوى على الضعيف يسلبه حقه ويغلبه على أمره فى كل ما يصدر عنه ، فالنصرفات الصادرة عن الإنسان من بيع وشراء وهبة ووصية وما إليها عرض لها الانتكاس فانقلبت أوضاعها رأما على عقب ، وتفاعلت هوامل الشر بين أطراف الخصومة والأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان اتسمت بسممة الضراوة والاستشراء ، وابست ثوب التمرد على حياة مثالية تصنع لكل فرد حدوده اللاتفة به حتى لا ينجح إلى حدود شاذة تنساب به فى جو من التهلكة فتھوى به إلى قرار سحيق .

لذلك قامت المحاكم القضائية نائبة عن ولى الأمر فى البلاد الإسلامية ترسم الحدود وتوضح المعالم وتدعو الناس إلى التحول عن الحكم بالسياسة إلى شرعة عادلة وحق مبین . لجأت المحاكم بأوضاعها وقوانينها ولوائحها تحدد الطريق لكل فرد وتبين له سبيل الهدى وتجنبه طريق الردى ، فإذا ما كشفت التطورات فى مستقبل الأزمان أن ما جرى به التعامل

بما يصدر عنه عمل القلوب وعمل الجوارح .  
 فعمل القلوب يشمل علم الكلام وقد سمي  
 لإمام الحرمين علم الكلام بالفقه الأكبر لكن  
 يبقى بعد ذلك أن الوجدانيات والعقائد ليست  
 من الفقه المصطلح عليه بين علماء الفروع ،  
 وهو للعلم بالأحكام المكتسب من أدلتها  
 التفصيلية فقصر الفقه في العبادات والمعاملات  
 على هذه التسمية باعتبارها مظانا للجهتين  
 الذين استنبطوا فروعها من الأصول الأربعة  
 لا يقوم حجة على تلك التسمية إلا إذا أطلق  
 الفقه أيضا على علمي التوحيد والتصوف قال  
 صاحب كتاب (صيد الخاطر) : إذ أطلق الفقه  
 عند العلماء المتقدمين من السلف انصرف  
 إلى الفقه المتعارف عليه عند الفقهاء بشقيه :  
 وهما العبادات والمعاملات وإلى علم التوحيد  
 الذي هو علم العقائد ، وإلى علم التصوف الذي  
 هو علم تهذيب الوجدان ، والظاهر أن المتأخرين  
 من العلماء في العصور المتأخرة أدركوا أن علم  
 الفقه بشقيه هو لإحكام الصلة بين العبد وربّه  
 في عمل الجوارح فلا بد أن يكون لهذا العبد  
 رهبة في قلبه تنأى به عن مسابقة الهوى  
 ومتابعة الشهوات والتردى في الخسايص  
 من المذلات . وإذن فالفقه يشمل العلوم الثلاثة  
 التي هي الفقه بمعناه الاصطلاحي وعلم الكلام  
 وعلم التصوف .

آفاق الدنيا كنظريات خالدة ستظل أبقي من  
 الزمن .

يبقى بعد ذلك موضوع جم الفروع كثير  
 النظريات قد تداوله العلماء بالبحث والتحصيل  
 في قديم الزمن وجديده وهو أن الأصول  
 الأربعة ومنها الكتاب والسنة اعتبرت  
 فاموسا عاما ومورداً عذبا تنهل منه البشرية  
 الصالحة للبقاء فترداد يأذن الله حياة وقوة  
 ونماء وقد رسم الأصول ( الأولان ) وهما  
 الكتاب والسنة شقي الفضائل لهذا الوجود .

وقد اعتبر العلماء النظريات المتفرعة  
 عن دينك الأصول فظريات فقهية مع أنها  
 كما تشملها فهي تشمل تهذيب الوجدانيات  
 والعقائد وإصلاح ما بين المخلوق وخالقه  
 وإحكام الروابط بين الابن وأبيه وذويه  
 وصاحبه وفصيلته التي تؤويه وتوثيق الروابط  
 بين المتعلم ومعلمه وبين العبد وسيدّه وما إلى ذلك  
 من الأشباه والنظائر ومع ذلك فلا تعتبر هذه  
 للقضايا من الفقه .

قال صاحب إحياء العلوم هذا كلام وارد  
 على مصبه ولا يوجد له دفع إلا إذا أريد به  
 أن الفقه في معناه اللغوي : هو عبارة عن فهم  
 الأمر الدقيق سواء كان متعلقا بالبحث  
 عن ذات الإنسان أو بالبحث عن متعلقاته  
 والمراد بمتعلقاته ما يصدر عنه والمراد

# المسلمون السود في أمريكا

للاستاذ عباس محمود العقاد

The Black Muslims in America

( بقية ما نشر في العدد السابق )

مظالمها ما لم تكن هناك حقوق مهددة ومظالم منكرة وانفاق على الشعوب بالخطر والتفهم من الضم ، تخلقه الحاجة إلى التضامن حيث لا غنى عنه ولا مناص منه ؛ لأنه الوسيلة الوحيدة لحفظ البقاء واجتناب الفناء .

وليس أعلم من هذا المؤلف بأحوال الأقليات على اختلافها ، لأنه ينتمى إلى أكثر من ( أقلية ) واحدة بين السود والبيض ، فضلا عن قلة القساوسة السود بين زملائهم البيض ، وقلة هؤلاء القساوسة جميعا على مذهب الكنيسة ( المنهجية ) بين رجال الدين من أتباع الكنائس الكبرى .

والقارىء يدرك من المقارنات الكثيرة بين أحوال الأقليات أن المسلمين السود في موقف خاص مع الأمريكيين السود والبيض على السواء ، وأن هذا الموقف قد يمرضهم للخرج بينهم وبين أنفسهم إذا أرادوا ( تصحيح الوضع ) من الوجهة الاجتماعية التي ترتبط بأحكام القانون و ( ظروف ) السياسة القومية ، ومن حولها السياسة العالمية .

حديث المؤلف عن الأقليات حديث يغلب عليه الصدق والإنصاف ، ومنه حديثه عن المسلمين السود ، وهم أقلية دينية ، بين أقلية قومية ، بين السود المتفصرين أو الوثنيين .

ومؤلف هذا الكتاب — كما علمنا من المقال السابق — هو القس الأمريكى الأسود الدكتور أريك لنكولن ، وهو من أتباع الكنيسة المنهجية Methodist التي تعتبر — هى نفسها — قلة صغيرة بين الكنائس الغربية ، تقوم برسالة مجددة كرسالة الثورة على التقاليد وعلى البدع المستحدثة فى وقت واحد .

وقد جنح بالمؤلف موضعه هذا بين الأقليات المتداخلة إلى الصدق فى تصوير أحوالها وشرح أزمانها وبسط أسباب الشكاية من جانبها ، وهو — فى جملة آرائه وعواطفه — أقرب إلى تسويغ مواقف الأقليات بإزاء الكثرة الغالبة بين الأمم البيضاء ، لأنه يرى أن الأقلية من مبدئها لا توجد ولا قدوم ولا تنسند للدفاع عن حقوقها والتمرد على

فاليهود - مثلاً - قلة في الولايات المتحدة ، لأن عدتهم على أكبر تقدير لا تزيد على خمسة ملايين ، ولكنهم لا يشعرون بالحسرة التي تشعر بها الأقليات الوطنية إذا اضطرتهم النفرة بينهم وبين المسيحيين البيض إلى اجتناب الأندية والمجامع المشتركة ومواضع المزاومة الملحوظة في الحياة العامة ، لأنهم أصحاب ثقافة دينية وتربوية فكرية تجمعهم معاعد الحاجة إليها ويعتصمون بها في عزلتهم المختارة أو عزلتهم الاضطرارية ، وكثير منهم من يختلط بأبناء الأكثرية اختلاطاً تصعب التفرقة فيه ، لأنه اختلاط في المصالح والأعمال .

أما الأمريكي الأسود فليست له عصمة ثقافية يأوى إليها إذا اضطرتة النفرة منه إلى اعتزال المجتمع الأبيض ، لأنه عالة في ثقافته العصرية على أولئك الذين بعزلونه ويدفعونه على الرغم منه إلى الاعتزال ، فهو يتعلم منهم ويدين أحياناً بدينهم ، وملاذه من التفرقة ومن الآداب الاجتماعية يعود به إلى مجتمع بدائي في غير القارة الأمريكية ، وليس له قوام اجتماعي في بلاد هذه القارة .

وهنا تنشأ بين الأقليات حالة خاصة لا تشبه حالة الأقلية اليهودية ولا حالة الأقلية الزنجية ؛ وهي حالة للسود المسلمين .

إن هؤلاء السود المسلمين يعرفون لهم ملاذاً

ثقافياً يعتصمون به إذا نفروا من البيئة الاجتماعية البيضاء أو نفرت منهم هذه البيئة ، لأنهم يجدون في المجتمع الإسلامي ثقافة روحية تعوضهم عن ثقافة الأكثرية الغالبة ، ويعتمدون على هذا المجتمع لإيواء اللاجئين إليه من أبناء جلدتهم الذين يتقبلهم المجتمع ولا يرفضهم كما ترفضهم الكنائس المسيحية ، وقد تبين من المقال السابق أن المجتمع الإسلامي لا يضيق باللاجئين به من نفايات المجتمع الأمريكي الموصومين بوصمات العار والذيلة ؛ لأن هؤلاء اللاجئين لا يلبثون أن يشعروا بالتعاطف الصادق بينهم وبين إخوانهم من سبقوهم إلى الإسلام فلا يطول بهم الأمد أن يقلعوا عن عادات السوء التي وصمتهم في حياتهم الأولى ، ويتوب الأكثرون منهم من رذائل المقامرة والمعاورة ومقارفة الأوزار .

فإذا استطاع المسلم الأسود أن يعتصم بمجتمعه الإسلامي فماذا يكون موقفه في هذه الحالة من المجتمع الأكبر مجتمع الأمة الأمريكية ، أو الدولة الأمريكية ، في أوسع نطاق ؟

لقد كان زعيم الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة يستنهض السود بنخوة القومية والعصية للاستقلال بعقائدهم وعواطفهم عن الأكثرية البيض .

عن عقيدته المسيحية إلى العقيدة الإسلامية ،  
ولكن المشكلة ( الواقعية ) تبدأ حين يتصل  
الأمر بحكم من أحكام القانون تتعارض فيه  
الحقوق وإجراءات القضاء ، وبخاصة مسائل  
الزواج والميراث .

فماذا يكون الحكم في قضية تلجأ فيها زوجة  
من زوجتين إلى المحكمة للطالبة بحصتها في  
الميراث ؟ وماذا يكون الحكم في قضية يتنازع  
الخصوم فيها على المسائل الشرعية التي لاتنص  
عليها قوانين الدول الأوربية أو الأمريكية ؟  
عند الاعتراف بالإسلام مذهبا رسميا من  
مذاهب الدولة يجوز أن تكون لهذه القضايا  
جهات نظر مستقلة يحتمك إليها المختلفون ،  
وهذه هي الوجهة التي يتجه إليها زعماء الدعوة  
الإسلامية ويعتبرونها حقا من حقوق  
المواطن الأمريكي ينبغي أن يعترف به  
الدستور والقانون .

ولا يخفى أن القانون الأمريكي يحرم تعدد  
الزوجات ويحرم المذاهب المسيحية التي اعتمدت  
في إباحة تعدد الزوجات على نصوص العهد  
القديم ، ومنها مذهب المورمون ... ولكن  
المشكلة تزول من ناحيتها القضائية إذا بطل  
الاحتكام فيها إلى محاكم البلاد وتراضى  
الطرفان على حلها بينهما أو على اختيار الحكم  
الذي يفصل فيها ، ولو لم يكن هذا الحكم

فهل تمنى الأقلية الإسلامية على هذه الخطة  
فتمتزل الأمة التي تعيش بينها اعتزال الأعداء  
وترفض الولاء ، القانوني ، للوطن الذي  
تنتمى إليه ؟ .

إن هذه الخطة أخرجت كثيرا من زعماء  
المسلمين السود ومكثت منهم خصومهم  
الدينيين والسياسيين ، فحاربهم باسم القانون  
واستعانوا عليهم بتهمة الخيانة الوطنية ،  
وأوشكوا أن يتذرعوا بهذه التهمة لحرمانهم  
من حقوق المساواة في الانتخاب ووظائف  
الحكومة ، فنهض من هؤلاء الزعماء المسلمين  
أناس يحمون أبناء دينهم من جرائر الاتهام  
بخيانة الوطن ويعتبرون الدعوة إلى الإسلام  
دعوة مفتوحة للبيض والسود على السواء ،  
ولا يرون للدعوة الآن نفعا كبيرا في قصرها  
على استئثاره ( العصبية ) الجنسية واعتبارها  
ثورة على البيض في الدين وفي الوطن وفي  
آداب الاجتماع .

وهؤلاء الزعماء الكفأة يتوسلون بتغيير  
الوجهة على هذا النحو إلى غاية أخرى أصعب  
مراما من الأولى ، وهي الاعتراف بالإسلام  
مذهبا من المذاهب الدينية الرسمية في دستور  
الولايات المتحدة ، وهو مطلب كبير غير  
مطلب الحربة الدينية ، لمن يشاء من السود  
أو البيض أن يدين بالإسلام ، فليس في  
نصوص القوانين ما يمنع أحدا أن يتحول

أن المسلم الأمريكي الأسود يزاحم البعث  
التبشيرية مزاحمة شديدة في القارة الإفريقية  
بعد استقلال شعوبها عن سلطان الدول  
الغربية ، وينتظر أن يكون — في تقدير  
المبشرين قبل غيرهم — أوفر نصيباً من النجاح  
والقبول من إخوانهم للسود في تلك البعث  
التبشيرية ، وأشد ما يكون الاهتمام بهذه  
المسألة في هذه الأيام ، فإننا نفتح الصحف  
التي تعنى بها عندهم فلا نصادف نطلع على صحيفة  
منها تخلو من أخبار ( ترقية ) المبشرين السود  
إلى كراسى الأساقفة ، بل المطارنة ، من  
وجال للكنيستين السكاثوليكية والبروتستنتية  
المقيمين بالديار الإفريقية أو الرحلين إليها  
من ديار العالم الجديد ، ويزداد عدد هؤلاء  
الأساقفة والمطارنة كل يوم في البلاد التي  
يكثُر فيها المسلمون ؟

عباسي محمود العقاد

مفوضاً في وظيفته من جانب الدولة بالنظر  
في هذه الأمور .

وقد عهدنا من مؤلف الكتاب أنه لا  
يكشف عن نية صريحة في مقاومة الدعوة  
الإسلامية . ولكنه صريح كل الصراحة في  
بيان المواقف التي توجب هذه المقاومة أو  
تيسرها لمن يريد .

ويبدو من بين السطور أن تحويل الدعوة  
الإسلامية من حركة مقصورة على السود  
إلى حركة تفتح ذراعيها للسود والبيض من  
الأمريكيين وغير الأمريكيين ، هي موضع  
الاهتمام الكبير في دوائر التبشير ، لأن المبشر  
الإسلامي من الأمريكيين السود يعاون  
الدعوة إلى الإسلام في بلاده كلما اتجهت هذه  
الدعوة إلى أبناء البلاد جميعاً من قبل المسلمين  
الآسيويين والإفريقيين ، وهم اليوم في  
أمريكا طليعة ناجحة قديمتها غداً مدد كبير ،  
وأدعى من ذلك إلى اهتمام دوائر التبشير

# مَحْنَابُ فَرْزِ الشَّجَرِ الْقَيْدِ وَالْحَدِيثِ

## الحسن العارِي

المؤسّس على الجندى

وكانت عارية الصدر والظهر والأطراف ١١  
فكان منظرها يشير الاشتزاز في نفوس الفضلاء ،  
وإن راق الذكورة الجماعة والشهوة الظامئة  
في نفوس الخلقاء والمجان ١١ .

قلتُ : يا حسناء هذا الح  
بات نهياً مستباحاً  
كان قبل اليوم في حص  
يضرع الصب إليه  
وله يعنو الأشم الآن  
فمضى منهم السـ  
وغدا مبتذل العز  
من بالستر قين  
لعيون الناظرين  
من من الصون حصين  
وهو قاس لا يلين  
ف ، والسامى الجبين  
يرة ، بالإفك طعين  
ة ، للذل قرين

\* \* \*

كيف هان الحسن والحس  
رعت فيه عيون  
نهمات تعرب الشـ  
كهيون الوحش إن لا  
ن عزيز لا يهون  
ورعت فيه عيون  
وة عنها ، وتبين  
ح لها صيد سمين

\* \* \*

ما على الحسن إذا حج  
وتوارى خلف ستري  
بكالدر الكسبين  
خلق عف ودين  
مع إلا بالظنون  
بحمال الروح لا يلهـ



# في ظلال الاسلام كل الراجاء

المؤلف: محمد عادل - الجبوري

« العالم اليوم يعيش حياة قلق مضطربة ، ويحيا في صراع دائم ولن يفتيق من هذا القلق وذلك للصراع إلا عند ما ينبثق في روحه شعاع الإسلام الهادي بين سدف المسادة إلى روحانية النور .. »

ورفرات الضياء في عالم الطين	كروح معذب الكبرياء
وانتفاض الأمواج في شاطئ الحزن	كقلب ممزق بالشقاء
وصلاة الهمسات في هدأة الليل	كحلم على جناح المساء
أنا في عالم تموت به الروح	ويحيا على ضفاف الفناء
أنا في عالم الظلام ضمير	صب فيه الإسلام كل الضياء

\* \* \*

أسكب الحب والسلام لدنيا	مزقوها بالحرب والبغضاء
عمقوا الطين في النفوس فراحوا	يتهاوون في حضيض العلماء
ينسجون الدمار للناس ثوبا	عاري الجمجات والأشلاء
والخراب الكبير يبتلع الدنيا	ويأوي بعضى بعالم الأحياء
يوشك الحرب أن تعذب روح الأرض	في ذلة الردى السوداء
أطبق الليل والخراب .. ولكن	في ظلال الإسلام كل الرجاء

( بقية المنشور على صفحة ٢٣٣ )

لا يحس الشرق للشبه	س بشوق ، أو حنين
وهي للغرب جمال	، وبهاء ، وقتون
يتمنى أن يراها	سافراً في كل حين
حجبت عنه فأضنا	لها الحب الدفين

على الجبوري

إنه الزور في ظلام الليالي عبقى الأنداء والأضواء  
قطرة الله رشت الأرض بالنور فكانت على صراط سواء  
أحييت الروح بالسنا ثم راحت تتجدى نوازع الأهواء

\* \* \*

نحن في روحنا انبثاقه فجر غزائه أنامل للصحراء  
غير أنا لما نزل في طريق النور نمشي بعزمة الأنبياء  
نحن قنا نمزق الليل بالنور ونمضي إلى طريق البناء  
ورفعنا عن العيون غشاء طالما لفها ظلام الغشاء  
وسمنا على الأثرى مستقر الطين بين القواقع للصماء  
إن يكن صبرنا - مع الحق للبا - طل فالظلم قاتل الرجاء

\* \* \*

من وراء الأسوار كان عذاب السوط يدي لحيه أشلافي  
كلما فاض بي الحنين إلى الحق وأطلقت بالحنين ندائي  
يكتم الظلم صرختي وحنيني فأصب الحنين في أحشائي

\* \* \*

وهنا ... حطم القيود أخو القيود وهز الغضبان بالأصدا  
طالما كبل التراب خطاه طالما شدد خطوه للوراء  
ثار فيوق التراب حين أفاقت روحه : روحه لنهر الضياء

\* \* \*

إنما الدين صيغة الحق للدنيا ولحن الإلهام والكبرياء  
ما لهذا العملاق يحشم في الأرض ويمشي على ثرى الضعفاء ؟  
آن للبارد الكبير انتفاض أبدى في عالم الأقوياء

محمد عادل سليمان

المدرس بالأزهر

# الكتب

نقد وتعریف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - ذم الهوى :

للإمام ابن الجوزى

نشرت دار الكتب الحديثة بعابدين هذا الكتاب وقام بتحقيقه فضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد ، كما قام بالمراجعة فضيلة الشيخ محمد الغزالي .

لهذا الكتاب قصة لخصها المحقق في مقدمته له ، إنه حين أراد تحقيق الكتاب وتقديمه للطبع لأول مرة ، لم يعثر إلا على نسخة مخطوطة في المكتبة التيمورية بدار الكتب ، ولكنها كانت مشوهة صفحاتها وممسوخة إلا القليل ، وعلم أن هناك مخطوطتين في مكتبتى باريس الأهلية ، وبرلين ، فسعى إلى طلب صورة منهما وتم له ذلك ، وعليهما اعتمد في إخراج هذا الكتاب ، واستطاع أن يحفظ قطعة من تراثنا ، كاد يطوئها النسيان في مكتبات أوربا ، وغيرها .

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد كتب

مقدمة مسهبه ، ترجم فيها المؤلف الإمام ابن الجوزى ، معتمدا على بعض المراجع القديمة المشهورة ، عرض فيها لابن الجوزى واعظا ومحدثا ، وعالما متبعا ، وزاهدا عفا ، كما عرض الكتاب من حيث قيمته الأدبية . والمنهج الذى التزمه فى تحقيقه . ولقد جاءت المقدمة وافية وجديرة بالتقدير

أما الكتاب نفسه فهو موسوعة أخلاقية اجتماعية أدبية شاملة ، يعتبر وثيق الصلة بشقيقه صيد الخاطر ألم فيه ابن الجوزى بكل شيء ، حتى بلغت صفحاته أكثر من ستمائة وخمسين صفحة أكثر من الثلاثين فى العشق .

الباب الأول : منه فى ذكر العقل وفضله وماهيته وآراء العلماء والحكام فيه ، والباب الثانى : منه ، فى ذم الهوى والشبهات ، ونقول عن الصحابة والتابعين والسلف من رجال التصوف وغيرهم ، والباب الثالث : منه فى ذكر مجاهدة النفس ومحاسبتها ،

لم يعتمد في كتابه على منهج محدود ، ولا على مناقشة مدروسة ، بل اعتمد على سرد القصص دون ما تحقيق لها أو تمحيص لسندها وروايتها ، أو تسليط أشعة الإسلام عليها لإقرارها أو رفضها ...

المحقق في الواقع - بذل مجهودا قويا في إخراج الكتاب ، وهو لم يحاول - كما ذكر - أن يتوسع في التعليق والتخريج ، فقد كانه ضخامة الأصل لا تقبل أن تراحم بتوسع آخر ، وأنا أفهم - كما أن ضبط الأصل في الكتاب من العناصر الأساسية للتحقيق - فإن من العناصر الأساسية أيضا إن لم يكن أهمها تحقيق مادة هذا الأصل ، ولا يمكن أن تكون للمحقق شخصيته بدون إبداء رأيه في مادة الكتاب ومهوى انحرافها عن الفكر الإسلامي الصحيح ، فابن الجوزي حشا كتابه بقصص لا يعبا بها الإسلام في قليل أو كثير ، حيث امتزجت بالإسرائيليات التي لا طعم لها . رجل من عباد بن إسرائيل نظر إلى امرأة جميلة نظرة شهوة فعمد إلى هينه فقلعها . وواحد من السلف أقسم أن يحرم نفسه بقية حياته الماء البارد لينخص عليها الحياة ، لأنه حانت منه نظرة مرة إلى امرأة ، وأن آخر في بعض المغازي لطم عينه حتى نفرت لأنه نظر إلى جارية ، وأن راهبا في صومعته اذبلع منها ذات يوم على شاب جميل فاهتز قلبه

والباب الرابع : منه في مدح الصبر والحث عليه ، والأبواب الستة التالية منه في ذكر القلب ، كيف نصونه ونحرسه ، ما يصدأ به ، وما ينفي عنه الصدأ ، تقليب القلوب والرغبة إلى الله في إصلاحها ، الواظ من القلب ، تفرغه من غير محبة الرب ، والأبواب العشرة التالية بعد ذلك في غض البصر ، وما يترتب عن فضول النظر ، وفي فتنة النساء والاختلاط بهن ، ثم تتوالى الأبواب التي بلغت خمسين بابا ، في ذكر العشق : ماهيته وحقيقته ، دانه ودوائه ، أسبابه ودوافعه ... وبعد - فالمحقق يرى أن الكتاب كتاب أدب بما اشتمل عليه من نصوص وأخبار وأشعار ، وأنه كتاب حديث بما حواه من متون كثيرة للأحاديث ، ونحن لا اعتراض لنا على هذين الرأيين ، أما الذي نعارضه فيه ، أن يرى أن الكتاب من كتب الفسك الإسلامي أو التوجيه الإسلامي الاجتماعي يمتاز بوضوح الفسكرة ، أما موضوع العشق الفنى استهلك معظم صفحات الكتاب ، فلم يكن دراسة لمشكلة الحب - كما يرى المحقق - بل كان مجموعة لا حدود لها من القصص المصنوعة التي تهتز لها مشاعر العامة من السذج والبسطاء ... والذي يحملنا على أن لا نفر المحقق في أن الكتاب من كتب الفسك أو التوجيه الإسلامي ، هو أن ابن الجوزي

## ٢ — ابو تيمية :

الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
هذا هو العدد الخامس من سلسلة أعلام  
العرب ، التي تشرها مكتبة مصر بالفجالة ،  
وتسهم فيها وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،  
بمعاونتها المادية الأدبية ، نشرًا للثقافة  
في المحيط العربي .

أستاذنا الدكتور يقدم ترجمة عن العلامة  
ابن تيمية في أكثر من ثمانمائة صفحة ، قسمها  
قسمين :

القسم الأول : عرض فيه عصر ابن تيمية  
في النواحي السياسية والاجتماعية والعقلية  
والعملية ، كما عرض حياة ابن تيمية نشأته  
ودراسته ومكانته العلمية ، وجهاده التناري ،  
وخصومه ومحنه ومنهجه العلمي ...

والقسم الثاني : عرض فيه الدكتور آراء  
ابن تيمية في الدين والحياة ، ونظرة عامة  
في فقهه . آرائه في السياسة والاجتماع .

الدكتور يقدم لنا نموذجًا حيًا لعالم الدين  
الحق الذي فهم الإسلام عقيدة وعملًا ، فلم  
يكذب تنسب الانباء إلى دمشق بأن التنار  
في طريقهم إلى الشام ، حتى شمر عن ساعده  
يدعو إلى الجهاد ، ويستحث في المسلمين  
الغيرة على عقائدهم وأوطانهم وحضاراتهم ،  
وحين بدأت المعركة حمل العالم الجليل سيفه  
وتقدم الصفوف ليقترن القول مع العمل . .

فأقسم منذ عشرين عامًا على ألا ينظر إلى  
إنسان بعد ذلك .

من هذه القصص الكثيرة بل هي معظم  
مادة الكتاب . الذي يقرؤه العامة فيثأثرون  
به . وكنا نود أن يكون دور المحقق في تجميع  
هذه القصص ، وتخليتها عن أن تكون مادة  
التوجيه الإسلامي ، وقد يصلح الكتاب  
لأغراض بقوى على التجميع ، يستعين في مهمته  
بالمعين منه ، ولكنه لا يصلح للعامة يتخذون  
منه مادة للتسلي والتشويق . أما المسلم المثقف  
فلا يرى في الكتاب إلا صدمة لنفسه ،  
ومفهوم الإسلام عنده .

كنت أود مرة أخرى أن يتصدى المحقق  
لإبداء رأي الإسلام في هذا الغث الذي يحدث  
ارتباكًا في المفاهيم الإسلامية ، بغض النظر  
عن مكانة عالم جليل كابن الجوزي . فهو لم يقدم  
في الغالب نصوصًا إسلامية ، وإنما قدم  
قصصًا إسرائيلية وغير إسرائيلية ، استولت  
على أكثر من نصف صفحات الكتاب  
في مجال العشق والعشاق .

إن قيمة الكتاب في أنه من تراث علمائنا  
الدين نقدرهم ، وأن تقدير المحقق يرتبط  
بالجهود الذي بذله في ضبط هذا الأثر ،  
ولا نكران أن في الكتاب عظات وتوجيهات  
تهذب النفوس ، ولكنها ضاعت وسط هذا  
الحضم من القصص المصنوعة ، التي لا مكان  
لها إلا في مجال التسلي وقتل أوقات الفراغ .

الكتاب وما صح من السنة ، وأقوال الصحابة والتابعين أحيانا ، وهو في نفس الوقت لا يهمل العقل وتفسيره حين يعول أساسا على الكتاب والسنة وآثار الصحابة ، وهو يخلع عن عنقه ربة التقليد للغير ، تقديرأ لا يقل نفسه .

وهذا المنهج طبقه ابن تيمية في ما ترك لنا من تراث فكري ، والتفسير . وعلم الكلام والفقه والأصول ... وهو إذ يقر الإجماع والقياس من أصول الفقه ، إلا أنه يردهما إلى الكتاب والسنة أيضا ...

أبرز شيء في حياة ابن تيمية ، موقفه من الجلود ، وتحطيمه أسوار النزمت ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، والذي كنا نوده من أستاذنا الدكتور أن يعطى هذه المسألة نصيبا أوفى من صفحات الكتاب فلا زال لهذا الجلود أثر في حياتنا ، ولا زال للتقليد مكان رطب في قفنها ...

### ٣ - الأئمة في الإسلام :

الأستاذ مصطفى عبد الواحد . هذا الكتاب الذي نشرته دار العروبة بالقاهرة لفَضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة كما أراده المؤلف . .

وإزاء مظالم الناس يتصدى ابن تيمية لرد المظالم ، ولو كان الظالم سلطانا أو أميرا ، وإزاء المنكرات يتصدى لتغييرها ولو كانت الدولة هي التي أقرتها ...

لننا افتقدنا اليوم هذا النموذج الحى من عالم الدين ، فالعالم الإسلامى في حالة حرب دائمة مع الاستعمار الصليبي والاستعمار الإلحادى ، فلا نجد عالم الدين الذى يصيح : أن حى على الجهاد ...

والمنكر والباطل اليوم يتناولان على المعروف والحق ، فلا نجد عالم الدين الذى يعلى كلمتى المعروف والحق ، ولا يتذرع بالسلبية المطلقة . مكتفيا بأضعف الإيمان . ويقدم الدكتور لنا ابن تيمية إزاء خصومه وسبب محنته ، وهكذا كأن الخصومة والدس والوقية يجب أن تتعقب عالم الدين الحق ، فالإمام المجاهد أعلن الحرب على الدجل والخرافة فخاصمه المتصوفون ، كما أعلن الحرب على الجلود الدينى ، فخاصمه الفقهاء الجمامدون ، وتعاونت الجبهتان معا على الشيوخ وزجنا به إلى السجن بوسائل إثارة الجماهير المتدينة فى سداجة تارة ، وبوسائل الدس عليه لدى السلطات تارة أخرى ...

ويقدم لنا الدكتور ابن تيمية العالم ، ومنهجه فى البحث ، فهو يعتمد أولا على

الإسلام فيها مصلحة المجتمع ، فهل يتركون  
وشأنهم وحسابهم على الله ؟

والمؤلف يعرض بنواجزه على الحديث  
المعروف ؛ تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم  
الأمم يوم القيامة ، وحتى إذا صح الحديث رغم  
أن الحافظ العراقي ضعف الحديث في تعليقه  
على أحاديث الإحياء ، والذي قاله الرسول  
والمسلمون يومئذ قلة ، حتى يصلح هذا  
الحديث مبرراً ؛ والعبرة ليست بالكم ،  
وإلا فقد استعمرت هولندة وتعدادها  
عشرة ملايين أندونيسيا وتعدادها فوق  
سبعين مليوناً من المسلمين . .

والمؤلف يناقش قضيتي الطلاق وتعدد  
الزوجات ، يدافع وحسب عن الإسلام في  
إباحته للطلاق وتعدد الزوجات ، وكنا نود  
أن يعرض حيثيات الحكم الداعية إلى تقييدهما  
ليناقشهما ويفندها . .

وإذا كان الإسلام قد اعتبر الطلاق وتعدد  
الزوجات رخصة للسلم ، وركله إلى ضميره  
في طريقة الإفادة منها إذا مادته الحاجة ،  
فهل يتركه الإسلام حراً طليقاً يتخذ من رخصة  
الطلاق وتعدد الزوجات مسلاة له ؟

هذا استفسار كنا نود أن يجيب عنه  
فضيلة المؤلف . .

المؤلف في الواقع عرض الأسرة في ضوء

جاء الكتاب في أربعة أبواب :  
أولاً — بناء الأسرة : حيث تحدث عن  
ضرورة الأسرة ، كوضع فطرى ، وصورة  
طبيعية للحياة المستقيمة وتحدث عن وظائفها  
وتكوينها ، وصعوباتها كما تحدث عن حق  
الغريزة وأركان الزواج الشرعى ومظاهر  
الزفاف .

ثانياً — نحو السعادة والسلام : حيث  
تحدث عن العلاقة بين الزوجين ، وحسن  
العشرة ، علاقة الغريزة حقوق الزوج والزوجة  
والأبناء ، وحماية الأسرة وقوامة الرجل  
وتحديد النسل .

ثالثاً — عند التصدع : تحدث عن واقعية  
الإسلام في بناء الأسرة ، لشوزكل من الزوجين ،  
الشقاق ، حق كل من الزوجين بعد الطلاق .  
رابعاً : من شبهات المفتين : ناقش تعدد  
الزوجات والطلاق ، وبيت الطاعة .

والمؤلف في حديثه عن تحديد النسل ، يقرر  
أن الإسلام أباح للأفراد توقي النسل بطرق  
سليمة في بعض الأحوال دفعا للضرر عن  
الوالدين أو هن الأولاد ، ولم يذكر لنا هذا  
البيعض من الأحوال . أليس العمر الاقتصادى  
من الأحوال الضرورية التى تلحق الضرر  
بالوالدين والأولاد معا ؟ . .

ولم يذكر المؤلف لنا إذا تنكب المسلمون  
طريق الإسلام ، فلم يعملوا برخصة رخصها

للتجارة والصناعة يضع الإسلام حدودا الحرية الدوافع الذاتية في نفس الفرد ، وذلك لأن الملكية الخاصة والصالح الاجتماعي أمران متداخلان مرتبطان ارتباطا وثيقا حيويا ، وهما يتحققان في دولة يسودها الانسجام المتبادل .

ثم عرض المؤلف للدين الإسلامي تجاه الاقتصاد ، ففند آراء الذين يعجزون عن إيجاد أى انسجام بين الاقتصاديات والدين ، فالإسلام يقدم أساسا صحيحا للحياة الدنيوية والروحية ، والذين تعمقوا في دراسته يعلنون بلا خوف ، أنه يعمل على هداية أتباعه في شئون المادة والروح على السواء .

إن بحث المؤلف يتسم بعمق الدراسة وأصالة التفكير ، ونقافته الرفيعة أسهمت إسهاما كبيرا في تقديم دراسة إسلامية عن الاقتصاد ، تجردت من السطحية والإسفاف اللذين تميزا بهما كثير من مؤلفات الذين يزجون بأفلامهم في موضوعات لا صلة لثقافتهم بها ؟

٥ - الطريق إلى اتحاد المسلمين :

للدكتور نجيب الكيلاني

نشرت هذا الكتاب مكتبة النور بطرابلس ليبيا ، والمؤلف أديب مصرى معروف بقصصه التاريخية الإسلامية ودراسته الدينية .

الإسلام عرضا طيبا مركزا ، وإن لم يلم للماسما شاملا بكل مسائلها ، ولسكننا افتقدا في هذا العرض الطيب المركز آراء أئمة الفقهاء قديما وحديثا والمذاهب الاجتماعية المعاصرة فإن المسلم المتدين يلبى هذا العرض حاجته ، أما المسلم المثقف الذى درس الفلسفة والاجتماع البشرى إنما يحتاج إلى مناقشات . . وليس إلى مجرد عرض طيب .

ونحن بعد ذلك نقدر في المؤلف غيرته الإسلامية التى طالما أطلت علينا من بين سطور كتابه . .

٤ - الإسلام وتوازنه المجتمع :

تأليف ميرزا محمد حسين :

طبع هذا البحث في العدد الأخير من سلسلة الثقافة الإسلامية ، وقام بترجمته الأديب الأستاذ فتحى عثمان عن الانجليزية . . المؤلف من مفكرى للباكستان ، ومن المتخصصين في الاقتصاد ، الذين نهلوا من الثقافة الغربية ، وتأثروا بالثقافة الإسلامية . ناقش المؤلف الملكية الخاصة تجاه الصالح العام ، فهى أولا - دماء الحياة للرأسمالية ، والقضاء عليها هو الأصل البراق للاشتراكية .

ويرى أن الإسلام يدع الفرد ينهض بأعماله إلى النهاية ما دام لا يزهج التوازن الاجتماعي ، ومن أجل ضمان النمو السليم



الموضوع يهمل العناصر البارزة التي يجب أن يدنى عليها حيثياته ، فالسلام السائح من غير حدود ، قد يعطى مفهوما شاملا ، ولكن لا يعطى قواعد تدرس ، وهو في المقدمة يكتب تمهيدا لبحثه ودراسته ، تمهيدا قام على إبراز العناصر لفكرته ، ونحن في عصر السرعة محتاجون إلى عناصر محددة ، وموجزة لإيجازا مركزا . لكي نبليغ الهدف من أقصر طريق ، وقد ناقش المؤلف أفكارا وموضوعات جات عرضا في موضوعه ، وكانت تحتاج إلى دراسات مستقلة .

ولقد حمل المؤلف في معظم موضوعاته على الاستعمار باعتباره المعسوق الأساسي للإسلام ، وفات المؤلف أن الاستعمار لم يعتمد إلا على عملاء ، وأين كان وعي الشعب المسلم من هؤلاء العملاء . إن المسؤولية أولا وآخرا تقع على عاتق الشعب المسلم ، ويوم أن يوجد الشعب المسلم الواعي يمكن للإسلام أن يأخذ مكانه . هذا الشعب المسلم الواعي الذي نريده . يجب أن يكون بداية الطريق ، وإلا فإننا سنقطع كل طريق نحو الإسلام لنعود من حيث أتينا .

وعنوان الكتاب له تقديره وخطورته معا ، وإن لم يكن جديدا في موضوعه ، وإنما يعتبر جديدا بالنسبة لهذا الوقت الذي أصبح الحديث فيه عن وحدة المسلمين غريب كل الغرابة في عصر أصبح للعوميات مكانها وأهميتها .

تحدث المؤلف عن هذا العصر ، حيث يجتاز العالم أخطر مراحل حياته ، ويخوض تجارب مريرة ، وتوزعه أجواء شتى ، ولكن يزهو كل الزهو في القيم الدينية ، ثم يتساءل المؤلف : لماذا انحصر ظل الإسلام ؟ وما دورنا نحن المسلمين إزاء هذا الصراع الفكري ؟ وما الطريق لخلق رأي عام إسلامي ؟ وما أسس الاتحاد الإسلامي ؟ وما صورته ؟ وما العلاقات الخارجية بالنسبة له . ويحجب المؤلف عن هذا التساؤل إجابة الدارس الواعي .

نراه يقترح أن تكون أسس الاتحاد الإسلامي : العقيدة والشريعة والإخاء الإسلامي ، والنهضة العلمية ، ثم يشرح هذه الأسس شرحا موجزا تارة ، ومطنبا تارة أخرى . . كما نراه عند تناول غير هذا

# بَرِّ الْجَنَّةِ

مكهم التوسل بالأولياء وما يصحهم :

نشرنا في العدد الماضي فتوى موجزة للجنة الفتوى بالأزهر في موضوع التوسل بالأولياء وقد اطلعنا على فتوى مفصلة للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في هذا الموضوع رأينا من الخير أن ننشرها هنا نقلاً عن كتابه الفتاوى ليحيط القارئ علماً بما يجوز وما لا يجوز في زيارة القبور .

قال فضيلته ما ملخصه :

ينبغي أن يعلم ، أن زيارة المقابر كانت في أول الإسلام محرمة على الرجال والنساء ، وأنه حينما استقرت عقيدة الإسلام في القلوب ، وعرفت أحكامه وأهدافه أبيحت الزيارة ، وجاءت فيها جملة من الأحاديث الصحيحة ، تضمنت مشروعيتها وكيفيةها وحكمتها ... والذي يؤخذ من هذه الأحاديث ، أنه متى قصده بزيارة القبور الإحسان إلى الميت بالدعاء ، وإلى النفس بالعظة والاعتبار ، وخلت عن تجديده الأحزان ومظاهر الجزع وعن التجمعات الساخرة التي نراها في الأعياد والمواسم ،

وعن صور القهقري والتسليم ، وعن الميت في المقابر ، وانتهازها فرصة لما لا ينبغي - إذا خلت من كل ذلك وخلصت للدعاء والعظة ، واتخذت فيها الآداب الشرعية . كانت مشروعة للرجال والنساء ... وإذن ، فما يفعله كثير منا في زيارة أصحاب الأضرحة الكائنة ، المزركشة ، ذات المقاصير المفضضة ، والقباب المزخرفة . تجاوز للحد المشروع في زيارة القبور ، وافتحام لغير المشروع باسم المشروع ، فوقفه الاستئذان على باب الضريح ، واستقباله مع رفع الأكف بالضرعة والمناجاة ، والطواف حوله مع تقبيل جوانبه والتسبح بحمده أو خشبه ، وشرح القضايا والمهام ، وتقديم العرائض وطلب الفصل فيها ، كل ذلك عمل غير مشروع ، يأباه الله ، ويأباه الرسول ، ويغضب منه أصحاب الأضرحة أنفسهم ، وأولياء الله ، وهم - بنص كتاب الله - الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كانوا في حياتهم لله عباداً مخلصين ، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله ، ولم يقفوا بباب أحد سواء ولم يرفعوا أكف الضراعة إلا إليه ،

ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

د قال شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير تلكم الآيات الكريمة في سورة العاديات : د فأقسم بالخيل متصفة بصفاتها التي ذكرها ، آتية بالأعمال التي سردها لينزه بشأنها ويعلى من قدرها ، في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ، وكان في هذه الآيات القارعات وفي تخصيص الخيل بالذكر في قوله : د وأعدوا لهم ، الآية ، وفيما ورد من الأحاديث التي لا تكاد تخص ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل ، أفليس من أعجب العجب أن نرى أما هذا كتابها قد أهملت شأن الخيل والفروسية إلى أن صار يشار إلى راکبها بالهزؤ والسخرية ؟ .

أليس من أغرب ما يستغرب أن أناسا يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ركوب الخيل وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أسانذتهم المشار إليهم بالبنان هند ما كنت أكله في منافع بعض العلوم وفوائدها في علم الدين أن قال : د إذا كان كل ما يفيد في الدين نعله لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب

كانوا يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه وهم يحبون من الناس أن يسلكوا سبيلهم ، يعبدون الله كما عبدوا ، ويتقربون إليه بما تقربوا ، فإذا ما سلكنا في زيارتهم ما سلكوا في زيارة أسلافهم ، طابعت نفوسهم واطمأنت أرواحهم ، وإذا ما انحرفنا عن طريقهم ، فوجهنا وجوهنا في عبادة الله إليهم ، واتخذنا قبورهم مطافا كالبيت الحرام ، ومستلما كالبحر الأسود ، ومصلى كسقام إبراهيم ، وخاطبناهم بالدعاء والرجاء ، فقد جافينا طريقهم وجفوناهم ، وصرنا إلى ما يحزنهم ، لا إلى ما يرضيهم .

### والعاديات صبحا :

قرأت للرحوم الدكتور زكي مبارك قوله في مقال وجهه إلى أدباء لبنان :

( مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها ، وهو المجد الجدير بالخلود ، وقد أقسم الله بالقلم ولم يقسم بالسيف ) .

وإن من حفظ كتاب الله معنا قد سها عن قوله تعالى : د والعاديات صبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقما ، فوسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لسنود ، وللقسم بالخيل هو مثل القسم بالسيف . والخيل من العدد التي أمرنا الله في (الكتاب) بإعدادها للدفاع والجهاد بقوله : د وأعدوا لهم

ويسموننا لام المجود وقد ورد القرآن الكريم بهذا الاستعمال قال تعالى : « لم يكن الله ليغفر لهم » .

**محمد صابر**

مدرس بالمدارس الثانوية

\*\*\*

### مجمع بحث على أبحاث :

طال الأخذ والرد بين الأدباء في جمع بحث على أبحاث والكثيرون على أنه خطأ لا يجيزه القياس وكتب اللغة لم تذكره إلا ( أقرب الموارد ) وأرى من المفيد أن أذكر قاعدة النحاة الكوفيين العامة ومنهجهم في القياس على المسموع من كلام العرب . وهي تتلخص في جواز القياس على ما ثبت ورود نوعه عن العرب ولو كان هذا الوارد قليلا ، بينما يتزمت للنحاة البصريون ويتشددون في أمر القياس فلا يقيسون إلا على المسموع الكثير سواء في ذلك التراكيب والمفردات .

وقد ثبت أن العرب جمعت وزن فعل المفتوح الفاء الساكن العين على أفعال من ذلك حمل وأحمال ، وفرخ وأفراخ ، وزند وأزناد . قال الله تعالى : « وأولات الأحمال » وقال الخطيب :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر  
وقال الأعشى :

الخيال ، يقول ذلك ليفحمني وتقوم له الحجة على ، كأن تعليم ركوب الخيل مما لا يليق ولا ينبغي لطلبة العلم .

وبعد ، فقول الدكتور المرحوم : مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها قول حق . وإنها لظافرة - وهناك تلك العزائم والهمم بالمجدين العظميين والعلم منذ كان محتاج إلى العلم كما قال عمارة اليني في ميمسته العبقريّة . وقد كان مجد وإنه ليعود ، ومن ساد في القديم ورام العلا فلا بد أن يسود ، وألف سنة في العز والسلطان لن يذهب سدى . وكتاب الله نتلوه كل يوم ، وفيه تحريض ، وفيه تحضيض ، وفيه تذكير ، وفيه تبشير ، وفيه الضياء وفيه الهدى .  
« فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

**أنزهري فريم**

\*\*\*

### لم يكن يعرف :

قرأت في جريدة الأخبار مقالا لأحد الكتّاب جاء فيه من قوله لم يكن يعرف ، ولم تكن نتيج ، وهذا الاستعمال ظاهر الخطأ وصوابه على حسب استعمال العرب : « لم يكن ليعرف ، ولم تكن لتنتج » ؟ لأن كان المنفية بها ويكن المنفية بلم لا يرد بعدها للفعل المضارع إلا مسبوقا باللام المؤكدة للنفي

وجسدت إذا أصلحوا خيرهم  
وزندك أثقب أزنادما  
يرى البصريون أن هذه الجموع ونحوها  
عما شذهن القياس فهي من النادر الذي  
لا يجوز القياس عليه ، فأبحاث ونحوه جمع  
خطأ ، لأن العرب لم تنطق به بذاته .

بفرد مصطفى جواد

أبيات يقنازها السمر والغرب

هي الأبيات التي أولها :

وقانا لفحة الرمضاء واد  
سقاء مضاعف الغيث العميم  
نزلنا دوحه فحنا علينا  
خنو المرضعات على الفطيم  
وأرشفنا على ظما زلالا  
ألد من المدامة للنديم  
يصد الشمس أنى واجهتنا

فيحجها ويأذن للنسيم  
تروع حصاه حالية العذارى  
فتلس جانب العقد النظيم  
فقد أجمع أدباء المشرق كما يقول ياقوت  
في معجم الأدباء على نسبة هذه الأبيات إلى  
أبي نصر أحمد بن يوسف المنازى المتوفى  
سنة ٤٣٧ هـ ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها  
إلى حمدة بنت زياد الأندلسية قالتها في وادي  
آسن . وفي وفيات الأعيان لابن خلكان أن  
المنازى اجتاز في بعض أسفاره بوادي  
( بزاعا ) قرية بين منبج وحلب فأعجبه حسن  
هذا الوادي وقال في وصفه هذه الأبيات .

ويرى السكوفيون احترام المسموع وإن  
كان قليلا . فأبحاث ونحوه عندهم جمع صحيح  
لا غبار عليه لأن العرب نطقوا بنوعه وإن  
كان قليلا .

ولعل هذا الرأي هو المصدر الذي استقى  
منه صاحب أقرب الموارد ما أورده وأغلب  
الظن أن ليس له مصدر سوى هذا .

أما ترجيح أحد الرأيين على الآخر فالذي  
أميل إليه هو رأي السكوفيين ، إذ ورد في  
اللغة الفصحى مع ما ذكرت أولا أفراد  
وآلاف وآراء وأنجاد وأنهار وأنحاء ،  
وكثر هذا الجمع في واوى الفاء ومضعف  
اللام مثل أوفاف وأوقات وأوصاف وأوكر  
وأوعار وأوغاد . وقل أجساد وأعمال  
وأبرار وأفذاذ . وربما كان في اللغة غيرها  
وهي طائفة صالحة للقياس عليها . وهذا يدل  
على أن العرب طردوا هذا الوزن ( أفعال )  
في جميع أوزان الاسم الثلاثي المجرد بلا قيد  
ولا شرط . نعم لأنهم لم يكثروا منه في جمع

والمفسرين . . وأسأذن فضيلته أن يفكر لي  
من هم هؤلاء الفقهاء والمحدثون الذين عناهم  
فالبحث العلى يحتاج إلى وضع النقط فوق  
الحروف وتحديد أسماء المکتتب وکاتبين . .

حتى يمكن أن أقصد في الجسد كما أشرت  
في ردكم . . أما ما ذكرتموه من رأى لبعض  
المفسرين في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك »  
فإنه رأى يقابله سبعة آراء مخالفة في تفسير  
الآية نفسها ، فضلا عن أن هذا الرأى  
مرجوح بانعدام الرواية بالبسملة في قراءة  
القرآن من أثنائه . وهذا محل إجماع . . وهو  
أيضا العمدة في استدلالى . . فلم يرو عن  
الرسول صلى الله عليه وسلم رواية واحدة  
ولو ضعيفة تدل على أنه بسمّل حين قرأ قرآنا  
من أواسط السور . . فكنت أرجو أن  
تكون هذه النقطة بالذات هي محور حديثنا ،  
ومركز اهتمامنا . . لا نقول : المفسرين ،  
والفقهاء ، والقراء . . وأنا لم أرجح رأى  
من استعاذ فقط . . إلا اعتمادا على ما نسب  
إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

وبعد : فكنت أود ألا أثقل على مجلتنا  
« الغراء » بهذا الرد . . بعد أن طال في هذا  
الموضوع الأخذ والرد . . ولكن ما الحيلة ؟  
وحق الدفاع مكفول لكل من هوجم ، ونسب  
إليه ما لم يقله ، ومن جهة أخرى فإن البيان

فهل في نقادنا اليوم من يقضى في هذا  
النزاع ، وبين الرأى الذى هو أولى بالاتباع ؟

### محل الدين الداعستانى

\* \* \*

الاستعانة بمن يتلى القرآن من أواسطه :  
أكبر الظن أن فضيلة الأستاذ الشيخ  
عبد اللطيف السبكي . . لو راجع ما كتبت  
في عدد شعبان سنة ١٣٨١ هـ بشأن الاستعانة  
حين يتلى القرآن من أواسط سورة . . لاعتذر  
لما نسبته إلى من إنكار التسمية في أول القراءة  
مطلقا . . سواء أكانت القراءة من أوائل  
السور أو من أثنائها . . فقد جاء بصحيفة  
٩٧٧ من العدد السابق ( وما ينبغي أن يعلم  
أنه لا خلاف بين القراء في الإتيان بالبسملة  
لمن يتلو من بداية السور . . عدا براءة . . .  
فافتتاح السور من أوائلها بالبسملة لا خلاف  
فيه . . إنما محل الخلاف قراءة القرآن من  
أواسطه . . )

. . هذا ما كتبت واضحا لا غموض فيه ،  
ومنه يظهر أنى لا أخالف في الإتيان بالبسملة  
حين يتلى القرآن من أوائل السور . لقد  
جاء في مقالى السابق قولى : إنما في أوائل  
السور تتبع رسم المصحف ، ونوافق الإجماع .  
وقد رأى فضيلته أن القراء بإجماعهم أقل  
من أن يواجهوا إجماع الفقهاء والمحدثين

الإسلامي للدراسة أن نبقى على المركز الثقافي الإسلامي يباشر مهمته الإسلامية التي يقوم بها الآن ثم نزيد في أعماله وفروعه بإنشاء المعهد الدراسي ويكون تحت إشراف المركز وشعبة من أعماله فنحقق أغراضا سامية مجتمعة في آن واحد وأملنا كبير في تحقيق ذلك من السيد / وزير الأزهر والمستولين والله موفق .

**الحسيني هاشم**

المدرس بمعهد الزقازيق

\* \* \*

**إلى السادة القراء :**

اعتادت هذه المجلة أن تصدر عشرة أشهر في السنة ثم تحتجب شهرين اختارتهما ذا القعدة وذا الحجة ، ولكن هذين الشهرين قد يقعان في غير الصيف حين يشتد النشاط ويشمر العمل ولذلك اختارت أن تكون عطلتها في شهرى الصيف يوليو وأغسطس وهما يوافقان في هذا العام شهرى ربيع الأول وربيع الآخر وستستأنف الصدور إن شاء الله في شهر جمادى الأولى .

واجب ، والساكت عن الحق شيطان آخرس ،  
والاتباع خير من الابتداع .

**محمد محمد الترقاوى**

المدرس بمعهد الإسكندرية الدينى

\* \* \*

**المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن :**

قرأت في جريدة الأهرام الصادرة في ٣ يونيو سنة ١٩٦٢ أن المركز الإسلامى بواشنطن دارت من أجله اتصالات بين سفارة مصر بواشنطن وبين السيد نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر الأستاذ حسين الشافعى وكان الغرض من هذه الاتصالات بث الثقافة العربية والإسلامية بجعل المركز الإسلامى وتحويله إلى معهد على يدرس فيه أساتذة من العالم العربى والإسلامى ويخرج هذا المعهد الأمريكيين الطلبة فى مدة ثلاث سنوات مزودين بالثقافة العربية الإسلامية ويعطى الطالب شهادة رسمية وهى فكرة جميلة طيبة ونهضة مباركة ، ولكنى أرى أن خير طريق لتنفيذ فكرة لإنشاء المعهد العلمى

# مِنْ أَضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَاوَى

بشرف عليه : إبراهيم محمد الأصيل

حكم شركة من يحد المال مع من يجيد العمل :

السؤال :

اشترى أحد الأشخاص ما كينة خياطة من ماله الخاص ثم أتى بعامل وتعاقد معه على أن يخطط على هذه الماكينة وما نتج من ذلك يقسم بينهما بالسوية فهل يجوز ذلك ؟ .  
محمد عبد الله الشنقيطي

الجواب :

ذلك العقد جائز شرعا كما هو مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه وهو ما اختارته لجنة الفتوى .

تحديد الرقيق ، وحكم ضرب الرق على بعض الناس لغیر سبب شرعی مع التجارة فيهم :

السؤال :

ما حكم التجارة في الرقيق ، وهل هو محرم بنص شرعي أو بقانون مدني ؟ .  
حسين محمود شيرازي

الجواب :

الرق سببه المحاربة بين المسلمين والكافرين وأسر المسلمين لبعض الكفار

حكم شراء الحب قبل أن يحصد بأقل من

ثمنه عند الحصاد :

السؤال :

تاجر يشتري إردب القمح قبل أن يحصد ب ٣٠٠ قرش مع أنه في وقت الحصاد يساوي ٥٠٠ قرش ويشتري ضريبة الأرض ب ١٠ جنينيات مع أنها في زمن الحصاد تساوي ١٦٥٠٠ فهل يجوز ذلك ؟

عبد الهادي حسين عفيفي

الجواب :

هذا يعرف في الشرع بالسلم وهو جائز شرعا متى استوفيت شروطه التي منها قبض البائع الثمن جميعه عند العقد والاتفاق على التسليم والنظافة والجودة والرداءة إلى غير ذلك من الشروط التي تمنع النزاع بينهما في المستقبل وكان هذا الربح مما جرت به العادة في البلد بحيث لا يكون فيه غبن أو استغلال حاجة المحتاج .



## الجواب :

يقول الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

ويقول عليه الصلاة والسلام في أهل الذمة ( لهم ما لنا وعليهم ما علينا ) .

فيجوز السير في جنازة أهل الكتاب حيث يراد المجاملة دون التعظيم ، ويجوز حمل نعش السكتاني إذا لم يوجد من أهله من يحمله وتجوز المساعدة في الدفن إذا احتيج إليها ، وتجوز تهنتهم بالعيد ، وزيارة مرضاهم ، ويجوز بدؤهم بالتحية ، ومواساتهم في جميع الأحوال ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

## حكم انتفاع المرتن بالرهن :

## السؤال :

لى قريب قدره رهن شقة من منزل فهل يجوز للمرتن استغلال هذه الشقة ؟  
السيد / عبد الرحيم عبد المجيد

## الجواب :

شرح الرهن لتوثيق الدائن على دينه الذي له في ذمة الراهن فإذا انتفع المرتن بالعين المرهونة مدة الرهن كان ذلك من باب الربا فيكون استيلاؤه على المنفعة زيادة من مقدار دينه حراما يجب تركه .

والإمام مخير في الأسرى بين الفداء والمن والقتل والاسترقاق — ومن ضرب عليه الإمام الرق صار رقيقا يحل بيعه وشرائه وهبته باعتبار أنه مملوك ، والرق بهذا المعنى مشروع ، ولا يشرع بغير هذا السبب بمقتضى النصوص الشرعية ، كما أنه لا يشرع الآن بهذا السبب ولا بغيره بمقتضى القانون المدني .

وأما ما يوجد الآن من جلب أناس من أماكن محمولة وضرب الرق عليهم لغير السبب السالف فمثل هؤلاء لا يجوز بيعهم ولا شراؤهم بل يحرم ذلك شرعا وقانونا لأنهم أحرار والحر لا يجوز بيعه .

السيد / حيدر محمود شيرازي

## حكم مجاملة أهل الذمة ومداها :

## السؤال :

يقطن بقربنا بعض القبط وهم يوادون المسلمين ويحاملونهم في أفراحهم وأتراحهم وقد مات أحدهم فاختلفت آراء مسلمي الناحية في :  
١ - جواز السير في الجنازة .

٢ - حمل النعش .

٣ - المساعدة في الدفن .

٤ - البدء بالتحية .

٥ - تهنتهم بالعيد .

السيد / محمد عثمان النور  
الشيكية تبع سلوة قبل

حكم شرب البيرة وبيعها :

**السؤال :**

ما حكم شرب البيرة وبيعها ؟

محى الدين فراج

**الجواب :**

شرب البيرة الكثير منه مسكر وما أسكر كثيره فالقليل والكثير منه حرام وعلى ذلك فشرب البيرة حرام وبيعها حرام .

**حكم العقد العرفي :**

**السؤال :**

رجل يريد الزواج بامرأة بعقد عرفي فهل هذا جائز شرعاً وما طريقة إجراء هذا العقد ليكون شرعياً ؟ محمد على إبراهيم

**الجواب :**

يجب أن يتوفر في عقد الزواج الإيجاب والقبول بشرط حضور الشاهدين ، والتوثيق في الوثائق الرسمية أصبح واجباً قانوناً وله آثاره وهذا ما تجيب به اللجنة على هذا وتنصح بعدم إجراء هذه العقود .

**حكم الرضاع المحرم :**

**السؤال :**

شاب يريد الزواج من ابنتي مع العلم بأن

أمه أخبرتني بأنها أرضعت الفتاة ولا تعلم عدد الرضعات فما الحكم ؟ محمود محمود إبراهيم

**الجواب :**

الشك في عدد الرضعات إذا كان يدور بين خمسة أو أكثر حرمت الفتاة بيقين الخمسة فلا يحل لابنك أن يتزوجها ؛ لأنها تعتبر أختاً له من الرضاع نظراً لأنها رضعت من أمه فأمه أم لها من الرضاع وابنتك أخت لها من الرضاع والرضاع يحرم به ما يحرم من الفسب .

أما إذا دار الشك بين خمسة أو أقل فلا يحرم على ابنك الزواج بهذه الفتاة لأن الخمسة غير متيقنة والمحرم هو خمس رضعات متيقنات متفرقات كما هو مذهب الإمامين الشافعي وأحمد رضى الله عنهما وهو الذى تفتى به اللجنة .

**أحكام عامة في الهبة والوصية :**

**السؤال :**

(١) وهب لابنته القاصرة نصيبها في الميراث وقبل لها وقبض عنها واشترط لذلك شروطاً هي :

١ — أن تصبح الهبة نافذة ومطلقة قبل وفاته بثلاثة أيام .

٢ — أن يحتفظ لنفسه بالفوائد والمنافع إلى أن تصبح الهبة نافذة أى إلى ما قبل وفاته بثلاثة أيام .

الشرعى يشترك فيها جميع الورثة حسب  
للفريضة الشرعية .

### السؤال :

مات الرجل ولم يوص إلى أحد بالقيام  
على ابنه في تربيتها والحفاظة على مالها فن  
الذى يتولى ذلك ؟ .

### الجواب :

الأصح في مذهب الشافعية أن ولاية المال  
لمن يقيمه القاضى حيث لا جد ولا وصى من  
جهة الأب ولا من جهة الجد وحيث أقام  
القاضى الأم كانت هى المنصرفة ولا حق  
لغيرها معها فى إدارة ممتلكات الصغيرة وإذا  
رأى القاضى أن يشرك معها غيرها كالآخ  
أو غيره، أو رأى تنحيتها لنقص فى تصرفها  
ولإقامة غيرها مقامها كان له ذلك إذ له أن  
يتصرف حسب المصلحة .

حكم ميراث ابن أخ شقيق مع أخوين  
شقيقين :

### السؤال :

توفى رجل عن أخوين شقيقين وابن أخ  
شقيق فمن يرث وما نصيبه ؟ .

محمود عبيد

### الجواب :

الميراث كله للأخوين الشقيقين تعصيا  
بالسوية بينهما ولا شيء لابن الأخ الشقيق  
لأنه محجوب بالأخوين الشقيقين .

٣ - أن تكون له القدرة على أن يبيع  
ويتصرف فى النصيب المذكور إلى ما قبل  
وفاته بثلاثة أيام فما الحكم ؟

### الجواب :

هذه الهبة قد شرط فيها شروط الأول  
منها معناه تعليق الهبة إلى ما قبل وفاته بثلاثة  
أيام وهذا يمنع انعقاد الهبة إذ الهبة تملك  
منجز والثانى والثالث معناهما الرجوع فى  
الهبة ، وهذا يتنافى مع مقتضى العقد فإن  
الهبة تملك مطلق أيضا فضلا عن أن نصيبها  
فى الميراث مجهول الآن والهبة لا بد أن يكون  
الموهوب فيها معلوما وقت الهبة . فهى  
هبة باطلة .

### السؤال :

وهب لزوجته نصف نصيبها فى الميراث  
ولم يذكر أنها قبلت عقب الهبة ولا أنها  
قبضت ما وهب لها فى حال حياة الواهب ،  
واشترط لهذه الهبة أنه إذا حصل طلاق أو  
انفصال عادت إليه الهبة .

### الجواب :

هذه الهبة لم تتم بالقبول والقبض وأيضا  
قد اشترط فيها ما يتنافى مقتضاها والموهوب  
مجهول وقت الهبة فهى باطلة .

وعليه فهذه الهبة بتسميها الهبة للبنت والهبة  
للزوجة تركه للتوفى تورث عنه بالميراث

# بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

نبي الإسلام :

منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما في الكون المحيط به من سنن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذي قبل ، وظهر له ضعفه وتضائل غروره . ونبي الإسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود ، فقد جد العلماء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلبسون نواحي العظمة الإنسانية فيه ، ويتلبسون مظاهر أسماء الله جللت قدرته في عقله وخلقه وعمله ، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لا نهاية له .

والنبوة هبة الله لا تنال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمنح للمستعد لها ، والقادر على حملها . « الله أعلم حيث يحمل رسالته . » ومحمد صلى الله عليه وسلم أعد لأن يحمل الرسالة للعالم أجمع ، أحمره وأسوده ، لإنسه وجنه ، وأعد لأن يحمل أكمل رسالة وأكمل دين ، ولأن يحتم به الأنبياء والرسول ،

وايكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء . وتنكسر النجوم . وتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

للرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي ، من مقدمة كتاب « محمد » : للدكتور هيكل دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحافيه واحكم فإن قدر رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناعاق بفم « البوصيري »

عموم رسالة الإسلام :

ولم تكن رسالة الإسلام رسالة موضعية محددة ، يختص بها جيل من الناس دون جيل . أو قبيل دون قبيل ، شأن الرسائل التي تقدمتها ، بل كانت رسالة عامة للناس جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يختص بها مصر دون مصر ، ولا عصر دون عصر ، قال الله تعالى : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ، وقال تعالى : « قل يأيتها الناس إني رسول الله

به حفظ الدين . وحفظ النفس وحفظ العقل ،  
وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وبديهي  
أن هذا يناسب الفطر ويسير العقول ،  
وبجاري التطور . ويصلح لكل زمان ومكان .  
من كتاب فقه السنة للأستاذ الشيخ السيد سابق

ليلة ٢٣ يوليو

عنابة الله كانت معنا

في نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٣ يوليو  
جاء إلى بيتي ضابط من ضباط المخابرات  
وعضو من جماعتنا وإن كنا لم نخطره بما  
اعتزمنا القيام به — لتحذيري بأن القصر  
قد تسرب إليه نبأ استعداد الضباط الأحرار  
للتحرك ، وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب  
الجيش فدعا إلى عقد اجتماع عاجل في الساعة  
الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا .  
وكان لا بد من اتخاذ قرار فوري .

فلو أننا تركنا كل شيء ليتم في ساعة الصفر  
المتفق عليها وهي الواحدة صباحا — فقد  
يدركونا قبل أن ندرკهم ومن ناحية أخرى  
كانت الأوامر قد وزعت ، وكان من أصعب  
الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع .  
وانضم إلينا ضابط المخابرات . وخرجت  
مع عبد الحكيم عامر لتجمع بعض القوات  
من ثكنات العباسية ... ووصلنا متأخرين .  
فقد وجدنا أن البوليس الحربي قد أغلق

إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض  
لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله  
النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه  
لعلكم تهتدون ، وفي الحديث للصحيح :  
( كان كل نبي يبعث في قومه خاصة ، وبعثت  
إلى كل أحر وأسود ) .

ومما يؤكد عموم الرسالة وشمولها ما يأتي :  
١ - أنه ليس فيها ما يصعب على الناس  
اعتقاده أو يشق عليهم العمل به ؛ قال الله تعالى  
« لا يكلف الله نفسا إلّا وسعها » ، وقال تعالى  
« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ،  
وقال تعالى « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ،  
وفي البخاري من حديث أبي سعيد المقبري  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن  
هذا يسر ، وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه )  
وفي مسلم مرفوعا : ( وأحب الدين إلى الله  
الخفيفية السمحة )

٢ - أن ما لا يختلف باختلاف الزمان  
والمكان - كالعقائد والعبادات - جاء مفصلا  
تفصيلا كاملا ، وموضحا بالنصوص المحيطة به ،  
فليس لأحد أن يزيد فيه أو ينقص منه ،  
وما يختلف باختلاف الزمان والمكان كالمصالح  
المدنية ، والأمور السياسية والحربية جاء مجملا  
ليتفق مع مصالح الناس في جميع العصور .  
ويمتدئ به أو لو الأمر في إقامة الحق والعدل .  
٣ - أن كل ما فيها من تعاليم إنما يقصد

وجلسنت مع الأستاذ جلال الدين الحمصى  
نتحدث فى بعض هذه الشئون ...

وسألتى «جلال» بعد فترة من الصمت  
للكتيب هذا السؤال ...

هل الله موجود ... ١٩

وفتحت عينى فى دهشة بالغة ... ولم أرد .  
قال : قل : نعم .

قلت : وماذا بعد نعم ... ١٩

قال : أليس حاكما عادلا ... ؟

قلت : بلى ... وماذا بعد ... ؟

قال : والله ... لا يمكن أن تكون نهاية  
هؤلاء المستهترين طبيعية .

وبعد ذلك بأسبوع كنت مع الأستاذ  
«الباقورى» بعد منتصف الليل نسير فى  
شارع الجلاء .

وجرى الحديث فى بعض هذه الشئون ...  
فى الملك . والحاشية . والظلام الذى كان  
يعيش فيه الحكام .

وقال الباقورى هذه العبارة التى لازلت  
أذكرها : تصور جماعة من السكارى فى عربية  
يقودها مخمور ... الركاب مخمورون والسائق  
مخمور . والنتيجة التى لا معدى عنها أن ترتطم  
هذه العربية . وتتحطم مع من فيها ...

وتطلعت إلى السماء فى صمت أسأل الله  
أن يصون مصر . وينقذها من هذا البلاء .  
ثم تشاء العناية الإلهية أن تبدأ حركة  
الجيش فى مثل هذه الساعة من ليلة ٢٣ يوليو .

الشككات ... فمضينا إلى شككات الفرسان  
والمصفحات فوجدنا — أيضا — أنهم  
سبقتونا ، وكان البوايس الحربى يحرس  
كل المداخل ...

وبدا — للحظات — أن خطتنا كلها فى خطر .  
ولم يبق على ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة .  
وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل فى مرحلة  
من تلك المراحل الخطيرة فى التاريخ . عندما  
تتدخل قوى أكبر منا لتوجيه الحوادث .  
واقعد نأكد لى من تطورات الأمور  
أن عناية الله كانت تلك الليلة معنا ...  
الرئيس

### جمال عبد الناصر

من حديث له مع صحفى أجنبى

لا تأخذوه سيرة ...

كان ذلك قبيل فجر الثورة بقليل ...  
الظلام يغمر العقول بالحيرة والنفوس  
باليأس .

وسمعة مصر فى الداخل والخارج مملوءة  
بالأفئاد .

وجهاز الحكم قد تحول إلى بورصة ،  
تقوم فيها الأخلاق مقام الأوراق .

والبرلمان كجمعية المنتفعين بالغانة التى  
ألفتها حكومة «لايدن» من دول تماسلها  
وتدور فى فلك سياستها . وتقتنع بما  
تجود به عليها .

الفنى . . النقد الذى لا يحكمه تحزب ، الشلل ،  
التي تمثل الإقطاع الثقافى فى بلادنا .

تلك الشلل التي توجد فى كل صحيفة وفى كل  
جهاز ثقافى لها ناس بعينهم تحمى إنتاجهم ،  
وتنشر أعمالهم وتنتدبهم لكل ما يطلب من  
إنتاج فكرى . . لا يحكم أعمالهم تقدير ،  
ولكن تحكمه صلتهم ، بالسلطة ، ، إذا كانوا  
منها فهم مقربون ، وإذا لم يكونوا منها فهم  
مبعدون ، مصدودون ، مزور عنهم .

وأعتقد أن هذا واضح لكل ذى عين . .  
يلبسه عند ما يتغير الأشخاص المهيمنون ، فإنه  
يتغير بالتالى الأشخاص المنتجون .

ولقد صدق الأستاذ محمد مصطفى عطا  
عند ما قال فى كتابه : « الحركة العاقلة » ، إننا  
نعيش الآن وسط إقطاع ثقافى . حيث يحتكر  
الفكر أفراد معدودون ، فالناشر لا يرحب  
إلا بأثارهم أو بالأثار التي يقدمونها إليه  
من غيرهم .

ولقد آن الآوان لأن يتغير ذلك ، ويكون  
إنتاجنا الأدبى تحكمه مبادئ ثلاثة :

١ — الجودة ، . لا القرب من « السلطة »  
وللمعة الاسم .

٢ — الحرية . . لا عبودية الدوران ،  
فى دائرة مدرسة المهيمنين .

٣ — تكافؤ الفرص . . لا مذهب وشيلى  
وشيك . . عبد المقصود حبيب

من جريدة الأهرام ١٩٦٢/٦/٢٢

وأن يثب الأحرار ليوقفوا العربية ،  
ويوقظوا السكارى . ويضيئوا الأنوار . .  
أيها العرب المكافون فى كل مكان .  
اصبروا فإن الله مع الصابرين .

واذكروا أن الله موجود ، وأنه عادل ،  
وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه كما قال  
لرسوله ( يملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ) .

ح . ف

من جريدة الشعب

### الإقطاع الثقافى

فى هذه الآونة من تاريخنا وهو يسجل  
انتصاراتنا . . علينا أن نكشف الغطاء عن  
كل الأخطاء التي نعيش فيها ونعيش معنا من  
زمن تحت ضغط ظروف معينة .

ومن هذه الأخطاء فى ميدان الإنتاج  
الفكرى ما يمكن أن نسميه « الإقطاع الثقافى »  
وأعتقد أننا فى حاجة ماسة إلى ثورة كبيرة  
على القيود الموضوعية على إنتاجنا الفكرى ،  
والتي خلقت هذا الإقطاع . . تلك القيود التي  
أبست من وضع الدولة ولكنها - للأسف -  
من وضع أناس مفكرين لأناس مفكرين  
مثلهم .

وهذه الثورة لا يحققها إلا وجود النقد  
التقدير الصحيح للإنتاج . ووجود النقد . .  
النقد المجرد البعيد عن الهوى والأغراض  
الشخصية والعلاقات الخارجة عن حدود العمل

works or fields. The same is with the other different professional people. They will never be arabic socialists, unless they produce better and perfect work. The Muslim learned man who is of a spiritual message, will not be so an arabic socialist, unless he becomes adaptable with the society in which he lives, and be of a better production which can be realized by looking to the whole society as a unit and to the religion as a system of life. By these two looks, he can promulgate his ideas and judgments in the religious affairs of the people, as he can bear the message of pioneering and directs peoples towards the correct way of life.

The Journalist will not be also

an arabic socialist by means of his long or abundant article, but by betterness and perfection of what he writes about the arabic socialism : its significance and its performance without neglecting the historical events which led to the revolution and liberation and which urge people to keep that socialism and so on.

From what we above mentioned, we conclude that what the national Charter mentioned is surely a definition of the socialism in its significance and utilization in the different aspects of life. Lastly, the Charter is a covenant on ourselves to be believers in God, ourselves and our humanity in the great Arab emho-land in which we live.

---



the perfect production, it also welcomes the spiritual power which causes motivation and removes the obstacles from the way of the producer and the worker.

The valuation of the arabic socialism for the spiritual power is not only because our history held and raised it through all its periods, and because the egyptian people used it as an arm — through our arabic frame — against the invisible and the visible colonialism, but also because the spiritual power keeps in — as we mentioned before — motivation and going forward, and every thing help in going forward, has been encouraged by the arabic socialism. Therefore, it encourages knowledge, as the way of knowledge is the nearest to the object and the safest one to it. The spiritual power is a motive one and the knowledge is a discovering power. So, one who wants to be of a perfect production — the arabic socialist one — should have both of the two power : The spiritual power and the powers of knowledge.

The duality of these two powers is an inevitable and an important matter in our arabic socialist society. And those who bear the spiritual message have to understand the knowledge and to behave not in a theoretical supposed circle without

looking to the actual life, because this will lead them to be in a permanent loneliness, and by turn they will create a group of people who has no ability to discover the actual life. The same will be with those of the scientific message, when they neglect their spiritual power. This is because they, in fact, neglect a great power of motivation towards perfection and better production.

#### Al-Azhar University :

Although that dualism between the spiritual power and the scientific one is not yet gathered in one circle in our society, the prospective hope is concentrated on the new university of Al-Azhar to realize that. In this university, science and the spiritual values will not only walk side by side, but they will form a unit which causes progress and motivation towards better production and work. Hence, we are the workers, farmers, officers, national capitalists and soldiers have no right to call ourselves arabic socialists, except when we are of a perfect production in every field. Therefore, the worker who his wage had been increased and who took a share in the profits of the factory in which he works, and the farmer who had been given land to be his own, are not arabic socialists as long as they do not produce better production in their

production, it only expresses the inevitable result of the arabic socialism utilization,

When we come to the field of work or farming and try to distinguish the arabic socialist from the other, we shall find that the criterion is very obvious. It is the supremacy in production, quality before quantity, but if they gather, the supremacy in production will be very evident.

It is The same when we go to the other fields such as the intellect teachr and the employers, the supremacy in production is the matter which distinguishes the arabic socialism from the other whether it is in quality, quantity or in both of them.

To clarify that supremacy, the worker in his factory when he produces perfect goods and when he keeps the machine in a good condition in order to stay in its perfect state, that is a methodical supremacy. Also, the farmer, when he produces a good production and fertilizes permanently his land, this is also another picture of the methodical supremacy. The same is with the teacher, the professor and the officer, when every one perfectly carries out his work to save people a complete welfare, that is a third picture of that supremacy.

Keeping out of the field of the

material production and going to the field of the human production in " family ", the perfect production which represents in the sons and in the material, spiritual and convincing power is a forth picture of that supremacy.

Going to the spending field, moderation and non-extravagance, whether in the private or in the common side is a fifth picture of that supremacy. This is because moderation in spending will cause an indirect favour can be saved, and this of course is a production which can be used in covering the private and the common expenses.

The arabic Socialism, being a restoration of the human consideration and removing the obstacles from the way of man to go forward in his work and production. And the arabic socialist, being the man of the perfect production, arabic socialism undoubtedly will be a principle which leads to the betterness. As a matter of fact, the man of the best work is the clement one who uses all his abilities to realize the human objectives as a human being.

#### The spiritual power :

As arabic socialism helps in the free motivation towards work and production and by turn helps in

its significance on the arabic socialism. Undoubtedly, arabic socialism is equal to the restoration of the human consideration to the whole individuals of the human consideration to the individuals of the Arab home - land.

The restoration of the human consideration is a beginning and in the same time [it is a purpose, It is the beginning of the egyption Revolution of 23rd July 1952, and the purpose of the arabic socialism which emanated from the successive events which passed over the egyptian people through the arabic circle.

As a matter of fact, the laws of July 1961, are nothing but an expression of the restoration of the human consideration for those who lost it in the past. They are also one of the results of the arabic socialism. Therefore, it is clear that these laws are not the socialism itself, but they are a feature which illustrates a picture of that socialism.

#### The field of work and production :

The main purpose of the arabic socialism — or rather of the restoration of the human consideration for those who lost it under the colonialism and the exploitation reign whether it was through the feudal or the capital system — is to widen the way for work and production, or in other words to remove the obstacles

and hindrances from the way of work and production. This is because man when he restores his human consideration and feels that he is an individual equal to the other ones in his society; equal to them in the human nature, values and consideration — though he may differ from them in ability and comprehension —. Then, he will not find any thing which may hinder his way towards work and production. So, Arabic Socialism is the factor which paves the way for work. And the arabic socialist is the productive work who produces without any spirituals obstacles which hinder him on his motive and freedom,

#### Towards a better production :

The work of the individuals under the arabic socialist system, being equal to their work before the 23rd July Revolution, this surely means that the arabic socialism is only in the mental imagination circle, as well as on the lips of mouth without going deeper to reach the heart and to become a belief and conviction. Therefore, the arab socialist is the one who produces better production during the time of the arabic socialism than what he produced before the 23rd July Revolution. Also, arabic socialism is equal to the supreme production. Consequently, when the national charter asks the workers to increase and improve their

# AN IDEA AND UT ZATION

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The chancellor of Al-Azhar University

---

The national progress cannot  
at all be realized by means of a  
loud recitative words :

From the study of the draft of the national charter, the reader can conclude that this draft is really based upon an indigenous idea, and that its extension is the utilization of this idea. The indigenous idea is the arabic socialism, and its extension — which is the utilization of that idea — is the different aspects of the society, such as the political, economical and the social ones.

## The arabic Socialism :

Concerning the idea, the draft does not try to define its significance from a linguistic origin, as it never tries to transfer that significance from another philosophy or a strange orientation away from the arabic limits; but it purifies that understanding from the historical events which passed over the egyptian people in the frame of the arabic nation's circle. These events which defined the

arabic Socialism significance, and which succesively passed over the egyptian people through the arabic nation's circle, aimed at the spiritual and the material exploitation. So, people lost their human consideration and consequently, the society divided into two groups : The exploiters who were representing the minority, and the humiliated people who were representing the greatest majority.

Since the Tartar and the crusades era till the Naboleon's campaign and the British occupation, these events were very evident. Then they extended till the time of the internal exploitation in the shade of the independence which the colonialists made it as an extension to their indirect exploitation and handling the human consideration.

These historical events which passed over the egyptian people through the arabic circle, being the cause of the 23 July 1952 Revolution, and being the factor which dictated

other people towards the good and happiness. But a long time after them, other people inhirited the Book and led their life according to the dictation of their lusts and desires and they forgot God, so He made them forget their own souls. Those people also subjected themselves to the others and imitated them in every thing : such as education, economic, civilization and the system of life. Hence, they lost their personality as a nation and lost their existence as human beings of a private system of life.

O Muslims : I call you to come back to your heavenly personality which God had completed for you. Come back to it to be linked to each other and to be a strong nation. Surely, the personality in the past is the same one in the present time. It still very clear in the holy Book. Also, the world is the same one and still have the readiness to take its way through good deeds and right path. So, be as your fathers were and be sure that God will not change the condition of a people until they change it themselves with their own souls.

---

defective one. And if the persons have the sensory personalities which realize the tangible existence for them, they have also other spiritual personalities which achieve for them the spiritual ones, the sensory personality of the individuals may be represented in their behaviour, movement, act of eating, drinking and stability. Also, the spiritual personality can be represented in their unity, separation, strength, weakness, interests and harm. As a matter of fact, without souls, the individuals will be like shade of the others. So, they will move when the others move, and stop when they stop. They will think through the others' minds and consequently, nothing of the human deeds can be related to them at all.

### The heavenly personality :

Indeed, no peace will be spread among mankind except when the nations of the tyrant personalities take off their personalities and replace them with the spiritual ones which the Almighty God have created in the human nature and makes them as a way which leads to stability and happiness. Then, these nations should undertake to cultivate this kind of personality in the other nations which are only of sensory ones and which are deviated from

the good life in that universe, and their peoples are prohibited from being vicegerent and leaders on their land. The Qur'an says : " but if, as is sure there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from My message, verily for him is a life narrowed down, and we shall raise him up blind on the Day of Judgement. He will say : "O my God ! why hast thou raised me up blind, while I had sight before ?". God will say : " Thus didst thou, when our signs came unto thee, disregard them : so wilt thou This Day, be disregarded. And thus do we recompense him who transgresses beyond bounds and believes not in the signs of his God : and the penalty of the Hereafter is far more grievous and more enduring." [ S. Taha. Vs. 123 : 127. ]

This is the heavenly personality which revealed in the holy Qur'an " Verily, this is My way, leading straight : follow it follow not other paths, they will scatter you about from His great path : Thus doth He command you, that ye may be righteous." [ S. The cattle, V. 153. ]

In fact, some people believed in that personality during one time and built their life on its foundation. So, they directed themselves and the



the descendant of the prophet and that he is the follower of a certain holy book. Some of them said to the others : our prophet came before your one and our Book revealed before your book, so we are nearer to God than you. The latter said : no, but we are very nearer to God than you. This is because our prophet is the last ring in the chain of prophets, he is the only intercessor before God on the Day of Judgment. And also because our Book appropiates all the books which were revealed before it. But God guided them all to the right path, telling them that following of any prophet or book is not the way which leads to honour and greatness. The Qur'an says in this respect : "Not your desires, nor those of the people of the Book (can prevail) : whoever works evil, will be requited accordingly. Nor will he find, besides God any protector or helper. If any do deeds of righteousness, be they male or female and have faith, they will enter heaven, and not the least injustice will be done to them. Who can be better in religion than one who submits his whole self to God, does good, and follows the way of Abraham the true in faith?"

[ S. The women, Vs. 123 : 125.]

O Muslim, come back to your personalities :

I call you to come back to the

full meaning of the word "Muslims" and to realize its meaning in your hearts and souls as it is the will of the Almighty God. And consequently, your past glory will come back again to you, then you will lead a happy life in both this world and the Hereafter, In this respect the holy Qur'an says : "Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed (to them), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long ages passed over them and their hearts grew hard? For many among them are rebellious transgressors, Know ye (all) that God giveth life to the earth after its death! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom." [ S. The Iron, vs. 16—17.]

The personality of a thing is what distinguishes it from the other things. And if we imagin that there is a thing without personality, we shall not be able to decide its existence, as it will take its place in the minds as a picture of no actuality. The existence is divided into two sections : Tangible existence of sensory Personalities and intangible one of the spiritual personalities. So, unless the thing has both of the two personalities, its existence will be a

their faces towards the sacred mosque at Mecca (Al-Kaabah). Hence, people started to speak about that matter. But people were divided into two groups. The first group prefer to direct faces towards the sacred Mosque of jurusalem, while the other one prefer to direct their faces towards the holy shrine of Mecca. And every group presumed that thier preferable direction (Kebalah) is the true religiosity which might make him nearer to his creator. Accordingly, the discussion had occupied the people about the matter of (Kebalah). So, they became far away from the way of God which is the guidance that was revealed in the holy Qur'an and conveyed to people through His prophets. Consequently, God lightened His prophet and informed him about the condition and the abstinence attitude of those people. It is not the attitude of those who seek truth and look for it. So, He guided him not to give them any attention, but to follow what is revealed to him. In this respect, the Qur'an says : "The truth is from thy God; so be not in doubt." [S. The Cow, V. 147.]

The Qur'an also denies the attitude of those who occupy themselves and the other people in such matter which is concerning God who surely have the will to select what He wants and do what He wishes according to His Knowledge and

wisdom, The Qur'an says : "To God belong the East and the west : Whithersoever ye turn, there is the presence of God". [S, The Cow, V. 115]. Furthermore, God directs His bondmen to east or west according to His will. To carry out what God "exalted be He" ordered, this is the good which leads to happiness. The rock of the sacred Mosque of Jurusalem is not better than any other rock. And also, the building of the sacred mosque of Mecca is not better than any other building. But this and that are only places. And people had been ordered to direct their faces towards them during the performance of their prayers for nothing but to realize the sensory unity, as to achieve the spiritual unity by worshipping God and carrying out His teachings. So, we come to conclude that the matter of (Kebalah) is not intended for itself. And consequently, one should not be fanatic for this or that place, but he should seek the useful facts and the pure essence which is : true faith, virtuous character and good deeds. These surely are the source of piety and the sign of the true religiosity before God.

Islam is a belief and a work :

In olden times, the followers of the religions declared their pride by saying one to another that he is



The Qur'an says : "Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputations after receiving clear signs : for them is a dreadful penalty," [S. The family of Imran, V. 105.] And in other verse it says : "As for those who divide their religion and break up into sects, thou hast no part in them in the least : Their affair is with God : He will in the end tell them the truth of all that they did." [S. The cattle, V. 159.]

In fact, the true religiosity before God is to follow and carry out the instructions of the holy Qur'an which join the Muslim's hearts to each other and directs them towards united aims which are the happiness in both this world and the Here after. It is the duty of the Muslim leaders and learned men - if they wish to spend a good life - to clarify the Muslim life of the wrong religiosity and to build the life of the individuals and societies on the correct foundation of the glorious Qur'an. By means of that, the Muslim nation will take its part among the other nations, and will be considered as one of the powerful personality in the world. Also, it is the nation which enjoins what is right and forbids what is wrong and does its utmost to spread equality and justice among all mankind.

### The sign of the true religiosity :

The Qur'an says : " It is not righteousness that ye turn your faces towards east or west; but it is righteousness to believe in God and the last Day, and the angels, and the Book, and the messengers; to spend your substance out of love for him for your Kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask, and for the ransom of slaves; to be steadfast in prayer, and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain ( or suffering ) and adversity, and throughout all periods of panic. Such are the people of truth, the God fearing." [ S. The Cow, V. 177.

In fact, the intellectual trends of the ancient and the modern human being are similar. So, the inclination of man in olden times towards good and useful things has its similar in our modern times, and as well as the need to guidance was found in the olden times it is found also in the people of to-day.

The Almighty God had ordered Muslims to direct their faces, through the performance of prayers, towards the sacred mosque at jurusalem. Then He turned them afterwards to direct

wouldst see them turning away their faces in arrogance" (S. the hypocrites, V. 5.)

The formal religiosity :

While, another group of people claims that religiosity is the movements of the prayers, the performance of fasting, the praise of God, speaking in a lower voice, declaring sadness for religion and morals and the repeated visits to the sacred mosque whatever is the source of the expenses of going and coming back.

With these unuseful pictures, they limited their practical religiosity. But with regard to their scientific one which springs from the opinions of their fathers and grand-fathers, the Faith in their sight is that which related to Al-Ashary only, not what related to Al-Matoriedy or Al-Mautazily. Also, the indictment in their opinions is that which was decided by Abi Haniefah and conveyed to people by means of his followers, neither that which was decided by Al-Shafie, Al-Maliky, nor what is supported by the Qur'an and the prophetic traditions. Moreover, the full meaning of the quranic verse is that which is written in the kurtuby explanation and related to Kaabu Al-Ahbar and Wahb Ben Monabbah. The opinion of any one other than what we

mentioned above is in their sight nonsense whatever it is supported by the proofs and actuality.

The bad results :

With their symbolistic religiosity, the former had opened the door for the latter to abandon the guidance and the instructions of the Qur'an. Hence, a great plenty numbers of the youngmen denied the Faith and preferred the legislation and the laws of the western people than the laws and the teachings of God. Moreover, they said that the modern laws are more suitable to the present time, fitting the recent civilization and feeding the human emotions.

With their formal religiosity whether in scientific or practical affairs-the other group made diversity in religion. So, people considered that every Muslim state has its religious nature. Hence, separation among the Muslims appeared, though they pretend that they are the followers of one religion (Islam), one book (The Qur'an), and one Prophet "Mohamed peace be upon him". This separation was followed by differentiation in the affairs of the Muslim life as it was the fate of every state to be dominated by those who made and still making their utmost to harness us for their own benefits.

people through the prophets and messengers "Hence, both the false and the right religiosity will be obviously clear before all the the sights. The glorious Qur'an says : " Then, he whose balance ( of good deeds ) will be found heavy, will be in a life of good pleasure and satisfaction. But he whose balance ( of good deeds ) will be found light, will have his home in a ( bottomless ) pit. And what will explain to thee what this is ? It is a Fire blazing fiercely ! " [ S. The day of noise and clamour, Vs. 6 — 11 ].

### The symbolistic Religiosity :

In the light of this general balance, we find that there is a group of people who satisfied only by calling themselves Muslims. They only perform the first islamic statement which is to pronounce that " there is no God but Allah and Mohamad is his prophet ". But on the other side, we find that they are far away from : the virtuous meanings, the righteous deeds and the scientific subjects which were conveyed by those whom the Almighty God had chosen for that task. As a matter of fact, we observe that this kind of people are leading their life according to the demands of their lusts and desires : The right in their sight is that which they consider right, and the virtue before them is

that which they consider it so. In short, they have no guide except their lusts and desires which dictate them and turn their dictation into actions.

Indeed, rejection of Faith is better than this kind of religiosity. This is because the weak minded people may follow that false religiosity, as they may also be deceived by it as a righteous way. This kind of religiosity has spread among people who claimed that they have a certain kind of culture which takes them far away from the islamic duties and the laws that are revealed by God to be a base for the religiosity and a foundation for the construction of a good family and a protection for the society as a whole. The glorious Qur'an says : " Yet there is among men such a one as disputes about God, without knowledge, without guidance and without a book of enlightenment. ( disdainfully ) bending his side, in order to lead ( men ) astray from the path of God. For him there is disgrace in this life, and on the Day of judgement, we shall make him taste the penalty of burning fire. " ( S. the pilgrimage, V. 8 — 9. ) And as a sign to know those people God says : " And when it is said to them " come, the prophet of God will pray for your forgiveness ", they turn aside their heads, and thou

Undoubtedly, it is impossible to be a believer unless you believe in God's message. This is because God had created both universe and the human beings whom he supplied with the power of thinking and work. So, it is not reasonable to let them going astray or to lead their way through darkness as the beasts which take their lairs in the desert and eat what appears before them. The Qur'an says: "Behold! thy God said to the angels" I will create a vicegerent on earth" They said " wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood? whilst we do celebrate thy praise and glorify thy holy (name) he said "I know what ye know not" [S. The cow, V. 30]. and says: "Did you then think that we had created you in jest, and that you would not be brought back to us (for account)? [S. The believer, V. 115].

### The Religiosity before God:

As God created the universe, controlled and looked after it, he also created the human beings, controlled them by his guidance and constitutions, the Qur'an says: "our God is he who gave each (created) thing its form and nature, and further, gave (it) guidance". [S. Taha, V. 50]. The human being, when he carries out the instructions of God,

that is the religiosity, as the creator wants it to be. The basis of that is to confess that there is no God but Allah "Ye only we worship and ye alone we ask for help", and to obey Him, the Qur'an says: "Follow (O men) the revelation given unto you from your God, and follow not as friends or protectors, other than Him". [S. The Heights, V. 3.], and to fear of him in external and internal feeling beside the permanent remembrance of His greatness.

Hence, man will be a pious one who apprehend his God is emanating from his conscience, and not be one of those whom the glorious Qur'an speaks about in his saying "They may hide (their crimes) from men, but they can not hide (them) from God, seeing that He is in their midst when they plot by night, in words that He cannot approve: and God Doth compass round all that they do". [S. The women, V. 108].

The Religiosity which is approved by God, if we compare between it and the other religiosity which people turn to its different actions, we shall find that some of these actions are very light in the balance of comparative, while we shall observe that others are nearly equal in that balance to the former religiosity which had been mentioned in God's revelations and conveyed to the

# THE RELIGIOSITY OF THE PEOPLE

by

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

The greatest Imam of Al - Azhar

---

The Qur'an says " Verily those who say our God is Allah " and remain firm (on that path), on them shall be no fear, nor shall they grieve [ S. winding sand tracts, V. 13]. " Who is better in speech than one who calls (men) to God, works righteousness, and says I am of those who bow in Islam " [ S. Abbreviated letters, V. 33 ].

The belief in God — the one who had created both the universe and the people whom He provided with His bounties and whom He guided to use their talents for their own happiness — is a distinctive matter which souls always are being very keen to it in case of they are pure and far away from fanaticism. This is very clear in the quranic verses especially these which speak about the non-Muslims who worship stones, moon and the sun in order that they might be nearer to God. The Qur'an says: " If indeed thou ask them who has created the heavens and the earth and subjected the sun and the moon (to His law),

they will certainly reply, ( God ) " and also says : " And if indeed thou ask them who it is that sends down rain from the sky, and gives life therewith to the earth after its death, they will certainly reply ( God ) " [ S. The spider, V, 61 - 63 ].

The belief in the heavenly guidance :

To believe in God, one should believe in his message, for which he selects one of his bondmen to convey it to the people and calls them to believe in it and to carry out its instructions, either by calling them to follow the way that leads them to happiness, or by forbidding them to do the unlawful and wrong deeds which surely will cause them much troubles. In this respect the holy Qur'an says : " And if as is sure there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, on them shall be no fear, nor shall they grieve ". [ S. The cow, V. 38 ].

who repent ( the offence ) are companions of the fire : They will abide therein ( for ever ) ” [ S. The cow, V. 275 ]. The Qur'an also declared that those who refuse to respond its call theirs will be the fire for ever “ O ye who believe ! fear God, and give up, what remains of your demand for usury, if ye are indeed believers. If ye do it not, take notice of war from God and His Prophet ”.

It also put the foundation on which the usury can be obliterated completely, God said “ But if ye turn back, ye shall have your capital sum: deal not unjustly, and ye shall not be dealt with unjust by. If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay, but if you remit it by way of charity, that is best for you if you only knew ”. [ S. The cow, Vs. 279 — 280 ].

It is very obvious that the conduct of the owner of money towards the debtor is wisely treated by this quranic verse “ If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay, but if you remit it by way of charity, that is best for you if you only knew ”. [ S. cow, V. 280 ].

God recommends us to treat the debtor one kindly and not to be hurry in charging his debt in case of his difficulty. But it is a human ideal that which is mentioned in the previous verse “ But if you remit it

by way of charity, that is best for you if you only knew ”. It links people to each other for the sake of reformation of the society. In this verse God shows the high standard of humanity. That is the owner of money who not only gives a time to the debtor who is in a difficulty, but also who gives him the debt as a charity.

A society like that one in which there is full mercy and kindness among its individuals, should spend its life in security, fraternity and peace.

On these principles which lead to mutual cooperation and brotherhood among the members of the society and between them and the State, the holy Qur'an urges people by many of its verses to spend money in the cause of God and to satisfy the needs of the needy people for fear of they may commit crimes against the rich ones, especially if they notice that they are living in a complete welfare.

On these bases, Islam built the islamic society to be like the one body which feels pain because of the complaint of one of its organs.

No doubt that money will not be a mean of exploitation, if the human relations — which are regulated by Islam — taken into consideration. Surely, the society which carries out these instructions is the one that God wills it to be.



barren rock, on which is a little soil: on it falls heavy rain, which leaves it (just) a bare stone. They will be able to do nothing with aught they have earned. And God guideth not those who reject faith. And the likeness of those who spend their substance, seeking to please God and to strengthen their souls is a garden, high and fertile: heavy rain falls on it but makes it yield a double increase of harvest, and if it receives not heavy rain, light moisture sufficeth it. God seeth well whatever ye do."

The verses go on like that till the saying of God "God will deprive usury of all blessing, but will give increase for deeds of charity: For He loveth not creatures ungrateful and wicked". [S. The cow, V. 276]. You can read also the following verse from the chapter of the family of Imran which reads "O ye who believe! Devour not usury doubled and multiplied; but fear God; that ye may (really) prosper". [V. 130].

On the opposit side, you can read the saying of God "Be quick in the race for forgiveness from your God, and for a garden whose width is that (of the whole) of the heavens and of the earth, prepared for the righteous, those who spend (freely) whether in prosperity or in adversity; who restrain anger, and pardon (all)

men;— for God loveth those who do good" [S. The family of Imran, Vs. 133 — 134]. And from the chapter of Rooman empire you can read "So give what is due to kindred, the needv, and the way farer, that is best for those who seek the countenance, of God, and it is they who will prosper. That which you lay out for increase through the property of (other) people, will have no increase with God: But that which you lay out for charity, seeking the countenance of God (will increase): it these who will get recompense multiplied". [Vs. 38-39].

Read all that verses and think in their meanings with a faithful heart, then you will find out the aim for which the Qur'an prohibits usury and to usurp the money of the others unlegally, and for which it dispraises those who are usurers when it says "Those who devour usury will not stand except as stands one whom the evil one by his touch has driven to madness. That is because they say: "Trade is like usury, but God hath permitted trade and forbidden usury" [S. The cow, V. 275]. Then the Qur'an warned them to go on with treatment of usury when it said: "Those who after receiving direction from their God, desist, shall be pardoned for the past; their case is for God (to judge); but those

Islam treated all people equally. It made no difference between one and another. It wanted them to spend a good life where among them there would be mercy and cooperation. It also put the principles which related individuals to each other, to the society and to the State. Hence, the treatments in Islam are represented in, giving every one his rights, kindness for the weak people, and charging the right of the society from the rich people.

Secondly, from the negative aspect :

Islam prohibited usury, bribery, miserliness, extravagance and to prevent the rights of the poor people. To clarify the dissimilarity between the positive and the negative aspects, holy Qur'an compares the two sides through many of its verses. In front of the sights, it put a light picture which is the one of kindness, sympathy and co-operation as it made giving charity as its motto. On the other side, it put the dark picture which is the one of avidity, cruelty and the hateful selfishness. This is to look into the two pictures and to compare the result of each. Consequently, this will lead people to respect the picture of kindness, sympathy and cooperation, while at the same time, they will dislike the one of cupidity, cruelty and selfishness.

Hence, their humanity will be realized and they will lead a smooth life and construct their glory and greatness on a solid foundation.

It is rarely to find the holy Qur'an mentions a verse which appreciates sympathy, charity and cooperation, without another verse following to it in which the Qur'an warns people of Greed and selfishness. In this respect, you can read through the chapter of the Cow verse, number 261 — 265 which says "The parable of those who spend their substance in the way of God is that of a grain of corn : it groweth seven ears, and each ear hath a hundred grains. God giveth manifold increase to whom He pleaseth : and God careth for all and He knoweth all things. Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their God : on them shall be no fear, nor shall they grieve. Kind words and the covering of faults are better than charity followed by injury, God is free of all wants and He is most forbearing. O ye who believe ! cancel not your charity by reminders of your generosity or by injury, — like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in God nor in the last Day. They are in parable like a hard



by money and properties to impose his will upon the people, sometimes by frightening them and another time by selling their conscience. He forgot that he is a human being and that he will depart from this world. Moreover, he imitated Karun when he declared his false pride and said "This has been given to me because of a certain knowledge which, I have" when God gave him that their very keys would have been a burden to a body of strong men. The poor man waited patiently a lot of time but in vain. Then he repeated many times his question : "where is the justice of God ?"

5 — Because of the domination of money and the need of the poor people, the families disintegrated.

6 — The fear prevailed among all classes. The poor people were living with hearts full of fear as there was no mercy or justice. Also, the rich people were afraid for the others whom they usurped their money and exploited their properties for their own benefits.

7 — The plantation of the crime, the poor man hated the rich one while the latter treated the former badly for fear of the revolution against him.

How Islam faces the requirements of the needy :

While people were living in that bad condition, Islam came and

its leaders made their utmost - with the guidance of its instructions - to kill the sources of evil. The wise teachings of Islam obliterated the enmity and the separation which were existed among the people and replaced them with charity, fraternity and co-operation. Hence, the society changed into a new one which is similar to the bricks that form one building, every one co-operates with the others.

As a matter of fact, Islam treated that bad condition from two aspects :

Firstly, from the positive aspect :

(A) It put the legislations of the social welfare and ordered peoples to carry them out through their practical life.

(B) It asked every one to strive hard to gain his own living and to spend his life calmly and smoothly.

(C) It made the rich people feel that money and properties are not theirs, but their benefits should be for all people especially the poor ones.

(D) As a result of that, Islam ordered rich Muslims to help.

1 — The poor and the needy people, whether by giving them a share of their money or by supplying them with work to earn their living.

2 — The government to be able to erect the establishments for the common welfare.

their life to be continuously obedient to him.

(C) The monopolist made his utmost to gather goods in his own possession to be far away from the people's hands. Therefore, the shown goods will be disappeared from markets, then monopolist offers his goods to be sold of high prices. These exploiters take it an opportunity to increase illegally their fortunes. Hence, the cursed capitalism appeared and cut the human relations among people and also led them to be equal to the wild animals which live inside the forests : The richman tries to usurp the properties of the poor one, the strong one takes it an opportunity to harness the weak person in order to gain personal benefits, while both the poor and the weak man envy that rich and strong one and wait the opportunity to get revenge of them. Consequently, in the pre-islamic society, the following evils appeared :

1 — The rich man exploited the poor one and increased his poverty more than it was before.

2 — The wide fortune led the rich man or the capitalistic group to make their utmost trying to usurp the authority of the legal governors of the people. And this by turn threatened the security and stability of the nation, The glorious Qur'an says " Nay, but man doth transgress

all bounds. In that he looketh upon himself as self sufficient ". [ S. proclaim, Vs. 6 — 7 ].

How great is the expression " in that he looketh upon himself as self-sufficient " which clarifies the cause of the tyranny. This is because richness is a proportional matter : differs from time to time and from an environment to another. Also, man may be comparatively a rich one but, however, he does not consider himself so. Hence, he will be of a good conduct till he raise the degree of richness at which he feels that he has become a richman. So the signs of tyranny, pride and haughty behaviour will take their way to his deeds and step by step, he will reach the top of tyranny and haughtiness.

Therefore, the glorious Qur'an states that, man when he imagines that he becomes a rich one, he in the same time takes his position among the tyrant people. In the sayings of the human beings, there is no complete description of the bad influences of richness on the human soul as that of the holy Qur'an.

3 — The exploitation of the needy people, though they are the majority of the nation, led to the weakness of the people as it shook the economical building of the society.

4 — The rich man was induced



# The attitude of Islam towards the exploiters

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

The greatest Imam of Al-Azhar

---

## The pre-islamic society :

Islam regulates the social welfare to satisfy all the individuals of the nation. It embodies the rules which control all the aspects of life. And to clarify the picture which Islam paints for the virtuous and the perfect society, it is our duty to state that Islam — in its early days — had faced a big problem. That is the exploitation on which no social welfare can be realized. And in order to conceive the influence of Islam towards obliterating this social disease which leads to the destruction of societies and nations, I shall explain the condition which prevailed in the society before the advent of Islam. Then I shall interpret, how Islam treated this social disease and how it — by the grace of the belief and faithfulness of the first Muslims — defeated it.

As a matter of fact, Islam came while people became of merciless hearts. They had no knowledge about co-operation : The strong man

humiliated the weak one for nothing but because he had money and health. The rich person exploited the poor one for nothing but because he had some kind of influence or an upper hand over him for his richness. Through these dark days, the greedy rich people made their utmost to usurp the properties of the poor ones, and consequently, there was no way in front of the weak people except to subdue themselves to the tyrant rich people, or to revolt against them. But the latter way was difficult, because the exploitation had weakened them and the exploiters had usurped all their capabilities. For instance :

(A) The loan sharker charged from the needy one more than he gave because of delay in paying what he had received before.

(B) The master of the work gave the workers wages less than their rights, beside those who were harnessed by him and for his own benefits. Those were the slaves who were forbidden the necessities of

# مجلة الانوار

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الانوار في (فون كل شهر عربي)

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المصنف  
إدارة إجماع الأزهر  
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٤١٤

يشارك في التحرير  
عبد الرحمن محمد العقاد  
بدل الاشتراك  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ خارج الجمهورية  
وللمدسسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث — السنة الرابعة والثلاثون — جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ — أكتوبر ١٩٦٢ م

لسماء الله المباركة

١٤  
٢٤٤٤٤٤  
رور

## أدبنا بين الواقعية والكليية

بقلم: أحمد حسن الزيات

الكليية كما فهمها (ديوجين) ، والواقعية كما فهمها (بلزاك) ، والطبيعية كما فهمها (زولا) ، تتفق جميعاً في تنظيم حياة الإنسان أو الفن على مقتضى الطبيعة . فالكلييون كانوا يرون الحكمة في رفض الثراء ونبذ الفضول ، والعزوف عن اللذة ، والزهو في الرفاهية ، والتحلل من كل قيد للاجتماع ، والخروج على كل نظام للسلوك . وكان زعيمهم يسكن في برميل ويمشي حافياً ويعترف الماء بيده ، ويستتر برداء واحد

الواقعية مذهب من مذاهب الأدب عند الإفرنج في القرن التاسع عشر بعد الميلاد ، والكليية مذهب من مذاهب الفلسفة عند الإغريق في القرن الرابع قبله . فالجهة الجامعة بين المذهبين لا تتمثل في الذهن ، لامن الزمن ولا من الموضوع ولا من الغاية . فما الذي حملني إذن على أن أجمع بينهما في هذه الكلمة ؟ استمر على كل حال في القراءة فلعلك واجد فيما تقرأ علة هذا الجمع وطبيعة هذه العلاقة .

عرفت الشر لا للشر  
لكن لتوقيه  
فمن لا يعرف الشر  
من الناس يقع فيه  
ويقول في القبح :

قلبي وثاب إلى ذا وذا  
ليس يرى شيئاً فياً به  
يهم بالحسن كما يذبحي  
ويرحم القبح فيواه  
على أن هذه البذرة الضائعة في حقول شعره  
كانت أضعف من أن تثمر المذهب الواقعي  
في الأدب العربي ، لأنها خاطرة من خواطر  
شاعر ، لا فكرة من فكر فياسوف .  
والواقعية مجالها القصص والمسرح لا الشعر  
والقصيدة .

والطبيعيون يشاركون الواقعيين في تصوير  
الواقع ، ولكنهم ، ينفردون عنهم بطريقة  
تفسيره ، فالواقعي يكتفي بالملاحظة والتسجيل  
والتعديل ، والطبيعي يزيد على ذلك التجربة  
والوراثة والعلم . وهؤلاء وأولئك يشترطون  
( الفنية ) في المذهب . فلا يخرجون على  
قواعد اللغة ولا يتمرّدون على قوانين البلاغة ،  
ولا ينقلون عن الطبيعة نقل المصور  
الفوتوغرافي يقف عند جد الآلة ولا يضيف  
إلى الصورة نوراً من فكره ولا لوناً من خياله

على اللحم ، وينام تحت السماء في أروقة المعابد  
طول العام . وسموا بالكليبيين لأنهم كانوا  
يحملون على عابري السبيل بالتهكم اللاذع  
فشبهوهم بالكلب العقور .

والواقعيون كانوا يرون البلاغة في تصوير  
الطبيعة على الواقع المحسوس ، وتفسير  
غوامضها على المعنى الحق . والواقع يكون  
خيراً كما يكون شراً ، والمعنى يكون حسناً  
كما يكون قبيحاً ، ولكنهم يجعلون بالهم إلى  
دقائق الحياة المبتذلة القبيحة أكثر مما يجعلونه  
إلى دقائقها المصونة الجميلة ، لاعتقادهم أن  
الشر في الناس هو الأصل ، وأن القبح  
في الطبيعة هو الجوهر .

شق الطربوش الذهبي في فم الإنسان تجذب  
الناب ، وأخلع القفاز الحريري عن يده  
تجد المخلب .

فالواقعية تلاحظ الطبيعة وتنقلها نقلاً  
موضوعياً محايداً أميناً لا تدخل الفنان بشعوره  
الشخصي فيه ، ولا تحفل بإظهار السمات  
الجمالية به ، ولا تقصد إلى استنباط المغزى  
الخلق منه .

والواقعية في معنى من معانيها بذرة في شعر  
عبد الله بن المعتز ، فقد كان يعرف الشر ويبرر  
هذه المعرفة ، ويهوى القبح ويعلل هذا  
الهوى . فهو في الشر يقول :

النزوع إلى الإصلاح في نفوس الخاصة ،  
كان هذا الفهم حقاً لا جدال فيه .

\* \* \*

أما إذا فهمناها على أنها الانطلاق من كل  
قيد ، والتذكر لكل عرف ، والاستخفاف  
بكل قيمة ، والنزول بالفن نفسه إلى مستوى  
إدراك الرجل العاى وذوقه ، فمكتسب له الأدب  
بقلم ( العرضالجى ) ، ونعزف له الموسيقى  
بزمارة الراعى ، ونرسم له الجمل والحمل  
بفرشة النقاش ، فتلك هى السكلية لا الواقعية .

أنا أميل بطبعى إلى الواقعية بمعناها الفنى  
الصحيح ، ولكنى أكره لنفسى ولغيرى  
غلو الغاين فيها بنقل الطبيعة والحقيقة نقلا  
آلياً ، قبحاً بقبح ، وعرياً بعري ، وغثاء  
بغثاء ، دون أن يسمحوا للذوق أن يهذب  
ولا للفن أن يحمل . وأرجو أن تظل  
الواقعية كسائر المذاهب الجدية محدودة  
بحدود الفن محكومة بأحكامه ، وحيثما يكن  
الفن يكن الجمال .

إن الفن كما أعتقد لا تطلب منه الحقيقة  
التي تطلب من العلم ، إنما يطلب منه أن  
يعرض شهبها مجملاً بألوانه مزينا بوشيه ،  
وكأنما وضع بين الفن والنفس ميثاق  
ترخص له الحواس بمقتضاه أن يزور الحقيقة ،  
وهو فى مقابل تلك الرخصة يحقق لها  
السرور واللذة .

صحيح أن الواقعية من حيث الفكرة تعتمد  
على الحقائق والوثائق لا على الفروض  
والأخيلة ، ولكن من الصحيح أيضاً أنها  
من حيث الصورة لا تقص أجنحة الخيال  
ولا تطيء ألوان الحسن . أليس من زعماء  
الواقعية وأساطينها ( فلو بير ) صاحب ( مدام  
بوفارى ) ؟ إن واقعيته فى الموضوع  
لا فى الشكل ، وإن شعبيته فى الفكرة لا فى  
الصورة ، وإن أسلوبه آية فى البلاغة والدقة ،  
وغاية فى الأناقة والجمال .

كتب قصته الجميلة ( سلامبو ) عن الحضارة  
الفينيقية فى قرطاجنة ، فاقتضته واقعيته التي  
تعتمد على الوثائق أن يقرأ فى موضوعها  
ثلاثة وخمسين كتاباً ، وأن يزور أطلال  
هذه المدينة فيستنطق الآثار ، ويستوحى  
المنازل ، ويجمع الأسانيد ، ويرصد  
الأحاسيس ، ويصور المناظر . واقتضته  
( فنيته ) التي تعتمد على الألوان أن يصوغها  
فى نظام من البلاغة مونتق باللفظة المختارة ،  
مشرق بالعبارة العذبة .

وقل مثل ذلك فى سائر زعماء المذهب  
كبلزاك ، وموباسان ، وزولا .

إذا فهمنا الواقعية فى أدبنا المعاصر على  
أنها تصوير للناحية الدنيا من حياة الشعب  
السكادح بما فيها من عناء وشقاء وألم ،  
وما بها من شذوذ وعوج ونقص ، لنوقظ  
الطموح إلى الكمال فى شعور العامة ، ونحرك

على أجسام الخليفة هذا التمثال . وعلى نحو من ذلك نقول في الشاعر الذى ينظم من الأحاسيس الذاتية والمناظر الطبيعية قصيدة ، وفى الكاتب الذى يؤلف من الوقائع الفردية والطبائع الإنسانية قصة . ومن الجائز ألا يكون لهذه القصيدة وجود فى الكون ، ولا لهذه القصة وجود فى المجتمع ، ولكن العبرة فى الفن الحدوث الممكن لا الحدوث المحقق . ذكرت العلاقة بين الفن والطبيعة لأقول إن الواقعيين الغلاة الذين يتوخون الحقيقة ويتحرون الواقع ، ويؤثرون الدور وينكرون الذات إنما يكفرون بأثر الفن فى رفع النفوس ودفع البؤوس وتجميل الحياة .

\* \* \*

ربما كان الخلاف بين الواقعية العربية والواقعية الأوروبية ، أو بين الواقعية المتطرفة والواقعية المعتدلة ، أن من الواقعيين العرب من يريد أن يهبط باللغة والأسلوب إلى مستوى الأميين فيكتب لهم بالعامية ويدنى المعانى من أفهامهم بتجريد الأسلوب من خصائصه البلاغية وسماته الجمالية حتى لا يكون الأدب فى ذاته غاية يصفو به الذرق وتسمو به الروح وتجمل به الحياة ، والواقع الذى تحققته من اختلاطى بالشعب فى حياة القرية وتحرير الرسالة أن القارئ من الزراع

فرخصة الشعر أن يتكلم بالوزن والقافية ، ويعبر بالجاز والاستعارة ، ويرتفع بالقصيدة أو المسرحية إلى مستوى لا يكون فى الحقيقة . ورخصة التصوير أن ينقح الواقع كما يحب ، ويغير الوضع كما يشاء ، ويرتفع بالصورة أو المثل إلى مستوى لا يوجد فى الطبيعة . ورخصة الموسيقى أن تذهب فى الإيقاع مذهب الإبداع فتؤلف من اختلاف الأصوات وتنوع النبرات وتعدد الطبقات لحنا متكاملا متلائما لا يطرق الآذان له مثل فى الواقع . وهذه الرخص التى تمهده الحقيقة لابد منها للفن على اختلافه ليدع ما لم تبدعه الطبيعة من الجمال الذى يبعث الإعجاب ويحدث اللذة .

إن فى الفن شيئا أكثر من التقليد المحض . استمع إلى آلة تقلد تغريد البلبل كما هو بسنذاجته ورتابته فلا تجد فيما تسمع جمالا يعجب ولا لحنا يطرب ، ولكنك إذا استمعت إلى الآلات الموسيقية تعبر عنه فى سمفونية أعجبت كل الإعجاب وطربت غاية الطرب ، لأن الفن قد دخل التقليد فى هذه الحال فنقح وصحح وزاد . لم توجد فى الطبيعة سمفونية ( بهوفن ) ، ولم توجد فى الخليفة فينوس ميديتشى . وإنما الفن وحده هو الذى ألف من النبرات الرخيمة المتفرقة فى أصوات الطبيعة هذه السمفونية ، وصاغ من الملامح الجميلة الموزعة



إن الواقعية بمعناها العام مذهب من مذاهب الأدب ، والأدب عند الأمم جميعا فكرة سليمة في صورة جميلة ، وجمال الصورة في كل لغة لا يتحقق أولا وبالذات إلا بسلامة العبارة من الخطأ والغشاة .

والواقعية كما قلت لا تعادى الفن ولا تنافيه ، والواقعيون أجمعون هم من الكتاب الأفذاذ الذين أوتوا ملكة البيان وفقهوا أسرار البلاغة ، وما نعرف أحدا منهم تعاطى الكتابة في لغته وهو ينسكرها كل الإنكار ويتنكر لأدبها كل التنكر ، فهل يريد الواقعيون العرب أن يكونوا بدعا من سائر الكتاب فيفصلوا بين الواقعية والفن وبين الكتابة واللغة ؟ .

إن كانوا يريدون ذلك فهو الخلاف الذى لا يتهى بيننا وبينهم ، وإن كانوا يدعون إلى واقعية عربية تنشق من حياة الشعب ، وتحرص على تقاليد العروبة ، فتؤثر الفصحى وتقدس الخير وترعى الجمال فإننا وإياهم على كلمة سواء .

**أحمد حسن الزيات**

والصناع يفضلون الشعر على الزجل ، ويتأثرون بالمقال البليغ أكثر مما يتأثرون بالقول الساذج . والأدب هو الجزء السماوى فى الإنسان ينزع به دائما إلى ما هو أعلى وأكمل ؛ فهو له كالجنحين للبلد ، يرفعه من كثافة المادة إلى لطافة الروح . ومن واجب الأديب أن يقوى هذا النزوع فى نفوس الشعب بتصوير المثل العليا للجمال والفضيلة وحمله بطريق التثقيف على أن ينظر إليها من فوق رأسه لا من تحت قدميه .

إن الحياة فيها المسجد والسوق ، وفيها المدرسة والمصنع ، وفيها الحديقة والمطعم ، وفيها الإستديو والورشة ، وكل جهة من الجهات المعنوية تعدل الجهة التى تقابلها من الجهات الحسية ، فلماذا نكره الأدب على أن يتقلب فى الجهات الدنيا لا فى الجهات العليا وأن يعيش مع ابن آدم فى حيوانيته لا فى إنسانيته ؟

إن الأدب للشعب كله ما فى ذلك خلاف ، ولكنه إذا نزل إلى عامته فإنما ينزل ليرفعهم إلى السطح لا ليغوص معهم إلى القاع . وقول من يقول إن الأدب الأدب يدخل بهذا المعنى فى قول من يقول إن الأدب للحياة .



# الإيمان والاستقامة طريق الأمن والسلام

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

سبل الباطل للإعراض عنها ، ثم اعتقاد المحاسبة والجزاء يوم الدين ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . وبذلك يكمل في الإنسان الجانب العلى بإدراك الحق والإيمان به .

## الإقرار والعمل :

أما الاستقامة : فهي الإقرار بالحق ، والاستمرار في العمل على مقتضاه بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله في كتبه ، وبينه على ألسنة رسله ، وبها يكمل في الإنسان جانبه العملي بفعل الخير والصلاح . فمن حاد عن شيء في العقيدة أو في عمل الخير ، فقد اعوج ومال عن الصراط المستقيم .

وكثيراً ما تحدث « القرآن الكريم » عن الاستقامة ، فسورة « الفاتحة » التي هي أم الكتاب ، والتي هي أول سورة كاملة نزلت من القرآن ، والتي طلب قراءتها من المؤمنين في كل صلاة ، تهتم — بعد إثبات الحمد والربوبية وملك يوم الدين لله — بتوجيه المؤمنين إلى الدعاء ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وترشدهم إلى أن طريق

قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وجاء في الأربعين النووية ، في رواية لمسلم . . أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال : ( قل آمنت بالله ، ثم استقم ) .

كلمتان عظيمتان : الإيمان والاستقامة . هما أساس السعادة ، وهما طريق الأمن والسلامة ، يجمعان عناصر الإسلام ، ويضمنان جميع وسائل الخير ، وخصال البر .

كلمتان : هما الإسلام كله . بهما يتحقق الإسلام ، فليس الإسلام نسبة يعرف بها تعداد السكان ، وليس الإسلام كلمة التوحيد مجردة تجري على اللسان ، إنما هو تعبير صادق عما استقر في القلب وملك على الإنسان الحس والنفس من اعتقاد وحدانية الله في الربوبية العامة للعالم كله : أرضه وسماؤه ، مائه وهوائه ، نباته وحيوانه . . أجساماً بالخلق والتنمية ، ونفوساً بالهداية والإرشاد وتوضيح سبل الحق للسير فيها ، وكشف

أصلها ، والبعد بها عن مظاهر الشرك ،  
تتناول المحافظة على العبادة من جهة البعد بها  
في أصلها وكيفياتها عن وجوه الابتداع فيها ،  
وتتناول المحافظة على المعاملة من حيث  
تحرى الخير فيها ، وعدم الإضرار بها ،  
والاحتيال عليها ، وتتناول المحافظة على  
التشريع بحيث لا ينقض أصل من الأصول  
التي نص عليها في كتابه ، وألا يخرج بها عن  
دائرة العدل الذي يريده الله .

### وسط في كل شيء :

وهي — بعد ذلك — الحد الوسط الذي  
لا إفراط فيه ولا تفريط ، وسط في العقيدة  
بين الذين ينكرون الإله ، ويعزمون أن هذه  
الحياة الدنيا وليدة المصادفات والتفاعلات  
المادية ، وبين الذين يقولون بالتعدد  
ويتخذون مع الله أندادا .

وسط في الأخلاق بين الذين يتحللون من  
كل الفضائل ، وبين الذين يشتتون في تصور  
الفضيلة والتزام طرق التشدد فيها .

وسط بين المادية البحت ، وبين الروحية  
البحت ، وسط في طريقة التشريع ووضع  
قوانين الحياة للناس ، وسط في تحديد علاقة  
الفرد بالجماعة .

أما منهاج الاستقامة الذي تضمنته سورة  
« هود » فهو في قوله تعالى من أواخر السورة :  
« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك  
ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير . ولا تركنوا

الحصول على نعمة الله المطلقة : نعمتى الدنيا  
والآخرة » اهدنا الصراط المستقيم ، صراط  
الذين أنعمت عليهم » .

وسورة « الأنعام » تذكر أن اتباع شرع  
الله في التوحيد والخلق والمعاملة هو ما يأمر  
الله به ويحذر الإعراض عنه . ثم يقول  
« وأن هذا صراطي مستقيما ، فاتبعوه ،  
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

### المستقيمون والمنعمون :

وسورة « هود » ترسم المنهاج الكامل  
للاستقامة في الحصول على السعادة والفلاح  
والسلامة ، وقد جاء ذلك المنهاج بعد أن  
صورت السورة الدعوة ، وذكرت دلائلها ،  
وقدمت صورة تاريخية واضحة عن عاقبة الذين  
استقاموا على أمر الله ، والذين انحرفوا  
عنه . أما الذين استقاموا فهم الأنبياء  
الداعون ، وأما الذين انحرفوا فهم الأقوام  
المدعوون .

والاستقامة كما أمر الله ، هي التزام الخط  
المستقيم الذي لا عوج فيه ولا التواء ، وبه  
شبه طريق الحق الذي رسمه الأنبياء في العقائد  
والعبادات والأخلاق ، والأصول العامة  
للمعاملات ، وأطلق عليه « القرآن الكريم »  
« الصراط المستقيم » .

فهى تتناول المحافظة على العقيدة ، والمحافظة  
على العبادة ، والمحافظة على المعاملة . والمحافظة  
على التشريع ، تتناول المحافظة على العقيدة في

في هذه الآيات طلب الله إلى رسوله  
والمؤمنين معه أن يستقيموا على الطريقة كما  
أمر، ثم عاد يؤكد هذا الأمر، يوضح حدوده  
ويبين مہجه .

فنهى عن الطغيان ولا تطفوا، والطغيان  
مجاوزة الحد بالإفراط أو التفريط في العقيدة  
وفي العبادة .

فالطغيان في العقيدة أن يظن المرء بالله  
عجزاً، أو يزعم أن لغيره في الأمر شأنًا .

والطغيان في العبادة بالإعراض عن طاعة  
الله ودعائه، والتوجه بهما إلى غيره،  
وباختراع عبادة لم ترد عنه، وتحليل الحرام  
أو تحريم الحلال، والاعتداء على الحقوق،  
وكفر النعمة والاعتزاز بالقوة .

وقد بين القرآن في أكثر من موضع عاقبة  
الطغيان، وضرب لنا الأمثال بالذين طغوا  
في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم  
ربك سوط عذاب .

### كيف تتم الاستقامة ؟ :

ولم يكف في نظر الإسلام أن يستقيم المرء  
في نفسه، وإنما تتم الاستقامة بتجنب الطغيان  
والظلم وعدم الميل إلى الظالمين أملاً في خير  
أو خشية من شره ولا تركنوا إلى الذين  
ظلموا فتمسك النار وما لكم من دون الله  
من أولياء ثم لا تنصرون، فإن السكن إلى  
الظالم يغريه بظلمه، فتموت الفضيلة وتستشري  
الرذيلة وينهار المجتمع .

إلى الذين ظلموا فتمسك النار وما لكم من  
دون الله من أولياء ثم لا تنصرون، وأقم  
الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل  
إن الحسنة يذهب السيئات ذلك ذكرى  
للذاكرين . واصبر فإن الله لا يضيع  
أجر المحسنين .

وأول ما نلح في هذه الآيات أن الله  
سبحانه وتعالى سوى فيها بين الحاكم والمحكوم،  
وبين الراعي والرعية بالخطاب والأمر، وكان  
ذلك أصلاً من أصول المساواة في الإسلام  
قضى به على أثر من آثار التميز والطبقية،  
فالحاكم كالمحكوم في نظر الإسلام، يقام عليه  
الحد إذا ارتكب ما يوجب الحد . . إذا  
قتل قتل، وإذا زنى رجم أو جلد، وإذا  
شرب الخمر عزر .

### القصاص من النبي :

لذلك خوطب النبي صلى الله عليه وسلم  
بكل ما خوطبت به أمته، وكان أول المنفذين  
على نفسه وفي نفسه . . مكن من ضربه  
ليقتص منه، وقال لا بئته كلبته الحاسمة:  
يا فاطمة لا أغنى عنك من الله شيئاً .

لم يخصه ربه بشيء من الأحكام ذات الأثر  
العام في الأمة وإنما كانت خصوصياته فيما  
يتصل بشخصه، كالتهدد وحرمة الزوج  
بغير من تزوجهن، وحرمة زوجاته على أمته  
بعد موته .

عن الفساد وترك المترفين يعيشون ويعشون  
 • فلو لا كان من القرون من قبلكم أو لو بقية  
 ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن  
 أنجينا منهم ، واتبع الذين ظللوا ما أترفوا  
 فيه وكانوا مجرمين .

كما أعقبه بيان عاقبة الظالمين « وما كان ربك  
 ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

### العقل والتكليف :

وألزمهم الحجة بما أودع فيهم من عقل  
 يميزون به الخير من الشر والنافع من الضار  
 تركهم إلى اختيارهم تحقيقا للابتلاء والتكليف  
 « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ،  
 ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك  
 خلقهم » .

فالاختلاف قوام الحياة والباعث على  
 التنافس ، والله جلت حكمته لم يرد الحياة  
 صامتة جامدة وإنما أرادها متفاعلة متجددة .  
 وإن تتحقق هذه الحكمة إلا إذا ترك الناس  
 وتصوراتهم وعقائدهم وخططهم التي يرسمونها  
 لأنفسهم في الحياة .

وحسب الحكمة الإلهية أن ترشد بالآيات  
 إلى طريق الحق وسبيل السعادة ، ثم يكون  
 للبحسن إحسانه وللبيس إساءته .

هذا هو منهاج الاستقامة كما جاء به القرآن  
 الكريم هدى وموعظة وذكرى للمؤمنين .

محمود سلطون

وإنما يستهدف هذا الأصل العظيم من  
 أصول الاستقامة كسر شوكة الطغاة وتقليم  
 أظفار الظلمة حتى تضيق عليهم الأرض بما  
 رحبت ، ولا يجدوا ملجأ من الله إلا إليه  
 بتطهير أنفسهم والرجوع إلى الدين الحق .  
 وقد حذر القرآن من اتخاذ البطانة والولاية  
 من المفسدين حتى لقد جعل أولياء الظلمة في  
 منزلتهم « ومن يتولهم منهم فإنه منكم » .

فالبعد عن الطغيان واجتناب الطغاة أصلان  
 متكاملان تتحقق بهما الاستقامة التي أمر الله  
 بها وهدى المؤمنين إليها وللوقاية من الطغيان  
 أمر الله عباده بالصلاة والصبر .

« وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل  
 إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى  
 للذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر  
 المحسنين » .

فالصلاة تربط الإنسان بربه عن طريق  
 المناجاة والدعاء وإسلام النفس وتهذيب  
 الخلق ، وتبديل غرائز الخير بغرائز الشر .  
 والصبر يعصم الإنسان من الزلل في مواقف  
 الفرج والجزع . . فرح النفس عند النعمة  
 والجزع عند النقمة « واستعينوا بالصبر  
 والصلاة وإنها أكبر قوة إلا على الخاشعين » .  
 إن الإنسان خلق هلوفا ، إذا مسه الشر  
 جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين .  
 ثم أعقب القرآن هذا المنهاج بآيات التحسر  
 والتندم على تقصير القرون الأولى في النهي

# المقامة

## بين الحفاظه والتجديد

### للأستاذ عباس محمود العقاد

المقامة فن من الكتابة الثرية لا يعرف له مثيل في غير اللغة العربية .  
ولعله أسلوب من الكتابة الفنية لا تصلح له لغة غيرها ؛ لأنه يقوم على تنسيق الفواصل والقوافي وتجميل اللفظ والمعنى بالمحسنات الظاهرة والمضمرة ، وليس أنسب لهذا الأسلوب من لغة توزن فيها الألفاظ وتطرد فيها أوزان الاشتقاق ويكثر فيها استخدام الجناس والتورية كما يكثر فيها التوفيق والتفريق على حسب مواقع الإعراب والإعجام .

وقد وجدت للمقامة أغراضها التي تناسبها وتميزها من المقالة ومن القصة كما تميزها في الشعر من القصيدة والمقطوعة ، وتحري المقاميون هذه الأغراض ، بسليقتهم وعلى وفاق ذوقهم ، منذ نشأت المقامة في القرن الرابع الهجري إلى أن أحيائها الكتاب المنشئون في أواخر القرن الثاني عشر ، على مثالها الأول بغير تعديل كبير في موضوعها وأسلوبها .

فن أغراض المقامة الوصف والتحليل ،

والمقامة والنكتة النادرة والتلقين أو التعاليم ، ويسبق هذه الأغراض جميعا غرض شامل تشترك فيه جميع المقامات على اختلاف أغراضها الأخرى ، وهو ما نسميه غرض الزينة أو غرض الجمال إلى جانب الفهم والإفادة ، وذلك غرض مقصود في كل صناعة من الصناعات ، يتجراه المجيدون في كل صناعة كما يتحرون وجه الفائدة منها ، فلا تخلو صناعات البناء والكساء والطعام ، بل الدواء والدراسة ، من جهود تبذل لإقامة الصرح الرائع وتطريز الحلة الرائقة وتهيئة الصحف المشتهة وإعداد العقاقير والكتب في شكلها المستحب ووعائها المقبول .

ففي المقامة الوصفية نقرأ أوصاف المناظر والأشياء وأوصاف الإنسان والحيوان ، وأوصاف المدن العامرة والآنية الفاخرة ، وغيرها من الأوصاف العارضة ، كلها تناولها الحديث ، أو كلها شاء الكاتب أن يجعل الوصف غرضا مقصودا لمناسبة يختارها ولا يمعن كثيرا في بحثه عن هذه المناسبة .

وفي المقامة التحليلية يعرض لنا الكاتب

فيها حقيقة عليية في قالب من البيان والبلاغة ولا يشترط أن يكون العلم بالحقيقة وقفا على المقامة البليغة لأنها قد تكون من الحقائق التي يتعلمها من شاء في كتب الدراسة ، ولكن يشترط في المقامة ، أن تجعل تلك الحقيقة ميسرة الحفظ والرواية في مقام المساجلة والمصادمة ، ووسيلة من وسائل الفهم مع تهذيب اللسان والقدرة على حسن البيان .

\* \* \*

فالمقامة بوضعها وموضوعها قد أنشأت في اللغة فنا مستقلا من فنون الكتابة لا يغنى عنه فن المنشور أو المنظوم .

لأنها وسط في موضوعها بين موضوعات الفهم والدرس وموضوعات الذوق والخيال . وهي وسط بين الشعر والنثر ، وبين الحكاية والصورة ، وبين التعليم والتجميل ، وبين الفن للفن من حيث القالب والصياغة ، والفن لمعانيه ومطالبه من حيث النظر إلى الحياة النفسية أو الحياة الاجتماعية .

وحق البقاء مكفول لكل فن جميل نافع يصلح لرسالة في عالم الثقافة الإنسانية لا يغنى غيره مثل غنائها فيها .

فلماذا وجدت المقامة عندنا ثم فقدت مكانها ؟ وكيف تعود إلى ذلك المكان إذا كان من حقها أن تعود إليه ؟

\* \* \*

« صورة شخصية » لمن يتحدث بأسمائهم أو يتحدث عن أحوالهم وأخبارهم ، تتمثل فيها جوانب الجسد منه وجوانب الفكاهة ، وجوانب الواقع أحيانا إلى جوانب التخيل والتقدير ، ويغلب عليها أن تكون من قبيل الصور المرححة التي شاعت في الصحف الفكاهية واقتربت بالموضوعات الهزلية ، وإن كان موضوع المقامة لا يأبى الجسد في تصوير الشخصيات ، التي تذكر بمفاخرها وآثارها ، وعظائم أخلاقها وأفكارها .

وفي المقامة العاطفية يوصف الشعور الإنساني بكلام يحفظ لجماله ويروى لما فيه من موضع الشاهد والعظة ، وتلحق فيه الكتابة المنشورة بالكتابة المنظومة على غاية ما يستطيع من مشابهة النثر والنظم ومقارنة الكاتب الفنان للشاعر الفنان .

وليس أبلغ ، ولا أدعى إلى الإعجاب ، من النكتة الرائقة في الكلام الرائق ، أو من النادرة الشائقة في اللفظ الشائق ، فالمقامة في موضوع النكتة والنادرة قصة وزيادة ، إذ يراد فيها الأسلوب من أجل القصة وتراد فيها القصة من أجل الأسلوب ، وتتمشى القصة وأسلوبها معا موضوعين اثنين في قالب واحد .

أما مقامة التنقين والتعليم فتلك هي المقامة التي يتعلم فيها القارى . فكرة ولغة ، أو يتعلم

نعم يحق للمجدد أن ينكر استخدام أسلوب المقامة في موضوعات شرح العلوم أو تفصيل مسائل القانون والسياسة ، أو بيان وجوه النقد في المسائل الأدبية كغيرها من مسائل الكتابة المرسلة في لغتنا العربية وفي جميع اللغات ، ولكن تحريم أسلوب المقامة في الموضوعات التي تصلح لها وتعمل بها هو مذهب التجديد الذي لا فرق بينه وبين التقليد ؛ لأن إنكار القديم لغير سبب كإنكار التجديد لغير سبب ، كلاهما مجازاة على سنة المحاكاة ، لا تستند إلى فكر ولا ذوق .

والمجددون المقلدون هم آفة النقد في كل حركة فنية أو فكرية ، وهم - على ما نرى - أصل الإضرار على أسلوب المقامة في موضع وفي غير موضع ، ولو أنهم خصوا هذا الأسلوب بالنقد في غير موضعه لكانوا مجددين غير مقلدين .

ففي عصر البعث اللغوي - منذ قرن مضى - كان الاحتفال بالكتابة علامة الغيرة على اللغة والقدرة على مجازاة الأقدمين فيها ، وكانت المقامة بأجماعها ومحسناتها مثلاً لكلام المحتفل به ودليلاً على العناية بإحياء القديم في الوقت الذي كان إحياء القديم فيه هدف النهضة وغاية القدرة التي تؤهل صاحب القلم لحمل أمانة الكتابة في العصر الحديث ، فشاع أسلوب المقامة في مقالات الصحف وفي مراسيم

إن المقامة ضاعت في معركة المحافظة والتجديد ، ولكنها لم تضع على أيدي المحافظين العارفين بما يحافظون عليه ولا على أيدي المجددين العارفين بما ينكرون من القديم وما يستحسنون من الجديد ، ولو كان لها قارىء خاص كقراء القصيدة والمقالة والقصة لانفرد بها الكاتب الخاص الذي يجيدها ويترقى بها ويتوسع فيها ، ولكنها ليست من القراءة التي تطلب فيستجاب الطالب ، وإنما هي زينة حسنة توجد فيوجد من يستحسنها ، وقلبا يلح في طلبها إلحاحاً يفرضها على من يستطيعها ، من زمرة المحافظين كان أو من زمرة المجددين .

فالمحافظون لا يضيعون المقامة لأنها وصلت إليهم مع التراث القديم الذي يحافظون عليه . والمجددون لا يستقيمون على نهجهم في نقد البلاغة إذا تعللوا لنقد المقامة بعلّة الوزن والقافية التي يميزونها في الشعر أو بعلّة التجميل الفني التي يقبلونها أو يطلبونها في النثر .

أما إن كان التجديد عندهم إنكاراً للوزن والقافية والتجميل الفني جميعاً فذلك هدم وليس بتجديد ، وهو هدم الأدب بمنظومه ومشوره من أساسه ، وليست المقامة وحدها مخصوصة فيه بالإنكار .

الكلام المرسل ؛ لأنه لا يفصل هنا بين غرض الإفادة وغرض التجميل .

وما أكثر الموضوعات التي تتقبلها المقامة في العصر الحاضر ولا تتقبلها القصيدة ولا القصة ولا المقالة بمثل هذا الترحيب ! .

مناظر السباحة في الفضاء ، أسرار العلم التي تقرب من التخمين ، وأسرار الخيال التي تقرب من العلم في أوصاف سكان الكواكب وعوالم الأفلاك ، خطاب يلقيه إنسان مريخي أو نبوءة يملها إنسان أرضي على كائنات المستقبل في عالم الحس والشهادة أو عالم الغيب والظنون ، بحث من بحوث التنجيم يتعاون فيه العالم والفيلسوف والشاعر والصوفي ورجل الدين .

أليس للمقامة عملها في هذه المقاصد عند الشقة الحرام على ملتقى العلم والشعر ، والتحقيق والتخمين ، والجد والفكاهة ، والحلم والعيان ؟ .

بلى . . . إن للمقامة لعملا كبيرا ينتظر من الجدد قبل المحافظين ، وإنه لعمل ينتظره المخلصون من يزعمون تحرير الشعر بإلغاء البحور والأوزان ، فإن المقامة أوفى بالغرض في هذا المقام من شعر بلا بحور أو نثر مهمل يلبس الحلية في كم من كمين ، ويحمل الإيقاع بقدم من قدمين ، ولا يقنع بالمسوخ في نفسه حتى يشترط معه الشروط هدا للشر وتغريبا للنثر عن عالم النفع

وعالم الجمال . عباس محمود العقاد

الحكومة وفي كتب التاريخ والجغرافية وفي نقل الكلام المترجم وشرح الكلام المنقول . لا جرم كان من التجديد أن يقننه رواد التجديد إلى خطأ هذا الرأي وأن يختاروا الأسلوب المرسل لموضوعات الكتابة المرسلة التي تطلب للفائدة وتحقيق العلم والفهم ولا تحتاج من تجميل البلاغة إلى مقصد غير مقصد الإبانة والإقناع وصحة اللغة وما تنطوي عليه من صدق التعبير وسلامة لفظه ومعناه .

ويتهى حق التجديد عند نقد الأسلوب في غير موضعه ، فإذا تجاوزوه إلى نقد أسلوب من الأساليب في كل موضع ولغير سبب من أسباب الفن الجميل أو أسباب الزينة البليغة المطلوبة في كل صناعة ، فذلك هو ابتداء التقليد عند نهاية التجديد .

ويعاب التقليد في هذا الفن من فنون اللغة العربية لأنه حرمان لها من مزيتها بين اللغات ، وهي مزبة توفر فيها أسباب الجمال الفني في الكتابة النثرية على مثال يضارع هذا الجمال في الكتابة المنظومة ، من غير إخلال بمطالب الذوق السليم في الأغراض التي تنفصل فيها مواضع الشعر والنثر ، ولا تسمح باللقاء السائغ بين الفكر والواقع وبين العاطفة والخيال .

والمقامة هي القالب الذي ينتظر منه القارئ مقالة وقصيدة وقصة ودرسا من دروس التعليم ، ولا يستغرب شيئا من ذلك كما يستغربه منظوما في القصيد أو منشورا في



# صياغة مشروع لجامعة إسلامية

## للفقيه الكبير، أبي الأعلى المودودي

ذلك القدي ستقرأه في هذا المقال هو ما وقع في خاطر الأستاذ الكبير أبي الأعلى من تطوير التعليم الديني ، ليعود الإسلام كما شرعه الله ، دستوراً للحياة ونظاماً للعالم . ومشروع الأستاذ هو بتفصيل أدق وأتمل ما انطوى عليه قانون الأزهر الجديد الذي أصدرته حكومة الثورة بالجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦١ - فلو أن الأستاذ قرأه منشوراً في عدد صفر سنة ١٣٨١ من مجلة الأزهر لاطمأن قلبه على ما تمنى للإسلام من تجديد ، وللمسلمين من تقدم ، ولحمد الله على أن أتبع للأزهر وهو حصن الإسلام للنبع ، أن يكون مبعثاً للإسلام للتطور المنهجر الصالح لقيادة الأمم في متاهة النظم الوضعية للتمارضة للتناقضة التي توشك أن تفتن بني آدم جميعاً على الهاوية .

المحرر

نرى رجال العلم والفكر في مختلف أقطار العالم الإسلامي ينادون بين يوم وآخر بضرورة إدخال تغيير أساسي على نظم التعليم والتربية التي يتربى عليها المسلمون في العصر الحاضر ، ويدعون إلى إتامة مؤسسات تعليمية ، على الطراز الحديث ، تحلّي الشباب الإسلامي بمؤهلات تكفله لمهمة إرشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر وفق وجهة نظر الإسلام ، وأما ما أسس في الآونة الأخيرة من المعاهد لهذا الغرض في مختلف البلاد الإسلامية ، فلا نكاد نرى أحداً من ذوى العلم والرأى يطمئن بها قلبه إذا ألقي نظره على أوضاعها ومناهجها للتعليم وما أتت به من النتائج . فمن الواضح ، وضوح الشمس في رابعة النهار ، أن الحاجة التي تمس العالم الإسلامي كله في هذا الزمان ليست هي إلى كلية للشريعة تعد علماء

على الطراز القديم ولا إلى جامعة عصرية تخرج ماهرين في العلوم الغربية على الطراز الحديث ، بل هي تعدو هذا وذاك إلى جامعة تكون حملة للواء الإسلام كنظام للحياة في هذا العصر .

إن العالم الإسلامي - من أندونيسيا شرقاً إلى مراکش غرباً - إنما يجري فيه منهجان للتعليم والتربية .

منهج لا يخرج إلا الأفراد المتحلين بعقلية الغرب ، المصطبغين بصبغة ثقافته حذو القذة بالقذة . وهؤلاء هم الذين يسيرن اليوم دفة الحكومات في معظم الدول الإسلامية الحاضرة وفي أيديهم أزمة أمور الاقتصاد والسياسة والمدنية فيها . ومن دواعي الأسف أن أغلبيةهم جاهلون كل الجهل بما للدين الإسلامي من الهدى والتعاليم في أمور الحياة البشرية ،

علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمدنية معا، ولا يكونون بمنزلة الحواجز، بل يقبضون مكان السائق في قطار حياة المسلمين، ويتفوقون على المتخرجين تحت منهج التعليم الغربي في أخلاقهم وصفاتهم في جانب، وفي مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية في الجانب الآخر.

وهذه حاجة ملبوسة لا نرى مؤسسة تربوية تقوم بتحقيقها في العالم الإسلامي، إن القلق يقض على جميع أهل العلم والرأى مضاجعهم وهم يتفكرون أى معجزة يمكن أن تحفظ على هذه الأمة دينها من الفساد النهائى، وأخلاقها من الانحلال التام، ولم يبرز إلى الوجود نظام للتعليم والتربية يحمل في طياته المزايا المذكورة آنفا. ومما لا يرتاب فيه أحد أن وضع منهج للتعليم كهذا، يتطلب من الوسائل ما لا يقدر على تهيئته إلا الحكومات. وأكثر الحكومات الحاضرة في العالم الإسلامى قد تربع على كراسيها رجال لا يخفى على أحد عقلياتهم واتجاهاتهم.

ولهذا - والحالة كما قلت - لم أجد بدا، أمام هذه الحاجة الملحة، من أن أقدم إلى العالم الإسلامى ما أجد في ذهني من مشروع لمؤسسة تعاليمية منشودة آملا أن يتفكر فيه أهل العلم، وأن يقيض الله لحكومة من الحكومات المسألة الحاضرة لإخراجه إلى

مفتقنون بالحياة الغربية، مهزومون أمام الثقافة العصرية الخلافة، فهم يقودون قطار الأمة الإسلامية إلى جهة تخالف جهة الإسلام ولا يأتى يوم إلا وهم فيه أسرع سيرا إلى تلك الجهة.

ومنهج لا يخرج إلا علماء للعلوم الدينية يفقدون معرفة العلوم الدنيوية الحديثة. فلذا تقتصر دائرتهم في القيام بواجب المحافظة على ناحية دينية من نواحي حياة المسلمين العديدة، ولا يتحلون في أى مكان في الدنيا، بالصفات والكفاءات التى تؤهلهم لقيادة قطار المسلمين في هذا الزمان، وإنما وظيفتهم في كل مكان وظيفه الفرمة Brake في جهاز القطار، أو بعبارة أخرى أن وظيفتهم تقتصر على إتامة الحواجز أمام سير القطار الذى تقوده الفئة الأولى حتى تهدأ سرعته. غير أنى أرى بأمر عيني أن هذه الحواجز طرأ عليها الضعف بل قد كسرها في بعض الدول الإسلامية السائقون المتمردون الشرسون وبدءوا يسوقون قطار بلادهم على خط الإلحاد والفسوق والخلاعة والمجون غير عابئين بشيء في ذلك. فيجب علينا، قبل أن يستفحل الأمر ويستشرى الفساد ويأتى يوم تتحطم فيه تلك الفرمة التى لا تزال تعمل بعض عملها في بقية الدول الإسلامية، أن نعمل الفكر والروية في وضع منهج للتعليم يخرج

٤ - ينبغي أن يكون بابها مفتوحا لمسلمي الدنيا جميعا حتى يقصدها الطلاب من جميع نواحي الأرض إذا شاءوا .

٥ - ينبغي أن يكون وسطها وسطا إسلاميا بكل معنى الكلمة حيث يتحلى الطلاب بالتقوى والأخلاق الفاضلة ويغرس فيهم الولوع بالثقافة الإسلامية ، ويجب أن يعمل كذلك على حفظها من تأثيرات الثقافة الغربية ونفوذها حتى لا ينشأ في طلابها تلك العقلية المهزومة التي نرى بواردها تفشوا بكل سرعة في الأمم المغلوبة المفتتنة بمحضارة الغرب وثقافته في كل مكان . ومن الواجب - لهذا الغرض - أن يكون استعمال اللباس الغربي غير مسموح به في حدود هذه الجامعة وأن تروج فيها لتربية الطلاب تربية رياضية ركوب الخيل والسباحة والرمي واستعمال الأسلحة والقرن على سوق السيارة والدراجة النارية وما إليها من الألعاب الرياضية الجديدة الأخرى بدلا من الألعاب الغربية . كما أنه من المستحسن أن يدرّب فيها الطلاب على التربية العسكرية إلى جانب هذه الألعاب .

٦ - يجب ألا يكون اختيار الأساتذة للتدريس فيها على أساس الخبرة والكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب أن يكون أساتذتها - قبل كل شيء آخر - متحلين بصفات الصلاح والتقوى من حيث عقائدهم ومن

الوجود أو أن يشرح صدور بعض أهل الثراء والآيادي البيضاء في الدنيا لهذا الغرض وما ذلك على الله بعزيز .

\*\*\*

وفيا يلي أذكر على وجه الاختصار ما أجد في ذهني من الاقتراحات بخصوص جامعة إسلامية على الطراز الجديد :

١ - إن أول شيء وأهمه بالنسبة لهذه الجامعة ، هو أن تحدد غايتها تحديدا واضحا حتى لا يوضع كل نظامها إلا على حسب هذه الغاية ، ولا يعمل فيها العاملون إلا واضعين هذه الغاية نصب أعينهم ، ولا ينظر إليها عامة المسلمين إلا من ناحيتها ، ولا يعتبرون نجاحها في أداء رسالتها إلا على مدى نجاحها فيها ، وعندئذ أن جامعة كهذه يجب أن تكون غايتها : « إعداد علماء صالحين يتولون مهمة إرشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر الجديد وفق أحكام دين الحق ومبادئه » .

٢ - يجب أن تكون دائرة هذه الجامعة محدودة بالعلوم الإسلامية . أما العلوم الأخرى فإنما تدرس فيها باعتبار أنها مساعدة للعلوم الإسلامية الأخرى لا باعتبار أن الجامعة تهدف إلى إعداد الماهرين فيها .

٣ - يجب أن تكون هذه الجامعة سكنية لا تكون سكنى الطلاب ولا سكنى الأساتذة إلا في داخلها .

(هـ) المؤهلات الكافية للكتابة والخطابة والمناقشة والكفاءات المناسبة للقيام بمهمة تبليغ الدين والدعوة إليه .

(و) التعود على الجهد والمشقة والنشاط وخشونة العيش والاعتماد على النفس في إنجاز جميع الأعمال .

(ز) الاستعدادات اللازمة للتنظيم والإدارة والقيادة .

٨ - يجب ألا يقبل للالتحاق بها إلا الطلبة الحاصلون على شهادة أقسام الدراسة الثانوية . أما الطلاب من البلاد العربية فيمكن لهم أن يلتحقوا بها رأساً . وأما الطلبة من البلاد غير العربية فإن لم يكن لهم إلمام كاف باللغة العربية ، يجب أن يكون هناك قسم خاص لتعليم اللغة العربية مدة سنة واحدة حتى يتأهلوا للاستفادة من الدروس باللغة العربية قبل التحاقهم بالجامعة .

٩ - يجب أن تكون مدة الدراسة فيها ٩ سنوات بتوزيعها على ثلاث مراحل :

أما المرحلة الأولى فيدرس فيها الطلاب ما يأتي من العلوم ( على أن تقسم دراستها على أربع سنوات بطريقة متناسبة وينال الطالب إذا نجح شهادة « البكالوريوس » ) .  
(١) العقائد الإسلامية بالتفصيل الآتي :

عقائد الإسلام بموجب الكتاب والسنة والدلائل النقليّة والعقليّة التي تقوم عليها هذه العقائد ، كما أنه من اللازم أن يدرس الطالب

حيث حياتهم العملية معا . كما يجب أن يختار الأساتذة من مختلف أقطار العالم الإسلامي بعد إجراء الفحص الدقيق وإعمال الروية البالغة ، من لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب أن يكونوا ، قبل كل شيء آخر مسلمين بكل معنى الكلمة من حيث عقائدهم وأفكارهم وميولهم ، متمسكين بأحكام الدين غير مفتتين بالحضارة الغربية . بل أرى كذلك من اللازم أن نكون على اطمئنان كامل وثقة وافرة بأهل بيئتهم حتى لا يكونوا أحراراً من التمسك بأحكام الشريعة وآدابها ومتعدين لحدودها . وذلك أن الأساتذة إذا كانوا يسكنون في دائرة الجامعة مع زوجاتهم وهن متبرجات سافرات وترقع من بيوتهم أصداء الأغنية الخليعة ، فمن المستحيل أن يتربى الطلاب على أيديهم تربية حسنة تتفق وأغراض الإسلام السامية .

٧ - يجب أن يربى فيها الطلاب تربية تحلهم بالصفات الآتية بوجه خاص :

(١) الاعتزاز بالإسلام وثقافته والعزيمة على إعلاء كلمته في الدنيا .

(ب) التخلق بالأخلاق الإسلامية والمحافظة على الأحكام والشرائع الإسلامية .

(ج) التفقه والبصيرة الاجتهادية في الدين .

(د) النزاهة من الطائفية وضيق النظر في أمور الدين .

(د) الحديث : وفي هذه المادة ، بعد أن يعرف الطالب إلى الحد الضروري بتاريخ علم الحديث وأصول الحديث والبراهين على الاحتجاج بالحديث ، يدرس أحد مجاميع السنن كمنتقى الأخبار أو بلوغ المرام أو مشكاة المصابيح مثلاً .

(هـ) الفقه : وفي هذه المادة أيضا بعد أن يدرس الطالب كتابا مختصرا في تاريخ الفقه يلتن تعليم الفقه بأسلوب يعرفه بمذاهب مختلف الفقهاء في جانب ، وكيف استنبط الأئمة المجتهدون المسائل من أدلتها الشرعية في الجانب الآخر

(و) التاريخ الإسلامى : وفي هذه المادة يدرس الطالب أولا تاريخ الأنبياء عليهم السلام ثم يدرس السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، وسيرة الخلفاء الراشدين بما يمكن من البسط والشرح ثم يدرس التاريخ الإسلامى إلى الزمن الحاضر على الوجه المختصر .

(ز) العلوم العمرانية . ( ولا سيما المتعلقة منها بالاقتصاد والاجتماع ) ومن الواجب بالنسبة للأساتذة الذين يختارون لتدريس هذه المادة أن يكونوا ممن يستطيعون تدريسها مع تقديمها بوجهة نظر الإسلام حتى لا يفرغوا الأفكار والنظريات الغربية في أذهان الطلاب كما هي .

بهذا الصدد . كيف وبأى ترتيب ظهر ما ظهر بين المسلمين من الخلافات في العقائد ؟ ولم يوجد في الدنيا اليوم من المذاهب على أساسها ؟ وينبغي ألا تكون هذه الدراسة للعقائد متجاوزة لحدود البيان العلى الجرد مع الابتعاد - بقدر الإمكان - عن المحاربة في العقائد .

(ب) النظام الإسلامى للحياة : يعرف الطالب في هذه المادة بنظام الإسلام المتكامل للحياة البشرية حتى يكون على معرفة تامة بالتصورات الأساسية التى ينهض عليها بناء الإسلام وكيف أنه يشكل على أساس هذه العقائد الأخلاق والسلوك الإنسانى وما هى المبادئ التى ينظم عليها فى المجتمع مختلف شئون البشر من الحياة العائلية إلى الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وما هى الصورة التى تبرز عليها حضارة الإسلام .

(ج) القرآن : يدرس الطالب فى هذه المرحلة القرآن من أوله إلى آخره مع تفسيره الموجز ، والأفضل عندى لهذا الغرض أن لا يقرر للتدريس فى هذه المادة كتاب خاص فى التفسير ، بل على الأستاذ أن يراجع بنفسه مختلف كتب التفسير ، ثم يلقى دروسه على الطلاب على ضوء استفادته منها بحيث يدرك الطلاب غاية كتاب الله تعالى ومقصوده ويرتفع عن أذهانهم ما يجدون فيها من الشبهات حول تعاليمه وأحكامه .

- (ح) الإمام على الوجه الإجمالى بأديان العالم ولا سيما اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية .
- (ط) التاريخ الموجز للأفكار والمذاهب الجديدة ولا سيما الديمقراطية الغربية والشيوعية والفاشية وما إليها .
- (ى) إحدى اللغات الثلاث الآتية : الانكليزية والألمانية والفرنسية .
- (ك) اللغة العربية وآدابها .
- أما المرحلة الثانية فتكون الدراسة فيها ثلاث سنوات منقسمة على خمسة أقسام .
- التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ : بحيث يكون لكل طالب إذا نال شهادة إتمام الدراسة فى المرحلة الأولى أن يدخل فى أحد هذه الأقسام الخمسة ، وينال إذا نجح شهادة الماجستير .
- (١) أما قسم التفسير فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) تاريخ القرآن .
- (ب) تاريخ علم التفسير ومختلف مذاهب المفسرين مع الإمام بمازاياها وخصائصها .
- (ج) الاختلاف فى وجوه القراءة .
- (د) أصول التفسير .
- (هـ) الدراسة الوافية العميقة للقرآن الحكيم .
- (و) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى القرآن من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- (ز) الفقه على المذاهب الأربعة وعلى (ز) أحكام القرآن .
- (٢) أما قسم الحديث فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) تاريخ تدوين الحديث .
- (ب) علوم الحديث بكل شعبها .
- (ج) أحد أمهات الكتب فى الحديث مع النقد التفصيل لمثونه وأسانيده حتى يتمرن الطالب على نقد الأحاديث على طريق أئمة الحديث .
- (د) نظرة شاملة فى الصحاح .
- (هـ) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى الحديث من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- ٣ - أما قسم الفقه فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) أصول الفقه .
- (ب) تاريخ الفقه .
- (ج) فلسفة القانون الجديد .
- (د) المقارنة بين القوانين الرومية والفارسية والشرعية اليهودية والقوانين الوضعية الجديدة والشرعية الإسلامية .
- (هـ) المذاهب المختلفة لفقه الإسلام وقواعدها .
- (و) التفرع على استنباط المسائل من القرآن والسنة مباشرة .
- (ز) الفقه على المذاهب الأربعة وعلى

- إلى العصر الحاضر من جهة تطور الأفكار والأخلاق والعلوم المدنية والسياسة .
- (هـ) الحركات لتجديد الدين وإحياء دعوته في مختلف العصور .
- (و) تاريخ الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين وآثاره فيها .
- أما المرحلة الثالثة فيكون فيها لكل طالب - إذا نال شهادة إتمام دراسته في المرحلة الثانية، وأراد التدرب على البحث والتحقيق على الطريق العلمي - أن يختار أى موضوع من الأقسام الخمسة المذكورة، ويدرسه دراسة عميقة تحت إشراف الأساتذة، ثم يقدم فيه أطروحته بعد سنتين، فعندئذ يمنح الشهادة بعد ما ينظر في أطروحته أصحاب العلم . وتكون هذه الشهادة شهادة الدكتوراه .
- ١٠ - يجب أن تزود هذه الجامعة بمكتبة من النوع الأعلى زاخرة بمجموعة عليية من كتب الدراسة والمراجعة على قدر حاجات الجامعة المذكورة .
- ١١ - ويجب كذلك أن تؤلف لجنة من أصحاب العلم لاختيار الكتب المناسبة لمختلف مراحل الدراسة في الجامعة ولتختلف شعبها الأخرى .
- ١٢ - ويجب كذلك أن يؤسس بجمع على (أكاديمي) لتأليف الكتب الجديدة على قدر حاجات الجامعة خاصة .
- وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
- أبو الأعلی المرودي**
- مذاهب الظاهرية والزيدية والاثنا عشرية .
- ٤ - أما قسم علم الكلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) مبادئ المنطق .
- (ب) الفلسفة القديمة والجديدة .
- (ج) تاريخ علم الكلام عند المسلمين وتفصيل المذاهب الكلامية الناشئة بينهم للعوامل الخارجية والداخلية .
- (د) مسائل علم الكلام وما للقرآن والسنة من الهدى في بابها .
- (هـ) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى الإسلام من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- (و) المقارنة بين الأديان ولاسيما الدراسة التفصيلية لتاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها .
- (ز) جهود المبشرين المسيحيين وطرائق عملهم .
- ٥ - أما قسم تاريخ الإسلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) فلسفة التاريخ وغاية دراسته وأسلوب دراسته بموجب القرآن .
- (ب) المذاهب المختلفة في فلسفة التاريخ منذ ابن خلدون إلى العصر الحاضر .
- (ج) تاريخ الجزيرة العربية والشرق الأوسط قبل الإسلام .
- (د) تاريخ الإسلام منذ العهد النبوي





وكان لها موقف آخر في كهولتها ، إذ كانت أمّاً لعبد الله بن الزبير ، فجاء إليها وقد أحاط به أعداؤه ، وعلم أنه مقتول لا محالة ، فاستشارها فيما يفعل ، فقالت له : إن كنت تعلم أنك على الحق فامض في سبيلك غير هيب ولا وجل ، فقال لها : يا أمّاه والله ما أهاب الموت ، ولكنني أخشى إذا مت أن يمشلوا بني ، وكان يريد أن يعرف بذلك مدى احتمالها وصبرها على الكارثة ، فقالت له يا بني إن الشاة لا تتألم بعد الذبح بالسليخ .

وهكذا غطت بالعقل والإيثار والتضحية على عاطفة الأمومة من الشفقة والرحمة والجزع واللهفة ، فكانت خير مثل للجاهدات الأبيات الواقفات في جانب الحق مهما كلفهن هذا الوقوف من مشاق وتضحيات .

ويذكرنا هذا الموقف بموقف للخنساء الشاعرة المشهورة بقصائدها التي ترثى بها أخاها صخرًا ، فتقول في بعضها :

يذكرني طلوع الشمس صخرًا

وأذكره بكل مغيب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي

على موتاهم لقتلت نفسي

هذه المرأة كان لها أربعة بنين ، فلما تجهز جيش المسلمين لفتح فارس في السنة السادسة عشرة من الهجرة سارت هي وأبنائها الأربعة

ولا عجب فهي بنت أبي بكر ، وخريجة البيت النبوي فيه اكتمل نموها ، ونضجت شخصيتها ، وتلقت دراستها ، واتفعت بما يتلى فيه من آيات الله والحكمة ، وعاصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبة منه قرب الزوجة الحبيبة إلى قلبه ، الأثيرة عنده ، فعرفت أهداف الإسلام ، وعاشت في أحداثه ، وظل ذلك طابع حياتها حتى لقيت ربها كأطهر ما يكون النساء ، وأكملهن عقلا ، وأسبعهن فضلا .

وهذه أختها أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين التي قامت في شبابها بدور الفدائية في أحلك ساعة من ساعات رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعات أميها رقيقة في الغار ، إذ كانت تحمل إليهما الطعام والشراب كل مساء ، متسللة تحت جناح الظلام حتى لا تراها عيون المشركين المستبصرين بهما ، والهول يومئذ شديد ، والخطر محقق ، وقد علمت قریش بما كانت تفعل ، فأنى إليها نفر منهم بينهم أبو جهل بن هشام ، وسألوها في غلظة : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ فقالت : والله ما أدرى أين أبي ، وكانت صادقة في هذا القسم إذ كان هذا السؤال لها من المشركين بعد أن غادر الصحابان مكانهما في الغار ، وسارا متجهين إلى المدينة ، ويومئذ لطمها أبو جهل لكمة قاسية على خدها طار من شدتها قرطها .

فوجدوها، فصبوا يامعاشر المهاجرين والأنصار على الغصص ، وأقبلوا على الحرب قدما غير ناكسين ولا متمشا كسين .

وقد أقدمها معاوية بعد أن ولي الخلافة ، وقال لها يعاتبا ويلومها : يا زرقاء لقد شرتك عليا في كل دم سفكه ، قالت له : أحسن الله بشارتك ! فثلك من بشر بخير وسرجليسه ! قال : أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم ، فضحك معاوية وقال : لوفائكم له بعد موته أعجب عندي من حبكم له في حياته !

وهكذا لم تنصل من حبه العلى ونضاله عنه ، فدلّت على ما تتحلى به من الشجاعة والوفاء .

ودخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية بعد أن تولى الخلافة — وكانت من ألد أعدائه يوم كان على حيا — فقالت له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : الآن صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ،

إذ لا على حى ! قال : ألسنت المتقدمة حائل السيف وأنت واقفة بين الصفين بصفين

تحرضين المحاربين على ، والله لقد كدت يومئذ لتفنين أهل الشام لولا قدر الله ، فما الذى حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين

يقول الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ،

وإن اللبيب إذا كره أمرا لا يحب إعادته ! قال : صدقت وسكت عنها .

وحضرت وقعة القادسية ، وأوصتهم من أول الليل قائلة لهم : « يا بنى إنكم أسلتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، وقد تعلمون ما أعد الله من الثواب الجزيل للجهادين فى حرب الكافرين ، فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين ، وبالله على أعدائه مستنصرين ، تظفروا بالمغنم والكرامة فى دار المآئمة » .

فخرج بنوها قابلين لنصحتها فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

فأى طراز من الأمهات هذا الطراز ؟ وقد كان النساء فى صدر الإسلام يغشين

الحروب ، ويحضرن الغزوات مع الرجال ، وكان لهن أثر عظيم فى إثارة الحماسة فى النفوس

وبعث المحاربين على الإقدام . وقد احتفظ التاريخ بأخبار الكثيرات

منهن : كالزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية التى كانت تركب الجمل الأحمر وتقف بين الصفين

فى موقعة صفين التى كانت بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وتقول فى

مناصرة أمير المؤمنين على : أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته

أيتها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته

قالت : يا أمير المؤمنين أنت للناس سيد ولأمورهم مقلد . والله سائلك عما افترض عليك من حقنا . ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بساطك فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا الحسياسة ويسألنا الجليلة . هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالى وأخذ مالى ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فيما لو عزلته فشكرناك وإما لا فعرفناك . فقال معاوية : أليأى تهديدين بقومك ؟ والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت :

صلى الإله على روح تضمنه

قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به ثمنا

فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبى طالب

رحمه الله . قال : ما أرى عليك منه أثرا .

قالت : بلى ، أتيتته يوما فى رجل ولاء

صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث

والسمين . فوجدته قائما يصلى فانقتل عن

الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟

فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم رفع يديه إلى

السماء فقال : اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك

ووفدت سودة بنت عمار بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبى سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها . كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شمر كفعل أليك يا بن عمار

يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليا والحسين ورهطه

واقصد لهند وابنها بهوان

إلى الإمام أخا النبي محمد

علم الهدى ومنارة الإيمان

فقد الجيوش وسر أمام لوائه

قدما بأبيض صارم وسمان

قالت : يا أمير المؤمنين . مات الرأس ،

وبتر الذنب ، فدع عنك تذكرا ما قد نسى .

قال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك نسى .

قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان

أخى خنى المقام ، ذليل المسكان ، ولكن كان

كما قالت الخنساء :

وإن صخرنا لتأتهم الهداة به

كأنه علم فى رأسه نار

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين لإعفائى مما

استعفيت به . قال : قد فعلت فقولى حاجتك .

ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبه قطعة  
من جراب ، فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد جاءكم  
بيننا من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، (١)

ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعشوا  
في الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم  
مؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ ، (٢) إذا أتاك  
كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من  
يقبضه منك والسلام . فعزله يا أمير المؤمنين

ما خزمه بخزام ولا ختمه بختم . فقال  
معاوية : اكتبوا لها بالإنصاف لها والعدل  
عليها . فقالت : إلى خاصة أم لقوى عامة ؟  
قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله  
إذن الفحشاء واللؤم ، إن كان عدلا شاملا ،  
ولإلا يسعني ما يسع قومي . قال هيات ،

ناديت همدان والأبواب مغلقة  
ومثل همدان سنى فتحة الباب  
كالهندوانى لم تفلل مضاربه  
وجه جميل وقلب غير وجاب  
اكتبوا لها بحاجتها .

\*\*\*

ألا إن هذه المرأة ومثلها لجديرات  
بقول المتنبي :

ولو كان النساء كمثل هذى  
لفضلت النساء على الرجال

**محمد محمد المرنى**

عميد كلية الشريعة

[١] ٨٥ - الاعراف .

[٢] ٨٥ - ٨٦ هود

قال ابن الأعرابي :

قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدى : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال :  
شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . فقال له رجل من عرض القوم : يا أمير  
المؤمنين ، هؤلاء بالبسر والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار : أجل والله ، إنا لنعلم  
أن الرياح لتلقحه ، وإن البرد ليعقده ، وإن القمر ليصبغه ، وإن الحر لينضجه !

# فتح آية القرآن

## خيانة العهود من خصال الكافرين

للاستاذ محمد عبد اللطيف السبكي

(أ) «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» ..  
(ب) «وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر  
أن الله برئ من المشركين ، ورسوله .

وقد وصف الله - تعالى - نفسه بالوفاء بالعهد في تمدح واعتزاز « ومن أوفى بعهده من الله » ، ولا يظلم في استيعاب ما ذكر القرآن ، أو السنة في شأن العهود ، والموفين بها ، والناقضين لها ، وما أعد من الجزاء لكل من الفريقين حسبما استوجب لنفسه ، وحسبما يقتضى عدل الله .

(٢) ونحن أمام آيات - في صدر الموضوع - تعتبر مطالعا رهيبا لسورة من سور القرآن . وقد بلغ مطالعها من الرهبة أن الله أنزلها دون افتتاحها بالبسملة كغيرها من السور ؛ لأن البسملة فيها وصف الله بالرحمة ، وذكر الرحمة يوحى بالتفاؤل ، والاطمئنان .

وهذه سورة نزلت في مقام الترهيب ، وإعلان التعهد من جانب الله ، وإظهار غضبه ومقته على المشركين ، الناقضين للعهد مع المسلمين ، فكان المناسب في سياقها أن

(١) التعاهد على السلام ، والمنافع ، وتوثيق الإخاء الإنساني من أسباب الإصلاح للفرد ، وللجماعة .  
ولذلك ينظر الإسلام إلى احترام العهد ، والوفاء به نظرتة إلى غاية من غاياته المرموقة ، وركن من أركان البناء الاجتماعي للأسرة ، وفي المحيط العام ، ضاق أو اتسع ؛ ولهذا أذن الله في عقد المعاهدات الهادفة إلى الخير حتى مع المشركين .

ونادى القرآن كثيرا بالوفاء بالعهود ، وبالعقود - وهي جانب من العهود - وحذر من الغدر بها ، أو التحيف منها ، حتى اعتبر هذا التحيف خروجاً عن الإيمان فيما يقتضيه ، واعتبر عهد الأمان من مسلم تكافر لازماً لجميع المسلمين حتى يبلغ الكافر مأمنه ، أو ينتهي زمن عهده ومما قاله النبي في ذلك « إن ديننا لا يصلح فيه الغدر » .

وجعل من أمارات النفاق في المناق « أنه إذا عاهد غدر » .

تقصيرهم وتخلفهم عن المسارعة ، ولكن الله عفا عنهم ، وقبل توبتهم ، وتعلوا من هذا وتعلم غيرهم ألا يعودوا إلى مثل هذا التباطؤ كما هو ديدن غيرهم من المنافقين .  
وهي السورة الفاضحة ، لكشفها عن محاولات المنافقين والكافرين ، ونقض العهد الذي كان مشار غضب الله ، وسخطه على الناقضين ، وهكذا من تسميات كثيرة ، ولكل منها مناسبة في سياق السورة .

٣- وفي السورة عجب ، وعبر ، وفيها بيان لجانب كبير من سياسة الإسلام والمسلمين مع سراهم في السلم وفي الحروب .

وموضوعها أن قريشاً كانت على عهد مع الرسول والمؤمنين منذ السنة السادسة للهجرة ، وهو عهد الحديبية على المسالمة وعدم تجاوز ما تعاهدوا عليه لعشر سنوات قابلة .

وما لبثت قريش أن غدرت بعهدا قبل تمام السنتين ، إذ ناصرت حلفاءها من بني بكر على خزاعة حلفاء الرسول ، وكان العهد يمنع من مناصرة حليف على حليف ، ومع أن عهد الحديبية كان رحياً بالكفار ، وملاًماً لرغباتهم ، ومثيراً لاعتراض عمر وغيره على سماحة العهد ، وهوادة الرسول في قبول ما رغب الكفار من بنوده ، ومع امتداد الأمان فيه إلى زمن غير قصير ، فقد تعجلت قريش بغدرها ، وسعت إلى شؤمها

تبدأ بالبراءة من أولئك ، ومن عهدهم . وأن تكون بهذه البراءة من جانب الله ورسوله صادعة لآسماعهم ، ومثيرة لخوفهم ، أو على الأقل مزججة لآمنهم ، ومبددة لاطمئناتهم وكان من أثر هذا التفريع المقصود أن الصحابة تأسروا بالقرآن ، فلم يقرءوا البسمة فيها مع جواز ذلك تبركاً بالتسمية ، كما نقل الألوسي الاتفاق على جواز التسمية عند كل قراءة ، ولو كانت من أواسط الآيات ، كما تكون في أوائل السور .

ونظراً لما اشتملت عليه سورة براءة هذه من فنون القول ؛ سميت عند الصحابة بكثير من الأسماء المناسبة لموضوعاتها .

فهي براءة ، كما بدئت به من نبد عهد المشركين ، وتحقيرهم بإهدار دمائهم ، وأموالهم ، بعد أن كانوا آمنين في ظلال عهد وثيق أذن الله فيه لرسوله وللمؤمنين واحترموه ، ونقضه غيرهم .

وهي سورة التوبة ؛ لأن الله أشاد فيها بتوبته على المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع الرسول في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، ثم اضطرب الكثير منهم لهول الموقف ، ولما تخوفوه على الرسول وعلى أنفسهم ، حتى غمهم الله بفضله ، وأبدلهم من عسرهم يسراً ، كما تاب الله على الثلاثة المسلمين الذين تريشوا في الخروج مع الرسول حتى فاتهم فرصة الجهاد الآن ، فندموا على

بنفسها ، وكانت كالحقأ التي تنقض غزلها بيدها من بعد نسجه ، وإحكامه في قوة .  
مع أن الرسول لم يكن متساعاً في عهده عن ذلة وهوان ، ولا من خوف مما يكون ، ولا لأى محذور يخطر بالبال كما خشى عمر ومن معه أن يدور شيء من ذلك بخلد الكفار . وإنما هي مسألة يمنح إليها الرسول ، وهواة في السياسة يأخذ بها الإسلام أهله حين لا يوجد ما يمنع من الهواة ، وهو جنوح إلى الاستقرار ، والتماس الهداية من أقرب طرقها ، دون مشاقة ، أو نفور من التفاهم ، أو هو من مظاهر الحكمة التي تعتبر أجدى وسيلة في الدعوة .  
لهذه الاعتبارات كان العهد سمحاً ، وكانت حكمة الله التي يطمئن إليها رسوله قاضية بذلك حتى لم يكف عمر عن امتعاضه إلا بتوجيه النبي له إلى أن هذا شأن من شؤون الرسالة .  
وحينئذ يهدأ عمر ومن كانوا على رأيه . بل يعود عمر على نفسه باللائمة ؛ لأنه ناقش الرسول ، واضطره أن يحتج لسياسته بأنه رسول يبلغ ، وينفذ ما يوحى إليه من ربه . وعندما يكون اللين والمرونة وسيلة غير مجدية مع الجاحدين لم تبق إلا الشدة علاجاً ، ولم يعد من الحزم أن يوضع الحلم موضع السيف مع من لا يقدر على الحلم ، وهنا نزلت الآيات بما فيها من قوارع للسمع .

٥ - ونزلت الآيات كذلك بأن تعلن هذه البراءة يوم الحج الأكبر في مكة ، وهذا مقام انبثقت فيه الدعوة الإسلامية ، والحجيج هناك من كل فج ، فلتسكن البراءة علانية كما هو شأن الإسلام في صراحته وعلانيته ...

٤ - نزلت بالبراءة من العهد ونزلت

ولا يتجاوز الرفق إلا عندما يأبى الإنسان أن يترفق بنفسه . .

وأنت ترى من مظاهر ذلك قوله تعالى في سياق هذا القصص المرعب لأولئك الناكثين .  
« فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله . »

وترى القرآن يستثنى من هذا الوعيد كله أولئك الكفار الذين لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين ، فيأمر الله رسوله وأُمَّته أن تحفظ عهدهم إلى نهاية زمنه .

« إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فاتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . »  
ومن ملاحح الآيات وأسلوبها يتبين أن العداء القائم في هذه القصة ليس عداء قائماً لمجرد بقائهم على الكفر وعقيدة الشرك ؛ فإن الكفر عالق بالناقضين ، وغير الناقضين من هذا الفريق .  
وإنما هو عداء في شأن ينشده الإسلام في أهله ، وغير أهله ، هو خلق الوفاء بالعهد ، فقد التزمه قوم يدينون به ، ويقضيه إسلامهم وأهدره قومه بسبب حقدهم ، وضلالهم .

ولو التزموه لكان كفرهم مسكوتاً عنه إلى نهاية العهد ، وإلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، كما سكت عن غير الناقضين .

ولكن القوم نكثوا ، فدارت عليهم دائرة بغيتهم بالخسران ، وفاتهم أضعاف ما كانوا يتعجلونه من آمال ، وصاروا حديثاً

وفي هذا المسلك شموح لروس المسلمين ، وتصاعد لراية الإسلام ، بعد الذى سلف من غلبة المشركين عليهم ، وطردهم للرسول وأصحابه من هذا البلد الأمين ، فليشهد البلد الأمين مذلة كبرائه اليوم .

وماذا يكون الشأن في قوم يركبون ردوسهم ، ويهملون عقولهم ، والحق بين واضح أمامهم ، ولكن الباطل محجب إليهم ؟ ؟

إن الأمر أمر بناء للجمع الإسلامي على اتقاض الباطل ، وغرس لشجرة الهدى في أرض الضلال .

وأمر انتصار لدين الله على مغاليه الذين يريدون أن يطفئوا نوره ، والله يريد أن يتم هذا النور على أوسع مدى ، وأرحب أفق !!  
هم أن يعجزوا الله ، وهم الذين يهزأ الله بهم ، ويبشرهم بعذابه الأليم ، وكذا الأمر أمر مقاصة ؛ وجزاء سيئة بسيئة ، والشر بالشر والبادى أظلم لنفسه

على أن المعاملة بالمثل - وهى سنة فطرية - لا تجعل الجزاء سوءاً ، كما كان البدء سوءاً فإن العدوان شيء ، والقصاص شيء يضاهيه ، ولكن وضع القصاص معتبر عقلاً في موازين العدالة ، بعد أن كان العدوان في كفة الشيطان ولن يستوى في العقل هذا بذاك !!

فإذا ثبت الجرم فقد حل الجزاء .  
٦ - ولكن الإسلام لا يتهافت على الشدة



من الهجرة تتعلق بالعهد وقتضه ،  
وبقية آثاره .

وفي هذه السنة اختار النبي أبا بكر أميرا على  
الحج، ولم يخرج هو صلى الله عليه وسلم حتى تنفذ  
تلك الأحكام الجديدة التي نزلت بها الآيات..  
ثم بعث علياً بعد قيام الصديق ليعلن هناك  
في الناس آيات الله وأحكامه « براءة من الله  
ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين »...  
(الناقضين) .. « وأذان من الله ورسوله إلى  
الناس يوم الحج الأكبر أن الله يرى من  
المشركين ، ورسوله ... إلا الذين عاهدتم  
من المشركين ، ثم لم ينقصكم شيئا ، ولم  
يظاهروا عليكم أحدا ، فأتبوا إليهم عهدهم  
إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين » إلخ .

قام على رضى الله عنه برسالاته ، وأعلن  
في الناس أمورا أربعة - براءة الله ورسوله  
من عهد الناقضين للعهد - لا يحجن بعد هذا  
العام مشرك - لا يطوفن بالبيت عريان -  
لا يدخل الجنة إلا من كان مؤمنا - وفي السنة  
العاشرة كانت حجة النبي صلى الله عليه وسلم  
وهي حجة الوداع ، بعد أن تركزت راية  
الإسلام في مكة ، وصار المشركون مطرودين  
عنها ، وأفلت نجومهم ، حتى انقرضوا ،  
والشر بالشر والبادى أظلم لنفسه ؟

عبد اللطيف البكري

تتندر به الدنيا ، ويرويه التاريخ إلى نهاية  
التاريخ .

٧ - وانظر إلى دورة الأحداث بهم  
في فترة متلاحقة طوامم الزمن في أعقابها ،  
وصدق فيهم وعيد الله :

١ - عقدوا عهدهم مع الرسول وصحبه  
عند الحديبية - قريبا من مكة - سنة ست من  
الهجرة ، ثم تحلل الرسول ومن معه من  
عمرتهم ، وعادوا ففوضوها سنة سبع ، والعهد  
قائم لم ينقض .

٢ - نقضت قريش عهديها سنة ثمان ،  
خارج إليهم النبي على جيشه في رمضان ،  
وقتح مكة ، وطهرها من الأصنام ، وأعاد  
إليها حرمتها التي كانت لها قبل أن يطغى  
عليها طغيان الوثنية ، وعادوا إلى المدينة .

وهذا الحادث الذي سلب المشركين بأسهم ،  
ودحرهم في مدلتهم هو أول نتيجة مباشرة  
لنقض العهد .

وهو الحادث الذي بشر الله به رسوله  
عقب توثيق عهد الحديبية ، وقبل حصول  
الفتح « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » إلخ الآيات  
من سورة الفتح ، وقد حققها الله تعالى ..  
وبقي الحج سنة ثمان على ما كان معهودا ،  
في عهدة قريش ، ولكنه بقاء موقوت  
وإلى أيام .

٣ - بعد ذلك نزلت آيات في سنة تسع

# مسالك الإسلام إلى القارة الإفريقية

للأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن

أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الزباط

وأبا الحسن الجزنائي في كتابه زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، وابن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب في أخبار ملوك المغرب ، وتاريخ مدينة فاس ، وعرب فقيه في كتابه فتوح الحبشة ، والشريف الإدريس في كتابه زهرة المشتاق ، وابن بطوطة في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة ، وابن خلدون في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ، وابن زيدان في كتابه إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس ، وابن عذارى في كتابه البيان المغرب في أخبار المغرب ، وأبا الحسن الوزان ( ليو الإفريقي ) في كتابه وصف

إفريقية Description de l'Afrique والقلمشندى في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وتقي الدين المقرئ في كتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطوط والآثار المعروف باسم الخطوط . ونعيم شقيرى في كتابه تاريخ الإسلام القديم والحديث .

ومن أهم المصادر الإفريقية جميعاً كتاب الدعوة إلى الإسلام ، تأليف سير توماس

أخذت شعوب القارة الإفريقية تفتيق من سباتها وتعمل على نيل استقلالها ، الأمر الذى عده السياسيون أعظم أحداث القرن العشرين ، بل لقد عده بعضهم أعظم أحداثه على الإطلاق وذلك نتيجة حتمية للوعى القومى الذى انبعث بين شعوب آسيا وإفريقية فى الشرق الأوسط فى القرن التاسع عشر ، وكان من أثر انبثاق هذا الوعى أن نال كثير من الدول الإفريقية استقلالها ، وفى ١٩ مارس الماضى أبرم اتفاق وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا ، الأمر الذى يعد بحق من أعظم أحداث هذا العام ، كما عملت الدول الإفريقية على إنشاء اتحاد إفريقى يقوم على دعم العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها وتأسيس اتحاد يضم الشعوب الحرة فى هذه القارة .

## مؤرخو إفريقيا :

وقد تناول كثير من المؤرخين والكتاب تاريخ القارة الإفريقية ، نخص بالذكر منهم على سبيل المثال : عبد الرحمن السعدى التزكىنى فى كتابه تاريخ السودان ،

الإسلام باعتباره ديناً وحضارة ، وتبحث التراث الثقافي وحالة البلاد الإسلامية ، وعلاقة العرب بالحضارة الإسلامية . ويتضمن هذا الكتاب فصلين كتباً عن شمال إفريقيا ، وعن إفريقيا الاستوائية ، وعن تأثير الشريعة الإسلامية ، وكيف تطبق في إفريقيا ، كما تضمن فصلاً آخر عن المؤثرات الإسلامية في شرق إفريقيا وغربها .

وهناك كثير من المصادر التي كتبت عن أجزاء معينة من القارة الإفريقية ، نخص بالذكر منها كتاب تاريخ نيجيريا (History of Nigeria) تأليف سير آلان بيرنز (Sir Alan Burns) الذي شغل منصب الحاكم العام لهذه البلاد سنين عديدة ، وكتاب الإسلام في السودان .

وكتاب الإسلام (Islam in the Sudan) في أثيوبيا (Islam in Ethiopia) تأليف سبنسر ترمنجهام (Spencer trimingham) وكتاب المهديّة (The Mahdiya) تأليف ثيوبولد (Theobald) وكتاب الإسلام والمسيحية في الحبشة (Islam and Christianity in Abyssinia) تأليف سيدر كويست (Cederquist)

ومن هذه المصادر الهامة كتاب وصف بلاد المغرب (Description du Maghreb) تأليف جوينبول ودي غويه (Juynboll et De Goeje) وكتاب البربر : دراسة عن

أرنولد (Sir Thomas Arnold) الذي تلبذت له بجامعة لندن . وقد ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ووصفه الأستاذ رينولد نيكلسون (Reynold Nicholson) المعروف بقوله : إنه يفوق حد الوصف من كل ناحية وقد خصص سير توماس أرنولد للقارة الإفريقية باين متمعين : فتكلم في الباب الرابع عن انتشار الإسلام بين مسيحي إفريقيا ، ولا سيما مصر والمغرب والحبشة ، وبحث في الباب الحادي عشر تحول البربر إلى الإسلام ودخول هذا الدين إلى المغرب ، وقيام الممالك الإسلامية في القارة الإفريقية ، كما تناول في هذا الباب الكلام على الطرق الصوفية وانتشار الإسلام في إفريقيا الغربية والشرقية . وقد اهتم الأوروبيون والأمريكيون في العصر الحديث ببحث القارة الإفريقية من جميع نواحيها نخص بالذكر من بين هذه البحوث كتاب (إفريقية اليوم) Africa To-Day الذي قام على نشره جروف هينز (Grovo Heinz) ويشتمل على ستة أبواب أو مقالات دونها طائفة من الكتاب المحدثين . ومن المراجع الهامة كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (Unity and Variety in Islamic civiliation) وقد نشره الأستاذ جرونيباوم (Gruneboum) وطبع بمطبعة جامعة شيكاغو . ويشتمل هذا الكتاب على مقالات تعالج

وسأحاول في هذا المقال أن أبين في شيء من الإيجاز أهمية القارة الإفريقية لنشر الإسلام والطرق التي سلكها هذا الدين الخفيف إلى إفريقيا ، وأرجو أن أتناول في مقال آخر السلام على أثر انتشار الإسلام عن طريق الفتح وعن طريق الفرق الصوفية ، ثم على أيدي الدعاة والعلماء والتجارة والرحالة ، ثم على العنصرية ومبدأ المساواة وأثر ذلك في نشر الإسلام بين سكان أواسط هذه القارة . كما أرجو أن أتكلم في مقال آخر على الممالك الإسلامية التي قامت في غربي وأواسط وشرقي إفريقيا .

### إفريقيا مهم أغنى القارات :

يتنظم الإسلام أكثر من ثلث القارة الإفريقية التي تبلغ مساحتها ١١٢٦٢٠٠٠ من الأميال المربعة ، أي خمس مساحة الكرة الأرضية ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مائتي مليون نسمة ، وهم يكونون ٨ ٪ من سكان الكرة الأرضية . وبين هؤلاء السكان خمسة ملايين من البيض .

وموارد هذه القارة الاقتصادية بالغة الأهمية لتنوع هذه الموارد بتنوع البيئات واختلاف الموقع والمناخ . وهي تنتج نحو ٩٨ ٪ من ماس العالم ، ٥٥ ٪ من ذهبه ، ٢٢ ٪ من نحاسه ، كما تنتج نحو ثلثي محصول الكاكاو العالمي ، وثلاثة أخماس إنتاج زيت

فتح العرب لإفريقية (les Berberes, Etude Sur la conquête de l'Afrique par les Arabes )

وكتاب الجمعيات الإسلامية والحركة المرابطية الدينية في بلاد السنغال والنيجير .

Les confréries musulmanes et le maraboutisme dans les pays du Sénégal et le Niger.

وكتاب الإسلام والمسيحية في إفريقيا تأليف فورجيه ( Forget ) .

ومن المصادر الهامة كتاب الحركات الاستقلالية في المغرب العربي للأستاذ الرئيس علال الفاسي . وقد ترجم إلى اللغة الانجليزية بعنوان :

The independence Movements in Arab North Africa.

ومن هذه المصادر الحديثة كتابا : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى جنوبا وفي شرقي القارة الإفريقية وغربها ، ويتضمن المحاضرات التي ألقيتها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية الملحق بجامعة الدول العربية . هذا بالإضافة إلى المادة التاريخية المتواضعة التي تناوأت بعض أطراف هذا الموضوع في كتابي تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي بأجزائه الثلاثة ، ولا سيما ما يتعلق منها ببلاد المغرب والنوبة والسودان .

- النخيل . هذا عدا معادنها الأخرى كالمنجيز والسكروم ، واليورانيوم ، بالإضافة الى إمكانياتها العظيمة في القوى المائية . وبالقارة الإفريقية أكثر من ستين مليوناً من المسلمين وفق الاحصائيات التي أوردتها الأستاذ ماسينيو في كتابه التقويم السنوي <sup>(١)</sup> .
- وهذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والزراعة والمواد الخام ، وقد أدركت الدول الغربية هذه الحقائق ، فسابقت إلى استعمارها للارتفاع بثرواتها الطبيعية ، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الحقائق في السنين الأخيرة فاهتمت باقتصاديات إفريقية اهتماماً بالغاً ، وعملت على الاحتفاظ بأسواقها ، وضاعفت روس أموالها المستغلة فيها . أضف إلى ذلك أهمية موقع هذه القارة الاستراتيجي ، كما قرر ذلك الأميرال ريتشارد كونولي في الفصل الذي عقده ليسان أهمية إفريقية من الوجهة الاستراتيجية . فقد ذكر الأهمية الكبرى للأماكن الآتية <sup>(٢)</sup> :
- ١ — طنجة .
  - ٢ — قاعدة مراكش الجوية وقاعدة الدار البيضاء البحرية .

- ٣ — شمال غربي إفريقيا .
- ٤ — ليبيا .
- ٥ — أرتيريا - الحبشة - الصومال - مراني مصوع وجيبوتي ومقدشيو .
- ٦ — جزيرة مدغشقر وأهميتها في حماية مسالك المحيط الهندي .
- ٧ — رأس الرجاء الصالح ولاسيما قاعدة سيمونز تاون البحرية .
- ٨ — قاعدة دكار التي تحرس طرق المواصلات في غربي إفريقيا .

### كيف انتمزج الإسلام في إفريقيا :

ويرجع انتشار الإسلام في القارة الإفريقية إلى عاملين أساسيين :

الأول : طبيعة الشعوب التي قامت بنشر الإسلام ، وكانت في الغالب شعوباً بدوية رعوية أو شبه رعوية . ولم تكن لها خبرة بركوب البحر أول الأمر ، بل كانت تمتطي ظهور الإبل والخيول ، ولا يستطيع أهلها التقدم إلا في السهول المكشوفة .

الثاني : طبيعة الأرض التي انتشر فيها الإسلام وتسربت إليها جموع البدو . وكانت هذه البلاد الإسلامية تحيط بالصحراء الكبرى شمالاً في المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي ، وجنوباً عبر وادي النيل حتى حدود النوبة . وفي

(1) (Annuaire musulmane, pp. 228 395)

(2) Richard Conolly, Africa To-Day, Africa's Strategic Significance, p. 55.

٢ — الطريق من تونس إلى المنطقة الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة شاد .

٣ — الطريق من طرابلس إلى المنطقة المحيطة ببجيرة شاد كذلك .

وقد انتشر الإسلام في ربوع القارة الإفريقية فيما بعد فاخرق نطاق الغابات في غرب هذه القارة ، وانتشر على طول الساحل الشرقي ، ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكونغو . ومن الشرق نفذ إلى جنوبي السودان وهضبة البحيرات ، وقلب الهضبة الحبشية ، وتخطى الساحل الشرقي في المناطق الداخلية إلى كينيا وتجانيقا . كما نفذ إلى جنوبي إفريقية مع المهاجرين من سكان شبه القارة الهندية ، وما زال ينتشر إلى اليوم .

وهناك نهضة مباركة في نشر الدين الحنيف انبثت بين مسلمي القارة الإفريقية في جميع النواحي . فقد نفضوا عن أنفسهم تراب الماضي وشاركوا في الحركات التحررية ، وتسمنوا أعلى المناصب ، وتاموا بدور ماحوظ في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . ولم ينسوا تقاليدهم الإسلامية ، وحرصوا عليها جسد الحرص وتجاوزوا مع إخوانهم في الدين في كافة أرجاء العالم الإسلامي ، ولانأخذ في الكلام عن تلك المسالك الهامة في شيء من التفصيل فنقول : إن الإسلام قد نفذ إلى القارة الإفريقية عن ثلاث طرق رئيسية هي :

النطاق الرعوى الذى يحيط بهذه الصحراء من الجنوب من مصب نهر السنغال حتى السودان .

على أن الإسلام لم يستطع أن يتخطى الحواجز الطبيعية الكبرى ، وهى شلالات النيل ، وهضبة الحبشة ، ومنطقة البحيرات الكبرى وما يكتنفها من أدغال وغابات .

### الطرق التى سلكها الإسلام :

ويلاحظ أن الإسلام قد نفذ إلى غربى القارة الإفريقية عن طريقين هما :

الأول : الطريق الساحلى عبر حوض السنغال ، وهو الطريق الذى سلكه المرابطون .

الثانى : طريق التجارة الذى يبدأ من مدن إفريقية الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى فى السودان .

وأهم المراكز التجارية فى غربى إفريقية بلاد غانه ، ومالى ، وجنى ، وتمبكتو ( أو تمبكت ) ، وكانو ، ومن أهم مراكز التجارة فى شمالي إفريقية فى العصور الوسطى : القيروان ، وتونس وطرابلس .

وكانت هذه التجارة تسلك ثلاثة طرق رئيسية هى :

١ — الطريق من مراکش إلى منحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة جنوبا .

إلى داخل القارة الإفريقية ، حيث شق الإسلام طريقه إلى بلاد الحبشة والصومال على أيدى الدعاة والتجار كما نفذوا الإسلام إلى أوغنده في القرن التاسع عشر، وإلى نياسلاند في القرن العشرين .

والطريق الثاني الذي سلكه الإسلام إلى القارة الإفريقية هو طريق النوبة ودقنة ، وذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر ، ولم تكن السودان بلاداً مجهولة للعرب ، فقد كان نهر النيل الطريق التجاري لهم ، على الرغم من وقوف مملكة النوبة المسيحية حائلاً دون هؤلاء الفاتحين والمهاجرين ، ولم يكن كل العرب المهاجرين تجاراً ، بل كان فيهم المتنقل سعيًا وراء المراعى الخصبة والماء والكلاء ، فوجدوا في لجج السودان المترامية ما يَشُدُّونه ، وتخلصوا من دفع الخراج ، كما وجدوا في تجارة الرقيق والذهب والجواهر ضائتهم المنشودة وساعدهم على ذلك أن طبيعة السودان تشابه طبيعة بلادهم .

### العرب ونشر الإسلام في إفريقيا :

ولما ظهر الإسلام وامتدت فتوحه إلى فارس والشام وفتح العرب مصر في عهد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، انتشر الإسلام في القارة الإفريقية حتى بلغ مدينة أسوان جنوباً .

ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة المسلمين إلى ملاقوه من ترحيب المسيحيين وعلى الأخص من القبط ، وهم

الطريق الأول : طريق بلاد النين  
وحضر موت والبحرين والأحساء إلى الساحل الإفريقي الشرقى ومصوع وبربرة ، حيث أخذت هجرات المسلمين تتدفق على طول هذا الساحل الشرقى من خليج عدن حتى مدار الجدى على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب يطلقون عليها اسم بر الزنج . على أن أول هجرة للعرب ترجع إلى زمن أبعد من هذا ، إذ يرجح بعض الباحثين أن استيطان العرب لإفريقية الشرقية امتد في العصور القديمة حتى سوفالا جنوبى نهر زمبىزى . وقد بنى المسلمون مدينة مقدشيو على ساحل المحيط الهندى ببلاد الصومال ، وذهب جماعة منهم إلى زنبار ، حيث نشروا الإسلام بين أهلها الذين يطلق عليهم اسم السواحلية ، كما أسسوا مدينة كلوا ببلاد تنجانيقا الآن ، وفى الساحل الشرقى من مدينة مدغشقر ، بل لقد نفذوا إلى كينيا فأوغنده وإلى أقصى جنوبى القارة الإفريقية ، أى إلى مستعمرة الرأس ، حيث نجد مسلمى هذه البلاد من سلالة أهل الملايو الذين جاء بهم الهولنديون في القرن السابع عشر أو الثامن عشر ، كما يذكر سير توماس أرنولد<sup>(١)</sup> .

ولم تكن جهود العرب مقصورة على الساحل الشرقى أول الأمر ، بل لقد نفذوا

(١) ترجمة حسن إبراهيم حسن ص ٢٨٨ - ٢٩٤

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان قد تسرب إلى أهالي مدن النوبة السفلى . وكان لزواج العرب بالنوبيات أثر كبير في إسلام النوبيين .

### دور المغرب في نشر الإسلام بأفريقيا

والطريق الثالث الذي سنذكره الإسلام إلى القارة الإفريقية هو إفريقية الشمالية والغربية . ذلك أن العرب بعد أن تم لهم فتح مصر ، مدوا قوتهم إلى بلاد المغرب . وقد هيأ تأسيس مدينة القيروان في إفريقية ( وهي القطر التونسي الآن ) على يد عقبة ابن نافع سنة ٥٥ هـ للعرب مركزاً حصيناً اتخذوه قاعدة لنشر الإسلام في شمالي القارة الإفريقية وغربها .

ومن أهم طبقات المجتمع الإسلامي في شمالي إفريقية شعوب البربر ، وهم أهل البلاد الأصليون . وكان وقوع المغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط تجاه أوروبا سبباً في تبادل سكانه حضارة الأمم البحارة إلى جانب حضارتهم وتقاليدهم العريقة التي يرجع تاريخها إلى أيام الفينيقيين الذين عرفوا المغرب قبل ميلاد المسيح بنحو ألف سنة . وكان نجاح عقبة بن نافع في نشر الإسلام بين البربر بطيئاً ، لانشغاله بحروب الروم الذين أنزل بهم الهزائم المتتالية وكان ذلك سبباً أصيلاً في أن دبروا له مكيدة مقلته في موقعة تهودا التي لعب فيها كسيلة دوراً قبيلاً

أهل مصر الأصليون الذين كرهوا الحكم البيزنطي بسبب فداحة الضرائب واستبداد الكنيسة البيزنطية بهم .

وفي عهد عمر بن الخطاب حاول العرب فتح بلاد النوبة ، فقد حاول عقبة بن نافع فتحها على غير جدوى ، فهاذن أهلها وعقد معهم صلحاً أشبه بمعاهدة اقتصادية ، على أن تمدهم مصر بالحبوب والعدس ، وتمتد النوبة مصر لقاء هذا بالرقيق لافلاحة الأرض . ثم حاول المسلمون فتح بلاد السودان ونشر الإسلام فيه ، وإن كان هذا قد كلفهم ثمناً غالياً ، ومع ذلك فقد عرف المسلمون أرض النوبة واختلفوا إليها لأغراض تجارية خاصة . كما عرفوا أرض البجة ( أو البجاة ) الذين كانوا يقيمون على مقربة من عيذاب على البحر وينتشرون بين النيل النوبي والبحر الأحمر في الأراضي الممتدة بين أسوان ودقة تقريباً .

وقد اتصل العرب بالبجاة في القرن الثاني الهجري ( الثامن الميلادي ) بطريق البحر الأحمر وبطريق وادي النيل ، وخاصة من إقليم أسوان ، فرحلوا إليهم تجاراً واجتازوا مصر إلى بلادهم حاجين ، وهاجروا إلى مفاوز الذهب والزمرد منقبين ومستخرجين . كما استقرت جماعة منهم هنالك ، وبنوا المساجد والدور . وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على دخول هؤلاء البجاة في الإسلام وتعريبهم



وكادت تفتح على يده صفحة جديدة في تاريخ المغرب الإسلامي . ولكن القدر عانده ، فخلع من منصبه وخلفه موسى بن نصير الذي أتم فتح الأندلس سنة ٥٩٢ هـ مساهما في ذلك مع مولاه طارق بن زياد الذي كان ينوب عنه في ولاية المغرب الأقصى ، متخذاً طنجة حاضرة لولايته .

وكان فتح بلاد الأندلس فتحاً للإسلام في المغرب والأندلس معا ، ذلك أن معظم الجيش الذي فتح هذه البلاد كان من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وقد شعر المغاربة لأول مرة بمساواتهم بالعرب ، وبدأت شخصية المغرب الإسلامية تدخل في دورها الفعال ، إذ شعر البربر بعد فتحهم الأندلس ، أنهم أضحوا حماة الإسلام في هذه البلاد ، وأن عليهم مهمة نشر هذا الدين ومناهضة المسيحيين .

وقد حرص الخلفاء على اختيار طائفة من الفقهاء ليعلموا البربر فرائض الإسلام ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم ، وأظهر بعض ولاية المسلمين ، ولا سيما الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، حماسة في إعلاء شأن الإسلام ، فقد أرسل مع واليه على شمال إفريقيا عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي المغرب . على أن ثقة البربر بالدولة الأموية بالشرق قد تزعزعت ، بسبب تسرب بعض فرق الخوارج ، كالأباضية والصفورية بينهم ، فقيامهم بنشر الدعاية ضد الحكم الأموي ،

بسبب استيائه لمعاملة عقبة بن نافع السيئة له ولصديقه ابن أبي المهاجر . وقيل - وهو الأرجح - إن الروم قد دفعوه إلى الإيقاع بالقائد العربي . ودليل ذلك أن تهودا كان يجانها حصن رومي كبير .

ثم خلف عقبة زهير بن قيس البلوى الذي استطاع أن يقتص لمقتل سلفه فقتل كسيلة وحطم مقاومة الروم ، ولكن الروم دبروا له مكيدة شبيهة بتلك التي دبروها لعقبة حيث اشتبك مع الأسطول الرومي على ساحل طرابلس وكانت نهايته أن استشهد في تلك المعركة . وكذلك لم يتمكن زهير بدوره من نشر الإسلام ، ثم خلف زهيراً حسان بن النعمان ، وكان حريصاً على نشر الدين ، فكسر شوكة الروم الذين قويت عزيمتهم وانبعث فيهم الأمل في استرداد بلاد المغرب من أيدي المسلمين ، فقاتلهم حسان قتالاً مريراً وأنزل بهم الهزيمة ، ثم اتجه لمحاربة الكاهنة داهيا وقومها جراوة<sup>(١)</sup> . ولكن الكاهنة هزمت حسانا الذي أنهكت جنده الحروب مع الروم ، فانسحب إلى طرابلس وظل بها خمس سنوات ، عاد بعدها إلى المغرب وهزم الكاهنة ، وبدأت مواهبه تظهر في نشر الإسلام وفي تدوين الدواوين باللغة العربية . وقد ساوى بين العرب والبربر ،

(١) السلاوي ، الاستقصاء ، الدار البيضاء ، ١٩٥٤ ج - ١ - ص ٩٢ .

دعوته . واتي المولى إدريس من هذه القبيلة المغربية كل العون والتأييد في تأسيس دولة الأدارسة التي كانت أول دولة مستقلة عملت جهدها على نشر الإسلام في ربوع هذه البلاد.

### المرابطون ونشر الإسلام :

وبما هو جدير بالملاحظة أن الدولة المرابطية تعتبر أول دولة وحدت المغرب الأقصى والأوسط وقامت بدور خطير في نشر الإسلام على الساحل الإفريقي الغربي وبلاد السودان ، ويجمع المرابطون في المغرب بين الجهاد والثقافة الدينية معا ، كما يتجلى ما فطروا عليه من نزعة دينية خالصة وحب للجهاد فيما ذكره عبد الواحد المراكشي (١) عن حضور المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين مستغيثا به في حربه مع الفونس السادس ملك قشتالة ، فأجاب ابن تاشفين المعتمد إلى ما دعاه لإليه قائلا : « أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسى » ، وعبر ابن تاشفين البحر من سبتة في أسطول مغربي يتألف من مائة سفينة ميمما شطر الجزيرة الخضراء ، وأوقعت جيوش ابن تاشفين بجيوش الفونس في موقعة الزلاقة المشهورة ، التي تعد بحق من المواقع الحاسمة في التاريخ

وفي العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) غدا شمال إفريقيا مسرحا للفتن والقتال ، ويعزى خروج البربر على ولايتهم من العرب إلى بعد هذه البلاد وفرضهم ضرائب ظن البربر أن الدين لم ينص عليها ، يضاف إلى ذلك استفحال حركات الخوارج والشيعة ، حتى عمل بعض زعمائهم على الاستقلال عن الدولة العباسية وانضم بعض زعماء من العرب المنازين في هذه البلاد إلى البربر ، وخنلوا طاعة العباسيين ، وتأسست في المغرب ولايات مغربية مستقلة ، منها ولاية تاهرت التي أسسها عبد الرحمن بن رستم من الخوارج الأباضية ، وولاية بجلماسة (تافيلالت الحالية) التي أسسها بنو مدرار بمساعدة الصفورية الزناتيين ، وولاية تلمسان التي أسسها بنو قرة الصنهاجيون ، ودولة برغواطة في تامسنا (الشاوية الحالية) على ساحل المحيط الأطلسي . من ذلك نرى أن أهل الشمال الإفريقي قد قاموا بدور ملحوظ في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية.

وفي سنة ١٧٢ هـ قامت دولة الأدارسة على يد المولى إدريس بن عبد الله العلوي الذي سار إلى بلاد المغرب الأقصى مع موله راشد بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوي في موقعة فخ المشهورة سنة ١٦٩ هـ . وقد استقبلته قبيلة أوربة البرنسية ونشرت

(١) المعجب تلخيص أخبار المغرب ص ١٣٠ - ١٣٣ .

المخلصين إلى جزيرة بنهر السنغال<sup>(١)</sup> بنوا بها رباطا اتخذوه مركزا لعبادتهم ، وأخذوا يعلمون الناس التفقه في دينهم والمحافظة على شعارهم والإفلاخ عن عاداتهم المخالفة للدين . وسرعان ما تجمعت حول عبد الله بن ياسين طائفة من تلاميذه ، وخاصة من جدالة ومسوقة ولمتونة أخذت في الزيادة حتى بلغت نحو ألف شخص قاموا على نشر مبادئ الإسلام . وقد ذكر ابن أبي زرع<sup>(٢)</sup> أن عبد الله بن ياسين قال لتلاميذه :

« اخرجوا على بركة الله ، وأندروا قومكم وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته . فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه نخلوا سبيلهم ، وإن أبوا ذلك وتنادوا في غيبتهم ولجوا في طغيانهم . استعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا » .

وأخيراً قاد عبد الله بن ياسين أتباعه وسماهم المرابطين .

وهذا الاسم مأخوذ من الرباط ، أى الخلوة

(١) ويذكر ابن خلدون (العبر ج ٦ ص ١٨٣) هكذا على هذه الجزيرة : « وأخذ أبو بكر ، فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بجزر النيل من جهاتها ضحضا . في المصيف وغمر في الشتاء » . ولعل ابن خلدون قد وقع في هذا الخطأ الذي وقع فيه الشريف الإدريسي (كتاب المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ص ٨) إذ كان يطلق اسم النيل على نهر النيجر .

(٢) الأنيس للطرب ص ١٤ - ١٦ .

فقد طال حكم المسلمين للأندلس أربعة قرون أخرى بفضل انتصار يوسف بن تاشفين في هذه الموقعة ،

ويرجع انتشار الإسلام في الصحراء وفي حوض السنغال إلى عبد الله بن ياسين ، فقد ذكر ابن أبي زرع (١) أن يحيى بن إبراهيم شيخ قبيلة جدالة لإحدى بطون صنهاجة استعان بعبد الله بن ياسين الذي عرف بالتقوى والتفقه في الدين (٢) ولما مات يحيى ابن إبراهيم ، خلفه في زعامة صنهاجة يحيى بن عمر اللتوني . وقد ذكر ابن خلدون أن جدالة ولمتونة تنحدران من قبيلة صنهاجة الكبرى<sup>(٣)</sup> وقد وجد عبد الله بن ياسين أن البربر في ذلك الوقت كانوا يهملون شعارهم الدينية ، فأخذ يحثهم على إصلاح سلوكهم ، وسار مع تلاميذه

(١) الأنيس للطرب (الرباط ١٩٣٦) ج ٢ ص ١١ - ١٦ .

(٢) راجع ابن خلدون ، العبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤ هـ ج ٦ ص ١٨٢ .

(٣) قال ابن خلدون : (العبر ، ج ٦ ص ١٥٢) إلى بطون صنهاجة كثيرة : فمنهم بلكاة وأنجفة ، ومسرة ولمتونة ومسوقة ، وجدالة ، وقال ابن خلدون (ج ٦ ص ١٨٢) « كان هؤلاء الملأى في صحارهم » . وكانوا على دين الجوسية إلى أن ظهر فيهم الإسلام لعهد المائة الثالثة . وجاهدوا جيرانهم من السودان عليه (أى على الدين) فدانوا لهم واستوثق لهم (أى للملأى) الملك ، ثم افترقوا ، وكانت رئاسة كل بيت منهم في بيت مخصوص .

أن الأمير أبا بكر بن عمر قلد ابن عمه يوسف ابن تاشفين في سنة ٤٦٢ هـ حكم بلاد المغرب الأقصى شمالا ، فاستطاع يوسف بفضل مواهبه الفذة أن يؤسس في سنة ٤٦٦ هـ (١) الدولة المرابطية العظيمة التي خدمت الإسلام في الأندلس ولم تأل جهدا في نشره في كثير من ربوع القارة الإفريقية .

ثم جاء الموحدون ففشر الإمام المهدي محمد بن عبد الله بن تومرت عقيدة التوحيد بين الناس بعد أن مهد لها طويلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ابتداء من مكة المكرمة وهو عائد من الشرق ، و انتهاء ببلاد المغرب ، وقد ألفت لأتباعه كتباً في عقيدته التوحيدية التي قام بشرحها بنفسه باللغة البربرية . وكما كان للمرابطين فضل عظيم في نشر الدعوة الإسلامية في أجزاء واسعة من القارة الإفريقية والأندلس ، كذلك كان للوحديين أثر محمود في الجهاد ضد الصليبيين بالأندلس ، كما كان من مآثرهم نشر دعوتهم التي كانت تقوم على التوحيد ، وقد ذكر صاحب الاستبصار أن دعوة التوحيد امتدت من طرابلس شرقا حتى غانة وإلى قلب القارة الإفريقية ، وكان للوحديين الفضل العظيم في نشر الثقافة عامة والإسلامية منها خاصة .  
(البينة — الرباط)

المركزية — إبراهيم

التي اتخذها عبد الله بن ياسين في جزيرته بنهر السنغال . هذا ما ذكره صاحب القرطاس أما ابن عذارى فإنه يرى رأيا آخر في هذه التسمية حيث يذكر أن تسمية المرابطين بهذا الاسم ترجع إلى موقعة حربية استبسلت فيها قبيلة لمتونة الصنهاجية ، فأطلق عليهم عبد الله بن ياسين اسم المرابطين لصبرهم وحسن بلائهم ورباطة جأشهم (١) .

ويرجع استعمال لفظ رباط إلى زمن أبعد من هذا ، ومعنى المرابطين : الاتقياء المجاهدون في سبيل الله ، وهذا اللفظ مأخوذ من الرباط وهو حراسة الحدود ، حيث كان يذهب المحلصون للدين لمساعدة حامياتها ، وقد ورد لفظ رباط في القرآن الكريم حين أذن الله سبحانه وتعالى المسلمين بالجهاد ، أي القتال في سبيل الله ، وذلك لتأمين الدعوة الإسلامية والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها ، فقال جل شأنه في سورة الأنفال (٢٢ - ٣٩ - ٤٠) :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وقد قام المرابطون بدور هام في نشر الإسلام في القارة الإفريقية ، ومن المعروف

(١) أحمد مختار العبادي : مجلة تطوان ،

العدد الخامس ١٩٦٠ م ١٤٦ - ١٤٧ .

(١) المصدر نفسه م ١٤٥ - ١٤٦ .

## نظرة في أحاديث "إحياء علوم الدين" للغزالي

### للاستاذ محمد محمد الشرقاوي

قبل أن تتناول الأحاديث النبوية الشريفة التي انطوى عليها كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - بالنظر والتحليل .. نود أن نقرر باديء ذي بدء أن ذلك الإمام الجليل قد بلغ القمة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .. وذلك حين اقتحم بعقله الجبار ، وعزمه الثوار ، آفاق الفلسفة والمنطق ، وعلم الكلام والعقائد ، وأن كتابه « تهاافت الفلاسفة » كان معولاً تهاوت تحته دعائم الفلسفة العقلية التي شادها الفلاسفة على التفكير العقلي المجرد ، منذ عهد « أرسطو » .. صاحب أضخم عقلية فلسفية انبثق عنها التاريخ - في رأى الفلاسفة - فقد أبطال الغزالي مذهبهم المادى الذى كان يرصد عالم الغيب من خلال المعقولات ، حتى إذا استعجم عليهم إدراك ما وراء الطبيعة بالعقل ، كفروا بعالم الروح ، وصدوا عنه ، فحاجهم الغزالي بسلاح الجدل المنطقي الذى دانوا به .. حتى حجهم ، وخاصهم بالدلائل البرهانية .. حتى خصمهم ، وكشف لهم حقيقة غابت عنهم ، وهى أن عالم الغيب فوق مدارك

العقل المجرد ، لأن تصرفات العقل دائرة في إطار المحسّات ، فهو لا يفكر ولا يتخيل ولا يتوهم إلا ضمن تلك الدائرة المحددة .. على حين أن ما وراء الطبيعة ليس من قبيل ما يخضع لحواسنا ومداركنا القاصرة . وكانت تلك الفكرة هى التي اختمرت أخيراً في عقلية الفيلسوف الألمانى الشهير « كانت » والذى اعتبره قومه الألمان من أجلها .. نعمة من أجل نعم الله عليهم .. بيد أن « كانت » حين أثبت قصور العقل عن إدراك كل شئ لم يصل بعد ذلك إلى إثبات شئ في عالم العقيدة وألحد ... أما الغزالي فإنه استشرّف معالم الغيب عن طريق السلوك في دروب الصوفية ، والترقى في سلم الوصول .. حتى أشرق عليه الفيض بالأمل المنشود .

.. ولقد شغف الغزالي - رحمه الله تعالى - الشغف كله بهذا اللون من التفكير ، الدائر في فلك الإيمان والتكفير ، وصال فيه وصال ، حتى بلغ شأواً عزيز المنال .. فقليل إنه أنظر أهل عصره ، وإنه بحر مغدق .. أو مغرق ، ومن هنا نشأ لقبه المشهور « حجة الإسلام » .

في نصابها وإعطاء ما لله لله ، وما لقيصر ، لقيصر ، والحكم بالحق على الأشخاص ، لا الحكم بالأشخاص على الحق ، والتمتع بحقنا المشروع في الحرية الكاملة لمناقشة الآمار والمخلفات العلمية — مهما كان مصدرها — مع تحرى الأمانة والصدق في إصدار الحكم لها أو عليها ... وذلك على الرغم مما دمجته أقلام المعجبين بهذا الكتاب الشهير ، من عبارات المدح العريض ، والثناء المستطاب ، فقد جاء في دائرة المعارف الوجدية في معرض التنويه بذكره ، « لانه آية من آيات التأليف ، وغاية من الغايات التي تقصر عنها الهمم » ، ومن ذلك قول الإمام النووي فيما نقله عنه ابن السبكي في طبقاته : « كاد الإحياء يكون قرآنا » ، ومن هذا القبيل أيضا ما ذكره التاج السبكي في الطبقات من قول بعض المحققين : « لو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل والنظر ، والفكر والأثر ... غير إحياء علوم الدين - لكفى » .

ونرى أن تلك الأقاويل قد استبد بها الإعجاب - إلى درجة المبالغة الفجة ... وذلك نتيجة لسبق الكتاب فيما عالج من موضوعات ، وما تناول من قيم ، وما حلل من مفاهيم ... على نحو لم يعرف من قبل في تاريخ الكتابة الإسلامية .

.. كما نود أن نشير إلى أن هذا الإمام العبقري قد كتب في علم الخلاف والفقہ بطريقة تسكاد تكون جديدة في بابها ، فقد زواج بين الحقيقة كما يعرفها الصوفية . والشرعية كما يفهمها الفقهاء ، وربط بين أعمال الظاهر ، وأحكام الباطن ، ولم يسلك مسلك الفقهاء الذين اعتمدوا في استنباطهم على الأدلة التفصيلية ، في ضوء قواعد فقهية مقررة ، ومبادئ أصولية مسلمة .. بقدر ما سلك في ذلك مسلك أهل الطريق من ذوى الكشف والإلهام .. الذين يرون للعرفة بابا آخر ، غير باب الأدلة والقواعد . ونحن لا نتعرض للغزالي من هذه الناحية ، ولا من تلك : إلا بالقدر الذي يحفظ له أثره وخطره في محيط المدارك الإسلامية العليا . وهما من هذا البحث ، أن تناول أشهر كتبه « إحياء علوم الدين » الذي شاع ذكره وذاع ، وطبقت سمعته البقاع والأصقاع ... وذلك بالتحليل العلى لما تضمنه من أحاديث نسبت إلى صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم ، لننظر ... إلى أى مدى بلغت جهود الإمام في هذا السبيل ... بالنسبة لما بلغه في مجال الفلسفة والمنطق والعقائد ، والفقہ والأصول وهدفنا الذى نرنو إليه ... وضع الأمور

ولعل ما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين في هذا المقام أدنى إلى القصد ، وأدخل في الصواب حين يقول : « وإذا وجد العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه من صنع بشر غير معصوم من الزلل » .

ومركز الاهتمام والخطورة في هذا البحث أنه زخر بحشود هائلة من الأحاديث النبوية الكريمة ، فيها الصحيح وغيره ... ولو أنها كانت ضمن كتاب لا يؤبه له ، ولا يلتفت إليه ... لوسعنا أن نضرب عنها صفحا ، وأن نغض دونها بصرا ؛ لكنها في أشهر موسوعة علمية إسلامية ، اعتبرت في نظر الطليعة من رواد الهداية موردا فياضا ، ومنهلا عذب الورود ، تتسلسل في جداوله المترقق عبارات الوعظ والتأثير الديني طيبة للذين يتصدون لتلك المهمة في معترك الحياة ... ثم سرعان ما تشق طريقها إلى العقول والقلوب في مشارق الأرض ومغاربها لتعمل عملها ... وتوقى أكلها .

والواقع أن الإمام الغزالي — رحمه الله تعالى — حين ألف كتابه ( إحياء علوم الدين ) وجمع فيه من الأحاديث ما جمع ، كان كحاطب الليل ، أو كمن يخبط خبط عشواء فقد جمع الصحيح إلى جانب الضعيف ، وسوى بين المسموع والموضوع ، وزاوج بين المنقول والمدخول ، حتى اختلط الحابل

بالبابل ، والحق بالباطل ، وعز على الناس التمييز بين تألق الأصيل ، وبريق الزائف الدخيل ، ولو لم يكن قد عز عليهم هذا التمييز — لكان من غير المرغوب فيه وجود هذا اللون من المؤلفات التي تنتمي إلى الإسلام في مثل هذا الثوب المهلهل ، ويكفي أن أشير إلى أني طالعت الخمسةائة حديث الأولى من كتاب ( الإحياء ) مستعينا بالإمام الحافظ العراقي — طيب الله ثراه — الذي تعقب كل حديث في الكتاب مبيناً ما له وما عليه ؛ فلاحظت أن الربع الأول من الكتاب المسمى بربع العبادات ، قد بدى بحديث ضعيف وانتهى بحديث ضعيف ؛ فأما حديث البدء فهو : « أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعبادته » ، وأما حديث النهاية فهو : « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام » ، وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » فقد عده ابن حبان في الضعفاء ، ورواه أبو نعيم في الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف . وفيما بين هذه البداية وتلك النهاية أحصيت ضمن الخمسةائة حديث المشار إليها : ١٩٤ حديثاً صحيحاً ، ١٣٥ حديثاً ضعيفاً ، ١٠٤ حديثاً حسناً ، ٢٤ حديثاً لم يعرف أصله ، ٢٢ حديثاً موضوعاً ، ١٧ حديثاً مرسلأ ، ٤ أحاديث غريبة .

وإذا أنعمت النظر في النسبة المعقودة بين



لكان لأحاديث إحياء العلوم شأن غير ما هي عليه الآن . . وأكبر الظن أن الإمام لم تواته ظروفه لكي يراجع ما كتب من أحاديث . إثر عكوفه على مطالعة الصحاح من كتب السنة .

وأنه لو أسعفته تلك الظروف . . لكان له إحياء جديد بعد إحيائه القديم . . كما ظهر ذلك في فقهه الشافعي على اختلاف في زاوية الوضع والمراجعة . .

جاء في كتاب ( جواب أهل الإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من آن ) لابن تيمية : ( وأما الطريق الخبرية النبوية فلم يكن للغزالي فيها خبرة بما صح من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبطريق دلالة ألفاظه على مقاصده ، وظن بما شارك به بعض أهل الكلام والفلسفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين مراده بألفاظه ، فترك من هذا وهذا سد باب الطريق العقلي والسمعي وظن أن المطلوب يحصل بطريق التصفية والعمل ، فسلك ذلك فلم يحصل له المقصود أيضاً ، فرجع في آخر عمره إلى قراءة البخاري ومسلم ) .

ويقول ابن النجار في ترجمته للإمام الغزالي : ( ولم يكن للغزالي أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث ، ولم أر له إلا حديثاً واحداً ) .

هذه الأحاديث وجدت أن نسبة الحديث الصحيح نحو ٣٨٪ وهي نفس النسبة للأحاديث الضعيفة والموضوعة والغريبة والمرسلة والتي لا أصل لها معاً ، بينما تتوزع النسب الباقية ما بين الحسن والمنكر والمضطرب والمختلف في صحته والموقوف إلخ .

ومعنى هذا أن نحو نصف أحاديث هذا الكتاب الشهير ذي الخطر الكبير صحيح والنصف الآخر يفتقد مقومات الصحة . وهذا يفتقر إلى جهود صادقة من المشتغلين بالحديث لحصر الصحيح والحسن في إطار خاص ، وتنقيتهما من الشوائب ، ليسهل العلم ، ويصح العمل ، مع المحافظة على الأصل التاريخي للكتاب قياماً بواجب الأمانة العلمية

ومحل العجب هنا . . أن الغزالي كان كثيراً ما يعيب على المحدثين من أهل عصره إسفافهم في رواية الحديث ، وإغراقهم في النقول عن صاحب الرسالة . . . ومع ذلك فلا ندرى . . هل كان الغزالي يدري أنه تورط فيما عابه على غيره ، وقد ذكر الإمام أبو العباس بن تيمية « أن الغزالي عكف في آخر أيامه على قراءة البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة » ولقد تمدينا على التاريخ . . أن لو كان عكوف الإمام هذا على قراءة الصحيحين نقطة البدء في حياة الإمام العلمية . . إذن



من نقد في أحاديث هذا الكتاب منها ما يمت إلى السياسة ، أو الخرازة الشخصية بصلة . . وليس هذا مقام تفصيله والإفاضة فيه إلا أن الواقع التاريخي لهذا الكتاب لم يسلم من القيل والقال ، والتصحيح والإعلال . . وقد اعترف الإمام الغزالي نفسه في كتابه « جواهر القرآن » « بأنه لم يكن بمن عنوا بالحديث والخلافات في مسائل الفروع » ، وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة ، فإننا في هذا البحث نبرأ من التجني على الإمام الغزالي بغير ما دان به نفسه من تقصير في معالجة الأحاديث الشريفة . . ومن المعقول أن الإقلال مع الإجادة والإحكام ، خير من الإسفاف دون بلوغ المرام ، ولا شك أن الحديث من أوائل ما يعتمد عليه المجتهد في الفروع الفقهية ، فبالك بمن يتصدى لمسائل العقيدة الأساسية ، وقد يكون من أسباب ذلك أن عصر الإمام كان عصر جدل في العقيدة ، وكان الفقه قد استقرت أصوله ، وكثرت مؤلفاته ، وتعددت تفرعاته ، إلا أن هذا لا ينهض عاملاً يبرر الإكثار من الأحاديث على النحو الذي سلكه الغزالي ، فالواقع أن الإسلام لم يهاجم عن طريق القرآن الكريم الذي تعهد الله بحفظه وصيافته من الدخل والدجل ، وإنما اعتدى على الإسلام عن طريق الثغرات التي انصدعت في نطاق الأحاديث الشريفة ، ووجد فيها أعداء الملة مرعى مرمعاً للفتن

وقد أخبر أبو عبد الله الحافظ بواحد من أحاديثه — كما جاء في الطبقات الكبرى — وفي الطبقات لابن السبكي : أن الإمام أبا بكر الطرطوشي تعرض لكتاب ( إحياء علوم الدين ) في رسالته لابن مظفر بقوله : — ( فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم الأحوال ، ومرامز الصوفية ، وكان غير أنيس بها ، ولا خبير بمعرفتها ، فسقط على أم رأسه ، وشحن كتابه بالموضوعات ، ولقد بدا له الانصراف عن طريق العلماء ، ودخل في غمار العمال ، ثم تصوف ، فحجر العلوم وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين ) .

وقديماً اندلعت نار ثورة عارمة من فقهاء الدولة التاشفينية في المغرب على عهد علي ابن يوسف بن تاشفين — ضد كتاب ( الإحياء ) وقد عاصرها الإمام الغزالي ودعا على قادتها فقد جمع من نسخ الإحياء الشيء الكثير في بلاد الأندلس والمغرب ، ووضع ما جمع من الأندلسيين في صحن جامع قرطبة ، وما جمع من بلاد مراکش في صحن مسجدها الجامع ، وهكذا في سائر الأقطار المغربية ، ثم أشعلت فيها النيران .

وقد يكون لذلك أسباب آخر غير ما ذكرنا

يشير إلى هذا ، ولهذا عكف في أخريات أيامه على قراءة الصحيحين ليكمل في النهاية نقصا فاته في البداية ، وحيثئذ ما كان ينبغي له أن يقدم على عمل خطير كهذا دون أن يستوثق من الحديث رواية ودراية .

وأما أنه كان على علم بالحديث ضعيفه وصحيحه ، ومسموعه وموضوعه ، ثم أخذ بالفكرة القائلة : « إن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال » ، ولئن صح هذا في ضعاف الأحاديث . فهو لا يصح في موضوعها . على أننا لا نسلم تلك الفكرة لقائلها رغم ذبوعها وشيوعها ؛ لأننا لا نعرف لها أصلا عليها ، ولا سندا تاريخيا ، ولا ندري كيف ، ومتى نشأت ، ولا عن من نقلت .

ولأن نقلت تلك الفكرة في زوايا النسيان خير من أن نردها في مجال العرفان .

فالإسلام — والحمد لله — أغنى بصحيحه وصحاحه من أن يستعين بالضعيف من الروايات ، أو يستجدي المعلول من الأسانيد . ومهما يكن من أمر فإن اللائق بماضى هذا الإمام الألعى ، وسوابقه الحافلة بأجماد الكفاح الفكرى ، ومفاخر الدفاع عن عقائد الإسلام ضد هجمات الفلاسفة ، وأهل البدع والزندقة - يجعلنا نردد ما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين من أنه إذا وجد

والدسائس ، مما حدا بأهل الجسد والغيرة إلى التشمير عن ساعد العمل لتخليص الإسلام من الطفيليات الضارة التي عاشت عالة على حساب الصحيح من مبادئه وتعاليمه ، والصالح من أحاديثه .

وكنا نرجو مخضين أن يكون إمامنا الغزالي من هذا الطراز الذى قرعت أسماعه أجراس الخطر منذرة بتلك السموم التى تنفث في جسم الإسلام بين ضباب الشك ، وظلام الأحقاد والإحزن الموروثة .

فكان ينبغي له أن يعيد النظر مرتين قبل أن يسطر حديثا واحدا . ولا سيما أن خصيصة الغزالي أنه مفكر ثائر ، لا يؤمن حتى يفهم ، ولا يفهم حتى يدرس ، ولا يدرس حتى يتشكك ، ولقد درس الغزالي وفهم ، وحصل كل ما وعته العقول والأفكار في عصره الذى كان أجمع العصور للعلم وأحفلها بالمعرفة ، وأنه بلغ من ذلك مبلغا ليس بعده زيادة لمستزيد ، ولا وراه غاية لمريد . فما معنى ما حدث إذن في « إحياء علوم الدين » ؟ .

إن الغزالي بنعته السابق واحد من اثنين : إما أنه رجل تشبع حتى تضرع في علوم الفلسفة والعقائد والجدل . ثم تقاصرت همته أو بالأحرى ضاق وقته عن العناية بالحديث ، ولعل اعترافه السابق في « جواهر القرآن ،

فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين  
بالتنبيه على أمر يخصه ، ويغفل عنه رفقاؤه ،  
أولا يغفل عن التنبيه ، ولكن يسهو عن  
إيراده في السكتب ، أو لا يسهو ، ولكن  
يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف .  
وبعد :

فقد تبين من دراسة هذا الموضوع :  
أن الإمام الغزالي مع احتفاظه بالإمامة  
في علوم الفلسفة والمنطق والعقائد - لم تكن  
له عناية فائقة بالحديث ، ولذلك فإن نصف  
الأحاديث تقريبا اتى انطوى عليها كتابه  
« إحياء علوم الدين » ، هي التي يصح الاعتماد  
عليها علما وعملا ، بينما النصف الآخر  
قد جمع أشتاتا من ضعيف وموضوع ومنكر  
ومضطرب ونحوه ، مما لا تتوافر معه الثقة  
للاحتجاج به ، أو الاستناد إليه ، وأنه  
حق على كل قارئ لكتاب الإحياء أن  
يسترشد بالإمام الحافظ العراقي في تخريجه  
لأحاديث الكتاب ، فلا يتقبل منها إلا ما  
حسن كلام الحافظ فيه ، وأنه تغلب فيه  
الزعة الصوفية أكثر مما يظهر فيه الروح  
الفقهية القائم على الاستنباط من الأدلة  
المتداولة بين الفقهاء .

وأن مراجعه الأساسية - كما يبدو - هي  
كتب التصوف لا كتب الأحاديث المعتمدة ،  
ولا كتب الأصول الفقهية .

**محمد محمد الشرفاوي**

العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه  
من صنع بشر غير معصوم من الزلل .  
والناظر في كتاب الإحياء تحت ضوء  
ما جمع في كتب أئمة التصوف الأربعة :  
الحاسبي والخراز وأبي طالب المكي  
والقشيري ، وهم الذين قيدوا مذهب الصوفية  
بعد تبديده ، وضبطوه بعد انتشاره - يرى  
أن كتاب الغزالي كان مرآة انعكست عليها  
أفكار هؤلاء الأئمة وآراؤهم ، وأن مسحة  
المتصوفة هي الطابع المميز ، والعنصر  
الغالب في تصنيف هذا الكتاب ومن الممكن  
أن يقال : إن تلك الكتب كانت مراجع  
للإمام في تأليف الإحياء إلى جانب عمله  
الغزير ، وعقله الكبير .

ولقد حدد الإمام الغزالي الخطوط  
العريضة التي تميز كتابه الإحياء عن أشباهه  
من الكتب التي شاركت في موضوعه ، ولم  
ينكر أن الناس صنفوا في بعض معانيه  
ولكنه يذكر ، أن كتابه يمتاز عن أمثاله  
بخمسة أمور :

أولا : حل ماعقدوه ، وكشف ماأجلوه .

ثانيا : ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .

ثالثا : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما قرروه .

رابعا : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .

خامسا : تحقيق أمور غامضة اعتاصت

على الأفهام ، ولم يتعرض لها في الكتب أصلا ؛

إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد ،

# مع القرآن في الآفاق

للاستاذ الحسني عبد المجيد هاشم

وأنا معهم في أن القرآن يدعو إلى العلم والعمل ولكني أرى أن هذه الدعوة واضحة جليلة في آيات كثيرة غير هذه الآية مثل : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، « لنمأ يخشى الله من عباده العلماء » . وأتأ إذا رجعنا إلى معنى السلطان نجد أنه بمعنى الأمر والحجة والولاية والقدرة . وإذا كانت الحجة نوعاً من العلم فهي علم يغير علم التركيب والاختراع ، ومن الممكن أن يكون السلطان بمعنى القدرة ، ويطلق على مسببها مجازاً وهو الاختراعات .

ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فأى معنى للتحدي بهذه الصيغة القوية لفريق الجن والإنس معاً ؟

على هذا التفسير الذي اختاره العلماء يكون المعنى يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ؛ إنكم لن تستطيعوا ذلك إلا بعلمكم . وعلى هذا النقط من التفكير لا داعي للتحدي فكل شيء لا يستطيع الإنسان أن

اقتضت نهضة التسابق العلى في غزو الفضاء ونجاح الرواد من الشرق والغرب أن تتجه الأبحاث حول الآيات الكونية في القرآن ، وكتب العلماء والباحثون في معنى الآية القرآنية : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .

وكانت مهمتهم أن يوقفوا بين الحقائق العلمية الثابتة ، وبين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إنه من عند الله الذي يعلم السر في السموات والأرض ومحال أن يصطدم مع نظرية علمية حقيقية . ولقد صعد رواد الفضاء وداروا حول الأرض وارتفعوا في السماء ، وأصبح ذلك حقيقة علمية لا يتطرق إليها الريب ، فكيف يتفق هذا مع التحدي في الآية ؟

رأى العلماء خروجاً من هذا الحرج أن يفسروا السلطان ، بالعلم الاختراعى ، فهم لم يصعدوا إلا بعلمهم الناتج عن أبحاث وكفاح ، وبذلك فالقرآن يدعو للعلم والعمل .

الساوية إليها فلا يعد عنها سوى ٢٤ ألف ميل تقريبا .

ونحن لا نريد بذلك أن ننفي بأنهم سيصلون إلى القمر . بل ولا مهمتنا أن ننفي أنهم لن يصلوا إلى مدى أبعد من ذلك بكثير وكثير . ولكن كما قلنا نقرر بأن هذا لا يسمى نفاذا فلا تعارض مع الآية حتى تفسر السلطان بالعلم البشرى الاختراعى مما يفقد الآية معنى التحدى .

وإذا كان النفاذ لم يتحقق للرواد وليس في مقدور البشر وعلمهم ذلك فإن سلطان الله وحده هو المحقق لهذا النفاذ . إنها القدرة الخارقة الفائقة ، من معاني السلطان: الولي ، « الله ولي الذين آمنوا » وكانت ولاية الله واضحة لرسولنا صلى الله عليه وسلم . وكان النفاذ لا بعلمه ولا باختراعه ، ولكن برعاية الله .

اخترق السموات وأقطارها ووصل إلى الأفق الأعلى ورأى الآيات الكبرى : سدرة المنتهى جنة المأوى ، الكرسي الذى وسع السموات والأرض ، وكان ذلك فى ليلة المعراج من غير صواريخ ولا مخترعات وإنما كان بأمر صاحب الإبداع والسلطان « وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » . وكان ذلك حقيقة فى مأمن من خداع الحواس .

يفعله إلا على علم فالإنسان مثلا لا يستطيع الكتابة ما لم يكن على علم بمعركة الحروف وقواعد الخط والإملاء . وهكذا فى كل أعماله لا يستطيعها ما لم يكن على علم بها . ولا يقال له أنت لا تستطيع أن تعمل ذلك إلا بعلمك .

وإننا لو سلطنا أضواء البحث على معنى « النفاذ » الذى هو موضوع التحدى لاستبان الأمر ؛ ففي القاموس المحيط . النفاذ جواز الشيء عن الشيء وخلوصه منه كالتفوذ ، ويقال نفذ السهم من الرمية . إذا خالط السهم جوف الرمية وخرج طرفه من الشق الآخر ، وهل تتحقق النفاذ بهذا المعنى لرجل الفضاء فاخترق أقطار السموات كلها وجاوزها إلى عالم آخر فوقها غير عالمها حتى يذهب ، نظن أننا أمام مشكلة تعارض الحقائق العلمية مع النصوص القرآنية ، وحتى نؤول النصوص تأويلا غير سائغ يذهب من روعتها ويغير معناها . لم يحصل النفاذ فلا تعارض ، والتحدى قائم لا محالة ، بل إن هذا النفاذ لم يفكر فيه المفكرون حتى يضطر إلى التأويل غير المناسب باسم التحرر مع العلم الحديث . إن رجل الفضاء لم يخبر بأنه نفذ من أقطار السموات إلى عالم آخر . إن كل هدف التسابق أن يصل إلى القمر ، والقمر حفيد الأرض كما يقول علماء الجغرافيا وأقرب الأجرام

«إن هو إلا وحي يوحى. علمه شديد القوى. ذو مرة فاستوى. وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى. فكان قاب قوسين أو أدنى»، إلى قوله تعالى: «إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى». هذا إذا فهمنا الآية مستقلة عن جوها القرآن مما قبلها وما بعدها. أما إذا فهمناها في جوها بالربط بين سابقها ولاحقها فأیضا لا اعتراض أيضا بل لا علاقة لها من قريب أو بعيد بغزو الفضاء. إنما يتناسب البحث مع غزو الفضاء في الآية: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق». فالغزو وتحقيق لهذه الآية، أما آية التحدى بعدم التنفيذ فهي من سورة الرحمن. وابتدأت السورة بذكر الرحمن الذي من رحمته علم القرآن، خلق الإنسان، ومن عليه بالعلم عليه البيان: فأنه هو الرحمن والمعلم وخالق الشمس والقمر وخالق الكون بسماؤه وأرضه، وفاكهته ونخله، وخالق الإنسان من صلصال كالفخار، وخالق الجان فجعل أصله من مارج من نار، ومرج البحرين وجعل بينهما برزخاً لا يبغيان، كما أخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام. ولكن كل هذا السكون بخلقه ونعيمه إلى فناء. كل من عليها فان. والباقي الحق هو الله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

أصبحنا بعد قوله كل من عليها فان بإزاء التحدث عن الآخرة فالباقي هو الله يغير ولا يتغير، كل يوم هو في شأن. في هذا الوقت ستفقد القدر الاختيارية أو الصورية ويظهر الأمر لصاحب الأمر (لمن الملك اليوم لله الواحد الوحد القهار). «سنفرغ لكم أيها الثقلان، وسيكون الحساب، وفي ذلك الوقت لا قوة لنا على اكتساب الثواب ولا على اجتناب العذاب ولا اختيار ولا تكليف. بل حساب: «اليوم تجزى كل نفس بما كسبت»، ولا مهرب، ولا ملجأ من الله إلا إليه. «من استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا وانبجوا من الحساب: لا تنفذون إلا بسلطان الله، بأمره سبحانه وتعالى، تنجون أو تعذبون تساقون إلى النار أو الجنة. «فبأى آلاء ربكما تكذبان، يا معشر الجن ويا معشر الإنس. قال كلام القرآن السابق للآية إنما هو في الحياة الآخرة، والكلام اللاحق للآية في الحياة الآخرة. بعد الآية بين الله نوع العذاب للبعدين يقول تعالى «يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران. فبأى آلاء ربكما تكذبان. فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان». واستمرت الآيات بأن البحر من يعرفون (البقية على صفحة ٣١٢)

# فضيلة اليوم : كتابة التاريخ المعاصر

للاستاذ محمد رجب البيومي

ارتفعت أصوات عليّة في الدوائر الجامعية تنادى بوجوب التريث في كتابة تاريخنا المعاصر ، وتعلن أن التاريخ الزيه المنصف لا يمكن تحريره بريثا من عناصر التأثير والتأثر إلا بعد خمسين عاما من وقوعه ولكن أصواتا عليّة أخرى تصدت لمناهضة هذا الرأي ، وأشفت أن يطول بنا التلبث والانتظار حتى تنقضى المدة المعلومة ، وإذ ذاك نرجع إلى ما كتبه الأجنبنا ، فيكون المصدر الأول للرصد والتسجيل ، وتصبح أقوال الأبعد وحدها مصدرا دافقا يحمل في تياره مئات الوثائق والأسانيد - وأكثرها يمثل وجهة نظر معينة - مشفوعة بما يفسرها من تعليل يخطئ مرماه تارة ، ويصيبه أخرى ، وفي ذلك حرج خطير .

النقاش المتضارب ، وقد جاءت أجوبة الأساتذة العلامة ساطع الحصري ، والباحث المؤرخ عبدالرحمن الرافعي ، والدكتور الجامعي محمد أنيس مؤكدة ضرورة الإسراع في تسجيل الحوادث الراهنة دون إبطاء ، وكنا نطمح أن نجد من التعليل والتحليل لهذه الوجهة المحترمة ما يرضى حاجة النفس ، ولكن طبيعة المجال الصحفي لا تتسع للبسط المنشود ، ولعل ما نشر من آراء هؤلاء الأقطاب بالأهرام قد اجتزى اجتزاء قاهرا دون أن تكون لهم يد في هذا الانقضاب الجائر إذ لا يعقل أن يبسط عالم متمرس رأيه الهام في هذه القضية في حدود لا تكاد تخرج عن نعم أو لا ، مما يدفعني إلى إبداء الرأي هنا دون تقييد ، عاتبا على الصحافة المتزنة أن تضيق بأمثال هذه البحوث الجادة ، وهي تفسح المجال العريض لأبواب التسلية والتشويق .

ونحن نعلم بادئ ذي بدء أن الغرض الشخصي قد ظهر بوضوح في بعض مؤلفاتنا القديمة ، فأنت تعرف نزعة المؤرخ وانجابه من خلال ما يسطر من الأنباء ، وما يبيده

وقد انتقلت هذه الصيحات المتعارضة من أهباء الجامعات إلى ميادين الصحافة ، فطلعت علينا جريدة الأهرام الصادرة في ٢٦ مارس سنة ١٩٦٢ بخلاصة مبتورة لما يدور في المضمار الجامعي من اتجاهات ، كما قامت بأسئلة متعددة دفعت بها إلى كبار مؤلفي التاريخ في عصرنا الراهن ، ليبدوا آراءهم الحرة في هذا

والميلول ، فلم تعد أيه دولة من دول الأرض بمعزل عن الأضواء الكاشفة في شتى بقاع العالم ، بل أصبح الحادث اليسير في بقعة نائية يجد من التفسير في أمهات الصحف والإذاعات شرقية وغربية ما يشرحه على وجهه المعقول ، ومهما حاول بعض المغرضين تزييفه فالكثرة الكاثرة لن تخدع بتضليل

نعرف مثلاً أن ألمانيا النازية قد حتمت على المؤرخين من الألمان أن يجعلوا الهتلرية الفردية والآرية الجنسية في مكان التنزيه والارتقاء ، وفرضت على أجهزة النشر من إذاعة وصحافة ومؤلفات وجامعات ومدارس أن تطرى أعمال الحاكمين إطرأ لا يلم به النقد - وإن كان مخلصاً غيوراً - حتى أصبح الشعب الألماني يشعر بارتقائه النوعي بين الشعوب المختلفة من ناحية ، ويعتقد في حكامه من الإخلاص والكفاية والنزاهة ما لا تدركه الشبهات من ناحية ثانية ، نعرف ذلك جيداً ، ونعرف معه أن الدول المحايدة للنازية - فضلاً عن المعادية لها - قد تبعت أدوار الحكم النازي تبعاً مستقرئاً دقيقاً ، ثم أصدرت عليه حكماً الحيادي ، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الثانية رأينا من مؤرخي الألمان أنفسهم من يبرأ مما كتب ، ومن يبدأ في تسجيل صفحات جديدة تعتمد على التحيص والتدقيق ، وتعرض وجهات النظر في العالم

من الأحكام ، حتى اشتهر الكثيرون منهم بميوهم العباسية أو العلوية أو الاعترالية أو السنية بما لا مجال لإنكاره ، وحتى رأينا بعض هؤلاء يعيش في كنف دولة خاصة فقسبغ عليه من عطايها الثمينة ، ومناصبها الفاخرة ما يجعل عين الرضا كائلة عن كل عيب ، حتى اشترط بعض المنصفين في كتابة التاريخ أن تكون المعاصرة منتفية بين الكاتب والمكتوب ، كيلا تتحكم العوامل النفسية ، من رضا أو غضب ، أو منافسة ومعاداة في تسجيل آراء ناشرة تسكتب على غير وجهها الصحيح .

أجل ، نعلم ذلك ولا ننكره ، بل نجزم بوقوعه فيما أسلف مؤرخو الزمن القديم من بحوث محفة تتطلب النقد الدقيق ، ولكننا نعلم مع ذلك أن الزمن قد تغير ، وأن ما كان محتملاً من التزييف والتمويه في عهود الاعتزال والانكاش أصبح من غير المستطاع في النصف الأخير من القرن العشرين ، حيث تتناقل الأنباء مُسرعة في كل مكان ، وتجذب من المحللين والمفسرين ، من يزنّها في كل دولة بميزانه الراسد ، ومهما اختلفت وجهات النظر في الفهم والتدليل فإن مجموعة هذه الموازين ستؤدي إلى رأى قريب من الواقع وستحمل من بواعث النقد ما ينبغي تدليس المغرض ، ويفضح تمويه ذوى الأهواء



عصرنا الراهن ، لم تعد مجرد روايات عن أعمال ترصد في نطاق الشهور والأعوام حتى يجوز التدليس في خلق مكرمة زائفة ، أو افتراء بطولة كاذبة ، أو التحدث بأريحية موهومة ، بل إنها لتخضع الآن إلى منطق منهجي يربط الأسباب بالمسببات ، ويسير علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد بقواعدها الثابتة ونظرياتها المستحدثة في ركاب هذا التاريخ ، تفحص رواياته وتعلل فجاءاته ، وتنتق زائفه ، وتتشرب حياة المؤلف فتفهم عوامل تكوينه ، وتفسر مختلف اتجاهاته ، وتعلل ما يتورط فيه من انحرافات ، فهو في هذا النطاق العلوي الدقيق مضطر إلى لزوم الحيدة فإذا اندفع إلى الغرض الشخصي كشفه البحث العلوي ببصيرته النفاذة ، وقامت القرائن والملايسات بما يؤيد منطق الأشياء ومجريات الحوادث في تيار واضح مفهوم ، ثم إنه ليس وحده في الميدان ، فلدينا ما قاله غيره عن موضوعه ، وهناك المقارنة الهادفة بين قول وقول ، واتجاه واتجاه !! .

لا حرج إذن من كتابة التاريخ المعاصر ولا حرج إطلاقاً من الغرض الشخصي في عصر تعددت به أساليب النقد وفنون التمييز ، بل لا حرج علينا في قراءة ما كتبه المؤرخون قديماً مما سجله الهوى المغرض من محاسن وغفل عن رصد من سوءات ؛ لأن في تقصى

المتمدن ، دون أن يكون لما كتب من تاريخ النازية في حياة هتلر تأثير ما في الجرح والتعديل .

ومانا نذهب بعيداً ، وأمامنا العدوان الثلاثي على مصر !! فقد حاولت بعض الأقلام الغربية في إنجلترا وفرنسا أن تفسره على غير وجهه العدوانى وأن تحتلق من التبريرات المنحرفة ما يشفع لحدوثه معتمدة في تدليس ظاهر على مادونه مجرمو الاعتداء من اقترارات كاذبة تدفع عنهم معرة الحق والرعونة وقصر النظر ، واندفعت الصحف الحاقدة تفسح لهؤلاء مكان الصدارة في التويه والخذاع ، لتخلق رأياً غاماً يرحم المهزم ويرثى لكبوتة المفضوحة ، ولكن أشعة الحق قد تلاحقت من كل مكان لتكشف ظلام الخداع ، حتى رأينا من المحافظين العتاة أنفسهم من يفضح إيدن ويكشف رعونته ، ويعلن أنه فقد كياسته البصيرة حين قام بمؤامرة خاسرة طردته من مركزه السياسى ، وفرضت عليه العزلة الباردة المؤسسية في زاوية الخيبة والإخفاق ، وقد يعجب القارئ حين يعلم أن أحد هؤلاء الناقدين المتحررين نجل الداهية الاستعمارية المستر تشرشل وراعيه الأمين !!

هذه ناحية أولى ، وهناك ناحية ثانية جدية بالالتفات وهى أن كتابة التاريخ في

جنباً ، ولا أظهر خيعة إنبابة ، ولا استنحي من حدث ، ولا أشجي فزاده بتوار في جدب ، ولا أقر ببارته ومصوره ، ولا قر بباريه في ميدان تهوره ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم ، واقتصر على الهيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد... إلى آخر ما انحدر إليه من إسفاف .

فهل استطاع الفتح بن خاتان أن يزيح ابن باجة الفيلسوف عن قته الشائنة قيد أنملة إنه دفع العقلاء إلى التفكير في أسباب هذا الهجوم الظالم ، فعرفوا من تاريخ الفتح أنه يتكسب بكتساباته ، وأنه كان يطرق أبواب الأعيان من الفقهاء والرؤساء مسترفدا سائلا فإذا منحوه الكثير أطل المدح وأجزل الثناء ، فأعاد بذلك في مجال الشر سيرة الوصوليين من الشعراء حين يرسلون مدائحهم وأهاجهم وفق ما يرون من بذل وحرمان ، عرفوا ذلك فأنكروه ، ثم اتجهوا إلى مسلكه الشخصى فرأوا لديه من التبذل والسقوط ما لا يمتنع التزيد والافتراء ، ثم نظروا من جهة ثانية إلى الفيلسوف النابغة فرأوه عبقرياً

الأسباب ، ومعارضة النصوص ، وتحليل المواقف ، وتوضيح الملابسات ما يكفل رد الحق إلى نصابه وتمييز الطيب من الخبيث ! وسأضرب مثالين من مزائق المؤرخين أحدهما إيجابى والآخر سلبى ، ليؤكد بوضوح أن الغرض المائل عن الحق لا يحول دون الواقع الصريح ، وأن ذوى الأهواء المنحرفة في طيات العصور الغابرة لم يثبتوا أمام التحقيق العلى ، فعرف معاصروهم ما ارتبطوا فيه من جور شائن وإذا كان العاصرون أنفسهم قد مازوا الجيد من الردى ، فإن من تلاهم من الأجيال المتتابعة قد نظروا إلى الموضوع من زاوية منفردة ، فأوسعوه بحثاً وتحليلاً وأدركوا فوق ما أدركه أسلافهم الغابرون كثيراً من بواعث الاختلاق وعلل التشويه ، وبقي الزيف سافراً خجلاً ينادى بتمويهه الخداع .

لقد شن الفتح بن خاقان الكاتب الأندلسى الشهير على معاصره الفيلسوف النابغة أبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه هجوما جارحا أراد به أن ينال من مكانته وموهبته ، إذ قال عنه في قلائد العقيان : « هو رمد عين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفاً ومجوناً ، وترك مفروضا ومسئونا ، فسا يتشرع ، ولا يأخذ في غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل ما تطهر من

صاحب القلائد من ساحته بصفقة المغبون ، وطفق يكتب عنه ماهبط بالناقد دون المنقود وتذيع مقالة السوء عن الرجل فتجد بعض الصدى عند من يحاربون الحكمة والمنطق من الفقهاء وحدهم دون من يعرفون بواطن الأمور ، ثم تمضى الأيام ويطلع الخلف ما قاله الفتح ، ثم يقرءون ما قاله سواه ، فيوازنون بين ما يتعارض ويتناقض ، ويهدون إلى مقطع الصواب دون تضليل !! بل إنهم ليضحكون ملء أفواههم حين يرون صاحب القلائد يعدل عن هجائه الفيلسوف في كتابه ( مطمح الأنفس ) . ويتأسون التعليل لذلك ، فيعرفون أن بريق المال يجذب السكاتب إليه دون اهتمام برصانة الخلق ونزاهة الضمير .

هذا مثال إيجابى لمؤرخ ذى غرض ، أما المثال السلبى فنجده عند صاحب الأغاني أبى الفرج الأصبهاني فقد تعرض فى موسوعته الضخمة لمئات من المشهورين والمغمورين ، وترك ابن الرومى الجبير ظنا منه أنه بتجاهله السلبى سيمحق تاريخه ، ويعنى على شعره ، وإذا كانت تراجم الأغاني قد وضعت وفقا للأصوات المختارة فإننا نجزم أن لابن الرومى بما غنى به من الشعر أضعاف ما لغيره ، فقد كان ذا حس مرهف نافذ وأذن موسيقية لافطة ، وشعره فى المغنيات والمغنين ومجالس

فى مضماره ، فهو أول المشتغلين بالفلسفة فى الأندلس فى عصر سيطرت فيه طبقات الفقهاء من المتشددين ، فتقيدوا بالنقل الظاهر ، وحاربوا كل تجديد يستند إلى عقل أو نظر ، وزاد من خطورتهم المؤثرة ما حباهم به أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من نفوذ قاهر لا يقف أمامه معارض ، فهم أولو الكلمة المسموعة ، وأهل الحل والعقد فيما يحللون ويحرمون ، ومع ترمت هذا الجو الغائم فقد جهر الفيلسوف بمعتقده ، وكان أول هؤلاء الذين حاولوا أن يبحثوا شؤون الفلسفة مستقلة عن قواعد الدين وأعلن أن فى مكنة العقل الإنسانى أن يصل إلى ما يشده من المعرفة الحقيقية بالنظر والتفكير دون حاجة إلى التصوف الجاهد والشطح البعيد!! هكذا المفكر الأريب لا يتأنى له أن يعجب بكتابة الفتح وسجعاته ، وكلها من وجهة نظره الفلسفى سطور فارغة ينمقها التسكف النافر دون أن تهدف إلى جلاء حقيقة مطموسة ، أو تساعد على فهم ظاهرة مستعصية ، وهو بهذا الاعتبار لا يعبا بتأليفه ولا يهيمه أن يكون بين هؤلاء الذين يسبغ عليهم باطل الأمداح وزائف الحسنة فإذا قصده الفتح ليسلب من ماله ما يدفعه إلى الإطراء المموه ، فهذا ما لا يقع موقع الارتياح من الفيلسوف الرصين ، لذلك رجع

بما يشير حفاظ ذوى الأرحام ! والمدعش أنه تعرض لابن الرومى عرضاً فى موضعين اثنين من موسوعته الخافئة ليثلبه وينقده ، فكشف بذلك عن دخيلة نفسه وحقائق ميوله ، هذا التحامل السابى لم يغير شيئاً من حقيقة الشاعر ، بل عاد باللائمة الجارحة على الأصفهاني ودفع القراء إلى مزيد من القيل والقال .

نستطيع أن نقول فى ضوء هذين الشاهدين أن على المؤرخ المعاصر أن يكتب عن حوادث عصره ما شاء ، وعلى الناقد أن يتبع المؤرخ وان يعجزه أن يفضح ما استتر من ملق مغرض أو تحامل بغيض ؟

### محمد رجب البيومى

الطرب والنشوة على كثرته يؤكد أن الشاعر قد أسهم فى ميدان الغناء بشعر كثير . ولكن تغافل أبى الفرج عنه قد كان مدعاة لتساؤل كبير من الناقدين ، حتى اهتمدوا إلى السر الأصيل ، ذلك أن أبى الفرج تليذ الأخفش تربى على يده ، وتشرب ميوله وأهواءه وبين الأخفش وابن الرومى من الأهاجى المقدعة ما اشتهر بين الأدباء ، وبجمله ديوان الشاعر فى صفحات كثيرة ، فلا عجب أن ينشأ أبو الفرج مفطوراً على كراهية الشاعر انتقاماً لاستاذه وغيره عليه ، ومن يدرى لعل أبى الفرج من ناحية ثانية قد رأى أن يمالئ الوسط الاجتماعى بإغفال ابن الرومى كما يقول الأستاذ كامل كيلانى ، إذ أنه هجا كثيراً من آباء أعيان العصر وأجدادهم

( بقية المنشور على صفحة ٣٠٧ )

فإننا نجد فى كلتا الحالتين فى تفسير الآية أنه لا تعارض مع ائواقع والقرآن ، ولاداعى للتأويل البعيد . وسيظل كتاب الله لسان صدق لا يأنى الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسبب فى ذلك أنه تنزيل من حكيم حميد .

### الحسين عبد المجيد هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق

بسيامهم ويؤخذون بانواصى والأقدام . ويقال لهم هذه جهنم التى يكذب بها الجرمون ، إلى آخر أنواع العذاب المعدة للجرمين ثم بينت الآيات نوع النعيم المقيم لمن خاف مقام ربه ، فله الجنان وما فيها من كل فاكهة زوجان ، وقاصرات الطرف ، والياقوت والمرجان ، والخور ، والانساء على رفرف خضر وعبرى حسان .

## بَيْنَ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْقَوَانِينِ الْوَضْعِيَّةِ لِلْأَمَّاذِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدٍ أَبُو شَيْبَةَ

في المقال السابق وعدت القراء بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وما أنذا أفى بما وعدت، وسأقدم بين يدي البحث التعريف بالشريعة الإسلامية، والمراد بالقوانين الوضعية فأقول ومن الله أستمد العون والتوفيق : « معنى الشريعة » . قال الإمام القرطبي في تفسيره (١) . « والشرعة والشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة ، والشريعة في اللغة : الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء . والشريعة : ما شرعه الله لعباده من الدين ، وقد شرع لهم يشرع شرعا أى سن والشارع الطريق الأعظم » .

وقال الإمام الفيومي في « المصباح المنير » : مادة « شرع » . « الشرعة بالكسر الدين ، والشرع ، والشريعة مثله مأخوذ من الشريعة وهى مورد الناس للاستقاء ؛ سميت بذلك لوضوحها وظهورها وجمعها شرائع ، وشرع الله لنا كذا يشرعه : أظهره وأوضحه ، والمشرعة بفتح الميم والراء شريعة الماء .

قال الأزهري : ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عذبا لا انقطاع له كماء الأنهار ، ويكون ظاهرا معينا لا يستقى منه برشاء ، فإن كان من ماء الأمطار فهو السكرع بفتحيتين ،

وقال الإمام الألويسي في تفسيره (٢) : (والشرعة بكسر الشين: الشريعة وهى فى الأصل الطريق الظاهر الذى يوصل منه إلى الماء والمراد بها الدين، واستعمالها فيه لكونه سبيلا موصلا إلى ما هو سبب للحياة الأبدية ، كما أن الماء سبب للحياة الفانية أو لأنه طريق إلى العمل الذى يطهر العامل من الأوساخ المعنوية كما أن الشريعة طريق إلى الماء الذى يطهر

(١) يعنى فى قوله تعالى « لكل جعلنا منكم شرعه

ونما جاء » .

(١) ج ٦ ص ٢١١ .

(٢) ج ٦ ص ١٥٣ .

الشريعة الإسلامية التي هي خاتمة الشرائع والأديان .

ولفظ الشريعة وإن كان يجوز إطلاقه على جميع الشرائع السماوية إلا أنه عند الإطلاق ينصرف إلى الشريعة الإسلامية .

والشرائع السماوية كلها تتفق في العقائد والأصول كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والضروريات الخمس وهي حفظ الدين والنفس ، والعقل ، والنسب ، والمال . وعلى هذا يتنزل قوله سبحانه : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » (١) . وقوله . « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وتختلف في الفروع على حسب الأزمان والأحوال ، وعلى هذا يتنزل قوله سبحانه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٣) .

والإسلامية نسبة إلى « الإسلام » وهو في اللغة بمعنى الانقياد والاستسلام والإذعان والخضوع ، والمراد به في لسان الشرع : الدين العام الخالد الذي جاء به نبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وهو الدين الذي ارتضاه

والناس في هذا الأمر شرع بفتحيتين وتسكين الراء أى سواء . .

ومما عرضناه يتبين لنا أن الشريعة في العرف اللغوي إما الماء الذي يرد الناس والدواب فيشربون منه وينهلون ، وإما الطريق الواضح الموصل إلى هذا الماء ، وإما بمعنى التوضيح والبيان .

وأما معناها في الاصطلاح الشرعي فتطلق على ما شرعه الله لعباده من الأحكام ، وهي بهذا المعنى الاصطلاحي لا تطلق إلا على التشريعات السماوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى .

والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة بينة ؛ إذ الشرائع السماوية مورد عذب ولسكل الناس منها شرب ، وهي الطريق المستقيم ، الموصل إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ، وهي ظاهرة واضحة لا غموض فيها ولا التواء .

وفي المعنى الدقيق الذي أشار إليه الإمام اللغوي الأزهرى ما يلقى ضوءا على خصائص التشريعات السماوية من كونها مستساغة مقبولة وظاهرة واضحة ، ولا حرج فيها ولا مشقة ، بل هي سهلة ميسرة للطلابين ، وحظ الشرائع السماوية من هذه المعاني يختلف قلة وكثرة ، وظهورا وخفاء ، وأحظ الشرائع السماوية وأوفاهها وأصلها في هذه الخصائص

(١) الأنعام ٩٠ .

(٢) الشورى ١٣ .

(٣) المائدة ٤٨ .

ما يعرف بالأحوال الشخصية ، ومنه ما كان متعلقا بالأموال والتصرف فيها من بيع و إجارة ، ورهن ، وسلم ، ودين ، وشركة ونحوها وهو ما يسمى بالمعاملات ، ومنه ما كان متعلقا بالجرائم وما يترتب عليها من عقوبات وآثار ، وهو ما يسمى بالحدود والتعازير أو العقوبات وما كان منه متعلقا بالقضاء ونظمه والدعوى وأنواعها ، وأدلة الإثبات وما إلى ذلك يسمى بالمرافعات ، وما كان منه متعلقا بالحروب وآدابها والمعاهدات والصلح والأمان وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها هو ما يعرف بالسير وهذا الجانب الفقهي العملي من الشريعة هو ما استدور حوله المقارنات ولم يقسم الفقهاء القدامى الفقه هذه التقسيات بالفعل وإنما هذا من عمل الفقهاء المحدثين نهجوا فيه منهج علماء القوانين إذ قسموها إلى ما يشبه هذه القسمة تيسيرا لدراستها والكتابة فيها <sup>(١)</sup> والذي يعنينا في المقارنة ما عدا العبادات ؛ إذ القوانين لم تعرض لجانب العبادات أما « القوانين الوضعية » فالقانون هو القاعدة الكلية التي يتعرف منها أحكام جزئياتها والمراد بها النظم التي وضعها واضعون لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض وبيان آثار التصرفات سواء منها

الله سبحانه للبشرية جمعاء وللناس جميعا ، وهذا هو الذي صدع به الوحي في قوله سبحانه : « إن الدين عند الله الإسلام » <sup>(٢)</sup> ، وقوله : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » <sup>(٣)</sup> . وإذن فالشريعة الإسلام ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من التكليف والأحكام على لسان خاتم أنبيائه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه الشريعة منها ما يتعلق بالعقائد كالإيمان بالله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحوها ، والعلم الذي يبحث فيها هو علم « التوحيد » أو « الكلام » ، ومنها ما يتعلق بتهديب النفوس وتربيتها على الفضائل والآداب والعلم الذي يبحث فيها هو علم « الأخلاق » ، ومنها ما يتعلق بأفعال المكلفين وتصرفاتهم والعلم الذي يبحث فيها من الأحكام العملية واستخراجها من أدلتها التفصيلية وينقسم علم الفقه إلى عدة أقسام ؛ فنه ما يقصد به التقرب إلى الله سبحانه وتزكية النفوس وتطهيرها كإصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وهو ما يعرف بالعبادات ومنه ما يتعلق بالأسرة وتكوينها ونظامها من زواج ، وطلاق ، ونفقات ، وعدة ، ونسب وحضانة وما إليها وهو

(١) أحكام المعاملات الشرعية للأستاذ علي الحنيف ص ٤ .

(٢،١) آل عمران ١٩ ، ٨٥ .

الاعتقادية والتشريعات والآداب التي لا تختلف باختلاف الزمان ، كالتوحيد والأمر بالعدل والصدق والنهي عن الظلم والكذب وحل البيع وحرمة الربا وأحكام النكاح والطلاق ، وحرمة الخمر والميسر ، والزنا ، والسرقه ، وقطع الطريق ، وحرمة التعدي على الدماء والأعراض كالقتل والقذف إلى غير ذلك من الأحكام التي نص عليها في الكتاب .

كما جاءت بعض أحكامه غير مصرح بها إما لمجيئها في ضمن غيرها وإما لفهمها بطريق الفحوى والإشارة ، وذلك مثل استنباط وجوب النفقة للولد على أبيه من قوله تعالى : « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » (١) فإن إيجاب رزق الوالدات وكسوتهن على الوالد لأجل الولد يدل على وجوب رزق الولد نفسه وكسوته على أبيه بطريق الأولوية ومثل أخذ حرمة سب الوالدين أو ضربهما من قوله تعالى : « فلا تقل لها أف ولا تنهرهما » (٢) ، بطريق الأولى بل أخذ الأئمة بعض الأحكام من القصص القرآني وذلك مثل قصة الزرع الذي أفسدته الغنم لصاحبه وهي المذكورة في قوله تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرت إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين .

ما يتعلق بالمعاملات ، المدنية ، أو العقوبات أو بنظام الأسرة أو علاقات الأمم بعضها ببعض في السلم والحرب وسميت بالوضعية تمييزاً لها عن التشريعات السماوية ، والقوانين الوضعية متعددة بتعدد واضعها ، وقد تتفق ، وقد تفتقر ، ومنها ما هو مكتوب مدون ، ومنها ما ليس بمدون . وبعض السكاكين قد يطلق عليها تشريعات . والأولى والأجمل ألا يطلق ذلك وأن يقصر لفظ الشريعة أو التشريعات على الشرائع السماوية وإذ قد انتهينا إلى هذا فلنأخذ في المقارنات .

(١) من ناحية الأصل والمصدر . وهو أهم وجوه المقارنة وأصلها .

### مصادر الشريعة الإسلامية :

ترجع الشريعة الإسلامية إلى مصدرين أصليين وأساسين شريطين :

(١) القرآن الكريم : وهو الكتاب الإلهي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هداية الخلق ، المعجز بلفظه ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الداس ، أنزله الله على نبيه محمد في بضع وعشرين سنة ؛ كفاء لحاجات الخلق ، ومصالح البشر في أمور دينهم ودنياهم . وقد نص في القرآن على كثير من الأحكام والتكاليف الشرعية ولا سيما في الأمور

(١) البقرة ٢٣٣ .

(٢) الإسراء ٢٣ .



## (ب) السنة :

وهي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وإذا كان القرآن هو الأصل الأول للتشريع فالسنة هي الأصل الثاني وهي مبينة للقرآن ومفسرة له ، تبين مجمله وتفسر مبهمه ، وتزيل إشكاله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه إلى غير ذلك قال عز شأنه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بهما معا وقد ثبت أنه قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقال : « خذوا عني مناسككم فعلي لا ألقاكم بعد عاي هذا » رواه مسلم . والسنة كما تأتي للبيان تأتي مستقلة بالتشريع في بعض الأحيان وذلك كما في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ، وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخالب من الطير وتحريم لحوم الحمر الأهلية . والسنة منها ما هو بالوحي وهو كثير سواء أكان ذلك بالوحي الخفي أو الجلي كما في قصة الرجل الذي أحرم بعمره وهو متضخم بطيب رواها البخاري ، ومنها ما هو بالاجتهاد وهو ما عليه المحققون وإقرار الله لنبيه في حكم اجتهاد فيه تصديق له وتأييد ؛ إذ محال أن يسكت الوحي عن النبي في أمر اجتهاد فيه ولم يوافق

فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما (٢) ، فقد حكم فيها داود بالغنم لصاحب الزرع وأما سليمان فقد حكم لصاحب الزرع بالغنم يمتنع بها وأمر صاحب الغنم بزرع الأرض حتى يعود الحرث كما كان فإذا عاد ترادا فكان أرفق ، ومع أن هذه القصة في شريعة غير شريعتنا فقد استفاد منها بعض الفقهاء في شريعتنا واستأنسوا بها فيما ذهبوا إليه ، وهو يدل على مبلغ ما وصل إليه الفقهاء المسلمون من مرونة وسعة أفق في فقههم واجتهادهم .

كما اشتمل القرآن على بعض القواعد العامة التي يعول عليها الفقيه في الاجتهاد في الأمور التي لم يرد فيها نص كقاعدة « اليسر ورفع الحرج » ، وقاعدة « لا تسكيف إلا بما يطاق » ، وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وقد شاء الله سبحانه أن يجيء القرآن الكريم على هذا الوضع الدقيق الفائق ليكون ذلك سبيلا إلى استنباط ما يسير العصور والأحوال وبني بأحكام ما يجد للناس من وقائع وأحداث تتجدد بتجدد الأزمان وبذلك تتحقق مصالح الناس ويقوم البرهان على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان .

(١) الأنبياء ٧٨ ، ٧٩ ومعنى نفثت أي رمته

رواه أبو داود، ولما قال رجل لمطرف بن عبد الله لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال : « والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكننا نريد من هو أعلم بالقرآن منا » وقال الإمام الأوزاعي : الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب .

وقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه باب النظر والاجتهاد ، فيما لم يرد فيه قرآن أو سنة ، فقد روى أنه لما ولي معاذ بن جبل قضاء اليمن قال له . بم تقضى ؟ قال . بكتاب الله قال . فإن لم تجد قال . أقضى بسنة رسول الله قال : فإن لم تجد قال : فإنني أجتهد رأيي ولا آلو - أى أقصر - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يرضى الله ورسوله .

وقد اجتهد بعض الصحابة فى عهد الرسول إلا أن اجتهدهم لا يكون حجة إلا إذا أقرهم عليه وبهذا التقرير اكتسبت أحكامهم الصبغة التشريعية .

### بعد عصر الرسول :

وعلى هذا الدرب سار الخلفاء الراشدون فقد كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عرضت عليه قضية نظر فى كتاب الله ، فإن لم يجد نظر فيما يحفظ من سنة رسول الله ، فإن لم يجد سأل الناس هل فيكم من يحفظ فى هذا

فيه الصواب والحق فن ثم كان ما اجتهد فيه النبي وأقر عليه بمنزلة الموحى إليه فى الصدق وإصابة الصواب .

### « أهمية السنة » :

وقد أجمع المسلمون على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثبتت فهى حجة فى الدين ودليل من أدلة الأحكام بل حجيتها ضرورة دينية كما قال الشوكانى ، وقد دل على ذلك القرآن نفسه قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) ، وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٢) وقال : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلبوا تسليما » (٣) ، وغير ذلك كثير . وفى السنة الثابتة عن المقدم بن معد يكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا وأنى أوتيت الكتاب ومثله معه - يعنى السنة - ألا يوشك رجل شبعان متسكى على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم من حرام فحرّموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهل ، ولا كل ذى ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ... »

(١) الحشر ٧ .

(٢) النساء ٨٠ .

(٣) النساء ٦٥ .

وفي الحقيقة الآخرا ن يرجعان إلى الأولين ؛ لأن الإجماع لا بد له من دليل وإن لم نطلع عليه ، وهو إما قرآن أو سنة ، والقياس لا بد فيه من مقيس عليه وهو إما قرآن أو سنة فعند التحقيق يكون مرجع الشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة وقد جاء وافين بجميع ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم على نحو ما أسلفنا .

أما مصدر القوانين الوضعية فسواء أكانت وضعت مستقلة أو أخذت من غيرها كعظم القوانين الأوربية التي أخذت من القانون الروماني فرجعها إلى عقول البشر وتفكيرهم وهذا أمر من المسلمات إذ لم يزعم أحد أن هذه القوانين ترجع إلى أصل سواي . ويترب على هذا الفرق الأصيل في المصدر بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية النتائج الآتية : (١) القداسة (٢) المواءمة للفطر والطبائع (٣) الموافقة للصواب والحق وعدم احتمال الخطأ والغلط واتباع الأهواء وقد طال الحديث اليوم فلنرجى الحديث عنها إلى المقالات الآتية إن شاء الله تعالى ؟

• للحديث بقية ،

**محمد محمد أبو شهبة**

الاستاذ بكلية أصول الدين

الامر سنة ؟ فإن لم يجسد جمع رموس الناس وخيارهم واستشارهم فيجتهدون ، وكذلك كان عمر رضى الله تعالى عنه إذا لم يجد في المسألة كتابا ولا سنة ولا قضاء لأبى بكر جمع وجوه المسلمين واستشارهم ، وقد يجمعون على الأمر وقد يختلفون ، فإذا أجمعوا كان الحكم الجمع عليه قاطعا في النزاع المعروض عليهم ؛ لأنهم لا يجمعون على ضلالة ، وهذا هو أساس الإجماع الذي عد مصدرا ثالثا من مصادر التشريع في الإسلام وإذا اختلفوا فلاختلاف الأدلة ، وتفاوت وجوه النظر والاستدلال ، وكل مجتهد منهم يظن ظنا راجحا أن ما وصل إليه هو حكم الله فيه ، وحين اختلفهم لا يكون رأيهم ملزما للخليفة فله أن يختار ما تطمئن إليه نفسه ويراه أصالح ، كما أنه لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر ، وفي باب النظر والاجتهاد كانوا يقيسون الأمور بأشباهها ، ويلحقون الفرع بالأصل ، وقد يتجهون إلى تطبيق قواعد الشريعة العامة التي عرفوها من الرسول واستخلصوها من النصوص ، واستوحوها من روح الشرع ، فكان ذلك طريقا من طرق التعرف إلى الحكم ، وهكذا صارت مصادر الشريعة وأداتها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والنظر والقياس .

# مفردات قرآنيّة : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

وقال مقاتل : نزلت في عثمان بن مظعون ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أذنت لي فطلقت خولة ( زوجته ) وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ، ولا أنام بليل أبدا ، ولا أفطر بنهار أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من سقى النكاح ولا رهبانية في الإسلام ، إنما رهبانية أمي الجهاد في سبيل الله ، وخصاء أمي الصوم ، ولا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ، ومن سقى : أنام وأقوم ، وأفطر وأصوم ، فمن رغب عن سقّي فليس مني » .

فقال عثمان : والله لوددت يا نبي الله ، أي التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها . فنزلت الآيات (١) .

والتجارة هنا هي التجارة بين أهل الإيمان وحضرة الله تبارك وتعالى ، وهي التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، والقيام بالأركان فن آمن وأقر وعمل صالحا فله الأجر والرجح الوافر واليسار المبين ، ومن أعرض عن العمل الصالح فله الحسرة والخسران .

تحدثنا فيما مضى عن تجارة الإنسان مع الإنسان ، والآن ننتقل إلى تجارة الإنسان مع الرحمن تبارك وتعالى ، وفي هذا النوع من التجارة يقول القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » (١) .

وقد روى في سبب نزول هذه الآية أن أصحابه رضي الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه ، فأُنزل الله تعالى سورة الصف ، وفيها الآيات السابقة (٢) .

[١] سورة الصف الآيات ١٠ - ٣ .

[٢] تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٣٦١ .

[١] تفسير القرطبي ج ١٨ - ص ٨٧ .

وكأنما ينتهى هنا حساب التجارة الربحية ،  
ولأنه لربح ضخم هائل أن يعطى المؤمن الدنيا  
ويأخذ الآخرة ، فالذى يتجر بالدرهم فيكسب  
عشرة يعطيه كل من فى السوق ، فكيف بمن  
يتجر فى أيام قليلة ، معدودة فى هذه الأرض ،  
ومتاع محدود فى هذه الحياة الدنيا ، فيكسب  
به خلوداً لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله ، ومتاعاً  
غير مقطوع ولا ممنوع ؟ .

لقد تمت المبايعة على هذه الصفقة بين رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة  
رضى الله عنه ، ليلة العقبة .

قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :  
أشترط لنفسك ولربك ما شئت . فقال صلى  
الله عليه وسلم : ( أشترط لربى أن تعبدوه  
ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن  
تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم .  
قال : فمالنا إذا فعلنا ذلك ؟ . قال : الجنة .  
قالوا . ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل <sup>(١)</sup> ) .

وهذه المحاورة السابقة بين الرسول وابن  
رواحه كانت سبباً فى نزول قوله تعالى : « إن  
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم  
بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون  
ويقتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل  
والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ،  
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو

ومن التجارة هنا الجهاد فى سبيل الله وهو  
ثلاثة ألوان : جهاد فيما بين العبد ونفسه ،  
وهو قهر النفس ، ومنعها من اللذات  
والشهوات ، وجهاد فيما بينه وبين الخلق ،  
وهو أن يدع الطمع فيهم ، ويشفق عليهم  
ويرحمهم ، وجهاد فيما بينه وبين الدنيا ،  
وهو أن يتخذ زاداً لمعادته وللقاء ربه <sup>(٢)</sup> .

وثواب هذه التجارة هو غفران الزلات  
ودخول الجنات ، والمساكن الطيبة فى جنات  
عدن ، أى جنات الإقامة التى لا ظعن فيها ،  
والدرجات العالية ، ويزيدهم الله على ذلك  
زيادة يحبونها وهى النصر منه إذا قاتلوا  
فى سبيله ، ونصروا دينه ، لأنه يتكفل  
حينئذ بنصرهم : « إن تنصروا الله ينصركم  
ويثبت أقدامكم » ، وهناك فوق هذا فتح  
قريب عاجل ، خفير الدنيا موصول لهم بنعيم  
الآخرة الذى ينتظرهم ، ولذلك قال : « وبشر  
المؤمنين <sup>(٣)</sup> » . يقول صاحب ( فى ظلال  
القرآن ) :

« إنما لأربح تجارة أن يجاهد المؤمن  
فى حياته القصيرة — حتى حين يفقد هذه  
الحياة كلها — ثم يعوض عنها تلك الجنات .  
وهذه المساكن فى نعيم مقيم ، وحقاً ذلك  
الفوز العظيم .

[ ١ ] انظر تفسير الرازى ج ٨ ص ١٤٧ .

[ ٢ ] انظر تفسير ابن كثير ، ج ٤ ص ٣٦١ .

[ ١ ] فى ظلال القرآن ، ج ٢٨ ص ٨٧

من حصوله ، ويرجون بفعلهم ذلك تجارة ان تسكس ، وان تهلك ، وسيوفهم الله ثواب ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تتخطر لهم ، وهو فوق هذا غفور لذنوبهم ، شكور للقليل من أعمالهم ، فكيف بالكثير (١) .

وفي تلاوة الكتاب المذكور في الآية السابقة إشارة إلى ذكر الله عز وجل ، وفي وفي إتمام الصلاة إشارة إلى العبادة البدنية ، وفي الإنفاق إشارة إلى العبادة المالية ، ومعنى ذلك أنهم يجمعون بين العبادات كلها : القولية والبدنية والمالية ، وهم يعملون لوجه الله تعالى ، وما كان لله دام واتصل ، وما كان لغيره زال وانفصل ، والتجارة مع غير الله بأثرة مهما كانت ، ولكن تجارة هؤلاء مع ربهم لا تبور .

\* \* \*

ونلاحظ أن الآيات التي تعرضت لذكر تجارة الإنسان مع الرحمن قد ذكرت صفات المتاجرين مع ربهم ، وإذا نظرنا إلى هذه الصفات نجد أنها في بعض الآيات صفات كلية عامة ، كما في آية : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » . وهذه الصفات هي الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله الواسعة المتعددة الجوانب بالأنفس والأموال .

الفوز العظيم : الثابتون العابدون الحامدون السامحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (١) .

قال ابن كثير : « يخبر تعالى أنه عاوض من عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم - إذا بذلوا في سبيله - الجنة ، وهذا من فضله وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له » (٢) .

وقال الحسن البصري : « بايعهم والله فأغلى ثمنهم » !

وهناك آية ثالثة تشير إلى تجارة الإنسان مع ربه ، وهي قوله تعالى : « إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة إن تبور - ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور » (٣) .

والله تبارك وتعالى يخبر في هذه الآية بأن عبادة المؤمنين الذين يتلون كتابه القرآن ، ويؤمنون به ، ويعملون بما فيه من إتمام الصلاة والإنفاق مما رزقهم الله تعالى في الأوقات المختلفة : ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، يرجون ثواباً عند الله لا بد

(١) سورة التوبة آية ١١١ و ١١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٣٩١ .

(٣) سورة فاطر ، آية ٢٩ ، ٣٠ .

(١) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٥٥٤ .

وتفسير الطبري ح ٢٨ ص ١٣٢ ، طبعة الحلبي .

وانداء هذا الكتاب فأقام الصلاة وأنفق  
بما رزقه الله سرّاً وعلانية .

ومن هنا نفهم أن أساس التجارة مع الله  
أمران : الإيمان والجهاد . والإيمان هو  
الاعتقاد الصحيح الصادق المطابق للواقع ،  
الذى لا يتزلزل ولا يتقبل ، والجهاد واسع  
المدلول فسيح المفهوم ، فليس مقصوراً على  
الجهاد فى الميدان ، بل إن المؤمن يجاهد فى  
سبيل ربه بفكرته وكتبته ونصيحته ، ونفسه  
وماله ، وكل مجهود يقدمه فى أى مجال من  
مجالات سبيل الله ، وهى سبيل الحق والعدل  
والخير والإصلاح .

ونستطيع أن نعتبر « المبايعة الدينية »  
لونا من ألوان التجارة مع الله ؛ لأن المبايعة  
فيها معنى المتاجرة والمعاقدة ، وفى الحديث  
« ألا تباعوننى على الإسلام » ؟ والمبايعة فى  
الحديث — كما يقول ابن الأثير — عبارة  
عن المعاقدة عليه والمعاهدة ، كأن كل واحد  
منهما باع ما عنده من صاحبه ، وأعطاه  
خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره<sup>(١)</sup> .

وقد جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى :  
« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله »<sup>(٢)</sup>  
وقوله : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ  
يبايعونك تحت الشجرة »<sup>(٣)</sup> وقوله : « يا أيها

وفى بعض الآيات نجد هذه الصفات فيها  
صبغة التّجديد والتّجزيّة كآية التّوبة : « إن الله  
اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن  
لهم الجنة . » إلخ فقد ذكرت الآيات صفات  
التّوبة والحمد ، والسيّاحة ( الرحلة أو الصوم )  
والركوع ، والسجود ، والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله .  
وكآية فاطر : « إن الذين يتلون كتاب الله  
وأقاموا الصلاة ، إلخ فقد ذكرت التلاوة ،  
وإقام الصلاة والإنفاق سرّاً وعلانية .

ولو دققنا النظر لوجدنا أن هذه الصفات  
الجزئية المحدودة تعود فى الحقيقة والواقع إلى  
الأمرين السكّليّين الأساسيّين وهما : الإيمان  
بالله والجهاد فى سبيله ، أو بتعبير آخر :  
الاعتقاد والعمل ، والإيمان هو حافز  
الجهاد . فهو أساس الأساس ، ولذلك بدأت  
آية سورة الصف بقوله : « يا أيها الذين آمنوا »  
وقالت بعد ذلك : « تؤمنون بالله » وجاء  
فى نهاية الآيات : « وبشر المؤمنين » .

وفى آية التّوبة جاء فى صدرها : « إن الله  
اشتري من المؤمنين » فذكرت صفة الإيمان  
وفى النهاية جاء قوله تعالى « وبشر المؤمنين » .  
وحتى آية سورة فاطر فيها معنى الابتداء  
بالإيمان ، لأن الذى يتلو كتاب الله تلاوة  
المتّفع به إنما هو المؤمن الذى آمن بالله  
وكتابه ، ولذلك استجاب لمقتضى هذا الإيمان

(١) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الفتح آية ١٠ .

(٣) سورة الفتح آية ١٨ .

من طاعة الله وطاعة رسوله ، ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا بما تحبون حتى يأتي الله بأمره ، أى بعقوبة عاجلة أو آجلة .  
والمقصود منه الوعيد ، ثم قال الله تعالى :  
« والله لا يهدي القوم الفاسقين ، أى الخارجين عن طاعته إلى معصيته ، وهذا أيضاً تهديد (١) » .

وفي تفسير المنار أن ( حب التجارة التي يخشى كسادها يراد به والله أعلم — عروض التجارة التي يخشى كسادها في حالة الحرب ، وقد كان بعض المسلمين من أهل مكة تجاراً كما ورد ، وكان لدى بعضهم شئ من عروض التجارة يخشى كسادها في أوقات الحرب ، لأن أكثر مستهلكيها كانوا من المشركين ، وكانت أسواقها تنصب في أيام موسم الحج ، وقد منع منه المشركون بمقتضى الآيات السابقة واللاحقة من هذه السورة ) يعنى سورة التوبة (٢) .

وروى أن الآية نزلت بعد الأمر بالهجرة ، إذ قال العباس : أنا أسقى الحاج ، وقال طلحة ابن عبد الدار : أنا صاحب السكبة فلانهاجر فأنزل الله الآية (٣) .

\* \* \*

النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتاناً يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبأيعن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ، (١) .

والقرآن الكريم يحذرنا من تفضيل تجارة الدنيا على التجارة مع الله تعالى ، فيقول : « قل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترمتموها ( أصبتموها ) وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره (٢) » والله لا يهدي القوم الفاسقين ، (٣) .  
جاء في تفسير الرازى أن جماعة قالت : كيف يمكن البراءة منهم بالكلية ، وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا وخراب ديارنا ، وإبقاءنا ضائعين ، فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليبقى الدين سليماً ، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى

(١) سورة للمتحنة ، آية ١٢ .

(٢) روى أن المراد بالأمر هنا فتح مكة .  
انظر تفسير ابن جرير ج ١ ص ٩٩ طبعة الحلبي .  
وروى غير ذلك .

(٣) سورة التوبة ، آية ٢٤ .

(١) تفسير الرازى ، ج ٤ ص ٤١٢ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣) تفسير الطبري ، ج ١٠ ص ٩٨ .



الله اتقى فطر الناس عليها ، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة .

وقد تعود التسأل فتقول : فما معنى قوله : « فما ربحتم تجارتهم وما كانوا مهتدين ، ؟ » ويعود الزخشرى إلى الإجابة : « معناه أن الذى يطلبه التجار فى متصرفاتهم شيئان : سلامة رأس المال والربح ، وهؤلاء قد أضاعوا الطلبين معا ؛ لأن رأس مالهم كان هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة ، وحين لم يبق فى أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح ، ولم يظفروا بما ظفروا به من الأغراض الديوية ؛ لأن الضال خاسر دامر ، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس مال قد ربح ، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر ، (١) .

وقد جاءت إشارات إلى التجارة مع الشيطان فى الآيات التالية : يقول الله تعالى : « ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، » ويقول : « أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، » ويقول : « ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، » إلى غير ذلك من الآيات .

ومن الآيات التى تعرض لنا صورة من من صور التجارة مع الشيطان قوله تعالى

أما الذرع الثالث والأخير من أنواع التجارة التى تحدث عنها القرآن ، فهى تجارة الإنسان مع الشيطان ، وبئست التجارة ؛ لأنها تجارة النفاق والضلال والإضلال ، ومحاربة الحق والعدل باللهو والباطل .

وفى هذه التجارة يقول القرآن عن المنافقين : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحتم تجارتهم وما كانوا مهتدين ، » وذلك بعد قوله عنهم : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم ، » .

والمعنى أنهم أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ، كما قال ابن مسعود ، أو أخذوا الكفر وتركوا الإيمان كما قال ابن عباس ، أو آمنوا ثم كفروا كما قال مجاهد ، ويقول قتادة : « قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة . ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، (١) .

وقد تسأل فتقول : كيف اشتروا الضلالة بالهدى ، وما كانوا على هدى ؟ . ويجيبك الزخشرى على سؤالك هذا بقوله : « جعلوا لتمكنهم من الإيمان كأنه فى أيديهم ، فإذا تركوه إلى الضلالة ، فقد عطلوه واستبدلوها به ، ولأن الدين القيم هو فطرة

(١) تفسير الكشاف ، ج ١ ص ٣٦ و ٣٧ .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٥٢ .

في سورة لقمان : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ، وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم » .

الذى هو بالثمن ، لأن ذلك هو أظهر معنييه » (١) .

والمعنى الثاني هو أن المراد بالمشتري هنا من يختار لهو الحديث ويستحبه ، قال قتادة : « والله لعله لا ينفق فيه مالا ، ولكن اشتراه استحبابه ؛ بحسب امرئ من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع » .

نسأل الله أن يجعلنا صادقين في التجارة مع الرحمن ، موفقين في التجارة من أجل الحياة ، بعيدين عن التجارة مع الشيطان ، وسبحان من لو شاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل ؟

أحمد الترمذي

تم البحث

قيل إن المراد بالشراء هنا الشراء المعروف بالثمن ، وتكون الآية قد نزلت فيمن اشترى بالفعل شيئا من لهو الحديث وباطله ليصرف به الناس عن كتاب الله وذكره ، وقد اختار الإمام الطبري هذا قال : وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل من قال : معناه الشراء

## من أمثال أكرم بن صيفي ، وبزرجمهر الفارسي

الغريب من لم يكن له حبيب . القريب من قرب نفعه . الأخ مرآة أخيه . إذا عز أخوك فهن . كما تدين تدان . من مأمته يؤتى الحذر . خير الغنى غنى النفس . لكل مقام مقال . عند الصباح يحمد القوم السرى . الصدق منجاة والكذب مهواة . خير العلم ما نفع . الصحة داعية السقم . الشباب داعية الهرم . الدال على الخير كفاعله . أنفق منك وإن كان أجدع .

# أبو هلال العسكري<sup>[١]</sup>

للأستاذ على محمد حسن العماري

وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء  
الأدب والتدريس بقطر خوزستان، ورحل  
الأجلاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه ،  
وهذا ما نقله ياقوت من كتاب أبي طاهر  
السلفي الذي أرشد إليه حين لقي الحافظ  
تقي الدين الذي تقدم ذكره - ولكن يظهر  
أن طول العهد بين القرن الرابع الذي عاش  
فيه العسكريان ، وبين القرن السابع الذي  
تحدث فيه ياقوت هذا الحديث ، مع بعد  
الديار ، عني على ذكر العسكريين .

وقد كان أبو أحمد أبي النفس ، لا يجب  
الاتصال بالولاية والوزراء ، ولذلك ثقل  
حين طلب إليه الصاحب بن عباد أن يلقاه ،  
وكان هذا الأخير شديد الرغبة في لقاء  
أبي أحمد حتى احتال على مؤيد الدولة بن بويه  
وأوهمه أن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها  
وفي حاجة إلى أن يكشفها الصاحب بنفسه ،  
فأذن له في ذلك ، فلما قرب من عسكر مكرم  
كتب إلى أبي أحمد كتابا يتضمن علو نظما  
ونثرا ، وما جاء في هذا الكتاب :

ولما أبيت أن تزوروا وقلتم  
ضعفنا فما نقوى على الوخدان  
أتيناكم من بعد أرض زوركم  
وكم منزل بكر لنا وعوان

هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري  
نسبة إلى عسكر مكرم ، وهي بلدة بالأهواز  
نسبت إلى مكرم الباهلي ، وهو الذي اختطها .  
وهو تلميذ أبي أحمد العسكري ، ويقال  
إن أبا أحمد غال أبي هلال ، وقد اتفقا في  
الاسم واسم الأب ، لكن إذا قيل الحسن  
ابن عبد الله العسكري الأديب فهو أبو هلال .  
ويسدو أن شهرة هذين العالمين لم تظهر  
في الآفاق إلا بعد القرن السادس ، لأن ياقوت  
الحوي صاحب معجم الأدباء يقول ، وطال  
تطوافي ، وكثر تسالي عن العسكريين  
أبي أحمد وأبي هلال فلم ألق من يخبرني عنهما  
بجملية خبر ، حتى وردت دمشق في سنة  
اثنى عشرة وستمائة في جمادى الآخرة  
ففاوضت الحافظ تقي الدين .. إلخ

مع أن أبا أحمد كان عالما جليلا وكان من  
الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون  
والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين  
بجودة التأليف ، وحسن التصنيف ، ومن  
كتبه كتاب ( صناعة الشعر ) يقول ياقوت  
إنه رآه ، ثم يقول ياقوت إنه بقي حتى علا به :  
السن واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان ،  
( ١ ) من كتابنا ( تاريخ البلاغة العربية )

الذي يصدر قريبا

ولكل شاعر جيد وردى ، ولكنه سلك  
خطة واحدة هي النص على السخيف من شعر  
المتنبى مع التعامى عن معانيه الجيدة ، وخياله  
الوثاب فانضم بذلك إلى النقاد المغرضين الذين  
كلفوا بالبحث عن عيوب المتنبى ابتغاء  
مرضاة الوزير ابن عباد ، وما أخط الأدب  
إذا سخر لأهل الملك والسلطان .

هذا ما يقوله الدكتور زكى مبارك فى  
ص ٩٩ ح ٢ من النثر الفنى ، مع أنه قال فى  
ص ٩٦ من هذا الجزء أى قبل ذلك بصفتين  
ما نصه : كان أبو هلال أبى النفس ، قوى  
القلب ، يرفع عن الدنيا ، وينأى بنفسه  
عما يرتطم فيه أذعياء الأدب من كسب العيش  
عن طريق التزلف إلى الأمراء والرؤساء ،  
وقد رأينا أن أستاذه وخاله أبا أحمد العسكري  
كان قدوة له فى ذلك ، إذ كان صاحب  
يستدعيه إلى حضرته فيعتذر بالضعف  
والشيخوخة فرارا من أن يحشر فى زمرة  
الأتباع وطلاب المغانم وأرباب الغايات .

والذى يسدو للتأمل أن أبا هلال كان  
يعيب المتنبى لعقيدة فى نفسه لا للجاملة  
الصاحب ، وذلك أن رأيه فى الشعر الجيد  
يدلنا على رأيه فى شعر المتنبى ، فهو يرى  
أن : أجود الكلام ما يكون جزلا سهلا ،  
لا ينفخ معنى ، ولا يستبهم مغزاه ، ولا  
يكون مكودا مستكرها ، ومتوعرا متقعرا ،  
ويكون بريئا من الغثاء ، عاريا من الرثاء .

نسائلكم هل من قرى لنزيلكم  
بملء جفون لا بملء جفان  
فرد عليه أبو أحمد معتذرا ، ثم بدا له  
فذهب إليه وقابله بعسكر مكرم فقربه  
الصاحب وعرف له حقه ، ولما مات رثاه  
بشعر ذكر فيه أنه لم يمت شيخ من الشيوخ  
وإنما فقدت ( فنون الأدب ) .

وإذا تذكرنا سيرة الصاحب ، وكبريائه ،  
عرفنا أى مكانة كانت لأبى أحمد ، وإنما  
قدمنا بذكر أبى أحمد لنقول إن أبا هلال  
أخذ عنه علمه وخلقه ، وإن كان ضالع مع  
الصاحب بن عباد . ولذلك - كما لاحظ الدكتور  
زكى مبارك - مظهران :

الأول : إيشادته بأدب الصاحب ، والثانى  
تحامله على المتنبى ، وكان ابن عباد يكره  
المتنبى كرها شديدا لترفعه عن مدحه ، فكان  
لذلك يدفع النقاد إلى النيل منه والوقوع فيه  
والغض من شعره .

أما إيشادته بأدب الصاحب فتظهر فى  
استشاده بكلامه ، وامتداحه لهذا الكلام ،  
فيصف معناه بأنه بديع ، ولفظه بأنه شريف .  
وأما تحامله على المتنبى فيظهر فى مواطن كثيرة  
من كتابه ، فهو لا يذكره باسمه ولا يتحدث  
عن شعره إلا حين يريد التمثيل للشعر القبيح .  
وتحامل أبى هلال على المتنبى هو المظعن  
الظاهر فى أخلاقه ، فقد كان يستطيع أن  
ينقد شعر المتنبى فيظهر الجيد منه والردى ،

الإغداق على من يصطفيه من العلماء ، وقد كان أبو هلال جديراً لعلبه وأدبه بكل تكريمة ، ولكنه يقول كما روى ياقوت : جلوسى فى سوق أبيع وأشترى دلائل على أن الأنام قروء

ولا خير فى قوم تذلل كرامهم ويعظم فيهم نذلهم ويسود ويهجوهم عنى رثانة كسوتى هجاء قبيحاً ما عليه مزيد ويقول أيضاً :

إذا كان مالى مال من يلقط العجم وحالى فيكم حال من حاك أو حيم فأين انتفاعى بالأصالة والحجى وما ربحت كفى من العلم والحكم ومن ذا الذى فى الناس يبصر حاتى

فلا يلعن القرطاس والخبر والقلم وأعتقد أن هذا ليس كلام من يتصل بالاصحاب ، ويتنكر من أجله لرأيه وعلبه ، ويظل يطعن على المتنبي دون أن ينال من صاحب شيئاً يكون كفاء لذلك الانحراف . وقد اختلف الرأى فى ذوق أبى هلال ، فالدكتور محمد مندور فى كتابه ( النقد المنهجى ) يرى أن ذوق أبى هلال كان فاسداً ويستشهد على ذلك ببعض رسائله ، فى حين يرى الدكتور زكى مبارك أن نثر أبى هلال يعد من الطبقة العالية ، والتعبير المشرق الفصيح من أظهر مميزات ، ويستشهد - أيضاً - ببعض كلامه .

ولا خير فى المعانى إذا استكرهت قهراً ، والألفاظ إذا اجترت قسراً ، ولا خير فيما أجيد لفظه إذا سخف معناه ، ولا فى غرابية المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المغزى وظهور المقصد .

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكبد ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام إذا رأوه سلساً عذبا ، وسهلاً حلوا ، ولم يعلموا أن السهل أمتع جانباً ، وأعز مطلباً ، وهو أحسن موقفاً ، وأعذب مستمعا ، ولهذا قيل : أجود الكلام السهل الممتنع . هذا رأى أبى هلال ، وواضح أننا لو وضعنا شعر المتنبي فى هذا الميزان لثالت كفته ، فهذا سر تحامل العسكرى على المتنبي ، وإنما سميت تحاملاً لأنه أسرف فى الطعن عليه ، ولم أسمه تحاملاً مجازاة لركى مبارك ، فما أرى فى ذلك الموضع رأيه .

أما إعجابه بأدب الصاحب ، فلأنهما على مذهب واحد ، وذلك أن نثر أبى هلال يجرى على نفس الطريقة التى يكتب بها الصاحب . ولعل أقوى دليل على أن أبا هلال كان أبى النفس ، وأنه لم يحامل الصاحب ، أن حاله ظلت سيئة ، كما يحدثنا فى بعض شعره ولو كان اتصل بالصاحب لحسنت حاله ، وتائل مالا ، إذ كان رجلاً معطاء ، كثير

غماماته الممتلئة بالماء تروى العطاش ، وأنه لا ينسى فيه تلبد الغيوم في السماء ثم نضارة الصحو التي تعقب ذلك المنظر ، ولا الريح الجنوبية التي تبشر الأرض بالقطر ، كما يبشر العليل بالشفاء . ولا الغيوم المطرقات الحواشي بوميض البروق ، وكلما هطلت أعطتك ماء بارداً وجواً رقيقاً ، ثم يصور هذه الصورة البديعة :

وترى الأرض في ملاءة تلج

مثل ريط لبسته فوق فرو

كما يفرح بالشتاء لأن لياياه طويلة تتمكنه من الدرس المتأني ، واللهو الكثير :

وليال أطلن مدة درسي

مثلاً قد مددن في عمر لهوى

مر لي بعضها بفقه وبعض

بين شعر أخذت فيه ونحو

فلا يمكن أن يوصف شعر أبي هلال بأنه

جيد ، وإن كان هو يضعه في طبقة أشعار

المفلقين ، فكل إنسان معجب بعمله ، ويظهر

ذلك الإعجاب بالنفس في ثانيا كتاب الصناعتين

فقرى أبا هلال يقول - مثلاً - : ذكرت

في هذا الباب - وهو ثلاثة فصول - من

نعت البلاغة ، ووجوه البيان والفصاحة

ما فيه كفاية ، وأتيت من تفسير مشكلها

على ما فيه مقتنع ولم يسبقني إلى تفسير هذه

الأبواب وشرح وجوهها أحد ، وإنما

اقتصر من كان قبلي على ذكر تلك النعت

وقد طلت النظر في هذه المسألة ، فتبين لي أن أبا هلال يجيد القول حين يترك نفسه على سجيته ، ويترك التكلف والتصنع وذلك يظهر في تدوينه لآرائه العلمية والأدبية ، أما حين يكتب رسالة فإنه يلجأ إلى المحسنات البديعية ، ويجرى على طريقة ابن العميد في التكلف والتصنع فيجىء نثره غثاً بارداً .

وأما حين ينقد فإنه - عندي - صاحب ذوق دقيق ، وحس مرهف .

وقد أخطأ الدكتور زكي مبارك حين عد

شعر أبي هلال من الشعر الجيد ، وقد تقدم

لنا مثالان منه ، وهما لا يدلان على طبع

في الشعر ، ولا على خولة في الصياغة .

وله في الشتاء قصيدة لا بأس بها لولا أن

قافيتها فاترة والفاتر شر من البارد كما يقول

أبو هلال نفسه - ابتداء القصيدة بقوله :

فرت صبوتي وأقصر شجوى

وأتاني السرور من كل نحو

إن روح الشتاء خلص روحى

من حرور تشوى الوجوه وتسكوى

برد الماء والهواء كأن قد

سرق البرد من جوانح خلو

وهذا التشبيه جيد ؛ لأنه جعل الرجل

الذي يخلو قلبه من الحب ولا تلفحه حرارة

الهوى أبرد من الشتاء .

ثم يمضى في تفصيل الشتاء على غيره من الأزمنة

فيقول إن ريحه الباردة تشنى الصدور وإن

قلت : هي يتبرز ، ولكن ليس معناها كما فهم هذا المعلق ، وإنما معناها أنه كان يتجر في الثياب ؛ لكلا يضطر للسؤال أو للارتقاء في أحضان أحد من ذوى الجاه واليسار فيوصف بالطمع والدناءة والتبذل . وكيف يتفق فهم هذا القائل مع قول أبي هلال : ( ويهجوم عن رثاءة هيئتي ) ؟

وقد ترك أبو هلال من الكتب غير الصناعيتين : ديوان المعاني . جهرة الأمثال التبصرة . قال ياقوت : وهو كتاب مفيد ، كتاب شرح الحماسة ، كتاب الدرهم والدينار ، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب العمدة ، كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة ، كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الأوائل ، كتاب ديوان شعر ، كتاب الفرق بين المعاني كتاب نوادر الواحد والجمع ، رسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة ، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، كتاب التلخيص . أما وفاته فالمشهور أنه توفي سنة ٣٩٥ هـ ولكن الحموى يقول : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلثمائة .

### كتاب الصناعيتين :

الكتاب كما يؤخذ من عنوانه كان الغرض

عارية مما هي مفتقرة إليه من إيضاح غامضها وإنارة مظلمها (١) .

ويقول : « ولا أعلم أحداً ممن صنف في سرق الشعر فثقل بين قول المبتدئ وقول التالى وبين فضل الأول على الآخر ، والآخر على الأول غيرى ، وإنما كانت العلماء قبلى يذهبون على مواضع السرق فقط نفس بما أوردته على ما تركته (٢) » .

وهذا حق ، فإننا لا نعلم أحداً قبله أطال في شرح السرقات الشعرية إطالته ، وإنما ذكرنا هذا لتدل على أن أبا هلال كان يفخر بعمله ، ولم يرد أن يبخس نفسه ، فحين يضع شعره مع شعر الفحول من أمثال أبي تمام والبحرئى لا يكون ذلك دليلاً على أنه من الشعراء الجيدين .

وكان أبو هلال يتجر في الثياب ، وقد وردت في معجم الأدباء عبارة : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى - رحمه الله - بهمزان عنه ، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معا ، وقال : كان يبرز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل . وقد قال المعلق على ( يبرز ) لعله ( يتبرز ) من البرز وهو الثياب يعنى أنه يتجمل ويظهر للناس ذابزة حسنة ولبسة تدفع عنه التبذل ، فلا يزال الناس في كل عصر يكرمون الرجل ويحلونه لحسن بزته وهيئته وجمال شارته ولبسته .

(١) الصناعيتين ص ٥٤ ط . الحلبي

(٢) ص ٢٣٧ .

ضالة بين الأمثلة ، ومن هنا قال أحد النقاد المحدثين إن كتاب الصناعتين هو نقطة تحول النقد إلى بلاغة <sup>(١)</sup> ولعل هذا القول فيه كثير من الصواب ، وفيه بعض الخيّد عن الجادة ، وذلك أن هناك عالمين آخرين سبقا أبا هلال إلى هذه المحاولة هما عبد الله بن المعتز وقدامة بن جعفر وقد علت عملهما في البلاغة ويمكنك أن تدرك أنهما جريا شوطا غير قصير في هذا الشأن .

وقد زادني البديع على ما أورده المتقدمون ستة أنواع وهي : التشطير والمحاوره والتطرين والمضاعف والاستشهاد والتلطف .

وجعل الاستعارة ، والكناية والتعريض من أنواع البديع - كما فعل من سبقوه - في حين أخرج السجع منه . أما التشبيه فإنه أخرجه من البديع .

وذكر المطابقة فعرّفها ومثل لها بما يدخل فيها النوع الذي سماه المتأخرون المقابلة أما هذه عنده فهي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة ، فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل ، مثاله قول الله تعالى : « فتلک بیوتهم خاوية بما ظلموا » فخواء بيوتهم وخرابها بالعذاب مقابلة لظلمهم ، ونحو قوله تعالى : « ومكروا مكرا ومكرنا

منه تعليم الكتاب صناعتى النثر والنظم وهو يقول في ختامه : « على أن هذا الكتاب جمع من فنون ما يحتاج إليه صناع الكلام ما لم يجمعه كتاب أعليه » .

وقد بدأه بالحديث عن فنون القول فذكر البلاغة والفصاحة وفرق بينهما وسرد بعض أقوال العرب والفرس ثم تسكلم عن التشبيه والاستعارة ، والإيجاز والإطناب ، وذكر من البديع خمسة وثلاثين نوعا .

ويبدو أنه قرأ ما كتب العلماء قبله في البلاغة والنقد ، وأنه استفاد من كل ما كتب غير أنه يذكر في نهاية الكتاب أن كل شيء استعاره من كتاب ووضعه في كتابه لم يخله من زيادة تبين ، واختصار ألفاظ وغير ذلك مما يزيد في قيمته ويرفع من قدره .

ولعل أشهر الكتب التي طالعها واعتمد عليها كتاب ( البيان والتبيين ) للجاحظ فقد ذكره في المقدمة وقال : إنه كتاب كثير الفوائد جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارعة . لكن عابه بأن الإبانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبشورة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير .

فتصميم أبي هلال - كما يفهم من كلامه هذا - كان على أن ينظر المسائل البلاغية ولا يجعلها

(١) هو الدكتور محمد مندور في كتابه النقد المنهجى عند العرب ص ٣٢٤ .



له أيطلا ظي ، وساقا نعامه  
ولإرخاء سرحان وتقريب تتقل  
وبقول المرقش الأكبر :  
النشر مسك والوجوه دنانير

وأطراف الأكف عنم  
ويجعل منه التشبيه الذي يكون المشبه به  
فيه مصدراً مبيناً للنوع كقول امرئ القيس :  
سموت إليها بعد ما نام أهلها  
سمتو كجباب الماء حالا على حال  
غير أن أكثر أمثلة التشبيه التي ذكرها  
وهي كثيرة مذكورة الأداة .

كما أدخل في التشبيه بعض أمثلة الاستعارة  
ومن ذلك .

وأسبأت أوأوا من نرجس وسقت  
وردا وعضت على العناب بالبرد  
قال : فشبه خمسة أشياء بخمسة أشياء في  
بيت واحد ، الدمع بالؤلؤ والعين بالنرجس  
والخند بالورد والأنامل بالعناب لما فيهن  
من الخضاب ، والشعر بالبرد . ثم قال :

ولا أعرف لهذا البيت ثانيا .  
وبيت امرئ القيس ( أيطلا ظي ) من  
باب الاستعارة ، لا التشبيه ونستنتج من كل  
ذلك أن هذه الأنواع لم تكن واضحة كل  
الوضوح في ذهن أبي هلال .

ومما لا شك فيه أن العسكري استفاد  
من كل ما كتب قبله وأتيح له أن يطلع عليه  
فالكاتب التي ذكرها في كتابه ، أو ذكر  
أصحابها لها أثر ظاهر في الكتاب لا شك

مكرا ، فالمكر من الله تعالى العذاب جعله الله  
عز وجل مقابلة لمكرهم بأفنيائه وأهل  
طاعته . . . وهكذا . فهي غير المقابلة  
المعروفة في كتب المتأخرين .

وهو يذكر اللون من ألوان الكلام ،  
ويعرفه ، ثم يذكر الغرض منه ، ويجيء  
بعد ذلك بأمثلة يبين في بعضها وجه روعة  
هذا اللون ، فمثلاً بدأ باب الاستعارة بقوله :  
الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها  
في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك  
الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل  
الإبانة عنه أو تأكيد والمبالغة فيه ،  
أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين  
المعرض الذي يبرز فيه ، وهذه الأوصاف  
موجودة في الاستعارة المصيبة ، ولولا أن  
الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه  
الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى  
منها استعمالاً .

ثم يذكر بعد ذلك فضل الاستعارة في بعض  
روائع الكلام . وقد يند عن الرسم الذي  
رسمه ، فهو يذكر في باب الاستعارة التشبيه  
المحذوف الأداة من مثل قوله تعالى :  
«وأفئدتهم هواء» ، وقول سيدنا علي : السفر  
ميزان القوم ، وقول معاوية : العيال أرضة  
المال . في حين أنه ذكر في باب التشبيه أن  
الأداة قد تحذف ، ومثل لذلك بقول  
امرئ القيس .

فيما راموه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبيل ، ووجدت الحاجة إليه ماسة والكتب المصنفة فيه قليلة ... فرأيت أن أعمل كتابي هذا .

وقد اتفق الذين ترجعوا لأبي هلال على أنه كثير الحفظ ، وقد ظهر أثر ذلك في كتابه فإنه يذكر النوع البلاغي ثم يغرقه بفيض من الأمثلة من القرآن ومن الحديث ، ومن نثر العرب وشعرهم .

ثم يأتي عقب كل باب فيذكر الرديء من هذا النوع ، وبين موضع الرداء فيه . وله نظرات صائبة في النقد الأدبي ، وقد تنبه أبو هلال إلى أثر البيئة في تقارب الأفكار ، فقد ذكر أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضي الله عنه :

تشط غدا جار جيراننا

فقال ابن عباس :

ولدار بعد غد أبعد

فقال عمر : والله ما قلت إلا كذلك ثم قال أبو هلال : وإذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضاربة .

في إفادته منها ومن ذلك - بعد كتب الجاحظ - كتاب ( النكت ) للرماني فإنه ( يعتبر أحد الروافد الهامة التي مدت كتاب الصناعتين فلا يكاد يخلو باب من أبواب كتاب الرماني إلا له أثر في الصناعتين ) <sup>(١)</sup> وكتاب ( مشكل القرآن ) لابن قتيبة فقد نقل عنه في كتابه ، وكتاب ( البديع ) لابن المعتز وكتاب ( نقد الشعر ) لقدامة . غير أن العسكري لم ينص على ما أخذه من هذه الكتب ، ويبدو أن هذه طريقة القدماء ، فإن الشيخ عبد القاهر - مثلاً - يشير إلى اعتراضات كثيرة ويجب عنها ولا يذكر أصحابها ، والسكاكي يقول : إن القسم الثالث من كتابه المفتاح هو ما أمكن تلخيصه من كلام السلف ، ولا يكاد يذكر إلا النزر اليسير من هؤلاء السلف .

ومع إفادة العسكري من سبقه من العلماء اعتبر ما كتبوه في البلاغة غير ذي بال ، وذلك حيث يقول في مقدمة الصناعتين بعد أن نبه على خطأ كثير من علماء العربية في الاختيار ورمى بعض ما استحسناه بأنه كلام فج غليظ ووخم ثقيل ، وبعضاً آخر بدنامة اللفظ وخساسته ، وخلوقة المعرض وقباحته ، قال بعد ذلك : « فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام

(١) أثر القرآن في تطور الفقه العربي للأستاذ

# علم من أعلام الأدب العربي : أبو بكر الخوارزمي للأستاذ عباس طه

## نسأله وسيرته :

الأفلاك بل من التراب إلى السحاب بل من  
مقر الرغام إلى مجرى الغمام وليسوا على قدم  
المساواة لأبي بكر الخوارزمي .

ومن العجب أن يكتب الكاتبون  
من إخواننا رسائل متفرقة في أدباء هم أقل  
من أبي بكر شأنًا ، ويهملوا أبا بكر الخوارزمي  
فلا يكتب عنه كاتب من المحدثين ، أو يفتحوا  
له صفحات من المجد أحرزه طيلة حياته ،  
وقد أغفله حساده ومناجزوه ؛ ليظل في التاريخ  
مجهولًا وفي عالم الأدب مغمورًا .

كان صاحب الترجمة معروفًا بقوة الحفظ  
في النثر والقريض ، يقص علينا الأدب  
العربي أنه قصد ذات يوم صاحب بن عباد  
بأرجان فلما وصل إلى بابه قال لأحد حجابيه :  
أبلغ صاحب أن بالبواب أحد الأدباء وهو  
يستأذن في الدخول عليك فدخل الحاجب  
فأعلمه . فقال صاحب قل له : قد أُلزمت  
نفسى ألا يدخل على من الأدباء إلا من  
يستظهر عشرين ألف بيت من شعر العرب .  
فخرج إليه الحاجب فأعلمه . فقال له أبو بكر :  
ارجع إليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال

هو الأستاذ الكبير والعلامة الخطير قبس  
الحق وظهيره ، وظهير الأدب وظهره ،  
ومن علق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه  
بأبواب السماء أبو بكر محمد بن العباس  
الخوارزمي الشاعر الذي لا يحاول ولا يطاول  
والناثر الذي لا يبارى ولا يجارى ، يلقب  
أيضاً بالطبرخزمي ؛ لأن أباه من خوارزم  
وأمه من طبرستان وهو ابن أخت العلامة  
الثبت الثقة أبو جعفر بن جرير الطبري إمام  
المبرزين في علوم القرآن والتاريخ .

ولد أبو بكر الخوارزمي سنة ٣١٦ هـ  
بخوارزم ، فلما اشتد ساعده نزع إلى الشام  
وأقام في حلب فترة طويلة من الزمن ثم طفق  
يحجوب الأقطار ويقتحم الأمصار ويطوف  
الديار من الشام إلى أقصى خراسان .

كان أبو بكر الخوارزمي رجلاً مبرزاً  
في حلقات الأدب العربي ، إن شئت فقل إنه  
من ذواتها .

كتب الكتاب ونثروا في قوم أشادوا  
بهم ورفعوهم من مسابح الأسماء إلى مدار

ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ويتكلم بكل نادرة، ويأتى بكل فقرة ودره، ويبلغ في محاسن الأدب كل مبلغ ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته، وملاحة عبارته ونعومة نعمته وبراعة جسده وحلاوة هزله، انتهى.

ظاهر من كل ذلك أن أبا بكر الخوارزمي قد بلغ رتبة شباب الزمان ومجدها فتي، وأخلق العالم وذكرها طرى، إن حاضر أرهف الآذان واقتحم القلوب بلا استئذان، ألفاظ كغمزات اللحاظ ومعان كأنها فك عان، وعبارات كأنها في عيون السكواعب عبرات، وفقرات تستنزل البلاغة من سمائها، والمعاني من صياصياها، قد تحفزت للوثاب ثم انقضت للاختلاب، غلبت العقول عن هواها، ووقفت بالنفوس الجارحة دون مرماها، تسابق النظر إلى مواطن العلم فلا يكاد يلحظها الوهم إلا وهى من النفس في مكان الإلهام.

يزدهى المنبر عجباً حين يرقاه خطيباً  
أترى ضم خطيباً أم ترى ضمخ طيباً  
ولا والله ما اليوث الضواري أزجمها  
الطوى من آجامها، وأثارها على الفريسة ضنى  
أشباهها بأسرع عدوا ولا بأعنف ضراوة  
وقتك من قلم هذا الرجل إذا خشى على الأدب  
أن تستباح حرماته أو أشفق من زانق  
القول أن تعشو الأبصار ظلماته.

أم من شعر النساء . فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال . فقال الصاحب : هذا لا يكون إلا أبا بكر الخوارزمي، فأذن له في الدخول، فدخل عليه وانفجرت له أسارير وجهه .

كان معروفاً بحسن الصياغة وأداء الأمانة فيما يكتب وجزالة العبارة . كانت له مدرسة واسعة الأكثاف مترامية الأطراف ، له رواد وله حساد ، وكان في مدرسته يتخير الانجباب من أبناء الميساير ويلقهم أطرافاً من العلم والأدب الرفيع حتى نبه ذكره بين معاصريه وضربت إلى شهرته آباط المطى ، يلبس ذلك كل من يقرأ رسائله إلى الأمراء في عصره ، وإلى أبنائه النوايع في قرنه ، وإلى أصحاب المكانة السامية في جيله، وإلى من يقرأ حكمه وأمثاله التي ارتفعت فوق مستوى أهل عصره وبلغت من السمو مكاناً قصياً .

وأى رجل دارت لمقالاته أفلاك البلاغة ، وهتفت به العوانك في خدورهن ، وسرى ذكره مسرى الهواء العليل أكثر من أبى بكر الخوارزمي ، حتى قال عنه العلامة الكبير وحيددهره، وفريد عصره الأستاذ أبو منصور الثعالبي في كتابه يتيمة الدهر: أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النثر والنظم وعالم الفضل والظرف كان يجمع بين الفصاحة العجيبة، والبلاغة المفيدة ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها

لله القلم الأعلى الذى يشبانه

تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

وكان رجلاً عضوباً لكرامته ، معترأ  
بهمة وإن وضى متح فأروى وإن غضب  
قدح فأورى .

حدث أنه ذهب ذات يوم إلى صاحب بن  
عباد لزيارته فقال له حاجبه : إنه خارج بيته  
الآن فارتأب أبو بكر الخوارزمى فى هذا النبأ  
ثم سلبه بطاقة ليرفعها إلى صاحب وقد  
جاء فيها :

• زائرکم يشكو وقد جاءكم

غلظة بوابكم الخادم

أنكرکم عنى على زعمه

فياله من عجب دائم

لأننى بين بنى آدم

مذ خلقوا أشهر من آدم

كان والله السهم المسدد إذا غضب، وحلاوة  
العسل المصقى إذا رغب ، إن شاء فهو العسل  
حلاوة أو الديباج ليناً وطرواة ، وإن شاء  
فهو النمر إستشراء وضراوة ، إن شاء فهو  
الماء نيمراً أو الزهر عبيراً وإن شاء فهو  
الجر سعييراً أو النار توهجاً وزفيراً ، إن شاء  
فهو اللبن خالصاً سائغاً يخرج من بين فرث  
ودم ، وإن شاء فهو المر النقيع والعلقم ،  
وكذلك كل من يشعر بالكريم من الحياة

يحمل بين فكيه لساناً إن سالمته سال عذبا ،  
وإن صارمته سل عضبا ، كالطبيب الحاذق  
يكلم بيد ويأسو بأخرى ، أو كالنحل إن  
رضيت عملت العسل ، وإن غضبت أعملت  
الأسل ، أو كالبحر إن صدم أغرق ، وإن جاد  
بجواهره أغدق ، فأحيانا يقذف لراكب  
ممنه درأ وأحيانا يفتح له الموت فيه بين كل  
موجتين قبرا ، أو كالمطر فيه خير وشر وفيه  
نفع وضر يشرب منه الصدف فيعقب لؤلؤا ،  
وتشرب منه الأفاعى فيعقب سماً ، إن هطل  
على الوادى الجديد أجاده ، وإن زخ على  
الوادى الخصب أباده

ولى فرس بالحلم للحلم ملجم

ولى فرس بالجهل للجهل مسرج

فمن شاء تقويمى فإنى مقوم

ومن شاء تعويمى فإنى معوج

وبالجهل لا أرضى ولا هو شيمتى

ولكننى أرضى به حين أخرج

وكان أبو بكر الخوارزمى يستكثر من  
الأصدقاء حتى وإن انقلبوا له أعداء ، ويفر  
من الحق الجلاء حتى وإن كانوا عليه أئبياء  
هاجم المتنبي فى صولته ، وناجزه فى دولته ،  
وانفق أن وجد له حامين لظهره من مكائد  
أبى الطيب فعالبه ثم غلبه ، وكان يسخر من  
تزمّت أبى العلاء وانقباضه عن الدنيا فى يأس

الطمع في جحر فأر لدخله ، ولو أتاه الدرهم  
من إست كلب لما غسله ، فلا جرم أن الناس  
كما استحسنوا قوله استهجنوا فعله ، وكما أعجبوا  
بشعره تعجبوا من غدره ، يشكر ثم يشكو  
ويمنح ثم يهجو ، ويشهد ثم يجرح شهادته ،  
ويعطى ثم يسترجع عطيته ، وكمن حرفضه  
ثم ثابه ، وكمن عرض كساه ثم سلبه ، وكمن  
من صفحة أكل منها ثم بصق فيها ! .

ثم أشاد أبو بكر بنفسه ليسوازن بينه  
وبين المتنبي فقال :

ولكن في قيص أبي بكر رجل إذا أعطى  
لم يرتجع ، وإذا طلق لم يراجع ، وإذا بنى  
لم يعد على بنائه بالهدم ، وإذا مدح لم يطأ  
على عقب مديحه بالذم ، وإذا طيب فكه  
بالمدح اسكريم لم يلطخها بمدح للثيم ، وإذا  
زوج كرائمه كفؤا حجبه أن يترجن إلا  
لديه ويحتلين غير عينيه ، وإنما الغدر من  
أخلاق النساء فن تعلق بطرف منه فقد رغب  
بنفسه عن كمال النكران وجذبها إلى شق  
النسوان » انتهى .

فالإمام الخوارزمي يعتب ثم يعزى ثم  
يهنئ ثم يكافئ على صنائعه بالمدح ويلوم  
على قبائح غيره بالقدح .

كان له تلميذ من أنجب تلاميذه وأنبههم  
ذكرا وقد اتفق أن جمعه مجلس بأحد الأدباء  
فجرى بينهما حوار وكان لهذا الأديب في  
( البقية على صفحة ٢٤٤ )

وقنوط ، ونظره إليها في جانبها المعتم ، وإعراضه  
عنها في جانبها المشرق المضيء . وكان يتجهج  
للشريف الرضى هجاء يوم ذهب إلى الوالى فى  
عصره ، وكان يملك ضيعة صغيرة فطلب إلى  
الوالى أن يشتريها منه للنافع العامة للسلين  
وأن ينقده ثمنا مبهما فأطلق الألسنة فيه بمقالة  
السوء فأحفظ عليه صدور الأدباء .

وإلى القارىء ملحمة من ملحمة صاغها فى  
تصوير المتنبي ، ثم قارن بين قوله وعمله ، وبين  
طبعه وأدبه فى شعره ، وبين جزالة قصائده  
والاقتنان بالغى وما فى يده ، قال : « ونظرت  
إلى أبى الطيب المتنبي وإلى تناقض حكيمته ،  
وتفاوت طر فى فعلته حيث قال فى سيف الدولة  
لا تطابن كريما بعد رؤيته

إن الكرام بأسمائهم يداً ختموا  
ثم قال فى كافور الأخشيذ :

قواصد كافور توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا ، واعتاض  
من الطمع ثمنا يسيرا ، وحال ضباب  
الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء ،  
وكان يضايق نفسه فى اختبار المتاع ويسامحها  
فى إختيار المتاع ، ويخلع خلعة من نظمه  
تساوى بدرة على عرض من لا يساوى بكرة  
ويهب كريمة من كرائم شره إلى من لم تقم  
عنده كريمة ، ولم تعرف له قيمة ، لو رأى

# كرامة العقل ، وقداصة الحرية من رسالة الإسلام للأستاذ فتح عثمان

« ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم للملذات من قبل ، وفي هذا ليكون  
الرسول شهيدا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس . »

للطريق أن تعرض أخطر المقدسات على  
الإرادة الإنسانية وتكون لها حرية  
الاختيار .

وقد كان دين الله بوجه عام والإسلام  
بوجه خاص مقرا لكرامة العقل ولقداسة  
الحرية في وضوح ، وقد سلك الطريق  
الصحيح لهذا التقرير .

غير أن الدين مظلوم عند الناس بالنسبة  
لحرية الفكر . . . أفليس الإيمان إذعان  
وانقياد وتسليم ؟ أفليس الإيمان : استهواء  
وإيحاء وتقليد وإكراه كما يقال في بعض  
الأحايين . والدين الحق براء من هذا الافتراء .  
إنه يقرر كرامة الإنسان بآيات من وحى  
الله ذي الجلال والجبروت :

« ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البر  
والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم  
على كثير ممن خلقنا تفضيلا . »

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم . »

لم يعد جديدا أن يقال : إن الإسلام هو  
رسالة الحرية، وإن محمدا عليه الصلاة والسلام  
هو رسول الحرية... والكثيرون يعرفون  
عن الإسلام : أنه رسالة الحرية السياسية  
للأفراد والشعوب ، وقد يعرفون أنه رسالة  
الحرية الاجتماعية للأفراد والشعوب .

غير أن هذه الحريات جميعا تتأسس على  
حرية أخرى أجل وأخطر ، هي حرية  
الفكر .. وهيئات لمن لم يتحرر من (داخله)  
أن تتحقق حريته !! ولو خلاص من أية  
ضغوط من (الخارج) عليه ، فستجلب  
عليه (هزيمته الداخلية) مزيدا من الضغوط .

ومن هنا كان لا بد أن تتقرر أساسا  
كرامة (الإنسان) ، في (العقل) الإنساني  
والبداية الصحيحة للطريق أن يعامل هذا  
العقل بالتكريم .

وكان لا بد أن تتقرر أساسا قداسة الحرية  
في (العقل) الإنساني . . . والبداية الصحيحة

« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » . ١

\*\*\*

ومن روائع الدين في هذا المجال ، هذا النمط الفذ من العرض العقلي لقضية الإيمان على لسان إبراهيم أبي الأنبياء ، عليه وعليهم الصلاة والسلام . .

ومن روائع ابن حزم ، أنه يقرر في كتابه ( الأحكام ) انتصاراً للجدال والمحااجة في قضايا الدين ، أن الله علينا كيف نجادل ونحاج ، وعلينا الحججة على ( الثنوية ) وعلى ( الدهرية ) وغيرهما . . وساق لنا مثلاً للحججة على لسان إبراهيم ، وألزمنا الاقتداء به إذ كنا على ملته . . « ملة أبيكم إبراهيم » . وإبراهيم أبو الأنبياء ، وداعية « عقيدة التوحيد » ، وداعية « العقل والحرية » ، في الوقت نفسه . .

إنه من أول الطريق . . يفكر ، ويقلب الأمور أمام ( العقل ) :

« وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آلهة؟ إنى أراك وقومك في ضلال مبين . وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، وليكون من الموقنين .

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال : هذا ربي . . فلما أفل ، قال : لا أحب الآفلين ! فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربي

ويقرر كرامة العقل الإنساني بجعله مناط الحكم و التقدير في أى قضية ، ولو كانت قضية الألوهية والدين : « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » .

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب » . « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » .

« أفلا يتذكرون . . أفلا يعقلون . . إلخ . ويعرض الدين قضية الإيمان بالله واليوم الآخر وهى أقدس وأخطر قضاياها على العقل الإنسانى ، وعلى الإرادة الإنسانية ، وفي هذا تقرير حريتها في الاختيار ، وتقديس لحريتها في الاختيار :

« أم خلقوا من غير شيء ، أم هم الخالقون ؟ » « أخسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم إلينا لا ترجعون ؟ » .

« لو كان فيها آلهة إلا الله ، لفسدتا » . وهو ينبنى عن العقل الإنسانى أى ضغط ، وعن الاختيار الإنسانى أى تأثير :

« قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ، وأتاني رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنزل مكوها وأنتم لها كارهون ؟ » « فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

« إن عليك إلا البلاغ » .



قلبا أفل ، قال : أن لم يهدني ربي لأكون من القوم الضالين !

فلما رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربي ، هذا أكبر فلما أفلت ، قال : يا قوم إني برىء مما تشركون ! .

إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين . وحاجه قومه .

قال أنحاجوني في الله وقد هداني ، ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا ، وسع ربي كل شيء علما ، أفلا تتذكرون ؟ وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا ؟ فأى الفريقين أحق بالأمن ، إن كنتم تعلمون ؟ الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، إن ربك حكيم عليم ، !!

عرض رائع ومنطق سليم وإبراهيم لا يلجأ إلى ( اليد ) إلا ليستثير ( العقل ) :

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين .

إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل

التي أنتم لها عاكفون ، ؟؟ قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .

قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ! قالوا : أجبنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين - قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لا كيدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم ، لعلهم إليه يرجعون !!

قالوا : من فعل هذا بأهتنا ؟ إنه لمن الظالمين . قالوا : سمعنا قتي يذكرهم ، يقال له إبراهيم ! . قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا : أأنت فعلت هذا بأهتنا يا إبراهيم ؟ قال : بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا ينطقون !! فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا : إنكم أنتم الظالمون !! ثم نكسوا على رؤسهم : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون !!

قال : أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ، ولا يضركم . . أف لكم ولما تعبدون - من دون الله ، أفلا تعقلون ؟؟ قالوا : حرقوه ، وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين . قلنا : يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم . وأرادوا به كيدا ، فجعلناهم الأخسرين ، ! . « فراغ عليهم ضرباً باليمين . فأقبلوا إليه يزفون . قال أتعبدون ما تنحتون ؟ والله

ودرب عقله على الفروض والاحتمالات ،  
 قبل أن يواجه عقول الناس ، وتقرر على  
 ذلك الإقرار والتأييد !! إنه يناقش ( ملكاً )  
 منتفشاً بالسلطان والطغيان ، وتقرر في ذهنه  
 حقه المقدس في أن يطلب البرهان ، وتلقى من  
 الله حقه . ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم  
 في ربه — أن آتاه الله الملك ( ١١ ) ،  
 إذ قال إبراهيم : ربني الذي يحيي ويميت  
 قال : أنا أحيي وأميت !

قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس  
 من المشرق ، فأت بها من المغرب  
 فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم  
 الظالمين ، !!

إبراهيم يسحق بقوة المنطق قوة  
 الطغيان .

ويسخر من الذي ينصب نفسه لمجرد أنه يترشح  
 على كرسي العرش ويستطيع أن يقيم المشائق  
 أو يشدخ الروس بالسيوف ! ! يسخر  
 إبراهيم من هذا الملك الصغير ، الذي يزعم  
 أنه يحيي ويميت في عالمه الضئيل ، بأن ينقل  
 محور الجدال إلى العالم الكبير . . الكون  
 الفسيح بأجرامه وأفلاكه ، بهيئته  
 وحركته . هنا يتهاك الأقزام !!

\*\*\*

يذنبني أن نفخر حقاً ، بأن كنا على  
 ملة إبراهيم . .

خلقكم وما تعملون ! قالوا : أبئنا له بنياناً  
 فألقوه في الجحيم . فأرادوا به كيداً فجعلناهم  
 الأسفلين ، !!

إنها تجربة مثيرة . . دلالتها كثيرة ،  
 في مجال دراسة السلوك الاجتماعي

وهي محاولة نبيلة . . لإبراز التناقض  
 القائم ، واستئثار العقل من الرضوخ والتسليم  
 للتناقضات وهي ( حركة يد ) . . غايتها  
 ( حركة الذهن ) .

فلما تحركت الأذهان ، أوجعها الدرس  
 وأخذها الكبير . . ففزعت إلى اليد ، يد  
 العدوان والتحريق ، لا يد الاختبار  
 والتجريب !!

ولإبراهيم يحاج ربه . . كما يحاج الناس  
 ويطلب منه الدليل والبرهان ! .  
 والله يسوق إليه المثل . . في تجربة :  
 « إذ قال إبراهيم : رب أرني كيف  
 تحيي الموتى ؟

قال : أولم تؤمن ؟  
 قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي  
 قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ،  
 ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم  
 ادعهن يأتينك سعيماً ، واعلم أن الله  
 عزيز حكيم ، !

ومن هنا كانت حجة إبراهيم قارعة قاطعة  
 أمام الناس . . إنه اقتنع قبل أن يقنع ،

ويطالب بإلغاء كل تبعية . . بالتفكير  
في كل علاقة وارتباط . . ولو كانت العلاقة  
بالكبير المتعال :

« قل إنما أعظكم بواحدة .

أب تقوموا لله مثنى ، وفردى  
ثم تتفكروا ،

هذا هو الدين . . في تكريمه للعقل ،  
وتقديسه للحرية !

وهذه هي ملة أبينا إبراهيم . . . بها  
نفخر ونثبه :

« إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه  
وهذا النبي

والذين آمنوا

والله ولي المؤمنين » ؟

فتمى عثمان

ويذبح أن نعتبر الدين ، هو المحرر الأصيل  
للعقل البشرى . لقد هزه من الأعماق ،  
وانتزعه من كل استرقاق :

« إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ،  
ورأوا العذاب ، وتقطعت بهم الأسباب .

وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ  
منهم كما تبرءوا منا .

كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ،  
وما هم بخارجين من النار ، !!

« وقالوا : ربنا إنما أطعنا سادتنا وكبراءنا ،  
فأضلونا السبيلا ! .

ربنا آتهم ضعفين من العذاب ، والعنهم  
لعناً كبيراً !! »

« وبرزوا لله جميعاً ، فقال الضعفاء للذين  
استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم

مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا :  
لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا

أم صبرنا ما لنا من محيص ، !!

( بقية المنشور على صفحة ٩٢٣ )

الجلس أنصار ، فكتب الخوارزمي إلى  
تليذه يقول :  
« أى بنى ، بلغنى أنك ناظرت فلما  
توجهت إليك الحجة كابر ، ولما وضع  
نير الحق على عنقك ضجرت أو تضاجرت ،  
وكنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن  
تعقه ، وأهيب لحجاب العدل والإنصاف من  
أن تشقه ، وكأنا لم تعلم أن لسان الضجر

ناطق بالعجز ، وأن وجه الظلم مبرقع بالقبح  
وأنا إذا استدركت على نقد الصياغة  
وتبعيت خطأ الحكماء والفلاسفة ، فقد أضفت  
عيباً إلى عائبك وما كتبه لمناصبك ونصرت  
عدوك على صاحبك ، وقد عجب من حسن  
ظنك بل وأناك لإنسان والله المستعان ، اه .

عباس ط

# مَائِقَاتُ الْعَزَلِ سِلَاحُهُ

## دور الإسلام في مستقبل القارة الإفريقية

للمؤلف: الأستاذ عباس محمود العماد

المؤلفين ، وأصبحت إرادة الأجنبي تبعا للإرادة الوطنية في تحصيل المعلومات والتعليق عليها بعد قيام الحكومات المستقلة وتركيز السلطان فيها على العوامل النفسية والاجتماعية التي ترجع إلى أبناء البلاد أولا ثم ترجع بعد ذلك لمن يحسن فهمها والانتفاع بها من أصحاب السياسات الأجنبية .

وقد أسفر هذا التنويع في موضوعات التأليف عن وجهتين من وجهات البحث المخصص للسائل الإسلامية ، وهما :

أولا : دور الإسلام المنتظر في إقامة نظم الحكم بعد استقلال الأمم الإفريقية .

ثانيا : معنى انتشار الإسلام قديما وحديثا بين الإفريقيين باعتباره حركة من حركات التاريخ ، والاستطراد من ذلك إلى استطلاع مصير هذه الحركة بين حركات الحضارة أو الحضارات العصرية .

وفي أكثر من بحث هام يميل المؤلفون إلى ترجيح فرص الإسلام على فرص العقائد الأخرى - دينية كانت أو اجتماعية - في توجيه

للإسلام حصة بارزة - لا تزال - في كل كتاب حديث يصدر من المطابع الأوربية أو الأمريكية عن القارة الإفريقية . وقد تنوعت موضوعات هذه الكتب على الزمن وتنوعت معها وجهة البحث في المسائل الإسلامية .

ففي الفترة الأولى منذ ابتداء العناية بهذه القارة قبل نحو السنوات العشر كانت الموضوعات كلها - أو أكثرها - متجهة إلى الإحصاء وجمع المعلومات العامة عن السكان وموارد الرزق وينايع الثروة وتقسيمات المواقع وتسجيل الظواهر الجغرافية والاستعمارية ، وكأنما كان المؤلفون يفكرون في الناحية التي يستفيد منها المسيطرون من الخارج وهم يديرون حكومات البلاد أو يملكون أزمة الحكم ووسائل السيطرة والاستغلال فيها .

فلما تقرر في الأذهان فكرة الاستقلال الوطني أصبحت إرادة الإفريقيين بين حاكمين ومحكومين هي الناحية التي تتجه إليها أنظار

بما تدعو إليه من الدقة وما تشتمل عليه من الكهنوتية المعقدة والاعتراف بالفوارق الكثيرة فضلا عن الارتباط بين وجودها ووجود الطبقات الحاكمة والعلم بأنها تكون في موضعها صحيحة مألوفة كلما تسربت بسربها الفضفاض الذى لا يضيق حتى يشبه كسوة الشغل في المصنع ، وهى على هذا — تصر على التشبث ببعض القيم التى احتواها النظام الاجتماعى القديم بروابطه العائلية وشعائره المتبعة وإجراءاته القضائية وسائر فنونه التى لا يعلى عليها ويكاد الرجل الأبيض نفسه ألا يرتفع إلى أوجها .

يقول المؤلف ذلك فى الصفحة الـ (٤٣٦) من المجلد الثانى ، واسكنه يقرر فى الصفحة الـ (٢٧٦) من المجلد نفسه كلاما ينقض هذا الكلام فى خواه إذ يقول : لأنه على تقيض الحالة بالنسبة إلى المسيحية يشاهد « أن الإسلام كان له أثر ضعيف فى الوطنية الإفريقية وهو مع ضعفه الشديد سلبى لا إيجاب فيه ؛ لأن المثال المميز للحكومة الإسلامية ، كما يقول جورج كارنتر إنما هو مثال الحكم الشخصى المطلق مستندا إلى ولاء الجماهير قائما على قواعد الدين ، وعلى الخوف والرغبة ، وسultan الحكم العسكرى ، ولا ملاءمة بين هذا المثال وبين تركيب النظام الإدارى المتشايك وتعدد الكفايات الفنية التى تتطلبها

دفة الحكم واتخاذ السند الموافق للأنظمة الإدارية أو الدستورية التى يختارها الإفريقيون حيثما توقف الأمر على تقاليد المسلمين أو قواعد الإسلام كما يفهمونها هناك .

فى كتاب إفريقيا الاستوائية ، وهو كتاب ضخم فى مجلدين تزيد صفحاتهما على مائة وألف صفحة - يقول الأستاذ جورج كبل Kimble رئيس قسم الجغرافية بجامعة أنديانا - « إنه من المشكوك فيه أن تكون الأنظمة الغربية القائمة على النفاذ والجد ، ملائمة لمطالب الثقافة فى بيئة يغلب فيها أن يكون السبق للباكر لا للسريع ، والفوز فى المعركة للخفيف فى العمل لا للقوى فى الخلق ، حيث لا معنى لكلمة الفساد والرشوة لأن كل خدمة تعطى تتبعها فائدة تؤخذ ، ويسود الشك على العموم فى جدوى المطابقة بين النظم المحلية والنظم الغربية ، ولا يخلو مكان من فكرة الحيدة بين السكتلتين الغربية والشرقية ، إذ يعتقدون أن الأمة يستحيل أن تحكم نفسها إذا هى كانت متعلقة بأخلاق الأمم الأخرى ولغاتها وعقائدها ، ولا يقتصر النفور هنا على كراهة السير على المنهج الغربى ، بل يتعداه إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أوفق للعقل الإفريقى والظروف الإفريقية ، مع تفضيل الإسلام - لتسليمه بمواطن الضعف الإنسانى وإغضائه عن فوارق الألوان - على المسيحية

عن أواسط إفريقيا أن انتشار الإسلام بين الإفريقيين - إذا روجعت أسبابه جميعا - إنما هو نتيجة لا محيد عنها لانتشار حضارة إنسانية ممتازة لم تكن في العالم حضارة تضارعها أو تقوى على مغالبتها وأن وصول الإسلام إلى القارة الإفريقية كان ملازما لوصوله إلى القارة الأوروبية نفسها وامتداده إلى الأقطار البعيدة من القارة الآسيوية وقد كان امتياز حضارته سببا كافيا لسيادته على العالم المعمور والعالم الجبھول الذي يصل إليه العرب المطبوع على الترحل والسياسة، يعينه على مطاوعة هذه النزعة أنه اقتبس كل ما يقتبس من اليونان والأمم القديمة من علوم الجغرافية والفلك وزاد عليها حب الكشف الذي سرى إلى جميع المسلمين مع سريان الشوق إلى زيارة مكة ومعاهد الإسلام الأولى. « وبينما كان الأوروبيون يعولون على السحر كان أطباء العرب يجرون عمليات الجراحة الصعبة ويحسنون الانتفاع بكثير من العقاقير ولا تزال طرق العلاج عندهم مما يستفيد منه الأطباء في علاج بعض الأمراض إلى هذه الأيام » ...

ومثل هذه الحضارة لا سبيل إلى حصرها في بقعة محدودة من العالم مع إقدام العرب على احتمال الجهد والخطر ورغبته في الرحلة والارتياح . فانتشار الإسلام إنما هو في

الأعمال المنوعة في الأمم العصرية ، إذ ليس في وسع هذا المثال أن يخلق ولا للوطن يرتفع به فوق منازعات العقيدة والأفكار المختلفة ، ولا أن يهيئ المجال لنشأة الزعماء المنتظرين وضمان الأمان الأكفأ من الموظفين .

\* \* \*

ويرد هذا البحث في كتاب ضخم آخر عن شبه جزيرة « سيرا ايون » يقع في أكثر من سبعمائة صفحة ويقول مؤلفه كريستفور فايف Cristopher Fyfe في متفرقاته : « إن تعاليم البعوث التبشيرية المسيحية على خلاف تعاليم الإسلام - تهدم الاستقلال الذاتي في الإفريقي وتعطل تصرفه المطبوع والحل الذي يقترحه بلايدين Blyden هو إقامة جامعة خاصة بإفريقية الغربية تسند فيها وظائف التعليم إلى إفريقيين من نصفي الكرة ومعهم إفريقيون مسلون من داخل القارة لتدشئة الطلاب على سليقتهم والابتعادهم عن محاكاة المثل الغربية » .

\* \* \*

أما البحوث التي تعرض لتفسير معنى انتشار الإسلام في القارة الإفريقية باعتباره حركة من حركات الأمم في التاريخ العالمي فهذه أمثلة منها :

يرى باتين Batten في سلسلة كتبه ،

جنوب الصحراء ممالك من أعظم الدول التي كان للإسلام هناك شأن في إقامتها .

وكأنما ابتدأت مرحلة الامتداد إلى داخل القارة الإفريقية في تقدير المؤلفين ، بعد انتهاء مرحلة الاستقرار في شمال إفريقيا وجنوب أوربة ، على أثر انحلال الدول الإسلامية القوية في كلتا القارتين .

\* \* \*

ويتخطى جاك بولن Bulin مراحل الماضي في كتابه عن « دور العرب في إفريقية » ليسأل عن دور الإسلام في المستقبل القريب بين القوى التي يمكن أن تعمل في توجيه القارة ، وهي قوة التبشير وقوة السياسة الدولية وقوة الوطنية غير الإسلامية .

ويقول المؤلف — وهو صحفي فرنسوى يعرف العربية والانجليزية — إن الكنائس تتغاضى عن الإسلام ولا تشدد في مقاومتها لأنها لا تنزله منزلة العدو الأول مع ما تحذره من خطر الشيوعية ، ولهذا لم تعقب صحيفة الفاتيكان بشيء على البيان الصريح الذى أعلن فيه شيوخ الأزهر في مستهل سنة ١٩٦١ م وجوب محاربة البعثات التبشيرية لأنها أداة من أخطر أدوات الاستعمار ، ولا يلوح من مسلك الوطنيين الإفريقيين غير المسلمين أن الدول الغربية التي كانت تستعمر بلادهم ستلتقي منهم عوناً في السياسة التي قد تبناها ( البقية على صفحة ٣٥٢ )

حقيقته انتشار حضارة جديدة بالانتشار وهو حركة من حركات التوسع الأسمى تبعها دواعى النشاط التي تمهد لها المعرفة وتشحنها العقيدة التي تسود الدنيا لأنها لا تبالي أن تقتحمها ولا تسكت ثلث لفراقها .

\* \* \*

ومن أحدث المؤلفات عن إفريقية تاريخ موجز للقارة ألفه كاتبان لها خبرة حسنة بالشرق من طريق الدراسة ومن طريق السياحة والمعاينة ، وهما رولاند أوليفر وجون فاج Fage وهما يفصلان بين دور الفتح الإسلامى ودور التغلغل الإسلامى إلى مجاهل القارة الإفريقية ، فإن الإسلام لم يسلك طريقه إلى ما وراء الصحراء إلا بعد زوال دولته الكبرى في المغرب ، ولكن الشعوب الإفريقية إلى الشمال لم تكن لتجتاز الصحراء التي لم تجاوزها قبل ذلك لولا دفعة من الحضارة يعززها إيمان العقيدة ... « وإن الفترة بين سنتي ( ٨٠٠ و ١٣٠٠ ميلادية ) هي الفترة التي ازدهرت فيها حضارة الإسلام لم تشتمل حضارة أخرى على مثل ما اشتملت عليه من ثمرات الفكر والفن والعلم والسياسة ، وهي كذلك فترة نمت فيها دول من أهم دول القارة الإفريقية ، إذ قامت شعوب البربر بدور تاريخي كبير في العالم الغربي والبلاد الآسيوية القريبة ، وقامت من خلفها إلى

# مَحْنَةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

## إلى التي شرب عقلها الشراب

الأستاذ على الجندى

إلى التي شرب عقلها الشراب

كانت حصاناً رزاناً تبدو في حلتها الشوكاء البيضاء كأنها ملك  
كريم !! حتى إذا رشفت رشقات من «أم الخبائث» صلب  
وجهها الحي، وانطلق لسانها بالقول البسدى، وجعلت تلتفت  
يمينا وشمالا وأماما وخلفا كن يرقب لإنسانا أو يبحث عن  
إنسان، وسط ضحكات ماجنة ترن رنين الكشوس التي بين يديها !

ماذا لقيت من الشراب يازين أتراب الشباب  
قد كنت كالملك الكريم يضىء في بيض الثياب  
فغدوت شيطاناً رجيساً، كل ما فيه يعاب

\* \* \*

هبنك، والحسن البديع - على وداعية - يهاب  
حتى إذا لعب الشرا ب بمعطف الرود السكعاب  
وتبخر الخضر الرقيسق، وكنت منه في يقاب  
وزها بخمديك التهاب، والسلاف لها التهاب  
وهذيت والخمور كالمحسوم مسلوب الصواب  
وأدرت عيناً في الحضور كأنها عين العقاب



براقه اللحظات كاهنسى سىل من القراب  
تغرى بك النهم الدنسى كأنه بعض الذباب  
قلنا - وملء صدورنا غضب ، وغيط ، واكتئاب  
ويح الجمال هوى من الأوج الرفيع إلى التراب  
لعن الشراب ، فإنه أصل الخنى !! لعن الشراب

\* \* \*

يا بنت مصباح السما سنا ، ويا أخت الشهاب  
يا تومم الزهر النضير ، وصنوا أرياق السحاب<sup>(١)</sup>  
يا ربة العبق الشسى كأنه ريا الملاب  
يا من لها صوت المسزار على الأفانين الرطاب  
« أم الخبائث ، - طبت نفسا - تفرس الأسد الصعاب  
ما الظن بالظبي الأغنى الأهيف ، الغصن ، الإهاب  
ما يعصم الغيد الغرا مز ، والحجا عنهن عاب ؟؟  
قال الحكيم ، ولم يكن ما قال بالقول الكذاب<sup>(٢)</sup>  
نصف النساء - إذا رقصن - هوى إلى درك الخراب  
وإذا شربن فنصفهن يروح نهبا للذئاب

(١) أرياق : جمع ريق ، ولاراد به ماء المطر على التشبيه .

(٢) يقول بعض حكماء العرب - وهو العليم ببيئته - : إن نصف النساء يسقط في الرقص ، والنصف الآخر يسقط في القراب .

## خواطـر عانس

للشاعر محمد أحمد العزب

ربما يأتي .. إذا صليت في جنح المساء  
ربما يأتي إذا رجرت في عيني دموعه  
ربما ينسل من خلف مجاهيل المدى  
آه .. كم يشفق بأبي نقرات من يديه  
كل ما في البيت مشدود الزايعين يصلي  
حزمة من أغنيات الشوق في صدر البيان  
مثل ما بالرمل من توق إلى سيب المطر  
مثل ما بالزورق المجروح من حب القرار  
بي إليه .. غير أني لا أرى يوما خطاه  
خلف بابي .. ألف حلم يخنق الوهم صداها  
وسريري .. كم على صدر سريري بتعبري  
أمصغ الآهات في صمت ضير لا يبين  
أتمنى في ظلال الصمت أطياف لقاء  
أرتمي تحت خطاه طفلة الشوق سلبية  
فارسي الموعود .. يا حلى .. ويا فجرى الظمى  
أذرعى المطلوبة العذراء تدعوك فيها  
الذى اشتاقه أن تطرق الباب .. وتدخل  
آه كم أعبد أن تسأل عني عن شرودي  
لا تدعني أقطع العمر سؤالا ما سئلت  
فارسي : ليل رفيقاتي مراح وصداح  
كل سوسانة حقل صادفت في الحقل طيرا  
وشبابي وردة عذراء نامت مقتاتها  
كم على صدر ظنوني البيض نقلت خطايا

ربما يأتي .. إذا صعدت لله الدعاء  
أو إذا أشعلت في ليل الحزاني ضوء شمعة  
ليدق الباب دقات رقيقات الصدى  
وجدارى الساهم الظمآن كم يهفو إليه  
مخدعى الباكي .. إناء الزهر .. أحلامى وظلى  
تمطر الليل نشيداً من حنين .. وحنان  
مثل ما بالحن من شوق إلى بوح الوتر  
من لهات الشوق للشاطيء في ليل البحار  
تزرع الفجر على درب جراحي .. لا أراه  
ألف غصن يحرق الجذب براعم صباها  
أحضن اللاشيء .. أمتص عذاباتي حيرى  
مثل في طير راسف في القيد مجروح الأنين  
تحت كرم هارب خلف متاهات الفضاء  
وهو يدعوني إلى دنيا انطلاقات غريبة  
أذرعى تدعوك من خلف الضباب المعتم  
كن كما شئت إذا أقبلت .. صلدا أو سخيّا  
باحثا عني .. عن الكرم الذى أوشك يذبل  
فأنا ما زلت أشتاق سؤالا عن وجودي  
فأنا أنثى عشقت الحب لكفى حرمت  
وأنا ليل رياح .. وجراح .. ونواح  
يملا الأفق حوالها أغاريدا وشعرا  
فوق حلم هارب الأطياف يتمص شذاها  
كم زرعت الغيب والمجهول بحثا عن فتايا

قصة مجنونة الأشواق ترتج بقلبي  
يزرع النجمات في صيني . وفي ليلى الوحيد  
وعلى أهدا به لوني . وإيماءة ذوق  
وحيني كم مشى في التيه يستجدي حنينه  
فارعا كالسرو . ممشوقا . وسيا . كإله  
وغدير فوق شطيه تصلى الأغنيات  
يرامى فيه عصفوران في رعدة صمت  
لا . ولا شالت ستاري كفه عبر المساء  
وبقايا وردة في حجرتي ماتت وحيدة  
ربما صادفت فيه فارسا . شهما نبيلًا  
ليدق الباب . . دقات رقيقات الصدى

محمد اصمحر الزب

كم تراءى لي رواء الليل . . . أسطورة حب  
عاشقا بنسل كالأعصار يحتاج جليدي  
فارسا يأتي وفي عينيه إطلالة شوق  
كم تراءى لي . وكما قبلت في الصمت جبينه  
وبعين اليأس والحرمان . في ليلى أراه  
مقلته خيمتا سحر . . ونبا ذكريات  
وعلى كفيه عش مثلما أشتاق يتي  
ويدق الصبح شبا كي . ولا الفارس جاء  
الفراغ الجهم من حولي . وأحلامي الشهيدة  
غير أني خلف قضبان سادعوه طويلا  
ربما ينسل من خلف مجاهيل الصدى

( بقية المنشور على صفحة ٣٤٨ )

يجمعون عن الجواب النافع إذا قابلوا بين  
العدة التي استعد بها الإسلام أمس للإيغال  
في قلب القارة الإفريقية وبين عدته التي قد  
يستعد بها اليوم للشباب والمزيد من التقدم ،  
ولا يبدو على أكثرهم أنه ينتظر من القارىء  
جوابا إلى الإيجاب إذا سألوا عن القوة  
الكامنة في المسلمين : هل هي كفؤ لرسالتها  
الجديدة في القارة الإفريقية ؟ ١ ؟

عباس محمود العقاد

لمقاومة الإسلام ، فالتم يأت المستقبل بنبا  
جديد عن علاقات الوطنيين الإفريقيين بهذه  
القوى المتقابلة فهناك دور هام للعرب أو  
للإسلام في القارة الإفريقية يحسب له حسابه  
الكبير في توجيه مستقبلها القريب .

وهذا جواب معلق على سؤال المؤلف  
عن المصير ، ولكنه يخرج بجوابه المعلق  
من تردد الشك والإيهام إلى بعض الوضوح  
حين يشير تلك الإشارة إلى الدور الإسلامي  
المحتمل ؛ لأن الفريق الأكبر من الباحثين

# الكتب

نظرات في كتاب :

## فلسفة تاريخ محمد

للأستاذ محمد جميل بيهم

بقلم : الأستاذ محمود الشراوى

قرأت له في الأسابيع الأخيرة كتابين ،  
تفضل فأهداهما إلى ، هما : « أسرار ما وراء  
الستار : الإتحاد السوفييتي والصين الشعبية  
كأنك تراهما ، وهى دراسة مفصلة قام بها  
لوتين الجمهوريتين بعد دعوة رسمية له منهما .  
والكتاب الثانى : « فلسفة تاريخ محمد ،  
وهو الذى أكتب هذه الكلمة عنه وعن آراء  
فيه ذات قيمة وملاحظات لها خطر ووزن :  
أول ما نجد للؤلؤف منهجه الذى رسمه  
لنفسه فى تأليف الكتاب وتناول موضوعه  
يقول فى رسم هذا المنهج إن كتابه هذا :  
دراسات علمية وتاريخية فى النواحي  
السياسية والاقتصادية والاجتماعية حول  
الظروف العالمية والأحداث التى تقدمت عهد  
النبي أو عاصرته ، سواء أكان ذلك فى جزيرة

مؤلف هذا الكتاب ، الأستاذ محمد جميل  
بيهم - لبنان - له فى حياتنا الثقافية مكانة  
مرموقة ، وله فى الدراسات التاريخية  
والإسلامية مباحث وآراء ذات قيمة ، صدر  
له خمسة عشر كتابا فى السنين الأربعين  
الأخيرة عن المرأة فى التاريخ والشرائع ،  
وفلسفة التاريخ العثماني والانتدابات فى  
فلسطين وسوريا ، وقوافل العروبة ومواكبها  
خلال العصور - أجزاء - والعروبة  
والشعوبيات الحديثة ، والعرب والترك فى  
الصراع بين الشرق والغرب ، وله دراسة  
موجهة فى موقف الشرق العربى من أحداث  
العالم الكبرى الحاضرة هى : « واشنطن تعبد  
الطرق لموسكو فى بلاد العرب والمسلمين ،  
وغير هذا من الكتب والدراسات .

يقول الأستاذ بهم في ذلك : « ونحن وإن كنا لا نعبأ بالدعوات سواء أتت من الغرب أم من الشرق ونعتبرها مأجورة لهذا أو لذلك إلا أن أمراً واحداً أثار اهتمامنا ... وهو استمرار بعض المؤلفين الأجانب على النيل من محمد استناداً إلى الصورة المزوقة التي وضعها له بعض أصحاب السير على شكل لا يتفق مع صورته الحقيقية .

إن هذا الأمر كان حافزاً لى على تأليف هذا الكتاب الذى أتوخى فيه وضع سيرة نبينا على حقيقتها البشرية دون زيادة أو نقصان ، بغية ألا يبقى لهؤلاء الأجانب مبرر للنيل منه استناداً إلى صورته المليئة بالخرافات ص ٦

والأستاذ المؤلف يعتمد طبعاً ويستشهد بآيات القرآن الكريم والحديث الصحيح - كما فعل غيره من كتاب السيرة - غير أنه يزيد عليهم ، وينفرد عن أكثرهم بأنه يضع « سيرة الرسول بأسلوب يعتمد على النواميس الطبيعية التى تربط الأسباب بالمسببات ، وترتب النتائج على المقدمات ... ولأن محمداً ، ذلك السكائن العظيم الذى أصاب ما أصاب من نجاح ، إنما يعود نجاح رسالته إلى أسباب متصلة بالنواميس الطبيعية ، كما يعود إلى صلاح هذه الرسالة ومجيئها فى الوقت المناسب ، - ص ٦ -

العرب أم فى غيرها من أنحاء العالم ، تلك الظروف والأحداث التى مهدت لرسالته ، وأمنت نجاحها بمقتضى النواميس الطبيعية .

وهذه السطور القليلة فى رسم المنهج تدلنا على قيمة الكتاب وإدراك الحاجة إليه بعد أن رأينا ، وما نزال نرى فى بعض البلاد ، من تلك الكتب الكثيرة فى « السيرة النبوية » التى ملأها أصحابها بالقصص والأساطير والإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، تلك الكتب التى لا تكتب : « سيرة النبي محمد ، أو : « محمد الإنسان ، وإنما « تروى ، « ماثورات ، عن أشياء يرضى عنها « إيمان العجائز ، كتلك التى نجدناها عند القاضى عياض وأمثاله ، ولكن العصر وثقافته لم يعودا يحتملانهما ولا يتأثران بها ، وقد نتج أثراً عكسياً .

وهذا بعض الأسباب لاهتمامى بهذا الكتاب وإشارى إياه بالنقد .

\*\*\*

منهج الكتاب هذا جعل المؤلف يدرك ويذبه القارئ إلى الخطأ الذى يوجد فى تلك المبالغات الشاذة من جعل المعجزات والخرافات السماوية هى عمدة السيرة النبوية وقوامها وأساسها .

### المعجزات والخوارق :

يقول الأستاذ بهم : « وقد اقتبس بعض المسلمين طريقة التزويق في عرض سيرة الرسول حينما تناول الأعاجم منهم تدوين التاريخ : ذلك بأن فريقا من هؤلاء كانوا يشتهون أن لا تبقى سيرة النبي مجردة عن الخوارق والمعجزات التي تحفل بها سير أنبيائهم في أديانهم السابقة ، فراحوا يذسبون لمحمد معجزات لم يرد ذكرها في القرآن ، ولم يشر لها الحديث . وعلى ما روى كتاب : « مفيد العلوم ومبيد الهموم ص ٢٦ » فإن معجزات الرسول بلغ عددها ٤٠٥٠ معجزة جمعت في مجلدين . ولما وضعوا سيرة مولد النبي استساغ بعض الفرس الذين أسلوا أن يزجوا فيها تلك الخرافات التي كانت تحفل بها سيرة نبيهم السابق زرا دشت . فجاءت قصة المولد على شكل مليء بالخوارق التي لا تتفق مع مصادر الإسلام ومليء بما لا يلائم مع عظمة محمد » ص ٢٢٤ - ٢٢٥

فالأستاذ المؤلف يجعل حياة النبي محمد - في جملتها - حياة طبيعية خالية من المعجزات والخوارق - عدى القرآن المنزل طبعا - ويجعل انتشار الدعوة المحمدية كذلك أمراً طبيعياً قائماً على أسباب عادية من فساد الحكم

على هذا المنهج العلى الطبيعى البعيد عن التأثير بالعاطفة الغشيمة وعن الإيمان بالخوارق يسير المؤلف في دراسته فيحدث عن الأديان وتدرج الإيمان بها من الوثنية البدائية إلى التوحيد المطلق : « ملة إبراهيم حنيفا » . ويتحدث عن تلك الخصومات الحاقدة الشريرة التي جعلت كثيرين من الغربيين يتناولون سيرة محمد بألوان من الإفك والسخيمة ، كما فعل كيمون وبراديه وفوستر ورينان وجولد تسيهر ودروتي . ثم تحول كثيرين منهم إلى الحق والإنصاف وإكبار محمد النبي والإنسان كما فعل كارليل الإنجليزى وريلاند الهولندى وكانييه الفرنسى وجوته - شاعر ألمانيا الأكبر - وغيرهم من الإيطاليين والأمريكيين .

وفي هذه الدراسة وهذا التسجيل لا ينسى المؤلف دعوة الكتاب وأهل الأديان عامة إلى المحبة والتفاهم والأخوة البعيدة عن التعصب والشطط .

وكلمة التسامح والمحبة والفهم أعتقد أن الفاقين المخلصين من رجال الفكر الدينى عليهم واجب الدعوة - بل الإلحاح في الدعوة لها - بين أصحاب المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة وهذا حديث قد وفيناه حقه في كتابنا « تقويم الفكر الدينى » .

ومؤازرة اليهود<sup>(١)</sup> - أول الأمر - لدعوة الإسلام ، وفزع أهل مكة المشركين من هجرة المسلمين للمدينة خوف المنافسة الاقتصادية ، وخشية أن تتفوق المدينة على مكة في المنزلة والمال والتجارة - ص ٩٤ - ٩٧ .

كما يذكر أسباباً اقتصادية أخرى لحرب النبي عليه السلام الروم - ص ١٢٧ وما بعدها

### قضايا هامة :

ويثير الأستاذ بهم في كتابه هذا طائفة من القضايا الهامة بعضها من التاريخ وبعضها من الأدب وبعضها من الدين : من ذلك قوله إن العرب في الجاهلية كان لهم أدب وكانت لهم ثروة . ولم يكونوا أهل فقر وجهل ، كما يخيّل لعامة الناس ، - على حد تعبيره - وإنما كان الفقر والجهل محصورين بين الأعراب من أهل البادية ، وليس ذلك صادقاً على أهل الحضارة في اليمن والشام والعراق ، ولا أهل المدن في الحجاز ، كمكة والطائف ويثرب ، ص ٤٢ .

وهي قضية فصلها المؤلف وأقام عليها من الأدلة ما يكفي لإثباتها ( الفصل الثالث ) .

(١) نجد مباحث هامة عن موقف اليهود من النبي محمد في كتاب « تاريخ اليهود في بلاد العرب » للدكتور اسراييل ولفنسون . لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

في الدولتين القويتين المعارضتين للدعوة : بيزنطة وفارس ، وانصراف أهلها وحكامها للخصومة المذهبية والجدل البيزنطي المشهور . فليس في تاريخ محمد - على رأى المؤلف - خوارق ولا معجزات ، وليس في انتشار دعوته خوارق ولا معجزات - أنظر الفصل الرابع ، ص ٧٠ - ٩٧ - وأيضاً الصفحات ١١٤ و ١٥١ .

ونحن نستطيع أن نقول : إن اختيار الزمن الذى ولد فيه محمد وبعثه برسالة الإسلام في وقت ضعفت فيه الدولتان القويتان المعاصرتان : بيزنطة وفارس هما مظهران من أبرز مظاهر العناية الإلهية وتوفيقها لنجاح الدعوة المحمدية ، ولو لم يكننا معجزة بالمعنى العلى لها .

### أبواب اقتصادية :

ومن الآراء الهامة التى قد تكون جديدة في المؤلفات العربية عن سيرة النبي عليه السلام إبراز المؤلف للناحية الاقتصادية وأثرها في محاربة الدعوة المحمدية وانتشارها . فهو يذكر الأسباب الاقتصادية في موقف الخصومة التى اتخذته قريش حيال صاحب الدعوة

معروفة في تاريخ المسلمين ، وما يزال لها إلى الآن آثار .

ومن هذه القضايا ما « يعتقد » المؤلف من أن « الصابئة » الذين ذكرهم القرآن الكريم كانوا فرقة من الفرق النصرانية عاصرت محمداً ، وكانت تحمل هذا الاسم ، وهذا الاعتقاد قد يكون صحيحاً ، ولكن الاستدلال الذي ساقه المؤلف لصحته بما ذكره معجم لاروس الفرنسى عن كلمة : " Sadéisme " وما ذكره صاحب تفسير « الجلالين » من أنها « طائفة اليهود أو النصارى » : هذان الاستدلالات لا يكفيان ، في اعتقادى ، لصحة القضية ( ص ٣٨ - ٣٩ ) .

وكذلك يقول المؤلف إن « اليهود ما إن رأوا الإسلام بدأ ينتشر في يثرب حتى رحبوا به على اعتباره فرعا من اليهودية مفروضا أن يكون مؤيدا لهم على الوثنية فيها ، وحتى شجعوا ، بطرقهم الخاصة ، المسلمين من أهلها على إقناع محمد بأن ينتقل إلى يثرب ويهجر مكة » : ص ٩٤

وهاتان دعويان ساقها المؤلف بلا دليل ، ونحن نعرف أن الهجرة من مكة إلى المدينة كانت بوحي من الله . لا شأن لليهود ولا « تشجيعهم المسلمين » بها . ولا شأن « لإقناع » المسلمين للنبي بها أيضا . وعندما ذكر المؤلف « الصابئة » :

ومن هذه القضايا الهامة ما قاله المؤلف من أن أكاسرة الفرس أظهروا من الجفاء للنبي محمد ما هو معروف مشهور لا سبيل إلى الشك فيه . ولكن الجوس من أهل فارس وجدوا أنهم يلتقون ورسالة محمد « في صعيد واحد عند حامل مشعل الوحدة الأولى ، فلم يظهروا له جفاء دينيا مثلما أظهر أكاستهم له من الجفاء السياسى ، إذ رأوه يحول جزيرة العرب إلى الامبراطورية البيزنطية دونهم ، حتى إذا استغل الإسلام من بعد انحلال الجوسية ، وانحلال السلطة الفارسية وتمكن من استئصال دولة الأكاسرة ، أقبل الجوس عليه مسلمين » .

والشق الثانى من القضية - أى دخول الجوس فى الإسلام راضين غير كارهين وشعورهم « بالانتماء » مع رساله النبي محمد فى صعيد واحد - هذه الدعوى لم يقم عليها من المؤلف دليل وهى يمكن أن تكون مشار شك وجدل شديد ، فأين عبدة النار ممن يؤمنون بواحد قهار؟ وأين لإدلال الفرس بمجدهم وتاريخهم ، وإحاسهم الراسخ حيال الشعوب الأخرى وما رسخ فى نفوسهم من الشموخ والتعالى عليهم - وبخاصة العرب - ذلك الشموخ الذى بقيت منه مخلفات راسخة عميقة بعد الإسلام أيضا ، كان لها آثار كبيرة



قليلة ، بعضها في اللغة وبعضها في رواية النصوص وتقلها ، وكثير منها في الطباعة : فهو يكتب كلمة : « الذمام » مثلاً الزمام : حفظ العهد والذمام » ص ٤٢ و ٢٠٦

وكذلك يقول : الزود عن الحياض - ص ٦٢ وصحتها « الذود » وفي ص ٦٣ يقول : « ذبيبة الجارية » وهي « ذبيبة » وكذلك كلمة « مزريه » يكتبها « مذريه » - ص : ٦٧ - وفي هذه الصفحة نفسها نجد كلمة « النزر » وهو يريد « النذر » ويضع الواو بعد « بل » ص ١٤٦ - وهو خطأ فاش يقع فيه كثير من السكتاب . ويضع أيضا بعدها حرف الفاء - ص ٨٠ - وفي ص ١٣٧ نجد تعبيراً بمعناً في العامية هو : « فاعدا بما بدا .. الخ » كما نجد - في ص ٤٨ - تعبيراً غير مستقيم عربياً ، يدرك ذلك من يتأمل السطور : ١١ ١٧ من هذه الصفحة .

هذه أمثلة من الخطأ في الكلمات ، وفي الصياغة . وهناك أخطاء في نصوص القرآن الكريم ورواية الحديث الشريف ، هذا بعضها :

ص ٨٥ : الآية الكريمة : . وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه . كتبت الكلمة : « يستنفذوه » .

« ص ٢٩ و ١١٨ » أورد الآية الكريمة من سورة البقرة : ( إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) : ٦٢ أورد المؤلف هذه الآية الكريمة ثم قال إنها وردت : « في مجال تطمين المؤمنين منهم عن المصير » - ص ٣٩ -

وهذه ، كما أعتقد ، إشارة إلى تفسير للآية لمح له الإمام محمد عبده <sup>(١)</sup> ولكن المفسرين والعلماء ورجال الفكر الديني عامة ينكرونه ويسخطون عليه أعنف السخط . وكذلك ما ذكره الأستاذ عن النسخ في القرآن : ص ٢١٩ - ٢٢١ يحتاج ، من الناحية العلمية ، إلى تحرير ، كما يقول العلماء .

### ملاحظات ومآخذ :

الكتاب جيد الورق حسن الطباعة ، له غلاف ملون مرسوم برسوم عربية جميلة . ولكن هذا الرونق لم يعفه من أخطاء غير

(١) انظر : ص ٣٣٤ من تفسير الأستاذ الإمام للشيخ رشيد رضا العليمة الثالثة : تفسير الآية ٦٢ البقرة . و ص ١٦١ - ١٦٤ من تفسير الشيخ الإمام لجزء عم : الأميرة ١٣٢٢ .

وكما نزل بها القرآن هي : « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » الأنبياء : ٦٩ .  
والآية ، كما رأينا ، في سورة الأنبياء  
لا في سورتي الأنعام والصفات .

وفي الكتاب ملاحظات أرى من الخير  
ألا تمر من غير تعليق : من ذلك أنه أورد  
خطبة قس بن ساعدة المشهورة التي ألقاها  
في سوق عكاظ : « إن في السماء لخبراً ، وفي  
الأرض - وصحتها وإن في الأرض - لعبراً . الخ »  
ويقول المؤلف إن النبي عليه السلام « سمع  
هذه الخطبة قبل البعثة » ثم « جاءت عبارات  
منها في القرآن » ص ٥٠

ودعوى أن النبي عليه السلام سمع خطبة  
قس قد تكون صحيحة ، ولكنها تحتاج إلى  
دليل ، ولكن المؤلف الكريم لم يدلنا على  
هذه « العبارات » التي جاءت في القرآن الكريم  
من هذه الخطبة .

ثم : هذه القصة التي أوردها المؤلف  
ونسب فيها لقس ما نسب من بشارة نبي  
جديد ، هذه القصة أجدها ببرر الشك فيها ،  
ولو أن المؤلف نقلها عن « السيرة النبوية »  
ولم يقل لنا في أي سيرة هي من السير  
- ص ٥٠ أيضاً - .

وأورد المؤلف - ص ١٦٦ و ٢٢٢ -  
قصة وفد ثقيف ودخوله الإسلام ، وأنهم

ص : ١٠٢ الآية الكريمة : « وأنذر  
عشيرتك الأقربين » كتبت الكلمة : « وأنذر »  
ص : ١٤٣ الآية : « لا إكراه في الدين  
قد تبين الرشد من الغي » كتبت : « فقد » .  
وفي رواية الحديث أخطاء ، منها الحديث  
المشهور : « لا عمل لديناك كأنتك تعيش أبداً ،  
واعمل لآخرتك كأنتك تموت غداً » وردت كلمة :  
« أحرث » بدلا من : « لا عمل » ص ٢٣٧  
والحديث الشريف : « والله ما نالت من  
قريش « شيء » أكرهه حتى مات أبو طالب »  
والخطأ في كلمة « شيء » واضح - ص ١٠٧  
وفي كتاب النبي عليه السلام إلى قيصر  
الروم وردت كلمة « الأريسين » خطأ -  
ص ١٤٤ -

وهناك أمر لا أستطيع الجزم بأنه خطأ  
أو لبس ، فقد جاء في ص ٣٨ هذا التعبير :  
« وفي القرآن حوار - أي إبراهيم - معهم  
وكسره أصنامهم ، ومحاوالتهم لإحراقه ،  
فكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم كما جاء  
في سورتي الأنعام والصفات » .

ووضع كلمات : « فكانت النار . الخ »  
وما بعدها بين قوسين بالحرف الأسود  
الكبير الذي يميزها عن سابقها ولاحقها ،  
وتعقيها بجملة : كما جاء في سورتي الأنعام  
والصفات ، يوهم بأن ما بين القوسين هو نص  
الآية ، وليس الأمر كذلك ، فالآية كما نحفظها

إذا أسلوا (١) .

ومن هنا نعرف وجه الصواب فيما ذكره المؤلف من أن النبي عليه السلام : «أبى عليهم إلا أن يسلبوا دون قيد أو شرط» ، فإنه قبل بعض شروطهم وعلل ذلك ، عليه السلام ، بأنهم سيفعلون ما يجب على كل مسلم أن يفعله من بذل الزكاة والخروج للحرب ، إذا أسلبوا وأشربوا حب الدين .

وقد تحدث المؤلف ، في الفصل العاشر ، عما سماه بالخط أو القدر السعيد الذي رافق محمداً عليه السلام ، ثم ذكر - في ص ١٩٨ - ١٩٩ - قصة الغار والعنكبوت التي يعرفها قراء المولد النبوي ، وسامعوه ، ويقول بعد ذلك إن الخط ، أو القدر ، إن شئت أن تقول ، هو الذي صرف المطاردين عن ملاحقة النبي وصاحبه ومنعهم من دخول الغار .

وما دام الأستاذ المؤلف يؤمن بصدق هذه القصة عن الخامتين والعنكبوت - على خلاف منهجه في الكتاب - فالأمر عندئذ أمر معجزة إلهية ، لا أمر حظ وقدر وتوفيق ومصادفة سعيدة .

وفي ص ١٧٥ نجد تعبيراً خائفاً للتوفيق ،

(١) أبو داود ، كتاب الخراج والإمارة والمقيم . باب : ما جاء في خبر الطائف .

شرطوا لإسلامهم بعض الشروط ، ثم يقول «ورغم ما يعرف من بأس ثقيف ، ورغم ما يعلق على إسلامها من فوائد ، فإنه أبى عليهم إلا أن يسلبوا دون قيد ولا شرط» .

وقصة إسلام ثقيف - كما سجلتها كتب السيرة والحديث - تختلف عن ذلك ، فقد ( قدم ) وقد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزلهم المسجد ، ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا يحشروا (١) ، ولا يعشروا (٢) ، ولا يجبوا (٣) ، ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال عليه السلام : إن لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ، ثم قال عليه السلام : لا خير في دين لا ركوع فيه (٤) .

وروى أبو داود : ( عن وهب قال : سألت جابر عن شأن ثقيف إذ بايعت قال : اشترطت على النبي صلى الله عليه وسلم الأصدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول : سيصدقون ويجاهدون

(١) لا يجاهدوا ولا يحاربوا

(٢) لا يدفعوا عشر الزكاة .

(٣) لا يصلوا .

(٤) مسند أحمد ، ج - ٤ - ص ٢١٨ .

## إشارات وتوجيهات :

وليس : « فلسفة تاريخ محمد » كتابا يتحدث عن التاريخ وفلسفته في حياة محمد فقط ، بل يتضمن إلى ذلك إشارات ذات قيمة لحاضر المسلمين اليوم ، كهذه الإشارة إلى وحدة عربية قائمة على الألفة والتفاهم والمحبة والمنفعة - ص ١٦٠ - ويتضمن توجيهات مختصرة صادقة ، كذلك الحديث المؤثر المفيد عن « الإخلاص » الذي قال فيه المؤلف : ( . . . بهذا الإيمان الصحيح الثابت المنزه عن الأغراض الدنيوية ، وبهذا الإخلاص في إبلاغ رسالته ، استطاع محمد أن ينقل إيمانه إلى قلوب المؤمنين ، وأن يذل كل عقبة كانت تعترض سير الإسلام وانتشاره ) ص ١٦٧ - وأيضاً : ٢٤٧ .

وهذه دعوة نرجو أن يصغى إليها ويستوحيا ويعمل بها المسلمون اليوم ، وأن يتأملها ، على وجه خاص ، بعض المشتغلين بالفكر الديني اليوم بين المسلمين في بلادهم جميعاً .

محمود الشرفاوى

فهو يتحدث عن ثياب النبي عليه السلام ؛ وتواضعه في ملبسه ومأكله ومسكنه ، ثم يقول « أما بيته فكان من البيوت الوضيعة » والسياق لا يدفع مجالا للشك في أنه يريد بالبيت « المسكن » ولكن التعبير - كما قلنا - خانه التوفيق . فهو يريد أن يقول إن النبي عليه السلام كان يسكن بيتاً « متواضعاً » . وهناك خطأ في الشعر ، فالبيت المشهور - وهو للبتني - الذي يقول :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلاء ،  
مضر ، كوضع السيف في موضع الندى  
هذا البيت وضعت فيه كلمة « للعدا » بدلا  
من كلمة « بالعلاء » ص ١٦٨ .

\* \* \*

على أن هذه الملاحظات والمآخذ الهينة لم تقص من قيمة هذا الكتاب الجيد الذي أفدت منه واستمتعت به وتعلبت عليه أشياء كثيرة ، والذي أنصح المشتغلين بدراسة السيرة النبوية الكريمة ، والثقافة الإسلامية بعامة أن يطالعوه وأن يفيدوا منه مثل ما أفدت ويستمتعوا .

## لفت نظر ..

عاديا وإن كان أعظم مصلح ولم يعتمد على معجزات وخوارق كما اعتمد الأنبياء قبله ، وقد نسب الكاتب للأستاذ الإمام محمد عبده

يلاحظ القراء أن المؤلف - كما ذكر الكاتب الأستاذ محمود الشرفاوى - جرى على اعتبار محمد صلى الله عليه وسلم مصلحا

بعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً .  
أو لئلك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين  
عذاباً مهيناً .

أما الخوارق فحسبنا أن نشير إليها بقصة  
الإسراء وبقول الله : « وما كنت تتلو من قبله  
من كتاب ولا تحطه بيمينك » ، وقوله « هو  
الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم  
آياته ويزيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ،  
وإن كانوا من قبل لني ضلال مبين » ، وقول  
الشاعر الحكيم العالم شوقي :

جاء النبيون بالآيات فانصرفت

وجئتنا بحكيم غير منصرم  
آياته كلما طال المدى جدد

يزينهن جلال العتق والقدم  
ويكفي الآن هذه الإشارة العابرة أو اللوحة  
الطائرة والسلام على من اتبع الهدى ؟

عبد الرحيم فوده

رأيا أنكره عليه العلماء في فهم قول الله :  
« إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى  
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل  
صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون » .

وقد عرض الكاتب بكتاب ( الشفاء )  
للقاضى عياض على ماله من قيمة عظيمة ،  
والمعروف الذى لا يحمله عالم أن الإيمان بالله  
لا يفهم على معنى الإيمان بذاته لأن ذاته تعالى  
فوق أن يحدها الكشف والوصف ، ولأن  
متعلق الإيمان لا يكون إلا نسبة ، فالإيمان به  
معناه الإيمان بوجوده وقدرته وكتبه ورسله  
وكل ما ينسب إليه من صفات الكمال ، وما  
يصدر عنه من أقوال ، فعنى « من آمن بالله »  
بعبارة واضحة صريحة - من أسلم ودخل في  
دين الله بدليل قوله تعالى « إن الذين يكفرون  
بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله  
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر

## تعريف طريف للشعر

حلم الشاعر إغفاء في صحوة الضمير ورقابة  
العقل ، فلا هو رؤيا ولا هو رؤية . هو نتيجة  
روحية سابقة لا تنبأه العقل ، وقضايا منطقية  
سابقة لقياس المنطق ، إدراك خالص للتصور  
وللضمير في وقت واحد ، يكون فيه الشاعر  
وهو ذاهل في تأمله ، مستغرق في تخيله آمنا  
من الضلال بعيدا عن الخطأ . وكذلك القول  
في كل فن وفنان .

قرأت في كتاب « دراسة الشعر » لأدريان  
تلجر تعريفا للشعر أعجبني اللآب اكسفاييه  
بيننلى اليسوعى وذلك قوله : « الشعر حلم يتنبأ  
في يقظة العقل » والمعنى الذى فهمته من هذا  
التعريف أن الشعر أو الفن على الجملة نشاط  
روحي يتسم بالفكر والمنطق . فالشاعر يحلم  
ولكنه يدرك ما يترأى له . . يحلم وعيناه  
مفتوحتان . وما يحلم به في يقظته ، يختلف  
في طبيعته وفي نتيجته عما يحلم به النائم في نومه .

## دراسة في ديوان : أيام من عمري للشاعر : ابراهيم محمد نجما بقلم الأستاذ محمد عبد النعم خفاجي

— ١ —

من الأعماق ، ثم يتجلى في صورة فنية وإطار جميل ، ولكنه يصبح خطراً على روح الشعر وجوهر الفن حين يأتي من الخارج لحسب فيصبح ضريبة مفروضة تجعل الفن أقرب ما يكون إلى مجموعة من اللوائح والقوانين ، والتوجيهات والإرشادات ، مع أنه من البدهي أن الفن لا يعالج المشكلات ولكنه يصورها ، ولا يحلها وإنما يكتب بالإنحاء بها ومن البدهي أيضاً أن لغة الفن لغة رمزية ، لغة ترقص الباليه فكيف نريد من راقصة الباليه هذه أن تترك رقصتها الموحية ، لتقف خطيبة أمام الجماهير .

رأى مقبول ، أميل إليه ونحن لانستطيع أن نحاسب الشاعر برأى نقرضه عليه ، وإنما يجب أولاً أن نعطي الشاعر حريته ، ونستمع إلى رأيه ، ثم نحاسبه وفق هذا الذي رآه ...

الالتزام يذبح من الأعماق ولا يفرض من الخارج ، هذا هو رأى الشاعر نجما في الموضوع ، وهو رأى له قيمته ، ونحن

أسائل نفسي ، وقد انتهيت من قراءة هذا الديوان الجديد « أيام من عمري » للشاعر محمد ابراهيم نجما .

أولاً : ما الصلة الفكرية بين الشاعر ومجتمعه الجديد ؟ وبعبارة أخرى : ماذا يؤديه هذا الديوان من رسالة لتفكيرنا المعاصر ؟

ثانياً : ما الرسالة الفنية التي يدعو إليها هذا الديوان ؟

— ٢ —

وللإجابة على السؤال الأول نعود إلى مذهب الالتزام في الشعر الذي يدعو إليه بعض النقاد في مجتمعنا لحاجتنا إلى بناء نهضتنا الجديدة على أسس روحية تتجمع في دعمها كل طاقات الروح والفن . ويرفضه آخرون لأن الفن يأبى الالتزام ويؤمن بالحرية وللشاعر نجما رأى وسط في هذا الجانب كتبه في مقدمة الديوان ، قال إن الالتزام في الشعر لا بأس به حين ينبع

يدافع الشاعر عن الحرية والثورة ، وعن مبادئ الأحرار الثوار من العدالة وغيرها فيقول على لسان عصام مخاطباً أمه :  
وتذكرى الأحرار من أبطالنا

وبهم عززنا بعد طول هوان  
حملوا على راحتهم أرواحهم  
وتسلحوا بالعزم والإيمان  
وأثروا إلى الدنيا بأكرم ثورة  
هدمت صروح الظلم والطغيان  
عنوانها حرية وعدالة  
أكرم بما اتخذته من عنوان  
ويقول كذلك على لسان الطيف يخاطب  
أم عصام :

هو من شباب عاش أروع حقبة  
من عمره مع ثورة الأبطال  
لما ندافع عن مبادئنا التي  
نبني بها حرية الأجيال  
أشخاصنا تفنى ويسعد بعدها

بخلوده الوطن العزيز الغالي  
ومن هذا نسبين مدى التجاوب بين  
الشاعر ومجتمعه الثائر ، وبين شعره والثورة  
في وطنه وعصره .

وفي مطلع الديوان قصيدة جديدة عنوانها  
« بين ريح وشجيرة » ، في صدرها دعوة نبيلة  
إلى الحرية .. يقول الشاعر على لسان الريح  
يخاطب الشجيرة :

نحاسب شاعرنا بميزان نضع في إحدى كفتيه  
هذا الأصل الذي قرره الشاعر ، ونضع في  
الكفة الأخرى شعر الشاعر نفسه في ديوانه  
الذي تناقشه هنا .

إننا وإن كنا لا نعرف تاريخ نظم الشاعر  
لقصائد الديوان ، لأنه لم يذكر في آخر كل  
قصيدة العام الذي نظمت فيه ، كما يفعل  
كثير من الشعراء وإن كان هذا الديوان  
لا يحتوي كل شعر الشاعر ، لأنه لا يزال  
لديه مجموعات أخرى مخطوطة من شعره ..  
لكن الحكم من أجل ذلك لا يختلف في كثير  
ولا في قليل ؛ لأن الديوان قد ظهر هذا  
العام ، ونحن لا نقرض على الشاعر أن  
يكون ملتزماً ، بل نقول ونحن تناقش هذا  
الديوان : إننا سوف ننظر بعين الاعتبار  
إلى مذهبك في الالتزام ، وإنه لا بأس به  
حين ينبع من الأعماق ، ثم يتجلى في صورة  
فنية وإطار جميل .

فماذا شارك الشاعر نجما مجتمعه في تفكيره  
المعاصر ، الذي نستطيع أن نلخصه في الحرية  
والاشتراكية والقومية العربية ؟ .

للشاعر في آخر الديوان مسرحية شعرية  
وطنية ، عنوانها « في سبيل الوطن » ، سجل  
فيها بالحوار الشعري قصة أم ضحت في سبيل  
الوطن بآبن لها ، ثم ضحت في سبيل هذه الغاية  
نفسها بآبن آخر كذلك . وفي هذه المسرحية

هذه حياتى .. لهفة

حبرى ووجد وانطلاق  
والحرية هى أساس كل دعوة من دعوات  
بجتماعنا الثائر ؛ والشاعر إذا آمن بالحرية  
فقد آمن بكل شيء . وإذا دعا إلى الحرية  
فقد دعا إلى الاشتراكية والقومية ، وإلى كل  
نبيل من الدعوات .

ومن الصور الشاعرة التى كتبها الشاعر  
عن مجتمعه قصيدته « ليالى الحصاد » ، التى  
صور فيها جمال هذه الليالى فى الريف تصويرا  
رائعا نادرا ، وفيها يقول :

يا عذارى الحقول يا منية الأثر

واح رفقا بهذه الأعواد  
ويريد الشاعر أعواد القمح وسنابله :

لنها منبع الحياة لشعب  
ما تربى إلا على الأجداد  
قد غذاها بروحه نبيل مصر

وسقتها روائح وغواذى  
ورعتها الشمس المنيرة حتى  
هياتها لمنجل الحصاد  
حسبها أنها تمد عروقا

فى ثرى مصر كعبة القصاد  
كل نبت وكل شيء عزيز  
حين ينميه موطن الأجداد  
يا عذارى الحقول أين غذاء الر  
وح بعد الغذاء للأجساد

أنا أعلى منك شأنا

أنا أسمى منك قدرا  
هل يساوى العبد من عا  
ش مع الأيام حرا ؟  
والذى عاش اختيارا

دونه من عاش قسرا  
وللقصيدة نزعتها الفلسفية ، التى تأثر فيها  
الشاعر بشعر المهجر عامة ، ويابيليا أبى ماضى  
بصفة خاصة ، كما تأثر بذلك كله فى قصيدته  
الأخرى « وبقيت وحدى » ، التى تنطوى  
على نفس النزعة ، والقصيدتان من أروع  
شعر الديوان .

وإذا كان الجانب الرومانسى قد طغى على  
الديوان ، فإنه لم يمح شخصية الشاعر وتفكيره  
الموصول بتفكير مجتمعه ، وإن كان ما كتبه  
الشاعر فى ذلك الجانب قليلا من كثير .

ويتراءى إيمان الشاعر بالحرية فى كثير  
من قصائده الوجدانية ، يقول من قصيدته  
« أحزان المساء » ، يصور أن سعادته فى أن  
يحيا طليقا حرا :

لننى أشتاق أن أحيا سعيدا  
أترك السجن وأجتاز القيودا  
وأرى عمرى وقد صار نشيدا

هائما فى الكون يرتاد الوجودا  
ويقول الشاعر من قصيدته « عذراء »  
يصور حبه للحرية ، للانطلاق :



وعذراء ، وصلوات روح ، خاصة .  
والحب عميق الجذور في نفس الشاعر  
إبراهيم نجما ، ومن روائعه قصيدته « اذكرني »  
وصلة الحب الوثيقة بقلب الشاعر يؤكدها  
قوله من قصيدته « ضراعات » ...  
لولا الهوى ماتت الأشعار في خلدى  
ولم أكن لأذوق الحب لولاها  
ويقول من قصيدته « بلا أمل » يتحدث  
عن الحب ويفلسفه :

وأحسسته نورا يعانق مهجتي  
وينساب في قلبي انسياب الجدول  
ولمى لأهوى الحب حتى لو أنه  
يعذب قلبي بالشقاء الموصل  
عرفت به معنى الحياة وروحها  
وأدركت سر الكائنات الأوائل  
وللطبيعة سحرها عند الرومانسيين عامة ،  
و « نجما » من بينهم ، فهو يكثر من  
الحديث عنها في كل قصائده ، يصور فيها  
الحقل ، والخميلة والزهرة والبحر والماء  
والموج والهواء وغيرها من مظاهر الطبيعة ،  
ويتحدث عن الربيع في قصيدة مفردة  
عنوانها « جاء الربيع » . وقصائده : ليالى  
الحصاد ، وعلى الشاطئ ، وسواها ، صور  
جميلة لشعر الطبيعة الذى ينبع من أعماق  
نفس الشاعر ، إذ تترج مرأى الطبيعة بنفسه  
ووجدانه وخياله امتزاجا قويا .

إن تقدمه تقدم من مجدا  
وسناء وعزة للبلاد  
إنما الكون ساحة لسباق  
قوة الروح منه خير الجياد  
والقصيدة عالية النمط والأسلوب والتفكير  
وفيها مشاركة ظاهرة بين الشاعر ومجتمعه ،  
وإن كان تعبيره بكعبه القصاد جاء مفجعا على  
الصور الشعرية التى يؤديها الشاعر ..

— ٢ —

والإجابة على السؤال الثانى وهو الرسالة  
الفنية التى يدعو إليها الديوان ، أقول :  
إن الشاعر « نجما » يؤمن بالاتجاه الرومانسى  
فى الشعر ، هذا الاتجاه الذى دعت إليه  
مدارس : شعراء المهجر ، وشعراء الديوان ،  
وشعراء مدرسة أبولو . ومن قبلهم دعا إليه  
الشاعر « مطران » . وديوان « أيام من عمرى » ،  
مملوء بقصائد الحنين والشوق والحب والهيام  
التي يفنى الشاعر فيها ، إذ تتأجج هذه العواطف  
التيبيلة فى صدره ووجدانه وخواطره  
ومشاعره فى شتى قصائد الديوان . والتى  
يبدو فيها تأثر الشاعر إبراهيم نجما بالشاعر  
الكبير إبراهيم ناجى .  
وكقرب اسمى الشعارين بعضهما من  
الآخر تقارب الاتجاه الشعرى بينهما ، أو قل  
على الأصح : تأثر « نجما » بناجى تأثرا واضحا  
فى شعره عامة ، وفى قصائده : أحزان الوجود ،

فى بناء القصيدة ، كما فعل فى قصيدته « قصة شريد » . والقصائد ذات القافية الواحدة قليلة فى الديوان ، ومنها قصائد : ليالى الحصاد - بلا أمل - صارحيني - ضراعات - صلوات روح .

وفى شتى قصائد الديوان تحدث الشاعر عن نفسه وحياته وفلسفته فى الحياة أحاديث حاملة هامة رومانسية .

#### — ٤ —

وفى إجمال شديد أقول : إن رسالة الديوان الفنية تتخلص فى أنه بنهج الفنى دعوة قوية إلى بساطة التعبير وصدقه ، وإلى صدق الشعور ، وإلى التجديد فى بناء القصيدة العربية ، التجديد الذى لا يقتضى مع تقاليد الشعر ، ولا تأباه أصوله وأسسها الفنية .

إن إبراهيم نجا الشاعر قد وهب لغة الشعر طاقات جديدة ، ومنحها قوة وقدرة على إمكان متابعة الشعر للحياة وتأثيره فيها ، وتأثيرها به ، وذلك عمل كبير ، ورسالة جليلة ، نحمد من أجلها الشاعر وديوانه ، ونرجو لها التوفيق فى نشر هذه الرسالة وإذاعتها بين الناس .

محمد عبد النعم ففامى

ويؤمن « نجا » بضرورة تعبير الشاعر عن ذاته ، وتعبير الشعر عن نفس صاحبه ليأمنه ببساطة الأداء وصدق التعبير .. ومن ثم يؤكد فى مقدمته لديوانه أن الشعر يجب أن يكون صادق الشعور ، صادق التعبير .. ولغة إبراهيم نجا الشعرية لغة رقيقة عذبة يؤدى بها أضخم المعانى وأبسطها على السواء ويجعلك وأنت تقرؤها تؤمن بجمال البساطة فى الأسلوب والتعبير والأداء .

ويلتزم نجا الوزن الشعرى فى قصيدته ، وإن كان يجيز تعدد البحور فى القصيدة ، كما فعل فى قصيدته الوجدانية الرائعة « رسائل ضائعة » ، إذ نظم مقطعها الأول والثانى من بحر الطويل ، ومقطعها الثالث من بحر المتقارب . والقصيدة مع كلاسيكيتها فى الأسلوب رومانسية الصور والأخيلة والمعانى الشعرية . وكذلك عدد الشاعر البحر الشعرى فى مسرحيته الأخيرة ..

أما القافية فالشاعر فى أغلب قصائده ينوع فيها ، فيجعل قصيدته على نمط الرباعيات أحيانا كثيرة ، وقد يجعلها خماسية المقاطع أو سداسيتها أو ثمانية ، ولكل مقطع منها قافية خاصة ، وقد تختلف أبيات كل مقطع عن الآخر ، وقد يسلك نهج الموشحات

# بريد المجلة

وتسكلم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه  
ورسوله واليوم الآخر والجن والإنسان  
ورسائله في الحياة طبقاً لما يقول أهل السنة .  
وتسكلم عن أركان الإسلام والنهضات  
الدينية التي قامت في بلاد الإسلام ، وأشاد  
بالزكاة وقيمتها في الحياة الاجتماعية وأنها طريق  
وسط بين إلغاء الملكية وطفغان الرأسمالية .  
ورأيه في القومية العربية أنها تخالف  
القوميات الأوروبية وأنه لا يمكن البعد بها  
عن التراث الروحي الأمة العربية .

ثم تسكلم عن الاشتراكية العربية كما وضع  
أصولها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وفي  
نهاية مقاله تحدث عن صلة المسلمين القوية  
بدينهم ، وأعجب بالروح الدينية العالية التي  
تسود بلاد الجمهورية العربية المتحدة وروح  
التسامح العظيمة التي تظهر في تبادل الزيارات  
بين رجال الإسلام والمسيحية .

والمقال مراجعه من الكتب العربية الحديثة  
لكبار الكتاب المسلمين وهو جهد يشكر  
عليه من قراء اللغة الألمانية فقد جعل همه  
لإزالة كل الشبهات التي يقع فيها كل قارئ  
عن الإسلام في أوروبا .

عبد العزيز عبد المعطي عرفه

بإدارة الثقافة

المانى يكتب عن الإسلام :

نشرت مجله الأدب والحقيقة التي تصدر  
في فرايرج بألمانيا مقالاً تحت عنوان ( الإسلام  
والتيارات العالمية، للمستشرق (أرنست بانيرت)  
والمستشرق ليس غريباً عن الإسلام ،  
فلقد زار الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت  
وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر وأهدى إليه  
كتابه المشهور ( الإسلام عقيدة وشرعية ) .  
والمستشرق له كتاب ( الإسلام اليوم وغداً )  
ونشرت له المجلات الألمانية عدة مقالات  
عن الإسلام .

وألقى ثلاثين محاضرة عن الإسلام في  
جامعات فيينا ، كما ترجم حياة فضيلة الإمام  
الأكبر الشيخ محمود شلتوت من العربية إلى  
الانجليزية ، وله كتب أخرى عن الإسلام ،  
وهو مشغول الآن بمعالجة كتاب منهاج  
العابدين . والمرجع الأول له في كتابه  
كتاب ( الإسلام عقيدة وشرعية ) .

ولقد تناول في مقاله السالف عصر النهضة  
الروحية التي قادها الشيخ جمال الدين الأفغاني  
وحمل لواءها الشيخ محمد عبده ، وكيف  
تكونت مدرسة لها قيمتها يقودها اليوم  
الإمام الأكبر فضيلة الشيخ محمود شلتوت .

سطر ١٤ في معرض قصة المتخلفين الثلاثة قال:  
لأنهم ربطوا أنفسهم في أعمدة المسجد  
والصحيح أنهم لم يربطوا أنفسهم ولم يربطهم  
أحد .

يقول أحد الثلاثة: فأما صاحبى فاستكانوا  
وقعدوا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت  
أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة  
مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمنى  
أحد ... إلخ حتى إذا مضت أربعون ليلة  
من الحسنيين إذا برسول رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يأتينى يقول - يأمرك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أن تعزل امرأتك .. إلخ ..  
قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين  
ليلة على ظهر بيت من بيوتنا .. إلخ .. وكان  
الفرج . أقول - ظهر من هذا أنهم لم يربطوا  
أنفسهم في أعمدة المسجد .

وأما الذى ربط نفسه في سارية المسجد  
فهو أبو لبابة حين بعثه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه  
في ذلك فأشار بيده إلى حلقه أى أنه الذبح  
ففطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله  
ورسوله فحلف لا يذوق ذواقا حتى يموت  
أوتوب الله عليه ، وانطلق إلى مسجد المدينة  
فربط نفسه في سارية منه فكث كذلك  
تسعة أيام حتى كاد يخر مغشيا عليه من الجهد

**خطأ في قصيدة ( لا تكذبى )**  
جاء في قصيدة ( لا تكذبى ) الأستاذ  
الشاعر كامل الشناوى قوله :

ماذا أقول لأدمع  
سفحتها أشواقى إليك  
ماذا أقول لأضلع  
مزقتها خوفا عليك  
والوزن فى ( سفحتها ) لا يستقيم إلا إذا  
حذفت الألف من الضمير ( ها ) فنقول  
( سفحته ) فهل هذا يجوز ؟

**عبد الحفيظ محمد عبد الحليم**

**( المجلد )** حذف الألف من الضمير ها )  
لا يجوز صرفا ولا عروضا ، وكان من الممكن  
أن يقول الأستاذ الشاعر مثلاً :  
ماذا أقول لأدمع

أهرقتها شوقا إليك  
ماذا أقول لأضلع  
مزقتها خوفا عليك  
فيسلم من هذا الخطأ ويزوج فى الألفاظ  
بين البيتين .

**لفت نظر :**

جاء فى عدد شوال سنة ١٣٨١ هـ فى مجلة  
الأزهر فى مقال للدكتور سعد الدين  
الجزاوى صحيفة ١٢٢٠ من العمود الثانى

وإن كان يشتمل على ذم الهوى مطلقاً (ص ١٦) بل هو يقول في مقدمته التي ذكر فيها سبب تأليف الكتاب أنه نصيحة لمبتلى بالهوى قد أتى بها على أبلغ ترتيب (ص ١) والرجل قد جعل وسيلته في تناول موضوعه سرد الأحاديث والأخبار والأشعار ثم التعليق عليها ، وأحياناً يكون الخبر وحده مغنياً غناء باب من الشرح والتحليل .

فلا نستطيع أن نسلم أن ابن الجوزي عالم لم يكن له منهج محدود ، ولا نرى في سرد القصص والأخبار عيباً يشين الكتاب ، بل هي مادة نافعة زدنا بها المؤلف ربما كانت أنفع من تناوله وبيانه ، وهي طريقة متبعة في تأليف الأقدمين ، وهي في حد ذاتها منهج معترف به .

ثم تأتي مسألة الإسرائيليات في الكتاب ، أو الأخبار الواهية فيه على وجه العموم . فيرى الأستاذ أن ابن الجوزي حشاً كتابه بقصص لا يعبأ بها الإسلام في قليل أو كثير ، ويرى أنني لم أبين رأى الإسلام في هذا الغث الذي يحدث ارتباكاً في المفاهيم الإسلامية . والواضح لمن يقرأ الكتاب أنني تعقبت المؤلف في مواضع كثيرة ؛ ألفت النظر إلى نبوها عن الحقيقة أو وهن قواها . ففي هامش ص ٢٢ عقت على مجموعة قصص خرافية مستبعداً لها ومتمنياً لو أن ابن الجوزي لم يكثر بها .

فلما أنزل الله توبته وأرادوا أن يحلوه من السارية خلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خله ، فظهر من هذا أن هذه واقعة غير تلك ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله .

### محمد بدر الدين الفقيه المصري

#### تعقيب على نقد :

في عدد صفر من مجلة الأزهر تفضل الأستاذ محمد عبد الله السمان بنقد كتاب « ذم الهوى » لابن الجوزي الذي قمت بنشره . ومع أن الأستاذ كان حسن الظن بي حيث أطرى بعض عمل وقدره ، فقد أحببت أن أجيب بإيجاز عن استفسارات وأرد على وجهات نظر أثارها الناقد .

فقد رفض الأستاذ أن يكون الكتاب من كتب الفكر أو التوجيه الإسلامي بحجة أن ابن الجوزي لم يعتمد في كتابه على منهج محدود ولا مناقشة مدروسة بل اعتمد على سرد القصص إلخ .

ونحن لا نرى أن ابن الجوزي لم يعتمد على منهج محدود ، بل هو حدد منهجه من بداية الأمر أو قسم كتابه خمسين باباً تناولت كل جوانب موضوعه ، وهو ذم الهوى ، الذي قال عنه في بداية الفصل الثاني : « وكتابنا هذا لنم الهوى في شهوات الحس ،

وهو ليس في مجال تشريع أو أحكام ، بل في مجال موضوع نفسى محتاج لكل المؤثرات ، وهو يضع هذا الحشد من التراث ليوزن بموازين العلم وليفحص على مناهجه ، أما أن ننعى على كل ما نستغربه أو نستبعده فعنى هذا إحراق كل الموسوعات الحافلة بأخبار الأقدمين وآثار العصور .

وهذا التراث كان مادة التصوف ووسيلة التربية النفسية في عصر المؤلف وقبلة . وأخيراً يرى الأستاذ أن المسلم المثقف لا يرى في الكتاب إلا صدمة لنفسه ومفهوم الإسلام عنده .

وهذا عجيب ، فالكتاب لم يتناول مفهوم الإسلام ولا هو من كتب العقيدة أو الشريعة ، وليس إلا رحلة خلال العصور تجمع تراثها في ناحية الهوى والعشق من زاوية الإيمان والطهر ، ونهايته فصل رائع في أدوية العشق فيها ذروة التحليل وأمانة الخبرة ، وفيه ألوان جديدة ورائعة من الأدب الإسلامى فإذا يصدم المسلم المثقف ، إلا أن يكون عنى بالثقافة شيئاً آخر .

وأغلب الظن أن الأستاذ السمان لم يمنح هذا الكتاب من وقته إلا لحظات قليلة ولعله قلب بعض صفحاته في نظرات عابرة جعلته لا يتبين حقيقته ولا يدرك مرماه .

والأستاذ شكرى وتقديرى ؟

مصطفى عبد الواهر

( البقية في صفحة ٣٨٤ )

ثم في هامش ص ٥٧ استبعاد الخبر ذكره عن عمر . وفي هامش ص ١٠٥ و ص ١٠٦ بيان لوضع حديثين ذكرهما . بل إننى استنكرت ما يحكيه عن الإمام مالك وغيرهم من تشديدهم في مجالسة الأحداث ولو في ساحات العلم . وكذلك أخبار عن عمر ص ٩٨ ؛ وخبر منسوب إلى الرسول عن يوم الغيمياء ص ٥٠٠ وغير ذلك مما نفيته أو استبعدته .

وقد ذكرت في المقدمة أن فكرة الإحاطة والجمع في موضوع الهوى استولت على ابن الجوزى فألهته في بعض الأحيان عن نقد ما يورده وفحص ما ذكره من أحاديث وأخبار . وضربت لذلك مثلاً بأخبار يحيى ابن أكرم التى رواها بدون تحفظ وذكرت رد ابن خلدون وقلت : فما كان ينتظر من ابن الجوزى أن ينزلق إلى رواية كل ما قيل . والعجب أن الأستاذ السمان ذكر في نقده مثلاً للإسرائيليات قصة عابد بنى إسرائيل الذى نظر إلى امرأة فقلع عينه .

مع أن ابن الجوزى علق على هذه القصة بقوله : إن قال قائل : هذا قد فعل معصية بقلع عين نفسه ، فكيف صارت طاعة يتوسل بها ؟ وأجاب : إذا صح النقل عنه حمل على أنه كان ذلك في شرعهم جائزاً ، أما في شرعنا فذلك حرام .

ثم إن ابن الجوزى في كتابه ينقل تراثاً بلغه وانتهى إليه ، فيه الحق وفيه الباطل ،

# فَنَصَائِرُ لِحَبْنِ الْفِتْوَى

بشرّف عليّه : ابراهيم محمد الاصيل

## السؤال :

أصل المذهب عدم التعدد مطلقا فتندب صلاة الظهر مراعاة لذلك وطلبها لتبرئة الذمة ما أمكن . فإن كان التعدد لغير حاجة أو زائدة على الحاجة فالجمعة لمن سبق ، فإذا لم يعلم السابق وجبت صلاة الظهر على تفصيل طويل يكفيننا هذا منه .

في البلد مسجداً يصلى في كل منهما الجمعة وعالم البلدة يوجب صلاة الظهر ؛ لأن الجمعة لمن سبق ولا يدري من السابق ، فما الحكم في مذهب الإمام الشافعي ؟  
فريد المتولى حلالة

## السؤال :

ما حكم تعدد الجماعات في وقت واحد في مسجد واحد ؟

الشيخ محمد عثمان

إدارة الدعوة والمؤتمرات بوزارة الأوقاف

## الجواب :

حكم التعدد وعدمه منوط بخوف الفتنة وعدمه ، فإذا خيف الفتنة كأن كان المسجد غير مطروق وله إمام راتب ولم يأذن الإمام الراتب في التعدد ، كان التعدد مكروها . قبل جماعة الإمام الراتب أو بعدها أو معها ، بما فيه من الإشعار بالطعن في الإمام الراتب وقد يؤدي إلى تعطيل جماعته ، فإذا تحققت الفتنة وأن قصد السكيا

## الجواب :

أصل مذهب الشافعي عدم تعدد الجمعة في البلدة الواحدة مطلقا ؛ أي لحاجة أو لغير حاجة ، لأنها لم تفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده إلا جمعة واحدة . غير أن معتمد المذهب جواز التعدد لحاجة وبقدر تلك الحاجة ، فإذا كانت الجمعتان في البلد لحاجة التعدد ، كانت الجمعتان صحيحتين السابقة والمسبوقة ، ومعنى الحاجة ألا يكون في العمران مكان يسع المصلين ، أو كانت هناك دواع ودوافع نفسية كضغائن بين العائلات يخاف من اجتماعهم بسببها في المسكان الواحد أن تحصل الفتنة ، وعندئذ لا تجب صلاة الظهر ، إلا أن رعاية الخلاف مندوبة ، ونظرا إلى أن

أخوها من والدته معه ورضع أخوه الأصغر  
من زوجة خاله مع شخص آخر فما الحكم ؟  
السعيد محمد الحلو - القاهرة / مصر الجديدة

### الجواب :

لا مانع من زواجه بهذه الفتاة ؛ لأنها  
أخت أخيه من الرضاع وأخت الأخ من  
الرضاع لا تحرم .

### السؤال :

يريد شخص أن يأخذ طفلة شخص آخر  
ويتولى تربيتها، وينسبها إليه : فهل يجوز  
ذلك شرعا ؟

### الجواب :

نفيد بأن التبني ونسبة الطفلة لغير أبيها  
الشرعى ممنوع شرعا قال تعالى : « وما جعل  
أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله  
يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لأبائهم  
هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آبائهم  
فإخوانكم فى الدين ومواليكم » .

وحيث إن والد الطفلة معلوم لنا وهو  
موجود فهى بقتة ، ويجب عليه تربيتها إن كان  
قادراً على ذلك ، فإن عجز فلن قام بتربيتها نيابة  
عنه ثواب عمله « فمن يعمل مثقال  
ذرة خيراً يره » .

ويجب مع هذا المحافظة على نسب الطفلة ،  
حتى لا يختلط بغيره ، ويقع من جراء ذلك  
مخالفات دينية لا نعلم مداها الآن . وأما مع

للإمام الراتب والإفساد عليه ، كان التعدد  
حراما ، وإن اتفق حصول ذلك ، لعذر فلا  
كراهة ، وإذا لم تخف الفتنة كأن كان المسجد  
مطروقا أو ليس له إمام راتب أو أذن  
الإمام الراتب فى التعدد ، فلا كراهة ، قبل أو بعد  
أو مع جماعة الإمام الراتب ، بشرطين : الأول  
ألا يقترن بالتعدد محظور كتشويش على  
مصل أو تخليط فى صلاتهم أو أقوالهم  
أو أفعالهم . فإن اقترن به شئ من ذلك بسبب  
التعدد كان حراما . الثانى انتقاء خوف الفتنة  
من جهة أخرى غير جهة الإمام الراتب ، وإلا  
كان التعدد ممنوعا كراهة أو تحريما على حسب  
تفاوت الأحوال المقتضية لل منع ضعفا وقوة ؛  
فقد يكون التعدد مكروها ، وقد يكون حراما  
تبعاً لذلك . كما أنه إذا أُلِف التعدد فى المسجد  
المطروق ممن علم من حاله أنه يقصد الكيد  
للإمام الراتب والإفساد عليه كان حراما .  
فإذا انتفى احتمال الفتنة رأسا فالتعدد جائز  
بصوره الثلاث ، بشرط ألا يقترن به محظور  
كما تقدم . وعلى ذلك إذا رأى ولى الأمر أن  
يرتب فى بعض المساجد إمامين أو أكثر  
لأمر مصلحي يقتضيه فلا مانع منه ، بل هو  
من التيسير على المسلمين .  
وهذا ما اختارته لجنة الفتوى من بين  
أقوال الفقهاء .

### السؤال :

يريد الزواج من بنت خاله ، وقد رضع



عنها ، وتنقضى العدة ويعقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد برضاها .

وليس مما يوجب حلها للزوج الأول ما يفعله المحلل من نكاحها بقصد التحليل ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ، واللعن يقتضى الطرد عن رحمة الله ، وما كان طريقاً للطرد والإبعاد لا يصح أن يكون طريقاً للعودة والوفاق .

أما إن قصد التأكيد أو لم يقصد شيئاً ، فلا يقع بذلك الإلطقة واحدة رجعية ، إن لم يسبق ذلك طلقتان . وحينئذ فله مراجعة الزوجة ما دامت في العدة ، فإن انقضت العدة قبل المراجعة عقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد برضاها .

### السؤال :

مات والدى فى حياة جدى ولى أعمام وقد صدر قانون الوصية فى حياة الجد ولكن الأعمام يدعون أنه لا ينطبق على هذا القانون فما نصيب ذلك من الصحة ؟

عبد المنعم عبد الفتاح بسيونى  
السنبلاوين / إتميد الحجر

### الجواب :

المعتبر إنما هو الوقت الذى مات فيه الجد ، فإن كانت وفاة الجد بعد صدور القانون ثبتت الوصية لابن الابن أو البنت المتوفى فى حياة والده بمقدار نصيب والده فى حدود الثلث ؛ عملاً بالقانون المذكور . وعلى ذلك فالوصية ثابتة لك وعليك أن تتخذ الإجراءات اللازمة نحو مطالبتك بهذا الحق .

نسبتها لغير أبيها على أن تأخذ حكم أولاد هذا الغير فى الميراث وغيره فذلك محرم وغير جائز لما تقدم .

### السؤال :

هل يجوز الجمع بين المرأة وخالها فى النكاح ؟  
هيام إبراهيم عبد الحميد - القاهرة

### الجواب :

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالها ، والنهى للتحريم ؛ لأنه ليس هناك ما يصرفه عن الحرمة . وبذلك يكون الجمع بين المرأة وخالها حراماً .

### السؤال :

كتب لزوجته يقول لها : أنت طالق ! أنت طالق ! أنت طالق ! فهل يقع ذلك ثلاثاً أو يقع واحدة ؟ وإذا كان الطلاق ثلاثاً فسا هو الطريق الذى يتبع لإعادة الزوجة ؟ .

رداً على كتاب إدارة الثقافة رقم ٦٨٤ فى ٢/٣/ ١٩٦١ .

### الجواب :

كتابة هذا اللفظ ثلاثاً كالنطق به إذا قصد به معناه ، فإن قصد بأن يقع بكل لفظ طلاق فقد بان أن الزوجة بذلك بينونة كبرى ؛ لا تحل إلا بعد أن تزوج غيره زواجا صحيحاً ، ويدخل بها دخولاً حقيقياً ، ثم يطلقها أو يموت

## بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

### المرأة والشورى في الإسلام :

ليس في الإسلام ما يمنع من اعتبار المرأة مشاركة في الشورى ، ولا من مشاورتها والعمل برأيها إن أصابت ؛ وذلك لأنها ممن يباح لها الاجتهاد في الأحكام ويؤخذ بفتواها ، وقد كانت عائشة أم المؤمنين من أعلم الناس بالفقه وأقوام اجتهاداً فيه حتى قال ابن حزم : يمكن أن يجمع من قتها عائشة سفر ضخم ، وقال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بفقه من عائشة ، وقال عطاء : كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس .

ومن المفتيات المجتهدات غير عائشة من أمهات المؤمنين أم سلمة وحفصة وصفية وجويرية ، وحبيبة ، وميمونة ، ومنهن كما عند ابن حزم أم أيمن وأم يوسف الغامدية ، وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن ، وكانت عائشة ذات رأى قوى في الشؤون العامة يرجع إليها في ذلك ، حتى قال عطاء : كانت عائشة أحسن الناس رأياً في العامة .

ولم تتخل عائشة زمن خليفة من الخلفاء الذين كانوا في عصرها عن التدخل في الشؤون

السياسية العامة ، تارة مؤيدة وتارة معارضة حتى خاضت معركة الجمل ومعها عديد من الصحابة فيهم ، طلحة والزبير ، وحتى قال علي عنها : لو كانت امرأة خليفة لكانت عائشة .

وقد شاركت نفيسة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عدى بن عمرو بن نابي وأم منيع إحدى نساء بني سليمة في بيعة العقبة الثانية (١) ، وكانت البيعة على أن يمنعوا رسول الله مما يمنعون منه نساءهم وأبنائهم وعلى أن يرحل الرسول إليهم .

وتلك مبايعة المؤمنين الأولين لرئيسهم ورسولهم .

وشارك النساء أيضاً في بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعدم الفرار حين توجه عليه السلام إلى مكة وأجرى صلح الحديبية . وكانت بيعة الرجال على بيعة النساء المنصوص عليها في القرآن على « ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن

(١) انظر سيرة الكلاعي وما نقله في ذلك من ابن إسحاق .

عليه ، فقالت له : إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة رسول الله ، فإن الشاة لا تعذب بالسليخ فت على الحق ، وإن كنت إنما خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حيا وميتا ، يا بني مت كريما ولا تستسلم .

فإذا كانت المرأة قد شاركت في مبايعة الرسول الرئيس الأول للدولة الإسلامية ، وشاركت في التشريع عن طريق الاجتهاد والفتوى وإبداء المشورة فذلك ما يبين أن لها الحق في أن تكون نائبة عن فريق من الأمة ، وأن تشارك في انتخاب النواب والمستشارين والأصل في ذلك قوله تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم » . فقد أثبتت هذه الآية الولاية المطلقة

للمؤمنات كما أثبتتها للمؤمنين وتدخل فيها ولاية النصرة كما تدخل فيها ولاية الحضور في المساجد والمشاهد ومعارك الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد نص القرآن على التشاور بين الرجل وبين زوجته في شئون الزوجية فقال : « فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » . وإذا كانت الشورى مطلوبة لهذا الحد من أمر الأسرة ، فبالك

أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف » . وذلك ميثاق واثق به الرسول عليه السلام .

وقد استشار النبي أم سلمة أم المؤمنين في غزوة الحديبية حينما أمر أصحابه بالنحر والهدى والحلق والإحلال ثلاث مرات قتلكأوا في تنفيذه فطلب عليه السلام رأيها فأشارت عليه أن يعطيهم القدوة من نفسه فيخرج ، ويصنع هو ما يطلبه منهم ، فلما فعل ، استجابوا واقتدوا به ، وأكب بعضهم يحلق بعضا حتى كادوا أن يغموا بعضهم من شدة الزحام .

واستشار النبي عليه السلام بريرة في شأن عائشة لما هلك في أمرها عبد الله بن أبي ومن معه ، فقالت له : لا نعلم عنها إلا خيرا ، وإنما هي جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأتى الداجن فتأكله .

وأراد عمر بن الخطاب أن يحد من صدقات النساء فقالت له امرأة في المسجد ليس لك ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأن الله يقول : « وآتيتهم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا » ولو لم يكن يصح إعطاء المرأة القنطار في صداقها لما ذكره الله في كتابه ، فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

واستشار عبد الله بن الزبير أمه أسماء في حرب عبد الملك والحجاج ومن خرج معهما

ثلاثة لارابع لها: الحب والصداقة والمطالعة .  
تستطيع أن نحب الكتاب لأنه صديق وفي  
صدوق . وإن الكتب أشد حكمة وأبلغ عظة  
من واضعها لأنهم يودعون كتبهم خير  
ما عندهم .

إن الكتب تحدثنا حديث من هم فوقنا  
شأننا حديث من تألموا وسعوا وبحشوا كما  
تألم ونسعى ونبحث فهي أبواب مفتوحة  
نظل منها على الغير من النفوس والشعوب .  
فنحن نقرأ ونطالع لنسمو قليلا فوق  
واقع الحياة ولنسرك أكثر فأكثر واقع  
الحياة في الآخرين ، ولكن للكتاب غير  
هذه من المتع واللذائذ ، فهو لا يترك مطالعه  
كما كان قبل قراءته له فهو يسكب فيه من  
طابعه ويجعله أحسن وأكمل .

لننا الآن في عصر نجد فيه الناس في كثير  
من البلدان يزدادون يوما بعد يوم استمعا  
بالمساواة في الحقوق ، ويشاركون أكثر فأكثر  
في عملية الحكم ، ويؤلفون رأيا له من الحول  
والشأن على الحكومات القائمة الكلمة الفصل ،  
في حائى السلم والحرب وتقسيط العدالة  
ورفع الظلم . وبكلمة أخرى في حياة الشعوب  
في العالم أجمع . وقوة الشعب هذه التى نعب  
عنها بالديمقراطية تقتضى بأن يتم للجماهير التى  
أصبحت مصدر السلطات ، الوقوف على  
المشكلات الكبرى التى تستبد باتتبه العالم ،

بأمر الأسرة الكبرى وهى الأمة والدولة ،  
وكما أن الشارع لم يحرم نصف الأسرة الذى  
هو المرأة من حق التشاور ، فلا معنى لأن يحرم  
نصف الأمة الذى هو المرأة من حق الشورى .

**عمل الفاسى** من مقال له فى ( البنية )

### المكتبات العامة ورسالتها فى المجتمع :

كلف منظمة اليونسكو الأديب الفرنسى  
أندريه مورو بكتابة دراسة مسهبة تتضمن  
أهم ما يجب أن يعرفه القارئ العادى عن  
( المكتبات العامة ورسالتها فى المجتمع )  
والدور الذى يؤديه فى تغذية الثقافة ، وقد  
قدم الأديب المذكور هذا البحث الذى  
استغرق ٣٣ صفحة تناول فيها (١) المطالعة  
(٢) المكتبة (٣) المكتبة العامة وخدماتها  
(٤) مكتبة الأطفال (٥) أمين المكتبة  
(٦) اليونسكو والمكتبات (٧) مستقبل  
المكتبات العامة .

يقول أندريه مورو : « حضارتنا  
الإنسانية مجموعة من المعلومات والذكريات  
خلقتها تباعا الأجيال التى تقدمتنا لذا لا يمكن  
الإسهام بإنمائها إلا عن طريق الاتصال  
بالأفكار التى بلغتنا على الدهور ولكى يتم  
لنا ذلك ويصبح الواحد منا مثقفا أو مهذبا  
علينا أن نقرأ أى أن نطالع فليس ما يغنينا  
عن المطالعة أو القراءة سبيلا .

إن الكتاب سيبقى وحده رفيق الحياة ...

### مؤلف «قصة الحضارة» في أيامه الأخيرة:

كان «ول ديورانت» مؤلف كتاب (قصة الحضارة) في السابعة والعشرين من عمره عندما قرر أن يحقق حلمه الكبير في تأليف هذا الكتاب وشرح في القراءة والاستعداد لإصدار هذه الموسوعة الضخمة، وكان قبل ذلك بعام واحد قد أصدر أجمل وأروع كتبه «قصة فلسفة» وقد باع من هذا الكتاب أكثر من ستة ملايين نسخة في أمريكا وحدها وكان هذا الكتاب هو المظلة الواقية الذهبية التي عاش بها وتحتها حتى يومنا هذا ... وفي ظل هذا الكتاب الذي باع كل صفحة منه بألوف الدولارات، عكف المؤرخ الأمريكي الفرنسي الكندي المولد، ول ديورانت على تحقيق الحلم الكبير «قصة الحضارة».

لقد صدر أخيرا الجزء الأول من المجلد السابع لهذا السجل الضخم، وكان عنوانه: بدأ عصر العقل والجزء الثاني سيصدر سنة ١٩٦٣ بعنوان «عصر لويس الرابع عشر» والجزء الثالث سيصدر سنة ١٩٦٥ بعنوان «عصر فولتير» ويعتقد المؤرخ «ول ديورانت» أنه بهذا الجزء يكون قد حقق حلمه الكبير، فيكون قد بلغ الثمانين من عمره، وفي السن التي لا يقوى بعدها على أن يدفع «قصته» إلى ما بعد عصر نابليون.

وقد ترجمت معظم مؤلفاته إلى العربية

والذي أعنيه بذلك: هو أن تنال هذه الجماهير أكثر فأكثر تعلية يبقى أبدا ناقصا مجزؤا ما لم توازر المكتبة عمل المدرسة وتتمه.

ليست المطالعة رياضة موصوفة قديمة للعقل لحسب فهي تكشف للأذهان الغضة الفتية الخصائص الخفية للحقائق التي سيتلقونها الطالب لقمة سائغة بل يتحتم عليه تكوينها بنفسه على أساس من الجهد الشخصي والأسلوب الواضح والنية الحسنة. فالمكتبة هي تتمه لازمة للمدرسة أو للجامعة، ولا أعدو الحقيقة إذا ما قلت هنا: إن التعليم هو المفتاح الذي يفتح أمامك باب هيكل العلم ممثلا في المكتبة.

فرسالة المكتبة في العصر الحديث أنها منظمة تنبض بالحياة وتجيش بالنشاط فهي تتجه من القارئ وتسعى إليه وكلها رغبة بأن تشبع فهمه إلى المعرفة وتروى عطشه إلى العلم.

لإننا إذا ما نمينا في الإنسان الذوق إلى المطالعة وأمنا له ما يشبع نهمه منها لا نلبث أن نجعل منه رجلا سعيدا هائلا إذ نجعله دوما في كل عطفة من عطفات التاريخ وجها لوجه مع حكام البشرية وذوى الحجى وبذلك نجعل منه مواطنا في كل أمة ومعاصرا لكل جيل.

مجدد المكتبة

### التفاهة في حياتنا الفكرية :

« التفاهة - ويا للأسف - هي ما يلون حياتنا الأدبية في الوقت الحاضر . وطبيعي ألا يرضى التافهون من الأدباء أن يقرأوا بذلك بل لعل طبيعة الدفاع عن النفس قد آل بهم إلى أن يقولوا في أنفسهم من المديح والإطراء ما يخجل النفس الكريمة . فمن قائل منهم أن ما يكتبون يستحق الخلود ومن شاتم يقول إن مادون الخلود إنما هو تقصير في حق ما يكتبون ، وهم وما يكتبون لا يساوون قلامة ظفر . »

تتجلى التفاهة في حياتنا الفكرية عن طريق الصحافة أولا ، وعن طريق الأدب ثانيا . فالصحافة تنحدر من الأوطأ إلى الأوطأ . ولو رجعنا إلى ربيع قرن مضى لوجدنا أن المقالة والخبر مثلا - وهما عماد الصحافة - كانا في مستوى لا يمكن أن نصلا إليه اليوم حتى ولا بعد ربع قرن من الكد والتعب . لقد كانت المقالة مجبوكة متسلسلة الآراء خالية من الحشو والأخطاء . أما اليوم فأكثر كتابنا إنتاجا في الصحافة هم الذين يبدعون المقالة ذات العمودين بمقدمة سمجة تستغرق ثلث المقال لكي يبدأ الكاتب المفضل بعدها ببيدات سخيفة مكتوبة بأسلوب مهلهل غارق في التفاهة والركة ، الخطأ الذي لا يرتكبه المبتدئون .

فترجم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني « مباحج الفلسفة » في مجلدين ، وترجم المرحوم محمد بدران معظم أجزاء « قصة الحضارة » . وقد تفرغ المؤرخ ديورانت تماما للبحث العلمي فلزم البيت في حالة « سجن إرادي » ... فهو يصحو في السادسة ويقرأ ويكتب في السابعة حتى الظهر ويتناول غداءه ويستريح ساعة ويعود إلى العمل حتى العاشرة مساء ... سبعة أيام في الأسبوع ... وهو يقرأ لكل مجلد صدر أكثر من ٥٠٠ كتاب ، وسجل مذكراته وملاحظاته في ألوف الصفحات ويختصرها إلى بضعة مئات ، ثم يعيد كتابتها ثلاث مرات قبل نشرها وهو نباتي لا يأكل كل ما هو حي ، ولذلك فصحته سليمة ومزاجه معتدل ، على حد قوله .

وإذا كان فيكتور هيغو شاعر فرنسا له شعار هو : اكتب سطرًا كل يوم .. فشعار ديورانت هو : أَلِف كلمة أنيقة على ورق أبيض لامع وبقلم جاف ، كل يوم . أما النتيجة التي انتهى إليها ديورانت من قراءته لألوف الكتب ، واستعراضه لكل أحداث التاريخ فهي ، أن الدنيا لم تكن في صفاء أبدا ، وأن العقل لم يحكم التاريخ أبدا ، وإنما التاريخ يتدفق في قوالب نظرية ، ثم يعود يهدمها ويسخر من أفكارنا وعقائدنا ، ولا أمل في تغييره ولا حكمه في أن نفعل ذلك .

مجد المكتبة

بصورة عامة ، بل لقد وجدنا في بعض ما يخرج من المطبعة العربية نوعا من الأدب الموجه يستخدم الضعف البشري في سبيل نشر الدعاوى العقائدية ، وهذا انحدار خلقى لا ندرى إلى أين يتجه بالذهن العربى في هذا المعترك العظيم الذى تجتازه البشرية بعد الحرب الكونية الأخيرة التى يتوقعها الكثيرون .

- لقد عمت الفوضى - بمعناها المفهوم لا بمعناها القاموسى حياتنا وأصبح كل من يستطيع أن يكتب بضعة أسطر أدبيا ، وكل مهرج قصصيا ، وكل ناظم شاعرا .

### عبد الوهاب الوائلى

الأخبار البغدادية

### سوريا وحديثة :

شاع فى الدوائر الرسمية وعند كثير من الكتّاب خطأ فى كتابة اسم ( سورية ) فجعلوا يكتبونه ويلفظونه بـياء مشددة وألف أى ( سوريا ) على حين أن بعض الأمهات من معجمات لساننا ، وبعض المراجع التاريخية الموثوق بها قد أجمعت على كتابة ( سورية ) بـياء مخففة بعدها تاء . ومن هذه المعجمات والمراجع : القاموس المحيط ، وتاج العروس ، ومعجم البلدان ، وفتوح البلدان ، وزبدة الحلب فى تاريخ حلب ، والتكملة فى حديث السكب وغيرها . ولم نر الاسم المشار إليه مكتوبا بالياء المشددة والألف فى كتاب قديم يعول عليه .

ومع ذلك فإن أمثال هؤلاء الكتّاب هم الذين لا ينجحون من تصدر الحركة الفكرية فى البلاد .

وفى الأدب يتضح وجه القضية بصورة أجلى . ففى وسعك أن تقول : إن الإنتاج الأدبى فى حكم المعدوم عندنا بصورة تكاد تكون مطلقة . وفيما عدا بعض التنف والقوائد التى لا تبلغ الدرجة المتوسطة ، تستطيع القول مستقرا بأن لا إنتاج أدبى لدينا فى هذه البلاد يمكن ضمه إلى الباقية الياغة التى تأتينا من البلاد العربية الأخرى - كلبنان - مثلا .

ولمى أنتحدى من يقول إن لدينا إنتاجا أدبيا يعتز به ويستحق التحلى بهذه التسمية . وإذا ما خالفنى مخالف فسأرضى لغرض المناقشة بنموذج واحد لكاتب واحد أو أديب واحد من كتابنا وأدبائنا يوضع تحت المشرحة الأدبية . وليكن الحكم أى ناقد محايد .

ولا عجب بعد هذا أن تمتد التفاهة إلى الدوافع التى تدفع بالأديب إلى الكتابة . فالواقع أن حركة التأليف والترجمة قد انضوت تحت لواء السياسة بصورة عامة . ولا تكاد تجسد ثقافة غير موجهة توجيهها عقائديا إلا فى إنتاج المطبعة اللبنانية على نطاق ملحوظ ، ولذلك فقد ترك المجال يقوم على دغدغة الغرائز دون الاهتمام بالثقافة الفكرية

الأمريكية ، على خطبة قصيرة للسيدة عائشة ، خطبتها الناس إذ علمت أن فئة منهم تنال من أيها . فأبانت عن مناقبه ، وذكرت محاسنه ، وما كان له من سابقة في الجاهلية والإسلام ، وما كان لإخضاعه المرتدة وحياطته الدين ومن شأن في تثبيتته وانتشاره .

هذه الخطبة تتصل بجانب من جوانب شخصية عائشة : هو جانب فصاحتها وبلاغتها . فقد أوتيت فيها البلاغة والإيجاز والشمول في المعنى الذي قصدت الإبانة عنه . ونصها جدير بأن يقرأ ويدرس ويحفظ . وإذ كنا نرى أن النصوص التي خلفتها القرون الثلاثة الأولى ، هي مصادر ثقافتنا وينابيع حضارتنا وأنه لا بد من نشرها . فقد استحسنا أن نقدم نص هذه الخطبة في هذه المجلة .

ولقد عني الأنباري - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار المتوفى سنة ٣٢٧ هـ - بهذه الخطبة فأملأها ، وشرح ألفاظها . وعنايته بها ، وهو العالم للغوى الثقة ، دليل على شأنها . لقد أورد الخطبة ثم شرح معاني ألفاظها . فهي تساعد ، على تاريخ تطور اللغة العربية ، وعرفان الألفاظ التي كانت تحتاج إلى شرح في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . والأنباري كان من كبار علماء اللغة . وكان أوسع الكوفيين حفظاً ، ألف العديد من الكتب اللغوية . فليس غريباً أن يعنى بهذه الخطبة ويشرح ألفاظها ويدل على معانيها .

ومن المعلوم أن كثيراً من الكلمات الأعجمية التي عربت قديماً أو التي نضطر إلى تعريبها حديثاً تنتهى بالحرف [A] أو بالكلمة [GIE] الدالة على العلم . فالقدماء لم يتخذوا قاعدة مطردة في إنهاء هذه المعربات بالتاء أو بالألف ، ولكن السليقة العربية جعلتهم ينهون معظمها بالتاء فقالوا مثلاً إفريقية وصقلية وأرمينية وسلوقية وأشبيلية وغرناطة إلخ .

وبناء على اقتراحى كان مؤتمراً بجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذ قراراً مؤرخاً في الخامس من يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٥٦ يقضى بإنهاء أشباه هذه الكلمات بالتاء ترجيحاً على إنهاؤها بالألف فيقال مثلاً جيولوجية وبيولوجية وألمانية وإيطالية ترجيحاً على جيولوجيا وبيولوجيا وألمانيا وإيطاليا وهكذا .

ومع هذا فالموضوع فيما يختص بكلمة (سورية) لا يقبل التأويل مع وجود النص الصريح . ولذلك أعتقد أنه من المفيد ، أو من الواجب ، إذاعة بيان على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية في الدولة ، لكي تكتب اسم (سورية) وفقاً لما جاء في السكتب القديمة المعول عليها ، أى بياء مخففة وتاء .

مصطفى الشهابي ( مجلة الجمع العربي )

خطبة مجهزة للسيدة عائشة في أبيها :  
عثرنا ، أثناء تطوافنا في الولايات المتحدة



كان والله عزيز الدمة وقيد (١)  
الجوانح (٢) شجي (٣) النشيج (٤) ،  
فأقصفت (٥) عليه نسوان أهل مكة  
وولدانهم يسخرون منه ويستهنون به ،  
« الله يستهنى بهم ويمدهم في طغيانهم  
يعمهمون » وأكبرت ذلك رجالات قریش  
فخت قسيها وفوت سهامها وامثلته (٦)  
غرضنا (٧) فافلوا (٨) له صفاة (٩) ،  
ولا قصفوا له قناة، ومضى على سبائه (١٠)  
حتى إذا ضرب الدين بجرانه (١١) ،  
ورست (١٢) أطواده ، ودخل الناس فيه  
أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشياعا ،  
اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه

بلغ عائشة رضى الله عنها أن قوما ينالون  
من أبيها رضى الله عنه، فأرسلت إلى أزفلة (١)  
من الناس ، فلما حضروا أسدلت ستارها  
وعلت وسادها ثم قالت :

أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه (٢)  
الأيدي ، ذاك طود (٣) منيف (٤) ، وظل  
مديد ، هيات بعدت الظنون ! أنجح والله  
إذ أكديتم (٥) ، وسبق إذ ونيتم (٦) سبق  
الجواد إذا استولى على الأمد (٧) .

فتي قریش ناشئا، وكهفها كهلا ، يریش (٨)  
ملقها (٩) ويرأب (١٠) شعبها (١١) ويلم (١٢)  
شعبها ، ثم استشرى (١٣) في دينه ، فإ  
برحت (١٤) شكيمته (١٥) في ذات الله حتى  
اتخذ بفنائها مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطلون .

(١) الوقيد : العليل .

(٢) الجوانح : الضلوع القصار التي تقرب من الفؤاد .

(٣) الشجي : الحزين (٤) النشيج : صوت البكاء .

(٥) أقصفت : انثنت .

(٦) امتثلت : مثلته ونصبت .

(٧) الغرض : ما يقصد بالرى .

(٨) فلوا : كسروا .

(٩) الصفاة : الصخرة للأساء .

(١٠) مضى على سبائه : معناه على شدته ،

والسبساء عظم الظهر وحده ، تضربه العرب مثلاً

في شدة الأمر .

قال الشاعر :

لقد حملت قيس بن عيلان حربنا

على يابس السبساء محدودب الظهر

(١١) الجران : الصدر ، يقال لصدر الجران والبرك .

(١٢) رست : ثبتت

(١) الأزفة : الجاعة . (٢) وتعطوه : تناوله .

(٣) الطود : الجبل . (٤) المنيف : المشرف .

(٥) أكديتم : خبتم .

(٦) ونيتم : فترتم وضعفتم ، يقال : ونى ينى

وونى يونى بمعنى واحد .

(٧) الأمد : الغاية ، وفي الحديث ليس لعداب

للكافر أمد أى غاية وآخر .

(٨) يریش : يعطى ويفضل .

(٩) الملقى : الفقير .

(١٠) يرأب : يجمع ويلأم .

(١١) الشعب : المتفرق .

(١٢) يلم : يضم .

(١٣) استشرى : احتد وانكش .

(١٤) فإ برحت : فإ زالت .

(١٥) الشكيمة : الأنفة والحمة .

صلى الله عليه وسلم اضطرب جبل الدين ،  
ومرج (١) عهده ، وماج (٢) أهله وبني  
النوائل (٣) ونصبت الحباثل ، وظنت رجال  
أن قد أكتشبه نهزها (٤) ، ولات حين الذي  
يظنون (٥) ، وأنى والصديق بين أظهرهم .

فلما حضرته منيته فسد ثلثته بنظره  
في المعدلة وشقيقته في السيرة والمرحمة ، ذاك  
ابن الخطاب لله در أم حفلت له (٩) ودرت

فقام حاسراً مشمراً أفرغ حاشيته (٦) وجمع  
قطريه (٦) ولم شعثه بطبه (٧) ، وأقام

(١) مرج : اختلط .

(٢) ماج أهله : اضطربوا وتنازعوا .

قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الكديمي ، قال :  
حدثنا يحيى بن عمر الأيبي ، قال : حدثنا مسلم بن قتيبة ،  
عن وهب ابن حبيب ، عن أبي حنيفة ، عن عطاء ،  
عن ابن عباس في قوله تعالى :

« فهم في أمر مريج »

قال : مختلط ، أما سمعت قول الشاعر :

فجبال والنمست به حشاها فخر كأنه خوط مريج  
الخوط : النقص ، وجمه خيطال .

(٣) وقولها . وبني النوائل : معناه طلبت له  
البلايا التي تضعفه .

(٤) وقولها : أن قد أكتشبه نهزها : معناه  
قرب ، والنهز : الاختلاس الذي كيا يظفره بمبادرة

(٥) وقولها : ولات حين الذي يظنون ، معناه :  
ولست الساعة حين ظفرهم

(٦) وقولها : أفرغ حاشيته وجمع قطريه ، معناه  
في الأمور وجهد ، وتأهب وقشمرانصرة  
الدين ، والقطر : الناحية .

(٧) والطب الدواء .

(١) والأود ، العوج .

(٢) والثقاف : تقويم الرماح وغيرها .

(٣) وامذقر : تفرق ، وفي رواية غير إسماعيل  
القاضي : وأبذقر النفاق : يقال : أبذقر  
الشيء ، وأبذقرأى تفرق .

(٤) وقولها : انتاش الدين ، أزال عنه ما يخاف عليه

(٥) ونعشه : رفعه .

(٦) أراح الحق على أهله : أى أحاد الزكاة التي  
منعتها العرب ثم ردت إلى حكم الله وسنة  
رسوله في أهلها لما قاتلهم .

(٧) وقولها : وقرر الرؤوس على كواهلها :  
أى وقى المسلمين القتل . والكاهل : أهلي  
الظهر وما يتصل به .

(٨) وحقن الدماء في أهبيها : معناه رفع القتال  
عن المسلمين ، والأهب جمع إهاب ، وهو  
الجلد ، كنت به عن الجسد .

(٩) وقولها : لله در أم حفلت له : معناه جمعت  
البن لرضاعه ، والشاة المحفلة : التي يجمع  
لبنها في ضرعها .

وبنحس الأرض فنحسها (١) ، حتى قامت  
أكلها (٢) ، ولفظت خبيها ، ترأمة (٣) ويصلد  
عنها ، وتصدى (٤) له ويأبأها ، ثم ظعن  
عنها على ذلك ، فأروني ما ترتثون ، وأى  
يومى أبى تنقمون ؟ أيوم مقامه إذ عدل فيكم ؟  
أم يوم ظعنه إذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا  
وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت : أنشدكم  
الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً ؟ قالوا :  
اللهم لا .

(١) وقولها : بنحس الأرض أى شقها ، ونحسها  
استقصى عليها وفى غير هذه الرواية وبهج الأرض  
أى شقها  
(٢) وقولها : حتى قامت أكلها ، تعنى جى  
خراجها وأخرجت خيراتها وتمراتها .  
(٣) ودولها : ترأمة أى تمطف عليه .  
(٤) قولها : تصدى له أى تعرض له

عليه وأوحدت به (١) ، ففتح الكفرة (٢)  
ودنحها (٣) ، وشرد الشرك شذر مذر (٤) ،

(١) وقولها ، أوحدت به : أى جاءت به منفرداً  
لا نظير له فى زمانه .

(٢) قولها : ففتح الكفرة : أى غم بلاد الكفار .

(٣) ودنحها : أذلها وصغرها ، وفى غير هذه  
الرواية فدنحها بالياء أى دوخها ، كما يقال :  
تصوح البقل وتصيح أى تشقى .

(٤) وقولها : شرد الشرك شذر مذر أى أبعد

قال الله تعالى : « فشردهم من خلفهم »  
سورة الأنفال ، ٨ ، الآية ٥٧ ، أى أوقع بهؤلاء  
ليسمع من خلفهم من الكفار فيفرز فيهرب فيتباعد  
عنك ، ويقال شردت القوم شذر مذر أى فرقهم  
فلم أترك منهم أحداً ، ومثله تفرقوا شفر بفر جميعاً  
بمعنى واحد .

( بقية المنشور على صفحة ٣٧١ )

هذه البعثة لتدعو إلى الإعجاب والتقدير ،  
وإننى إذ أبجل لأفراد هذه البعثة إخلاصهم  
وتفانيهم فى أداء واجبهم وتفهمهم الصحيح  
لحالة المنطقة ونفسية سكانها لأرجو أن  
تتفضلوا بقبول خالص شكرنا وتقديرنا  
على ما يبذله الأزهر الشريف ورجالاته من  
خدمات لأبناء هذا القطاع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

فريق - برسف المبرودى

الحاكم العام لقطاع غزة

ماكم غزة بشكر الأزهر :

السيد / مدير الثقافة الإسلامية

الأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنى أن أنهى لفضيلتكم أن بعثة  
الوعظ والإرشاد بقطاع غزة تقوم بأداء  
واجبها فى الوعظ والإرشاد بين جميع السكان  
فى هذا القطاع بما يرضى الضمير وترتاح  
له النفوس .

وأن الجهود المخلصة التى يبذلها أفراد

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المعاون  
إدارة اجتماع الأزهر  
بالقاهرة  
ت : ٤٦٤١٤

# مجلة الأزهر

## مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر من ربيع

يشارك في التحرير  
عبد الرحمن محمد العقاد  
بذل الاشتراك  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ خارج الجمهورية  
والمدارس والطلاب بنصف علم

الجزء الرابع — السنة الرابعة والثلاثون — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ — نوفمبر ١٩٦٢ م



١٩  
٢٤٤٤٦  
روية

بسم الله الرحمن الرحيم

## الجزيرة تنفض مرة أخرى

### بقلم : أحمد حسن الزيات

القول بالرأى الحكيم ، وأرطب القلوب  
بالإيمان الصادق، وأثبت الأيدي بالسيف الرادع  
وهؤلاء هم أصحاب محمد الذين بسطوا ظلال الله  
على صحارى الجزيرة، فنبضت بالحياة، ورتعت  
في النعيم، واطمأنت بالأمن. ثم انتقل منها طلوعها  
الخصب مع الرياح اللواقح إلى كل أرض ! ...

\* \* \*

تلك كانت الانتفاضة الأولى للجزيرة التي  
وضع فيها أول بيت للناس ، وبعث بها آخر  
رسول لله ، انتفضت بروح من عند الله  
ما شاء أن تنفض ، ثم انقبض عن صحاريها  
الظل ، وخبا في أرجائها النور ، فعادت

تنفض الجزيرة العربية اليوم انتفاضتها  
الأخرى ، وكانت الأولى منذ أربعة عشر قرنا  
حين شاء الله أن تخفق على الجبال الصهب ،  
وفوق الرمال الصفرة ، أجنحة الوحي نازلة بنور  
السماء ، وعبير الجنة ، وسلام الروح ، ووحدانية  
الله وحرية الإنسان ، وعدالة الحق ، على بلد  
أو بقتة الوثنية ، وأهلكته العصبية ، وأكلته  
الحروب ، واستعبده الطغيان ، واستذله الحرمان  
وهان على الدنيا حتى أكل القدر ، وشرب  
الكدر ، وعبد الحبحر ، وشرذ عن ركب الحياة .  
فلما أصابه الغيث الإلهي اهتز القفر ، وربا  
الصخر ، وأنبت هذا البسلة الجديب أخصب

صاح بالنائم أن يستيقظ ، وبالغافل أن يعي ،  
وبالمتخلف أن يلحق .

وهبت على العالم العربي هبة من جانب  
مصر فيها ريح النبوة ، ولها صوت الحق ، يقول  
للشعوب الخائفة : إنكم مسلمون والمسلم  
لا يدين إلا لله ، وإنكم عرب والعربي  
لا يستكين للذل ، وإنكم أصحاب الأرض  
وما فوقها من زرع وضرع ، وما تحتها من  
بتول وركاز ، فليس من شهامة العربي ،  
ولا من كرامة المسلم ، أن تدعوا هؤلاء  
الطفيليين الفضوليين يستأثرون بخيرها  
دونكم ، وما قوتهم إلا منكم ، ولا سطوتهم  
إلا بكم .

فإذا جردوا من الألقاب المزيفة ، وأزيلوا  
عن العروش المستعارة ، عادوا ناسا أقل من  
الناس ؛ لأنهم كآقلت أصنام ينطق في أفواههم  
الشیطان ، ويوسوس في صدورهم المستعمر .  
ورحم الله شاعرنا الذي قال :

عجبت لقوم يخضعون لدولة  
يسوسهم في الموبقات عميدها

وأعجب من ذا أنهم يرهبونها  
وأموالها منهم ومنهم جنودها

هنالك استجاب المستضعفون في الأرض  
والمعذبون في الناس لدعاء عبد الناصر إلى  
المبادئ الخالدة ، التي نزلت من عند  
الله على محمد رسوله ، وأدركوا بعد لآي  
أن الأمر شورى ، والرزق شركة ،

كما كانت بالأمس قطعة منبثة متروكة ، لا هي  
في عداد الناس ولا هي في حساب الزمن !

جمدت الجبال فلا توحى ، وصمتت الرمال  
فلا تهمس ، واستجمل الإسلام فلم تعد له  
في النفوس معاني الوحي ، واستعجم العرب  
فلم يعودوا يتدبرون آي القرآن . وقضت  
الجزيرة شمالها وجنوبها ألفا ومائتي سنة  
في ردة عامة ورقدة شاملة ، لا يسعى فيها  
إلا ملك يطنى ، وإمام يحجور ، وفاتك يخلص ،  
وشارد يهيم ، وجائع يتضور . وانطمست  
آثار العمرين والخالدين<sup>(١)</sup> تحت أقدام الطغاة  
الفجرة من آل الحسين وآل سعود  
وآل حميد الدين ، وتحطمت أصنام الشرك  
في مكة لتعود حية ناطقة في قصور الحجاز  
ونجد والين .

جثمت هذه الأصنام الثلاثة بصدورها  
الحجرية على إنسانية الشعب العربي وكرامته ،  
وإرادته وثروته ، لا لتحلحل ولا تريم ،  
يشربون ويسكى انجلترا وهو يشرب أبوال  
الإبل ، ويأكلون خنازير أمريكا وهو يأكل  
دواب الأرض ، وينفقون أمواله على حسان  
الترك والانجليز ، وهو عارى الجسد غاوى  
الجوف ، لا يشعر بالحياة ولا تشعر به الحياة ؛  
حتى جاء عصر الفكرة الذي راد السماء ، وزلزل  
الأرض ، وبلبل الأنفس ، وزعزع العروش ،  
(١) العمران : أبو بكر وعمر . والخالدان :

ولدا سعد .

الشمال ، والقحطانية في الجنوب على موعد من مواعيد الحق ؛ ليضعوا الأغلال التي عليهم في أعناق من استعبدهم باسم الدين ، واستذلهم بقوة الجهل ، واينطلقوا خفافا إلى حياة أفضل ، ومكان أكرم ، يليقان بالجيل الجديد في الوجود الجديد .

\* \* \*

ظلت الين حقا طولا معرة العالم المتحضر المتحرر ، تجرى عليها حركات الدهر وهي ساكنة سكون الجاد لا تشعر بالفلك وهو دائر ، ولا بالعالم وهو سائر ، لأن ( الأئمة ) أخذهم الله بما صنعوا - استعانوا على عزلها عن الوجود بالفقر والجهل والمرض والقات والترهات والشعوذة ، فساكن يظن ظان أن من ألح عليه الحذر يفيق ، ولا أن من استبده الضرر يطيق .. ولكن حدثت المعجزة وانشقت أرض صنعاء وتعز عن أبناء التبابعة والأذواء ، يقسمون في تباشير الفجر : من الذي أطبق على نفوسنا الليل ، وأطفأ في عيوننا النهار ، حتى حسبنا أن الظلام سرمد ؟ . وكان الجواب دويا كنفخة الصور انبعث من مصر يقول : ومن غير الأئمة من آل حميد الدين يستطيع أن يجعل آية النهار عيماء ولسان الحق أبكم ؟ وتكافت الثورتان : ثورة السلال وثورة عبد الناصر على أن تحطما

والحكم عدالة ، فتحرك الأردن فصرخ الطفل ، وتمردت السعودية فكش الملك ، واثارت الين فطاح الإمام ! .

وعى عرب الجزيرة أن بوادهم لم تعد رملا ولا صخرأ ، ولا آبارأ تبض بالماء ، ولا مراعى تضن بالعشب ، وإنما أصبحت بفضل الأبحر السود التي تعج من تحتها بالنفط ، ومناجم تقذف بالتبر ، وقصورأ تضج بالجوارى ، وجنانا تفيض بالنعيم . ولكنهم رأوا أن أولئك كله : احشوشته فتنة باغية لتكثزه في مصارف سويسرا ولندن ، وتنفقه في مواخير كبرى وباريس ، فقالوا للبارق السارق : حسبك ! إن الراعى الفرد يستطيع أن يسوق القطيع الضخم بعصاه ، فيجتز صوفه ، ويبتر لبنه ، ويحتر رأسه ، مادام لا يعرف أنه قرونا تبقر البطون ، وتفلق الرموس ، فإذا عرف ذلك - ولا بد أن يعرف - انقلبت قرونه دبابات تحطم ، وحوافره مقذوفات تنيد .

بهذا الوعى الذى أيقظته سورة تاريخ ، وأنفضته عبقرية جنس ، وأكلمته عقيدة دين ، سرت في العالم العربى روح من قلق الروح ، لا يصبر على الهون ، ولا يرضى بالدون ولا يعنو وجهه لغير ربه .

وبهذا الروح القلق الذى ملك الجزيرة كلها رأسها وقلبها وأطرافها ، تلاقت العدنانية في

الداعية إلى هذه البطانية ، فإذا اقتنع بالأسباب - و قليلا ما كان يقتنع - أخرج مفتاح الخزن من سلسلة في عنقه ، ودفعه إلى أمينه الخاص فيخرج المطلوب إلى المتعهد ثم يعود به إليه والإمام قد دخل مخدعه الآن فلا سييل إلى الدخول عليه !!

بماذا تريد أن أعلق على هذه الواقعة ، واستبداد الإمام قد تغفل إلى خيط الإبرة وشرك النعل وسير اللجام ؟ أليس هذا الفرعون الصغير واقعا في مرمى قول الله تعالى : « إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم ( أئمة ) ونجعلهم الوارثين » . صدق الله العظيم .

**أحمد حسن الزيات**

السد الذي حجز الماء والنماء والتقدم عن اليمن السعيدة . وألقى الملك الضئيلان سعود وحسين بجثتيهما النخريتين أمام السد المنهار ليؤخرا ساعة انقضاضه ، فما زاداه إلا ضعفا على ضعف !

أعلنت كيف كانت تحكم اليمن ؟ . إليك مثالا واحداً من آلاف : حدثني المغفور له صديقي الدكتور عبد الوهاب عزام وكان سفيراً لنا في السعودية واليمن ، أنه بات ليلة من ليالي الشتاء في ضيافة الإمام يحيى هو وبعض صحبه ، وكان البرد قارسا ، وكانوا قد وضوا على كل سرير بطانية واحدة من غير لحاف . فاستعان كل منهم على الدفء بمعطفه إلا واحداً لم يكن عليه معطف ، فطلب السفير من القيم على دار الضيافة بطانية أخرى للضيف المقرور ، فكك القيم قفاه وقال إن في هذه المسألة مشكلة : لا بد أن يرفع إلى الإمام طلب بهذا الطلب تشرح فيه الحال

**قال الله تعالى في سورة الحجرات :**

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين » .

« صدق الله العظيم »

# الإسلام دين الحجة والبرهان

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

## الإسلام دين الوافع

وما كان للإسلام وهو دين عملي واقعي أن يتجاهل سنة الاجتماع البشرية التي كثير أماندفع بها الناس إلى التنازع وارتكاب المظالم والتنكر للحق والاعتداء على الحريات « إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى، على هذا اعترف الإسلام بالحرب واتخذها حيث لا تنفع الحجة والبرهان وسيلة عملية لمكافحة البغى، ورد العدوان، وإزالة العقبات، والقضاء على المفسد والطغيان وقاتل في سبيل الله، لا تسكف إلا نفسه وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا،، « فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث تقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا، .

اعترف الإسلام بالحرب في تلك الدائرة وجعلها ذروة سنامه، وأفرغ عليها صبغة الجهاد في سبيل الله؛ يقيم بها العدل والميزان ويمهد بها سبل الحياة الطيبة السعيدة، وحينما يصل المسلمون بالحرب إلى هذه الغاية أوجب أن تضع الحرب أوزارها، وأوجب الكف

الإسلام دين الحجة والبرهان، دين الأمن والسلام، دين التعاون والتآخي ودين التعمير والبناء. وهو لا يعدل عن الحجة ما وجد منها سبيلا إلى هدفه، وهو إقرار الحق في نصابه وتمتع الناس بحريتهم الطبيعية، وثمار العدل والمساواة. فإذا ما التوت بالمقول السبل، واختلس الإنسان من سكان الكهوف والمناور أخلاقهم وطيشهم، فعبث بالحياة، وأراق الدماء، وسخر الضعفاء، وتحكم بمجبروته في الحقوق، وانقض على الهادين فزلزل عليهم أمنهم، وعلى المالكين فاغتصب حقوقهم: وانتزع منهم أوطانهم وقتنهم في دينهم وديارهم.

فها، وهنا فقط - حفظا لعرض الإنسانية من أن يشلم، والحكمة الله في خلق الإنسان أن تذهب - لا يجد بدا من ارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال؛ فيأذن بها لأهله حتى يرد أهل البغى والعناد، وليحترموا حقوق الإنسانية المكرمة « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض، .



أو يلتمسوا طريقاً للخلاص من هول ما هم فيه سوى العويل والهيح ، والاستغاثة من الخطر الذى دهمهم ، وحل بهم وبدارهم إلى أن تخذ أنفاسهم ويصيروا جثثاً هامدة تحت أنقاض البيوت وعروش العماثر ! .

### حرب المدينة :

هذه هى مدينة القرن العشرين : مدينة العلم الذى أنعم الله به على الإنسان ليسعد به الإنسانية فأشقاها ، ويحييها فأماتها . هذا هو حربها وهذا هو سلامها الذى يتغنى به الخراصون الأفاكون ، والذى نسجوا من اسمه أحبولة يكيدون بها للسلام الحق بها ، يفسدون حكمة الله فى خلق الإنسان ، هذا هو السلام الذى يحتفل الأفاكون بعيدة كل عام ، ويزعمون أنهم ينتسبون إلى رسوله الذى جاء عنه قوله تعالى : « لى عبد الله آتائى الكتاب وجعلنى نبياً . وجعلنى مباركاً أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حياً . وبرأ بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً ، .

### عناصر الانتصار :

أقر الإسلام الحرب طريقاً للسلم ، وتحقيقاً لهذا الهدف السامى أرشد القرآن الكريم إلى عناصر النصر الذى يرد العدوان ، ويكافح الظلم والطغيان . أرشد إلى القوة المسادية ، وإلى جملة من أصول التنظيم لعملية الحرب ، وأرشد

عنها « فإن اتهموا ، فلا عدوان إلا على الظالمين ، « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً . » وهو إذ يقرها ويدعو إليها وسيلة لإقامة للعدل والميزان ، يحوطها بالقشريع الذى من شأنه أن يحقق هدفها ، وهو إخضاع قوى الشر والفساد ، والذى من شأنه فى الوقت نفسه أن يخفف من ويلاتها ، ويضمد من جراحها ، ولا يترك أهله يفتحون بابها على الناس : أبواب الجحيم من كل جانب ، لا يترك لهم أن يبقروا فيها بطون الجبالى ، ولا أن يمثلوا بجثث الشيوخ والرضع .

هذا الجحيم الذى نرى دعاة الحضارة والمدينة يدقون ناقوسه بسبب ولغير سبب ، ويوقدون ناره فى جميع الآفاق ، فلا تلبث أن تلتهم المشرق والمغرب ، ويصير الناس فيها كمثل قوم فى سفينة ، أخذتها الأعاصير من كل جانب ، واضطربت بهم فى بحر لظى ، يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض . يكاد اليم يبتلعها من فيها ، أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود فى بيت مغلق النوافذ ، وقد تقطعت بهم أسباب النجاة فجمدوا فى أماكنهم ، شاخصة أبصارهم ، يشهدون الاتهام النار متاعهم ونفائسهم وأموالهم وأبنائهم وأنفسهم ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكناً ،

تحول بينهم وبين القيام بهذا الواجب، وفي ذلك يقول : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله . . . » ولكن المسلمين فيما اتسبهم من عصور الضعف والانحلال تحللوا من هذا الواجب ، وعولوا على حماية غيرهم لهم فوجدوا فيهم اقمة سهلة لينة ، فضعفوها وهضموها وكانت أثراً بعد عين .

أهملوا الجندية وجعلوها صورة هزلية ، ومظهر آ من مظاهر السلطان الفاسد ، ولونا من ألوان الخدمة لكبار الدولة المأجورين ، فقصروها على الفقراء الذين لا يستطيعون دفع البدل النقدي ، وأخرجوا من صفوف المجاهدين حملة القرآن والعلم وأبناء الأغنياء والوزراء وأرباب الوظائف الإدارية ، وبذلك صارت الجندية في أذهاننا وفي أوضاعنا عنوان الذلة والضعفة .

ولاني لأحمد الله الذي هيا لهذه الأمة من وضع الجندية في مكاتها ، ورفع من شأنها . وأحمده مرة أخرى إذ تلقت الأمة هذا الوضع الجديد بإيمان قوى . وصدر ممثلي بمصنعي العزة والكرامة ، ومستشير أمتنا في طريق المجد إن شاء الله بعد هذه اليقظة الواعية . مستلهمة أحكام الله وشرعه . وبه يكون النصر المؤزر ، والكلمة العالية .

محمد صلاح

إلى الروح المعنوية الذي به تعمل الحرب عملها وتصل إلى أهدافها .

### « القوة المادية » :

أرشد إلى القوة المادية ونزلت فيها آية محكمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، والقوة كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب برية وبحرية وجوية . والرباط كلمة تتسع لكل ما عرف ويعرف في تحصين الثغور ومداخل الأعداء وقوى الدفاع الظاهرة والكامنة . ويعلن في الآية أن فائدة هذا الإعداد العام الشامل ليست هي النصر في المواقع الحربية فقط ، وإنما هي قبل ذلك وسيلة قوية لإقرار الحق ومنع الأعداء من التفكير في زلزالته والطغيان عليه « ترهبون به عدو الله وعدوكم » ، ومن هذا الجانب تكون القوة المادية عاملاً من عوامل السلم ، تحفظ الحقوق وتقيها شر الاعتداء وينشر على العالم ظلال الأمن والاستقرار .

وكما يرشد القرآن إلى القوة المادية من جهة العدد والآلات ، يرشد أيضاً في دائرة القوة المادية أن تكون الأمة كلها جنوداً مدرباً على السلاح ، مدافعاً عن الحوزة ولا يستثنى القرآن من ذلك سوى أرباب الأعذار التي

# الأبجدية العربية الكاملة الأبجديات

للأستاذ عباس محمود العقاد

و (ثانيا) لأن بعض علامات الحروف عندهم يكتب حرفين متلاصقين لأداء المخارج الصوتية الملتبسة .

و (ثالثا) لأن حروف المد عندهم تتكرر بعلاماتها لتؤدي حركات الألف والواو والياء عندنا ، وهى مصوطة أو صامتة يتغير نطقها بتغير حركات الضم والفتح والكسر أو السكون عليها .

و (رابعا) لأن بعض الحروف عندهم تمثل أصواتا ملتبسة بين مخرجين ولا تمثل حرفا خالصا من مخرج واحد .

وكل هذه الحروف ليست بالناقصة فى اللغة العربية ، ولكنها موجودة فى لهجات القبائل وعليها زيادة من قبيلها ، وهى جميعا تدل على طور من أطوار النطق تخطاه العرب فى سبيل سلامة النطق التى انتهت إليها قبائلهم الفصحى وخلص فيها النطق السليم من لبس المخارج ولبس الحروف ، فلا يسيغون حرفا واحدا يختلط فيه مخرجان ولا يسيغون مخرجا واحدا يتعثر فيه اللسان بين حرفين ، ولا يقعون فى إهمال المخارج الصوتية المهمة التى يستقيم بها نطق الإنسان ، وأهمها مخرج

فى أيام البحث فى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية كان أحد الزملاء - أعضاء مجمع اللغة العربية - يروى أن الأبجدية الروسية تشمل على نحو أربعة وثلاثين حرفا وتزيد نحو ثلاثة حروف على الأبجدية العربية ، مع حسابان حروف المد فى الأبجديتين . وكان يلوح لذلك أننا قد نستفيد من مقابلة تلك الأحرف الزائدة بما يناسب النطق العربى لأداء الأحرف التى لا توجد فى لغة الضاد .

وقد رجعنا - لهذه المناسبة - إلى مرجع واف لأصول الأبجديات فوجدنا أن الأبجدية الروسية التى ذكرها الزميل أنقص حروفا من الأبجدية العربية ، وإن زادت علامات الأحرف بها عن علامات الأحرف عندنا . ( أولا ) لأن الأبجدية الروسية لا توجد بها حروف تمثل أصوات الحاء والذال والصاد والضاد والطاء والظاء ، فهذه الأصوات ناقصة فيها يعوضونها إذا كتبوا الأسماء العربية بوضع نقط تحت الحروف التى تؤدي عندهم أصوات الحاء والزاي والسين والذال والتاء .

تتحرى مواضعها القويمة من حروفها الخالصة ، إلى أن استقرت على حروف لا التباس بها وخارج وافية من النطق الإنسانى لا يهمل بعضها ولا تتداخل الحروف على اختلاط واشتباهاً في بعضها الآخر . وقوام النطق الإنسانى الفصيح أن فيه جميع مخارج الأصوات ، وأن تخلص فيه مواقع الحروف بغير لبس ولا اختلاط ، وهذه هى مزية « الأبجدية » العربية التى يحق لنا من أجلها أن نحسبها أكل الأبجديات ، وأن نستشهد لذلك بالشواهد العضوية الحيوية أو الشواهد البيولوجية الفزيولوجية كما نقول فى مصطلحات العلم الحديث ؛ لأن جهاز النطق الإنسانى وتوزيع مخارج النطق عليه حقيقة من حقائق العلم والحياة لا يزيد عليها ولا تنقص منها مفاخر الأجناس والأنساب ، ولا دعاوى اللغات واللغويين .

وقد تقدمت اللغة العربية فى هذه الأطوار وانتقلت من طور اللبس والاختلاط إلى طور الفصاحة والتمييز السليم لأسباب متعددة تخصها ولا تعم « العائلات » اللغوية الأخرى ، وأكبرها أثراً فيما نحن بصدد أن التطور بين لهجاتها قد كان تطوراً بين لهجات لغة واحدة فى جزيرة واحدة ، ولم يكن تطوراً تتنازع اللغات المختلفة من عائلة لغوية واحدة أو عائلات شتى .

الحروف الحلقية التى تلبس الحروف عند الأمم غير العربية لإهماله فى تقسيم حروف الكلمات .

وفى أبواب الإبدال والحروف المتفرعة التى تستوفىها كتب النحو والصرف والقراءات بيان مفصل عن هذه الحروف الكثيرة التى تبلغ بها الأبجدية العربية فوق الأربعين ، لو أضيفت إليها .

فمن هذه الحروف حرف الباء القريبة من الجيم فى بعض لهجات قضاعة .

وحرف الكاف القريبة من الشين فى بعض لهجات ربيعة .

وحرف الباء القريبة من الميم فى بعض لهجات مازن .

وحرف الكاف القريبة من الجيم القاهرية فى بعض لهجات اليمن .

وحرف بين الصاد والسين ، وحرف بين الطاء والتاء ، وحرف بين الظاء والثاء ،

وحرف بين الباء والفاء ، وحرف بين الفين والجيم فى بعض لهجات قيس وبنى أسد وبعض لهجات المتحدثين بمن تنحرف ألسنتهم عن النطق السوى المتفق عليه بين قبائلهم التى اصططلحت على النطق الفصيح .

فهذه الأصوات لم تكن ناقصة فى لهجات اللغة العربية ، ولكنها كانت فى هذه القبيلة أو تلك أصواتاً مضطربة بين مخارج النطق

مفاخر قومية ؛ لأننا أخرى أن نغنى أنفسنا من دعوى الفخر في أمر نستغنى فيه بتقرير الواقع عن انتحال الدعوى ، وما من زمن هو أولى بإبراز هذه المعلومات من زمن كثرت فيه أحداث التطوير والتجديد في قواعد الرسم وأصول الكتابة ومزايا الضبط في التعبير والأداء .

وخصلة أخرى تدعونا إلى إبراز تلك المعلومات والإبانة عن أسرارها وظواهرها ، وهي وجوب الانتهاء من طور الاتهام وسوء الظن بالنفس أمام الفضائل الأجنبية ما ثبت منها وما هو من قبيل المفاخر المشكوك فيها ، فقد كان طور الاتهام وسوء الظن بالنفس حميد المغبة من بعض جهاته ، يوم كان الشعور بالفضائل الأجنبية في عالم الثقافة والصناعة لازما للتنبه إلى مواطن ضعفنا وقصورنا والنهوض بنا إلى تصحيح أخطائنا وعيوبنا وابتعاث عزائمنا وأفكارنا ، ولكن الجانب الحميد منه قد ينقلب إلى تقيض ذميمة إذا انتهينا إلى طور العمل ووجب علينا أن ندرك الحقائق على جليتها وأن نعطي كل شيء حقه من الجهد عندنا وعند غيرنا .

وثمة جانب آخر من جوانب الاتهام وسوء الظن لم يكن حميد المغبة من قبل وليس هو بالحميد المغبة في وقت من الأوقات .

وذاك أن الإسراع إلى قبول التهم التي

إذا تنازعت لهجتان فالغالب المستحسن منهما باق في اللغة العربية ، والفرق بين المختار منهما والمتروك معروف بمقياس واحد في تلك اللغة مردود إلى أصل واحد من أصولها ، باق فيها على أنه مزية من مزاياها تهدي إلى الاقتداء بها في مزايا أخرى . وقد يرجع استيفاء النطق بمخارج الحروف الحلقيية إلى مزية جوية في الجزيرة ، تاريخية في أهلها ؛ لأن مناخ الجزيرة لا يحول دون استخدام الحلق في الكلام ، واشتغال أهلها برعى الإبل والشاة يعودهم سماع الأصوات التي تقارب حروف القاف والعين والحاء ، ولكن الفضل في الاختيار والتمييز لا يزال بعد وجود الحروف لأي سبب من الأسباب الجوية أو التاريخية حقا خالصا للتسكلمين المعقنين في تجويد النطق وغر البيان .

\*\*\*

وهذه معلومات واقعية عن لغتنا تخولنا أن نعتد برسم الكتابة عندنا وأن نقيم على أساسه كل تنقيح أو توسع نحتاج إليه . فإن هذا الرسم نمط رفيع بين الأبجديات في لغات الأمم التي لم تسلم بعد من العجمة أو اللكنة ولم تخلص في تجربة المخارج الصوتية من الإهمال والاختلاط إلى فصاحة النطق السليم .

ونسلمها « معلومات واقعية ، ولا نسلمها

تكال لنا جزافا قد كان إحدى الشهوات  
الحقاء في نفوس المغرورين من زمرة  
المتفريجين ، إذ غلب فيهم حب الظهور على  
حب الحقيقة بل على حب الكرامة ، فلم يكن  
أعجل منهم إلى الترحيب بكل نقيصة تنسب  
إلى لغتنا وكل مزية تنسب إلى اللغات الأخرى  
اغترارا منهم بسمعة العلم الذي انفردوا  
بتحصيله من الغرب ولم يشاركون فيه إخوانهم  
من فاتهم تحصيله هناك كما حصلوه ، وليس  
لهذا الغرور محل في زمننا هذا لانهاء المفاجأة

التي فتحت أبواب الإنكار على الثقافة الأجنبية  
من جهة ، وفتحت أبواب التعصب لها والمباهاة  
بها من جهة أخرى ... فليس منا من يحق له أن  
يعتبر الثقافة الأوروبية فخرا له دون غيره بين  
أبناء قومه ، وليس منا من يحق له أن يتأدى  
مع التقليد الأعمى فيخيل إليه أن كل مزية  
تنسبها إلى لغتنا إنما هي نعمة نثار ونخوة  
عصية ، ولو كانت لها حقيقة واضحة كحقائق  
الأرقام ؟

**عباس محمود العقاد**

## الحجاج والأعرابي الحكيم

قال الأصمعي : خرج الحجاج ذات يوم فأصحر ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا  
من يتغدى معنا ، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابيا في شملة ، فأتوه به ، فقال له : هلم . قال له :  
قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتك . قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى دعاني  
إلى الصوم فأنا صائم . قال : صوم في مثل هذا اليوم على حر ! قال : صمت ليوم  
هو أحر منه . قال : فافطر اليوم وصم غدا . قال : ويضمن لي الأمير أن أعيش إلى غد ؟  
قال : ليس ذلك إلي . قال : فكيف تسألني عاجلا بأجل ليس إلي سئيل . قال : إنه طعام  
طيب . قال والله ما طيبه خبازك ، ولا طبابخك ، لكن طيبته العافية . قال الحجاج :  
تالله ما رأيت كاليوم أخرجه هني .

# نفاية القرآن

## الإخاء منشود والفرقة بغیضة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة

غفلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم » ٦ - « التوبة » .

(٢) « فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة

فإخوانكم في الدين » ونفصل الآيات لقوم

يعلمون » ١١ - « التوبة » .

دعوته فيعلمهم - أولا - أن يحترموا عهودهم التي يعقدونها مع الغير ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود - « وأوفوا بالعهد ، إن العهد كان مسئولا » .

ويعلمهم - ثانيا - أن يصارحوا بالعزم على التحلل من العهود قبل حلها ، إذا رأوا غيرهم يحاول نقضها ، ولما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .

ثم يعلمهم - ثالثا - بعد التحلل من العهد : ألا يترفقوا بالعدو الغادر في حرب ، وألا يهادنوه في حصار ، أو يتخلوا عنه في مرصد حتى لا يجد سبيلا إلى مهرب يحتسى فيه .

« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد . » وغاية هذه التوجيهات : إذلال الناكثين للعهد المتجرئين على الله ، وكتبهم نظير ما بدأوا من الكيد لدين الله .

لم تكن خصومة بين الناس أعنف من خصومتهم في العقيدة منذ وجدت أديان ، ولا أطاح بالرقاب ، وأهدر الحرمات والأموال مثل ما كان ذلك أو أكثر ذلك ناشبا عن جموح في الرأى ، وانسلاخ عن الحق ، وإف للجهالة . وطالما كان المجال الديني معترك الفكر كان هذا المجال مزرعة الشيطان لوقود الفتنة بين الناس حول تدينهم ، وتصحيح إيمانهم ، أو تكاذبهم فيما يدينون . وكل كان الباطل يصاغ في هذا القالب ، ثم يساق إلى الناس في أساليب الغيرة على الدين .

وما نسينا مما تعلمنا أن الحياة الإسلامية حينما بدأت تتخذ في إطارها الجديد وضعا مستقرا ثارت في وجهها الجدليات ، ثم الملاحم بين ما في الدنيا من ضلال قديم ، وما أشرق عليها من إصلاح جديد غير مألوف .

وفي هذا الاتجاه الناشئ يلحظ الله جنود

وعندئذ انحسم الشر كله ، واتحد القصد ، وانتظم الشمل بعد تقاطع ، وتقاتل . وكان السبيل إلى هذا ، أنهم تلاقوا على دين الله ، وانخلعوا من الكفر إلى الإيمان ، ومتى توافر الإيمان استقام الأمر ، وانقشعت الضلالات ، وتبين الرشد ... ذلك تقدير الله في تشريعه ، وهو ماجرت به الأقدار على مسارح دنيانا : في عروش الملوك ، وعلى كراسي الحكم ، وفي دوائر النفوذ على اختلافها : سعة وضيقا .

وكل نزعة تبين مارسم لعباده في مسالكهم لن تكون لها غاية مرجوة ، ولا عاقبة مأمونة وإذا كان غيرنا يلتبس هذه التوجيهات في كلام النصحاء : فحسبنا وزيادة - أنها من قصص الله . فليس ترددها غريبا على مسامع المسلمين ولا بعيدا عن واقعهم ، وقد صقلتهم الأحداث ، وصهرتهم التجارب ، وذكرهم القرآن بهذا في كثير من آياته .

فإن يكن الدين هو الجامع بين الاشتات المتنافرة ، وهو الذي ألف بين الوحدة الأولى في تجميع هذه الأمة من قريش ومن الأوس والخزرج على ما كان لديهم من شقاق فلا يزال الدين - والحمد لله - قائما على أركانه الشداد ، ومكفولا بكتاب الله المحفوظ .

الإسلام هو الإسلام ، وهو الرباط القوي الوثيق بين أهله ثم بينهم وبين الداخلين فيهم حتى ليعتبرهم إخوانا ، غير ناظر فيهم إلى اختلاف لون ، أو لسان ، أو جنس فإذا

وفي هذا المقام يتمثل العداء سافرا ، والقسوة بالغة ، والنكال شديدا من جانب المسلمين ؛ لأن عدوهم كان في عهد معهم ، والإسلام يأخذ أهله بالتزام الوفاء حتى مع خصومه . فحالة العدو أن يغدر بعهد المسلمين تعتبر خدعة مأكرة ، فجزاؤه أدبيا أن يذوق وبال أمره ، والجزاء من جنس العمل ، وذلك قسطاس في العدل .

ومع ما يبدو من هذا التضييق والتحريض على الكفار لم يترك الله لجنود دعوته أن تغريهم نشوة النصر فيسرفوا في القسفي ، ويتجاوزوا الغاية المردودة من الجهاد ، بل وضع أمام المجاهدين حاجزا يكفهم عن التمادى ويكلفهم أن يكونوا على هودة مع عدوهم ، وأن يطلقوا حريته المسكوبة .

« فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم » .

نحن نتحقق توبة المشركين بالتوحيد ، وفعل الصلاة والزكاة ، لم تعد بين الجانبين عداوة مشبوبة ، ولا دماء مهددة ، وإنما هم في كفالة الله ، وحرمانهم موفورة عليهم .

بل يضع الله أمام المجاهدين ذلك الحاجز توجيهيا شاخصا إلى تبدل الحال أكثر من ذلك بمقتضى الإيمان الذي دخلوا فيه وصاروا به إخوة متساوين « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .



١ - أما التوبة منهم فأعلان التوحيد بالشهادتين .

٢ - وأما الصلاة فلأنها رأس العبادة البدنية وأحفلها بالدعوات والحشية لله .

٣ - وأما الزكاة فلأنها مواساة للفقراء، وتحبب إلى القلوب، وتعاون على النفع العام وبهذه الثلاث

جميعا - يتضح - غالباً من حال فاعلها أنه آمن ، واطمأن ، وسار على المنهج الإسلامى كله .

وما بعد هذا من شئون دينية يكون مفروضاً حصوله . . لأن المعلن للتوحيد

وهو المتردد على فعل الصلوات والبذل لماله في الزكاة لا يشق عليه إن فعلها أن يستجيب

فيما عداها لأن هذه الثلاث هى التى تجده أكثر من سواها . وهذه هى الوجهة فى

اشتراطها لتحقيق الإيمان من أولئك المعاندين وهنا وقفة علمية تحتاج إلى تمحيص موجز .

١ - إذا وقف المرء عند هذه الثلاث، ولم يفعل سواها أيسكون قد تم إيمانه ؟؟

ظاهر الإطلاق فى الآية يوم ذلك . . ولكنه فهم لا يستقيم فى نظام التشريع ،

لأن أركان الإسلام فيها صوم وحج ، ولا بد من الإيمان بهما ، ومن أدائها عند القدرة ،

كما تطابقت النصوص القاطعة . وإنما اكتفت الآية بذكر الثلاثة من المشترك

فى أول إيمانه ، حتى تتسع له فرصة العمل بما بقى ، فإذا أنكر بعضها لم يكن مؤمناً حقاً .

٢ - وتوجد أحاديث معتمدة فيما رواه البخارى ومسلم ، تدل على كفاية التصريح

كانت هذه طبيعته ودعوته ، وسياسته ، وهذه ظاهراته التى تمثلت فى أمته أينما كانت فى مراحل زمنها .

فإذا جدد فيه حتى نرى من أهله صفوفاً تتخلف وجماعات تتصدع ، وسياسات تتمزق

ورايات تتهاوى ؟؟

ماذا لحق بالجماعة الإسلامية حتى أصبح شأنها على غير ما بدأت ، وبات أمرها فى ظلام ؟

إن الله - سبحانه - لا يعطى النعمة جزافاً ، ولا يترك الملك اعتباراً .

ولأنما هى اختبارات فى العطاء أو مطاولة فى الحكم والنفوذ ، وامتحان فى الرحمة

والعدل ، فإذا بدل الناس نعمة الله كفراناً ، وصيروا الملك طغياناً ، استرد الله نعمته ،

وسلب من ذوى الطغيان سلطته ، وأقام البرهان من جانبه على أن الأمر إليه - أولاً

وأخيراً - وأنه لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ونعود فنقول :

دين الله كما وضعه الله ، والثنا كشون عن الدين هم الثنا كشون على أنفسهم وسنة الله

تجرى على أوضاعها دون تبديل فيها . وقد جعل الله تلاقى الناس على دينه مشابهة

إلى الخير ، وأمننا من السوء . وجعل ذلك مع الكفار - على عهد

الرسول - بأمور ثلاثة ، ذكرتها الآية :

تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة . بهذه الثلاثة تنفجر أزمة العداوة بينهم ، وبهذه الثلاثة يصيرون إخوة فى الإيمان .

٢ - مرة لا يسكتني النبي بكلمة التوحيد إذا صدرت مثلاً من يهودى كأن يقولها بحكم دينه .. بل لا بد في تحقق إسلامه من شهادته لله ولمحمد بالرسالة عامة لئلا يعترف بالرسالة، وهو يخصها بالعرب وحدهم.

٣ - مرة يطلب الرسول مع الشهادتين أداء الصلاة والزكاة في موعهما وهذا في حالات تقتضى مزيد التأكد من إسلام من لم يكن مسلماً وهذا ما وردت فيه آيات الموضوع، وأحاديث تؤيدها في المراد وعلى أى حال : فالإذعان بالشهادة أو بالشهادتين أو ببعض العبادات كالصلاة والزكاة لا يغنى عن بقية عناصر الدين المفروضة في تشريع الله، والدين لا يتجزأ، ولا يغنى فيه شأن، عن شأن .

وتجزئة الدين تعتبر إيمانا ببعض الكتاب دون بعض، وهذا ضرب من الكفر يأباه الله سبحانه .

والقرآن : يتجه بالناس إلى التلاقي على تدين صحيح، وإخاء ناصح، ويحذرهم دائماً أن يخدعوا أنفسهم بالأمل الكاذب دون عمل خالص كما يحذرهم دائماً أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من عدو دينهم ويعلمهم أن عدوهم مهما تصافى لهم لا يريد بهم خيراً، ولا يزيدهم إلا خبالاً، ولعل الله يحفظ بيضة الإسلام وشعبه من مكر الماكرين بها من طريق الأغرار المتخلفين عن التلاقي على الدين .

ع.م. اللطيف العبدى

عضو جماعة كبار العلماء

بالشهادتين في تحقق الإيمان، مثل ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، وأنى رسول الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلخ )، فلم يشترط في الإيمان صلاة ولا زكاة كما ذكرت الآيات والأحاديث المرافقة لها .

٣ - بل توجد أحاديث معتمدة كذلك تسكتني بقول ( لا إله إلا الله .. فقط ) ويقولها وحدها يكون الكافر مسلماً ويدخل الجنة .

وليس مشروطاً أن يشهد لمحمد بالرسالة كما تدل تلك الروايات وخلاصة هذه الشبهة - أننا نرى توبة الكافر تكون بكلمة التوحيد فقط.

وعلى هذه النصوص يكون التلاقي على دين الله ممكناً بين الناس بمجرد كلمة لا إله إلا الله وهذا أيسر ما يقال، دون التزام لاكثر منها . والتحقق :

أن جميع النصوص في كتاب الله وسنة رسوله داعية إلى مقصد واحد : هو ترك الكفر، والدخول في دين الله على أكمل وجه : عقيدة، وعملاً وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم - يتحدث في كل حالة بما يناسبها .

١ - فرة يكسني من المشرك بقوله ( لا إله إلا الله ) لأنه حين يقولها تكون أمانة على تخليه عن الشرك كله، ودخوله في التوحيد فترك قتاله إذا كنا في شجار معه ولا نعقد عليه أمر التدين، ونعطيه الفرصة فسيحة لإظهار دينه في رفق .

# مَنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى  
والله غنى حلیم »  
(قرآن كريم)

(القول المعروف يصدق على كل كلام يتسم بالرفق والخير والإحسان .  
والمغفرة ستر الذنب بالعمو والصفح عن فاعله .  
(والمراد بالصدقة هنا ما يبذله المنفق أو المتصدق للسائل أو المحتاج .  
والأذى يطلق على المكروه الذي يؤلم ، والشئ الذي يستقذر .

ومعنى الآية - والله أعلم بمراده - أن رد  
السائل بقول حسن أو كلمة طيبة خير  
من إعطائه ما يطلب من صدقة إذا كان يتبعها  
كلام يؤذيه ويؤلمه . أو اعتداد بها من المنفق  
أو المتصدق بثقل عليه ، ويدخل في ذلك  
إظهار الضيق به . والتبرم منه ، والتجهم  
في وجهه ، والله غنى لا يحتاج لغيره .  
بل كل ما سواه محتاج إليه ، وهو حلیم  
لا يعاجل بالعقاب من يبخل بماله . أو يبذله  
ويتبعه البذل بما يبطله من أذى السائل  
بالقول أو الفعل . فلا يفرنكم ذلك . وخافوا  
عذابه وعقابه . فإنكم لا محالة محاسبون أمامه .  
ويظهر من مقابلة القول المعروف بالصدقة  
أن المراد بها صدقة التطوع والتبرع . وقد  
شاع استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى في كلام  
الناس حتى فهم خطأ أنها قاصرة عليه . مع أنها  
في وضعها الإسلامي السليم - وقبل أن يضيق  
العرف الفاسد معناها الواسع - تطلق على كل  
قول وكل فعل ينم على صدق الإيمان . وإحساس  
المؤمن بما يجب عليه نحو الله ونحو الناس .

فالزكاة وهي ضريبة لازمة وحق مفروض  
في مال الأغنياء . تسمى صدقة ، كما يفهم  
من قول الله « إنما الصدقات للفقراء  
والمساكين الخ » ، والعامل على الزكاة كان يسمى  
عاملاً على الصدقة ، بل كل عضو في جسم  
الإنسان عليه - كل يوم تطلع فيه الشمس -  
صدقة ، كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم  
« كل سلاى عضو » من الناس عليه صدقة ،  
كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين  
صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها  
أو تحمل له عليها متاعه صدقة ، والكلمة  
الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة  
صدقة . وتميط الأذى عن الطريق صدقة .  
ومن ثم يبين أن معنى الصدقة يسع كل خير  
وبر ، وأن صدقة التبرع أو التطوع . يجب  
ألا يشوبها جور على كرامة السائل والمحتاج ،  
فعلى الذين يرون في الصدقة غصاً من قيمة  
الإنسان وكرامته أن يفهموا الإسلام على  
سلامته واستقامته ، فسيجدون فيه اشتراكية  
أوسع وأرفع . هــمـ الرهم فوردة

# بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد أبو شنبه

غفلة الحاكم الذى ينفذ الشريعة ، ويقم الحدود والتعزيرات ، ويقضى بين الناس ؛ لأنه إن غفل الحاكم وأعوانه ولم يصل إلى علمهم المخالفة أو الجريمة فلن يغفل الرقيب الأعلى العايم بكل شئ والخبير بما تهجس به النفوس ، وهو الله تبارك وتعالى ، وهذه المراقبة للحق تبارك وتعالى إنما تربيتها وتنميتها الشرائع السماوية ، ولا تزال تنمو وترسخ حتى تصير ملكة نفسية ولن تجد أصلح للجمعات من سيطرة ملكة المراقبة فى النفوس .

وإنك لتلبس هذا المعنى واسخا فى مسلك بعض الأغنياء الذين يخرجون زكاة أموالهم طائعين مختارين عن طيب نفس ومع التحرى والتحوط البالغين فى التقدير والإخراج ، بينما تجدهم يتقاعسون عن دفع بعض الضرائب التى تفرضها الدولة مع أنها تنفق فى الخير والمصلحة العامة بل ويتحايلون على التخلص منها ، وإذا دفعوها دفعوها مكرهين ، وذلك لأن الزكاة تكليف من الشارع الحكيم ، أما الضرائب فتكليف بالقانون .

بينت فى المقال السابق أن مرجع الشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة المحمدية يعنى أنها من عند الله سبحانه وأنه ليس للبشر فيها إلا فهم النصوص والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص صريح بقياس الشبيه على الشبيه ، وتخرج الفروع على الأصول ؛ واستخراج أحكام الجزئيات من الكلليات ، والنظر والاستدلال فى حدود القواعد العامة ، ومراعاة روح التشريع الإسلامى ومقاصده وأهدافه ، وأن القوانين الوضعية مرجعها إلى عقول البشر فهى بشرية بحتة ويترتب على هذا الفرق الأصيل فى المصدر النتائج الآتية :

١ — أن تكون للتشريعات الإسلامية القداسة والتقدير والاحترام فى النفوس وذلك لأن واضعها هو الله سبحانه وتعالى وله فى النفوس القداسة العظمى ، والخضوع المطلق ، وليست القوانين الوضعية كذلك فهى عارية عن هذا التقديس مهما كانت منزلة واضعها ، ولهذا التقديس أثره الكبير فى التزام الشريعة والعمل بها فى السر والعلن ، والرضا والغضب ، حتى ولو أمن العامل بها

وطبائهم ، وما يعرض لهم من صحة ومرض وغنى وفقر ، وسفر وحضر ، ولذلك جاءت التشريعات الإسلامية متفقة مع الفطرة وفيها كفاء لكل هذه الأحوال والملابسات .

وسأقتصر على ضرب مثل لهذا ، وليكن ذلك بعقوبة القصاص في النفس فقد جعلت الشريعة القصاص حقا لولى الدم ولم يجعله الله سبحانه حقا لازما كالحدود لا يجوز التنازل عنه ولكنه شرع لولى الدم العفو إلى بدل وهى الدية ، أو العفو المطلق قال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والآثى بالآثى ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكفى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون ، <sup>(١)</sup> وقال : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، » <sup>(٢)</sup> .

والآية وإن كانت في شريعة التوراة فهو في شريعتنا كذلك ، وقد دلت الآية على أن

وتلسه أيضا في هذا المشهد العظيم - موسم الحج - حيث يجتمع الألوف المؤلفة من كل جنس ولون ، ومن كل قطر وصقع ، ومع هذا يكاد يكون التعدى على الدماء والأعراض والأموال في حكم العدم ، ولم نسمع أن أحدا قتل ، أو عرضا انتهك ، أو مالا انتشل ، إلا في القليل النادر جدا ، ولو رأيت الناس وهم يطوفون حول البيت رجلا ونساء ، وشبابا وشيبا ، ويتزاحمون بالمناكب حتى لا تكاد تجد منفذا لإبرة ، لعجبت ألا تجد أحدا سرقته تقوده ، أو عجوزاً وطىء تحت الأقدام ، أو امرأة عرض لها أحد بسوء ، أو خدش حياها بلبسة مريبة ، أو كلبة نائية ، ولآمنت حق الإيمان بسلطان الشريعة على النفوس وقداستها في القلوب ، ولو أن مجتمعنا دنيويا لا يصل تعداده عشر معشار هذا الحشد الحاشد من الجميع لما سلم من الجرائم والمظالم التي لا يحصيها العد ولكنه الوازع الدينى الذى هو من ملازمات التشريع السامى ولا سيما الإسلام .

(٢) موامة التشريعات الإسلامية للفطر وصلاحياتها لكل زمان ومكان ولكل الأمم والشعوب على اختلاف طبائعها ، واتجاهاتها وبيئاتها ، وذلك لأن واضعها ومشرعها هو الله سبحانه وتعالى وهو عالم بما كان وما يكون ، وعالم بالبشر وفطرهم ، وغرائزهم

(١) البقرة ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) المائدة الآية ٤٥ .

أن يقتص بنفسه لترضى بذلك نزع الانتقام المطلق ، أما شريعتنا فجاءت بالقصاص والدية والعفو المطلق ، وبذلك تميزت عن الشرائع السبائية السابقة والقوانين الوضعية ، وجاءت أوفى وأتم ، وأشد موامة للفطر والنفوس . ولذلك سر ؛ ذلك أن بعض الناس كالبابائ البدوية وأهل الريف بمصر مثلاً ومن في حكمهم ممن يستحكم فيه حب الأخذ بالثأر والقشبي والانتقام لا يرضون إلا بإراقة الدم وذلك بالقصاص وبغيره لاتذهب الحزازات من النفوس وذلك أمر معروف ويحس به أكثر المتصدرون للقضاء بين الناس ، وبعض الورثة وأولياء الدم قد يرون أن الدية أنفع لهم من القصاص ولا سيما إذا كان القتل هو عصمتهم وليس لهم عائل سواه ويرون أنهم في حاجة إلى المال للإنفاق على الأراامل والصغار أو لاعتبارات أخرى ككون القاتل له صلة قربي بهم ، وأمثال هؤلاء يميلون غالباً إلى الدية بدل القصاص وبعض أولياء الدم قد يرون العفو المطلق . إما لسمو في نفوسهم أو تسامح في فطرتهم ، أو قوة في دينهم فهم يلتزمون الأجر من الله . ولما لظروف تدعوهم إلى العفو عن القاتل كقرابة ونحوها ، فمن ثم جاءت الشريعة بالأمر الثلاثة وقد كان الشارع حكماً أيضاً حينما جعل القصاص حقاً للولى وجعل للولى

أن يقتص بنفسه لترضى بذلك نزع الانتقام المطلق ، أما شريعتنا فجاءت بالقصاص والدية والعفو المطلق ، وبذلك تميزت عن الشرائع السبائية السابقة والقوانين الوضعية ، وجاءت أوفى وأتم ، وأشد موامة للفطر والنفوس . ولذلك سر ؛ ذلك أن بعض الناس كالبابائ البدوية وأهل الريف بمصر مثلاً ومن في حكمهم ممن يستحكم فيه حب الأخذ بالثأر والقشبي والانتقام لا يرضون إلا بإراقة الدم وذلك بالقصاص وبغيره لاتذهب الحزازات من النفوس وذلك أمر معروف ويحس به أكثر المتصدرون للقضاء بين الناس ، وبعض الورثة وأولياء الدم قد يرون أن الدية أنفع لهم من القصاص ولا سيما إذا كان القتل هو عصمتهم وليس لهم عائل سواه ويرون أنهم في حاجة إلى المال للإنفاق على الأراامل والصغار أو لاعتبارات أخرى ككون القاتل له صلة قربي بهم ، وأمثال هؤلاء يميلون غالباً إلى الدية بدل القصاص وبعض أولياء الدم قد يرون العفو المطلق . إما لسمو في نفوسهم أو تسامح في فطرتهم ، أو قوة في دينهم فهم يلتزمون الأجر من الله . ولما لظروف تدعوهم إلى العفو عن القاتل كقرابة ونحوها ، فمن ثم جاءت الشريعة بالأمر الثلاثة وقد كان الشارع حكماً أيضاً حينما جعل القصاص حقاً للولى وجعل للولى

(١) الشورى ٤٠ .

(٢) آل عمران ١٣٤ .

(٣) التفريع الجنائي الإسلامى ص ٥٤٩ ج ١ .

مثلاً أفسد ولم يصلح ، وفتح باب شر كبير على مجتمعاتنا الإسلامية ؛ وذلك لأنه وضع لبئنة غير يثبتنا ولقوم دينهم غير ديننا ، وطبيعتهم غير طبيعتنا ، وتقاليدهم غير تقاليدنا ، بل قد أثبت الواقع عدم صلاحية هذه القوانين للبئنة التي وضعت لها ، وليس أدل على ذلك من فشو الفساد والانحلال الخلق والاجتماعي في كثير من البلاد الغربية ، التي تحكم بالقوانين الوضعية ، وإن يجادل في هذا إلا مكابر .

٣ — موافقة التشريعات الإسلامية للصواب والحق والعدل وذلك لعدم احتمال الخطأ أو الغلط أو الجور أو الظلم من واضعها أو الخضوع للأهواء والشهوات والتأثر ببعض المؤثرات وعدم احتمال المحاباة أو المحاماة أو النفاق والمساهنة ، إذ الحق سبحانه وتعالى منزّه عن كل ذلك ، وكذا الرموز صلوات الله وسلامه معصوم عن ذلك ، وقد قامت الدلائل العقلية والنقلية على كل ذلك ، وقد بين الحق تبارك وتعالى هذا المعنى بقوله : « وتمت كلمته ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لأكلماته وهو السميع العليم » (١) ، وقال : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ( البقية على صفحة ٤١٠ )

مانع ، ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا موافقة الشريعة الإسلامية لطبائع البشر وغرائزهم ، وفضلها على غيرها في هذا ، وهذا المعنى هو الذي عناه الحق تبارك وتعالى بقوله : « فأقيم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ( ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ) رواء البخاري ومسلم والفطرة هي الدين الحق ، دين الإسلام ، الذي يوائم الفطر والطبائع وقوله : ( تركتمكم على الحنيفية السمحة التي ليلها كنهارها ) .

أما القوانين الوضعية فواضعها البشر وهم مهما بلغوا من العلم فعلهم قاصر لأنهم إن علموا ما في أنفسهم ويومهم فلن يعلموا ما في الغد ، وإن علموا بعض الطبائع فلن يعلموا كلها ، وإن علموا بعض البيئات فلن يحيطوا بها كلها علماً ومن ثم كانت بعض القوانين الوضعية لا توائم كل الفطر ولا جميع البيئات ، ولا تحقق مصلحة الناس ولا صلاح المجتمعات .

وليس أدل على هذا من أن القانون الذي نحكم به في بعض الجرائم والعقوبات كالزنا

## التضمين، أو نيابة صَرف بمكان آخر للأستاذ عمر لطفي السيد

هذه الحروف بحث الأخذ والرد وجب البت في أمرها وبيان حقيقة الموضوع أو توضيحه فأقول :

الفعل في اللغة يراد به معناه الأصلي ، والحروف المتعلقة به أو حروف الجر لا تتغير أبدا بالنظر إليه وهذا مما يؤيد أرباب الرأي الأول . وإذا تخلف ذلك ووضعنا حرفا مكان آخر عد ذلك غاطا قطعاً . وهذه قاعدة أصلية مقتبسة من كتب اللغة . ومن كلام العرب الفصحاء ، ولا تخرج هذه عن قاعدتها إلا إذا أردنا ( المجاز المرسل ) وهذا يقال له في مصطلح النحويين ( التضمين ) أو أن يراد باللفظ ( الحقيقة العرفية ) ومن ثم يقولون : إن حروف الجر ينوب بعضها مناب البعض الآخر - بأن يبقى اللفظ على حاله لا يتغير ، وإنما يتغير حرف الجر للدلالة على أن الفعل تبدل معناه إلى ما يقاربه من وجه في التوسع أو التقييد لمعناه .

والعلاقة في الغالب سببية ولا تذكر لمعلوماتها أو أنها صارت ( عرفاً لغوياً ) ولا ينسکر أن التضمين في اللغة العربية كثير

من أمد بعيد كنا نسمع في مجالسنا الأدبية فيما يجري من مباحث ومطالب تتعارض فيها الآراء أحياناً ومن جملة ما كان يجري بحثه أن ( حروف الجر ينوب بعضها مناب البعض الآخر ) فكان من رأى جماعة أنه لا يجوز أن ينوب حرف جر مناب آخر . وقال بعضهم إذن لا نستطيع أن نلفظ أحداً فقلت له : فهل التغليف مقصود ؟ وإذا كان التوجيه ممكناً فمن الضروري أن يحمل القول على حمل صحيح . ويصرون على أن مرجع ذلك اللغة ومدوناتها ... وشاركتهم من شاركهم ممن لا يؤم المجالس الأدبية . ومن رأى جماعة آخرين أن هذه الحروف ينوب منابها غيرها وقد طالت المباحثات في هذا الموضوع .

وهذه المسألة لا تحل بإبداء الآراء وإنما تحقق من ناحية التبدل المشهود في الكلمات ومشاهدة التغيير فيها عند التركيب أى من ناحية النحو . ومن جهة أخرى نلاحظ علاقتها باللغة وبمجارى النطق العربى من جهة البلاغة وموافقتها أو مخالفتها . ولما دخلت



عد منه المرحوم الأستاذ (مصطفى صادق الرافعي) المتوفى سنة ١٩٢٧ م عشرة آلاف كلمة فعجز عن الإحصاء (والنحو في هذه الحالة يراعى تحول الحروف ظاهرا) .

وغالب النقد من جهة مطابقة اللغة أو مخالفتها دون التفات إلى مراعاة التضمنين أى الجواز ومن هنا عد أنه حصل بصورة غير صحيحة وهناك التحمل فى التأويل ليلتئم . وإلا فالملازمة غير قطعية ولا سيما عند تغير المعنى بصرف الفعل إلى معنى آخر يستدعى تبديل الحرف لعلاقة السببية أو لغيرها ومحمل النزاع ما ورد فى (المغنى) من أن الحروف لا ينوب بعضها مناب البعض الآخر إلا بتحوطات .

وهذا نصه :

« مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض » بقياس « كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك ، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل فى قوله تعالى : « ولأصلبكنم فى جذوع النخل » وإن ( فى ) ليست بمعنى على ولكن شبه المصلوب لتسكنه من الجذع بالحال فى الشيء ، وإما على تضمين الفعل معنى فعلى يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم (شربن) فى قوله :

شربن بماء البحر ثم ترفعت  
مضى ليج خضر لمن نثيج  
وشربن معنى روين (وأحسن) فى « وقد أحسن فى إذا أخرجنى من السجن » معنى لطف وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو بجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين ، وبعض المتأخرين لا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفا « اهـ (١) وجاء فى التصريح (٢) :

« والصحيح عند البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما لا تنوب أحرف الجزم وأحرف النصب وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف وإما على شذوذ إنابة كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو بجمل الباب كله عند الكوفيين ، وبعض المتأخرين لا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفا على ما قال صاحب المغنى « اهـ .

وهذا الإجمال هو موضوع المناقشة ويرضح هذا :

١ - أن أصل اللغة مبناها ( الحقيقة ) وأن الأفعال منها - ما تتعلق بها حروف

[١] النسخ ج ١ ص ١١١ طبعة الأستاذ محمد محي الدين عبد الحميد .

[٢] شرح التصريح ج ٢ ص ٤ - ٧ (المن) طبعة سنة ١٩٢٥ .

مرسل ، أو «تضمنين» وهؤلاء من جراء كثرة توغلهم في المعاجم لم يكونوا أهل سعة في مدلولات اللغة ، ولذا كانوا في تغليطهم على خطأ وإن كان في حقيقة اللغة صوابا ، هذا مع أن اللغة لا تخاو من ضروب بيان سواء في الألفاظ أو في الجمل وهى عوارض تزول بزوال علاقاتها ويزيد بعضهم بأنه لو راعينا هذه القاعدة لم يبق مجال في تغليط أحد من حيث اللغة ؛ نظرا لهذا الاحتمال أو لهذا السبب . فى حين أن الكلام إذا كان له وجه صحيح ، فلا يجوز لنا التغليط إذا كان له مخرج فى اللغة ولا تقبل التمحلات أو التمنطعات .

وكان ذلك يضيع عليهم مكاتهم اللغوية وموقعهم الممتاز فيها . وانتقل هذا الأمر إلى آخرين أمثالهم أو المقلدين لهم على العمياء ، وما ذلك إلا لأن هؤلاء توغلوا فى معاجم اللغة توغلا صرفهم عن أن يدركوا مجاريها وجمدوا على أصل اللغة دون مراعاة ما يلامسها فى تصرفاتها فى غير معاجمها ، واعتبار ذلك تجاوزا على حدود اللغة ولم ينظروا إلى المجازات المرسله والاستعارات ، ولا إلى المجاز العقلى والكنيات .

وهذا مادعا النحاة أن يقولوا : « الحروف ينوب بعضها مناب البعض ، وما ذلك إلا لأن المعنى قد يتبدل فيتحول المقصود من الفعل بإرادة معنى آخر ، ومن ثم يحول الحرف

الجر الخاصة بها فلا تتجاوزها وبهذا الاعتبار لا ينوب بعضها مناب البعض الآخر على الإطلاق إلا بتحوطات وهذه عدها صاحب التصريح إجمالا عند البصريين ، وذلك بأن تقول الكلمة أو أن يراعى ( فيها التضمنين ) إلى آخر ما جاء ، فهذه القاعدة عامة فى حقيقة اللغة وأما التجوز فإنه تابع لمراعى الكلام تبعا لعلاقات مجازية وهو موضوع ( علم البيان ) إلا أن التبدل قد يكون باستعارة كلمة أو صرف معناها عن حقيقة ، فإذا زال السبب عاد الكلام إلى ما كان عليه من حقيقة وإلا لم يكن الأمر كيفيا أو حسب الأهواء بأن تتصرف به حسب ما نريد وبدون مراعاة عوارض اللغة أى تتصرف بلا قياس .

٢ - التضمنين أمر مجازى فى الحقيقة وذلك بأن نستعمل فعلا فى معنى آخر مجازا لعلاقة السببية فيظهر التحول فى معنى الفعل فتتغير له حروف الجر ، والنحويون ليس من مباحثهم الجواز وإنما ينظرون إلى تبدل حروف الجر نظرا لتبديل المعنى ويقولون « تضمنينا » .

٣ - تغليط النحويين وأهل البلاغة ؛ مبناه التوغل فى كتب اللغة ومشاهدة أن الحروف ثابتة لا تتغير بالنظر للأفعال فى « حقيقة » استعمالها ولذا يغلطون النحويين وعلماء البلاغة فيما ذهبوا إليه من « مجاز

نسكرها أو نخلط الناطقين بها لنجد أنها تخالف أصل اللغة ، وهذا التغليب ناجم عن التوغل في المعاجم ( أصول اللغة ) كما تقدم ، أو عدم إدراك العلة الناجمة ، ومن ثم صار يعد كل خروج انحرافا عن اللغة وشذوذا عنها . وأكبر سبب هو أن الاستعمال مرتبط بعلاقات حالية أو مجازية يزول حكمها بزوال تلك العلاقات وتبعها لها فلا تبقى مستقرة كاللغة الأصلية .

فإذا كانت المعاجم تتكلم عن أصل وضع اللغة أو ما جرى في زمان ، وعد المرء ذلك هو اللغة وحدها كان مخطئا من جهة أنه ضيق على اللغة فلم يتعرض للجازات وتصرفات الألفاظ وما مائل من ضروب التغير . فالمفردات مبنية في المعاجم على حقيقتها وكذا الأفعال ومتعلقاتها ، أما الجازات فهي تابعة للعلاقات وفيها مؤلفات كثيرة فلا تدخل في أصل اللغة وإنما ذلك تابع للاستعمال ومن أجل مباحثه ( التضمنين ) .

وكذلك ( الجمل ) فهي متحولة وقد يراد بها غير ما وضعت له في تكون اللغة وذلك مثل ( الجاز العقلي ) فيصرف عن أصل المعنى كتشبيه جملة بجملة أو معنى تام بمعنى آخر مثله أو يكون ذلك كما قلنا ( مجازا ) وأطلق عليه علماؤنا لفظ ( الجاز العقلي ) وهذا أيضا من ضروب اليأسان وضروب البيان

الذي هو من متعلقاته تبعا للمعنى المقصود من الفعل وإرادة معنى آخر ، أو أن الحرف شاع تبدله تبعا للمعنى المطلوب واطراده في الاستعمال وشيوعه ، وكأن الفعل متداول في المعنيين فصح أن يستعمل الحرف محل الآخر ، وهذا هو الاستعمال ( العرفي ) أو ما يقال : إنه ( حقيقة عرفية ) وقد يسمى به ( التضمنين ) أيضا من جراء عدم ظهور العلاقة أو فقدانها .

وأما التخصيص فيراد به الحرف المقصود قطعاً كأن استعملنا فعلا بمعنى فعل آخر إن اضطررنا أن نراعى الحرف المؤدى لمعنى ذلك الفعل وما يحتاج إليه من حرف وهذا من أوضح ضروب التضمنين .

ولا شك في أن اللغة كائن حي ، وفي تبدل مستمر وتغير لا نهاية له بمثل هذه الاستعمالات وهي لغوية أيضا ولكن اللفظ الأصلي يحافظ على وضعه وعلاقته بالحرف الملازم له في الأصل قبل أن يحدث تبدل طارئ ، فإذا أردنا أن نزيل في أغراضنا المتحولة المتبدلة دائما وجب أن نجعلها مرتبطة بتلك الأغراض لعلاقات مجازية أو تضمينات ... باستخدام الحروف للمعنى المقصود دون ( المعنى الحقيقي ) وهكذا شيوع الاستعمال أو ( الحقيقة العرفية ) .

وهذه ظواهر ليس من الصواب أن

وهذه القاعدة أقرها علماء اللغة والنحو معاً فالتصدى إلى أنها غير صحيحة لا يستند إلى دليل ونحن نستدل بكتب النحو ونصوصها ونستدل بالاستعمال فلا ندرى وجه الإنكار ولكن أرباب هذا الرأي لا يسمعون دليلاً ويريدون أن يفرضوا آراءهم فرضاً

وصفوة القول : إن اللغة دونت ( الحقيقة ) أو ما هو شائع في عصر التدوين كحقيقة ولم يلتفت إلى استعمال الناس استعمالاً مطرداً في ألفاظها مجازاً أو استعارة أو كناية أو إشارة أو رمزاً أو حقيقة عرفية ، ولا إلى الجمل واستعمالها بما هو قريب من هذا بما يعبر عنه بالجاز العقلي ، وهذه الاستعمالات زادت في ضروب البيان كما خرجت بمعاني الألفاظ الأولى إلى ما يقرب منها أو ما يعد مقارباً من وجه أو متباعداً بمقدار ضعف العلاقة أو قوتها ، وأكد ذلك الكتاب الكريم والحديث الشريف وضروب المدونات في الأدب العربي . . وقد قيل ( استعمال الناس حجة ) في اللغة وفي غيرها . . و ( الحقيقة العرفية ) من أمثلة ذلك فلا نجد بين حقيقة اللغة وبين الحقيقة العرفية حدوداً سوى الاستعمال . هذا والتضمنين في مصطلح البيانين الإشارة إلى آية أو مثل أو بيت شعر وتضمنينه . . وهذا لم يكن من موضوعنا .

والتفنن في التعبير يجعل اللغة ثروة عظيمة والمجاز لا يرجع فيه إلى كتب اللغة ومثله الحقيقة العرفية .

والتضمنين مجاز علاقته غير ظاهرة وربما وجدنا أن كثرة الاستعمال في مثل هذه تقطع ( العلاقة ) فتصير ( حقيقة عرفية ) ... والتلاعب في البيان لا حدود له ، وإن ضروب المعاني لا ينكر وجودها ، وتتكون لأدنى علاقة ظاهرة أو خفية أو غير مدركة بسهولة كالإشارة والكناية .

نعلم أن اللغة ( مادية ) في الأصل وأن تصرف الناس خرج بألفاظها إلى الأمور المعنوية ، أو معان أخرى غير مقصودة لأدنى ملايسة من أصل اللفظ ، وقد تنسى وجهة الملايسة أو المناسبة فيبقى الاستعمال وهو حجة ، ومثل هذا ضروري لضيق اللغة مهما بلغت من المسكنة في السعة ؛ فإنها مقيدة للناطقين بها وحاجاتهم ، وضرورة بيانهم تدعو إلى ذلك ولا تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات ، وإن كانت واسعة النطاق فإن الناطقين بها لغتهم محدودة فيضطرون إلى استعمال المجاز في اللغة كأنها لا يوجد منها غير ما يعلمون للتصرف بألفاظها وجملها فيميلون إلى محامل كثيرة ، وإن المعارضين استبعدوا في الحروف أن ينوب بعضها مناب البعض الآخر .

٣ الدر الثمين في محاسن التضمين ،  
تأليف العلامة الشيخ عبد الله بن سلامة  
الإذكارى نزيل القاهرة ولد سنة ١١٠٤ هـ -  
١٦٩٢ م والمتوفى في ٥ جمادى الأولى سنة  
١١٨٤ هـ - ١٧٧١ م فرغ من تأليفه سنة  
١١٧٥ هـ منه نسخة بدار الكتب المصرية .  
٤ - رسالة المرحوم الأستاذ محمود  
شكرى الألوسى .

وهذه الرسائل تعين مجارى الآراء في  
الموضوع سواء كان للسيد الشريف الجرجاني  
أو لسعد الدين التفتازانى أو لغيرهما ممن تلا  
من علماء البلاغة **عمر الجافى السير**  
من خريجي الأزهر

وأما مصطلح النحويين فهو ما تقدم  
الكلام عليه .

والتضمين النحوى تعرض له علماء البلاغة  
في بحث الجاز .

ومن الرسائل المدونة فيه :

١ - رسالة ابن كمال باشا ومؤلفها توفى  
سنة ٩٤٠ هـ - ١٥٣٣ م .

٢ - رسالة ياسين بن زين الدين أبى بكر  
ابن محمد بن الشيخ عليم ( بالتصغير ) الحصى  
الشافعى نزيل مصر الشهير بالعلمى ويعرف  
بالسنوشى ( محشى كتاب التصريح على  
التوضيح ) وله رسالة أخرى في التضمين  
أيضا . توفى سنة ١٠٦١ هـ - ١٦٥٠ م .

( بقية المنشور على صفحة ٤٠٤ )

الشريعة الإسلامية ، مضى عليها قرابة أربعة  
عشر قرنا وقد بلغت من الجدة كأن عهدها  
بالحياة أمس ، ومن الأحكام ما جعلها تفوق  
كل تشريع كما بينا وكما سنبين ، وإذا كانت  
لم تسلم من الطعون ، فما ذلك إلا إرضاء  
للعصب دميم ، أو حقد دفين ، أو استجابة  
لهوى نفسى من المبشرين والقساوسة ومن  
لف لفهم ، والمنصفون من الغربيين  
قد وصفوها بما هى له أهل ، وقد بينا طرفا  
من ذلك فى المقال الأسبق وبحسبنا هذا اليوم ،  
فإلى المقال الآتى إن شاء الله .

**محمد محمد أبو سريته**

نزىل من حكيم حميد ،<sup>(١)</sup> وقال : « أفلا  
يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »<sup>(٢)</sup> .

أما القوانين البشرية ، فإن واضعها عرضة  
للغلط والسهو والخطأ واتباع الأهواء  
والشهوات ، وتصد المحاباة أو النفاق وتملق  
الجماهير بل احتمال ذلك أمر قريب محتمل ،  
ولذلك نجد القوانين الوضعية لا تسلم من  
التخطئة والنقص والإبطال ، والتغيير  
والتبديل ، وما من قانون وضعى قديم  
أو حديث إلا وفيه ثغرات كثيرة ، نقصد  
منها الناقدون المنصفون ، على حين نجد

عالم جريء بواجب الطفيان :

## يحيى بن يعمر العدواني

للأستاذ محمد رجب البتوي

مشعة في غرس بذور النحو ، مع أبي الأسود  
الدؤلي ، ثم إنه كان كاتباً لا يتلقى العلم مشافهة  
فحسب ، بل يدون ويسجل ، وقد عثر على  
بعض الصحف الأثرية مبهورة باسمه ، كما أنه  
المخترع الأول لنقط الحروف بعد أن خاف  
اللبس من الإهمال ، فابتكر الإجماع ، هذا  
إلى تضلع واسع في اللغة إذ كان لا يسأل  
عن كلمة ينطق بها باوى مصرحاً إلا شرحها  
واستشهد عليها من محفوظه ، وقد دعاه هذا  
التدبّع الواسع لمهجور الكلام في بطون  
القبائل ، وأغذا البداية أن ينطق في بعض  
حديثه بالغريب ، حتى اشتط بعض السكاكين  
فعدّه بين المتعقرين ، وما أظن هذا صحيحاً ،  
لأن المتعقر هو الذي يجمع الحوشى من هنا  
ومن هناك ليشدق به عن عمد على سبيل المباهاة .  
أما العالم اللغوي المتمكن ، فلا بد أن يحيى  
على لسانه ما لا يتعمده من الغريب ، كما نرى  
اليوم بعض الاصطلاحات العلمية في كتابات  
العلماء وأحاديثهم دون أن يقصدوا إلى تعالم  
شخصي ، إنما يتحكم فيهم تخصصهم الضليع  
تحكما لا يقوون على الانقلاص منه ، وهكذا  
كان يحيى بن يعمر فيما نطق به من الغريب  
حتى اشتهر به وتوقلت عنه طرائف وأفاكيه .

لو ازدهر التأليف في القرن الأول من  
الهجرة كما ازدهر فيما تلاه من العصور اهتمت  
الثقافة الإسلامية خيراً كثيراً منه ، إذ أن  
هذا القرن الجليل قد حفل بعلماء أمثال  
من أجلة الصحابة ، وأهلة التابعين ، وإذا  
كنا نرى اليوم آراءهم العلمية متفرقة  
في مطاوي الكتب فتقف على الرائع من  
اجتهادهم الحافل واستنباطهم الدقيق ، فإذا  
كنا نغتم من المعرفة لو عكف هؤلاء الأعلام  
على تدوين آرائهم في كتب خاصة بهم كما فعل  
الخلف من تلامهم على مد العصور ، وإن سماء  
ساطعة يتألق في أفقها الشاسع كواكب  
وصناء من أمثال علي وابن عباس وابن عمر  
وزيد ومعاذ وابن مسعود من مشيخة  
الصحابة ، ومن طراز الزهري وابن المسيب  
وابن جبير وعطاء والشعبي وربيعه وحماد  
والحسن من أعيان التابعين ، إن سماء تسطع  
بهذه السكواكب لجديرة أن تبعث الضوء  
في ظلمات الأحقاب ، ودياجي العصور ،  
فتهدى إلى التي هي أحسن ...

ولقد كان يحيى بن يعمر العدواني أحد  
هؤلاء المتضلعين في علوم الشريعة والعربية  
من أفاضل التابعين ، وقد شارك مشاركة

عزمه على أن يقوم السيف بواجب الطاعة والخضوع ، مهما امتلأت منه القلوب موجدة وغيظاً ، وإنه ليجلس على العراق عالماً أن حاشيته الخاصة قبل رعيته يضيئون به ، ويسعون للتخلص من شره ، ثم هو لا يعبأ بما يعلم ، ما دام السيف في يده . والسجن من ورائه ، فليغضب الغاضبون كما يشاءون ، فالقوة الباغية تقيه كل سوء ، وقد تغلغل اعتقاده هذا في نفسه ، حتى سرى إلى أسرته الخاصة ، فكان يجبر المرأة على الاقتران به ثم يعاملها معاملة من لا يستميل ودها ، أو يحرص على حنانها ، بل معاملة المتسلط المتحكم ، ولها أن تضيق فيما بينها وبين نفسها بزوجها ومنزلها وحياتها فليس بمنجيتها منه تبرم أو ضيق ، وإذا كان هذا سلوكه مع أحب الناس إليه فما ظنك بالجنيب البعيد ؟ ! هذا المتحكم القاهر قد ابتلى بيجي ابن يعمر فيمن ابتلى بهم من خيار العلماء فها وهنوا لما أصابهم بل ناوشوه وقارعوه ، وانتصروا عليه بالمنطق المفحم في يوم مجموع له الناس .

لقد رأى الحجاج أن الكوفة تهيم حياً بالحسين بن علي ، وتجعل من ذكره العاطرة المؤسسية منحدرأ للدمع ومصعداً للزفير ، وقد كلف وجاهد في تبديد هذا الحب الوثيق فاستطاع ، وكان يعلم أن قرابة السبط الشهيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج لقد لقينا العدو ففعلنا وفعلنا حتى اضطررناه إلى عرعره الجبل ، فقال الحجاج : ما لابن المهلب وهذه العرعره ؟ فقيل له إن يحيى ابن يعمر لديه ، فابتسم يقول : هو ذاك . هذا بعض ما يشير إلى مكاتبه في علوم العربية ، أما آراؤه العلمية في الفقه والتفسير والحديث فأكثر من أن يلم بها ملم في نطاق وجيز ، ولسنا هنا بصدد إيضاح مركزه العلمي وتحديده ، ولكننا نهمد لإيضاح عظمتة النفسية ، وعزته الخلقية ، فقد كان من الشجاعة الأدبية في الحق ، والجرأة الخلقية في مواجهة الباطل بالمكان الأعلى ، والمنزل المرموق ، وقد شاء له القدر أن ينتلى بالحجاج أو ينتلى الحجاج به ، فواجه وكابر ، وأدى دوره مرفوع الرأس عالي الجبين .

كان الحجاج طاغية العراق يدين بفلسفة القوة والإرهاب ، فليس من همه أن يستميل القلوب بمعسول القول وجميل الفعل ، إذ أن ظروف حياته ، وفن بيئته ، وكوارث عصره قد جعلته جميعها لا يعبأ بمهادنة واستمالة ، وإنما يرى القمع الرادع سبيل الهدوء والاستقرار ، وقد اختاره عبد الملك ابن مروان ليردع ويقمع لاليؤلأ ويكتب ، ووجد بعد التجربة أن القمع الزاجر يدني من مأربه ، ويرفع من مكاتبه لدى الخلافة ، فتمادى فيه تماًدياً جائراً ، ووطد

تجمع عليه القلوب ، وتضعه بين الجوانح والشغاف ، ففكر وقدر ، ثم رأى أن يعلن أن الحسين رضى الله عنه هو ابن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وليس من ذرية محمد ابن عبد الله ، لأن انتسابه لفاطمة الزهراء لا يغير من الأمر شيئاً ، فالأب هو المعتبر في النسب دون الأم على قول من قال :  
بنونا بنو أبنائنا وبناتنا  
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وقد خطب في ذلك وأطال ، وأخذ يتتبع مخالفه سجنأ وتشريداً ، ويرسل عيونه في الكوفة ليأتوه بمعارض يصدر عن غير رأيه - فيجعل من عقابه مثلاً رادعاً لغيره ، وسرعان ما جاءه الخبر أن يحيى بن يعمر سئل عن الحسين وانتسابه لذريرة رسول الله فأجاب في المسجد الجامع بأنه من ذريته ، وزاد فخماً بأن الحجاج يحكم ولا يفتى فإذا أفتى فعن غير علم وإطلاع .

لم يدهش الطاغية لما بلغه فهو يعرف في يحيى جرأة وشجاعة ، وكثيراً ما اصطدم معه في جدل مذهبي فكان صاحب الحجة الفاصلة ، والمنطق الراجح دون أن تعصف به رهبة أو يميل بثباته لإيعاد ثم هو بعد يتشيع لآل البيت في اعتدال فلا يوازن بين الصحابة ليضع علياً فوقهم ولكن ليعرف لكل مجاهد مكانه الصحيح ، مستعصماً بالعروة الوثقى من الإيمان ، على أنه من وراء ذلك

مسموع الكلمة ، محترم الرأي ، فإذا أفتى بما يعارض الحجاج ، فقد تمكن رأيه من قلوب الناس ، وذهبت دعوى الطاغية في الحسن والحسين أبانيد ، ماذا عسى أن يصنع به وقد اصطدم منه بداهية دهياء ؟ !! لا بد أن يتمكن من إسكاته عن طريق الادعاء والتعنّت ، فيلزمه بنصر واضح من القرآن يؤيد دعواه ، وليس في القرآن الكريم في منطق الحجاج ما يثبت ذلك ، فإذا أعلن يحيى عجزه عن الاستشهاد بالقرآن ، فقد قامت عليه الحجة في رأى الجبهة من العامة وللطاغية بعد ذلك أن يتناول عليه مستكثراً بالسلطان والجبروت حتى يتخذله خذلاً لا ينجح من بعده !

هكذا قدر الحجاج وأراد ثم تعجل فخذ مجلساً خاصاً بأعوانه ووجهاء الكوفة ، ودعا معهم شيعة يحيى ومقدري فضله من الزملاء والتلاميذ ، لينكشف أمامهم في الممعة فيضيق ما ينتسب إليه من علم وثبات ، ثم أرسل من يحضر يحيى ابن يعمر ليتجرع كأس الهزيمة في انكسار !

وحانت الساعة المرتقبة ، فحضر الرجل ليرى حفلاً غاصاً بالجوع ، وقد تصدره الحجاج بن يوسف الثقفي كالح الوجه ، مقطب الجبين ، فامتدت العيون لترى العالم الوقور يتقدم في اطمئنان ، فيلقى تحية الإسلام ، ثم يهم بالعودة فيصيح به الحجاج غاضباً :  
لا تقعد يا يحيى ، وأوضح لنا رأيك في صلة الحسين برسول الله ؟ .



فزادت من ضيق الحجاج وانهاره ، ثم رأى  
أن يتراجع في مأزق ضائق يضغط عليه  
بأصاره فابتسم في تصنع ، وقال : اجلس  
يا يحيى فقد فاتني هذا الاستنباط .

ولم يشأ أن يصرف القوم بعد  
مالحقه من خزي فاشل ، فرأى أن ينهض  
فيعترف بأن القرآن بحر لا ساحل له ، وأن  
العربية الفصيحة لا تسلم قيادها لغير من  
يحفظ كتاب الله ، وأنه - أى الحجاج - هو  
الذى أمر يحيى بن يعمر أن يضع النقط على  
حروف المصحف ، لتسهيل سبيل الحفظ  
الدقيق ، والاستظهار الصحيح ، ورأى أن  
يجامل يحيى فالتفت إليه سائلاً :

أتجدنى ألحن فى قولى يا بن يعمر ؟

فابتسم يحيى ابتسامة المتهكم ، وقال فى لهجة  
ذات مغزى خاص : الأمير أفصح من ذلك .  
فاغتاط الطاغية وصاح قائلاً : عزمت  
عليك ، أتعبدنى ألحن ؟

فقال يحيى بملء فيه : نعم أيها الأمير .

فنظر منهراً وقال : ألحن فى أى شىء ؟  
فصاح يحيى : فى كتاب الله !! فنهض الحجاج  
مرتبكاً وهو يصيح : ذلك أسوأ لو كان !  
ففى أى حرف لحت ؟ .

فرد يحيى فى تحد بين : لقد قرأت فى المسجد  
الجامع : « قل إن كان آبؤكم وأبنؤكم  
وإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم وأموال  
اقتربتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

فريد يحيى فى كبرياء : الحسين من ذرية  
محمد صلى الله عليه وسلم وإن غضب الحجاج .  
فيتنمر الطاغية متحفزاً ويصيح ألدك دليل  
من كتاب الله ؟ فردد العالم الشجاع فى ثقة بالغة  
معى الدليل من القرآن !!

فيضرب الحجاج كفا بكف ، ويقول  
متهكماً : ما شاء الله : أفى القرآن أن الحسين  
من ذرية رسول الله ؟ ! لقد قرأته مئات  
المرات فما وجدت ما تقول يا رجل !! .

فيتطلع يحيى إلى الحاضرين ثم يصيح  
بصوت مجادل وإيمان وثاب : قال الله تعالى  
« وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه  
نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم  
ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا  
هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان  
وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك  
نجزي المحسنين . وذكرىا ويحيى وعيسى  
وإلياس كل من الصالحين » ثم يلتفت إلى  
الجمهور قائلاً : أليكون عيسى بن مريم من  
ذرية إبراهيم بنص القرآن ولا يكون الحسين  
من ذرية رسول الله ، وبينهما من القرابة  
الدانية أكثر مما بين عيسى وإبراهيم عليهما  
السلام !! ؟ .

جاء الدليل صاعقاً قاصماً ، وقد اعتمصم  
الحجاج بذكائه ليسعفه برد مفضل فما استطاع  
وبدت الفرحة والشامة فى عيون الجالسین ،

إليه ، فزادت من حرج الحجاج وتورطه ، فأعاد السؤال مغیظا ، وأخذ يتطلع ، فقال يحيى فى غير اكتراث : أيها الأمير ماذا أقول عن واسط ، وقد شيدتها من غير مالك وسيسكنها غير أهلك !!

فلم يعد فى قوس الصبر لدى الطاغية من مزع ، وتلهب الجمر فى عينيه يقدح بالشرر ، ثم صاح فى انفعال ، ما حملك على هذا ؟

فقال يحيى فى اعتداد : ما أخذ الله تعالى على العلماء فى علمهم ألا يكتموا الناس حديثا . فأطرق الحجاج منخدلا ، وساد صمت

حائر غمر المسكان لحظات ، ورأى الطاغية أن يقوم بعمل أو قول ينقذ خشيته فصاح بيحيى : أيها الرجل ، لا تساكنى ببلد أنا فيه !! فاذهب منفياً إلى خراسان ! ثم نهض من مكانه متضايقا ، ففترق المجتمعون . كل إلى مثواه .

\* \* \*

قال الراوى : وذهب يحيى بن يعمر إلى خراسان ، فوجد صديقه الطائر قد سبقه إلى هناك ، ورأى الناس يتحدثون عن مجاہته الحجاج معجبين مقدرين ، ودنا خراسانى فسأله فى تعجب :

ألم تخش سيف الحجاج ؟

فرد فى إيمان الواثق : لقد ملأتى خشية الله ، فلم تدع جالا لخشية إنسان ؟

محمد رجب البيومى

ترضونها أحب إليكم من الله ! فضمنت الباء وهى مفتوحة !

فتغير وجه الرجل ، وحدثته نفسه أن يهم بصاحبه ، ولكن انهياره النفسى أورثه ترددا لا عهد له به ، ثم إنه خشى أن يصيبه بسوء فيتناقل الناس فى الأمصار قصة حجاجه فى نسب الحسين ، وينتهى إلى قصر الخلافة ما كان من تهوره حين جادل فى أمر لا يقبل الجدل ، فسكن لخصوم بنى أمية من الانتصار وأضاف إلى حججهم الكبيرة حجة بالغة ، فرأى أن يستكين .

وشاء بعض الحاضرين أن يصرف الحديث إلى موضوع آخر ، فأخذ يسأل الحجاج عن مدينة واسط التى شيدها باذلا جهده الجاهد فى التعمير والتشجير ، وكان الطاغية قد ارتاح إلى هذا الانتقال المنقذ ، فأخذ يسهب فى تقدير كفايته الشخصية ، وبين حسن اختياره للكان ، وسخاه فى الإنفاق والتشديد ، ويخصى عداد من قاموا بالبناء من الفعلة والعمال ، وما استخدم من الماشية والحيوان ، وما أففق من الذهب والفضة ، ثم رأى أن يصانع يحيى بن يعمر ليظهر أمام الناس أن هزيمته لم تنل من نفسه ، وأن الأمر لا يخرج عن مجرد رأى يخطئ ويصيب ، فربت على كتفه برفق ، ثم قال : لم تذكر لنا رأيك فى مدينة واسط يا يحيى .

فسكت الرجل ولم يرد ، وتوجهت العيون

# المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية في نظر الإسلام للدكتور عبد العظيم شرف الدين

وعلى هذا السنن القويم سار الخلفاء الراشدون ؛ فقد أعلن أبو بكر يوم أن تولى أمر هذه الأمة : « الضعيف عندي قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » .

وكذلك أمر الآخرة لا يفترق عن أمر الدنيا في هذا المبدأ ، فكل امرئ رهن بما اكتسب « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ، ولو كان ذا قربى » ، ولقد حمل الرسول عشيرته الأقربين المسؤولية ، وأبان لهم أنه لن يغني عنهم من الله شيئاً : عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : « وأنذر عشيرتكم الأقربين » قال : « يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة

لا يستقيم أمر هذه الحياة إلا إذا عرف كل إنسان واجبه ، وحرص على تنفيذه حرصه على نيل ما له من حقوق ، وتفانى في أداء واجبه ، تفانياً ملئك عليه إحساسه وشعوره ، فلم يدخر وسعاً في أداء الواجب والنهوض بأعبائه ، يدفعه إلى هذا رغبة صادقة ، وضمير حى يقظ يحاسبه على ما يأتى وما يدع من الأمور ؛ لهذا قرر الإسلام مبدأ المسؤولية الفردية ، فكل إنسان في نظر الإسلام - محاسب على ما عمل ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، لا فرق في هذا بين أمر الدنيا ، وأمر الآخرة .

فلا ينفع المراء في دنياه إلا ما قدمت يده ، ولا يشفع له إلا عمله الصالح ، فالكل أمام القانون سواء ، ولا أمر ما لم يقبل الرسول عليه السلام شفاعة أسامة قاتلاً : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، فوالذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجت ونجوا جميعاً . فالرسول عليه السلام شبه جماعة المسلمين بجماعة اقتسموا سفينة ، فأخذ بعضهم أسفلها ، وبعضهم أعلاها ، وكان الذين بأصلها إذا أرادوا ماء مروا على الذين بأعلاها ، فربما تأذوا بهم ، فهم الذين بأصلها أن يخرقوا في نصيبهم خرقاً ليأخذوا منه الماء ، فإن تركهم الذين بأعلاها وما يريدون كان مصيرهم جميعاً الهلاك ، وإن وقفوا في سبيلهم نجا الجميع . وإنما يهلك هؤلاء الذين لم يباشروا الجريمة لأنهم قصرُوا في أداء واجبهم ، وتركوا الجريمة تبيض وتفرخ حتى شب فيها الصغير ، وهرم عليها الكبير ، ولم يصحوا من سباتهم العميق إلا بعد فوات الأوان ، فخنوا ثمرة هذا التراخي والإهمال ندماً وحسرة ، ومقياً يحدى الندم ؟ ! ومقياً تنفع الحشرات ؟ ! وكذلك إقامة الحدود يترتب عليها سلامة المجتمع ، والتهاون في أمرها ينشأ عنه الهلاك والدمار ، وإن السكوارث — عند ما تحل بالأمم ، وتقتاب الشعوب — لا تتخير من تصيبه ، وإنما هي عمياء لا تبصر ، وكمن سكوارث حلت بالأمم ، فأكلت الأخضر واليابس ، وقضت على الصغير والكبير

بنت محمد ، سلبني ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئاً . وإلى جانب هذه المسئولية الفردية هناك مسئولية جماعية لا تقل خطراً — إن لم تزد — عن المسئولية الفردية ، فعلى جماعة المسلمين أن تأخذ على يد الظالم ، وأن تحارب الجريمة قبل أن يستفحل خطرها ، ويشدد أمرها ، وإلا كانت مسئولة عن هذا التهاون ، واعتبرت مسئولة عما يقتاب الجماعة من تدهور ، وما يعترها من انهيار ، وقد حدد القرآن الكريم هذه المسئولية الجماعية بقوله : « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » ، وقد عاقب الله من سبق من الأمم بالهلاك والدمار لأنهم تسستروا على الجرائم التي كان يرتكبها أشرفهم ، ولم يكبحوا جماحهم : ( إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ) . وقد ضرب الرسول عليه السلام مثلاً يحدد العلاقة بين القائمين على الحق المهيمين عليه ، والموجهين لمجتمعاتهم توجيهاً سليماً ، وبين هؤلاء الذين يقعون في الخطيئة ، فإن حال الفريق الأول دون وقوع الطائفة الثانية في الجريمة نجا الجميع ، وإن تركوهم وما يريدون كانوا متعاونين معهم على وقوع الجريمة فهلكوا جميعاً : روى النعمان بن بشير — رضى الله عنهما — عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ،

لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولا يد لها فيها ، اللهم إلا اتفاق مشوم ناشئ عن خطأ فهم ، وقصر نظر : « فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

هذا ، وقد يبدو لبعض قصار النظر أن مبدأ المسؤولية الجماعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعارض مع قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ؛ وذلك لأن هذه الآية تعني المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطالبهم أن يعنوا بأموهم الخاصة ، ولن يضيرهم ضلال من ضل ماداموا هم قد اهتدوا ، وآمنوا بالله ولسكني أقول رداً على هؤلاء : إن الدافع إلى هذا الفهم القاصر هو تفسير الاهتداء بمجرد الإيمان ، دون أن يدخل في مفهومه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ولكن سياق الآية يدل على أن الاهتداء يراد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذلك لأن الآية تخاطب المؤمنين ، فأى فائدة في تقييد الحكم بالإيمان مع أن المفروض أنهم مؤمنون ، ولما تظهر الفائدة في تقييد الحكم بأمر آخر أكثر من مجرد الإيمان ، وهو ما يكمل به الإيمان من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وغير هذا من صفات المؤمنين الذين كمل إيمانهم ، وصدقت عزائمهم ، وبناء على هذا نقول : إن الآية تهيب بالمؤمنين

لهذا ندب القرآن الكريم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . وإن هؤلاء الداعين إلى الخير ، والناهين عن المنكر في الأمة بمثابة صمام الأمان ، وهم الرقباء والحراس الذين يعبثون كل القوى لمحاربة تيارات الإلحاد والزندقة ، ويدعون الأغنياء إلى الإسهام في الأعمال الإنشائية البناء التي تسير ركب الإنسانية الصاعد نحو الجد والتحرر والعزة والكرامة . لهذا كانت مسؤوليتهم أتم لبصرهم بالأمر وعواقبها ، ولأمر ما ارتبط مصير الأمم بتاريخ قادتها وزعمائها ، وإن القائد المظفر هو الذي يرسم لأمته طريق النجاح ، ويقودها من نصر إلى نصر ويحمل الناس على محبته واحترامه وتقديره . وقد طلب الإسلام من جماعة المسلمين أن تعد طائفة من أبنائها كي يقوموا في المستقبل بمنصب التوجيه السليم : يرسمون للأمة سياستها ، ويحددون لها أهدافها ، ويبصرونها بعواقب الأمور ، فلا تخبط في سياستها خبط عشواء ، وإنما تسير في ضوء سياسة مرسومة ، وتتجه نحو هدف معين ، وترسم لنفسها خطة بعيدة المدى ، تتسم بعق الغور ، وبعد النظر ، فلا تتورط في سياستها باتفاقات دولية ، أو أحلاف استعمارية قد تجر عليها الخراب ، وتلزمها التزامات تضحي من أجلها بأعز أبنائها ، تقدمهم وقوداً لحرب ،

كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون» ، ثم قال : « كلا ، والله لتأمر بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطراً (١) ، ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم ) وإذ إنما الشعور بالمسئولية الفردية في نفوس الأفراد ، وشعرت الجماعة بما عليها من مسئوليات جماعية مشتركة توفر للجمتمع ما يصبو إليه من رقي وأمن وسعادة في حاضره ومستقبله ، وأصبح جدرا بالبقاء ، واستطاع أن يقود غيره من المجتمعات الإنسانية نحو المثل العليا والمبادئ القويمة التي يعيش في ظلها أفرادها ، ويتقانون في سبيلها .

فعلى رب الأسرة أن ينشئ أبناءه على حب الفضيلة ، والتفاني في سبيل الواجب ، وينمي فيهم الشعور بما عليهم من مسئوليات فردية كانت أم جماعية ، فإنما تحيا الأمم ، وتنهض الشعوب بكفاح أبنائها المخلصين الذين عرفوا واجبهم ، فقاموا به عن طواعية وطيب خاطر ، يحدوهم الأمل ، ويدفعهم الرجاء وعلمنا أن نستفيد من التجارب التي مرت وتمر بالأمم ؛ فإن فيها دروساً وعبراً نستفيد منها في حاضرنا لنعمل فيه لمستقبلنا ، والله

الموفق **دكتور عبد العظيم شرف الميرم**

أن يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح بأداء ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه ، وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويكملوا إيمانهم بغير هذا من الصفات التي تجلو القلوب ، وتسمو بالأرواح . ولا يضيرهم بعد هذا ما يصادفونه من إصرار من يدعونهم على الضلال ماداموا قد اهتمدوا ، وأدوا ما يتطلبه الاهتمام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالآية إذا لا تعني الناس من المسئولية الجماعية كما قد يتبادر لقصار النظر لأول وهلة .

وليس مبدأ الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبمعنى آخر ليس مبدأ المسئولية الجماعية مبدأ خاصاً بأمة دون أخرى ؛ فهو مبدأ فطري تقتضيه القوانين الاجتماعية التي تنظم علاقة الناس بعضهم مع بعض ، ويستلزمه النهوض بالجماعة ؛ ولهذا كان من المبادئ الإلهية التي طالب الله بها الأمم السابقين ، ويوم أن تخلوا عنه وقع بهم العذاب ، عن علي - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل - كان الرجل يلقي الرجل ، فيقول : يا هذا ، اتق الله ، ودع ما تصنع ؛ فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : « لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(١) يقال : أطرا العود إذا عطفه وئناه . فالعنى : لتعطفه على الحق عطفاً ، ولتحمله عليه حملاً .

# الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

١ — قالت جريدة التيمس ، وهى تعلق على قانون تطوير الأزهر : إن دخول الفتاة العربية الأزهر أمر ( يكاد ألا يتصوره العقل ) .

وهذا التعليق من كبرى الصحف الانجليزية دليل على أمرين : أولهما كثافة التقاليد التى كانت ، وما يزال شىء منها ، تحيط بالأزهر والفكر الدينى ومحاولة إصلاح ذلك . ثانيهما قوة تلك اليد ، يد الثورة ، التى شهرت سيفها الصارم لكسر هذه التقاليد والمعوقات ، بعد طول المعاناة وكثرة المحاولات .

ونحن حين نذكر ما لقيه قاسم أمين ، فى حياته وبعد موته ، من الصد والاثام بسبب دعوته المتواضعة لتعليم المرأة وكشف وجهها ، وما لقيه الإمام الشيخ محمد عبده من مثل ذلك بسبب دعوته المتواضعة أيضاً لتصحيح الأسلوب وتحرير الفهم وتقرير شىء من الحرية للفكر الدينى ، حين نذكر هذا وذاك ندرك صدق هذا التعليق الذى علقت به التيمس على قانون تطوير الأزهر .

ونحن الذين قضينا ثلاثين سنة متوالية ندعو ونجهر بمثل ذلك ، ونلقى من الخصومات والشر والهمة ما نلقى ، ندرك قوة

٢ — ولكي ندرك مدى التطور وأهدافه يجب أن نحيط أولاً بالحال التى كان عليها الفكر الدينى وكانت عليها الحياة التعليمية فى الأزهر ، وهى حال ، أو هما حالان ، ما يزال كثير من مظهرهما وجوهرهما موجوداً فى أذهان كثير من المتصلين بهذا الفكر وهذا المهد .



أ نقل لغيرهم مثلاً واحداً من كتاب درسنه في الأزهر ، وهذا المثل هو ... أو ثوب موصوف بصفات السلم فهو يبيع للدعاة من المدعى لغيره أو إجارة لها بغيرها منه لغيره أو لغيرها بها من غيرهم له ، (١) .

يقول بعض القوم إن القرس على هذا الأسلوب ومعالجة هذه المشكلات والمعميات مما يكسب الذهن صقلا وبصرا وحسن تدقيق . ولكن العناية في فهمها عناء كبير ، وهو عناء ينتهي إلى فهم الصياغة والأسلوب والعناية بهما دون العناية بالجواهر والموضوع .

أما أن الزمن والناس قد سبقا الفكر الديني وثقافة الأزهر التقليدية ، فهذا أمر بين لا يحتاج لدليل ، وهذا القانون لتطور الأزهر ، الذي نتحدث عنه في هذا المقال ، هو الدليل الأول على السبق من جانب والتخلف من جانب آخر .

٣ - والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل أمة ، ونوع الحكم فيها ، بين ذلك كله وبين نواحي الحياة الأخرى ، كالحياة العقلية والأدبية والدينية ، من الروابط ما يجعل كل واحدة منها مرتبطة بالأخرى أكمل ارتباط ومتأثرة بها أتم التأثر . والحوادث التي تواجه أمة من الأمم ، للحروب والانتصارات والهزائم ، لا بد أن

وموجوداً أيضاً في عواطفهم وخواطرم وآمالهم ، كما يوجد أيضاً في واقع الفكر الديني وواقع الحياة التعليمية لكثير من المعاهد الدينية في بلادنا العربية والإسلامية ، وهي بيئات ومعاهد نطلب لها ما نطلب لأنفسنا من الإصلاح والخير .

كان الفكر الديني قائماً على التسليم والمتابعة ، وكانت الحياة التعليمية في الأزهر قائمة على التلقين والتلقي والحفظ . كانت هذه الحياة ، متابعة منها لعصر خاص من عصور التفكير العلمي ، تصف العالم (بالحافظ) لأنه يحفظ وينقل . بدلا من وصفه (بالباحث) لأنه يفهم ويبحث ويناقش ويتصدى .

كانت حياة تناول طائفة من الكتب والآراء وضعت في العصر المملوكي ، أو في العصور التي كانت فيها الثقافة الإسلامية ضحلة ، ضعيفة ، سقيمة الأسلوب ، ضيقة الأفق ، لا تخرج عالما مدركا لروح عصره ولا منسجما مع البيئة والناس ، لأنها تناول جزئيات من العلم على طريقة خاصة ، وقد أبعث تطور الحياة وسير الزمن بين هذه الجزئيات وبين واقع الناس حتى أصبحت لا تلبى شيئا من هذا الواقع (١) .

والأزهريون ، مثلي ، الذين كابدوا هذه الحياة ودرسوا كتبها يعرفون جيدا ما فيها من الأسلوب والفكرة على السواء ، ولكنني

(١) مقالنا في جريدة الأهرام : ٢٠ يناير ١٩٥٤ .

(١) حاشية البجيري على شرح المنهج في فقه الإمام الشافعي ، الجزء ٣٠ ص ٤ باب الصالح - الاميرية ١٣٠٩ .



وقد خرجنا - ونحمد الله - من مؤثرات هذه العصور التي وقفت عندها ثقافة الأزهر وجمد بسببها الفكر الديني ، فكان من الحتم أن يخرج منها أيضا هذا الفكر وهذه الثقافة إلى نور جديد .

خرجنا من نظم الحكم وحدود العقل العثماني والمملوكي ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الحتم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الديني ورجاله وأهله .

وأعتقد أن هذا هو ما قصده المسترعون الذين وضعوا قانون تطوير الأزهر ، حين قالوا في مذكرته التفسيرية : « . ويعمل - أى الأزهر - على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصلي الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٤ - ولئن كنا ندعونا ، وندعو على الدوام ، لتجديد الفكر الديني والخروج به عن القيود والسدود الذي جذبه وتجذبه إلى تفكير القرون الوسطى من عصر المماليك والعثمانيين ، فنحن ندعو إلى إبقاء الصالح الطيب من تقاليد الأزهر القديم ، بل إلى تجديد ما قد يوشك أن يندرس منها .

يقع منها كلها ظل على الحياة العقلية والإنتاج الفكرى والثقافى - بأنواعه جميعها - لهذه الأمة ، بحيث تكون عاملا كبيرا الأثر في ذلك كله <sup>(١)</sup> ، فكيف « بالثورة » وما يكون لها من أثر حاسم قاطع ... ؟

وقد جرت من قبل محاولات ، بعضها متردد وبعضها كان سابقا لزمه ، حكم عليها وزير الأوقاف والأزهر بقوله : « إن المحاولات السابقة لإصلاح الأزهر لم تتجاوز الاحتفاظ بأسلوب معين في البحث والدراسة والتحصيل وبكتب معينة ذات طابع خاص في الجدل الفكرى . وكانت الكتب الأزهرية لذلك صورا مسكرة لا فرق بينها إلا من حيث التطويل والاختصار <sup>(٢)</sup> ،

وهذا الحكم ، كما هو واضح ، يتناول المحاولات السابقة لإصلاح الأزهر كما يتناول وصف الكتب الأزهرية القديمة وصف الحق الذى ذكرنا من قبل .

ولكن هناك طائفة أخرى من كتبنا هذه - لم يكن يدرسها الأزهر ولا يعرفها من أهله إلا الأقلون - وهى النبع الأصيل لثقافتنا الإسلامية والعربية . والحديث عن هذه الكتب أوثر أن أتركه لمكانه من هذا المقال .

(١) مقالنا في جريدة الأهرام : ١ مارس ١٩٥٠ .

(٢) حديث السيد الوزير الدكتور محمد الهبسى : جريدة الأهرام : أول أكتوبر ١٩٦٢ .

الجديد : ( ... ) وتعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله ، والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه في العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ) .

هـ - جعلت عنوان مقال هذا : « الأزهر والتطور » ، لأنى طالما دعوت وأردت للأزهر أن يتطور . ثم جاء قانون « التطوير » ، وكل جديد لابد أن يثير شيئاً قليلاً أو كثيراً من اختلاف وجهات النظر ، ومن الخير أن يكون ذلك ، وأن يقع في « تطوير الأزهر » ، أيضاً . فبيننا - ولا بأس في ذلك بل لابد منه - المؤمنون بالقديم والداعون والمؤمنون بالجديد . ولكننا نريد من الذى يعتقد القديم ويؤمن به ، على قدمه ، أن يقف أمام رأيه مدافعاً منافعاً ، ولا يهتم . ونريد من الذى يعتقد الجديد ويؤمن بالتطور أن يقف أمام رأيه مدافعاً منافعاً ، ولا يحرص .

نريد الإيمان الثابت الراسخ المطمئن ، ولا نريد المتابعة المسارعة المهرولة المخذولة . نريد اليقين لا التلقين ، ذلك هو الإخلاص للأزهر وتلك هى أمانة الدين ؟ ( البقية في العدد القادم )

محمد الشرفاوى

كان الأزهر القديم « جامعاً » ، ولكنه لا يخلو من معانى كثيرة تمثل « الحياة الجامعية » وتوحى بها وتدل عليها . بل هى تمثل خير ما فى هذه الحياة الجامعية الصحيحة : كان الطالب - ومن قبله العالم - يجلس كل منهما إلى درسه ليس لأحد منهما غاية سوى العلم ، والاستزادة منه والإفادة به و « التعبد » بملازمته .

كانت غاية الشرف عندهم أن يضع العالم والمتعلم فوق توقيعه تشريفاً وتكريماً لاسمه وشخصه لقب : « خادم العلم الشريف » . وكان طالب العلم ، شيخاً وتلميذاً ، يلزم الأزهر باحثاً دارساً الشهور والسنين لا يبرحه ولا يشغله عنه شأن ولا أمر ولا سعى ولا معاش ، فهو له مدرسة ومسكن ومطعم ومراح ومخدع . وكانت الدولة تكفيهم مؤنة الحياة والعيش ، والناس تعطيهم صدارة المجتمع وحق التكريم والسيادة والتعظيم ، وطلاب الآخرة يكفونهم ، بما يقفون عليهم ، مؤنة التفكير فى الدنيا .

وكانت العلاقات بين الشيوخ وطلابهم أصفى ما تكون نقاء وطهارة ومودة ، وأقوى ما تكون الوشائج من المحبة والبر والتعاطف والتوقير .

فهل نطمع فى أن تبقى الأزهر - أو تعود - تقاليد الصالحة تلك ... ؟ وهل نستطيع أن نفهم ذلك بما قاله قانون « التطوير » ،

من زعماء المسلمين بالهند :

## مولانا محمد حفظ الرحمن للأستاذ عبد المنعم النمر

ولد مولانا حفظ الرحمن سنة ١٩٠١ م . في بلدة ( سهورا ) بشمال الهند وتلقى علومه في دار العلوم ( ديوبند ) أكبر مدرسة دينية عربية في الهند وتخرج فيها . . وناداه الوطن ليشارك مع المجاهدين من أجل تحريره فلبى نداءه وتحمل نصيبه في عبء الجهاد حتى وصل إلى الصفوف الأولى للمجاهدين حيث صار عضواً لحزب المؤتمر الهندي سنة ١٩٣٦ وسبق إلى السجون عدة مرات كان آخرها أثناء الحرب العالمية الثانية مع مولانا آزاد ونهرو وغيرهما من زعماء الهند الذين زجت بهم حكومة الهند في السجن من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٤ م حيث أطلق سراحهم وبدأ الانجليز يفاوضونهم للجلاء عن الهند .

وكان مولانا حفظ الرحمن يشغل منصب السكرتير العام لجمعية علماء الهند، ويمثل العنصر الحيوى المتحرك في كل نشاط لها . . عرفه أهل الهند جميعاً — المسلمون والهندوس والسيخ — بجهاده وإخلاصه لقضية حرية الهند ووحدتها فأجله الجميع وهابوه ، حتى

كان آخر لقاء لي معه في دار جمعية العلماء بدلهي وهو يحمل معه ملفاً ويتأهب للذهاب إلى البرلمان ، وسألته إلى أين وصلت قضية اللغة الأوردية وتقريرها لغة رسمية ثانية ؟ فقال: إنني ذاهب الآن إلى اجتماع لنسكمل البحث في هذا الموضوع، وودعته وأنا أتمنى له النجاح في مهمته وفي كل المهام العظيمة التي يحمله المسلمون عيها .

ودعته ولم تغب عني صورته بجسمه الذي يغالب المرض وتبدو عليه ملامح الإرهاق من كثرة العمل ، وبشيبته المرساة وقامته المنصوبة تتحدى المرض والضعف والإرهاق، وكنت كلما تذكرته أشفقت عليه وأشفقت على مصالح المسلمين التي يتحملها وينوء بحملها ولا يرحم نفسه في سبيل العمل على تحقيقها بعد أن تجمعت عليه آمال المسلمين ، واتجهت أنظارهم إليه بعد وفاة شيخ الإسلام مولانا حسين أحمد مدني . ومولانا أبي الكلام آزاد وكان ركناً عظيماً للمسلمين في الوزارة الهندية .

تقديرًا لخدماته ومواقفه الوطنية، ومع ذلك كان ينازله بعض الهندوس والمسلمين في دائرته فيتهلب عليهم بالآلاف الأصوات بالرغم من أن أكثرية الدائرة من الهندوس ...

كان يمتاز بعقلية إسلامية متنورة متحررة من التقليد والحرص على القديم لأنه قديم كما يفعل كثير من علماء الهند . . حيثما وصلت إلى دار العلوم - ديوبند . . ووقفت على مناهجها وطرق التدريس فيها أحسست أن فيها نقصا كبيرا وتحتاج إلى تعديل وإدخال بعض المواد الجديدة التي لاغنى عنها لطالب العلم في هذا الزمان . . وبدأت أتخمس آراء القائمين على الدار والمدرسين فيها فوجدت في الكثير منهم جمودا على هذا المنهج الذي ظلت الدار عليه نحو ستين سنة وأكثر، وتقننى بها كل المدارس الدينية في الهند فاجأت إلى مولانا حفظ الرحمن وكان عضوا بارزا في المجلس الأعلى للدار وحدثته في هذا الأمر، فوجدت عنده تجاوزا كاملا وكان هو والأستاذ أبو الحسن الندوي عضو المجلس كذلك . . يقودان معي حركة التجديد في البرامج وإن شئت فقل معركة التجديد؛ لأنها كانت معركة فعلا بين القديم والجديد . حتى قال لي الأستاذ أبو الحسن إذا نجحت في هذه الحركة فسيكون لها أثرها القوي في اتجاه التعليم في المدارس الدينية في كل أنحاء الهند وسيكون

كان يلقي بنفسه وسط المعارك الدامية التي كان يشنها الهندوس والسيخ على المسلمين عند التقسيم ويعملون فيهم التقتيل والتذبيح فلا يجرؤ هندوسي أو سيخي على أن يمسه بسوء . . ويكون لمواقفه الجريئة هذه أثرها في تخفيف حدة هذه الاعتمادات المتوالية على المسلمين .

كان رأيه - كراي جمعية علماء الهند - ضد التقسيم وضد قيام باكستان كان يرى أن تبقى الهند كلها دولة واحدة تضم المسلمين والهندوس وغيرهما ويعمل مع ذلك على تقرير حقوق المسلمين كاملة في الوطن الهندي الكبير، فلما تم التقسيم عمل على أن يبقى المسلمون في الهند في دورهم ومتاجرهم ومزارعهم ومناصبهم فلا يتركوها إلى باكستان حتى يظل المسلمون عددا كبيرا وأقلية كبيرة لها صوتها وحتى يظلوا حراسا لمساجدهم ومدارسهم وآثارهم الإسلامية التي تملأ الهند وتعد مشارفها بين العالمين . . وحتى يحولوا دون تحويل هذه المساجد الفخمة إلى معابد هندوسية، واندثار هذه المدارس الدينية وزوال الثقافة الإسلامية من ربوع الهند .

انتخب عضوا في البرلمان المركزي منذ إنشائه عن دائرة « مراد آباد » وكان حزب المؤتمر يترك له دائرته فلا يرشح فيها أحدا

إخوانهم في بورسعيد، فاستجاب سريعا وعمل على أن يصدر مدير الجمعية وشيخ الإسلام مولانا حسين مدني نداء لأهل الهند مسلمين وغيرهم يهيب بهم أن يناصروا إخوانهم في مصر، ويمدوا لهم يد المعونة في محتهم. وقامت فروع الجمعية في كل مكان بجمع التبرعات التي تولى السفير المصري الدكتور مصطفى كامل في ذلك الوقت من إرسالها للقاهرة...

وكنت كلما ذهبت لدار جمعية العلماء ووجت مولانا حفظ الرحمن وجدت حوله كثيرا من أصحاب المصالح من المسلمين والهندوس يطلبون منه أن يتوسط لقضاء مصالحهم ورعايتها وكان لا يرد أحدا بل يمنح الجميع من بره وعطفه ومساعدته ما يستطيع بل وفوق ما يستطيع جسمه الضعيف وبالرغم من كل هذه المشاغل التي كانت تحيط به فإنه لم ينس واجبه العلي الديني إذ كان يقطع من وقته ما يفرغ فيه للسكتب ويعكف على التأليف فأخرج عدة مؤلفات قيمة باللغة الأوردية منها «قصص القرآن»، «الأخلاق وفلسفتها»، «النظام الاقتصادي في الإسلام». وكان مع ثقافته الدينية متقنا كذلك للغة الانجليزية على غير عادة العلماء في الهند.

لقد كان أمة في جهاده وعلمه وبره بدينه

تطورا لم تشهده هذه المدارس منذ ستين أو سبعين عاماً واستطعنا بعد جهاد سنتين أن نظفر بالتعديل، وطلبت الدار السكتب الخاصة بالمواد الجديدة من الأزهر والمؤتمر الإسلامي وللأسف لم تصل لها هذه السكتب للآن...

كان خطيبا من الطراز الأول باللغة الأوردية، يشترك في كل اجتماع أو حفل إسلامي في أي بلد من بلاد الهند على سعتها ولذلك لم تكن دهل - مقره - تحظى بوجوده كثيرا فيها. كان برغم تقدم سنه يطغى عليه الحماس لمصالح المسلمين وقضاياهم داخل الهند وخارجها... أقامت جمعية العلماء مؤتمرها الإسلامي السنوي في أكتوبر سنة ١٩٥٦ في مدينة «سورت»، شمالي بومباي وكنت أمثل الأزهر في هذا الاجتماع وحضره الأستاذ أمين الخولي والدكتور محمد عبد الله العربي مندوبين عن المؤتمر الإسلامي... وأثناء إلقاء كلمتي أخذت الحماس جموع الحاضرين وأخذوا يهتفون من كل ناحية لمصر والهند وناصر ونهرو فتقدم هو من الميكروفون في حماس ظاهر وقاد موجة الهتاف حينما ألقى كلمته كانت تفيض بالحماس لمصر ولتأميم القناة وتفجر بالانقمة على المستعمرين، وبعد أن وقع العدوان على مصر تحدثت معه فيما يحسن بمسلي الهند أن يفعلوه تجاه الضحايا من

شيخ الإسلام مولانا شاه ولي الله الدهلوي صاحب الكتب والمؤلفات العديدة التي نعرف منها هنا « حجة الله البالغة » .

ولقد رثاه « نهرو » في كلمات مؤثرة وكان قد زاره الزيارة الأخيرة له قبيل وفاته بساعات قليلة . . وقال عنه « إنه كان زعيماً : ممتازاً من زعماء الحركة الوطنية الذين أخلصوا لبلادهم ولحريتها إخلاصاً لا يرقى إليه شك » وقال رئيس وزراء مقاطعة « أوتر برديش » بالهند : إن الفقيد قدم لوطنه ومواطنيه أعمالاً مجيدة ، ولا سيما في سبيل الوحدة الوطنية ، وسيظل التاريخ والوطن يحفظها له بالفضل والشكر .

إنني هنا أتصور المسلمين هناك يتلفتون حولهم ليجدوا من يملأ فراغ هذا الراحل العظيم فيطول تلفتهم ، ويعيونهم تفيض من الدمع حزناً وقلوبهم تنفطر أسى وحسرة . رحم الله الفقيد وجزاه خير ما يجزى به المجاهدين المخلصين ولطف بإخواننا المسلمين في الهند ، وهياً لهم من أمرهم رشداً ؟

عبد المصطفى النمر

ووطنه وإخوانه ، حتى خلع عليه مواطنته لقب « مجاهد الملة » .

ذلكم هو مولانا محمد حفظ الرحمن الذي كتب إلى صديقي الأستاذ محي الدين الألواني ينعاه إلى وإلى المسلمين في كلمة مؤثرة تفيض تقديرًا ووفاء للراحل الكريم الذي ظل يغالب المرض سنين ، وسافر إلى أمريكا في محاولة للقضاء عليه ، وعاد وقلوب الذين عرفوه وقدروه تحيط به وترجو له تمام الشفاء ليظل في مكانه حارساً أميناً وخادماً مخلصاً للإسلام والمسلمين ، ولكنه كان على موعد مع قضاء الله الذي وافاه في الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ - الثاني من أغسطس سنة ١٩٦٢ م ، وبكته الملايين الذين عرفوه وقدروا له إخلاصه وجهاده الطويل في سبيل دينه ووطنه .

ومشي خلف جنازته أكثر من خمسين ألفاً ، في مقدمتهم نهرو وجميع رجال الدولة جاءوا من جميع أنحاء الهند ليودعوا الرجل الذي ظل طول حياته رمز الإخلاص والجهاد ويواروه التراب بجانب ضريح المغفور له

قال مروان بن أبي حفصة يمدح معن بن زائدة ، ويصف مفاخر قومه ومنهم لمن استجار بهم :

أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
لجارهم بين السَّاكِين منزلُ

هم القوم إن قالوا أصابوا ، وإن دعوا  
هم ينعمون الجار حتى كأنما

# نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضلي أبو سنه

الحياة ومطالبها على اختلاف ألوان المجتمعات  
في كل عصر ومصر .

ونظرة واحدة إلى تطور السكتب الفقهية  
من زمن كبار الأئمة المجتهدين ترينا مبلغ  
الرقى المتزايد والنمو المطرد الذي وصل  
إليه طالما كان يجلس مع القضاة على كراسي  
القضاء ويقعد مع المفتين في الجامع  
والمساجد .

## النظرية :

ونظرية التعسف في استعمال الحق تسميتها  
بهذا الاسم منقولة عن رجال الحقوق الغربيين  
ولكن هذه النظرية عرفها الإسلام منذ  
أرسل الله رسوله وأنزل عليه قرآنه واعتنقه  
الناس ديناً وطبقوه في قضاياهم وسائر علاقاتهم  
شريعة محكمة ، بين الحق كما بين مصادر  
وأشكال التعدي عليه مباشرة وتسبباً وعمداً  
وخطأً وعن طريق التحايل والذريعة ، فلم  
يترك قانونه قضية من غير حكم .

ولكن الذين يقرءون لرجال القانون من  
الغرب ولا يقرءون الفقه الإسلامى دأبوا  
على أن يعجبوا بكل ما نقلوه عن الغرب على

## مقدمة :

الفقه الإسلامى أطلت رايته بلاد المسلمين  
في أكبر بقعة عرفها التاريخ على وجه الأرض  
صان فيها حقوق الناس وحفظ مصالحهم  
فنعموا بعدالة التشريع وعدالة القضاء :  
ذلك العدل الذي من أجله أرسل الله الرسل  
وأنزل السكتب ، لقد أرسلنا رسالنا بالبينات  
وأنزلنا معهم السكتب والميزان ليقوم الناس  
بالقسط .

جهد القضاة والمفتون من الفقهاء في  
استنباط الأحكام من مصادر الشريعة كلها  
نزالت بهم قضية أو حزبهم أمر : فكانوا  
يحدثون للناس أفضية بقدر ما أحدثوا ،  
ويصونون فيهم المصلحة التي أرادها الله من  
هذا الدين كما يقول تعالى : « وما أرسلناك إلا  
رحمة للعالمين » : فقامت بذلك الحججة البالغة  
على كمال هذا الدين وعلى أنه شريعة الناس  
كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،  
وقامت بذلك الآية البينة على أن الفقه كائن  
حي ينمو ويؤتى أكله بإذن الله لتلبية حاجات

آخر كالتن المؤجل ومنفعة الأجير والامتناع عن الانتفاع بالمرهون أو الوديعة ، والحق

العيني هو علاقة اختصاص لشخص على شيء في مواجهة الناس جميعا كحق الملك وحل التصرف في المملوك وحق الارتفاق بالشرب والطريق ووضع الجدوع على حائط الجار .

وأسابا اكتساب هذه الحقوق إما اختيارية وإما جبرية فالأولى العقد والعمل النافع كالفضالة ومنها ما إذا أنفق على اللقيط بغير إذن القاضي عند المالكية ، والعمل الضار كارتكاب الجرائم والامتناع الضار .

والسبب الجبري أمران : الأول أوامر الشارع كالإتفاق على الأولاد والضرائب من العشر والخراج والزكاة . والثاني هو الإرث .

معنى التعسف : التعسف في استعمال الحق تعبير وارد إلينا عن الحقوقيين الغربيين فيجمل بنا أن نفرق بما أرادوا منه ثم نتكلم عما يقابله في الفقه الإسلامي .

فالتعسف في استعمال الحق عندهم : هو استعمال الحق على وجه غير مشروع — فالمفروض أن الحق أمر مشروع ومباح الاستخدام ولكن الذي استعمله نحا في ذلك نحوا غير مشروع كما سيتبين هذا فيما بعد .

وفرق بين التعسف وبين الفعل الضار أو الامتناع الضار ؛ لأن الأخيرين أمر غير مشروع أى ممنوع ومحرم من أول الأمر .

حين يهتمون الفقه بقصر نظرياته وجمود أحكامه .

### معنى التعسف في استعمال الحق :

الحق : قسم علماء الشريعة الحقوق إلى ما هو حق العامة ، وضابطه ما يتعلق به النفع العام للمجتمع من غير اختصاص بأحد ، كالانتفاع بالطريق العام والأشجار العامة والمساجد وهذا يثبت للناس جميعا حق الانتفاع به والدفاع عنه : الثاني الحق الخاص وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة للفرد وكحقه في ملكه أو في ولايته على ولده ، ويميزوا بين الحقين بأن الأول لا يمكن تمليك ولا إسقاطه والثاني يمكن تمليك وإسقاطه .

ويمكن إدماجها في تعريف واحد نستخلصه من الاستعمالات المختلفة - للفقهاء وهو ما يثبت للإنسان استيفاءه . سواء أكان عاما أم خاصا ، وسواء أكان حقا متعلقا بالمال كحق الملك في الأعيان وحق الانتفاع بالعين المستأجرة أم المستعارة وحق الحبس في المرهون أم كان حقا غير مالى كحق الولاية للشخص على أولاده وحق الزوجية ومنه حق الطاعة لولى الأمر وحق الشورى للأفراد الذين يتأهلون لذلك وغيرهما من الحقوق السياسية .

ولا يأبى الفقه الإسلامى تقسيم فقهاء القانون له إلى شخصى وعينى . فالأول دين أو عمل أو امتناع عن عمل لشخص على



أما التعسف فهو استعمال الحق المشروع على وجه غير مشروع .

أحوال التعسف في القوانين الحديثة : ذكرت التقنينات الحديثة ثلاثة أحوال للتعسف في استعمال الحق :

الأول أن يأتي الإنسان بعمل مشروع ويقصد به الإضرار بالغير من غير أن تكون له مصلحة فيه .

الثاني أن يأتي بعمل مشروع للحصول على مصلحة ضئيلة له لا تناسب مع الضرر العظيم الذي لحق الغير من جراء هذا العمل .

الثالث أن يأتي بعمل مشروع يقصد به تحقيق مصلحة غير مشروعة وقد نص على هذا القانون المصري في المادة ٤ ، ٥ والقانون السوري ٥ ، ٦ .

### النظرية والفقه الإسلامي :

هذه النظرية مستورة في صميم الفقه الإسلامي وبارزة في آيات الكتاب وأحاديث السنة بأوسع من معناها في القانون ، وهي من المبادئ الكبرى التي حفظت بها الحقوق منذ كان الإسلام .

الأدلة عليها إجمالا :

الدليل عليها من القرآن

أولا قول الله تعالى : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو

سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضارا لتعتدوا » .

سبب نزول هذه الآية كما أخرج ابن جرير وابن المنذر أن رجلا من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق زوجته حتى انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثا راجعها ثم طلقها ففعل ذلك بها حتى مضت لها تسعة أشهر يضارها : فأنزل الله تعالى الآية .

يعنى والله أعلم : إذا طلقتم النساء فقاربن انقضاء عدتهن فأمسكوهن بالرجعة : بما هو متعارف في الشرع من حسن العشرة أو تركوهن حتى تنقضي عدتهن ، ولا تراجعوهن مضارين لهن بهذه الرجعة فيتحقق بذلك عدوانكم عليهن .

وجه دلالة الآية : أن الإمساك حق للزوج ، وقد ندب الله تعالى إلى استعماله على نحو مشروع وهو الإمساك مع المعاشرة الحسنة ونهى عن استعماله على نحو غير مشروع وهو استعماله على وجه المضارة على النحو الذي فعله ثابت بن يسار وهذا بعينه هو إساءة استعمال الحق لأنه استعمال حق الإمساك على وجه غير مشروع .

الدليل الثاني : قال الله تعالى بعد بيان نصيب الأخوات لأُم من الميراث : « من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله » .

الزواج والبيع عمل مشروع والزواج لأجل التحليل والبيع لأجل الربا عمل غير مشروع فلما قصد بالمشروع غير المشروع نهى عنه الشارع ، وحكم بفساده لأنه تعاون على الإثم وقد قال تعالى : « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » - ووجه الدلالة من الحديث الثالث أن الذين في أسفل السفينة يستعملون نصيبهم وحقهم لكن لما أرادوا أن يستعملوه على وجه غير مشروع ؛ لأنه يضر الجماعة ضررا عظيما لا يتكافأ مع مصلحة شربهم ، وترك إيذاء الفريق الأعلى اعتبره الشارع منكرا يجب أن يمتنعوا عنه .

إلى غير ذلك من أدلة يأتي بعضها إن شاء الله <sup>(١)</sup> .

### استراكية الحق في الإسلام :

الحقوق الشخصية والعينية ليست مختصة بأصحابها في الإسلام اختصاصا مطلقا وليسوا مستقبلين في التمتع بمزاياها استبدادا كما قد يتبادر من وصفها بالحقوق الخاصة . بل الواقع أن للجماعة حقا عاما مشتركا بينهم وذلك من ناحيتين .

الأولى : أن تصرف الشخص فيها مشروع بشرط سلامة الجماعة من ضرر ينشأ عن

(١) انظر تفسير الألوسي ج ٢ ، ٤ - أحكام الجصاص ج ١ - صحيح البخاري في كتاب الحدود - نيل الأوطار في كتاب البيع - باب القباب لابن راشد المالكي في كتاب النكاح - ألفي الحنبلي في - كاح التحليل .

يعنى والله أعلم لكل من الأخوات لأم نصيبه بعد أداء دين المورث وإخراج وصيته ، على أن يكون المورث قد أقر بالدين وأوصى من غير ضرار بورثته بأن يكون الدين صحيحا والوصية لا ضرار فيها .

وجه الدلالة : أن الوصية حق للمورث وله استعماله على وجه مشروع بأن يكون فيه بر بالورثة ولا يجوز استعماله على وجه غير مشروع بأن يكون إضرارا بالورثة كأن يوصى بأكثر من الثلث أو يوصى لأحد الورثة فالوصية مع الإضرار هي بعينها إساءة استعمال الحق .

الدليل الثالث : ما أخرج أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ( لعن الله المحلل والمحلل له ) - وما روى عن الأوزاعي عنه صلى الله عليه وسلم ( يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع ) .

وما أخرج البخاري عن النعمان بن بشير أنه صلى الله عليه وسلم قال : ( مثل القاسم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ) .

وجه الدلالة من هذه الأحاديث : أن

يجب أن يشعر بأن لغيره فيه نصيب لا يصح الاعتداء عليه .

**تعريف الكلام على التعسف في الحق في الفقه الإسلامي :**  
تعريف :

تبين من دراستنا لأحكام التصرفات وما يعتبر منها مخالفة وما لا يعتبر أنه يمكن تعريفه بما يأتي :  
هو تصرف الإنسان في حقه تصرفاً غير معتاد شرعاً .

ولشرح هذا نقول :  
الأصل الفقهي العام في المسؤولية إذا تصرف الإنسان في حقه :  
قرر الفقهاء كما في الفقه الحنفي وغيره أن للإنسان أن يتصرف في ملكه تصرفاً معتاداً ولا يسأل عما يترتب عليه من ضرر حينئذ ؛ وإنما يسأل عن الضرر إذا كان التصرف في ملكه غير معتاد .

ويقصدون بالملك ههنا : الحق بدليل أنهم ذكروا من فروع هذا الأصل ما لو سقى أرضه من الأنهار العظام التي ليست بملوكة للأفراد كانيل والفرات أو ساق منها نهيراً إلى أرضه - قالوا يجوز ذلك إلا إذا أضر بالعامه .

**مربع :**

وفرعوا على هذا الأصل أموراً منها ما إذا سقى زرعه فزت أرض جاره ، وتلف بذلك

استعمال هذا الحق كما يشير إلى ذلك حديث الواقع في حدود الله : ولهذا أذن للجماعة في منعه عن استعماله للحق استعمالاً ضاراً بهم : فصاحب الحق يجب أن ينظر إلى النتائج الناجمة عن استعماله إن قصد الضرر أو ترك الاحتراس أو أراد تحقيق مصلحة لا تتكافأ مع ضرر الغير أو مصلحة غير مشروعة .

الناحية الثانية : أن الحق كما جعل الله فيه مصلحة فردية لصاحبه جعل فيه مصلحة اجتماعية لصالح الجماعة ؛ لأنه من ثروة الأمة التي تعتمد عليها - ولهذا نهى الشخص عن إتلاف ماله : لأنه إن لم يصبه هو بالخسارة أصاب الجماعة ، ولأن الله جعل فيه نصيباً معلوماً للجماعة كما في الزكاة والعشر والخراج ويدل على هذا النهي عن الاحتكار والنهي عن رفع الأسعار وحق الجماعة في بيع المال المحتاج إليه على صاحبه عند الغلاء الشديد أو الجماعة .

ويشير إلى هذا الأصل العظيم قول الله تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » . وهذا تبين أن الحق الخاص فيه جهة عموم نظراً للوظيفة الاجتماعية التي رتبها الشارع من الناحيتين السابقتين .

ولهذا المبدأ ارتباط وثيق بنظرية التعسف في استعمال الحق من جهة أن صاحبه

زراع أو بناء إن سقاها سقيا معتاداً بأن سقاها قدر ما تحتمله عادة لم يضمن وإن سقاها قدرأ لا تحتمله ضمن .

ومنها ما إذا أحرقت حصائده في أرض مملوكة أو مستأجرة فأحترق بذلك شيء لجاره لم يضمن لأنه تصرف في حقه تصرفاً معتاداً وإن كانت الرياح مضطربة عند الإحراق فأحترقت شيئاً لغيره ضمن ؛ لأنه يعلم أن النار لا تستقر فكان مستعملاً لحقه استعمالاً غير معتاد أى فكان متعدياً .

ومن هذا يقين حكم الفقه فيما لو حفر بئراً في ملكه فغاص الماء من بئر جاره أو أدار آلة لإدارة معتادة، فتأذى السكان بضوضائها وهو ألا يضمن الضرر لأنه تصرف معتاد .

وحكم هذا الأصل يسرى على من قام بعمل لغيره بناء على عقد أو إذن كالطبيب والقاضي ومنفذ الأحكام إذا سلك الطريق المعتاد في عمله فتخلف عن ذلك ضرر لا يضمن .

(١) الدر وابن عابدين - الزيلعي ج ٦ صفحة ٤٣

الزيلعي ج ٥ ص ١٣٧ وابن عابدين ج ٥ ص ٥٨ .

أحمد فهمي أبو سنه

من شعر الحكمة قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تقنع

# المازني شاعراً

لِلأستاذ العوضي الوكيل

— ٣ —

سلك الشعر العربي في أوائل هذا القرن مرحلة من مراحل تطوره ، وأثمرت حركة الاتصال الأدبي بين الشرق والغرب ثمراتها ، وكان تطور الشعر ، إحدى تلك الثمرات . وكانت دعوة الصدق ، والتعبير عن الشعور الصحيح ، بما أخذ الشعراء به أنفسهم ، فنزعوا إلى « الاستقلال » ، ورفع غشاوة الرياء ، والتحرر من القيود الصناعية . ومن ثم انقرض أو كاد ، شعر الزخرفة البديعية ، وشعر التهامي بالمناسبات والتعزية المتسكفة ، التي لا تتصل بشعور القائل ولا بعاطفته . وانفتحت نفوس الشعراء لمؤثرات الكون ، التي يعرض عنها غير الشعراء وامتزجت طواياهم بطواياها ، فعمقوا بأشعارهم معنى الحياة في نفوس الأحياء ، واتسعت بواعث الشعر ، وانفرجت نوافذ الحياة أمام أعين الشعراء عن موضوعات له لا تقنى ، إلا إذا فئيت الحياة ، وصح بذلك ما قاله العقاد في مقدمة ديوانه : « دوحى الأربعين » ، الذي صدر في نهاية الثلث الأول من هذا القرن : « إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لـسكن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود ، وصح كذلك ما قاله في مقدمة ديوانه « عابر سليل » - وقد أصدره قبل نحو ربع قرن - : « كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونقيض عليه من خيالنا ، وتخلله بوعينا ، ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر ، وموضوع للشعر ، لأنه حياة ، وموضوع للحياة . » وأحست الأوزان والقوافي أنها أضيق - كما يقول العقاد في مقدمة ديوان المازني - من أن تنفس لأغراض شاعر « تفتحت مغالق نفسه ، وقرأ الشعر الغربي فرأى كيف ترحب أوزانهم بالأقاصيص المطولة ، والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين في أيديهم القوالب الشعرية ، فيودعونها مالا قدرة لشاعر عربي على وضعه في غير النثر . » ومن ثم ظهرت القوافي المرسلة والمزدوجة ، والمتقابلة ، في ديوان عبد الرحمن شكري الأول ، ثم جاء المازني فضمن ديوانه نماذج من تلك القوافي .

بالمأزنى والشريف والأخطل وجريز ، تتألق  
في ثناياها روح مشرقة :  
وفي قصيدة - أوموشة - الدار المهجورة -  
يقف المأزنى بها ، كما وقف قبله آلاف  
من شعراء العرب ، على رأسهم نابغة بني  
كنانة امرؤ القيس ، ولكنه يسلك في وقوفه  
بها مسلكاً يفاير مسالكهم جميعاً ، فإنه  
يتمثل الدار وقد علاها المشيب ، وأدركها  
البلى ، فبقيت مهتمة قائمة كالمرء بين الحياة  
والموت ، أما حديث الواقف بها فأمره  
عجيب . فإنه لا يجد لها قراراً ، ولا تستطيع  
أوهو لا يستطيع لها حواراً ، ولا تلبث  
أصداء الحديث أن ترتد إلى المتحدث .  
يقول المأزنى :

لم يدع منها البلى ، إلا كما  
ترك التسعون من غض الشباب  
\* \* \*

وهي في سكونها كأنما  
فارتقتها روحها إلا ذماً

\* \* \*

ليس يلقي عندها الصوت قراراً  
كلما أرسلته مل الجوارا  
واسترد المرء منها ما أعارا

تنب الأصداء عنها مثلاً  
طار العقبان طيراً عن عقاب

في هذا الجو الأدبي الشعري الجديد نشأ  
المأزنى وعاش ، وصدر ديوان شعره ،  
كما صدرت قبله دواوين زميليه في الجهاد  
الأدبي العقاد وشكري ، وجاء ديوان المأزنى  
كما ينبغي أن يحى . معبراً أصدق التعبير  
عن صاحبه وعن زمنه جميعاً ، وجاء شعر  
المأزنى وصاحبيه ، نمطاً جديداً لا يحاكي  
القديم ولا ينكره ولا يدابره ، وإذا كان  
ثمت نضال بين مذهب قديم ، ومذهب جديد  
فهو نضال انتهى الأمر فيه إلى أن نزع  
الظافر أسلاب المخدول ، ولكنه لبسها ،  
فكان ظافرهم ومخدولهم أقرب الناس زياً ،  
وأشبههم بزة .

وأنت حين تقرأ للمأزنى قوله في مقطوعة  
الإهداء بالجزء الأول من ديوانه :

إلى الذى نام عن ليلي وأمهري  
ومن إليه على الأيام تحناني  
ومن أكاظمه وجدى ، وأوهمه

أن اقترابى وبعدى عنه سيات  
ومن غذائى ذكره ، وإن بعدت

أوطانه ونأت بي عنه أوطاني  
أذكيت في الصدر ناراً لا أخود لها  
فاقبس ثوائر أنفاسى وأشباني  
هدية لك فيها الفضل أجمعه

وليس لي غير إنصافى وعرفانى  
تجد صياغة عربية مشرقة ، يتصل نسبها

والعقاب الأخيرة جمع عقبة وهى المكان المرتفع فى جبل أو نحوه ، ويقول فى الإخوان ص ٣٢ ، الجزء الأول ، وتأمل إشراق الديباجة ، وصفاءها :

سمل الخلاء ما صنعوا بعهدى  
أضاعوه ، وكم هزلوا بمجدى

ركبت إلههم ظهر الأمانى  
على ثقة فعدت أذى وحدى

وصلت بحبلهم حبلى فلما  
نأوا عفى قطعت حبال ودى

وكانوا حليقي فعدت منها  
وغمدى ، فالحسام بغير غمد

وفى الجزء الأول من الديوان سبتان  
ظاهرتان ، أولاهما أن شعر الحب به فيه  
حرارة ، والثانية الجوح فى هجاء بعض من  
كانوا أصدقاءه .

أما الأولى فنحن نعلم أن المازنى نظم هذا  
الديوان وهو بعيد العشرين بقليل ، وفى الثانية  
والعشرين على التحديد ، يقول فى قصيدته  
ثورة النفس - ص ٤٢ - رداً على أبيات  
كان قد بعث إليه بها صديقه الشاعر  
عبد الرحمن شكرى :

لبست رداء الدهر عشرين حجة  
وئتين ، ياشوق إلى خلع ذا البرد

عزوفاعن الدنيا ، ومن لم يجد بها  
مراداً لآمال ، تعلل بالزهد

فالشاعر إذن فى فترة مراعاة فنية وإنسانية ،  
فلا جرم يحمى شعره فى الحب ذا حرارة ،  
يقول :

إن وجها رأيت ليلة السبد  
مت رمانى بحبه وتولى

عجب كيف يرتضى البعد عنا  
من عبدنا فى حسنه الله جلا

هل حباك الإله بالحسن إلا  
لنرى فيك آية تتجلى

أنت أفسدتى وعلقتى الح  
ب ، فلما أصلحت منى هلا !

ويقول المازنى :

ودعته والليل يخفركنا  
والليل يرمقنى ويرمقه

ولرب خدبت أئمه  
والدمع يطفى ما أحرقه

ويقول من قصيدته لحظ الحبيب :

يا قرة العين أنت حسبي  
لولاك ما أثمرت غصونى

لولاك لم أحتمل حياتى  
ولم أطق صفقة الغبين

وددت لو تنفع الأمانى  
لو كنت لدنا من الغصون

وليئننى صيدح يغنى  
فى ظلك الوارف الأمين

بالبحى التى نشأت بين بيثة شنعاء ، وبأنه  
ذئب الإسفاف والكبرياء ، وفاسق يظهر  
العفاف ، وحمارأ وهمه الشيطان أمراً فصاح .  
وفى القصيدة بعض الصور الفكاهية - التى  
تلائم طبع المازنى - ولكنها كما قلنا قليلة ،  
ومن أمثلتها صورة القرد السكران ، وصورة  
الحمار المتكبر ، والمهجو هنا - كما يظهر من  
الآيات ، وكما يحدثنا من عاصر هذه الحقبة  
من حياة المازنى - شاعر كان صديقا للمازنى  
ثم تخاصما ، يقول المازنى :

يا قطيع اللسان مالك والشع

ر و صوغ الكلام جم العناء

وثمة قصيدة أخرى تجرى هذا المجرى  
فى ديوان المازنى ، وهى قصيدة الإخوان  
- ص ٣٢ - وفيها يقول :

وغر ماضغ بالغيب لخمى

خلاه الذم إذ جمدنا بجمد

صفوت له على العلات دهرا  
فترنق بالسفاهة ماء وردى

\* \* \*

مضى زمن التسامح والتغاضى

وذا زمن التراى والتحدى

لئن أعلى خسيستهم سكونى

فسوف يحطها بدئى وعودى

وإن أثمر لهم ذما كثيراً

فهم غرسوا بذور الذم عندى

ونلاحظ أنه كرر كلمة الغصون ولم يمحض  
عليها فى القافية غير بيت واحد .

واقراً كذلك مقدمة قصيدته « السلو » :

أبليت فيك العمر وهو جديد

وعرفت فيك الصبر كيف يبيد

وغدوت - أهلك - فى الحياة محسداً

تة - لى على ضغائن وحقود

وتركتنى مثلاً شروداً فى الهوى

يوى إلى الإصبع الممدود

لى كل يوم منك موقف ذلة

صعب على الطبع الحى شديد

وأما السمة الثانية فتمثلها قصيدة همزية طويلة

يعارض بها ابن الرومى فى قصيدته التى مطلعها :

يا أخى أين ربيع ذاك الإخاء

أين ما كان بيننا من صفاء

وطالت قصيدة المازنى حتى بلغت

مائة وستة من الآيات ، لتتم معارضة ابن

الرومى فى كافة النواحي ، فإنه كان طويل

النفس جداً ، بدأها المازنى بقوله :

بعض بغضائكم أولى البغضاء

إنما الشتم شيمة السفهاء

ليس يشنى السباب غل حسود

قد طوى صدره على الشخفاء

وتمتلئ القصيدة بالسباب ، وتقل فيها

الصور ، ويقسو السباب أحياناً حتى يصل

إلى درجة غير مقبولة ، كأن يصف خصمه



وتعاود المازنى طبيعة الهجاء فى الجزء  
الثالث - الذى نشر بعد موته - يقول  
فى قصيدة عنوانها اللص :

لحاك الله من لصوص رقيق  
يفاخى بالعضية والفجور  
أتذكر حين كان أبوك يمشى  
وما فى كفه شروى تقير  
يدلل يومه فى السوق طورا  
وطورا فى الأزقة والكفور  
ويوقر ظهره مولاه حتى  
كان أباك كان من الخير  
وله كذلك فى هذا الجزء الثالث قصيدة  
من الهجاء عنوانها الخمار المستأسد اضطر  
ناشر الديوان ومراجعته إلى حذف تسعة  
أبيات منها فيها نبوخادش وإن خالف بذلك  
أمانة النقل ، ولعله كان أمام كلام شديد  
البذاءة ، والملاحظ أن ابن الرومى يسيطر على

الشاعر حتى فى قوالب صياغته يقول  
ابن الرومى .  
ويمينا لألهون بأشلا  
نك بين الإشواء والإصماء  
مادحا هاجيا ومتخذاً إيا  
ك ملهى وعرضة استهزاء  
ويقول المازنى :

ويمينا لأجعلنك أحدو  
ثة كل الركبان والأملاء  
ناشراً كل سوء لك تطو  
يها دوءاً بآ وفعة نكرام  
فحتى القافية الهمزية لم تسلم من المازنى  
حين عارض ابن الرومى .  
وإلى مقال آخر نعالج فيه فن المازنى  
الشعرى وأسلوب صوره وتفكيره ؟

### العوضى الوكيل

## عهد أبى بكر لعمر بن الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، فى الحال التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر .

لأنى استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدل فذلك على به ورأى فيه ، وإن جار وبدل فلا علم لى بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيعلم الذين ظلموا أى متقلب ينقلبون .

# ثَوْرَةُ التَّوْحِيدِ الْفَلَسَفِي

## على السَّعْدِ الرَّوْمِيِّ

### للدكتور محمد غلاب

أنه يقبل التقاليد الدينية الإغريقية، ولكنه يرفض في حزم أن يقر ذلك الضعف البشري الشائن الذي عزاه هو ميروس إلى الآلهة، وبعد أن أنحى بانداروس باللائمة على الصور الأدبية والمادية الشائنة التي رسمها هو ميروس للآلهة، صرح بأنهم يتسلكون القوة والجمال والخلود، وعلى الأخص الخيرية والعلم المنزه عن الخطأ والانخداع في أي شيء، وأنهم متصفون بأسمى الفضائل التي تأسست عليها ديانتهم عنصريا، ثم انتزعت من هذه الديانة تطبيقيا.

وعلى هذا النحو نفسه كان الشاعران المأساويان: إسكيلوس، وسوفوكليس، وقد امتازا باحترامهما النقي الفائق للتقاليد الدينية، فالآلهة عندهما قوى غامضة رهبة لا يقيدهم سوى قانون القدر الذي يستحيل الفرار منه أو التردد عليه، وهم متصفون بالقدرة والعدالة، بل هم حماة الفضائل العالية.

ومعنى هذا أن ذنبك المأساويين قد خلعا على الآلهة من الأوصاف العالية والنعوت الرفيعة ما لم يظفروا بعشر معشاره في ملحمتي هو ميروس.

بما لا سبيل إلى الريب فيه أن الأدب الهيليني قد ترك في تكوين العالم الحديث أثرا روحيا وخلقيا وفنيا لا يحجده اليوم أحد من المثقفين في الغرب والشرق وأن هذا الأدب قد اقتبس أروع موضوعاته من تلك الأساطير الشيقة التي لا تزال إلى اليوم منبعها فياضا من منابع الشعر الساهر، والفن الفاتن.

هذه الأساطير هي أساس الدين الهيليني، بل لقد بقيت زمنا طويلا ينظر إليها على أنها هي التاريخ المعتمد لذلك الدين الذي هو نموذج للتعدد وتحديد الاختصاص، والذي كان الشعب يؤمن به إيمانا عميقا، وعلى رأسه شعراؤه وكتابه ومؤلفوه منذ أبعدهم ضربا في القدم، ومن أوضح الآيات على ذلك الإلياذة والأوديسا اللتان أبدع فيهما هو ميروس في تصوير آلهة الإغريق أينما أبدع.

بيد أن الزمن قد عمل عمله في تطور هذه العقيدة، وقد ظهر فيها ذلك التطور قويا بارزا حين تلاما نجم الشاعر الرسمي العظيم بانداروس وأعلن في أول القرن الخامس

النهضة العلمية الإيونية ، وكانت نتيجة هذا التأمل أن الديانة الإغريقية باطلة من أساسها لأن الآلهة الحقيقيين لا يمكن أن يكونوا كما صورتهم الأساطير من الناحية المادية ولا من الناحية الأدبية ، فأما منشأ تخلف التصوير المادى للآلهة وبطلانه ، فهو أننا نلاحظ أن تماثيل آلهة الإغريق زرق العيون ، بيض الوجوه ، صفر الشعور ، وتماثيل الإثيوبيين سود الوجوه ، فطس الأنوف ، جعد الشعور إلى غير ذلك مما يحملنا على الاعتقاد بأنه لو أتيح للأسود أن تصنع تماثيل آلهتها لصنعها ذات مخالب وأنياب ، ولو قدر للثيران أن تفعل ، لرأينا تماثيل آلهتها ذات قرون طويلة وأذيال متدلية ، وأما ما تلى فساد التصوير الأدبى الذى ورد فى الشعر الإغريق القديم للآلهة ، فهو أننا نشاهد أن آلهة (هوميروس) و (هيزيودوس) يتناسلون وينامون ويشتهون ويعشقون ويخدعون ويخونون ، وبالإجمال يقتربون أكبر الموبقات الإنسانية ، وهذا كله يحملنا على اليقين بأن جميع هذه الآلهة من صنع البشر وكما شئت لهم أهواؤهم وبيئاتهم ، ولا ريب أن كل ذى عقل سليم يحتمر هذا ويسخر منه سخيرة تامة .

ثم إن (إكسينوفانيس) بعد أن هدم الديانة الأرسطورية التى كان يعتقد بطلانها ، شرع يؤسس على أنقاضها عقيدته الفلسفية

غير أن هذا الطابع الإجلالى لم يلبث أيضاً أن لحقه التطور الذى لا يدع كبيرة ولا صغيرة فى الكون إلا أخضعها لقاموسه القاهر الجارف ، وماتى ذلك التطور هو الأورفية ثم الفيثاغورية اللتان تأثرتا بالمبادئ الشرقية عامة ، والهندية خاصة ، ومن الأسس الجوهرية لهذه المبادئ : التوحيد أو دين الفطرة ، ولكن لما كانت هذه التعاليم الأورفية والفيثاغورية تدرس سرا بين الصفوة والعلية من المفكرين ، وكانت من (المضنون به على غير أهله) ولهذا بقيت بعيدة عن الشعب ، مصونة عن الدهماء ، مقصورة على الخاصة الممتازين .

### توهيب إكسينوفانيس :

على أنه من الأمور الطبيعية أيضاً أن الحنى يصير علنياً فى يوم ما ، وقد كان ذلك بالفعل ، إذ لم تلبث أن ظهرت تلك الحملة الهائلة التى سدد الفيلسوف الإلهى إكسينوفانيس سهامها إلى عقيدة التعدد والمشابهة فى إغريقيا فأصابها فى الصميم ، وإليك البيان :

كان أول ما شغل إكسينوفانيس فى حياته الفكرية هو النظر فى التراث الإغريقى القديم المؤلف من الأساطير الدينية الممثلة فى قصائد الشعراء وتماثيل الفنانين ، فبسطها أمامه ثم تأمل فيها على ضوء النضوج الذى أحدثته

الأخير من القرن الخامس وهو أزهر عصور هذه العاصمة على الإطلاق ، إذ كانت أثناءه على رأس إغريقيا كلها لاسيما بعد أن أنقذتها من الغزو الفارسي بفضل شجاعته واستعدادها ، ومن أسباب ذلك التفوق أيضاً أنه كان على رأسها ذلك الحاكم العظيم بيريكليس . ولهذا لا نستطيع أن نمر هنا بتلك الحقبة التاريخية الخالدة دون أن نقف عندها هنيهة . ولما لم يكن من الميسور أن نقف هذه الوقفة دون الإلماع إلى حياة بطل الساعة في ذلك الحين ورافع لواء المجد فيه ، وهو بيريكليس ، فإليك هذه الإلماعة :

انحدرد بيريكليس من أسرة عريقة ماجدة ، ولكنه لم يكسد يشب حتى وضع نفسه على رأس حزب الشعب ، وقد أدھش هذا المسالك المؤرخين ؛ لأنه غير طبيعي ، ففرض فريق منهم أنه لا بد أن يكون في هذا التصرف قد خضع لدافع الميل الشديد إلى الخطابة ، ولبي في نفسه نداء الفصاحة والبلاغة اللتين بلغتا لديه أقصى حدود الإعجاب . ولم يكن يستطيع لإرضاء الرغبة التي ملكت عليه أحاسيسه إلا إذا كان زعيماً سياسياً وقائداً شعبياً من أولئك القادة النادرين الذين تفتقر إليهم الشعوب في محنها أو في حركاتها التحريرية التي تقوم بها لتتخلص من البؤس أو من المظالم الاجتماعية .

الصحيحة المؤسسة على النظر المنطقي السليم ، فأخذ يسائل نفسه قائلاً : ولكن مع ذلك ، هل كان الكون من غير إله ؟ كلا ، بل إن هناك إلهاً واحداً بعيداً كل البعد عن جميع نعوت البشرية من غير استثناء ، وهو يرى بكيته كل مرئى ويسمع بكيته كل مسموع ، ويدرك بكيته كل مدرك ، وأنه ثابت كل الثبات ، منزّه عن الحركة بأنواعها ، وأنه يدبر كل شيء في الكون بقدرته الإدراكية التي لا نظير لها .

وعنده أن إثبات وحدانية الإله ليس مفتقراً إلى أدلة حسية ، أو براهين تجريبية ، بل هو ظاهر بالدليل النظري لدى كل عقل مستقيم ، وهذا الدليل هو أن القوة غير المحدودة هي أولى خصائص الإله ، فلو كان له شريك لما استطاع أن يفعل كل ما يريد . وهذا العجز حد للقوة التي لا تتحقق الألوهية إلا بتخطيها كل حد وبلوغها أعلى درجات الكمال . وقد برهن على أزلية الإله وأبديته بمثل هذه البراهين النظرية .

### توحيد أناكساغوراس :

كان إكسينوفانيس ينادى بهذه الآراء في إيطاليا الجنوبية في القرن السادس قبل المسيح ، ولكن التوحيد الواضح قد ظهر في أثينا على يدى أناكساغوراس في النصف

أثينا بقايا مبادئ الديانات الفطرية الآسيوية فكان الأول من جرو على أن يتحدث في أثينا الوثنية عن إله واحد مجرد حكيم مدبر للكون ولا يشبه من عداه ، وقد وجه إليه سؤال كان بمثابة حد فاصل بين المدارس الإيوانية والإليائية والذرية أو بعبارة أدق كان حدا فاصلا بين مدارس الإلحاد التي تعلن أن الحركة الكونية لا يحرك لها البتة وإنما هي سائرة بالمصادفة أو مدفوعة بقانون الثقل ومدارس التأليه التي تقرر أن لكل حركة محركا إلى أن ينتهي الأمر إلى المحرك الأزلي الذي يحرك ولا يتحرك ، وبجمل هذا السؤال هو ، مم نشأت هذه الحركة الدائمة التي لا تكاد تجمع شيئا حتى تفرقه ، ولا تفرقه حتى تجمعها ولم كانت ؟ ، ولم يتردد أنا كساغوراس في أن يجيب سائليه بقوله : إن هذه الحركة ميكانيكية متأثرة بقوة منصفة عليها من الخارج ، وهي لازمة لزوماً لا مناص منه لنظام الكون ، إذ لو لم توجد لانعدم كل شيء في العالم ، وهوى الكون كله إلى جمود سحيق . فبالحركة يحدث الكون والفساد أو ما يسمى بالحياة والموت وبها يوجد النهار والليل ، وهوى الرطب والثقيل نحو المركز ، ويصعد اليابس والخفيف نحو الخارج ، وبها يحصل التعقل والإدراك . وبالإجمال : هي أولى الضرورات وأقواها من غير استثناء . أما فاعلها فهو

وعما هو جدير بالملاحظة أن هذه الشخصية النزيهة النظيفة كان لها كثير من الخصوم المغرضين المهاجمين ظلماً وعدواناً ، لا شيء إلا لأنه لم يسايرهم في أهوائهم ومطامعهم . ولا غرو فإن الشاعر العربي يقول :  
إن نصف الناس أعداء لمن

ولى الأحكام هذا إن عدل  
ولكن بيريكليس لم يكن يستشيط غضبا من الهجوم ، ولا يهتز طرباً للشناء ، لأنه كان يعيش في ذاته . وقد خلق لنفسه حياة شخصية مستقلة عن حياته السياسية التي كانت مع ذلك مثالية . وكان يفضل مرافقة الفلاسفة على مرافقة المتعلمين من رجال الحكم وذوى المطامع والأهواء وكان منزله أشبه بمنزل فيلسوف ظريف فكان مفتوحاً على مصراعيه للصفوة المختارين .

وكان سقراط الشاب وأنا كساغوراس الشيخ من بين رفاقه المفضلين ، وإذا كان اختيار المرء قطعة من عقله كما يقولون ، فإن اصطفاً بيريكليس هذين الحكيمين دليل على سداد الرأي ونفاذ البصيرة ؛ لأن أنا كساغوراس كان يمثل جانبين عظيمين من جواب المعرفة البشرية ، أولها أنه كان دارساً ممتازاً للعارف الطبيعية اليونانية التي كانت تحاول أن تشرح الكون بوساطة النظريات المادية وثانيهما أنه قد حمل إلى

برهاننا على وجوده ، إذ لو أنه اتخذ خيريته التي نشعر بجذبها إيانا نحو الخير في داخل نفوسنا برهاننا على ذلك الوجود ، لكان أقرب إلى الصواب ؛ لأن ما ندركه في داخل نفوسنا أثبت وجوداً وأقوى يقيناً مما نحسه بحواسنا .

ولا شك أن في هذا التصريح من سقراط دليلاً قوياً على عظمة أنا كساغوراس وضربة في الفلسفة العالية بسهم نفاذة .

ولقد هزت تلك التصريحات من جانب أنا كساغوراس كل العقليات الممتازة في أثينا وعلى رأسها بيريكليس وسقراط وزلزلت عقيدتها في التعدد الأسطوري ، ولا ريب أن هذا الجانب من أنا كساغوراس كان له أعمق الأثر في تكوين سقراط أولاً ثم أفلاطون وأرسطو من بعده ولم لا ؟ أليس سقراط هو الذي يقول عنه إنه : « الصاحي بين السكارى » كما أسلفنا ، وإن كان ذلك لم يمنعه من أن يخالفه في الجانب المادى من شرح الكون وأن يعارضه في عبارته المشهورة وهي قوله : « ليس في هذه المظاهر ثابت إلا الفكرة ، وما لا يخفى أن هذه العبارة هي أساس المثل الأفلاطونية .

إلى جانب هذا التأثير القوي الذي تركه أنا كساغوراس في سلسلة عظماء فلاسفة الإغريق الروحيين والعقليين في التوحيد

« النواميس » أو تلك القوة الحكيمة التي لا يقبل العقل السليم أن تكون مثناة كما رأى أمبيدوكليس ، وإنما هي واحدة من جميع الوجوه ، وهذه القوة العاقلة مستقلة تمزج بالأمور ، وهي بكليتها في نفسها . إنها ألطف وأنتى الموجودات جميعها . وقد نقل عنه ساميليسوس في كتابه « عن السماء » ما يأتي : إن النوس أو القوة العاقلة لها قدرة قاهرة على كل شيء ، ولها علم غير محدود . وعنده أن كل كائن حي حق النبات ، مشتمل على جزء يتناسب معه من ذلك الإدراك السكلي الأعلى . وبهذا الجزء يدبر كل كائن حي حياته تدبيراً خاصاً مستقلاً وهو يرى أنه لولا وجود تلك القوة الحكيمة المدبرة لما سلبت تلك الأجرام الكثيرة العدد من الاصطدام أثناء هذه الحركة الفاتكة في السرعة ، والى لا تفتقر لحظة واحدة . ولا ريب أن هذا يشف عن أنه كان عالماً طبيعياً مبدعاً ، وفيلسوفاً مؤلفاً جليلاً . وأن نتائج نظرياته إن لم تكن قد ظهرت في حياته ، فإنها كانت بارزة الأثر بعد موته حتى لقد شهد له سقراط بأنه كان مثله في البيئة التي يعيش فيها مثل : « الصاحي بين السكارى » على حد تعبيره ، وليس هذا بحسب ، بل إنه قد اعترف له بأنه مؤله موحد حيث قال : إني آخذ على أنا كساغوراس اتخاذ حكمة الإله الممثلة في نظام الكون

سامية انتزعها من مبادئ أستأذه أنا كساغوراس . ولكن حظ هذا الداعي للتأليه العقلي الجديد كان في أثينا أحسن من حظ زميله سقراط ؛ إذ شاعت له الأقدار أن يغادر تلك المدينة إلى مقدونيا وأن يبقى بها حتى يتوفى في بلاط الملك أركيلادوس .

وأيا ما كان فعلى أثر اشتها أنا كساغوراس بهذه المبادئ ، وذيوع أستاذيته لبيريكليس ، انتهز خصومه المغرضون هذه الفرصة فأطلقوا ألسنتهم في المدينة أن بيريكليس قد أصبح ملحداً . وهاك عبارة الكاتب الإغريق القديم أنقيلوس في هذا إذ يقول : ( لقد اعتبر الرأي العام بيريكليس ملحداً منذ اللحظة الأولى التي تلقى فيها دروس أنا كساغوراس ) بينما سجل أفلاطون وشيشيرون على العكس من ذلك أن بيريكليس مدين لهذا الفيلسوف بكل ما كان لديه من الحكمة .

على أن هذه الحملة الآتفة التي وجهها خصوم أنا كساغوراس إلى مبادئه ، لم تلبث أن أنتجت نتائجها المشؤمة التي كان من ضحاياها ذلك الفيلسوف الجليل الذي انتهى الأمر بأولئك الخصوم إلى اتهامه ببحود الآلهة وإقامة قضية ضد مذهبه ، ولم لا ؟ أليس هو الذي تجرأ على التصريح بوجود إله واحد مجرد عن المادة ، أو ليس هو الذي كان ينقب بعقله في السماء ليسقط منها الألوهية الوثنية

الراقي الذي بدأ بسقراط وجعل يسمو حتى بلغ الأوج عند الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية ، إلى جانب هذا التأثير الفلسفي نشاهد لأنا كساغوراس تأثيراً آخر أدنى إلى الشعب وألصق بالجمهور ، فقد كان من بين تلاميذه الممتازين ذلك المساوى الموهوب أوريبديس ، وبما لا يخفى على أحد أن المأساة كانت قد أنشئت أول أمرها لتشریف الآلهة وتمجيدهم ، وقد ظلت تؤدي مهمتها على أكمل الوجوه منذ نشأتها حتى تلك الحقبة التي بدا فيها التمرد على الآلهة ، وبما الشعور بنقائصهم ورذائلهم وتناقضهم وعدائهم للمبادئ السامية واستهتارهم بالقيم الروحية إلى غير ذلك مما لا ينطبق على الألوهية الصحيحة . وقد تمثل ذلك النقد اللاذع في مسرحيات أوريبديس التي جعلت تصور آلهة الإغريق منغمسين في الكذب والنفاق والغرور وحب الانتقام والخذاع والحياة والغدر والتوحش وعدم الاتساق حتى في توحشهم . وبالإجمال كانت منتجاته كأنها عرائض اتهام مفعمة بالهجوم والسخرية ، ولكنها لم تسكن سخرية من العقيدة الدينية من حيث ذاتها ، وإنما كانت متجهة إلى الديانة الإغريقية بالذات وعلى صورتها الراهنة . ولم يكن ذلك الهجوم هداماً لحسب ، بل كان مطهراً يزيل أنقاض التخریف ليشيد في مواضعها للألوهية صورة

القديمية ، أو ليس هو الذي بذل جهده في إحداث انقلاب عام في العلوم الطبيعية المقررة التي كانت بمثابة عقيدة ثابتة ، فأعلن في دروسه أن الشمس هي كتلة من النار ، وأن القمر كوكب أهل بالسكان ، وأن الرعد ليس سوى نتيجة اصطكاك السحب ، وإذا كان الأمر كما يقرر أنا كساغوراس فماذا عسى أن يصير زوس قاذف الصواعق ، وأبولون إله الشمس وأرتيميس آلهة القمر ذات الوجه الأبيض ؟ بل ماذا عسى أن يصير جميع آلهة الأولامبوس بإزاء تعاليم هذا الفيلسوف الذي تجرأ - بإعلان هذه المبادئ الجديدة - على اكتساح آلهة الإغريق وعقيدتهم التي توارثوها من قديم الزمن جيلا بعد جيل ، وإحلاله محلها ذلك الإله الواحد المجرد الذي لا يشبه أى موجود من عداه ، والذي ليس

كمنه شيء ولا يحصره مكان ولا زمان ، ولقد كان من نتائج هذه التعاليم الأناكساغورية أن اقترح دروفيلاس الخطيب التصويت على قانون يعاقب كل الذين يساهمون في زلزلة عقيدة الدولة ، أو يحاولون أن يشرحوا الظواهر السبائية عن طريق العلم ، فتم له ما أراد . وفي نفس تلك السنة وهي سنة ٤٣٣ ق . م حكم على أناكساغوراس بالنفي ، ولما لم يكن يربكليس يستطيع دفع الضر عن أستاذه وصديقه فقد تألم لما نزل به تألما شديداً واكتفى على مضض بأن يرافقه إلى أبعد مدى ممكن في طريق منفاه بمدينة لانساخيه التي بقي بها حتى توفي في سنة ٤٢٨ ق . م ، وهي نفس السنة التي ولد فيها أفلاطون .

**الركنور محمد غروب**

## من رسالة عمر في القضاء

إلى أبي موسى الأشعري

المسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجلودا في حد ، أو مجربا عليه شهادة زور ، أو ظنينا في ولاء أو نسب ، فإن الله تولى منكم السرائر . ودرأ بالبينات والأيمان .

إياك والغلق والضجر والتأذي بالخصوم ، والتنكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الآخر ، ويحسن به الذخر ، فمن صحت نيته ، وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله . فما ظنك بشواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .



## مَنْ نَاصَحَ الْأَدَبَ الْعَرَبِيَّ الْحَدِيثَ :

### بِكْرِتِي عَبْدُ الْحَلِيمِ الْمَصْرِي

#### لِلدَّكْتُورِ سَعْدِ الدِّينِ الْجِيزَاوِي

قد حولوا مجرى التاريخ ، ولم تقف أمامهم  
أفيال كسرى ولا حصون قيصر .  
ولقد كان موقف الشعراء - الذين عاصروا  
تلك الفترة - من تأجج الشعور العام موقف  
الحائر المضطرب !! لأنهم أرادوا أن يمجّدوا  
البطولة كما يمجّدوها أسلافهم من أمثال أبي تمام حين  
خلد بطولة الجيوش العربية في معارك عمرورية  
والمتمني حين خلد بطولة سيف الدولة الذي  
أذل كبرياء الروم وحطم على حصونهم ...  
غير أن هؤلاء الشعراء لم يمجّدوا من بنى  
جنسهم من يستحق التمجيد ، فقد كانت  
الانتصارات في الحرب ، لأسماء أجنبية  
بغیضة إلى نفوس الشعراء كما هي بغیضة إلى  
نفوس الأمة جميعا .

وكان لابد للشعراء أن يعبروا عن  
أحاسيسهم ، ويصوروا الشعور العام ،  
ويسجلوا الأحداث ، ويوجهوا النفوس  
إلى ما فيه رفع الروح المعنوية في الأمة  
بعامّة ، وفي الشباب بمخصّصة . ولكن ماذا  
يقولون ؟

لننّا نمجّد أبياتا في شعر حافظ إبراهيم  
وأحمد محرم وغيرهما في وصف أهوال

« بكريّة » الشاعر عبد الحليم المصري (١)  
هي إحدى قصائد طوال ظهرت في آخريات  
الحرب العالمية الأولى ، عندما تأجج الشعور  
العربي العام ، وثارت النفوس في مصر ،  
وسئم الناس رؤية الجند الأعراب من الانجليز  
وحلفاء الانجليز يطوفون البلاد بسلاحهم  
في مصور من الرعب والتهديد ، ويمثلون  
الجو بأزيز طائراتهم ، ويدكون الأرض  
بضخام مدافعهم ودباباتهم ، وقد ضاق الناس  
في مصر أشد الضيق ؛ لأنهم لم يروا في تلك  
الآونة بين قادة الحرب أو المسيطرين على  
زمام الأمور أبطالاً من بنى جنسهم ،  
وبرموا لذلك أشد البرم ، ولم يمجّدوا  
ما يسرى عنهم ما قد آلمهم من الضيق والبرم  
إلا تذكرهم لأبطال هذه الأمة في ماضيها  
الغابر المجيد ، أولئك الأبطال الذين كانوا

(١) هو من الشعراء الضباط ، وأصله من  
مديرية البحيرة قرية فيشا . بعد أن تخرج في  
المدرسة الحربية التحق بخدمة الجيش بالسودان .  
وله ديوان من ثلاثة أجزاء ، والبكرية التي نحن  
بصددها منشورة بمجريدة الأفكار - العدد ٢٥٢٠  
في ١٩١٨/٥/٢٤ - تولى سنة ١٩٢١ .

ثم يأخذ في وصف الجيش التركى الإسلامى:  
منع الخلافة أن تضام ، وصانها  
حامى الحجيح وناصر القرآن  
جيش يسير به النبي ، وحوله  
جند الملائك ، بينه العمران  
يهتز «عمرو» فى اللوام و«خالد»

ويمور «حيدرة» بكل عنان  
ولقد سجل محرم فى هذه القصيدة أسفه  
على ما كان بين الشريف حسين العربى الذى  
كان يملأ الدنيا بدعوته إلى سيادة العرب ، إذ  
انخدع بوعود الإنجليز ، واستسلم لمطالبهم  
ضاربا بالعرب ومصلحهم عرض الحائط .  
قال محرم :

نبئت ما زعم الشريف وقومه  
فسمعت ما لم تسمع الأذنان  
خدعوه إذ ضاق السبيل بمكرهم  
ورموا بأمال إليه حسان  
فأباح ما منعت فوارس هاشم  
وحمت ولاية البيت من عدنان  
ياذا الجلالة : لا سعت بتاجه

ملكا ، سواك به السعيد الهانى  
ومن خلال حيرة الشعراء ، وشدة رغبتهم  
فى إبراز البطولة العربية الإسلامية التى لم  
يحدوها مائلة فى زمانهم ، لاح لهم خاطر  
أخرجهم من حيرتهم ، وفتح لهم بابا واسعا  
يشبعون فيه رغباتهم فى تمجيد تلك البطولة

الحرب ، ولم يكن من الأسماء الإسلامية بين  
قادة الحرب إلا أسماء بعض الضباط الأتراك ،  
إذ كانت تركيا التى تمثل الخلافة الإسلامية  
قد حالفت الألمان فى تلك الحرب التى انتهت  
باتصار الانجليز وحلفائهم .

وفى إبان اشتعال تلك الحرب الضروس  
وجحت كفة الألمان وحلفائهم الأتراك  
فترة من الوقت ، واستبشرت حينذاك الأمم  
الإسلامية ، وظنت أن أبطال الخلافة  
سيحرزون النصر فيحفظون بذلك للخلافة  
هيبتها ، وهنا تنفس الشاعر الكبير - المرحوم  
أحمد محرم - الصعداء فأنشأ قصيدة كبرى من  
من تسعة وعشرين ومائتى بيت يمجسدها فيها  
بطولة الجيش الإسلامى جيش الخلافة ،  
ويشيد بموقف الخلافة من حماية الدين  
وأوطان المسلمين ...

ومما جاء فى هذه القصيدة (١) :

طرب الخطيم ، وكبر الحرمان  
واعتر دين الله بعد هوان  
قامت سيوف الفاتحين بأمره  
والنصر بين مهند وسنان  
ظمئت جوانحه إلى حر الوغى  
فسقته شئوب التجميع الغالى

(١) مخطوطة من بين مخطوطات محرم العديدة ،  
وله قصيدة أخرى من ٦٠٠ بيت فى وصف حرب  
الاسترك واليونان بين ١٩٢١ و ١٩٢٣ فيها  
صور بارعة .

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها  
من الصروح ، وما عاناه بانيها  
وحسبها أن ترى ما كان من عمر  
حتى يذبه منها عين غافها  
وبعد حوالى ثلاثة شهور (١) من إذاعة  
قصيدة حافظ ، نشر المرحوم عبد الحليم  
المصرى بذكرته يعرض فيها صورة كاملة  
لرجل آخر من الرعيل الأول من المسلمين ،  
كان أول الخلفاء الراشدين ، وله في إرساء  
دعائم قواعد الإسلام والدولة الإسلامية  
فضل بارز ، وقد أخذت تخضع للعرب في  
عهد دولته دولتا الظلم والطغيان : فارس  
والروم ، وارتفعت الراية الإسلامية العربية  
تعلن العدل ، والمساواة ، وزوال عهود  
العبودية والاستبداد .

وإذن فقد ظهرت هذه القصيدة الكبرى -  
مع سابقتها ثم ما تلاهما (٢) - في وقت كانت

المحبة إلى نفوسهم ، ذلك أنهم اتجهوا إلى تاريخ  
هذه الأمة المجيد ، واتخذوا من بطولات  
السالفين صورا يشيدون بها ويعرضونها على  
شباب الأمة ، لتسكون لهم فيها قدوة ، وتخلق  
في نفوسهم معانى العزة والكرامة ، وتدفع  
عنهم اليأس ، وتبعث عندهم الأمل في مستقبل  
كريم . وكان هذا الاتجاه من شعراء تلك  
الفترة محموداً مشكوراً ، وقد برزت فيه  
رسالة الشعر جليلة واضحة ، وأدى فيه أولئك  
الشعراء رسالتهم لأمتهم خير الأداء .

وكانت أولى هذه القصائد الطوال هي عمرية  
حافظ إبراهيم (١) التي ألقاها في حفل عام ،  
وقد أبرز فيها صورا ناضرة من حياة  
عمر بن الخطاب كحاكم عادل ، وسياسى بارع ،  
ومصلح اجتماعى ، وقد بين في ختامها هدفه  
من إنشادها . قال :

هذى مناقبه في عهد دولته

لشاهدين وللأعقاب أحكيها (٢)

في كل واحدة منهن نابلة

من الطبائع تغزو نفس واعيا

لعل في أمة الإسلام نابئة

تحلو لحاضرها مرآة ماضيا

(١) ألقاها في ٨ فبراير ١٩١٨ بمدرج وزارة  
المعارف (٢٠ من الديوان ص ٧٧ - وأبياتها  
١٨٧) مطبعة دار الكتب .

(٢) الديوان ص ٩٧ - ١ - نابعة : سجة شريفة .  
نابئة : يقصد الناشئين . للعالى : النائم .

(١) ألقي حافظ قصيدته في ٨ فبراير ١٩١٨  
ونشرت البكرية في ٢٤ مايو سنة ١٩١٨ وهي  
من أحد عشر ومائتي بيت .

(٢) ظهرت العلوية الكبرى من ٣٠٧  
(سبعة وثلاثمائة بيت) في عام ١٩١٩ ترسم  
صورة الخليفة الرابع على بن أبى طالب ، وحوالى  
تلك الفترة كان شوقي قد نظم « أرجوزة العرب  
الكبرى » وهو منى بالأندلس - من ١٧٢٦  
(سنة وعشرين وسبعمائة وألف بيت) بعنوان :  
« دول للعرب وعظماء الإسلام » وصف فيها  
الأمم الإسلامية وعظماء الأبطال للمسلمين من لدن  
ظهور الإسلام إلى نهاية دولة الفاطميين بمصر .

عاجز عن بلوغ ذلك المقام السامى لا مقصر :  
أفضنى أبا بكر عليهم قوافيا  
وأمطر لسانى حكمة ومعانيا  
وقل لرسول الله : لا يجوز زلتى  
إذا لم أكن فيه بقولى باديا  
مقام رسول الله فوق قصائدى  
وهل شرر النبراس يحمدى الدرارياء ؟  
وبعد أبيات يأخذ فى بيان الهدف الذى  
جعله يتجه إلى اختيار أبى بكر :  
فأمنت بالإلهام فيك ، وإن أقل :  
تعهدنى وحى ، فلست مغاليا  
بأول صديق ، وأول مؤمن .  
وأول شورى أشد رجائيا  
وأضرب أمثالا لقوى تجميعهم  
بصورة شيخ المسلمين كما هيا  
عسى أن يعيدوا ما أضاعوا من الهدى  
وأن يتلافوا منه ما كان باقيا  
وحق يروا أن الخلافة لم تكن  
مظاهر فى إبانها ومراثيا  
وأنك لم ترق الخلافة بالغنى  
ولا السن . لكن بانتهى كنت راقيا

\* \* \*

أولئك قوم لا يحابون سيذا  
ولا عرفوا فى جانب الحق عاليا  
بهذه المقدمة التى رسم فيها صورة الحاكم

نفوس الناس فى مصر وسائر البلاد العربية  
أشد ما تكون قلقا واضطرابا بسبب ما  
وصلت إليه الأحوال العامة فى هذه البلاد  
الإسلامية من النكسة والضعف وسيطرة  
المستعمر ... فجاءت كشعاع ضوء فى وسط  
ظلام دامس تطمئن النفوس ، وتفتح  
أبواب الأمل .

تضمنت البكرية سبعة عشر غرضا وهى :  
مقدمة إجمالية - تصديقه بالإسراء - شراء  
الموالى فى الغار - شجاعته يوم بدر - رأيه فى  
صلح الحديبية - رأى النبى فى أبى بكر -  
بعد وفاة النبى تسيير جيش أسامة - حرب  
أهل الردة - غزو الروم والفرس - أبو بكر  
وذو الكلاع - اتجاره فى الخلافة - هو وعمر -  
وفاة ابنه عبد الله - يوم وفاته - الخاتمة .

ونرى من هذا التقسيم أن الشاعر قد جعل  
أكبر اهتمامه فى إبراز شخصية أبى بكر ، وقوة  
إيمانه ، وعدالته ، وهو يهدف من خلال  
ذلك إلى رسم الصورة المثالية للحاكم المؤمن  
الساھر على صالح رعيته ... دون أن يتعرض  
للحسب والنسب وكرم المحتد ...

والمقدمة فى أربعة عشر بيتا ، وقد بدأها  
بلقطة مهبذة اعتذر فيها إلى مقام رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إذ لم يبدأه بمدحه وعلل  
ذلك تعليلا طريفاً إذ اعتبر أن شعره  
لا يسمو إلى مقام الرسول ، ومن ثم فهو

وبعد أن صور شجاعة أبي بكر في غزوة بدر ، وقيامه حارسا ساهرا على عريش النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار إلى بعد نظر أبي بكر في صلح الحديبية ، وما كان من رأى النبي في أبي بكر حين استخلفه في إمامة الناس قبيل وفاته ، وما كان من موقف أبي بكر حين انتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى وارتج معسكر المسلمين ، وأظهر أبو بكر من الشجاعة والثبات وتذكير الناس بآيات من الكتاب الكريم ما أعاد إلى الناس صوابهم ... انتقل بعد ذلك إلى ذكر تسيير جيش أسامة ، وما كان من تواضع أبي بكر حين مشى إلى جانب فرس أسامة . وهنا انتهز فرصة وصف الجيش وأدب الحرب ، وكأني به يعرض بقيادة الحرب التي كانت دائرة .

وقفت أمام الجيش ترفد أسه  
وتضرم من تلك العواطف خايبا  
يكاد يشق النار إن صحت آمرا  
ويرتدخوف الظل إن صحت ناهيا  
نقول لهم : لا تحملوا غير زادكم  
ولا تفسدوا عذبا من الماء . جاريا  
ولا تهلكوا زرعاً ، ولا تهتكوا حي  
ولا تستبيحوا نسوة و زواريا  
ولا تحرقوا باللائنين كنائسا  
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا

وطريقة اختياره بدأ قصيدته ، ونلس هنا تعريضا بما كان عليه اختيار الحاكم في مصر حينذاك عن طريق الوراثة وإشارة المستعمر . ثم انتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف فكران قریش لما سمعوه من الرسول الأمين عن الإسراء ثم ما كان من تصديق أبي بكر لكل ما سمع وأكثر مما سمع في ستة عشر بيتا انتقل بعدها إلى الحديث عن رقة قلب أبي بكر حين رأى بلالا يعذب بالسياط في حر الظهيرة فأسرع إلى شرائه وعتقه :

فلما أفاض النفس إلا صبابة  
إذا ما رآها الموت لم يدر ما هيا  
أطلت عليه رحمة الله من يد  
ترى البرق في ديباجة الغيث وانيا  
رأى نور عيش في ظلام منية  
يلوح أبو بكر به متهاديا  
تعرض ما بين الحمام وبينه  
وكان له في الله بالمال فاديا  
كريم يرى ما في يد الناس فانيا  
وليس يرى ما في يد الله فانيا  
وأخذ بعد ذلك يصور موقف أبي بكر في غار ثور وكيف اقتدى النبي عليه الصلاة والسلام :

إذا لدغتك الجن ألفتك صابرا  
على السم ، تخشى أن تروع غافيا  
ولم يبق منك الوهن إلا أصابعا  
فألقيتها دون النبي الأفاعيا

ولا ترهقوا الأسرى، فرب محارب

إلى الحرب يسعى مكرها لامعاديا  
ثم أخذ يصور موقف أبى بكر من مانعى  
الزكاة واعتبارهم مرتدين عن الإسلام ثم  
قتلهم وثبتت ركن من أركان الإسلام ...  
وانتقل بعد ذلك تسيير الجيوش تلو الجيوش  
لغزو الروم وفارس ، وكيف ألف أبو بكر  
بين قلوب العرب ليقفوا صفوا واحدا ضد  
الطغاة الظالمين :

لأنتم هداة الناس ، والأمة التى

إذا افترقت فى الأرض عادت كما هيا  
فيا عرب : اشتدوا ، فإنى لرافع  
عليكم إلى يوم الحساب لوأثيا  
ثم انتقل إلى الحديث عن عفة الحاكم  
ونزاهته بما رسمه لأبى بكر من صورة الخليفة  
الذى يأكل من كسب يده بالاتجار ، فلما  
خوطب فى ذلك لم يطمع فيما فى بيت المال  
بل اكتفى بما يكفيه :

فقل له : ألهتك عنا تجارة

إذا عدت بزازا فلا تك راعيا  
فقال : أيرجى رعيكم فى خلافتى  
إذا كنت فيها ليس أرعى عياليا ؟  
فقالوا له : نعطيك « فرض مهاجر »

ونأخذ من ثوبيك ما كان باليا  
فقال : لقد أغنيتمونى بفرضكم  
وحسبى ما سد الطوى وكسانيا

كفيتم أبابكر ، فردوا تجارتى

إلى بيت مال المسلمين وماليا  
كما صور هيبة أبى بكر حين قدم عليه  
« ذوالكلاع » بموكبه الفخم وخدمه وحشمه ،  
وزهبه وجواهره ، وكبره وعجبه ، فرأى  
خليفة المسلمين العظيم فى ثياب متواضعة :  
لا خدم ولا حشم ، ولا عبيد ولا إماء ،  
ولا زينة ولا جوهر ...

فلما رأى من نسج تيم مجاسدا

يكاد يرى فيها الخليفة عاريا  
تولته من أمر الخلافة دهشة  
فألقي الحلى والخز ، وارتند حافيا  
وقال : كذا دأب المساواة ، فلتكن  
خلافته حرية وتآخيا  
ومن ضمن الإجلال فى كل بردة

رأى ما وقاه الحر والبرد كافيا  
وقد عرض قصة طريفة عن سبقه لعمر  
بن الخطاب فى غشيانه بيوت العجائز سحرا  
لإصلاح شئونهم ، وتقصيه فى حاجاتهم ...  
ثم تحدث بعد ذلك عن موقفه من تركة ابن  
عبد الله على ضآلتها وردّها إلى بيت المال  
ثم وصيته أبى بكر قبيل وفاته برد ما يملك  
لبيت المال :

وقال - وقد حان الفراق - لبقته :

إذا مت ردى عبدى وردائيا

وفاء وتحنانا إلى الزمن الذي  
تصوع من عطر الخلافة ذا كيا  
ليالى كان الناس : لا المال ذخرم  
وما هو إلا مال من جاء عافيا  
وما فضل مولود على مال والد  
وما ذنب مولود من المال خاليا  
ولا فرق فيهم بين مولى وعبد  
إذا جاءهم عبد لمولاه شاكيا  
وما الحق إلا حائط بين قوة  
وصعف ، وإس العدل لإتقاضيا  
أرب أبي بكر : ستخلق مثله  
فيسدرك من بنيانه متراميا  
ذكرت أبا بكر لقوى ، وليتني  
بلغت به فى القول ما كنت راجيا  
لعل سراً الدهر تدرك جفره  
فإنى أرى الأصباح تتلو الدياجيا  
ورحم الله شاعرنا الكبير ، فقد حقق الله  
أمنيته وخلق من يحى سياسة أبي بكر ، فقد  
رأينا الدياجى تنفشع ، وتحل مكانها  
الأصباح ، ورأينا رائد العروبة جمال عبد الناصر  
فى زماننا هذا لا يألو جهداً فى تقصى سيرة  
أبي بكر ورفع راية العروبة والإسلام ،  
وجمع العرب فى صف واحد حتى تعود لهذه  
الأمة المجيدة مكاتها اللاتقة بها .

ولا تدفنونى فى الجديد ؛ فإنما  
أحق به من كان فى الناس عاريا  
وردى عليهم حائطى فى دراهم  
تقاضيتها منهم ، وردوا صحافيا  
خرجت من الدنيا بنفسى ، وليتني  
خرجت معافى ، لا على ولا ليا  
ومات ، ولم يترك تليداً لوارث  
يقوم به فى الوارثين مباهيا  
وما نال أبناء الخليفة ضيعة  
ولا قام منهم من يقول : تراتيا  
هذا هو أبو بكر خليفة المسلمين الأول ،  
والحاكم الساهر على مصالح رعيته ، يخرج  
من الدنيا لا مال ولا نسب ، ولا قصور  
ولا ضياع كتلك التى كان يتمتع بها سلاطين  
مصر وحكامها .

أما الخاتمة ، فقد أفرغ الشاعر فيها كل  
مشاعره ، وركز فيها ما تكنه نفسه من  
آلام على الماضى الزاهر ، وسخط على الحاضر  
القاسى المظلم ، وتمنى لو أن المسلمين تفقهوا  
سيرة أبي بكر وساروا على نهجها :  
فذكرك فى الأحياء سال مدائحاً  
وذكرك فى الأموات حال مراثيا  
فن لى بدمع المسلمين الذى جرى  
وما سوف يغدو للأجنة جاريا  
صنبذل من تلك العيون كراثما  
ونرخص من تلك الدموع غواليا

وبعد :

وجاءت بعض الآيات كأنها حكم مرسلة :

ومن ضمن الإجلال فى كل بردة  
رأى ما وقاه الحر والبرد كافياً

وما فضل مولود على مال والد  
وما ذنب مولود من المال خالياً

وما الحق إلا حائط بين قوة  
وضعف، وليس العدل إلا تقاضيا

وقبل أن أختم حديثى عن بكرية هذا  
الشاعر العظيم عبد الحليم المصرى أقول :

إن هذا الشاعر من أولئك الشعراء الذين  
عاصروا فترة طويلة من زمن الخلافة العثمانية  
وفرة الاحتلال البغيض . وله فى ديوانه ،  
وفى طيات الصحف كثير من الشعر الإسلامى  
والوطنى ، ولم يلق بعد ما يستحقه من عناية  
بالدراسة والعرض . وإنى أعتبر شعراء تلك  
الفترة من أمثال عبد الحليم ونسيم وصبرى  
ومحرم وحافظ وشوقى وغيرهم من المصورين  
البارعين الذين سجلوا أحداث ذلك الزمن ،  
وما كان فيها من صراع دائم . وأرجو  
أن يلقى عبد الحليم المصرى مثل ما لقي بعض  
زملائه من دراسة وتكريم

وقفنا الله جميعاً إلى ما فيه الصواب . ؟

دكتور

سعد الدين الجيزاوى

قتلك هى بكرية الشاعر عبد الحليم المصرى  
عرضناها فى إيجاز يتناسب وصفحات المقال .  
وقد رأينا أن هذه القصيدة الكبرى كانت  
قد ظهرت فى وقتها المناسب ، متضمنة صفحة  
ناصرة من التاريخ الإسلامى فى أزهى فتراته ،  
رجاء أن تنعكس ما فيها من صور على أهل  
الزمن الذى أشدت فيه ، فتتير لهم الطريق  
إلى المعالى ، وتأخذ بيدهم إلى مراقي العزة  
والكرامة .

وقد سار الشاعر على الأسلوب المألوف  
فى الشعر العربى من حيث الوزن والقافية  
والعناية بذكر الحقائق ... وقد سرد الأحداث  
مسلسلة ، ولم يعمد إلى غريب اللفاظ بل إنه  
توخى السهل الميسور ولعله أراد بذلك  
أن يعم نفع القصيدة فى يسر .

وبحكم طبيعة الموضوع ، والدقة فى تلخيص  
الإشارات التاريخية ، لم يطلق الشاعر العنان  
للخيال ، بل كان السرد يقلب عليه أحيانا  
فى بعض الآيات مثل قوله عند الحديث  
عن الإسراء :

أتى المسجد الأقصى ، ورد براقه

إلى الطبقات السبع لم يخش عاديا

فصل بمن فيها ، وكلم ربه

وأصبح فى بطحاء مكة داعياً



# نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٩ —

ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنأدى عمر في الناس : لاني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ! أرايت لو كان لك لبل فبهطت واديا له عدوتان إحداهما مخضبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت المخضبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف - وكان غائباً في بعض حاجته - فقال : إن عندى من هذا علما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأتم بها فلا تخرجوا فرارا منه . قال : حمد الله عمر ، ثم انصرف .

\* \* \*

وفي هذا الحديث أمور تصور لنا بعض الجوانب من فقه عمر .

(١) روى مالك بسنده في «الموطأ» عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام ، حتى إذا كان يسرغ (٢) ؛ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس : فقال عمر بن الخطاب : ادع لى المهاجرين الأولين بالشام ، فاختلفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لى الأنصار ، فدعاهم فاستشارهم فسلخوا سيبل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لى من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعاهم فلم يختلف عليه منهم رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس

(١) تأخر هذا المقال عن موضعه لأنه تأخر من مواعده .

(٢) قرية بوادى تبوك في طريق الشام .

وصل إليهم بعد ثلاث ليال ، وسأله : هل يدخلهم في القسم معهم بما أفاء الله عليهم ، فكان من فقه عمر أن أمره بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإن العدو إنما ضعف ، وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم .

وذكروا أن عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويزور الأمراء ، وينظر فيما اعتمدوه وما أثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة ، فن قائل يقول : ابدأ بالعراق ومن قائل يقول بالشام ، فعزم عمر على قدوم الشام لأجل قسم مواريث من مات من المسلمين في طاعون عمواس ، فإنه أشكل قسمها على المسلمين بالشام ، فعزم على ذلك ، وهذا يقتضى أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون عمواس ، وقد كان الطاعون في سنة ثمانى عشرة من الهجرة .

وذكروا أن عمر أتى الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع عشرة ، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين .

٢ — ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه كان على قوته وكال ثقته بنفسه ، وعلو كعبه في الحكم والسياسة ، يحب الشورى ولا يكاد يبرم أمراً إلا بعد أن يجمع له أهل الرأى ، ويظل يراجعهم فيه ويراجعونه ، مستمعا إلى مختلف الحجج ووجوه النظر ، حتى يحيط

١ — فن ذلك أن عمر رضى الله عنه كان قادماً إلى الشام ، ليطالع أحوالها ، ويتعرف شئون أهلها ، وتلك سنة كان عمر أول من سنّها في الإسلام ، وسار عليها من بعده الخدّاق من الولاة والحكام : أن يزورا البلاد والأقاليم النائية كلها دعت إلى ذلك حاجة ، بل يزورها ليتفقد شئونها ، ويتعرف على أهلها ، ويتعهداها عن كسب ، ولولم تدع حاجة خاصة إلى ذلك ، فإن من شأن هذه الزيارات أن توثق الصلات بين الحاكمين والمحكومين ، ولذلك يقول الفقهاء : إن على الإمام إذا بعد عهده بالثغور أن يتطلعها بالمشاهدة ، وألا يكتفى بما يرد إليه عنها من خبر ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وقد عرفت لعمر رحلات منها هذه الرحلة ، ومنها رحلته إلى بيت المقدس ، ومنها رحلته التي أنجد فيها أبا عبيدة حين حصره الروم بمحصر ، إذ خرج عمر بنفسه لينصر أبا عبيدة فبلغ ( الجابية ) فلما سمعت الروم بقدومه أصابهم رعب شديد وضعفوا جداً في حصارهم ، فأشار خالد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم ليقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة ، وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الإمداد إليهم بثلاث ليال ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد

يترك الفرصة للناظرين ، حتى يترسب الرأى فى أعماقهم : فلا يكون رأيا فطيرا ، وحتى يكون لديه هو أيضا فرصة التأمل فى مختلف الآراء ، والتعمق فى خصها والموازنة بينها . وهناك عامل نفى لا بد أن يكون عمر

قد لاحظته ، وهو مما تجرى به عادة الجماعات دائما ، فالناس إذا كانوا سائرين فى اتجاه معين ، كهؤلاء القادمين إلى الشام مع أمير المؤمنين ، لا يسهل عليهم أن يردوا عنه دفعة واحدة ، فإنهم يذهبون فى تفسير هذا الرد مذاهب شتى ، وربما أدركت كثيرا منهم بلبلة الشك أو حيرة الوهم ، لذلك كان من حكمة عمر أن توقف ، ثم استشار فريقا من الناس بعد فريق ، فترك الأمر يحتتم بينهم ، وترك الرأى يشجر ، ثم اعتزم الرجوع عن هذه الرحلة متوكلا على الله فى هذه العزلة ، غير خائف أن تدرك أحدا من رجاله حيرة أو بلبلة ، فنادى فى الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه يريد السفر ووصفه بذلك ؛ لأن المسافر ومتاعه يصير على ظهر الخيل والإبل والدواب وكان السفر هو سفر الأوبة والرجوع . ومن مواقف عمر فى الشورى موقفه يوم أراد الخروج إلى العراق ليشهد الفتوح مع جند المسلمين ، فقد كان عمر رضى الله عنه بين أمرين : إما أن يخرج كما يخرج سائر

بأطرافه ثم يحكم حكمه فيه عن بينة ، وذلك كله تحقيقا لقوله تعالى « وأمرهم شورى بينهم » وانتفاعا بالنهج القويم الذى سنه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » .

ويبدو هذا النهج القويم فى الأمر الذى ذكره هذا الحديث ، فإن عمر رضى الله عنه فوجئ بنبأ الوباء ، فأدرك بفطرته الصافية أن من واجبه التريث والتوقف عن إتمام الرحلة فليس من الرأى أن يزج بنفسه وهو أمير المؤمنين الذى يجب عليه أن يحتفظ بحياته الغالية لأمته ، أو أن يزج بمن معه من وجوه الصحابة رضوان الله عليهم ، فى هذا الخطر ، فإن الله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ويقول : « ولا تقتلوا أنفسكم » فينهى عن بذل النفس فى غير جهاد أو قصد لإعلاء كلمة الله تعالى ، أو تحقيق لمصلحة من مصالح المسلمين .

ولقد كان هذا الأمر واضحا لدى عمر ، وليس من شأنه أن يلتبس على مثله ، ولكنه مع ذلك رأى أن يشرك منه أهل الشورى فلا يعزم على الرجوع حتى يستبين الأمر لهم كما هو بين أمامه ، ومن ثم دعا المهاجرين ثم دعا الأنصار ، ثم دعا شيوخ قريش من مهاجرة الفتوح ، واستشارهم فريقا بعد فريق وإنما لم يجمعهم دفعة واحدة لأنه أراد أن

على المسلمين فذاك ، وإلا أعاد رجلاً وذب رجلاً آخر ، وفي ذلك ما يغيظ العدو .

وقام عبد الرحمن بن عوف فأيد هذا الرأي ، وتسابق إليه الناس واجتمعوا عليه ، فنزل عمر على رأيهم ، وقال : أيها الناس . إني كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً .

وهكذا تتجلى حكمة عمر وحسن سياسته ، فإنه لم يحمل الناس على ما اعتقد أنه الرأي قسراً ، ولو شاء لفعل فهو أمير المؤمنين المطاع فيهم ، ولكنه شاورهم وبدأ بعامتهم وسائر هؤلاء العامة فيما رأوا ، ثم شاور الخاصة فأشاروا بالرأي فنزل عليه .

ولعمري إن هذا في السياسة وفن الحكم لفقه عظيم .

وقد يبدو أن عمر رضي الله عنه كان في حرصه على الشورى متأسياً بصاحبه الصديق رضي الله عنه :

فقد أخرج البغوي عن ميمون بن مهران قال : ( كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أمانى كذا

المجاهدين ، فهو رجل منهم ، ولا يحق له أن يأمرهم بالجهاد ويقعد عنه ، وإما أن يبقى فلا يخرج حتى يكون هو مرجع الجيش ومستنده الذي يستند إليه ، يمدد إذا أراد المدد ويبعث إليه بالقائد إذا احتاج إلى غير قائده .

وكان عمر لا يخفى عليه أن الخطوة الأخيرة هي الرأي السديد ، الذي لا رأى سواه ، فإنه رئيس الدولة ، ولا بد له من أن يكون هو الموجه لها ، والمدير لأمرها ، فلا يصلح أن يذهب بنفسه لقتال الأعداء ، وقيادة الجيوش ، ولكنه مع ذلك طرح الأمر على الناس طالباً المشورة ، فجمعهم في المسجد وأخبرهم الخبر ، فقال العامة :

سر وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يكون هو الذي يبين لهم فساد هذا الرأي ، حرصاً على صلاح نفوسهم وألا تراود أحداً منهم الظنون ، وقال لهم : استعدوا وأعدوا فإنى سائر إلا أن يحى . رأى هو أمثل من ذلك ، ثم بعث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أحضروني الرأي ، فأجمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيده بالجنود ، ويقيمه أمام العدو ، ويمدده بالمدد فإن كان الذي يرجى من الفتح

كانت الاستشارة فيما يحكم به في هذه الجزئية بمثابة استنباط المجتهد للحكم ليقضى به .

وينبغي أن يلاحظ أيضاً أن هذه الرواية تقرر أن كلاماً من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما ما كانا يحكان ، إذا استشارا رؤوس الناس ، إلا بما يجمعون عليه .

ويؤيد ذلك ما رواه السرخسى في المبسوط إذ يقول : ( كان عمر يستشير الصحابة مع فقهه ، حتى كان إذا رفعت إليه حادثة قال : ادعوا لى علياً ، وادعوا لى زيداً . . فكان يستشيرهم ثم يفصل بما اتفقوا عليه ) .

وهذا كله إنما هو في مجال القضاء ، واستقصاء الوسائل التي تعرف بالحكم المشروع ، أو تستنبطه ليكون قانوناً يحكم به .

وكلامنا حين أثبتنا لعمر رضى الله عنه خاصية الشورى إنما هو في حكمه السياسى العام ، فإنه طابع انفرادى ، ولم يكن يلتزم فيه أن يقع الإجماع على أمر فياً أخذ به ، أو يختلف الناس فيقف من خلافهم موقفاً سلبياً ، بل كان ربما رأى الكثرة في جانب ، والقلة في جانب ، فأخذ برأى القلة لأنه انقذ في نفسه صوابه وصلاحيته ، وأكثر ما كانت استشاراته التي من هذا القبيل في المبادئ العامة ، لا في الأحكام الجزئية .

وكذا ، فهل علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ، فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر فيه عن رسول الله قضاء ، فإن أعياء أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياء أن يجد في القرآن والسنة نظر بل كان فيه لأبي بكر قضاء ، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رؤوس الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به .

لكن لا ينبغي أن يفوتنا أن هذا منهج قضائى جزئى ، لا منهج حكمى سياسى ، فالقضاء مجال يجب فيه التأسى والتماس ما هو مشروع بالفعل مسطوراً كان أو مستنبطاً ، إذ الفرض أن الخصوم مرتبطون في قضاياهم بقانون معين ، وأن تصرفهم محكوم بمواده التشريعية ولولم يعلوها ، فن واجب القاضى أن يبحث عن مواد هذا القانون ويطبقها على الخصوم في قضاياهم الجزئية ، ولا يعتبر سؤال الناس من أبي بكر أو من عمر رضى الله عنهما في هذا المجال إلا استطلاعاً للحكم المتقرر إن كان في الأمر حكم متقرر من الشرع ، فإن لم يعلم في ذلك حكم متقرر

الأمر الثاني: أن الإسلام أمر بالشورى، وامتدح المؤمنين بقوله: «وأمرهم شورى بينهم»، واكنه لم يحدد للشورى نظاماً معيناً، ولم يبين من الذين يستشارون، وهل يؤخذ رأي الكثرة كائناً ما كان، إلى غير ذلك مما اقتضته النظم الحكيمة والسياسية فيما بعد.

والسر في ذلك أن الإسلام لا يريد تقييد المسلمين بأوضاع معينة، بل يريد لهم أن يكونوا مرنين في اختيار ما تقضى به المصلحة والتطور الزمني والسياسي مع الاحتفاظ بجوهر الشورى.

وإذن فالصورة التي اختارها عمر ابن الخطاب إنما هي وجه من وجوه الشورى، لنا أن نحفظ به، ولنا أن نعدل فيه، وقد عرف التاريخ للأندلسيين أنهم كونوا مجلساً للشورى يعين أعضاؤه من قبل الخليفة ويمثل فيه مختلف أهل الرأي والتفكير.

### محمد محمد المصطفى

عميد كلية الشريعة

وأمر آخر يختلف فيه الجالان: هو أن مجال التشريع القضائي فيما روى عن أبي بكر وعمر، كان يستشار فيه رؤوس الناس، أما مجال الشورى في الحكم العام والمبادئ فلم يكن قاصراً على رؤوس الناس، إنما كان شاملاً للعامة والخاصة كليهما، ولعل ذلك المنهج العمري هو الأصل فيما نعرفه الآن من أن الشورى ليست حكراً على الخاصة دون سواهم من عامة الشعب، بل هي حق للجميع.

ويهمنا قبل أن نترك الحديث عن المهبج العمري في الشورى أن نقرر أمرين:

أحدهما: أن الشورى في المبادئ العامة وفي سياسة الحكم قد تكون وقعت على عهد أبي بكر، ولكننا لم ننسبها إلى عهده رضي الله عنه، لقلة حوادثها، ولاشتراك عمر نفسه فيها، فقد كان من أبي بكر بمثابة الوزير والمشير، ولم يكن أبو بكر يستقل من دونه بشيء.

# بين العلم والعمل

## للأستاذ محمود النواوى

إذا كان اللفظ ( العلم ) معان مختلفة باختلاف الأوضاع والمصطلحات . فإنما يعين هنا ما يعنى المنتسب إلى الدين والذي يتخاطب باصطلاحاته فيما يورده من ألفاظ . فالعلم إذا هو تلك المجموعة من المعادن التي أساسها ما تنزلت به الأديان السماوية لهداية البشر في عقائدهم وعباداتهم لخالقهم وتعاملهم فيما بينهم وفي صفاتهم وأخلاقهم التي يحق عليهم أن يكونوا عليها حتى تتم عمارة الأرض على وجه يرضى الرب ، وينشر السلام والحب ، وحتى يتحقق المعنى الذي من أجلهم خلقوا . وهو عبادته وشكره على خير وجه يقوم نفوسهم ويطهر قلوبهم بما يشير إليه القرآن الكريم بيانا لأرسال الرسل ، وما يحققه ذلك الإرسال ، في مثل قوله سبحانه ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز . ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين

اتبعوه رافة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ) الآية . والميزان كما نقل ابن كثير عن مجاهد وقتادة وغيرهما هو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة ومساق على ذلك عدة أدلة وشواهد من القرآن الكريم .

فالعلم هنا هو معادن تلك الأديان المصلحة للبشر وهو الذي أردت أن أبين الصلة بين إدراكه وتحصيله . وبين العمل به ، أن هناك لزوم بين الأمرين . أم هناك انفكاك يحول دون ذلك الزوم ؟ وهذه المسألة في ذاتها مما تناوله الناس قديما بالنظر فوقع الخلاف بينهم في صلة العلم في ذاته بالعمل به . وقال قائلون إن العلم الصحيح يلزمه العمل فإذا تخلف العمل بالعلم عنه لم يكن علما وكان صاحبه غير عالم . وإلا كان عبثا وفعل العاقل يسان عنه ومحال أن ترى أفعى تحاول أن تهلكك ، أو عدوا يريد أن يفتك بك ، ثم تعرض عن مقاومة ذلك ، إلا إذا لم تكن على علم بما يراد بك وإلا لم تكن من أهل العقل ! ويستدل لذلك بعض الإسلاميين

بما يدل على أن من وقع في الخطيئة فهو جاهل وأن من يقارفها فهو مجرد عن العلم كقوله سبحانه ( إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ) الآية فمن عمل السوء فهو جاهل غير عالم وإن كان اسمه عالماً غير جاهل . وقد نقل هذا المعنى عن مجاهد وغيره من أئمة الصحابة والتابعين قالوا كل من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته ويستدل بعضهم بما ثبت عن أبي الدرداء وهو مرفوع في بعض الروايات إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالماً حتى يكون بعلمه عاملاً .

فإنه يدل على أن من لا يعمل بالعلم لا يكون متصفاً به .

ويقول بعض الناس : إن العلم إنما يرفع نقيضه وهو الجهل وهو لا يستلزم العمل بمقتضاه ولا ينافي عدم العمل به فهو لا يرفع ضللاً ولا مائماً ، وكل من عالم غزير المادة واسع الإطلاع والأخذ ، وهو متورط في الموبقات دائب الانقياد للشهوات ومنهم دون ذلك ، فالعلماء متفاوتون بين عامل صادق وعامل خالط ، وغير عامل ولا موفق . فتنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ويؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثه الله به من

الهدى والعلم بالغيث الكثير أصاب أرضاً فكانت منها بقعة نقية قبلت الماء فأنبتت العشب والكلأ . وكان منها أجادب أمسكت الماء للناس فشربوا وسقوا وملثوا أسقيتهم وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . ... فهذا وأمثاله يدل دلالة واضحة على أن العلماء متفاوتون بتفاوت استعدادهم وتوفيق الله لهم ، وأن الهدى يختلف الاتقاع به باختلاف من يوجه إليه ، وتدل الأخبار على أن العلم تارة يكون حجة على صاحبه ( والقرآن حجة لك أو عليك ) كما أن هناك آيات كثيرة وأحاديث صحيحة تدل على شقاء من لا يعمل بالعلم وعظم جرمه فكيف يقال إن العلم يلزمه العمل به لو كان كذلك لم ينع القرآن والسنة والحكام على العالم المخذول غير العامل ، واللازم باطل قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم « وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، الآية .

وقال سبحانه : « ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » ولست هذه الآية الكريمة على أن أم العلم وأصله والذي تصدع الجبال من خشية الله لو وجه إليها ، وهو القرآن الكريم



« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب » ومن ذلك الاعتداد بشهادتهم على ما يختلف فيه بعض الناس كوحداية الله سبحانه في قوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » الآية : وكرسالة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » وكنزول القرآن عليه في قوله : « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل » .

وأما السنة النبوية فما أكثر ما مجدت العلماء وحفلت بأمرهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقه في الدين » (١) ، وقوله العلماء ورثة الأنبياء (٢) وحديث « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي » (٣) ، وما إلى ذلك وما أكثره وهو كله يفيد أن العلم لا بد أن يصحبه العمل وإلا لم يكن هناك معنى لكل هذا التنويه وذلك الإطراء وإذا فلا بد من كشف الغطاء عن اللبس في هذا الموضوع وبيان حقيقة أمره والواقع أن العلم على مراتب بعضها يستوجب العمل في الجملة ويأبى على صاحبه أن يرتكب المخالفة إلا فلتة لا بد منها للبشر

(١) رواه الشبان :

(٢) أبو داود والترمذى وابن صاحبه وابن حبان

في صحيحه .

(٣) الترمذى وقال حسن صحيح .

قد لا يتفصح به من يوجه إليه فكيف بغيره من المعارف ؟ . وفي السنة الكريمة من ذلك الشيء الكثير مثل حديث العالم الذى تندلق أقتابه في جهنم لأنه كان يأمر الناس بالخير ولا يأتية . وحديث خوف النبي صلى الله عليه وسلم من المضللين أكثر من خوفه من الرجال وحديث : العلم علبان علم على اللسان فذلك حجة الله على عباده وعلم في القلب فذلك النافع وما أكثر ما جاء في كلام الصحابة والتابعين والحكماء من ذم من لا يعمل بعلمه ، والتنديد به ، مما يدل على دلالة واضحة على أنه لا تلازم بين الأمرين . وهو أمر مشاهد ملموس وقد كنت ناصرت هذا المذهب في بعض دراساتي قديماً (١) ولكن ما ورد من مدح العلماء مطلقاً والثناء عليهم غير مقيد بالعمل ، يؤيد المذهب الأول وينصره فإن العالم لا يمدح لمجرد علمه ما لم يكن لهذا العلم ثمرة هي استنباعه للعمل وأداؤه إليه ومقتضى ذلك أن العالم لا يكون عالماً حتى يعمل بعلمه . أما مدح العلماء مطلقاً والتنويه بشأنهم فقد دلت عليه دلائل بينات من القرآن الكريم والسنة النبوية والحكم والآداب . ومن ذلك قول الله سبحانه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ، وقوله سبحانه :

(١) راجع كتاب جولات السلامة لـ الكاتب

المقال ٨ فا بعدها .

بلغ في التمسك بما يعلم والاستماتة في تنفيذ مطالب الدين ورغائبه المرتبة الثالثة التي هي أرقى هذه المراتب . إلا أن مرتبته الأصلية هي مرتبة التقليد التي لا تستلزم الرسوخ في العلم والتزام العمل به .

المرتبة الثانية ، مرتبة العلم الاستدلالي الذي يرتفع صاحبه من حضيض التقليد المجرد بالاعتقاد وعلى شاهد العقل الذي يؤيده النقل كما في علم الكلام البرهاني المعروف أو النقل الذي يؤيده شاهد العقل كما في علم الفقه الاجتهادي المبني على تعرف الدلائل من أجل الاعتقاد عليه في الحكم الشرعي وكما في علم التوحيد لدى السلفيين من العلماء الذين يجدون كل مطالبهم من عقائد وغيرها في الأدلة الشرعية فيؤثرونها على كل ما سواها

وهذه المرتبة يتفاوت أصحابها كذلك تفاوتاً كبيراً بعد اشتراكهم في أن إدراكهم للعلم إنما سبيله العقل لا القلب فليس العلم فيهم كالوصف الثابت وإنما هو كالأشياء المكتسبة والمدونات المحفوظة التي يحكم عليها العقل وحده وتكون في جملة مودعاته .

وأصحاب هذه المرتبة في منتصف الطريق التي من أجلها يطلب العلم ، وهم علماء اللسان والعقل غير المجرد عن الهوى والشهوات وهم على خطر ما لم يجوزوا هذه المرحلة

غير المعصوم وبعضها لا يستوجب العمل ولا يصون صاحبه من التورط في الزلل .

وهذه المراتب ترجع في مجملها إلى ثلاث لا رابع لها لأن كل ما تفرق من الجزئيات مندمج تحت كلياتها ، وإليك بيانها على التدرج من الضعيف إلى القوى بحسب تدرجها في الوجود .

المرتبة الأولى مرتبة العلم التقليدي الذي لم ترتفع همه أعباءه إلى تعرف أسسه وأدله ، لأن لديهم ما يشغلهم من تكاليف الحياة ومطالب العيش وغير ذلك ، وهؤلاء يعملون بالعلم بمقتضى الحمل التكليفي والحث الديني بالترغيب تارة والترهيب أخرى .

وهذه المرتبة والدرجة مطردة في العامة الذين يأخذون من العلماء أو بالوراثة عن الآباء وفي طلبة العلم الديني الذين لم يطل أمدهم فيتوسعوا إلى درجة البحث والنظر وتنبع المسائل بالاجتهاد وربما خبط بعضهم أو خلط لقلة إحاطتهم وعدم درايتهم وقد يضلون أو يضللون . على أن بعضهم قد تقوى فطرته فيكون أكثر انبعاثاً للعمل

من العلماء الباحثين وتسلم عقيدته من تشكيكات البحث والمجدل . وقد يفتح الله لبعض هؤلاء أبواباً من الفقه في الدين ثمرة لتقوى الله والاشتغال بالرياضة والجهاد فربما

نفسه حتى يصون عليه ويصح وضعه ، وأن يقوام هواه حتى يكون العلم له وصفا ثابتا ، وأن يظهر قلبه حتى يستقر فيه العلم فلا يجد الشيطان سبيلا إلى إضلاله وإفساده وإلا كان من الخاسرين الذين يقول الله سبحانه فيهم ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ) الآية . وأريت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ، ونسأل الله العافيه .

وأما المرتبة الثالثة فهي مرتبة أولئك الراغبين الذين صار علم الدين وصفا ثابتا لهم بعوامل اقتضت ذلك كحسن الاستعداد وقوة التهيؤ وخلو القلب من الأمراض المفسدة كالخسد والحقد والنفاق وحب الدنيا وإبثارها مع مقاومة الهوى ، وإخضاعه للحق وهم الذين وقعت الإشارة إليهم في القسم الأول من الحديث الصحيح « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم . . » منهم الصنف الذي نفعه الله بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من ذلك والمشهورون بالبقعة النقية التي قبلت الماء فأنبئت العشب والكلاء وهذا هو العلم المعبر في الدين ، والممدوح على ألسنة النبيين والموصوف أصحابه بأن الله يرفعهم درجات وبأنهم شهداء الله على الوجدانية

إلى مرحلة الرسوخ في العلم وهم إذا زاولوا العمل بالعلم كانوا أقوى من أصحاب المرتبة الأولى وأكثر في الجملة انبعاثا إلى العمل لأنهم تجاوزوا مرحلتهم إلى تعقل العلم بدليله الذي يحمل على العمل ، وصارت المفاهيم معقولة المعاني عندهم فلا جرم تحملهم الأدلة التي عقلوها على العمل ، وتحول بينهم وبين المخالفة فإن المخالفة بين العلم والعمل في حقيقتها تكذيب خفي إلا أنهم قد تغلبهم الأوصاف الأصلية الراسخة في الإنسان كالهوى والشهوة والأصيل أقوى من المكتسب ولا بد لهم من أسر زائد يساعد الوصف المكتسب كحكم التقاليد واللباقات والفرار من التبعات والمسئوليات ، على أن هذه في الحقيقة ليست أوضاع العلماء الذين كرمهم الله ورضى عنهم . فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه ومن هنا كان الخطر على هؤلاء ؛ فهم الصنف الذين لا يلزم فيهم العمل بالعلم والذين وردت فيهم أخبار التشنيع والذم كقوله صلى الله عليه وسلم « ويل لجماع القول ويل للبصرين ، ومنهم الأثمة المضللون الذين يقولون ما لا يفعلون فتندلق أقتابهم ( أمعاؤهم ) في جهنم ويشبههم في ذلك أصحاب العلم التقليدي فإن كل ما عليه المرء من شئون الدين فهو حجة عليه حتى يعمل به . وجدير بهذا الصنف أن يجاهد

ولكون العلم وصفاً ثابتاً لهم . استطاع أن يقاوم الهوى والشهوات فيتغلب عليها ويكون الظفر للحق والاتصار للعلم مصداقاً لقول الله سبحانه « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

ولكون العلم وصفاً ثابتاً لهم مسيطراً على جميع مظاهرهم استطاعوا أن يكونوا خير أمة للناس يأملون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصبرون على ما أصابهم في الله فلا يخافون فيه لومة لائم . وما أكثر ما تنسكت الدنيا لكثير منهم واضطهدهم البني محاولة لصرف الواحد منهم عن مواقفه الكريمة لله فياً في إثباتاً على الحق واتصاراً له « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز . الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور » .

وحقاً إن أصحاب هذه المرتبة هم الذين لا يخالف قولهم فعلهم ولا يأمرؤ الناس بالبر وينسون أنفسهم .

إلا أن هناك ناحية ينبغي الالتفات إليها في هذا الوضع وهي أنه لا عصمة لغير الأنبياء من هؤلاء العلماء ، وإن الزلة قد تقع منهم كما تقع من غيرهم ولكن هناك فارقا كبيرا بين هؤلاء وغيرهم إذا ارتكبوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

مع الملائكة في ( شهد الله أنه لا إله إلا هو ) الآيه كما أنهم الموصوفون بأنهم هم الذين يخشون الله في قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وبأنهم لا يستون مع غيرهم من الآخرين في قوله : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وهذا هو العلم النافع المستقر في القلوب والذي لم يقف عند حد العقل والنظر كما ميز النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين ما سواه بقوله العلم علمان : علم على اللسان فذلك حجة الله على عباده ، وعلم في القلب فذلك العلم النافع فالذي على اللسان هو الذي ذكر في المرتبتين المذكورتين من قبل ( العلم التقليدي ، العلم النظري ) ما لم يرتفع واحد منها إلى المرتبة الثالثة .

حقاً إن أصحاب هذه المرتبة هم العلماء حقاً والعقلاء الحكماء الذين قدروا الدنيا قدرها ووضعوها في وضعها فلا يميل بهم الهوى ولا يستهويهم الشيطان إلى ما دون المباح منها بل إنهم ليركون أبواباً من الحلال خشية الوقوع في الحرام حفاظاً على حق الله وإشفاقاً من مواجهة الحى ألا وإن حى الله محارمه ، وهم الذين حققوا أخلاقاً الله وعصمهم العلم عن العبث بشيء من حقوق الله أو حقوق عباده .

إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا  
الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب  
إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .  
الآيات قبلها وبعدها .

ومثل هذا الوجه لا يعترض أصل المسألة  
فهو معنى جاء في كل الأوصاف الجبلية فقد لا  
تبصر العين وقد لا تسمع الأذن لعروض  
ما يمنع ذلك كفكر أو غفلة أو نحوهما  
ولا يقتضى ذلك أن يكون صاحب الحرمان  
وقت غفلته أو فكره غير مجبول على السمع  
أو الإبصار فكذلك العالم الراسخ المتصف  
بالعلم وصفا ثابتا كما بينا ، فأما المعتاد للذنوب  
الواقع فيه الذى لا يبالى به فلا يمكن أن  
يكون من أهل هذه الرتبة .

هذا هو ما أمكن لى به الفصل بين تلك  
المراتب والتوفيق بين ذلك التضارب ،  
وأسأل الله سبحانه أن يجعلنى وإخوانى  
وأساتذتى وأبنائى فى مراتب العلماء الراغبين  
الذين هم خير وسلام وبركات على الأرض  
وهم إشراف ورضوان فى السماء . وأولئك  
عند الله هم الفائزون .

محمود الذواوى

فإن غيرهم تقع منه المعصية مع الإصرار  
ويرتكب الذنب مستهينا بأمره . ويعمل  
السوء ثم لا يعود إلى ربه ، فهم الذين ران  
على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وظلوا فى طغيانهم  
يعمهمون ؛ كأنهم لا يرجون رحمة الله ولا  
يخافون عذابه ؛ ولهذا فإن طاعاتهم إذا عملوها  
صورية من قلب مريض أو هتته سيئاته  
أو أوبقته متابعة المظالم واستمراء الشهوات .  
فأما هؤلاء العلماء العاملون فإن المعصية تقع  
من أحدهم - إذا وقعت - فلة لا يسلم منها  
إلا المعصوم . وغفلة هى من لوازم البشر  
وفى هذه اللحظة التى يقارف فيها قد يكون  
غير عالم وينطبق عليه أنه عمل السوء بجهالة  
ثم يعود إليه العلم وتدركه اليقظة . وقد وصف  
الله سبحانه هؤلاء بالتقوى لأنهم من التوايين  
الذين يغسلون قلوبهم فلا يجعلونها مأوى  
للشياطين إذ يقول سبحانه : « إن الذين اتقوا  
إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا  
هم مبصرون » .

ولما ذكر أوصاف المتقين لم يقل لمنهم  
معصومون لا يقارفون ، ولكن ذكر سبحانه  
أنهم يذكرون الله على إثر الذنب فيستغفرون  
ثم لا يصرون ، إذ يقول جل شأنه : « والذين

# الضرائب في الإسلام

## للأستاذ أحمد الشرباصي

ضريبة العبد وهي غلته ، وفي حديث الحجام : كم ضريبتك ؟ . الضريبة ما يؤدي العبد إلى سيده . من الخراج المقرر عليه ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، وتجمع على ضرائب ، ومنه حديث الإمام اللائي كان عليهن لمواليهن ضرائب . يقال : كم ضريبة عبدك في كل شهر ؟ والضرائب ضرائب الأرضين ، وهي وظائف الخراج عليها ، (٢) .

وفي كلمة « الضريبة » من الناحية اللغوية معنى الإلزام وعدم الفكك ، ولذلك تقول المعجمات : أضرب فلان في بيته — وما زال مضرباً فيه — إذا لم يبرح . وضرب فلان على السكرم ، أى طبع عليه فصار ملازماً له ، وأضرب فلان جأشاً لأمر كذا ، إذا وطن عليه نفسه . وضرب فلان الود في مكان كذا : أقام فيه (١) ، وهذا كله فيه معنى اللزوم والالتزام ، وهو معنى ملحوظ في الضريبة المالية ؛ لأنها تلزم صاحبها فلا نبرأ ذمته إلا بأدائها .

والضرب هو إيقاع شيء على شيء ، وهذا

أصبحت الضرائب تحتل مركزاً جليلاً خطيراً في النظام الاقتصادي المعاصر ، ولا تستطيع أمة اليوم أن تدير شئونها ، وتنفذ مشروعاتها ، وتضمن المستوى اللائق من المعيشة لأفرادها ، دون ضرائب تفرضها وتجبيها وتنفق منها ، ولذلك كان من حقنا — إن لم يكن من واجبتنا — أن نعرف شأن هذه الضرائب في نظر الإسلام ، لنتبين حكم العقيدة التي ندين الله عليها في هذا النظام الاقتصادي الذي يتغلغل بطرقه المباشرة وغير المباشرة في أعماق الأوضاع المادية للأفراد والجماعات .

ولو رجعنا إلى كتب اللغة لوجدناها تحدثنا بأن السجية والطبيعة يقال لها ضريبة ، كأن الإنسان قد ضرب عليها ضرباً ، وصيغ صياغة ، والضريبة ما يضرب على الإنسان من جزية وغيرها (١) .

وفي « القاموس » أن الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الجزية ونحوها ، وغلة العبد ؛ وجاء في « لسان العرب » هذا النص : « الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها ، ومنه

(١) لسان العرب ، ج ٥ ص ٥٥٠ طبعة بيروت .

(٢) أساس البلاغة ، ج ٢ ص ٤٥ .

(١) معجم مقاييس اللغة ، ج ٣ ص ٣٩٨ .

على الأفراد ؟ وقد يقول قائل : إنه لا محل لهذا السؤال ولا موجب له لأنه ما دام المال المأخوذ سيرد على أصحابه في صورة خدمات ومنافع فالعقل السليم لا يمنع ذلك .

ولكننا نطرح هذا السؤال لأن هناك من يقول : إن الإسلام لا يبيح فرض ضريبة ، لأن فيه نظم الزكاة والجزية والخراج . ونحب أن نجعل الجواب صادراً عن رجل معروف بتشدده في الأمور الدينية ، وهو الباحث الإسلامي الباكستاني أبو الأعلى المودودي ، فقد سئل نحوه عن هذا السؤال السابق ، فقليل له :

« ما هي وسائل الدخل للحكومة الإسلامية والمعروف عامة أن لا ضريبة في الإسلام إلا الزكاة والجزية والخراج ، فإن صح ذلك فكيف للحكومة من حكومات هذا الزمان أن تستوفي نفقاتها ضمن الحدود الإسلامية ؟ » وأجاب الباحث على هذا السؤال بقوله : « من الخطأ القول : إنه لا يجوز في الإسلام أن تفرض ضريبة لسد نفقات الحكومة ، وكذلك لا يصح أن يقال إن الزكاة هي ضريبة توضع على الناس لتسديدها نفقات الحكومة ، إنما الزكاة هي مال من أموال التأمين الاجتماعي يؤخذ من الأغنياء ليرد إلى من يستحقه من الفقراء . »

أما حاجات الحكومة فها هي إلا حاجات

معنى ملحوظ أيضاً في الضريبة ، إذ كانتنا أوقعنا الضريبة على رقبة المطالب بها <sup>(١)</sup> . وفي مادة « الضريبة » معنى تبادل النفع والتعاون ، ومن هنا جاءت « المضاربة » ، وهي أن تعطى إنساناً من مالك ما يتجر فيه ، على أن يكون الربح بينهما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح ، وكأنه مأخوذ من الضرب في الأرض لطلب الرزق ، قال الله تعالى : « وآخرون يخربون في الأرض يبتغون من فضل الله » <sup>(٢)</sup> .

وفي حديث الزهري : لا تصلح مضاربة من طعمته حرام . قال : المضاربة أن تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم من الربح ، وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة <sup>(٣)</sup> .

وهذا المعنى - وهو تبادل النفع والتعاون - ملحوظ في الضريبة المادية ، بل هو عمادها وأساسها عند استقامة الأمور واعتدال الأوضاع ؛ لأن الضريبة تجبى من جهة ، ليردها إلى دافعيها منافع وخدمات مباشرة أو غير مباشرة من جهة أخرى .

وما دنا نفهم معنى الضريبة على هذا النحو ، فهل يجيز الإسلام فرض الضرائب

(١) مفردات القرآن ، ص ٢٩٦ .

(٢) لسان العرب ، ج ١ ص ٥٤٤ .

(٣) لسان العرب ، ج ١ ص ٤٥٥ .

تلك الثروات ، لتحقيق التكافل الاجتماعي وغيره مما تحتاجه الدولة » (١) .

والضرائب إنما تفرض عند الحاجة إليها ، وهي تزيد إذا زادت هذه الحاجة ، وتقل إذا قلت الحاجة ، وقد تقبل على الأمة حالات طوارئ تحتاج فيها إلى مضاعفة الضرائب أو الزيادة فيها ، وهذا حين يتم لوجود مقتضيه ، وحين يجمع بيد ولي الأمر الشرعي ، وحين ينفق في الوجوه المشروعة اللازمة التي اقتضته يكون عملا مشروعا لا غبار عليه ، وقد يكون واجبا وليس جائزا فقط .

ولذلك ذكر القرطبي أنه إذا أصابت المسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها ، وقال الإمام مالك : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا إجماع (٢) .

وقال الشاطبي : « إننا إذا قررنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور ، وحماية الملك المتسع الأقطار ، وخلايت المال ، وارتفعت حاجات الجند إلى مالا يكفيهم ، فلإمام إذا كان عدلا أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم ( أي للجنود ) في الحال ، إلى أن يظهر مال بيت المال ، ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك .

المجهور أنفسهم ، فكل ما يطالبون به الحكومة من واجبه أن يكتتبوا لها من الأموال ما تحقق به مطالبهم ؛ فكما أنه يكتتب بالمال لختلف الشئون الاجتماعية ، فكذلك يجب على الناس أن يكتتبوا بالمال ويمكنوا الحكومة من القيام بكل ما هم في حاجة إليه ؛ وما الضريبة في الواقع إلا مال يكتتبه الناس لمصلحتهم .

أما الضرائب التي قد ذمت دما شديدا في كتبنا الفقهية القديمة فما كانت من نوع ضرائب اليوم ، وبينهما فرق أساسي مهم ، فما كانت الضريبة في ذلك الزمان بمثابة مال الاكتتاب يجمعه الناس لمصلحة أنفسهم ، وإنما كانت مال الغرامة تأخذه الحكومات الملكية من الناس وتصرفه على حسب مرضاة الملوك ، وما كان على هذه الحكومات الملكية شيء من التبعية إذا لم تنفق هذا المال على المجهور ، ولمصلحة الناس أنفسهم ، ولا كانت مسئولة عنه أمام أحد ، ومن أجل ذلك قد شدد الإسلام في تحريم هذه الضرائب ، أما الآن وقد تغيرت حقيقة الضريبة ، فقد تغير حكمها أيضا » (٣) .

وهذا باحث آخر هو الدكتور مصطفى السباعي يقول : « ومع احترام الإسلام للملكية الشخصية ، فقد جعل في الثروات الخاصة حقوقا للشعب تأخذها الدولة من

(١) اشتراكية الإسلام ، ص ١٣٦ الطبعة الثانية .

(٢) تفسير القرطبي ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) كتاب نحو الدستور الإسلامي ، ص ١١٠



العسكر ، وخيف من ذلك دخول العدو بلاد الإسلام ، أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر جاز للإمام أن يوظف ( أى يفرض ) على الأغنياء مقدار كفاية الجند ، لأننا نعلم أنه إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشارع دفع أشد الضررين وأعظم الشرين ، وما يؤديه كل واحد منهم ( أى من الأغنياء ) قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه وماله لو خلت خطة الإسلام ( أى بلاد الإسلام ) من ذى شوكة ( قوة ) يحفظ نظام الأمور ، ويقطع مادة الشرور ،<sup>(١)</sup> .

ثم نسأل سؤالا آخر فنقول : هل يصح إطلاق كلمة « الضريبة » على الحقوق الشرعية المحددة اللازمة في المال شرعا ؟ وبعبارة أخرى نقول : هل يمكن مثلا أن نسمى الزكاة ضريبة ؟ .

ولاشك أن إطلاق كلمة « الزكاة » على مسباها هو الأصل وهو الأفضل ، ولكن هل يجوز هذا الإطلاق الآخر في مجال النقاش والتوضيح والمقارنة بين ما تلقيناه من تراث فقهي وما استحدثه الناس من أوضاع ونظم اقتصادية ؟ ...

إذا نظرنا إلى معنى الضريبة العام - لا إلى معناها العرفي - فتذكرنا أن هذا المعنى العام يتضمن الإلزام بحق يؤدي إلى جهة مختصة ، استطعنا ولو بشيء من التجوز أو الجاز أن نسمى الزكاة ضريبة إلهية دينية ، لأنها حق

وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين لاتساع بيت المال في زمانهم ، بخلاف زماننا ، فإن القضية فيه أخرى ، ووجه المصلحة هنا ظاهر ، فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك بطلت شوكة الإمام ، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار ، وإنما نظام ذلك كله شوكة الإمام ، فالذين يحذرون من الدواهي لو نلقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها ، فضلا عن اليسير منها ، فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق بهم يأخذ البعض من أموالهم ، فلا يتبارى في ترجيح الثاني عن الأول ؛ وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر من الشواهد ،<sup>(١)</sup> .

ويلزمنا أن نلاحظ هنا أن المستند القوى الذى يستند إليه تشريع الضرائب هو المصلحة العامة التى يعطيها الإسلام أهمية كبرى ، حتى يقول الشاطبي في شأنها : « إنا وجدنا الشارع قاصداً لمصالح العباد ، والأحكام العادية تدور معه حيث دار ، فترى الشيء الواحد يمنع في حال لا تسكون فيه مصلحة ، فإذا كان فيه مصلحة جاز ،<sup>(٢)</sup> .

ولذلك يقول الغزالي عن الجنود : « إذا خلت الأيدي من الأموال ، ولم يكن من مال المصالح ( مال بيت المال ) ما يبنى بخراجات

(١) الاعتماد ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) الموافقات ج ٣ ص ٣٠٦ .

(١) المستصلى ج ١ ص ٣٠٣ .

للبال وهو النقد ، بل يراد بالمال هنا كل متقوم فيه معنى التنمية والكسب والربح .  
 وإذا اتفقنا على أن الحقوق المالية المحددة شرعا الواجبة في الأموال يمكن إطلاق اسم « الضرائب » عليها ، أمكننا بعد ذلك أن نستعرض هذه الحقوق ، فنجد أنها هي :

الزكاة : وهي نصيب معلوم يؤخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء : « والذين في أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . وخمس الغنائم ، وهي كل مال وصل إلى المسلمين من أعدائهم المحاربين لهم ، ويكون وصوله بطريق القهر والغلبة . والجزية ، أي ضريبة الرؤوس ، وهي مقدار مالى يعطيه الرجل القادر غير المسلم للدولة المسلمة في مقابل الحماية وتحقيق الأمن . والخراج ، وهو ضريبة موضوعة على رقبة الأرض المفتوحة . والعشور ، وهي مقدار مفروض على أموال التجارة المتقلة التي تدخل بلاد الإسلام أو تخرج منها ، وهذه العشور أشبه الأشياء بالضرائب الجمركية المعروفة الآن .

هذه خمسة أنواع من الحقوق الشرعية اللازمة المتعلقة بالمال ، وفي كل نوع منها أكثر من مظهر لحكمة التشريع ، وعدالة التوزيع ، وروعة الإصلاح ، ومن مجموعها يتكون نظام ضرائبي إسلامي محكم ، تتحقق به روح التضامن والتكافل بين أبناء الإسلام ؟ « للبحث صلة »

أحمد الشرباصي

شرعى لازم ثابت يطالب الإنسان بأدائه لحكمة ومصلحة أرادها الشارع .  
 ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يقال في بقية الحقوق اللازمة شرعا في الأموال ، وسنتحدث عنها .

وحينما نتحدث عن الضرائب بصفة عامة تكون أماننا فقط رئيسية في البحث ، هي أولا : أوعية الضريبة ، ويراد بالأوعية هنا المصادر التي تؤخذ منها الضريبة ، أو المنابع التي تنبع منها ، ثانيا : أغراض الضريبة ، وهي الأهداف التي نريد تحقيقها ، وهذه تشمل المصارف التي تصرف فيها الضريبة وثالثا : مبادئ الضريبة ويراد بها القواعد والأصول التي تستند إليها وتعتمد عليها في التسوين والتشريع ، ورابعا : ضمانات الضريبة ، ويراد بها الحوافظ التي تحيط بها لتجعلها مصلحة غير ضارة ، ولتحقق الغاية التي تنشأ منها . ومن الممكن لنا أن نتعرف إلى هذه النقط الأساسية المتعلقة بالضرائب في ضوء الإسلام .

أما وعاء الضريبة في الإسلام - ونقصده به المحل الذي تتعلق به الضريبة فهو « الأموال » غالبا ، ونلاحظ في هذا الوعاء صفة العموم والشمول ، لأنه يشمل الأرض والحصاد والتجارة والماشية والذهب والفضة ، ويشمل باقيا العمارات والمصانع الإنتاجية ، فلا يقتصر وعاء الضريبة هنا على المعنى المألوف

# الإسلام في زنجبار

## للاستاذ عطيه صقر

في المحيط الهندي وعلى بعد نحو ٢٠ ميلا من الساحل الإفريقي ، وبين خطي العرض ٦ جنوبا والطول ٢٩ شرقا ، تقع جزيرة زنجبار التي تعتبر الثانية في المحيط الهندي بعد جزيرة مدغشقر .

وتبلغ مساحتها نحو ٦٤٠ ميلا مربعا ، وتبلغها جزيرة « بمبا » التي تبلغ مساحتها ٣٨٠ ميلا مربعا ، كما يتبعها شريط على ساحل كينيا يمتد نحو ٥٢ ميلا طولا و ١٠ أميال عرضا ، بما في ذلك جزيرة « بمباسا » أو الجزيرة الخضراء .

يبلغ سكان زنجبار نحو مليون وربع على أقصى تقدير وجدناه في عدة مصادر ، وذلك مراعى فيه مجموعة الجزر والساحل الإفريقي . والسكان الأصليون خليط من القبائل أهمها : واهاديمو ، وأتومباتو . وإيمسا . وهي تنحدر من قبائل البانتو التي تعيش على سواحل إفريقيا الشرقية وبلادها الداخلية . وإلى جانب هؤلاء يوجد نحو ٤٠ ألف عربي وهم السواحليون الذين هاجروا إلى إفريقيا من جنوب الجزيرة العربية ، وعاشوا على السواحل وأصبحت لهم لغتهم الخاصة ،

كما يوجد بعض الإيرانيين وأكثرهم من شيراز . وكذلك يعيش هناك بعض الهنود والأوربيين

وعاصمة الدولة هي مدينة زنجبار ، التي وضع أساسها البرتغاليون في القرن السادس عشر ببناء كنيسة ذات أهداف سياسية كما هي عادة المستعمرين الذين يستغلون رجال الدين في التمهيد لمآربهم الاستعمارية . ويسكن هذه المدينة نحو ٣٠ ألفا ، وهي ميناء دائم الحركة بالتجارة مسع الموانئ الإفريقية والآسيوية ، حيث تروج تجارة القرنفل والبن والأناناس والقطن والعاج وغيرها .

عرف العرب هذه الجزيرة كما عرفوا غيرها من مدن إفريقية وبلادها منذ ألف سنة وهاجر إليها كثيرون أيام التنازع على الخلافة في القرن العاشر الميلادي . ولم يعرفها الغربيون إلا عندما مر عليها « فاسكودي جاما » الرحالة البرتغالي المعروف عند عودته من الهند سنة ١٤٩٩ م . ووقعت تحت حكم البرتغال سنة ١٥٠٣ م . وبعد ٢٠٠ سنة دخلها جيش من العرب من قبل سلطان عمان ومسقط ، فطرد البرتغاليين ، وأصبحت

الإسلام هو الدين السائد في الدولة ويتبعه ٩٠٪ من السكان ، وهم طوائف ، ففهم أهل السنة ، ومنهم الشيعة الإسماعيليون والإماميون والداوديون ، ومنهم الأباضية وهم فرقة من الخوارج جلبوا معهم هذا المذهب من موطن هجرتهم في عمان ومسقط . والسنينيون من المسلمين يتعبدون على مذهب الإمام الشافعي ، وهناك بعض من الأصناف ، وفي كل من زنجبار وبمبا محكمة شرعية ، لكل منهما قاضيان ، أحدهما سني والآخر أباضي ، ومن المؤسف أن حكمهما ليس نهائيا إلا إذا رضى طرفا الخصومة ، وإلا فإن لهما أو لأحدهما أن يرفع قضيته إلى رئيس القضاء الانجليزى ، وله وحده حق النقض والإبرام . ويقول المراقبون للأمور هناك : يبدو أن الحكومة ترمى إلى التخلص من القضاء الشرعى في زنجبار كما تخلصت منه في بمباسا وكينيا ودار السلام وأوغنده ، أما الطوائف الأخرى فترجع في قضاياها إلى شيوخها .

والمساجد هناك كثيرة ، ولكل طائفة من الطوائف مساجدها الخاصة بها ، وجمعياتها التي ترعى شؤونها ، ويلاحظ أن الجمعيات الشيعية تهتم بذكرى أئمتها خصوصا ذكرى الإمام الحسين على الصورة المعهودة في هذا الاحتفال ، والملاحظ أيضا أن الجمعيات

قسما من سلطنة عمان ومسقط ، ولما تولى الحكم سعيد بن سلطان سنة ١٨٠٤ م نقل البلاط من مسقط إلى زنجبار سنة ١٨٣٢ م ، وتم انفصالها عن سلطنة عمان . وبعد وفاة السلطان سعيد سنة ١٨٥٦ م انقسمت السلطة إلى قسمين ، وأصبح القسم الإفريقى محمية بريطانية سنة ١٨٩٠ م . وآخر خليفة حكم البلاد هو السيد / خليفة بن حاروب من سنة ١٩١١ م حين توفي في أكتوبر سنة ١٩٦٠ وخلفه على الحكم الأمير عبد الله الذى يزيد عمره الآن على الخمسين . وبعد وضع البلاد تحت الوصاية البريطانية أجر السلطان سنة ١٨٩٥ المنطقة الساحلية في إفريقيا إلى حكومة كينيا نظير إيجار اسمى قدره ١١ ألف جنيه سنويا

السلطان في زنجبار يلقب برئيس الدولة ، والمقيم البريطانى يلقب برئيس الحكومة ، التي تتكون من مجلسين ، تشريعى وتنفيذى ، ورئيس المجلس التشريعى هو المقيم البريطانى ، أما المجلس التنفيذى فيرأسه السلطان وينوب عنه المقيم البريطانى ، وأعضاء المجلس كلهم من الانجليز بحكم وظائفهم الرسمية ، أما المجلس التشريعى فكان عدد أعضائه ١٧ فى سنة ١٩٥٧ منهم ٩ انجليز بحكم وظائفهم الرسمية ، والباقيون يعينهم السلطان بمشاوره المقيم .

والدراسة في المدارس الابتدائية مدتها ست سنوات وهي باللغة السواحلية ، أما التعليم في المدارس الثانوية فهو بالانجليزية وليس هناك تعليم عال ، وأغلب الراغبين فيه يلحقون بكلية ما كيري في أوغندا - أو إحدى جامعات لندن .

وتعليم الدين لا يتبع طريقة منهجية يرجى منها الخير ، فهو لا يعدو سرد أحكام الإسلام وقراءة بعض سور القرآن في المصحف مرة كل أسبوع . وذلك كله في المراحل الابتدائية أما المرحلة الثانوية فلا يدرس الدين فيها مطلقا ولا تلتقى دروس في المساجد إلا في رمضان ويقوم بها دجالون مستجدون ، ومؤهلات العالم عندهم لإجادة لقراءة مولد النبي الذي ألفه « البرزنجي » وخطبة الجمعة من ديوان ابن نباته ، ومولد البرزنجي مقدس عند الجميع ويشيرون به كالقرآن .

والمعهد الديني هناك مدة الدراسة فيه خمس سنوات تؤهل لنيل الشهادة الثانوية ثم يسافر الطالب بعدها ليكمل دراسته في معاهد الجمهورية العربية ، والمعهد لا يتلقى إعانات خارجية من الدول الإسلامية أو العربية ، فكل نفقاته على الحكومة .

واللغة الشائعة في البلاد هي السواحلية ، وهي تكتب بحروف لاتينية وبحروف عربية ، وبعض العرب يتكلم العربية ولكن

العربية دائما منقسمة ويكيد بعضها لبعض ، ولا تضم بين أعضائها أحدا من الإفريقيين ، ذلك في الوقت الذي نرى فيه تكاتف الجمعيات الأخرى ، وقد أثر تفرق العرب على المساجد فأغلق أكثرها لعدم وجود المصلين والمهتمين بعبادتها .

ومن الصحف العربية هناك جريدة « الفلق » ، التي يشرف عليها الحزب الوطني ، وله أيضا نشرة تسمى « الطليعة » لخدمة أغراضه ، وهي تصدر بالانجليزية والسواحلية مرتين في كل شهر وتوزع بالجمان وتحدث باسم سياسة الشعب التحررية .

وكان في البلاد سنة ١٩٥٦ نحو ٢٢ مدرسة ابتدائية حكومية يتعلم فيها نحو ٢٦١٤ تلميذا ، وفي جزيرة « بمبا » ١٢ مدرسة بها نحو ١٥٥٠ تلميذا ، وهناك أربع مدارس للبنات في زنجبار واثنتان في بمبا ، بها ١٠٣٩ تلميذة ، في توجد ثلاث مدارس ثانوية منها اثنتان للبنين يدرس بها ٦١٠ من التلاميذ ، إحداهما في مستوى التعليم في الجمهورية العربية المتحدة ، وتوجد مدرسة للبنات بها ١٢٥ فتاة ، كما يوجد معهدان : أحدهما لإعداد المعلمين وبه ٥٤ طالبا والثاني لإعداد المعلمات وبه ١٤ طالبة ، كما توجد مدارس طائفية ابتدائية ، ومكاتب لتحفيظ القرآن الكريم ، وكل طائفة لها مدارسها التي تقوم هي بإدارتها والإنفاق عليها ، أما مدارس العرب والإفريقيين فننفقاتها على الحكومة .

وعلوم الدين واللغة ، ولكن المستعمر يحارب ذلك بكل قوته . وعندما زار الدكتور محمود حب الله هذه البلاد سنة ١٩٤٧ طالب زعماء الجمعية العربية الحكومة بإنشاء معهد للدين واللغة ليمد البلد برجال القضاء والفتوى والتدريس ، فشرعت الخلافة في إصلاح بيت قديم ليكون مقراً للمعهد ، وأنشأ المعهد مدرسة لإعداديه تهيء له الطلبة ، ولكن المعهد ودور التعايم عامة في أشد الحاجة إلى المدرسين الأكفاء والكتب الدراسية ، والمشاهد أن نصف طلاب المعهد يدينون بالمذهب الأباضي ، ولكن ليس هناك من يحسن دراسة الفقه لهم .

وفي زنجبار مؤسستان للتبشير تعلان الطبقة الراقية بالمصاريف وتعلان الفقراء مجاناً ، وتشجعهما الحكومة على مواصلة رسالتهما . ومعظم الأهالي يشتغلون بالزراعة ، وأهم محصول عندهم هو القرنفل الذي يصدر منه ٧٠٪ من محصول العالم كله . والتجارة هناك تكاد تكون محتكرة للهنود والشيعة الإسماعيليين ، الذين هم أغنى الطوائف وأعظمها جاهاً ونشاطاً .

والطائفية تلعب دوراً هاماً في تفريق الصفوف ، وهي سياسة الاستعمار التي يعيش في ظلها ، والتي وضع مخططها « دين رايتلي » القائل : إن بريطانيا لا تستطيع أن يكون

في نطاق ضيق ، وهم يحاولون تعلم اللغة العربية ، ولكن تنقصهم الكفايات من المعلمين العرب ، فستوى العربية هابط جداً بالرغم من أنها تدرس بالمدارس ، إلا أن حظها من الحصص قليل ، فلها حصتان وثلاثة في السقتين الخامسة والسادسة الابتدائيتين ، وتدرس في المدارس الثانوية اختيارياً وطلابها نحو ١٠ فقط .

ولم إلى جانب نقص الكفاية العالية تنقصهم الكتب والمراجع ، والانجليز يحاربون المدرسين الوافدين من البلاد العربية ومن « مصر » على الخصوص . ولهذا أنشأ الحزب الوطني مدارس خاصة به تركز اهتمامها على اللغة العربية . وقد جاهد الحزب حتى قررت الحكومة إنشاء مدرسة تسمى « المدرسة العربية » لهذا الغرض حتى تحل اللغة العربية محل اللغة السواحيلية . ولضعف اللغة العربية يقرأ المسلمون هناك القرآن ولا يفهمون معناه ، والنساء يحرصن على قراءة بعضه عقب القيام من النوم .

وقد حرص سلاطين عمان أثناء حكمهم لزنجبار على تعليم اللغة العربية والدين وجلبوا من أجل ذلك مدرسين من عمان وحضرموت وجزائر القمر وغيرها . وكان لذلك أثره إلى حد ما في حفظ اللغة وحفظ الدين ، ووجدت المؤلفات في المكتبة العربية في الفقه الأباضي

أوغندة للتعليم الزراعى ، وبعد عودته مهندسا ترك العمل وتفرغ للسياسة ، وعين سنة ١٩٥١ ممثلا للعرب فى المجلس التشريعى ، وألف الحزب الوطنى سنة ١٩٥٦ ، والانجليز يخشون نفوذ هذه الشخصية ، وقد حاولوا دون حضوره المؤتمر الآسيوى الإفريقى فى القاهرة .

ومن الشخصيات البارزة فى ميدان الأدب كاتب القصة الشيخ محمد بن على بن خميس ، والشاعر الشيخ برهان بن محمد م كلا ، ومن الكتّاب أيضا الشيخ عبد الله صالح ، والسيد أحمد ناصر السكلى الذى تعلم بمصر وسجن فيها ستين ، ومن النساء المجاهدات : عالية محسن أخت الزعيم على محسن .

وفى سنة ١٩٥١ أرسل الأزهر مبعوثا إلى زنجبار قام بنشاط ملحوظ فى ميدان التعليم الدينى ونشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وفى عهده نشط المعهد الدينى الذى ما يزال أثرا بارزا يرفع صوت الأزهر والجمهورية العربية هناك ، ويوجد بمعهد البعث فى الأزهر طلاب من زنجبار تبلغ عدتهم ١٦ كما هو وارد فى إحصاء ١٩٦٢/٦١ ، كما توجد بعثات من الفتيات جئن لتعلم اللغة العربية والعلوم الحديثة فى الجمهورية العربية ، حضر منهن ١٧ سنة ١٩٥٨ ، وقد طلب الحاج زكى بليا عمرو القمرى رئيس الجالية القمرية

لها أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، بل لها فقط مصالح دائمة .

والناس هناك يحرصون على الزواج من الأقارب ، ويندر فيهم من يتزوج غير قريبته ، وتعدد الزوجات منتشرة بين العرب وبين الوطنيين بصفة خاصة ، كما توجد تقاليد عند الزواج لا يقرها الدين كالعادات المنتشرة فى البعثات الإسلامية . وهم لا يعرفون شم النسيم ولكنهم يحتفلون بيوم « عيد النيروز » فى بقعة خاصة جنوبى الجزيرة ، معظم سكانها من الشيعة الإيرانيين المستوطنين هناك ، وهم يظنون فى مرح طول اليوم الذى يسمونه يوم الحرية ، حيث يستمر الرقص واللهو حتى مطلع الفجر ، ثم يستعم الجميع فى البحر قبل طلوع الشمس ، والنساء هناك لا يزنن المقابر فى المناسبات كالعيد ، ولا يلبس السواد للحداد ، فلابسه عندهم بيضاء . والحجاب الشرعى ما زال متمسكا به بين المسلمين إلى حد كبير ، وإن كان التطور بدأ يأخذ مجراه فى هذه الناحية وبخاصة فى الأوساط المتعلمة .

من الشخصيات البارزة فى الكفاح السياسى والوطنى السيد / على بن محسن البروانى زعيم الحزب الوطنى ، وقد ولد سنة ١٩١٦ وبعد إتمام دراسته الابتدائية والثانوية أراد والده أن يلحقه بالأزهر ، غير أن الحكومة أرسلته مع طالب آخر إلى كلية ( ما كيرى ) فى



حزب شعوب بمبا ، وله ٣ مقاعد في البرلمان وتوجد اتحادات للعمال أقواها اتحاد عمال السفن والبحر ، وبريطانيا تضرب الحزب الوطنى بهذه الاتحادات ، وفي اتحادات العمال ٩٩٪ من الإفريقيين ، وزعيمهم عبيد كروم ، وهو موال للانجليز ويحبذ بقاءهم وسيطرتهم على الساحل بحجة أن الأهالى لم ينفضجوا بعد سياسيا أو دستوريا ، ويشاركه هذا رأى الشريف شاطرى رئيس الاتحاد العربى فى بمباسا ، وهناك اتحاد إفريقيا الشيرازى وهو يحظى بعطف الانجليز .

والبلاد فى أمس الحاجة إلى أساتذة أكفاء فى اللغة والدين ، وإلى مبعوثين على درجة كافية من اللياقة والنفوذ المنظم ، لينفذوا الأهالى من التيار الاستعمارى الجارف ، ويصروهم بواجبهم من الوحدة والعمل الخالص للمصلحة العامة ، ولوقاية المناطق المجاورة من السموم التى ينفثها المستعمرون هناك ، فقد اتخذوا من بمباسا والساحل وزنجبار نقطة تركز لهم ، وهم يخشون الإشعاع العربى الذى ينبعث من النهضة الثائرة فى الجمهورية العربية المتحدة ، سواء فى ذلك الإشعاع الوطنى والثقافى والاجتماعى .

ولقد أفصحت الديلى تلغراف عن مخاوف الانجليز من هذا الإشعاع حين كتبت معلقة على هزيمة الحزب الوطنى فى انتخاب سنة (البقية على الصفحة التالية)

بزنجبار ، من الأزهر مدرسين للشريعة واللغة العربية .

هذا والصبغة الانجليزية واضحة فى البلد إلى حد كبير ، فالحاكم العام انجليزى ، والسكرتير العام للحكومة انجليزى أيضا ، ونظام القضاء انجليزى ، والعملة هى الشلن الانجليزى المستند إلى لجنة شرق إفريقيا المالية الانجليزية ، وأحكام السلطان لا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها المقيم الانجليزى ، وهذا النفوذ الانجليزى يلقى معارضة تتمثل فى الحركات الثورية والتنظيمات السياسية التى تعمل للتخلص من هذا الحكم وإنهاء عقد لإبحار الساحل الإفريقى ، ومن أقوى الأحزاب السياسية هناك الحزب الوطنى وزعيمه السيد على بن محسن البروانى ، وثلاثا أعضائه إفريقيون ، ولكن المسيطر عليه عقول عربية ، وهذا الحزب هو حزب الأغلبية ، وإن كانت الصحافة البريطانية تصر على تسميته حزب الأقلية ، وهو أكثر الأحزاب تقدما ولا يعتمد على اللون والجنس كبقية الأحزاب بل يدعو إلى تحرير الفرد والعدالة الاجتماعية وتسكافؤ الفرص ، ويتميز عن غيره بأنه يؤمن بمبدأ الجهاد ، وله الآن ١٢ فرعا ، ١٢٠ مدرسة تضم ٨ آلاف طالب ، ١٢٠ مركزا اجتماعيا ، وله ١٠ مقاعد فى البرلمان ويؤيد هذا الحزب حزب سياسى آخر يسمى



## من أعلام اليمن : طاووس بن كيسان للاستاذ يوسف القضاوى

اسمه طاووس بن كيسان ، وكنيته أبو عبد الرحمن .  
ولد باليمن السعيد ونشأ به ، ونشر به علم الإسلام ، فلا غرو أن ينسب إليه ويعرف « بطاووس اليماني ، ويسجل تاريخ الرجال أنه فقيه اليمن غير منازع .  
أدرك نحو خمسين من الصحابة ، وتلقى عنهم ما وسعه من العلم والهدى الذى بعث

الله به رسوله ، فروى عن أبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، وأكثر الرواية والصحبة لابن عباس ، وكان من أجل تلامذته وخاصة أصحابه .  
وقال فيه : « إني لأظن طاووسا من أهل الجنة » وقال سفيان بن عيينه : قلت لعبد الله ابن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والعامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة .

( بقية المنشور على صفحة ٤٧٧ )

١٩٥٧ تقول : إن انهزامه انهزام مصر ، لأن سياسته تقوم على تقوية العلاقة معها .  
وإذا كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر قد قرر أنه لا يمكن لمصر أن تتخلى عن إفريقيا أو تنعزل عنها بحكم الصلات الكثيرة فالواجب علينا أن نتعقب الاستعمار فى كل بقعة وطشتها قدمه فى هذه القارة وغيرها وأن نلبي رغبات هذه الدول التى تتطلع إلى يوم الخلاص من نير الاستعمار ، خصوصا فى الميدان الثقافى الذى توجه به الأفكار وترسم الخطوط الموصلة إلى الغاية .

وإذا كانت اللغة العربية والدين الإسلامى هما العاملان القويان فى التوجيه الثقافى ، وفى دعم صلاتنا بهذه البلاد فالأزهر بما يضطلع به من مهام جسيمة فى هذا الميدان هو أولى الهيئات برعاية هذه القضية خصوصا فى عهده الجديد الذى ألقى الزمام فيه إلى من يقدرُونَ هذا الأمر قدره ، ونحن منتظرون خطواته الإيجابية فى هذا المقام ، وأملنا فيه كبير ، والله ولى التوفيق ؟

عظيم صفر  
مفتش الوعظ بالأزهر

ودق بعضهم بعضاً من الفزع ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد فنزل الناس يمينا وشمالا يبتغون النوم والراحة ، وقام طاووس من بينهم يصلي ، فقال له ابنه : ألا تنام فإنك قد سهرت ونصبت الليلة ؟ فقال : ما كنت أظن أحدا ينام في السحر ، وكان رقيق القلب مرهف الوجدان دقيق الحس ، حتى رويوا عنه أنه إذا مر برواس ( بائع الرءوس ) فرأى الرءوس المشوية لم ينم تلك الليلة .

وكان كثير الحج إلى بيت الله الحرام ، في عصر ما كان الحج فيه من اليمن إلى مكة سفراً قاصداً ، ولا نزهة تستروح فيها للنفس ، كان يسير شهراً ذاهباً ، وشهراً راجعاً ، لكن هذا العناء كان يسيراً عليه حبيبا إليه مادام من ورائه شرف الغاية وحسن الثواب فهو يقول لابنه : إن الرجل إذا خرج في طاعة ، لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله .

والحق أن الحج لم يكن لطاووس ونظرائه عبادة روحية خصب ، بل كان — فوق ذلك — مجمعا لعباء الإسلام من كل الأقاليم ، في ساحته يلتقون ، ويتساءلون ويتذاكرون ويتعاونون ، فيأخذ بعضهم عن بعض ، ويراجع بعضهم بعضا قبل أن تعرف الدنيا معنى التعاون العلي على هذا النطاق الفسيح .

وتلقى عنه العلم جم غفير من التابعين وأتباعهم ( منهم ابنه عبد الله ) رأوا فيه ثبنا أميناً فيما يروى ، فقيها مسدداً فيما يرى قال عمرو بن دينار : ما رأيت مثله ، وقال الزهري : لو رأيت طاووسا علمت أنه لا يكذب . وقال هو لأحد تلاميذه : إذا حدثتك حديثاً قد أثبتته فلا تسأل عنه غيري ومثل هذا لا يقول إلا واثق من نفسه ، مطمئن إلى علمه وأمانته .

وذكر في تاريخ صنعاء أنه ولي قضاء صنعاء والجند ... إلى جانب ما يقوم به من رواية وإفتاء وتعليم وتذكير .

### علم وعمل :

ولكن شخصية هذا الإمام لم يبرزها العلم وحده — وإن له لفضلا — وإنما أبرزها الإيمان الصادق والعمل الصالح ، والخلق العظيم .

كان وثيق الصلة بالله ، قانتا آناه الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه يحجد في قيام ليله قرّة لعينه وزادا لقلبه ، وأنساً بمولاه ، لا يشغله عنه عذاب السفر ولا نصب البدن .

كان في قافلة الحجاج مرة ، فعرض للناس أسد حبسهم في الطريق ليسلة مروعين ،

### البر - موم البر مجالي :

وقد رأى رجلاً مسكيناً في عينه عشم ، وفي ثوبه وساخة فقال له : يا هذا إن كان الفقر من الله فأين أنت من الماء ؟ ! .

والذين وحسن الهندام مندوب إليه ولكن الترف والنعومة والطراوة - وبخاصة في الشباب - مفسدة للرجولة ، وقتل لروح الجهاد . رأى قتيانا من قريش يرفلون في مشيتهم فقال : إنكم لتلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفانون (١) أن يمشوها .

كان قوى الفكر مؤمناً بسنن الله في الأسباب والمسببات ، ينفر من الخرافات ويكفر بالآوهام ، وكان رجل يسير معه فسمع غراباً ينعب فقال : خيراً ! فقال طاووس أى خير في هذا أو شر ؟ لا تصحبنى ولا تمش معى .

ولم يكن كأولئك الذين سموا فيما بعد بالصوفية ، الذين دعوا إلى الرهبة وخوفوا مريدهم من الزواج ، بل كان يقول : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ، وقال لإبراهيم ابن ميسرة أحد تلامذته : لتتزوجن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد : ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور .

عجز أو فجور ذلك هو المانع من الزواج وكلاهما مما يستعاذ بالله منه ، فالإنسان بطبيعته ضعيف أمام الغريزة ، فإذا لم يغلبها

(١) الزفن : هو الرمس .

وكان الإسلام في رأسه وقلبه واضحاً مستقيماً ، بعيداً عن الضعف والسلبية ، دافعاً إلى البناء والإيجابية ، متمسكاً بروح القوة وقوة الروح .

لم يكن كإسلام المتكلمين - فيما بعد - بما غلب عليه من جدل ونظريات ، ولا كإسلام المتصوفة بما فيه من سلبية وانعزالية ، ولا كإسلام أتباع المذاهب الفقهية بما طغى عليه من جفاف وتفريع وتعقيد .

فليس كل صمت خيراً ، ولا كل كلام شراً كما يدعى بعض الورعين المزمتمين ، بل كما قال طاووس لأبي نجيح . ( من قال ، واتقى الله خير ممن صمت واتقى ) .

والدعاء خير ، ولكن لا يكن همك تسول الدعاء من غيرك ، وباب الله مفتوح لك على مصراعيه ، فلا عجب أن يرد الذين يعتقدون فيه الزلنى إلى الله ، ويسألون الدعاء لهم - وقد عرف بين الناس أنه مستجاب الدعوة - قال له رجل : ادع الله فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال لآخر : لا أجد قبلى حسبة فأدعوك . والمؤمن يرضى بالقضاء ، ويصبر على الأساء والضراء ، ولكن الفقر والبأساء شئ ، وإهمال النظافة والزينة شئ آخر ،

هو وأبوه أن لله عبادا يزهدون فيهم وفيما في أيديهم !

وقال الصلت بن راشد : كنا عند طاووس فجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، فسأله عن شيء فأنهره طاووس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ! فقال : ذاك أهون له على !

وروى الزهري أن سليمان بن عبد الملك في حجه رأى رجلاً يطوف بالبيت له جمال وكمال ، فقال : من هذا يا زهري ؟ قال : هذا طاووس ، وقد أدرك عدة من الصحابة ، فأرسل إليه سليمان فأثاه ، فدخل عليه في قوة المؤمن ، وإيمان القوى ، لم ينخلع قلبه فزعا ، ولم يسئل لعبابه طمعا .

فقال له : لو ما حدثتنا ؟ وقال طاووس في نفسه : هذا مقام يسألني الله عنه ، فلم يكن حديثه إلى الخليفة حديث الخائف أو المادح ، إن المدح والإطراء بضاعة الشعراء ، لا بضاعة العلماء ، ومهمة العالم أن يوجه وينذر لا أن يحرق البخور ؛ فإذا قال طاووس ؟ قال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم ) . والحديث ناطق ناصع لا يحتاج إلى تعليق .

بالحلال غلبته بالحرام ، وكان طاووس يفسر قوله تعالى : « وخلق الإنسان ضعيفاً » فيقول في أمور النساء ، ليس يكون في شيء أضعف منه في النساء .

### مدرسة أموية :

وكان مجلس طاووس - إذا جلس للتدريس - مدرسة تربوية عملية ، يتلقى الناس فيها معارف الإسلام وأخلاق الإسلام معا . فالتاس عنده سواسية ؛ الأمراء إذا حضروا حلقتهم كالعوام أو أدنى ، لا يوجه لاهم فضل عناية ولا مزيد اهتمام ؛ كان يعلم الناس بسلوكه أن العلم أرفع قدراً من المال والجاه ، وأن العالم العامل أعز من الأمير والخليفة المطاع ، وأن العلماء أمراء الأمراء .

قال سفيان بن عيينة : حلف لنا إبراهيم بن ميسرة - وهو مستقبل الكعبة - : ورب هذا البيت ، ما رأيت أحداً ، الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاووسا .

وجاء ابن سليمان بن عبد الملك - وهو خليفة - فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه قال : أردت أن يعلم

أن ليس في أيديهم من أمرهما شيء ، حق يأمل منهم الزيادة ، أو يخشى منهم النقصان .

التحرر من الخوف والطمع ، والرغبة في وجه الله وحده هما مفتاح تلك الشخصية الفارعة ، وقد قيل : إن العالم إذا أراد بعلمه الناس والدنيا خاف من كل شيء ، وإذا أراد بعلمه وجه الله خوف الله منه كل شيء .

قدم طاووس بمكة ، وقدم إليها أمير المؤمنين فقيل لطاووس : إن من فضله ومن . . ومن . . فلو أتيت به ؟ قال مالى إليه من حاجه ، فقالوا : إنا نخافه عليك ! قال : فإهو إذن كما تقولون ! وصدق طاووس . فأى فضل لحاكم يخشى الناس بطشه وأذاه أن يمتد إلى العلماء والهداة ! !

وكان يقول لعطاء بن أبي رباح فقيه مكة : يا عطاء ؛ إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل دونه حجاب ، وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعو ، ووعدك الإجابة ! .

### إلى الأميرة :

عمر طاووس طويلا حتى وهن العظم منه ، واشتعل الرأس شيئا ، بيد أن قلبه لم يهن وعقله لم يشخ ، بل ظل متألق الفكر ، حاضر

تغيير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه إليه فقال : لوما حدثتنا ؟ .

قال : حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام في مجلس من مجالس قریش ، ثم قال : إن لسكم على قریش حقا ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحموا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا ائتمنوا أدوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ؛ لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وتغير وجه سليمان للمرة الثانية وأطرق طويلا ثم رفع رأسه إليه وقال : لوما حدثتنا ؟ .

فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : « واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

وكذلك يكبر العالم بعلمه وإيمانه ويرتفع حتى يصير كالجبل ، ويتضاءل أمامه الأمراء والخلفاء حتى يصيروا كالذباب .

ولنما جرأه على هؤلاء أنه لم يكن يطمع في شيء عندهم ، ولا يخافهم على شيء عنده ، وفيهم يطمع ؟ وعلام يخاف ؟ الناس يطعمون في دنيا الأمراء وهو استدبرها وراء ظهره ، ويخافونهم على الرزق والأجل ، وهو يعلم

لهذا السراج الوهاج أن ينطق ، فأدركه الموت على خير ما يدرك عليه المسلم : أدركه محرما ملبيا طائفا قاتنا لله . . في البلد الحرام والشهر الحرام ، في السابع من ذى الحجة ، من سنة ست ومائة من الهجرة بعد بضع وتسعين سنة مباركة حافلة بالعلم والعمل والدعوة إلى سبيل الله .

وكان هشام بن عبد الملك قد حج تلك السنة - وهو خليفة - فصلى على طاووس ، وسار في جنازته خلق كثير حرصوا على تشييعه إلى مشواه الأخير ، منهم عبد الله بن الحسن ابن علي ، الذي أخذ بقائمة سريه فما زايه حتى بلغ القبر ، وقد سقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداءه من خلفه ، من كثرة الرحام ، والناس يسترحمون ويقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ؛ حج أربعين حجة . أجل ، رحم الله أبا عبد الرحمن في الأولين ونفع بعلمه في الآخرين ؟

### بوصف القرضاوي

الذهن ، قائما بشعائر العبادة لربه ، حتى آخر عمره .

روى ابن سعد عن ليث قال : رأيت طاووسا في مرضه الذي مات فيه يصلي قائما على فراشه ويسجد عليه .

وقال أبو عبد الله الشامي : أتيت طاووسا فاستأذنت عليه ، فخرج إلى شيخ كبير ، فقلت أنت طاووس ؟ قال : لا ، أنا ابنه . قلت : إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ! فقال : إن العالم لا يخرف . فدخلت عليه . فقال طاووس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أثقلت - فقال : تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والفرقان فقلت : نعم . قال خف الله مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وأرجه وجاء أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب نفسك .

وما أصدقها وصية جامعة في معاملة الله والناس !

وفي إحدى حجاته إلى مكة المكرمة ، آن

يروى في الاستدلال على جود حاتم قوله لغلامه يسار :

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا موقد ريح صر  
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فانت حر

مناسبة افتتاح كلية البنات الإسلامية :

## طاقة جديدة في مجالات العمل للإسلام

للأستاذ فتحى عثمان

( فإن قالوا : أوجب عليهن النفاق للتفقه في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قلنا : نعم ، هذا واجب عليهن كوجوبه على الرجال . وفرض على كل امرأة التفقه في كل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض على الرجال ، وفرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة ، وفرض عليهن كهن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك - كالرجال ولا فرق ...

ولو تفقعت امرأة في علوم الديانة للزمنا الأخذ عنها ، وقد كان ذلك . فهؤلاء أزواج النبي وصواحيبه قد نقل عنهن أحكام الدين وقامت الحجة بنقلهن ، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك ) .

وهكذا أبرز ابن حزم مكانة المرأة ودورها في مجتمع الإسلام ... في صورة صريحة جلية قوية .

\*\*\*

وجاء تطوير الأزهر ... فامتدت الآفاق وانطلقت الطاقات .

د ابن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقاتنين والقاتنات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أهد الله لهم مغفرة وأجرأ عظيماً ...

د فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضييع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضهم من بعض ... .

هذه مجالات العمل في الإسلام ، يوجه فيها تعاليمه إلى الرجال والنساء على حد سواء ... وقد كان من أسباب القوة في المجتمع المؤمن في عهد النبوة ، أنه سار برجاله ونسائه في سبيل تحقيق رسالته ، فكانت جهود خديجة وعائشة وأسماء تظاهر جهود أبي بكر وعمر وعلى ، وغير هؤلاء وأولئك من صواحب الرسول وأصحابه على السواء ! .

لقد جاء القرآن يسوق المثل للمؤمنين في امرأة فرعون ... ويفرد للنساء سورة وأحكاماً .. ويخصص لهم الرسول مجالس .

إن المرأة في ديننا، وتاريخنا، ومجتمعنا ...  
قد أعطيت حقوقها من قرون !  
والمرأة إنما استبعدت من واقعنا  
أو اعتبارنا أخيراً — يوم تأرجحت أمامنا  
الموازن ، ووفد علينا الدخيل من التقاليد  
والآراء !

على أن دهشة « التيمس » لها دلالتها على  
أية حال ... دلالتها على أهمية هذا الحدث  
الكبير ! ولقد زارني صحفي بريطاني هو  
مستر پول ويستر مندوب الدبلي تلجراف  
اللندنية ، وسألني عن معالم التطوير الجديد  
للأزهر ... وتبع أبناء كلية البنات الإسلامية  
بجامعة الأزهر باهتمام ، أى اهتمام !

\*\*\*

ولقد جاء لإنشاء هذه الكلية موفقا  
في كثير ...

فهي تشمل شعباً أربعة للدراسة العلمية ؛  
الشعب : الإسلاميه ، والعربية ، والاجتماعية ،  
بجانب شعبة المعاملات والإدارة .  
وسوف تشمل في المستقبل بالطبع شعباً للطب  
والهندسة والزراعة ، فهي جامعة إسلامية  
شاملة للفتيات .

ولم تكتف كلية البنات الإسلامية  
برسالتها العلمية البحتة ، ورأت أن تذهب  
مذهب بعض جامعات الغرب في الاضطلاع  
ببعض الأعباء في الثقافة والخدمة العامة .

\* فالدراسة الجديدة قد امتدت طولا  
فشمكت مختلف ألوان المعرفة : من طب  
وهندسة وزراعة ، بجانب المعاملات  
والإدارة ، وبجانب العقيدة والشريعة واللغة  
والحضارة والتاريخ .

\* والدراسة الجديدة قد امتدت عمقا  
فشمكت دراسة مقارنة في العقائد والشرائع  
والآداب والحضارات .

\* ثم امتدت الدراسة الجديدة عرضا  
فشمكت الطلاب والطالبات . على حد سواء !  
وهكذا صحح هذا التطوير وضع المرأة في  
فلسفة الإسلام وواقع مجتمعه ؛ إذ طلب العلم  
فريضة على كل مسلم ومسلمة ...

وأطلق هذا التطوير طاقة كانت معطلة في  
مجتمع الإسلام ، وكانت لا توجه إلى الانطلاق  
إلا بدعوى ونزعات غير إسلامية ...  
واستعاد هذا التطوير أيجاد المجتمع  
الإسلامي الأول ، كما استكمل كيان الأزهر  
كجامعة .

\*\*\*

وشده هذا التطوير صحيفة « التيمس »  
اللندنية ...

لقد قالت صراحة : إن إنشاء كلية للبنات  
في نطاق جامعة الأزهر ، شيء لا يمكن  
تصديقه ! تراه لماذا لا يصدق ؟؟



وفرة الانتقال ... هي الخيط الحاد الرفيع الذي علينا أن نجتاز به سعياً إلى المستقبل السعيد المرموق !

والرجال أولو العزم ، هم الذين يكونون معبراً يحتمل أثقال التغيير ، حتى لا يتهم تحت وطأة القديم أو دفعه الجديد ... وعلى هذه ( القنطرة ) البشرية ، كم تغير مجرى التاريخ ، وكم تبدلت أوضاع المجتمعات ! وإن أحكم النظم وأكملها في حاجة إلى هذه ( القنطرة ) للعبور عليها . قنطرة فيها ثبات ومرونة في الوقت نفسه ...

فهل ترى يتاح للجيل الحاضر من الأزهرين أن يحقق معجزة التغيير ، بعد أن شهد قانون التطوير ؟ ؟

« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً

كلمة طيبة كشجرة طيبة

أصلها ثابت وفرعها في السماء

تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . »

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، في الحياة الدنيا وفي الآخرة

ويضل الله الظالمين

ويفعل الله ما يشاء . »

فتوى عماد

فتضمنت شعبة خامسة عامة : للثقافة الأسرية والإسلامية ، تعد الفتاة لتكون زوجاً وأماً وربة بيت صالحة ، بصرف النظر عن التخصص العلي الدقيق والإعداد المهني .

وجاء قرار السيد / الدكتور وزير شؤون الأزهر بقبول الطالبات الحاصلات على الشهادة الثانوية النسوية ضمن هذه الشعبة تأكيداً لطابع هذه الشعبة العامة ، ودورها ورسالتها كما جاء خطوة جريئة في فتح المجال في كلية جامعية لأصحاب الدراسة الفنية ، ولو في مثل هذه الشعبة العامة .

ويعين على أن تؤدي مثل هذه الشعبة العامة دورها على أوسع مدى ، أن يفتح باب « الاستماع » المقرر بمقتضى اللائحة التنفيذية حين تصدر ، للطالبات الذين قد تقف أمامهم عوائق للالتحاق والانتظام ... بعد أن تتوفر إمكانيات « الأمكنة » ، و « هيئة التدريس » .

\* \* \*

على أن الأحداث التاريخية الكبرى ، تدعو دائماً إلى الحرص والتدقيق ...

وأنا أشفق على هذه التجربة الخطيرة ... التجربة التي طالما أملت فيها منذ سنين ، والتي عشت تحقيقها والسعي في طريق هذا التحقيق ... أشفق عليها من روايب نفسية وفكرية تراكت مع الأجيال تثير المتاعب خلال فترة الانتقال !

# الملكية في الإسلام

للأستاذ أحمد أحمد

## أنواع الملكية :

الملكية نوعان : ملكية مواهب و ملكية اكتساب . أما ملكية المواهب فلا دخل للدولة فيها بتأميم ولا تحديد ولا نزع ولا إلغاء ؛ لأن المواهب التي يهبها الله لعباده مواهب لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيها بأى نوع من أنواع التدخل ، فوهبة العقل اللبيب أو الصوت الطريب وموهبة اللسان الفصيح أو الجسم الصحيح كيف يتسنى لأحد أن يتدخل فيها بنزع أو إلغاء إلا الذى وهبها ومنحها وهو الله جل شأنه . أما ملكية الاكتساب فهي مجال هذا التدخل ولأن الملكية عرفاً واستعمالاً لا تطلق إلا على ملكية الاكتساب فقد أصبح المتبادر ذهنياً عند إطلاقها هو هذا المعنى وحده ، و ملكية الاكتساب هي كذلك نوعان ملكية فردية و ملكية جماعية .

## الملكية الجماعية :

أما الملكية الجماعية فلها مظاهر متعددة ، منها ملكية العائلة و ملكية النقابة و ملكية الجمعية و ملكية الشركة وأبرزها جميعاً

ملكية الدولة أو ملكية الأمة إذ الدولة نابعة عن الأمة في تصريف أمورها وإدارة شئونها ، والواقع أن هناك ملكيات لا يستطيع الفرد القيام بها ولا العناية بأمرها ، وهناك من الجمعيات ما لا تستطيع أداء مهمتها إلا إذا كانت تمتلك عدداً كبيراً أو صغير من الأموال والممتلكات . فكان لابد من وجود هذه الملكيات الجماعية بصورها المختلفة في كل مجتمع .

## الملكية الفردية :

أما الملكية الفردية فهي غريزة وقانون أزلى وليست مجرد نظام اقتصادي يفضلها بعض المجتمعات ويرفضه البعض الآخر ، لأنها طبيعة تتغلغل في النفس وتمتزج بالميول والمواطف والمشاعر والأحاسيس ، وتعمل عملها لتحقيق وجودها في مجال صاحبها الواقعي الاقتصادي بما لها من قوة الإغراء والتوجيه فإن ما يحوز المرء في خزائنه أو يمينه هو التعبير العملي عن هذه الغريزة والانعكاس الخارجى لهذه الفطرة .

## مقدمة مهمّة الأزل :

مقاصد سامية وراء ما يريد الإنسان من حيازة وما يسعى إليه من ملكية ، لقد أراد له ليربط بين قوى الحياة ومواهب الفطرة في كيان المرء وبين ثمار الطبيعة الظاهرة وكنوزها الباطنة فيقوم التفاعل التام بين الطرفين وتتكون الحضارة الصالحة والعارة المنشودة بما في الإنسان من مواهب العقل والروح وما في الكون من أسرار الحقائق وكنوز المال والثروة .

والأفراد حينما يشعرون بسلطانهم الحقيقي الحر على أملاكهم يشعرون معه بدافع قوى وحافز يسوقهم إلى تحصين معاشهم والرقى بها ومن هنا تتعدد الحرف وتتفرع الصناعات وتكثر الأعمال التي تعود على الأمة جميعها بالخير والثناء .

## إلغاء الملكية مناقض للفطرة :

ومن هنا ندرك مدى ما يحدثه تحريم الملكية وإلغاؤها من فساد العمران وإفساد للفطرة البشرية وقضاء على طاقات الإنسان وكبت لها وانقلاب الإبداع الذاتي المنبعث عن فطرة وموهبة من الله تعالى إلى آليسة في التنفيذ وإجراء أعمال الاقتصاد والصناعات ومن ثم فإن الخبير إنما في مسيرة الفطرة مع إزالة أسباب سوء استغلال الملكية وما تفضي إليه من كوارث ونكبات .

ولقد ابتدأت جميع حقوق الملكية في الأرض عند ما استعمر الله فيها الناس ، وكان الأساس الفطري الذي يقوم عليه بناء الشؤون الاقتصادية أن من حاز شيئاً وأصلح شأنه وجعله قابلاً للانتفاع والاستعمال أصبح صاحبه ومالكه ، أى صار من حقه أن يخص استعماله لنفسه دون غيره ، ويطلب الأجر بمن أراد استعماله والانتفاع به .

والملكية الفردية وإن كانت في نظر الفرد غاية اقتصادية له فهي في حقيقتها قانون أزل خطير يعمل عمله في تطوير الحياة وترقية العمران وزيادة الموارد ، ولعل أعظم ما في ذلك وأخطره على الإطلاق أن يكشف الإنسان عن عناصر وجوده المعنوى ويحققها معالم واضحة في أفق عمله وإنتاجه ، ويحقق وجوده الفكري في مجال التنظيم والابتكار والتطوير والإكثار ويحقق وجوده الأدبي في إرادة الإنتاج واختيار طريقته وكيفية سيطرته على عمله وإنتاجه ويحقق وجوده الروحي في محيط المجتمع بما يحقق من مبادئ الإيمان والسلوك وتعارف على المثل العليا .

## الحكمة منه قبل هذه الفطرة :

وقد أراد الله سبحانه ذلك ليحقق به

### المسلم يقرر الملكية الفردية :

وقد جاء الإسلام فقرر ذلك كله وحققه وأرسى قواعد الملكية الفردية على أسس مكيئة راسخة فقد قررهما في نطاقها الفطرى العادل الذى يرضى طموح البشر ويحترم مشيئة الله فى تحقيق المقاصد الحكيمة ، فقد روى أن عروة رضى الله عنه قال : (أشهد أن رسول الله عليه السلام قضى : أن الأرض أرض الله والعباد عباد الله ، ومن أحيأ موات فهو أحق به ) وفى كتاب الأموال أحاديث فى إحياء الموات يروى معظمها عروة هنا رضى الله عنه ، وقد قرر رسول الله فى هذه الأحاديث صور حيازة المراء ثمرة عمله وجعله نتيجة لجهده وكده ، وفى ذلك ما يتجاوب مع العدالة فى الإنتاج والطمانينة إلى مغبة السعى ، والرضا بما يؤتبه العمل والكفاح ، وإذا تعمقنا فيما وراء هذه الأحاديث فستظهر لنا جليا حقيقة مقاصد الحق سبحانه فى العمارة والتعمير ، فهو نداء إلى تسمير وإحياء الأرض الميتة لينمو العمران ويزداد الخصب وتتسع رقعة الأرض ، وهذه الأحاديث تحمل الدولة كذلك على تشجيع الأفراد على الملكية وإثارة غريزتها فيهم فهى ليست دعوة إلى التسمير وحسب بل دعوة إلى ملكيات جديدة باستحداث عامر جديد ، يؤيد ذلك ما رواه

أسمر بن مضرس إذ قال : ( أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فقال عليه السلام من سبق إلى مالم يسبق إليه مسلم فهو له . قال أسمر نفرج الناس يتعادون ويتخاطون أى يسارع بعضهم بعضا ويضع كل منهم خطوطا على الأرض تميز نصيبه عن الآخرين ) .

وليس أبلغ من امتنان القرآن بالملكية واعتبارها من النعم ، فقد جاء القرآن يمتن على بنى إسرائيل بما منحهم من نعمة الحيازة وبما قرر لهم من حق الملكية ، فقال جل شأنه : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين » .

### توزيع محكم لحماية الملكية الفردية :

ولتصان الملكية الفردية من العدوان وتحمى من السطو قرر الإسلام عقوبة حازمة حدا لجريمة السرقة د والسارق والساارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، ونهى عن الغصب والنهب والرشوة والجباية الظالمة ونحوها من كل طريق باطل للاستيلاء على أموال الناس د ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، .

وكان لعظم جريمة العدوان على الملكية ومبلغ حرمتها عند الله ورسوله أن قررهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع

وتحت قانون الخير يجب أن يكون التصرف في المال وحيازته وشميره أما إذا تعدى المال هذا النطاق واستخدم للإفساد وإشاعة السوء فهنا يجب أن يعمل قانون المصلحة العامة عمله لوقف تيار الفساد واستئصال نوازع السوء ، بل إن الإسلام لم يرض لصاحب المال أن يكون مجانباً للحكمة والسداد ، حين يتصرف في ماله فأمر المسئولين أن يسكنفوا عنه يده وأن يتولوا هم التصرف فيه بحكمة وسداد لأن هذا المال هو حق الأمة وسبيل خيرها ورفاهية حياتها ورغادة عيشها : « ولا تقوتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » .

### قبور مختلفة على الملكية في الإسلام :

ولم يبح الإسلام الملكية في جميع الأشياء بل حرم ملكية المعادن ظاهرة أو باطنة قال ابن قدامة في المغنى : ( وجملة ذلك أن المعادن التي يتنابها الناس ويتفنعون بها من غير مثونة كالملح والماء والكبريت والقار والمومياء — نوع من الدواء — والنفط والياقوت وأشباه ذلك لا يجوز احتجازها دون المسلمين ؛ لأن فيه ضرراً بهم وتضييقاً عليهم ) .

وقد جاء في كتب السنة أن الرسول عليه

بقوله : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص فلا يمس ملكية سابقة فيقول : « من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين » ، ويقول كذلك : ( من أحيا أرضاً ميتة ليست لأحد فهي له ) . ويقول للظالم الذي يزرع في أرض غيره بدون إذن منه : ( من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق . والعرق الظالم هو عروق الشجر أو الزرع أو جذورها إذا غرسها صاحبها طامساً في أرض غيره ) .

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في مثل هذه الحالة - لصاحب الأرض بأرضه وأمر صاحب النخل بنزع نخله منها .

وقد بلغ من حرص الإسلام على الملكية وصيانتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن يأخذ متاع أخيه ولو على سبيل المداعبة فيقول : ( لا يأخذ أحدكم متاع أخيه جاداً ولا لاعباً ، وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه فليردها إليه ) .

### هل الملكية الفردية ملائمة في الإسلام :

إن المال في الإسلام محكوم بقانون الإصلاح والإفادة ، ولذلك سمي المال في القرآن بالخير « وإنه لحب الخير لشديد » فالخير يجب أن يكون سمة المال وهدفه ،

( تقصد ضرر غيرك ) ثم قال لصاحب البستان ( اذهب فاخلع نخله ) . وشكا الضحاك بن خليفة الأنصارى إلى عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة لأنه رفض أن يمر الماء من أرضه إلى أرض الضحاك ولا يمكن غير هذا — فاستدعى عمر محمد بن مسلمة وقال له : أعليك ضرر في ذلك؟ فقال : لا ، فرجاه في أن يمر بأرضه الماء فأبى ، فقال : (إذن فليمرن ولوعلى بطنك ) وشرع كذلك حق الشفعة على الملكية تحقيقاً لمبدأ عدم المضارة وإقراراً لقاعدة المصلحة .

### حكم الإسلام - مرسوم في التأميم :

والتأميم ( وهو لفظ مستحدث ) يعتبر كذلك نظاماً من النظم التي ترد على الملكية الفردية ، فقد عرفنا أن قانون الملكية هو المصلحة العامة ، وإذا كان هناك مرفق من المرافق يتمتع به مجموع الأمة وتضار الأمة لو ظل بيد فرد واحد أو أكثر ، وكذلك إذا تطورت خدمة من الخدمات من نطاقها المحدود إلى نطاق المرفق الذي تتعلق به مصالح المجموع كتطور سقاية الماء بالقرب إلى شركات كبيرة للبياه ، وتطور استئجار الدواب للتنقل إلى شركات كبيرة للنقل ومرفق ضخيم للسكك الحديدية وخطوط الطيران ، أقول إذا حدث ذلك فيجب حينئذ الأخذ

سلام الله انتزع ملاحه من أبيض بن حمال — وهو رجل من اليمن — كان الرسول قد أقطعها له حين جاء يسأله إياها ، وعندما أخبر أن الملاح يستخرج منها دون عناء قال فلا ، إذن وانتزع الملاحه منه . وقد قال ابن قدامة تعليقا على هذا الخبر : ولأن هذا الملاح تتعلق به مصالح المسلمين العامة فلم يجوز إقطاعه كشارع الماء وطرقات المسلمين ، والملكية مقيدة بالطيبات والمباحات ، أما المحرمات كالخمر والخنازير وما جاء عن طريق الرشوة أو الغش أو الربا أو التطفيف في الكيل والميزان أو الاحتكار أو استغلال النفوذ والسلطات وما إلى ذلك من الطرق غير المشروعة للكسب فهذه كلها تسقط عنها الملكية الفردية ولا يجوز تملكها بأى حال ، وكذلك قيدت الملكية في الإسلام بعدم الإضرار وإساءة الاستعمال إذا لم يقبل المالك نصيحة الناصح ولا رجاء الراجى ولا حكم الحاكم ، فقد روى أن سمرة بن جندب كان يملك نخلا في بستان رجل من الأنصار وكان يكثر من دخول البستان هو وأهله حتى تأذى صاحبه من ذلك وشكاها إلى الرسول فاستدعى سمرة وقال له ببع نخلك فأبى ، فقال : هبها له فأبى ، فقال : هبها لي ولك مثلها في الجنة ، فأبى فقال له : أنت مضار

ابن عفان ونعم ابن عوف فإنهما إن هلكتا  
 ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع ، وإن هذا  
 المسكين إن هلكتا ماشيته جاء يصرخ :  
 يا أمير المؤمنين . أفا لكلا أهون على أم  
 غرم الذهب والورق ؟ ولإنها لأرضهم قاتلوا  
 عليها الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام  
 ولإنهم ليرون أنا نذلهم ، ولولا النعم التي  
 يحمل عليها في سبيل الله ما حيت على الناس  
 شيئا أبدا . قال أسلم : فسمعت رجلا من بني  
 ثعلبة يقول له : يا أمير المؤمنين ، حيت  
 بلادنا ، قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها  
 في الإسلام (يردها عليه مرارا وعمر واضع  
 رأسه) . ثم إنه رفع رأسه إليه فقال : البلاد  
 بلاد الله ، والنعم مال الله ، يحمل عليها  
 في سبيل الله . وقد استولى كذلك على  
 ما حول المسجد الحرام من دور عند ما أراد  
 توسعته وعوض أهلها عنها .

ومن هنا نص الفقهاء على جواز نزع  
 الملكية الفردية إذا اقتضت ذلك حاجة  
 المرافق العامة أو اقتضاء صالح الأمة ،  
 ولا شك أن الدولة وهي تقوم بمشروعات  
 عمرانية من شق الطرق وإقامة السدود وبناء  
 المنشآت تضطر إلى الاستيلاء على بعض  
 ممتلكات الأفراد فمن ذا الذي يحرم عليها  
 هذا ويمنعها منه .

بمبدأ التأميم ، ونقل ملكية هذه المرافق من  
 يد مستغليها إلى ملكية الأمة لعموم النفع بها  
 وعدم الاستغناء عنها ، وقد روى الإمام  
 أحمد وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم حمى أرضا بالمدينة ليرعى خيل المسلمين  
 - أي جعلها لعامة الناس - وجعل نتائجها  
 من الممتلكات الجماعية . والصحابي الذي حدث  
 بهذا هو ابن عمر رضى الله عنه ، والأرض  
 تسمى بالنقيع ، وحمى عمر رضى الله عنه  
 كذلك أرضا بالربذة ، وجعل كلاها لجميع  
 المسلمين ، فجاء أهلها يشكون قائلين : (يا أمير  
 المؤمنين إنها أرضنا قاتلنا عليها في الجاهلية ،  
 وأسلمنا عليها ، فإعلام تحميها ؟ فأجاب عمر  
 المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله  
 لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حيت من  
 الأرض شبرا في شبر ) . وننقل هنا القصة  
 كاملة من كتاب الأموال لأبي عبيدة (حدثنا  
 عبد الله بن صالح عن الليث عن هشام بن سعد  
 عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر  
 وهو يقول لهني - حين استعمله على حمى  
 الربذة - يا هني : اضم جناحك عن الناس ،  
 واتق دعوة المظلوم فإنها مجابة وأدخل رب  
 الصريمة والغنيمة <sup>(١)</sup> ، ودعنى من نعم

(١) الصريمة : تصفير الصرمة وهي القطيع من  
 الإبل ، يريد صاحب الإبل القليلة والغنم القليلة .

### محمد بن الملكية: أسلوب آخر:

وكما يرد التأميم على الملكية للمصلحة العامة كذلك يرد عليها التحديد بل هو أولى ؛ لأن التأميم نقل ملكية الفرد كلها إلى ملكية الأمة ؛ أما التحديد فهو نقل جزء منها فقط إلى مالك آخر دون الباقي أو وقف الملكية عند حد معين لا تتعداه ، وإذا كان التضخم في الملكيات يدفع إلى الشرور ويوقع في حمة الرذيلة والفساد ويخلق سوقا رائجة للبدخ والترف أو سوقا أخرى تعج بالعوز والشظف فلا بد من عملية سريعة تخفف من هذا الورم أن تستأصله وتحد من هذا التضخم إن لم تزله .

إن مبدأ سد الذرائع الذي اتفق عليه جميع الفقهاء يؤيد جواز التحديد ، وقد حد عمر رضي الله عنه من حرية كبار الصحابة في الانتقال من المدينة إلى غيرها من الأمصار ، مع أن الانتقال حق طبيعي للإنسان ؛ وذلك لأن انتقالهم من المدينة إلى غيرها من البلاد سيجعل له وحده دون معاونيه من أهل الرأي والمشورة في سياسة شؤون الدولة وتولى أمر المسلمين ، وهذا أمر خطير ومسئولية عظيمة تتطلب حزم عمر وتقديره لمصالح الأمة وفقهه لمبادئ الدين ، فإذا كان عمر قد حدد من حرية الانتقال وهو حق طبيعي ؛ سدا للذرائع فالحد من حرية التملك جائز كذلك سدا للذرائع ،

بل إن السنوات الطوال العجاف التي قاست فيها جماهير الفلاحين ظلم الإقطاع وذاقت ألوان العبودية والسخره ، وصبت عليهم سياط العذاب والهوان تجعل هذا التحديد واجبا من أهم واجبات الدولة لا سيما أن الاستعمار كان يقطع عملاءه وأعوانه أجزاء كبيرة من الأرض مقابل الخيانة للوطن والسير في ركاب المستعمرين .

### القرآن ضد التضخم في الملكية :

لقد ذكر القرآن أن التضخم في المال مقرون في مبدئه بالبغى المظني وفي منتهاه بالخسف المهلك ، وقص علينا قصة قارون مثلا من الأمثلة تقرأها الأجيال للعظة والاعتبار ، وإن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته (البقية على صفحة ٣٩٤)



# مُعْتَرِك المذاهب الفيلسوفية

## للاستاذ عباس طه

الضمير الأدبي شعور باطنى فى الإنسان يشهد على ما يفعله هو أو يفعله غيره إن كان خيراً أو شراً ، وهو الذى عُبر عنه فى القرآن الكريم بالقلب ، والضمير والقلب لغة بمعنى واحد . قال الله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » وقال : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » أى تفسد بقلبة

الآهواء عليها فيستوى عندها الحسن والقبيح ، والخير الشر . وبناء على هذا فوظيفة الضمير هى ما يحسه كل إنسان فى نفسه عندما يشرع فى قول أو عمل من الحكم على ما هو شارع فيه ، إن كان خيراً موافقاً للقانون الأدبى ، والعرف الإنسانى ، أم مخالفاً لها . والمشاهد أن هذا الحكم لا يتجاوز حد الشهادة ، فليس فيه صفة

( بقية المنشور على صفحة ٤٩٣ )

### نعم والمستقبل :

إن مستقبلنا مرتبط بما نخططه من خطط وما نقرره من نظم . ومادما نخطط حياتنا على ضوء ما رسمه القرآن من مبادئ ونقرر نظمنا على أساس ما قرره من نظم ، فنحن سنصل بعون الله إلى غايتنا ، وسنحقق أهدافنا وسيكون مستقبلنا مشرق القسائم رخى القسائم « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ، وانجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

أحمد محمد

قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون . نحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين .

بل إن القرآن قد قرر ذلك مبداً ثابتاً فى طبيعة البشر فى أكثر من آية حيث يقول : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء » . « كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » . « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

تدفعنا لإيثار الحلو النافع على المر الضار ،  
كذلك تلازم الضمير الإنسانى عوامل تسوقنا  
لتفضيل الأفعال الطيبة على الأفعال السيئة .  
بناء على هذا المذهب يكون حكم الإنسان  
على ما هو خير وما هو شر ليس متنزلاً  
عن تعقل سابق ، أو عن تجربة متقدمة ،  
بل من شعور اضطرارى طبيعى ، موجود  
فى النوع البشرى من أول وجوده .

يعزى هذا رأى إلى الفيلسوف الانجليزى  
شيفتسبورى المتوفى سنة ١٧١٣ .

٢ - مؤدى مذهب العقلين أن الضمير  
الإنسانى نفحة من نفحات العقل فإن الإنسان  
مضى عقل أن فعلا من الأفعال سيئ الأثر  
على فاعله وعلى مجتمعه ، سقطت منزلته  
فى نفسه وكرهه ، وأن فعلا آخر حسن الأثر  
فى نفسه وفى جماعته التى يتبعها إليها ، ارتفعت  
قيمه فى نظره وأحبه ، فيتألف من مجموع  
هذه المدركات شعور قوى فى نفسه يعبر عنه  
بالضمير الأدبى .

وبناء على هذا فيكون الضمير الأدبى  
فى الإنسان مجموع أحكام عقلية مستفادة  
من الشئون الحيوية .

٣ - أما مذهب الذين يقولون بأن الضمير  
الإنسانى ثمرة التجربة والتمرس بأمور الحياة ،  
فإن له ثلاثة أشكال :

الإلزام . فقد يشهد عليه ضميره بأن ما يقتوى  
عمله شرفياً فيه ، وأن نقيضه خير فيمتنع عنه ،  
مصرراً على الإساءة . فالضمير الأدبى والحالة  
هذه فى حاجة إلى قوة تنفيذ تكبح الإنسان  
عن عصيان ضميره ، وهى لا توجد  
إلا فى النفوس العالية التى يقوم فيها مجرد  
الشعور بخسة الإساءة مقام الوازع المادى ،  
فلا يصدر عنها إلا ما يشهد بحسنه ضميرها  
الأدبى .

ما هو الضمير الأدبى وكيف نشأ فى الإنسان ؟

انقسم علماء النفس فى كنهه ، وفى كيفية  
نشوئه فى الإنسان إلى ثلاثة مذاهب :  
أولها : أنه شعور غريزى فى النفس البشرية ،  
أى موهوب وليس بمكتسب .

ثانيها : أنه وجه من وجوه العقل .

ثالثها : أنه ثمرة التجربة والتمرس بشئون  
الحياة .

١ - مؤدى المذهب الأول أن الحكم  
الأدبى الذى يشعر به كل إنسان فى ضمير نفسه ،  
أمراً إياه بالمعروف ، وناهياً له عن المنكر ،  
ومشيراً عليه بما يجب أن يفعله ، هو صوت  
حاسة غريزية فى النفس ، نشأت ملازمة لها  
بالفطرة ، مثلها كمثل ما منحناه من خاصة  
التفرقة بين الطعوم المختلفة ، والتمييز بين الخير  
والشر . وكما تلازم حواسنا الجثمانية دوافع

بالفضائل ، ولا تألوا جهداً في معاقبة المجرمين  
ومكافأة المحسنين .

ولا تنس ما تصادفه الرذيلة من ذم الناس  
وتشنيعهم ، والقدح في أهلها وتحقيرهم ،  
وما تجده الفضيلة من ثناء الناس وتقديرهم  
وتبجيلهم . كل هذه المؤثرات ولدت في قلوب  
الناس إكباراً للفضيلة ، واحتقاراً للرذيلة ،  
أصبح بالتمرس به طبيعة ثانية في النفوس  
البشرية يتوهمها الخياليون متنزلة من العالم  
العلوى ، وما هي إلا ثمرة ما ذكرناه هنا  
من العوامل .

أما مؤدى الشكل الثالث : فهو أن الضمير  
الإنسانى ثمرة من ثمرات ناموس التطور  
والوراثة ، فعند هؤلاء العلماء وعلى رأسهم  
دارون وبوختر وهلسكى أن العالم وما فيه  
من النواميس قائم على نظام آلى محض ،  
وكل ما فيه خاضع لهذا النظام لا يشذ عنه ،  
لجميع الكائنات البسيطة والمركبة ، حتى  
الحياة والقوة العاقلة ، من صنعها ، وقد  
صدرت لا عن تدبير وقصد سابقين عليها ،  
ولكن عن الاتفاق المحض ، وإنما جاءت  
محكمة ومتناسبة ؛ لأنها نشأت عن قوى  
منتظمة لا يتسرب إليها أقل اختلال ،  
وما كان كذلك فلا يعقل أن يصدر منه إلا  
كائنات منتظمة .

أولها : أن الضمير الأدبى ثمرة التربية  
والعرف .

ثانيها : أنه نتيجة تشارك الأفكار  
والتعود .

ثالثها : أنه أثر من آثار ناموس التطور  
والدراسة .

مؤدى الشكل الأول : أن الضمير الإنسانى  
يميز بين الخير من الشر على مقتضى ما لقنه  
من أبويه ، ومن المجتمع الذى يعيش فيه .  
ودليل القائلين بهذا رأى من أمثال  
الفيلسوف الانجليزى هوبز وهلفتيوس ،  
أن الخيور والشرور كثيراً ما تختلف عند  
الأمم . فلو كانت صادرة عن غريزة طبيعية ،  
أو عن حكم عقلى ثابت ، لما اختلفت  
إلى هذا الحد .

ومؤدى الشكل الثانى : أن الضمير نتيجة  
تشارك الأفكار والتعود ، والعامل الرئيسى  
فيه هى قيمة النفع العائد على الإنسان من أعماله ،  
وتأثيرها فى تحسين أحواله .

وقد سرف القائلون بهذه النظرية ، وعلى رأسهم  
الفيلسوف الانجليزى ( ستيوارت ميل ) ،  
كيف ينشأ الضمير الأدبى فى الأفراد ، فقالوا :  
لا يخلو أى مجتمع من قوة وازعة تسهر  
على الأمن العام ، وعلى الفصل بين المتنازعين ،  
وعلى الهيمنة على حفظ كيان الجماعة ، فهى  
لا تنفى فى النهى عن الرذائل ، وعن الأمر

يجب علينا أن ندحض شبهات أصحاب نظرية التطور والآلية الوجودية، فإن هذا المذهب وإن خدع بسهولة بعض العقول، فإنه قد تبين لأهل العلم فسادُه بأدلة لا تقبل النقص، ولزم أشياءه السكوت.

يسهل على الباحث العرضي أن يشبه العالم وما فيه من القوى بأداة مولدة للكائنات على سبيل الاتفاق، وتحليلتها بكل ما هي في حاجة إليه تحت تأثير الضرورة القاهرة، ولكنه يصعب بل يستحيل عليه أن يعقل ذلك أو يقيم عليه شبه دليل، لابتناء جميع عناصره على افتراضات.

لقد كفانا العلماء مئونة دحض هذا لأن الاتجاه العلمي تحول إلى مذهب العلامة الهواندى دوفريس، الذى أثبت عملياً في العهد الحديث ظهور الأنواع الحية الجديدة، حاصلة على جميع مقوماتها وغرائزها، طفرة، فسقط بذلك قولهم بضرورة التطور في الآماد الطويلة، وبنشوء الغرائز بالتعود وتوريثها للأخلاف، وبزوال هذين الأصلين ماذا بقي من نظرية التطور التدريجي، ومن معنى الانتخاب الطبيعي، ومن رأيهم في نشوء الغرائز، وفي وراثة الصفات المكتسبة.

اللهم لم يبق شيء أصلاً.

وبثبوت حدوث الغرائز المحيرة للعقل

والضمير الأدبي لا يشذ عن هذه القاعدة، فليس هو بشيء قائم بنفسه، ولا بمتمنزل من عالم أرفع من هذا العالم، ولكنه من متولداته كالروح والعقل وما نشأ فيهما من العلم والحكمة والعبرية.

والضمير الأدبي في نظرهم بدأ تولده في الحيوان، فإن الحاجة الحيوية حتمت عليه القيام على نظام خاص في معيشتة، وأورث هذا النظام أخلافه، وكلما ترقوا فيه وصار فيهم صفات راسخة، أورثوه ذرائعهم حتى نشأ الإنسان فكان حاصلاً على ما ورثه من آبائه الحيوانيين.

وبما أنه أوتى حظاً من انتظام الجمجمة، وتناسب الأعضاء، وتابع طريقه في الارتقاء تمت عوامل النواميس، فوصل إلى معقولات أولية، وأصول أدبية اضطرارية لا اختيارية، وأورثها أخلافه، وما زال يترقى ويورثهم صفاته المكتسبة، حتى تكون لهم ضمير أدبي ظنه الفلاسفة هبة سماوية، وهو في الواقع من إملاء الحاجات عليه في آماد لا تحصى، فنظروا إليه في حالته الراقية، ولم ينظروا إليه أيام كان لا يفرق عن ضئائر القردة وما دونهم من العجائز.

تحليل هذه المذاهب والنظر في أداتها:

قبل أن نكتب كلمة واحدة فيما نحن بصدد

جرماً ، وما تعده الأولى حسناً تعده الثانية قبيحاً . فهو يتطور في كل منها على حسب تغير الزمان والمكان والاختيار .

ثالثها : أن الضمير الأدبي متناقض عند الأمم المتمدينة .

ونحن نقاش كل شبهة من هذه الشبهات بغية الوصول إلى حقيقة ثابتة يثالج الصدر عليها فنقول :

١ - إن عدم وجود الضمير الأدبي عند الجماعات المنحطة التي لا تمتاز كثيراً عن الحيوان الأعجم ، لا يدل على أنه ليس موجوداً فيها بالقوة ، كما لا يدل على وجود الفلسفة لديها على أنها ليست موجودة لديها بالقوة وإذا كان لا يجرؤ على القول الأخير إنسان يعتد بعقله ، فكان يجب ألا يجرؤ أحد على القول الأول ، وإلا فهل كان يريد أن يكون الرجل الذي لا يفرق عن العجماوات إلا في التلفظ بيضع عشرات من الكلمات الساذجة ، ومضطر لأن ينقل عنها ما تصنعه من بيوتها التي تأوى إليها ، ووسائلها التي تستخدمها للحصول على فرائسها إلخ ، وهو مع ذلك مهذب في كل آونة من وجوده بغارات الوحوش ، وعاديات الطبيعة ، وهل كان يريد المعارض أن يكون لمثل هذا الرجل ضمير أدبي كالذي عند من أمن على نفسه وذويه ، وبلغ

للحيوانات الحفيرة ، هبة من غير كسب ، يسهل تصور أن يمنح الإنسان ضميراً أدبياً هبة من مبدعه من غير كسب ؛ لأنه من ضروراته في درجة حواسه الخمس .

لا جرم أنه يصعب جداً على الإنسان أن يعتقد بأن الصانع جل شأنه يلهم الحشرات الدنيا بوسائل يستحيل عليها تحصيلها لحفظ ذواتها وأنواعها ، ولا يودع في قلب الإنسان غريزة أدبية يميز بها الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، فالفلاسفة الذين قالوا بهذا الرأي هم في نظرنا على حق ، ولكن هل لدينا من دليل على ذلك نكافح به في سبيل تثبيت هذه العقيدة في النفس ؟ .

نعم ، وهو دليل محس لا يترك ريبة في النفس ، ولا طريق إليه إلا بعد إيراد المناقشات التي تثور عادة حول هذا الموضوع . مناقشات فلسفية حول الضمير الأدبي للإنسان :

تنحصر شبهات الماديين على فطرية الضمير الأدبي للإنسان في ثلاثة أمور :

أولها : أن ليس للجماعات المنحطة ضمير أدبي على الإطلاق .

ثانيها : أن الضمير الأدبي في الجماعات التي اجتازت أدوار الاجتماع الأولى يوجد مناسباً لحالتها الأدبية ، وهو يخالف في كل منها ما عليه في غيرها . فساتعده جماعة واجبا تعده الأخرى

مدنى بطبعه ، أرادوا بذلك أن توجد الجماعات الساذجة على أرقى الأصول الاجتماعية ، من الدرجة التي تشاهد لدى أرقى الأمم الأوربية وهل قدح في هذا الأصل العلى وجود جماعات أولية في مثل ما عليه الحيوانات العجم من الفرفة والقشتت بحيث ظنهم كثير من العلماء من أنواع القردة المرتقية .

٣ - كما أن ما يشاهد من الخلافات في الضمير الأدبي لدى الأمم المتعدنة ، لا يقدح في وجوده فطريا في النفس البشرية ، كما لا يقدح اختلافها في أصول الاجتماع ، وأصول الحكم ولا تؤثر خلافاتها في الضمير الأدبي في أن الإنسان مجبول عليه من أصل الخلقة . هذا ولقد قام في العالم الإنسانى في العهد الأخير غلاة من الاشتراكيين ، إرتأوا أن أصحاب العاهات أسباب وهن في المجتمعات ، فيجب إبادتهم وإبادة من يجد منهم حتى لا يكونوا عبئا ثقيلا عليها . وهذا رأى من الوجهة العلمية البحت صحيح ، ولكنه من الوجهة الإنسانية التي يتحكم فيها الضمير الأدبي لا يمكن إساغته ، ولذلك عدت الإنسانية هذا القول هراء محضاً ، وأزرت بقائليه واعتبرتهم غير جديرين بالاحترام ، فصمتوا في وسط سخط العالم وسخريته .

غاية بعيدة من العلم والوسائل الحيوية ، وماذا يفيد ذلك الضمير لو كان له وهو في تلك الحالة المزعجة والحياة المضطربة ؟ .

ولكن قد يكون لهذه الشبهة وزن إن ثبت عن هذا الرجل أنه لبث على حاله الأولى مجرداً عن الضمير الأدبي بعد أن أمن شر العوادي عليه وعلى أهله وجتمعته ، وبعد أن وصل إلى حالة من الرخاء والنظام الاجتماعى تسمح له بالانتفاع بما أودع في جبلته من المواهب الأدبية ، والصفات العلوية ، وهذا لم يحدث قط .

٢ - أما ما يشاهد من الخلافات بين الأمم في الضمير الأدبي لكل منها ، على حسب تباينها في البيئات، وتخالفها في شئون الحياة ، فهذا أمر طبيعى لا يمكن أن يحدث سواء ، فن الذى قال إن الإنسان خلق حاصلا على جميع ما هو في حاجة إليه من علم وأدب وصناعة وفن؟ أما رأيت أن كل هذه الشئون الضرورية لوجوده قد نشأت فيه نشوءاً تدريجياً واختلفت في كل منها عما هى عليه في غيرها على حسب اختلافات بيئاتها ، وتباينات أحوالها ؟ فهل يسوغ لمن يرى الشعوب على هذه الحالة من الخلافات العلمية والأدبية والصناعية والفنية أن يقول إنها مجردة من الأصول الجينية التى تولدها .

وهل عندما قال الاجتماعيون إن الإنسان

# تأثير الإسلام في العبادة اليهودية

## للأستاذ عباس محمود العقاد

وإن كل قول لا يستند إلى البحث ولا يستند إلى البحث فيه إلى الدليل فهو حديث من أحاديث الإشاعات ، إن لم نقل أحاديث الخرافات . والبحث الذي كان من الواجب أن يستقصيه « الباحث » المقارن بين اليهودية والإسلام إنما يقوم على دراسة الموضوع والأمة لا على دراسة الرقم التاريخي وحده والوقوف لديه بعيدا من موضوعه ومن أهله .

ولا يتم هذا البحث إلا إذا تناول أصالة اليهود فيما نقلوه من العقائد والأخبار ، ثم تناول السبق عامة ولم يتناول في ناحية واحدة من نواحيه ، وتناول جوهر الدين ولم يقنع منه بأسماء العناوين .

واليهود ليسوا بالأصلاء فيما تدينوا به من العقائد ونقلوه من الأخبار ؛ لأنهم لم يعرفوا أكثر هذه العقائد والأخبار قبل عهد عبوديتهم في بابل ، وكل ما كان مفتوح الباب لليهود فيما بين النهرين فقد كان مفتوح الباب أيضا لعرب الجزيرتين : جزيرة الدجلة والفرات وما يليها من أرجاء الجزيرة العربية . والسبق إلى النبوة عامة لم يثبت لليهود ، بل ثبت من كتب اليهود أنفسهم أن أنبياءهم

هذا اسم كتاب ألفه نفتالي فيدر Naphtali Wieder باللغة العبرية ونشرته مكتبة الشرق والغرب بأكسفورد وجعلت عنوانه بالانجليزية :

Islamic Influences on the Jewish Worship.

وعنوان الكتاب يغري بهذا السؤال : كيف يكون هذا التأثير واليهودية سابقة للإسلام ؟

وقد يتعرض القارئ المسلم أيضا لهذا الإغراء ؛ لأن تقدم اليهودية في تاريخ الدعوة يخيل إلى الكثيرين أن السابق في التاريخ أولى بالتأثير فيما يليه ، أو بسبقه إلى الشعائر التي يتشابهان فيها .

وهذا الخاطر « العرضي » هو مصدر تلك « الإشاعة » التي راجت في الغرب وكادت أن تثبت عندهم ثبوت المقررات العلمية ، فقال بعضهم : إن الإسلام نسخة مصحفة من اليهودية ، وزاد آخرون فقالوا : بل نسخة مشوهة من اليهودية والمسيحية ! ولم يبرأ من هذه العجلة رجل في طبقة الدكتور « شويتزر » في الثقافة والخلق ، كان من واجبه أن يعصم عقله أمام الإشاعة الرائجة ،

فوق تلك السماء العليا التي ارتفع لها الإسلام. فإذا كاف الباحث عقله أن ينظر إلى السبق التاريخي نظرة الإنصاف فليس لليهودية سبق على الإسلام ، وقد يكون السبق على خلاف ذلك للمسلمين على اليهود ، كلما نظرنا إلى أهل الدين في الزمن القديم أو في الزمن الحديث . ولقد بدأ البحث على هذا الأساس فثبت الثبوت الذي لا شك فيه أن اليهود تعلموا من المسلمين في لغتهم وأديبهم وحكمتهم ، وأن المسلمين لم يأخذوا من اليهود شيئاً غير تلك « الإسرائيليات » التي تناقلها الجاهل وأفلح المصلحون — أو كادوا — أن يفلحوا أخيراً في تطهير العقول منها والرجوع بها إلى الجادة الإسلامية في نظائرها من شعائر الدعوة المحمدية .

فلم تكن للغة العبرية قواعد نحو أو بلاغة قبل القرن العاشر لليلاد ، وهو القرن الذي تعلم فيه ( الرباني سعديا جاءون ) ثقافة العرب بمصر ووضع أول كتاب للقواعد العبرية وقواعد الفصاحة فيها ، وتلاه ( الرباني آودنيم نبي تميم البابلي ) فألف كتابه بالعبرية مقرونة بالعربية ، مفسرة بشواهد وأمثالها . ولم يكن في اللغة العبرية فن للعروض فتعلم شعراء اليهود هذا الفن من العرب بالاندلس ومصر ونظموا في لغتهم وفي لغتنا على الأوزان العربية .

الأول تلقوا علم الدين وشعائر العبادة من « ملكي صادق » وبلعام وأيوب وثيرون ... وثيرون كما جاء في العهد القديم هو الذي علم موسى عليه السلام علم التبليغ وإقامة الشريعة ، وهو الذي أمه وأم قومه لصلاة القربان ... وفي تاريخ العرب من أخبار الأنبياء ما ليس في تاريخ اليهود ، ومنهم صالح وهود وذو الكفيل عليهم السلام ، وكلمة « النبي » نفسها لم تكن معروفة عند اليهود قبل دخولهم أرض كنعان ، وإنما كانوا يسمون النبي بالرائي ورجل الرب على رواية العهد القديم .

أما المقارنة في جوهر الدين فالمعول فيها على المقارنة بين الفسكرة التي توحى الديانة في العقائد الجوهرية : وهي عقيدة الإله وعقيدة النبوة وعقيدة التسكليف .

والمقارنة بين هذه العقائد في الديانتين الإسلامية واليهودية هي بالإيجاز مقارنة بين « يهوا » والإله الواحد الصمد رب العالمين ، ومقارنة بين نبي التنجيم والخوارق وبين نبي الهداية والبلاغ المبين ، ومقارنة بين الحساب على سنة المحاباة والاختصاص بالخطوة وبين حساب العمل والنية واستقلال الإنسان بما كسب وبما أراد .

ولم يعرف النوع الإنساني ديناً رفع هذه العقائد إلى سماء من التنزيه والرشد والصدق



ولما ثار الرجعيون من رجال الدين اليهودي  
ثورتهم على هذه البدع المستحدثة سرت  
الثورة إلى الشعب في هذه المرة فقال الرئيس  
فنجاس نبي مشولم شيخ الطائفة بالإسكندرية :  
( هب الناس من جميع الأنحاء قائلين : نحن  
لا نحتمل أقوالكم التي ينقض بعضها بعضاً ،  
لأنكم تحلون ما تشاءون وتحرمون ما تشاءون .  
أليست هناك تقاليد أثرت عن أسلافنا  
ومن تقدمونا تحرم على الإسرائيل الصلاة  
وهو بحال الجنازة حتى يغتسل في الحمام أو  
يتطهر في البحر وينظف نفسه ؟ فكيف تجيزون  
الصلاة ودخول الكنيس وتلاوة التوراة دون  
اغتسال ؟ ... إذا كان الدين كذلك فنحن  
ذاهبون لنرفع أرونا إلى القضاء ( ١٩ ) .

والقضاء هنا هو القضاء الإسلامي في غير  
الشئون المالية التي يتولاها رئيس الطائفة ،  
مما يدل على اعتبار قضاء الشرع المسلمين  
مرجعاً للشعب ورجال الدين في هذه الأمور .  
وقد سئل موسى بن ميمون كثيراً في هذا  
الخلافا فكان يقول إنه لا يرى في كتب  
السلف الأولين ما يوجب غسل الجنازة ،  
ولكنه يغتسل بحكم العادة حيث عاش ونشأ  
في بلاد المسلمين .

وتغنيينا أقوال الأخبار بأقلامهم وألسنتهم  
عن بيان أطوار الرقي الاجتماعي والخلق  
الذي سرى إلى عبادات القوم وعاداتهم بعد  
الاقتداء بأدب الصلاة الجامعة عند المسلمين

وكان فيلسوفهم موسى بن ميمون تليسد  
فلاسفة المسلمين في المغرب أول من كتب  
عندهم في حكمة ( التوحيد ) واستثنى المسلمين  
من الأمم التي تنهى التوراة عن التهود  
بعاداتهم ؛ لأنهم مؤمنون يعبدون الإله  
الأحد ولا يشركون به إلهاً آخر .

وكتاب اليوم يتقدم بالبحث خطوة أخرى  
فيقابل بين عبادات اليهود قبل اتصالهم بالمسلمين  
وعباداتهم بعد هذا الاتصال ببضعة أجيال ،  
فيثبت المؤلف أن القدوة بالمسلمين عادت باليهود  
إلى إحياء السنن التي هجروها من عباداتهم الأولى  
وعلمتهم سنناً أخرى لم يعملوها ، ومنها شعائر  
في صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل ونظام  
الصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات .

وينقل المؤلف نصوص التلبود التي لم يرد  
فيها ذكر للوضوء أكثر من غسل اليدين ،  
ثم ينقل وصايا الأئمة المتأخرين ووصايا  
الشعراء الذين تبعوهم بنظم القصيد لترغيب  
الشعب في هذه النظافة المستحبة ، وأشهرهم  
( مناحيم دى لوزان ) الذي قال في بعض  
شعره : ( تطهر من رجس المتاع ووقائع  
الليل الجسدية ولا يكن العرب والليديون  
والليديون أكثر منك طهارة وهم يغسلون  
أيديهم وأرجلهم ورووسهم بالماء وفي الفجر  
وظهراً وعشية ، وكذلك ليلا حين يشتد  
البرد ويسقط الثلج )

وكل من يعرف الصلاة يصلى معه في همس والأحداث يسمعون ويركعون جميعهم مع الإمام والشعب كله متجه إلى الهيكل ينجز كل منهم فريضة ويسير الأمر على ما يرام ويتمتع التكرار الطويل ويزول تدنيس اسم الله ، وقد شاع بين الأمم إل اليهود يبصقون ويثرثرون في صلاتهم لأنهم يشاهدون ذلك أينما رأوهم يؤدون الصلاة ، وهذا هو الصحيح على الأكثر ، كما أرى ، لما ذكرت من أسباب ) .

قال المؤلف : ( ولما كان الميموني قد نظر إلى الحالة في الكنيس من خلال مرآة المسلمين وكان يخشى مما تقوله الشعوب فقد رأى نفسه يوصى ويعمل عمله للقضاء على هذه الحالة ) . وكانت خير وسيلة للقضاء عليها في تقديره أن يسلك قومه في صلواتهم الجماعة مسلك المسلمين ، بعد الاقتداء بهم في فرائض الوضوء والتطهر ورعاية أدب المسجد من جميع الوجوه .

ومن الكلام على الوضوء والصلاة يستطرد المؤلف إلى الكلام على سائر الفرائض وعلى العقائد الروحانية التي لا تدخل في باب الشعائر الحسية ، مما يضيّق عنه هذا المقال ونلم به إن شاء الله في مقال تال ؟

في المغرب والمشرق ، فوُلف الكتاب العبري ينقل عن الرباني الفيلسوف موسى نبي ميمون إنه فصل علة الوصية التي دعا فيها إلى إلغاء صلاة الهمس في المعابد الإسرائيلية فقال : ( إن الذي دعا إلى هذا النظام هو انصراف الشعب إلى النظر أمامه أثناء الصلاة ، فيحدث كل منهم إلى جاره أو يخرج من الصف والكاهن يتلو تسيبحاته وتبريكاته على غير جدوى ، إذ ليس هناك من يستمع إليه ، وإذا رأى الشعب الأحداث من المتعلمين وغيرهم يتجاذبون أطراف الحديث ويبصقون ويسلكون أثناء الصلاة سلوك من لا يشتركون فيها يفعل مثلهم ويدخل في روعهم أن الصلاة مقصورة على ما يهمس به الكاهن ولا يسمعون ... ) .

ويقول ابن ميمون في موضع آخر : ( وإن الإمام إذا عاد إلى الصلاة بصوت مرتفع نرى كل من فرغ من صلاته يستدير ليثرثر مع رفيقه ويناجيه في خاصة أمره ، ويحول وجهه عن الشرق ويبصق ويتشبه به الأحداث فيفعلون فعله ، ويظنون أن ما قاله الإمام لا يعتمد عليه أو عليهم ، ومن ثم يخرج جميع الأحداث وهم لم ينجزوا واجبه ويبتل الغرض الذي من أجله يرتل الإمام صلاته ... وفي الحق لا يصلى الجمهور في همس أبداً بل يصلى الجميع بعد الإمام صلاة واحدة في قدسية وخشوع ،

# مُحَنَّا زُفَرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَرَنِ

## الدَّيْبَاجُ الْخَسْرَوَانِي

لِصَّحْبِ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ

قال صميم عبد بن الحساس وكان المفضل الضبي يقول : قصيدة الأسود — يعنى  
صحبا — ديباج خسروانى :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا	كنى الشيب والإسلام للبرء ناهيا
ليالى تصطاد الرجال بفاحم	تراه أثيثا ناعم النبت عافيا
وجيد كجيد الريم ليس بعاطل	من الدر والياقوت والشذر حاليا
كأن الثريا علقت فوق نحرها	وجمر غصاً هبت له الريح ذاكيا
أرتك غداة البين كفاً ومعصا	ووجهاً كدينار الهرقلى صافيا
فما بيضة بات الظلم يحفها	ويرفع عنها جوؤاً متعاليا
ويجعلها بين الجناح ودفه	ويفرشها وحفاً من الزن وافيا
بأحسن منها يوم قالت : أراحل	مع الركب أم ثاو لدينا ليااليا
فإن تشو لا تمل وإن تك غاديا	تزود وترجع عن عميرة راضيا
ألكنى إلهيها عمرك الله يا فقى	بآية ما جاءت إلينا تهاديا
تهادى سيل فى أباطح سهلة	إذا ما عملاً صمداً تفرع واديا
ففاءت ولم تقض الذى أقبلت به	ومن حاجة الإنسان ما ليس قاضيا
وبقنا وسادانا إلى علجانة	وحقف تهاداه الرياح تهاديا
تو سدننى كفاً وثنى بمعصم	على وتحنو رجلها من ورائيا
أميل بها ميل الزيف وأتقى	بها البرد والشفان من عن شماليا
فما زال بردى طيباً من ثيابها	إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
وقلن لصغراهن أنت أحقنا	بطرح الرداء إن أردت التباهيا
تمارين حتى غاب نجم مكبد	وحق بدا النجم الذى كان تاليا

وحق أنار الفجر أبيض ساطعا      كأن على أعلاه ريطا شاميا  
فأدبرن يخفضن الحديث كأنما      قتلن قتिला أو أتين الدواهيا  
وأصبحن صرعى في الحال كأنما      شربن مدا ما أو سرين لياليا

قال المفضل : كان عبد بن الحسحاس أسود طمطانيا إلا أنه كان حسن الشعر رقيق  
الالفاظ وأتى به أول ما قال الشعر عثمان بن عفان فقيل له : اشتره فإنه شاعر ، فقال :  
لا حاجة لي فيه ؛ لأن العبد الأسود إذا كان شاعرا وجاع هجا مواليه ، وإذا شبع شذب بنسائهم ،  
وهو آخر أمره مقتول ، وكان الأمر كما قال ، وسأل عمر بن الخطاب يوما أهل مجلسه  
عن الذي يقول : « كفى الشيب والإسلام للدم ناهيا » ، فقيل : عبد بن الحسحاس ، فقال :  
لو قدم الإسلام على الشيب لقرضت له .

## الإيجاز

قال أبو العباس :

من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المفخم . وقد يقع الإيما إلى الشيء فيغنى  
عند ذوى الألباب عن كشفه كما قيل « لمحّة دالة » .

وقد يضطر الشاعر المفلق والخطيب المصقع والكاتب البليغ ، فيقع في كلام أحدهم  
المعنى المستغلق واللفظ المستكره . فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عواره .  
وسترتا من شينه . وإن شاء قائل أن يقول : بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ،  
ومجاورته له أشهر ؛ كان ذلك له . ولكن يغتفر السي للحسن ، والبعيد لل قريب .

فمن ألعاظ العرب البينة القرينة المفهمة ، الحسنة الوصف ، الجميلة الرصف  
قول الخطيئة :

وذاك فنى إن تأته فى ضيعة      إلى ماله لا تأته بشفيعة  
وكذلك قول عنتره :

يخبك من شهد الواقعة أننى      أغشى الوغى وأعف عند المغنم

# الكتاب

في بلادى الجميلة

للدكتورة نعمات أحمد فؤاد

١ — أصدرت الكاتبة البليغة الدكتوراه نعمات أحمد فؤاد كتابين في هذا الشهر أحدهما (النيل في الأدب المصري) والآخر (في بلادى الجميلة) وسنقدم هذا الكتاب بالمقال الذى قدمه به إلى القراء الأستاذ رئيس التحرير . أما الأول فلنا إليه عودة .

والطبع أكثر مما ترجع إلى الاستبداد والجهالة . . . وفعل المقاربة (تكاد) يمنع من إطلاق الحكم على شاعرية المرأة ؛ لأن المفهوم الشائع أنها انفعال مجسد وإحساس مرهف وتعبير بارز . وربما يصحح هذا المفهوم أنها على الجملة لم ترزق الخيال المنحج ولا التأمل العميق ولا التصوير المجرد ولا التفكير المستقل . إنها منذ خلقها الله من ضلع آدم مصابة بالتبعية للرجل . فالحب مثلاً وهو أخص صفاتها الطبيعية تشعر به أشد الشعور ، ولكن حيائها الذى تأصل فى طبعها من حيالة الرجل لها ورقابته عليها يمنعها من التعبير الحر عن هذا الحب فتتركه للرجل . ولو أنها تغلبت يوماً على هذا الحياء بجرأة الحرية وضعف الوازع ففعلت ما فعلته الكاتبة الفرنسية فرنسواز ساجان ، أو الكاتبة العربية خولة الخورى (١) لكان ذلك بدعا فى المجتمع يسترعى النظر ويستدعى الفضول .

الأدب العربى — وإن شئت قلت الأدب العالمى — فقير فى أدب المرأة . ومعنى الفقر هنا يقترب كثيراً من معنى الخلو ، لأنك إذا عدت إلى مراصد التاريخ تراقب منها سموات الأدب فى الشرق والغرب لا تجد فى آفاقها الرُّحْب إلا نجمة تلمع من حقبة إلى حقبة لمعان السها تظهر من بعيد لتختفى من قريب ! . وهذه الأنجم النوادر يلعبن فى الأدب لا فى العلم ، وفى النظم لا فى النثر ، وفى فن الرجل لا فى فن المرأة ! .

تستطيع إذن أن تضرب الأمثال على ضالة الأدب الحوائى بجانب الأدب الأدبى من كل أدب فى كل بلد وفى كل زمن ؛ لأن هذه الظاهرة عامة تكاد ترجع إلى الاستعداد

(١) سماها جدها فارس الخورى ( خولة ) وأبت إلا أن تسمى نفسها ( كوليت ) ! .

في الشرق ، وإذا تذكرت أن هذه النادرة ملحوظة في أدب اليونان والرومان وفي أدب الهند والفرس ، وفي أدب اللاتين والسكسون أدركت أن هذه الظاهرة المحيرة أعمق من أن تحلل في كلمة موجزة ، وأوسع من أن ترد إلى سبب واحد

خذ الأدب العربي مثلاً : شغل هذا الأدب العريق الزمن من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن العشرين ، وطبق الأرض من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب ووسع آداب الخليفة منذ طفولة الإنسان إلى اضمحلال الحضارة العربية . وأنت مع ذلك إذا عرضت عصوره الخمسة على ذاكرتك لا تجد فيها من نوايغ النساء في الأدب إلا الخنساء وتوابعا من خمرنق بنت بدر ، وليلى بنت لكيز وجليلة بنت مرة في العصر الجاهلي ، وإلا سكيمة وليلى الأخيلية بين تسعين شاعراً في العصر الأموي ، وإلا عليّة بنت المهدي في العصر العباسي ، وإلا ولادة بنت المستكفي وحمدونة في العصر الأندلسي ثم تنتظر طويلاً لتعثر في طوايا ذاكرتك على السيدة عائشة الباعونية تنقل بين دمشق والقاهرة في أوائل القرن العاشر الهجري ! نعم أوافقك على أن في الآفاق السحيقة نجيحات دقاقا لا يدرك ضوؤها المرصد ، ولكن ذلك على صحته لا يبنى النادرة ولا يغير

والبغض أيضاً يساير الحب في طبيعة المرأة ، فهي تبغض ولكن بغضها من نوع خاص لا يطلب التعبير العلني وإنما يكسفي بزفرة في الصدر أو بعبرة في العين . وهي لا تخطر ببالها أن تمدح المستجدي أو تهجو المستعدي ، فإن الرجل قد آمنها من الجوع والخوف بكفه وسيفه .

دنيا المرأة هي عش الزوجية الذي تحلم به وهي في رعاية الأب ثم تستكن فيه وهي في حماية الزوج ، وكل آلتها لهذا العش جمال وحب تمسك بهما الرجل ، وحنان وعطف ترأم بهما على الولد . والتعبير عن هذه العواطف الطبيعية يكون بالفعل لا بالقول ، وبالشعور لا بالشعر ، فإذا خرجت عن دنياها الخاصة إلى الدنيا العامة قففاعلت مع الأحداث ، وتأثرت بأحوال الناس حملت نصيبها من أمانة الأدب ورسالة الفكر .

في هذه النواحي العضوية والنفسية والاجتماعية يجب أن تتلس الأسباب الجوهرية لندرة الأدب النسوي في العالم قديمه وحديثه وشرقيه وغربيه ، فإن تلس هذه الأسباب في حرمان المرأة من الحرية وتخلّفها في الثقافة وانزاعها عن المجتمع لا يعلل هذه الندرة في الغرب ، وإن تلسها في انكبابها على العمل وانغمارها في المادة وانطلاقها من القيد لا يعلل هذه الندرة

المسكنون في كل نفس وهو الأدب فعبثت به عن مشاعر شعب أو أحاسيس عالم ، مصداق ذلك تجده في أدبنا النسوي في هذا القرن على تفاوت شديد فيه بين ربه الأول وربه الثاني . تيقظت المرأة المصرية على صيحة قاسم أمين ، ولم تكده تسمح عن جفنها فتور الكرى الثقيل الطويل حتى ضاقت بالحجاب وبرمت بالقييد وتطلعت من خصائص الأبواب وثقوب النوافذ إلى المراد الرحب والفضاء الفسيح والشارع اللجب ، فقررت أن تحطم القيد وتسكسر الباب وتهصر الستار وتخرج إلى الدنيا لتشارك الرجل في العلم والعمل والأمل ، فتفعل كما يفعل وتقول كما يقول وترجو كما يرجو . وساعدها على هذه الانطلاقة حدوث الهبة العامة في مصر عقب الحرب العالمية الأولى ، وسهولة النشر والإعلام بالطباعة والصحافة والإذاعة . وكانت البواكير الأدبية بالحقل النسائي قد أخذت أكامها تتشقق عنها في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، فظهرت وردة اليازجية وعائشة التيمورية وزينب فواز وأنيسة وعفيفة الشرتونيتان وليدة هاشم ومالك ناصف ومى زيادة .

ثم اكتمل شباب الربيع واكتهل غراس النهضة فظهرت الطليقة الثانية من الأدبيات وكانت أنضر عوداً وأذكى أريجاً وأعلى ثمرأ

النسبة ، فإن في الرجال أيضا آلافا غمصرهم الخول فلم يقعوا في سجع الزمان وبصره لا بالرواية ولا بالرؤية .

أما ما روى عن أبي نواس من أنه لم يقل الشعر إلا بعد أن حفظ شعر ستين امرأة ، وما روى عن الخوارزمي من أنه قصد صاحب بن عباد بأرجان . فلما وقف ببابه ذهب الحاجب إلى صاحب وقال : إن بالباب أدبيا يستأذن في الدخول فقال الوزير : قل له قد ألزمت نفسي ألا يدخل على إلا أديب يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب . فقال أبو بكر للحاجب ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ فلما أخبر بذلك صاحب قال هذا أبو بكر الخوارزمي ، فإن ذلك وشبهه إذا أطفأت لمعة التقوية والتحويل فيه لا يبقى تحت النظر منه إلا تلك المقطعات التي جمعها الرواة واللغويون من شعر أعرايات مجهولات كن يشدنه إلهاء لأنفسهن وهن يهددن الطفل أو يدرن المغزل أو يرعين القطيع .

\* \* \*

قلت إن المرأة الموهوبة إذا خرجت من نفسها إلى الناس ، ومن بيتها إلى المجتمع ، فشعرت بالشعور العام وأسهمت في الوجود المشترك ، تفتحت قريحتها عن الجزء الإلهي

لقد كتبت نجمات في البحث والنقد والوصف والتراجم، ولكن هذه الفنون المختلفة يؤلف بينها أسلوب واحد إذا عرفته عرفت طريقته في هذه الفنون وحقيقتها من هذه المعاني.

إن الأسلوب مركب فني من عناصر مختلفة يستمدّها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه، تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف، ثم الألفاظ المركبة والمحسّنات المختلفة والموسيقية المعبرة. والمراد بالصورة إبراز المعنى العقل في صورة محسّنة، وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفّر منه. والأسلوب بهذا المعنى لا يكتسب بالتعليم ولا بالتقليد. وإنما هو هندسة روحية وملسكة ذهنية تتمثلان في قالب معنوي غير موصوف ولا معروف تخرج منه الفكرة والعاطفة والخيال والصورة منسقة على الوضع الذي ارتضاه الذوق الرفيع في الإنسان الذي عليه الله البيان وآتاه الحكمة.

ولعلنا إذا استثنينا النساء الشواعر في القديم والحديث لا نجد في الكاتبات العربيات من ينطبق على أسلوبهن هذا الوصف إلا كاتبتين اثنتين في هاتين الطبقتين: الأولى في الأولى هي زيادة، والأخرى في الأخرى نجمات فؤاد. ذلك لأن أسلوبهما يتميز من سائر الأساليب النسوية بالشاعرية والآنافة والتنويع والتلون والحركة. وتزيد نجمات على صاحبها

وأعلى فائدة. طبقة سهر القلبواى وعائشة عبد الرحمن ونجمات فؤاد ووداد سكا كيني وفدوى طوقان ومالك عبد العزيز ونازك الملائكة وروحية القليني ثم جاذبية صدقي. وقد تقسمن الفنون الأدبية على حسب استعدادهن واجتهادهن، فمنهن الناقدة البصيرة والباحثة المحققة والكاتبة البليغة والأدبية الموفقة والشاعرة الرقيقة والقصصية المجيدة. ولكل واحدة منهن أسلوب في النشر أو النظم صاغته من طبيعتها ونشأتها وثقافتها واستعدادها، فيه الغموض والاختلاط، وفيه الوضوح والتميز ومنه الوصف الرصين السليم. ومنه التقريرى السقيم المهمل. ولست هنا بسبيل البحث الموضوعي في هاتين الطبقتين فأبين العوامل المؤثرة فيهما، والخصائص المميزة بينهما، وأحلل الأعمال الصادرة عنهما فإن ذلك موضعه تاريخ الأدب. إنما أنا في هذه الكلمة بسبيل كاتبة وكتاب. الكاتبة هي الدكتورة نجمات فؤاد، والكتاب هو كتابها الحادى عشر (في بلادى الجميلة)، وما أريد أن أعرض لنجمات هنا إلا من جهة الفن، ولا لفنها اليوم إلا من جهة الأسلوب. ومن يعرض لفن الكاتب وأسلوبه بالكشف والوصف والتحليل فقد عرض لكل شيء فيه. وهل الأسلوب كما قيل بحق إلا الكاتب أو الكاتبة في صورة مؤتلفة من عقله وفكره وشعوره وخلقه وذوقه وطابعه؟



إلى غيره . إن أسلوب نعمات أصيل صادق ، لأنه ينم عن طبيعة المرأة ويكشف عن جوهر الأنوثة . ولا يشاركها في هذه الخصيصة إلا الآنسة م . أما غيرهما من الكاتبات النوابغ ففقدن قرأهن الأسلوب الجزل والبيان المحكم والرأى النضيج ، ولكنك تسكشف من وراء ذلك محاكاة الرجل في خولة منطق وطريقة فنه .

أنت من نعمات بين زوج وفيه وأم رءوم وأخت مواسية ومواطنة مخلصه وعاشقة للنيل تنشد على ضفافه الحضر أناشيدها المؤلفة من عبرات لميزيس ، وضحكات كليوباتره ، وصلوات عمر وغزوات صلاح الدين .

ونعمات منك بمثابة بياتريس من داتني تطوف بك في بحال الطبيعة ومشاهد الكون ( في الورد ) و ( في الريف ) و ( في الليل ) و ( في المقطم ) و ( في الهرم ) و ( في الفرح ) كما طافت بالشاعر الإيطالي حبيبته الروحية المهمة بحال الفردوس ومشاهد عدن .

حاشاك أن تحمل كلامي عن نعمات على المجاملة والمهاوأة لأنها امرأة . وللنساء على الرجال لين القول وحسن المصانعة ، إنى أقول وبين يدي الدليل وأحكم وأمام عيني السند . اقرأ على سبيل المثال مقالها في ( البيت ) أو في ( الريف ) أو في ( المدرسة ) أو في ( الطريق ) أو أى مقال شئت ، ثم حاول من طريق الفن أو من طريق الذوق أن تطبق

بالعمق والدقة والسلامة وتوليد المعنى من المعنى ومزاوجة اللفظ للفظ واستبطان دخائل الموضوع واستقصاء أطرافه حتى لا تدع فيه معنى يخطر على بال . وكل ذلك في غير تكرار ولا إملال ولا سقط ، وكل ذلك في حسن نسق وجمال إيقاع من غير تسكف ولا شطط .

وموسيقى نعمات ألحان من المعنى وأنغام من اللفظ لا يبلغ بدونها الكلام ، ولا يقوى بغيرها الأثر . وهى موسيقى معبرة لأنها من بنية الأسلوب فى باطنه ، لا من حلية التركيب فى ظاهره . وهى فى بعض الكتاب والكواكب سجية وطبيع ، فكما لا يستطيع البلبل أن يكون غراباً ينبغ ولا ضفدعاً تنق كذلك لا يستطيع الفنان الصادق أن يكون نجاً على الذوق ولا ثقيلاً على الأذن .

أذكر أن نعمات كانت فى بعض أعمالها أمينة للجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فكانت تكتب محاضر الجلسات بالأسلوب الرفيع تختار له اللفظ الملائم ، وتنق له التعبير المؤدى ، ولكن أعضاء اللجنة وهم من أقطاب الكتاب أنكروا عليها أن تستبدل بأسلوب الدواوين أسلوب البيان والتبيين . فأثرت أن تظل بلبلًا يطرب على أن تصير غراباً ينبغ ، وانصرفت عن هذا العمل

## ٢ - الملهود فى الرنء :

للأستاذ أبى الحسن الندوى .

هذا كتاب جديد للأستاذ الندوى عضو الجمع العلمى العربى بدمشق ، ومعتمد دار العلوم ، ندوة العلماء بالهند نشرته مكتبة دار الفتح بدمشق .

الكتاب دراسة اشتملت على دور المسلمين فى حضارة الهند وتراث العلماء المسلمين العلمى وعنايتهم باللغة العربية ، ومدى تأثيرها فى اللغات الهندية ، ومراكز العلم والثقافة ، والدور الذى قام به مسلمو الهند فى تحريرها ، ثم تناولت الدراسة مشكلاتهم ، وأثر الصوفية فى المجتمع الهندى .

إن هذه الدراسة عرضت تاريخاً مضى للمسلمين بالهند ويهمننا منه ما يلفت الأنظار إلى الدور الرئيسى الذى قام على عواتقهم ، والأستاذ الندوى يقرر أن مركزهم كان القائد فى الحركة التحررية ، وهذا طبيعى لأنهم هم ولاية البلاد وسادتها حين احتل الانجليز الهند ، ولا ينسى التاريخ فضال السلطان تيبو ( فتح على خان ) المتواصل وتعبئة المجاهدين للقتال حتى سقط شهيداً فى الميدان ، ولم ينقطع فضال المسلمين حتى نالت الهند استقلالها وزعيم الهند الإسلامى الكبير مولانا ( أبو الكلام آزاد ) يومئذ رئيس المؤتمر الوطنى الهندى .

كما عرضت هذه الدراسة لحاضر المسلمين فى الهند اليوم وهم أكثر من أربعين مليوناً ، فتناولت مشكلاتهم التى يعانها ويحاول

ما وصفت لك من أسلوبها على ما قرأت أنت من كلامها ، فإذا لم تخرج من التصور إلى التصديق ، ومن التطبيق إلى التحقيق جاز لك أن تقول لى رجل يقول على الأدب بغير علم ، وبحكم على الأدباء من غير بيذة .

\* \* \*

ذلك بعض القول فى الكتابة ، أما الكلام عن الكتاب فقد تضمنه الكلام عن أمه . وإن الثمره فيها سر الشجرة كله ، فهمها أقل لك إن الشجرة ريانة الأصول فينانة الفروع رفاة الورق ورافة الظل حلوة الجنى ، لا تجد فى هذا القول على صدقه من الكفاية والرضا ما تجده فى الثمرة حين تقطفها بيديك ، وترمقها طويلاً بعينيك ، ثم تدسها فى فمك ، فتذوق من حلاوة العصير ، وتشم من فوحة العبير ما يقنعك أن النبعة كريمة وأن الشجرة مباركة : لقد حدثتك عن الكتابة لأنها لا تتحدث عن نفسها ، أما الكتاب فسأدعه وإياك ليحدثك عن نفسه .

أحمد حسن الزيات

كنت أود أن يكون كتاب الأستاذ الندوى معنياً بعناية أكبر بمشكلات المسلمين في الهند ، بل قاصراً على هذه المشكلات ، وقد ذكر أنه إنما قدم ردوس المشكلات ، وفهم من هذا أن هناك مشكلات أخرى لم يتعرض لها ، ولست أدري لم لم يتعرض أستاذنا المشكلة الكبرى ( الدعوة الإسلامية ) عرضاً واضحاً يضع فيه النقط على الحروف كما فعل في غيرها ، لا سيما وأن التعصب وحده اليوم هو الذى يتعقب الدعوة الإسلامية ويقف لها بالمصاد .

\* \* \*

### ٣ — الفكر العربى ومطامير التاريخ للسرديلاش أوليرى

هذا الكتاب من كتب وزارة الثقافة والإرشاد، نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة وقام بالترجمة والتعليق الدكتور تمام حسان وقام بالمراجعة الدكتور محمد مصطفى حلى رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة كلية الآداب .

المؤلف مستشرق نمساوى ومؤلف الحضارة الإسلامية ، والكتاب دراسة عميقة وعلى جانب من الخطورة أيضاً ، قسمه اثني عشر فصلاً : تناولت الصورة السريانية للهلينية ، العهدين العربى والعباسى : دور الترجمة ، المعتزلة ، فلاسفة الشرق والمغرب ، التصوف الإسلام السلفى ، النقلة اليهود ، ثم أثر الفلسفة العربية فى المدرسة اللاتينية .

فى هذه الجولة ( الممتعة ) يقرر المؤلف :

التغلب عليها ، بعضها نتيجة أخطائه ، وبعضها نتيجة رواسب الماضى ومخلفاته الفكرية والسياسية ، وبعضها نتيجة وضع الأحوال والحوادث التى مرت بها الهند فى العهد الماضى . ويرى الأستاذ الندوى أن المشكلة الكبرى هى مشكلة الدعوة الإسلامية التى تتعثر اليوم وتقف مشلولة الحركة ، وأن المشكلة الثانية تتصل بالانحراف المقصود عن الدستور الهندى الذى يكفل حرية العقيدة لكل طائفة ، وهذه القاعدة اليوم أصبحت حبراً على ورق كما يقولون ، ويتضح هذا فى المناهج الدراسية التى لا تعنى إلا بالهندوكية ديانة الأكثرية على ما فيها من تحد للعقيدة الإسلامية ، لا سيما وأن هذه المناهج إجبارية على كافة الطلاب ، أما المشكلة الثالثة فهى مشكلة اللغة ، وهذه المشكلة تتمثل فى انحراف آخر عن الدستور ، فقد تقرر فى لغة ( أردو ) لغة قومية رسمية ، ولكن المسئولين استطاعوا أن يفرضوا اللغة الهندية إجبارياً كأداة للتعليم ، وأثر ذلك فى ثقافة المسلمين ، حيث كانت لغة أردو الوسيلة الوحيدة التى تربطهم بالثقافة الإسلامية ، فخروها عربية تسهل بها قراءة القرآن ودراسة اللغة العربية ، وفيها آدابهم وحضارتهم . وهناك المشكلة الاقتصادية ، فقد بدأ قسط المسلمين — بعد التقسيم — فى الوظائف الحكومية يضعف ويقل حتى أصبحت نسبة ضئيلة تنذر بتطور خطير فى أوضاع المسلمين الاقتصادية والاجتماعية على السواء .

في القرن الثاني الهجري كياراهيم بن أدم والكرخي والطائي ، الذين يراهم المؤلف فريقا ذا نمو محلي بين العرب تطورت به مؤثرات مسيحية بما قبل الإسلام حيث كانت الرهبانية المسيحية معروفة لدى العرب على تخوم الصحراء السورية وفي صحراء سيناء .

في الكتاب دراسة دسمة لها تقديرها ، وفيه مفتريات وأضاليل أبرزها المؤلف عن قصد ، وقد أدى الدكتور تمام حسان جانبا من الواجب حين كشف في مقدمته عن سوء المؤلف ، ولكن التعليق لم يكن متكافئا مع المفتريات التي دست بين السطور .

لأننا لا ننكر الإقدام على ترجمة دراسات المستشرقين المتصلة بالإسلام لخدماتها وتعمقها وسعة الاطلاع الواضحة فيها ، ما دامت لا تنقصنا القدرة على رد المفتريات على أعقابها ، وهي مفتريات يدفع إليها التفكير الصليبي الذي لا يتورع عن أن يلبس الحق بالباطل .

وهناك مسألة جديرة بالنظر ، فالمؤلف كغيره من المستشرقين ، يعتمد كثيراً على كتب التراث الإسلامي القديم ، ولعل من الخير أن نعيد النظر في هذا التراث ، وأن تكون هذه المهمة الأولى لمجمع البحوث الإسلامي بالأزهر إن شاء الله ، هذا وإن مؤتمر التوجيه لعلماء الأزهر برئاسة الأستاذ الأكبر الذي انعقد في الأسبوع الأول من

أن الثقافة الأوروبية الحديثة مشتقة من الثقافة الرومانية التي كانت هي بنفسها مجموعة من النتائج التي تمحضت عنها مؤثرات متعددة . كانت الحياة العقلية الهلينية أقواها ، ولكن هذه النتائج تفاعلت فأسفرت عن نظام متماسك عن طريق القدرة الرائعة على التنظيم . أما الثقافة الإسلامية فهي في أساسها وجوهرها جزء من المادة الهلينية الرومانية ، حتى علم التوحيد الإسلامي قد تحدد وتطور بواسطة منابع هيلينية .

ونرى هذا المستشرق في الفصل الأول يضرب على هذا الوتر ، ويحاول أن يدخل على ذهن القارئ أن محمداً - صلوات الله عليه - كان على صلة بمعلمين من النساطرة (المسيحيين) وأن رهبان أولئك النساطرة ومبشرهم كانوا على صلة بأوائل المسلمين ، وهذا كلام بالطبع لا يقوم على دليل علمي ، وإنما هو نعمة يضرب عليها دائماً غلاة المستشرقين كالستر ديلاس أوليري .

والأحاديث النبوية في رأى هذا المستشرق صنعت في العصر الأموي لتكيف أى وضع جديد مع الإسلام ، ويمنح الغلو بالمؤلف إلى حد يقرر فيه أن المسلمين حين عرفوا فلسفة أرسطو تلقوها كما يتلقى الوحى ، وأن هذه الفلسفة كانت والقرآن يقرآن جنباً إلى جنب ، وأن الرهبانية المسيحية تركت أثرها في التصوف الإسلامي وزهاد المسلمين الأوائل

رسول الله إليهم ، وهو في كل ما يخبر به الرسول من أمور يجعل شعاره مثلاً أعلى للتصديق المدعم باليقين ( إن كان قال فقد صدق ) وتجلى عظمة الصديق بعد ذلك في

ثباته وقوة إرادته النابعة من إيمانه بالله وثقته فيه ، فهو في مواقفه في أزمة السقيفة على أثر وفاة الرسول ، ومشكلة حرب الردة ، ومسألة قيادة أسامة الصغير السن لجيش المسلمين في وقت عصيب ، في هذه المواقف وغيرها تجلت شخصية أبي بكر الفذة التي لم تعرف الضعف ولا التردد حيال تحمل التبعات والمسئوليات .

ويكشف الأستاذ خالد عن شخصية الحاكم المثالي تحت عنوان ( ولست بخيركم ) فيضعه داخل دائرة من الدقة والنزاهة والأمانة ، ويتخذ من أول خطبته للخليفة نموذجاً للحاكم المثالي .

( إني وليت عليكم ولست بخيركم . إن أحسنتم فأعينوني . . وأن أسأت فقوموني ) وفي الفصل الخامس والآخر يعرض الأستاذ خالد الصديق أبا بكر الحاكم البسيط الذي لم تقتنه مظاهر الحكم ، ولا عظمة السلطان ، فهو قبل الحكم يحلب للأرامل الشياه ، ويقضى لهن الحوائج ، وظل كذلك بعد الخلافة . . الترجمة للعظماء شيء سهل ، ولكن الجديد في كتابات الأستاذ خالد ، هو تجسيم المعاني الكبيرة وإبراز المثل الرفيعة في أسلوب تحليل جميل

شهر سبتمبر بالإسكندرية ، قد أصدر قرارات منها إعادة النظر في منهج التاريخ الإسلامى ، ونحن نأمل أن يعاد النظر في كتب التراث الإسلامى بأسره .

\*\*\*

#### ٤ - وجاء أبو بكر :

للأستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الذى نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، حلقة ثانية لحلقة سبقت تحت عنوان ( بين يدي عمر ) والأستاذ خالد لا يهدف إلى ترجمته عن كبار الصحابة ، وإنما يهدف إلى دراسة تحليلية ، ومنهجه أن يلتقط من حياتهم مثلاً رفيعة ، وقياً عليها ويضعها في إطار تبرز داخله عظمتهم وعبريتهم .

فهو تحت عنوان ( ليلنظن الكتاب أجله ) يحللى استعداد أبي بكر النفسى والقلبى والعقلى لعقيدة الألوهية الحققة ، والوحدانية الخالصة لأنه لم يرض كما - رضى غيره - من شباب العرب ، ألوهية حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى من الحق شيئاً ، وإن عقله ونفسه وقلبه لتحن إلى محاولات المنددين بوثنية الجاهلية ، ممن أرهصوا بالتوحيد الخالص قبيل الرسالة المحمدية ، كقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة ابن نفيل .

ويتجلى استعداد أبي بكر أيضاً للإيمان ، فهو يتجاوب مع الرسول حين يعلن أنه

# بريد المجلة

أدعو الله نخلصاً أن يبارك في حياتكم وقلوبكم  
ليظل - كالعهد به دائماً - حذاء العربيه  
والإيمان .  
والسلام عليكم ورحمة الله .

وزير الأوقاف  
وشئون الأزهر  
( دكتور محمد البهي )

## استدراك وتعليق :

في مقال : ( نظرات في كتاب فلسفة  
تاريخ محمد ) المنشور في العدد الماضي ذكرت  
حديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ،  
واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »  
وتعرضت للرواية التي ذكرها الأستاذ  
مؤلف الكتاب وهي وضع كلمة : ( احرث )  
بدلاً من اعمل في أول الحديث .

ومن الإنصاف للأستاذ محمد جميل بيهم  
أن أقول إن هذه الصيغة وردت في ( النهاية  
في غريب الحديث والأثر لابن قتيبة ، الجزء  
١ - ص ٣١٢ ، العثمانية ١٣١١ ) .

على أن من العلماء من يصف هذا الحديث  
بأنه ضعيف أو موقوف وبعضهم يقول  
لأنه : لا أصل له .

## من الأستاذ الدكتور محمد البهي :

كتبت هذه المجلة كلمة ترحيب في عددها  
الماضي هنأت فيها المعنيين بالإصلاح الديني  
والتطوير الأزهرى بتولى الدكتور محمد البهي  
وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر فلما اطلع  
عليها فضيلته بعث بهذه الرسالة الرقيقة البليغة  
إلى رئاسة تحرير هذه المجلة وهذا نصها :

أخى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات  
رئيس تحرير مجلة الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته

وأشكر لكم تحييتكم الكريمة على صفحات  
مجلة « الأزهر » وهي تحية أعتز بها ، إذ تأتي  
من أديب كبير ، وصديق عزيز . ورائد  
أصيل للفكر العربي والإسلامي الحديث .  
وإن « مدرسة الرسالة » تمثل في تاريخنا المعاصر  
تجديداً أدبياً فكرياً روحياً قومياً ، تلمس  
جذوره وأصوله في « مدرسة الإمام » وتبرز  
ثماره وآثاره في انطلاقتنا القومية الكبرى  
في هذه الأيام التاريخية الكبرى التي قدر لنا  
أن نحياها منذ ثورة « جمال عبد الناصر »  
الوثابة البناءة .

ولئننى إذ أكرر شكركى وتقديرى ،

التي تلقتها الأمة بالقبول كمنبع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم . وكالأحاديث التي تعين مدلول قوله انشق القمر على أنه حصل فعلا وليس مؤولا بيوم القيامة ...

هذا ما قاله الصديق الشيخ محمد سعاد جلال في تعقيبهِ الشفوي السريع على هذا التعقيب المكتوب ، وأضيف إليه ما قاله العلماء من أن التحدى يكون بالقوة كما يكون بالفعل . وليس من اللائق بأستاذ كان سكريراً لتحرير هذه المجلة أن يتصيد الآراء التافهة المرفوضة عند جبهة العلماء . ويعتمد عليها في التذليل لترويج ما لا يحل ترويجه من الآراء ..

**عبد الرحيم فودة**

**مول لفت نظر :**

قرأت بالمجلة في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ . صفحة ٣٦١ تحت عنوان ( لفت نظر ) ملاحظة الأستاذ عبد الرحيم فودة على كلمة الأستاذ محمود الشرفاوى . نظرات في كتاب فلسفة تاريخ محمد . فوجدت في ملاحظة الأستاذ فودة نقطتين لم أستطع فهمهما . هما قوله : إن الأنبياء كانوا يعتمدون على معجزات وخوارق ، وعد من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم حادث الإسراء . والثانية هي قوله : إن الإيمان بالله معنام .

أما ما ذكره فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة في ( لفت نظره ) عن قصة الإسراء ، في صدد الكلام عن المعجزات ، فإن المعجزة — كما يعرفها العلماء ، هي ( العمل الخارق للعادة المقرون بالتحدى ) ، ولا كذلك الإسراء

ومن العلماء من قال إن الإسراء كان ( رؤيا منامية ) ، ومع أن الأستاذ جميل بهم لم يتعرض في كتابه للإسراء ، فإن من حقه أن يقول مقالة هؤلاء العلماء ، وله أن يقول — كما قال قبله علماء آخرون — إن معجزة النبي عليه السلام هي القرآن الذي تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ، أو آية ، فعبجروا .

**محمود الشرفاوى**

**لفت نظر ... أيضا**

قال الشيخ محمد سعاد جلال يعقب على هذا التعقيب : إنما تكون المعجزة مقرونة بالتحدى عند قصد التحدى . أما تحقق مفهوم المعجزة في حد ذاته فهو ثابت وإن لم تقترن بالتحدى كانفلاق البحر لموسى ونبع الماء بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم . وانشقاق القمر فهذه كلها معجزات ثابت بعضها بالقطع كانفلاق البحر وبعضها بالأحاديث المستفيضة

تعالى ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) آية ١٠٦ يوسف وقوله تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) آية ٨٢ الأنعام ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مؤمناً بالله وبوجوده وقدرته وكاله ومع ذلك يكون مشركاً به تعالى .

فترجو أن توضح لنا المجلة في عددها القادم ما يزيل هذا اللبس . والسلام عليكم ورحمة الله .

**محمد عبد القوي**

كلية الحقوق بعين شمس

### للبس :

لو قرأ الكاتب الفاضل الآيات السابقة والآية اللاحقة للآية التي ذكرها لزال من ذهنه ما توهمه لبساً : فليقرأ قبلها قوله تعالى : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين . وكأين من آية في السموات والأرض يمدون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، وليقرأ بعدها قوله « أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ، فسيخرج بعد قليل من التأمل أنه لا يمكن في الإيمان مجرد التصديق بوجود الله ، فقد يكون مع التصديق بوجوده شرك يوقع في شرك

الإيمان بوجوده وقدرته وكتبه ورسله وكل ما ينسب إليه من صفات الكمال وما يصدر عنه من أقوال . فعنى من آمن بالله بعبارة واضحة صريحة من أسلم ودخل في دين الله .

ولما رجعت لأحد علماء الأزهر أرشدني إلى كتاب من كتب التوحيد التي تدرس بالأزهر وإلى بعض كتب التفسير فخرجت منها بما يأتي :

أن الأمر الخارق للعادة إنما يسمى معجزة إذا صدر على يد نبي يتحدى به قومه . ويكون إظهار الله لهذا الأمر الخارق على يد النبي المتحدى به حجة على قومه .

وأما الخارق الذي يجري لا على سبيل التحدى فهو مجرد كرامة . كما يظهر على يد النبي يظهر أيضاً لولي من أولياء الله . ولا دخل له في التحدى ولا في إقامة الحجة على الغير .

وعلى ذلك فحدث الإسراء . لم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم قومه لأنه حصل في الليل وهم نيام . وعلى ذلك فهو ليس بمعجزة .

على أن بعض كبار الصحابة قال إنه كان مناماً بروحه الشريفة . ولم يكن في اليقظة . وأما أن الإيمان بالله معناه الإيمان بكل ما ذكره الأستاذ فهذا لا يتفق مع قوله



وسوريا والعراق ، والكويت ، والبحرين .  
وقد احتشد في مسرح كلية الحقوق أكثر  
من ألفي شاعر وزائر وحب للشعر . واقتتح  
حمدي عاشور محافظ الإسكندرية المهرجان  
الكبير بكلمة عن دور الإسكندرية الطلائعي  
في الثورات ، والمعارك الوطنية ، وبجالات  
العلم والثقافة . وقال للشعراء : أنتم حملة المشاعل  
أرجو أن تشقوا طريقنا للسلام على أضوائها .  
تشجيع الشعراء :

وتحدث يوسف السباعي سكرتير المجلس  
الأعلى لرعاية الآداب والفنون عن الجهود  
التي يقوم بها الشعراء النشروعير السلام والمحبة  
وسط دخان الحرب الذرية التي تهدد بفناء  
العالم . وأضاف قائلا : . « وأقدم شكرى  
لرئيس جمال عبد الناصر الذى يرعى أقلام  
الشعراء بعنايته . وإن المجلس ، سيعلم عن  
مسابقات شعرية جديدة وطبع دواوين  
الشعراء الجدد ، والاهتمام بغير التراث  
الشعرى القديم لربط حاضرنا بماضيها .

وألقى عبد المنعم الصاوى وكيل وزارة  
الثقافة كلمة نيابة عن الدكتور عبد القادر حاتم  
قال فيها : إن الشعر لم يكن في يوم من الأيام  
ترفا ، وإنما كان إحساسا وتعبيرا عن كيان  
الامة . والشعر هو النسمة الجميلة التي هبت  
من دول عدم الانحياز ، كلها أمل ، وحب  
وسلام .

المهلك والعياذ بالله ، فلا يكون لهذا الإيمان  
قيمة ، بدليل قوله تعالى : « أفأمنوا أن تأتيهم  
غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة ، .  
صحيح أن مجرد التصديق بوجوده تعالى  
يسمى في اللغة إيمانا لأن الإيمان قد تعلق  
بنسبة وهى ثبوت الوجود لله ، ولكنه ليس  
الإيمان المطلوب ، بدليل الآية التي ذكرها  
الساكن « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم  
بظلم ، فلا شك أن الشرك ظلم كما يقول الله  
« إن الشرك لظلم عظيم ، .

أما ما ذكره عن المعجزة فقد عقبنا على  
مثله في نفس هذا العدد فليرجع إليه ؟

### عبد الرحيم فودة

#### مهرجان الشعراء في الإسكندرية :

بالرغم من التشاؤم الذى يسود العالم بسبب  
أزمة كوبا ، والخوف من قيام حرب ذرية  
تهدد بفناء البشرية وتقضى على الحضارة  
في بضعة لحظات ، انبعثت من الإسكندرية  
ألحان عذبة رقيقة تحمل كلمات الحب والسلام .

ففي مهرجان الشعر الرابع الذى افتتح  
بالإسكندرية أول أمس ، اجتمع لأول  
مرة شعراء من ١٩ محافظة من جميع أنحاء  
جمهوريةنا . واجتمع كذلك ممثلو البلاد  
العربية من اليمن والجزائر وفلسطين ولبنان

الشعراء الشباب :

وسلم محافظ الإسكندرية ، جائزة التفوق للشعراء الشباب الذين فازوا في مسابقة المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وقد فاز أحمد داود عن قصيدته ( ترنيمة نهد ) بسبعين جنيتها ، ومحمد أمل دنقل عن قصيدة ( طفلها ) بخمسين جنيتها ، ومحمد عادل سليمان بثلاثين جنيتها عن قصيدته ( حكاية أجير إقطاعي وال ثورة ) .

شاعرات المهرجان :

وقد اشتركت في المهرجان ست شاعرات هن : جلييلة رضا ، نجاة شاور ، روحية القليوبي ، نسرين عبد الحى ، شريفة فتحي ، لورا الأسيوطى .

وتحدثت الدكتورة سهير القباوى عن التجديد في الشعر العربى ، والدكتورة نعام فؤاد عن المازنى .

وانتهى المهرجان بحفل شأى أقامته الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب بالإسكندرية في نادى الضباط .

وأعلن عبد المنعم الصاوى قائلاً : إن وزارة الثقافة ، قررت تشجيع جميع الشعراء ليزداد صوت السلام وليرتفع صوت المحبة عالياً .

العقاد يهاجم :

ثم ألقى كلمة العقاد ، وكانت رائعة ، حملت في طياتها هجوماً على الشعر الحديث ، قال إن الإنسان العاوى يستطيع أن يمشى وأن يتحدث بسهولة وأن يرفع عقيرته بالصياح ، ولكنه إذا رقص أو غنى أو ألف بين الأصوات ليخرج موسيقى متناسقة ، أصبح فناناً والقواعد الفنية ليست قيوداً على الفنان ولكنها الحرية الكاملة ، التى تساعد الفنان على إيصال فنه إلى الجماهير .

وتتابع الشعراء في إلقاء قصائدهم ، فالتقى عزيز أباطه قصيدته عن ( شوقى ) ولإبراهيم العريقى ( مندوب البحرين ) وهارون هاشم رشيد ( مندوب فلسطين ) ، وعبد الله العلوى ( مندوب اليمن ) وألقى قصيدة الشاعر محمود عماد معهم وكانت عن ( القمر الجريح ) الذى أصابه الصاروخ .

## باب الفتاوى :

## فِي ضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَاوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه :

هذه الشبكة ، ولورثة الزوج استردادها  
كافي المهر .

حكم المهر والشبكة قبل العقد .

## السؤال :

حكم سن الزواج شرعا وقضاء .

## السؤال :

على أى نص من النصوص الشرعية  
اعتمد قانون الجمهورية العربية المتحدة  
زواج للبنات التي لم تبلغ سنها السادسة عشرة  
والصبي الذي لم يبلغ سنه الثمانية عشرة  
وما الحكم الذي يترتب على مخالفة هذا  
التشريع ، وهل هذا التشريع خاص بالجمهورية  
العربية المتحدة أم يسرى على جميع البلاد  
الإسلامية ؟

محمد الحضرمي - حضرموت

## الجواب :

صححة النكاح شرعا لا تنقيد بسن معينة  
للزوج أو الزوجة فيصح النكاح شرعا  
ويترتب عليه جميع آثاره الشرعية من مهر

خطب رجل فتاة ودفع لها مهرأ وشبكة،  
ثم توفي قبل أن يعقد العقد عليها ، فما الحكم  
في ما دفع للخطوبة وهل يرد كله أو بعضه ؟  
محمد على شمس : بالغيرية

## الجواب :

ما دام الحال كما ذكر ، من أنه لم يتم عقد  
الزواج على الفتاة المذكورة ، فلا حق لها في  
شئ من المهر ، ولورثة المتوفى الرجوع  
على هذه المخطوبة بما دفع لها من ذلك ،  
وكذلك لا حق لها في الشبكة ؛ لجريان  
العرف على أن هذه الشبكة لم تدفع على أنها  
هدية بحتة ، وإنما دفعت لها على أساس أن  
يتم الزواج ، وما دام الزواج لم يتم بسبب  
موت الزوج قبل القعد ، فلا حق لها في

الزوجية قد انتهت - وإذا توفيت بعد ما يقرب من ستة أشهر من الطلقة الأولى هل يرث الزوج شرعا في تركتها ؟  
مهندس حامد عبده معيط

### الجواب :

صيغة العصمة تملكها الزوجة طليقة واحدة في أى وقت شئت دون أن تفيد تكرار التطلاق ، وقد طلقت نفسها طليقة رجعية فلزوجها مراجعتها ، وقد راجعها فعلا فليس لها بعد ذلك تطليق نفسها ، وما صدر منها من الطلاق بعد ذلك لا اعتبار له ؛ لأنها لا تملكه وعلى هذا فقد ماتت وهى زوجة لزوجها وله ميراثها شرعا .

نقل الدم وهل يبطل الزوجية والمصاهرة ؟

### السؤال :

أولا : مرضت إحدى النساء وأدخلت المستشفى وأصبحت حالتها الصحية خطيرة جداً ، فاقترح الطبيب المعالج حقنها بالدم فتطوع زوجها بتقديم الدم لها ، ثم شفيت المريضة ففى هذه الحالة هل تبقى الزوجية قائمة بينهما أم تصبح الزوجة محرمة عليه ؟

ثانياً : امرأة حامل احتاجت إلى دم

وحل استمتاع ونفقة وطاعة . لكن إذا حصل خلاف بين الزوجين فى شيء من ذلك وترافعا إلى المحكمة ، فإنها لا تسمع دعوى الزوجية إلا إذا كان الزوج قد بلغ سنه ثمانى عشرة سنة ؛ وكانت الزوجة قد بلغت ست عشرة سنة فإن الجمهورية العربية المتحدة لما رأت أن فى الزواج قبل هذه السن ضرراً أرادت منع ذلك تجنباً للضرر الناتج من هذا الزواج ، ولم تعتمد على وضع ذلك مباشرة بل قصدت إلى منعه عن طريق تقرير عدم سماع الدعوى ، وبنت ذلك على القاعدة الفقهية التى تقرر أن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحادثة . فلولى الأمر أن يمنع القضاء من سماع الدعوى فى بعض الحوادث ، وله أن يقيد سماعها بشروط يراها . وهذا القانون خاص برعايا الجمهورية العربية المتحدة .

عصمة المرأة بيدها ، وهل حكمها فيها حكم الرجل ؟

### السؤال :

تزوجت على أن تكون العصمة بيدها تطلق نفسها متى شئت وفى أى وقت شئت وطلقت نفسها طليقة رجعية فهل ، لزوجها أن يراجعها دون موافقتها ، وإذا تمكن من ردها بوثيقة فهل تكون هذه الوثيقة قانونية ، وإذا طلقته بعد ذلك مرتين فهل تكون العلاقة

## الجواب :

١ — هذه الاحتفالات لا تقرها الشريعة الإسلامية بحال لما فيها من المفساد العظمى والمنافاة للفضيلة ولما يجب على المرأة من ستر جسمها ومواضع الزينة منها :

وما هذه الاحتفالات إلا تقليد سيء لما يجري في البلاد الغربية التي لاتدين بالإسلام. وقد حرص الإسلام على صيانة المرأة من هذا التبذل وهذه المواقف المنكرة ، وفي الاشتراك فيها وتعريضها لإثم كبير .

٢ — إن مجرد الذهاب إلى المصايف دون أن يقترن به ما يخالف الآداب الشرعية لا جناح فيه ، وأما ما يأتي به أكثر الناس في هذه المصايف مما يفنى العلم به عن وصفه فهو منكر أشد الإنكار شرعا وعرفا ولاخفاء في ذلك .

٣ — في اليانصيب يدفع الناس أموالهم للجهة التي أصدرته على أمل الكسب ، وقليل ما يكسبون وكثيرا ما يخسرون ودفع المال على هذا الوجه غير جائز شرعا وهو إحدى صور الميسر .

والمشروعات الخيرية يجب أن تقوم على الأساس المشروع وأن تكون بوازع نفسى من الدين والرغبة في الخير ولا يحمل الناس على التبرع لها بما يوقعهم في الإثم .

فأعطائها أحد الأشخاص كمية من دمه لإنقاذ حياتها ، ثم شفيت المرأة ووضعت بنتا فهل يحمل لمعطى الدم الزواج بهذه المرأة أم لا ؟ وهل يجوز له الزواج بالبنات عند بلوغها ؟ وهل يجوز زواج ابنه من بنت المرأة المذكورة ؟ .

الحاج عبد الله داود الدوكزلى

## الجواب :

الحقن بالدم لا يمنع بقاء الزوجية المذكورة في السؤال الأول - ولا يوجب تحريم المصاهرة بين صاحب الدم أو ابنه وبين المحقونة به أو بنتها كما في السؤال الثانى .

## رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات

ملكات الجمال . والمصايف ، واليانصيب .

## السؤال :

١ — ما رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات ملكات الجمال التي تقام في أنحاء الدنيا ؟  
٢ — ما رأى الشريعة الإسلامية في المصايف وهل بوضعها الحالى يخالف الشريعة وما هو الإصلاح الذى تقترحونه لتتلاءم مع الشريعة ؟ .

٣ — ما رأى الشريعة الإسلامية في اليانصيب الذى تزاوله بعض الهيئات الخيرية والأفراد ؟

إبراهيم الطحاوى

تشريح الأجسام في رأى الدين .

### السؤال :

ما هو حكم الله في أمر تشريح جثث الإنسان بغية التعليم الطبى لتخريج الأطباء ؟  
محمد سليمان غازى - حماة - سورية

### الجواب :

من مقدمات فن الطب بل من مقوماته تشريح الأجسام ، فلا يمكن الطبيب أن يقوم بطب الأجسام وعلاج الأمراض بأنواعها المختلفة إلا إذا أحاط خبراً بتشريح جسم الإنسان علماً وعملاً . وعرف أعضائه الداخلية وأجزاءه المكونة لبنيته واتصالاتها ومواضعها وغير ذلك ، فهو من الأمور التى لا بد منها لمن يزاول الطب حتى يقوم بما أوجب الله عليه من تطبيب المرضى وعلاج الأمراض . ولا يمتري في ذلك أحد ولا يقال قد كان فيما سلف طب ، ولم يكن هناك تشريح ؛ لأنه كان طباً بدائياً لعل ظاهرة . وكلامنا في الطب لشيء الأمراض والعلل ، والعلوم تزايد ، والوسائل تنمو وتكثر .

وإذا كان التشريح كما ذكر ، كان واجباً بالأدلة التى أوجبت تعلم الطب وتعليمه ، ومباشرته واجبة على طائفة من الأمة ؛ فإن من القواعد الأصولية أن الشارع إذا أوجب شيئاً يتضمن ذلك لإيجاب ما يتوقف عليه

ذلك الشيء . فإذا أوجب الصلاة كان ذلك إيجاباً للطهارة التى تتوقف الصلاة عليها . وإذا أوجب بما أو ماناً إليه من الأدلة على فريق من الأمة تعلم الطب وتعليمه ومباشرته ، فقد أوجب بذلك عليها تعلم التشريح وتعليمه ومزاولة عمله

هذا دليل جواز التشريح من حيث كونه علماً يدرس ، وعملاً يمارس ، بل دليل وجوب التخصص في مهنة الطب البشرى وعلاج الأمراض .

أما التشريح لأغراض أخرى كتشريح جثث القتلى لمعرفة سبب الوفاة وتحقيق ظروفها وملابساتها ، والاستناد به على ثبوت الجناية على القاتل أو نفيها عن متهم ، فلا شبهة في جوازه أيضاً إذا توقف عليه الوصول إلى الفصل في أمر الجناية ؛ للأدلة الدالة على وجوب العدل في الأحكام حتى لا يظلم برئ ولا يغفلت من العقاب مجرم أثيم .  
حكم نقل أعضاء جسم ميت إلى حي :

### السؤال :

تلقينا من مستشارنا الثقافى في جاكرتا استفسار الدكتور هيث طبيب العيون ، الذى يقوم بإعداد رسالة جامعية في طب العيون عن مشكلة طبية دينية ، هذه المشكلة كانت قد أثرت في مؤتمر طبي عقد بالقاهرة ، وهى تتعلق بنقل أعضاء جثة الميت إلى جسم حي

السكريم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟ ،

عن الهيئته المركزية للرابطة العلوية

الرئيس الثاني

السيد أبو بكر بن محمد الحبشى العلوى

وكيل الكاتب الأول

السيد عبد الله بن أبى بكر بن سالم الحبشى العلوى

**الجواب :**

لا شك أن « الحروف اللاتينية المعروفة خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدى جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن السكريم بها على طريقة النظم العربى كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال والتحريف فى لفظه ، وتبعهما تفسير المعنى وفساده .

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يسان القرآن السكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف .

وأجمع علماء الإسلام سلفا وخلفا على أن كل تصرف فى القرآن السكريم يؤدى إلى تحريف فى لفظه ، أو تغير فى معناه - ممنوع منعاً باتاً ومحرم تحريماً قاطعاً .

وقد ألزم الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن السكريم بالحروف العربية .

ومن هذا تبين أن « كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز . »

بقصد علاجه ، والذي يهيمه كطبيب عيون هو نقل جزء من عين الميت لاستخدامه فى ترقيع القرنية ، فما حكم الشرع ؟

مستشار ج . ع . م . فى جاكرتا

**الجواب :**

يتأذى الميت مما يتأذى منه الحى ، فأخذ جزء منه يؤذيه وقد يتأذى أهله كذلك .

وعدم إبصار الحى مثلاً وتعطل نفقه ضرر يفوق ضرر الميت إذا قورن به ؛ لأنه إذا ترك جزء الميت للميت فإنه يبلى ولا يتنقع به أحد . وإذا نقل لغيره من الأحياء فإنه سيؤدى وظيفته ويتنقع به الحى وقد يتعدى نفقه لغيره من الأحياء كذلك فيعود نفقاً عاماً - ولا يقف دون هذا ضرر الميت بأخذ جزئه منه ؛ فإن الضرر الأخف يحتمل لدفع الضرر الأعظم ولا شك أن ضرر الحى أكثر فالنقل إليه أولى أن يسلك سبيله ويتبع ، على أن الإنسان اجتماعى لم يخلق لنفسه وإنما خلق له وللجمتمع . فإذا أمكن أن تبقى منفعة بعض أجزائه ولو لغيره بعد وفاته فلا مانع منه ، ولا يقف الدين فى سبيل ذلك بشرط ألا يكون فى ذلك مثالة بالميت وأن يستأذن أهله فى ذلك حتى لا يترتب على ذلك مفسدة .

**كتابة القرآن السكريم بالحروف اللاتينية :**

**السؤال :**

« ما قول سادتنا - أيدهم الله فى كتابة القرآن

# بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق عبد الرحيم فوده

وفاء...

... ولست أعرف صبيا تأثر بحياة الصبا، واحتفظ بمجواذه وذكرياته، ما أقام في هذه الدنيا، ووفى للذين بروا به وأحسنوا إليه كذا الصبي.

لم يكده يقدر على البر وإسداء المعروف وإظهار شكره للنعمة، واعترافه بالجميل حتى ضرب للناس في ذلك أروع الأمثال وأبلغها تأثيرا في القلوب.

أرضعته أمة لأبي لهب يقال لها «ثوية»، أيا ما قبل أن تأخذه «حليمة»، فلما علم ذلك من أمرها حفظ لها هذه النعمة، وعرف لها هذا الجميل، فلم يكده يقدر على شكرها والبر بها حتى جهد في ذلك، وإذا هو يحمل زوجه خديجة على أن تسعى عند أبي لهب في أن تشتري منه هذه الأمة لتعتقها، فيأبى أبوهب، فيتصل معروف الرضيع بأمه هذه ما أقام بمكة، حتى إذا هاجر إلى المدينة لم يفس أمه ولم يهملها، وإنما يرسل إليها الصلات والكسوة من حين إلى حين، حتى إذا عاد من خيبر وقيل له إن ثوية قد ماتت

سأل عن قرابتها لينالهم بما كان ينالها به من المعروف، فأبى بأنها لم تترك أحدا.

وحياة أهل البادية مملوءة بالضنك حافلة بالشقاء، فانظر إلى «حليمة»، تهبط مكة تستعين بابنها على أثقال الحياة، فيسكن لها خديجة فتمنحها بعيرا وأربعين شاة، وانظر إليها تستأذن عليه مرة أخرى فإذا أدخلت عليه وراها قال: أوى أوى! ثم بسط رداءه فأجلسها عليه، ثم أدخل يده من دون ثيابها فس صدرها مسا، ثم قضى حاجتها.

ثم انظر إليه بعد أن عظم وارتفع شأنه ودانت له العرب كلها. وقد نصره الله يوم «حنين»، على هوازن، فهزم الجند، واحتوى المال، وسبى الذرية والنساء، وقسم الغنائم بين المسلمين، وإنه بالجرانة (موضع) صباح يوم وإذا وفد من هوازن يقبل عليه مسلما، منبثا بإسلام من وراه من الناس، وفي هذا الوفد عمه من الرضاة، وإذا عمه يتحدث إليه فيقول: يا رسول الله، إنما في هذه الحظائر من كان يكفلك من عماتك وخالاتك وحواضنك، وقد حضنك في حجورنا، وأرضعنك بثدينا، لقد رأيتك



والحمد ، وتهيتها لقبول الإسلام والنصح  
للمسلمين في صدق وإخلاص .

قال محدثي : نعم ! ولكن له وفاء آخر  
يملا القلوب رحمة ويمزقها لوعة وأسى ، لأنه  
وفاء المحب الصادق في الحب ، والعاجز عن  
النفع الذي لا يملك لمن يحب خيرا .

قلت : وكيف يحد العجز إلى هذا القلب  
العظيم سيلا . ؟ قال : إن الله قدر أمهما تعظم  
القلوب فلن تغيره أو تبدله .. لقد كان أشد  
الناس تعلقا بأمه ووفاء لعمه : مر بقبر أمه  
عام الحديبية فاستأذن ربه في أن يزور القبر  
فأذن له ، فزاره وأصلحه ومكث عنده حيناً ،  
ثم استأذن ربه في أن يستغفر لأمه فأبى عليه  
فانصرف عن القبر باكياً كئيباً . وبكى  
المسلمون لبكائه . واكتأب المسلمون  
لاكتئابه .

ودخل مكة عام الفتح ، ظافراً منتصراً  
وبينا هو في بعض مواضعها رأى أصل قبر  
فعطف عليه وأقام عنده ، واستأذن في  
الاستغفار لصاحب القبر فلم يؤذن له . فانصرف  
محزوناً كئيباً . وبكى فبكى الناس . وما رأى  
الناس يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم واختلط  
أمر هذا القبر على الرواة . فظنوه قبر أمه  
وقبر أمه في « الأبواء » ومن يدرى ؟ لعله  
قبر جده الشيخ .

وعرض الإسلام على عمه وأخ عليه .

مرضعاً فما رأيتك مرضعاً خيراً منك ،  
ورأيتك فطماً فما رأيت فطماً خيراً منك ،  
ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك ،  
وقد تكاملت فيك خلال الخير ، ونحن مع  
ذلك أصلك وعشيرتك ، فامن علينا من الله  
عليك ، فيجيبه : لقد استأذنت بكم حتى  
ظننت أنكم لا تقدمون ، وقد قسمت السبي  
وجرت فيه السهمان ( جمع سهم وهو النصيب )  
فما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ،  
وأسأل لكم الناس ، فإذا صليت بالناس  
الظهر فقولوا : نستشفع برسول الله إلى  
المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ، فإني  
سأقول لكم ، ما كان لي ولبنى عبد المطلب  
فهو لكم ، وسأطلب لكم إلى الناس .

فلما صلى الظهر قام الوفد ، فأتم ما أمر به ،  
ووفى لهم بوعده ، وشفع لهم عند الناس  
فردت عليهم نسائهم وأبنائهم لم يأب ذلك  
إلا نفر من الأعراب اشترى منهم ما كان  
في أيديهم من السبي ورد على أهله .

قلت لمحدثي : فإن هذا الوفاء بليغ التأثير  
في النفوس ، وأبلغ منه هذه ( الحيلة . ١ )  
الطاهرة البريئة في استخلاص السبي من الذين  
ملكوه ، فيها وفاء ، وفيها رد للحرية على  
آلاف من الناس ، وفيها إقرار للأمن والسلام  
في قبيلة ضخمة قوية من العرب ، وفيها  
تخليص القلوب من الضغينة والموجدة

الدعاية إذن ليست هي مصدر هذا الإقبال الشديد على أقراص تحديد النسل ، فإذا يكون السبب . ؟

إن الظاهرة الثانية التي صاحبت الإقبال الشديد على هذه الأقراص تشير إلى أن استجابة المدن كانت أبعد بكثير من استجابة سكان الريف ، وهذا يعني أمرين .

أولاً : أن الأقراص قد ضلت طريقها إلى الفلاحين أصحاب المشكلة الحقيقية الذين تنشر بينهم ظاهرة تعدد الزوجات وكثرة النسل ، وفشل الدعاية لتحديد النسل بين صفوف الفلاحين ليس بدعة فينا ، بل هي ظاهرة طبيعية جداً اعترفت بها أكثر بلاد العالم وخاصة الصين عندما شنت حملتها الكبرى لإقناع الشعب الصيني بأضرار الإسراف في النسل .

ولعل أطرف ما روى وقتها عن عناد الفلاحين هذه القصة . فقد شك أحد المشرفين الحكوميين من أنه رأى ذات مرة مجموعة من الفلاحين ملتفين حول إحدى لوحات الدعاية التي ملأت كل مكان . وكانت اللوحة تمثل عائلتين . إحداها تضم مجموعة ضخمة من الأطفال العراة الجائعين وأخرى تضم طفلين فقط . وقد ارتدى ملابس نظيفة وظهر ا في أتم صحة .

وأسرع الموظف يندس بين جموعهم ليدير

وكاد الرجل أن يقبل لولا حمية الجاهلية فلما مات قال ابن أخيه لاستغفرن لك . فلامه القرآن في ذلك لوماً عنيفاً .

تبارك الله . رجل يخرج الله به أمة كاملة من الظلمات إلى النور . ويفتح لها أبواب الخير على مصاريحها إلى آخر الدهر . ثم يأبى الله عليه أن يستغفر لأمه وعمه وأن ينقذ أهله الأقربين الذين أدوه إلى الناس وحموه حتى أدى الأمانة وبلغ الرسالة .

قلت لمحدثي : وماذا تنسرك من ذلك وعدل الله محتوم لا يقبل أخذاً ولا رداً ، ولا تجوز عليه المصانعة ولا المحاباة . ؟

من كتاب على هامش السيرة

الدكتور م. عبيد

**أقراص منع الحمل . . لمن ؟**

اختفت أقراص منع الحمل . أو هي لا تكاد تطرح في السوق حتى تختفي ، وهذه ظاهرة تسترعى الانتباه وتثير القلق معاً . ١

فليس من السهل التسليم بأن امتصاص السوق لهذه الأقراص راجع للدعاية التي أحيطت بها ، لأن هذه الدعاية اصطدمت من أول يوم بالناحية الدينية .

والذين يضعون أصابعهم على نبض الرأي العام في بلادنا يعلمون حق العلم أننا شعب متدين متشبث إلى أبعد مدى بعقيدته ، ومن ثم لا مجال للزعم بأن فكرة تحديد النسل قد غزت رءوس ملايين المتدينين بهذه السرعة رغم تعارضها مع مبادئهم .

## التعليق...

لقد قيل - غير ما قاله الكاتب - إن أساس التفكير في اختراع هذه الأقراص يرجع إلى الإحساس بضرورة الحد من كثرة عدد اللقطاء في أوروبا لا إلى الرغبة في تحديد النفس، وهذا وحده يكفي في تصور مدى الخطر الداهم علينا وعلى أخلاقنا. إذا لم نبادر باتخاذ الوسائل التي تحمي مجتمعنا وأخلاقنا منه، والأمم كما قال شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت  
فإن هوى ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وكما قال :

وليس بعامر بنيان قوم  
إذا أخلاقهم كانت حرابا  
مائة ألف منه بنى نعيم :

لما استقر الأمر لمعاوية دخل عليه الأحنف ابن قيس فقال له معاوية : والله يا أحنف ما أذكر يوم صفين ، إلا كانت حزارة في قلبي إلى يوم القيامة ، فقال الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لني صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لني أغمادها ، وإن نदन من الحرب فترا نندن منها شبرا ، وإن تمش إليها نهرول ، ثم قام وخرج ، وكانت أخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه ، فقالت لأخيها : من هذا يتهدد ويتوعد . قال : هذا الذي إذا غضب غضب لغضبه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب .

من كتاب هبة الإمام فيما يتعلق بأبي تمام .  
شرح وتعليق الأستاذ محمود مصطفى

المناقشة بينهم لصالح المشروع . فإذا به يفاجأ بأنهم وقفوا ليبدوا أسفهم على الزوجة التي لم تنجب غير طفلين ...

الأقراص إذن قد ضلت طريقها إلى من هم في حاجة إليها ، واتجهت إلى أوساط المتعلمين وسكان المدن .

ولكن إلى أي مدى ذهبت هذه الأقراص في ضلالها .. ؟ ومن هم المستفيدون من نتيجة تعاطى هذه الأقراص ؟

هل هم المتزوجون وحدهم ..  
أخشى أن تكون الإجابة على هذا السؤال في ظل النظام الذي يجري فيه توزيع هذه الأقراص مستحيلة ، فليس ثمة ضمان واحد في نظام التوزيع الحالي لأن يقتصر تعاطى هذه الأقراص على المتزوجين فقط .

إذن . لا مفر والأمر كذلك من الاعتراف بأن هذه الأقراص - وقد ضلت طريقها - تضي في ضلالها بلا قيود ..

وهذا خطر داهم يجب أن تدق له الأجراس فلقد أثبت إحصاء أخير في أمريكا أن أكثر من ٦٠ ٪ من يتعاطين أقراص الحمل من المراهقات ، وهي ظاهرة مفرقة لا أحسب أحدا من المتحمسين لتحديد النسل عن طريق إغراق السوق بالأقراص يستريح ضميره لتجاهلها إننا لا نريد أن نشيد بناءنا الاقتصادي على أبقاض كياننا الاجتماعي ...

عبد السلام داود  
من جريدة الأخبار



# مَجَلَّةُ الْأَنْهَارِ

## مجلة شهرية جامعة

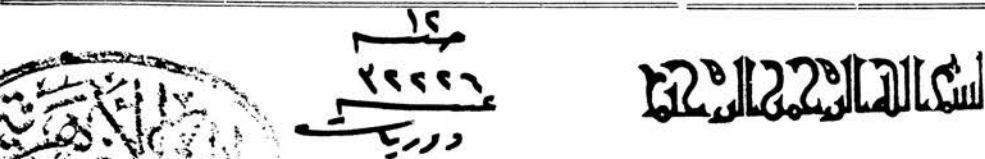
مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
العنوان  
إدارة أجمع الأزهر  
بالقاهرة

ت ١ : ٤٦٢١٤

بَصْدُرُ عَنْ مَشِيخَتِ الْأَنْهَارِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِي

يَشْتَرِكُ فِي الْقِيَمِ  
عَبَّاسُ مُحَمَّدٍ وَالْعَقِيدُ  
بَدَلُ الْأَشْيَا  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ غارح الجمهورية  
والمدرسين والطلاب بتخفيض خاص

الجزء الخامس — السنة الرابعة والثلاثون — رجب سنة ١٣٨٢ هـ - ديسمبر ١٩٦٢ م



## إلى العالم الإسلامي شعوبه وزعمائه

من صاحب الفضيلة  
الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للبتقين . ( لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضهم  
أيها العرب ... رقاب بعض ) .

أيها المسلمون ... اذكروا أيها العرب والمسلمون : أن  
قوتكم في توحيدكم ، وأن عزتكم في بجمعكم ،  
واذكروا تربص الأعداء بكم ، وتداعى الأمم  
عليكم : د ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب  
ريحكم ، . اذكروا أيها العرب والمسلمون ما أمركم  
الله به من كتابه ، وآراكم من آياته ، وأعزكم به  
أذكروا نعم الله عليكم ، حين بعث فيكم  
د محمداً ، صلى الله عليه وسلم فألف به بين  
القلوب المتنافرة ، ووحد به الصفوف  
المتقاطعة ، وجمع عليه كلمة العرب بعد أن  
كانوا شتى تتناوشهم رماح الفرقة والخطوب ،  
ثم أفضى بعد ذلك إلى ربه وهو يقول :

وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين  
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات  
وأولئك لهم عذاب عظيم .

أيها العرب ...

أيها المسلمون ...

لقد ينس الاستعمار أن يبقى في بلادكم ،  
فأشعل نار العدواة والكراهية بينكم ،  
وبث بذور التفرقة والبغضاء بين صفوفكم ،  
فلا توالوا عدو الله وعدوكم . وتعالوا إلى كلمة  
سواء بيننا وبينكم ...

ليكن بأسكم على أعدائكم ، إن الاستعمار  
مجد في تفريق كلمتكم والقضاء على وحدتكم  
واتحادكم ، فلا تمكنوه من رقابتكم ،  
واحذروا ما يقوم به الآن بين صفوفكم ،  
ولا تتخذوا بطانة من دونكم .

« قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفي  
صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن  
كنتم تعقلون » .

أيها العرب والمسلمون .

الله في دينكم .

أيها العرب والمسلمون .

الله في إخوانكم ووحدتكم ..

أيها العرب والمسلمون .

الله في بلادكم وأوطانكم ..

أيها العرب والمسلمون .

( البقية على الصفحة التالية )

بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى ربكم عنكم .  
وأبلاوا ربكم في هذه المواطن أمراً تستوجبوا  
الذى وعدكم به من رحمته ومغفرته ... فإن  
الاختلاف والتنازع والتثبط من أمر العجز  
والضعف ، وهو مما لا يحب الله ولا يعطى  
عليه الظفر والنصر .

اذكروا أيها العرب والمسلمون .

أن المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يظلمه  
ولا يخذله ، وأن المسلم على المسلم حرام كله :  
دمه ، وماله ، وعرضه . وأن المسلمين يد واحدة  
يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم .

اذكروا أيها العرب والمسلمون حرمة  
الدماء المراقبة على أرض الين ، وخشونة القتال  
الدائر في بقعة عزيزة من الوطن . فكفوا  
عن الشر يد الطغاة . « قال تعالى : فقاتلوا التي  
تبغى حتى تقي » إلى أمر الله ، فإن فاءت فأصلحوا  
بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم  
وانقوا الله لعلكم ترحمون » .

اذكروا أيها العرب والمسلمون أنكم بهذا  
التخاذل تعرضون أوطانكم للضيعة ، وتقيمون  
عليكم الدليل والحجة ، وتظهرون للعالم أنكم  
غير جديرين بالسيادة والعزة .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ،  
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »

# أسباب الفصاحة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

من خصائص العرب أنهم معززون بلغتهم بين لغات الأمم ولو كانت من الأمم التي يشهدون لها بالحكمة وجودة الصناعة ، كما شهدوا قديما للهند والصين .

وهذه خاصة عربية لا نظير لها بين الخواص القومية التي تميز بين الأقوام في تقديرها لأنفسها .

فكل أمة من أمم التاريخ المعروف تفخر بالقومية التي تنتمي إليها ، ولكنه خسر يرجع في أكثر أسبابه إلى العزة والمنعة أو إلى التمدن والتعذيب وما يقابلهما من صفات الهمجية والجلافة ، وهكذا كان غير

اليونان والرومان أبناء « المدنية والارتقاء ، على « البرابرة » الذين تدل رطانتهم على جلاقتهم وتحلفهم في مراتب العمران .

أما العربي فقد يسلم للأمة بحضارتها وصناعتها أو يسلم لها بحكمتها وعلومها ، ولكنه يحتفظ لنفسه بمزية الإفصاح ويجعل « العجمة » صفة لكل من عداه ، وقد أصبح الإعراب عنده مرادفا للإبانة وحسن التفصيل والتوضيح ، من حيث تدل العجمة على تقيض ذلك في صفات اللسان .

وقد حضرت مناقشات كثيرة عن أصول القبائل والعشائر في السودان أثناء رحلتي

بقية نداء الإمام الأكبر

اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . . .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله

لكم آياته لعلكم تهتدون . »

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم . »

محمود ممانوت

شيخ الجامع الأزهر

لأن مسألة المخارج الصوتية مسألة « بيولوجية » ودلائل التمام فيها أو النقص مسألة حسية تحكم فيها الآذان ولا حاجة بها إلى تحكيم العقول والأذواق .

فإذا كان سر الفخر العربي باللسان أن فصاحة اللسان العربي حقيقة لا مرأ فيها ، فقد يحق للسائل أن يعود فيسأل : وما هو سر هذا الاختصاص بالفصاحة في لغة الجزيرة العربية ؟ .

إن بعض الباحثين الأوربيين يعلل ظهور حروف الحلق في اللغة العربية بعلّة غريبة ولكنّها تقال كما تقال جميع الأسباب المحتملة في مقام التعليل .

فهم يقولون إن العرب قوم رعاة لابل وشاء ، وأنهم تعودوا أن يسمعوا من أصواتها ما يشبه الخاء والعين والقاف ، فأصبحت تسرى إلى ألسنتهم بعد أن وردت على أسماعهم وتعودوا النطق بالحروف التي أهملها غيرهم لأنه لا ينطق بها ولا يسمعها .

قالوا : وربما تيسر لهم النطق بها ولم يتيسر لغيرهم لأنهم أقاموا في الجزيرة العربية في جو معتدل لا يتعسر فيه فتح الأفواه بالنداء ، فاستخدموا الحلق في أداء الحروف لأنهم لا يخشون أن تتفتح حلقهم للهواء البارد أيام الشتاء ، كما يخشى المتكلمون ذلك ولا سيما الصائمون بالكلام من أمم الأقاليم الباردة .

إليه ، فكانت العلامة الحاسمة على صحة انتساب العشيرة إلى الأصول العربية أنها تشعر « بفخر اللسان » ومزية الإبانة بالقول ، ولم تكن هذه العلامة تخطئ مرة في كل عشر مرات ، إلا أن يرجع الأمر إلى اختلاط الأنساب مع وجود النسب العربي في النهاية ، صريحا أو غير صريح .

ما سر هذه الخاصة النادرة التي لا نعرف لها نظيرا بين خواص الأمم بهذا التحديد في مسألة اللغة دون سواها ، أو قبل سواها ؟ سرها في الحقيقة أن اللغة العربية أفصح لغات العالم بغير مرأ .

ولاخفاء بمعنى الفصاحة اللغوية بين الناس ، فإنما اللغة الفصيحة هي اللغة التي تم فيها جهاز النطق الإنساني فلم تهمل أداة من أدواته ، وهي التي امتنع فيها اللبس بين حروف اللفظ ومخارج الصوت فلم يلتبس فيها حرفان في مخرج واحد ولم يلتبس فيها مخرجان في حرف واحد ، بل جاء كل حرف من حروفها فصيحا من مخرجه الذي يؤديه على ملتبس بسائر الحروف ، ولو كانت مقاربة له في الأداء .

هذا هو معنى الفصاحة الذي قصدنا إليه غير مرة فيما نثبته من مزايا اللغة العربية المقررة ، ولا محل فيه للجدل ولا للاتهام بدعوى المناظرة والمفاخرة بين الشعوب ،

النطق بين حرفين في نخرج واحد ولا بين نخرجين في حرف واحد ، وقد يكون ذلك أدل على الفصاحة من زيادة عدد الحروف في الأبجدية العربية .

والذي نرجحه أن الفصاحة العربية قد تعزى إلى أسباب كثيرة غير تلك الأسباب المحدودة أو الفرعية .

وأول أسبابها — على ما نعتقد — أن تطور اللغة العربية قد تم بالمشاركة بين كثير من القبائل التي تسكلمها وتنطق بلهجاتها ، وقد تم بين العرب وهم منعزلون في جزيرتهم عن الأمم الأجنبية .

وقد وجدت في الجزيرة البريطانية لهجات متعددة وقبائل شتى على طول الزمن ، ولكنها كانت لهجات واردة على الجزيرة مع لغات الأمم المغيرة عليها ، فلم تكن لغة واحدة تتطور وتبقى مزية التطور في نطاقها ، ولكنها كانت لهجات شتى من لغات شتى ، فلم تخلص مزايا التطور فيها على قاعدة واحدة .

ومن أهم الأسباب التي عملت في استقرار مزايا التطور أن السكتانة تأخرت زمناً طويلاً عن الخطابة بين قبائل جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها ، ولو تقدمت الكتابة بضعة قرون بين القبائل لاستقرت في اللغة تلك اللهجات المعيبة التي تسكلم بها أبناء القبائل زمناً طويلاً قبل أن تتغلب عليها

ومهما يبلغ من شأن هذه العلل في تفسير الخاصة العربية فليس في وسع أحد أن يزعم لها أنها تفسيرات جامعة مانعة لتلك الخاصة ، فغاية ما يدعيه لها المدعون أنها تفسيرات محدودة فرعية لا يستغنى الباحث بعدها عن أسباب أخرى أعمق منها وأعم وأوفى . فالرعاة — رعاة الإبل والشاة — قد أقاموا في بلاد كثيرة غير البلاد العربية .

والأقاليم المعتدلة غير جزيرة العرب كثيرة في أقطار العالم .

والبلاد الباردة لا يتمتع فيها فتح الحلق طوال العام ، وتكفي فيها شهور الربيع والصيف والخريف لتعود النطق بالحروف الحلقية ثم اتباع هذه العادة في سائر الشهور . وحروف الحلق لا تنحصر في الحاء والعين والقاف التي تسمع أحياناً في أصوات الإبل والشاة . واللغة العربية تتميز بحروف أخرى غير حروف الحلق لا توجد في معظم اللغات ، ومنها حروف الضاد والظاء والغين .

فهناك إذن أسباب التمام لحروف العربية غير الاشتغال برعى الإبل والشاة وغير الإقامة في الأقاليم المعتدلة .

ولذا صلحت هذه الأسباب لتفسير تمام الحروف فهي لا تصلح لتفسير المزية الأخرى من مزايا الفصاحة ، وهي تقسيم الحروف ومخارج النطق بحيث لا يلتبس



ولمجات التصفية والتهديب التي وافقت شيوع الكتابة بعد ذلك ، فلم يثبت من الكلام المنطوق غير ما حسن تدوينه بالكلام المكتوب

ومما أعان على تصفية اللغة العربية أنها استقلت بمزايا اللغات السامية كلها في عزلتها بعد أن تفرقت الشعوب السامية من الكلدانيين والآراميين والعبرانيين ، والأحباش حيث اختلطت في الأقطار الآسيوية والإفريقية المتباعدة ، فظلت على حالة النقص التي توقفت بها عن التطور المستقل مجارة لغيرها من لغات الأمم التي أحاطت بها وأثرت فيها .

فالتطور في اللغة العربية سلسلة لم تنقطع ولم تتفرق في جهات متشعبة لاتلتقي بعد افتراقها ، فخلصت لها مزايا التطور قبل انفصالها عن أخواتها السامية وبعد انفصالها عنها .

ولأنهم للأسباب الجغرافية التي كان لها أثر في اختصاص العرب بمزايا النطق الفصيح ومزايا التنسيق والتوفيق بين المخارج والحروف .

فمن تلك الأسباب ما أفاد اللغة من جانب حسن الاستماع كما استفادت من جانب حسن النطق وحسن الأداء .

فقد عاش العرب في الصحراء أحوج ما يكونون إلى السمع الدقيق بين الأودية

والهضاب ، حذراً من عوادي الحيوان والإنسان ومن ضلال الطريق بين الأهوية والأنواء ، فاكسبوا مزية السمع المرفه وما يصحبه من مزية التفرقة بين الأصوات بل بين الهمسات والأصدا ، وتلك مزية لا محل فيها لدعوى المكابرة بالفخار الكاذب لأنها مزية حسية يكتسبها الحيوان كما يكتسبها الإنسان ، وليس أقدر على السماع المرفه من حيوان الصحراء .

فهذه الحاسة المرفهة هي التي عودت السامع العربي أن يميز بين درجات الصوت المتقارب في الزاى والذال والظاء والجيم المعطشة ، وهي التي عودته أن يميز بينها في السين والصاد والثاء والشين ، وهي ولا شك تلك الحاسة التي يعرفها الموسيقيون وينسبون إليها وجود ربع المقام في الأنغام العربية حيث يحتفى من أنغام الموسيقى الأوربية ، ولا حاجة باللغة في سبيل التطور والتصفية إلى حاسة أوفى بهذا الغرض من حسن النطق وحسن الاستماع . .

ولا نهمل الأسباب الجغرافية التي كان لها أثر في اختصاص العرب بمزايا النطق الفصيح ومزايا التنسيق والتوفيق بين المخارج والحروف .

فمن تلك الأسباب ما أفاد اللغة من جانب حسن الاستماع كما استفادت من جانب حسن النطق وحسن الأداء .

فقد عاش العرب في الصحراء أحوج ما يكونون إلى السمع الدقيق بين الأودية

والهضاب ، حذراً من عوادي الحيوان والإنسان ومن ضلال الطريق بين الأهوية والأنواء ، فاكسبوا مزية السمع المرفه وما يصحبه من مزية التفرقة بين الأصوات بل بين الهمسات والأصدا ، وتلك مزية لا محل فيها لدعوى المكابرة بالفخار الكاذب لأنها مزية حسية يكتسبها الحيوان كما يكتسبها الإنسان ، وليس أقدر على السماع المرفه من حيوان الصحراء .

\* \* \*

وكل أولئك من الأسباب العلوية الطبيعية التي تعنى المتفرنجين بيننا من مؤنة هز الكتفين إذا سمعوا يوماً أن لغتهم العربية أفصح اللغات .

عباسي محمود الدفاد

# المثالية في نظر الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

قول « لا إله إلا الله »، وكان هذا المفسر يريد أن يقول : ( إن لا إله إلا الله ) هي الحقيقة الكبرى التي لا تعلوها حقيقة ، وهي التي يجب أن تكون المرجع والمقياس الذي يقاس به كل شيء ليعرف ، فما كان متمشياً معها ، ملائماً لها من الأفعال والأحوال فهو حق وخير ونهج سوى ، وما كان منافراً لها ، غير متسق معها فهو باطل وشر والتواء عن الصراط المستقيم . وهذا معنى صحيح ، ولكنه لجمال يحتاج إلى تفصيل .

وعندي أن المثل الذي ذكر في هذه الآية مرتين ، هو ما يحتذى ويقاس عليه <sup>(١)</sup> ، وهو نوعان متقابلان :

أحدهما المثل السيئ ، وهو عبارة جامعة لكل معنى من معاني الشر والفساد ، كأنه قالب لكل ما هو سوء ، فقي قيس عليه شيء من الأشياء وطبع به لم يأت إلا خبالاً وخساراً وضلالاً وفساداً ، وقد عبر عنه بعبارة فيها تركيب إضافي ، فقيل « مثل السوء » لأنه مقياسه وقالبه فكان « السوء »

من معاني المثل والمثل في اللغة ما جعل مثالا أى مقداراً لغيره يحذى عليه .

وبعبارة أخرى هو في الماديات : القالب الذي يقدر عليه مثله .

ويقال : هذا الرجل مثال أو مثل يحتذى أى أسوة وقدوة .

وقد اعتاد الناس في عصرنا الحاضر أن يفسبوا إليه فيقولوا « المثالية » يريد التزام أمثل الأشياء وأفضلها وأشرفها ويقابلون به « الواقعية » أى : التزام الواقع والرضا به كيفما كان .

ولذلك يقولون : فلان مثالى ، أى يترسم في قوله وفعله المثل العليا ، أى الصور الأفضل ، وفلان واقعى أى : من خلقه مجارة الواقع دون أن يعبأ بما عسى أن يكون فيه مما يغمز أو يعاب .

\*\*\*

وفي القرآن الكريم :

« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء »

ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم ،

قال بعض العلماء في تفسير « المثل الأعلى »

الذى أثبت في هذه الآية لله عز وجل : هو

(١) اقرأ التعليق على هذا في باب انباء واره .

يشق للحد فيميل به إلى جانب الحفرة لا إلى وسطها وسوائها .

وقد وصف القرآن الكريم رب العزة بأن له الأسماء الحسنى ، ومعنى ذلك أنه تعالى هو المبدأ الأكل ، والمثل الأعلى في كل ما هو سمو وفضل وجلال وجمال ، وأن كل ما في الكون من ذلك صادر عنه وقس منه . وقد قرب هذا المعنى حيث يقول : «الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

فالسماوات والأرض تعبير عن الكون كله ، علويه وسفليه ، وما خلق الله من شيء . والله نورها ، والنور هو روح كل موجود وسره ، فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له لما كان في المعنى إلا صورة مساوية للعدم . وقد أثبت العلم أن كل موجود لا بد له من النور على نحو من الانحاء ، وأن انقطاع النور انقطاعا تاما عن الموجود إنما هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض دعائه الذي توجه به إلى ربه ، حيث يقول : ( أعوذ بنور

الذي هو جماع كل شر وفساد وضلال شيء له قالب يطبع عليه ، ويمثل به . ونسبته إلى « الذين لا يؤمنون بالآخرة » سببها أن هؤلاء هم الذين لا يرجون ثوابا ، ولا يخشون حسابا ولا عقابا ، فهم لذلك يستبجحون كل إثم ، وكل شر ، وكل ضلال أما الذين يؤمنون بالآخرة فن شأنهم أن يتسموا ما ينجم من حسابها وعذابها ويدخلهم في رحمة الله ورضوانه .

وفي القرآن الكريم : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

والنوع الثاني من المثل هو « المثل الأعلى » الذي يقاس عليه فعل الخير والصلاح وكل ما هو رشاد واستقامة ، وذلك هو الفضائل والصفات الحميدة والأعمال الصالحة ، فكل ذلك مرجعه ومقياسه وتقديره هو الله ، لأن الله تعالى هو مجمع المثل العليا - إذا جاز لنا أن نعبر بهذا التعبير - وهذا شبيه بقوله عز وجل في موضع آخر : « وله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائهم » .

ففي هذه الآية مقابلة بين « الأسماء الحسنى » التي أثبتتها الله لنفسه جل وعلا ، والأسماء التي يلحد فيها الملحدون ، أي يميلون في شأنها عن النهج القويم ، والوسط السوي ، كمن

التأمل فيها ، ويعرف أخلاقه تعالى  
أو صفاته بها ، وترسم ما توحى به من المثل  
العليا في أبوابها ومواطنها ؛ من شأنه أن  
يعرفنا بالفضيلة والكمال وكل ما هو سمو  
وخير وجمال .

ذلك هو « المثل الأعلى » الذي أثبت لله  
جل جلاله ، وتلك هي « الأسماء الحسنى » :  
كلاهما يوجه إلى الرجوع إلى الله تعالى  
وترسم مقاييسه ومناهج حكمه وتشريعه ،  
وصفات علوه وكماله .

\* \* \*

و « المثالية » في نظر الإسلام ليست  
هي الوصول الفعلي إلى هذه المثل ، حتى لو أن  
إنسانا قصر عنها خطوة ، أو حاد عنها قيد  
شعرة ؛ لما كان في نظر الإسلام « مثاليا » .  
كلا ، ولكن الله تعالى إنما يكلفنا بأن  
نتمسكها وتتبعها ونجعلها نصب أعيننا ،  
نهدف إليها بقدر استطاعتنا ، ونذود  
في فلكها غير نادين عنها عناداً واستكباراً  
ورفضاً وتخلصاً .

إن الله تعالى فطر بني آدم على نوع معين  
من الغرائز والطباع والوظائف الجسمية  
والعقلية ، ومن شأن هذا النوع أن يجرهم  
إلى ارتكاب ما يعد خطئاً أو انحرافاً  
أو ذنباً ، ولم يشأ جل جلاله أن يخلقهم  
على النوع الذي خلق عليه الملائكة الذين  
(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون).

وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلاح  
عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل بي غضبك ،  
أو تحل علي سخطك ) .

وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور  
بوصف تمثيلي مداره على إثبات قوته وصفاته ،  
وتكامله وتمام بهائه ، فبلغت من ذلك الغاية ،  
وقربت الأمر أعظم تقريب .

وقد جاء القرآن الكريم بكثير من أسماء  
الله الحسنى التي اشتهر أنها تسعة وتسعون  
استناداً إلى ما روى في الصحيحين وغيرهما  
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( إن لله تسعة وتسعين اسماً - مائة إلا واحداً -  
من أحصاها دخل الجنة ) .

وذلك مثل : الرحمن ، الرحيم ، الصبور ،  
الشكور ، الملك ، القدوس ، الباري ،  
المصور ، القدير ، العظيم ، الحليم ، الغفور ،  
الودود ، الخئيد ، الجمد ، الوهاب ، الباسط ،  
الغابض ، الرقيب ، الحسيب ، وغير ذلك .

والمؤمن البصير بربه ، يتعلق بأسمائه  
ويتعشقها ، ويرسمها ، ويجعل منها مثله  
ومقاييس أفعاله وأخلاقه ، ويرى فيها سلواه  
وهداه ، ويستمد منها قوة في حياته ،  
تيسر له الصعاب ، وتهون عليه الشدائد ،  
وتدفعه إلى القيام بما أقامه الله فيه دون  
تبرم أو ضعف .

وذكر الله تعالى بهذه الأسماء عن طريق

هذه هي نظرة الإسلام إلى « المثالية » ولو أنه نظر إليها نظرة تشديد ، وألزم بها الناس على معنى أنه أوجب عليهم تحقيقها كاملة غير منقوصة ، لما استطاعوا أن يحققوها ، ولكانوا كلهم خارجين عن أمر الله ، مستحقين لعقابه . ولو أنه تعالى خلق الناس جميعا على طبيعة الملائكة ، فلم يعص في الأرض ولا في السماء ؛ لما تحقق وصف « العفو » ولا وصف « الغفور » ، تحقيقا عمليا .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن « المثالية » التي يقرها الإسلام ، إنما هي الاتجاه إلى مثل الفضيلة والخير والحق والجمال ، وتعشق ذلك كله ، وأن تهوى إليه أفئدة الناس مؤمنين به ، مصدقين « بالحسن » ، أى بأن لهم مثلا عليا يحب عليهم أن يعملوا على احتذائها ولا يكونوا كالذين يكذبون « بالحسن » ، ويعتقدون أن كل شيء في الحياة مباح ومستباح ، وهم الإباحيون الانحلاليون الذين لا يؤمنون بالآخرة ، والذين لهم ( مثل السوء ) كما يقول القرآن الكريم .

وبذلك يكون للمثالية نظر إلى الواقعية ويكون للواقعية نظر إلى المثالية . أو بعبارة أخرى . يكون الإسلام واقعيا في مثاليته ، ومثاليا في واقعيته .

**محمد محمد المرنى**

عميد كلية الشريعة

ولهذا لا نستطيع أن نقول : إن الله تعالى يتنظر من عباده أن يكونوا طائعين طاعة تامة ، متجنبين لاقتراف أى إثم ، بعيدين عن ملابسة أى نوع من أنواع الشرور والمفاسد . لا نستطيع أن نقول ذلك ، لأن الله تعالى هو الذى خلقهم وغرس فيهم طبائعهم وملكاتهم ، وركب فيهم الشهوات والرغبات والحاجات ، فلا يمكن أن يتطلب منهم سجايا الملائكة وقد خلقهم بشرا .

ولذلك نجد القرآن الكريم يرسم للمثالية خطوطا فيها رحمة بالإنسان .

فهو يقول « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » ويقول مسع ذلك « فانقوا الله ما استطعتم » . ويقول أيضا « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للبتقين » ثم يصف هؤلاء المتقين بأوصاف تدل على اتجاههم إلى فعل الخيرات ، واجتناب الإصرار على المعاصي إذا وقعوا فيها ، فيقول : « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » .

## مَنْ مَعْنَى الْفَتْرَانِ

« وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ،  
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ،  
( قرآن كريم )

والطوية ، فالربا زيادة تؤخذ بالباطل ، ودون  
عمل مقابل وهو لذلك ضر وشر ، والزكاة  
زيادة تعطى للمستحقين من الأغنياء والموسرين  
وهي لذلك بر وخير ، الربا زيادة يأخذها  
الغنى من الفقير أو المحتاج ، والزكاة زيادة  
يدفعها الغنى للفقير أو المحتاج ، وبين الأمرين  
من الفوارق ما بين الرذيلة والفضيلة ، والباطل  
والحق ، والحديث والطيب ، والحرام والحلال .  
وفي ضوء هذا التوجيه الإلهي تدبين معالم  
« الاقتصاد الموجه » كما يريده الإسلام ؛  
فالmaal يجب أن يوجه إلى طريق الخير والبر .  
فلا ينمى بالاستغلال الآثم الظالم كما هو الشأن  
في مسالك اليهود وفي نظام الائتمان الذى ابتدعوه  
وأشاعوه ، وعاشوا عليه . كما يقول الله :  
« وأكلهم الربا وقد نهوا عنه » . وإنما ينمى  
بما شرع الله من وجوه السعى النافع والنشاط  
الشريف ، وبما ينفق منه فى وجوه الخير  
والبر ومصلحة الناس واجتماع كما هو الشأن  
فى النظام الذى جاء به الإسلام وأشار إليه  
قول الله سبحانه : « ولاتأكلوا أموالكم بينكم  
بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا  
من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

عبد الرحمن فودة

الربا كلمة تطلق على الزيادة والنماء وعلى المال  
الزائد ، يقال ربا المال يربو بمعنى نماء وزاد .  
وضعف الشيء مثله ، ويقال أضعف فلان  
إذا صار ذا أضعاف - بفتح الهمزة - كأيسر  
بمعنى صار ذا يسر .

والزكاة تطلق على معنى الزيادة والنماء ،  
والطهارة ، والصلاح . وصفوة الشيء ، وهي  
بالمعنى الشرعى حصة من المال ونحوه يوجب  
الشرع بذلها للفقراء ونحوهم بشروط خاصة .  
المعنى

ما أعطيتم من مال تلتمسون بإعطائه أن  
يزيد وينمو فى أموال الناس لقاء انتفاعهم به  
أو حاجتهم إليه ، فهو لا يزيد عند الله ،  
ولا يبارك الله لكم فيه ، وما أعطيتم من مال  
تريدون بذلك إرضاء الله وامتنال أمره . فهو  
ينمى أموالكم ويضاعفها ، ويجزل الله لكم  
الأجر والثواب عليه ، والذين يبذلون بعض  
ما يملكون من المال على هذا الوجه الذى  
يرضاه الله هم دون غيرهم أصحاب اليسر والبركة  
والنماء « يمحى الله الربا ويربى الصدقات » .

والمتأمل فى هذه الآية الكريمة يجد مقابلة  
بين أمرين كلاهما بمعنى الزيادة . وهما الربا  
مع قصد الاستغلال وزيادة المال ، والزكاة  
مع الإخلاص لله فى النية ، وسلامة القلب ،

# الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

- ٢ -

ثقافتنا الإسلامية عندما نعود بها إلى عصور السيادة والأصالة : عصورها الأولى .

ولست أريد أن أطيل في رسم هذا المنهج لأنى أجد كلمات قليلة لإمام من أئمة الشريعة الإسلامية ، هو أبو حنيفة ، تحدد هذا المنهج أصدق تحديد وأعظمه دقة وشجاعة ، يقول أبو حنيفة : « إن ما كان من عند الله ورسوله قبلناه على العين والرأس ، وما كان من عند غيرهما فهم ناس ونحن ناس » .

ولا أزيد على كلمة أبو حنيفة هذه سوى أن « ما كان من عند الله ورسوله » من الأوامر الصريحة والتكليف المطلوبة قبلناه كما يقبله المؤمنون على العين والرأس . ولنا في غير ذلك أن نفهم وأن نقارن وأن نجتهد . فقد أصبح من نافلة الحديث أن نقول إن باب الاجتهاد لم يقفل . وأصبح من المكابرة الضارة القول بغير ذلك .

٧ - وما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، القصد والاعتدال فى الأحكام الجازمة فى الشريعة ، وناهيك بالاتهام والتكفير ، ونحن نحفظ

٦ - « خرجنا من نظم الحكم وحدود التفكير العثمانى والمملوكى ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الحتم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الدينى ورجاله وأهله » .

دكندا قلنا فى مقالنا السابق من هذه الجملة (١) فإلى أين يدخل الفكر الدينى - الذى يمثله الأزهر المتطور - بعد خروجه الحتمى من نظم الحكم العثمانى والمملوكى وحدوده فى التفكير ... ؟

أول ما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى - الذى يمثله الأزهر المتطور - هو : « المنهج الحر » ، فى البحث وفى التفكير وفى الأداء . وبعض المجددين المفتونين بالثقافة الأوروبية يسمونه المنهج « الأوروبى » أو « الغربى » لأن سمات هذا التفكير القائم على الشجاعة والشك والتفرس قدمت لنا فى هذا العصر من الغرب . ولكن هذه السمات نفسها ، وخصائص هذا التفكير نفسه نجدها فى

(١) ص : ٤٢٢ من عدد جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ « نوفمبر سنة ١٩٦٢ » .

وليجعلوا — قبل ذلك — رائدهم وإمامهم  
نهى النبي الكريم أميره (بريدة) « أن ينزل  
عدوه إذا حاصره على حكم الله . وقوله ،  
عليه السلام في ذلك : فإنك لا تدري أتصيب  
حكم الله فيهم أم لا ، ولكن أنزلهم على  
حكمك وحكم أصحابك » ، وبذلك نهى  
رسول الله أميره ، والعلباء من بعده ،  
أن يسمى حكمه واجتهاده « حكم الله » .

وأماى وأنا أكتب هذا المقال حديث  
تحدث به شيخ معاصر كبير يقول فيه : إن  
إعطاء المرأة حق الانتخاب ( حرام ) وكان  
ذلك قبل سنة ١٩٥٢ ، ونحن الآن لم نعط  
المرأة حق الانتخاب فقط ، بل أعطيناها  
— بعلم رجال الفكر الدينى وإقرارهم —  
حق التمثيل النيابى وحق الاشتراك فى الحكم ،  
الوزارة ، وربما عن قريب حق تولية القضاء .  
وليس شئ من ذلك خارجا على ( عموم  
الشريعة ) وإن يكن خارجا عن رأى ( بعض  
العلباء ) فيها .

ولو أن شيخنا الذى أفتى بأن إعطاء حق  
الانتخاب للمرأة « حرام » ، جنح إلى القعد  
والحيطة ولم يجزم بكلمة ( التحريم ) لجنب  
نفسه وجنب الشريعة نفسها هذا الحرج الكبير  
الذى لا موجب له ولا مبرر .

٨ — هذا الموقف من بعض رجال  
الفكر الدينى والماضى — أو من أكثرهم —

قول النبي الكريم : « الدين يسر لا عسر ،  
وما شاد الدين أحد إلا غلبه » ، ونعرف  
أن النبي عليه السلام ، كما وصفته عائشة ،  
ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

وفى هذا القصد وهذه الحيطة نجد التابعى  
الجليل « ابن وهب » يقول راويا عن الإمام  
مالك : « سمعت مالكا يقول : لم يكن من أمر  
الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت  
أحدا أفتدى به يقول فى شئ . هذا حلال  
وهذا حرام ، وإنما كانوا يقولون نكروه  
كذا ونرى هذا حسنا ، فينبغى هذا  
ولا يرى هذا (١) » .

وفى ذلك أيضاً يقول ابن القيم إن الأئمة  
تورعوا عن إطلاق لفظ التحريم على كثير  
من الأشياء واختاروا لها وصف الكراهة ،  
تحرزاً وورعاً وحيطة .

ليجعل الذين يبادرون إلى التحليل  
والتحريم نصب أعينهم كلمة عظيمة زاجرة  
قالها مالك ( فى بعض ما كان ينزل به فيسأل  
عنه فيجتهد فيه رآيه ) (٢) فقد كان مالك  
يقول : « إن نظن إلا ظناً ، وما نحن  
بمستيقنين » (٣) .

(١) ص : ٣٩ « من إعلام الموقعين » الجزء ١  
« محمد محبى الدين عبد الحميد » .

(٢) ، (٣) ص ٤٤ من : إعلام الموقعين ( الجزء  
١ - الطبعة سابقة الذكر ) .



في الحرية التشريعية في رسالة ابن المقفع المعروفة برسالة الصحابة ، فقد ذكر فيها ما يفهم منه أن الحرية الذهنية في الفقه الإسلامي كانت في ذلك العهد مطلقة حتى وجدها في نظره قد انتهت إلى فوضى ، فهو يقول إن القضاء «مترك لرأى القاضي واجتهاده حتى تصدر عن ذلك أحكام متناقضة حتى في البلدة الواحدة ، فمسحتل دماء وفروج وأموال في ناحية من نواحي السكوة وتحوم في ناحية أخرى ، تبعاً لحكم القاضي»<sup>(١)</sup> ثم يذكر ابن القفح أصحاب الرأي وأصحاب الأثر من القضاة وأن بعض هؤلاء يقضى بما شاء «ثم إذا قيل له : إن مثل هذا الأمر لم يرق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله وسلم أو أئمة الهدى من بعده قال : فعل ذلك عبد الملك بن مروان أو أمير من بعض أولئك الأمراء»<sup>(٢)</sup> وأن بعض هؤلاء يزعم أنه من أهل الرأي «فيقول في الأمر الجسم قولاً لا يوافق عليه أحد ، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وإمضائه الحكم عليه ، وهو مقرر أنه رأى منه»<sup>(٣)</sup> .

وقد أكون أطلت في هذه الناحية الخاصة التي أريدها أن تكون أثراً من آثار تطور

هو الذي جعل الثورة الكالية في تركيا قبل أربعين سنة تقتحم القدسية العظيمة التي كانت لهم فيها ، وتجترى ، مع ذلك ، على الشريعة نفسها فتفعل بها ما علنا من المحو والتحدى أو الإبادة في بلاد ( الخلافة الإسلامية ) نفسها . وهذا الموقف نفسه هو الذي جعل مصلحاً عظيماً ، هو الشيخ المراغي<sup>(١)</sup> ، يعلو صوته بهذه النصيحة قبل خمس وثلاثين سنة فيقول : ( ... وكما حصل في الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الإسلامي لأنها وجدته ، بحالته التي أوصله إليها العلماء ، غير ملائم . ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والحرج ، لما تركته إلى غيره . لأنه يرتكز إلى الدين الذي هو عزيز عليها ... ) . وهذا بحث قد وفيناه في بعض كتبنا .

٩ - وعلى النقيض من ذلك نجد الأمر في عصر من أزهى عصور الفكر الإسلامي وأزهر أيام الحضارة الإسلامية ، نجد فيها الشكوى من الإنطلاق في الحرية لا من تقيدها والحجر عليها ، وكان الأجدر أن يكون العكس هو الواقع .

نجد مظهراً من مظاهر هذا الإفراط

(١) (٢) رسالة الصحابة لابن المقفع

(٣) ص - ٩٥ - من كتابنا - تفويم الفكر الديني - البيان العربي .

(١) مذكوره الشيخ المراغي الإصلاحية المعهودة التي قدمها إلى الملك فؤاد سنة ١٩٢٨ .

في الشريعة وفي علوم عصرهم أيضا . حتى في أشد عصور الفكر الإسلامى ظلة وتخلفا نجد عالما مثل الشيخ حسن الجبerty - والد الشيخ عبد الرحمن المؤرخ الكبير - في القرن الثامن عشر يقبح في فقه الحنفية ويتقن علوم الطب والهندسة والحساب ويرى موازين الناس قد « فشى فيها الغش » كما يقول ولده - فيقومها لهم . ولكن هذه السكليات الجديدة التي أنشئت أو تنشأ في الأزهر لابد أن تبقى عليه طابعه وخصائصه ويميزاته .

١٠ - والأزهر ، قبل تطويره وبعد تطويره ، له رسالة نحو اللغة العربية وتجديد دراستها على منهج جديد . وهذه الملاح التي وصفناها في مقالنا هذا وسابقه ، عن دراسة الشريعة ، نجد أشباهها في دراسة اللغة العربية ، فقد جمدت وفسدت عندما جمدت وفسدت الحياة الفكرية والسياسية الأمة العربية كلها . فكانت دراسة اللغة ، مثل دراسة الفقه والشريعة ، قائمة على التلقين والتلقي والمتابعة والجمود والتقليد والتعقيد ، وبقيت على هذا الحال حتى عصر قريب : نرى الشيخ ناصيف اليازجى ، مثلا ، يؤلف في منتصف القرن التاسع عشر ، في لبنان ، كتابه : « مجمع البحرين » على نسق « مقامات الحريرى » ، ونرى أمير الشعراء شوقي يؤلف بعد ذلك كتابه : « أسواق الذهب »

الأزهر : فاحية القصد والاعتدال في الحكم وناحية التيسير في الحرية ، على أساس من الدليل والفهم للشريعة وروح العصر معاً ، قد أكون أطلت في ذلك ، عن قصد ؛ لأنى أعتقد أن الأزهر مهما أضيفت له أو أنشئت فيه من كليات مدنية ، فسيبقى هو الأمين على شريعة الإسلام في العالم كله ، على الشرائط التي ذكرناها ونذكرها وعلى المستوى الذى نريده وندعو إليه . وأعتقد أن هذا أيضا هو ما يريده المشترون لتطوير الأزهر في حديث وزير الأوقاف وشئون الأزهر الذى يقول : « جامعة الأزهر لن تكون صورة من الجامعات الأخرى »<sup>(١)</sup> ، وليس للأزهر من خصيصة تفردة عن الجامعات الأخرى إلا أنه الأمين المهيمن على شريعة الإسلام ، وسيدى بهذه المثابة على الدوام مادام كفوا لها وقادراً عليها .

لا بأس أن تنشأ في الأزهر وفي غيره كلية أو كليات للطب والهندسة والزراعة وغيرها . « فاعلم » الذى قال النبى عليه السلام إنه « فريضة على كل مسلم ومسلمة » ليس هو علم الدين والشريعة وحدهما ، بل كل علم من علوم الحياة ، وقد كان ابن رشد وابن سينا والغزالى وغيرهم علماء من كبار الأئمة

(١) حديث السيد الدكتور محمد البهى ، جريدة الجمهورية في ١ أكتوبر ١٩٦٢ .

ويعتمقها ، وهى ، فى جملتها ، تهدف إلى زيادة فهمه للحياة العقيدية والسياسية والاجتماعية التى تحيط بجماعة المسلمين فى العالم المعاصر بخاصة ، والتى تحيط بالعقائد والأديان ووضعها القائم فى العالم المعاصر ، وفى المستقبل القريب ، بعامة . ولنضرب أمثلة على ذلك : عند جماعة المسلمين فى العالم المعاصر جملة من « المشاكل » أو « المسائل » التى تؤثر تأثيراً كبيراً عليهم جميعاً وعلى مستقبلهم كأصحاب عقيدة يأمرهم دينهم بالمساندة والموازرة - وهما نتيجة للفهم والمعرفة - من ذلك مثلاً وضع « باكستان » ، القائم ومستقبلها والحال التى يعيشها المسلمون فيها ، وأهلها كلهم مسلمون ، هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة يجب على رجل الفكر الدينى الذى يريد أن يشارك مشاركة فعالة فى خدمة جماعة المسلمين أن يدرس أوضاعها ومشاكلها واحتمالات مستقبلها القريب ، حتى يشارك فى معونتها .

البقية فى العدد القادم

محمود الشرفاوى

على نسق كتابى : « أطواق الذهب » للزمخشري و « أطباق الذهب » للأصفهاني . والتقليد من الأخير واضح ، حتى فى التسمية . وكانرى فى « ليالى سطيح » لحافظ ابراهيم د وحديث عيسى ابن هشام ، للدويلجى . وهذه الكتب وأشباهاها مما ألف فى عصور الظلام قائمة على المحاكاة والمحسنات وأدب اللفظ والصياغة .

والتفصح والتصميم وإبراز القدرة اللفظية والتزويق .

وقد وجدت وأنا ألقى دروسى فى كلية اللغة العربية قبل سنين أن هذه « المدرسة » لا يزال لها رجالها ونفوذها ومتابعوها

وهذا الذى نريده من « الفكر الدينى » الذى يمثله الأزهر المتطور ، نريده أيضاً فى دراسة اللغة والأدب من كلية الدراسات العربية الجديدة فى الأزهر .

١١ - وهناك ألوان من الثقافة ليست تعليمية ولا جامعية - ويمكن أن تكون كذلك - ولكن رجل الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، يجب أن يعرفها وأن يحيط بها ، بل يجب أن يدرسها

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لا يسه يوماً : يا أبت ، إنك تنام نوم القائلة ، وذو الحاجة على بابك غير نائم : فقال له : يا بنى ، إن نفسى مطيقتى ، فإن حملت عليها فى التعب حسرتها .

# فن الصورة في أدب المازني

## للدكتورة نعات أحمد فؤاد

وفضل المازني في الصورة يظهر إذا رجعنا خطوات وراجعنا إطار الصورة في الأدب العربي . كان هذا الإطار يأخذ شكل المقامة أو الرسالة أو القصيدة . وكانت الصورة داخل هذا الإطار تؤدي على اختلاف ، في ظل الصناعة اللفظية ، فتخرج مثقلة بالمحسنات ، والسجع خاصة ، وتجمدت أشكالها حتى أخذت شكل القوالب .

وجاء في بشائر عصر النهضة جيل حاول التجديد كالمويلحي في حديث عيسى بن هشام فشئنا ربح التجديد في الموضوع ، ولكنه لم يتخلص من ( القوالب ) بصفة نهائية فحدثه شبه مقامة في سبعة و ( القفلات ) و ( الخطابية ) .

وهنا يظهر عمل الرواد من حيث الشكل والمضمون . وتفاصيل هذا كثيرة ولها امتدادات تخرج بنا عن الموضوع . يكفي أن نقول إن الإطار والصورة ، على أيدي

الرواد ، تجددتا حتى وصلا إلى المفهوم الحديث لهما . فكانت القصة والمسرحية عند توفيق الحكيم ، والمقالة والقصة عند المازني ، والمقال والقصيدة عند الأستاذين : العقاد وشكري .. هذا على سبيل المثال لا الحصر .

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في طليعة كتاب المقالة في أدبنا الحديث إن لم يكن كاتبها الأول ، وهو يقف في هذه الطليعة بين كتاب القصة أيضا ، فالصورة عنده لها مجالات متعددة غنية وساعة . وفي هذه المجالات تستمد الصورة من ملكاته الخاصة وقدراته الفنية . تستمد من طبيعته المتفكرية الساخرة ، تستمد من قراءاته الأصلية المترعة ، فقد كان رواد الأدب وثيق الصلة بالأعمال الأدبية الكبيرة في الأدب العربي إلى جانب ضلاعتهم في الأدب العربي . من هذه الينابيع كلها تستمد الصورة في أدب المازني ، فتروع بالملاحظة النافذة والتفاصيل الممتعة ، والفكاهة العذبة ، والسخرية الضاحكة ... ويمد المازني لهذا كله بمبالاته المستمرة . والتجسيم فن طبع في يده ، يطرف به ويروق ، فتغدو الصور كاريكاتورية تبلغ بالدعابة ما لا تبلغه صور أخرى بالجد والتقنين .

والصورة عند المازني فن يستهوى . وكلنا نذكر مقدمته لكتابه ( صندوق الدنيا ) الذي يشبه به أدبه ، والحقيقة أن قراءه معه كأطفال الصندوق الذين رسم لهم المازني صورة ملونة استوقفت الكثيرين .

صورة الولد وصورة البنت - أعنى بنوة الولد وبنوة البنت .

صورة المرأة وهذه لها معرض من الصور في كتبه كلها : متكلمة ، وصامتة .

إذا صح أنها تطبيق الصمت في رأى الرجل على الأقل - ومتدلة وزوجة وصديقة . .

أما وبنتا ... إلخ .

وأخيراً صورة نفسه التي استغرقت كتابين من كتبه ، ولعل كاتبها لم يصف نفسه وصفا

دقيقاً متشعباً محيطاً كما فعل المازنى . لأنه لم يدع أدنى شيء يتصل بها أو عمل أتمه إلا

تناوله بقلبه . وأعله كان يعرف هذا فقد كتب في وصف إبراهيم الكاتب وهو يعنى نفسه

( وكان يرص العبارة فوق الأخرى ويكظها جميعاً بشخصيته حتى لتحس أن ألفاظه ملأى

بمعانيه هو ، ومثقلة بخواجه هو ، وأنه لاسيل لك إلى رأى أو إحساس فيما وراء هذا

الكوم المكسوس من الآراء والإحساسات وأن عليك أن تتبلع بلا تردد ولا مضغ ) .

إبراهيم الكاتب ص ٢٢٩ / ٣٠٠ .

وكتاب المازنى ( من النافذة ) يكشف عن مادة الصورة عنده ، فهذا الكتاب مجموعة

صور التقطتها عين المازنى وكونتها من مجموعة أشياء ذكر بنفسه منها : ( ثيابهم ومبلغ

عنايتهم بها وما يراه عندهم من ضرورها وحركاتهم ومشياتهم وطريقتهم في الكلام

وليس معنى هذا أن المقال والقصيدة بل والمسرحية كانت غير معروفة قبلهم ولكن

كلها بالصورة الحديثة لها أو الصورة المتكاملة المفهوم والشكل إنما ولدت على أيديهم ...

أيدي الرعيل الأول وأحد أعلامه الأستاذ « إبراهيم عبد القادر المازنى » .

ولقد صور المازنى بيته ومعاملة أهله له طفلاً ويافعا ، كما صور ملاعب طفولته

ورفاق حدائمه ومعابد هواه . صور هذا كله وصفا دقيقاً بارعا في « حصاد الحشيم » و « قبض

الريح » و « صندوق الدنيا » و «ع الماشى » و « مجموع وصفه يعد تاريخاً مصوراً للجيل

الماضى ، والبيت المصرى القديم ، والجمع الممصرى فى أواخر القرن التاسع عشر

وأوائل القرن العشرين . فأدبه التصويرى من هذه الناحية لون من الأدب الموضوعى .

ومن صور المازنى البارزة وأستطيع أن أقول الخالدة :

صورة « حياة » (مقدمة كتابه « فى الطريق ») .

» ( صندوق الدنيا ) .

» البيت المصرى (بيت الطبقة الوسطى فى عصره ) .

صورة المدرسة القديمة مدرسيها ونظارها .

» ( ابن البلد ) .

» ( الحاوى ) .

» أو لوحة الأبوة والأمومة .

حشد من التفاصيل كما ترى لا يخطئ  
حرفين من خيط ... لا يخطئ من إبهام  
القدم ولون الظفر ..  
ويخدم فيما يخدم ، الاسم . فيسمى أحد  
الأشخاص عبد المنعم ، ولو من باب إطلاق  
اللفظ على ضده كما يقول . .

وصورته تعمد إلى التحليل النفسي في رسم  
الشخصية من نظرات العيون أو المشية  
أو وجوه السلوك . وأغلى قسبات الوجه  
عنده ( العين ) كل القيمة فيها أو كل قوة  
النفس كما يقول تندف من العين . وهناك كانت  
العين أداة التنويم المغناطيسي . . . حتى  
الابتسامة سرها في العين وفي هذا يقول :  
( نعم يسعى أن أفتح في وأوسع حنكي  
ولكن عيني . . كيف أقصرها على الالتعاع  
الذي لا يكون الابتسام ابتساماً إلا به ) .

وأحياناً ترتكز الشخصية على ( الكفين )  
كما فعل مع « عبد المنعم » في كتابه  
« مع النافذة » .

والمازني مثل الجاحظ في تقصى الخواج  
النفسية حتى ما خفي منها ، وتفسير الحركات  
والسكبات على هديها فأدبه من هذه الناحية  
أدب إنساني له شأن ..

وأحياناً يرسم المازني خلفية للصورة

Background فإذا رسم صورة لإنسان  
مكبوت النشأة ناقص الأهلية ، رسم صورة  
جاننية لأمه وأبيه بل محبيه أيضاً .

وشمائلهم وسكونهم أو ضجرهم إذا أبطأ  
عليهم الترام أو حال الزحام بينهم وبين ركوبه ) .  
ونستطيع أن نضيف له مما يعني به من  
أوصافهم ، قسبان وجوههم وأشكال  
أجسامهم ثم تدخل الصورة عناصر أخرى  
منها خياله واستطراده الذي قد يحسبه البعض  
من حواشي الموضوع ولكنه كثيرأ  
ما يكون تشويقاً يشد المشاهد إلى الصورة  
ولا يحول بينه وبينها ...

ثم سخريته وفكاهته وتجسيمه وأخيراً  
سره ... روحه الخاص .

وفي أثناء تخطيط الصورة يخدم لها  
تفاصيل كثيرة يعطيها أحياناً من الأهمية  
ما يعيش على رسم الشخصية المرسومة فيركز تارة  
على الثياب ويعمق معناها بما ظاهره الاستطراد  
وهو مقصود لتعمق خطوط الصورة .

وثيابها أيضاً نفيسه ناعمة ، وكأنها الغلالة  
الرييقة التي تلبس تحت الثياب ، وهي قطعتان  
كذلك : صدار أبيض قصير الكمين ، وفوق  
موضع القلب منه ، أو أعلا قليلاً ، حرفان  
يرمزان إلى اسمها بخطوط حمراء ، واثنية  
حجول أزرق هفهاف يخف مع الريح ،  
والخذاء سيور بيض وزرق ، وإبهام القدم  
بارز والظفر أحمر . أما الشعر ففينان  
مسترسل وقد لفت عليه دون أن تغطيه  
منديلاً أدارته كطرف العمامة ... إلخ ) .

لا يطاق حتى لكأنك تلغو في حضرة البابا) .

أحاديث المازنى ص ١٢٠ .

وتحت العنوان البسيط يصف القط فيأخذ في حديث السياسة فاقط حذر متردد (ولو كان الانجليز قد خلقوا قبل القلط وسبقوها إلى الدنيا والحياة لقلت أن القلط أخذت ذلك عنهم وقلدتهم فيه فإنهم مثلها يقدمون على الشيء متحريين ويخطون خطوة ثم يقفون ينظرون ما يكون فإذا جرت الأمور على غير ما يحبون أو يتوقعون ارتدوا بخفة وبسرعة وإلا نقلوا رجلاً أخرى وهكذا فيظهر أنهم هم الذين يقدون القلط ويحاكونهم في هذا والله أعلم) .

وللمازنى صور بعيدة أو غريبة منها تلك التى رسمها للعصا ولا تقل وما فضل العصا على غيرها من سائر الجمادات فإن المازنى يقول : (العصى معروضة فى دكان ، أو على أيدي بائعيها الطوافين بها ، أو تحت آباطهم لا تبدولى أكثر من أعواد من خشب منجور ومدهون مصقول ولسكنها فى أيدي متخذها أو حاملها أو المتوكئين عليها تدب فيها « الحياة » وتكتسب « شخصية » وتنقلب أشبه بالعنوان أو الشارة أو الراية .

ثم يمضى فى التحليل ومن غريب وصفه لها قوله : ( والعصا كاللحية تكون أليق فى سن منها فى سن أخرى . وكذلك ألوانها وزينتها أو عطلها وحجوما ) .

والعناوين عند المازنى بسيطة مشوقة .

والبساطة نفسها ومن كاتب قبة ، تشويق .. على أنه وراء هذه العناوين البسيطة يتسلل إلى معان ليست بسيطة . فالمازنى تحت هذه العناوين البسيطة يبدئ الصورة ما يشاء من أفكار وسخرية تتناول الأشياء .. تتناول ما تواضعنا عليه بسيطاً وغير بسيط . فصورة القط مثلاً أو قل صورة القط منها هذه اللقطة له يصيد فأراً ( ومخالبه فى لجة الطرى فيدرك الفأر اليأس ويستسلم ويقول فى سره وهو يؤكل عسى الله أن يعوضنى يوم النشور داراً أخرى لأقط فيها .. ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحلم بمحنة الفيران ) .

وصورة أخرى للقط لا تخلو من سخرية ( ومن غرور القلط أنه لا يستأنس أبداً - يسكن بيتك ويأكل طعامك برضاك أو على الرغم منك ومع ذلك لا يكون معك إلا على حرف تمسح له شعره فيثنى أرجله تحته ويرخى جفنيه ويروح يزوم أو « يقرأ » كما يقول العوام فكأنك تستلم حجراً مقدساً من فرط ما يكون من انصراف هذا الحيوان المتكبر عنك ، وتدغدغه فلا يعنى بأن ينظر إليك ليرى من أنت - أغريب أم صاحبه الذى يطعمه ويؤويه - بل ينحنى عليك بأظافر يده وبفمه فى آن معا . وتقدم له اللقمة فينظر إليها شزراً ويعرض عنها محتقراً ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر وترفع

خفيف دقيق لا أثقل أرضا ولا أسد قضاء ،  
ولا فى الجلد فإن جلدى شف رقيق كشياب  
النساء فى الصيف ، فهو لا يحجب شيئا عما  
فى جوفى ، ولا يحوج الأطباء إلى الأشعة  
ليروا بها ما تحته . وكل إنسان يستطيع أن  
يرى قلبى . حق من فوق الثياب . ولكنى  
كالفيل فى شىء واحد هو كرهه للوطاويط  
( ص ٣٥ ) . فوصف الجلد هنا صورة كاريكاتورية  
أو يصف ابتسامة عريضة فيقول إنها  
( وصلت فم بأذنيه ! ) .

والمازنى مولع بالمبالغة من غلبة الروح  
الفنى عليه . والمبالغة فى التصوير تؤدي عنده  
إلى المبالغة فى التعبير . وعلى هذه المبالغة  
بنوعها تقوم سخريته ففى كقبة الكاريكاتير  
الذى يبحث عن الشئ الظاهر ويمضى به إلى  
أقصاه فى نفس اتجاهه الطبيعى من غير أن  
يبدل شكله . والتجسيم عند المازنى فن  
مبالغة كما هى الحال فى فن الكاريكاتير وإن لم  
تكن المبالغة غاية وإنما هى وسيلة إلى  
ما يريد التعبير عنه

ووصف المازنى لبيته يكف عن أسلوبه  
فى المبالغة والسخرية وطواعية السخرية فى  
يده حتى تغدو « مفاجأة فنية » .

( كانت بوابته كبوابة المتولى كبيرة هائلة  
تغطىها المسامير الضخمة التى تعدل رأس الواحد  
منها رأس طفل وكان له رتاج غليظ يدخل  
فى جدار عظيم السمك ، أما المدخل بمابلى البوابة

هنا تعتمد الصورة على الهيئته وعنصر خارجى  
هو حامل العصا .

وأحيانا يدخل الحوار والحديث فى رسم  
الصورة عند المازنى وقد اتبع هذا الأسلوب  
فى رسم صورة ( أمه ) فخرجت الصورة لأم  
فى نمطها الأعلى رءوما حاذقة كيسة يقظة هادئة  
الأعصاب جليلة متفائلة راجحة الشخصية  
ذات أسر تكتفى بالنظرة الأولى إذا أمكن  
أن تستغنى عن الكلمة ويوثق صلتنا بالصورة  
فى اللسة الأخيرة حين يقول ( وانى لجليد  
فى العادة ولكن موتها هدى فقد كانت لى أما  
وأبا ، وأخا ، وصديقا ) .

وعلى ذكر الحوار نقول إن المازنى فى رسم  
الصورة يتخذه العامية فى رسم الصورة كما فى  
كتابه « ميدو وشركاه » و « دى الماشى » .  
ويتخذ المازنى للصورة مواهب أسلوبه  
وقدراته من تفصيل فى التصوير والتعبير فى  
بساطة وواقعية وشعبية أيضا مع بصر  
بالأوصاف المتنوعة وفهم كامل للترادف  
والتضاد وفكاهة وسخرية ومبالغة .

والمبالغة والتجسيم عند المازنى عنصر من  
عناصر فكاهته تعتمد عليه فى ناحيته كما تركز  
فى ناحية أخرى على مدد من طبيعة الروح  
المصرى وحبه الفطرى للدعابة والتندر .

هذه إحدى صورته لنفسه فى كتابه « فى  
الطريق » : ( أنا كالفيل - لا فى الجسم فى



كأسلوبها متفككة ساخرة ضاحكة لأنها تستمد عناصرها من نفسين مستخفيتين بالحياة من طول ممارستها لها ، والنقد لما رأيا فيها والعطف مع هذا على الناس ، ومن ثم نزعا في نقدهم منزع السخرية عازفين عن الصرامة والجسد حتى لا يخفى جها ، وإن اختلفت سخرية المازني عن سخرية الجاحظ بقدر ما بين البيهتين والعصرين والثقافتين من خلاف ولكن السخرية عندهما بعامة وبالتالى « الصورة » قائمة على الملاحظة المنتخبة ، فهما يلاحظان كل شيء أو معظم ما تقع عليه أعينهما وينتخبان منه ما يصلح مدارا للسخرية وعنصرا للصورة .

#### وصور المازني ترفدها ينابيع أصيلة

للصورة الجيدة منها غزارة الشعور وقوة الخيلة ، قتلك الصور التي رسمها لطفولته وصباه في ( صندوق الدنيا ) و ( خيوط العنكبوت ) مليئة بالأحاسيس والمشاعر وهى تنبض بالحياة والعاطفة والحرارة وشعور الفنان .

وأحيانا يركز المازني على الزوايا لتؤكد

الصورة الأصلية فصورة ( الحاوى ) نرى الأطفال المذعورين في وصف المازني لهم عناصر جانبية لإبراز صورة الحاوى وتعميق خطوطها .

( كننا نلعب وإذا بالساحر بيننا ، ولم يقل أحد أنه هو ولا كننا رأيناه من قبل ، ولكن

فطريق ملتو يتعطف يمنة ويسرة ، وفيه مخاض ومكان تتصل بها دهايز خفية ، والمرء لا يستطيع في النهار أن يبصر كفه من شدة الظلمة وكنا نضع مصباحا ولكنه لم يكن يضى شيئا ، بل كان كل ماله من النفع هو أن يرينا شدة السواد ، ويزيده وقعا في النفوس . وفي الصحن الواسع شجرة جيمز عتيقة كشيعة الغصون تسد النوافذ وتمنع الفسيم أن يروح عن نفوسنا في الصيف . وكنا نعرف أن الجو جميل والهواء عليل من خشخشة الأوراق ومن مصافحة الهواء لوجوهنا ، وقد يكون اليوم حارا والهواء في الغرف راكدا ونحن نكاد نخنق ، ثم نسمع صوت الأوراق فيلتفت بعضنا إلى بعض ونبتسم وتشهد ونقول ( الله ! لقد رق الهواء وطاب الجو ، ونمسح عرقنا مع ذلك . ) خيوط العنكبوت ص ٤٦ - ٤٧ .

فهذه الصورة أو الجزء من الصورة يظهر فيه مسار الباب كرأس طفل ، والمصباح بلغ من ضآلته بل من لاشيئيته أنه يزيد شدة السواد وقعا في النفوس .

وفيها الإنسان الذى يمسح عرقه وهو يقول الله لقد رق الهواء وطاب الجو ! . إنه الإنسان يخدع نفسه فيتمثل ما يحب وإن كان واقعه خلاف ما يزعجه .

ومرة أخرى أعود إلى المقارنة بين المازني والجاحظ في الطابع العام للصورة . فصورهما

سخريته المعروفة التي ترى البلغة العتيقة يزداد  
لونها على الأيام - لا شحوبا كبني آدم بل  
قوة وعنفا وامتلاء فينقلب صفارها احمرارا  
وكثير ما تحول سخرية المازني «الصورة»

إلى نقد اجتماعي وتسكسبها قيا إنسانية وأنا  
هنا أتمثل صورة (سلطان الرجل بمثلا  
في أبيه الذي يجعله فيها مركز الثقل أو نقطة  
الانطلاق يتناب فيقلب السكون ضجة أو تشتت  
حركة الصورة في سرعة وجلبة حين ( يتعمد  
كل إنسان أن يسمعه صوته ويثبت له أنه  
يتحرك في خدمته ) ... وعندى أن اللمة  
الفنية في هذه الصورة قول المازني ( كل من  
في البيت يخدمه حتى أمي ، بل حتى أمه هو )  
في هذه العبارة شحنة من الرأي والنقد  
والمرارة والسخرية ) .

وكما صور المازني ، الأشخاص ، صور  
الطبيعة . ومن أجمل صوره في هذا الباب ،  
صورة عصفور ود المازني لوكانه وإن حكى  
أن ( شوشو ) هي التي ودت ( لو أنها كانت  
عصفورا يذهب إلى حيث يشاء ويخلق  
في الجوزاء ، ويسبح في الفضاء ، ويبصر  
وهو ناشر جناحيه كل ما بين الأرض والسماء  
عصفوراً ينحدر على شعاع من نور الشمس  
أو خيط من ضوء القمر - عصفوراً يرفع  
منقاره وهو طائر ويتلقى في فمه الدقيق قطرة  
من المطر - عصفوراً يحط على أعلى فنن في

عينيه الحادثين الغائرتين دلتانا عليه ، ولحيته  
السكثة الهائجة وشت به ، والخيزرانة التي  
في يمينه تمت عنه ، وكان في ماعدا ذلك كسائر  
خلق الله ، على قدميه - وهما أول مارأيناه  
ونحن مثنيون ننظر إلى البليات المتصادمة -  
« بلغة » عتيقة كانت في أيام جدتها صفراء ،  
ثم ازداد لونها على الأيام لا شحوبا - كما هو  
حائنا نحن بني آدم - بل قوة وعنفا وامتلاء ،  
أو انقلبت حمراء ثم أخذت حوافها  
ولا سيما حيث تحف بالأصابع - تسود وفوق  
ذلك ساقان حاريتان عليهما غابة كثيفة من  
الشعر ، وفيما يلي الركبتين خيوط وهلاهل  
من نسيج قيص أزرق باهت مشدود إلى  
وسطه بحزام من الليف فوقه عب منتفخ  
لم نشك - ونحن ننظر إليه - أن فيه غلاما  
مخبوا ، فارتفعنا بعيوننا عنه بسرعة فلقميتنا  
عينه بنظرة سمـرتنا حيث كنا فتراخت  
أعصابنا فقفلت « البلى » من بين أصابعنا  
إلى الأرض ولم يعد بيننا واحد ربح  
وآخر خسر .

خيوط العنكبوت ص ٣٥ .

ووصف المازني له ظلال يمددها على  
الحياة والناس في صورة الساحر أو الخاوي  
التي خدم فيها الألوان تخديما بارعا نرى « البلغة »  
وحدها ( صورة ) . تغير اللون فيها وتطوراته  
وحوافها ولا سيما حيث تحف بالأصابع . .  
وهنا يسلط المازني على الصورة ، كالشعاع

فشق على المقلدين . ولكن صور المازنى - ويدخل فى باب الصور عندى قصصه ، - هذه الصور التى طوع لها اللغة لتودى دقائقها وترسم فى سهولة أبعادها وأعماقها ، هذه الصور لها شخصية واضحة فى الأدب المصرى الحديث أثرت فى جيل القصاصين بعده كعبد الحميد جوده السحار ونجيب محفوظ وأصراهما .

والمازنى المصور فى كل إنتاجه إنما يعبر عن روح عصره ، ويصور ساخر أحيانا ، وجاداً حيناً آخر ، البيئة التى عاش فيها وانفعاله بها . فإنتاجه القصصى ومقالاته وفكاهاته ما هى إلا صورة لمصر ومن مصر التى قوى إحساسه بها فعبّر عنها وأحسن التعبير .

لقد كتب كثيرون من معاصريه وصوروا وبعض هذا الذى كتبوه يلتقى معه فى العنوان أو زاوية من الزوايا ؛ وقد أغفلت عامدة المقارنة حتى لا يقشع البحث ويطل الخلاف فى الرأى والتفضيل ، كما تعمدت ألا أتناول بالبحث الدور الذى لعبته ثقافته الانجليزية فى اتجاهات أدبية مؤثرة الدراسة الموضوعية ؛ لأن المقام لا يحتمل الإطالة أو مناقشة التفاصيل . إنما نكرم رجلاً ، فى أدبه الغنى الإنسانى ، الكثير مما ينهض بعضه بتأهيل صاحبه لإعزاز الأدب وتكريم الأدباء ؟

نعمات أصغر فؤاد

أستقى شجرة ، أو يهوى إلى الأرض ويخطو بين أغصان البرسيم فتحجبه ويضع بيضه الصغير فى حيث يروقه أن يؤلف عشه ، ويمد منقاره إلى الماء حيث يجده ويمص قطره ويتلفه - عصفوراً لا يغير ثيابه ولا يبدل أفواف ريشه ولا يكون فى رأى العين مع ذلك إلا جميلاً .

وبعد أن رسم المازنى هذه الصورة النابضة المناسبة للخطوط السريعة الحركة الكثيرة اللغات وجاء دور اللبسة الأخيرة بثها خالجة نفسه تأكيذاً لشخصية الفنان ، خالجة تنسرب هادئة إلى الصورة فتعطيها قيمة وتمد لها فى الاستمرار .

يقول المازنى بعد أن فرغ من رسم العصفور ( الذى لا يغير ثيابه ومع هذا يبدو جميلاً ) .

آه إنه روح الكون ولا شك فى العصفير والسحب سابحة تجوب الآفاق - وفى الأزاهر والأشجار التى لا تكون إلا عطرة ، ولا تبدو إلا حالية موفقة ولا يتورها قلق ولا يساورها اضطراب . ( إبراهيم الكاتب )

\*\*\*

كان المازنى « سام صور وهو من هذه الناحية صاحب مدرسة . إن أدب المازنى المصور له شخصياً وله مدرسة وإن سلم أسلوبه التعبيرى على التقليد لعنق أصالته

# منهج القرآن في تربية الفرد

## للأستاذ خليل البرقوقي

أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ،  
وبهذا المبدأ القويم استطاع القرآن الكريم ،  
أن يستل من النفوس عوامل القلق ،  
ورواسب الخوف ، المنبعثة من اختلاف  
اللون والجنس ، وأن يستميلها إلى دعوته .  
ولم يهمل القرآن مبدأ الفروق الفردية  
بين البشر ، بل أولاه عناية خاصة ، فقرر  
في أكثر من موضع أن الناس متفاوتون  
في قدرتهم على التفكير والعمل ، ولذلك  
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وأن  
الظروف المحيطة بالإنسان قد تؤثر في قدرته ،  
فتحد منها أو تزيد ، فللسافر حكم ، وللقوم  
حكم ، وكذلك الصحيح والمريض ، والسليم  
والأعرج ، والأعمى والمبصر ، ليس على  
الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ،  
ولا على المريض حرج ... ، وبمراعاة هذه  
الفروق عالج القرآن الكثير من العقد النفسية ،  
التي يسببها الشعور بالنقص أو الضعف .

ولقد أشبع القرآن في النفوس حاجة كل  
منها إلى العبادة والتأليه ، والخضوع للقوة  
القاهرة المسيطرة على عناصر هذا الكون ،  
ولكنه حرر الأفراد من كل سلطان ،  
سوى سلطان الله جل شأنه ، ونمى شخصياتهم

سلك القرآن الكريم في تربية أبنائه منهجا  
عليا دقيقا ، تقوم دعائمه على معرفة تامة  
بأغوار النفس البشرية ، واستعداداتها  
الفطرية ، وقدراتها الخاصة ، فلم يترك وسيلة  
من الوسائل تؤدي إلى استغلال الطاقات  
السكائمة في نفوس البشر ، وتسخيرها فيما  
يعود على الجماعة بالخير إلا طارحها ، من أجل  
تكوين مجتمع مثالي ، يعمر العالم .

والدارس للقرآن الكريم يرى لأول  
وهلة أنه يلتزم في خطته التربوية ، الحقائق  
العلمية التي كشفت عنها البحوث النفسية  
الحديثة ، قبل أن تعرف هذه البحوث بآماد  
طويلة ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه جاء من  
لدى حكيم عليم .

ومن الأسس النفسية التي راعاها القرآن  
في اجتذاب الناس إلى مبادئه السامية ، إشعار  
الخلق جميعا بالأمن والعدالة المطلقة ، عن  
طريق إقرار مبدأ المساواة في نفوسهم ،  
فلا تفرقة عنصرية ، ولا امتياز لجنس على  
آخر ، بل الكل سواء أمام الله ، وميزان  
التفاضل بينهم هو التقوى ، والعمل المشمر  
« يأياها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،  
وجعلناكم شعوبا وقبائل ؛ لتعارفوا إن

منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم » وبالإستواء . إنما يخشى الله من عباده العلماء .

أما العمل فقد جعله شرطاً أساسياً لأهلية الناس للدعوة العامة واستحقاقهم الأكل من تلك المبادئ الجامعة التي دعاهم إليها رب العباد حين قال « هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، فالأرض ملك لله بحكم الإيجاد والإنباء ، وهي حافلة بالخيرات والكنوز ولكل فرد الحق في أن يأكل منها بموجب تلك الدعوة ، ولكن بشرط واحد ، هو العمل وأقل العمل هو السعي فيها بحثاً عن الرزق . ولما كان الإنسان قد يتحول إلى حيوان مفترس ، ووحش ضار ، إذا ترك لغرائزه دون أن تحاط بسياسات متينة يحميها من الانحراف ، ويوجهها الوجهة السليمة ، فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ المسؤولية والجزاء ، ليشبع في النفس حاجتين ، الحاجة إلى الزاجر والرقب ، والحاجة إلى التشجيع والثواب والتقدير « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » كل نفس بما كسبت رهينة ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » . والأمل واليأس أثر كبير على نفس الإنسان وإنتاجه ، فقد يدفعه الأمل إلى

بنى الوساطات بينه وبينهم ، فالناس جميعاً ، غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم محتاجون إلى رعاية الله وحده « يأبى الناس أن تتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد » .

ولكى يعد أبناء إعداداً سليماً ، ويوجههم إلى العمل البناء ، بين لهم أن النجاح وليد الرغبة والميل ، وأنه متى توفر الميل النفسى وضح الطريق ، وهانت المتاعب ؛ لأن الرغبة في الشيء تذلل المتاعب التي تعترض طريقه ، وتهون من أمرها « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن القرآن الكريم يريد للناس عالماً مزدهراً متطوراً ، يسوده الحب ، ويرفرف عليه السلام ، وينهض به العلم والعمل ، ولهذا نادى بالتعاون والتعايش السلي حتى يعيش الناس في أخوة ووثام « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » ، ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ودعا إلى العلم والعمل ، لأنهما وسيلة الإنسان إلى السعادة والرقى ، وتطوير الحياة من حسن إلى أحسن ، فأحاطهما بهالة من القداسة ، ثم أخذ يستثير حوافز الناس إليهما بكل وسيلة ممكنة ، بالإقناع بأيسر السبل « هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون » ؟ وبالحث القوى على المعرفة « أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض » « فلولا نفر من كل فرقة

ولقد عرف القرآن الكريم أثر الشعور بالعزة والكرامة في نفس الإنسان ، ومدى ما للثقة بالنفس على سلوكه ، فدعم ذلك الإحساس في نفوس أتباعه عن طريق الإيحاء بقوله « كتمم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، ولكنه لمعرفته التامة بالنفس وتقلباتها ، ونظراً لما بين الثقة بالنفس والغرور من تقارب ، احتياط للأمر ، ورسم الحدود والمعايير التي تكفل للطبيعة البشرية السلامة من الانحراف ، والبعد عن الغرور ، والانصباب في دروب السلوك السوى ، فساق قصة آدم وإبليس لتكون للناس عظة وعبرة فلا ينخدعوا بالمظاهر الجوفاء . ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين . »  
وبهذا سلم القرآن الكريم من النقد الذي وجه إلى أسلوب التربية المبنية على نظرية « السوبرمان » أو الإنسان الممتاز عند نيتشه فيما بعد .

ويؤكد القرآن كرامة الإنسان لإنسانيته لا لمنزلته أو جاهه أو سلطانه ، ويحذر من إهدار آدميته ولو كان ذلك لمصلحة

التفوق حتى يسلك في عداد الأفاذاز وقد يقعد به اليأس حتى يعد من الأموات ولو كان حياً ، فبالأمل واليأس ، تزدهر الحياة أو تقفر . ولذا فتح القرآن باب الأمل على مصراعيه أمام الناس ، ليلجوا منه إلى رحمة الله ، إلى النجاح والفلاح ، إلى تدارك الأخطاء ، وإصلاح ما فسد ، إلى الإنتاج السليم القائم على الخبرات المكتسبة ، عن طريق المحاولة والخطأ حيناً ، والنجاح والفوز حيناً آخر ، وبقدر ما أفسح المجال للأمل نراه يوصد باب اليأس في وجوه الأفراد ، ويحاربه حرباً عنيفة لا هوادة فيها حتى لا تقفر النفوس من حوافز العمل ، فتستوقف عن الإنتاج المشر أو تسلك طريق الشر والرزيلة ، فتندثر الحياة ، وتزول معالمها « وربك الغفور ذو الرحمة . »  
« فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً . »  
« وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ، »  
« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك »  
« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . »  
« ولقد جعل الحسنه بعشر أمثالها ، وجعل جزاء السيئة سيئة مثلها ، »  
« لمعانا في فتح باب الأمل ، وتشجيع الناس ، وإغلاق نوافذ اليأس حتى لا يتسرب إلى النفوس فتصرع في حباله . »

كبرى في نظر القرآن ، ليأخذ الناس من الماضي عبرا تنفعهم في حاضرهم ، ودروسا تؤمن مستقبلهم ، وتحميهم من الانحراف كما تمشي في أساليبه التربوية مع الفطرة البشرية فأمر الناس بأن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد ، وأن يأكلوا ويشربوا ولكن دون سرفه أو إسراف ، ورسم صوراً رائعة للجنة وما فيها من متاع ، وأخرى بخيفة للنار وما فيها من آلام ومتاعب ، لترسب في أعماق البشر ، وتتكون منها ضمائرهم خالصة نقيصة فتكون نعم الرقيب لهم ، تصرفهم عن الشر حبا لله ، وامثالاً لأوامره ، وتجنباً لعقابه وتدفعهم للخير استجابة لتعلقها به ، وأملاً في اكتساب رضوان الله والاستمتاع بما في الجنة من نعم .

حقاً إن القرآن كتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم ، وإنه لمن الواجب على المسلمين جميعاً دراسة هذا الكتاب دراسة جديدة منهجية ، مبنية على أسس علمية ، تحشد لها الطوائف المتعددة من رجال الدين ومن غيرهم من المتخصصين في كل علم وفن حتى يخرجوا للناس تفسيراً عصرياً يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية المتوفرة فيه ، وبذلك وحده يؤدون واجبهم نحو الله والوطن ؟

### فيلب البروفسي

المفدش بمنطقة الفيوم التعليمية

يغنيها ، ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم .

والإنسان مولع بالتقليد والمحاكاة ، ولهذا أمده الله جل شأنه بكون عامر بنبأذج رائعة الجمال ، متسقة الجوانب ، لا أثر فيه للاضطراب حتى يصل وجده ، بعد أن ينطبع بها ، ويشب على منوالها ، ولم يكتف بذلك بل بعث إليه صفوة ممتازة في السلوك والطبع ليفتدى بهم ، ولما كانت الكلمة الطيبة تفتح مغاليق القلوب ، والمعاملة الحسنة تأسر النفوس ، والقصدوة الصالحة تجتذب الجماهير ، فإن القرآن الكريم يخاطب الرسول عليه السلام قائلاً : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا انفضوا من حولك » ويخاطب أتباعه قائلاً : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » . وعنى القرآن الكريم بالقصة كأسلوب ناجح من أماليب التربية ، نظراً لما لها من تأثير قوى على الوجدان ، ولأنها تنقل إلى القراء الأثر المطلوب بطريقة غير مباشرة ، فتطبعهم بانطباعات قوية حين تنقل إليهم التجربة المبررة أو الأثر الحمود الذي مر به أصحابها ، وكان للقصص التاريخي الذي يحكي أخبار الماضين ، وما آل إليه أمرهم أهمية



# الموسوعات والمعاجم اللغوية

## للأستاذ عمر لطفى السيد

ما يظهر ، وقد ذكر المؤرخون أن الخليل لم يتمه بل أتمه غيره من علماء اللغة ، ثم أتى بعده من صنف في اللغة ، وكان من أشهرهم إسماعيل ابن حماد الجوهري الذي عاش في المائة الرابعة فإنه ألف الصحاح في اللغة ، ولكنه لما أشرف على نهايته أصابه هوس وخبل في عقله فسقط من سطح داره مترديا ، وترك كتابه في مسوداته فأكمله بعض تلاميذه . لهذا السبب وقعت فيه أغلاط وأوهام ، تتبعها العلماء من بعده كالعلامة أبي محمد عبد الله ابن برى في حواشيه على الصحاح وابن برى من رجال القرن السادس ، هذا ومن الذين تتبعوا هفوات وأغلاط صاحب الصحاح العلامة مجد الدين الفيروزابادى أحد أعلام القرن التاسع ، فإنه كثيراً ما يذنب على أوهام الجوهري في القاموس المحيط ، والفيروزابادى من أبرز رجال القرنين الثامن والتاسع ، وهو صاحب المعجم الكبير المسمى « باللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم والعياب » في ستين مجلداً ، وقد جمع في كتابه هذا بين المحكم لعلى ابن سيده المرسى الأندلسى ، وبين العباب الزاخر واللباب الفاخر

لا يخفى على المطلعين على تراث أسلافنا من علماء الإسلام ، أن اللغة العربية غنية بمعاجمها وموسوعاتها في شتى العلوم والفنون ، وذلك بما تركه علماءنا من آثار عليية في مختلف القرون الإسلامية الزاهرة ، ولقد احتوت كتب التراجم والطبقات على كثير من تراجم العلماء الذين صنفوا معاجم لغوية أو موسوعات عليية ، مما بقى مخلداً على صفحات التاريخ يتوارثه الخلف عن السلف ، ويستقى من معينه رجال العلم والأدب على توالى الأيام وكر الشهور والأعوام ، وما لا ريب فيه أن الأمة العربية هى فى الرعيل الأول من الأمم التى اعتنت بتدوين العلوم فى موسوعات كبرى وتصنيف المعاجم اللغوية ، وهذا يتضح جلياً لكل من يتصفح كتب التراجم والطبقات ، كوفيات الأعيان ومعجم الأدباء والوفى بالوفيات ونفع الطيب وغيرها من المؤلفات المخصصة لطبقات العلماء والمؤرخين والأدباء ، ولقد شرع العلماء فى وضع معاجمهم منذ القرن الثانى للهجرة ، ففى هذا القرن نجد الخليل بن أحمد الفراهيدى وضع كتابه المسمى « بالعين » وهو أول معجم صنف على



زهرير الشتاء ، أو حمارة القيظ ، مثلما حدث للعلامة أبي زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى وهو من رجال القرن السادس فانه وجد نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة لأبى منصور الأزهري فى عشرة مجلدات ، وجدها فى سوق الوراقين بمدينة تبريز فاشترها ثم سأل عن شيخ قدير حتى يدرس عليه ذلك الكتاب القيم ، فدلوه على العلامة أحمد ابن سليمان المعرى فى معرفة النعمان ، فشد إليه الرحال ووضع الكتاب فى مخلاة ، وسافر حبة قافلة من تبريز إلى معرفة النعمان .

والكتاب كان محمولا على ظهره فى تلك الرحلة الطويلة ، وكان ذلك فى زمن الصيف مما سبب خروج العرق من جسم الخطيب التبريزى إلى أن نفذ على غلاف ذلك الكتاب .

وقد بقى أثر العرق على تلك النسخة إلى أن اطلع عليها العلامة شمس الدين أحمد ابن خلصكان وقال : عنها ولقد رأيت نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة وعليها عرق الخطيب التبريزى ، وكما أن صاحب القاموس المحيط تتبع هفوات صاحب الصحاح فى مواضع كثيرة ، فكذلك تعقبه كثير من العلماء بالاستدراك والتحقيق والتصحيح مثل العلامة الشريف السيد محمد مرتضى الزبيدى الحسينى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ فإنه تعقبه فى شرحه

لرضى الدين الصاغانى أحد أعلام القرن السابع ، وقد أثنى كثير من العلماء على مؤلفات الفيروزابادى ووصفوها بالتحقيق والاستيفاء والاستيعاب .

هذا وقد ذكر مجد الدين الفيروزابادى فى خطبة قاموسه المحيط ، أن كتابه هذا هو خلاصة ألفى كتاب من كتب اللغة التى ألفها أسلافنا من العلماء ، اطلع عليها المجد الفيروزابادى واستخرج منها الخلاصة المدرجة فى قاموسه ؛ الذى يحتوى على ستين ألف مادة حسب تحقيق العلماء ، وهذا من فضل الله ، إن الله ذو الفضل العظيم ، وليس بالأمر الهين الاطلاع على المظان العلية ، وإنما ذلك موهبة خصها الله بطفة من العلماء وكان فى مقدمتهم صاحب القاموس المحيط ، ولا أعتقد أن أحدا من العلماء فى العصر الحاضر مهما بلغ من العلم والاطلاع على تراثنا الإسلامى ، يستطيع أن يلم بأسماء ألفى كتاب فى اللغة ، فضلا عن الاطلاع عليها ودراستها واستخراج خلاصات منها ، ولا يخفى على المطلعين أن الإمكانات فى القرون الأولى كانت غير متوفرة وأن طلاب العلم كانت تشد الرحال فى سبيل استنساخ الكتب ، وتقطع المسافات الطويلة لدراسة كتب العلم على مشاهير الشيوخ ، وربما كان ذلك فى

قاطع على نقصان العقول البشرية ، مهما بلغت من درجات العلوم والثقافة ، وفوق كل ذى علم عليم ، والله يعلم وأتم لا تعلمون .

هذا ومن أشهر المعاجم العربية المحكم والمحيط الأعظم تصنيف على بن سـيـده الأندلسى من أعلام القرن الخامس الهجرى ، وله كتاب النخص وهو كبير أيضا ومرتب على الأبواب ، لا على ترتيب المعاجم المتداولة ، ثم أتى بعده رضى الدين الصاغانى وكان من رجال القرن السابع فألف العباب الزاخر واللباب الفاخر ، وقد اعتمد فى تأليف كتابه هذا على المحكم لابن سيده وعلى غيره ، إلا أنه لم يتعمه ، بل وصل فيه إلى مادة بكم ، ثم قضى نحبه وفيه يقول بعض الشعراء :

إن الصغاني الذى حاز العلوم والحكم  
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم

هذا ، ومن النوابيع الذين تزين بهم جيد الزمان ، العلامة محمد جمال الدين بن منظور من أعلام القرن الثامن ، وهو صاحب لسان العرب الذى يعد أوسع لمعاجم العربية من حيث الاستيعاب والتبسط فى العبادة ولقد اعتمد مؤلفه فى كتابه هذا على الصحاح والتهديب والحكم والنهاية وحواشى بن برى على الصحاح وجمهرة ابن دريد ، ولسان العرب فى ٢٠ مجلدا ، وهو يحتوى على علوم شتى كالتفسير

الكبير على القاموس ، وبين المآخذ عليه وما زل به قلبه من أوهام وأغلاط ، وفى كثير من المواضع ينتصر فيها للجوهري صاحب الصحاح ، وشرح السيد مرتضى على القاموس ، وهو المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس ، كتاب جليل جمع فأوعى وهو لعمري بغية الأديب والمنهل الصافى لرواد العلم وطلاب الثقافة .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر العلامة أبا عبد الله محمد بن الطيب الفاسى من رجال القرن الثانى عشر ، فإنه ألف حاشية على القاموس فى ثلاثة مجلدات ، تتبع فيها ما هفا به قلم الفيروز آبادى من أوهام وأغلاط فى قاموسه وهكذا نرى العلماء يواصلون دراساتهم وملاحظاتهم على القاموس المحيط وكان من أواخرهم العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد العزيز ، فإنه صنف الوشاح وتقييف الرماح فى رد توهم الجحد الصحاح وهو كما يتضح من اسمه ينتصر فيه للجوهري على الجحد ، ومن المتأخرين الذين لاحظوا على القاموس وبينوا هفواته وزلاته ، العلامة أحمد فارس الشدياق فإنه ألف الجاسوس على القاموس ، واسمه يدل على بيان ما يحتوى عليه القاموس من أوهام وأغلاط ، وهكذا نرى هؤلاء العلماء بعضهم يتبع هفوات من قبلهم من العلماء ، وهذا دليل

فهذه الدلائل تدل على أن صاحب اللسان  
ليجي الأصل والمنشأ والدراسة ، ويقول  
المؤرخون كالصفدى وابن حجر وجلال  
الدين السيوطي : أن ابن مكرم تولى رئاسة  
ديوان الإنشاء بمصر ، ولم يذكر هؤلاء  
المؤرخون الوطن الذي توفي فيه ، غير أنهم  
يحددون تاريخ وفاته سنة ٧١١هـ ولابن مكرم  
مؤلفات أخرى غير لسان العرب ذكرها  
الصفدى الذي قال عنه : إن مؤلفات ابن  
مكرم بلغت خمسمائة مجلد ، حتى إنه من كثرة  
الانهماك في التأليف ومراجعة المظان فقد  
بصره في آخر عمره ، ورحم الله القائل :

أفנית عمرك في علا وماثر

وإفادة للعالم أو تصنيف

وسبحت في بحر العلوم مغامرا

أواجه والناس دون سيف

\*\*\*

### الموسوعات :

اشتهرت طائفة من كبار علماء الإسلام  
بوضع مؤلفات جامعة للعلوم المختلفة ، فريق  
من هؤلاء من المشرق وفريق من الأندلس ،  
فمن رجال المشرق الذين حدثنا عنهم  
المؤرخون ، العلاء محمد بن الحسين البنجديهي  
الزاغولي ، مصنف قيد الأوابد في أربعمئة  
مجلد ، يشتمل على التفسير والحديث والفقه  
واللغة ، وهو من علماء القرن السادس ،

والحديث واللغة والنحو والصرف والاشتقاق  
وأيام العرب وأمثالها ، وغير ذلك من  
المواضيع التي تهتم العلماء ، وهو لعمري  
ضالة الأديب وبغية الأريب ومقياس الأدباء  
ومرجع العلماء ، وابن منظور يتصل نسبه  
بالسيد رافع بن ثابت الأنصاري دفين مدينة  
البيضاء بليبيا ، كما ذكره مؤلف اللسان  
في مادة ج رب ، والسيد رافع بن ثابت  
الأنصاري كان واليا على ليبيا في خلافة  
معاوية بن أبي سفيان ، وتوفي في منتصف  
القرن الأول من الهجرة ، وقد ذكر شارح  
القاموس بأن لسان العرب يحتوى على ثمانين  
ألف مادة من كلام العرب ، بينما القاموس  
المحيط لا يحتوى إلا على ستين ألف مادة ،  
والصحيح على أربعين ألف فقط .

وهذا يدلنا على اتساع اطلاع مؤلف  
اللسان واجتهاده وتعبه لشوارد اللغة  
في مظانها ، ولقد تتبعنا في المظان التاريخية  
حتى نستطيع أن نعلم مسقط رأسه ، فلم نجد  
لذلك أثرا ، غير أن المرجح أن ميلاده كان  
بمدينة طرابلس الغرب « بليبيا » ودليلنا  
على ذلك وجود أسرة بها ، تدعى أسرة  
« ابن مكرم » ، وهي بلا شبهة من سلالة ذلك  
الجهنم الكبير ، فضلا عن ذلك فإنه تولى  
قضاء طرابلس الغرب ، وجده الأعلى رافع  
ابن ثابت الأنصاري دفين البيضاء « بليبيا » .

وعلى كل حال فالإمام السيوطي مؤلفاته كثيرة جدا ، وما سلم مكثرا ولا أقيل له عثار ، كفى المرء نبلا أن تعد معانيه .

هذا وفي القرن الثالث عشر نبغ العلامة السيد محمد صديق خان القنوجي أحد أمراء الهند ، وألف مؤلفات كثيرة في شق العلوم ، ومن أشهرها أبجد العلوم في ثلاثة مجلدات ، جعل القسم الأول منه لمبادئ العلوم ، والقسم الثاني لأشهر مؤلفات علماء الإسلام ، والثالث في تراجم مشاهير العلماء وهو مطبوع في الهند ، والكتاب قيم من حيث غزارة المادة والنقل ، إلا أنه ينقصه الترتيب العلمي والتنسيق الفني .

وعلا لاشك فيه أن المؤلف رحمه الله بذل مجهودا جبارا في جمع شوارد كتابه من مئات المجلدات ، وهذا عمل عظيم يشكر عليه من الهيئات العلمية — وفي الأقطار الأندلسية نشأ في القرن الرابع العلامة أحمد بن أبان اللغوي ، وألف موسوعة كبرى أسماها « العالم واللغة » ، في مائة مجلد ، رتبها على الأجناس ، بدأ فيها بالفلك لكونه أعظم الأجسام وختمها بالذرة ، هذه الموسوعة لعبت بها طوارق الحدثان ونواب الزمان ، وأصبحت أثرا بعد عين مثل غيرها من آثار أسلافنا في المشرق وفي الفردوس المفقود ، وأصبحنا لانعرف عن تلك الآثار

ثم أتى بعده النويري فألف نهاية الأرب في فنون الأدب وهو كتاب كبير متداول بين العلماء ومؤلفه من أقطاب القرن الثامن الهجري ، ولا يخفى على المحققين من العلماء ما في هذا الكتاب من بحوث ينفيها العقل السليم ولا يقبلها التحقيق العلمي ، وكان صاحبه جارف سيل وحاطب ليل ، ومهما يكن من الأمر ، فالكتاب كبير جدا وفيه كثير من الفوائد المتنوعة ثم أتى بعد النويري ، شهاب الدين أحمد العمري المعروف بابن فضل الله ، فألف موسوعة كبيرة في ٢٠ مجلدا ، أسماها مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار ، وقد طبع منها على ما يظهر المجلد الأول باعتناء المحرم شيخ العروبة أحمد زكي باشا ، وبحوث الكتاب أكثرها في التاريخ وتكوين البلدان ، وفي القرن التاسع نبغ العلامة جلال الدين السيوطي وألف موسوعة كبرى في خمسين مجلدا وعدا مؤلفاته التي تجاوزت ٣٠٠ تأليف ، وقد نعتها بالفلك المشحون ، لأنها مشحونة بأنواع العلوم ومختلف الفنون ، ومؤلفات السيوطي رحمه الله ينقصها التحقيق والتمحيص في بعض الحالات ، وكل من يطلع على بعض مؤلفاته مثل حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، يجد فيه بحوثا بعيدة كل البعد عن المفهوم العقلي والتدقيق العلمي ،

على العلوم البشرى، لذلك أرى لزوما علينا نحن العرب، ونحن في فجر النهضة العربية المباركة، أن نتدارك الأمر وذلك بأن يسعى بجمع اللغة العربية الموقر، في تشكيل لجان علمية ذات اختصاصات حتى تضع في أول الأمر قاموساً<sup>(١)</sup> في مجلد واحد على غرار لاروس الصغير وقاموس «ملى» الجديد الإيطالي، ثم بعد فترات من السنين تقوم تلك اللجان بوضع القاموس المتوسط، وربما بعد فترة أخرى تضع القاموس العلمى الكبير، وبذلك يكون مجتمعنا خطا خطا خطوات كبيرة إلى الأمام، ونستغنى عن المراجع الإفرنجية التى نحن الآن عالة عليها، والله در القائل :

لسنا وإن أحسابنا كرمتم

يوما على الأحساب تتكل

نبنى كما كانت أوائلنا

تبنى ونفعل مثلما فعلوا

سدد الله خطانا لما فيه مصلحة هذه الأمة

العربية، وجدلنا من الذين يستمعون القول  
فيتبعون أحسنه .

**عمر لطفى السبى**

من خريجي الأزهر

القيمة إلا أسمائها فى كتب التاريخ ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، ومن المتأخرين الذين اعتنوا بهذا الأمر بطرس البستاني الذى اعتزم على تأليف دائرة المعارف وأصدر منها ثمانية مجلدات ، ثم اتفق ولداه نجيب ونسيب بعد وفاته مع ابن عمهما العلامة سليمان البستاني على إصدار بقية الأجزاء ، فأصدروا التاسع والعاشر والحادى عشر ، ولم يواصلوا سير العمل فيها فبقيت ممتورة لغاية الآن ، ودائرة معارف البستاني جل مواضيعها تاريخية وجغرافية ، ثم أتى بعد البستاني العلامة المرحوم محمد فريد وجدى فألف دائرة معارف القرن العشرين فى عشرة مجلدات ، نحا فيها طريقة الغربيين فى قواميسهم العلمية واللغوية ؛ فأجاد وأفاد - هذا ولذا نظرنا إلى ما تنتجه الجامع العلمية فى أوربا من موسوعات ضخمة مثل لاروس للقرن العشرين ولاروس العام ولاروس الطبى والتجارى والزراعى ، ومثل دائرة معارف « تريقانى » الإيطالية وغيرها ، أقول إذا نظرنا إلى تلك الآثار الثمافية الجبارة ذات التنسيق البديع والطبع الأنيق ووزارة المادة العلمية ، يستولى علينا الذهول والحجل ونرى أنفسنا فى مؤخرة الأمم المتقدمة، لأننا لا نملك ما تملك تلك الأمم من قواميس ضخمة تحتوى

المجلة : صدر أخيرا المجمع للمعجم الوسيط .

# نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضلي أبو سنه

— ٢ —

لتضييقوا عليهم ، . يعني لا تضاروا المعتدات في السكنى : فالزوجات أولى ألا تضاروهن - والأصل في مسائل هذا الباب تحريم إمساك المعتدة بقصد الإضرار بها ، وتحريم وصية الضرار وبطلانها ، وتحريم طلاق المريض ليفر به من ميراث زوجته ، فتقاس سائر مسائله عليهما لاتحاد العلة وهي قصد الإضرار .

الأصل الثاني : أن يستعمل الإنسان حقاً يقصد به تحقيق مصلحة له ، فتترتب عليه مفاسد وأضرار لاحقة بالغير هي أعظم من هذه المصلحة أو مساوية لها ، وذلك كاحتكار ما يحتاج إليه الناس في أوقات الغلاء ، أو القحط يقصد به البيع بثمن مرتفع : فإن المحتكر يريد من ذلك مصلحة الربح الكثير ، لكن يترتب على هذا ضرر عظيم يلحق الجماعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ماعون » .

ومن هنا يمنع من الاحتكار وبيع عليه ما احتكره بثمن المثل إن امتنع من البيع .

ومن ذلك إغلاء التجار السعر على الناس

يمكن حصر أصول مسائل التعسف في استعمال الحق بالاستقراء في أربعة :

الأصل الأول : ما إذا استعمل حقه لا يقصد من ذلك إلا الإضرار بغيره وليست له مصلحة فيه ( وذلك كمن يدعى على آخر جريمة أو عملاً غير لائق لا يقصد بذلك إلا الإضرار به هذه الدعوى لا تسمع ويعذر المدعى إذا ثبت ذلك بالقرائن ) - وفي فقه المالكية كما في التبصرة لو ادعى الصعاليك على أهل الفضل دعاوى باطلة وليس غرضهم من هذا إلا أن يشهروا بهم ، ويوقفوهم أمام القضاء للإيلام والامتهان ، لا تسمع الدعوى ويؤدب المدعى .

ومن ذلك ما إذا أراد الزوج أن يسافر بوجه إلى بلد بعيد وهو غير مأمون عليها ، لا يريد بذلك إلا الإضرار بها وإيذاها ، أو سلب مالها : فيقضى بمنعه من السفر بها للإضرار<sup>(١)</sup> وقد قال تعالى : « ولا تضاروهن

(١) انظر ابن عابدين ص ٤٩٥ وما بعدها .

الحاضر للবাদى (١) حيث قال الإمام أحمد  
ببطلان هذه العقود لرجحان المفسدة .  
والمسائل المنصوص على حكمها بما قدمنا  
أصل في هذا النوع فيثبت الحكم لنظائرها  
بالتقاس وإن شئت أثبتته بالمصلحة إن تعذر  
التقاس (٢)

الأصل الثالث : أن يستعمل حقه المشروع  
عقداً أو غيره يقصد به تحقيق غرض غير  
مشروع مغاير للغرض الذى وضعه له الشارع  
وهذا كالبيع الذى يقصد به الربا ومن  
هنا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع  
وسلف لأنه يودى إلى الربا كأن يبيع سوارا  
يساوى أربعائه بخمسمائة على أن يقرض  
البائع أربعائه فإن هذا العقد يثول إلى ربا  
النسيئة وهو أخذ تسعائه ليردها ألفا .  
وكبيع العينة لأنه يودى إلى الربا أيضا  
وهو شراء ما باع بثمان أقل من الثمن الذى  
باع به قبل قبض الثمن حيث تكون زيادة  
الثمن المؤجل ربا .

ومنه زواج التحليل فإن الزواج موضوع

بحيث يصل إلى ضعف قيمة السلع فإن تقدير  
البائع ثمن مبین حق له ولكن استعماله على  
هذا النحو وإن حقق مصلحة له فقد نشأت  
عنه مفسدات عظيمة بالجماعة ولذلك قال الحنفية  
والمالكية إذا عجزوا على الأمر عن رد التجار  
إلى الأسعار العادية بكل الوسائل أزال هذا  
الضرر بالتسعير بمشورة أهل الخبرة وقد  
ثبت هذا بالمصلحة المرسلة لدفع الضرر عن  
الجماعة فإن امتنع التاجر من البيع  
بالسعر المحدد يبيع عليه كما يباع المال على  
المدين وفاء للمدين .

وقال الشافعية وبعض الحنابلة بمنع التسعير  
واستدلوا بما روى أنه قيل للنبي صلى الله  
عليه وسلم ألا تسعر لنا فقال إن الله  
هو المسعر القابض الباسط وأجاب القائلون  
بالتسعير بأن الحديث كان قنوى فى واقعة  
خاصة بسبب خاص فلا تدل على عموم الحكم .  
ومنه تلقى التاجر للوافدين إلى السوق من  
أهل الريف والبادية وشراء ما جلبوه بالثمن  
الرخيص لبقية لأهل المدينة غالبا حيث يضر  
ذلك بأهل المدينة وبالوافدين وقد نهى عنه  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولا تلقوا  
الركبان لبيع » .

ومنه بيع السلاح فى أيام الفتنة أو لقطاع  
الطريق وبيع العصير ممن يتخذ خمرًا وبيع

(١) قال صلى الله عليه وسلم « لا يبيع حاضر  
لبادى دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » .

(٢) انظر فى هذا الأصل مفتى ابن قدامة فى  
البيع ج ٤ ، الزيلعى فى كتاب الكراهية فصل فى البيع  
الدر وابن عابدين فى كتاب الوقف . الطرق الحسكية  
فى التسمير والاحتكار .

منها قوله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » :

فإن مفسدة سبهم للإله الحق أعظم من مصلحة سب الأصنام المباح فنزع السب المباح لذلك ومنها قوله تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » ، حيث حرم الضرب المباح لما فيه من إثارة الميول الخسيسة ومنها تحريم البيع عند نداء الجمعة ؛ لأن مفسدة الانشغال عن الصلاة أعظم من مصلحة البيع ومنها تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها لأن مفسدة قطيعة الرحم أعظم من مصلحة الزواج ومنها امتناعه صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين حيث عبر عن ذلك بقوله : ( ولا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ) مفسدة لأن تنفير الناس من الإسلام أعظم من مصلحة القتل .

وقد أطلنا بعض الشيء في ذكر الأدلة ليظهر ظهور النهار أن ما يخاله الناس قواعد قانونية مبتكرة لأهل الغرب هو من ضروريات الشريعة المحكمة .

وهذه الأنواع كذلك مبنية على أصل آخر وهو أن الحيل التي تؤدي إلى إسقاط واجب أو إحلال محرم تقع باطلة .

وتدل عليه كثرة الأدلة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم . ( لعن الله اليهود إن أمة

للعشرة الدائمة وتكوين الأسرة وقصد به عمل مؤقت مذموم عند الله وقد تقدم تحريره بالحديث الكريم .

ومنه البيع الذي قصد به إسقاط الشفعة وهبة المال التي قصد بها الواهب إسقاط فريضة الزكاة أو الحج — فثبت بالنص في هذا الباب يعتبر أصلا وغيره يقاس عليه (١) .

هذه الأنواع الثلاثة مبنية على قاعدة سد الذرائع فوق ما تقدم من الأدلة نذكر أن الأنواع السابقة للتعسف في استعمال الحق مبنية على أصل عظيم من أصول الشريعة وهو سد ذرائع الفساد .

وضابطها أن الشارع إذا حرم شيئا حرم وسائله المفضية إليه وهذا يتحقق فيما إذا أفضت الوسيلة إلى ضرر مقصود أو إلى مصلحة معها مفسدة تساويها أو ترجح عليها أو إلى غرض حرمه الشارع كالربا أو الزنا وبالجملة إذا أفضت إلى إسقاط الواجبات وإحلال المحرمات .

وهذا الأصل تثبته أدلة كثيرة في الشريعة

(١) انظر في هذا الأصل للفنّي لابن قدامة في البيع — نيل الأوطار في البيع والدر ابن عابدين في الشفعة .



إلى ضرر فإنه يضمنه — وفي الدر وابن عابدين<sup>(١)</sup> المرأة إذا أريدت بسوء الزوج إذا وجد رجلا مع امرأته وأمكن الدفع بالصياح أو بالضرب بما دون السلاح فاستعمل السلاح ضمن الضرر المترتب عليه .

لكن محل ضمان الضرر في هذا الأصل إذا أمكن الاحتراس عنه عادة أما إذا لم يمكن فلا ضمان كالطبيب إذا أجرى جراحة على النحو المعتاد بين الأطباء فتلف بها إنسان وذلك لاختلاف طبائع الناس واحتمالهم للجراحات .

أما إذا أمكن الاحتراس فإنه يكون مقصراً كالحمال إذا زلقت رجله فأتلف ما يحمله والكواء إذا أحرق الثوب الذي يكويه .

وقاعدة الحنفية في هذه المسألة أن الإنسان إذا أتى بمباح فترتب عليه ضرر بالغير ضمن لأن استعمال المباح مشروط بالسلامة والضرر دليل على عدم الاحتراس ، وذلك كالمرور في الطريق وضرب الزوجة لترك الطاعة وإن فعل واجباً عليه فترتب ضرر لا يضمن كنفذ الأحكام والفصائد الذي يعمل بالأجرة لأنه مسلط على ذلك إلا إذا تجاوز ما أمر به أو أمكن الاحتراس عن الضرر فيثبت يضمن . وقال الشافعي

لما حرم عليهم شحوم الميتة جملوها أي أذابوها فباعوها وأكلوا ثمنها<sup>(٢)</sup> .

### الأصل الرابع :-

أن يستعمل الإنسان حقه لكن دون احتراس وتثبت فيما يمكن فيه الاحتراس فيمضى هذا إلى الإضرار بالغير .

وذلك كما إذا أراد أن يصيد طيراً فغطش سهمه وأصاب إنساناً أو حيواناً بضرر فإن الصيد حق مباح واسكنه لم يحتسب في استعماله له ولم يثبت فآدى إلى ضرر الغير وهو المعروف بالخطأ في الفعل ، وكما إذا ضرب دابة غيره يظن أنها دابته فأعطبها أو قطف ثمرة غيره يظن أنها ثمرة وهو المعروف بالخطأ في القصد وهذا تعسف في استعمال الحق .

وحكمه ضمان هذا الضرر إنساناً أو حيواناً لأن القرآن يدل على تضمين الخطي كقوله تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » .

ومن ذلك سائق السيارة إذا صدمت إنساناً فقتلته أو أتلفته لأنه استعمل حقه في قيادتها اسكنه لم يحتسب .

ومن ذلك مالو استعمل في الدفاع الشرعي سلاحاً لا تدعو إليه ضرورة الدفاع فآدى

(١) انظر في هذا البحث الموافقات ج ١ في بحث الحبل ، ج ٤ في سد الذرائع وتنقيح الفصول للقرافي في آخر الكتاب « إعلام اللوحيين » في بحث سد الذرائع ج ٣ .

أبي وقاص لما شكاه أهل الكوفة ومن أجل ذلك أنشئت محاكم المظالم في خلافة عبد الملك ابن مروان لإنصاف أفراد الشعب من ظلم الحاكمين (١).

ولهذا نرى أن تقنين العقوبات في البلاد الإسلامية هو احتياط لدرء مفسدات التعسف في استعمال الحق الذي قد يقع من القضاة لأن العقوبات على الجرائم في ما عدا الحدود والقصاص كلها راجعة إلى التعزير — والعقوبات التعزيرية متفاوتة كما أن الجرائم متفاوتة، فالقاضي ما لم يكن خبيراً بأحوال الناس وما يصلحهم متشعباً بالعدالة بعيداً عن الأغراض والغايات كثيراً ما يقع منه الشطط في تقدير الجريمة وتحديد العقوبة فكان التقنين هو الضمان الصحيح للعدل بين الناس، وقد اتخذت الوسائل قديماً للبتع من التعسف كالجهر على الطبيب الجاهل والمفتق الذي يفق الناس بالحيل الباطلة والخبث على المدعيان (٢).

أحمد فرسي أبره

يضمن في تنفيذ الأحكام. من الزيلعي ج ٣ ص ٢١٦ وابن عابدين في الإجارة (١).

وقد يبدو غريباً ذكر الأصل الرابع في أنواع التعسف ولكننا رأينا هذا لأنه ينطبق عليه تعريفه وإلا فالكل في نظر الفقه من باب التعدي على سبيل التسبب.

### التعسف في استعمال السلطة :

رجال السلطة التنفيذية يتصرفون بالوكالة عن ولي الأمر في حدود الأحكام المشروعة لذلك لا يجوز لهم أن يفعلوا ما يخالف الشريعة ولا أن يفعلوا ما لم يفوضوا فيه : فإن فعلوا شيئاً من هذين اعتبر ذلك إساءة في استعمال حقوقهم وترتب عليه إزالة ما لزمه من الضرر فإذا اغتصبوا مال الأفراد وضموه إلى ملك الدولة أو حصلوا ضرائب ظلمة لبيت المال ردت إلى أصحابها وإذا عاقبوا أحداً بغير جريمة أدبوا ما لم يكن ترتب الضرر عن اجتهاد ؛ كاجتهاد القاضي وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رأيت في أعوجاجاً فقوموني . وكان رضي الله عنه يرسل المفتشين إلى الولايات لمراقبة عماله وصح عنه أنه عزل سعد بن

(١) انظر الأحكام السلطانية لابن أبي عمير ص ٥٢ .  
(٢) انظر في هذا البحث فتح القدير وابن عابدين في باب التعزير والفضاء . رسالة العرف للباحث - وتاريخ الكامل لابن الأثير في تاريخ عمر .

(١) انظر في هذا الأصل شرح الزيلعي وحاشية ابن عابدين في كتاب الجنائيات وفي المحتاج في كتاب الجراح والحدود وابن عابدين في باب ضمان الأجير .

## من أعلام المسلمين في الهند ، مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

« خير الدين » ، أن يرحل إلى بلاد يجد فيها متنفساً حراً ، فغادر الهند في نفس السنة التي فشلت فيها الثورة ، وكان شاباً في مقتبل العمر ، واستقر في « مكة » ، بلد الله الحرام ، واشترى فيها داراً ، وتزوج من ابنة عالم كبير من علماء المدينة ، هو الشيخ محمد ظاهر الوطري ، واشتغل بالعلم والحياة ، واشتغل في خدمة المسلمين ، فشارك في إصلاح « عين زبيدة » ، بما جمعه من أموال كثيرة من إخوانه ، في الهند والبلاد الإسلامية ، بلغت نحو مليوني روبية . وكان لهذا الجهد المشكور أثره المحمود ، في نفس السلطان عبد الحميد ، فمنحه أعلى الأوسمة المجيدية تقديراً لخدماته . وفي مكة المكرمة ولد ابنه « محي الدين أحمد » ، وهذا هو الاسم الأصلي لمولانا آزاد وكان ميلاده سنة ١٨٨٨ م ولكن بعد ولادته بقليل أصاب الوالد كسر في ساقه ، ورأى أحبائه وإخوانه في الهند وفي الحجاز أن يسافر إلى « كلكتا » للعلاج فسافر ، وهناك ألح عليه إخوانه ومريده ، أن يبقى معهم فأقام وكان ذلك سنة ١٨٩٠ م أي بعد ولادة ابنه المرموق بستين ..

اسم ملاً الأسماع والقلوب في الهند وخارج الهند ، وشخصية نادرة قل أن يجود بمثلهما الزمان ، جمع بين الإمامة والزعامة في العلم والأدب والدين والسياسة حتى كان لقبه الغالب عليه بين الطبقة العليا من رجال السياسة والأدب والدين بل وعامة الشعب لقب « الإمام » .

وهب حياته منذ صغره لدينه ووطنه الصغير الهند ، ووطنه الأكبر : العالم الإسلامي ، ولم يكن يبالي بالصعاب ولا بالسجون في سبيل هدفه ، وشاء الله له أن يعيش حتى يرى ثمرات جهاده وتضحياته فنالت الهند استقلالها وتولى قيادتها مع زملائه المجاهدين في عهد الحرية كما قادها معهم في الجهاد من أجل الاستقلال .

كان والده « خير الدين » من المسلمين ذوى الغيرة على دينهم ووطنهم ، فلم يطق المقام في الهند بعد أن فشلت ثورة المسلمين على الانجليز لإيقاد الحكم الإسلامي من قبضتهم سنة ١٨٥٧ م ، وتمكنت قبضة المستعمر من عنق البلاد وأخذ يكيد للمسلمين بوجه خاص ويطاردتهم في دينهم وأرزاقهم .. فرأى

إلى مطالعة مقالات « السير سيد أحمد خان » وتأثرت بها تأثراً بالغاً وأدركت أنه ليس لأحد أن يصبح عالماً بمعناه الحقيقي في العالم الحاضر إلا بعد أن يدرس العلم الحديث والفلسفة والآداب الجديدة .<sup>(١)</sup>

وقد دفعه هذا الشعور ، إلى أن يبدأ في تعلم اللغة الانجليزية ، السائدة في الهند ، فتعلمها سريعاً ، ثم عكف على دراسة كتب التاريخ والفلسفة .. وقد أتاحت له هذه المعرفة الحديثة ، أن يطل على آفاق جديدة من الثقافة ، تعلق بها قلبه وعقله ، ولما كان وقع في أزمة عقلية كبيرة ، كان لابد لأمثاله الذين تربوا في بيئة محافظة ، وتلقوا علوماً خاصة تتفق وهذه البيئة ثم ألقوا بأنفسهم في تيار العلم الحديث ، كان لابد لهم أن يصادفوها .. ويتحدث هو بنفسه عن هذه الأزمة وسببها فيقول : -

« ولدت في أسرة متمسكة بالتقاليد الدينية إلى آخر حد ، فلا تقبل أن ينحرف أحد أعضائها ، عن العادات الموروثة أى انحراف ، في الوقت الذي لم أعد أقدر فيه على الانسجام من هذه العادات السائدة ، بل كان قلبي مفعماً بشوكة فكرية عليها ، مندفعاً إلى البحث عن الحقيقة أينما كانت ، لاسيما بعد ما رأيت

ونشأ مولانا آزاد في كلكتا وتعلم كما كان يتعلم أمثاله من أبناء الأسر المسلمة المحافظة التي تنأى بأبنائها أن يتعلموا في مدارس الحكومة التي تلقى فيها ما يتصادم أحياناً مع عقائدهم .. فتعلم منهاج المدارس الدينية العربية كي يشب محافظاً على دينه وتقاليد ، بعيداً عن التأثير بمساوى التعاليم الغربية .. فدرس الفارسية والعربية والفلسفة والحساب والفلك والجبر بجانب مواد الدراسة الدينية وتلقى كل ذلك على يد مدرسين خصوصيين في بيت والده بما أتاح له الانتهاء من دراسة هذه المناهج في سن مبكرة وبدأ يدرس هذه المواد للطلاب .. وقد كانت نشأته بين أبيه وأمه اللذان يجيدان العربية خيراً مساعد له على إتقانها حديثاً وكتابة - وتلك ميزة قلباً تتوفر للعلماء الذين يدرسون المناهج الدينية العربية في الهند - وكان لذلك أثره بلا شك ، في منهج حياته وتشكيلها ، وفي ثقافته الدينية العربية بوجه خاص ..

ولم يقنع الشاب الصغير بما حصل من علوم يقنع بها كثير من أمثاله بل أخذ يستزيد من المعارف ويقرأ الكتب والمقالات وتتفتح نفسه على آفاق جديدة لم يألفها من قبل . فشعر بضالة ما درس من علوم حتى وجدناه يقول في مذكراته عن تاريخ حياته « لم يمض كثير من الزمن حتى اهتديت

(١) من مذكرات « حياتي » المنفورة في مجلة

ثقافة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٨ .

على إلهاب نفوس المسلمين وبعثها من رقادها حتى تتخلص من مستعبدتها واعتمد في ذلك اعتماداً كبيراً على تعريف المسلمين بدينهم بعيداً عن الخلافات والخرافات ، وسقيهم من منبعه الصافي ؛ ليتلاقوا إخواناً في ميدان العمل على كفة التوحيد ، والجهاد من أجل الوطن جهاداً دينياً في سبيل الله وتخليص الإسلام من المتحكم الظالم .. ولذا نراه يقول في مرافعته الكبرى أمام المحكمة حين محاكمته سنة ١٩٢١ « إن ما يعمل به المهاتما غاندى ، الآن من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت «الهلل» قد فرغت منه سنة ١٩١٤ م .. » ويقول في مذكراته « رأيت من الواجب الحتمى إنشاء حركة جديدة بين المسلمين الهنود ، وازددت حماساً لذلك ، وقر عزمى على الاعتناء بالأعمال السياسية بعد عودتى للهند ، وفكرت بعض الوقت فيما يكون عليه منهاجى للمستقبل ، وانتهيت إلى ضرورة تربية الرأى العام ، وتحقيقاً لهذه الغاية لم يكن بد من إصدار مجلة « أنيقة الطباعة ، قوية الدعوة ليست على غرار ما يصدر من الصحف والمجلات الأوردية المحرومة من ميزات الصحافة الحديثة ، ونتيجة لهذا أصدرت مجلة «الهلل» وأسست لها مطبعة خاصة ، وصدر العدد الأول منها في شهر يونيو سنة ١٩١٢ م ، وكان صدور «الهلل» نقطة تحول في تاريخ

من اختلافات رجال الدين المسلمين ، وتكفير بعضهم لبعض ، مع زعمهم أنهم جميعاً يستقون من منبع واحد .. وظللت ثلاث سنوات مضطرباً حائراً ، نهبا للشكوك ، باحثاً عن حل لها يريحنى ، ولم أجد بدا من أن أحل نفسى من التقيد بالتقاليد القديمة الموروثة ، وأترك لها حرية البحث عن الحقيقة واتخذت لنفسى لقب «أراد» أى الحر ، تعبيراً عن الخطوة التى اخترتها لنفسى فى المباحث الدينية . »

وقد دفعه نضجه المبكر ، ورغبته فى التزود من الثقافات المختلفة ، والإلمام بأحوال الأمم على الطبيعة ، إلى السفر خارج الهند فزار العراق وسوريا وتركيا ومصر وهو فى العشرين من عمره ، ومن مصر سافر إلى فرنسا ليسافر منها إلى إنجلترا ولكنه اضطر للرجوع إلى الهند حينما علم بمرض والده ، وكانت هذه الجولة سنة ١٩٠٨ م .

وفى أسفاره هذه اتصل بالأحرار فى الأمم التى زارها ، وارتبطت نفسه الثائرة بنفوسهم ، وتلاقوا جميعاً على وجوب العمل لإثارة الروح الدينية وتعبئتها فى نفوس المسلمين فى كل مكان حتى يتخلصوا من الاستعمار ، وينفضوا عنهم غبار التأخر والانحلال ، والرضوخ للأمر الواقع . فعاد للهند وهو أكثر من ذى قبل إيماناً بوجوب العمل

كان كأنه على موعد مع القدر ، الذى أعده لإنقاذ أمته من براثن الانجليز ، فزودوه بالانضج المبكر ، مع الصلابة فى الحق والهداية فى الفكر ، والرشد فى التوجيه الدينى والسياسى معا ، عرفه الناس من كتابته لإنسانا من طراز جديد لم يعهدوه من قبل بين العلماء والكتاب والساسة ، وقرءوا له فأكبروه ، ولمسوا فيما يكتبه نضجا حملهم على أن يظنوه رجلا مجربا كبير السن ، وسعى الكبار إلى معرفته ولقائه - وهو شاب - كما يسعون إلى رجل كبير أهله كبر سنه وجليل عمله لتعلقهم به وحبهم له وثقتهم عليه . .

لقيه مرة أحد الزعماء المسلمين الكبار وهو السيد أظاف حسين وكان شاعرا كبيرا اتخذ لنفسه لقب « حالى » ، على عادة شعراء الهند وكتابتها .. فظنه ابن ذلك الكاتب الكبير الذى يقرأ له ويعجب به ويكبره ، فاحتفل به ، وأخذ يثنى على أبيه الكاتب الممتاز .. إل .. إل .. ولكن الزعيم كانت مفاجأته كبيرة حين عرف أن أبا الكلام الكاتب هو ذلك الشاب الصغير الذى أمامه فكانت دهشته بالغة وإعجابه مضاعفا .. وكان نواب محسن الملك أحد الزعماء المسلمين يقول عنه « صغير السن عظيم العمل » . وهكذا كانت تحف به فى شبابه عظمة تمهده أن يحتل مكانه المرموق فى مستقبل أيامه .

هيم المدهم النهر

الصحافة الأوردية ، حيث نالت إقبالا منقطع النظير ، وأعجب بها الشعب لا من ناحية طباعتها بل من ناحية دروسها الوطنية القوية التى تأثروا بها تأثرا بالغا ، بحيث خلقت بين عامة المسلمين حركة ثورية جديدة ، وبلغ من تلهفهم عليها أن اضطرونا خلال الأشهر الثلاثة الأولى إلى طبع الأعداد السابقة مرة ثانية .

اتخذ الشاب « آزاد » من الروح الدينية نقطة ارتكاز لتحريك نفوس المسلمين ، وبعث الحياة فيها ، وإثارتها على المستعمر ، وتعريفها بواجبها الوطنى ، فكانت غايته مزدوجة : إحياء الروح الدينية السليمة فى المسلمين ، ودفعهم للثورة على المحتل . وكانت « الهلال » تصدر فى ظل هذه الغاية حتى قال شيخ الهند الزعيم السياسى الدينى « مولانا محمود الحسن » ، متحدئا عن الهلال وأثرها فى النفوس : « كدنا ننى مهماتنا فذكرتنا الهلال بها » ، وكان شيخ الهند فوق الخمسين من عمره ويدير الحركة السرية ضد الانجليز وأبو الكلام آزاد فى مستقبل الشباب وشهادته هذه شهادة مجرب مجاهد عظيم لشاب مجاهد ناضج فى أوان مبكر ..

وهى تدلنا على مقدار الطاقة القوية التى اندفع بها مولانا آزاد إلى ميدان العمل والجهاد فى بدء حياته وجهاده ..

# البيان الأربعة :

## بَلال بن رباح

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

« أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ،  
عمر بن الخطاب  
ترميمهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف  
مأكول .

وقصد أبرهة في جيشه الضخم ، بيت الله  
الحرام ، يبغي لإزالته من الوجود ، فقد غاظه  
تعلق الناس به وحجهم إليه ، وانصرفهم عن  
كنيسته التي أقامها كأغخم ما تقام الكنائس ،  
وأغضبه أشد الغضب سخريه المكين منها .

ورأت قبائل العرب الضاربة حول مكة ،  
والتي كان جيش أبرهة قد ألقي في قلوبها الرعب  
عند ذهابه ، رأت بقايا جيشه المهزوم ،  
فاهتبلت الفرصة وأسرعت إلى الغنائم تملأ  
منها أيديها ، فقد كان الجيش يحمل معه الكثير  
من المال والحسان على ظهور الإبل وصهوات  
الخياد ، ولم تجد هذه القبائل أدنى مقاومة .

وأما من حدثته نفسه بالتعرض له  
أو مناوآته ، فقد أقسم أبرهة في نفسه أنه  
سوف يؤدهم عند عودته .

وبلغ الجيش مكة والتي أبرهة بسيد قريش  
عبد المطلب ، وكان يظن أنه سيطلب منه أن  
يترك البيت ويأخذ من المال ما يريد ،  
ولم يدر بخلاف أبرهة أن عبد المطلب يعتقد  
اعتقاداً راسخاً أن البيت ربا يحميه ، وقد حماه  
الله فأرسل على أبرهة وجيشه طيراً أباييل ،

ونظر عربي كان يبحث عن غنيمة له ،  
فرأى عبداً حبشياً غليظاً يقود ناقه وهو يمشي  
متخاذلاً ، قد أنهكه التعب وأضناه الجهد ،  
وكان على الناقة هودج نفيس ، يستهوى الناظر  
إليه ، فأسرع إلى العبد يأمره أن يتبعه ،  
فانصاع لأمر العربي ، ثم أخذ يسأله حتى

مع غيرها من العبيد . ثم زوجها لأحد غلمانها الذين يتعمون إلى الحبشة بسبب ، وكان قد أعتقه لإعجابه به . إنه غلام أمه من عامة الشعب الحبشى ، وفى زواجه من مثل هذه الأميرة إذلال لها وحط من كرامتها فليس من المعقول أن مثل هذا الغلام يرقى إلى مرتبة الخدم لهذه الأميرة فما بالك بزواجه منها .

وأصبحت الأميرة الحبشية زوجا لرباح غلام خلف ، فأكرمها غاية الإكرام ، إذا رأى فيها رائحة قومها الذين لم يره من قبل ، وقد أقبلت أمه ذات يوم فاتخذها بعض العرب أمة له وأنجب منها رباحا هذا ، وعمل رباح على أن ينسبها ما هى فيه من ذل وهوان وأن يشعرها أنها سيدهته المطاعة ، كما عمل على أن يدخل السعادة على نفسها ، فكان يطيعها ويسهر على راحتها ، وقد عرفت له ذلك فامتلا قلبها غبطة وفرحا ورضيت به زوجا لها ، بل إنها اعتبرت زواجها منه نعمة من نعم الله عليها .

ومرت الأيام وأنجبت الأميرة من رباح ابنا فرحت به ولكن أباه قد أهمه أمره إذ تخيله وقد صار فى المستقبل عبدا لخلف أو لابن من أبناء خلف .

\*\*\*

ويقبل خلف ذات يوم على ضيعته ليرى كيف تسير فيها الأمور ، ويلقى غلامه رباحا

عرف أن هذا الهودج يحمل أميرة من أميرات الحبشة ، كانت تتبع الجيش .

ولما وصل إلى مضارب قومه ، أناخ الراحلة ومد بصره داخل الهودج فإذا هو بفتاة رائعة الحسن يظهر عليها الخوف والوجل فأخذ يطمئنها ويحدثها حديثا يبعث بعض الأمن والهدوء فى نفسها الخائفة المضطربة ...

ومضت الأيام وأحس العربى أن زوجته أخذت تنظر إلى هذه الحبشية الحسنة نظرة الغريم إلى غريمه ، إنها لا تطيق أن تقيم معها فى البيت ، وفكر وهدهد تفكيره أن يقدمها هدية لأحد سادات العرب ، وكان بينه وبين خف صلة ومودة ، فحملها إلى مكة ، وهناك أطرف بها صاحبها ، وذكر له أنها إحدى أميرات الجيش الذى أراد أن يهدم بيت الله الحرام .

وقضى ذلك العربى فى مكة ما شاء الله أن يقضى ، ثم عاد إلى قبيلته ، أما خلف فقد تجلى حقه على الجيش الذى غزا مكة فى معاملته لهذه الفتاة الأسيرة ، فقد أقسم ليزيقها الذل والهوان . وأرادت زوجته أن تتخذها خادما ، ولكنه رأى أن خدمة زوجته لا تحقق له ما يريد بها ويقومها من إذلال .

وكان لخلف هذا ضيعة خارج مكة ، فعزم على أن يرسلها إليها لترعى الإبل والشاة



إلى زوجك حريتها ولجعلت ابنك حراً مثلك (١) .

وعاش رباح وزوجه يعملان في خدمة خلف ويقومان على تربية من أنجبا من أبناء . سعيدين بما يغدق عليهما سيدهما من خير موفور وما يحبوها به من رعاية خاصة .

ثم مات رباح وزوجته ، وتبعهما بعد ذلك سيدهما خلف ولم يقدر لأحد منهم أن يرى ما كان يتحدث به رباح .

واقسم أبناء خلف ما ترك لهم أبوه وأصبح بلال بن رباح ضمن نصيب أمية ابن خلف .

وكان في أمية صلف وكبر فعامل بلالا أسوأ معاملة ، وكرع بلال من الكأس التي خشي أبوه أن يكرع منها فقد سخره سيده في جمع الحطب وحمل المتاع وخدمة الحيوان ، وحرّم عليه غشيان مجالس السادة إلا أن يكون خادماً مأموراً منكمس الرأس ، خافض الطرف .

\* \* \*

وذات يوم سمع شباب قريش بلالا يغنى ليعين نفسه على العمل المسكف به ، ويلبس في غمرة الغناء ما يلقي من هوان ، فوجدوا في صوته حلاوة وجمالا ، فأنصتوا إليه وطربوا لصوته وما فيه من رخامة ، وأعجبوا بخلقه حينما تعاملوا معه ، وسرعان ما أصبح له منهم

(١) طه حسين (الوعد الحق) .

فيسأله ، ألم ينجب أطفالا بعد؟ ، فيذكر له رباح أنه قد أنجب غلاما وهو متألم له أشد الألم ؛ لأنه سيصبح عبداً يذوق ما ذاقه أبوه من قبل ، ويتمنى أن ينقضى هذا الليل المظلم ويشرق الصبح قبل أن يشب طفله عن الطريق فيسأله خلف .

( ويحك ! ماذا تقول ؟ أى ليل وأى صبح ؟ قال رباح : الليل هو هذا الدهر الذى نعيش فيه والذى يسوى فيه الرق بين الأرقاء ، وتفرق فيه الحرية بين الأحرار .

والصبح هو الزمن المقبل الذى يسوى فيه بين الأحرار والعبيد ، ويتمايز الناس فيه بأعمالهم وبلاتهم لا بمنزلهم وحظوظهم من الثراء . قال خلف وقد أغرق في الضحك :

لقد تسكّنت يا رباح منذ اليوم ! دع ليالك المظلم وصبحك المشرق ، وحدثني عن صبيك هذا الذى كنت تريد أن تنده منذ حين ، ما اسمه؟ وما شكله؟ قال رباح : إنك لتسخر

من ليل وصبحي ، وإن ليلى لمنجل ، وعسى أن تشهد إسفاره ، فإن لم تدركه فسيدركه ابنك أمية وسيدركه ابني بلال . فهز خلف رأسه ورفع كتفيه وقال : حسبك يا رباح تحدث بهذا إلى غيري ، أما أنا فإنني زائد في عطائك لمكان هذا الصبي من أسرتك ، ولولا أن قسما عظيما قد سبق مني لرددت

الصلة بينه وبينهم ، فرضوا عن صحبته وحدوا رأيه وسيرته .

وفي أحد الأيام خرجت إحدى قوافل التجارة من قريش قاصدة الشام ، وكان فيها جماعة من أشرف قريش وأثريائها ، يصحبون معهم أخلافهم ومواليهم ، وكان محمد بن عبد الله أحد الذين رافقوا القافلة وقبل أن تبلغ القافلة حدود الشام طرأ لمحمد مادعاه إلى العودة إلى مكة ، ولم يكن من السهل أن يعود منفردا ولم يرض رفاقه أن يتركوه وحيدا ، فطلبوا منه أن يختار له رفيقا يؤنس في عودته ، ونظر محمد إلى من معه واستعرض رفاقه فلم يجد منهم أحدا أقرب إلى قلبه من بلال بن رباح ، وعادوا معا . ولا إغاليها إلا قد تذكر كثيرا من الأمور ، وإن بلالا ذكر لمحمد ما كان يسمعه من أبيه رباح عن قرب انحسار الظلام وانبلاج نور الصباح .

فلما آن لظلام الليل أن يبده نور الصباح ولقسوة الظلم أن تمحوها شريعة العمل ، أرسل الله محمدا يدعو الناس إلى الدين الجديد وأوحى إليه بشريعة الإسلام ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ولينقذ الضعفاء المضطهدين من سلطة السادة الظالمين .

\* \* \*

وعرف أبو بكر أمر صاحبه فأمن به ،

أصدقاؤه ومعجبون كانوا كلما أقبل الليل وخرجوا إلى شعاب مكة يسمعون ويلهون ، طلبوا بلالا وكلفوه أن يغنيهم ، فيغنيهم غناء عذبا جميلا يتردد صداه في شعاب الوادي وسفوح الجبال .

وكثيرا ما يستخف الطرب المستمعين فينسبون أن من يغنيهم إن هو إلا عبد رقيق فيقربونه ويشركونه في سمرهم ولعبهم ، فيرون منه أكثر من جمال الصوت عقلا راجعا وبيانا حسنا وحديثا حلوا طليا ، فتمتلئ قلوبهم إعجابا به وإكبارا له .

ولا يزال أمر بلال يعلو وينتشر حتى رفع عن أعمال العبيد ونذب لأنبل حرفة يشتغل بها أهل قريش ، وأشرف عمل يقومون به ، ألا وهو التجارة بين الشام والحجاز . وبين اليمن والحجاز

وقد كانت الحياة الجديدة خليفة أن ترضى بلالا فيعقبها ويعرف لسيده يده عنده ، ولكنه لم يرض بتلك الحياة الظالمة ، وضجربما حوله من فساد وظلم وذلك لأنه نبيل النفس نقي السريرة . ورغم ما كان يلقي فإنه عاش متطلعا إلى اليوم الذي كثيرا ما تحدث عنه أبوه . واتصل بكثيرين من عقلاء مكة وأصحاب الرأي فيها ، وكان ممن اتصل بهم بلال ، أبو بكر الصديق واتخذ منهم أصدقاؤه قلبه وأصفياه نفسه وتوثقت

فنظر إليه أمية وقد ملأ الحق قلبه وقال :  
 « لم يبق إلا أن تهلك أيها العبد الآبق ، لقد  
 غلبك سحر محمد كما غلب غيرك فلا قلبك ضللا  
 وكفرا كما أضل غيرك من أراذلنا الذين  
 اتبعوه ، لقد كنت مخطئا عندما رفعتك من  
 خدمة المتاع وقطع الشجر وجمع الحطب ،  
 إلى التجارة والرحلة والتصرف في المال ،  
 فدعاك سوء طبعك ولؤم نفسك أن تبحد  
 نعمتي وتنسى فضلي ، وسولت لك نفسك  
 الشريرة أن تتخير الأرباب وتمايز بين  
 الأديان ، فواللآلة والعزى إن لم تعبد ما أعبد  
 من آلهة ، فإنني سأريق دمك كما يراق دم الشاة ،  
 فقال له بلال : « لا بأس بالموت يا مولاي  
 فهو غاية كل حى ونهاية كل حياة ، ولأنه  
 لأحب إلى من العودة إلى الضلالة والكفر ،  
 وحياة الذل والهوان »

فثارت ثائرة أمية وغلى مرجل غضبه ،  
 فأمر أن يؤخذ العبد إلى الموت وأن يذوق  
 ألوان العذاب .

**عبد المرحوم عبد الحافظ**

وسمع بلال بما خص الله به صاحبه محمدا فاتبعه  
 فكانا هما الاثنان أول المؤمنين .

والقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عن آمن به عندما كان يدعو الناس سرا : «  
 من اتبعك على هذا الدين ؟ » فقال عليه السلام  
 « رجلان : حر وعبد ، أما الحر فأبو بكر ،  
 وأما العبد فبلال ثم استمر بلال بعد إيمانه ،  
 في عمله يؤديه لسيده على أكل ما يؤدى العمل .  
 وبجانب ذلك كان يجتمع بالرسول في دار  
 الأرقم بن الأرقم يسمع من صاحبه آيات الله  
 التي يجلو بها قلبه ، ولم تطل سرية أمر بلال  
 فقد وشى به واش لدى سيده ، وعلم أمية  
 أن عبده قد آمن بدعوة محمد ، ودخل في دينه ،  
 فركبه الهم واشتد به الكرب ، فاستقدمه إليه  
 وسأله في غضب : أحقا يا بلال قد استخفك  
 محمد فاتبعته ودخلت في دعوته وكفرت باللات  
 والعزى ؟ وكيف تتبع محمدا الذى سفه ديننا  
 وعاب آلهتنا ؟ »

فقال بلال : « ما استخفنى محمد وما صبات ،  
 وإنما رأيت الحق فاتبعته وأرشدنى محمد  
 الأمين إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
 لا يعبد سواه ، فصدقته وآمنت به ولأن النصر  
 سيكون له مهما طال الزمن » .

قبل لعنترة صف لنا الحرب : فقال :

أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

اصطلحننا على أن الحقوق المالية الواجبة في مال المسلم شرعاً يمكن تسميتها بشئ من الجاز - ضرائب إلهية ، لأنها حق ثابت لازم ، يطالب به الشارع صاحب المال ، ولا يتخلص من تبعته إلا بأدائه .

وأول هذه الحقوق المالية هو « الزكاة » التي جعلها الإسلام ركناً من أركانه الأساسية الخمسة ، وأوجبها القرآن بقوله : « وآتوا الزكاة » في آيات كثيرة <sup>(١)</sup> ، وأوجبها الحديث في وصية الرسول لمعاذ حين بعثه والياً على اليمن وقال له : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم » ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بيدها وبين الله حجاب . وقال الفقهاء : إن الزكاة شرط لصحة الإسلام <sup>(٢)</sup> ، وهي حق المال المعلوم الواجب للسائل والمحروم .

والأموال المزكاة ضربان : ظاهرة وباطنة ، فالأموال الظاهرة مالا يمكن إخفاؤه . كالزرع والثمار والمواشي . والأموال الباطنة ما يمكن إخفاؤه ، كالذهب والفضة وعروض التجارة <sup>(٣)</sup> .

وزكاة الأموال الباطنة يؤديها أصحابها ويخرجونها بأنفسهم في لأصل ، ولهم أن يعطوها لولى الأمر وهو يتولى توزيعها ، ولكن الزكاة في الأموال الظاهرة يؤمر أصحابها بدفعها لولى الأمر ، وليس لهم أن ينفردوا بإخراجها ، وإن امتنعوا حاربهم عليها كما فعل أبو بكر مع مانعي الزكاة ، وهم يصيرون بذلك المنع من البغاة ، وروح التعاليم الإسلامية توحى بأن المسلم إذا ثبت عليه أنه لم يترك أمواله الباطنة كان على ولى الأمر أن يحمله على دفع هذه الزكاة .

وأنواع الأموال المزكاة هي أولاً الذهب والفضة ، وثانياً الزرع والثمار ، وثالثاً المواشى وهي الإبل والبقر والغنم ، ويضم المعز إلى الغنم ، والجاموس إلى البقر وإنما

(١) البقرة آية ٤٣ و ٨٣ و ١١٠ . والمج ٧٨ والنور ٥٦ والمجادلة ١٣ وللزمل ٢٠ .

(٢) انظر تفسير المنار ، ج ١٠ ص ٢٠٢ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٩٩ .

أو دالية ( دولات ) ففيه نصف العشر ، .  
والنصاب الواجب فيه الزكاة هو أربعة  
أرانب وكيلتان فأكثر <sup>(١)</sup> .

أما زكاة الذهب والفضة فقدرها اثنان  
ونصف في المائة ، إذا كان الذهب يساوي  
اثنى عشر جنيتها مصريا — إلا اثنى عشر  
قرشا ونصف — فأكثر ، أو كانت الفضة  
تساوي خمسمائة وتسعة وعشرين قرشا وثلثين  
فأكثر <sup>(٢)</sup> ، وبشرط أن يمر عام قمرى على  
ملك هذا النصاب .

ويمكن أن نسمى زكاة الذهب والفضة  
بضريبة المال المجدد غير المستثمر ، وكأن  
الحكمة من فرض هذه الضريبة هى الحفز  
على تحريك المال واستثماره وعدم كونه ،  
لأن الشخص إذا لم يفعل ذلك تسبب فى ضياع  
رأس المال بتكرار أخذ الزكاة منه كل عام  
وهو بمجدد غير متحرك ، وأما إذا حركة فهو  
تحقيق هدفين : الأول نمو المال ، ويمكن  
أن يعوض هذا مقدار الزكاة المأخوذ ،  
والهدف الثانى ألا ينقص رأس المال أو يزول .  
ونلاحظ هنا عدة أمور لها حكمته ،  
فقد اشترط الإسلام النصاب لأن القليل

سميت هذه مواشى لأنها ترعى وهى تمشى ؛  
ورابعا عروض التجارة .

وإنما تجب الزكاة على المسلم البالغ العاقل  
الحر المالك للنصاب : أى المقدار المالى  
الذى تجب فيه الزكاة <sup>(٣)</sup> .

ولم يترك الإسلام القدر الواجب فى المال  
المزكى مبهما ، بل حدده وبينه فى كل صنف  
من أصناف المال ، فى الزروع والثمار  
كالقمح والذرة والأرز والشعير والتمر  
والزبيب حدد عشر المحصول ، إذا كانت  
الأرض المزروعة تسقى مباشرة بماء السماء ،  
أو تسقى بدون آلة أو مجهود ، أو كما يعبر  
أهل الريف « تسقى بالراحة » ، وحدد نصف  
العشر فى المحصول إذا سقيت الأرض بآلة  
كساقية أو دلو أو غيرهما ، أو بذل صاحبها  
مجهودا فى سقيها .

ونلاحظ هنا عدالة التقسيم ، فالأرض  
المسقية ببذل مجهود يزيد زكاتها عن الأرض  
المسقية بلا مجهود ، وفى هذا مراعاة لاختلاف  
الأحوال ، والعمدة فى هذا التقسيم هو قول  
الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما سقت  
السماء ففيه العشر ، وما سقى غرب (دلو)

(١) فى كتاب الفقهاء تفصيلات كثيرة عن  
الشروط اللازمة لوجوب الزكاة ، والقدر المذكور  
هنا هو ما يؤكد يعتقد عليه الإجماع ، ويمكن  
مراجعة باقى التفصيلات فى كتاب الفقه على المذاهب  
الأربعة ج ١ ص ٤٧١ وما بعدها .

(٢) لقول الرسول : « ليس فى حب ولا تمر  
صدقة حتى تبلغ خمسة أوسق ، والوسق ستون صاعا  
مدنيا ، وقدروا الخمسة بما ذكرنا .

(٣) راجع لتحديد النصاب هنا كتاب الفقه  
المذاهب الأربعة ج ١ ص ٤٨١ :

عن طريق التوالد . وما استدلوا به على وجوب هذه الزكاة ما رواه سمرة بن جندب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعهده للبيع . » وقال عمر لأحد التجار في شأن تجارته : « قومها ثم أد زكاتها . »

وأما زكاة الماشية أو النعم أو البهائم فتجب فيها الزكاة إذا كانت سائمة ، والسائمة هي التي ترعى في الكلاء المباح ، كالموجود في البراري أو الأرض العامة التي لا مالك لها ، وتظل تأكل من هذا ( العلف ) المباح أكثر السنة على الأقل ، ويشترط أيضاً أن تكون هذه الماشية مقصودة لدر اللبن أو النسل أو التسمين ، فلو كان المقصود منها العمل كالحرث أو الحمل أو الركوب فلا زكاة فيها ، وإذا اتخذت للتجارة انتقلت زكاتها إلى باب عروض التجارة . والنصاب - أي المقدار الذي لا تجب في أقل منه زكاة هنا - يختلف باختلاف أنواع الماشية ، فأول نصاب الإبل خمس ، فإذا بلغت شاة ، وهكذا تؤخذ عن كل خمس شاة إلى عشرين ، ثم هناك تفصيل للواجب فيما زاد عن ذلك يراجع في كتب الفقه .

وأول نصاب البقر ثلاثون بقرة ، فإذا بلغت شاة وجب فيها تببيع أو تبعية ، أي بجل أو عجلة بحيث يكون كل منهما قد أوفى سنة

المدخر لحاجة قريبة أو بعيدة لا يؤبه به ، واشترط حولان الحول - أي مرور العام والمال موجود - حتى لا يكون لصاحبه عذر في تجميده بعد هذا الوقت الطويل الذي يستطيع خلاله أن ينفق المال أو يحركه في استثمار .

وأما عروض التجارة - وهي جمع عرض يسكون الرأ ، أي ما ليس بذهب ولا فضة - فزكاتها ربع العشر ، أي اثنان ونصف في المئة ، ويجب هذا المقدار بالنسبة لقيمة السلع مجتمعة ، ويضم الربح الناشئ خلال العام إلى أصل المال ، لأن الزكاة في التجارة تجب متى تم الحول أي السنة .

وهذه الزكاة يمكن اعتبارها في مقابل ضريبة الأرباح التجارية المعاصرة ، ونلاحظ أن الإسلام جعل مقدار زكاة التجارة كزكاة النقدين الذهب والفضة ، لأنه ينظر إلى التجارة على أنها رأس مال ، وكأنه يريد أن يقول بطريق غير مباشر : ينبغي أن يكون الذهب والفضة متحركين حركة التجارة للنمو والتمهير ، وأن يكون للتجارة من المكانة والتقدير المادى ما للذهب والفضة ، فيدعو ذلك إلى العناية بها والحرص عليها ، ولذلك قال الفقهاء إن ( عروض التجارة ) مال مقصود به التنمية ، فهو يشبه الزرع في تضاعف المحصول ، ويشبه الأنعام في الزيادة

غالباً ، والفلاحون وأصحاب الأرض عليهم  
زكاة الزروع والثمار والأنعام ، والتجار  
عليهم زكاة عروض التجارة ، فإذا أضفنا  
إلى هذا أن الإسلام يأخذ من أهل الغنائم  
خمس الغنيمة ، ومن أهل الذمة يأخذ الجزية ،  
ومن الجميع رجالاً ونساءً ، وكباراً وصغاراً ،  
وخدماً ومخدومين ، يأخذ زكاة الفطر عند  
رمضان من كل عام . وهى المسماة فى كتب  
الفقه صدقة الفطر ، وهى واجبة على كل حر  
مسلم قادر ، حتى قال الرسول قبل يوم الفطر  
يوم أو يومين : « أدوا صاعاً من بر أو قح  
أو صاعاً من تمر أو شعير ، عن كل حر وعبد  
صغيراً أو كبيراً » .

إذا أضفنا كل هذا إلى أنواع الزكاة المتقدمة  
أدركنا أن عنصر « الشمول » الذى يعتبر  
سمة من سمات الضريبة العادلة متوافر  
فى الحقوق المادية التى أوجبها الإسلام  
فى الأموال .

ومما ينبغى تذكره أن فريقاً من الفقهاء  
المعاصرين يرون من فهمهم لروح الإسلام  
فى تشريع الزكاة أن العارات والمنازل المبنية  
للسكنى بالإيجار تقاس فى الزكاة على الأرض  
المزروعة ، فيسكون فيها زكاة كزكاة الزرع ؛  
وذكروا أن الفقهاء القدماء لم يتعرضوا لهذه  
الناحية لأن المساكن فى الزمن القديم كانت  
تستعمل فى السكنى الشخصية ، ولم تكن تؤجر

ودخل فى الثانية ، وإذا بلغت البقر أربعين فما  
فوقها فلها أحكام مفصلة فى كتب الفقهاء كذلك  
وأول نصاب الغنم أربعون ، فإذا بلغت  
ففيها شاة أتمت سنة ، فإذا بلغت الغنم  
مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان ، فإذا  
بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ، وفى  
أربعمائة أربع شياه ، وما زاد فى كل مئة شاة ،  
وما بين كل مقدارين معفو عنه فلا زكاة فيه .  
وهناك من الفقهاء من يرى وجوب الزكاة  
فى الخيل ، ومن يرى وجوب الزكاة  
فى المعدن أو الركاى ، وهو ما يوجد تحت  
الأرض من معدن أو كنوز ، ولكن  
الخلافاً موجود بين الفقهاء فى هذين الأمرين ،  
فليراجع فى مصادره من أراد .

ونلاحظ فى تشريع الزكاة عنصرى التيسير  
والشمول ، فالتيسير يبدو فى اشتراط الإسلام  
قدراً معيناً من المال لا يجب الزكاة فى أقل  
منه ، فليس كل مالك يزكى عما يملكه ولو كان  
ضئيلاً قليلاً ، والشمول يأتى من ناحية أن  
كل مالك للنصاب تلزمه الزكاة بلا استثناء ،  
ولم يكن هذا النصاب مقصوراً على صنف  
من المال دون صنف ، بل شمل كل أنواع  
المال النامى بالقوة أو بالفعل ، وشملت الزكاة  
بأنواعها الكثير من مستويات الناس ، فعلى  
الأغنياء زكاة الذهب والفضة بوجه عام ،  
لأنهم هم الذين يدخرون ما يزيد عن النصاب

بالصورة المعروفة الآن ، ولكن العمارات اليوم أصبحت مصدر استغلال كبير واستثمار موصول ، بل إن العمارات تدر من الأرباح أكثر من أرباح الأرض الزراعية الآن ، فلا أقل من أخذ الزكاة فيها كزكاة الأرض ! وكما لاحظنا ملاح الحكمة والتيسير والرحمة والعدالة والشمول في مصادر الزكاة ومنابعها ينبغي أن نستعرض مصارف الزكاة لعلنا نلاحظ فيها مثل هذا من ألوان الحكم ووجوه الإصلاح .

والمراد بمصارف الزكاة الجهات التي توزع عليها وتصرف فيها ، وقد جاء القرآن الكريم بتحديد هذه المصارف في قوله تعالى من سورة التوبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وإذا كانت الآية قد عبرت عن الزكاة بالصدقات فلا فرق بين الكلمتين من ناحية المدلول ، لأن « الصدقة زكاة » ، والزكاة صدقة يفترق الاسم ويتفق المسمى » . (١) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نزلت هذه الآية : « إن الله تعالى لم يرز في قسمة الأموال بمالك مقرب ، ولا نبي مرسل ، حتى تولى قسمتها بنفسه » (٢) .

فبالزكاة تدفع إذن إلى الفقراء ، والفقير هو المحتاج إلى مطالب العيش وضرورات الحياة ، أو الذي لا شيء له ، وتدفع إلى المساكين ، والمسكين هو الذي لا يجد ما يكفيه ، أو هو الذي قد أسكنه العدم ، ومهما يسكن من خلاف في تحديد معنى الفقر والمسكنة فالوصفان مشعران بالاحتياج ، فيدفع من الزكاة إلى الفقير والمسكين ما يخرج به كل منهما عن حالة الفقر والمسكنة إلى أول مراتب الاستغناء على الأقل : « وذلك معتبر بحسب حالهم ، ففهم من يصير بالدينار الواحد غنيا إذا كان من أهل الأسواق يربح فيه قدر كفايته ، فلا يجوز أن يزداد عليه ، ومنهم لا يستغنى إلا بمائة دينار ، فيجوز أن يدفع إليه أكثر منه ، ومنهم من يكون ذا جلد يكتسب بضاعة قدر كفايته ، فلا يجوز أن يعطى وإن كان لا يملك درهما » (١)

وتدفع الزكاة إلى ( العاملين عليها ) وهم الذين يقومون بجمع الزكوات من الناس وجبايتها ودفعها إلى ولي الأمر ، والذين يقومون بقسمتها وتوزيعها على مستحقيها ، فالعامل في هذا المجال يأخذ أجرته من مال الزكاة ، ويدفع له في هذه الحالة أجر المثل . والمصرف الرابع هو ( المؤلفة قلوبهم ) وهم الذين كان النبي يتألف قلوبهم ، ويتودد إليهم ، ليقوى إسلامهم ، أو ليكفوا

الذين يقومون بجمع الزكوات من الناس وجبايتها ودفعها إلى ولي الأمر ، والذين يقومون بقسمتها وتوزيعها على مستحقيها ، فالعامل في هذا المجال يأخذ أجرته من مال الزكاة ، ويدفع له في هذه الحالة أجر المثل . والمصرف الرابع هو ( المؤلفة قلوبهم ) وهم الذين كان النبي يتألف قلوبهم ، ويتودد إليهم ، ليقوى إسلامهم ، أو ليكفوا

(١) الأحكام السلطانية للمواردى ص ٩٨ ،

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٧

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٨



وفي كتاب ( الإسلام عقيدة وشريعة )  
للشيخ شلتوت جاءت هذه العبارة : ( وليس  
من ريب في أن حاجة المسلمين اليوم في دفع الشر  
عنهم ماسة إلى تقوية ضعفائهم ، والاستعانة  
بكل ما ينفع في رد العدوان والبغي .

وإذا كان خصوصنا قد لجئوا إلى هذا ،  
وأعلنوا مشروعات التأليف والمعونة التي  
يخضعون بها المتردين منا ، ويؤوبون بها  
الأعداء علينا ، فنحن لا نسد على أنفسنا  
هذا الباب وقد فتحه القرآن لنا على مصراعيه ،  
وأورده بكلمة واضحة تحمل معناها وتؤدي  
غايتها ، وإذن فالذي كان من عمر والأصحاب  
هو وقف لإعطائهم في زمنهم ، وليس نسخا  
للحكم كما قيل (١) .

ويقول الدكتور بدوي عبد اللطيف :  
( إذا نظرنا إلى الحالة الحاضرة ، وما عليه  
الأمم في العصور الحديثة رأينا الدول تتسابق  
إلى نشر أديانها ومذاهبها ، وتنظيم سبل  
الدعاية لها ، والترغيب بها ، ومحاربة الدين  
الإسلامي بانتشار المبشرين في الأقاليم الإسلامية  
وغيرها ، ونشاطهم في إلقاء أباطيلهم الزائفة  
وعقائدهم الباطلة ، وشراء عقائد الأفراد  
وضمائرهم بالأموال الطائلة ، يؤيدهم في ذلك  
الاستعمار باسم حرية الدين والعقيدة والرأى ،  
وبإنشاء المستشفيات والملاجئ والمعاهد

شرم ، أو ليضاعفوا جهودهم ، وهؤلاء  
المؤلفة أصناف ، فصنف تتألفهم لمعونة  
المسلمين ، وصنف للكشف عن المسلمين ،  
وصنف لتوطيد الإسلام في نفوسهم ،  
وصنف لترغيب عشائهم في الإسلام ، فمن  
كان مسلما من هذه الأصناف أخذ .

وهناك من يرى سقوط هذا الصنف من  
دائرة الاستحقاق ، بدعوى أن الإسلام  
استغنى عن تألف الذين تخشى عليهم الردة  
من ضعاف الإسلام ، وبدعوى أن عمر  
قال : في حق رجلين من المؤلفة قلوبهم  
( كمن تألف حين كان الإسلام في ضعف ،  
أما الآن ، وقد عز وقويت شوكته - فلا  
حاجة بنا إلى التألف ) أو ما معناه ذلك .

وهذه الرواية لا تقتضى سقوط هذا  
السهم ، وإنما ذلك اجتihad من عمر بأنه ليس  
من المصلحة استمرار هذا التأليف لهذين  
الرجلين الطامعين وأمثالهما ، بعد الأمن من  
ضرر ارتدادهما لو ارتدا ، لأن الإسلام  
قد ثبت في أقوامهما حتى إنه لا يترتب على  
قتلهما لو ارتدا أدنى فتنة (٢) .

والإمام الشوكاني يرى جواز التأليف  
عند الحاجة ، فإن كان في زمن الإمام قوم  
لا يطيعونه إلا للدنيا ، ولا يقدر على إدخالهم  
تحت طاعته بالقسر والغلب ، فله أن يتألفهم  
ولا يكون لفشو الإسلام تأثير (٣) .

« ١ » تفهيم المنارج ١٠ ص ٥٧٦ .

« ٢ » المرجع السابق ، ص ٥٧٧ .

« ٣ » الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٥ .

أموالها وسلطانها وحريتها في بلادها ، كان ذلك رق أفراد يموت بموتهم ، وتبقى دولهم حرة رشيدة ، لها من الأمور الأهلية ما سائر الأحرار الراشدين . ولكن هذا رق شعوب وأمم ، تلد شعوبا وأمماهم في الرق كأباهم ، فهو رق عام دائم ، يفرض على الأمة بقسوة ظالمة غاشمة .

وأذن فما أجد هذا الرق بالمسكفة والعمل على التخلص منه ، ورفع ذله عن الشعوب ، لا بمال الصدقات فقط . بل بكل الأموال والأرواح <sup>(١)</sup> .

والمصرف السادس يتعلق بالغارمين ، وهم الذين استدانوا لمصالح أنفسهم ، ثم عجزوا عن الوفاء ، أو استدانوا لمصالح المسلمين وعجزوا ، فهؤلاء وهؤلاء يأخذون من مال الزكاة سهمهم اقضاء ديونهم .

والمصرف السابع هو « سبيل الله » وقد قصر السابقون معنى هذه الكلمة على الغزاة والمرابطين ، ولكن سبيل الله واسعة شاملة ، وهي سبيل الحق والعدل والحرية والإصلاح والتعمير والتعاون وهي سبيل كل خير ، « والتحقيق أن سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد » <sup>(٢)</sup> .

التي أقاموها بين ظهراني المسلمين في ربوع الأقطار الإسلامية لتضليل أبناء المسلمين ، وردهم عن دينهم بأشنع الوسائل وأخبث الطرق التي لا يقرها عقل ولا دين .

إننا إزاء ذلك يجب ألا نضن بالمال فيما يستدعيه واجب الدين والوطن الإسلامى وما تتطلبه مصلحة المسلمين ، وذلك بالدعوة إلى الإسلام ومقوماتنا بالموعظة الحسنة والإرشاد وبالتي هي أحسن ، وإرسال البعوث من العلماء المتنورين الفاهمين إلى الآفاق والأصقاع لإذاعة كلمة الدين وبيان أسرار ومحاسنه <sup>(٣)</sup> .

والمصرف الخامس للزكاة هو المعبر عنه بقول الله تعالى : « وفي الرقاب » أى في تحرير رقاب العبيد ، وللتخلص من الرق الذى حاربه الإسلام وهدف إلى القضاء عليه ، ويكون ذلك بمعاونة المساكين ، بأن يدفع إليهم من الزكاة ما يعتقدون به رقابهم ، ويكون كذلك بشراء أرقاء وعتقهم .

يقول صاحب ( الإسلام عقيدة وشريعة ) في هذا المقام : ( وهذه الناحية قد انقرض أفرادها بانقراض الرق الذى يتشوف إليه الإسلام ، ولكن فيما أرى قد حل محله الآن رق هو أشد خطراً منه على الإنسانية ، ذلك هو استرقاق الشعوب في أفكارها وفي

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٥٨٥ .

(٣) الميزانية الأولى في الإسلام ، ص ٥٥

وإذا راجعنا هذه المصارف وجدناها محققة لعنصر الشمول في الصرف ، فإن هذه الجهات تشمل كل المحتاجين ، وإذا كانت الآية الكريمة قد حددت مصارف ضيقة المجال أو محدودة النطاق كالعاملين على الزكاة والأرقاء ، فإنها تذكر بجوارها مصارف يتسع نطاقها وينفصح في كثير من الأحيان كالفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم بمعناهم العصري والغارمين ، ثم هي مع كل هذا تذكر ما يتسع ويتسع ، وينفصح ثم ينفصح ، وهو « سبيل الله » بالمعنى الذي ارتضيناه ؛ وهكذا تسهم ضريبة الزكاة الإسلامية في وجوه من الخير والإصلاح ، تعمر المجتمع وتسعد الأحياء .

### أهم المصارف

ومن سبيل الله نشر دعوته وإعداد الدعاة لذلك ، والإنفاق على المدارس للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ، ومن سبيل الله أيضا : « التسكين » الحربى الذى ترد به الأمة البغى وتحفظ الكرامة ، ويشمل العدد والعدد على أحدث المخترعات البشرية ، ويشمل المستشفيات العسكرية ومدنية ، ويشمل تعبيد الطرق ، ويشمل الإعداد القوى الناضج لدعاة إسلاميين يظهرون جمال الإسلام وسماحته وينشرون كبرته (١) .

وهكذا نستطيع أن نفهم المعنى العام لسبيل الله على أنه كل ما يتعلق بمصالح الأمة الدينية والدينية ومنافعها الروحية والمادية . والمصرف الأخير هو ابن السبيل ، وهو المسافر لغرض ، مشروع وينقطع به الطريق لقلة الزاد أو المال ، فيأخذ من الزكاة ما يبلغ به داره .

(١) الاسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

### العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي : قبح الله المعروف إن لم يكن ابتداء من غير مسألة ، فال معروف عرض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه وقلبه خائف ، وفرائضه ترتعد ، وجبينه يرشح ، لا يدرى أيرجع بنجح المطلب أم بسوء المنقلب . قد انتمع لونه ، وذهب دم وجهه .

اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل لى حظا فى الآخرة .

# المصانف الدبلوماسية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

مقدم :

الدولة لسياستها الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلمية . وهناك معان أخرى متنوعة تستعمل فيها الكلمة جوازاً ، إلا أن المدلول الذي أشرنا إليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعاً .

وثمة تعريفات مختلفة للدبلوماسية وردت في الموسوعات والمعاجم وفي مؤلفات فقهاء القانون الدولي ورجال الدبلوماسية وعلمائها نخلص منها إلى أن الدبلوماسية هي من إدارة العلاقات الخارجية للدولة ، أو بتعبير آخر هي أسلوب مباشرة العلاقات بين الدول .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك التعريف الذي ورد على لسان معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية وأدهى الحكماء العرب ، فقد عبر عن فن سياسة الحكم وإدارة شئون الدولة في علاقاتها العامة بقوله : لو أن يبني وبين الناس شعرة ما انقطعت ، كنت إذا أرخواها شدتها ، وإن شدوها أرخيتها .

وهو تعريف بالغ الدلالة على ما يذنبه أن يتوافر في الدبلوماسية من مرونة وحنكة في تدبير علاقاته وتنفيذ خطته . كما يدل هذا التعريف

تعنى كلمة دبلوماسية في أصلها الإغريقي القديم الوثيقة أو المكتوبة التي تطوى كما يطوى الخطاب ويبحث بها أصحاب السلطة بعضهم إلى بعض في علاقاتهم الرسمية ، وتجعل لحاملها امتيازاً معيناً .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوروبية الحية كالانجليزية والفرنسية ثم إلى اللغة العربية ، واستخدمت للدلالة على أكثر من معنى . فقد استعملها الرومان بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث أو السفير والمهمة الموفد بها ، فكانت بمثابة جواز سفر ، وبمعنى ما يذنبه على المبعوث أن يتجلى به من الأدب الجم واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد .

وتطور استعمال كلمة دبلوماسية حتى أصبحت في القرن السابع عشر تعنى دراسة الوثائق القديمة . ولم تستخدم في معناها المتعارف عليه الآن إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر . وتعنى الدبلوماسية في العصر الحديث ممارسة

حميدة في العالم المعروف إذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار رسلهم إلى الملوك وسفاراتهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت إليهم بعثات من هذه الممالك ، والبلاد تخطب ودهم وتطلب مؤازرتهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اقتضته طبيعة الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم الذي كان قائماً في ذلك الحين . وهكذا تطورت النظم الدبلوماسية لتتقن بهذه الحاجة الجديدة ودخلت في مرحلة أكثر تقدماً في شكلها ومحتواها ونعني بها الدبلوماسية الإسلامية في نشأتها . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب في المستقبل . فقد كانت العلاقات الدبلوماسية التي أقامها الرسول قاصرة في بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها للتعرف بالإسلام والدعوة إليه . ومن أجل هذا الغرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل . وكانت المؤتمرات التي عقدت في الجزيرة العربية لشرح مبادئ الإسلام والإقناع بها فيما بعد .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال في الدبلوماسية الإسلامية من محادثات شخصية

على وعى مستنير وفهم لأصول الدبلوماسية وما يتخلق به رجالها من حضانة نادرة وذكاء نافذ ومهارة خاصة في معالجة الأمور .

## المبحث الأول

### الدبلوماسية الإسلامية

عرف العرب الأسلوب الدبلوماسي في علاقاتهم ومعاملاتهم ، وكانت لهم نظم وتقاليد دبلوماسية حتى في جاهليتهم . فقد نشأت منذ القدم علاقات تجارية وثيقة بين القبائل العربية وبين جيرانها من الأمم والشعوب . وقد اقتضت تلك العلاقات أن يتبادل العرب فيما بينهم وبين غيرهم المراسلات والبعثات ، وأن يصبح لهم بتواتر هذه السفارات أسلوب دبلوماسي تقليدي يصرفون به شئونهم ويديرون به مصالحهم التجارية وغيرها . والعرب تطبيعهم قوم رحل جوابو آفاق ، تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وندواتهم في سوق عكاظ وغيرها من الأسواق ، واجتماعاتهم في مواسم الحج ، وفادات شعرائهم وحكائهم إلى ملوك فارس والحيرة وغسان وحير .

وقد ساعد على قيام العلاقات الدبلوماسية بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منذ كانت معبراً للقوافل التجارية قبل الإسلام . وقد أتاح لهم ذلك مركزاً تجارياً ممتازاً وعلاقات ودية

للإسلام بعقد المعاهدات مع ممثلي المدن والأمصار التي فتحها المسلمون .

ثم كان عصر العباسيين الذي اشتهر فيه ساعد الدولة الإسلامية فأصبحت في طليعة القوى السياسية الدولية - إذ امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، فضلاً عن اتساع أرجائها شمالاً وجنوباً ، كان لذلك أثره البالغ في الدبلوماسية ، فازداد النشاط الدبلوماسي باتساع نطاق العلاقات الدولية بين العباسيين في بغداد والبيزنطيين في القسطنطينية ، وتعددت أغراض السفارات ووظائفها بحيث أصبح تبادل الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق الصلات التجارية وتبادل الأسرى وتبادل العطايا . وفض المنازعات وعقد المعاهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية . كما استحدثت غرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلنية والثقافية بين الدول لما يحققه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها ودعم الحركة الثقافية في البلاد .

ومن ثم كان انتهاء الدولة الإسلامية الأسلوب الدبلوماسي في علاقاتها السياسية مع الدول الأخرى ضرورة حيوية لمباشرة نشاطها ودعامة قوية من دعائم نموها وتطورها ، فلا غرو أن تغدو الدبلوماسية في الإسلام فناً جديراً باهتمام الدولة ورعايتها ،

ومراسلات إلى سفارات ومؤتمرات حسبما كانت تتطلب الظروف . وكان الغرض الأول الذي تستهدفه دبلوماسية هو الدعوة إلى الإسلام ونشر رسالته .

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب - لأول مرة . وحدتهم السياسية ، فقامت أول دولة إسلامية في المدينة برياسة النبي ، أصبح انتاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة ، فانتسح نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتطورت دعائمها ، فلم تعد علاقات المسلمين بجيرانهم قاصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت إلى مختلف النواحي الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المحيطة لتنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية بالطرق الدبلوماسية . وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لهذا النهج الكريم ، فظلت الدبلوماسية تسعى لتوطيد أركان الدولة بالإفادة من الأسلوب الدبلوماسي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى الإسلام والدع عنها . ولم تختلف الدبلوماسية الإسلامية كثيراً من حيث أغراضها في العصر الأموي وإن جددت تطورها عليها في أسلوبها وطابعها وتنظيمها ، فاستمرت تستخدم في نشر العقيدة وإعلان الحرب دفاعاً عن حريتها والتمكين

كسب مودته حتى إذا عاد إلى قومه كان للعرب خير سفير يبلغ عنهم مالمسه من طيب خلاطم وما استقر في نفسه من فضلهم ونبلمهم ، وكسبت الدولة الإسلامية عن طريقه حسن منزلة في بلده فأعانها ذلك على تحقيق مقاصدها ونيل مبتغاها ودعم علاقاتها الودية بمحلفائها في المحيط الدولي .

وهكذا انعكست التقاليد العربية السمجة على النظم الدبلوماسية وأضافت رصيذاً جديداً إليها ، فأحاط المسلمون السفراء الوافدين إلى ديارهم بضروب العناية والراية ، وأعلوا من شأنهم ورفعوا من منزلتهم شأنهم في ذلك شأن سائر الشعوب منذ فجر التاريخ ، وزادوا عليها بما ابتدعوه في سبيل تأمين المبعوثين والرفية عنهم من مراسم الإجلال ومظاهر الحفاوة والإكبار .

وبجدد بنا قبل البحث في الحصانات التي منحتها القواعد الشرعية الإسلامية للسفراء أن نسين مدلول الحصانات والامتيازات الدبلوماسية وأنواعها . بحسب العرف والقانون الدوليين وما استقرت عليه آراء الفقهاء وأحكام القضاء في شأنها حتى يتسنى لنا في ضوء هذه الدراسة التمهيدية أن نعالج موضوع الحصانات الدبلوماسية في ظل الدولة الإسلامية .

### المبحث الثاني

الحصانات والامتيازات الدبلوماسية  
يعنى مصطلح الحصانات الدبلوماسية تلك

وأن يكون الدبلوماسيون الأجانب في الديار الإسلامية موضع الحفاوة والتقدير ، فتسبغ عليهم الدولة حمايتها تيسيراً لمهامهم ودعماً للعلاقات الودية مع الدول التي يمثلونها .

إن المروءة والسخاء ورعاية الجار من أعظم المناقب التي عرف بها العرب منذ الجاهلية ، لا تكاد تدانينهم في هذا المضمار أمة من الأمم على مر العصور ، وقد حفلت كتب السير والتاريخ بأزهى الصفحات في ذكر كريم شمائلهم وشريف خصالهم حتى كانوا مضرب الأمثال في إكرام الضيف وغوث الملهوف وإيواء المستجير والبر بأعحاب الحاجات . وقد أسرفوا في كرم الوفادة وحسن استقبال الغرباء وجاوزوا في ذلك حد الاعتدال . فكيف وقد صفت طباعهم وركت شمائلهم في ظل الإسلام ، وصقلت حضارته أذواقهم وأخلاقهم وتقاليدهم . والسفير القادم إلى ديارهم له في ذمتهم حقوق لا مفر من الوفاء بها ، فله حق الغريب في النزول أكرم منزل ، وحق الرسول في حسن استقباله وتسهيل مهمته . وهو بعد ذلك من صفوة قومه وقد تجشم مشاق السفر والترحال ليمثل رئيس دولته في البلاد الإسلامية ، فأكرامه إعزاز اشخصه ولمرسله معا .

وفضلاً عن ذلك ، فإن شعور السفير الأجنبي برعاية الدولة الإسلامية أدعى إلى

من يمرون ببلاده عن مهامهم ، بل كان يقدم إليهم الطعام أحياناً . وهذه العادات قد عرفتها كثير من المجتمعات القديمة كالهند وجنوب نيجيريا حيث كان السفراء يضعون عصابة حمراء على جباههم .

على أنه كان للتمتع بالحصانات لدى بعض هذه القبائل شروط وحدود ، فيشترطون على السفير مثلاً ألا يحميد عن الطريق المحدد له ولا يفقد حصانته .

وتطورت الحصانات الدبلوماسية بتطور المجتمع الدولي وخروجه من مرحلته البدائية إلى عصور العلم والمعرفة ، فأصبحت تلك الحصانات حقوقاً مكتسبة منظمة يتمتع بها أرباب التمثيل الدبلوماسي على اختلاف جنسياتهم وتباين مراتبهم ، وتعددت أنواعها بما يفي بحاجات التبادل الدولي والحرص على تحقيق الأغراض الدبلوماسية .

ومن ثم يترتب على تبادل العلاقات السياسية بين دولة وأخرى إقرار هذه الحقوق والامتيازات للتمثيل المعتمدين لدى كل منهما ، ويؤدي الإخلال أو المساس بها إلى تعكير صفو هذه العلاقات وربما إلى قطعها . والحكمة في تقرير هذه الحصانات هي تهيئة أفضل الظروف والضمانات لأعضاء البعثات الدبلوماسية والتيسير عليهم في ممارسة وظائفهم تقديراً لدورهم الجليل في إنشاء العلاقات السياسية الدولية ودعمها ومن

الامتيازات التي يخلعها القانون الدبلوماسي على الممثلين السياسيين دون غيرهم من الأفراد والجماعات . وقد استقرت تلك الحصانات بتأثير العرف والتقاليد الدولية منذ أقدم العصور ؛ إذ أدركت القبائل والأمم القديمة جلال المهام التي يضطلع بها المبعوثون والسفراء ، فأحاطتهم بهالة من القداسة لتتمكن لهم من القيام بها على خير وجه . وبالرغم من أن القديما بوجه عام كانوا يذبذبون الغريب ويكرهونه أو يعدونه عدواً يستحلون دمه ، فإن تمتع السفير بالحصانة في أثناء تأديته لمهمته قد أصبح عرفاً مستقراً منذ قيام العلاقات الدبلوماسية في مراحلها الأولى قبل فجر التاريخ . وأصبحت الحصانة الشخصية منذ ذلك الحين من مستلزمات تحقيق المهمة الدبلوماسية .

وكما كان قتل السفير أو إلحاق الضرر أو الإهانة به سبباً في بدء القتال من جانب قبيلته ، فإن بعض القبائل كانت تعاقب بالقتل كل من يقتل المبعوث إليها أو يهينه .

ولهذه الأسباب ، كان على المبعوث أن يميز نفسه لدى مروره بين معسكرات العدو ، أو في أثناء سفره بين القبائل الأخرى في طريقه لتأدية مهمته من ذلك أن الرسل كانوا ينقلون بين جبال مراكش ووهادها في العصور الأولى ، وقد حملوا حربة في رأسها خرقه من الفطن الأبيض ، حتى يبين الأعداء شخصيتهم فلا يعتدوا عليهم . ولا يسألهم



يقرر الوجود القانوني لبعض الحصانات مبدئياً ، إلا أنه لا يستطيع أن يضمن احترامها وحمايتها بشكل محدد . ومن رأى بعض فقهاء القانون الدبلوماسي أن صدور تشريعات داخلية لضمان الحصانات الدبلوماسية ، وإلزام المحاكم الوطنية بمراعاة استثناء الدبلوماسيين من القضاء المحلي ، على أساس تبيانها وتحديدتها في القانون الداخلي ، هو أمر ضروري .

وثمة إجراء آخر لضمان احترام حصانات الدبلوماسيين وهو الاتفاق عليها في معاهدة دولية تعد جزءاً من القانون الداخلي لكل طرف من أطرافها بمجرد التصديق عليها من قبل السلطات المختصة دستورياً .

وقد ابتدع الفقهاء عدة نظريات بنوا عليها أساس الحصانات ، فكانت بمثابة سند فكري يسد حاجة الدول إلى تبرير هذه الامتيازات التي استقرت بالعرف والقانون الدوليين ، إذ أنها في جوهرها قيد على سيادة الدولة ، يحول بينها وبين ممارسة سلطانتها وتطبيق قوانينها على بعض الفئات ، ونعني بهم أعضاء السلك الدبلوماسي من رعايا الدول الأخرى .

وتستند أولى هذه النظريات على فكرة امتداد إقليم دولة الممثل الدبلوماسي في الدولة المعتمد لديها . وتعد دار السفارة أو المفوضية - بحسب هذا الافتراض - جزءاً من الدولة

أجل هذا الغرض فرضت لهم حقوق يمثل بعضها إعفاءات معينة من بعض الالتزامات التي يكلف بها المواطنون ، ويمثل البعض الآخر حصانات خاصة تقتصر على هؤلاء المبعوثين . وإن كانت هذه الامتيازات تشكل قيوداً على سيادة الدولة التي تقضى بامتداد سلطانتها على إقليمها ومن يقيمون فيه ، فإن الدولة لا تضار من هذه الاستثناءات مادام ممثلوها يتمتعون بهذه الحصانات في الدول الأخرى ذلك أن مبدأ المعاملة بالمثل هو القاعدة المتبعة في مجال الامتيازات الدبلوماسية .

وقد بلغ من اهتمام الدول بتقرير هذه الحصانات اهتماماً يبلغ حد التقديس أن ضمتها نصوص القوانين الداخلية التي تصدرها بل عمدت بعض الدول إلى النص في دستورها على ما يقع على كاهلها من التزامات دولية في شأن الحصانات . وبينما تعترف بعض البلاد في قانونها العام بقواعد القانون الدولي بالنسبة لمركز الممثل الدبلوماسي ووضعه ، آسن بلاد أخرى أحكاماً تشريعية صريحة في قانونها الداخلي تسجل بها القواعد المقررة في القانون الدولي بشأن مركز الممثل الدبلوماسي .

ومن ثم لا خلاف بين الدول في المبادئ العامة للحصانات الدبلوماسية ، وإن كانت تنشأ أحياناً منازعات بينها حول مدى شمول هذه الحصانات . فالقانون الدولي ، وإن كان

رعايا موطنه ومصالحهم . ولا سبيل له إلى حسن الاضطلاع بمهامه والتمتع باستقلاله في القيام بها إلا إذا أمن جانب السلطات المحلية ، ولا يتحقق ذلك إلا بمنحه تلك الامتيازات .

وقد اتفق فقهاء القانون الدبلوماسي على أن الامتيازات الدبلوماسية تتجلى في صور أربع هي : الحرية الشخصية ، وحرمة المسكن ، والإعفاء من القضاء الإقليمي ، والإعفاءات من الضرائب .

### (١) الحرمة الشخصية :

ومدلولها أن تكون ذات الممثل الدبلوماسي مصونة ، فتلتزم الحكومة المعتمد لديها بحمايته من كل عدوان يوجه إليه ، ومن كل فعل ينطوي على مساس بشخصه أو امتنان لصفته .

وتفرض القوانين الجنائية في معظم الدول عقوبات خاصة على ارتكاب أفعال الاعتداء التي تقع على مبعوثي الدول الأجنبية ، وعلى الأخص الأفعال التي يكون من شأنها المساس بكرامتهم أو صفتهم التمثيلية . غير أنه يشترط لتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة الشخصية ألا يتسبب بخطئه أو سوء تصرفه في وقوع الاعتداء عليه ، وأن تكون العلاقات بين دولته والدولة المعتمد لديها قائمة فعلا ، وأن تكون تلك الدولة قد اعترفت

التي يمثلها السفير أو الوزير المفوض ويمتد ذلك إلى الذين يسكنونها وأتباعهم ، فهم لا يخضعون للسلطات المحلية ما داموا مقيمين في قطاع ممتد من بلادهم .

أما أرباب النظرية الثانية فيرون أن امتيازات الممثل الدبلوماسي ترجع في أصلها إلى سيادة الدولة التي يمثلها . وبجمل هذا الرأي أن رؤساء الدول متساوون ، فلا خضوع من رئيس دولة لمثله ، وبالتالي لا يجوز أن يكون مندوب هذا الرئيس خاضعا لرئيس آخر . فالممثلون الدبلوماسيون يمثلون رؤساء دولهم فهم لذلك لا يخضعون للسلطات المحلية في الدول التي يعتمدون لديها إذ تتمثل فيهم سيادة دولهم .

وقد وجه كثير من النقد إلى كلتا النظريتين مما أدى إلى أطراحهما والاختصاص بالنظرية الحديثة التي يطلق عليها نظرية الوظيفة . وهي تبرر منح الممثل الدبلوماسي امتيازات خاصة بحاجته إليها للنهوض بأعباء وظيفته على الوجه المنشود وضمن استمراره في أدائها . فهذا الممثل هو الذي يوثق العلاقات بين دولته والدولة التي يعين فيها ، وهو الذي يدير دفة المفاوضات بينهما ، ويراقب سير الأمور في الدولة التي يعتمد لديها وينقل إلى دولته أهم الأحداث التي تتصل بالأوضاع الدولية ، وهو الذي يحصى

أو الإعدام وإلا سقطت حرمتها ، كما لا يجوز استغلال هذه الحصانة بإيواء المجرمين وتمكينهم من الاختفاء عن أعين العدالة إذ ينبغي تسليم من يحتمى بالسفارة من هؤلاء الأشخاص إلى السلطات المحلية لتتخذ من جانبها الإجراءات القانونية التي تستلزمها تلك الحالة .

### ( م ) الحصانة القضائية :

تقضى الامتيازات الممنوحة للوظفين الدبلوماسيين بإعفائهم من القضاء المحلي ، فلا يخضعون للقضاء الجنائي أو المدني في البلاد التي يؤدون فيها وظائفهم ، ويالحق بتلك الحصانة الإعفاء من أداء الشهادة أمام المحاكم المحلية .

والإجماع منعقد بين الفقهاء والقضاة على أن رجال السلك الدبلوماسي يتمتعون بحصانة مطلقة من حيث الخضوع للقضاء الإقليمي في الشئون الجنائية ، سواء تعلق ذلك بأعمالهم الرسمية أو لم يتعلق بها .

وهذا الإعفاء إنما هو نتيجة للحصانة الشخصية التي يتمتع بها الممثل الدبلوماسي ، إذ يترتب على عدم جواز التعرض له بالقبض عليه أو دخول منزله وتفتيشه بسبب ما قد يصدر عنه من أفعال تخل بالقانون الجنائي ، عدم خضوعه للقضاء الجنائي الإقليمي .

على أن هذه الحصانة لا تخل بحق السلطات المحلية في اتخاذ التدابير اللازمة لمنع الممثل

بدولته اعترافا قانونيا ، وفي هذا الاعتراف لإقرار بالصفة التمثيلية للبعوث الدبلوماسية . وتمتد الحصانة الشخصية إلى جميع الأشياء المتعلقة بالممثل الدبلوماسي ، فلا يجوز التعرض لمنفولاته وسياراته وحقائبه . كما لا يجوز التعرض لأوراقه ومراسلاته الخاصة أو تلك التي يتبادلها مع حكومة دولته في شأن وظيفته .

### ( ب ) حرمة المسكن :

وهي من أهم مظاهر الامتيازات الدبلوماسية ، فلا يجوز التعرض لدار الوكالة الدبلوماسية سواء بدخولها أو اتخاذ أى إجراء فيها كتحقيق أو تفتيش أو إعلان دون إذن من رئيس البعثة الدبلوماسية . ذلك أن التعرض لدار السفارة يعد إخلالا بطمأنينة المثل وتعطيلا لأعماله ووظيفته ، وواجب السلطات المحلية أن تعينه على أداء هذه الوظيفة .

ومن رأى أكثر الفقهاء أن هذه الحصانة تمتد إلى مساكن سائر الأعضاء في البعثة الدبلوماسية على اختلاف درجاتهم . ويرى قليل منهم أنها لا تسرى إلا على دار الوكالة الدبلوماسية . على أنه يشترط للتمتع بهذه الحصانة ألا يسمى أربابها استعمالها وأن يستخدموها في العرض الذي شرعت لتحقيقه ، فلا يجوز استخدام دار السفارة مكانا للسجن

على هذا العمل . فطبقت مبدأ الحصانة في الحالة الأولى ، ولم تأخذ بها في الحالة الثانية . وثمة رأى ثالث في هذا الصدد يجمله تتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة القضائية في جميع الدعاوى المدنية باستثناء تلك التي تتعلق بأموال عقارية يملكها الممثل في إقليم الدولة المعتمد لديها أو الناشئة عن أعمال تجارية قام بها الممثل لحسابه الخاص دون أن يكون لها علاقة بمهام وظيفته أو المتفرعة عن دعوى أصلية تقدم بها الممثل نفسه إلى القضاء بصفته مدعيا .

### ( د ) الإغفاء مع الضرائب :

جرت الدول على إعفاء المبعوثين من أداء الضرائب الشخصية المستحقة عليهم كضريبة الدخل وما شابهها .

أما الضرائب العينية المربوطة على الأموال العقارية فلا بد أن يؤديها الممثل إذا كان يملك أموالا عقارية في إقليم الدولة المعتمد لديها ، ويستثنى من ذلك العقار الذي تملكه حكومة الممثل وتتخذ دارا لسفارتها أو مفوضيتها .

وكذلك استقر العرف على إعفاء الممثلين الدبلوماسيين من الرسوم الجركية ، فتعفى المنقولات التي ترد إليهم سواء أكانت خاصة بهم أم بدار الوكالة من رفع الرسوم المقررة .

### مصره فتح الباب

من الاستمرار في ارتكاب جرائم تهدد نظامها الداخلي أو تمس الأمن فيها ، وبخاصة تلك الجرائم الخطيرة كتدبير المؤامرات أو إشعال الفتن . فللسلطات الإقليمية في هذه الأحوال أن تحاصر دار الوكالة الدبلوماسية برجال الشرطة ، وأن تحيطها برقابة دقيقة . كما يجوز لها أن تطلب من حكومة الممثل استدعاه في الحال ، فإذا لم تجد استجابة جاز لها أن تطرده وترسله مخفورا بحرس إلى حدود بلاده . بل يجوز لها أيضا أن تطلب من دولته أن تتولى محاكمته . فإذا كانت الجريمة التي ارتكبها الممثل الدبلوماسي إحدى الجرائم العادية ، فإن الحكومة المحلية تكفي بتنبئيه حكومة الممثل إلى ذلك بصفة سرية لتقوم باتخاذ ما تراه لإزاء هذه الحالة .

أما في شأن الإغفاء من القضاء المدني فنجد اختلافا بين الآراء في مداه ، وبخاصة في الدعاوى العينية العقارية التي يكون الممثل الدبلوماسي طرفا في الخصومة الناشئة حولها . فقد أخذت بعض المحاكم بمبدأ الحصانة المطلقة في القضاء المدني أسوة بالقضاء الجنائي . ومن ثم شمل الإغفاء جميع الدعاوى المدنية بما في ذلك التجارية سواء كانت متصلة بالعمل الرسمي للممثل أو لم تكن .

وفرت أحكام أخرى بين الدعاوى المدنية الناتجة عن العمل الرسمي وتلك التي لا ترتب

فقيه كبير نخدى الظاهر بيبرس :

## محیی الدین النّووی

للأستاذ محمد رجب البيّومي

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، (قرآن كريم)

التي زلزلت هذا السكيان الباغي فارتد  
ناكصا على أعقابيه في ذهول ، كما استطاع  
أن يسهم إسهاما جادا في اندحار السيل التّرى  
المتوحش حين تدفقت أمواجه على المسلمين  
ولم يجد من يثبت أمامه غير الحجعل المؤمن  
الصابر في عين جالوت بقيادة الملك المظفر  
قطز والبطل المغامر بيبرس ! ومع هذه  
البطولة النادرة فقد كان مسلكه السياسي  
لا يخلو من النقد الصارم العنيف ، إذ أن  
أنانيته الشخصية كانت تدفعه إلى بعض  
ما يعد جريمة خائنة ، ويكفي أن نذكر  
تأمره الغادر على حياة الملك قطز ، فقد  
اغتاله بعد أن فرحت الدنيا بانتصاره الحاسم  
في عين جالوت ! ولم يكن الظاهر يحسب  
حساب أحد ما ، بعد خيائته اللئيمة غير  
العز بن عبد السلام ، فقد امتنع عن مبايعته ،  
حين رأى لون الدم في يده ، وخاف الظاهر  
من تكتل الأمة وراء العز فأخذ يصانع

(١) إن مصباح الهداية الإسلامية ليتقل من  
جيل إلى جيل ، دون أن ينطفى نوره على  
مد الحياة ، فلم يكده العز بن عبد السلام  
ينتقل إلى جوار ربه حتى نهج نهجه في الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر عالم جليل من  
طرازه ، يشاركه الفهم الصائب ، والعزة  
العالية ، والجاهة الجريئة للطغیان ، ذلكم  
هو الإمام الورع أبو زكريا محيي النّووی  
الشهير بمحيي الدين !

عاش الرجل ردحا من حياته في عصر الظاهر  
بيبرس ، والظاهر كما نعلم جميعا بطل قاهر من  
أبطال التاريخ ، أسدى للعروبة والإسلام أيادي  
رائعة حين كافح الاستعمار الصليبي في مواقع  
فاصلة ، فقاد الجيوش وراء الجيوش ليرد  
الزحف الأوربي المتربص بمواطىء الإسلام  
ومرايض العروبة ، ضاربا ضرباته الصاعقة

(١) من كتابنا (عماء بحاربون للطغیان)  
وسيدد قريبا .

من الفقهاء لتكون أداة ترجيح بين رأى ورأى ، وقد جرى العامة والخاصة من الناس على اعتقاد الولاية والصلاح فيه ، حتى نرى شيخنا جليلاً كالإمام تقي الدين السبكي ينزل إلى قاعة الحديث الأشرفية بدمشق حيث كان النووى يلقى درسه ، فيمرغ وجهه على بساطه ويقول لمن حوله .

لعلى أن أمس بحر وجهى  
مكاناً مسه قدم النووى  
هذا الذى يمرغ وجهه فى مواطئ أقدام  
النووى كان رأس الفقهاء والقضاة فى عصره  
وقد طارت له شهرة واسعة فى التحرير  
والفتيا ووقف من الأمراء والطنغاة مواقف  
خالدة تنبئ عن جراءة مؤمنه ، وعظمة شماء  
ويخيل إلى أن هيام تقي الدين السبكي  
بالنووى يرجع إلى اعتقاده بأن محي الدين  
النووى هو محرر المذهب الشافعى فى عصر  
بلغ فيه التنافس المذهبى بين العلماء حداً يدفع  
بعضهم إلى التعصب والجحوش ، وآية التوافق  
والتناسب بين الفقيهين الكبيرين أن النووى  
قد شرح جزءاً كبيراً من كتاب المذهب  
للشيرازى فى فقه الشافعية أسماه « بالجموع » ،  
وأدركه الموت دون أن يتمه ، فجاء تقي الدين  
من بعده وعزم على أن يكمل الشرح ، من  
حيث انتهى صاحب المجموع ، فبدأ تصنيفه  
من أول باب الربا إلى آخر الكتاب وأسماه  
« تسكيلة المجموع » ، ولن يقدم على ذلك إمام

الأمراء ، ويحامل القواد ، ليضم إلى جانبه  
ذوى القوة والسلاح : وقد واجه  
ابن عبد السلام على رموس الأشهاد بأنه  
عبد للبندقدار لم يثبت عتقه للآن !! فأخذ  
يتذلل ويتضرع ، ويحضر شهوداً يثبتون  
خروجه من ملك البندقدار ، وكان الشيخ  
المسن فى مرضه الأخير فلم يلبث أن لحق  
بربه ، وتنفس الظاهر الصعداء حين رأى  
جنازته تمر تحت القلعة ، ووراءها آلاف  
الرجال ممن لا يحصون ، حتى قال قوله  
الشهيرة « اليوم قد استقر أمرى ، فإن هذا الشيخ  
لو قال للناس اخرجوا عليه لانتزع منى الملك » .  
قال الظاهر بيبرس قوله تلك ، ولم يدر  
أن الأيام تنجي له عالماً داعية جريئاً من  
طراز العز ، آلى على نفسه أن يوفى بعهد الله  
على العلماء أن يقفوا مع الحق فى كل سبيل ،  
فحمل الراية ، ونزل إلى الميدان .

كان الفقيه العلامة محي الدين النووى  
رضى الله عنه ذا هيبة وجلال ، وقد تنقل  
فى أكثر العواصم الإسلامية لينهل من حياض  
الثقافة فى كل مركز من مراكزها النائية  
ثم رجع إلى دمشق يحجر وراءه علماء وفقهاء  
وورعا ، فقام بالتدريس ، وأخذ فى التأليف  
المستوعب الجامع حتى طارت له شهرة واسعة  
فى فقه المذهب الشافعى ، ونحن نقرأ آراءه  
الدقيقة حتى فى غير كتبه إذ يتناقلها المؤلفون

حق وصل به الشطط إلى ضروب من العنت والإرهاق ، ودار الشيخ بعينه فرأى كثيراً من التجار يجردون من أموالهم ، ويحيط بهم طائفة من غلاظ الجبابة ، يغتصبون ويسلبون فإذا اعتذر أحدهم بضيق اليد تعرض متجره للنهب وقد تهاوى عليه السياط المحرقة دون رحمة وإشفاق ، فكتب النووى إلى السلطان يلفتة إلى ذلك ، ويوصيه بالعدالة والحق فيما يأخذ ويدع من الأموال ، ويشرح له ما شهد به بنفسه من مآسى تنفطر لها الأكباد ، وقد أغلظ عليه القول فبالغ في التهديد والوعيد ، وطار الخطاب إلى الظاهر فرأى أن العز بن عبد السلام قد رجح في صورة عالم جديد هو محي الدين النووى ، فظن أن المهاجم الثانى ليست له مكانة العز ومزنته ، ورأى أن يواجهه بالشدّة قبل أن تلتف حوله النفوس ، ويصير ذا صدق مسموع يقاوم ويهيج ، فرد عليه بكتاب قارص يحمل الإنكار والتوبيخ ، ويشير بالوعيد القاهر لكل من يتدخل فيما ليس يعنيه ، ثم هو لا يقتصر على الشيخ وأتباعه من العلماء بل ينتقل إلى الرعية فيصمها بالبلخل والشغب ، ويعلن أن أمر الجبابة نافذ الطاعة مهما غلوا في المكوس ، وتمجموا بالسب والضرب ، إذ هم أعوان الدولة ورسلا لدى الناس ، وظهر الملك الظاهر أنه بذلك أطفأ الثائرة وكبم الأفواه وصل الرد إلى الإمام المجاهد ، فقرأه

الفقهاء في عصره إلا إذا قدر النووى أكبر التقدير ، وكأنى بهذا الإعجاب وقد انتقل من الأب إلى الابن فكتب نجل تقي الدين السبكي في كتابه طبقات الشافعية ، يقول عن النووى متأثراً بروح أبيه .

« كان رحمه الله سيداً وحسوراً ، وليثاً على نفسه هسوراً ، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا كان ربيع أنسه معموراً ، له الزهد والقناعة ، ومتابعه السابقين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة في غير طاعة ، هذا مع التفنن في أصناف العلوم ؛ متون أحاديث وأسماء رجال ولغة وصرفاً إلى غير ذلك اهـ .

وهذا التفنن في التأليف لدى النووى جعلنا نلمس نور قلبه في كثير من مؤلفاته مثل رياض الصالحين ، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، وبستان العارفين في التصوف إذ أن أمثال هذه الكتب تفيض بضياء مشرق يستمد شعاعه من التقوى الخاشعة واليقين الصريح ، أما دقته العلمية فتتضح في كتب أخرى مثل التحرير في الفقه وروضة الطالبين ، والمنهاج والمجموع وغيرها مما لا يزال أكثره مخطوطاً إلى اليوم ، ولسنا الآن بصدد تحديد مكانه العلمى ولكننا نهمد بذلك إلى الحديث عن شجاعته الأدبية وإيمانه الجرى .

لقد اشتط الظاهر في جمع الضرائب والمكوس من العامة ليستعين بها على الجهاد ،



يقوم به إزاء هذا العالم العنيد ، فاستمع إلى كثير مما يتعارض ويتناقض بين داع إلى العقاب ، ومشير بالتساح والإغضاء وكان رأى الظاهر بعد النقاش الطويل أن يجنح إلى التهادن ، إذ لو سارع بإعلان غضبه على الشيخ لجعله بطلا كبيرا في مرأى العامة ، ولأصبح بمحتته هذه رمزاً للدفاع المخلص ، ولواء يلتف حوله الناقون في كل مكان .

والواقع أن نصيحة الشيخ رغم قسوتها الصريحة قد فعلت فعلها في نفس الحاكم ، فاضطر إلى أن يجمع الجباة فيشير عليهم بالرفق والملاينة ، ويحذرهم غضب العلماء من الخاصة ، والجمهور من العامة ، وإن كان الظاهر في واقعه لا يستطيع أن يتخلص من حنق مكظوم أثار الشيخ مرارته في نفسه ، وأنى له ، وهو إنسان يحب أن يأمر فيقطع ...

مرت هذه الحادثة لتعقها حادثة أخرى أشد منها عنفاً وإجما ، فقد تهيأ الظاهر إلى بعض حروب أعدائه من خصوم الإسلام ، وأراد أن يأخذ من أموال الرعية ما يستظهر به على العدو ، واستنق العلماء في ذلك فأفتوه بالجواز ، ولكن محيي الدين يمتنع عن الفتوى ويعلم ذلك في إصرار .

لو ملك الظاهر زمام عاطفته لتدبر وفكر في وجهة نظر الشيخ ، ولكن تسرعه الغاضب أوحى له أن يعقد اجتماعا عاجلا يشهده الجميع

متعجباً ثم دعاه داعى الحق إلى أن ينقض الباطل ويرفع الحق ، فلم تأخذه رهبة من حاكم جبار يعتصم بالقوة والجاء والسلطان ، ودعا من فوره بالدواة والقلم ، ليرد على كل كلمة جائرة تضمنها قول الحاكم الباطش ، وقد غمرته سكينه الإيمان فما أحس بخوف ، أو تهيب من دفاع ، وكان فيما قال رضى الله عنه وطيب ثراه : —

( وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة من العلماء ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحله ، وأى حيلة لضعفاء المسلمين في التناصح نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به ، وكيف يؤخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ، وأما أنا في نفسى فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه ، ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان فإنى أعتقد أن ذلك واجب على وعلى غيرى ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى :

« هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هى دار القرار » . وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد . » وقد أمرنا رسول الله أن نقول الحق حيثما كنا وألا نخشى في الله لومة لائم ) .

وصل الرد القاطع إلى صاحب الأمر ، فأثار في نفسه ضروبا من الانفعالات النافعة وجمع مستشاريه ليأخذ رأيهم فيما يجب أن



في وجه النووى : اخرج من بلدى — يعنى دمشق — إذ لا يجب أن تسكننى فى مكان ١ :  
وتدفع النخوة زملاءه من الفقهاء فينسحبون  
من الحفل محتجين ، ويسود الهرج والمرج  
صفوف الناس فيخشى الحاكم سوء المقال  
ويتراجع قائلاً :

ولماذا تخرج ؟ أذنت لك بالمقام ١١  
فيجيب النووى فى صرامة : ومن أدراك  
أنى أقبل المقام لديك ، لابد من الرحيل ثم يهيم  
بالخروج فيتفرق الناس خلفه مبهوتين ١١  
لو أن ذاكرة الظاهر كانت حادة نافذة  
لتذكر أن العز بن عبد السلام قد وقف  
من الملك قطز هذا الموقف حين هم بجمع  
المال من الرعية قبل موقعة عين جالوت إذ  
أعلن سلطان العلماء أن المال محرم على السلطان  
قبل أن يستنفد ما لدى جواريه وعالميكه من  
ذهب ولؤلؤ ، ولكن الملك الظاهر لم يتذكر  
ذلك إلا حين مثل يحيى الدين دوره فى شجاعة  
وإيمان ، فاضطرب صاحب الأمر وتخيل  
الموقف السالف وقد شهده بعينه منذ أعوام ١  
ورأى أن العز الذى استراح بفقده قد عاد  
من جديد فى صورة يحيى الدين ، فعرض على  
شفتيه يدمدم «ذرية بعضها من بعض» ، والتفت  
إلى أحد جلسائه ليقول له فى غرابة مريرة :  
ما أشبه الليلة بالبارحة فيما كان ؟

الحاشد من الناس ، ويحضره النووى ليظهر  
فى ثوب المخذل عن الحرب ، الصاد عن مجادة  
الكفار ، فيكون موقفه إذ ذاك غير كريم ،  
وتسقط مهابته لدى الناس .

وتم للبلك ما أراد ، فاكتمل الحفل  
بأعيانه ووجوه وذوى الرأى فى البسلام ،  
وتقدم يحيى الدين بقدم ثابتة ليسأله الظاهر  
فى عناد : لماذا لا تجيز أن نجمع الأموال  
من المسلمين لننفقها فى الجهاد كما أفق زملأوك  
من الفقهاء ؟ .

فرد الشيخ فى حزم أخاذ : كلنا يعلم أن  
لديك ألف مملوك ، كل مملوك له حياصة  
من ذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية  
نصيب من الحلى والجواهر ، فإذا أنفقت  
ذلك كله ، وبقيت مما ليكك بالبندود الصوف  
بدلاً من الخوائص ، وبقيت الجوارى بثيابهن  
دون الحلى والجواهر أفتيتك بأخذ مال الرعية ١ .  
يا لله : لقد دهش الحفل من صراحة الرد ،  
وأشرقت الابتسامات فى الوجوه لتعلن  
اغتيالها بهذه المجابهة الرادعة ، وتطلع الملك  
الظاهر إلى رفقاته متلبساً من يسعف برد  
منقذ ، يحول دون الإلغام والإلجام ، فلم يجد  
غير يحيى الدين ينظر إليه فى كبرياء عالية  
من الحق تحتم على الناس أن ينزلوها منزلة  
الإكبار والإعجاب ، حين تجيز لهم أن يشمتوا  
بجبروت السلطان وقسوته فى ابتزاز الأموال :  
فصفت نخوة السلطان بالظاهر وصاح

## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد دأبوشبّه

— ٣ —

من المقارنات المهمة والفوارق الأصلية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية أن الشريعة الإسلامية ربطت تشريعاتها بالجانب الروحي أو بمعنى آخر عرضت لظاهر الأعمال وباطنها بخلاف القوانين الوضعية؛ فإنها عنيت بالظاهر ولم تعر الجانب الروحي أية عناية. وإنك لتدلس هذا واضحاً في التشريعات الإسلامية حينما رتب على الأعمال آثار دنيوية وأجزية أخروية بالإثابة والعقوبة فالبيع مثلاً يتوقف عليه انتقال الملكية، ومتى حصل الإيجاب والقبول فقد تمت الصفقة ووقع البيع صحيحاً من الناحية الظاهرية حتى ولو كانت في المبيع عيوب خفية أخفاها البائع ولم يقبها المشتري، ولكن الشريعة لم تقف عند الظاهر بل قالت: إن صدق البائع والمشتري وبيننا عيب ولم يكتبوا بورك لهما في بيعهما وأثبنا في الآخرة، وإن كتبنا وغشا

كان آثمين وذهبت البركة من بيعهما. وإن صدق أحدهما، وغش الآخر، كان للصادق ثوابه، وعلى الآخر وزره. روى البخاري في صحيحه عن حكيم بن حزام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا» أو قال: «حق يتفرقا فإن صدق وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتبنا وكذبا محقت بركة بيعهما».

وكذلك القرض الحسن أمر مستحب شرعاً وجائز قانوناً والقانون ينظر إليه من الناحية الظاهرية والاجتماعية. أما الشرع فنظر إليه من الجانب الروحي أيضاً فجعل له ثواباً مضاعفاً مدخراً عند الله سبحانه روى ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر فقالت لجبريل: ما بال القرض أفضل من الصدقة

وجريمة السرقة رتب عليها الشارع الحكيم القطع في الدنيا والعذاب في الآخرة قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » (١) والمقصود التوبة بعد تنفيذ الحد ، ولا محل لقبول التوبة وغفران الذنوب إلا إذا كانت هناك عقوبة أخرى وبذلك دلت الآية على العقوبتين هذا عدا الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك .

وقذف المحصنات المؤمنات وإشاعة الفاحشة بين الناس له عقوبة دنيوية وهي الحد وعقوبة أخروية وهي عذاب النار قال عز شأنه : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » (٢) . فقد بينت الآية العقوبة الأصلية وهي الحد ، والعقوبة التبعية وهي رد الشهادة إلا إذا تاب وحسنت توبته فتقبل شهادته

قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة ، وإنه لتعليل شديد ...

والقتل العمد حرام شرعا وممنوع قانونا ويرتب عليه آثاره الدنيوية في الشريعة والقانون ولكن الشارع رتب عليه إلى العقوبة الدنيوية وهي القصاص عقابا أخرويا قال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (١) أما القانون فلم يرتب عليه شيئا زائدا عن العقوبة الدنيوية .

والحرابة وهي قطع الطريق رتب عليها الشارع عقوبة دنيوية وهي القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي ورتب عليها أيضا العقاب الأخرى قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (٢) ، أما القانون فلم يرتب على هذه الجريمة عقابا أخرويا .

(١) المائدة ٣٨ ، ٣٧ .

(٢) النور ٤ ، ٥ .

(١) النساء الآية ٩٣ .

(٢) المائدة الآية ٣٣ .

جعل الله لمن سبيلاً<sup>(١)</sup> ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ، رواه مسلم وأصحاب السنن . وفي الصحيحين أن عمر رضى الله عنه خطب بمحضر من الصحابة فقال : « إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم<sup>(٢)</sup> قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم حق في كتاب الله تعالى على من زنى ، إذا أحصن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » .

أما العقوبة الآخروية فقد جاءت بها الآيات الكريمة ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً

[١] إشارة إلى قوله تعالى : « أو يجعل الله لمن سبيلاً » النساء ١٥ فقد نسخ الحكم الأول بالجلد أو الرجم والجمهور على عدم الجمع بين الجلد والرجم في المحسن والاكتفاء بالرجم كما يدل على ذلك قصة ماعز والقامدية .

(٢) كانت قرآناً ثم نسخ لفظها وبقي حكمها أبداً .

عند الجمهور ، وقال سبحانه « لمن يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون<sup>(١)</sup> » وهي نص في العقوبة الآخروية وقال أيضاً : « لمن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ،<sup>(٢)</sup> أما القانون فلم يرتب على هذا إلا عقوبة دنيوية وإن كانت دون عقوبة الشارع الحكيم زجراً وردعاً .

وجريمة الزنا لها عقوبتان : عقوبة دنيوية ، وأخرى آخروية في الكتاب الكريم الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ،<sup>(٣)</sup> وهذا الحد في حق غير المحسن والمحصنة أما أحدهما وهو الرجم فقد جاءت به الأحاديث الصحيحة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني خذوا عني فقد

(١) النور ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) النور ١٩ .

(٣) النور ٣ .

ولا منان ، إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة ، أما القانون فلم يرتب على الخمر والمسكرات عقوبة في حد ذاتها ، ولو دنيوية ، وإنما اعتبر العقوبة على ما يترتب على السكر من عسكرة أو إخلال بالأمن والردة عن الإسلام لها عقوبتان : دنيوية وأخروية ، قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » (١) وفي الحديث المتفق عليه « من بدل دينه فاقتلوه » وذلك بعد الاستتابة والكشف عن شبهته وإمهاله مدة يراجع فيها نفسه عسى أن يرجع إلى صوابه على ما هو مفصل في كتب الفقه .

وكذلك الربا له عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الآخروية فذكرها الله في قوله سبحانه : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يمحى الله الربا ويربى الصدقات والله

فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما » (٢) أما القانون فلم يرتب على جريمة الزنا أى عقاب أخروى .

وجريمة شرب الخمر والمسكرات لها عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الدنيوية فالحد وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، وأما الآخروية فبالعذاب ، قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٣) والرجس الذى يصد عن الذكر وعن الصلاة والذى هو من عمل الشيطان من أعظم موجبات العقاب الآخروى .

وفي الحديث المتفق عليه « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يقب منها حرمها في الآخرة ، وهو كناية عن الحرمان من الجنة ، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد مرفوعا « لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ،

(١) الفرقان ٦٨ - ٧٠ .

(٢) المائدة ٩١ .

(٣) البقرة ٢١٧ .

الأخروي ، واقتد بلغ من أمر الشريعة الإسلامية أن الأمور المباحة إذا نوى بها المكلف الخير والقربة أثيب عليها فالأكل إذا قصد به التقوى على الجهاد ، أو السعى على المعاش فهو مثاب عليه والنوم يقصد به التقوى على التهجّد وقيام الليل مثلاً عبادة يؤجر عليها ، حتى اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته على سبيل المباسطة معها والمؤانسة لها أمر يؤجر عليه فاعله .

وغير خفي ما لهذا الجانب الروحي في التشريعات من أثر عظيم في إصلاح القلوب ، وتقويم السلوك والحض على فعل الخير والمعروف والكف عن الشرور والآثام ، وفي تربية النفس البشرية على مراقبة الله والخوف منه . وفي إيجاد نوع من الوازع الديني يعجز عن تكوينه أى قانون وضعي .

وهذا هو السر في أن بعض المسلمين في العصر الأول كان إذا اقترف ذنباً أو ألم بمعصية جاء إلى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - راغباً في إقامة الحد عليه بهدق وإخلاص وعزيمة وإصرار ، وذلك كما حدث من ماعز والغامديه وغيرهما . روى مسلم في صحيحه عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إني قد ظلمت نفسي وزنيت ،

لا يحب كل كفار أثيم ، <sup>(١)</sup> وأما الدنيوية فقد أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون <sup>(٢)</sup> .

روى عن ابن عباس في تفسير هذه الحرب : « من كان مقيماً على الربا لا ينزع عنه كان حقا على إمام المسلمين أن يستتيبه فإن نزع وإلا ضرب عنقه ، وروى عن الحسن وابن سيرين نحوه ذلك <sup>(٣)</sup> .

وفي تفسير الألوسي أن المرابي يحبس حتى تظهر توبته ولا يمكن من التصرفات وما لم يقب لم يسلم له شيء من أمواله <sup>(٤)</sup> ، وإنه لتشريع حكيم فالمرابون محاربون لله ولرسوله ، ومفسدون في الأرض ومقطعون لأرحام البشرية والروابط الإنسانية .

وهكذا نجد أنه ما من أمر محظور شرعاً إلا ورتب عليه الشارع الحكيم العقاب

(١) البقرة ٢٧٥ - ٢٧٦ .

(٢) البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٤ القرطبي ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٤) تفسير الألوسي ح ٣ ص ٥٣ .

توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة  
لوسعتهم . وهل وجدت توبة أفضل من أن  
جادت بنفسها لله تعالى ؟ وروى قصة ماعز  
والغامدية أيضا الإمام البخارى فى صحيحه (١)  
وقد روى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم  
صار يستوضحه ويستفصل منه عسى أن يكون  
اشتبه عليه الزنا الذى يوجب الحد بغيره مما  
يسمى زنا فى اللغة فقال له : لعلك قبلت ،  
لعلك لمست ، وكان للرجل مندوحة فى الإفلات  
من العقوبة لو أراد ، ولكنه الوازع الدينى  
الذى كان مسيطرا على النفوس آنذاك ،  
والذى تربى فى النفوس بفضل التشريعات  
الإسلامية الحكيمة التى لم تقتصر فى الجرائم  
على العقوبات الدنيوية ، بل رتبت عليها أيضا  
أجزاء أخروية ، ولن تجد فى تاريخ الدنيا  
مثيلا لهذه المثل التى سقناها إليك فى الاعتراف  
بالذنب والرغبة فى التطهر من الإثم عن  
صدق وإخلاص ؟

**محمد محمد أبو شهبه**

الأستاذ بكلية أصول الدين

ولانى أريد أن تطهرنى ، فرده ، فلما كان من  
الغد أتاه فقال : يا رسول الله لى قد زنى  
فردته الثانية ، فأرسل إلى قومه فقال أتعلمون  
بعقله بأسا تنكرون منه شيئا ؟ فقالوا مانعله  
إلا وفى العقل من صالحينا فيما نرى ، فأماه  
الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه  
أنه لا بأس به ، ولا بعقله ، فلما كان الرابعة  
حفر له حفرة ثم أمر به فرجم قال : لجأت  
الغامدية فقالت : يا رسول الله لى قد زنى  
فطهرنى وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت :  
يا رسول الله لم تردنى ؟ لعلك أن تردنى  
كما رددت ماعزا فوالله لى لحبلى ، قال : لما لا  
فأذهبى حتى تلدى ، فلما ولدت ، أتته بالصبي  
فى خرقة قالت . هذا قد ولدته قال أذهبى  
فأرضعيه حتى تفتطميه ، فلما فطمته أتته  
بالصبي فى يده كسرة خبز فقالت . هذا يابى الله  
قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى  
رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى  
صدرها وأمر الناس فرجموها (١) وفى رواية  
أنه صلى عليها فقال له عمر . تصلى عليها  
يا رسول الله وقد زنى ؟ فقال : لقد تاب

[١] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج ١٢

ص ١٠٣ وما بعدها .

[١] صحيح مسلم بشرح النووى ج ١١ ص ٢٠٢ ،

ص ٢٠٥ .

# الاسلام في الملايا

لورستان عطية صفر

الملايا مستعمرة سنغافورة Singapore التي يبلغ سكانها مليوناً أو يزيدون ، وأكثرهم من الصين ، ولكل ولاية من ولايات الاتحاد حكومتها الخاصة ويرأسها سلاطين مسلمون ، وهناك حكومة مركزية في عاصمة الاتحاد كوالا لامبور Kuala Lumpur التي يسكنها حوالي ١٥٠ ألف نسمة .

ولم يعرف الغربيون هذه البلاد إلا عندما مر عليها ماركوبولو الرحالة الإيطالي Marco Polo ( ١٢٥٤ - ١٣٢٣ م ) فسأل عليها لعاب الاستعمار ، وقعت تحت حكم البرتغال سنة ١٥١١ م ، ثم الهولنديين سنة ١٦٤٠ م ، ثم استولى الانجليز على جزيرة بنانج في الشمال سنة ١٧٨٦ م ، واحتلوا ملقا سنة ١٨٢٤ م ، واشتروا جزيرة سنغافورة سنة ١٨١٩ م . ثم استقلت البلاد أخيراً ضمن مجموعة المستلكات البريطانية د كومنولث ، في ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م . وذلك بعد كفاح طويل كان للأمير Tunhu عبد الرحمن دور كبير فيه . يسكن الاتحاد حوالي ستة ملايين نسمة

في الجنوب الشرقي من قارة آسيا تقع شبه جزيرة الملايا Malaya بين خطي عرض ١ ، ٧ شمالاً ، وخطي طول ١٠٠ ، ١٠٥ شرقاً . وتحدها شمالاً مملكة تايلاند ، وجنوباً جزيرة سنغافورة ، وشرقاً بحر الصين ، وغرباً مضيق ملقا والمحيط الهندي . وتبلغ مساحتها حوالي ٥٠٦٨٠ ميلاً مربعاً ، أربعة أخماسها غابات كثيفة ، وهي تشتهر بالمطاط والقصدير والصفائح ، وجوز الهند والأرز والتوابل .

وأول من سكن هذه المنطقة مهاجرون من وسط آسيا منذ سبعة آلاف سنة ، ثم وفدت إليها موجات من الصين والهند وغيرها . والملايا الآن اتحاد يتكون من تسع ولايات هي : جوهور Johor وباهنج Pahang ونيجري سمبلان Negsi Sembilan وسلانجور Selanggar وقدهج Kedah وكلانتان Kelantan وترنجانو Terengganu وبرليس Perlis وبيرق Perak ، وهناك ولايتان أخريان هما : ملقا Malacca وبنانج Benang . وفي الطرف النهائي من جنوب



Pasa حيث كان الإسلام موجودا فيها  
وفي سامودرا Samudra .

وفي نهاية القرن الثالث عشر ذهب أحد  
كبار جاوة وأقام في قرية ملقا Malacca على  
ساحل الملايا وصارت بعد ذلك مأوى التجار  
والعاملين في البحار ، وتكونت أول مملكة  
فيها سنة ١٤١٤ م ، وكان أول حاكم لها  
يدعى ميغات اسكندر شاه Mcgat IS. Shah  
وكانت التجارة مزدهرة في باساي في ذلك  
العهد ، فانتقل منها إلى ملقا كثير من التجار  
الهنود والعرب ، وكانوا قد أحضروا معهم  
من بلادهم كثيرين من الملا Mulah أى  
المتفقهين في الإسلام ، وقد سربهم اسكندر  
شاه سرورا عظيما ، وكرم العرب فأعطاهم  
أرضا يبنون عليها مساكنهم ومساجدهم ،  
واجتهد هؤلاء ، فأدخلوا الملك في الإسلام  
فأسلم وسنه ثقتان وسبعون ، وتحققت بذلك  
رغبة ملك باساي الذى زوجه بنته وسمى  
الملك باسم عربى إسلامى محمد اسكندر شاه  
وأسلم معه آل بيته وجمع شعب ملقا .

وبهذا دخل الإسلام ملقا في الربع الأول  
من القرن الخامس عشر ، وكان للتجار  
والهنود الوافدين من كجرات Guerat  
بالعرب فضل كبير في نشر الإسلام في ربوع  
المنطقة ، ومن ملقا انتقل الإسلام إلى جاوة  
وفي غضون نصف قرن صارت ملقا مركزا

بمخلاف سنغافورة . وهم يتكونون من  
أجناس مختلفة ، فالملاييون وهم السكان  
الأصليون يبلغون نحو ثلاثة ملايين ،  
والصينيون الذين زادت هجراتهم منذ ٤٠٠  
سنة يبلغون نحو مليون ونصف ، وهناك  
حوالى ستمائة ألف من الهند وباكستان  
ومائة ألف من الأجناس الأخرى : من  
أوربا أكثرهم انجليز ، ومن المولدين من  
أوربا وآسيا ، أوراسيين ، وفيهم جماعات  
من سيلان من السنغال والتاميل ، وجماعات  
من تايلاند ولاندونيسيا . وبين السكان  
نحو أربعة آلاف عربى من حضرموت .  
ولا يعرف بالضبط متى دخل الإسلام  
هذه البلاد ، فإن الثابت أنها كانت لها  
علاقات تجارية قديمة مع الهند التى انتشر  
الإسلام فيها في وقت مبكر ، ومع جزر  
الأرخبيل الملايوى ، ومن المؤكد أن  
الإسلام كان موجودا في سومطرة المواجهة  
للإندونيسيا من الجهة الغربية في القرن الثالث عشر  
فعندما زارها ماركوبولو الإيطالى سنة  
١٢٩٢م وجد تجارا مسلمين في براك Perlak  
وهى ميناء صغير على الساحل الشمالى لسومطرة  
ذات الصلة الوثيقة بالملايا ، وقد ثبت أن  
بنت حاكم براك تزوجت الملك الصالح المتوفى  
سنة ١٢٩٧ وهو أول سلطان في باساي

ويلتزم مذهب الإمام أبي حنيفة .

والمأمول أن يكون الإسلام هو الدين الرسمي للاتحاد ، وقد ظهر كلام كثير حول هذا الموضوع ونوقش قبل الاستقلال في المؤتمر الذي عقد بمدرسة الإحياء الشريف في بيرق في ٢٤ من مارس سنة ١٩٤٧ ، وتقرر فيه إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرمز إليه بهذا الرمز «ماتا» وكان من أغراضه فصل الدين عن الدولة ، كما هو الحال في بلاد العالم الأخرى ، ذلك لأن الرسميين لا يهتمون بالتعليم الديني ، كما كان من أغراض المجلس مطالبة السلطات الموجودة « أصحاب السمو السلاطين ، بالتنازل عن سلطاتهم الزمنية والروحية للجلس .

هذا ويوجد في كل ولاية قسم للشئون الدينية ، يرعى المساجد ويشرف على القضاء الشرعي . ورؤساء هذه الأقسام من الإداريين الذين لم تسبق لهم دراسة الدين ، ولذلك يوجد لكل ولاية مفت خاص ، مهمته أشبه بمهمة الواعظ في مصر ، وهذه الوظيفة تسمى مشيخة الإسلام في ولاية قدح ، وفي بعض الولايات يحل محل أقسام الشئون الدينية مجلس استشاري دين .

والملاييون - وكلهم مسلمون - يعتزون بدينهم إلى أقصى حد ، ويحج منهم كل عام نحو ستة آلاف ، بالرغم من بعد الشقة ورقة

يشع منه الإسلام على المناطق المجاورة ، فأسلت باهانج وجنوبي الملايا ، كما أسلت مناطق كثيرة في سومطرة وجاوة وجزر الارخبيل . وتقول إحدى الروايات . إن ملقا دخلت في الإسلام في عهد أحد ملوكها سنة ١٢٧٦م فبعد سنوات قليلة من حكمه رست سفينة عربية بالميناء ، وكانت قادمة من جدة تحت قيادة سيدي عبد العزيز ، فاستطاع هو ومن معه أن يدخلوا الملك في الإسلام وسموه سلطان محمد شاه ، وتأسست بذلك مملكة سلطان إسلامية قامت بنشر الإسلام فيما جاورها من البلاد .

ويقول رينشارد وينستد R. winstedt في كتابه عن الملايا : إن الإسلام وصل إلى شمالي الملايا في وسط القرن الرابع عشر ، كما يدل عليه وجود أول كتاب عربي فارسي في ترينجانو . وأياما كان الأمر في الإسلام كانت له قدمه الراسخة في الملايا قبل أن يلوثها الغرب باستغلاله واستجاره .

والدين الغالب في هذه البلاد هو الإسلام فنسبته بين السكان ٥٥ ٪ . ذلك أن الملايويين وهم سكان البلاد الأصليين ويبلغون نصف عدد السكان لا يعرفون غير الإسلام .

والصينيون وثنئون أو بوذيون ، وقد أسلم منهم ألف أخيرا ، والهنود ينتشر فيهم الدين البوذي والهندوكي ، وقد تنصر كثير منهم على يد المبشرين ، وقليل منهم أسلم

الدينية ، وعدم صحة الجمعة في مسجد إلا بإذن من السلطان .

والمساجد منتشرة في المدن والقرى ، وصلاة الجمعة مقصورة على المساجد الكبرى إذا أذن السلطان ، وتوجد هناك طائفة الإسماعيلية وفرقة القاديانية ، ولأنصار السنة جماعة في هذه البلاد .

هذا والمسلمون عامة بين اتجاهين ؛ اتجاه قديم يزعّمه المثقفون على مناهج الحجاز وحضرموت ، ويسمون أنفسهم «قوم تواه» واتجاه جديد يزعّمه المثقفون على مناهج الأزهر ، ويسمون أنفسهم «قوم مودا» ، ويلاحظ أن التقدميين العصريين في حاجة كبيرة إلى عمق الثقافة الإسلامية الصحيحة ، والحجازيون يتمسكون بالقشور إلى حد كبير ، وهم كثيرون الزواج والطلاق ، ويعتمدون في أكثر أحوالهم على الصدقات ، كما يقول المراقبون الأحوال هناك .

ومن الجمعيات الإسلامية : جمعية الدعوة الإسلامية ورئيسها السيد إبراهيم عمر القاف وجمعية الشبان المسلمين ، واتحاد علماء الدين الإسلامي ، واتحاد الطلبة المسلمين ، وجمعية الإصلاح في كوتابهارو .

والتعليم في الملايا تابع لتعدد الأجناس واللغات ، وأهم أنواعه أربعة :-

١ - التعليم الانجليزي وهو التعليم الرسمي الحكومي وتدرس فيه العلوم بالانجليزية

حالم المالية بالنسبة إلى الصينيين والهنود ، وإذا عاد الحاج حافظ على هذا اللقب واعتز به كما يعتز بالهامة التي يلفها حول رأسه فتكسبه الشرف والاحترام . وهم يبدون مجالسهم ويختمونها دائماً بدعاء طويل ، ويكرمون شهر رمضان ، والأفكار الدينية هناك مختلطة بالخرافات الهندية ، ويبدو ذلك في حفلات الزواج على الخصوص . والمحاكم الشرعية لها قوانين وأحكام تختلف في كل ولاية عن الأخرى ، والقضاء في حاجة ماسة إلى مزيد من التفقه في الدين والدقة في معرفة الأحكام كما تقول التقارير . والمرأة الملايوية معروفة بولائها وطاعتها لزوجها . وهي تساوى الرجل في الحقوق والتعليم والانتخاب ، وفي الأحزاب السياسية شعب للنساء تسمى «قوم أيبو» والطلاق منتشر كتعدد الزوجات ، ولا يشيع بين الملايويين استعمال ألقاب الأسرة ، فالفرد يسمى فلان بن فلان ، وكفى ، ولا ينسب إلى جده ورئيس الأسرة .

والمذهب الشافعي سائد في الملايا ، والهنود يلتزمون المذهب الحنفي ، وهم جميعا يقصدون المذاهب إلى حد أنهم يعتبرون تقليد غير المذهب أقرب إلى الكفر ، بالرغم من أنهم يأخذون في كثير من المسائل بالمذاهب الأخرى ، وذلك تبعاً لمصالحهم ، كما يجبر المسلمين على دفع الزكاة نقوداً لأقسام الشؤون

وضالة الموارد المالية . وفي هذا النوع من التعليم ثلاثة اتجاهات ؛ أحدها يحاول تقليد التعليم الديني في الحجاز لأن المشرفين عليه درسوا هناك . وثانيها يحاول تقليد الأزهر ، وثالثها يحاول التجديد والاقتراس من التعليم الأزهرى والتعليم المصرى العام .

وفي الملايا ما يقرب من ستمائة مدرسة عربية ضعيفة المستوى إلا قليلا منها فهو شبه منظم لأن بعضها يشرف عليه فنيون مصريون كالمدرسة العلوية الإسلامية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ المسلمون فقط من أبناء الملايو والعرب أما مسلمو الهند وباكستان والصين فيندرون يلتحق أبناءهم بهذه المدارس . وخير مجوها يكملون تعليمهم في مصر أو الحجاز .

هذا وقد أنشئت حديثا كلية إسلامية في العاصمة الاتحادية كوالالامبور ، وتم افتتاحها في فبراير سنة ١٩٥٥ بعد أن انتدب لها اثنان من أساتذة الأزهر ، وكان من أغراض هذه الكلية إصلاح المدارس العربية والإسلامية بعمل دراسات صيفية لمدرسيها . ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين والقضاء على الخرافات ، وتخرج طائفة ممتازة في دراسة الدين لتوجيه البلاد توجيهها سليما ، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات على مرحلتين الأولى عامة لمدة ثلاث سنوات ، والثانية خاصة لمدة سنتين فيها شعب للغة

كما تدرس اللغة الملايوية كلغة ثانية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ من جميع الأجناس ، ولا يدرس الدين فيها للمسلمين إلا بقدر ضئيل ولا يدخل ضمن مواد الامتحان . وهذا التعليم ابتدائي وثانوى يؤهل لدخول جامعة الملايا التي أنشئت في سنغافورة سنة ١٩٤٩ م .

ب - التعليم الصينى وهو تعليم حر داهلى ، ومنظم أكثر من التعليم الانجليزى ، وغايته إعداد التلاميذ للحياة العملية وبخاصة التجارة وهذا التعليم خاص بأبناء الصين ولغته الصينية ، وهو منتشر في شتى أنحاء الملايا . وهو ابتدائي وثانوى وعال ، ومناهجه كمناهج التعليم الانجليزى مع الاهتمام بالناحية العلمية . ج - التعليم الملايوى ، وهو تعليم حكومى ذو مرحلة أولية ، ويكاد يكون خاصا بالجنس الملايوى ، ولغة التعليم فيه الملايوية ، مع دراسة اللغة الانجليزية ، وتدرس فيه مبادئ الدين الإسلامى إلى جانب المواد الأخرى ، ومستوى التعليم فى هذه المدارس منخفض لقلة الكفايات العلمية .

د - التعليم العربى . وهو تعليم حر شعبى بمعنى الكلمة يقوم به الغيورون على الدين ويتكسب به بعض من نالوا حظا من الثقافة الدينية والعربية ، وقليل من الثقافة العامة . وهذا التعليم منتشر فى الملايا ، وهو متأخر ومستواه منخفض إلى حد كبير لقلة الكفايات

العربية ، ولفقه ، ولتوحيد والفلسفة ، ولعلوم القرآن والحديث .  
ومن المعاهد الدينية معهد ديني في ألورستار Alor Star بولاية قدح ويديره السيد / عبد المجيد نور من خرجى الأزهر .

واللغات في الملايا متعددة ، فالملاييون يتحدثون لغتهم وفيها من ١٥ إلى ٢٠٪ من الكلمات العربية ، وهم يكتبونها بالحروف العربية ، وإن كانت الحروف اللاتينية بدأت تزحف ، شأنها شأن كل دخيل جلبه معه الاستعمار . والهنود والباكستانيون يتكلمون لغة بلادهم ولغة التاميل Tamil ولغة التلجو Telego ، ولالصينيين لغتهم ذات اللهجات الكثيرة التي أشهرها هناك الهوكية والكاثونية . كما توجد اللغة الانجليزية . ولهذا يقول بعض الكتاب : إنه لا يكاد يوجد واحد من عشرة آلاف من الملايويين يستطيع

هذا وقد صرح السيد / إبراهيم عمر السقاف بأنه تقرر إنشاء دار للصحافة في الملايا وستصدر مجلة شهرية بالانجليزية تسمى العالم الإسلامى Muslem World ، وأخرى عربية شهرية تسمى (إسلام) كما تستصدر صحيفة يومية تسمى بالجاوية (سيمنا بنجونيغ) تتحدث عن الإسلام .

ولكثرة الأجناس في الملايا أثر واضح في الحياة الاجتماعية ، فهي تكره بعضها بعضاً ، والملاييون يعتبرون غيرهم دخيلاً غاصباً حتى لو كان مسلماً وعربياً ، والصينيون ذوو نشاط عجيب في كل شيء وتكاد الصناعة تقصر عليهم لأنهم فنيون فيها ، والهنود يعملون في التجارة وفي حقول المطاط وهم ناجحون ، والمولدون

واللغات في الملايا متعددة ، فالملاييون يتحدثون لغتهم وفيها من ١٥ إلى ٢٠٪ من الكلمات العربية ، وهم يكتبونها بالحروف العربية ، وإن كانت الحروف اللاتينية بدأت تزحف ، شأنها شأن كل دخيل جلبه معه الاستعمار . والهنود والباكستانيون يتكلمون لغة بلادهم ولغة التاميل Tamil ولغة التلجو Telego ، ولالصينيين لغتهم ذات اللهجات الكثيرة التي أشهرها هناك الهوكية والكاثونية . كما توجد اللغة الانجليزية . ولهذا يقول بعض الكتاب : إنه لا يكاد يوجد واحد من عشرة آلاف من الملايويين يستطيع قراءة اللاقتات الموجودة على واجهات المحال التجارية في شارع واحد من البلد . وقد فرضت الحكومة تدريس لغة الملايو في غير المدارس الملايوية تمهيداً لجعلها اللغة الرسمية في مدى عشر سنوات . كما فرضت تدريس الانجليزية في غير المدارس الانجليزية بمحجة الحاجة إليها في التعليم العالي والعلاقات الدولية .

والحاج محمد الحاج أبو بكر واهيل، المحاضران بالسككية . والحاج محمد صالح متفيه قاضي قضاة سنغافورة ، وعبد الجليل حسن نائب مفتي جوهور وغير هؤلاء كثيرون .

ونحن نأمل في الطليعة المثقفة أن ترتفع بالمستوى الثقافي الديني في الملايا وأن يوجهوا المواطنين وجهة عملية بدافع من الدين الذي يحرص على القوة وعمارة البلاد بالخير ، وأن يحاولوا إزالة الجفوة بين الجنسيات ، وينبهوهم إلى الخطر الذي يكن من وراء هذا الاختلاف وأن تكون سياستهم في جميع أنواع نشاطهم نابعة من أنفسهم وبوحى من حاجة وطنهم لأن تستمد من التيارات التي تتدافع من حولهم ، والتي تكاد تجرفهم لولم يحسنوا تنظيم أنفسهم ، وإذا كانت الأخبار تؤكد أن هناك حركة شيوعية تعتمد على العنصر الصيني وهو غالب بنفوذ ونشاطه ، وعدده يقارب نصف عدد السكان فكيف لو تم لهم الأمر وكيف يكون مصير الإسلام ؟ أماننا كبير في بعوث الملايا في الأزهر وغيره من معاهد الجمهورية العربية المتحدة أن يؤدوا رسالتهم الدينية الوطنية وعلى أكمل وجه عندما يعودون إلى بلادهم موفقين ، وإنا لمنتظرون .

عطية صقر

مفتش الوعظ بالأزهر

(أوراسيون) قلوبهم مع بلادهم وولائهم للملايا ضعيف . والملاييون حظهم ضئيل من التجارة والصناعة ، وهم يكثرون في القرى ويقولون في المدن ، وأهم عملهم الزراعة ، وفيهم موظفون كثيرون في الأعمال الكتابية وغيرها وهم يكثرون أيضاً في البوليس والجمارك .

ويعزو المتحدثون عن أحوالهم الاجتماعية تأخرهم مالياً إلى كثرة خيرات بلادهم وقناعتهم بالقليل ، بينما كانت هجرة الهنود والصينيين للكفاح من أجل العيش في هذه البلاد . وقيل إن سبب سوء حالة الملاييين عدم فهمهم لمبادئ الإسلام فهما صحيحاً فهم يتلقونها من متوسطي الثقافة في ثوب يحجب إليهم الزهد وساعدهم على ذلك تشجيع المستعمرين لهذه المصاني ، وجاء الانجليز فزحزحوهم عن المدن إلى القرى ، فصعب عليهم تعليم أولادهم في المدارس التي تنشأ بكثرة في المدن .

هذا ويدرس من طلبة الملايا في الأزهر بمختلف مراحل التعليم ١١٠ طالباً مائة وعشرة في سنة ١٩٦١ ويتنظر زيادة عددهم في السنين المقبلة وقد تخرج عدد كبير منهم وتقلدوا مناصب هامة في بلادهم منهم : السيد/ حسن يونس صالح رئيس وزراء في ولاية جوهور ، ومحمد محي الدين وان وكيل عميد السككية الإسلامية ، وإبراهيم الحاج ياسمين

# السمات الفنية في شعر محرم للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

ولكنه كان من أكثرهم احتفالا بحسن الصياغة ولطف التخيل <sup>(١)</sup> ولا يستطيع الباحث أن يتجاهل القرابة القوية التي يأنسها بين شعر شوقي وبين شعر محرم لما يحفل به كل منهما من موسيقى بلغت عند شوقي أرقى درجات السمو والسحر لما وشاها به من خياله المحلق الجواب .

وبحق ما يقوله الدكتور شوقي ضيف من أن شعر شوقي يقوم على ركنين رئيسيين : هما الموسيقى والخيال ، وإن كان يسندهما العاطفة ، وإن لم يكن لها وضوحهما ولا قوتها <sup>(٢)</sup> .

وقد كان لهذا التشابه بين شوقي ومحرم صدى بعيد في البيئات الأدبية ، وكثيراً ما تأملت المفاضلات بين الشعارين ، وكان يتعصب لكل منهما فريق يخالغ عليه لقب الإمامة ، ويبدل له من حماسه كل ما يستطيع ، ولا بأس من أن نستمع في ذلك لما كتبه

لا يلبث الدارس لشعر أحمد محرم أن يسترعى انتباهه ما يفيض به هذا الشعر من موسيقى عذبة ساحرة تنبعث من كل بيت فيه وتترامى في كل لفظ نغماً مشجياً ، ثم ما يتفجر خلاله من عاطفة عاتية تملؤه بالقوة وتبعث الحياة في نواحيه دافقة زاهرة .

على هذين الأساسين يعتمد شعر محرم . لا يكاد يفترق واحد منهما عنه في كل ما قال ، ولكن حظه من الخيال محدود ونصيبه منه قليل .

وما يسجله الدارس لشعر أحمد محرم أيضاً تلك الديباجة المشرقة ، وهذه الجزالة السامية والقافية المحكمة ، والنفس الطويل في غير إملال ولا سقط .

ويقول الأستاذ الزيات في ذلك : « كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة ، والقافية المحكمة ، وكان يطيل في غير مسقط ، ويبالغ في غير شطط ، ويتأق في غير تكلف وربما كان أقل معاصريه وقوعاً على المعنى الطريف ، والفكرة العميقة ،

(١) الرسالة عدد ٦٣٥ - ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ .

(٢) انظر شوقي شاعر العصر الحديث ص ٥١٠ .

تؤيده دراسة شعر محرم وصاحبيه شوقي وحافظ، ويستريح إليه الدارس المتأنى والباحث عن الحقيقة لذاتها.

وعلى أى حال، فإننا نستطيع أن نخرج من دراسة شعر محرم بالخصائص الفنية التالية :-

١ - الموسيقى السارية في بناء أبياته وألفاظه.

٢ - العاطفة المتدفقة التي تريك الألفاظ ذات إحساس وحركة.

٣ - الديباجة المشرقة والأسلوب القوى الرصين.

٤ - طول النفس طولا لا ضعف فيه ولا هبوط.

٥ - براعة التصوير براعة تثير الإعجاب، لاسيما إذا كانت نتيجة لثوران عاطفته أو هياج مشاعره.

هذه هي السمات الفنية التي نراها في شعر محرم أتينا بها موجزة وسنعرض كلا منها بالتفصيل.

الموسيقى :

لن كان أحمد محرم لم يوث من لطف التخيل ما أوتيهِ شوقي فإن موسيقاه العذبة،

أحد شعراء جماعة «أبولو»، «لأنى لأذكر أنه منذ أعوام كانت تقوم في البيئات الأدبية مفاضلات بين شعر المرحوم شوقي بك، وشعر الأستاذ أحمد محرم، وفي الحق أن أنصار شاعرنا محرم كانوا على كثير من الحق حين أقاموا هذه الدعوى، فإن بين شوقي ومحرم علاقة قوية وتقاربا بينا، فقد امتاز شعر شوقي بموسيقية العذبة الموهوبة، وهذه الميزة التي نجدها في شعر محرم، ولست مغاليا إذا قلت : إنها ان تفارق لفظا من ألفاظه، فإنى لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطري في حلم جميل ... وإلى جانب هذه الموسيقى التي يتسأل عنها في قصيدته «وجودى»، والتي يحس تأثيرها في أنفس قرائه فيقول :

أمن أدبى تبيت الطير تبكى ؟

فأ أدبى، أشدوه أم رنين ؟

تتجل تلك الديباجة العالية، وتلك الجزالة السامية التي يقدرها فيه أدباؤنا، ولن أكون إلا محقا حين أقول إنه يمتاز على المرحوم حافظ إبراهيم في الرنين العذب الذي صحب شعره الناضج ولازمه (١).

ومما لا شك فيه أن هذا الحكم على وجازته



وروعة أنغامه لم تفارقه في بيت أنشده  
حتى حين يتحدث عن تأملاته ، ويصور  
نظراته إلى الحياة من خلال تجاربه ،  
وفي قصيدته « وجودى » تتجلى هذه الموسيقى  
حين يقول :

وجودى لست لى ، فلن تكون ؟  
أسر أنت عن نفسى مصون ؟  
يصيب حقائق الأشياء على  
وتعصف بى حوائيك الظنون  
أمن نفسى على نفسى غطاء ؟  
فكيف أنا ؟ أشك أم يقين ؟

\*\*\*

وجودى أين أنت ؟ ألا سبيل ؟  
إليك فيهدأ العاني الحزين  
ومن أنا فى بنى الدنيا ؟ ومالى ؟  
وللدنيا وما وعت القرون  
ظلمت وفى فى الأدب المصنى  
وضعت وفى يدي الكنز الثمين  
أمن أدبى تبيت الطير تشدو ؟  
فأ أدبى ؟ أشدو أم ونين ؟  
وموسيقى محرم تجمع إلى حلاوتها الاتساق  
التام مع المعنى الذى يريد أن يسوقه ، فهى  
قوية مصممة ؛ إن تحدث عن الكفاح وممارك  
الوطن ، وثائرة مستهضة إن طاف بها طائف

من مجد الإسلام الضائع وأيامه الخوالى ،  
وناعمة حاملة إن تحدث عن وجدانه ، وتغنى  
بأشواقه . وحسبنا أن نشير إلى أبيات نجزتها  
من قصيدة قالها على أثر الدستور العثمانى  
سنة ١٩٠٨ م قال فيها :

من يمنع الليث أن يعتز أو يثبا ؟  
ما قيمة السيف إن جردته فثبا ؟  
من يرفع العرش إن هدت دعائمه  
هوج العظام والأهوال فانقلبا ؟  
من يمسك التاج إن هزته عابثة  
من الخطوب تجيد اللهو واللعبا ؟

اليوم ينعم بالأوطان مغرب  
ما هزه الشوق إلا أن واتعبا  
يفرق النفس فى شتى مفرقة  
من البقاع ويطوى العيش مرتعبا  
ورب ناشئة بالشام باكية  
بأرض دأكولم ، أمارة وأبا  
يا أرض دكولم ، ردى من ودائنا  
تلك النفائس إن الرد قد وجبا  
ويا عيوننا أهان الدمع غالبا  
أما كنى من دموع الصحب ما انسكبا ؟  
ولقد كنت أعجب بقصيدة شوقى التى قالها

ثم يمضى محرم في قصيدته يتحدث  
عن الشعوب ووثباتها والحكام وحاجتهم  
إلى العدل والمحافظة على مكاسب الشعوب .

تأبى العناية أن تبقى على دول  
يلقى الخلائق منها الويل والحربا  
ترى الشعوب عبيداً لازدام لها  
وتحسب الملك في الدنيا لمن غلبا  
لا بد للشعب مهما لان جانبه  
من وثبة تفزع الأفلاك والسحبا  
ما أيد الملك واستبقى نضارته

كالرفق والعدل ما داماً وما اصطحبا  
ما أضيع التاج يرمى الشعب صاحبه  
بالمحفظات ويؤذيه بما كسبا (١)

ويمضى محرم في قصيدته في قوة وعذوبة ،  
لا يهبط ولا تنفويه نغمة ، ولعلك لاحظت  
معي أن محرم يردد ذكر الشعب ، ويرى  
الحكم المتين الأركان الثابت الدعام هو الذي  
يعتمد على إرادة الشعوب ويستمد سلطانه  
منها .

محمد إبراهيم الجبوري

بمناسبة مشروع ٢٨ فبراير والى يقول  
في مطلعها :

أعدت الراحة الكبرى لمن تعب  
وفاز بالحق من لم يأله طلبا (١)

وكانت تأخذني روعتها ، وتستولي على قلبي  
براعة شوق وقوة لإحكامه فيها وإشراق  
ديباجته ، فلما قرأت قصيدة محرم عدت  
بذاكرتي إلى ما كتبه شوقي ، فوجدت محرماً  
قد سبقت قصيدته قرابة خمسة عشر عاماً .  
وكان محرم ساحر اللفظ متين الأسر عذب  
البيان في سهولة ويسر وإحكام .

ولقد كنت أطرب كلما رددت قول شوقي :

ولن ترى صحة ترضى عواقبها

كالحق والصبر في أمر إذا اصطحبا

ولكن هذا الطرب لم يعدله في نفسى ذلك  
الأثر بعد ما قرأت بيت محرم .

ما أيد الملك ، واستبقى نضارته

كالرفق والعدل ما داماً وما اصطحبا

ولا يحتاج الأمر لكثير من النظر  
كي يدرك القارى مدى اعتماد شوقي على محرم  
في معناه ، بل في ألفاظه أيضاً ، وهذه خاطرة  
أثارها ما بين القصيدتين من تشابه .

# نحو منهج رشيد في تطوير الفقه الإسلامى للأستاذ فتحى عثمان

على احتياجات الواقع الضخمة ، وعلى دراسات العصر العميقة المتشعبة فى الاقتصاد والسياسة ، والنفوس والمجتمعات وأجفلس المسلمون من الفجوات الكبرى التى أحسوها فى تكوينهم الفكرى وبنيتهم الواقى .. ! ففهم من أحس فى الدراسات العصرية قرباً من واقعنا ومزاجنا الثقافى ، وأحس فى « تراث » الفكر الإسلامى بعداً عن كثير من احتياجاتنا المادية والفكرية والنفسية المعاصرة ، فأقبل ينادى بترك ثقافة الإسلام فى أصوله وفروعه على السواء !! وكانت هذه هى النغمة السائدة فى أوائل هذا القرن العشرين .

ولم يجد الناس فى الثقافة « العصرية » القوة السحرية التى تبرئ الأكمة والأبرص ، وتحل كل العقد وتعالج جميع المشكلات !! .. وإن العقل الإنسانى لابد أن يؤدى دوره المفروض الذى لا يعفيه منه فكر « معبأ » أو « مقلب » سواء كان من صنع الأرض أم من وحى السماء !! فلا بد أن يعالج الفكر بالفكر ، ولا بد أن يعالج الفكر بالتطبيق ، وحياء الفكر وحياء المجتمع فى هذه الحيوية

أحب أن أقرر أولاً أننا نعرض هنا لتطوير « الفقه » الإسلامى ، وهو الفهم البشرى للشريعة ، والفهم متغير متطور بطبعه ، يتأثر بظروفه وإمكانياته الفكرية والواقعية ، أما الشريعة نفسها فهنا نصوص محكمة ثابتة محددة ، لكن يحتفظ العقل إزاءها بمجاهة فى الفهم والتطبيق ، ومنها قواعد كلية عامة ، تتعاقب عقول الأفراد والأجيال على فهمها وإعمالها فى الجزئيات المتجددة وفق الظروف المتغيرة .

وقد كان للسلف الصالح « فقه » لأحكام الشريعة ، وكان من العوامل المؤثرة فيه واقع ، المسلمين واحتياجاتهم ... فجمعهم البسيط لم يكن محتاجاً لدراسات اقتصادية أو سياسية أو نفسية مثلاً بالقدر الذى يحسه مجتمعنا الحاضر المركب ! ومن هنا كانت دراساتهم فى هذه المجالات محدودة أو مجملة ، وإن تخللت دراساتهم الفقهية لمحات وإشارات تكون أحياناً لامعة موفقة إلى حد كبير .

واستيقظت مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة

ونظام ، وقد اكتمل بناؤها الفكرى نتائج  
لاحتياجات متتالية أثبتتها تجارب العمل الطويل  
والكشف المدبر ، حتى تبلورت فى أساسها  
الفلسفى وبنائها التنظيمى . وقد شهد العصر  
الحديث كثيراً من هذه التجارب فى وقت كان  
فيه الإسلام غائبا عن الحكم والتوجيه .  
وكان التطور الاجتماعى الذى يشهده واقع  
الغرب مغالفا للركود القائم فى واقع المسلمين  
فهناك فجوة كبيرة قائمة بيننا وبينهم فى الواقع  
وما ينبثق عنه من فكر . . . ولكن تطلب  
المتحمسون أن يعبروا الفجوة ركضاً وثباتاً  
فليأتوا بخلاصة ما انتهى إليه الفكر الغربى  
نتيجة لاحتياجات واقع المجتمع الغربى ومطالبه  
وليضعوها تحت عنايات ولافتات إسلامية  
تتزع من آيات الله أو أحاديث رسوله  
المتداولة ! فإذا أتيح لأحد المتحمسين أن يعرف  
شيئاً من أسماء مراجع الفقه الإسلامى ، أو  
يقرأ شيئاً مما جاء فيه ، فزغ إلى ما عرف فى  
التراث الإسلامى ليقدمه للناس فى ( تعبئة )  
كانت قد راقته أهميتها ومزاياها ورواؤها فى  
الفكر الغربى الحديث !!

ومن هنا طالعنا كثيراً من الكتابات الفجة  
والعنوانات الخداعة عن « الاقتصاد فى الإسلام »  
أو « علم النفس فى الإسلام » . . . وأحياناً  
عن علوم الطبيعة والكيمياء ، والجيولوجيا  
والميتورولوجيا - فى الإسلام !!

— وصرنا نقرأ أن علم الإحصاء مثلاً  
مقرر فى القرآن ؛ لأن الله تعالى قال فى حكم  
تنزيله « لقد أحصاهم وعدهم عدأ ، !!

الدافقة ، وهذه الدورات العقلية والواقعية  
المتلاحقة .

« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ،  
ولذلك خلقهم » ، بل نقذف بالحق على الباطل  
فيدمغه فإذا هو زاهق » ، « وتلك الأيام  
نداولها بين الناس » ، « ولولا دفع الله الناس  
بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، « فأما الزبد  
فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث  
فى الأرض » .

وإزاء التعثر الذى صادفته الثقافة العصرية  
وجزء كبير من أسباب هذا التعثر راجع  
إلى المثقفين العصريين أنفسهم فى سطحياتهم  
وتحيزهم ، إزاء هذا التعثر أتيحت الفرصة  
لكي يعود الناس إلى مناقشة قضية « الدين »  
و « الفكر الدينى » ، « ما دام دعاة الانصراف  
عن الدين لم يأتوا بالبديل السعيد المرغوب !  
ووجد دعاة الدين آذاناً صاغية وقلوباً مهيئة  
لاستماع دعوتهم فى الرجوع إلى الله ، وكان  
بعض هؤلاء الدعاة من آتاهم الله إخلاصاً  
وحماسة ، وآتاهم ذكاء عرفوا به طابع العصر  
الفكرى والعلمى ، فأقبلوا يعرضون الإسلام  
بما يوافق هذا الطابع !! فإذا كنا فى عصر  
المذاهب والنظم ( ism ) ، فليعرض  
الإسلام كنظام سياسى اجتماعى اقتصادى  
متكامل ، وليقدم للناس على أنه يحقق لهم  
ما لا تحققه الديمقراطية أو الاشتراكية .

ولكن ...

ولكن الديمقراطية والاشتراكية فلسفة

قدره ويعطوه حقه ، ويعرفوا مكانه بين المذاهب والنظم !!

فلنخفف من اعتبارنا السائد أن تراثنا قد حوى ما هو كفيل بتعجيل الفصل في كل قضية . فلن يشرف الإسلام أن يعرف جيل مضى من أجياله كل شيء ، ثم لا يبقى لمن بعده ما يدعو لبذل جهداً وطلب علم أو كد ذهن<sup>(١)</sup>.

ويقتضينا الإنصاف أن نقرر أن من دعاة الإسلام المتحمسين المعاصرين من « أفادوا في عرضهم الحمل للإسلام وإبراز محاسنه ، وأفادوا في الدعوة إلى المبادئ الأساسية من أحكام القرآن والسنة بعيداً عن الدوامه الهائلة من التعريفات الفقهية والتشقيقات الكلامية ، وأفادوا في محاولة تقديم الإسلام بأسلوب العصر كفلسفة شاملة ونظام متكامل لكن هذا كله يجب أن يعتبر نقطة بدء لا غير ، لانطلاق إسلامي رشيد ، !! »<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

كتب جون ديوى في « الحرية والثقافة » يقول :

« يصعب كل حركة اجتماعية تسير في اتجاه

(١) من كتاب : « الفكر الإسلامى والتطور »

لكاتب المقال - فصل « النوافذ المفتوحة » ،

« أسلافنا خلال النوافذ » .

(٢) من كتاب : « الفكر الإسلامى والتطور »

لكاتب المقال - فصل « للنوافذ المفتوحة » ،

« أسلافنا خلال النوافذ » .

— وأن الطاقة الذرية قد أشار إليها القرآن في قوله تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، !! »

— أما مشكلات النفس والمال والحكم فقد فرغ الإسلام من علاجها كلها في كلمات ... أو في جرعات !!

« إن طائفة أخرى وسعت بالقدر الذى ضيق به المتزمتون ... وسعت حتى صار الإسلام ثوباً فضفاضاً ، وعالجت القضايا الدقيقة والمشكلات المعقدة بتبسيط شنيع !! نحن محتاجون إلى مدارس تراثنا ، ومتابعة عصرنا ، ونحس ما عند غيرنا ... وخلال هذه الدراسات ستفاعل في رد وسنا أصول الإسلام مع ثقافة العصر وواقع المجتمع ، فينتج عن هذا كله طابع لشخصيتنا أصيل . وهذا كله يستدعى زمناً ، ويقتضى فترة حمل ووضع وحضانة ... »

علينا أن نكون صرحاء ... فلا تعجل اقتطاف الثمر قبل أوانه ، ولا نعبء عن فقهاء العصرى للإسلام قبل أن ينضج في رد وسنا ! ونحن نحتاج إلى أن نتحدد لنا خصائص الدين ومقومات شخصيته التى تميزه عن سواء ، بعد هذا التيه من تزاخم المبادئ ، والآراء التى كدسها المعاصرون داخل الإسلام ، حتى يستطيع الناس أن يزنوا ديننا ويقدروه

ونحن نريد أن تتوق النكسة الفكرية والعقدة النفسية نتيجة رد الفعل ... ونريد أن نسير في تطوير الفقه الإسلامى على علم وهدى ، وكتاب منير ،

وفي هذا السبيل ... نضع هذه المعالم المتواضعة :

« لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين « مبادئ الإسلام » ، التى تخلع على المفكر المسلم « سمًا ، أو « مزاجًا » ، فكربا معينا يضرب به فى أعماق المشكلات ودقائق التفاصيل ، وبين « تراث الفقه الإسلامى » ، الذى هو ثمرة تفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقع اجتماعى وثقافى معين .

فالإسلام يقدم فلسفة عامة ، سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ... أما تفاصيل التنظيم السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى فتروك للعقل البشرى ، وهذا هو دور الفقه ... وهو دور متجدد لكل جيل وبيئة ، وبجال مفتوح أمام عقل كل فرد ... والفرد هنا يجتهد بخصائصه الفردية ، وبإمكانات بيئته الفكرية والواقعية ، بعد أن يخلع عليه الإسلام هذا « السم » ، والمزاج ، الفكرى العام ، ويضع أمامه معالم « فلسفة » ، ليبنى بجهد الخلاق تفاصيل « النظام » .

لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين السير فى « التطوير الفقہى » ، على منهج وأصول

جديد ، تبسيط كبير للأمور ! فيتجاهل الخيال كل ما قد يخفى وحدة الهدف الذى ترمى إليه ، وتغفل الخطط التى توضع لها كل ما قد يقف فى سبيل تركيز الهمة وتعبئة النشاط . ثم فيما بعد يعود الناس ويلاحظون الأشياء التى سبق أن أغفلوا إدخالها فى تقديرهم ، وعندئذ يتبين لهم أنها كانت من بين دواعى فشلهم فى تحقيق خططهم الأصلية . فبعد فترة نفيض حماسة وتشتعل حمية يحىء الفشل وخيبة الآمال ، وبعد الرجاء يحل دور النقد ومراجعة النفس والعودة إلى التروى .

وكثيراً ما تفتقر الهمة وتثبط من حيث القيمة العملية لآية نظرة اجتماعية واسعة ... وليس من شك فى أن للتبسيط فائده ما دام يمكننا من أن ندرك بشكل أجلى أثر أى اتجاه جديد فعال فى شئون البشر ، أما الأضرار فتنشأ من أن النظرية قد صيغت فى عبارات عامة مطلقة كأنها تصدق على كل مكان وزمان ، فإذا تغيرت الأحوال فيما بعد ولم تعد النظرية تعمل عملها وتؤدى وظيفتها حدث رد فعل ، ويكون أيضاً عاما مطلقا وعلى نطاق واسع ! وعندئذ ترفض الفكرة الأصلية على أنها مجرد خداع ووهم ، وتقوم حركة جديدة وكثيراً ما تصطبغ هى الأخرى بصيغة عامة مطلقة !!! ،

الإسلامية المتقدمة سوف تكون أكبر وأجل ، إذ ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الشرين !! وما أصدق كلمات القائل : « هناك مشكلة الاستمرار في العمل أثناء مراحل التغيرات ... وكل تاجر يعرف مبلغ الصعوبة في استمراره في عمله في فترة يعاد فيها بناء محله ! وإن القائمين بعلمية تجديد محطة للسكة الحديدية عليهم ، وهم ينجزون مهمتهم ، أن يسمحوا للقطارات بالدخول والخروج يوميا ، كثير من الروس تمتلئ بالآفكار الحسنة للمستقبل ولكننا لا نستطيع أن نتوقف عن الحياة إلى أن تتحقق هذه التغيرات !! إن الحكومة تواجهها المشكلات اليومية: مشكلات الطعام والعمل والأسواق ورأس المال والأمن ، وإذن فن المحال أن تفكر حكومة في هذه التغيرات دون أن تقيم وزناً للحاجة إلى استمرار الأعمال في حين تنفذ هذه التغيرات ، !!

يجب أن تستبين المعالم ... ليتضح الطريق ونحن نحاول في سلسلة من المقالات بعون الله استجلاء المعالم .

وعلى الله قصد السبيل

فتحي عثمان

وبين معالجة « الواقع السريع » الذي لا بد أن نعترف بخلو يدنا لإزائه من وجود نظام مفصل محدد ، يكون ثمرة لتفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقعنا الفكري والعمل ؛ لأن حركة الفقه الإسلامي عانت قرونا من التعطيل والتجميد . فليس أمامنا إزاء هذا الواقع السريع الذي لا ينتظر دراستنا المتعمقة وفقهنا المتطور ، إلا دراسة تجارب غيرنا واختيار أقرب ما يكون منها إلى واقعنا الفكري والعلمي ، ومن التوسع أن تتحدى أنظمة فضجت عند غيرنا ، قبل ن ننضج نحن ما عندنا ... إن الصورة التطبيقية للماضي ، والأمانى البراقة الساذجة في المستقبل ليست هي البديل الصالح !! إن البديل الصالح جهد ضخم نبذله في التحضير للإسلام في القرن العشرين ، (١)

لا بد من التفرقة الواضحة إذن بين الدراسة العلمية المنهجية لإخراج فقه إسلامي جديد وبين علاج مشكلات الواقع التي لا تنتظر فهمنا ، لا بد من دراسة عميقة جادة لتجارب غيرنا الفكرية والعملية ، واختيار الأنسب لتفكيرنا وواقعنا بقدر الإمكان ، ولا جدوى في الانصراف عن ثمار الجهود الإنسانية الكبرى القائمة بدعوى أن ثمار الجهود

(١) من كتاب « الفكر الإسلامى والتطور »

لكتاب المقال .

# النقد الأدبي من خلال تجاربي

للاستاذ محمد عبد المنعم خنجاوي

١ - يفصل مصطفى عبد اللطيف السحرتي في كتابه « النقد الأدبي من خلال تجاربي » أصول النقد ، ويتحدث عن منهجه فيه ، وتجاربه ، خلال حياته النقدية ، الطويلة . . والكتاب محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ونشره المعهد عام ١٩٦٢ .

٢ - أما من حيث أصول النقد فالسحرتي يتحدث في كتابه عن التجربة الشعرية ، والوحدة الفنية ، وموسيقى الشعر ، والصورة الشعرية ، والعاطفة والفكر والخيال الشعري ، وثقافة الناقد ، والذوق ، وغير ذلك من أصول النقد وقضاياها . . كما يتحدث عن عملية النقد ذاتها حديثاً طويلاً .

١ - يفصل مصطفى عبد اللطيف السحرتي في كتابه « النقد الأدبي من خلال تجاربي » أصول النقد ، ويتحدث عن منهجه فيه ، وتجاربه ، خلال حياته النقدية ، الطويلة . . والكتاب محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية ، ونشره المعهد عام ١٩٦٢ .

٢ - أما من حيث أصول النقد فالسحرتي يتحدث في كتابه عن التجربة الشعرية ، والوحدة الفنية ، وموسيقى الشعر ، والصورة الشعرية ، والعاطفة والفكر والخيال الشعري ، وثقافة الناقد ، والذوق ، وغير ذلك من أصول النقد وقضاياها . . كما يتحدث عن عملية النقد ذاتها حديثاً طويلاً .

وأما من حيث منهج المؤلف في النقد ، فإنه يوجب توافر الروح الإنساني لدى الناقد ، وأن يتجلى بفضيلة التواصل ، فليس رأى ناقد مهما كان وأيا كان هو الرأي

والتاريخ ، وعلم النفس ، والفلسفة .

ويطلق المؤلف للناقد الحرية في إنارة العمل الأدبي المنقود ، فله أن يرجع إلى التاريخ أو الفلسفة أو التحليل النفسي ليفهم العمل الأدبي فهما جيداً (١) ، والحرية كذلك في اعتناق المنهج النقدي الذي يروقه ، دون تقيد بمنهج معين . ويأخذ هو نفسه

[١] راجع ص ١٣ و ١٤ النقد الأدبي ، من خلال تجاربي .

[٢] ص ١٥١ وما بعدها .

[٣] ٤٦ - ١٥٠ المرجع نفسه .

[٤] ص ٤٩ للرجع .



ويرى أن في النقد الجديد نزعه نحو التركيز على ناحية معينة من العمل الأدبي لأن النقد المتكاثر العناصر يفقد - كما يقول هايمن - قوته <sup>(١)</sup> ويبعدوا أن السحرتى في ذلك ليس متناقضا مع منهجة في النقد ، إذ يقول في موضع آخر : إذا قدرنا العمل الأدبي من حيث جماليته المطلقة أو واقعيته المطلقة فهو تقدير من حيث الدرجة ، مع احتفاظنا بما أخذنا به أنفسنا من معيار نقدي يعتمد الجمالية والواقعية معا <sup>(٢)</sup> ويرى السحرتى أن التجربة أول مقياس للناقد في رحلته الكشفية ، وأن الحكم على القصيدة لا يكون بالصورة ، إنما بالتجربة ومادتها وأدواتها ومن أبرزها الصورة والموسيقى <sup>(٣)</sup> والمقياس الفني العام للحكم على قصيدة في رأيه هو التوفيق في تأدية التجربة الشعرية تأدية حية صادقة <sup>(٤)</sup> ويسير السحرتى في أغلب نقده على نقده على المنهج العام الذي يكشف عن العمل الأدبي في كليته لا المنهج الخاص الذي يسير على تقنيته والفحص عن كل جزء من من أجزائه <sup>(٥)</sup> .

بمعيار نقدي يعتمد الجمالية والواقعية معا <sup>(١)</sup> . ويرى أن العمل الأدبي لا بد أن يجمع بين العنصر الجمالي والعنصر القيمي ، وأن قيمة العمل الأدبي تحكمه ثلاثة مقاييس مميزة : المقياس الفني للإبداع الشكلي ، والمقياس المعرفي للحقيقة ، والمقياس المعيارى للمحتوى أو المضمون ، وأن النقاد البصراء لا ذوا بالمقياس الجمالي كما اعتمدوا المقياس القيمي في تقويمهم <sup>(٢)</sup> ، ومن ثم رأى أن النقد التفسيري قد تصوّر ذاتي ، والنقد التحليلي الخارجي نقد كيني قاصر ، والنقد التحليلي الداخلي نقد ثانوي لا يتصوّأ روح العمل الأدبي من خلاله ، والنقد الاجتماعي أو المقصور على المحتوى والمضمون نقد غير كامل ومع هذا فلا يجوز أن تقلل من أهمية اتجاه من هذه الاتجاهات ، فليس شك في أن النقد التاريخي ركيزة للناقد في نقده ، والنقد السيكلوجي يلقي أضواء على مضمون العمل الأدبي ، والنقد التحليلي الداخلي يكشف عن مدى بناء العمل الأدبي ، والنقد الاجتماعي يكشف عن المضمون <sup>(٣)</sup> . ويؤكد السحرتى منهجه في الرجوع بالنقد إلى الناحيتين الجمالية والقيمية في مواضع متعددة <sup>(٤)</sup> .

(١) ص ١٦٥ للرجع .

(٢) ص ٩ للرجع وقد ذكر ذلك أيضا

في موضع آخر ص ١٥٠ .

(٣) ص ٩٤ للرجع .

(٤) ص ٦١ للرجع .

(٥) ص ١ للرجع .

[١] ص ٩٤ .

[٢] ص ١٦٣ ١٦٤ للرجع .

[٣] ص ٦٤ للرجع .

[٤] ص ٨ ٦٦ ٦٧ للرجع .

والشعر الحر الذي يدعو إليه بعض النقاد ويعيبه لجلتهم ، ومن بينهم العقاد حيث يرى أنه ليس شعرا على الإطلاق <sup>(١)</sup> نقول فيه : إنه نوعان : نوع يسير على التفاعيل العربية دون التزام لعددتها في البيت ودون حرص على مساواة شطر لشطر فيه ، ومثله الشعر المنظوم على تفاعيل عروضية لم تنظم عليها العرب قصائدها ؛ ونحن لا نرفض هذا النوع لأنه يجرى على الموسيقى الشعرية عند العرب مع نوع من التجديد فيها ؛ ونوع يسير على موسيقى يتخيلها الشاعر الحر ولا قاعدة لها ولا وزن ، ونحن نرفضه ولا نعدده شعرا ؛ وليس الشعر التقليدي ملازما للشعر الكلاسيكي وليس الشعر الجديد ملازما للشعر الحر ، فقد يكون الشعر الحر تقليديا لا معنى له ولا تأثير فيه ، وإلا فما الجدة في قول شاعر من شعراء هذا المذهب - الشعر الحر - :

أنا رجعت من بحار الفكر دون فكر  
قابلني الفكر ولكنني رجعت دون فكر  
أنا رجعت من بحار الموت دون موت  
حين أتاني الموت لم يجد لدى ما يميت  
وعدت دون موت

أنا الذي أحيا بلا أبعاد  
د د د د أبعاد  
د د د د آما د <sup>(٢)</sup>

- (١) جريدة المساء عدد الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٦٢ .  
(٢) ديوان : أقول لكم إصلاح عبد الصبور .

ويدعو إلى عدم <sup>(١)</sup> الحكم على الأثر الأدبي من خلال القراءة الأولى وإلى تناول جميع أعمال المنقود <sup>(٢)</sup> وقد قصر أغلب نقده على الأدب المعاصر ، وعلى الشعر خاصة دون نظر إلى كبير أو صغير بل كانت نظراته إلى الأعمال الشعرية في ذاتها ، وكان أكبر اهتمامه موجه إلى إنصاف شباب الشعراء الموهوبين <sup>(٣)</sup> . ويحاول بكل وسيلة الوصول إلى حقائق العمل الأدبي وإلى جوهره <sup>(٤)</sup> .

ويذكر السحرقى تفاعلاته الأدبية وجهوده في تطعيم النقد المعاصر بكثير من الآراء والنظريات الحديثة : كالتجربة الشعرية <sup>(٥)</sup> والوحدة الفنية في القصيدة <sup>(٦)</sup>

ومادة التجربة من شعور وعاطفة وفكر <sup>(٧)</sup> والصورة الشعرية وموسيقى الشعر والشعر الحر <sup>(٨)</sup> الذي يرى أنه من الأساليب التحررية ، وينقد الشعر التقليدي <sup>(٩)</sup> . . .

- (١) ص ١٥ المرجع .  
(٢) ص ٢٩ .  
(٣) ص ٣٠ .  
(٤) ص ٣٤ المرجع .  
(٥) راجع ٢٤ - ٢٥ الشعر المعاصر للسحرقى ، ص ٦١ - ٦٤ النقد الأدبي له أيضا .  
(٦) ٨٢ - ٩١ الشعر المعاصر ٦٥ - ٦٧ النقد .  
(٧) ٩٣ - ١٠٨ الشعر للمعاصر ٦٨ - ٨٠ النقد .  
(٨) ٩٤ - ١٠٨ النقد ، ويذكره في موضع آخر ( ١٢٤ - ١٤١ النقد ) .  
(٩) ص ٩ النقد

٢ - ويقول: « لا ترى رأى المؤلف في ترك الأعمال غير الجيدة بدون نقد . ومع أن صحة الأسلوب أن يقول « الغير الجيدة » : فإن للسحرتى رأيه ، وللغنىمى رأيه ؛ ولا يضيره أن يخالفه أحد في رأيه . .

٣ - وينقد الغنىمى في حدة وانفعال منهج الكتاب ، هذا المنهج الذى جمع بين الموضوعية والذاتية ، وفقاً لموضوعه « النقد الأدبى من خلال تجاربى » ، وكلامه في نقد المنهج لم يستطع أن يؤيده بدليل واحد يبين به خطأ السحرتى في منهجه الذى سار عليه .

٤ - ويقول: إن السحرتى طاف بميادين كثيرة ولم يدخلها . وهذا ولا شك تحامل شخصى ، يخض السحرتى في مسألة إلا وشرحها ؛ دون اكتفاء بالتقرير ، بل اتخذ مع ذلك التطبيق مادة لشرحه .

٥ - ويقول: إن أكثر ما في الفصل الأول مكرر في الفصل الرابع . . والعجب أنه ليس في الفصل الرابع كلمة واحدة ذكرت من قبل في الفصل الأول الذى تحدث فيه السحرتى عن حقائق النقد ، من حيث وقف الفصل الرابع على سمات الناقد وميزاته .

ويعيب الغنىمى الشواهد المتعددة في الكتاب للفكرة الواحدة ؛ ومع أن هذه الشواهد ميزة واضحة للكتاب ، فإن كل

٣ - هذه هي أصول نظريات السحرتى النقدية . ومنهجه في النقد في كتابه الذى قدمه إلى القراء في تواضع شديد ، وحياء جم ، والذى تناول فيه بالنقد والتطبيق ، أعمال أكثر من أربعين شاعراً معاصراً . . ويمتاز السحرتى بالإحاطة بآثار الشعر المعاصر العربى ، وبرهافة ذوقه ودقة تطبيقه للشعر على المناهج النقدية ، وتشير آراؤه في النقد تقدير الأدباء والنقاد والمستشرقين لنزاهته وحبه للإنصاف . ولكن كاتباً عرض للكتاب ، وللأسف لم يحاول إنصافه ، وهو غنىمى هلال ، فنقده مدفوعاً بروح الكراهية والتعصب ، لا لشيء إلا لأن السحرتى نقد غنىمى هلال في كتابه « المدخل » ، فذكر في « النقد الأدبى من خلال تجاربى » بعض آرائه وخطأها<sup>(١)</sup> ، ولتناقش آراء الغنىمى في الكتاب :

١ - يقول غنىمى: « إن هذا الكتاب دون مستوى لإنتاج المؤلف في تأليفه السابقة الغزيرة » . ولماذا ؟ لأن هذا الكتاب هو خلاصة آراء المؤلف في كتبه السابقة : الشعر المعاصر - شعراء مجددون - شعر اليوم الفن الأدبى - أدب الطبيعة . وفي محاضراته وكتاباته وتجاربته النقدية !!

(١) راجع ص ٨٧ ، ٩٠ « النقد الأدبى » ، ومن أجل ذلك كان نقد الغنىمى للكتاب « راجع المجلة عدد أكتوبر ١٩٦٢ » .

على قصائد عدة . . أما أن السحرتى ذكر أحكاما عامة دون تعليل ، فهذا ما تنفيه دراسات الكتاب ، فإما من حكم إلا علة له ، إلا ما كان مرجعه إلى الذوق ، فإن أحكام الذوق تنطوى بنفسها على التعليل .

٨ — ويعيب عليه أنه ذكر قسمين من مذاهب النقد ، وهما المذهب اللغوى والمذهب الفنى . . وماذا ينكر غنيمى من ذلك ؟ هل أتى برأى ناقد من النقاد يؤيده فى ذلك ؟ ويغالط غنيمى هنا مغالطة أخرى فيذكر أن الواقعيين جميعا يعنون بالتعبير اللغوى والبلاغى .

جميل جدا ذلك ، إن الواقعيين ياسيدى إذا نقدوا الشعر من حيث المضمون كان تقدم وفق المذهب الواقعى فى النقد وإذا نقدوه من حيث اللغة أو البلاغة كان تقدم وفق المذهب اللغوى ، فالجوابان مختلفان تماما .

٩ — ويقول : إن المؤلف كرر نفس الفكرة الإجمالية المقتضية حين قسم المذاهب الفلسفية ، ومع أنه ليس هناك تكرير لإطلاقا ، فإن كلام السحرتى الموجز فى عرضه للفلسفة وصلاتها بالنقد كان وافيا بمحاجات البحث كل الإيفاء .

١٠ — ويقول : كان الأولى أن يعتمد فى عزل الشعر عن الدين والخلق على الجرجاني

شاهد إنما جىء به لغرض خاص ولفائدة معينة .

٦ — ونقد غنيمى قول السحرتى عن التجربة الشعرية : « ومقياسها الفن العام إنها هى التوفيق فى أداء التجربة صادقة حية قوية » . وهذا تحريف للنص وصحته كما جاء فى الكتاب : « تحدثنا عن المقياس الفنى العام للحكم على القصيدة ، وهو التوفيق فى تأدية التجربة تأدية حية صادقة » . ويقول غنيمى : إن هذا المقياس عام لا يشرح شيئا . . لا ياسيدى ، لعلك لو قرأت التطبيق الشعرى الذى أتى به المؤلف إثر ذلك لعرفت أنه شرح كل شيء ، مع أنه أوضح التجربة أيضا فى صفحتى ١٤٦ و ١٤٧ من الكتاب .

٧ — ويعيب عليه أنه ذكر أربع قصائد فى كلامه على التجربة مع أحكام عامة لا تفننا على معنى التجربة وعقب عليها تعقيبا موجزا ، وأنه قال عن قصيدة منها إن معناها مبتسك لم يسبق لإليه شاعر عربى أو غربى . . أما ذكر أربع قصائد لأربع تجارب شعرية مختلفة فلا عيب فيه ، وأما القول عن قصيدة إن معناها مبتسك فما وجه الطعن عليه ، ولم يتقص الكاتب الحكم بدليل . . وأما التعليق على القصائد بإيجاز شديد فإن من الإنصاف أن نذكر أنه جاء بعد التعليق على كل قصيدة على أنه ليس هناك هيب فى تعليق موجز

دليل لم يقرأ الكتاب . ولماذا الرجوع إلى كروتشه ، وقد سبق الثعالبي في كتابه « خاص الخاص » ، إلى كل ذلك ؟ إن الأمر كما يقول العقاد : إن هؤلاء الدكاترة بدأوا كتاباتهم النقدية بتريديد شعارات وآراء مستوردة ، ثم انتهت الأمر إلى ما نرى ، حتى المذاهب الأدبية التي لا تكلفهم أكثر من نقلها من لغتها إلى لغتنا يتخطون في غرضها ولا يحسنونه لقد بدأوا تدفعهم حماسة الارتجال ، ثم تخلفوا لأنهم تنقصهم الأصالة والصدق والابتكار ، وأخيراً توقفوا وكان لا بد لهم من هذه النهاية <sup>(١)</sup> .

١٣ - ويعيب غنيمي ملحمة « عنوان النشيد » ، للشاعر الكبير محمود أبو الوفا بزعم أنها ليست شعراً ، بل نظم . . وهذا حكم من أحكام ذوق غنيم وحده ، والحمد لله على أنه لا يشاركه في ذلك ذوق آخر . والتغنى بالقيم النبيلة ليس معياراً فنياً في مذهب الواقعيين عند السحرقى كما يقول غنيمي ، لأن السحرقى لم ترد كلمة الواقعيين في كلامه <sup>(٢)</sup> ، وإنما تبرع بها الكاتب من عند نفسه ، والسحرقى لم يقل أكثر من أن الذين يعتنقون الفلسفة الإنسانية يركزون اهتمامهم على مواقف الإنسان وتجاربهم <sup>(٣)</sup> .

في الوساطة لا على قدامة ، لأن كلام قدامة في قضية صدق الشاعر ومناقضته لنفسه . . ومع أن كلام قدامة ليس في القضية التي أشار إليها الكاتب ، لأنه يقول : يباح للشاعر أن يتناول المعاني الحميدة والذميمة على السواء فإنه لا عيب على المؤلف في استشهاده بالاثنتين معا .

١١ - ويرى السحرقى أنه يجب أن يكون للشاعر خط فكري واحد لا يحميد عنه فينقد ذلك غنيمي بدعوى أنه يتناقض مع إعجابه بالنظرة الجمالية المحضة وأن تحميمه على الشاعر أن يختار إما الناحية الاجتماعية أو الذاتية لا مبرر له . . وحديث التناقض عجيب ، وأعجب منه أن تقول إن السحرقى معجب بالنظرة الجمالية المحضة ، إذ أن أساس منهجه النظر إلى القيمة الجمالية والقيمة الواقعية معاً ؛ والسحرقى لم يقل للشاعر : اختر إحدى الناحيتين كما يزعم الكاتب ، ولكنه قال : إذا كان لك اتجاه معين إلى إحدى النواحي فانظر فيها ولا تظهر زيف مشاركتك بالنظم في ناحية مناقضة لها .

١٢ - ويشك غنيمي في أن يكون السحرقى قد قرأ كروتشه ورأيه في كتابه علم الجمال الذي ذكر فيه أن الأدب إنما يوجد في وصف النقائص والآمال الجائفة والسحرقى الذي قرأ كروتشه ورجع إليه وذكره في كتابه النقد الأدبي يصبح من غير

(١) للس. عدد ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٦٢

(٢) راجع ص ١١٢ النقد الأدبي .

(٣) ص ١٠٧ المراجع .

١٤ - ويعرض الكاتب لما ذكره السحرتى من نقد قصيدة لشاعر معاصر . مع أن السحرتى نقد عدة قصائد لهذا الشاعر ويذكر الكاتب أن السام معنى إيجابى ، ولا أدرى كيف جعله إيجابيا ، ثم كيف فهم أن السحرتى جحد شاعرية القصيدة مع أنه لم يصرح بحكم فنى عليها ، ومعيار السحرتى فى تقويمها أنها تخالف اتجاهه الواقعى لأنها تدعو إلى السأم والملل ، وقد قال السحرتى : إن المضمون الذى ينبثق منها لا يساير الاتجاه البناء ، فأخطأ الكاتب فى فهم ذلك وقال : إن المؤلف اعترف بأنها تشف عن المعنى البناء بالإيجاء لا بالتصريح ؛ وفاته أن يعرف الفرق بين « ينبثق منها » وتوحى : والسحرتى لم يعترف بأنها تشف عن المعنى البناء ، ولو قال الكاتب « لغير البناء » لأصاب .

١٥ - ويذكر السحرتى أن ثقافة الجاحظ عن الحيوان أفادته حين قرأ كتابه « الحيوان » . فيقول غنيمى : إن نفس الكتاب يحفل بآراء عميقة فى النقد . وكأنه ينبنى أن تكون هذه الآراء مما قرأها السحرتى وأفاد منها .

والعجب أن السحرتى سكنت عن آراء « الحيوان » النقدية ، والمسكوت عنه لا يحكم عليه بنفى ولا إثبات ، وإثباته يحى من قرائن أخرى ، ولكن الكاتب يحكم عليه بالنفى قطعا لأن له منطقه .

١٦ - وحين أعجب السحرتى برأى لصاحب كتاب « سر للفصاحة » فى الاعتداد بالحروف ونحارجها فى بلاغة الكلام يقول غنيمى : لم يفد السحرتى من الكتاب غير ذلك . تعسف مابعده من تعسف فى المنطق . إذ يحكم على المسكوت عنه بحكم لا يحتمله منطق الكلام .

ويذكر السحرتى رأيا للعسكرى حول اللفظ والمعنى ، فيقول الكاتب : إن أبا هلال ردد رأى من قبله . وماذا فى هذا مادام أبو هلال قد آمن بهذا الرأى .

ويجعل السحرتى للنقاد العرب فضل الاهتمام إلى الموحدة الفنية فى العمل الأدبى ، ولعبد القاهر فضل فهم التجربة الشعرية فيكون ذلك خطأ عند غنيمى . وإذا أعجب برأى لعبد القاهر فى بلاغة التشبيه فى الحركات كان ذلك عند الكاتب هو حصيلة قراءته فى عبد القاهر .

وبعد فلا داعى لمناقشة هذه الآراء التى لا تحفل بغير الانفعال والتحامل والعصية : وحسب السحرتى فى نظر المنصفين من النقاد أن يتوج جهاده الأدبى والنقدى بكتاب مثل « النقد الأدبى من خلال تجاربى » الذى يستحق كل تقدير وإتصاف ؟

محمد عبد المنعم مفاهى

# علم من أعلام الأدب العربي : أبو بكر الخوارزمي للأستاذ عباس طه

- ٢ -

ليكون من بين رواده والناهلين من عذب فراته ، وكان بديع الزمان يمثل الثقافة الفارسية كما كان الخوارزمي يمثل الثقافة العربية - فالخلاف الذي نجم بينهما كان خلافا بين ثقافتين ثقافة الفرس التي يتعصب لها البديع وثقافة العرب التي يتعصب لها الخوارزمي بل خلافا بين سياستين سياسة العرب وسياسة الفرس التي أخذت مظاهر عدة ولا بأس أن نورد هنا لمعاً يفيد منها القارئ الحصيف عن مصدر هذا الخلاف وممكن دائه .

١ - كان هناك صراع عنيف بين العرب والفرس ، وكان هذا الصراع قبل الإسلام لأن الفرس والروم كانتا تتنازعا الاستيلاء على أطراف البلاد العربية فقد كانت الحيرة تدين لفراس وسوريا تدين للروم والأحباش حلفاء الروم لهم نفوذ على اليمن .

٢ - حدثت حروب عديدة طاحنة بسبب هذا التنافس في الجزيرة العربية بين أشياع هذه الدول في الجاهلية ثم ظهرت حركات تحررية في الجاهلية أيضا أظهرها وأبرزها

سبق بنا أن كشفنا لقراء هذه المجلة في عهدها الزاهر وعصرها الفريد الفاخر عن حقيقة متغلغلة في التاريخ ضاربة في بطونه وزواياه وفي شرايينه وخباياه تلك هي سيرة ونشأة العلامة الكبير والأديب الخطير من علق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه بأبواب السماء الشاعر الذي لا يحاول ولا يطاول والنائر الذي لا يجارى ولا يبارى هو صاحب الترجمة كان الخوارزمي ولعاً بمناصرة العرب وزعمائهم وكان قريبا من قلوب الأمراء والوزراء حتى ملأ ذكره الأسماع وعم صيته البقاع فكثرت حساده شأن العظيم في ناحية من نواحي الحياة إذا عظم شأنه ونبه ذكره تألب عليه منافسوه وتجههم قرناؤه ومعاصره

حدث أن بديع الزمان الهمداني حين قرعت أسماعه أبناء الخوارزمي ونباهة ذكره وعلو شأنه بين معاصريه في الشعر والنثر وروائع الأمثال وبوالغ الحكم ونوايغ الخصال رحل إلى نيسابور ونزل وشيكا على الخوارزمي

٥ - ظهر الفرس بفكرة جديدة في تاريخ الحكم العربي تلك هي الشعوبية ، ثم نادوا بهذه الدعوة لإظهار أن الفرس أفضل من العرب سواء من ناحية العلم أم من ناحية القيادة ، وظهرت الشعوبية بمظاهر عدة من أبرزها الدعوة الإلحادية ومن زعمائها المقنع الخراساني ثم الدعوة السياسية ومن زعمائها البويهيون وآل سلجوق والديلم ثم نزعة لغوية لمحاربة اللغة العربية واستعادة اللغة الفارسية وقد نجحوا في هذا أخيراً إلى حد ما .

فكل من يرجع إلى الماضي يجد في أبرز صفحاته هذا الخلاف بين البديع الذي كان يشايح الفرس وبين الخوارزمي الذي كان يشايح العرب مع فارق بعيد الغور بين الرجلين .

وقد وقعت مناظرة بين البديع وبين الخوارزمي أو إن شئت فهي المؤامرة التي دبرها أشياع البديع من الفرس وحاكوا خيوطها ثم أعداء الخوارزمي من منافسيه وجاحدى فضله فحشدوا لها الحشود وجعوا من أجلها الجوع بعد أن وضعوا لها الأسس والقواعد من خلف ظهر الخوارزمي ثم مشى سفراء السوء بينهما بالوقعة حتى حملوا صاحب الترجمة على قبول هذه المناظرة أو المؤامرة ف وقعت على استعداد من البديع وترب منه لها وعلى غفلة عنها من الخوارزمي

الحركة التي كان يقودها هاني بن مسعود وهزم فيها الفرس في - يوم ذي قار - فلما قام الإسلام استولى على بلاد فارس بأكملها وعلى الأجزاء المهمة من إمبراطورية الروم البيزنطية الشرقية وكان العرب ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة استعلاء وتكبر كما ينظر السكسون إلى غيرهم من الشعوب فكانوا يسمون الأمم الأخرى بالأعاجم (معنى الحيوان الأعجم الذي لا يبين) ، ومع أن الإسلام قد سوى بين الأجناس والألوان وأخى بين الشعوب والمذاهب والنزعات إلا أن الحكم الأموي كان متشبعاً للعرب وبأن أن يعهد بأية ولاية للأعاجم فأنحاز الفرس إلى الشيعة لمقاومة النفوذ الأموي وحكمه ثم انضموا إلى العباسيين وأقاموا دولتهم على أنقاض بني أمية بقيادة أبي مسلم الخراساني .

٣ - احتضن العباسيون الفرس لأنهم أسس الدولة ولما رأوا أن نفوذهم بدأ يمتد فوق نفوذهم ويعلو ناجزهم ثم نكبهم فبطش أبو جعفر المنصور بأبي مسلم الخراساني ونكل الرشيد بالبرامكة وروى أن المأمون كان سبياً في اغتيال الفضل بن سهل .

٤ - الخلاف بين الأمين والمأمون فالأمين أمه هاشمية والمأمون أمه فارسية فانضم الفرس إلى المأمون ونصروه على الأمين وشوهوا سمعته .



رسالة بديع الزمان الهمداني إلى أستاذه

أبي بكر الخوارزمي

الأستاذ أبو بكر - والله يطيل بقاءه !  
أزرى بضيفه (١) أن وجده يضرب إليه  
أباط القلة في أطمار الغربة ، فأعمل في رتبته  
أنواع المصادفة ، وفي الاهتزاز له أنواع  
المضايقة من إيماء بنصف الطرف وإشارة  
بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ،  
ومضغ الكلام ، وتكلف لرد السلام ، ولقد  
قبلت توجيهه صعراً ، واحتملته وزراً ،  
واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله  
عذراً ، فإن المرم بالمال وثياب الجلال ،  
ولست على هذه الحال وفي هذه الأسمال  
أتقرر خف النعال . فلو صدقته العتاب ،  
وناقشته الحساب ، لقلت بوادينا غاية صباح ،  
وراعية رواح ، وناس يحرون المطارف  
ولا ينعون المعارف .

وفيهم مقامات حسان وجوهم

وأندية ينتابها القول والفعل  
ولو طوحت بأبي بكر أيده الله طوامح  
الغربة لوجد مغنى البشر قريباً ومحط الرحل  
رحيباً ووجه المضيف خصيباً .

فأجاب الأستاذ الكبير الخوارزمي على رسالة  
تليذه بديع برسالته التالية .

(١) رحل البديع إلى الخوارزمي في أسمال بالية

تبدو عليه المصكمة .

وإذ ذاك أشاعت ألسنة الإفك والبهتان  
مليئة بالحق والسخائم واللد بتفوق البديع  
على أستاذه الخوارزمي .

فليس عجيباً أن يقضى الخوارزمي بعد عام  
واحد متأثراً بنكران الجميل وجحود الفضل  
وتجاهل النبل من أعدائه والمتربصين أولئك  
الذين نهلوا من معين عرفانه وفيض أدبه  
ومعارفه والذين كانوا يجلسون القرفصاء  
في حضرته ويحبسون أنفاسهم خجلاً  
من هيئته .

ونظرة فاحصة من القارئ الحصيف  
إلى رسالة البديع ورد أبي بكر عليه في رسالته  
البلقاء تكشف عن مدى الغلظة والتحدى  
للذين وردا في رسالة الهمداني إلى أستاذه  
الخوارزمي وعن مدى الملاينة والترفع  
عن اللدد والإسفاف اللذين وردا في رسالة  
الخوارزمي رداً على رسالة تليذه وصنيعته  
بديع الزمان الهمداني .

ومن نافلة القول أن الرسالتين المتبادلتين  
بينهما كاتتا فاتحة الخصومة والشرارة الأولى  
التي أوسعت رقعتها وشيدت قواعدها وأرستها  
على أسس من اللدد كانت غاية في التحدى  
والحرج ولا بأس أن نضع بين رأى القارئ  
الحصيف صورتين بارزتين للرسالتين  
المتبادلتين بين البديع وأستاذه الخوارزمي .

## رسالة أبي بكر الخوارزمي إلى بديع الزمان

«وصلت رقتك ، وعرفت من خشن خطابه ومؤلم عتابه فصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من مسه عسر ، وبنا به دهر ، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه ومظنة مشككي ما في نفسه . أما مشكاه من مضايقي لياه في القيام فقد وفيت حقه سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت إليه ، ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوي أدام الله عزه وما كنت لأرفع أحداً على من جده الرسول ، وأمه البتول ، وشاهداه التوراة والإنجيل ، وناصره التأويل والتزويل ، والبشير به جبرائيل وميكائيل . فأما القول الذي صور سيدي عنهم ، فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقه وكال تفصيل وجملة ولقد جاورتهم فأحدث المراد ونلت ما يراد .

فإن كنت قد فارقت نجدا وأهله

فما عهد نجد عندنا بزميم والله يعلم نيتي للإخوان كافة ، ولسيدي من بينهم خاصة ، فإن أعانني الدهر على ما في نفسي بلغت إليه ما في الفكرة ، وجاوزت مسافة القدرة ، وإن قطع على طريق عسرتي بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عنائي طريق الاختيار بيد الاضطرار .

## فما النفس إلا نطفة بقرارة

إذا لم تكدر كان صفوا معينا  
وبعد فهذا عتاب سيدي إذا استوجبنا  
عتبا واقرفنا ذنباً ، فأما أن يسلفنا العريضة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ، ولست أسومه أن يقول استغفر لنا إنا كنا خاطئين ، ولكني أسأله أن يقول لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .

## الصفات الخلقية لأبي بكر الخوارزمي

كان الخوارزمي رجلاً حديد الذكاء ، محضور الروية ، موفور البديهة ، ينأى بجانبه عن الإسفاف ولغو الحديث ، فهو يختار العفاف ويعاف الإسفاف ، وقد يدع الطعام طاوياً ويزر الشراب صادياً إن بدا له أن في ذلك دفعا لثائنة أو بعداً عن لائمة ، فقد أبى أن يتجر بشعره أو نثره شأن الكتاب والشعراء في عصره أمثال المتنبي والبديع وأبي فراس حيث كانت له مدرسة يلقن فيها أبناء المياسير روائع الحكم وبوالغ المواعظ ويتقاضى منهم على ذلك أجراً ، وكذلك الأديب الرفيع لا يتجر بلسانه ولا يقامر ببيانه بل يضع نفسه مواضع الجوزاء من أديم الغبراء حتى يخطبه أهل العلياء وطلاب المجد والثناء .

الذكر في بابها ومنحها والتي يقول فيها  
بجالد خصوم الشيعة ومناجزا لهم ، فإن  
أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن  
رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ،  
وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آلة ،  
ولكل مقامة مقالة ، فعند المحن الصبر والأجر ،  
وعند النعم الذكر والشكر .  
مؤلفاته

١ - رسائله إلى أبنائه وأصدقائه والناهليين  
من ذخائره .

٢ - مفيد العلوم ومبهد الهرم وهو يشتمل  
على قواعد الشرع وقانون الممالك ونصرة  
المذهب ورد الخصم وتذكرة الآخرة وقاعدة  
العدل إلى غير ذلك .  
٣ - كشف الظنون .

#### وفاته

ورد في قيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي  
أن قضاء الله تعالى نفذ في أبي بكر  
محمد بن العباس الخوارزمي في شوال  
سنة ٣٨٣ هـ .

عباس ط

ولم يكن عريداً كبعض الشعراء الذين  
اشتهروا في عصره بمعاقرة الطلي والوقوف  
على أبواب الأمراء والعذراء وذوى الكلمة  
النافذة والمجد الأشم بل كان رجلاً مؤمناً بالله  
صبوراً على النوائب إذا غالته ، راضياً  
بالقضاء والقدر وأحداث الدهر إذا فابتته .  
وكان رجل جلال ونضال إذا حزبه  
الخطوب ونزلت بساحته فوادح السكروب ،  
ولم يكن شيعي المذهب بل كان مدافعاً عنهم  
يوم رأى أن خصوم الشيعة قد علا نجمهم  
وطار في الأنام صيتهم حيث كانوا من ذوى  
اليسار استطاعوا بالمال أن يكونوا له عصبه  
من الخوارج الذين خرجوا على على  
ابن أبي طالب وسفهاوا أحلامه وهجنوا  
رأيه وبسطوا فيه ألسنتهم بالمنديات  
من بنى القول وهجين الحديث .

من أجل ذلك بسط الخوارزمي لسانه  
في طائفة منهم ببعض الهنوات والعورات  
كان أخفها لذعاً في عقولهم أنهم انحدروا  
من نطف السكارى إلى أرحام القيسان .  
فرسالة صاحب الترجمة إلى الشيعة في نيسابور  
تبدو لمن يجيل النظر فيها رقيقة القدر جليلة

# مَائِقَاتُ الْعَنْزَالِ سَلَامَةً

تأثير الديانة الإسلامية في العبادة اليهودية

” نأليف فضالي فيدر “

للاستاذ عباس محمود العقاد

من أعلامها البارزين أو أقوال مفكر واحد من أئمة الفسك بين أبنائها المجتهدين ، وربما كان المفكر الديني الذي ينهج في النسك منهجاً لم يسبقه إليه أحد من أبناء ملته أعظم استقلالاً بالرأى عن يبتدع ذلك المنهج لنفسه من غير سابقه ، لأن التغلب على العصية المذهبية والتحيز القوي أحوج إلى الاستقلال من ابتداع رأى لا مقاومة فيه ولا حاجة به إلى التغلب على معارضة أو منكره .

وقد أراد مؤلف هذا الكتاب - عن تأثير الإسلام في اليهودية أن يتبع أثر التصوف الإسلامي في اليهودية فاختار لذلك سيرة متقدمة من سير الأئمة الصوفيين الذين لم يسبقوا إلى منهجهم بين أبناء عقيدتهم ، والذين عرفت لهم صلة بالثقافة الإسلامية وأثرت عنهم أقوال منقولة عن العربية ولم تكن لها سابقة في اللغة العبرية ، وقد بدأ المؤلف كتابه ببيان الآداب الإسلامية التي دعا إليها الإمام اليهودي الحكيم موسى بن ميمون ثم لخص الشعائر التي قررها ابنه

الآداب الصوفية في الأغلب الأعم آداب فردية يستقل فيها كل عابد متصوف بطريقته في السلوك الديني أو الديوى كاستقلاله فيها بما يؤثره من نوافل العبادة وتفسيرات النصوص والمعتقدات التي يجوز فيها الاجتهاد بالرأى لأهل الاجتهاد ، فإذا وجدت الجماعات الصوفية فإنما توجد من قبيل الأخوة التي تقتضى إلى أب روحى واحد ويشترك فيها التابعون جميعاً في اتباع الشيخ والاعتداء بمسلكه ومنهج تفكيره وتفسيره : وهو على جميع حالاته منهج اختصاص يستقل به فرد متبوع أو طائفة تابعة ولم يعهد فيه من قبل ، ولا ننتظر أن يعهد فيه من بعد ، أن يكون منهج عموم يشيع بين جميع الناس شيوع الإيمان بالعقائد والفرائض التي لاجل فيها للاجتهاد بالرأى والاستقلال بالعادة

فإذا أراد المؤرخ أن يبحث عن سريان التصوف من اتباع ديانة إلى اتباع ديانة أخرى فإنما سبيله في هذا البحث أن يتعرف الصوفية المنتقلة من نحلة إلى نحلة في سيرة علم واحد

منه أن أناسا من أبناء الطريق الإسرائيليين كانوا يلبسون الصوف ويعكفون على الصوامع ويتسمون بالفقراء ؛ لأن السكاتب يفرق بين المتصوف الحق وبين المتصوفين الأدعياء فيقول إن التصوف لا يكون بلبس الصوف ولا بملازمة الصوامع ولا باتخاذ أزياء الفقراء ولكنه طهارة وزهد وإخبات إلى الله .

وينتهى المؤلف من تلخيص هذه التعريفات إلى قوله : « في الختام يتضح التأثير الصوفي أيضا في تنويه الميموني بالبسكاء التعبدى ، فإن غزارة الدموع علامة يتميز بها الصوفي العظيم . وقد سعى الزهاد الأوائل في الإسلام بالبكائين ، وإن البكاء كما قال الميموني هو غاية في التهيؤ للصلاة ، وبفضله تلقى صلاة المصلى قبولا حسنا كما قيل لحزقيال : قد سمعت صلاتك . قد رأيت دموعك ، .

ولولا الثورة الصاخبة التي أثارها شيعة الجود على هذا التجديد « الأجنبي » كما وصفوه لتعذرت الشواهد التاريخية التي يستدل بها على انتفاع اليهود بالقودة الإسلامية في كل إصلاح من هذا القبيل أدخله حكاؤهم على آداب الدين وشعائر العبادة عند القوم ، ولكان من الممكن أن يقال إن الأمة اليهودية أخذت بهذا الإصلاح على سنة الأنبياء الأولين ممن جاءوا في رواية العهد القديم وفي رواية التلمود ببعض الوصايا التي أحيتها

لإبراهيم من بعده في الوضوء وفي الصلاة الجامعة وهي السجود والركوع واستقبال القبلة والاصطفاف وبسط اليدين ، وانتقل من الشعائر البدنية ، إلى الشعائر الصوفية الروحية فكانت خلاصة بحته فيها « أن النفس الشريفة نتاج مدرسة إبراهيم الميموني وزميله الحبر إبراهيم الحسيد ، وجذوره مستمدة من البيئة الإسلامية ومتأثرة بالمتصوفة المسلمين ، .

وتسأل : من هو الحبر إبراهيم الحسيد ؟ فقال إن كتاب كفاية العابدين لإبراهيم الميموني هو مصدر الأخبار التي نعرفها عن ذلك الناسك الذي يكتنف الغموض سيرته والذي يقول عنه الميموني إنه أخوه في سبيل الله ، وما يلفت النظر في هذا التعريف كثير من العبارات التي نقلت عن المسلمين وهي الإخوة في سبيل الله وتسمية الله برب العالمين وتسمية المسالك الصوفية بالحالات والمقامات والاعتداء بالإمام الغزالي في تعريف المتصوفة كما عرفهم في كتابه المنقذ من الضلال بأنهم هم الذين يسرون في طريق الله ، وإشارة الميموني إلى الحسيد حيث يقول : « سيدنا وحبرنا إبراهيم الحسيد بن أبي الربيع كرم الله وجهه ، وأشبه ذلك من الصيغ التي اقتبسها الحكيم اليهودي من أقوال المسلمين . ويتخلل وصف الإمام الحق كلام يؤخذ

ما يوجب المنع رددنا عليه بأن النصارى أيضا يستقبلون جهة أورشليم فى صلاتهم فليس من أجل هذا يحرم علينا استقبال جهة القدس فى صلاتنا ... وهو — رأى الخبر الميمون — يوجه هذا الرد إلى معارضيه من الأحبار المقيمين فى أقطار النصارى ، وهو نفسه الحكم فيما يختص بمحاكاة القرائين ، فإن اتباع خطاهم لا يجوز ، ولكن فى البدع الحديثة لا فى الأمور التى لها أصولها وجذورها فى شريعة إسرائيل .

ولم ينفرد الأحبار المقيمون فى الأقطار المسيحية بمعارضة هذا الإصلاح بل كان له معارضون مقشدون بين كبار أحبار المشرق ومنهم هوديا الناسى من آل الناس بدمشق وهو الخبر الذى كان الميمونى يرد عليه حيث قال : « لست أخشى هذه الأباطيل ، فإذا يمكن أن يقال عنى ؟ هل أفرطت فى إخافة الجمهور من سلطان أحد غير الله ؟ هل جرت فى الحكم ؟ هل قبلت الرشوة ؟ هل ابتغيت الربح ؟ هل أقسمت باطلا ؟ إنهم لا يستطيعون أن يقرفونى بشئ من هذه التهم ، اللهم إلا أننى مثار على عبادة رب إسرائيل تبارك اسمه بكل قلبى وروحى ، وإننى أطيل الركوع والسجود ، وبمثل هذا يتحدثون عنى ، ولا أخفيه . » على أن دعوة الحكيم الميمونى لم تلبث أن شاعت بين الطوائف اليهودية بالشرق والمغرب

الديانة الإسلامية ، ولكن هذا الإصلاح لم يمح بسلام بين القوم فى حينه ، ولم يلبث أكثرهم ومعهم أناس من قاداتهم أن قابضوه بالإنكار الشديد مقابلتهم للبدع الدخيلة التى تفسد العقيدة وتبدل السنن وتخالف أمر الإله الذى نهاهم عن التعود بعادات الأمم كما جاء فى التوراة .

وكان المصلحون منهم يوافقونهم على تحريم التعود بعادات الأمم وإنكار البدع التى يدخلها المقلدون للشعوب الأخرى على جوهر الدين ، ولكنهم يقولون إن عادات المسلمين هى عادات الشريعة الموسوية فى لبابها وإن بنى إسرائيل هم الذين خالفوا تلك الشريعة الموسوية وهجروها ، ولا يعقل أن تنهى التوراة عن إعادة الأمة الإسرائيلية إلى سنن أنبيائها لمجرد ظهور هذه السنن فى أمم أخرى تدعى من أوامر الإله ما لم تتبعه أمة التوراة ، ويقول المؤلف نقلا عن الحكيم الميمونى : « إن خبرنا يرفض البتة ادعاء محاكاة الأمم أو القرائين ، لأنه لا وجه لتحريم العادات الإسرائيلية القديمة التى اختفت من اليهودية أثناء النفي ... وإذا شئنا أن نحرم الأمور التى دانت بها الأمم الأخرى فإننا سنضطر إلى التخلي عن كثير من وصايا التوراة كالصلاة والزكاة اللتين أصبحتا من أركان الإسلام ... وإذا ادعى أحدهم أن فى هذا

أوردناه من تفنيد خرافة القائلين بأن الإسلام  
شعبة من اليهودية ، أو أن الإسلام مدين لها  
بشائره وأحكامه .

فالواقع أن اليهودية بعد الإسلام قد استفادت  
من آدابها وشعائرها كما استفادت في ثقافتها في  
علم من الأصول وفي نحو اللغة وعروضها  
وأوزان شعرها .

أما قبل الإسلام فصادر اليهودية في المسائل  
المنطق عليها هي مصادر الإسلام من الديانات  
التي سبقتها بين النهرين ومنها أخذ اليهود  
عقائدهم التي لم يعرفوها قبل منقاهم إلى العراق  
فإذا اختلفت اليهودية والإسلام فالفضل  
للإسلام في الارتقاء بالعقيدة الإلهية التي  
جعلها اليهود مشيخة قبيلة ، وفي عقيدة النبوة  
التي جعلوها ضرباً في التنجيم ، وفي المسؤولية  
الإنسانية التي جعلوها ضرباً في محاباة العصبية  
الجهلاء لغير سبب ولا فضيلة ؟

عباس محمود العقاد

حتى استجاب لها أناس من أحبار اليهودية  
في نبتها الأول وهو أرض فلسطين ، ومن  
حافظ على تقاليده الموروثة فإنما كان تأويله  
لذلك أنه يجري على سنة تغيير الروح وإبقاء  
الجسم ، ويقول المؤلف إنه إذا كان نساك  
فلسطين أنفسهم قد استمروا يستمسكون  
بصورة إكفاء الوجه التقليدي ، فإن أحبار  
فرنسا الذين أكبروا الحبر إبراهيم الميموني -  
وهم المقيمون في مدينة عكا قد اتبعوا نظامه ،  
وهو ما نفهمه من بضعة سطور بقيت لنا  
في إحدى صفحات كتاب الجنيزة جاء فيها أن  
المقيمين اليوم في عكا حفظهم الله وهم الحبر  
يوسف بن الحبر ستاتيا والحبر يهودا والحبر  
صمويل - هؤلاء يركعون ويسجدون على  
وجوههم وليس جانباً بل على ركبهم وجباههم  
على الأرض ... .

\*\*\*

وفيا أوردناه من هذا الكتاب كفاية لما

# مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَيْدِ وَالْحَدِيثِ

## مِنْ رَوَاغِ الشَّعْرِ الْإِسْلَامِيِّ

لِلْأَسَازِ الصَّادِي عَلَى شَعْلَانِ

عهدت المجلة إلى الأستاذ الصاوي شعلان أن يقدم إلى قرائها في كل عدد بعض روائع الشعر الإسلامي مترجماً إلى اللغة العربية والأستاذ يلم بمدة لغات منها الفارسية وهو من الأزهرين الذي عناهم أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله :  
واقة ما عذرى لعل كفيفهم يوماً يكون أباً العلماء البصرا

### المؤمن الحر في نظر إقبال

كن مخلصاً مثل الكريم نية ونملاً تسمع نداء لا تخف إنك أنت الأعلى

( إقبال )

المؤمن الحر هو الذي جرى فيض إيمانه من مورد ( لا تخف إنك أنت الأعلى ) .  
إننا حين نواجه المشكلات ، وقد انطوت منا الرءوس في الجيوب ، يقبل المؤمن الحر إلى الميدان ورأسه على كفه !  
لقد اشتعلت جذوة ضميره بنور لا إله إلا الله !  
وأمام عبودية الله القدير ، لن يقبل الخضوع لسلطان أو أمير ؛ ما أشبه المؤمن الحر بالإبل الصابرة ؛ التي تحمل الأثقال ، وتصبر على قطع المسافات بين الأغوار والأنجاد ؛ تأكل الشوك ؛ وتصبر على وهج الشمس ؛ وسهر الليالي !  
لقد أبت روح هذا الحر أن يغنيها الموت ؛ وإن تكبيره الحى فوق تعبير الحرف والصوت !  
إن الذي يحطم بقوة إيمانه أحجار الطريق ، كبقايا الزجاج ، خليق به أن يفرض على القياصرة الضريبة والخراج !!  
إن كان فيك حرارة مؤمن فهي قبس من جمره ؛ وإن جرى نهرك متدفقا فهو من فيض بحر ، إن جبايرة الملوكة في أقبية الحرير لتصفرو وجوههم رهبة من سهم ذلك العريان الفقير ! ...  
إن الدين لدى هذا المؤمن الحر بصيرة



ونظر، أما نحن في أمر الدين فازلنا ننشد  
الخبر! وبينما العميل يبيع المسجد، ويتملق  
المستعمر! نرى المؤمن الحر ثملاً بكأس  
التوحيد، والثقة والإيمان من معين المصطفى!!

\*\*\*

### المؤمن الحر

أقبل الحر على يوم الفدا  
ومضى يرمى على النجم الهدف!!  
فكان الوحي لقاء النداء  
من سماء الله أقدم لا تحف!!  
أشرق التوحيد نوراً في هدا  
وسرى التحرير منه في الضمير!!  
أترى من لم يخف غير الآله  
يرهب السلطان أو يخشى الأمير!!

روحه تكشف أسرار الخلود  
عن حياة مالها في الدهر موت!!  
يرسل التكبير من قلب الوجود  
لغة تغنيه عن حرف وصوت!!  
سل ملوك الأرض عن دنيا الغرور  
في الملامى خلف أستار التحرير!!  
زلزلتهم بين أبراج القصور  
ضربة من سهم عريان فقير!!  
ضرب البحر دكوسى، بعصاه  
ورمى الصخر خطاماً من زجاج!!

ذلك الأبواب في ثوب تقاه  
ألزم التيجان تقديم الحراج!!  
قد جرت أنهارنا من بحره  
وأضاءت نارنا من خمره!!  
بسمه الورد شذى من سحره

شعلة الجند سنا من فكره!!  
شأنا في الدين لا يعدو الخبر  
وهو في الدين شهود ونظر!!  
نحن عند الباب في ظل الشجر  
وهو في الدار وفي بجى الثمر!!  
لبنى الإفرنج في الدنيا عبيد  
في قيود من حرير أو جديد!!  
كم تغنى بسجاياء بايزيد،  
ذو رياء وهو للورد مريد!!

في حديث المصطفى شمس الهدى  
كل أرض مسجد للؤمنين!!  
كيف تنبى فوق أرض معبدا  
إن تركت الأرض للمستعمرين!!  
ليس حيا من يرى مستعبدا  
لسوى من في يديه رزقه!!  
سيد من ليس يرضى سيدياً  
ما خلا ربى فكل عبده!!  
في ضمير الحر تكبير الإله  
في جبين الحر تقدير الأمم!!

## إعانة الشتاء

الاستاذ العوضى الوكيل

يا أيها السارى على جموعه	من ذلك السارب تحت الظلام
كنى بكاء بالدموع السجام	يبعث عن مأوى له أو طعام
***	مهلهل الثوب هضم الحشا
الله في أم دهاها الشتاء	يكاد يبدو كومة من عظام
وحولها أطفالها في العراء	ويكتم الآلام في صدره
بكوا من القر ولكنا	آلام جوع قاتل أو سقام
هل يدفع القر مرير البكاء ؟	تذهب في الظلاء أماته
من كل طفل مثل وجه الضحي	مخنوقة تشبه همس الكلام
أحاله الفقر كوجه المساء	بنفحة البرد فلا ينثنى
إن ملكت يوما رداء مضت	رحمى له من ساهر لا ينام
تكسو بنيتها كلهم بالرداء	دوامة الإعصار ترى به
	حتى غداً مثل بقايا الحطام

بقية المنشور على الصفحة السابقة

يتحدى الموت في جلوته	موته أعلى مقامات الحياة
أو يتم فيها نصره	يرفع النصر لذكراء العلم
إن غرس الحق في نور القلوب	هو يوم السلم في نهضته
غير شأن الزرع في ماء وطن	يبعد الإصلاح يبنى عصره
فالتمس للجد أحرار الشعوب	ويندفع الخير في أمته
إنهم في الدهر أعلام اليقين	مثل ما ينشر روض عطره
الصاوي على سموره	وهو يوم الحرب في ساحته
	سيفه يحفر فيها قبره

جلست أسوان حليف الشجي  
ورحت تبكي دهرك القلب  
يا قسوة الأيام ، يا عنفها  
حين تصيب الواهن الأشياء  
يصطك فكاه وأوصاله  
حين يلاقى العاصف المرعبا  
كم يبتغي ثوباً يرد الأذى  
لا تخملا يبغي ولا مذهبا  
هل راحم شيبته عاطف  
يجبوه بالثوب ، وقل الحبا

\* \* \*

أخوك من بات على القارعة  
وأختك العريانة الجماعه  
والشارد الضارع بعض الحمى  
وبعضه الشاردة الضارعه  
أبوك هذا الشيخ ، ما أفلحت  
في رفع ما يكسى به الراقعه  
وهذه الأطفال ذخر الحمى  
لمقبل أيامه رائعه  
أحل عبوساً في محياهمو  
لبسمة آلقه ساطعه  
يا غارس الخير بأرض الحمى  
غداً ترى أزهاره يانعه

الموضى الوكيل

تقسه ما بينهم قسمة  
تعلل الباكي ببعض الرجاء  
والليل مقرر الدجى راجف  
يعصف حتى بالنجوم الوضاء  
أيتها الأم وأطفالها  
ما نسيتمكم رحمت السماء !  
\* \* \*

يا أيها السارى بأسماله  
يستقبل الليل بأهواله  
يهرأ جنبيه نسيم الصبا  
ويفعل القر بأوصاله  
واها له من شارد في الدجى  
قيده الفقر بأغلاله  
لم يلق ما يحميه من قره  
فراح ينغى كل آماله  
في نظرة غشى عليها البكا  
تشكو إلى الله بهطاله  
ودمعة منحدر فيضها  
على قيسر ضج من حاله  
أشهد لو قد رآه باخل  
لجاد عن طوع بأمواله

\* \* \*

يا شيخ ، قد ودعت عهد الصبا  
ما أنضر العهد ، وما أطيبا  
وصرت صفراً من صبا بانه  
فلم تك الآمال إلا هبا

# الكتاب

## الحسبة في الإسلام

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

تعليق على كتاب للأستاذ إبراهيم دسوقي الشهاوى

الذى يقوم بتدريس مختلف أبواب الفقه الإسلامى لطلاب كلية الشريعة ، وهو بحكم ثقافته ومنصبه متصل أتم الاتصال بمناهل الشريعة الإسلامية، خبير بمواردها ومصادرها يعرف إذا أراد أن يعرض موضوعا كيف يعرضه ، وقد سبق لى أن قرأت له كتاب «السرقة فى التشريع الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى» . وقد كان لهذا الكتاب أثره فى نفوس المهتمين بالدراسات الإسلامية ، المدافعين عن تشريعات الإسلام لنفى ما ألصق بها ظلما وزورا من اتهام بالقصور . وإن قوة تلك المبادئ وخلودها قد اضطرت كبار المشرعين الأوربيين فى عصرنا الحديث أن يعترفوا مرغحين فى المؤتمر الدولى للقانون المقارن الذى عقد لإحدى جلساته فى باريس عام ١٩٥١ — بأن مبادئ القانون الإسلامى ذات قيمة لا تقبل الجدل — وأن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام

١ - كنت أزور صديقى الأستاذ إبراهيم محمد الأصيل صباح يوم بإدارة مجلة الأزهر الشريف ، فلفت نظرى كتاب على مكتبه عنوانه . الحسبة فى الإسلام .

تناولت هذا الكتاب مبديا إعجابى بهذا الاتجاه السديد فى تغذية المكتبة الإسلامية بموضوعات تبرز ما فى تشريعات الإسلام من قوة وحيوية ، وتبين للناس عناية هذه الشريعة الغراء بصيانة حقوق الأفراد والجماعات ، وبالتقنين لقيام مجتمعات سليمة تسودها العدالة والطمأنينة . ثم أخذت أنظر فى صفحات الكتاب ، فقال صديقى إبراهيم أما وقد وافق هذا الموضوع ميولك ، فهل لك فى أن تقدمه بكلمة إلى المجلة ؟ . حاولت الاعتذار . . . غير أن جلستنا انتهت بأن أقدم الكتاب .

إن مثل هذا الكتاب يقدم نفسه بنفسه لطرافة موضوعه وأهميته ، ولمنزلة مؤلفه

والأحاديث الشريفة وما انعقد عليه إجماع الأمة . وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دعائم إصلاح المجتمع ، فوجب أن يكون القيام بهما محل اعتبار ، وألا يترك للظروف ، ومن هنا اعتبرت ولاية الحسبة ضمن ولايات القضاء في الإسلام . وتناول الفصل الثالث : «مراتب الحسبة» .

وفي هذا الفصل بين المؤلف أن الحسبة باعتبار المحاسب عليه - ثلاث مراتب ، لأن أصلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أمر شامل لا يقتصر توجيهه على فريق دون فريق أو فرد دون فرد ، بل إن التكليف به يقتضي - أولا - أن يدعوا المحتسبون سائر الأمم إلى الإسلام ويبينوا لهم ما فيه من مزايا ، ويرشدوهم إلى ما فيه الخير باعتبار أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عامة تشمل البشر جميعا . وقد أشار الأستاذ المؤلف إلى ما ينبغي أن يتصف به من يتصدى لدعوة الأجانب بخاصة . ويقتضي - ثانيا - تخصيص طوائف من علماء الأمة ، لنشر تعاليم الإسلام بين المسلمين وتذكيرهم بما أحل الله وما حرم ...

ويقتضي - ثالثا - أن يكون هناك وعي إسلامي عام بين الأفراد حتى يكون بعضهم رقبيا على بعض ، وينصح كل فرد من يعاشره من زملائه وأفراد أسرته وعشيرته وغيرهم

القانوني الكبير ، إنما يدل على ثروة من النظريات القانونية ، والفن البديع ، وأن كل هذا يمكن القانون الإسلامي من تلبية جميع حاجات العصر <sup>(١)</sup> .

والآن : نعرض فصول الكتاب :  
تضمن كتاب « الحسبة في الإسلام » عشرة فصول وخاتمة .

قدم الأستاذ المؤلف كتابه بافتتاحية قصيرة بين فيها هدفه من تأليف هذا الكتاب وقد تناول الفصل الأول : تعريف الحسبة . وقد أكتفى سيادته بتعريف الحسبة شرعا ، وأورد في هذا الفصل كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبينا آثار ذلك في وقاية الأفراد والجماعات من الشرور والآثام .

وربما كان الأفضل ألا يقتصر في التعريف - وهو أول ما يطالع مختلف طبقات القارئ - على المصطلح العلمي ، ويأخذوا لتوسع في شرح هذا التعريف في الطبقات التالية إن شاء الله .

وتناول الفصل الثاني : « حكم الحسبة » . وقد بين في هذا الفصل أن حكم الحسبة هو الوجوب بنص الآيات القرآنية

(١) راجع مجلة « المسلمون » العدد الأول

الفاسق . وقد رجح المؤلف هذا الرأي ، وأنا أوافقه أيضا ؛ لأن في قبول الحسبة من الفاسق اعترافا بأدميته ، ومعاونة له على إبراز ما قد يكون كامنا في نفسه من خلال حميدة ، وفي ذلك استعلاء بنفسه ، وحث له على أن يبتعد عن مواطن النقص ، وفوق ذلك فإن فيه ضمانا لرعاية المجتمع ، إذ لو حرمانا قبول حسبة هذا الفاسق لسببنا في تشجيع الجريمة ، إذ يرى من العبث تقويم ما رآه من منكر قد يكون هو بأباه .

وكذلك الخلاف في وجوب الإذن من ولي الأمر ، أو عدمه ، وقد خرج الأستاذ المؤلف بعد عرض الخلاف ومناقشته بأن الأصل العام في الحسبة هو عدم اشتراط الإذن ( وسيشير المؤلف في الفصل الخاص بولاية الحسبة إلى الفرق بين المحتسب المتطوع وفقا للأصل العام إذ لا يجب اشتراط الإذن والمحتسب المعين المأذون له ) .

وتناول الفصل الخامس « آداب المحتسب » . وقد شرح المؤلف ما ينبغى أن يتصف به المحتسب سواء أكان معينا أم متطوعا من صفات تجعل عمله مشرعا . وأهم ما في هذا الفصل أن وظيفة المحتسب تخلق منه شخصية قوية تجعله لا يخشى في الحق لومة لائم ، لا يبالي إن نصح كبيرا أو صغيرا ، ولا يخشى في الحق قويا أو عظيما أو غنيا أو فقيرا بل يسعى

من أفراد الأمة . حتى تعم الجميع رحمة الله ، ولا يكونوا مثل بنى إسرائيل إذ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

وقد فصل الأستاذ طبقات من يوجه إليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأسلوب الذي ينبغى أن يتخذه المحتسبون لإزاء كل طبقة ، مؤيدا شرحه من الآيات والأحاديث ، وقد أشار في هذا الفصل إلى نقطة هامة في وظيفة المحتسب ، وهي التدرج في الوعظ وتوجيه الإرشاد ، ومراعاة حال كل طبقة من المخاطبين .

وفي الفصل الرابع تناول : « شروط المحتسب » .

وهذا الفصل من الأهمية بمكان إذ كانت تقوم الشروط المطلوبة فيما مضى مقام المؤهل الدراسي في أيامنا هذه مع فارق الصفات الدينية والخلقية التي لم تعد بحمل اعتبار إلى جانب « الشهادة الدراسية » . وقد شرح المؤلف هذه الشروط وبين ما هو متفق عليه منها كالإيمان ، والتسكيف ، والمقدرة ، والعلم بأحكام الشرع فيما يقوم به ، ثم ما فيه خلاف بين الفقهاء كاشتراط العدالة في المحتسب على رأى فريق من العلماء وعدم اشتراطها عند فريق آخر منهم الإمام الغزالي إذ لا مانع عند هؤلاء من وجوب الحسبة على

والاختلاف ، وأهم ما في ذلك أنه يجوز للحتسب أن يباشر مهمته في إزالة المنكر وردع الظالم . . بنفسه ، ومن غير أن يرفع الأمر إليه ، وأن يظهر بما يرهب ويقوى سلطانه ، بخلاف القاضي .

ومهما قيل من أن ولاية الحسبة قد وزعت اختصاصاتها في أيامنا هذه على مصالح كثيرة كالبلدية وإدارة المرور ومراقبة الموازين وغيرها ، فإن شيئاً من ذلك لم يقيم بوظيفة المحتسب قياماً كاملاً ؛ لأن سلطة المحتسب تتعدى زملاءه ومرءوسيه وهامة الجماهير وأصحاب المصالح المخالفين إلى الرؤساء والمسؤولين - ثم إن أساس مهمته أن ينظر في كل ما هو مخل بأحكام الشرع من منكرات يأبأها الذوق السليم ، ويرى ما يرتكب من محرمات أو يؤدي إلى فساد . . فهل يوجد الآن مثلاً من يحكم على المناظر التي تعرضها دور الخيالة ، وفيها ما فيها من فسر الخلاعة التي كان يقاومها - باسم الشرع - المحتسبون فيما مضى ؟ إلى غير ذلك .

ثم تحدث الأستاذ الفاضل في الفصل السابع عن « نشأة الحسبة » .

وقد أوضح أنها نشأت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولاهما عليه الصلاة والسلام بنفسه ، ثم سار عليه خلفاؤه الراشدون ثم ولاية المسلمين من بعدهم ،

لإرضاء الله تعالى مهما لاقى من سخط الناس . وهذه هي الشخصية التي ينشدها الإسلام . وفي الفصل السادس تناول « الولايات في الإسلام » .

وهنا عرض المؤلف ثلاثاً من تلك الولايات هي : ولاية القضاء ، ولاية الحسبة ولاية المظالم وذلك لما بين هذه الولايات من أوجه الشبه أو الاختلاف .

ولقد برهن السيد المؤلف في هذا الفصل على دقة في التفصيل ، وأبرز مهمة وإلى الحسبة وخطورة منصبه ؛ وبين الفرق بين المحتسب المعين بأمر ولى الأمر وما يشترط فيه ، وضرورة الإذن له لمباشرة عمله باعتبار أن الحسبة قد صارت من ولايات الدولة العامة كولاية القضاء - وبين المحتسب المتطوع ، الذي يقوم بمهمة الإرشاد تطوعاً دون اشتراط إذن .

وأهم ما في سلطة المحتسب أنه يراعى تطبيق الأحكام الشرعية ويراقب ما هو حلال أو حرام ، وله حق غشيان مجالس الحكم ، ووعظ الحكم ، وتنبيه الرؤساء إلى ما قد يراه من أخطاء في تنفيذ أحكام الشرع إذ إن الرؤساء والحكام والقضاة من البشر ، وهم ليسوا معصومين .

ثم أخذ في الموازنة بين ولاية القاضي وولاية المحتسب وما بينهما من أوجه الاتفاق

وشرح الحكمة في ترك أنواع من العقوبات بغير حد مقدر تمثيلاً مع تطور الزمن ، واختلاف البيئات . ثم اذكر أنواع التعزير وهي : الهجر ، والتوبيخ ، والحبس <sup>(١)</sup> ، والنفي ، والضرب ، والقتل <sup>(٢)</sup> ، والغرامة المالية ، وقد ذكر أدلة كل نوع ، وأغراضه وكيفية .

وفي الفصل العاشر عقد المؤلف د مقارنة بين التعزير والحد ، أوضح فيها ما بينهما من فروق بتفصيل دقيق .

أما الخاتمة ، فقد اشتملت على ترجمة لاثنتين من كبار المحققين في الديار المصرية ، وهما : المقرئ والعيني .

\*\*\*

وبعد : فهذا هو عرض سريع لكتاب الحسبة في الإسلام ، وإن أهم ما يلفت نظر القارئ لكتاب ما إنما هو موضوعه ، ثم منهجه في البحث .

وموضوع كتابنا - كما رأينا - يتعلق

(١) ص ١٢٢ د واللاتي يأتيان للفاحشة من نساءكم .. الآية . قيل إن حكماً كان أول عهد الإسلام وأنها نذرت . ( راجع تفسير الكشاف والناسخ والمفوض لابن حزم ) .

(٢) لماذا لا تعتبر د أو فساداً في الأرض . « الواردة في آية المحاربة دليلاً على جواز القتل تعزيراً ؟ فقد رأيت لافؤاف يقتصر في جوازه على السنة والمفول .

وصارت من ولايات الدولة الرسمية في مختلف العصور .

وقد ذكر السيد المؤلف في الفصل الثامن عند ما يتحدث عن : نظام الحسبة في مصر وتطوره التاريخي . أن نظام الحسبة ظل سارياً في مصر إلى عام ١٨٠٥ م حين قام بولاية مصر محمد علي .

وفي هذا الفصل - الثامن - أوضح المؤلف ما كان للحتسب من منزلة في الديار المصرية ، وما كان يقوم به من رقابة عامة على الآداب الإسلامية ، ومراعاة تعاليم الإسلام .

وبمراجعة الأمثلة التي أوردها لأعمال المحتسب ، يشعر القارئ حقاً بفضل هذا النظام ، ويتمنى من صميم فؤاده لو يعود .

ولما كان لوالى الحسبة أن يعزر في المنكرات الظاهرة التي ليس فيها حدود مقدرة ، ولما كان التعزير هو د عقوبة غير مقدرة ، تجب حقاً لله تعالى أو لأدنى ، في كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة . فقد ناسب أن يكمل الأستاذ بحثه ، فجعل التاسع : في د التعزير .

وقد أورد المؤلف في هذا الفصل أدلة مشروعية التعزير من الكتاب <sup>(١)</sup> والسنة ،

(١) الآية الواردة بصفحة ١٢٥ سقط منها د أو كفارة طام مساكين فتكون د يحكم به ذوا عدل منكم ، هديا بالغ السكمة أو كفارة طام مساكين ، أو عدل ذلك صيما . « .



ينتشر بفضل دعوة الإمامين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ثم ظهور مجلة المنار وما تلاها فيما بعد مثل « الفتح » وغيرها . . . تذب الناس ، وأخذ بعض أفاضل العلماء فى إحياء بعض التراث الإسلامى .. وفى الأيام الأخيرة - بعد قيام الثورة ، وبعد جلاء الانجليز . . . اطمأنت النفوس وأقبل العلماء على التراث الإسلامى يبعثونه ويذيعونه ، وأخذت المكتبة الإسلامية تعمر بصورة من رجال الفقه الإسلامى فى مختلف أبوابه ، وفى فترة وجيزة ظهر الكثير من الكتب التى تحمل الطابع الإسلامى .

بقيت ناحية واحدة هامة ما يزال التأليف فيها قليلا ، هى أبواب المعاملات الإسلامية ونظم الحكم فى الإسلام .

وقد آن الأوان لأن تبرز هذه النواحي ، فإنها خير ما أخرج للناس من قوانين « تنق » بجميع الحاجات العصرية ، وتحمل بين طياتها بذور النماء والقوة والمقدرة على التطور .

وموضوع الحسبة كما رأينا من أهم تلك الموضوعات الجديدة بالدراسة والتطبيق العملى إذ لا يوجد فى وظائف الدولة ما يطابقها تمام المطابقة ، مع مسيس الحاجة إليها .

ومادة الموضوع مستوفاة سليمة مستقاة من أوثق المراجع لا غموض فيها .

أما منهج هذا الكتاب : فإنه يدل على صبر

بناحية هامة من النظم الإسلامية التى ظلت محجوبة فترة من الزمن طويلة ، فقد مر بنا أن نظام الحسبة ظل قائما بمصر إلى أول عهد ولاية محمد على ، أى أنه ألقى من أكثر من قرن ونصف قرن .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت تشريعات الإسلام بعامة تبتعد رويدا رويدا عن دور الحكم ، ثم كانت الطامة الكبرى عند ما رزئت بلادنا بالاحتلال الانجليزى إذ حاول الانجليز جاهدين أن يمسخوا كل ما هو إسلامى ، غير أنهم ارتدوا فى كل مساعيهم خائبين .

وخلال ذلك الزمن صار أكثر الناس لا يعرفون من الفقه الإسلامى إلا ما يتعلق بالعبادات التى يمارسونها من صلاة وصوم وحج ، وكأن تشريعات الإسلام لم تأت بغير هذه الأمور ؛ فبى إلتى يسمعون فى الدروس بالمساجد ، وهى التى يقرءون عنها إذا أرادوا التفقه فى الدين ، وقليلا ما كانوا يسمعون عن الجهاد فى الإسلام ، أو عن نظام المعاملات والقضاء عند علماء المسلمين ، وأوشكت المكتبة الإسلامية أن تخلو من كل ما يشير إلى أن فى الإسلام قوانين تستطيع أن تحكم ، وأنها خير من القوانين السارية .

ولكن بعد أن أخذ الوعى الإسلامى

عن دائرة الإسلام ، وبمزايعها العقيدية التي تفضح نفسها بنفسها .

وبعد أن يمد المؤلف لكتابه بتمهيد يقع في أكثر من عشرين صفحة ، أوضاع مظاهر الشرك في هذه النحلة ، وجنايات التصوف وعلم الكلام والمذهبية في قضيتها . بعد هذا التمهيد المسهب ، قسم دراسته إلى فصول ستة :

من السبئية إلى البابية : وهو الفصل الأول ، الذي حاول فيه أن يرد البهائية إلى السبئية التي تزعمها ( عبد الله بن سبأ ) الذي وضع الخطوط الأولى لفكرة الشيعة وحركتها ، والمؤلف يحاول بناجولة تاريخية ، يعرض المجتمع الإسلامي الأول سليم البناء قوى الأساس ، ثم كيف استطاعت الأحقاد تتآمر عليه ، وكيف أوجد كل من الشيعة والخوارج ، قننة الحسين ، أسطورة المهدي المنتظر ، الدولة العباسية ، البرامكة . .

وفي الفصل الثاني : « الباب والبابية » تناول نشأة الباب ( ميرزا علي محمد ) وحركته في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ، ادعائه المهدية ، شريعة حركته ، نهايته المؤسفة والأساطير التي ابتدعها الخيال حولها بعد أن خر صريع الرصاص ، وألقيت جثته في العراء . وفي الفصل الثالث : « البهاء والبهائية »

المؤلف وسعة اطلاعه ودقته في الفهم ودقته في الفهم والتلخيص . إن هذا الموضوع قد ورد بتفصيلات مستفيضة في مثل كتاب الإحياء للإمام الغزالي وبعض مؤلفات ابن تيمية وغيرهما ، وتظهر مقدرة المؤلف هنا فيما قام به من تلخيص لأهم النقط وتنسيقها ، وترتيب فصول الكتاب من غير خلل أو قصور ، وهي مهمة ليست باليسيرة .

والقدر الذي استخلصه من هذا الموضوع المتسع الجوانب كاف بأن يظهر الكتاب في هذا الحجم المناسب لطاقت جمهور القراء الذين قصد المؤلف إلى إفادتهم : فلا هو في اختصار مخل ، ولا في تطويل مل . وإنه بتفسيره وحسن تبويبه يستوى القارى ، ويجعله يلم بالمسألة مفيداً كافياً بهذا الموضوع القيم الخطير

وفقنا الله جميعاً إلى طريق السداد .

دكتور سعد الدين الجبزاوي

٢ — البراءة :

لأستاذ عبد الرحمن الوكيل نشرت مكتبة أنصار السنة بعبدين هذا الكتاب ، والمؤلف هو فضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية ، وكتابه دراسة واسعة عن البهائية ، تلك الطائفة المعروفة بخروجها

وللبهائية آراء على قبة الفساد ، هم يرون الرسول - أى رسون ربا وعبداء، ويؤمنون بوحدة الوجود ، ويفسرون « ختم النبوة » تفسيراً يحقق أن الوجود لا ولن يخلو من رسل ، ويكفرون بالمعجزات وبإعجاز القرآن ولا يرون معجزة إلا فى النسخ وحده .

والفصل الخامس : « عقيدة البهائية فى البهائى » تؤمن البهائية بربوبية البهائى ، وتطعن على أدلة الرسل ، وبراهين الإسلام ، وتزعم أن نحلتهنا ناسخة للإسلام .

أما الفصل السادس والآخر « دين البهائية » فهو عرض مسهب لهذا الدين المبتدع ، فالبهائية كفر جبان ، والتوحيد عندها هو : معرفة الأجساد البشرية التى حلت فيها الحقيقة الإلهية . ولا بد من وسائط فى الدين هم شيوخه ، وللبهائى وحده يصلى البهائيون ، وإلى قبره وحده يحجون ، وقد قال لهم : ( من توجه إلى ، فقد توجه إلى المعبود ) والصلاة تسع ركعات فقط ، والقبلة هى قصر البهائى ، والزكاة ١٩ % ، وأشهر السنة ١٩ شهراً والشهر ١٩ يوماً ، والميراث تشريع جديد ، والربا مباح ، والجهاد محرم ، وعقوبة الزنادية مسلبة إلى بيت العدل أى بيت ماله . .

وبعد - فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة ، ولا ريب فى أن الأستاذ عبدالرحمن

يواصل المؤلف دراسته ، فيقدم لنا البهائية كوريث للبابية ، وامتداد لها ، والبهائى هو ( حسين على ) ابن الميرزا عباس ، المولود بطهران عام ١٢٢٣ هـ ويكشف عن أساطير هذه النحلة ، وحركاتها ، واستنادها إلى المؤامرات والدسائس الدموية ، إلى أن هلك البهائى المذكور بمرثومة الحنى ، بعد أن صنع منه الاستعمار الروسى واليهودى لها وبطلا .

وفى الفصل الرابع : « عبد البهائى والبهائية » حدثنا المؤلف عن ابن البهائى ، وكيف استطاع بدراسته لفلسفة اليونانية ، وكتب الباطنية والصوفية المنحرفة ، أن يسيطر على والده سيطرة واسعة ، ثم استمرأ هذه السلطة فى ظل الكفر والإلحاد ، فواصل نشاطه فى خدمة الاستعمار الانجليزى والفرنسى ، وجمع المال والثروات بغير حساب ، إلى أن انتهت حياته عام ١٣٤٠ هـ وخسرت الإمبراطورية الانجليزية أخلص عبيدها .

والفصل الرابع : « الحقيقة الإلهية فى رأى البهائية » مناقشة دقيقة لعقيدة البهائية - إن جاز أن تسمى عقيدة - ويرى المؤلف أنها على زندقها مسبوقه بزندقه الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية والدرزية ، وهى زندقه حيرى بين عبادة عدم وعبادة صنم فال مجرد الصرف ، والكلى البحث ، وجوده ذهنى لاعينى ، أى لا حقيقة له خارج الأذهان .

والذى لأحمد بعد ذلك للوفاء اتجاهها  
جديدا هو عدم المساس بأقدار على وبنيه ،  
وتأويله لكل ما حدث فى قفنة الحسين  
وغيرها ، بأن الخطأ فى اجتهاد الرأى ،  
وأحمد له أيضا ، أن قلبه قد أمتعنا بدراسة  
قيمة عن هذه النحلة الخبيثة التى لا زالت  
تستوى بعض المأفوتين من الشباب الذى  
يمجد لذة فى التحلل والانحلال .

\* \* \*

## ٢ - المربى فى موقف الرفاع :

للاستاذ فتحى عثمان

هذا كتاب جديد للأستاذ فتحى عثمان ،  
نشرته مكتبة وهبة بالقاهرة ، قدم لهذه  
الدراسة بمقدمة جاءت بمثابة تمهيد له . فهو  
يقرر أن خير دفاع عن الدين أن يكون  
فى موقف الدفاع ، ووقوف الدين موقف  
الدفاع مشحون بالمعانى الكبيرة منها أن الله  
جعل الدين موافقا لسنن الكون ، وفطرة  
الإنسان ، فكما أن كلا من الكون والإنسان  
فى حركته ، كذلك الفسكر لا بد أن يتحرك .  
أما فصول الكتاب الرئيسية فهى : الدين  
والفلسفة المادية ، الدين على فطرته ، الدين  
فى حركته . ولقد تحدث فى الفصل الأول  
عن الدين والإنسان على الأرض ، الديانات  
الجديدة ، وناقش « جوليان هكسلى »  
فى كتابه : ( دين بغير وحى ) الذى يحاول

الوكيل بذل جهداً يشكر عليه ، فقد جعلنا نلم  
للمأما شاملا بالبهاية ومفترياتها ، فى أسلوب  
فيه روعة البيان ، وإن لم يخل من الحدة التى  
كننا نود أن يجنب أسلوب منها فى هذه الدراسة  
العلمية الموضوعية - ولست أدري لم أتعجب  
نفسه وكتب الفصل الأول فى حدود أربعين  
صفحة ، استعرض الإسلام منذ نشأته إلى  
الخلافات التى نشبت فى أساليب دمية بين  
الشيعة والأمويين ، ليبرر مسلك الأمويين  
فى كثير من أحوالهم ، وجنوح آل البيت  
إلى الفتنة والهووى ، كان من الممكن أن يركز  
لنا فى صفحات قليلة محدودة المنابع الأصيلة  
للبهاية ، دون أن يحاول إصاقتها بالحركة  
السبئية والحركة الشيعية والحركة اليهودية  
منذ ضحى الإسلام .

ولقد استعمل من أول دراسته - وهو  
يحدثنا عن الفتنة فى عهد عثمان - كلمة  
« الصهيونية » وهى كلمة مستحدثة معاصرة ،  
وكان الأحرى أن يستعمل مكانها « اليهودية » ،  
مثلا ، والمعروف أن مؤسس البابية التى كانت  
فيما بعد « البهاية » ، ولد عام ١٨١٩م ، فكيف  
نربط حركته بالسبئية المنتمعة إلى عبد الله  
ابن سبأ المعاصر للخليفة الثالث - رضى الله  
عنه ، إنى أرى بعداً عن المقاييس الصحيحة  
للدراة العلمية المنهجية ، وإن كان من السهل  
مثلا أن نرد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة  
الباطنية فى مسألة المهدي المنتظر .

ومقالات بمجلة الأزهر الغراء وسواها . .  
بعد هذا العرض أود أن أقول أو أقرر  
ملاحظات لابد منها .

أولا : الأستاذ المؤلف كتب بحثا عن  
« الإسلام والموسيقى » ، في حوالى خمس وأربعين  
صفحة ، ولست أدري أى مكان متواضع  
لهذا البحث في هذه الدراسة ، وأخرى به أن  
يكون كتابا مستقلا .

ثانيا : كذلك كتب بحثا عن « الرسول  
الإنسان » ، ولا أرى له مكانا أيضا في هذه  
الدراسة ، لا سيما أنه كتب في حوالى  
تسع صفحات .

ثالثا : ترجم المؤلف عن الانجليزية مقالا  
في خمس عشرة صفحة عن الحركات الإسلامية  
المعاصرة ، للأستاذ مسعود الندوى ، دون  
التعليق عليه أو ربطه بموضوع الكتاب .

رابعا : اهتم في بحثه عن القومية العربية  
والدين بمناقشة جرت على صفحات  
روزاليوسف دون أن يكون له في هذه  
المناقشة مكان واضح .

خامسا : موضوع الترحيب بالجزائر في  
سبع صفحات خارج عن موضوع الكتاب .  
سادسا : المؤلف المبجل لم يعن عناية  
دقيقة بالتفصيل الداخلى لما أثار من  
موضوعات ، ففي البحث الذى عنوانه  
( أصول الحرية في منهج التفكير الإسلامى )

لإيجاد دين منشود يستمد أصوله من الطبيعة  
الكونية والإنسانية - لا بما وراه الطبيعة ،  
كما ناقش الأستاذ فتحي في هذا الفصل :  
الحضارة والأزمة ، الطاقة الدينية ، الإسلام  
والشيوعية .

وفي الفصل الثانى : قرر أن الدين حرية ،  
وأصول الحرية في منهج التفكير الإسلامى ،  
ورأى أن يعرض الإسلام - كنظام - مرتبطا  
بأساسه العقيدى ، كما ناقش في هذا الفصل :  
لإنسانية الرسول ، وموقف الإسلام من  
الموسيقى ، ومباهج الحياة في نظر الإسلام .

وفي الفصل الثالث ! تحدث المؤلف عن  
مقومات الشخصية الإسلامية الإيجابية الفعالة  
وترجم مقالا لمسعود الندوى عن الحركات  
الإسلامية المعاصرة ، ثم عرض فكرة ( الدين  
والقومية ) فناقش مدلول القومية ، وإلى أى  
مدى يصطلم بالدين ، ولماذا انفصلت  
القومية عن الدين في الغرب ، الدولة القومية ،  
والدولة العقيدية . وختم الفصل بالترحيب  
بالجزائر المناضلة كأمة أسلمت في جسد ،  
ووفت للإسلام في صدق .

وبعد هذا العرض الموجز لدراسة  
الكتاب التى كانت في أكثر من ثلثائة صفحة  
من القطع المتوسط ، والتي جاءت دراسة على  
مستوى رفيع كما عودنا المؤلف في دراساته  
الإسلامية السابقة التى نشرت في كتب تارة ،

اللغة والمعنى ، فتحدث عن العلامات والرموز ، والكلام واللغة وعن أن للكلمة صورتين إحداهما منظوقة والأخرى مكتوبة ، وعن الكلمة والمعنى العاطفي والمشارك اللفظي ، وفي الباب الثاني (المعنى والغموض) تحدث عن المعنى البسيط، والتقليدية، والتوليد الصوتي، والنحوي، والمعنوي، والمعنى المتعدى مدلول واحد وألفاظ عدة ، والعكس ، وفي الباب الثالث (حركة الثروة اللفظية) تحدث عن أربعة مصادر خلاقة : الابتكار ، أو صوغ الكلمات ، أو الافتراض أو التغيير في معاني الكلمات الموجودة ، كما تحدث عن أسباب تفسير المعنى اللغوية والاجتماعية والتاريخية ، وعن كيفية تغير المعنى ، وعن افتراض الكلمات ، وفي الفصل الرابع والآخر (الكلمات والأشياء) تحدث عن تأثير الكلمات وقصورها .

ولنا أن نقول بعد ذلك : إن هذه الدراسة العميقة على مستوى رفيع من البحث ، وتدل على أن المؤلف عالم له مكاتبة الرفيعة في البيئات اللغوية ، وقد استطاع الدكتور كمال بشر الذي قام بالترجمة أن يثبت وجوده في التعليق على الكتاب وتذرعه بالأمانة العلمية ، فهو لم يحامل المؤلف ولم يتجن عليه ، بل استطاع أن يخفف من حدة دسامة البحث بشروحه الكثيرة ، وهو وإن كان يختلف مع المؤلف في بعض جوانب البحث ، إلا

لم يبرز عناصر هذه الأصول لتكون سهلة التناول ، والمفهوم من العنوان التحديد .

سابعاً : موقف الإسلام الدفاعي في الإطار السياسي لم يهتم به المؤلف ، وهو وثيق الصلة بموضوع الكتاب .

هذه ملاحظات عارة ، ويبقى بعد ذلك للكتاب تقديره من حيث مناقشة المؤلف للآراء الغربية الاستشراقية وغيرها ، وهي كثيرة في الكتاب ، وقد ناقشها المؤلف مناقشة جدية أقسمت بنضوج العقل ، وسعة الأفق .

### ٣ — دور الكلمة في اللغة :

للمستر ستيفن أولمان

قام بنقل الكتاب إلى العربية والتعليق عليه والتقديم له الدكتور كمال محمد بشر المدرس بكلية دار العلوم ، أما المؤلف فهو أستاذ علم اللغة بجامعة ليدز بإنجلترا .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، ويذكر لنا الدكتور بشر في تقديره للكتاب ، أن الحضارة الإنسانية تراث مشترك بين أمم الأرض جميعاً ، وأن الثقافة وعامة هذه الحضارة وركيزتها الأولى — ليست ملكاً لجنس من الناس دون جنس ، وبهذه الروح أقدم على ترجمة الكتاب .

وقد جعل المؤلف دراسته القيمة هذه في أربعة أبواب :

قم أخى فالكون حيران المرام  
ضارب في التيه يضنيه الظلام  
فارغ القلب ظمى للصدام  
هاجر للروح منشور النظام  
جعل الله وأسباب الظلام ...

قم بنا فالأرض أوحال وطين  
نفرس الدرب ( بزيتون وتين )  
وتحت عنوان ( شرف ) يعلن الشاعر  
اعتزازه بالإسلام مهما لقي في سبيله وتحت  
عنوان ( التيه ) يتحدث عن حيرة الشرق في  
مناهات الضلال وتحت عنوان ( هولاكو )  
يذكرنا بهذا الطاغية الذى دوخ العالم :

لارشد . لا أفكار . لا وعى . لا نوار بل  
طائش فوار ، غنى له زمار . قد أنك الأوتار .  
الحق أن الديون تضمن قصائد فيها ثورة  
والم ، وفيها دعوة إلى المبادئ والمثل ، وإن  
كنا نأخذ على الشاعر أنه خرج قليلا على  
قواعد اللغة مما لا تحتمله ضرورة الشعر ،  
ومما لا يخدش كثيرا في قيمة الديوان .  
واعتباره نقشة قوية ممتزجة بإيمان الشاعر  
الأديب .

\*\*\*

٥ - العز بنى عبد السلام :

الأستاذ محمد حسن عبد الله  
هذا الكتاب الذى نشرته مكتبته وهبه  
بالقاهرة - عابدين دراسة شاملة مستفيضة عن

أنه لم يهضمه حق من الإجلال والإكبار ،  
والدكتور بشر يقرر أن الكتاب قدم وجهة  
نظر جديدة في معالجة المعنى اللغوى ، لا يتفق  
مع المؤلف فيها ، ولذلك أفرد بحثا في كتاب  
لمناقشة هذه الوجهة تحت عنوان : ( دراسات  
في علم المعنى ) حتى لا يرحم بحث المؤلف  
بكثير من التعليقات ، وهذه هى الأمانة العلمية ،  
والأفق الواسع ، اللذان تتطلبهما من يتصدون  
لترجمة الدراسات الغربية والتعليق عليها .

٤ - الرزيتون :

للاستاذ صالح آدم بيلو .

هذا ديوان الأديب السودانى الشاعر  
المتخرج فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف  
وهو ديوان يهتم بالإسلام ديناً ودولة ، فى  
معظم قصائده فالشاعر تبرز أحاسيسه ومشاعره  
بكل ما يتصل بالإسلام والقضايا الإنسانية  
والاجتماعية ، ويهدى ديوانه إلى الشباب  
المؤمن الذى روى بدمائه أرض القناة وفلسطين  
والجزائر التى ظلت زماناً عطشى لدماء الشهداء  
وإلى شباب الإسلام فى كل مكان من أرضهم  
المديدة الطاهرة . وقد اقتبس عنوان ديوانه  
من الآية الكريمة ( الله نور السموات والأرض )  
القصيدة الأولى ( أوحال وطين ) أهداها  
إلى روح شاعر الإسلام ( إقبال ) يستحثها  
أن تنهض وتعود لتأخذ بيد المعايير والمقاييس  
التي تنكها الناس :

## ٦ - الإرشاد والتطهير .

اليافعى .

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر عنوانه ( الإرشاد والتطهير فى فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز ) على الطريقة القديمة فى الإسراف فى العنوان ، مع المحافظة على السجع المعهود ، والمؤلف هو شيخ الحرمين أبو محمد عفيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافعى المتوفى عام ٧٦٨ هـ وقد راجع الكتاب وقدم له الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف المدرس فى كلية الشريعة .

الكتاب يقدم نماذج من الأذكار والأدعية الماثورة فى الأوقات المختلفة ، وبعض المأثور على بعض رجال التصوف كأبى الحسن الشاذلى ، ثم يعرض منزلة بعض العلماء المعروفين وآثارهم العلمية الدينية ، كالإمام الغزالى والشيرازى والنواوى وبعض كبار المتصوفين كالأخاوص وابن عربى .

أما مراجع الكتاب الشيخ عبد الوهاب ، فقد قام بواجبه فى تصحيح الكتاب ومراجعته وإن كان فاته التعليق على بعض آرائه لاسيما ما فيه من بعض الشطط ، وهذا التعليق كان ضروريا لتم فائدة الكتاب .

محمد عبد الله السمان

عز الدين بن عبد السلام بائع الملوك ، جاءت فى ستة فصول : الصور السياسية والاجتماعية والعلمية فى عصر العز بن عبد السلام ، وسيرته وحياته ، وشخصيته السياسية ، وشخصيته العلمية ، وشخصيته الاجتماعية ، ثم الفصل السادس والآخر ، الدولة الباطنية حيث تحدث عن العصر المتصوف ، وتصفو العز ، ورأيه فى التصوف .

المؤلف بذل مجهودا مشكورا فى الكتابة عن شخصية إسلامية وعالم فذ لم يبع دينه بدينه بل واجه طغيان الحكم فى عفوانه ، وأثبت جدارته بلقب العالم الدينى العالم .

إلا أن المؤلف ، وهو شاب مثقف فى أول مرحلة حياته ، سار فى ترجمة للعز بن عبد السلام على المنهج القديم فى الترجمة للشخصيات الفذة ، وكأنما التزم المراجع القديمة فى سوق القصص والأحداث ، وكنت أود أن تبرز عظمة الشيخ فى إبراز مبادئه ومثله الرفيعة .

وهذا هو الهدف الأساس من الترجمة للعظماء كما أن رأى الكاتب فى الدراسة لم يكن له مكان ملحوظ . وقد أضاف مجمعا إلى الكتاب تحت عنوان ( حياة فكر ) عرض الإسلام فيه منذ نشأته ، واستغرق زهاء ثلاثين صفحة . وكان يكنى الإمام السريع بالفترة التى سبقت العز ليعطى صورة ناطقة عن عصره .

ولكتاب المؤلف بعد ذلك تقديرنا .



# آراء وأحاديث

عيون المهايين الرصافة والجسر  
جليلن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى  
عمر لطفى

**أسماء غير ممنوعة من الصرف :**

جرى النحاة على اعتبار كلمة (أشياء)  
ممنوعة من الصرف والتسموا لذلك الحكم  
علا غريبة ، فمنهم من اعتبرها اسما مفردا  
منتها بالآلف الممدودة ليبرر منعها من  
الصرف ، وهذا غريب جداً ؛ لأن قصد  
الجمع واضح كل الوضوح فى هذه الكلمة ،  
ومنهم من قرر أنها محولة عن (شيء) ،  
ومنهم من تعسف فادعى أنها جمع (شيء)  
على وزن (سيء) وقال إنها فى الأصل  
(أشياء) على وزن (أدعياء) ثم حصل  
فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل  
لعرضه على القارئين .

والذى استطعت أن أهتدى إليه بعد روية  
وتأمل أن الكلمة جمع (شيء) ووزنها  
أفعال ومثالها جمع (فء) وهو أفياء وحققها  
أن تكون مصروفة كما صرفت (أفياء)  
وأمثالها ولا حجة لمن منعها الصرف بورودها  
غير منونة فى الشعر لأن الضرورة الشعرية

**سافر إلى بيروت عبر البحر :**

يقع مثل هذا التعبير فى الصحف بين حين  
وآخر ، وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون  
فى صحة هذا الاستعمال ، ولكنى وقفت على  
شاهد له فى (تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام  
للذهبي ج ١ ص ١٢٣ المطبوع حديثاً  
بالقاهرة) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمرت عن ساقى الإزار ووسطت

فى الذعلب الوجناء (عبر السبابس)

الذعلب : الناقة السريعة ، السبابس جمع  
سبب وهى المفاز . على برهان

**ضبط الرصافة :**

يتمسك كثير من أولئك بوجوب ضم  
راء (الرصافة) وأقفين عند نص الفيروز آبادى  
ولو أنصفوا لحولوا أعينهم إلى ما كتبه  
شارح القاموس على هامش المادة وإذا  
لعلوا أن الفتح والضم سيان ، وفى ظنى  
أن الفتح فى مثل هذه الكلمة أرق وأجمل ،  
وما أحسب (على بن الجهم) طيب الله ثراه  
قد نطق بها إلا مفتوحة الراء حين قال  
بيته الخالد :

مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من النقل الذى يأباه تآلف النغم فى القرآن الكريم . وهذا التآلف من أسرار الإعجاز ، فقرئت كلمة ( أشياء ) غير منونة لأنها مرتبطة بجملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضى وصفها وهذا يوجب تكرار لفظ ( إن ) مرتين متواليتين ، فن أجل ذلك لم تنون ( أشياء ) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة ( أفياء ) فى الوزن والإعراب .

مصطفى شبل

### تعدد فى اللغة لا موجب له :

علم الله أننى حريص على سلامة اللغة ، ولكننى أكره التزمّت فيها ، وأبغض شئ إلى نفسى الإمعان فى الجدل إلا جدلاً يكشف حقاً ، أو يدحض باطلاً ، أو يهتدى إلى الرشيد وقد ضقت ذرعاً بمسائل كثيرة يتعلق بها بعض من حسنت نيتهم أو ضاق أفقهم ، أو استولى عليهم الغرور ، وأحب أن يتسع نطاق البريد بمجلة الأزهر الغراء لنشر هذه المسائل ، فنهأ :

١ - يحرص كثير من أهل الفضل والدراية على تغيير لفظ العلم السكينة المصدر بأب إذا كان مضافاً إليه ، فيقولون مدرسة أبى حفص ، ومدرسة أبى المطامير ، جرياً

تيسيح صرف الممنوع والعكس ، ولكنهم وجدوها فى القرآن الكريم فى سورة المائدة غير منونة .

فقد جاءت فى قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم » ، ويخيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلة التى أوردوها ولكنها نتيجة القاعدة العامة التى اتفق عليها النحاة وهى جواز صرف الممنوع من الصرف وصرف الممنوع للتناسب والضرورة وما التناسب إلا مراعاة الانسجام فى جرس الكلمات واتتلاف النغم بين أجزائها ، ولذلك قرئ فى المتواتر « سلاسل وأغلالاً وسعيراً » وكلمة سلاسل متنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع ولكنها صرفت لتنسجم مع أغلالاً وسعيراً ) وقرئ « ولا يفوت ويعوقا ونسراً » و ( يفوت ويعوق ) ممنوعان من الصرف للعلمية ووزن الفعل ولكنهما صرفاً فى هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسهما مع ( نسراً ) وكذلك « كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدروها تقديراً ، فإن قوارير الأولى نونت لتناسب فواصل الآيات ، فالمحافظة على حسن الجرس والانسجام من عادة العرب والقرآن الكريم

نزل على رسول الله بلسان عربى فلم لا نقول إن كلمة ( أشياء ) لم تنون لظرف خاص فى محيطها فى الآية السكينة إذ لو نونت لتوالى

التأنيث في أشهر الموسوعات اللغوية ، وقد غاب عنهم ورودها في ( المخصص ) للعلامة ( ابن سيده ) في باب ألوان العيش والنعيم ( أو كمال قال ) ويعلم الله كم جرى قلبهم الأحمر والأزرق على كلبة الهناء شائخين مزهوين وكم نال ( ابن نباته ) الشاعر الظريف من الزراية والاستخفاف حين طرق أسماعهم ببيته الرشيق :

هنا محاذك العزاء المقدما

فما عبس المحزون حتى تبسما

محمد بهرام

### أوسع من ذي قبل :

كثيراً ما يعترض القارئ ويجرى على ألسنة المتحدثين هذا الأسلوب - ومنهم من يكتفي بفحواه وما يتبادر إلى الذهن من معناه ، غير باحث فيما بنى عليه من أساس لغوي ، أو قاعدة نحوية ، ومنهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيزعم أن اللفظ الأخير منه وهو ( قبل ) بفتح الباء لا يسكونها ، وينسى أن هذا الضبط يفضي إلى قصور في المعنى وتعسف كبير ، إذ قبل كل شيء في مستهل وجوده على حد تعبير المعجمات : وما زلت أبحث في هذه المسألة وأدير الحوار حولها مع الثقات من أهل البصر باللغة حتى انتهت إلى ما أعتقد فيها . والخلاصة أن كلبة

على قاعدة جر المضاف إليه بالياء إذا كان من الأسماء الخمسة ، وقد يقعون بحسن نية فيما يدعو إلى السخرية فيقولون : مدرسة بنى أبي الريش يريدون مدرسة البنين ببلدة أبو الريش ، ولوعلوا أنه يجوز حكماً لإثبات الكنية على أشهر أوضاعها ، وهو صيغة الرفع بالوار لأراحوا واستراحوا .

وأظن الإمام الشيخ حمزة فتح الله قد عقد بحثاً لذلك في كتابه ( المواهب الفتحية ) وقرأ أحد الصحابة ( تبت يدا أبو لهب ) كما في تفسير العلامة ( أبو السعود ) .

٢ - يتشبث بعضهم بوجوب جر كلبة ( أثناء ) فيقولون مثلاً ( يلبع البرق في أثناء السحاب ) ، وهم يعتمدون في هذا التزم على ورود الكلمة في جميع المراجع اللغوية التي بأيدينا على هذه الصورة ، ويقول النحاة إن اسم المكان لا يقبل النصب على الظرفية إلا مبهماً لانحصار حدودها فيما أضيفت إليه وهذا بلا شك كلام صحيح ، ولكن لم لا يكون نصب الكلمة جارياً على نزع الخافض ، وهو كثير جداً في كلام العرب وجعله بعض العلماء قياسياً في المصادر المؤولة من ( أن ) وما دخلت عليه بل في غير المصادر من الأسماء الصريحة ؟

٣ - ما زال بعض الأدباء ينكرون كلبة ( الهناء ) لعدم ورودها مجردة من تاء

هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وقوله وقوله جل وعلا ( ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) وقول الشاعر :

إن الفقى من يقول ها أنذا

ليس الفقى من يقول : كان أبى وقد غلا كثير منهم فى تطبيق هذا الحكم غلوا كثيراً مع تخلفه فى مواطن شتى من كلام البلغاء والعلماء الذين يقتدى برأيهم . كالعلامة ( ابن هشام ) فإنه أورد هذه القاعدة فى ( المعنى ) ولكنه جرياً وراء فطرته فرق بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب فقال فى مقدمة الكتاب قوله :

( وها أنا بائع بما أسرته ) بدون أن يخبر باسم الإشارة وقال ( البحرى ) وهو من هو فى صفاء الأسلوب .

ها هو الشيب لائماً فأفريق

وأتريكه إن كان غير مفريق

ولا يمكن وقوع ( البحرى ) فى هذا الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً فى جميع الأحوال . والحق أن النحاة لم يوجبوه ولكن كثيراً من الواقفين على شاطئ العلوم لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ،

ولا يتعمقون المباحث العلمية حتى يقفوا على أسرارها ، فيقتضوا فى الأمور على بينة ، ولأنى — ولا أذكرى نفسى — أستطيع أن أعرض على القارئ ما أراه سبباً لتخلف

( قبل ) ظروف مبنى على الضم الحذف المضاف إليه ، ونية معناه كبقية ( الغايات ) وهى ظروف محصورة فى كتب النحاة منها :

بعد وراء وخلف إلخ . . وأن كلمة ( ذى )

ليست بمعنى صاحب كما يقارى إلى الذهن ولكنها اسم لوصول يستعمل فى لغة طيء للفرد وغيره مذكراً ومؤنثاً كما هو منصوص عليه فى المصادر النحوية كشرح ( ابن عقيل ) وحاشية الخضرى ، وأنها قد تأتى مبنية بلفظ واحد وهو ( ذر ) رفعاً ونصباً وجراً ، وقد تعرب بالواو رفعاً وبالألف نصباً وبالياء جراً عند قوم من طيء فتكون فى أحوال الإعراب مثل ( ذى ) بمعنى صاحب التى هى من الأسماء الخمسة ، وعلى هذا الوجه يمكن توجيه الأسلوب ، ويسكون الظرف المبنى على الضم صلة الموصول باعتباره شبه جملة حسب ما شرحه النحاة .

ولذا يكون المعنى : هذا الشئ خير من الذى كان قبله ، أو هذه الحالة أحسن من التى سبقتها وهكذا . وبذلك يستقيم اللفظ وينسجم مع المعنى المراد والسلام .

حسين البشيشى

### فى محبب النحو :

اشتهر بين المتأدبين أن الضمير المسبوق بها التنبيه يخبر عنه وجوباً باسم الإشارة الذى يناسبه ومثاله قول الله تعالى ( ها أنتم

## نقيب . وافتراح

الأستاذ العبقري مدير ورئيس تحرير  
مجلة الأزهر .

تحية طيبة مباركة . وبعد فإن المجلة التي  
شرفت برياستكم طلعت علينا في عدد  
جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ تحمل نقداً  
وتحليلاً لكتاب ( فلسفة تاريخ محمد للأستاذ  
محمد جميل بيهم ) بقلم الكاتب الأستاذ محمود  
الشرقاوى وقد عقب عليه الأستاذ الجليل  
عبد الرحيم فوده - ( بلفت نظر ) الكاتب  
إلى بعض هنات وقتت للؤلؤ ثم جاء في العدد  
الذى يليه - استدراك وتعقيب ، ولفت  
نظر ، وحول ( لفت نظر ، وكلها تدور  
حول تحديد معنى المعجزة ، وكان حرياً  
بهؤلاء جميعاً ألا يعيروا مثل هذه المسألة  
اهتماماً ، لأن الإحاطة بالأسماء علم لا ينفع  
وجهل لا يضر ، وقد در محمد بن سيرين  
التابعى الجليل حيث يقول : ( العلم أكثر  
من أن يحاط به ، فخذوا من كل شيء  
أحسنه ) وأحرى بهم أن يطلعوا على تفسير  
الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا  
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم  
الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم  
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » - في تفسير  
المنار لتلميذ الشيخ محمد عبده السيد رشيد  
رضا ( عليهما الرحمة والرضوان - ص ٣٣٦

هذه القاعدة في بعض الحالات ، يبدو لى أن  
الأساليب المقرونة بالتحدى هي التي لا تخلو  
من أسماء الإشارة ، فالآيتان الكريمتان فيها  
إنكار شديد وعتاب لاذع للؤمنين الذين  
لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استقبانة  
البغضاء في أفواههم ، وتماديهم في معاندة  
الإسلام والكيد للسليين ، ولما كان اللوم  
شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة  
التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة  
زيادة في تصوير موجب اللوم حتى كأنه  
مصور محسن لا يمكن التنصل منه ، وكذلك  
الشأن في البيت فإن معنى التحدى واضح فيه  
كل الوضوح ( وزيادة في الفائدة يحسن  
الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم  
الإشارة في الآيتين منادى مع حذف حرف  
النداء ) ثم نرجع إلى صميم البحث فنقول :  
أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد  
حسن ( أو جاز على الأقل ) تجديد الكلام  
من اسم الإشارة ، وبهذا يكون ( البحرى )  
على العهد به في تفهم مقتضى الحال ، والإتيان  
بما يطابقه من الكلام فيكون كلامه جارياً  
على سجيته : من الجودة والرصانة كما كانت  
الآيتان الكريمتان في الذروة من البلاغة  
لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

الاسكندرية - منصور عامر

جزء أول . هنالك يجدون ما كان يقرره الشيخ محمد عبده لتلامذته في الدرس - أن الكلام في الأمم المؤمنة بأنبيائها واتبعت شرائعهم قبل أن يسدل دينهم وأن يفسخ شرعهم ، فاقه يقول : إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بإيمان صحيح له سلطان على النفوس ، وعمل صالح يصلح به حال الناس . وعلى هذا فلا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ، في الآية على أن القرآن حلقات متصل بعضها ببعض ، وانه يقول : (١) « فإن آمنوا بمثل ما آمستم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم في شقاق ... » .

محمد عبد الرحيم القناوى  
جامعى سابقاً

### ومحول اهتمامه الإحصائية والتأريخية الأزهرية من الخارج

وافق فضيلة الامام الأكبر على إباحة دخول امتحان الشهادات الإعدادية والثانوية الأزهرية المعادلة من الخارج تيسيراً على الطلاب الذين فصلوا الاستغفار مرات الرسوب وتمكيناً للذين حالت ظروفهم الخاصة دون الاستمرار في الدراسة، وذلك بشرط أن يكونوا حاصلين على الشهادة السابقة عليها وأن يكور قد مضى على حصولهم على هذه الشهادة مدة الدراسة المقررة للرحلة المراد نيل شهادتهما ، وأن يكون امتحانهم في كل مواد هذا القسم .

هذا وإن أنصح لرجال الأزهر وخاصة الذين لم مكاتهم الرسمية أن يتقدموا بأقلامهم وجاههم إلى أصحاب السلطان في الأزهر أن يدرسوا كتب السنة بدلا من المذاهب فإن في هذا تيسيراً للمسلمين وخيراً كثيراً وحتى تكون الفتوى صادرة من معدنها الصافي .

(٢) إن الفقه قانون الحياة ، والحياة في تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حراً في حياته العملية لا يلتزم مذهباً معيناً ، بل يتوخى المعنى الصحيح

(١) سورة البقرة ١٣٧ .

(٢) لابن القيم .

وافق فضيلة الامام الأكبر على إباحة

لنعود بالآمة الإسلامية إلى مجدها السابق ،  
وعزها الضارب .

### الإمام الأكبر يستقبل سفير النيجر

في لاوس

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الأزهر السيد / حميدو لييجا  
سفير النيجر في لاوس وضيف السيد الرئيس  
جمال عبد الناصر ، وقد حمل الضيف إلى  
فضيلة الإمام الأكبر تحيات المسلمين في النيجر  
وتقديرهم الكبير للرسالة التي ينهض بها الأزهر  
والجهود التي يبذلها خلال أكثر من عشرة  
قرون في المحافظة على التراث الإسلامي ،  
والدعوة إلى الله في كل مكان .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الله قد  
ربط بين المسلمين بحبله المتين وأمرهم  
بالاعتصام به ، والتعاون على البر والتقوى ،  
ونحن جميعاً متضامنون في الدعوة إلى الله  
والمحافظة على دينه ، وإن أفريقيا التي تلقت  
الإسلام بقلب خالص وعزم صادق في العصر  
الأول للإسلام لا تزال في حيويتها الدينية  
وتمسكها بشريعة الله ، وسيكون لها أثره  
الطيب إن شاء الله بعد أن تحرر أكثر دولها  
من نير الاستعمار ، وأن الأزهر ليسره

دخول امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية  
المعادلة هذا العام لطلبة المعاهد الأزهرية  
الذين نجحوا ولم يحصلوا على درجات تؤهلهم  
لدخول الجامعات وعددهم ٥٠٠ طالب .

وسيكون امتحان هؤلاء الطلاب على نظام  
المنسبين كفرصة أمامهم هذا العام .

### الإمام الأكبر يستقبل رئيس الشؤون

الإسلامية في تونس :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الأزهر السيد / محمد بل الفوقي  
رئيس الشؤون الإسلامية في تونس ، وقد  
تناول الحديث شئون المسلمين في إفريقيا ،  
وجهود الأزهر في التعريف بالإسلام والدعوة  
إليه ، وإمداد البلاد الإسلامية بالعلماء  
والكتب الدينية والعلمية واستقبال الطلاب  
الوافدين من شتى الأقطار الإسلامية .

ثم قال فضيلة الإمام الأكبر : إن جهود  
الأزهر وقف على الدعوة إلى الله والمحافظة  
على تراث الإسلام ، وإعداد الرواد في العالم  
الإسلامي الذين ينهضون بأوطانهم ويقودون  
حركات التحرير .

ثم استطرد سيادته قائلاً : إن الأزهر  
ليضع يده في أيدي زعماء العالم الإسلامي

غض النظر عنها ، ومن ذلك إقحامه آية  
« والله المثل الأعلى » ، في الحديث عن المثالية .

ثم تفسيره المثل بأنه ما يحتذى به ويقاس  
عليه ، فقد أغفل أو أهمل ما ذكره المفسرون  
من أن المثل هنا بمعنى الصفة ، ونسى أو  
تناسى قول الله « ليس كمثله شيء » وهو السميع  
البصير ، ولو ذكر ذلك أو شينا مما قيل في  
ذلك لاستقام في تقديره ما قاله بعض العلماء  
في تفسير المثل الأعلى بأنه « لا إله إلا الله ، فإن  
معناها ينفي أن يكون الله مثالا أو مثالا .  
وينفي أن يكون المثل في الآية بمعنى النظير  
والمثيل ... »

وقد ذكر الزحخشري في تفسير المثل الأعلى أنه  
الغنى عن العالمين ، والزهارة عن صفات المخلوقين  
على أن كلمة المثالية من الكلمات الوافدة  
المستوردة ، وهى من المصادر الصناعية التى  
تشير إلى خصائص جنس ما تدل عليه الكلمة ،  
وليس بينها وبين الإسلام نسب أو سبب  
ولأنها هى تنسب إلى نظرية المثل وبلاد  
التماثيل ، ولو كان المثل هو الرسول كما يقول  
الله « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »  
لكان لنا أن نعتذر عنه لتبرير ما قيل ...

عبد الرحيم فردة

دائما أن يلبي مطالب المسلمين وأن يسعى  
لإلهم فى سبيل نشر الدين .

### استثمار الشهادات العامة

#### بالمعاهد الأزهرية

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الأزهر قراراً بمواعيد امتحان  
الشهادات العامة بالمعاهد الأزهرية . وقد  
تحدد يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٦٣  
لامتحان الشهادة الإعدادية الأزهرية و امتحان  
شهادة المرحلة الأولى بمعهد البحوث  
الإسلامية ، كما تحدد يوم السبت ١٥ يونيو  
سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الثانوية  
الأزهرية المعادلة وشهادة المرحلة الثانية  
بمعهد البحوث الإسلامية .

#### المثالية :

يرى القراء فى هذا العدد مقالا عن المثالية  
فى نظر الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد المدنى  
وفضيلته من كتاب المجلة ومن عمداء إحدى  
كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن بد من  
نشر المقال وإلقاء تبعه كلامه عليه دون غيره .  
غير أن الأمانة العلمية تستوجب لفت  
الأنظر إلى ما فى هذا المقال من أخطاء لا يمكن



# مِنْ ضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه :

## السؤال :

إلا وقد أمنه على دينه، فالمدین موسر فی تلك الحالة فلا تنطبق علیه الآیة، وبالتالي فلا حرمة على الدائن فیما فعل .

وعن الثاني : نفید بأنه یجب الزكاة فی كل ما جاز استنباته من الأرض ، قلیله وكثیره ، ومن ذلك الدخان ؛ لأن استعماله لا یحرم إلا إذا أضر بالجسم أو المال

وعن الثالث : نفید بأنه إذا كانت عشریة فعليه العشر إن كانت الأرض تسقى سیحا أو بماء الأمطار وعليه نصف العشر إن كانت تسقى بمعالجة وتكاليف .

## السؤال :

هل یجوز اعتبار الأموال المدفوعة للحكومة أی ( مصلحة الضرائب ) عن قيمة الأرباح التجارية من أصل المطلوب منی من زكاة المال أم لا یجوز ؟ .

عوض بسیونی فیوض

تاجر بفیضا - سنهور بحیره

١ — رجل له على آخر دين وطالبه بسداده فاقترض المدين من البنك بغائدة وسدد الدين فهل على الدائن حرمة ؟

٢ — هل فی الدخان أو الزرع زكاة ؟

٣ — رجل لا تكفيه غلة أرضه فهل علیه فی الخارج زكاة ؟

عبد الفتاح یلدشن - تركيا

## الجواب :

نفید عن الأول : بأنه إذا كان للدين طریق یوفی بالدين كان موسرا ولا حرمة على الدائن حیثنذ فی مطالبته واستيفاء دينه ، أما إذا لم یكن له طریق آخر یسدد منه غیر طریق الاستدانة بالربا فإنه فی تلك الحالة یعتبر معسرا ، وعلى الدائن حیثنذ أن یمهله إلى ميسرة ( وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ) . والظاهر فی مسألتنا أن البنك لم یقرضه

## الجواب :

لا يغني دفع الضرائب التي تفرضها الحكومة عن الزكاة الشرعية ؛ لأن الضرائب ليس لها مقدار محدود شرعا بل يرجع الأمر في تقديرها إلى ما يراه المسؤولون في الدولة استجابة لمصالحها ، وليس لها أيضا مصرف معين شرعا بل مصرفها مصالح الدولة . أما الزكاة فهي مقدار من المال محدود شرعا بأنه ربع العشر في النقدين وعروض التجارة . والعشر أو نصفه في لزروع والثمار ، وفي المواشي سن مخصوصة في كل عدد منها تجب فيه الزكاة ، وللزكاة مصارف معينة في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية » والخلاصة أنه لا بد من إخراج الزكاة ولا يغني عن ذلك دفع ضريبة الأرباح التجارية .

## السؤال :

أولا : تاجر له أموال عند أناس أصبحوا في حالة عجز عن السداد . هل يجوز اعتبار هذه الأموال أو جزء منها من الزكاة المفروضة عليه شرعا ؟

ثانياً : لهذا التاجر ابن يعمل أسرة . وقد غدا في حالة إملاق بعد أن أفلست تجارته . هل يجوز إعطاؤه من الزكاة التي يخرجها أبوه ؟

محمد محمد عباسي

## الجواب :

يجوز شرعا احتساب الدين المذكور من الزكاة المفروضة على ما ذهب إليه بعض الأئمة كما جاء في شرح المذهب للإمام النووي رحمه الله في صفحة ٢١٠ ج ٦ ونصه : « إذا كان لرجل على معسر دين فأراد أن يجعله عن زكاته وقال له جعلته عن زكاتي ، فوجهان حكاهما صاحب البيان أحكما لا يجوزته ، وبه قطع الصيمري ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ؛ لأن الزكاة في ذمته فلا يبرأ إلا بإقباضها ، والثاني يجوزته وهو مذهب الحسن البصري وعطاء . لأنه لو دفعه إليه ثم أخذه منه جاز ، فكذا إذا لم يقبضه ، كما لو كان له عنده دراهم وديعة ودفعها عن الزكاة ، فإنها تجزئه سواء أقبضها أم لا .

وترى اللجنة الأخذ بالقول الثاني تيسيراً على الناس - كما تفيد أن لهذا التاجر أن يعطى ابنه المذكور من زكاة ماله .

## السؤال :

دارت بين بعض المتعلمين مناقشة بخصوص الزكاة وتفرق رأيهم فيها فأردت أن أقدم إلى الجهة التي رأيها القاطع وقولها الفصل للاستئارة في ركن من أركان الإسلام وما هو نص السؤال :

استأجر رجل أرضاً من آخر فأتتجت

ومذهب الإمامين مالك والشافعي أن  
زكاة الزرع على المستأجر ولا تسقطها  
أجرة الأرض ولا الخراج مهما بلغا  
ولو استغرقا الزرع ، وإذا لم يقدر المستأجر  
على إخراج الزكاة لأى سبب من الأسباب  
تبقى ديناً عليه يخرجها عنه - مد المقدرة ،  
ولا عبء باحتياج الزارع إلى الزكاة ولو في  
قوته وقوت عياله .

ومذهب الإمام أحمد أن زكاة الزرع  
على المستأجر ، وأن الدين يسقطها إذا لم  
يوجد مال آخر للزارع يسدده منه الدين ،  
ومن الدين الذى يسدد أجرة الأرض  
والنفقات التى أنفقت عليها .

هذه هى آراء الأئمة وترى اللجنة أن  
الأرفق بالعباد فى هذا الزمان هو الأخذ  
برأى الإمام أبى حنيفة .

### السؤال .

كثيراً ما نسمع من الناس قسماً (وحياة  
النبي محمد أفعل كذا) فهل هذا قسم له كفارة؟  
وإذا كان ليس له كفارة فما جزاء الحاثث  
فى هذا القسم ، وهل يعتبر قسماً أو لا؟ .

محمد السيد الخواص

شارع سوق العطارين رقمه اسكندرية

### الجواب .

قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفاً فليحلف

زرعاً يزيد على النصاب ولكن إيجار الأرض  
يستغرقه ولا يبقى للمستأجر شيء ، فعلى من  
تجب زكاة الزرع : على المؤجر أو المستأجر؟  
وإذا كان الناتج يزيد على الإيجار المقرر ، فهل  
تجب الزكاة فى الزائد فقط أو الزرع كله ؟  
وإذا لم يقدر المستأجر على دفع الزكاة فهل  
تصبح ديناً عليه يخرجها عنه المقدرة ؟ وهل  
يغنى المال الأميرى الذى تجبیه الحكومة عن  
الزكاة ؟ وإذا كان ما ينتج من الأرض  
المستأجرة لا يزيد عن الإيجار وقوت  
الأولاد فى العام فهل تخرج الزكاة ؟ وإذا زاد  
الناتج عن الإيجار وقوت الأولاد وكان على  
المستأجر دين فما الأفضل دفعه : الزكاة  
أم الدين ؟

محمد محمد النادى

ناظر مدرسة الشيخ درغام الابتدائية للبنين

بدمياط

### الجواب :

مذهب الإمام أبى حنيفة أن زكاة  
الزرع على مالك الأرض لأعلى المستأجر ، وأنه  
لا يجمع عنده بين عشر وهو الزكاة وبين  
خراج وهو ضريبة الأرض ، فالزرع فى  
الأراضى المصرية المستأجرة لا زكاة فيها على  
مذهبه ؛ لأنها لا تجب على المستأجر ولأن  
المالك يدفع الخراج للدولة .

حجة الإسلام، ويراعى فيمن يحج عن غيره أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه وإلا فلا يصح حجه عن غيره .

والأفضل أن يحج السائل هنا بنفسه عن والده ليكون ذلك أضمن في أداء النسك على الوجه الأكمل .

بالله أو ليصمت، ومفاد هذا أن القسم بغير الله لا يجوز، ولا يلزم به كنفارة؛ لأنه ليس يميناً شرعية .

فليستغفر الحالف بغير الله ربه سواء برقى يمينه أم حنث .

### السؤال :

مجلة شهرية مصورة ترصد جوائز شهرية للقراء بعضها مالية والبعض الآخر حق اشتراك سنوى بالجمان في المجلة فما حكم هذه الجوائز ؟

سيد أحمد حسنين

### الجواب :

هذه الجوائز مكافآت تشجيعية تبرع بها المجلة لأغراض نافعة ليس فيها شيء من المفاسد التي يمتنعها الدين فلا مانع من قبولها .

### السؤال :

يريد أن يهب حجة لوالده المتوفى ويسأل هل الأفضل أن يحج بنفسه أم ينيب فقيراً ؟

على أبو سيف

### الجواب :

يجوز شرعاً أن يحج الإنسان عن غيره إذا كان الغير قد توفى إلى رحمة الله ولم يحج

### السؤال :

أولاً : هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار وغيره أو لا يجوز ؟ .

ثانياً : هل إذا لحس الكلب أحداً أو مسه وهو مبلول بالماء أو غيره ، ولم يغسل محل اللحس والمس مقلداً للإمام مالك رضى الله عنه في طهارته وطهارة ريقه ، ويتوضأ ويصلى على مذهب الإمام الشافعى ، ويقلد من يجوز التلفيق في القضيتين ، هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟ .

ثالثاً : هل قول الإمام مالك بطهارة الكلب مخالف لدين الإسلام وخارج منه أولاً ؟ .  
راج كلنتين رئيس المجلس الدينى

### الجواب :

عن السؤال الأول : تربية الكلاب واتخاذها لمنفعة شرعية كالصيد وحراسة الدور وغيرها جائز شرعاً ، فقد جاء في صحيح مسلم وسنن ابن ماجه وأبى داود والنسائى

الشیطان فاجتنبوه. وهذا عام في كل ما يخامر العقل أى يغطيه ويحدث به نشوة وطربا. وقد وردت الأحاديث النبوية بما يفيد أن الخمر عام في كل مسكر من ذلك ما جاء: عن النعمان ابن بشير قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام إن من الخنطة خمرأ، ومن الشعر خمرأ، ومن الزبيب خمرأ، ومن التمر خمرأ، ومن العسل خمرأ، وإنما أنهى عن كل مسكر. رواه أحمد. ومنها ما جاء عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كل مسكر خمر، وكل خمر حرام. ومنها كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، كما جاءت الأحاديث بتحريم القليل مما يسكر كثيره. من ذلك ما جاء عن سعد ابن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره. وما تقدم يعلم أن كل ما يخامر العقل فهو خمر، وهو من مشمولات النهى وإن عمله الناس بغير اسم الخمر. فقد جاء عن أبي مالك الأشعرى أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس بن أناس من أمتي الخمر ويسمونها بغير اسمها وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه.

وخلاصة هذا أن البوطة من الخمر وأنها حرام قليلها وكثيرها إذ من شأنها الإسكار. خصوصا إذا لاحظنا مع هذا أنها مضرة بالصحة تالفة للبال.

أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في كلب الغنم والصيد والزرع.

عن السؤال الثاني: تلفيق المصل في الحادثة المستول عنها، وأخذه من كل مذهب شيئا من أحكامه جائز على الراجح من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه.

عن السؤال الثالث: مسألة طهارة الكلب من المسائل التي ليس فيها نص قاطع، بل هي من المسائل الفرعية الاجتهادية التي اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم، فمنهم من رأى طهارة الكلب، ومنهم من رأى نجاسته، وقد ذهب كل منهم إلى رأيه لدليل ترجح عنده، فلا يصح أن يعتبر قول الإمام مالك بطهارة الكلب خروجاً عن الدين، أو مخالفا للإسلام.

### القول :

ما حكم الشرع في الشراب المعروف بالبوطة؟

### الجواب :

الشراب المعروف بالبوطة سواء أكان متخذاً من القمح أو الشعير أو غيرهما إذا أسكر كثيره فقليله حرام؛ إذ هو حينئذ خمر فإن الخمر ما خامر العقل وهو يشمل كل مسكر من أى نوع كان وقد قال تعالى: «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

## السؤال :

هل شرب الخشيش أو أكله حرام ؟  
إسماعيل مرسى

## الجواب :

لا ينبغي لمسلم أن يشك أو يرتاب في أن تعاطى الخشيش على أى وجه ، حرام لأنه يؤدي إلى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة فهو يفسد العقل ويفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار والمفاسد فلا يمكن أن تأذن الشريعة التي جاءت بما يحفظ العقل والبدن والدين والعرض والمال بتعاطيه مع تحريمها لما هو أقل منه مفسدة وأخف ضرراً . ولذلك قال بعض علماء الحنفية — إن من قال بجل الخشيش زنديق مبتدع — وهذا دلالة على ظهور حرمة ووضوحها . ولأنه لما كان الكثير من الخشيش يخامر العقل ويغطيهِ ويحدث من الطرب واللذة عند تناوله ما يدعوه إلى تعاطيه والمداومة عليه ، كان داخلانياً حرمه الله تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الخمر المسكر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب المباعدة الشرعية ما خلاصته : ( إن الخشيشة حرام يحد متناولها كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث

وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة ولذا فهي داخلية فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والسكر لفظاً أو معنى .

وقد تكلم رحمه الله عنها أيضاً غير مرة في فتاواه فقال ما خلاصته ( الخشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها الموجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله تشتمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً بجانين وتورث من مهانة آكلها وذنائة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر ، ففيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولى . والكثير والقليل منها حرام أيضاً بالنصوص الدالة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر ) انتهى وقد تبعه تلميذه الإمام المحقق ابن القيم رحمه الله فقال في زاد المعاد ما خلاصته : ( أن الخمر يدخل معها كل مسكر مائعاً كان أو جامداً عصيراً أو مطبوخاً فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور (هي المعاجين المعروفة الآن بالمنزول) فالخشيشة خمر بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذي لا مطعن في سنده ولا إجمال في سنده ، ( إذ صح عنه قوله كل مسكر خمر ) وصح عن الصحابة رضي الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده : أن

## السؤال :

هل كلمة سيدنا في شهادة أن محمدا رسول الله واردة بصيغة الآذان الواردة أم لا ؟ .

عبد الفتاح سعد - البدرين

## الجواب :

الآذان من الشعائر الدينية التي بين الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها وصيغتها وليس في هذه الصيغة كلمة سيدنا ، في الشهادة بأن محمدا رسول الله ، وقد مضى على ذلك عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين وجميع الصحابة التابعين . لم ينقل مخالف لذلك في هذه العصور .

وترى بعض الشافعية - مع تسليمه بأن لفظ سيدنا ، في الآذان لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن الأفضل زيادة هذا اللفظ في الآذان مراعاة للأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام .

واللجنة ترى الاختصار على الوارد من غير زيادة هذه الكلمة ولا غيرها لأن الآذان سنة متبعة لا يزداد عليها ولا ينقص منها شيء .

الخمر ما غامر العقل - على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذي استوفى فيه الأصل والفرع من كل وجه حاكما بالتسوية بين أنواع المسكر . فالتفريق بين نوع ونوع تفريق بين المتماثلين من جميع الوجوه انتهى -

وقال صاحب سبل السلام ( يحرم ما أسكر من أى شيء وإن لم يكن مشروبا كالخيشة ) ونقل عن الحافظ ابن حجر ( أن من قال إن الخيشة لا تسكر وإنما هي مخدر مكابر فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة ) ونقل عن ابن البيطار من الأطباء ( أن الخيشة التي توجد في مصر مسكرة جداً إذا تناول الإنسان منها قدر درهم أو درهمين ومفاسد كثيرة . عد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودينية ومفاسد موجودة في الأفيون وفيه زيادة مضار .

ومما ذكرنا يقين أن الخيشة قليلا كان أو كثيراً حرام على أى وجه كان ، سواء أكان أكلا أم شربا .

## بين الباب وقرائه

إلى السادة الأخوة الأفاضل الذين كتبوا للباب يطلبون خاصة على رسائلهم نذكر أن الردود ستصلهم قريبا إن شاء الله ، وسيقوم الباب بنشر بعض ما تحويه هذه الردود مما له صبغة عامة .

# بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

## إختيار وتعليق

عبد الرحيم فوده

يحتل مكان القلب منها .

الجامع الأزهر

كذلك أنشئت مدينة القسطا . فكان جامع عمرو حجر الأساس فيها ، ثم كان ما يحيط به خطاً للقبائل المختلفة تقيم كل قبيلة في الحطة المخصصة لها مساكنها ومتاجرها . وكذلك أنشئت مدينة العسكر بعد أن دالت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين فكان جامع العسكر كذلك حجر الأساس فيها . وكذلك أنشئت مدينة القطائع في عهد الدولة الطولونية فكان جامع ابن طولون في مكان القلب منها أو حجر الأساس فيها . ثم كان إنشاء القاهرة بعد ذلك . فكان الجامع الأزهر كذلك .

وهذه الحطة كانت ستة متبعة في كثير من المدن التي قام بإنشائها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون ، فإننا نجد لها في البصرة والكوفة وفي كثير من مدن الشام ، ويرى بعض المؤرخين أن هذه السياسة أو الحطة ترجع إلى عهد عمر رضي الله عنه . بدليل ما كان يكتبه إلى الولاة - ومنهم عمرو بن العاص في هذا الشأن ، ولكن مد النظر إلى ما قبل

أنشئه أول ما أنشئ . ليكون مسجداً جامعاً ، ثم بدأت الدراسة فيه بعد إنشائه بعدة أعوام فصار مسجداً ومهداً معاً ، ثم أقبل عليه العلماء وطلاب العلم من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، فصار جامعة تدرس فيها علوم الدين والدنيا ، ثم امتحن العرب والمسلمون بالغزو التتري ، والاستعمار الأوربي ، فكان منبر ثورة ، وحصن مقاومة ومقر قيادة . . . ثم هو من قبل ومن بعد القطعة التي قامت على حراسة علوم الدين واللغة حتى الآن ، وبعد أن عمرت أكثر من ألف عام .

ذلكم هو الأزهر الذي أنشأه جوهر الصقلي عام ١٣٥٩ للهجرة ( ٩٧٠ م ) ، بأمر الخليفة المعز لدين الله الفاطمي .

ولم يكن لإنشائه في قلب القاهرة استجابة لرغبة طارئة ، أو فكرة عابرة ، وإنما كان تنفيذاً لحطة مرسومة ، وسياسة موضوعة ، جرى عليها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون فيما كانوا ينشئون من مدائن وأمصار ، فحيث كان يراد إنشاء مدينة كان المسجد الجامع



مدينة إسلامية ، ولا يقلل من أهمية هذا الاتجاه أن بعض المذاهب الأخرى لم تشتط المسجد الجامع ، فإنها مع ذلك تشتط لصحة صلاة الجمعة أن تكون في المصر أو في الأبنية المجتمعة أو قريبا منها ، ولا شك أن الأمل والأفضل مع هذا أن تكون في المسجد الجامع .

د . ع . ف ،

من بحث في تاريخ الأزهر

بكتاب الشعب « مساجد ومعاهد »

### بعد المسجدين

واذكره بعد المسجدين <sup>(١)</sup> معظما

لمساجد الله الثلاثة مكبرا

واخشع مليا <sup>(٢)</sup> واقض حق أئمة

طلعوا به زهرا <sup>(٣)</sup> وماجوا أبجرا

كانوا أجل من الملوك جلالة

وأعز سلطانا وأغم مظهرا

زمن المخاوف كان فيه جنابهم <sup>(٤)</sup>

حرم الأمان . وكان ظلهم الذرا <sup>(٥)</sup>

(١) يريد بالمسجدين . المسجد الحرام والمسجد

الأقصى .

(٢) مليا . زمانا طويلا .

(٣) زهر . جمع أزهر وهو النير ويسمى القمر

الأزهر . والأزهران . للشمس والقمر ، فالمراد .

شيوخه البيض الذين تألفوا في سماء الشرق كأهم

كواكب .

(٤) الجناب فناء البيت . وماقرب من محلة القوم .

(٥) اقرا بفتح القال . للجلأ .

عهد عمر يرينا أن هذه الخطة ترجع إلى أبعد من هذا العهد بقرون وأجيال ، فقد كان أول بناء أنشئ بمكة هو بيت الله الحرام ، كما يفهم من قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين » ، ثم كانت أول قبيلة نزحت إليه هي « جرهم » ، ثم تبعها ولحقها قبائل أخرى فأقامت حول هذا البيت العتيق ، وأقامت حوله منازلها ومتاجرها فكانت مكة ، وكان بيت الله في مكان القلب منها ، يحججه الناس من كل صوب وحذب « رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله » ، فليس من البعيد - بل من المحتمل القريب - أن يرى المسلمون في هذه المدينة نموذجا لما ينشئون من مدن وأمصار ، ولعل مما يرجح ذلك أو يؤكد ما نجمده في الفقه الإسلامي ، فإن مذهب الإمام مالك يشترط لصحة الجمعة أن تكون في المسجد الجامع ، ويشترط في المسجد الجامع أن يكون داخل البلدة أو قريبا منها بحيث يمكن أن ينعكس عليه دخانها ، كما يشترط لصحة الجمعة فيه أن يكون مبنيا ، وأن يكون بناؤه على الأقل مساويا للبناء المعتاد ولأهل البلد .

وهذا التفكير يلقي الضوء على هذه الخطة ، ويمكن أن نرى فيه التفسير لهذا النظام الممارى ومدى أهمية المسجد الجامع في كل

مجلة الاعتصام - من مقال للأستاذ محمد  
على أحمد في الدس والافتراء على العلماء .

إله همم يعلم

نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في  
خلافته عن مذاق اللبن بالماء ، فخرج ذات  
ليلة في حواشى المدينة . فإذا بامرأة تقول  
لابنة لها : ألا تمزقين لبنك ، فقد أصبحت؟  
فقال الجارية : كيف أمزق وقد نهى  
أمير المؤمنين عن المذاق ؟ ! فقالت : قد مذاق  
الناس فامزق ، فما يدري أمير المؤمنين ،  
فقالت : إن كان عمر لا يعلم فإنه همم يعلم ،  
ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقاتلتها من عمر ، فلما أصبح دعا  
عاصما ابنه ، فقال . يا عاصم ، اذهب إلى  
موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية —  
ووصفها له - فذهب عاصم ، فإذا جارية من  
بنى هلال : فقال له عمر : اذهب يا بن فتزوجها ،  
فما أحرأها أن تأتى بفارس يسود العرب ،  
فتزوجها عاصم بن عمر ؛ فولدت له أم عاصم  
بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها  
عبد العزيز بن مروان ، فأتت بعمر  
ابن عبد العزيز .

من كتاب قصص العرب تأليف  
الأساتذة محمد جاد المولى بك ، ومحمد  
أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد الجاوى

من كل بحر في الشريعة زاخر  
ويريك الخلق العظيم غضنفرأ (١)  
لا تحذ حذو عصابة مفتونة  
يجدون كل قديم شىء منكراً  
ولو استطاعوا فى الجامع أنكروا  
من مات من آبائهم أو همرا  
أحمد شوقي  
من ديوان الشوقيات

هبة سبطانه :

ومن لطائف ما وقع للعارف الشيخ  
عبد القادر الجيلانى ما حكى عنه أنه قال :  
ترامى لى مرة نور عظيم ملا الألق ، ثم بدت  
لى فيه صورة تنادىنى يا عبد القادر أنا ربك ،  
وقد أسقطت عنك التكليف ، فإن شئت  
فأصعدنى ، وإن شئت فاترك فقلت له : إخصأ  
يا لعين ، فإذا ذلك النور قد صار ظلاما ،  
وتلك الصورة صارت دخانا ، ثم خاطبنى  
اللعين فقال : يا عبد القادر ، نجوت منى بملكك  
بأحكام ربك . وفهك فى أحوال منازلتك ،  
ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من  
أهل الطريق . فقيل للشيخ عبد القادر من  
أين عرفت أنه شيطان ... ؟ فقال : بإحلاله  
لى ما حرمه الله على لسان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، فإنه تعالى لا يحرم شيئا على  
ألسنة رسله ثم يبيحه لأحد فى السر أبداً .

### حول معونة الشتاء :

إن لنا اعتراضاً على الشكل الذى إتخذته حملة الدعوة إلى التبرع . فالشئ الذى يلتفت النظر هو أن القائمين عليها من فرط حماسهم لعمل الخير ربطوا المشروع باشتراكيتنا وثورتنا ربطاً قد يثير البلبلة فى عقول البعض فى وقت نحن أحوج ما تكون فيه إلى الوضوح ذلك أن بعض اللاقات كانت تقول « معونة الشتاء قلب الثورة » . والآخرى ادعت أن « معونة الشتاء عنوان لا اشتراكيتنا » إلى غير ذلك من العبارات المبالغ فيها . ونحن قوم لا يزال الميل إلى المبالغة من بعض طباعتنا . إن معونة الشتاء لا يمكن أن تكون عنواناً لا اشتراكيتنا أو رمزاً لها . ولا يمكن أن تكون قلب ثورتنا إن الميثاق هو عنوان اشتراكيتنا وقلب ثورتنا ، الميثاق بما تضمنه من قيم تمجد العمل والحرية والديمقراطية ، وبما احتواه من أسس لتنظيم الشعب العامل حتى يمسك حاضره ومستقبله بيده يصوغهما كما يجب أن يكون حاضر الإنسان ومستقبله .

الدكتور محمد الحفيف

من جريدة الأهرام

التعليق . . إذا كان القائمون على الدعاية لمعونة الشتاء قد ربطوا المشروع باشتراكيتنا وثورتنا فذلك - فيما أعتقد - لاتصال اشتراكيتنا وثورتنا بديننا ، فإنه الإطار

للاشتراكية التى تؤمن بها . وللدستور الذى نسير عليه ، والميثاق الذى يتوارى فى ظل الثناء عليه الكاتب البلق جدا - عفا الله عنه - يجمع مع العمل والحرية والديمقراطية القيم الدينية والإنسانية ، وأول دستور طلعت به الثورة على الشعب ينص على أن دين الدولة الإسلام ، والتقارير الذى انبثق من ضمير الشعب واعتبر تفسيراً للميثاق ينص كذلك على ذلك ، فربط المشروع باشتراكيتنا وثورتنا لا يثير أية بلبلة ، وإنما يثير البلبلة ويزعزع الثقة مثل هذا الكلام الذى يخرج مسموماً من بعض حملة الأفلام

### ظل إنتاجي

يا صاحبي إن مالى لا يظللنى  
ولا يراعى ولا فأسى . ولا تاجي  
ولا انقسابى ولا اسمى حين تذكره  
إن كنت « أفظون » ، وإن كنت « بلتاجي »  
كل الظلال إذا ما الموت أدركنى  
تفر منى إلا ظل إنتاجي  
محمد السيد شحاته  
شاعر البرارى

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور .  
قرآن كريم

يَشْرَكَ فِي الْقِيَمِ  
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَابْنُ  
بَدَلِ الْأَشْتَرِ  
عَمَّ فِي جُمْهُورِ الْعَرَبِ الْمُتَعَمِّ  
فَمَارِجُ الْمُرُورَةِ  
وَالْمَدِينِ وَالطَّلَاقِ تَنْفِيضُ

# مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعة

تَبْدُلُهُ عَنْ مَشِيخَةِ الْإِنْهَارِ فِي ذَوِّ كُلِّ شَهْرٍ بِمِثْلِ

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَرئيسُ الْقَرْنِ  
أحمد حسن الزيات  
المستشار  
إدارة أجمع الأزهر  
بالقاهرة  
١ ٤٦١٤

الجزء السادس — السنة الرابعة والثلاثون — شعبان سنة ١٣٨٢ هـ - يناير ١٩٦٣ م



١٤  
٢٤٤٤٦  
دوريات

سما المارم المارم

## عَصْرُنَا الذَّهَبِيُّ الرَّابِعُ

بقلم : أحمد حسن الزيات

سبى الرئيس :

الأرستقراطية ، فلا يكاد خيرها يجاوز  
النطاق الخاص ؛ فقااعات العروش ، وأبهاء  
القصور ، ودواوين الحكم ، كانت تفيض بالثراء  
والنعمة ، وتزخر برجال العلم والأدب  
والفن والحكمة .

أما الشعوب فكانت قطعانا تستغل ، وموارد  
تستنزف ، وطبقات يعلو بعضها بعضا بحكم  
النسب أو السلطان أو الثروة ، فما كان ينالهم  
من فضل العصر إلا القدر المحتوم من الرخاء

(١) إن العصور الذهبية العربية التي تقدم فيها  
العلم ، وازدهر الأدب ، وارتقت الحضارة ،  
وتطورت الحياة ، ثلاثة :

عصر الرشيد وابنه المأمون في بغداد ،  
وعصر العزيز وابنه الحاكم في القاهرة ، وعصر  
الناصر وابنه الحكم في قرطبة . وهذه الأعصر  
الثلاثة كانت مراحل للتقدم البشرى في طريق  
الكمال الممكن ، إلا أنها كانت تقسم بسما

(١) نص الكلمة التي ألفت في عهد العلم نيابة عن الفائزين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية .

سيدى الرئيس :

إن الأدب الذى تكرمه الليلة فى أهله قد بشر بك ومهد لك ودعا إليك . فى أغسطس من عام ١٩٣٥ قالت مجلة الرسالة : « نحن فى مجموع الناس أوزاع وأتباع ننظر إلى الأمم تعمل وإلى العالم يسير بعين بلهاء لا يجاوز بصرها مدى العجب ، وعلتنا أن ساسقنا وقادتنا كلهم من رجال القول لا من رجال الفعل ، ومن أرباب القلم لا من أرباب السيف ، ومن جنود القانون لا من جنود (الأوامر) تقفوا على مباحث الكتب. ودربوا على مكاتب الدواوين وحرّموا التريبة العسكرية وهى وحدها القائمة على الحطة والنظام والأمر والتنفيذ والتضحية والشرف ، وفى أبريل من سنة ١٩٤٠ تنبأت الرسالة بالرجل المنتظر فقالت مانصه : « إن للرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهده وتدل عليه . فن الآيات المهيئة لظهوره انحلال الأخلاق فلا تناسك فى قول ولا فعل ، وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستئثار النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، وجحوش الشهوات فلا تنقصد بلين ولا شدة .

ومن آياته المنبئة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأمرته قبل أسرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته ، ومصداق

العام والخير المشترك . حتى أراد الله أن يكون للعرب عصر ذهبي رابع يكمل نقص هذه الأعصر جميعا ، فكان عصرك يا سيدى الرئيس ! عصرك الذى أشرق لإشراق الشمس وأقبل لإقبال الربيع ؛ فيه الحرارة والنور ، وفيه النضارة والخصب . عصرك الذى طبقت فيه مبادئ الإسلام التى فهمت ولم تعتقد ، أو اعتقدت ولم تطبق ، فالأمر شورى ، والحكم عدل ، والرزق شركة ، والناس سواسية ، والشعب حاكم .

عصرك يا سيدى الرئيس قد انفرد من بين العصور بأنه عصر الإنسان الكريم ، والمواطن الحر ، والعامل الكادح ، والعالم المجتهد ، والأديب المستقل . فكل منهم يشعر اليوم بأن له حقا يناله ، وواجبا يؤديه ، ورزقا يكفيه ، ووطنا يعتز به .

عصرك عصر السلام والوئام والوحدة ، فأنت تسعى دائما للسلام الدائم بين الدول ، وللوئام الكامل بين الشعوب ، وللوحدة الشاملة بين العرب ، لا تبتغى من وراء أولئك كله إلا ما ابتغاه ذوو الرسائل من قبلك .

وسيتشر ضوء ميثاقك المحكم الهادى فى كل نفس ، وفى كل أرض انتشار كلمة الله لأنه الحق الذى وضعه الله فى شرعه ، والمنهج الذى صنعه لجميع خلقه .

الراعى الذى يطرد الذئب ، والحيط الذى يجمع الحب ، والدليل الذى يحمل المصباح ، والقائد الذى يرفع العلم ، والأستاذ الذى يعلّمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . وكل أولئك يارباه يجمعهم رجل واحد هو أشبه الناس بالمهدى المنتظر والمسيح الموعود . .  
ذلك ياسيدى الرئيس ما تنبأت به الرسالة قبل قيام ثورتك المباركة باثنتى عشرة سنة ، وقد صدقت النبوءة واستجيب الدعاء ، فهل كانت تنظر إليك بلحظ الغيب ؟ .

سيدى الرئيس : إذا تفضلت الليلة على رجال العلم والفن والآداب بالتقدير والتشجيع فإنك تقدر سلاحا من أمضى أسلحتك ، وتشجع جنودا من أخلص جنودك . وإنى أقدم بأسمائهم جميعاً وباسمى إلى سيادتك بأصدق الشكر وأعظمه ، ونسأل الله أن يديم عصرك ويعز نصرك ويتم عليك وعلى أصحابك نعمة التوفيق ؟

**أحمد حسن الزيات**

تلك الآيات أن تموت ( الأنا ) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ، فهو يحس ألمه لأنه يجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ، ويملك قيادته لأنه مظهر إرادته ، وهو فى سمو نفسه ونزاهة هواه قد ارتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أرفع من العصية ، ولا يقول قولا ولا يعمل عملا إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده والمبدأ الذى يؤيده والشعب الذى يقوده ، ثم هو فى ألمعية ذهنه ورصانة لبه وصلابة عوده وبعد همته يعظم على الأحداث ويعلو على الحوائل ، فلا ينضج رأيا إلا أمضاء ، ولا يرمى غرضا إلا أصابه ، ولا يروم أمدا إلا أدركه . .

ثم ختمت الرسالة مقالها بهذا الدعاء :  
رباه : لقد امتد بنا التيه فى مجاهل الأرض إلى قرون . وفسد فى نفوسنا الإيمان بالحياة حتى تحول إلى ظنون . فسقى نخرج من التيه يارباه خروج موسى ، وتنبسوا من صدر الحياة العاملة مكان محمد ؟ اللهم إنا نسألك

# الشخصية السماوية للأمة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

وشخصيتها المعنوية ترجع إلى مقدار ما لها من تماسك وتخلخل، وثبات وتردد، ونفع وضرر، وإذا ما خلعت الأفراد عن الروح الذي يحقق لها مركزاً في الوجود، ويفيض عنه آثارها التي هيئت لها، وظلت في وجودها عند شخصيتها الحسية كانت فاقدة للوجود المعنوي، وكانت بفقدائها إياه، ظلاً لغيرها، تتحرك بحركته إذا تحرك، وتساكن بسكونه إذا ساكن، وتفكر بعقله إذا فكر وهكذا لا ينسب إليها شيء من آثار الإنسانية التي يتبوأ الإنسان مركزها في الحياة.

## شخصية الأمة :

وإذا كان للفرد شخصية حسية، وأخرى معنوية، وتتحققهما يتحقق وجوده في ذاته وفي آثاره، وبفقداهما يفقد وجوده الحسي فلا تتحقق ذاته ويفقد وجوده المعنوي فلا يكون له آثار، فإن الأمة كالفرد في ذلك كله لها شخصية حسية، تحفظ عليها وجودها الحسي، وأخرى معنوية تحفظ عليها وجودها المعنوي، وترجع شخصيتها الحسية إلى إقامتها في إقليمها الذي نشأت فيه ونسب إليها

شخصية الشيء هي ما يحقق وجوده، ويميزه عن غيره، ويعرف به في ذاته وآثاره ولو أتيح لنا أن تصور شيئاً ما، دون أن تكون له شخصية لما أمكن الحكم عليه بالوجود، وظل في الأذهان مجرد صورة ليس لها واقع تتعلق به الأنظار، أو تتجه إليه الآمال، أو تصدر عليه الأحكام، أو يدخل به في حساب الأحياء.

والوجود منه حسي لا بد له من شخصية حسية، ومنه معنوي لا بد له من شخصية معنوية، والشيء لا يحظى بالوجود الكامل، ولا يستحق عنوان الوجود، إلا إذا نال نصيبه من الشخصيتين: الحسية والمعنوية، وعندئذ يتحقق له الوجدان الحسي والمعنوي ويكمل في صورته ومعناه.

وإذا كان للأفراد كما ترى شخصية حسية، تتحقق لها وجودها الحسي، فلها أيضاً شخصية معنوية تتحقق لها وجودها المعنوي.

وشخصية الأفراد الحسية ترجع إلى ما لها من صورة وشكل، وحركة وسكون وما كل ومشرب، واستقرار وارتحال.

الإنسان بوحيه الخاص ، وشعوره الخاص ، ويعمل جهده في تمسك الناس بها ، ونزولهم عليها ، وهى لذلك تتعدد وتباين تبعاً لتعدد مصدرها وتباين التقدير البشرى فى أساسها وغايتها ، وهى فى جميع ألوانها وأهدافها تدور حول اعتبارات مادية لا تتصل بالروح ، ولا بالفكرة السامية التى تتخذ الوحدة الإنسانية أساس شخصيتها المعنوية ، وميدان عملها فى الحياة .

ومن هنا تختلف بالأمم السبل ، وتنزع كل أمة إلى البناء على أساسها الخاص ، وتنشأ عن ذلك المنافسات وتنبت العداوات ، وتوجد الأحقاد والأطماع ، ويكون الاستغلال وتكون الفتن المفرقة ، والحروب الطاحنة والتفنن فى وسائل التخريب والتدمير .

وبذلك يصير العالم ، كما نراه اليوم - وقد بعدت عنه عناصر الخير ، وتخلت عنه أرواح الأمن والسلم ، على فوهة من الجحيم ، ينتظر من آن إلى آخر ، الوقت الذى يسقط فيه إلى الهاوية .

وما حديث الذرة وأخواتها ، وما التحكم فى الشعوب وشد الخناق عليها ، ومحاولة سلب حقوقها ، إلا تعبير صادق عن الحلقة الأخيرة من هذه الحلقات المحزنة المخربة ، التى جرت وتجر الولايات على العالم بسبب تحكم هذه الشخصيات التى ابتدعها الإنسان سيرا مع

أو نسبت إليه ، وافترشت أرضه ، والتحففت سماه ، وضربت فى أرجائه ، وتغذت بثماره وارتوت بمائه .

وترجع شخصيتها المعنوية إلى وزن شعورها بقيمتها فى الحياة العامة ، وإلى ما تفترضه لنفسها من نصيب فى أعباء تلك الحياة ، وإعداد مسالك الخير أو الشر فيها ، وإلى مقدار ما تنفع به أو تضر نفسها أو غيرها من سلوكها ومن صلتها باتجاهات الخير أو منازع الشر .

وإذا ما انعدمت هذه الشخصية المعنوية أو ضعفت ، ووقفت الأمة بنفسها على حدود شخصيتها الحية ، انعدم وجودها المعنوى أو ضعف ، وصارت أمة ذليلة ، وإن كانت مقيمة فى بيتها ، فقيرة ، وإن كان ينزل عليها المن والسلوى ، وتفسح لها قناطير الذهب والفضة ، قليلة ، وإن ضاقت وديانها بأفرادها فهى كما قال الرسول عليه السلام ، غشاء كغشاء السيل ، تنهافت عليها الأمم ذات الشخصيات الكادحة ، كما تنهافت الأكلة على قصعتها ، تملكها الوهن ، وملأها الجبن ، وهزبت عنها عناصر العمل .

### الشخصية البسرية :

والشخصية المعنوية للأمم ، منها شخصية تستمد خططها من العقل البشرى يضعها



شهواته ، ثم أفرغ وسعه في إخضاع الناس لها وتسخيرهم بها « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ، وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور » .

وسيطر العالم يبعد عنه الخير . ويقرب من الشر ، ما دامت أمه تتردد بين أمة فقدت شخصيتها المعنوية وسكنت إلى الذلة والضعف والفاقة ، وأمة تتخذ لنفسها تبعاً لها وشخصية تجوس بها خلال غيرها من الأمم ذات الوهن ، وتسلبها عزها وإرادتها .

**الشخصية الساموية :**

ولاسلامة للعالم من طغيان القوة والجبروت ، ولا من ذلة الضعف والهوان ، إلا إذا خلصت الأمم ذات الشخصيات البشرية الطاغية ، نفسها من إطار تلك الشخصيات ، ورمت بها إلى قاع المحيطات ، ورجعت إلى هذه الشخصية المعنوية التي رسمها العليم الخبير بطباع البشر ، طريقاً لسعادته ، ونزل بها الروح الأمين على رسل الله .

ثم أخذت على عاتقها غرس تلك الشخصية في الأمم الأخرى التي حصرت وجودها في دائرة شخصيتها الحسية ، ذات المأكل والمشرب ، ذات اللهو واللعب والحرمان من معنى الحياة الحقة التي خلق لها الكون وجعل الإنسان خليفة لها يقودها وينظمها « فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداى

فلا يضل ولا يشتق . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

وهذه الشخصية الساموية ، نزل بها القرآن ، وبين معالمها ، وأوضح عناصرها وهدى الناس إليها . « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » آمن بها فريق من الناس حيناً من الدهر ، وبنوا حياتهم على أساس منها فوجهوا أنفسهم ووجهوا العالم إلى كثير من آفاق الخير . « فلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » حتى ران زخرف الحياة على قلوبهم ، وشغلوا بشهواتهم ، وغرتهم الحياة الدنيا « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » وأسلموا أنفسهم لأرباب الشخصيات الأخرى . وتعلقوا بأذيالهم في كل شيء .

في علمهم إذا طلبوا العلم . وفي قوتهم إذا طلبوا القوة ، وفي اقتصادهم إذا طلبوا الاقتصاد ، وفي نظامهم إذا طلبوا النظام ، وفي قانونهم إذا طلبوا القانون ، وفي حضارتهم إذا طلبوا الحضارة .

فلا يضل ولا يشتق . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

وهذه الشخصية الساموية ، نزل بها القرآن ، وبين معالمها ، وأوضح عناصرها وهدى الناس إليها . « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » آمن بها فريق من الناس حيناً من الدهر ، وبنوا حياتهم على أساس منها فوجهوا أنفسهم ووجهوا العالم إلى كثير من آفاق الخير . « فلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » حتى ران زخرف الحياة على قلوبهم ، وشغلوا بشهواتهم ، وغرتهم الحياة الدنيا « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » وأسلموا أنفسهم لأرباب الشخصيات الأخرى . وتعلقوا بأذيالهم في كل شيء .

في علمهم إذا طلبوا العلم . وفي قوتهم إذا طلبوا القوة ، وفي اقتصادهم إذا طلبوا الاقتصاد ، وفي نظامهم إذا طلبوا النظام ، وفي قانونهم إذا طلبوا القانون ، وفي حضارتهم إذا طلبوا الحضارة .

فلا يضل ولا يشتق . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى » .

وهذه الشخصية الساموية ، نزل بها القرآن ، وبين معالمها ، وأوضح عناصرها وهدى الناس إليها . « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » آمن بها فريق من الناس حيناً من الدهر ، وبنوا حياتهم على أساس منها فوجهوا أنفسهم ووجهوا العالم إلى كثير من آفاق الخير . « فلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه » حتى ران زخرف الحياة على قلوبهم ، وشغلوا بشهواتهم ، وغرتهم الحياة الدنيا « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » وأسلموا أنفسهم لأرباب الشخصيات الأخرى . وتعلقوا بأذيالهم في كل شيء .

في علمهم إذا طلبوا العلم . وفي قوتهم إذا طلبوا القوة ، وفي اقتصادهم إذا طلبوا الاقتصاد ، وفي نظامهم إذا طلبوا النظام ، وفي قانونهم إذا طلبوا القانون ، وفي حضارتهم إذا طلبوا الحضارة .

عودوا إليها وأقيموها فيما بينكم من جميع جوانبها ، لتألف قلوبكم ويقوى سلطانكم ، وتنفذ كلمتكم ، وتصان عزتكم .  
عودوا إلى شخصيتكم وأنقذوا بها أنفسكم من هول ما يحيطكم ويترصد بكم . وأنقذوا بها العالم من الجمر الذى يتقلب فيه ، كما أنقذه بها من قبل أسلافكم .

إن الشخصية هى الشخصية ، لا تزال بيئة واضحة فى كتابها ، والعالم هو العالم لا يزال ينقاد بطبعه إلى الخير متى وجد إليه سبيلا ، ولكن كونوا أتم كما كان آباؤكم ، واعلموا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

محمود سائوت

وهكذا نزعوا شخصيتهم ، وتفرقت بهم السبل ، وانحازت كل طائفة منهم إلى أهل شخصية خاصة ، يستظلون بظلمهم ، ويطلبون منهم العون والنصرة وبذلك ذابوا فى غيرهم ، وفقدوا وجودهم كأمة لها فى الحياة وجود خاص ، ومنهج خاص .

تفرقوا عن رباطهم المقدس الذى يربط قلوبهم بالعزة ، وفقدوا جميع الوسائل التى تدفعهم إلى الالتفاف حول ذلك الرباط ، والاعتصام بحبله ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

عودوا إلى شخصيتكم .. عودوا إلى شخصيتكم السالوية الى أكملها الله لكم ، وربط بها خيركم وفلاحكم .

## البلاغة

قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومى : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانهاز الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقال بعض أهل الهند : جامع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة .

وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ فى الدرك ، وأحق بالظفر .

# الأدب العربي المعقول الذين لا يعقلون!

للأستاذ عباس محمود العقاد

لكذلك مرض لا شك فيه ، تعرف أسبابه وعوارضه من ظواهر هذا العصر التي سبقت لها نظائرها في العصور الغابرة ، كما تعرف من ظواهره التي لم يسبق لها نظير .

والظواهر التي سبقت لها نظائر كثيرة قبل القرن العشرين هي اضطراب الأحوال في ظروف الانتقال ، وأزمات الحروب المتوالية أو الثورات الاجتماعية والعالمية .

أما الظواهر التي اختص بها القرن العشرون منذ نهاية القرن السابق فهي - من جهة - شيوع الكلام على الأطوار النفسية والعوارض العقلية ، وهي - من جهة ثانية - قدرة الجلاء والمصابين على التحدى والمكابرة بالنقص وعوارض السخف والجهالة ، لخلطهم بين الحرية من الطغيان وبين الحرية من الخجل ، وبما ينجل الإنسان وينبغي أن ينجله في كل زمان ، وقد قطورت هذه الحالة بعد فقدانهم الخجل من الحاجة المالية ، إلى فقدان الخجل من كل حاجة ولو كانت حاجة إلى المعرفة أو إلى الفطنة أو إلى الذوق ، وبلغ من شطط هذه اللجاجة ، أو هذه « اللانحجولية » ، قياساً على تعبيراتهم المعهودة أن أحدهم واجه الفيلسوف الأسباني « أفامونو » ، في درسه

الذين لا يعقلون يسألون عن حكم العقل الصراح ، وعن رأى المقنع ، في اللامعقولية واللامعقول !

« واللامعقولية » ، هي دعوة من دعوات الزمن الأخير ، فخواها - إن صح أن يكون لها غوى - أن الفن عمل لا يعقل ولا يفهم ، وإنما يحس ويقاس ، ولسكن بغير مقياس ! وأصحاب هذه الدعوة آخر من يحق لهم أن يعضبوا إذا قيل عنهم إنهم سخفاء يستغلون بالسخف الذي لا معنى له ولا محل لإبداء الرأى فيه ، إذ كان السخف شرطاً من شروط اللامعقول واللامفهوم ، بل هو عنصره الذي لا يتجرد منه بحال لأنه - إذا تجرد منه - كان له معنى ، ودخل في حيز المعقول المفهوم .

وأعجب العجب أن يسألوا الناس آراءهم في شيء لا يجوز لهم أن يكون لهم رأى فيه . وأعجب من هذا أن تروج دعوة بغير رأى ، وبغير موافقة أو مخالفة ، تستندان إلى دليل . فإذا كانت « اللامعقولية » ، دعوة تلغى العقل باختيار أصحابها أو على الرغم منهم ، فهي ضرب من المرض العقلي والمرض النفساني يعالج على هذا الأساس ، وإنه

كما يجهل حقيقة اللغو الذى يبدئون فيه ويعيدون .

فالوعى الباطنى عند هؤلاء المتخطفين المتعلمين خلقة جديدة فى الدنيا لم تكن مخلوقة فيها قبل أيام « فرويد » وزملاته من أصحاب الدراسات النفسية الحديثة .

والوعى الباطنى إذن قد خلق فى هذا العصر ليلغى الحس الظاهر الذى كان نصيب الأقدمين من الوعى كله ولم يكن لهم نصيب سواء ، فلا ترى العين ولا تسمع الأذن ولا يشم الأنف ، ولا يعمل العقل ، ولا يحسوز للحواس أن تشعر شعورها ولا للفنون أن تعبر تعبيرها بعد اليوم ، بل يجب أن تلغى الحواس ولا يسمح لها أن تعمل إلا بالمقدار الذى يتناوله التشويه والخلط والإسفاف بجارة للوعى الباطنى الذى يعيه كل أحد كما يدعيه ، ولا مقياس له ولا سبيل إلى تمييز هذا الذى يدعيه ! و « اللامعقولة » هى وليدة واحدة من ولائد كثيرة من هذا الوعى الباطنى الذى بطل الوعى بعده ظهروا وخافيه . وهكذا يفهم المتخطفون المتعلمون ، ولكنه لم يفهم قط هذا الفهم عند أصحابه الذين اختاروا له هذا الاسم بين عشرات الأسماء التى عرفه بها الأقدمون ، ويسكنى أن نذكر منها : الضمير والوجدان والطوية والخبيثة والسريرة والخلد والروح والهاجس والدخيلة والوسواس : عشرة من عشرات تزدهم بها المعجمات .

الآخر بهذا النداء : « لتسقط الثقافة ، وقفاه ببناء أقبح منه وهو « ليحي الموت » . . . فأجابه الفيلسوف قائلا : « إذن تمت الحياة » .

فى العصور الغابرة كان الجاهل الذى يعلم من نفسه قصور العلم والذوق ينجعل من إقحام نفسه فى مجال الرأى والدراية ولا يخفى اجتهاده لمساواة غيره من هم أعلم منه وأدرى بمسائل الذوق والثقافة ، ولكنه فى هذا العصر يسعى فهم الحرية فيخيل إليه أن حرريته فى إبداء الرأى تمحو الفوارق بين الآراء ، وأن قدرته على تحدى المفضلين عليه بالمال والجاه تخوله أن يتحدى المفضلين عليه بالفهم والذوق ومزايا المواهب والأخلاق ، وربما التقط من فضلات الدراسات النفسية كلمة هنا وكلمة هناك فلا يعترف بالعيوب إذا لزمته وتحققت نسبتها إليه ، بل يقول فى تسويغها لنفسه وتسويغها لمن حوله : لأنها مسألة مزاج ... لأنها من الخصائص السيكولوجية ... إنها من عمل الوعى الباطنى . لأنها من النقائص المشتركة فى الخفاء بين جميع الأحياء من أبناء آدم وحواء . ولا نظن كلمة شاعت عن هذه الدراسات النفسية بين الدهماء فكان لها أثر أسوأ من أثر هذا « الوعى الباطنى » كما يفهمه الذين يجهلون معناه والذين يتخطفون أوائل الكلمات فيتعلمون بها على من يجهل حقيقة تهم

وليس غير العامية والبيغوية معا شيء يسول لأصحابه أن يحسبوا هذا اللغو « مذهبا » ، عليا أو فنيا تقام له المدارس ويقتلذ عليه الطلاب ويمجى النقاد على حكمه فيا يقيسون وما يقدرون ، وعلى أى مقياس يا ترى ؟! وبأى مقدار يكون التقدير ؟

سبحان الله ! وهل من المعقول أن يسأل هذا السؤال أو ذاك عن مذهب « اللامعقول » .

إن الآداب العربية في جانبها المبثذل قد عرفت هذه « اللامعقولية » ووضعها في موضعها « المعقول » قبل القرن العشرين ببضعة أجيال ، فأعطت هذه « اللامعقولية » كل ما تستحقه من التفات الأديب الشاعر أو الزجال ، وسمتها بالاسم الذى لا يحق لجماعة « اللامعقولية » أن ينضبوا منه ؛ لأنه اسم الفن أو الدور المنحون .

ومنذ سنوات ثلاث أشرنا إلى ذلك في محاضرة عن تجديد الشعر ألقيناها بمجمع اللغة العربية وختمناها بهذه الفقرات :

( ... لا تفوتنا في معرض الكلام على الشطط الفنى ملاحظة وثيقة الصلة بموضوع الخلط الذى يقال عنه إنه هو التعبير الصادق دون غيره عن الوعى الباطن والسريرة الإنسانية في أعماقها اللامنتطقية على حد تعبيرهم المأثور . فالخلط الهاذر مذهب لم يخلقه دعاة اللامنتطقية في القرن العشرين ، ولكنهم خلقوا شيئا واحداً فيه لم يسبقهم

ولنما فهم علماء الوعى المحققون أن « اللامعقولية » نزوة عارضة تغلب الإنسان على فكره كلما ثقلت عليه مؤنة الجد والوقار فينطلق من قيود العرف على حدة ، أو مع الناس ، كأنهم في أجازة عارضة يباح فيها ما لا يباح ، ثم ينتهى الأمر عند هذا ولا يصح أن يتبادى بالناس منفردين أو مجتمعين وراء مداه .

وهكذا كان العقلاء يقولون : « إن اللذة هى اطراح الحشمة ، وهكذا نشأت المساكخر والكرنفالات ، وأبيحت المهازل للبقنعين والمتسكرين ، وهم لا يبيحونها مسافرين . عارض يمر وحالة لا تدوم ، ولا يريح العقل ولا « اللا عقل » أن تدوم .

أما أصحابنا جماعة « اللامعقولية » فكل ما فهموه أنها مرسوم صدر بإلغاء العقل إلى آخر الزمان ؛ فلا يصح التعقل بعد اليوم ولا يكون التعقل إلا ضربا من الرجعية أو الجسود على القديم ، فلا يليق التعقل « بالعقلاء » ، في عصر التقدم والتجديد .

أمتقدمون ومجددون وعقلاء ؟ ! معاذ الله ... إنما التقدم والتجديد أن تقفز إلى الوراء ، إلى حظيرة البهيمة العجماء عهد اللامعقولية واللامنجولية واللاحياء .

\* \* \*

وليس غير العامية وأختها البيغوية يحسبان أن إلغاء العقل شيء يفهم ويجوز أخذ الأرى عليه ، وإبداء حكم العقل فيه .

في كل واحدة أربع قواصم خضار  
وهذا مثال آخر :

ياليل ياعين معرفش اكذب  
والضفدعة شائلة مركب  
وأبو فصادة ريسها  
والقط الأعور حارسها  
وغيرها وغيرها بما لا يحصى في صفحات  
المجاميع وعلى ألسنة الناس من عامة الرواة  
والزجالين .

أناس متواضعون طيبون ، معقولون  
وهم ينظمون الفن المجنون ؛ لأنهم لا يسمونه  
( باللامعقولم ) ولا باللامعقولية ،  
ولا يعرضونه بديلا من العقل المحكوم عليه  
بالإلغاء ولا للذوق الذي لا موضع فيه للفهم  
ولا للحياة ، وكل ما يدعونه لهذه  
( اللامعقولية ) منهم أنها تنفيس معقول  
في ساعة عارضة وفي أجازة من تكاليف  
الجد ومتاعب الحياة ، يؤخذ فيها الرأي  
فيقال حيث تقال الآراء ، وبخلاف ذلك  
كل سؤال عن ( اللامعقولم ) ما الرأي فيه ؟  
ولا عل للرأي في مذهب لن يقول  
منكروه في إنكاره أسوأ من قول القائلين  
في تأييده :

لأنه شيء غير معقول ، وغير مفهوم !

عباس محمود العقاد

أحد إليه ، وهو إطلاق العناوين العلمية  
عليه ... وقديما وجد في الشعراء والفنانين  
من ينجح به هواء أحيانا إلى رفع السكفة  
واطراح الحشمة والابتدال في اللفظ أو المعنى  
أو في كليهما ، فيسترسل في الهذر واللفظ  
كأنه في أجازة من نفسه ( الفضلي ) كما يقولون  
وينسب إلى هذه النزوات شعر المجانة والهلزل  
وشعر الإباحة والجنوح ، وينسب إليه  
كذلك ضرب من الشعر الذي يخيل إلى الناس  
أنه محدثهم بالحكم والأمثال وهو في أسلوبه  
الهازل ساخر بضروب الحكمة والمثل ،  
ومنه قصائد ابن سودون الشيبغاوى الملقب  
بالمجنون ، وقد كان ينظمه قبل خمسة  
قرون ، قال :

عجب عجب عجب عجب  
بقر تمشى ولها ذنب  
ولها في بزبها لبن  
يسدور للناس إذا حلبوا  
لا تغضب يوما لمن شتمت  
والناس إذا شتموا غضبوا  
... ومن أمثلة هذه اللامعقولية في الزجل  
منظومات كثيرة وردت في مجاميع الزجل  
وأشهرها كتاب ترويح النفوس لحسن  
الآلاتي ، وهذا مثال منها :

كسرت بطيخة رأيت العجب  
في وسطها أربع مداين كبار  
وفي المداين خلق مثل البقر

# نظرات في فقه عمر

## لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ١٠ —

عندى من هذا علما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه — قال الراوى : فحمد الله عمر ، ثم انصرف .

هذه هي القضية التي جعلها عمر موضع الشورى في الحديث الذي أسلفنا ، وهي قضية «القدر» ، وإنما لمن القضايا التي حارت فيها العقول قديماً وحديثاً ، وشغلت الناس في مختلف الديانات والفلسفات العقلية ولقد كان فقه عمر فيها هو فقه العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وفقه المناطق السليم في شأن الألوهية وما أقامت عليه العالم من سنن لا تتبدل ولا تتحول .

بيان ذلك : أنه كثيراً ما يقع في أذهان الناس أن قضاء الله وقدره مادام قد سبقا ، فلا فائدة في الأعمال ، ولا داعى لتوسيعها بين ما قضى به الرب ، وما يصير إليه أمر العبد ، فلا بد من وقوع القضاء الذي قضاه الله مهما كان من العبد .

ويقولون : مادامت هذه العقيدة من أركان

أثبتنا في مقالنا السابق من هذه النظرات الحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن خروج عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى الشام واستشارته — وهو في الطريق إليها — المهاجرين والأنصار ممن كانوا معه في أمر الوباء الذي علم أنه قد وقع بها .

وتحدثنا عن سنة عمر في الشورى وما يوحى به هذا الحديث وغيره في شأنها ومسلكه فيها .

وقد جاء في آخر هذا الحديث : أن نقاشا وقع بين عمر وأبي عبيدة رضى الله عنهما ، إذ قال أبو عبيدة لعمر حينما قرر الرجوع الناسا للنجاة بنفسه وبمن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطر الوباء : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله . أرأيت لو كان لك إبل فمطبت واديا له عدوتان ، إحداهما مخضبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت المخضبة رعيتها بقدر الله . وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف — وكان غائباً في بعض حاجته — فقال : إن

وينبغي أن نعلم أن هناك فرقا بين المنتحيرين والمنتحيزين في هذه القضية ، فإن المنتحيرين لديهم شبهة يريدون في إخلاص وصدق أن يعالجوها لتنجلي عن قلوبهم فيكمل إيمانهم ، ويكون إيمانا عن بصيرة ، على عكس المنتحيزين الذين لا يريدون إلا إنارة الشكوك ، وإيقاع الناس في الفتنة عن دينهم وعقائدهم . وقد سبق إيراد هذا السؤال أو التساؤل من الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى ؛ ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأثامنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه مخمرة فذكس فجعل يبتك بمنخصرته ثم قال : ما منكم من أحد ، مامن نفس منه فوسه إلا كتب مكانها من الجنة أو النار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة ، فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا ونندع العمل . فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة ، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال : اعملوا فكل ميسر ؛ فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره اليسرى . وعن عبد الله بن عمر أنه قال : نزل فيهم

الإيمان ، وأنه لا يؤمن أحد إلا إذا كان معتقداً بها ، فسوف يتكل عليها الناس ، وسوف ينصرفون عن الأعمال واثقين بأنهم صاثرون إلى ما قدره الله ، وبذلك تتعطل القوى ، وتتوقف المصالح ، ويبطل الإيمان بقيمة العمل وماله من أثر في سعادة الإنسان أو شقائه ، وفي قيمة الأسباب والعوامل المؤدية إلى قوة الأمم أو ضعفها ، وعزتها أو ذلها ، وتقدمها أو تأخرها .

وقد يصل الأمر ببعض الذي يتبعون ما تشابه من آيات الله ابتغاء الفتنة ، إلى أن يقولوا : إن الإيمان بقضية القضاء والقدر على نحو ما يؤمن المسلمون ؛ هو الذي بعث في شعوبهم الاسترخاء ، وذلهم لعوامل القهر والذل التي سلطها عليهم الاستعمار والظلم ، فقد رضوا بال فقر باسم القضاء والقدر ، ورضوا بالذل والاضطهاد باسم القضاء والقدر ، ورضوا بالظلم من الملوك معتقدين أنهم مسيطرون عليهم بقدر من الله ولو شاء ربك ما فعلوه ، إلى غير ذلك من مقتضيات الإيمان بهذه العقيدة .

هكذا يقولون : منهم من يقوله مختاراً ، ومنهم من يقوله إنكاراً ، ومنهم من ينطوى عليه في نفسه ولا يجهر به خوفاً من أن يتهم بالزندقة أو الخروج على تعاليم الدين وعقائده أو تهرباً من الجدل والمصادمات الفكرية التي لا تقف عند حد .



العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ،  
ويمكن منه ، وهي له ، فإذا أتى بالسبب ؛  
وصله الى القدر الذي سبق له في أم الكتاب ،  
وكذا زاد اجتهادا في تحصيل السبب ؛ كان  
حصول المقدور أدنى إليه . وهذا كما إذا قدر  
له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال  
ذلك إلا بالاجتهاد والحرص على التعلم وأسبابه ،  
وإذا قدر له أن يرزق بالولد ؛ لم ينل ذلك إلا  
بالنكاح أو القسرى والوطء ، وإذا قدر له  
أن يستغل من أرضه من المغل كذا وكذا ؛  
لم ينله إلا بالبذر وفعل أسباب الزرع ،  
وإذا قدر الشيع والرى ؛ فذلك موقوف على  
الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب  
واللبس ، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد ،  
فمن عطل العمل اتسكالا على القدر السابق ،  
فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة  
في المعاش وسائر أسبابه اتسكالا على ما قدر له ،  
وقد فطر الله سبحانه عباده على الحرص على  
الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم  
الدنيوية . بل فطر الله على ذلك سائر  
الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم  
الآخروية في معادهم . فإنه سبحانه رب الدنيا  
والآخرة ، وهو الحكيم بما نصبه من  
الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا  
من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة ،  
فهو مهيب له ميسر له ، فإذا علم العبد أن مصالح

شقي وسعيد ، فقال عمر : يا نبي الله : علام  
نعمل ؟ على أمر قد فرغ منه أم لم يفرغ منه  
قل : لا ، على أمر قد فرغ منه ، قد جرت به  
الأقلام ، ولكن كل ميسر د وأما من أعطى  
واتقى وصدق بالحسنى فسييسره لليسرى .  
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى  
فسييسره لليسرى .

وخلاصة الهدى النبوى في جلاء هذه الشبهة  
أن القدر مرتبط بما سنه الله للعالم من سنن ،  
فإذا كان الله تعالى قدر لفلان أن يرزق بولد  
مثلا ، فإن ذلك مرتبط في التقدير نفسه بأن  
يكون له امرأة على سبيل النكاح أو غيره ،  
يتصل بها فتنجب منه هذا الولد ، فلا يقال  
سيرزقه الله الولد الذي قدر له سواء اتصل  
بامرأة أم لم يتصل ؛ لأن التقدير شامل  
للأصل وللوسيلة معا .

ويشرح هذا المعنى ابن القيم في كتابه  
( شفاء العليل ) فيقول : « اتفقت هذه  
الأحاديث ونظائرها على أن القدر السابق لا  
يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل  
يوجب الجد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض  
الصحابية ذلك قال : ما كنت أشد اجتهادا -  
في وقت ما - مني الآن ، وهذا بما يدل على  
فقه الصحابة ، ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم ،  
فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر  
السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب ، فإن

آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها ؛ كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه ، وقد فقه هذا كل الفقه من قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن ... قال النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبب السعادة : الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد ، والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيره ، وتحجز عن شره ... والنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة ، وهو القائل « احرص على ما ينفعك ، واستمع بالله ، ولا تمعز » - والعاجز من لم يتسمع للأمرين<sup>(١)</sup>

وكان العدوى هي أيضاً قدر ، له سبب أو أسباب ، فربما وقعت بالقرب من المريض والاختلاط به . وربما لم تقع ، لوجود حصانة في بعض الأشخاص مثلاً ، فعدم الحصانة سبب جعله الله تعالى موصلاً إلى العدوى بالمرض ، والحصانة سبب جعله الله موصلاً للنجاة منها ، والمؤمن يجب عليه أن يبتعد عن مظنة الإصابة احتياطاً على نفسه ، وتحجزاً من الأسباب الموصلة إلى الضرر عملاً بقوله تعالى : « ولا تلاقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وحينئذ تكون نجاته بقدر من الله أيضاً ، حيث ربط هذه النجاة بسبب هو الابتعاد والتحجز ، ولذلك كان عمر رضى الله عنه موقفاً تمام التوفيق في قوله : ( نفر من قدر الله ، إلى قدر الله ) كما كان موقفاً تمام التوفيق في المثل الذي ضربه ، حيث يقول : رأيت لو كان لك إبل فمبطت وأديا له عدوتان ، إحداهما مخضبة . والأخرى جدبة أليس إن رعيت المخضبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ يريد عمر أن رعى المخضبة يوصل إلى صلاح الإبل ، فصلاح الإبل قدر ، وكونه بسبب رعى المخضبة قدر مرتبط به ، وكذلك يقال في رعى الجدبة إن رعاها ، فرعى الجدبة قدر يوصل إلى فساد الإبل أو هلاكها ، وكلاهما مرتبط بالآخر .

و هذا هو المعنى الذي دعا عمر بن الخطاب إلى أن يقول في جوابه عن سؤال أبي عبيدة : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ، يريد أن المرض والصحة كلاهما قدر ، ولهذا القدر سبب في كل منهما ، فمن أخذه كان موصلاً إلى ما قدر له ، فتمرضه للرباء يعرضه للمرض لأن العدوى سنة من سنن الله في الخلق ،

\* \* \*

(١) ص ٢٥ ، ٢٦ من كتاب ( شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل ) للإمام العلامة ابن القيم - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ بالمطبعة الحسينية المصرية .

ومن الواضح أن خروج الناس من بلد وقع فيها الوباء. يؤدى إلى حماهم (الميكروبات) التى هى الأسباب المميتة بأمر الله وقدره للعدوى والمرض ، فيجب أن يعمل المؤمنون على حصر هذه الأسباب فى مكان الوباء كما تحصر النار حتى يقضى عليها فلا تترك فتنتقل إلى أماكن أخرى ، ولا يصح أن يتركوا أسباب العدوى والمرض تنتقل وتنتشر اعتمادا على أن كل شيء بقدر ، كما لا يصح أن تترك النار تسرى اعتمادا على مثل ذلك .

ومن ل واضح أيضا أن إقدام الناس على أرض فيها الوباء . إنما هو تعرض لأسباب البلاء ، فلا يجوز للمؤمن أن يفعله امتكالا على قدر الله ، فإن الله تعالى هو الذى قدر الأسباب كما قدر المسببات . وبالله التوفيق ؟

**محمد محمد المرنى**

عميد كلية الشريعة

وهذا لا ينافى الإيمان بأن الله هو القادر المتصرف وحده ، لأنه فى نظر المؤمن هو مسبب الأسباب ، وموفق العاملين إلى الأخذ بها ، وهذا هو السر فى أن الإنسان يجب عليه أن يجمع بين أمرين : هما الأخذ بالأسباب ، وسؤال الله التوفيق

\* \* \*

وفى الحديث بعد ذلك : ( أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا سمعتم به - أى بالوباء - بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ) .

وهذا هو قانون الحجر الصحى الذى تأخذ به كل الأمم المتحضرة ، دل عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأدركه عمر بنظرة الثاقب . ثم حمد الله تعالى على أن هداه الله إليه ، وأطمأن لما عرف أن هذا هو هدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

من للشعر الجيد قول إبراهيم بن المهدي يرثى ابنه :

فللمين سحّ دائم وذروب	نأى آخر الأيام عنك حبيب
فقلبك مسلوب وأنت كئيب	دعته نوى لا يرتجى أوبة لها
وأحمد فى الغياب ليس يثوب	يثوب إلى أوطانه كل غائب
سواى وأحداث الزمان تنوب	تبدل داراً غمير دارى وجيرة
على طول أيام المقام غريب	أقام بها مستوطنا غير أنه
سقاء الندى فاهتز وهو رطيب	كأن لم يكن كالغصن فى ميعه الضحى

# فَحَائِةُ الْقُرْآنِ

## العقيدة أولاً ثم العمل

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

ما كان للشركين أن يعمرُوا مساجدَ الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم ، وفي النار هم خالدون ...

- ١ — لنا في الحياة أعمال ومقاصد ، وأعمالنا وسيلتنا إلى مقاصدنا .  
وابتغاء المقاصد من غير عمل في سبيلها :  
سفه في التفكير ، وحرمان من الرشد .  
كما أن العمل القيم دون مقصد مكفول :  
سفه في التصرف ؛ والبطالة على قبجها خير منه ، وأهون بكثير ..
- ٢ — وليدنا نبذة من قصص القرآن عن مشركي مكة : فيها نمط فسيح للتربية ، وتركيز المبادئ الحقة ..  
كانت للبيت الحرام قداسة عند العرب منذ عاصروه ..  
ومع انحرافهم عن دين إسماعيل ، وخوضهم في الشرك ، وعبادة الأوثان : فقد ظل البيت الحرام ملء عيونهم ، وقلوبهم ، ورمز مجدهم .
- حق كانوا يتزاحمون على خدمته ، واقتربهم في المسكن من مبانيه ، وتنافسهم في إكرام الحجاجين إليه من كل حذب .  
فلما جاء الإسلام حسبت قريش أن صلتهم
- ١ — لنا في الحياة أعمال ومقاصد ، وأعمالنا وسيلتنا إلى مقاصدنا .  
وابتغاء المقاصد من غير عمل في سبيلها :  
سفه في التفكير ، وحرمان من الرشد .  
كما أن العمل القيم دون مقصد مكفول :  
سفه في التصرف ؛ والبطالة على قبجها خير منه ، وأهون بكثير ..
- ولذلك لا يأخذ بالوسائل الجديدة المشروعة : فسكانه يريد اغتصاب المسببات دون أسبابها ، وهذا خروج من سنة الله في تنظيم الحياة لنا ، وعدوان كريبه .  
ومن أجل ذلك حرم الله السرقة ، والربا ونحوهما ؛ لأن الكسب فيها من غير طريق العمل المشروع ..
- ومثلاً آخر - في جانب الدين - أناس يعملون خيراً في ظاهره ، ولكنه عمل مبتور عقيم ، لا ينتج ثوابه ؛ لأنه غير مبني على عقيدة من إيمان صادق كما شرط الله على عباده أن

«لأنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ،  
واليوم الآخر، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ،  
ولم يخش إلا الله .»

٣ - فجماعة المساجد من أعمال البر ،  
والبر لا يكون إلا عن إيمان بالله واليوم  
الآخر : إيماننا يتجلى في صالح الأعمال من  
صلاة ، وزكاة ، وخشية لله تقتضى الاستجابة  
له فيما أمر ونهى . .

ثم انظر - أولاً - إلى أن هذا تمجيد  
للمساجد كلها ، لأنها ملتقى العباد من الراكعين  
والمساجدين ، فهي خير بقاع الأرض  
كما صرح الرسول بذلك - صلى الله عليه وسلم -  
( خير بقاع الأرض المساجد - ويكون  
في مقدمتها شأننا بيت الله الحرام ، لأنه أول  
بيت وضع للناس مباركا ، وهدى للعالمين ) .  
والحديث في هذا السياق من سورة التوبة  
متجه إليه ، وقد اتسع لساير المساجد ،  
لأنها في حيزه ، وتؤدى معظم رسالته ،  
وكلها يرنو إليه ، ومصوب نحوه من كل  
ناحية في الدنيا ، وفي كل صلاة .

وإذا كانت المساجد مركز الإشعاع  
الدينى ، ومشرق الدعوة الهادية ، فأولى بها  
أن تكون الصلة بها لمن يتوافر الإيمان  
عنده ، ويعترف برسالته .

وهذا التخصيص في ولاية المساجد محمول  
على رعايتها ، وتولى شأنها ، كما كانت قریش  
فيما سبق .

بالبيت ستظل قائمة ولولم يسلبوا ، وأن تعميرهم  
له حق موروث فيهم وإن كفروا بربههم .  
ولكن الله - سبحانه - بين لهم والمسلمين  
أن الاتصال بالبيت الحرام يقتضى الإيمان ،  
وأن نقيصة الكفر بالقرآن ، أو بشيء  
مما جاء به النبي « صلى الله عليه وسلم » تنزل  
بهم عن أهلية القيام على البيت العتيق :  
إذ لا يتفق أن يجتمع ثمة ديس البيت مع  
الكفر برب البيت ، أو برسوله بل صارحهم  
القرآن بأن هذا البر لم يكن معتدأ به فيما سبق ،  
فإن عبادتهم للأوثان مناقضة لما عرفوا  
واعترفوا من أن الله هو الذى خلق  
السموات والأرض .

وهذا هو ظاهر القرآن في غير تكلف  
« ما كان للشركين أن يعمرُوا مساجد الله  
شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت  
أعمالهم ، وفي النار هم خالدون ، أى : ليس أهل  
الكفر ، أهلا لعمارة المساجد فلا قيمة لعملهم .  
ولو وقت الأمر عند إحباط هذا البر لكان  
الخطب عليهم ، ولكنهم محاسبون هل كفروهم  
هذا بعد أن دعاهم ربهم إلى الإيمان فعصوا  
رسولهم ، فهم خالدون في النار إذ لم يؤمنوا !  
ومن هذا نعلم أن العقيدة تسبق العمل فهي  
أساسه ، وهو بعدها ، وهي مطوية في القلب ،  
وهو عنوانها ، وتفسيرها ، ومن مجموع العقيدة  
والعمل يكون الدين ، أو الإيمان المطلوب ...  
وبذلك صرح القرآن في حصر وتأکید

مثل الإيمان وما يترتب عليه ، ثم يأتي الجواب صريحاً بالنفي : لا يستوون عند الله !! وهنا مقابلة لطيفة بين أصحاب العقيدة والمبدأ ، وبين المجازفين الذين لا يتقيدون بشئ من هذا .

ففي شأن الفريق الأول يختم الله الحديث عنهم بقوله سبحانه « فغسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » ، وفي شأن الفريق المتحلل من الدين والمبدأ يقول تعالى « والله لا يهدي القوم الظالمين » .

هـ - ثم : يا ترى - أيسكون حديث الله في كتابه مجرد قصص عما سلف من قريش في شأن المسجد الحرام ... أم يكون هذا القصص توجيهاً مقصوداً لغايات إنسانية نبيلة ترفع من شأن الإنسان أدبياً كما تنهض به دينياً . أفادنا القرآن أن قصصه عبرة لأولى الألباب ، وذكرى لمن كان له قلب ، وأن الذكرى تنفع المؤمنين .

فالقصص بوجه عام كدلائل واقعية في التأثير ، والإقناع ، وهذه غاية القرآن ، وبها يمتن الله بأنه يقص علينا أحسن القصص ، وبأنه يقص علينا القصص الحق . ولو لم يكن القصص حقاً واقعياً ، حسناً في مرماه ، مجدياً لمن أطاعه لما ضرب الله الأمثال في كتابه لعباده ، ولا حفل بها القرآن الحكيم ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون .

أما القيام بعمل يحتاجه المسجد من طريق الاستئجار عليه كهندسة المسجد ، وبنائه ، وصناعة أبوابه ونحوها فقد أجاز العلماء قديماً أن يقوم بها غير المسلم ، لأنها ليست ولاية إشراف ، ولا تحكم ، ولا اعتلاء بها على الغير ، كما كانت ولاية الكفار للمسجد الحرام .

ومن هذا القبيل إقامة المساجد بالبلاد الأوروبية بواسطة رجال غير مسلمين .

٤ - وانظر - ثانياً - إلى أن السياق هنا لا يقف عند الجانب الديني خصب ، وإنما هو توطئة للناس على اعتناق المبدأ الحق في شأنهم كله ، وألا تكون مسالكهم في ناحية ، وقلوبهم في ناحية .

وإذا كان بعض السابقين من قريش تخلفوا وقتاً ما عن الإسلام ، ثم حسبوا أن صلتهم بالبيت الحرام قبل أن يسلموا تجبر نقيصتهم ، وترجح كفتهم ، أو تساوى بين ماضيهم وماضي من بادر إلى التصديق والطاعة : جاءت الآية الثالثة لهاتين الآيتين تقتلع من نفوسهم تلك الفكرة ، وتؤكد لهم من جديد فضل الإيمان والمؤمنين ، وتنفي أن يكون بين الفريقين تشابه فضلاً عن عدم المساواة « أجمعتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كن آمن بالله واليوم الآخر ، وجهاد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله » .

ففي هذا الحديث استفهام بمعنى النفي : لا تجعلوا ما تفخرون به من السقاية وغيرها

غير أن العقيدة وثيقة روحية مع الله تعالى، والمبادئ الخلقية منهج فطرى، أو اجتماعى إلى حد ما، ولا يفترق مفهومهما إلا فى شخصين فى شخص متدين يتلقى من جانب الدين، وفى شخص غير مستمد من دينه ولكنه على خلق كريم... وفى أن المتدين الواعى لا يخطئ فى مسلكه، ضرورة أن الدين صواب وحق، فالخطأ يكون فى التطبيق.

وأما المتخلق من غير طريق الدين فقد يخطئ فى الكثير أو القليل لأن استمداده من أوضاع إنسانية غالبا...

وما نحب أن تتوسع فى تشقيق فلسفى له أربابه، ولا حاجة بنا إليه... وعلى أى حال: فالكثير منا يعرف مناهج الخير.

والكثرة من هؤلاء الكثيرين مع معرفتهم لهذا بحاجة إلى التذكير، والذكرى تنفع المؤمنين.

ومن لم تفده الذكرى فى تدينه، أو خلقه فى مجتمعه، فلن يكون على مبدأ، وهو إما شيطان يعبث فى بيئته وفى الأرض فسادا، أو هو متخلف ومن سقط المتاع، وكلاهما شر فى اعتبار الإنسانية وفى اعتبار الدين؟

عبد اللطيف السبكى

عضو جماعة كبار العلماء

وعلى هذا نقرر فى ارتياح أن ما قرأناه عن الذين يعملون بلا عقيدة أو يطعمون من دينهم بلا عمل فهم يطعمون فى غير مطمع، ويثبت أنهم عابثون فى لهو باطل. ولا جرم - أن الله حق فى ذاته، وتشريعاته، وفى شأنه كله، وهو لا ينشد لعباده غير الحق، ولا يرضى منهم غير الحق.

٦ - وإذا كانت العبرة شاخصة فى قصص الكتاب العزيز، وكاشفة لنا عما كنا نجمل من شئون سالفة، وموجهة لنا إلى ما يغيب عن وعينا من تقديرات فما الذى يججها هنا وقد طويلا من الزمن أحقابا طوالا، وخطونا فى رحاب الدنيا خطى مترامية، وحصلنا من الثقافة والحضارة على نصيب غير ضئيل؟

ذلك أننا لا نستأنس بعقولنا، ولا نستخدم أفهامنا... والنصيحة وحدها لا تغمر القلوب غمرا، وإنما هى لأولى الأبواب، وذوى العقول، ولكل من ألقى إليها السمع وهو شهيد: حاضر الوعى متنبه المشاعر، مستعد للاستجابة.

٧ - وبقدر ما تكون العقيدة الدينية صوابا فى التدين تكون المبادئ الخلقية حصانة للشخصية، وقواما لحياة المجتمع؛ فإن هذه من تلك، وكلاهما يهذى إلى الخير، ويكفل راحة الضمير.

# الإسلام والعالم

لِلأَسَازِ الدُّكْتُورِ مُحَمَّدٍ حَبَّالَ اللَّهِ

(١) الليلة أود أن أتحدث عن التراث المجيد للإسلام ، الذي غير معالم التاريخ ، ولا يزال العالم الحديث ينعم بآثاره حتى اليوم ، ولكنني سأحدث عن الإسلام وأثره في العالم الحاضر ، وحاجة العالم إليه اليوم ، وحاجة العلم إلى المسلمين كقادة ورواد ، في سبيل إيجاد حياة السكرامنة والعزة والطمأنينة .

من بضعة شهور مضت نشرت مجلة أمريكية كبرى مقالا طويلا لكاتب هندي معروف جاء بين سطوره : « إن الإسلام كقوة ذات تأثير في العالم الحديث ، وذات توجيه في تسيير دفة أموره قد انتهى بالفعل ، وأصبح أقل شأوا من أن يدخل في حسابان الذين يقررون مصائر الأمور في العالم ؛ فينبغي أن يسير العالم في طريقه المرسوم ، دون التفتات إلى مبادئ الإسلام ، أو إلى توجهات المسلمين . »

وقبل هذا التاريخ بشهور قام مبشر أمريكي معروف بزيارة إفريقيا ، وكثير من بلاد

(١) من المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمود حباقة الأمهات العالم لجميع البحوث الإسلامية في قاعة الإمام محمد عبده في مساء يوم الثلاثاء ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ .

وآسيا ، معلنا : أنه في رحلة يقصدها غزو هذه البلاد غزوا فكريا وعقديا ، فانالت عليه الدولارات من كل جانب ، لينفذ بها رسالته الدينية والفكرية والسياسية لأن الرجل معروف في مجالات التبشير ، وإذا تحرك تحركت معه الملايين من الدولارات التي يتسابق أرباب اليسار في وضعها بين يديه ، فرار على وجه خاص مواطن الإسلام في « نيجيريا » و « السنغال » وبعض بلاد شمال إفريقيا ، و « الجمهورية العربية المتحدة » ، وغيرها من بلاد الإسلام ، وألقى عدة محاضرات في كثير منها ، ثم عاد ليروى كرما حاتما وحسن ضيافة واستقبال ويعلن أنه لم يجد لما قال أثرا ما في النفوس أو في القلوب .

وبين هذين الحادثين حاضر أحد العلماء من الأمريكيين في « دار المركز الإسلامي بواشنطن متحدثا عن زيارته الطويلة لكثير من بلاد إفريقيا ، وعن تجاربه فيها ، وأحاسيسه نحوها ، وجاء فيما قال : « إن إفريقيا لم تعد بعد زوال ظل الاستعمار الغربي مكانا صالحا للشيوعية ، والمستقبل هناك للإسلام أو للشيوعية ، فإذا لم يسيطر



وهل يمكن أن يفيد العالم اليوم من العالم الإسلامي ، أو أن الإسلام قد أدى رسالته وانتهى ؟ ذلك كله ما سنحاول الإجابة عليه .  
لأن عدد المسلمين اليوم لا يقل عن ستائة مليون من النفوس ولا يدخل في هذا العدد كثير من الأقليات الإسلامية في المناطق التي لم تخضع إلى حصر دقيق حتى اليوم ، أو لم تتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص . وهذا العدد الضخم من البشر الذي يتحد في العقيدة ، وفي الهدف والغاية ، لا يوجد له نظير في العالم على الإطلاق ، كما أنه يتميز عن غيره بالتجاور في المكان ، والتركز في قلب العالم ؛ فدول العالم الإسلامي تتركز في بقعة مستطيلة ، تمتد دون حواجز أو فواصل ، من أوسط آسيا ، إلى المحيط الأطلسي ، ومن روسيا ، في الشمال إلى المحيط الهندي ، وأما في إفريقيا ، فيتضخم حجم الكتلة ، فتمتد شمالاً إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، وجنوباً إلى ما وراء خط الاستواء .

فوضع المسلمين العددي والجغرافي مكن لهم ولا يزال يمكن لهم من الاتصال بغيرهم من البشر والثقافات في يسر وسهولة فينتقلون ما لديهم من مبادئ وقيم إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فيلق آذاناً واعية ، وقلوباً متفتحة ، وهكذا انتشر الإسلام بعمل الأفراد دون أن يكون له نفوذ مالى

الإسلام - ووسائل سيطرته على هذه القارة سهلة ميسورة - فستسيطر الشيوعية ولا محالة وبهذا تصبح إفريقيا ، التي لا يفصل بينها وبين أمريكا ، سوى المحيط الأطلسي وكرا للشيوعية ، وخطراً جسيماً على أمريكا ، ثقافياً ومادياً ، وأعلن في النهاية : أنه ينبغي على أمريكا ، ألا تقف في سبيل المسلمين في عملهم على نشر راية الإسلام هناك لأنهم يفتشرون مع الدين الخلق والفضيلة ، ويباعدون بيننا وبين الشيوعية .

هذا ، وقد سمعنا من ناحية أخرى عالماً غربياً يوصف بأنه من أكبر علماء الاجتماع في العصر الحديث يعلن في مؤتمر إسلامي عقد في باكستان : أن الوحدة بين العالم الإسلامي وحدة شكلية تنهار عند التحليل ، وليس بينهم قدر مشترك في العقائد والتقاليد سوى كلمة : لا إله إلا الله ، ولكن عند التحليل تجسد أن مفهومها يختلف باختلاف العلماء ، واختلاف البلاد

هذه ألوان مختلفة من نظرة رجال من الغرب والشرق إلى الإسلام والمسلمين ؛ فهل حق أن المسلمين قد انتهوا كبقوة ذات تأثير سياسي في العالم ؟ وأن الإسلام قد انتهى تأثيره الفكري في العالم ؟ هل حق أن المسلمين يسرون بعجلة الزمان ، وليس لهم رأى في التوجيه العالمي ؟ وهل حق أن المسلمين لا يجمعهم جامع من العقيدة أو الفكر ؟

تعتبر الآن من أغنى بلاد الله كان لا يمكن أن ترقى إلى هذا الوضع الاقتصادي الذي هي عليه إذا لم تتحد ولاياتها وتتكون كتلة يتضامن جميع أجزائها في استغلال الموارد الطبيعية جميعها ، في صالح الجماعة ، والاتحاد هو الذي جعل منها هذه القوة التي يغبطها عليها كل العالم .

وللعالم الإسلامي اليوم من الإمكانيات البشرية والطبيعية ومن القدر الفكرية والعقلية ما يجعله أكثر غنى ورخاء من أى بلد آخر من بلاد العالم إذا ما أحسن استغلالها ، وأعيد تنظيمها على أساس سليم ، من الإدراك لمصالح الفرد ، ومصالح الجماعة .

هذا ، وينتاب العالم من ناحية أخرى قلق متزايد له كثير من الأسباب : من الخوف مثلاً من المستقبل والمصير المجهول ومن بين هذه المخاوف خوف الجماعات في القريب العاجل ؛ فأمرىكاً مثلاً الغنية الفنية : تخشى جماعة تحمل بها وبالعالم فتودى إلى كارثة عالمية في المستقبل القريب ، وقد بدأوا يتخذون العدة لذلك المستقبل ، لمحاولة استغلال أعشاب البحر ونباتاته في الغذاء ، ومنادين فوق ذلك بتحديد النسل ، ولم يدركوا أن هناك قوة أخرى يمكن أن تكون عاملاً مالياً في التقليل من أسباب المخاوف وحدتها ، وأن تسهم بنصيب وافر في بناء عالم جديد ، تسوده الطمأنينة والرخاء ، وتلك القوة هي د العالم الإسلامي ، وذلك لأنه يملك إمكانيات

أر ضغط سياسى . تجدد هذا في إفريقيا ، وفي أوروبا ، و أمريكا ، وغيرها من بلاد الله ، يشعر في كلها الفرد المسلم بأنه داعية إلى الله يصرف بالإسلام ، ومبلغ — يشعر بأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — في التبليغ والقيام بالدعوة ؛ فالقيام بها في نظره فرض عليه ، ينبغي أن يؤديه في كل الأحوال ؛ لذلك وجدت الحقيقة التي يعترف بها الجميع من أن الإسلام ينتشر كل يوم ، وأن عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، في جميع الأوساط والهيئات ، وفي الشرق والغرب على السواء ؛ فليس بصحيح أن نفوذه الأدبي ينكش يوماً بعد يوم ، والعكس من هذا هو الصحيح . حقاً فقد ظهر نجم العالم الإسلامي يلمع في الأفق مؤذناً بفجر جديد وعهد جديد ، تنتشر فيه راية الإسلام على العالم فتسوده الطمأنينة ، ويسوده الرخاء بتضامن المسلمين بما لديهم من مقدرات مادية وأدبية مع محبي السلام من العالم في تحقيق هذه الغاية النبيلة .

إن الثروات الطبيعية ، والموارد الاقتصادية التي تضع الشعوب في أسنى درجات الثراء والرخاء موفرة كلها في بلاد العالم الإسلامي ، وليكنها موزعة على مناطق شتى من مناطقه توزيعاً يجعل تعاون البلاد التي تنعم بها أمراً ضرورياً وحيوياً إذا ما أرادت لنفسها القوة والنهوض ، وإن الولايات المتحدة ، مثلاً ، التي

والسكتان والحريز وغيرها من مواد الغذاء، والبناء الجسمي والعقلي للجماعات الإسلامية؛ كل هذه موفورة في مواطن العالم الإسلامي وفرة لا نجد لها نظيراً في العالم. فلو نظمت هذه الموارد وهذه الإمكانيات لتخدم المجتمع الإسلامي، ونظمت جهود المسلمين لتخدم الجميع لأصبح المسلمون قوة منتجة، قادة على أن تسهم بنصيب كبير في بناء العالم الحديث، بعد أن يفسح المجال لطاقاتها البشرية التي لا تزال حتى اليوم تبحث عن نوافذ للانطلاق، وعندما تنطق هذه القوى بالتعاون والاتحاد، وتستغل إمكانياتها الطبيعية، فسيتبين العالم كله مدى الخسارة الفادحة التي أصابته من جراء كبت هذه القوى طويلاً، وسيتبين المسلمون أنفسهم أنهم كانوا مخدوعين يوم أن ظنوا أن في الانعزالية، تحقيقاً لرغبات أو مصالح.

وإذا كان حقاً أن المسلمين انحدروا من أجناس وأنساب شتى، وجاءوا إلى الإسلام من ثقافات وحضارات شتى، وأن لهم لغات ولهجات متغايرة متباينة، فإنه لحق كذلك أن الإسلام قد جمع بينهم، والإسلام عقيدة وشرعة، مبادئ ومثل، وطريق للسلوك في الحياة - للسلوك في شتى أنواعه ومظاهره، فغرس لذلك بين الأمم والشعوب التي اعتنقته عادات وتقاليد متشابهة في الحياة، وحدث بها

ضخمة لا يعرف مداها غير الله، ولم تستغل استفلا كاملاً بعد، كما أن طاقاته الكامنة لا تزال تتطلب المزيد، من تعاون القوى البشرية حتى تخرج ما اختبأ في بطونها من كنوز؛ فالعالم الإسلامي الذي يسمونه بلغة العصر الحديث «متخلفاً» هذا العالم يمكن أن يكون مصدر خير وبركة على العالم كله، وقادراً على أن يسهم بنصيب وافر في إزالة أسباب المخاوف، وحل الأزمات، إذا قدر لموارده الطبيعية والبشرية أن تتعاون وتتحد في سبيل الخير والصالح العام، وبذلك يصبح من أوائل الدول المنتجة، ويصبح معيناً ومساعداً. هذا، ولا شك في أنه يمكن للفرد أو الجماعة أن تعيش في عزلة أو شبه عزلة ولكن إلى حين أولاً، وعيش الضرورة ثانياً، الذي أصبح لا يتناسب مع حاجات الإنسان وكرامته، فالحياة الفاضلة التي تمكن الإنسان من تعمير الكون، والتي أرادها الإسلام للمسلمين تستدعي تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان، وتعاون القوى والإمكانيات، التي وجدت لتتضامن وتتآزر في تهيئة الحياة الكريمة للإنسان؛ فلو تعاونت هذه الإمكانيات في الولايات الإسلامية المتحدة، لجمعتها من أغنى، بل أغنى بلاد العالم، فالبترول فيها، والحديد والصلب، وما إليها من الخامات الطبيعية، والجوت والقطن،

حتى يصبحوا جميعا أحراراً ، في بناء ما يسمون لأنفسهم من مستقبل في الحياة ، فإذا بعد ذلك ؟ وما الذي سيصنعونه لأنفسهم ، وبالاستقلال الذي حصلوا عليه بعد كفاح مرير ، وجهاد طويل ؟ إن الحياة في وضعها الحاضر تتطلب التكتل والتعاون بين المتشابهات ، فالمعسكر الشرقي يتكتل ليعتد ، وكذا المعسكر الغربي ، فعلى العالم الإسلامى أن يتكتل كذلك ، إن التكتل هو لغة العلم ، ولغة العصر الحديث ، الذى لا يؤمن بغير القوة ، وبغير حجم السكتلة ، ونحن كمسلمين نؤمن بالقوة ونؤمن بالتكتل ، ونؤمن بالفرد كذلك ؛ فللمفرد في فلسفتنا قيمة ، ولكن قيمته لا تعرف إلا في المجتمع ، والفضائل في الإسلام فضائل اجتماعية ؛ لأنها إنما تعبر عن نفسها في المجتمع ، وبين المجتمع .

فإذا أرادت هذه الجماعات أن تحافظ على ما اكتسبته من حقوق واستقلال ، وتبقى ذات أثر فعال ، ونفوذ إيجابي في العالم ؛ فلا بد لها أن تعمل على تدعيم هذا الاستقلال ، وعلى المحافظة عليه بكل الوسائل ؛ فالحقوق التي يكتسبها الإنسان ليست شيئاً ما يضعه بين يديه ، ثم لا يفلت منها أبداً . إن ما يكتسب من الحرية والكرامة والاستقلال ، وأسباب التطور والعزة والنهوض يحتاج إلى كفاح دائم ، وجهاد مستمر ليبقى في يد الإنسان

بين اتجاهات المسلمين في تصرفاتهم وطرائق سلوكهم في الحياة .

فلو ذهبت إلى أى بلد من بلاد الإسلام لوجدت أن تقاليد وعاداته وتشابه مع تقاليدك وعاداتك إلى حد كبير ، فيما يمت إلى الحياة الإسلامية بسبب ، فلم يوحد الإسلام بين المسلمين في كلمة التوحيد ، فحسب ، أو في النظريات الفلسفية فحسب ، بل وحدث بينهم كذلك في قواعد السلوك ، وفي أساليب السلوك في الحياة ، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة ، تجد ذلك في اليابان ، وفي أندونيسيا ، وفي مجاهل إفريقيا ، وفي أكثر بلاد العالم تحضراً وثقافة ، وإن كان بعضهم أقل فهما وإدراكاً لمفاهيم الإسلام من بعض ؛ فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية ؛ لأنها وحدة في الإيمان ، وحدة في المثل وفي الأهداف ، وحدة في الشعور ، وحدة في السلوك الأخلاقي ، وفي التقاليد والعادات ، ووحدة فوق ذلك كله جغرافية ، لما يقرب من ثمانين في المائة من مجموع المسلمين ؛ فهل نجد في العالم أسباباً للوحدة والانسجام أكثر تأصلاً وعمقا من هذه الأسباب ؟ .

من عشر سنوات مضت كانت الدول المستقلة من دول العالم الإسلامى مستقلة كاملاً لا يتجاوز عددها اثنتى عشرة دولة ، وأما الآن فقد قارب هذا العدد الثلاثين ، وسيزيد قريباً

شواطئ في الغرب والجنوب ، تسهل مراقبتها وحمايتها ، وصحراء في الجنوب بضل فيها الحزيت ، وتعتبر فاصلا طبيعيا يجعل محاولاته العبور فيها عسيرة التنفيذ .

هذه الوسائل الضرورية للبقاء موفورة كلها للعالم الإسلامي فما الذي يدفع بعض المجتمعات الإسلامية لأن يمد يده إيتلقى شيئا منها من الخارج ، وهى موجودة بين يديه وتحت رجله ، إنه لاتنقصه غير الرغبة والإرادة ، فالأسباب التى أدت بدول العالم الإسلامى إلى هذا المصير ، الذى لا يريدونه أسباب معروفة ومشهورة وليس من بينها : « الإسلام » ، ولكن الانحراف عن الإسلام وعن تعاليمه انحرافا ناشئا عن جهل ، أو عن تصلب بعض الرغبات الجامحة ، وهى المسئولة فى غالب الأحوال عن تدهور الإنسان والإنسانية إلى المصير المحزن المخيف .

فى هذه الظروف القاسية ، وأمام هذا الواقع المألوس الذى نعيش فيه اليوم ، واستجابة لنداء الإسلام بالائتحة والوحدة ، ومجادة للعرف الحديث من ائتلاف المتجانسات وأرباب المصالح المشتركة ينبغى للعالم الإسلامى والعالم العربى أن يفكر من جديد فى وضع يربط بعضه ببعض برباط متين ، ليوفروا لأنفسهم حياة العزة والكرامة والأمن والأطمأنينة ، وهذا اللون من الاتجاه يحتاج إلى أن ينتشر وعى جديد

ووسائل الكشفاح فى العصر الحديث معروفة مشهورة ، وأولها حسن التفاهم والاتحاد ، وأسباب القوة ، وأسباب الوحدة موفورة كلها للعالم الإسلامى ، ولا ينقصها فى التنفيذ غير الرغبة والإرادة ، فأسس الوحدة بين المسلمين - كما قلنا - موجودة فى طبيعة العالم الإسلامى ؛ لأنها من صنع الله ، فأصبحت طبيعة ثانية للمسلمين لاتختلف عنهم أبدا . ويمجبنى فى ذلك ما قاله أحد المستشرقين : « إن مثل المسلمين مثل صندوق رنان ، إذا لمست طرفا من أطرافه ظهر الصدى فى جميع الجوانب الأخرى » ، وكأنه فى هذا كان يشرح الحديث للشرىف : « . . . إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحى والسهر » ، وكذلك العدة والمساواة الضرورية للائتحة ، ولبقاء هذا الائتحة . موفورة كلها للعالم الإسلامى ، لأن المسلمين يعلمون يقينا أن العدل من صفات الرحمن ، وبه قامت السموات والأرض ، وأن المسلم الحق هو الذى يتخاق بخلق الرحمن ، فيكون العدل والرحمة من أخص خصائصه ، وأن الناس سواسية ، لا يتفاضلون إلا بصالح الأعمال ، وقد غدا المسلمون فى هذا الباب مضرب الأمثال .

هذا ، وللمسلمين قوة اقتصادية لاتضارع ، ويمكن أن تكون لهم قوة عسكرية ضاربة ، لا يقوى عليها أحد ، لتحمى الثغور والحدود التى أراد الله أن تكون حصونا طبيعية من جميع الجهات : جبال ووهاد فى الشمال ،

كبير ، فإذا كانت لنا قوة تشعر من يريد بنا شرا أننا لقمة مسهومة وقفت الممارك ؛ لأنها تصبح غير ذات موضوع . فليكن أتم — أيها الأزهريون — أن تشعروا هؤلاء الناس أننا جادون في الحياة ، وسائرون إلى الامام بخطى فسيحة ، وخير لهم أن يحاولوا أن يكونوا أصدقاء لهذه القوى الناهضة التي سوف لا تقف أبداً . إن اتحاد العالم الإسلامي آت لا محالة ، وخير للمعسكرات الأخرى أن تريح نفسها ، وتريح أعصابنا فلا نتحدث عن الفراغ ومناطق النفوذ ، وتوقف تيارات الإغراء والمؤامرات التي تحاك هنا وهناك ، ولا توجد غير العداوة والبغضاء .

هذا ، وفي الجانب الإيجابي والنوجه نحو المسلمين ، ففي مقدور الأزهر ، والأزهريين أن يصنعوا الكثير ، ولديهم من الإمكانيات مالا يتيسر لغيرهم في هذا السبيل ، فقد تبين من زياراتي للعالم الإسلامي : أن الحريجين من أزهرنا المعمورهم القادة ، أو أشباه القادة هناك ، وهم الرواد والموجهون في كثير من بلاد إفريقيا ، وآسيا ، وهذه ثروة ينبغي أن تستغل في إثارة هذا الوعي الجديد ، وتمكينه في النفوس ، كما أن بالأزهر ممثلين لعشرات من الدول والجماعات الإسلامية ليست لهم غاية إلا إعداد الزاد لرحلة الدعوة

بين الشعوب والجماعات الإسلامية يحتاج إلى دعاة ومبشرين ، يثثون هذه الأفكار في عقل المسلم وقلبه ليفكر فيها ، ويتغنى بها وتكون حله وأمله في الحياة ، ود الأزهر ، هو الهيئة القمينة بإثارة الشعور بين المسلمين وتمكينه في نفوسهم .

فليس واجبكم هنا أيها الإخوة والأبناء من رجال الأزهر وشبابه أن تعملوا المسلمين الصلاة والصوم ؛ وأركان الإسلام وفضائله وحسب ، ولكن إذا أردتم أن يبقى المسلمون فرادى فقصفوا همد هذا الحد من التوجيه ، ولكن إذا آمنتم بأن بناء مجد الدولة الإسلامية ليس بأقل خطراً ، بل أكبر مشوبة عند الله من صلاة فرض أو صوم فرض ، إذا علمتم هذا كله فليتوجه الأزهر ، ولتوجه مراها نحو هذا الصراط السوي مع الدعوة ، ينبغي علينا أن نبين للعالم الخارجي الذي يريد أن يجعل منا مناطق نفوذ ، ونشاطاً حيويًا له أننا جادون في الحياة ، ولا نريد منها غي مغاير مواقف العزة والكرامة ، وقد عقدنا النية على استغلال كل طاقاتنا البشرية والمادية حتى تتمكن من الإسهام بقسط كبير في توفير وسائل القوة للعالم الإسلامي ، وقوة هذا العالم كقيلة وحدها بتحقيق السلام العالمي ؛ فالمعركة بين الغرب والشرق معركة نفوذ إلى حد

يكونوا معلمين ، ويفنى أن يتذكروا دائماً  
أن وحدة المسلمين أصبحت ضرورة تدعو  
إليها غريزة البقاء فلا تيسر لهم الحياة  
الإنسانية الكريمة إلا بها .

إنكم - يا رجال الأزهر - تحملون سلاحاً  
من أقوى أنواع الأسلحة في القوة ، وإصابة  
الهدف .. ذلك هو السلاح الفكري الإنساني  
الذي يرضى العقل والوجدان . والعالم اليوم  
الذي أنخمته المادة ، وشغلته عن نفسه وربه  
متعطش إلى الجديد ، ويسره أن يجد عندكم  
باسم النفوس الذي لا يمكن أن يوجد إلا  
حين توجد مادة يحكمها دين ، وعلم يهذب  
خلق .. ألا فلنكن هؤلاء الدعاة الذين  
يكافون من أجل العمران في ظل الدين ،  
ومن أجل العلم تحت راية الأخلاق ، ومن  
أجل وحدة إسلامية تحيا فيها هذه المبادئ  
الإلهية الإنسانية الكريمة .. ألا فلنذكر  
أن الإسلام لا عيب فيه ، ولا ينقصه شيء  
من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأعلى  
أنواع الحضارات ، فإذا كانت هناك عيوب ،  
وإذا كان هناك تخلف ، فهو نتيجة لتفكيرنا  
ولعلمنا نحن المسلمين ، وليس نتيجة للإسلام .  
فدعونا نعمل ونكافح من أجل هذه  
الغاية النبيلة ونوجه إلى الله أف كل  
مساعانا بالنجاح ؟

المكتور محمود عبد الله

إلى الله ! يمثل الأسلوب الفردي الذي انتشر  
به الإسلام هنا وهناك وفي جميع الأوطان ،  
ومهمة « الأزهر » أن يكون بنوع خاص  
هذا الداعية إلى الله ؛ فمهمته تكون رجال  
يتمكنون من غزو القلوب قبل العقول  
بالقدوة الحسنة ، من سلامة الصدر ، وحسن  
القول ، وجمال السلوك ، وبالأسلوب الكريم  
الذي دعا إليه « القرآن » ؛ فليس « الأزهر »  
معهداً تعليمياً خصب ، ولكنه بجوار ذلك  
دار عقل وتربية وتهذيب ليخرج عالماً تحبه  
وتحمله ، ولو خالف رأيك ، وتنفعل نفسك  
بخلقه ، كما تتأثر بحكمته وعلمه ؛ فرسالة  
« الأزهر » الضرورية لتحقيق ما ألعنا إليه  
من غايات نبيلة ينبغي أن يبدأ بها كل منا ،  
وكل أزهري في حدوده الضيقة أولاً : « ابدأ  
بنفسك ثم بمن تعول » ، « أصلح بيتك أولاً ،  
اتجه إلى الله بسلوك الطريق القويم في الحياة ،  
وستتجه إليك الدنيا صاغرة » ، كون مجتمعاً  
قويماً وسيخطب العالم ودك ، وكل واحد منا  
يمكن أن يكون جندياً في هذا الميدان ، في  
نفسه ، وبين أهله وعشيرته ، وقد سمحت  
لأبناء الأزهر الأيام بمجال خصب ينبغي أن  
يستغل في هذا السبيل ، وأعني به بعوثنا إلى  
الخارج ، التي كثرت في هذه الأيام وانتشرت  
حتى كادت تغم مواطن الإسلام جميعاً ،  
فالبعوثون رسل الإسلام ودعاة له ، قبل أن



# المساهمة الإسلامية في الطب

بفلم : نير واسطى

أستاذ الطب اليونانى والعربى فى باكستان

مغمضى الأعين على خطى أسلافهم اليونانيين كما أنهم لم يكتفوا بما خلفه جالينوس وأبقراط من تراث قليل ، بل إنهم حصوا هذا التراث وغربلوه ثم أخرجوا منه ما هو مفيد لهم ، ورفضوا دون تردد ما اعتبروه عديم الفائدة قليل الأهمية ، وفضلا عن الشيء الكثير الذى فعلوه فى هذا الميدان ، فإن العلوم الطبية القائمة تبدلت إلى علم جديد بكل معنى الكلمة على أيديهم .

فكتابا « القانون » لابن سينا و « الحاوى » للرازي يعدان شهادتين ناطقتين على مساهمة المسلمين فى هذا العلم .

ولاشك فى أن استعراضا معقولا للمساهمات الإسلامية ستحتاج فى الحقيقة إلى عمل ضخم ، ولكننى سأقتصد فقط بعدد قليل منها .

## علم التشريح :

لم يسلم العرب تسليما أعمى بتفسيرات اليونان لعلم التشريح أو بكتاب « علم التشريح » لجالينوس . بل حصوا هذا العلم تمحيصا دقيقا وقد روى عن يوحنا بن ماسويه أنه حين

من المؤلف لدى مؤرخى العلوم والفنون ، ولا سيما أولئك المعنيين بتاريخ الطب أن يتجاهلوا الحقبة الإسلامية فى الفنون والمعرفة بقولهم إنه لم يظهر خلال هذه الفترة أى عمل بناء ، وأن المسلمين حسب رأيهم لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حافظوا على التراث اليونانى وأبقوه حيا ، ثم نقلوه إلى العالم الأوروبى ، وإذا سلطنا بوجهة النظر هذه فسيكون المرء عازفا عن دراسة العلم الذى ساهم المسلمون به « مساهمة قليلة » .

ومن بين الفترات الثلاث المتميزة لتطور علوم الطب ( وهى اليونانية والإسلامية والأوربية ) نجد أن الفترة الوسطى مستبعدة بحجة أنها خالية من الإنتاج ، ولكن هذا الرأى هو على شىء كثير من الخطأ والضلال .

## التراث اليونانى :

ليس عندى أدنى شك فى التسليم بأن العلماء والحكماء المسلمين قد أعجبوا بالفنون والمعارف اليونانية ، ولكنهم لم يسيروا



ثمانية عظام، بينما أكد جالينوس أنها تحتوى على سبعة . وفي ما بعد اعتقدوا أن الأذن تحتوى على ثلاثة عظام صغيرة لتسهيل طاقة السمع .  
الفيزيولوجيا :

يذكر برهان الدين في كتابه « شرح الأسباب » أن الدم يحتوى على عصير العنب ( السكر ) وقال الرازى إن مادة حامضة وجدت في المعدة ، واعتقد حنين أيضاً أن هناك عصيراً حريفاً في المعدة هو الذى يسبب الشعور بالجوع .

وقد شرح علاء الدين أبو الأعلى ، على ابن أبي حزم القرشى من دمشق نظرية الدورة الدموية بالتفصيل قبل ثلاثمائة سنة من السير ويليام هارفى وهو واقع اعترف به البروفسور دكتور . ج . بلاتام من جامعة مانشستر .  
وقال حنين بن إسحق إن تركيب الأعصاب هو مماثل للدفاع . ووجد علاء الدين القرشى من دمشق أن الغذاء هو الوقود للحفاظ على تدفئة الجسم ، وقد نمت هذه الفكرة في ما بعد ، وقد شرح أبو سهل المسيحي بأن امتصاص الغذاء يجرى في الأمعاء أكثر مما هو في المعدة ، وحين وصف ابن سينا عملية الهضم قال إنها تبدأ في الحقيقة عند مضغ الطعام في الفم ، وقال أبو الفرج إن هناك أقنية في الأعصاب تتدفق الأحاسيس والحركات عن طريقها .

ألف كتابه في علم التشريح استحضر قردة من حديقة الخليفة المعتصم باقه لإجراء اختبارات التشريح عليها .  
وقد قام بعملیات كاملة عليها لجعل معرفته أكثر اتساعاً ، وللحصول على المزيد من المعلومات حول الجسم البشرى .  
ويقول ابن القفطى إن يوحنا كان ينوى في البداية التضحية بانه للقيام بهذه التجارب ، ولكن الخليفة حال بينه وبين هذه الطريقة وبعث إليه بالقردة .  
اقتاد جالينوس :

إن الجداول البيانية والرسوم التفصيلية لأجزاء الجسم الإنسانى كتلك التى ظهرت في كتاب « تشريح المنصورى » لمؤلفه منصور ابن محمد ( ١٣٩٦ بعد المسيح ) لم يعثر عليها مطلقاً في التراث اليونانى .

وفي هذا الميدان نجد أن العرب قد تفوقوا على اليونانيين وقدموا عدة إضافات . وقد كتب عبد اللطيف البغدادى في القرن الحادى عشر ينتقد جالينوس على تأكيده بأن الفك الأسفل مؤلف من عظم واحد . ويعتبر البغدادى ذلك نقصاً في الملاحظة الدقيقة . كما لاحظ على بن عباس بأن هناك ثلاث طبقات في جدران الأوعية الدموية .

واستنتج علماء التشريح المسلمون على عكس جالينوس بأن الجمجمة البشرية تحتوى على

البكتريولوجيا ( علم الجراثيم ) :

إن العلم الطبي اليوم هو نتيجة أبحاث الجراثيم وفي هذا الصدد تأتي الأبحاث التي أجراها ابن سينا في الطليعة . وقد ذكر ضمنا أن الإفرازات الجسمية تتلوث بجسم أجني أرضي غريب قبل أن تصاب بالالتهاب . وذكر ابن ختمية ( ١٣٦٩ ميلادية ) أن الإنسان محاط بأجسام دقيقة تدخل الجهاز البشري وتسبب الداء ، وقد استشهد الدكتور غروينر بهذه الآراء ليعبر عن الرأي القائل إن العرب كانوا مطلعين تمام الاطلاع على نظرية الجراثيم .

وشرح ابن الخطيب وجود العدوى بالتفصيل وقال إنه توصل إليها بعد التجربة والملاحظة .

التشخيص والمعالجة :

وصف الجرجاني في ذخيرة خوارزم شاهي ، الفرق بين جمحوظ العين والغوطر الذي اكتشفه الدكتور باري سنة ١٨٢٥ أي بعد ٦٠٠ سنة على ذلك ، وكان الرازي أول من ألف كتابا عن الحصبة والجديري ، وأظهر الفرق بين الاثنين . وفي سنة ١٦٧٩ بدأ المسلمون في تركيا عمليات التلقيح ضد الجدري التي انتقلت إلى أوروبا في القرن الثامن عشر عن طريق الليدي موتاغوزو زوجة السفير البريطاني في تركيا ، ولم يكن الأطباء

اليونانيون يقدرون على التفرقة بين الداءين . وقد اقترح أبو المنصور سعيد بن بشير ابن عبدوس ، على عكس الأطباء اليونانيين القدماء ، الأطعمة الخفيفة والأدوية التي تسبب البرودة عند معالجة الشلل العمومي وشلل الوجه .

وقد طبق أبو الحسن الذي كان طبيب عضد الدولة طريقة الفصد لمعالجة النزيف الدماغى الذى ينتج غالبا عن الضغط الدموى ، وفى تركيا كان الطبيب المسلم شرف الدين سابونكو أوغلو هو أول من جرب الترياق على الديكة قبل إعطائه إلى المرضى .

وقد شرح أبو القاسم الزهراوى ( فى القرن العاشر ) أن الجرح فى النخاع أو النخاع الشوكى يسبب الشلل .

قناة المعدة :

استخدم الأطباء العرب قبل الجميع قناة المعدة لإجراء عملية تطهير المعدة فى حالات التسمم . وكانوا يعرفون تمام المعرفة مبادئ علاج العضو بالعضو ، وهذه الطريقة فى المعالجة نسبت للدكتور براون سيكوارد الذى مارسها منذ خمسين سنة فقط ، بينما كان العرب مطلعين عليها تماما قبل عدة قرون قبله .

وكانوا يستخدمون دماغ الحيوان لمعالجة الخلل العقلى والخصى للضعف الجنسى ، وقد

وفي القرن الخامس عشر استعان شرف الدين سابونسكو أوغلو من تركيا بكتاب التصريف ، ثم زاد عليه من خبرته مستشهداً بصور العمليات التي أجراها والتبديلات التي قام بها على الأدوات الطبية .

وقد قدم ابن زهر (القرن الحادى عشر) في كتابه (التيسير) وصفاً كاملاً لعملية قصبة الرئة ، بينما لم يرد أى ذكر لذلك في كتب اليونان . وكان ابن سينا أول من شرح معالجة ناسور العين (الغرب) وأدخل المحراف الطبي في مكان الجرح . وقد كان المسلمون أول من طبق طريقة التبديد لوقف النزيف ، وتقطيب الجروح بخيوط حريرية ، وقد كانوا هم الذين بدءوا في معالجة الجروح بالكي .

وكان الرازى أول شخص عمد إلى استخدام الكحول في الأغراض الطبية .

وطبق المسلمون التخدير في العمليات الجراحية . وفي العمليات الرئيسية كانوا يعتمدون إلى جعل المريض فاقدًا وعيه حتى لمدة سبعة أيام .

وقد ساهم المسلمون مساهمة قيمة في جراحة العين ، وأجروا جميع العمليات التي تجري في أيامنا الحاضرة . وكانوا يعرفون تمام المعرفة لإظلام عدسة العين الذي ينتج عن السكدة العدسية وقد استخدموا النظارات

ورد وصف مفصل في هذا الصدد في كتاب (حياة الحيوان) .

وقد شدد ابن الوافد على المعالجة بواسطة مراقبة الغذاء (أى الحمية) وأوصى رضى الدين بالأغذية المغذية لمعالجة الضعف والهزال . وسجل بهاء الدولة السعال الديكى لأول مرة سنة ١٥٠٧ ، بينما اكتشفته أوروبا بعد عدة قرون . وكان على بن ربان يعتبر عرق النساء مرضاً عصبياً ويصف السكى لمعالجته . وكان أبو الحسن الطبرى أول شخص أعلن أن السل هو مرض ينتقل بالعدوى ، وأنه لا يصيب الرئتين فحسب بل الأعضاء الأخرى ، أما مرض ورم الكلى الذى أطلق عليه هذا اسم برايت بعد اكتشافه على يد الدكتور ريتشارد برايت في القرن الثامن عشر فقد اكتشف في الحقيقة على يد نجيب الدين السمرقندى منذ عدة قرون قبله . وقد شرح أيضاً أن الزلال الأبيض ينتقل إلى البول ويصبح الجسم متورماً . وكان أبو المنصور الحسن القمى في كتابه (غنى ومنى) قد كشف النقاب قبل عدة قرون عن (قراد الجرب) .

#### الجراحة :

أدخل المسلمون في الجراحة تبديلات جوهرية . وقد اخترع أبو القاسم الزهراوى عدة أدوات جراحية شرحها في كتابه (التصريف) .

اليونان في صدد فن الولادة . وكان العرب هم المخترعين الحقيقيين لهذا الفرع من فن الطب . وكان أبو القاسم الزهراوى أول من وصف في كتابه ( كتاب التصريف ) وضع الجنين . واخترع طريقة تكسير الجمجمة لتخليص الجنين الميت ، وقد أجرى بنفسه مثل هذه العملية . وقد صور كتاب ( الآثار الباقية ) الموجود في مكتبة أدنبرة طبيباً عربياً وهو يقوم بالعملية القيصرية .

أما المساهمات التي قام بها المسلمون باكتشافهم أدوية جديدة ووسائل علاجية فهي كثيرة في عددها وفي قيمتها . وقد خصص جورجى زيدان في كتابه ( تاريخ التمدن الإسلامى ) ( الجزء الثالث ) فصلاً كاملاً لهذا الموضوع وما جاء فيه :

« لقد بدأ العرب لأول مرة في استخدام طرق السكى في الجراحة ، ووصفوا حالة أظافر المرضى بالسل ، واكتشفوا معالجة داء اليرقان . واقتروا استخدام كمية معقولة من الأفيون لمعالجة الجنون واقتروا لمعالجة نزف الدم تبريد الرأس بالماء البارد وكانت طريقة عملية لإظلام العين الأولى التي وصفها العرب . وشرح العرب أيضاً طريقة تفتيت الحصاة ، ووضعوا السكتب عن عدة فروع طبية لم يتوصل إليها أسلافهم وفي هذا الصدد يعتبر كتاب يوحنا بن ماسويه

لمعالجة اختلال النظر وكانوا يضعون لها عدسات ذات قوى مختلفة .

وكان الرازى أول من أعطى شرحاً لعملية استئصال إظلام عدسة العين ولوصف انعكاس القرنية للضوء .

وقد شرح المعلق على كتاب ( الأسباب ) في الفصل المتعلق بإظلام عدسة العين ، الوصف الكامل لمثل هذه الأمراض التي تصيب العين . ونصح ابن سينا عند مجئ مرض السرطان لأول مرة ، بوجوب استئصال جميع الأجزاء المصابة والأوعية المحيطة به كلها عند إجراء العملية . وقد تحدث الأطباء المسلمون لأول مرة عند وصف عمليات الجمجمة وأجزائها عن عملية اللهاة والنواسير الأنفية . وقد اخترعوا طريقة لإزالة اللوزتين وإخراج السائل من طلبة الأذن ، ونصحوا في حالة سرطان اللسان استئصال اللسان بكامله . وفي حالة التهاب منخ العظام اقترحوا إزالة العظم المصاب . وكان الجراحون المسلمون هم أول من أجروا عملية غلاف الأحشاء المخاطي ، واستخدموا طريقة آلة تروكال وقصبة كانولا لإخراج المياح . وكان أن طبقت الطريقة نفسها فيما بعد على يد فولر وبوتن وقد وصفها بهاء الدولة بالتفصيل .

فن الولادة :

لم يصل إلينا سوى النزر اليسير عن

على وصف ٥٨٥ عشبة فقط . وقد رفع بعده ابن البيطار في كتابه « المفردات » هذا العدد إلى ١٤٠٠ . وكان علم الصيدلة متطوراً جداً عند العرب . وقد ألفوا جميع أنواع الأشربة والمعاجين النباتية وبدءوا باستخدام أقراص الطريفلات في المعالجات الطبية وقد طبق العرب استخدام ورق الذهب والفضة عند لف الأقراص . وقد أدخل العرب لأول مرة طريقة دستور الأدوية (الأقرباذين) في العلم الطبي . وكان سابور بن سهل أول طبيب وضع دستور الأدوية الذي لم يكن معروفاً عند اليونانيين .

### فن الكيمياء :

أولى العرب اهتماماً كبيراً للكيمياء . وفي الحقيقة هم مؤسسوها الحقيقيون . وفي هذا العلم كانوا أول من شرح طرق الترشيح والتصفيد ، والتقطير والتبلور والتذويب . وقد حضروا عدة مركبات كيميائية كحامض النتريك ، وحامض الكبريت ، وحامض النترو وهيدور كلوريد . وفيرى سولفاس ، وليكورا مونيا ، وكلوريدات الزئبق ، وأوكسيد الزئبق وفترات البوتاسيوم ... وتقوم الأعمال الطبية المعاصرة على نطاق واسع ، على أساس هذه الكيمائيات وفضلاً عن ذلك فإن أنواعاً عديدة أخرى من

عن الجذام ، وكتاب الرازي عن الجدري والحصبه ، وكتاب أبو موسى بن عيسى عن حبوب الأدوية ، وكتاب قسطا بن لوقا عن الوفاة الفجائية ذات قيمة كبرى .

وكان الرازي أول من طبق عملية تبريد الرأس في معالجة داء السقطة ، واستخدام الماء البارد في معالجة الحمى المحرقة (التيفوئيد) وكان ابن سينا أول من أوصى باستخدام فرش الماء للمريض بالتيفوئيد ، وكان أن طورت هذه الطريقة في ما بعد بشكل أنابيب لیتل ، وأكياس الثلج التي تستخدم في أيامنا الحاضرة .

### فن الصيدلة :

أما في ما يتعلق بفن الصيدلة فقد قدم العرب خدمات قيمة ، فقد اكتشفوا الخواص الصيدلانية لأصل الراوند والكافور والسنا ومارسوا استخدام البنج في الطب . واستحضروا السكر واستخدموه في العسل وقد استعانوا بالأعشاب الهندية في علاجاتهم واكتشفوا عدداً من الأعشاب المفيدة التي لم تكن معروفة للأطباء اليونانيين . وقد اخترع الرازي مرهم الزئبق . وقد وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية على يد ابن الموفق بالفارسية وعنوانه « كتاب الألبنية عن حقائق الأدوية » . الذي يحتوي

ولكن أسماء اثني عشر طبيباً يونانياً ظلت غير معروفة .

#### نظام الطب ونظرياته .

اكتشف الأطباء العرب وقائع عديدة ثبت أنها حقيقية في الأبحاث الجرثومية الحاضرة . وأن كل ما يتعلق بالعناصر والأمزجة والاختلاط والطبائع فقد حصرت بأربعة وظل حصرها قضية لا يختلف عليها أحد بين العرب . وقد شرح ابن سينا بأن بعض الأمور تتعلق بالنفسيات بدلا من العلم الطبي ، ويتوقف الأمر على الأطباء للتسليم بذلك أو رفضه . وقد آمن الأطباء العرب بنظرية أن لكل شخص طبعه الخاص وهويتاً أثر حسب ذلك . وقد شرح ابن سينا هذه النظرية مفصلاً . فقضية الحساسية ، في العصر الحاضر تقوم في الواقع على أساس هذه النظرية .

#### القوة الدفاعية :

كان العرب عند معالجة أحد المرضى يولون عناية خاصة للقوة الدفاعية عند الشخص . وكانوا يعتقدون - عن حق - أن الطبيب الحقيقي هو القوة الدفاعية الحقيقية للجسم ، وأن مهمة الطبيب هي تقديم المساعدة لهذه القوة . وقد أيد ابن زهر الأندلسي هذه النظرية كل التأييد . وقد كان أهم عمل قام به العرب في علم الطب هو تنظيم الفروع المختلفة لهذا العلم ، وتعتبر كتب فردوس الحكمة ، وكامل

الحوامص والقلويات استحضرها العرب . ومن المهم في هذا الصدد أن نلاحظ أن العرب لم يضعوا فقط أساس الكيمياء العصرية بل أصلحوا عدة نظريات يونانية قديمة . وكان يعقوب بن إسحق الكندي من أحسن من محصوا الكيمياء اليونانية وانتقدوها .

#### كتاب الأدوية :

يعتبر كتاب الأدوية ، الذي ألفه دسقوريدوس دليلاً كبيراً على اهتمام العرب بالأبحاث وتشوقهم للمعرفة في الأدوية . ويعتقد أن هذا الكتاب قد ترجم لأول مرة على يد استيفن بن باسيل على عهد الخليفة المتوكل بمراجعة حنين بن إسحق . ولكن الأسماء البديلة لمعظم الأدوية اليونانية ما زالت ضائعة . وقد أعيد النظر في هذا الكتاب حين حملت نسخة منه من بغداد إلى أسبانيا على عهد الخليفة الأندلسي الناصر ، وقد حملت نسخة أخرى منه باللغة اليونانية القديمة من مكتبة أباطرة الرومان للتصليح . وظن أنه لا يوجد شخص يستطيع فهمه فطلب إلى الإمبراطور الروماني إرسال عالم لغوي معه أيضاً . وقد أوفد رهايا يدعى نيقولا وهو متضلع في اللغة اليونانية القديمة إلى أسبانيا لهذا الغرض . وكان يعاونه أطباء عرب لإتمام ترجمة هذا الكتاب .

والرازي في ميدان الطب . وما زال كتاب  
الحاوي « للرازي يعتبر من أهم الكتب  
الذي لا يوازيه كتاب في قيمته الضخمة .

### حرية التفكير :

كان العرب مشهورين بصورة خاصة  
في حرية تفكيرهم وبنظامهم التعليمي العملي  
في علم الطب ، وقد أعلن يوحنا بن ماسويه  
بصراحة في كتابه « النوار الطبية » أنه  
لا يريد أن يتبع المبادئ القديمة لأسلافه  
دون وضعها موضع التجربة في المعرفة  
والخبرة ، وأن كل ما وجدته مخالفا للتجربة  
والاختبار كان يرفضه . ولاحظ هبة الله  
ابن ساعد في مقدمة كتابه دستور الأدوية  
( القرا بدين ) أن الوقائع الحقيقية هي التي  
فحصت عند التجربة . كما أعلن الرازي في كتابه  
الحاوي وكتاب الفاخر أنه غير متفق مع  
أسلافه في كثير من المسائل . . بل سجل معظم  
نظرياته القائمة على الملاحظة الشخصية دون  
أن يهتم بما فكر به اليونانيون ، وقد اتبع  
الطريقة نفسها ابن سرافيون في كتابه « الفصول  
المهمة في طب الأمة .

### التعليم العملي :

والى جانب حرية التفكير كانت المساهمة البارزة  
التي قام بها العرب هي نظامهم العملي في التعليم .  
وقد كانوا هم أول من بدأوا التعليم العملي  
لطلاب الطب في مستشفياتهم .

الصناعة ، والقانون ، والحاوي وعدد كبير  
من الكتب المماثلة مراجع قيمة في هذا  
الصدد .

والتراث اليوناني هو خال من ثروة المعرفة  
التي تتضمنها هذه الكتب .

### الآثار الأصلية :

لقد قيل إن أهم مساهمة قام بها العرب هي  
ترجمة الكتب اليونانية على عهد الأمويين  
والعباسيين ، وفي رأي أن أعمالهم الأصلية  
التي تشكل الآن جزءاً من مكتبات روما  
وباريس واندكترت وتركيا هي مساهمات  
حقيقية . فقد بدأ العرب في تصنيف كتبهم  
الأصلية في مطلع العهد العباسي ، بينما كانت  
ترجمة الكتب اليونانية متقدمة في بغداد  
ياشرف حنين بن إسحق ، وكان مؤلفو هذه  
الكتب يقتمون في معظمهم إلى مدرسة  
جنديسابور الفكرية ، ومن أبرز هؤلاء  
المؤلفين سابور بن سهل وعيسى بن موسى ،  
ومن أهم كتب الأخير « كتاب من لا يحضره  
طبيب » . وهناك كتاب آخر لابن ماسويه  
هو « كتاب الحية » المزود بالجدول  
والخرائط .

وبعد هذه المرحلة تماماً بدأت فترة طويلة  
ثمرة من الأعمال الأصلية والتصنيف في علم  
الطب العربي . وظهرت شخصيات عظيمة  
كعلي بن عباس المجوسي ، وابن سينا ،

مراجع :

- كتاب القانون لابن سينا .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء .
- معجم الأطباء .
- طبقات الحكماء لابن جليل .
- طب العرب .
- الطب العربي تأليف الدكتور ادوار ج. براون .
- الطب العربي تأليف الدكتور دونالد كامبل .
- دراسات في العربية والفارسية .
- الأدب الطبي تأليف الدكتور محمد زبير صديقي .
- بعض الوقائع المجهولة عن الطب العربي تأليف الحكيم كبير الدين .
- التاريخ الطبي للفارس تأليف الدكتور ألفود .
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن الفقي .
- تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان .
- شرح القانون لأبى الحسن القرشى .
- الفهرست لابن النديم .
- وفيات الأعيان .
- الأنسكلو بيديا البريطانية (مادة السكر) .
- كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون .
- الحاوى طبعة حيدر آباد .
- «غنى ومنى» طبعة لاكنو .
- كتاب التصريف طبعة لاكنو .
- شرح الأسماط والعلامات طبع دلهى .
- فردوس الحكماء طبعة برلين .
- أصول تاريخ الطب التركى تأليف .
- البروفسور سبيل أنور .

نيرواسطى

أستاذ الطب اليونانى والعربى فى باكستان

ويقول مؤلف «طبقات الأطباء» إن هذه الطرق لم تكن مطبقة مطلقا فى مدارس الإسكندرية الطبية قبل عهد المسلمين . وكان حضور الطلاب إلزاميا فى المستشفيات التى أنشأها المسلمون والتى استخدمت فى ما بعد كنماذج لمستشفيات إيطاليا وفرنسا . ويقول الرازى إن الطبيب يجب أن يتمتع بشرطين لاختياره : أولا يجب أن يكون مطلعا تمام الاطلاع على العلوم الطبية القديمة والحديثة . وثانيا يجب أن يكون قد عمل فى أحد المستشفيات كطبيب مداوم .

وكان إبراهيم بن بكس أستاذا منتظما فى مستشفى عضد الدولة . وكان تلامذة الرازى يزورون المرضى فى مستشفى الرى . وكان يوجد مجلس للعلم تم تأليفه فى مستشفى مباحقين لبحث حالات وأمراض المرضى ، وكان زاهد العلماء مدير هذا المجلس ، ونتيجة لذلك بدأت التشخيصات السريرية . وكان يجرى تسجيل أحوال المرضى وطرق شفائهم بانتظام ، وتحتوى كتب «الحاوى» ، «والفاخر» ، «والفصول» المهمة على وصف كامل لمثل هذه التشخيصات السريرية والمعالجات .

والخلاصة لم يضع المسلمون فقط أسسا متينة لعلم الطب الحديث ، بل وضعوا أيضا بناء راعيا له . فهل نكون شرفاء ومنصفين إذا وصفنا هذه الفترة الجميدة فى العصور المظلمة ؟



# الكندى فيلسوف العرب

للأستاذ سعيد زايد

لم يذكر المؤرخون على وجه التحديد تاريخ مولد الكندى ، ويرجحون أن مولده كان سنة ١٨٥ هـ ، أى فى الأيام الأخيرة لحياة أبيه ، وهم إذ كانوا لم يحددوا تاريخ مولده ، فإنهم بالتالى لم يهتدوا إلى تاريخ وفاته ، فقيل إنه توفى فى أواسط القرن الثالث الهجرى .

فهو إذن قد نشأ يقياً ، وفاته أن يمرح بين ربوع الجاه والسلطان ، وإن لم يفته أن يعيش فى محبوبحة من المال والرفاهية . كفلته أمه فدبرت أمره ومآله ، ورأت فيه مخايل الذكاء وحب المعرفة فألحقته بدور العلم .

ووفقاً للتقاليد المرعية فى تلك الأيام حفظ فيلسوفنا القرآن على يدي معلم ، ثم تعلم الخط والحساب . وأنس فى نفسه ميلاً إلى الرياضيات ، فأقبل على العلوم الرياضية والفلك . ولكن لم تفته المشاركة فى علم الكلام ومباحثه ؛ وهذا أمر طبيعى بالنسبة لآى مفكر فى زمانه ، فقد كانت قننة القول بخلق القرآن على أشدها ، وكان لا بد من إبداء الرأى فيها . إلا أن مشاركة الكندى فى ميدان الجدل كان بقدر ؛ فقد كان عف اللسان ، بعيداً بطبعه عن الفتن والدسائس ،

(١) أن سمي الفارابى بالمعلم الثانى ، وأطلق على ابن سينا لقب المعلم الثالث ، فإن الذين نعتوا الكندى بفيلسوف العرب لم يتعدوا الدقة فى كثير أو قليل .

فإن أوضح برهان لذلك النعت هو عريته الأصلية ، فهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن الصباح بن عمران بن محمد بن الأشعث ابن قيس ، من قبيلة كندة التى كانت تستوطن جنوب شبه جزيرة العرب . ولقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى دعيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، من نسب الكندى ما يرجع به إلى قحطان ، وهذا دليل على أنه عربى صميم . ولقد توفر الكندى على دراسة العقليات ، وعد أول من أخذ بمذهب المشائين فى الإسلام ، فى وقت كان فيه أغلب المقبلين على الدراسات العقلية من غير العرب الأصلاء . وبالرغم من عراقة أصل عائلة الكندى وشرف محتدها فقد رحل بعض أفرادها إلى العراق ، وأصابوا فى عهد الدولة العباسية مناصب كبيرة ، وكان أبوه من أصحابهم بعض المناصب ، فقد كان أميراً على الكوفة .

(١) بمناسبة مهرجان الكندى الذى عقد أخيراً فى بغداد .

مكتبة زاخرة بالكتب النفيسة ، سميت بالخزانة الكندية ، كما يقول ابن أبي أصيبعة . وللجاحظ بالنسبة لفيلسوفنا نوادر تصفه بالبخل . والظاهر أن الذى حدا بالجاحظ إلى هذا ، هو - كما يقول أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق فى كتابه : « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » - « إن نوع الحياة التى كان يحياها الكندى الفيلسوف بحكم ما فيها من عزلة وانقطاع عن مجامع الأدباء والعلماء ، واتصال بالترجمين والفلاسفة وهم غير مسلمين ولا عرب ، لم يكن من شأن ذلك أن يجعل الكندى خفيفا على أرواح من يرون فى الحياء غير ما يرى . ولعل هذا هو السر فى أن عمر بن بحر الجاحظ جعل من الكندى فى كتابه « البخل » موضوع أسماء وفكاهات . »

عاش الكندى إذن عيشة الفيلسوف ، وهى ما نعرف من نظام فى المأكل والمشرب ، واقتصاد فى الأهواء ، ومجاهدة لشهوات النفس الأمارة بالسوء ، فكان شعاره حكمته المأثورة « اعص الهوى ، وأطع ما شئت » ، ونبراسه العبارة التى رواها الشهرزوى فى « نزهة الأرواح » « من ملك نفسه ملك المملكة العظمى ، واستغنى عن المؤن . ومن كان كذلك ارتفع عنه الذم ، وحده كل واحد ، وطاب عيشه . ولو أفسد أحد أحسن أعضائه كان مذموما ،

فلم يشأ أن يخوض بصورة فعالة فى معارك أهل الأدب ورجال الدين خوفا من حدوث ما لا تحمد عقباه ، وآثر العزلة والبحث العلمى ، والاطلاع .

فإلى جانب مشاركته فى علم الكلام وإقباله على الرياضيات ، قرأ فى الفلسفة التى نقلها المترجمون عن فلاسفة اليونان والفرس والهند ، بل حاول أن يتعلم اللغة اليونانية ليقراها بها آثار اليونانيين فى منابها الأصيلة ، ويحاول من جهة أخرى أن يترجم منها إلى اللغة العربية والثابت أن الكندى كان يعرف اللغة السريانية وقد نقل منها بعض الكتب إلى اللغة العربية ، كما رواه القفطى فى « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » من أنه نقل كتاب بطليموس المسمى كتاب « الجغرافيا فى المعمور من الأرض » إلى اللغة العربية نقلا جيدا ، عن السريانية . ولقد عده أبو موشى ، كما رواه ابن أبي أصيبعة فى « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » أحد أربعة رجال حذقوا الترجمة فى الإسلام ، وهم : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندى ، وثابت بن قرة الحرانى وعمر بن الفرغان الطبرى .

وقد عاش الكندى - كما ذكرنا - مرفها ، فقد كان له ضيعة بالبصرة ، وكانت له فى بغداد دور يؤجرها . ورجل هذا شأنه من الغنى وحب العلم كان من الطبيعى أن تكون له

عظيما في معرفتنا له . ولقد نشر هذه الرسائل في جزمين الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريذة سنة ١٩٥٠ ، ونشر الدكتور أحمد قواد الأهواني إحداها وهي « كتاب الكندي إلى المعتصم بالله في الفلسفة الأولى » سنة ١٩٤٨ . ورسالة الكندي في الفلسفة الأولى من أطول رسائله ، يقول فيها - بعد الديباجة - : إن صناعة الفلسفة من أشرف الصناعات الإنسانية ، منزلة ومرتبة ، فهي صناعة حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان . وغرض الفيلسوف إصابة الحق من الناحية النظرية والعمل به في الحياة . وإذا كانت صناعة الفلسفة شريفة ، فإن أشرف أبوابها هو البحث في الفلسفة الأولى أى البحث في معرفة العلة الأولى للكون ، وبالتالي يكون أشرف فيلسوف هو الباحث في علل الكون أو الباحث في علم الحق الأول الذي هو علة كل حق . فالعلة الأولى أولى بالشرف ، وأولى بالجنس وأولى بالترتيب ، وأولى بالزمان ، فإنها علة الزمان .

والباحثون في الحق - على رأى الكندي - من أتى منهم بيسير منه ، له الشكر العظيم ، فضلا عن أتى بكثير منه ؛ وذلك لأنهم أفادوا الناس من ثمار فكرهم ونوروا لهم الطرق الخفية . وقد ذكر الكندي أن أرسطو قال : إنه ينبغي أن نشكر آباءهم ، إذ كانوا سبب كونهم .

وأشرف الأعضاء الدماغ ، ومنه الحس والحركة وسائر الأفعال الشريفة ، ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم ، ومتى توالى السكر على أحد بدون مرض دماغه ، واشتد اضعفه وبعده عن القوة الممدة للأفعال الإرادية والتفكيرية .

هذا ، ولقد كتب الكندي في الفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات في أغلب فروعها مثل الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ، والطب ، والكيمياء ، والسياسة ، وهو كما يقول ابن النديم في « الفهرست » : « له في أكثر العلوم مؤلفات من المصنفات الطوال والرسائل القصار .

وقبل أن تعرف ، أو بالأصح قبل أن تكتشف كتبه ، كانت الآراء تختلف حول الكندي وقيمه العلية ، وفيما إذا كان متكلما ومعتزليا ، أو فيلسوفا له مذهبه المتكامل في تفسير مشاكل الكون ، أو هل هو بمن احتذى حذو أرسطو أم سار على نهج خاص .

واكتشاف كتب الكندي أو على الأصح اكتشاف بعضها لم يأت دفعة واحدة ؛ بل إن بعض رسائله كان معروفا لدى الغربيين ، وترجم إلى اللغة اللاتينية ، وتدارسه محبو الفلسفة . ولكن اكتشاف المستشرق الألماني العلامة ريتير لمجموعة رسائل الفيلسوف في مكتبة أياصوفيا سنة ١٩٣٢ أحدث أثرا

وقائع مالموسنة :

## من شمار الإيَّمان

للاستاذ محمد رجب البيومي

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال  
والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، (قرآن كريم)

أدى عمر بن الخطاب صلاة الفجر ذات مرة ، ثم تطلع إلى من وراءه من الناس ، فوجد المصلين حاشداً يموج بالراكع والساجد ، والمسبح والمرتل ، ونظر غير بعيد فلبح متم بن نورية يجلس في زاوية هادئة وقد وضع رأسه بين يديه كن يفكر في شيخن مريرو، فنهض أمير المؤمنين من مكانه ، ودنا منه فحياه في تواضع ، وأخذ يسأله عن نفسه ومعاشه وبيته ، واستنشدته آخر ما قال في رثاء أخيه مالك ، فاسترسل الشاعر

( بقية المنشور على صفحة ٦١٢ )

فلم حقائق الأشياء ، عند الكندي ، علم شريف نافع ؛ ذلك لأن فيه « علم الربوبية ، وعلم الوحدةانية ، وعلم الفضيلة ، وجلة علم كل نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار والاحتراس منه ؛ واقتناء هذه جميعا هو الذي أتت به الرسل الصادقة عن الله ، جل ثناؤه . فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليها إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده ، وب لزوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإثارها ، . وبعد ، فهذه كلة قصيرة عن حياة الكندي الفيلسوف العربي ، وعن مقدمة رسالته في الفلسفة الأولى ، بمناسبة مهرجان الذكري

في بغداد . ولعل حكومات العرب تضع في اعتبارها - دائماً - إقامة مهرجانات ذكرى للفكرين العرب . فقد أقيم منذ أكثر من عشر سنوات مهرجان ابن سينا . وأقيم منذ سنتين مهرجان الغزالي ، ولست أدري لم اهتم المسؤولون بمن جاء بعد الفارابي ومن جاء قبله ولم يهتموا به وهو فيلسوف عظيم أسس مذهبا فلسفيا متكامل الأطراف وله في جميع فروع الفلسفة آراء ، أصيلة ؟ . ولسنا هنا نلفت النظر نحو الفارابي وحده ، بل إننا نرجو أن يكون جميع مفكري الإسلام موضع الاعتبار ، فإن هذا يربطنا بما ضيئنا التليد .

سهيبر زاير

كبيراً ، فعمر الصارم الجاد كان يستجيب  
 لمأطفته الرحيمة حين تهب عليه لواقع  
 الذكرى المؤسسية ، فيستشعر لهيب الحزن  
 يندلع في صدره ثم يستروح برد التماسي حين  
 يجلس إلى شاعر مفجوع فيسمعه أصدق  
 الرثاء ، ويريق بين يديه عبرات الشجى  
 الضارع ، حزينه النغم ، دامية الرنين ، ويود  
 لو كان شاعراً يفصح عن ذاته لينطلق أواره  
 الحبيس في قافية مجلجلة ذات تصوير وتمثيل ،  
 ولكنه يفاجأ بحقيقة سارة لا يدرى كيف  
 غابت عنه على وضوحها البارز ، وصدقها  
 الأكيد ، فأخوه الشهيد ينعم برضوان من  
 الله أكبر ، ومهما انسدل بينهما حجاب الغيب  
 الآن فسيأتى يوم يرفع فيه الستار ، وسيطلع  
 الأخ الصابر ليجد أخاه مع الذين قتلوا في  
 سبيل الله حياً يرزق ! وإذن فقيم الأسف  
 الجازع والشجى المريع ، !! إن هذا المعنى  
 المؤمن يتراعى له فجأة فينزل على صدره  
 المحرور نزول الندى الماطر على الزهرة  
 الملتاحة ، فتنبسط أساريره بعد انقباض ،  
 ويصيح صوته منطلقاً بعد احتباس ما عزانى  
 أحد بمثل ما عزانى متمم ! الحمد لله رب العالمين !!  
 ليس الفاروق وحيداً في بابه ، فنحن  
 نشاهد عشرات المصابين ، تفجؤهم الكارثة  
 الصاعقة يطيش لها اللب الحازم ، ويتزلزل تحتها  
 الفؤاد الراسخ ، ولكنهم يثوبون إلى نفوسهم

في إبداعه ، وعمر الأدب الراوية يهتز للمعنى  
 الجيسد ، وهش للتعبير الصادق ويلس  
 بإحساسه الأدبي ما وراء هذه الزفرات  
 المنظومة من مشاعر لاهبة تذوب أسى وتمتلى  
 اضطراماً ، ثم انحدرت دمعتان ساختان  
 على خد الخليفة العادل ، قطلع إليه الشاعر  
 وسأل متعجباً :

ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

فقال له عمر في صوت تخنقه العبرة ،  
 وتعوقه الزفرة ، وددت أنى كنت شاعراً  
 فأرثى أخى زيد بن الخطاب بمثل قولك :

وكنا كندمانى جذيمة حقة  
 من الدهر حتى قيل لن يتصدعا  
 فلما تفرقنا كأتى ومالكا

على طول وصل لم نبت ليلة معا  
 فتطلع إليه متم متحيراً ، ثم أسعفه  
 خاطره المؤمن فقال : هنيئاً لك يا أمير  
 المؤمنين أن رزق أخوك الشهادة في سبيل الله ،  
 فلقى الجنة راضياً مرضياً ، ولومات أخى  
 مالك على مثل ما مات عليه زيد بن الخطاب  
 مارثيته ببیت واحد ، إذ راح ينعم  
 برضوان الله !

فانطلق بالبشر وجه الفاروق سريعاً ،  
 وزال عنه ما جلله من كآبة الشجن العابر ،  
 وصاح مهتلاً ، والله ما عزانى أحد بمثل  
 ما عزانى متمم ، الحمد لله رب العالمين .

هذه القصة الصغيرة تحمل وراءها معنى

وكان له إحدى عشرة سنة، وقد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه والحديث شيئا كثيرا على حداثة عمره، ثم امتحن بفقهه، فجتت أعزيه، فقال لي في هدوء: كنت أشتي موتة!! فتعجبت كثيرا، وقلت: يا أبا إسحاق، أنت عالم الدنيا، تقول مثل هذا في صديق وقد نبه، ولقنته الفقه والحديث! فأسند رأسه إلى الحائط، وأطرق قليلا ثم قال: لقد رأيت منذ عام في النوم كأن القيامة قد قامت، وكان صديانا بأيديهم القلال فيها الماء، يستقبلون الناس فيسقونهم، وكان اليوم حار شديد الحرارة، فقلت لأحدهم: اسقني من هذا الماء، فنظر إلى ثم قال: لا، لست أبي، فسألت أى شيء أتم؟ فقال قائلهم: نحن الأطفال الذين متنا في الدنيا وخلفنا آباءنا، نقوم اليوم فنستقبلهم بالماء. قال إبراهيم: فلماذا تمنيت موت الغلام!! ونحن نتساءل في ضوء هذه الحادثة: كم يكون جزع الوالد على ولده الذكي النجيب، إذا بدت عليه خايل العبقريّة في سن مبكرة، فحفظ القرآن، وروى الحديث، ودرس الفقه، ثم تخطفه الموت من بين أحضان والده وقد تعهد حوده الناصر بالرى حتى كاد أن يورق، كم يكون جزع هذا الوالد إذا لم يجر الإيمان بالله بجرى الدم في عروقه، وكم تسود الحياة في عينه فلا يرى في ضياء الشمس،

المؤمن فيعلمون أن اللقاء قريب، ويرون في أحلامهم المادئة أطيايف الحبيب النازح يفتقر ثغره، ويشرق جبينه، فيتأكدون أن قبره روضة من رياض الجنة وأنه فارق موطن البلاء في الحياة ومنعق الشقاء في الدنيا لتهدأ روحه الناعمة بين أشجار وحدائق، وحوار وولدان، ثم يرسلون إلى روحه هدايا عبقة تفوح في آى من الذكر الحكيم، ولا يزالون كذلك يرونه في الحلم ليلا ويستمتطرون عليه الرحمة نهاراً، فهو القريب البعيد، والغائب الحاضر، ولن يصعب رحيل إنسان، يبعده القبر ويدنيه الإيمان!

لن أقف عند هذا الحد، فأقرر أن الإيمان الصادق يهون المصيبة عند وقوعها، بل أتجاوز ذلك فأقرر صادقا أن من مزايا هذا الإيمان المخلص أنه يهون المصيبة على نفس الصابر الخاشع قبل أن تقع، فهو يوطن نفسه بادی ذى بدء على احتمال المكروه، وتوقعه في دنيا محفوفة بالمكاره الكارثة، حتى إذا حانت ساعته المحتومة صادفت قناة صليبة تهب عليها الريح من كل مكان، فما تقدر أن ترحزها قليلا عن مطمأنها الثابت في مستقر الأرض، وإذ ذاك يصير الكارث المذهل رغم فداحته القاصمة مما لا يكاد يؤبه له من الأشياء!

قال محمد بن خلف: كان لإبراهيم الحربى ابن

وشعرها الذائع لا تملك أن تشك فيما نقذف به من الدليل .

لقد فقدت الشاعرة الودود أخاها ضحرا في الجاهلية ، فلم تتحمل كارثة الموت بفقدته ، واندفعت تصل الليل بالنهار في نواح متصل ، وشعر دامع ثم ارتدت ثياب الحداد فألت على نفسها أن تظل عاقلة بها ، ما تردد في صدرها نفس ، وكانت ذات إحساس شاعر ، فليست بمن تهون لدى نفوسهن كارثة تحقيق ، بل تتغلغل في الأعماق ، غائرة اللذع ، مشبوبة الالتياح ، فهي تذكر فقيدها النازح عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وتتلس العزاء لدى المفجوعات من أترابها ، مع ما تعتقده في قرارتها من بعد الفارق الشاسع بين مصاب ومصاب .

وما يكون مثل أخى ولكن  
أعزى النفس عنه بالتأسى  
هذا الأخ الفقيد ، كان - على ما تروى المأثورات بارا بأخته ، فهو يؤثرها على بيته وأهله ، ولم يكن ذلك مستغربا من بدوى شهم يعزى الأحداث ، ويهتز للحمد ، وقد وجد من معارضة زوجته ملاما جعله دبر أذنه ، ويظهر أن الأريحية كانت طبعه الأصيل ، فأشعار الخنساء فيه تضعه موضعه البارز فهو صخر الندى ، كثير الرماد ، نحار إذا تشتتو البادية .

ونور القمر بصيصا من شعاع ، ولكن اقه قد لطف به ، فرزقه الأمل وهو شىء كثير . تصور هذه الحادثة بخيالك ، ثم امض في مسجاتك إلى إنسان جاحد بالله ، منكر للغيب ، كافر بالحساب ، ودع الموت ينفجعه في نجل عزيز ، أو أخ حبيب ، وقل لى بربك : كيف يستشعر الراحة في مصابه ، ولا أمل عنده في لقاء آجل ، ولا ثقة لديه في رب قادر ، إنه من شيونه الدامسة في ليل مطبق ، بطىء السكواكب ، وإن اليأس الجهم ليضاعف عليه نكبته ، ويرميه في أمواج من السخط والقلق والفجيعة ، وإذا كنا نعرف أنه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، فلا حياة هادئة لهذا المعذب التعس ، وقد فقد الأمل وسدت بعيفيه منافذ الرجاء !

إن كنت في شك من ثمرة الإيمان فأخذت تنكر علاجه النفسى ، ودواء الروحى ، وقظن موضوعنا هذا كليات تنمق ، وخیالات ترص ! إن كنت في شك بما أؤكد من القول ، فسأضع أمامك صورة ناطقة لشخصية مشتهرة ، ذاع حديثها في الناس وتناقل الدارسون أخبارها المتواترة جيلا بعد جيل ، ثم ضرب بها المثل السائر ، فقيل ( أبكى من الخنساء ) هذه الشخصية المشتهرة ذات المثل السائر تهض دليلا صادق البرهان لما نقول ، وأنت أمام تاريخها المشهود

هذه الشاعرة الجازعة قد تعرضت في شيخوختها الواهنة إلى نكبة أكثر هولاً ، وأعظم فجعة من نكبتها في صخر ، وكان الظن بها أن تصوغ قصائد الرثاء لاهبة كالوية ، فالتسكة نكبة أربعة من أولادها المغاوير كانوا في ميعة الشباب ، وعنفوان الرجولة ثم تخطفتهم السيوف الكافرة في يوم واحد ، وهى نكبة أكبر من أن توصف ، ولكن ظروفها الزمنية جعلتها محتملة ؛ لأن الحنساء المؤمنة في دنيا الإسلام غير الحنساء المشتركة في دنيا الجاهلية ، وسنعرض من أقوالها ما يحلو هذه الحقيقة ، لتسكون بروعتها المؤثرة أثراً طيباً من آثار اليقين المخلص وثمرة شهية من ثمار الإيمان .

لقد زحفت الجيوش الإسلامية لحرب الفرس في القادسية ، ونهض الشباب من أشبال العرب وأبطال المسلمين يؤدون ضريبة الدين ، في فتح خالد ، يزلزل عروش البنى ، ويعلى منار العدالة والحرية والمساواة ، ورأت الشاعرة المؤمنة أشبالها الغطاريف يتسابقون إلى النصر مستبشرين ، فهزتها أريجية البطولة وسرها أن تسهم بأفلاذها الأربعة في نصرة دين عزيز يجمع الناس على المودة والتعاطف والإيمان ، ثم دفعها لودعية الأدب وعبقرية الذكاء وجلال اليقين أن تخطبهم خطبة جهرية فتقول :

حمال ألوية هباط أودية  
شهاد أندية للجيش جرار  
لاجرم ، مثل هذا الرجل الشهم كان يروع  
الغريب بمآثره ، ويبدد البعيد بأياديه ،  
فاظنك بأخت قريبة تسمع ثناء الناس  
عليه ، وتزهى به أمام زوجها وأولادها ،  
وترى الضيفان يؤمون ساحته في السلم ،  
والشجعان يحتمون برأيته في الحرب ،  
فن أى نواحيه جنته وجدت الفتوة الماجدة ،  
والمروءة المهتزة ، والشهم الرفيع .

قد يقول قائل : إننا نعتمد في أوصاف صخر على ما ذكرته أخته في معرض الرثاء ، ولعلها اندفعت في مغالاة عاطفية تجعل السفح قبة ، والسراب ماء ، ونحن نقول : إن الشاعرة تعرضت إلى فجعة أخرى في أخ شقيق هو معاوية ، فرثته رثاء معقولا دون أن تزيد فلو كان ديدنها المبالغة لوضحت في رثاء الشقيق قبل الابن !! ثم إن الشعر العربي لعسدها لم يسلك مسلك الإغراق بل كان في أكثره فطرياً يعكس ما يحول في النفس ، وكفى ، وقد تناقل الرواة حديثها عن صخر فاشفعوه بنقد ، وهى بعد فنانة لها منافسون أقوياء حراس على أن يرتفعوا بأشعارهم عن مستواها دون أن يروقوا عاطفتها الثائرة ، فكان أن غلبت الفحول :



الشيخوخة اليأس والعمى المظلم ، والضعف  
الراش ثم تتلس النصير فلا يعين .

لم يكن المصاب القديم أفدح من الرزء  
الطاريء دون جدال ، ولكنه صحب اليأس  
وجافاه الأمل ، فبدت كارثته على احتمالها  
شديدة لا تطاق ، أما مصاب الأبناء فقد  
هو نه الإيمان ويسره الرجاء ، فرجعت الأم  
إلى دينها القوى ، فأخبرها أن اللقاء قريب ،  
وأن أفلاذها الأبطال فرحون بما آتاهم الله  
من فضله ، يستبشرون بنعمة من الله ، ورأتهم  
بإيمانها الشاعر يطيطرون في آفاق الفردوس ،

تعبق دماؤهم الشذية بأريج الاستشهاد ، وتتألق  
أسرتهم الوضيئة بريق المثوبة ، وإذ ذاك  
قالت في ثقة المؤمن ، وعزيمة الآمل : الحمد لله  
الذى شرفنى بقتلهم ولانى لأرجو أن أجمع  
بهم فى مستقر واحد .

إن بيت القصيد فى هذه العبارة هو كلمة  
أرجو ، وبها وحدها صار البعد قربا ، والقبر  
جنة ، والحنة منحة ، وهى وحدها التى دفعت  
لإبراهيم الحربى أن يحلم بالحوض المشهود ،  
يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كما أهابت  
بالفاروق فصاح « والله ما عزانى أحد بمثل  
ما عزانى متم » !

فيا حلالة الرجاء ، ويا لعذوبة الآمال .

**محمد رجب اليومى**

أى بنى : إنكم أسلتم طائعين ، وهاجرتم  
مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم  
لبنو رجل واحد ، ما خنت أباكم ، ولا  
فضحت خالكم ، ولا هجنت حسبكم ، ولا  
غيرت نسبكم ، فاعلموا أن الدار الآخرة خير  
من الدار الفانية ، فاصبروا وصابروا واتقوا  
الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيتم الحرب قد  
شمرت عن ساقها ، فيمموا وطيسها ،  
وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالكرامة والغنى  
فى دار الخلد والقيامة .

ثم يمضون إلى القتال .. وتمس الأيام ،  
فتتلس الأبناء متطلعة ، فيعود الظافرون  
إلى الخنساء فيخبرونها بانتصار الإسلام  
واستشهاد الأبناء ، ما بقى منهم أحد ، فترد  
فى صوت خافت تقطعه الشيخوخة الواهنة  
« الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ولانى لأرجو  
أن أجمع ولماهم فى مستقر رحمته ، ثم لا تزيد .

أى معجزة نادرة قلبت الخنساء من نائمة  
جزوع إلى واثقة صبور ، هل كان خطب  
الأخ مهما عظمت به الكارثة وتضاعف فيه  
الشجن ، أكثر فداحة من نازل يحيق يعصف  
بأربعة من الشباب البسلاء أرضعتهم دماءها ،  
وأطعمتهم حياتها ، ومنحتهم رجاءها ثم غابوا  
مستشهدين وتركوها فريدة وحيدة تجالذ

# الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

- ٣ -

وذات خطر بالغ أيضاً ومطامع بالغة كذلك في توجيه المستقبل لهذه الجماعة الإسلامية توجيهاً خاصاً قد يدابر الحياة العامة لبقية الجماعة الإسلامية ، وقد يدابر الإسلام نفسه ويعمل على جر الجماعة الإسلامية في هذه الدول الجديدة إلى خارج الدائرة كلها .

وعلى رجل الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، نحو هذه الجماعة الإسلامية واجبات ، أولها فهم أوضاعها ودراسة أحوالها وإدراك مشاكلها ثم المشاركة الإيجابية في توجيهها نحو الحياة الإسلامية والاجتماعية الصحيحة ليقبها (داخل الدائرة) .

وفي السنوات العشرين الأخيرة شهدنا مأساة كبرى لجماعة إسلامية اغتصب بلادها ومحا دينها وقوميتها مغتصب غائن غادر . ولهذه النكبة أسباب بعيدة وقريبة ، واضحة وخفية .

هذه أمثلة نوردتها من مشاكل أو مسائل قائمة في حياة الجماعة الإسلامية المعاصرة التى نعتقد أن لرجل الفكر الدينى حيالها واجب ،

قبل أربعين سنة قامت ثورة في بلد من بلاد المسلمين كان سلطانها يحكم بلادهم جميعاً باسم الخلافة ، وقد هدمت هذه الثورة أساس هذا الحكم وأزالت من الخلافة الاسم والرسم وخرجت بهذه الجماعة من نسبة الإسلام وما يصلها به من سبب وقالت عنه قولة منكورة : إنه ربح الصحراء ، وهذه المحنة العاتية التى مرت منذ قريب بجماعة المسلمين هذه في (دولة الخلافة) كان لها من الأسباب والنتائج ما يجب على رجل الفكر الدينى أن يعرفه ويدرسه وأن يتأمل ما تبطنه هذه الأسباب من احتمالات أخرى في بلاد أخرى من بلاد الجماعة الإسلامية ، حتى يحذرو وينذرو ويتطلع ويشير .

وفي هذه السنوات الأخيرة خرجت إلى نور الحياة وكرامه الحرية بلاد كثيرة ، في إفريقيا خاصة ، فيها جماعات كثيرة من المسلمين . وهذه الجماعات التى عاشت دهرأ طويلاً أو قصيراً في ظلام العدم وذل العبودية تتطلع إلى المستقبل ، تتناوشها وتتناوش جماعة المسلمين فيها عوامل ذات قوة بالغة

بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ثم يجعل القانون ، في المادة ١٦ منه ، تكوين مجمع البحوث هذا من خمسين عضواً من كبار علماء الإسلام يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة .

ونستطيع هنا أن نقول : إن هذا المجمع للبحوث هو امتداد أو تجديد أو تطوير ، لجماعة كبار العلماء . وجماعة كبار العلماء كان الغرض من إنشائها - وهو غرض لم يتحقق مع الأسف ، شيء منه - كان الغرض من إنشائها هو : « أن يعود إليه - أي إلى الأزهر أو لئلك الفقهاء المحققون والمحدثون الثقات والمفسرون المطلعون واللغويون البلغاء والمؤرخون الصادقون وأهل الصلاح والتقى » . ... ليسكون للأزهر منها أمثال عز الدين ابن عبد السلام والسراج البلقيني وجلال الدين السيوطي والسبكي وابن هشام والشهاب القرافي ، وكلهم مصريون ، والإمام الأصفهاني وإبراهيم بن عيسى الأندلسي والإمام الزيلعي وأبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي وتاج الدين التبريزي وعلاء الدين الحموي والحافظ العراقي والرضي الشاطبي وشيخ الإسلام زكريا

وأن التطور الجديد - أو التطوير - يجب أن يعينه على فهمها أو أن يوجب عليه فهمها وتعمق حقائقها وأسرارها والمشاركة الإيجابية المخلصة فيها . وما نريد أن يكون الأزهريون جميعاً من هذا الطراز ، بل نريد منهم قلة واعية قادرة .

\*\*\*

يخرج الأزهر معلمين للغة ومشرعين وموظفين ، وسيخرج ، عند إنشاء كلياته الجديدة ، أطباء ومهندسين وزراعيين ، ولكن هذه الطائفة ، من رجال الفكر الديني ، التي عليها أن توجه جماعة المسلمين في العالم كله ، هي ما نرجو أن نراه ثمرة لهذا التطوير ، أو التطور : طبقة تكون ، بفهمها وثقافتها وإخلاصها أهلاً للريادة والقيادة .

وتقول المادة ١٥ من مشروع القانون بتطوير الأزهر إن : « مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق

يتمنى من صميم قلبه ، كما أتمنى أن يحققها ، أو يمهدها ، التطور أو التطوير : هي أن يكون الأزهر الجديد عاملا من عوامل التقريب ، وأوشك أن أقول التوحيد ، بين المسلمين ، كما يأمرهم دينهم .

والإسلام ، كما نعلم ونقول ، يدعو إلى الأخوة الإنسانية والمصافة بين جميع البشر فكيف بذلك بين أهله ومعتقديه ... ؟

ونحن نعلم أن الأزهر مدرسة ثقافية علمية إسلامية ويجب أن يبقى كذلك ، وهو - عن هذا الطريق وحده - يستطيع أن يصنع شيئا كثيراً في سبيل هذه القربى - أو الوحدة - التي نريدها بين المسلمين إذا أخلص وسعى ، وأجهد جهده .

وفي الباب الثالث من مشروع القانون لتطوير الأزهر إشارة إلى هذا السبيل كنت أود أن تكون أوفى وأوضح <sup>(١)</sup> . وهذه المادة تقول إن الأزهر ، بعد تطويره ، يعمل على « تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب ، وآثار التعصب السياسي والمذهبي ، وتجليتها في مظهرها الأصلي الخالص » .

تجريد الثقافة الإسلامية من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي

(١) المادة ١٥ من المشروع .

الأفشارى والحافظ ابن حجر العسقلاني وقاسم بن محمد التونسي ، <sup>(١)</sup> .

وهؤلاء العلماء الذين تمنى مشروع إصلاح الأزهر قبل خمسين سنة أن يخرج الأزهر الجديد أندادا لهم ، هؤلاء العلماء ما زلنا نرجو من الأزهر المتطور أن يخرج أندادا لهم من السلفيين المتابعين ، وآخرين شجعانا مجددين مستقلين من أمثال ابن القيم وابن تيمية وابن حزم والشيخ محمد عبده والمراعى . وهؤلاء وهؤلاء يرجى أن يكون منهم - كما قال مشروع إصلاح الأزهر قبل خمسين سنة وكما لا زال نقول - يرجى أن يكون منهم : « تاج الجامعة الأزهرية ، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم وحفاظ الشريعة ونصوص لغة القرآن » . لتركن الضمائر الواجفة إلى علمهم ، وتهب النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم وتطمئن قلوب المؤمنين بقيامهم حفاظا لليقين ، وحراسا على شريعة النبي الأمين ، <sup>(٢)</sup> .

وهناك أمنية أعتقد أن كل مسلم مخلص

(٢،١) ص ٤٨ من الطبعة الأميرية سنة ١٩٢٨ من مشروع قانون إصلاح الأزهر ، الذى وضعته ، فى سنة ١٩١٠ ، لجنة من المرحومين : عبد الحالى باشا ثروت وإسماعيل صدق وفتحى باشا زغلول ، والذى كان من عمرته قانون ١٩١١ المعروف بقانون الشيخ شاكر .

يقول أبو بكر الصيرفي ، الفقيه الشافعي الأصولي : « كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعري فحجزهم في أقصاع السمسم . ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم ما كانوا عليه من العدد والعدة » (١) .

فإذا رجونا من الأزهر ألا يكون نصيراً لمذهب بعينه من بين المذاهب الإسلامية فيتمصب لها . بل أن يكون محيطاً بها جميعاً متخذاً التقريب بينها سبيلاً للخروج بالمسلمين جميعاً من العصبية المذهبية ثم سبيلاً بعد ذلك للتقريب بينهم . إذا رجونا من الأزهر المتطور أن يفعل ذلك فإننا لا نطلب شططا ، بل نجد لذلك كثيرا من الأسباب القائمة والذرائع التاريخية والأسناد الثقافية التي لا تحتاج لغير الإقدام والشجاعة والحيلة معاً . ونجد ، قبل ذلك وفوق ذلك ، أن حاضر المسلمين وبلادهم ومستقبلهم يوجبان ذلك ويحتاجانه . وأماننا كثير من النذر .

### محمود الشرفاوي

(١) ص ٤٩ - ٥٠ من كتابنا « تقوم الفكر الديني » - البيان العربي .

هذا التجريد أو تنقية الثقافة الإسلامية من بقايا التعصب السياسي والمذهبي سبيل يجب أن يسلكه الأزهر وأن يسير فيه بكل جهده وإيمانه وإخلاصه . فبين المسلمين الآن من الفرقة المذهبية ما يثير الحزن والشجن . فإذا تأملنا نشأة هذه المذاهب ، التي كانت من أسباب الفرقة بين المسلمين بدل أن تكون من أسباب التيسير عليهم ، وتأملنا كذلك أسباب السيادة التي سودت بعضا منها على الآخر ، إذا تأملنا نشأتها وجدناها ، في الأكثر ، نشأة طبيعية ، كما تنشأ المدارس الفكرية ، ثم كانت السيادة لبعضها لأسباب قد يكون للسياسة والحكم مدخل فيها : « هذه السيادة المقررة ، وهذا الشيوع والغلبة على بقية المذاهب لم تكن لتفوق الأولى على الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة في الفهم ، بل لذلك أسباب هي إلى الساسية أقرب منها إلى العلم ، ونحن نعرف أيضا أن بعض هذه المذاهب - غير الأربعة - كانت له في يوم من الأيام وفي أزهر العصور من دول الإسلام مثل هذه الغلبة ، وهذا التفوق الذين نجدهما الآن للمذاهب الأربعة ، فقد بقيت السيادة في الذهن وفي الحكم لأصحاب مذهب الاعتزال أكثر من خمسين سنة في زمن الدولة العباسية .

# نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضلي أبو سنه

- ٣ -

امتناع المحتكر عن بيع ما احتكره والناس بحاجة إليه حيث يجبر على البيع ويعزر ، وامتناع التاجر عن الثمن المسعر حيث يجبر عليه ويعزر ، وامتناع العمال الذين تتوقف عليهم إدارة المصانع الضرورية للدولة كصانع الأسلحة ومواد البناء والأطعمة حيث يجبرون على العمل بأجر المثل وامتناع الطبيب الذي تعين لعلاج مرض معين .

## الأحكام المترتبة على التعسف :

وحكم التعسف إما التعويض إذا أدى إلى إتلاف مال أو نفس كمن حفر في ملكه بجوار حائط جاره فانهدمت ، وإما الإبطال إذا كان في التعاقد كوصية الضرار وبيع العينة وإما رفع الضرر كبناء المالك ملاصقا لجاره فسد عليه نوافذ الضوء والهواء<sup>(١)</sup> وكجباية ضرائب ظالمة ومنع المحتكر ، وإما التعزيز كما في دعاوى التشهير وإما المنع من ممارسة الحق المتعسف في استعماله كما في منع الزوج من السفر بزوجته إذا قصد به إيذاؤها والحجر على المديان والمفتي المحتال على المحرمات والطبيب الجاهل .

عرفنا أن أنواع التعسف أربعة وأن الثلاثة الأولى منها مبنية على قاعدة سد الذرائع التي تقول إن المشروع إذا أدى إلى محذور كان محظورا والمباح إذا أدى إلى حرام كان حراما .

والرابع كذلك استعمال محذور لما جاوره من عدم الاحتراس ، وبناءً عليه يكون المتعسف في استعمال الحق قد تسبب في أمر محذور فيعتبر متعدياً بطريق التسبب : لتقصيره عند استعمال حقه : لقصد الضرر أو بالسعي في حصول مفسد غالبية أو في تحقيق أغراض غير مشروعة أو لعدم الاحتراس : فيكون مسئولا عن هذا التقصير ، والمسئولية في الأصل الأول والرابع عن القصد ، وفي الثاني والثالث عن التقصير ، ويرتب عليه حكم مرتكب المحذور وهو في كل شيء بحسبه كما يأتي : فلا فرق في حكم الشريعة بين من يأتي بما هو محذور من أول الأمر كالضرب والنصب ومن يأتي بمشروع أدى إلى نتيجة تقصير تتعلق به مسئولية المخالفة . وهذا يبين أن التعسف في استعمال الحق في حكم الفقه هو من الفعل الضار أو الامتناع الضار والعقد المحرم . مثال الامتناع الضار

(١) مرشد الحيران مادة (٦١) .

لأنهم وجدوها فيه تجمع بين الوضوح والوفاء بخلاف القانون اللبناني فإن «جسران الفرنسي» واضع هذا القانون استمدها من القوانين الغربية<sup>(٢)</sup> ولهذا جاءت فيه مناقصة .  
ملاحظة : ولكن يلاحظ على القانونين المصري والسوري أنهما قد قصرا أحوال التعسف على الثلاثة الأولى وتركوا التعسف بسبب عدم الاحتراس مع أن معنى التعسف فيها أوضح .

**إثبات التعسف في استعمال الحق أمام القضاء**  
يثبت التعسف أمام القضاء بجميع الطرق المثبتة للحق غير أن تكييفه يتوقف إلى حد كبير على ظروف القضية وعلى عرف الجماعات فقد يكون استعمال الحق تعسفا في بيئة دون أخرى وضرباً في حال دون حال وذلك كرفع صوت المذياع إذا كان في السوق العامة أو في الأحياء الآهلة بالسكان وبين سكان البادية أو الحاضرة .

ولما كان سوء النية والتحايل لتحصيل المفاسد والأضرار هما أكثر أسباب التعسف وجب على القاضي أن تكون له خبرة واسعة بقرائن الأحوال وفقه نافذ بأحوال الناس الاجتماعية ليجمع منها أدلة قصد الإضرار ويكتشف التحايل باستعمال المباحات على

## وفاء النظرية في الفقه الإسلامي ووضوحها

لعلنا تبيننا من العرض السابق أن هذه النظرية غدت مستوعبة لجميع حالات التعسف ، واضحة المعالم لبنائها على أصول مضبوطة لا اضطراب فيها : فإن مبنى الأصل الأول وهو قصد الدار وإن كان أمراً شخصياً لكن يمكن كشفه بالقرائن الظاهرة والأصل مبنى على مقياس مادي ، وهو الموازنة بين المصلحة والمفسدة ، والأصل الثالث معياره معرفة النظم الإسلامية : والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل عمل مأذون فيه يراد به تحقيق غرض يخالف هذه الأنظمة يعتبر من التعسف كمن أهدى ويريد الرشوة ، أو اشتري ويريد الربا ، أو تطوع للجندي ويريد التجسس على أنظمة الجيش والأصل بنى على عدم الاحتراس من الضرر وهو واضح يكاد يدل على نفسه .  
أما القوانين الأجنبية التي يقال عنها إنها تقدمية وافية : فإنها لم تعرف هذه النظرية إلا في هذا العصر ومع هذا فهي فيها ناقصة وغامضة : فالقانون السويسري يبينها على سوء النية وكفى ، والقانون الروسي يبينها على مخالفة الأغراض الاجتماعية ، والاقتصادية لا غير .

ولهذا أحسن واضعو القانونين المصري والسوري في استمدهما من الفقه الإسلامي<sup>(٣)</sup>

(١) محاضرة الأستاذ زهدى يكن التي ألقاها في مؤتمر المحامين ببغداد سنة ١٩٥٨ .

(١) المذكرة الإيضاحية للقانون المدنى المصرى مادة ٦٦٥ .

بالأجر ليس له أن يعزل نفسه قبل إنهاء ما وكل به (١) كما في السمسار فإنه وكيل بالأجر (٢).

## ٢ - من الخطيب في فسخ الخطبة :

الخطبة وعد بالزواج وإخلاف وعد بعذر مشروع وعلى هذا ففسخ الخطبة بسبب جائز للمريض المعدي أو المانع له من المعاشرة الزوجية، وعجز الزوج عن دفع المهر، والخلاف المستحكم بين الخطيبين أو أسرتهما. وإن كان الفسخ من غير سبب كان الإخلاف للوعد من غير عذر إخلافا ضاراً لأن الناس عادة يعلون بالخطبة ويكنون إليها فينصرف عن الخطيبة من يفكر في الزواج منها . فإذا فسخ الخطيب من غير سبب فقد فوت عليها فرص الزواج التي كانت سانحة ونشر حولها الشائعات من أسباب الرفض ، الأمر الذي يشور النفوس وترتكب بسببه الجرائم لاسيما في هذا الزمن الذي فسدت فيه الأخلاق وكثرت الظنون السيئة فتتعطل بذلك مصلحتها الأساسية التي أعدها الله لها - وإخلاف الوعد إذا ترتبت عليه أمثال هذه المفاصد كان منكراً يجب تغييره ومعصية يستحق فاعلها التعزير عليها .

## تكييف الفسخ بسبب :

وعليه فللقاضي أن يعاقب الفاسد لا على مبدأ تعويض الضرر بل على مبدأ التعزير على

الوصول إلى المحرمات والأغراض غير المشروعة . نعم هناك حالات نصب الشارع عليها علامات ظاهرة كالطلاق في مرض الموت لأجل الفرار من ميراث الزوجة .

## بعض تطبيقات مبدأ الإساءة في

### استعمال الوكيل :

١ - حق الوكيل في عزل نفسه :

الوكالة من العقود غير اللازمة فليس من الوكيل والموكل حق العزل ، وبناء على هذا قد يستعمل الوكيل حقه : فيفاجأ الموكل بعزل نفسه في وقت يعجز عن القيام بما وكل فيه أو عن التوكيل به كالمرافعة في قضية قرب موعد نظرها وهي محتاجة إلى دراسة واسعة ، وكالقيام بعمل ضروري عاجل والموكل غائب .

وهذا في نظر الفقه تعسف في استعمال الحق لأنه إضرار عظيم بالموكل بقصد أو بغير قصد وقد رأينا أبا حنيفة يشترط في عزل أحد الطرفين علم الطرف الآخر منعا من الإضرار لجواز أن يكون الوكيل تعرف لصالح الموكل تصرفات فيها تبعات مالية ولجواز أن يكون هناك أهمال في تركها تغير بالموكل وإضرار به .

وبناء على هذا فقواعد مذهبه تقضي ببقاء الوكالة وإلزام الوكيل بإنجاز ما وكل فيه دفعا للضرر وتأديبه إن فرط على أن الوكيل

(١) لباب الباب لابن راهب المالكي

(٢) فتح التقدير ج ٧ ص ٧٨ .



فإذا وقع الطلاق لغير حاجة كان مبغضة إلى الله ولا سيما إذا كانت الزوجة ذات أولاد منه وكانت فقيرة وقد رتبت حياتها على العيش معه. وعند هذا لا ننكر أن الزوج قد يسيء استعمال حقه فيه لما يترتب عليه من الإضرار بالزوجة.

### ٣- من الأمور المنع من إيقاعه إلا بإذن القاضي :

وبعض الناس يريد أن يتخذ من مبدأ التعسف في استعمال الحق سبيلا إلى المنع من إيقاعه إلا بإذن القاضي، وعندنا أن هذا خطأ لأن إثبات التعسف في الطلاق وإثبات أن الزوج أوقعه من غير حاجة مشروعة تدعو إلى إيقاعه، القضاء لا يستطيع إثباته بطريقة المعروفة ومعايره الصحيحة، لأن الكثير من أسباب الرخصة في الطلاق التي شرحنا بعضها خفي : لا يستطيع المسلم ذكره لأن الله تعالى يحب الستر على عباده، وفتح هذا الباب قد يؤدي إلى مصارحة بأشياء هي من السرية والخطورة بحيث يضر الزوجة بإعلانها، بل قد يضطر الزوج الذي لا أخلاق له إلى انتحال أسباب كاذبة ضارة بالمرأة ولا يستطيع القضاء الوقوف عليها. وماذا يفعل القاضي إذا قال الزوج إنني أكرهها وإن أمسكتها كان علي بغض ومضارة. والحق : أن عقدة الزواج عاطفية بناها الله على المودة والألفة فمن الطبيعي في الغالب ألا يترك الزوج زوجته التي أحبها وسكن إليها وأنفق في سبيلها إلا لداع قد يستتبع المقام

الإتيان بهذا المنكر وهو إخلاف الوعد المستتبع للفساد، والتلاعب بمصالح الناس وأعراضهم؛ لأن التعزير ثابت على كل فعل أو قول فيه إيذاء للسلم بغير حق زجراً للناس عن ارتكاب المفاسد والمضار واستصلاحاً لهم لقوله صلى الله عليه وسلم : ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ) وهو خطاب لأولياء الأمر وهذا مبدأ إذا عمل به حمل الذين يريدون الخطبة على الإمعان في التروي قبل الإقدام عليها وعلى أن يفرقوا بين العدول عن شراء سلعاة تم الوعد بشرائها - وفسخ خطبة فتاة كريمة على نفسها وعلى قومها .

### ٣- من الأمور :

الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مشروع عند الحاجة لعدم عفة الزوجة بل قال بعض الفقهاء بوجوبه حينئذ : خشية أن تفسد فراشه وتدخل عليه من ليس من أولاده، ولئلا يقع تحت طائلة اللعنة الواردة في الديوث الذي لا يغار على حريمه. ومن مواضع الحاجة سوء خلقها في معاملة الزوج أو معاملة الناس، وتضرر الزوج بها في الحياة الزوجية العاطفية لمرض بها أو لعدم انسجامه في الطباع، وتفريطها في حقوق الله وهي لا تطيعه في أدائها حتى لا يعاشر امرأة عاصية. ومن الأسباب عقمها إذا لم يستطع أن يتزوج بأكثر من واحدة.

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، .  
والدليل على أن العدل المشروط في الآية ليس  
هو المحبة التي أخبر الله عنها أنها غير مستطاعة  
قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( اللهم إن هذا  
قسى فيا أملك فلا تأخذني في ما تملك ولا  
أملك ) يعني ميل القلب .

والتعدد مشروع لحاجات اجتماعية وعاطفية  
لا يستطيع بنو الإنسان الاستغناء عنها والذين  
صنعوا التعدد بالقانون والقضاء وقعوا فيه  
من طريق الشر والجريمة : وليس هنا بسط  
أسباب التعدد وإنما إجمال ما نريد أن نقوله  
هنا ، إن الله العليم بأحوال عباده وما يصلحهم  
شرعه لمصالح اجتماعية سامية . وأقلها عند  
الحفاظ على العدل الواجب أنه ارتكاب لأخف  
الضررين وهو المتعة من طريق حلال .

ولهذا لا يمكن أن يثبت من طريق القضاء  
في حق التعدد تعسف في استعماله متى تحقق العدل  
الواجب .

نعم : قد يتعدى الناس فيفعلون ما ليس  
مشروعا وهو الزوج مع العجز عن تحقيق  
العدل فإذا شاع ذلك بين الناس ولم تكن  
لهم من ضمايرهم رقابة على أنفسهم في تنفيذ  
أوامر الدين ساغ للقضاء أن يتدخل فيمنع  
من التعدد كل من يثبت بالأدلة أن حالته  
المالية لا يستطيع معها أن يمون نساءه أو  
يعدل بينهم .  
أحمد فهمي أبو سنة

معه من المضار ما لا يعلبه إلا الله ويشعر  
الزوج عندئذ أن بيتها جحيم لا يطاق .  
والمعروف في الشريعة أن المرأة إذا كرهت  
زوجها كان لها أن تفتدى له من مالها ليفارقها  
كما قالت جميلة امرأة ثابت بن يسار لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم : ( إنى أخاف الكفر في  
الإسلام لشدة بغضى إياه ) فإذا يكون الحال  
إذا اشتد بغضه لها ومنعه القاضي من تطليقها  
لأنه لم تقم لديه مبررات للطلاق ولئن كان  
البغض من المبررات عند القاضي فلكل واحد  
من الأزواج أن يدعيه .

وعليه : فأقل حالات الطلاق عندئذ  
ارتكابا لأخف ضرر . والأحوال القليلة التي  
قد يفسد فيها تقدير الزوج ، المجتمع مضطر  
إلى تحملها إذ لا سبيل إلا هذا .

والذى ينبغي تلافيا وإصلاح المجتمع  
وإشاعة مبادئ الإسلام الصحيحة بين أهله  
بجميع الطرق الممكنة .

#### ٤ - هو تعدد الزوجات :

تعدد الزوجات مشروع قطعا إلا عند  
خوف الزوج أن يظلم من في عصمته فعندئذ  
لا يكون حقاله .

والظلم المانع هو الظلم في الإنفاق أوفى  
الإقامة عند الزوجة أما المحبة وميل القلب  
فأمره إلى الله وقد بين سبحانه وتعالى أنه  
خارج عن استطاعة البشر . قال تعالى : دولن

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٣ -

وكذلك روى أن النبي رفع وبرة من الأرض حين رجوعه من غزاة حنين وقال : ( مالى مما آفاه الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم . ) و يروى أن بعض المسلمين سألوا النبي الغنائم ، حتى عدلوا دابته عن الطريق ، وتعلقت سمرة ( شجرة ) بردائه ، فقال النبي : اعطوني ردائي ، فوالذي نفسى بيده لا تجدونني كذوبا ولا بخيلا ؛ لو كانت غنائمكم مثل سمرة تهامة نعماً لقسمتها بينكم ، ومالى فيها إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ( ١ ) .

ولنما قال النبي كلمة ( لى ) لأنه هو الذى سيتولى إنفاقها على وجوه الخير التى أمر الله بها وعلى نفسه وأهله واليتامى والمساكين وابن السبيل .

والحكمة فى هذا التوزيع أن هناك مصالح عامة لا بد من تحقيقها ورعايتها ، ولما كانت هذه المصالح عامة للجميع ، والله هو رب الجميع ، قيل إن هناك نصيباً من هذا الخمس لله ،

النوع الثانى من الضرائب فى الإسلام هو « خمس الغنيمة » . والغنيمة هى ما أخذه المسلمون من المنقولات فى حربهم الكفار عنوة ، فيؤخذ من هذه الغنيمة خمسها ، يكون لله تبارك وتعالى ، فيصرف فيما يرضيه من أعمال الخير والبر ، ووجوه الإصلاح والتعمير ، والدعوة إلى الإسلام ، وعمارة الكعبة ؛ وكذلك يأخذ النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الخمس ما يكفيه ويكفى نساءه وأقاربه الذين حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، ويأخذ من هذا الخمس المحتاجون من المسلمين ، وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل ( ١ ) .

والدليل على ذلك هو قول الله تعالى فى سورة الأنفال : « واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسة وللرسول ولذئ القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير » .

( ١ ) الأموال ، ص ٣٠٦ .

( ١ ) تفسير للنار ج ١٠ ص ٧ .

والأمة ، ليكون خير عوض عن نظام المرباع ، فيرضى نفوسهم من جهة ، ويصلح أمرهم من جهة أخرى ؛ لأن هذا الربع كان لرئيس القوم وعصبته لا يشركهم فيه غيرهم ، فجاء الإسلام ووسع دائرة الانتفاع به .

يقول الدهلوى : « فجعل الله الخنس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عليه السلام مشغول بأمر الناس لا يتفرغ أن يكتسب لأهله ، فوجب أن تكون نفقته في مال المسلمين ، ولأن النصرة حصلت بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والرعب الذي أعطاه الله إياه فكان كحاضر الواقعة ، ولذوى القربى لأنهم أكثر الناس حمية للإسلام ، حيث اجتمع فيهم الحمية الدينية إلى الحمية النسبية ، فإنه لا غر لهم إلا بعلو دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن في ذلك تنويعاً بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلك مصلحة راجعة إلى الملة .

وإذا كان العلماء والقراء يكون توقيهم تنويعاً بالملة يجب أن يكون توقيهم ذوى القربى كذلك بالأولى (١) .

\*\*\*

وهناك نوع آخر من المكاسب التي يغنمها المسلمون من أعدائهم ، وهو « الغنيمة » . وقد جاء أكثر من قول في التفرقة بين

ثم إن الرسول متفرغ للدعوة وخدمة الأمة ، ولذلك حق له ولأهله أن يأخذوا ما يكفيهم من هذا الخنس ، وكذلك ذوى قرابته لأنهم لا يأخذون من الصدقات ، ثم إن اليتامى والمساكين وبنى السبيل يحتاجون إلى من يعاونهم ويدفع الحاجة عنهم ، فتكفل نصيبهم من هذا الخنس بتحقيق ذلك .

ويرى العلامة ولى الدين الدهلوى أن سهم الرسول يوضع بعده في مصالح المسلمين الأهم فالأهم ، وسهم ذوى القربى في بنى هاشم وبنى المطلب جميعاً ، وأن الإمام يخير في تعيين المقادير ، ويعطى سهم اليتامى للأولاد الصغار الفقراء الذين فقدوا آباءهم ، وأن سهم الفقراء والمساكين لهم ويفوز كل ذلك إلى الإمام ، يجتهد في الفرض ، وتقدير الأهم فالأهم ، ويفعل ما أدى إليه اجتهاده (١) .

والأصل في الخنس - كما يقول الدهلوى - أنه كان المرباع ( الربع ) عادة مستمرة في الجاهلية ، يأخذه رئيس القوم وعصبته ، فتمكن ذلك في علومهم ، وما كانوا يجدون في أنفسهم حرجاً منه ، وفيه يقول القائل :

وإن لنا المرباع من كل غارة

تسكون بنجد أو بأرض التهام

فشرع الله تعالى الخنس لخواص الدين

ويكون من النية ما يستتبع الغلبة على الأرضين وهو الجزية ، وكذا كل مال يحصل عليه من غير المسلمين بدون قتال . ففنى الغنيمة إذن قد انحصر في أنها المال المنقول الذى يحصل عليه نتيجة الحرب ، أما معنى النية فقد اتسع لما يؤخذ عنوة أو بالصلح ، وقد ورد أن عمر عبر بالفعل عن الأرضين بالعين ، وهو مرادف للعقار ، وهذه التفرقة بين المنقول والعقار هي من اجتهاد عمر رضى الله عنه ، وثمرة فهمه لكتاب الله وروح الشريعة ، (١) .

ولكن نجد صاحب « تفسير المنار » يقول : « والتحقيق أن الغنيمة في الشرع ما أخذته المسلمون من المنقولات في حرب الكفار عنوة ، وهذه هي التي تخمس ، فخصها الله وللرسول كما سيأتى تفصيله والباقي للغنائم يقسم بينهم ، وأما النية فهو عند الجمهور ما أخذ من مال الكفار المحاربين بغير قهر الحرب أقوله تعالى : « وما أفاء الله على رسوله منهم فإا أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب ، الآية » ، وهو لمصالح جمهور المسلمين . وقيل كالغنيمة (٢) .

وهذا النية الذى وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا استخدام خيل

« الغنيمة » و « النية » ، فقال الحسن بن صالح : « سمعنا أن الغنيمة ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة ، وأن النية ما صولحوا عليه ، يقول من الجزية والحراج (١) » .

ويقول الإمام الشافعى : « الغنيمة هي الموجف عليها بالخييل والركاب ، والنية هو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (٢) » .

وقال الماوردى : « الغنيمة والنية يفترقان في أن مال النية مأخوذ عفوا ، ومال الغنيمة مأخوذ قهراً (٣) » .

وهناك من يرى أن الغنيمة هي الأموال المنقولة التي أخذت من المشركين بالقتال ، والنية هو الأرض أو العقار ، وهو في الأصل أخذ عنوة ثم اتفق عليه ، ويجوز أن يؤخذ بالصلح دون قتال ، يقول الدكتور ضياء الدين الرئيس :

« التعريف الحقيقي للغنيمة أنها الأموال ، أى المنقولات التي أخذت من المشركين بالقتال . والنية هو الأرضون أو العقار ، وهي في الأصل أخذت عنوة ثم اتفق عليها ويجوز أن تؤخذ بالصلح بدون قتال ، وهذا هو أكثر استعمال النية ، أو المقصود به في الأغلب :

(١) الحراج ليعلى بن آدم ص ١٧ .

(٢) الأم ، ج ٤ ص ٦٤ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٢١ .

(١) الحراج في الدولة الإسلامية ، ص ١١٠ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤ .

ومال النبي يقسم على خمسة أسهم متساوية سهم منها كان لرسول الله في حياته ، ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه في مصالحه ومصالح المسلمين ، ولما كان الرسول قد مات فقد اختلفوا في نصيبه : لمن يكون؟ أيقوم وراثته فيه مقامه ، أم يسقط بموته ، أم يكون ملكا للإمام بعده لقيامه بأمور الأمة مقام النبي؟ ...

ويعجبنى رأى الشافعى هنا وهو أنه يكون مصروفا في مصالح المسلمين ، كأرزاق الجيش وإعداد الكراع ( الخيل ) والسلاح ، وبناء الحصون والقناطر ، وأرزاق القضاة والأئمة وما جرى هذا المجرى من وجوه المصالح ؛ والسهم الثانى سهم ذوى القربى ، ويرى أبو حنيفة أن حقهم فيه قد سقط ، ولكن الشافعى يرى أن حقهم فيه ثابت بلا تفرقة بين غنى وفقير ، والنفس أميل إلى رأى أبى حنيفة ومن وجدناه من هؤلاء محتاجا نستطيع إدخاله في المساكين .

والسهم الثالث لليتامى من أصحاب الحاجات فلا يكفى أن يفقد الولد أباه في الصغر — وهو المسمى باليتيم — ليستحق في هذا السهم بل يضم إلى ذلك حاجته إلى المعونة ، والسهم الرابع للمساكين ، وهم الذين لا يجدون ما يكفيهم ، والسهم الخامس لبني السبيل ،

أو ركاب يؤخذ ليصرف على مصارفه التي أشارت إليها الآية : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .  
ويروى أنه لما قرأها عمر رضى الله عنه قال : هذه الآية استوعبت المسلمين .

ولكن الماوردى يرى أن مال النبي يؤخذ منه الخمس . يقول : « إن كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ، ولا بإيحاء خيل ولا ركاب فهو كال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم ، أو كان أصلا من جهتهم كال الخراج ، ففيه إذا أخذ منهم أداء الخمس لأهل الخمس مقسوما على خمسة ، وقال أبو حنيفة رضى الله عنه : لا خمس في النبي ونص الكتاب في خمس النبي يمنع من مخالفته . قال الله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » ، فيقسم الخمس على خمسة أسهم متساوية (١) .

وكما نشاهد لا نجد في الآية نصا على خمس النبي ، ولكننا نجد فيها ذكر لمصارف النبي وهى خمسة مصارف ، فكيف ذهب الماوردى إلى هذا مع أنه جاء في كليات أبى البقاء ، أن النبي « حكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخمس » ؟ .

بلغة يعيشون بها ، واقعا في يد الأغنياء ودولة لهم ، <sup>(١)</sup> والدولة ما يتداول .  
ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :  
« أى جعلنا هذه المصارف لمال النية كيلا  
يبقى ما كلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون  
فيها بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون  
منه شيئا إلى الفقراء » <sup>(٢)</sup> .

ويقول القرطبي : « فأما النية فقسمته  
وقسمة الخمس سواء ، والأمر عند مالك فيهما  
إلى الإمام ، فإن رأى حبسهما لنوازل تنزل  
بالمسلمين فعل ، وإن رأى قسمتهما أو قسمة  
أحدهما قسمه كله بين الناس ، وسوى فيه  
بين عربهم ومولاهم ، ويسدأ بالفقراء من  
رجال ونساء حتى يغنوا » <sup>(٣)</sup> .

إذن هناك حكمة اقتصادية اشتراكية  
تكافلية عظيمة جعلت الإسلام يشرع هذا  
الإصلاح الاقتصادي المحقق للتوازن المادي  
بين أبناء الأمة المؤمنة المتضامنة .

وينبغي أن نعترف الفروق بين « الزكاة »  
وأموال النية والغنيمة ، فالزكاة حق معلوم  
واجب مأخوذ من المسلمين المالكين للثمن  
يدين النية والغنيمة مأخوذان من الكفار  
وأعداء المسلمين .

وهم المسافرون الذي لا يجدون ما ينفقون <sup>(١)</sup>  
ويجب أن لا ننسى تذكر الحكمة في توزيع  
النية بالصورة السابقة فإن الآية الكريمة  
السابقة قد دلت عليها في آخرها ، فهي بتامها  
تقول مع التي قبلها : « وما أفاء الله على رسوله  
منهم فشا أو جفتم عليه من خيل ولا ركاب  
ولكن الله يسلط رسله على يشاء والله على  
كل شيء قدير . ما أفاء الله على رسوله من  
أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى  
واليتامى والمساكين وابن السبيل ،  
كى لا يكون دولة بن الأغنياء منكم وما آتاكم  
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا  
الله إن الله شديد العقاب » .

وقد كان هذا النية من « بنى النصير » وكان  
المسلمون يومئذ قسمين : الأنصار والمهاجرون  
فالأنصار في دورهم وعقارهم ، والمهاجرون  
قد أخرجوا من ديارهم بلا عقار وبلا مال ،  
فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقرب  
ما بين القسمين من فروق وتفاوت ، فجعل  
النية هذا للمهاجرين دون الأنصار لإلجائهم  
من الأنصار كانت بهما حاجة .

ولنما فعل ذلك حتى لا يكون المال مقصورا  
على أيدي الأغنياء ممنوعا عن الفقراء ويقول  
الرازي هنا : « ومعنى الآية : كى لا يكون  
النية الذي حقه أن يعطى للفقراء ليسكون لهم

(١) تفسير الرازي ، ج ٨ ، ص ١٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ٢٨ ، ص ١٠ .

(١) المرجع السابق ص ١١٣ .

# بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للمؤلف محمد محمد أبو شنبه

- ٤ -

أن الاعتداء على العرض عمل مباح متى جازت المرأة الثامنة عشرة ، وكانت الواقعة برضاها ، ولا تترتب عليها لو ظهرت بين الناس تحمل ثمرة الفاحشة في أحشائها ، أو حملت وليدها من سفاح بين يديها ،<sup>(١)</sup>.

وانك لتلص هذا الفرق واختغاية الوضع في موقف الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية من جريمة الزنا ، فالشريعة الإسلامية تعاقب على جريمة الزنا في حد ذاتها سواء

من المقارنات والفرق الدقيقة عناية الشريعة الإسلامية بالجانب الخلقي والإنساني بخلاف القوانين الوضعية فإنها قد تغفل الجانب الخلقي والإنساني ، ولذلك جاءت بعض القوانين الوضعية عارية عن رعاية الأخلاق الكريمة بل جاءت هادمة لها . ويعجبني في هذا المقام كلمة قالها أحد قضاتنا الكبار قال : « إن المشرع الذي وضع أحكامها - أى القوانين كان فاجرا ، فقد نقل بغير تصرف عن التشريع الفرنسي أحكاما لا تسير البيئة التي نعيش فيها ولا تتفق مع تقاليد بلادنا . فعنده

(١) من محاضرة قيمة للمفتي أحمد موانى .

( بقيه المنشور على صفحة ٦٧٢ )

من قبل - أن يجمعها إلى الأمر ، وأما النية والغنيمة فلا يجوز لأهله أن ينفردوا بدفعه إلى مستحقه حتى يتولى ذلك أهل الاجتهاد من الولاية<sup>(١)</sup> .

وهكذا نرى كيف تتعدد أوعية الضريبة في الإسلام بحق وعدل ، وكيف تتعدد مصارفها لتعمير وإصلاح .

أحمد الشرباصى

والفرق الثانى أن الزكاة محددة المصارف فقد نص القرآن الكريم على الجهات التي توزع فيها الزكاة ، فليس في هذه المصارف اجتهاد لمجتهد ، وأما أموال النية والغنيمة ففي مصارفها ما يتناولها اجتهاد الأئمة ، والفرق الثالث متصل بالفرق السابق ، وهو أن مصارف الزكاة مختلفة عن مصارف النية والغنيمة في بعض المواطن ، والفرق الرابع أن الزكاة يجوز أن يقوم أصحابها بتوزيعها على مستحقها ، وإن كان الأصل - كما ذكرنا

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١١١ .



وإذا خول الزوج المجنى عليه وحده الحق في تحريك الدعوى فإن العقاب حينئذ يتوقف على مزاجه ودرجة تأثره ، والجزاء الطبيعي في نظر هذه التشريعات هو الحكم بالطلاق أو الفقرة .

وغالبية القوانين الوضعية لم تعاقب على كل وطء حرام أى على الفعل باعتباره رذيلة في حد ذاته ، وإنما تجعل العقاب على الفعل الذى يحصل من شخص متزوج على اعتبار أن فيه انتهاكا لحرمة الزوجية ، ولا تميز في الوقت نفسه تحريك الدعوى إلا بناء على شكوى من المجنى عليه الذى له أن يتنازل عن الدعوى في أى حالة كانت عليها فتنقض بهذا التنازل .

ومن هذه القوانين القانون الفرنسى وهو الذى اعتمدت عليه بعض البلاد الإسلامية التى تأخذ في أحكامها بالقوانين الوضعية ، ومنها بلادنا المصرية ، فهذا القانون وما استمد منه كقانون العقوبات المصرى يعاقب على الزنا إذا حصل من امرأة متزوجة ، أو من رجل متزوج ، ويفرق بين جريمة الزوج ، وجريمة الزوجة من عدة وجوه : فالجريمة لا تقوم بالنسبة إلى الزوج إلا إذا وقع منه الزنا في منزل الزوجية ، بخلاف الزوجة فإن الجريمة تقوم إذا وقعت منها في أى مكان ، وتعاقب الزوجة على الزنا بالحبس لغاية صنتين بينما يعاقب الزوج بالحبس مدة لا تزيد على ستة

وقعت من محسن<sup>(١)</sup> أو غير محسن ، وإن فرقت بين العقوبتين فجعلت الرجم الأول ، والجلد للثاني من غير نفي عند بعض الأئمة ، ومع النفي عند البعض الآخر ، ولم تفرق الشريعة بين حالة الرضا من المزنى بها ، وحالة عدم الرضا ، ولا بين من جاوزت الثامنة عشرة ، ومن دونها كما فعل القانون ، فالعقوبة لازمة كما أن الشريعة اعتبرت العقوبة حقاً لله تعالى صيانة للمجتمع عن الفساد ، فليس لولى الأمر أو القاضى التصرف فيها بالتخفيف أو الإعفاء منها أو الزيادة فيها ، وليس للمجنى عليها أو عليه حق التنازل ؛ لأنها حق الله وهو ما يعبر عنه بحق المجتمع .

أما القوانين الوضعية فأمرها في هذا الباب عجب ، فهناك قلة من القوانين لا تعاقب على الزنا ولو وقع من متزوج أو زوجة وذلك كلقانون الانجليزى وحجتهم في هذا أنه لا فائدة من معاقبة من لا تردعه مبادئ الأخلاق وأن إثارة الفضيحة قد ينتج عنها ضرر للأسرة أبلغ مما يترتب للمجتمع<sup>(٢)</sup> ،

(١) شروط الإحصان أن يكون حراً بالغاً عاقلاً مسلماً قد تزوج امرأة زواجا صحيحاً ودخل بها .

(٢) ما تعللوا به من أنظاره مكشوفة فتقوا هذه الأخلاق أن تقيده إلا مع أصحاب الفطر السليمة والنفوس الحرة ، أما النفوس الفريسة التى تستمرى الجريمة فلن يفيد معها إلا العقوبة الزاجرة الرادعة ، ولتستر على الأسرة في مثل هذا هدم للأسرة والمجتمع معا .

من شك في أن ترتب العقوبة على الجريمة ذاتها أصلح للمجتمع وأدعى إلى تطهيره من هذا المرض الخطير الذي يهدد الأمة والمجتمع لما فيه من اختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض، وإفساد الصحة، ونقل الأمراض ولا سيما التناسلية منها .

٢ — أن الشريعة الإسلامية لا تعتبر رضا المذنبي مبرراً لعدم اعتبار الزنا جريمة وبالتالي لعدم العقوبة بخلاف القوانين الوضعية فإنها اعتبرت الرضا بمن زاد سنه عن الثامنة عشرة نافياً للجريمة، ومعنى هذا جعل التشريع تباعاً للأهواء والشهوات كما أن فيه المساعدة على تفشى الانحراف والفساد في المجتمع، إذ الغالب والكثير أن لا تقع هذه الجريمة إلا بالتراضي وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول: «ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض» .

٣ — أن الشريعة الإسلامية تجعل العقوبة من حق الله سبحانه أو بمعنى آخر من حق المجتمع كله؛ لأن معظم الضرر يعود على المجتمع لأعلى مرتكب الفاحشة فحسب فمن ثم لا يجوز للحاكم أو القاضي الإعفاء أو التخفيف منها، ولم يعتبر الشارع الحكيم تنازل الجنى عليه أو عليها مغيراً من صفة الجريمة ولارافها للعقوبة لأن ذلك ليس حقاً متمحضاً له يتصرف فيه كما يشاء وإنما هو حق الجماعة،

أشهر، وللزوج أن يعفو عن الزوجة بعد الحكم النهائي عليها، وأما الزوجة فلا حق لها إلا في التنازل السابق عن الحكم النهائي ويقضى أيضاً بأن للزوجة التي زنى زوجها في منزل الزوجية الحق في أن تزني مع غيره ولا نثر يب عليها في هذا لأنها أنت عملاً يقره القانون، أما إن وقع الزنا بين غير متزوجين وكان برضا المذنبي بها وقد تجاوزت الثامنة عشرة فلا جريمة فيه وبالتالي فلا عقوبة، فإن وقع بغير رضاها أو كانت دون الثامنة عشرة فهي جريمة اغتصاب وعقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة إلا إذا كان الجاني من أصول المجنى عليها أو متولياً تربيتها أو ممن لهم سلطة عليها فتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة لا غير (١) .

ومن هذا العرض يتبين لنا سمو التشريعات الإسلامية على القوانين الوضعية وأصالتها في إصلاح المجتمعات، والحفاظ على الأعراض والحرمان من وجوه .

١ — أن الشريعة الإسلامية تعاقب على الجريمة في حد ذاتها أما القوانين الوضعية فبعضها لا يعاقب عليها قط، وبعضها يعاقب عليها إذا كان فيها انتهاك حرمة الزوجية وليس

(١) شرح قانون العقوبات للدكتور محمود مصطفى ص ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٥٧، ٢٦٥ — نهج الشريعة والقانون في تقرير الأحكام المستشار أحمد موفى ص ٤ - ٦ .

الفساد والفاحشة في المجتمعات التي لا تحكم بالشرعية ، وأكثر الناس الذين يمسون عن الزنا ، ويستعصمون من الوقوع فيه لا تصرفهم عنه عقوبة الحبس ، وإنما يصرفهم عنه الدين وماله من سلطان على النفوس ، أو الأخلاق الفاضلة التي لم يعرفها أهل الأرض إلا عن طريق الدين ، وهذا هو السر في أن البيئات التي لا يقوى فيها وازع الدين ، أو وازع الأخلاق تكثر فيها الفاحشة ، والاستهانة بالأعراض ، ويكثر فيها تبعاً لذلك الأولاد الغير الشرعيين .

٦ - أن عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية لم تجب ارتجالاً ، ولم توضع اعتباطاً ، وإنما جاءت بعد فهم على صحيح بتكوين الإنسان وعقليته ، وتقدير دقيق لغرائزه وميوله ، ووضعت لتحفظ مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فهي عقوبات عليية تشريعية ، أما كونها عليية فلأنها وضعت على أساس العلم بالنفس البشرية ، أما كونها تشريعية ، فلأنها شرعت لمحاربة الجريمة وهذه ميزة تمتاز بها العقوبات التي وضعتها الشريعة لجرائم الحدود ، وجرائم القصاص ، والدية ونحوها ، ولا تكاد توجد هذه الميزة في عقوبة من العقوبات التي تطبقها القوانين الوضعية ، ولا ريب في أن العقوبة التي تقوم على فهم نفسية المجرم هي للعقوبة التي يكتب ( البقية على صفحة ٦٨٢ )

والضرر لا يقع على المجنى عليه بقدر ما يقع على الجماعة كلها وهذا - ولا ريب - أصح للجتمع ، وتطهير له من الخنا والفجور ، والتحلل والزوال .

٤ - أن الشريعة الإسلامية تعتبر زنا الزوج جريمة يستحق عليها العقاب سواء أكان ذلك في منزل الزوجية أم لا بخلاف القوانين الوضعية فلا تعتبره جريمة إلا إذا كان في منزل الزوجية لا غير ، ومعنى هذا حصر قوانين الجريمة في أضيق حدودها وفتح الأبواب لتحايل على القانون ، إذ لا يعدم الزوج أمكنة أخرى كثيرة لإشباع نزواته وشهوته ، وبذلك لا ينطبق عليه القانون ، وفي ذلك ما فيه من فتح أبواب الفسق والفجور ، وتضييق أبواب العفة والتحصن ، وصيانة الأعراض .

٥ - أن الشريعة الإسلامية تعاقب على الزنا إما بالجلد أو بالرجم ، وهي عقوبة ذاجرة رادعة لا محالة ، أما للقوانين الوضعية فلا تعاقب إلا بالحبس وهي عقوبة لا تؤلم الزاني إلا ما يحمله على الزهد في اللذة التي يتوقعها وراء الجريمة ، ولا تأثير فيه من العوامل النفسية المضادة ما يصرف العوامل النفسية الداعية إلى الجريمة أو كبثها ، وليس من ريب في أن عقوبة الحبس أدت إلى إشاعة

# مَنْ مَعَانِي الْفَتْرَانِ

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى  
من الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لكم تذكرون » .  
[قرآن كريم]

فإعطاء ذوى القرباة حقهم ، والبر بهم ،  
والإحسان إليهم فى القمة العالية من مراتب  
العدل والإحسان .

والله يطلب منكم أن تتبعدوا عن القبايح  
الشيعة وكبائر الذنوب فلا تقترفوها ،  
وعما ينكره الدين القويم ، والطبع السليم ،  
والعرف الصالح فلا تقدموا عليه ، وعن  
ارتكاب الظلم ، والوقوع فى الإثم بالجور  
والاعتداء على الغير ، والكبرياء وحب  
الاستعلاء ، فلا تتطلعوا إليه فتقعوا فيه ،  
والله فيما يأمركم به ، وفيما ينهاكم عنه ،  
ينصحكم بما فيه خيركم ، ويذكركم بما ينفعكم  
وما يضركم ، لكي تذكروا أوامره ،  
وتستحضروا نواهيه ، وتسترشدوا بهما  
وبأحكامهما فى ابتغاء الخير ، واتقاء الشر ..

والم تأمل فى هذه الآية الكريمة يحدها  
- على إيجازها - قد جمعت كل ألوان الفضائل  
فى « العدل والإحسان وإيتاء ذى القربى » ،  
وكل ألوان الرذائل فى « الفحشاء والمنكر  
والبغى » ، ومن ثم كان ابن مسعود رضى الله  
عنه على الصدق فيما نسب إليه إذ قال : إن أجمع  
آية فى القرآن فى سورة النحل . ويذكر هذه الآية

من معانى العدل والإنصاف والقصد  
فى الأمور ، والمثل والنظير والجزاء والفداء .  
وكلمة الإحسان معناها فعل الحسن .  
 وإيتاء معناها إعطاء ، والقربى القرباة ،  
والفحشاء هى الفاحشة ، وهى القبيح الشنيع  
من القول أو الفعل ، والمنكر ما لا تسيغه  
العقول القويمة والفطر السليمة .

يعظكم ينصحكم ويذكركم مع النصح  
بالعواقب ، تذكرون تعظون .

المعنى :

تأكدوا أن الله يأمركم فى كل أمر من  
أموركم بالزمام القصد ، وتوخي الحق  
والإنصاف ، فلا تتبعوا الهوى فيما يكون  
بينكم وبين أنفسكم وأهلكم ولا فيما يكون  
بينكم وبين غيركم من الناس .

وهو يأمركم مع العدل بالإحسان والفضل ،  
الإحسان فى النية بالإخلاص وسلامة القلب  
والطوية ، والإحسان فى القول بالكلمة الطيبة  
وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر ، والإحسان فى الفعل بإتقانه  
والإجادة فيه ، وابتغاء الخير والصلاح لكم  
ولناس منه ، وإذا كان العدل والإحسان  
إلى الناس مما يطلبه الله ويرغبكم فيه ،

عبد الرحيم فوره

فى العدد السابق صحت الآية كالاتى : وأخذهم الربا وقد نهوا عنه إلخ . . . [هـ]

# من أعلام المسلمين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

١٨٨٨ - ١٩٥٨ م

- ٢ -

خلاصة ما نشره ، ولد في مكة من أم مدنية عربية وأب هندي  
ثم حمله أبوه طفلاً إلى كلكتا وعفى بترييته تربية دينية فدرس  
المنهج الذي كان يدرسه طلاب المدارس الدينية ثم قرأ وشقّف  
وتعلم الانجليزية وزار البلاد العربية وكان نضجه مبكراً فاتجه  
لخدمة الدين والوطن عن طريق القلم فأنشأ مجلته « الهلال » لتعبر  
عن رأيه سنة ١٩١٢ .

مقداره ألفاً روية فدفعه وفوت على  
الحكومة هدفها ولكنها - كآية حكومة  
مستعمرة مستبدة - لم تلق السلاح وسارت  
في طريقها تضيق على هذه المجلة الخناق لتقضي  
عليها ، يقول مولانا آزاد في مذكراته : -

« ولكنها سرعان ما طلبت عشرة آلاف  
روية أخرى فدفعتها حتى أحول بينها وبين  
ما تريد ، وقامت الحرب العالمية الأولى  
سنة ١٩١٤ م فطالبت الحكومة بتخفيف  
حدتي ، وأرادت أخذ تعهد على بذلك ،  
فأبيت ، فصادرت « الهلال » ومطبعها  
سنة ١٩١٥ م ، ولكن بعد أربعة أشهر  
أصدرت مجلة أخرى باسم « البلاغ »  
وأنشأت لها مطبعة سميت باسمها وذلك في  
نوفمبر سنة ١٩١٥ ، فأيقنت الحكومة إنها

كانت مقلاته في الهلال كالصاعقة تنقض  
على رءوس الإنجليز ومشايخهم من المسلمين ،  
ولاسيما جماعة « عليكرة » التي تأثرت  
بسياسة السير سيد أحمد خان في وجوب ولاء  
المسلمين للتاج البريطاني ، فإ أن وجهت  
« الهلال » دعوتها الجديدة وتضاعفت  
شهرتها ، وزاد انتشارها حتى شعرت هذه  
الجماعة أن زعامتها في خطر ، وكلما خالفت  
« الهلال » الرعامة القديمة ، كلما ازداد  
المسلمون إقبالاً عليها حتى بلغ انتشارها ورقم  
توزيعها ٢٦ ألفاً ، وهذا رقم لم تعهده  
الصحافة الأوردية من قبل ..

أما الحكومة فقد اضطربت بدورها ،  
وأخذت تلجأ إلى الطرق المستترة للقضاء على  
« الهلال » ، فطلبت من « مولانا آزاد » ضماناً

لقد أحدث هذا الكاتب والصحفي الشاب تأثيراً عظيماً في الأوساط الإسلامية المثقفة ، ووجه الجيل الناشئ المتحمس لقضايا البلاد الإسلامية ، ولم يكن هناك تعارض مطلقاً بين الإسلام والعطف على البلاد الإسلامية وبين الوطنية الهندية ، مما ساعد على تقريب العصبية الإسلامية للمؤتمر الهندي الوطني ، وكان « آزاد » نفسه قد انضم للعصبة - وهو بعد صبي - في جلستها الأولى سنة ١٩٠٦ . . « ولم يكن يمثل السلطات البريطانية راضين « عن الهلال » ، ولذلك طلبوا منها أن تقدم ضمانات ، ثم لم يلبثوا أن صادروها فأنشأ بدلها صحيفة البلاغ ولكنها توقفت كذلك عندما سجنته الحكومة ، ومكث في السجن أربع سنوات ، وعندما خرج من سجنه احتل مكانه فوراً بين زعماء المؤتمر الوطني ، وهو منذ ذلك الحين يحتل أرفع المناصب التنفيذية في المؤتمر ، ويعتبر برغم حداثة سنه من كبار أعضائه الذين تقدر مشورتهم أعظم التقدير في الأمور الوطنية والسياسية والمسائل الطائفية ، ومشاكل الأقليات لقد خرج من السجن بعد أربع سنوات قضاها بين جدرانها ، وكأنه اتخذ من ظلمته وبرودته نورا ونارا... نوراً يضيء له طريق الحقيقة في جهاده ونارا تلهب عزمه ويلهب بها نفوس مواطنيه لينفضوا على الاستعمار ويأتوا عليه . .

لن تتمكن من إيقاف نشاطي باسم قانون المطابع فقط ، فلجأت إلى قوانين الدفاع الهندية ، وأخرجتني من « كلكتا » في أبريل سنة ١٩١٦ فلم أجد مكاناً أذهب إليه إلا مدينة « رانشي » في ولاية « بهار » لأن الولايات الأخرى قد منعت التصريح لي بدخولها والإقامة فيها ومع ذلك لم تتركني الحكومة فقد قبضت علي بعد ستة أشهر وبقيت معتقلاً حتى الحادي والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩١٩ (١) .

وقد تحدث الزعيم الهندي « نهرو » عن هذه الفترة من حياة مولانا آزاد في كتابه « من السجن إلى الرياسة » ، قال (٢) :

« كان شاباً أليفاً ، اشتهر وهو في العقد الثاني من عمره بمعرفته العميقة باللغتين العربية والفارسية إلى جانب إلمامه بمحاضر العالم الإسلامي وبالحرركات الإصلاحية التي كانت آخذة مجراها فيه ، وبالتطورات الأوربية . « ولقد تسلم أبو الكلام بلغة جديدة في صحيفته الأسبوعية « الهلال » ، ولم تكن جديدة في الفكر والنظرة فحسب ، بل إن تركيبها كان مختلفاً ؛ ذلك أن أسلوب « آزاد » كان رجولياً وشديداً ، وكان مؤثراً وقاطعاً .

(١) من مذكراته للنشورة في مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر سنة ١٩٥٨ المترجمة عن كتاب « الهند تفوز بحريتها » .

(٢) ص ٢٤٩ وما بعدها باختصار .

تقييمها الحكومة له .

وقد اتخذت الحكومة عدة قوانين وإجراءات مشددة للقضاء على حركة المقاطعة وبدأت بتنفيذ هذه الإجراءات في كلكتا ، لقرب زيارة ولي العهد لها ، ولأنها مدينة كبيرة شبه أوربية لكثرة الأوربيين فيها ، فهب مولانا آزاد وأعلن بياناً على الشعب حضه فيها على نبذ هذه القوانين الجائرة والإقبال على السجون أفواجا وقرر الأمور الآتية : (١)

١ - أن الخضوع لمثل هذه الأحكام معناه النزول عن الحقوق المدنية والإنسانية وليس للحكومة أن تمنع الاجتماعات السلمية والأعمال الوطنية الجائزة . ولأننا إذا خضعنا لها خوفاً من الحبس والإهانة فإننا نكون مجرمين أمام ضمائرنا ، وأمام الإنسانية ، وليس أمام محبي الحرية إلا أن يعصوها ويوطنوا أنفسهم على احتمال جميع المصائب التي تصبها الحكومة فوق رؤوسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين .

٢ - يجب أن يوسع نطاق التطوع وأن يثبت المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين مقاطعة الزيارة الملكية .

٣ - تعقد المجالس والمحافل في جميع الأماكن العامة وكل من يذهب إليها يسلم نفسه للسلطة إذا أرادت القبض عليه ...

٤ - كل من يقبض عليه يقاطع المحاكم

خرج ليواصل جهاده بعزم حديد ويخوض معركة اللاتعاون ، متأثراً بالروح الإسلامية التي توجب على المسلمين ترك موالاة الأعداء والتعاون معهم ، ويلتقي في ذلك مع جمعية علماء الهند وجمعية الخلافة وحزب المؤتمر الهندى ، وغاندى . . . حيث يضم الجميع ميدان العمل الواسع من أجل الوطن .

وعند ما ظهر لنائب الملك في الهند د لورد ريدنج ، أن البلاد مقبلة على حركة اللاتعاون تفتق ذهنه عن حيلة لإحباط هذه الحركة وهي قيام ولي عهد انجلترا بسياحة في البلاد ظناً منه أن الأهالي سوف لا تمتنع عن مقابلته والحفاوة به ، لأن العائلة المالكة فوق المنازعات والخلافات السياسية وحينئذ تضعف الحركة وتفشل وتعود المياه إلى مجاريها ... وكانت مقامرة من نائب الملك ظن أنه سيكسب فيها ولكنه تبين له حين بدأ ولي العهد في هذه الزيارة أنه خسرها وخسر معها سمعته واهتز منصبه ، وكان لمولانا آزاد جهوده المنتظرة منه في مقاطعة البلاد لهذه الزيارة ..

لقد أعلنت جمعية الخلافة وجمعية علماء الهند - وكان لمولانا آزاد مشاركة وزعامة فيهما - أعلنت أن هذه السياحة تنوب عن الامبراطورية البريطانية التي تحارب الخلافة والبلاد الإسلامية وتريد استعبادها واستثمارها فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يشارك في استقبال ولي العهد ولا في الاحتفالات التي



إلا من سلاح الإيمان ليواجه القوة الجارفة المستبدة ويقول لها - أمام محكمة - إنك ظالمة ، وأنا ظالم إن لم أقل لك إنك ظالمة ، وقد أعجبنى تعليق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقوري على هذه المرافعة الخالدة وتحليله لموقف مولانا آزاد في كلمته التي ألقاها ليلقيها نائباً عن الجمهورية العربية المتحدة في احتفال الهند بميلاد مولانا آزاد ولكن الموت كان أسرع إليه من الاحتفال بميلاده . وقد نشرت هذه الكلمة بعد ذلك في مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٨ . فكان مما جاء فيها : « وتظهر عظمة آزاد ويتجلى إيمانه الوثيق بالله وفهمه الصحيح للإسلام حين قدمه الانجليز للحاكمية بتهمة التحريض على الثورة وجمعوا لذلك أدلة الاتهام من خطبتين كان قد ألقاهما في مدينة «كلكتا» يدعو المسلمين خاصة والهنود عامة إلى العصيان المدني ، كان ذلك أو آخر عام ١٩٢٢ ، وآزاد في بقية من شباب يحرق المرء عليها شد الحرص ويضن بها أن تذهب في مجال الحياة الجافية المظلمة ولو وقف آزاد هذا الموقف قبل ذلك بسنوات لقلنا إنها فورة الشباب ، ولو وقف هذا الموقف بعد ذلك بسنوات لقلنا إنه يأس الشيخوخة حمله على أن يخرج من الحياة من هذا الباب في صورة بطل من أبطال التاريخ ولكن شاء القدر أن يتخير لآزاد هذا الموقف بالذات في هذا الدور من

مقاطعة تامة في القول والعمل لأن الحكومة التي تنوب عنها الحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة . ه - تتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجون ، فلنهرول إليها ذرافات ذرافات حتى تتعب الحكومة من حبسنا ولا نقب نحن من الإقدام عليه ... وقد استجاب الشعب في كلكتا لدعوة مولانا آزاد دون خوف من القوانين المشددة التي أعلنتها الحكومة حتى كانت تعتقل ألف متطوع كل يوم .

وضافت الحكومة ذرعا بما يجري في غير كلكتا كذلك فطبقت هذه القوانين في كل البلاد ، ولما لم تجد لها أثراً إلا ازدياد حركة المقاطعة واستهتار الشعب بالحكومة وقوانينها وسجنوها أقدمت على اعتقال الزعماء ظناً منها أن ذلك سيفت في عضد الشعب ويقضي على الحركة .

فاعتقلت مولانا آزاد في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وقدمته إلى المحاكمة أمام محكمة إنجليزية ، وأمام هذه المحكمة ألقى أروع مرافعة وأجرأها وأخلدها على مر الزمن ، صورة نادرة من الجهر بكلمة الحق أمام السلطان الجار كما أوصى بها الإسلام وكما قالها هذا الرجل الجاهد النادر المثال . صورة يجب أن يعرفها بل يحفظها كل إنسان ولا سيما الشباب ليعرفوا مدى تأثير العقيدة في الإنسان ، وكيف رفعه إلى مرتبة القديسين حين يقف وهو أعزل



ولعلك - أخى القارىء - بعد هذا فى شوق إلى أن تقرأ شيئاً مما ألقاه مولانا آزاد فى ساحة المحسنة لترى إلى أى مدى وصل فى الإيمان بالحق وعدم المبالاة بالطغاة الظالمين .

مودةنا معك فى المقال الآتى إن شاء الله .

عبد المصطفى النمر

حياته ليثبت فى سجل الإنسانية آية من آيات السمو البشرى ، ومثلاً من أمثلة الإنسانية الرفيعة فى الإيمان بالحق والقيام فى وجه الظالمين الطغاة .

« وتدور المعركة فى ساحة المحسنة فيشهد التاريخ أعنف معركة وأعجبها » يسجل فيها آزاد ، نصراً حاسماً للإنسانية ، به يتقرر مصيرها ويتحدد موقفها لأجيال عديدة مقبلة ،

( بقية المنشور على صفحة ٦٧٦ )

الإسلامية كلها أن تأخذ بالتشريعات الإسلامية ككل لا يتجزأ ، ولا سيما وقد أفلست القوانين الوضعية فى محاربة الرذيلة والقضاء على الفساد فى أقطار الغرب والشرق على السواء ، وإن كانت بلاد الشرق الإسلامى لا تزال أحسن حالا من بلاد الغرب فيما يتصل بالأعراض ، والحفاظ على الأنساب وذلك لأنها مهما أخذت بتقاليد الغرب ونظمه فلا تزال فيها بقايا من خلق ومن حياة ، وذلك بفضل ما بقى لها من دين قويم ، وعادات موروثة كريمة ، لا يزال يستعصم بها كثير من الناس فى هذه الأقطار .

هذا وقد طال الحديث اليوم فلنرجى الكلام من رعاية الشريعة للجانب الإنسانى إلى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شربة

لها النجاح ؛ لأنها تحارب الإجرام فى نفس الفرد وتحفظ مصلحة الجماعة ثم هى بعد ذلك تعدل العقوبات لأنها لا تظلم المجرم ولا تحمله مالا يطيق فى سبيل الجماعة ، وهى عادلة أيضاً بالنسبة للجماعة لأنها تحفظ المجتمع حقته ولا تضعى به فى سبيل الأفراد والعقوبة اتقى تحابى الأفراد على حساب الجماعة إنما تضع مصلحة الفرد والجماعة معا لأنها تؤدى إلى ازدياد الجرائم واختلال الأمن ، ثم توهين النظام وانحلال المجتمع . وإذا دب الانحلال فى مجتمع فقل على الأفراد وعلى المجتمع العفاء (١) وهكذا يتبين لنا بعد المقارنة والموازنة سمو التشريعات الإسلامية وعدالتها ورقمتها والفرق الكبير بينها وبين القوانين الوضعية ، وأن الواجب على الأمم

(١) التشريع الجنائى الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

# التفاسل والتشاور

للأستاذ محمد محمد الشرقاوى

فى غير مطعم .. ومثل هذا لا يعرض صاحبه  
للؤاخذة الدينية .. لأنه من الفطرة ..  
ولكن إذا صار عقيدة جازمة .. تصدر  
عنها الأفعال إيجابا وسلبا .. فهنا تكون  
الخطيئة .. وهنا يتوجه التهديد الشديد الذى  
يتمثل فى ترديد كلمة الشرك ثلاثا على مسامع  
قوم حديثى عهد بجاهلية .. كانوا يرون التأثير  
فى الأشياء مع الله لغير الله .. وعلى المسلم  
الصادق .. أن يكافح تلك الأوهام الكاذبة  
بالتوكل على الله فى صدق وعمق وإيجابية ،  
وأن يردد الدعاء الماثور الذى أوصى  
به الرسول صلى الله عليه وسلم حين يسقط به  
شؤم موهوم ، أو وسوسة خادعة .. روى  
أحمد وأبو داود : « ذكرت الطيرة عند النبي  
صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنها القول ،  
ولا ترد مسلما .. فإذا رأى أحدكم ما يكره  
فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ،  
ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول  
ولا قوة إلا بك » .

فَعَقِيدَةُ الْمُسْلِمِ يَفْبَغِي أَنْ تَصَان عَنْ هَذَا  
اللُّغُو الَّذِي تَوَارَثَتْهُ الْعُقُولُ السَّاذِجَةُ أَنَّ هُنَاكَ  
أَحْوَالا تَنْسَجُهَا الصَّدَقَةُ الْحَضَنَةُ ، وَيَفْضِي إِلَيْهَا

.. لا التفاسل - ولا التشاور - حين تنفعل  
به نفس صاحبه - بمغير من واقع المقادير -  
حين كانت وحين تكون شيئا .. فقد ارتبطت  
الأسباب بمسبباتها فى أحوالها العادية .. ديناً ،  
ودنيا ، وعقلا ونقلا ، وسمعا وطبعا ، ..  
وعلى المرء أن يأتى البيوت من أبوابها ..  
دون أن يتأثر - فى مجريات الأمور - بما يخرج  
عن دائرة الأسباب ، .. ومن اعتقد  
أن للأسباب معوقات من دون قدرة الله تعالى ..  
بما ينعكس فى الخيال .. من صدفة مقارنة ،  
أو ندرة عابرة .. أو جزم بأن طالع اليمن ،  
ونجم السعود يحالفان عمله كلما تعرض لرؤى  
طيبة ، أو اكتفت ظروفه وقائع مستحسنة ..  
فقد طوى قلبه على أفكار جاهلية خاطئة ،  
تدنيه من حماة الشرك ، وتباهده عن شاطئ  
الإيمان الصحيح . روى أبوداود عن عبد الله  
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : « الطيرة شرك .. الطيرة شرك ..  
الطيرة شرك .. وما منا إلا .. ، ولكن الله  
يذهب بالتوكل » .

.. أى إن كل فرد هدف لتلاعب الأوهام  
به .. فترهبه فى غير مرهب ، أو تطمعه

العله والمعلول العقلين الذى لا يتصور فى العقل  
انفكاكهما .. الأمر الذى يقتضى مع توحيد الله  
وجودا وتأثيرا ، ولما جادا وتديرا ..

فالتحوط ونفى التأثير عن غير الله كلاهما  
قدر لله ويتضح هذا بما رواه مسلم : « أنه كان  
فى وفد تقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي  
صلى الله عليه وسلم : « لا نقاد بايعناك فارجع » ..  
مع ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : « أنه  
أجلس مجذوما يأكل بجواره وقال له : كل ثقة  
بالله ، وتوكلا عليه » .

لحديث المباعدة يرشد إلى التحصن والحيلة  
فى الأمور كلها احتراما للأسباب ، ودفعاً لبلبلة  
الآلأب ، وحديث المجاورة يضع النقط  
فوق الحروف ، ويبين أن الله - لا غيره -  
هو الضار النافع .

أما الطيرة : فهى توقع المكروه والشر  
لغير ما سبب ظاهر .. سوى عمل الصدقة .  
والهاماة طير أو هى البوم كانوا يتشاءمون  
منه إذا هبط فى مكان ، ويرون فيه نذير  
البؤس والحراب .

والصفر : هو شهر صفر كانوا يحلونه عاما ،  
ويحرمونه عاما .

ومن مزاعمهم الزائفة : القول .. وفى رأيهم  
أنه نوع من الجن يقرأى للناس فى صور  
شقى فيضلهم ويهلكهم .. ، والنوء .. وهو  
نجم يأتى بالمطر ، وآخر بالريح .. وهكذا .  
وقد حمل الإسلام حملة شعواء على تلك

الاتفاق المجرد .. يكون لها أثر فى نفع مرتجى ،  
أو ضرر متق ، ومثل هذا لا يخرج عن كونه  
خرافة يمجها العقل القويم ، وينبوعها المنطق  
المستقيم ، وتأباها أصول الدين المقررة ،  
وقواعده المحكمة .

ولقد جاء الإسلام فوجد سوق الدجل  
رائجة بتلك السلع التافهة ، فسلط عليها نور  
الحكمة ، فكشف خباياها ، وفضح أمرها ..  
فتبدد ضبابها تحت إشرافه الباهرة ، وتهاوت  
هياكلها أمام حججه القاهرة ، .. فمن ذلك  
أن الرجل كان إذا أراد سفرا .. أو غيره  
خرج إلى طير .. أو طباء .. فزجرها ..  
فإن طارت يمينا تيمن واستبشر ، وإن طارت  
شمالا تشام وتكدس ، فهناك الشرع عن ذلك ..  
وفى هذا أخرج البخارى عن أبى هريرة  
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ،  
وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » .

والعدوى .. سريان المرض من صاحبه  
إلى غيره .. والمعنى : لا مرض يعدى بطبعه  
من غير فعل الله تعالى .. كما كانت تتصور  
أوهام الجاهلية ، ولا منافاة بين صدر الحديث ..  
وبين عجزه الذى يدعو إلى الفرار من المجذوم  
خشية المرض لأن هذا احتياط بتقدير  
من الله تعالى .. خوفا من التورط فى عقيدة  
مؤداها : أن العدوى مؤثرة بنفسها على طريق

فياضاً بمعاني الرجاء حتى تظل حيويته الروحية دافقة لا يعترها رهن ولا ضعف .

وذلك حين تنعكس على مرآة النفس ألوان معتمة تشكل جزءاً من طبيعة الأشياء .. ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يسير أعرابياً تملسه التشاؤم من كل أقطاره ، ويدعو إلى تغيير أوضاعه ، ليعود نور الأمان إلى حنايا أضلاعه .. روى أبو داود بسند صالح أن رجلاً قال يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا ، وكثير فيها أموالنا ، فتحولنا إلى دار أخرى .. فقل فيها عددنا ، وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذروها ذمية »

ولم يكن هذا التوجيه من الرسول إلا اختصاراً لطريق العلاج النفسى من غير ماساس بعقيدة القضاء والتوكل الأساسى . وهذا يفسر لنا جواب الإمام مالك رضى الله عنه حين سئل عن شؤم الدار فقال : « كم من دار سكنها ناس فهلکوا ثم سكنها آخرون فهلکوا » .

ويلقى ضوؤه على ما أخرجه أبو داود والترمذى عن بريدة رضى الله عنه قال : « كان النبی صلى الله عليه وسلم لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث رجلاً سأل عن اسمه .. فإذا أعجبه فرح به ، ورؤى بشر ذلك فى وجهه ،

الرواسب البالية .. والظنون الطائشة .. التى لا تغنى من الحق شيئاً .

نعم إذا وجدت أسباب الشر ، وتقدمت عوامل النحس .. كان ذلك دليلاً على النتيجة المشؤمة .. كما أنه إذا توافرت وسائل الخير ، وبشائر السعد . أدى هذا إلى النتيجة الميمونة .. « فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ، وهذا يعطينا التفسير الصحيح لما رواه ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدوى ولا طيرة ، وإنما الشؤم فى ثلاث . فى الفرس ، والمرأة ، والدار » .

فقد قالوا : إن شؤم الفرس جموحها ، وعدم انقيادها .. أو عدم الجهاد عليها ونحوه .. وهذا - كما ترى - مرجعه إلى تقصير فى الترويض ، أو تبسل فى الواجب ، وأن الشؤم فى المرأة سوء خلقها .. أو ثقل مهرها ، أو عقمها ، وهو شؤم له من الأسباب ما يبرره ، وأن شؤم الدار فى ضيقها أو سوء جيرانها ، أو رداءة مرافقها .. أو نحو ذلك مما يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه .

ومع أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد نفي نفيًا باتاً ما انعقدت عليه قلوب الجاهليين من عقيدة التأثر من جانب التشاؤم بنحوه يحرص كل الحرص على سلامة الشعور والوجدان فى سريرة المسلم .. كيما يبقى دائماً مشرقاً بنور الأمل ..

يتوب إلى إرشاد الرسول . . ولكنه تصلب وتحزن . . حتى صارت الشدة والخشونة في طبعه . . ثم في نسله . . بيد أنها كانت في سعيد بن المسيب تشدد للحق وفي الحق .

ومن هذا القبيل ما رواه مسلم عن ابن عمر قال : « إن ابنة عمر كانت تسمى عاصية . . فسمها الرسول جميلة ، وما رواه أبو داود عن أسامة بن أخطري أن رجلاً يسمى أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما اسمك ؟ فقال : أصرم قال : « بل أنت زرعة » ، والزرعة اسم من الزرع وهو أطيب لفظاً ، وألطف معنى من أصرم الذي ينبئ بالقطع والبتر .

وما رواه الثلاثة عن ابن عباس قال : « كانت أم المؤمنين جويرة رضى الله عنها اسمها برة . . فسمها الرسول جويرة وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة ، أى لما يشعر من الخروج من معنى البر .

وهكذا نجد الرسول في أكثر من موقف يحب الفأل الحسن ويشجع التفاؤل من أوسع أبوابه ، وأقرب أسبابه فيؤثر الأسماء ذات الألف والهمزة ، والمعاني صاحبة الين والبركة . حتى تعتمل القلوب بمعاني الخير والبر . بقدر ما تتوارى عنها أشباح الأتراح . وهذا هو ما حدا بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى استبدال أسماء العاص ، وعتلة ،

وإن كره اسمه روى ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ، فإن أعجبه فرح بها وروى بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها روى ذلك في وجهه .

فمن هذه الزاوية الوجدانية في حياة النفس يعالج النبي معنوية المسلم ، ويرفعها من سفاسف الاخيلة الكواذب ، والادواء الهوائيات . . إلى معالي الحقائق التي يستند واقصا على العلم والعمل مع العناية بحسبها المرهف وشعورها الية . . فقد أعطاها حقهما من حسن التأثير ، وجمال الانعكاس . . روى البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال « ما اسمك قال : حزن . . قال : بل أنت سهل . فقال : لا أغير اسماً سماه أبى ، قال ابن المسيب : فما زالت الشدة والحزونة فينا بعده

والحزن : ضد السهل ، وهو ما غلظ من الأرض ، فجده سعيد وهو حزن بن أبي وهب القرشي الخزومي ناقش الرسول في صراحة تامة فيما ذهب إليه من إثبات حسن الأسماء وكانت وجهة نظر جد سعيد أن للسائلة جانباً آخر يشعر بهذا التيمن ففي رواية أحمد وأبي داود أنه قال للرسول : « . . لا . . السهل يوطأ ويمتن . . ومهما يكن من أمر تأويله فقد كان الأخرى به أن

أمان في تلك الشجرة المنامية . ويتلخص هذا الصيام في أمرين : أحدهما إيجابى ، والآخر سلبى فأما الإيجابى . فهو أقوال وأذكار يرددها النائم حين تفرغه الرؤيا وأما السلبى فهو الكف عن حكاية ما يترأى له في النوم من صور مزججة ، وأحوال بغيضة . روى الأربعة عن أبي قتادة رضى الله عنه قال : كنت أرى الرؤيا فتعرضنى . حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الرؤيا الصالحة من الله . فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يتحدث بها إلا من يحب ، وإن رأى ما يكره فليبتل عن يساره ثلاثا ، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ، ولا يتحدث بها أحداً . فإنها لن تضره » وفي رواية : « فليبتل عن يساره ثلاثا وليقل : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها » . وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا رسول الله . رأيت في المنام كأن رأسى ضرب قتدر حرج ، فاشتدت على أثره . فقال عليه الصلاة والسلام : لا يتحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك .

وذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : « أحسنها الفأل » . ولا ترد مسلماً . فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات

وشيطان ، وغراب ، وحباب ، وشهاب ... بأضدادها ، وقد سمي حرباً ، وسلماً ، والمضجع والمنبت ، وأطلق اسم خضرة على أرض كانت تسمى عفرة ، وشعب الهدى على مكان يعرف بشعب الضلالة ، وبني الرشدة على قوم يعرفون ببني الزنية ، وبني مغوية . يروى الثلاثة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا طيرة وخيرها الفأل ، قيل : يا رسول الله . . وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسميها أحدكم ، وفي رواية : « لا طيرة ، ويعجبني الفأل الصالح : الكلمة الحسنة ، والفأل ضد الطيرة وتستعمل في الخير والشر ، والمعنى لا تطير ثابت .. ولكني أحب أن أسمع الكلمة الصالحة نحو يا سالم . يا غانم . يا منصور . يا ناصر . .

ولم يدع الإسلام منفذاً يطل منه التشاؤم بشبهه . المعتم إلا ألقى عليه ستارا كثيفا من حسن الظن بالله ، وثقة المرء بنفسه ، وقوة اعتدائه بعد الله على عمله وكفاحه ، وقرن بذلك اليقين والنجاح والأمل ، ولعل الرؤى والأحلام التي يراها النائم في المنام تلعب دوراً كبيراً ، وخطيراً فيما ينتاب الإنسان من أوضاع نفسية حسنة أو سيئة ولم يترك الإسلام لتيارات النحس والخداع الضارة أن تسترق الخطى في غفلة اللا شعور إلى صدر المسلم . بل بادر إلى وضع صمام

إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، . رواه أحمد وأبو داود .

قال النووي : الفأل يستعمل فيما يسوء ، وفيما يسر ، وأكثره فيما يسر . . والطيرة لا تكون إلا في الشؤم ، وقد تستعمل مجازاً في السرور ، وفي الشرع . . خصت الطيرة بما يسوء ، والفأل بما يسر ، ومن شرطه عدم القصد إليه ، وإلا كان من الطيرة الذميمة . قال ابن بطال : جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة ، والأنس بها ، كما حصل فيهم الارتياح للنظر الآتيق ، والماء الصافي ، وإن كان لا يملكه ، ولا يشربه .

وقد ذكر البيهقي أن التطير كان في الجاهلية شائعاً عند العرب ، وذلك بإزعاج الطير عند إرادة الخروج للحاجة ، ثم صاروا يتطيرون بصوت الغراب ، وبمرور الظباء . . فسموا الكل تطيراً لأن أصله الأول . . فكان أحدهم إذا خرج لأمر فإن رأى الطير طار يمخنة تيمن به واستمر ، وإن رآه طار يسرة تشام منه ورجع ونفر ، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها ، ويستند إلى فعلها ، وكانوا يسمون الطير المتيامنة (السانح) والمتياسرة (البارح) ومن أمثلتهم في هذا المقام « من لى بالسانح بعد البارح » .

قال ابن حجر « وليس في منوح الطير ، وبروحها ما يقتضى شيئاً مما اعتقدوه ،

وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له . . إذ لا نطق للطير ، ولا تمييز حتى يستدل بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله .

ولم يكن العرب وحدهم هم الذين تورطوا في هذا الحق العقلي ، والسفه العقائدي ، بل نجد العجم أيضاً قد شاعت فيهم تلك السخافات الفكرية ، فمن ذلك : أن أحدهم كان إذا رأى الصبي ذاهباً إلى المعلم تشام ، وإذا رآه راجعاً تيمن . أو رأى رجلاً موقراً حملاً تشام ، وإن رآه واضعاً حملة تيمن ، إلى غير ذلك من ترهات وأباطيل تحالف على بها الجهل والسذاجة . . فجاء الشرع الحكيم وحرر الأفكار من هذا الإسار ، وحقق إصلاحاً جذرياً في العقائد ، وقرر . « أن من تكهن أو رده عن سفر تطير فليس منا » كما نطق الحديث الشريف ، قال الحنيمي « وإنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل ؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

وقال الطيبي : « معنى الترخص في الفأل ، والمنع من الطيرة أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً ، وعرضاً على طلب حاجته . . فليفعل ذلك ، وإن رآه بضد ذلك ... فلا يقبله . . بل يمضى لسبيله ، فلو قبل وانتهى عن المضى . . فهو الطيرة التي اختصت بأن

ولقد كانت الكثرة المكاثرة من أهل الجاهلية يتخذون من نظرية التشاؤم والتفاؤل قضية مسلبة ... يستلهمونها الحكمة ... ويقبلون منها الهدى .. وكانت أحيانا تصح معهم ، لتزيين الشيطان ذلك ، ومن عجب أن تبقى بقية من تلك الرواسب الخرافية .. في أعماق قلوب الكثير من أبناء الملة الإسلامية ، وأن تتوالد جرائمها وتتكاثر وتظهر في المجتمع في أزياء شتى ، وصور متباينة ... من ضرب الرمل والحصى ... واللعب بالورق ، ومطالعة النجوم ، وقراءة الفنجان والكف ، وفتح الكتب .. ونحو ذلك مما يتخذ شكل الوباء العقائدى في المجتمع الإسلامى ، ويذهب بالألاء العقيدة الصحيحة ، ويطمس توهج الحق في معدنها ثم تظهر آثاره في الأعمال حمقا وجها .. وسخفا وضلالة .. وإذا يمتناوجها قبالة التفاؤل مرة أخرى . نجد أن التوجهات الإسلامية في هذا الجانب تحمل في ثناياها فكرة الإيحاء الحسن الذى الذى نوه علماء النفس بآثاره الخييدة في رفع معنويات المرء ، ودعم ثقته بنفسه ، وتقوية أمله في مستقبل أفضل . وهذا يتمثل بأجلى معانيه في سورة الانشراح حيث يقول الله تعالى « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ، وفى هذا يقول علماء البلاغة : - إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، والمعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى . وهذا يعنى

تستعمل في الشؤم ، .. أخرج الطبرى عن صكرمة قال : كنت عند ابن عباس ... فر طائر يصيح .. فقال رجل . خير .. خير .. فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير ولا شر ، .. وأخرج البيهقي من حديث ابن عمر موقوفاً من عرض له من هذه الطيرة شئ .. فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ، ، وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس مرفوعاً : لا طيره .. والطيرة على من تطير ، ، وللبهقي من حديث أنى هريرة : « إذا تطيرتم فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا ، .

وقديما لم تهضم عقليات قادة الفكر ، وذوى الزعامة من العرب هذا الحرف والمهرف ، ونادوا ببطلانه في تضاعيف شعرهم ، وسائر أمثلتهم .. واهتدوا إلى ذلك بفطرهم السليمة ، وطبائعهم القويمة .. قال شاعرهم : -

ولقد غدوت وكنت لا  
أغدو على واق وحاتم  
فإذا الأشائم كالأيام  
والأيام كالأشائم  
وقال آخر : -

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى  
ولا زاجرات الطير ما الله فاعل  
وقال ثالث : -

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى  
نجاحا ، ولا عن ريثن قصور



للسلمين فتوحات كثيرة ، وحققوا انتصارات متوالية في قطاعات مختلفة .. ومن وراء ذلك كله يسر هو أعظم شأننا وأجل قدرا : « قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ، وهما حسنا الظفر وحسنا الثواب .. وهذا ما جعل ابن مسعود رضى الله عنه يقسم غير حائث ويقول : « والذي نفسى بيده لو كان العسر في حجره لطلبه اليسر حتى يدخل عليه .. إنه لن يغلب عسر يسرين » ، وذلك بالرغم من أن مصحفه رضى الله عنه ليس فيه تكرار هذه الآية .. ولكنه - كما قال صاحب الكشف - تأوله بيسر الدارين ، وكأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفتيح .

وحق في أشد حالات المؤمن كسرا .. يرف الإسلام بمجناحين من رحمة .. وتفأل حول قلبه المهوم وهو يمانى سكرات الموت .. ليربط على نفس المؤمن في أحلك ساعاتها ، ويكفكف من غلواء الفزع والهلع في أخرج موافقها .. فيقول صلى الله عليه وسلم باعنا الأمن والسلام .. في محنة الموت الزوام : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » ، رواه مسلم عن جابر .. أى يعتقد أن الله به رؤوف رحيم عفو كريم .. وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟ فقال : أرجو الله يا رسول الله .. وإنى أخاف ذنوبى .. فقال صلى الله عليه وسلم :

أن الآية السكريمة تشير إلى أن كل عسر واحد يحف به يسران ، وقد تأكد ذلك من قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما في تفسير تلك الآية : « لن يغلب عسر يسرين » .

وجاء في الكشف أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول : « لن يغلب عسر يسرين » . ويقول الزمخشري بعد ذلك : « سواء كانت الجملة الثانية تكريرا الأولى .. كما كرر قوله : « ويل للكاذبين » لتقرير معناها في النفوس ، وتمكينها من القلوب . أو كانت الجملة الأولى وعدا بأن العسر مردوف بيسر لا محالة ، والثانية وعدا آخر مستأنفا بأن العسر متبوع بيسر ، فعلى كلا التقديرين هما يسران وعسر واحد . أما على تقدير التكرار فلأنه عمل بالظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن وعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه ، وأما على تقدير الاستئناف .

فلأنه لا يخلو .. إما أن يكون تعريفه للمعد .. وهو العسر الذى كانوا فيه .. فهو هو .. وإما وإما أن يكون للجنس الذى يعمله كل أحد .. فهو هو أيضا ، وأما اليسر فنسب متناول لبعض الجنس .. فإذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر .. فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال ..

ولقد جاء التاريخ مصداقا لوعد القرآن باليسر إثر اليسر إذا هرض عسر فقد تيسر

وأن الإسلام حارب التشاؤم ونهى عنه ودعا إلى التحلل منه وندب إلى التفاؤل في كل الأمور لما له من أثر حميد في المزاج والسلوك: وأنه عالج الشؤم أحيانا بإزالة أسبابه اختصارا مع عدم المساس بالعقائد المقررة. وأن التشاؤم والتفاؤل: كلاهما لا صلة له بالأعمال وإنما أحب الإسلام التفاؤل من حيث إنه نوع من حسن الظن بآفته ولو بغير سبب، وهو من مستحبات الإسلام في كل حال، وأبغض التشاؤم من حيث إنه مظهر لسوء الظن بالخالق بدون ما سبب ظاهر. وهو مما يكرهه الإسلام وأن القرآن الكريم قد أيد السنة الشريفة في إشاعة التفاؤل وبث روح الطمأنينة في النفوس الواجفة، والقلوب الراجفة .

وهناك آيات أخرى كثيرة غير آية الانشراح تحمل نفس معناها ومغزاها منها قوله تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم » ، وقوله جل ذكره : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » ، وقوله تباركت أسماؤه : « ولا تئسوا من روح الله ، إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

**محمد محمد السرفاوي**

مبعوث الأزهر إلى لبنان

ولا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف . . ويتابع الرسول تزويد المؤمن بطلاقات هائلة من قوة الروح ، وطمأنينة النفس .. حتى إنه صلى الله عليه وسلم يصرح بأقصى غايات التفاؤل ، وأبلغ معاني البشر والسعادة وذلك فيما رواه أبو داود والترمذي والحاكم في صحيحه عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفي رواية لمسلم بلفظ : « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي . . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأنيتك بقرابها مغفرة » .

ولا أجد أحفل بالمنى العذاب ، والآمال الزهر أجعله خاتمة المسك في هذا البحث مما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والحوام : منها يتعاطفون ، وبها يتراحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة : وبعد ، فقد تبين مما ذكرنا : أن الأقدار لا يغيرها شؤم سيء ولا فال حسن :

أرث مفارن :

## ذئبٌ عربيٌّ وذئبٌ فرنسى

للأستاذ العوضى الوكيل

أور في الخيال الشعرى - أبو عبادة الوليد  
البحترى ، قضاولا ، ووقع صراع من  
جولتين اثنتين ، خر الوحش بعد الثانية  
منهما على الأرض صريحا إذ رماه البحترى  
بسهم نفذ إلى قلبه . ثم سجل انتصاره في  
قصيد رائع .

والذئب الفرنسى ذئب لقيه الشاعر الفرنسى  
الخالد ألفريد دى فيني ، مع نفر من أصحابه ،  
وكان معهم كلاب الصيد .

ووقعت بين الفريقين معركة انتهت بقتل  
الذئب . وسجل الشاعر ذلك في شعره :

ولئن التقي الذئبان الفرنسى والعربى ، في  
المعركة ، ولتقي كل منهما حقه على يد شاعر  
فإن الشاعرين لم يلتقيا .

لقد لقي البحترى الذئب وحيدا في صحراء  
قاحلة ، وقد نفذ زاد الشاعر واشتد جوعه  
فهو يبحث عن طعام ، والذئب يحوس خلال  
المفازة لعله يصادف فريسة يسد بها جوعته ،  
فكلاهما جائع ، وكلاهما يبحث عن طعام ،  
وسيسعد الحظ أحدهما ويتعس الآخر :

تقصد بالذئب العربى ذئب الفرزدق ،  
همام بن غالب ، وكان قد لقيه مدلجا بليل ،  
فبسط أمامه الطعام ، ودعاه إليه ، ليتعشيا  
معا ، وأخذ الفرزدق الحذر ، فكانت يد منه  
ترفع اللقمة إلى فمه ، وأخرى تمسك بمقبض  
السيف ، وهو اللقاء الذى سجله الفرزدق في  
قصيد قوى منه :

وأطلس عسال وما كان صاحبا  
دعوت لنارى موهنا فأثانى

فلما أتى قلت ادن دونك ، إننى  
وإياك فى زادى لمشتركان

وبت أقد الزاد بينى وبينه  
على ضوء نار مرة ودخان

وقلت له لما تبسم ضاحكا  
وقائم سيني من يدي بمكان

تعش فإن عاهدتني لا تخونني  
فكن مثل من ياذئب يصططحان

ليس هذا الذئب الذى اكتفى بالتبسم  
والضحك دون الوثوب والهجوم مقصدنا  
من هذا الحديث ، وإنما الذئب العربى الذى  
نعنيه هو الذى لقيه - فى إحدى المفاوز

كلانا بها ذئب يحدث نفسه  
بصاحبه والجد يتعسه الجد  
ويقف الجائعان وجها لوجه ، الذئب  
البشرى ، والذئب الحيوانى ، ويجلس الذئب  
مقعياً متحينا من الشاعر فرصة ، ويفزع  
الشاعر ويهرع إلى شعره ، ويفتد أبيتا  
حماسية بصوت جهورى لعله أن يخيف  
الذئب ، ولكن الإنشاد يحدث عكس  
المطلوب ، فيسج الوحش ، ويحاول  
الانقضاء على الشاعر :

عوى ثم أقمى فارتجزت فهجته  
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد  
فيما جله البحرى بسهم مريش ، يسده  
إليه ، فلا يصيب منه مقتلا ، فيشتد هجوم  
الذئب ، ويعاود البحرى الكرة فيرميه بسهم  
آخر مريش ، ويحسن التسديد هذه المرة  
فيمضى السهم إلى قلب الذئب أو إلى حيث  
يكون اللب والرعب والحقد كما قال البحرى  
وفى ذلك يقول :

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها  
على كوكب ينقض والليل مسود  
فما ازداد إلا جرأة وصرامة  
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد  
فأتبعها أخرى فأضلت نصلها  
بحيث يكون اللب والرعب والحقد

نفر وقد أوردته منهل الردى  
على ظمأ لو أنه عذب الورد  
وبعد أن خر الذئب صريعا ، ووضعت  
المعركة أوزارها ، مضى البحرى لجمع حصي  
واشتوى الذئب ، ثم نال منه خسيسا سد به  
الجوع . وغادره ومضى إلى شأنه .

وقد لقي الفريد دى فينى الذئب ، مع نفر  
من أصحابه - كما قدمنا ، ومع كلام الصيد ،  
خرج الجميع للهو والتسلية وإزجا الفراغ  
ولم يكن هناك حاجة أن تقوم معركة بين هذا  
الذئب وذلك الجمع الحاشد من الشاعر  
وصحابه ، ولا يمكن أن يكون من الشجاعة  
أن يتكاثر جماعة على ذئب ، وبجل الشاعر  
الفرنسى على نفسه العدوان ، وأقر به إقراراً  
لا يقبل الجدل ، فإن الشاعر وصحبه رأوا  
الذئب من بعيد وحوله صفاره يرقصون في  
مرح وأناته تنظر إلى بنفها في فرح وإعجاب ،  
ولم نستطع هذه الأمومة الوداعة المهائلة  
أن تكف العادين عن العدوان ، إذ ما لبث  
الشاعر وصحبه حتى أحاطوا بالذئب في شكل  
هلال - وما أشأمه من هلال - وكل منهم  
يحشو بندقيته بالرصاص ، ولما رأى الذئب  
ما حدث مضى إلى كلب من كلاب الصيد التى  
معهم فهوى على عنقه بأنياه ومخالبه ، وسم  
فكيه في قوة المستميت :

فضى نحو فأتك من كلاب الصيب  
 سد ضار يهوى على عنق ضار (١)  
 بغم ساعر وقلب تلظى  
 فى حنايا ضلوعه كالجار  
 وحال الشاعر وصحبه أن ينقذوا كلهم  
 فاستطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فأطلقوا  
 الرصاص وأبلا على الذئب الذى أهلك الكلب  
 قبل أن يهلك ، ووقف ينظر إليهم شامتا  
 بهم ، ولم ينطق بصيحة ألم واحدة حتى وقع  
 على الأرض :  
 هلك الكلب قبله وهو يرنو  
 نحونا فى علا وفى استكبار (٢)  
 لم يدعه وقد رمينا حشاه  
 ما استطعنا بالنار تلو النار  
 ورنا نحونا ومال على الأر  
 ض رضى أن نال بعض انتصار  
 ودم الكلب غامر فيه الوا  
 سع حتى كساه ثوب احمرار  
 ويستخلص الشاعر من ذلك كله عبرة

ودرسا ، فى تحمل الألم ، وفى العزم والجلد ،  
 وعدم البكاء والنحيب :  
 إن معنى البكاء ضعف وذل  
 من عواء العاوى أمر وأشأم  
 قتالم مثلى بصمت طويل  
 عبقرى وموت ولا تتكلم !  
 إن البحرى لم يقتل ذئبه لهوا وعبثا ،  
 ولكنه المضطر ، ومن اضطر غير باغ  
 ولا عاد فلا إثم عليه ، ثم إنه فردى قبل فردا  
 وسلاحه قوس وبعض أسهم لعلها لم تكن  
 صالحة كل الصلاحية فإن أحدها أصاب الذئب  
 فلم يفعل شيئا ، ودى فى يلقى الذئب فى جحفل  
 من أصحابه ، وحشد من كلابه ، وسلاحهم  
 البنادق والرصاص ، وهم يلقون الذئب  
 للهو والعبث .  
 وإذا كان البحرى قد ختم قصيدته بالحكمة  
 حين تحدث عن جور الليالى وشقاء الكريم  
 فى الدنيا فإن دى فى قد ختم قصيدته بمقطع  
 يكاد يبلغ نصفها عما استخلصه من موقف  
 الذئب من العظاى والعبر وكان أكثر توفيقا  
 من البحرى فى هذا المجال .

### الموضى الوكيل

(١) ، (٢) الترجمة لكاتب المقال .

## شخصية ذى القرنين بين قورش والإسكندر المقدوني

للدكتور سعد الدين الجيزاوى

« ويسألونك عن ذى القرنين . قل : سأتلو عليكم منه ذكراً ،  
إنا مكنا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شئ سبباً ،  
فأتبع سبباً ... (١) » .  
قرآن كريم

اللغوية بعد أربعة عشر قرناً من نزوله مثلاً ،  
أن يلم بما طرأ على كثير من مفردات اللغة  
خلال تلك القرون ، وأن يستفيد من مناهج  
البحث الحديثة فى مقارنات اللغات ومعرفة  
ما بينها من اتفاق أو اختلاف .

وفى كتاب الله الكريم دعوة إلى النظر فى  
ملكوت السموات والأرض ، والتفكر فيما  
خلق الله ، وطبيعى أن هذه الدعوة ليست  
للفرجة ، وإنما هى للبحث والتنقيب لمعرفة  
أسرار النظام البديع الذى يسير عليه هذا  
الكون ، والوقوف على عظمة الخالق  
سبحانه وتعالى ...

ومهما تناهت معارف الناس فى تفسير  
إشارات القرآن الكريم وتليجحاته فإنها  
لا تعطى القول الفصل أو الكلمة الأخيرة ،  
بل بقدر ما تقسع له طاقة المعرفة فى العصر  
الذى فسرت فيه ، وهذا بلا شك من دلائل  
عظمة هذا الكتاب الكريم وأسرار

فى كتاب الله الكريم إشارات كثيرة ،  
تحتاج فى تفسيرها إلى سعة اطلاع ، ومعرفة  
شاملة لأحوال الأمم السابقة ، وما كان لها من  
نظم ومعتقدات ، ثم إلى ثقافة خاصة بما يؤدى  
إليه مرور الزمن من تطور فى مدلول كثير  
من المفردات اللغوية ... إلى معرفة متجددة  
بكل ما يستجد فى ميادين الكشف العلمية  
الحديثة ؛ ذلك لأن هذا الكتاب الكريم ،  
من خصائصه أنه قد ضم بين دفتيه أخباراً  
عن كثير من الأمم السابقة ، ومعتقداتها ،  
تارة تصرّحاً ، وتارة تليجحاً لحكم الله أعلم  
بها من خلقه ؛ فعلى من يريد تفسير تليجحاته  
وإشارات أن يحدد ويبحث عساه يوفق ،  
وفى هذا فلسفة بعيدة المدى للدعوة إلى  
التعليم المستمر .

ولأن القرآن فى القمة من اللغة الفصحى ،  
فعلى من يريد أن يعرف مدلولات مفرداته

الواردة في قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها »<sup>(١)</sup> .

وكان فهم هذه الإشارة يحتاج إلى دراسة عميقة لمعرفة الفكرة في الذبح أمام الوثن كما كان يفعل الوثنيون ...

ومرت القرون حتى كان عصرنا الحديث ، ثم نظمت دراسات عميقة وبحوث مستفيضة في معرفة أصول الأديان والعقائد جميعاً ، وعقد مقارنات بينها ...

وقد فهم أحد المستشرقين الألمان من المعنيين بدراسات القرآن الكريم أن وراء التعبير بكلمة « ولا دماؤها ، سرأ ، وقد هداه بحثه إلى أن منشأ عقيدة الذبح أمام الوثن كان عند قدماء الصين حين ظنوا أن روحاً سارياً في كل الكائنات هو المسيطر على الكون ، فأرادوا أن يتقربوا إليه ، فاخترعوا الوثن ونصبوه معتقدين أن ذلك الروح الساري يشم رائحة الدماء ، فيرضى عن العابدين ويقضى لهم حاجاتهم كما كانوا يزعمون .

هكذا حدثنا أستاذنا المرحوم الدكتور على العناني ، في إحدى محاضراته بدار العلوم ، وقد ذكر ابن السكبي<sup>(٢)</sup> في كتابه

لعجازه ، فهو أبداً جديد ، يسائر كل زمان ومكان : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد »<sup>(١)</sup> . ومن إشارات القرآن التي تحتاج في تفسيرها إلى معرفة خاصة بمنشأ الوثنيات وفكرة الذبح تقريباً إلى الأصنام ، ما جاء عن ذبائح الحج التي تعتبر شعيرة من شعائره ؛ فقد كان أهل الجاهلية يذبحون البقر والإبل والأغنام تقريباً إلى الله في شخص الأوثان كما كانوا يزعمون ، والصورة العامة التي كانت عندهم عن الدماء التي تتطاير أمام الوثن أنها ترضى الإله ، ولذلك كانوا لا يكتفون بسيل الدماء ، بل كانوا يأخذون منها وينضحون الوثن إن كان الذبح أمام وثن أو جدران الكعبة إن كان الذبح أمامها .

فلما ظهر الإسلام ، أبقى ذبح الأنعام ، ولكن على صورة تغاير ما كان عليه أهل الجاهلية ، إذ اعتبر الإسلام الذبح لوناً من الإحسان إلى المحتاجين وحبب إلى الذابحين أن يأكلوا من ذبائحهم طيبة بذلك نفوسهم ، لأنهم إنما يذبحون امتثالاً لأوامر الله .

وفيا بين تشريع الإبقاء على الذبائح ، وتغيير الصورة التي ألفها الجاهليون لها ، كانت إشارة .

وهذه الإشارة كانت في كلمة « دماؤها ،

(١) سورة الحج ٢٧ .

(٢) هو أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي

تولى سنة ٢٣١ هـ

«إلا أمانى»،<sup>(١)</sup> فقال : ليس المقصود بالامية هنا الجهل بالقراءة والكتابة كما هو شائع لمفهوم هذه الكلمة ، وإنما هى إشارة إلى ما كان يطلقه الإسرائيليون على غيرهم من اليهود الذين دخلوا اليهودية من أجناس أخرى أى أمم أخرى غير بنى إسرائيل ، فالنسبة إلى أمة أو أمم . ولذلك جاء فى آية أخرى :

«الذين يتبعون الرسول النبى الأسمى ، الذى يمجّدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل» ،<sup>(٢)</sup> فهو يذكر الإسرائيليين أن هذا النبى الموصوف فى كتبكم ليس إسرائيليا وإنما هو «أسمى» - وكذلك لفظة «أمانى» فهمى ليست من الأمانة والأمل ، وإنما من التأمين على الدعاء بقول «آمين» ، فقد كان الإسرائيليون يعتبرون كل يهودى ليس من جنسهم لا يستطيع أن يفقه التوراة مثلهم وإنما هو يستجيب لما يسمع دون فهم للأسرار...

والحق أن هذا الاتجاه قد أثلج صدرى من أستاذنا الكبير ، والله أرجو أن يمكن له ويتيح له من الفرص ما يعينه على التفرغ لهذا المشروع الجليل .

وفى كتاب الله إشارات تاريخية كثيرة لا يتسع هذا المقال للإشارة إليها ، وإنما

«الأصنام» ، أن وثنية العرب منقولة عن الصين فى أرجح الروايات .

ومن الإشارات التى تحتاج فى تفسيرها إلى ثقافة خاصة ما سمعته من الأستاذ الكبير عباس العقاد فى إحدى ندواته حين سأله سائل : لماذا لا تقوم برضع تفسير للقرآن الكريم ؟ .

قال الأستاذ : إننى معترزم هذا الأمر ، وعندى فكرة واضحة عن منهج للتفسير يغير الطرق المألوفة فيه ؛ لأننى أفضل أن يكون التفسير لموضوعات وأن يعنى فى ذلك بدراسة المناهج العلمية الحديثة وتطبيقها ، ولا سيما فيما يتعلق بتطور مدلولات الكلمات ، على ألا يكون التفسير هو الكلمة الأخيرة أو ما قصدته الآيات تماما ، وإنما هو تقريب وطريق إلى الوصول للحقيقة ، وضرب الأستاذ لذلك عدة أمثلة ، أذكر منها مثلا على تغير المفهوم اللغوى لبعض الكلمات ، وكيف أن المفسر لكتاب الله لا بد له من أن يلم بعلم اللغات المقارن ويعرف ما بين أصول الكلمات واشتقاقاتها فى مختلف اللغات - ولا سيما المجموعة السامية من اتفاق أو اختلاف . واستشهد لذلك بلفظتى :

أسمى ، وأمانى ، الواردتين فى الآية الكريمة «ومنهم - اليهود - أميون لا يعلمون الكتاب

[١] البقرة ٧٨ .

[٢] الأعراف ١٥٧ .



وهم يعلمون،<sup>(١)</sup> ، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم - بمن يذيعون شيئاً مما في كتبهم - إلى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ؟ ،<sup>(٢)</sup> .

وما يدل على أن اليهود السائلين كانت لديهم فكرة عن الموضوع ، أنهم هم الذين ذكروا اسم ذى القرنين من الإشارات الواردة في أسفارهم كما سنرى ، وكانوا يعرفون أن العرب يجهلون هذه الشخصية إذ لم يقرءوا عنها في كتاب ، ولا يعينهم من أمرها شيء ، فسؤالهم النبي عليه الصلاة والسلام يعتبر في نظرهم تعجيزاً ، إلا أن يكون حقاً يأتيه وحى من السماء ، فيبين لهم ما طلبوا . ولذلك روى أنهم قالوا لقريش : اسألوا صاحبكم عن ثلاثة أشياء : أصحاب الكهف ، وذى القرنين ، والروح . فإن أجاب عنها جميعاً ، أو سكت عنها جميعاً ، فليس بنبي ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي ، وكان أن أجاب الوحي عن القصتين وسكت عن الروح ، وهي أيضاً مبهمة في التوراة ، فكان في ذلك لإخام لليهود لخص الاستاذ آزاد مذاهب المفسرين في شخصية ذى القرنين ، وحيرتهم في الاهتداء إليه ، فذكر أن الصدر الأول منهم اتجهوا

هناك موضوع هام من بينها قد شغل المفسرين والمؤرخين كثيراً ، ذلك هو شخصية ذى القرنين الواردة في سورة الكهف : قرأت بحثاً مستفيضاً حول هذا الموضوع في عددى مارس ويونيه سنة ١٩٥٠ من مجلة ثقافة الهند للسيد الأستاذ أبى الكلام آزاد من علماء الهند البارزين وأحد وزراء معارفها .

وقد سار السيد آزاد في بحثه على منهج علمي دقيق ، ووصل إلى نتائج ألفت ضوءاً قوياً على حيرة العلماء في تعرف هذه الشخصية . وخلاصة هذه النتائج أن أوصاف ذى القرنين الواردة في القرآن تتمشى وسيرة الملك (قورش) الفارسي<sup>(١)</sup> بعيدة عما عرف من سيرة الإسكندر الأكبر المقدوني ، وهو لذلك يرى أن المقصود بذى القرنين في السؤال والجواب الوارد في الآيات إنما هو : (قورش) وليس (الإسكندر) .

إن المفسرين يجمعون على أن السؤال الذى وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بإيعاز من اليهود . وطبيعى أن اليهود لم يسألوا مثل هذا السؤال إلا إذا كان لديهم علم بما وراءه من أخبار آبائهم الأقدمين ، والمعروف أن اليهود يكتمون ما يعرفون من الحق : وإن فريقاً منهم ليكتُمون الحق

(١) البقرة ١٤٦ .

(٢) البقرة ٧٦ .

(١) مؤسس الدولة الفارسية في القرن السادس

قبل الميلاد .

المملكتين : ميديا وفارس ، فيملكهما ملك واحد لا تقدر دولة على مواجهته ، أما التيس ذو القرن الواحد فإنه يدل على ملك اليونان .

والذى حدث بعد هذه الرؤيا بفترة من الزمن أن ظهر الملك قورش فوحد ميديا وفارس اللتين مثلتا في الرؤيا بقرنين ، ومثلت شخصية ملكهما بكبش ذى قرنين ، ثم كان زوال أسرة « هنامنشى » التى كن منها قورش بهزيمة آخر ملوكها ( دارا بوسند ) على يد الإسكندر الأكبر الذى مثل في الرؤيا بتيس ذى قرن واحد آيات من الغرب .

وفي سفر يشعيا نبوءة أخرى عن ظهور ملك قوى قد صرح فيها باسم ( قورش ) الذى يكون عليه فك أسر اليهود ... وفي سفر يرميا إشارة إلى ما حدث لليهود من أسر وإفراج ... وخلاصة هذه الإشارات تدل على أن تصور ( قورش ) كان قد وجد عند اليهود : فقد مثل في سفر دانيال بكبش ذى قرنين ، وذكر اسمه في نبوءات يشعيا ، وأشار إليه يرميا . ثم جاء في سفر عزرا أن رؤساء اليهود قد عرضوا نبوءات سالفهم على الملك ( قورش ) عندما ظهر ففرح بها وأصدر أمره بتجديد الهيكل .

ومهما قيل في صحة هذه الأسفار أو التشكيك

في بحثهم عما إذا كان ملكا أو نبيا أو من البشر ، وهل عاصر إبراهيم عليه السلام أو كان بعده ، ثم اتجهت الأذهان بعد ذلك إلى أنه قد يكون من ملوك اليمين قياسا على وجود لقب « ذو » في ملوكهم ... غير أن هذا الاتجاه لم يودى إلى نتيجة ، إذ ليس في سيرة أحد من ملوك اليمين ما يشبه أوصاف ذى القرنين كما وردت في القرآن الكريم . ثم خرج من ذلك إلى أن أبحاث المفسرين لم تؤد إلى نتيجة حاسمة لأنها لم تتجه الاتجاه السديد ، ولو أنهم اتجهوا إلى البحث في أسفار اليهود لفازوا بالحقيقة .

ومن ثم فقد ركز الأستاذ بحثه أولا على أسفار التوراة ، وأول ما عثر عليه في ذلك رؤيا النبي دانيال <sup>(١)</sup> التى رآها لبان أسر اليهود ببابل بعد أن خرب بختنصر بيت المقدس وطردهم منه . وخلاصة هذه الرؤيا أنه رأى في منامه كبشا قويا له قرنان عاليان ينطح بهما شرقا وغربا ، ثم رأى تيسا أقبل من القرب بقرن واحد بارز بين عينيه ، فاقترب من الكبش فكسر قرنيه وصرعه ، ثم ذكر السفر أن جبريل قد فسر لدانيال رؤياه : بأن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد

(١) سفر النبي دانيال .

إليه فقال : « لما تمكنت من مشاهدة آثار إيران العتيقة ، ومن مطالعة مصنفات علماء الآثار فيها ، زال الحجاب ، وظهر كشف أثرى قضى على سائر الشكوك ، فتقرر لدى بلا ريب أن المقصود من « ذى القرنين ليس إلا قورش نفسه ، فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص غيره ،

اتجه الباحث بعد ذلك إلى دراسة سيرة ( قورش ) معتمدا على روايات مؤرخي اليونان لأنها أدق من الروايات الفارسية ، وقد وجد فيها تفصيلات دقيقة لا تتعارض مع أوصافه كما جاءت في القرآن الكريم . وبعد أن عرض ما تقدم من مسألة لقب ذى القرنين وسيرة حياته ، قال : « وبقي الآن أن نرى : هل الحلة التي فصلها له القرآن توافقه أم لا ؟ وسنرى أنها توافقه كل الموافقة . »

ثم أخذ يوازن بين ما جاء في وصف القرآن له من الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعدالة ، والرحمة ، وعدم حرصه على جمع المال وبين ما جاء عن ذلك في سيرته التاريخية فوجده يتشبه معه تماما .

أما عن مهماته الحربية التي ذكرها القرآن فهي ثلاثة :

الأولى : كانت إلى جهة ( مغرب الشمس ) وطبيعى أن المراد جهة الضرب لا مكان

فيها ، فإن ما ورد فيها يدل على عقيدة اليهود الدينية والقومية في شأن ( قورش ) .

وقد جاء في رواية للسدى أن اليهود قالوا : إن ذا القرنين ذكر مرة واحدة في التوراة ، وهذا هو الواقع إذ لم يرد بهذا الاسم إلا في سفر دانيال . ولفظ « قرن » مشترك بين العربية والعبرية .

وبناء على كل ما تقدم يكون المقصود في سؤال اليهود عن ذى القرنين هو : قورش لا غير .

اطمأن الباحث إلى هذه النتيجة من مراجعة أسفار اليهود الذين وجه أحفادهم السؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وما زاد في اطمئنانه ذلك الكشف الأثرى الهام الذى عثر عليه علماء الآثار خلال القرن التاسع عشر ألا وهو تمثال حجرى يمثل شخص ( قورش ) أقيم على شاطئ نهر ( مرغاب ) على بعد خمسين ميلا من مدينة ( استخر ) عاصمة الفرس القديمة . وهذا التمثال صورة لقورش مطابقة لوصفه في سفر دانيال ويشعيا : على رأسه قرنان أحدهما وراء الآخر كما ذكر دانيال ، وعلى جانبيه جناحان كجناحي العقاب كما ذكر يشعيا ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن تصور « ذى القرنين » كان قد تولد لقورش .

وتأكد بذلك لدى الاستاذ آزاد ما وصل

البلاد الواقعة جنوب المضيق بقورش  
ليحمهم ، فبنى سدا منيعا في هذا المضيق منع  
تلك الهجمات والغارات ، ولما كان أهل  
هذه المناطق ليسوا على شيء من التحضر فقد  
وصفهم القرآن بقوله : لا يكادون يفقهون  
قولا . .

وبعد : فهذا ما اتسع له المقال لعرض هذا  
الموضوع الجدير بالدراسة ، وقد وجدت  
في بحث الأستاذ آزاد عمقا في المادة ، ودقة  
في العرض وأرجو أن يكون ما وصل إليه  
في بحثه من نتيجة هو الصواب .

وكنت أود أن ينشر ذلك البحث  
كاملا على صفحات مجلة الأزهر  
الغراء ، ويا حبذا لو يحدث تبادل بين  
كبريات الجلات العربية في سائر الأقطار  
الإسلامية - لامية ؛ ففي كل منها علماء بمخائون ،  
وأعتقد أن في تبادل المقالات التي تدور حول  
بحوث علمية دقيقة - خيرا كثيرا ، ونشراً  
لنهائج البحث الحديثة .

والله الموفق للصواب ؟

دكتور سعد الربيع الجيزاوي

الغروب الحقيقي إذ لا يوجد مكان كهذا ،  
وقد فسر ذلك في سيرته بحروبه مع الليديين  
في آسيا الصغرى ، وانتصاره عليهم ، وعدم  
انتقامه من خصومه بعد أن انتصر عليهم ،  
وإن من يقف على شاطئ آسيا الصغرى  
الغربي وقت الغروب حيث الخلدان الضيقة  
يخيل إليه أن الشمس تغرب في عين حمئة ،  
إذ لا يبعد أن يكون هناك كدر من تفتت  
صخور الشاطئ . يحصل الماء كدرا فيكون  
الوصف مطابقا .

والمهمة الثانية كانت إلى (مطلع الشمس)  
أي إلى جهة الشرق ، فبعد أن فتح ليديا اتجه  
إلى قبائل رحل عند بلخ ( بلوخستان ) كانت  
قد حاولت الغارة على حدود بلاده الشرقية  
فأخضعهم ، ولما كانوا قبائل رحلا  
لا يسكنون بيوتا فقد وصفهم القرآن بقوله  
لم نجعل لهم من دونها - الشمس - سترا ،

والمهمة الثالثة كانت إلى الشمال حيث يوجد  
مضيق بين سلاسل جبال القوقاز الممتدة  
بين بحر الخزر والبحر الأسود ، وكانت  
تغير من هذا المضيق أقوام مهيمن من آسيا  
يعيشون في الأرض فسادا ، قاستنجد أهل

## من دعائهم بناء المجتمع :

### تكوين الضمير الديني عند الفرد والجماعة

#### للدكتور عبد العظيم شرف الدين

والضمير الديني عند الفرد والجماعة سلطان قوى وأثر فعال ، بل إن سلطان الضمير أقوى من سلطان القانون ، فالضمير حاضر لا يغيب ، أما القوانين فقد جبلت النفوس على الخروج عليها لأنها مفروضة عليها من سلطة خارجية عنها ، ومن أجل هذا كانت القوانين المتسمة بالإقناع والحجة أكثر تقبلا من المكلفين بها . أما الضمير فهو سلطة ذاتية نابعة من داخل الفرد نفسه تهيمن على شئونه وتشرف على تصرفاته ، وكمن المجرمين يرتكبون جرائمهم مخالفين القوانين في غفلة العيون والرقباء ، ولو كانت عندهم ضمائر حيية لما وقعوا فيما اقترفوه من جرائم ، وما أتوه من موبقات ، فالضمير الديني مع الفرد والجماعة في كل حين ، وكلما نما لدى الفرد والجماعة ازداد سلطانه وقوى أثره ، ومن يقع في جريمة ما في غفلة من غفلات الضمير فإن ضميره الحى قد يستيقظ فيحاسبه حسابا عسيرا ، وإن وخز الضمير أشد إيلاما من وقع السيف ، وهناك حوادث عديدة وقع فيها كثير من الناس تحت وطأة ضمائرهم ،

حقا ، إن تربية الضمير الديني مبدأ أساسى لجماعة تريد أن تحيا حياة مستقرة ، وأن تقدم للإنسانية التى تنتمى إليها من الخدمات الجليلة ما يرقى بشئونها ، وينمض بأبنائها ، فإذا نما الضمير الديني عند الفرد حاسب نفسه على كل ما يأتى وما يدع من الأقوال والأفعال ، وحكم عقله ودينه فى سلوكه ، فلا يقدم على عمل ما إلا بعد تفكير وروية ، فإن وجد فى هذا العمل خيرا له ولبنى وطنه وللإنسانية التى ينتمى إليها أقدم على هذا العمل وتغافى فيه ، وبذل فى سبيله كل ما يستطيع ، لا يدخر وسعا فى النهوض بما نيظ به من الأعمال .

وكذلك إذا نما هذا الضمير الديني عند الجماعة وجدت جماعة يسود التعاضد بين أفرادها على ما هم بسبيله من خدمة الجماعة التى ينتسبون إليها ، وأصبخوا يصدرون جميعا فى سائر تصرفاتهم عن ضمير حى يقظ ، فهم يخشون العواقب ، ويفكرون فى النتائج ويدرسون مشكلاتهم دراسة هادئة واعية ، هدفها تحقيق الخير للجماعة ، والبعد بها عن مواطن الزلل والانحراف .

الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .  
وتقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ،  
وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .  
وينبغي ألا يتبادر إلى أذهان بعض الناس  
أن هذه الآية تكلف الناس مالا يستطيعون ؛  
وذلك لأن قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » .  
قد بين المراد من هذه الآية ، ولو كان تقوى  
الله حق تقاته أمرا لا يستطيع الناس تحصيله  
أو أمرا يشق عليهم مشقة لا تحتل لما كلفهم  
الله تقواه حق تقاته ؛ إذ التكليف بما لا  
يستطاع عبث ، والله سبحانه منزه عن مثله ،  
هذا إلى جانب ما يحدثه هذا اللون من  
التكاليف في النفوس من تبرم وعدم  
رضوخ للأوامر والنواهي ، بل إن القوانين  
الوضعية تعمل جاهدة على أن تتخلص من  
هذا الضرب من التكاليف التي رهق الناس ،  
ولما أدت بهم إلى العجز عنها والخروج  
عليها ، فهل يعقل أن يرد مثل هذا في قانون  
وضعه الله الخبير بالنفوس وأدائها وطرق  
علاجها ؟ !

وقد دعا القرآن الكريم في غير موضع  
إلى تنزوى الله :

فتارة يخاطب المؤمنين بهذا لأن مقتضى  
الإيمان بالله أن يتقوا المؤمن ربه في السر  
والعلن واضعا نصب عينيه قوله تعالى :  
« ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ،

وأصابتهم أزمة نفسية فهبوا بعد ارتكابهم  
جرائمهم ، يحاولون التخلص من الحياة  
أو الاعتراف بما ارتكبوا من جرائم دون  
أن يراهم أحد تخلصا مما اعتراهم من أزمة  
نفسية وصراع مستحکم ، وإن تخلصهم من  
الحياة ليس علاجاً للوقف وإنما هو هروب  
من مجابهة المشكلة وضعف عن علاج الموقف  
وما هذا كله إلا من وحى الضمير حينما  
يستيقظ فيستولى على نفس صاحبه ، ويدفعه  
دفعاً قويا إلى اتخاذ هذا الموقف تخلصا  
للإنسان من عذاب دائم وألم مستحکم .

لهذا ندب القرآن الكريم المؤمنين إلى  
تقوى الله ، وناداهم بوصف الإيمان ليحملهم  
حملا قويا على تنفيذ ما نذبه لهم من تقوى  
الله فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق  
تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وذلك  
لأن الإيمان بالله إيمانا صادقا من شأنه أن يدعو  
المؤمن إلى مراقبة الله والخوف من عقابه ،  
فالؤمن الصادق الإيمان يعتقد في قرارة  
نفسه أن الله مطلع على كل تصرفاته ، وهذا  
الإيمان يستولى على مشاعره ووجدانه ،  
ويملك عليه أقطار نفسه فلا يستطيع أن  
يتحول عن الحق لحظة من اللحظات ، وقد  
أدرك المؤمنون الصادقون هذا المعنى ،  
فكانوا متفذين لقول الرسول عليه السلام  
لمن سأله : « ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد

وأخرى يذكر المؤمنون بنعمه عليهم وهي لا تعد ولا تحصى كقوله تعالى : « فاتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعملون . أمدكم بأنعام وبنيان . وجنات وعيون » (١) .

ففي هذه المواطن كلها تجدد القرآن الكريم يهيب بالمؤمنين أن يتقوا الله ، ويراقبوه في السر والعلن ، وتمشيا مع منهج القرآن الكريم في إعداد النفوس لتقبل الأوامر واجتناب النواهي تجده يعد نفوس المكلفين لإعداد أقويا لتقبل ما ندهم لإيهم من تقوى الله نمتنا عليهم تارة بنعمة الخلق من العدم وهذه تعد نعمة كبرى بل هي أجل النعم ، ومنذرهم أخرى يوم القيامة وما فيه من أهوال ؛ وذلك لأن النفس الإنسانية تحتاج إلى الإنذار والتبصير بالعواقب بقدر حاجتها إلى الملاينة والترغيب ، وأحيانا تجدد القرآن الكريم يأمر بالتقوى مع لفت الأنظار إلى ما أنعم الله على الناس من نعم تستدعي الشكر وعرفان الجميل ، والشكر وعرفان الجميل من صفات الإنسانية الكاملة الفاضلة : « إن شكرتم لأزيدنكم ، وإن كفرتم إن عذابى لشديد » .

ونظراً لأهمية التقوى في تحديد علاقة المرء بربه ، وعلاقته ببني جنسه نرى الأنبياء جميعاً قد التفتوا على هذا المبدأ ، فما من نبي إلا

ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا (٢) ، وأخرى يذكر الناس بنعمته عليهم إذ خلقهم جميعاً من نفس واحدة : « يأياها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منها رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا » (٣) ، وتارة يذكر الناس بيوم القيامة وأهواله التى تشيب الولدان ، وتذهل الإنسان عن أهله وبنيه « لكل امرئ منكم يومئذ شأن يغنيه » (٤) ومن هذا قوله تعالى : « يأياها الناس اتقوا ربكم . إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (٥) .

وقوله تعالى : « يأياها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ؛ إن وعد الله حق ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » (٥) .

(١) المجادلة : ١ .

(٢) النساء : ٢ .

(٣) عبس : ٣٧ .

(٤) الحج : ١ ، ٢ .

(٥) لقمان : ٣٣ .

(١) الشعراء : ١٣١ ، ١٣٢ .

وقد صور هذا الحرص قوله تعالى :  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ  
مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
بِمَا تَعْمَلُونَ » (١) .

فآلية تدعو إلى تقوى الله أولاً ، ثم إلى  
محاسبة النفس ، ثم تدعو إلى الأمر بتقوى الله  
ثانياً ؛ فالله خبير بما يقوم به عباده من أعمال  
وهذا كله من شأنه أن يربى في النفوس  
المهابة لله ويخلق فيها عنصر المراقبة ومحاسبة  
النفس على ما يصدر منها ، وهذا إذا ألفتها  
النفوس ومرت عليه صار طبيعة من طبائعها  
التي تصدر منها دون تكلف ووجدت فيه  
لذة وراحة فأقبلت عليه وازدادت منه .

وقد صرح القرآن الكريم بأن سنة الله  
قد جرت على أن يرسل ملائكته إلى من  
اصطافهم من عباده لينذروا الناس ، ويبينوا  
لهم أن الله واحد يجب الإيمان به وحده ،  
كما يجب تقواه ، ولكي يحمل النفوس على  
الإيمان به وعلى تقواه حق تقاته ذكر الناس  
يوم القيامة وما فيه من أهوال ثم آمن عليهم  
بنعمه : فهو سبحانه لم يتركهم إلى عقولهم ،  
ولما اضطرب أمرهم ، بل أرسل إليهم رسلاً  
مبشرين ومنذرين ، وإلى جانب هذا فقد  
خلق السموات والأرض بالحق ، وخلق  
الإنسان في أحسن تقويم ، وأمهده بأسباب

ودعا قومه إلى تقوى الله ، وفي القرآن الكريم  
آيات تؤيد هذا النهى قرناه :

كقوله تعالى : « وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا  
قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ، مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
أَفَلَا تَتَّقُونَ » (١) واقرأ معي قول الله تعالى :  
« كَذَبَتْ عَادَ الْمُرْسَلِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ  
هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ .  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٢) .  
تجد إلى أى مدى حرص هود على دعوى  
قومه إلى التقوى ، فقد بدأ حديثه معهم  
بدعوتهم إلى تقوى الله ، ثم بين لهم أنه رسول  
أمين في تبليغ الرسالة ، ثم عاد ثانياً إلى دعوتهم  
إلى تقوى الله وطاعة رسوله فيما يبلّغهم عن الله  
وهو لا يبغي منهم جزاء ، وإنما يبغي  
الجزاء من الله .

وعلى هذا الذوق صور القرآن الكريم  
موقف صالح من قومه : « كَذَبَتْ ثَمُودُ  
الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ .  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا .  
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ  
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٣) .

فليس عجيباً بعد هذا كله أن نجد القرآن  
الكريم يحرص على غرس التقوى في النفوس

(١) الأعراف ٦٥ .

(٢) الشعراء : ١٢٣ - ١٢٧ .

(٣) الشعراء ١٤١ - ١٤٥ .

(٤) الحشر : ١٨ .



متفانون فيما هم بسبيله من الدعوة إلى الله وإرساء دعائم الدين الجديد وسط بيئة سيطر عليها الشرك واستوات الوثنية على أبنائها منذ زمن بعيد .

حقاً لقد كان العبء ثقيلاً على المسلمين في كل أدوار حياتهم وبصفة خاصة حينما هاجروا إلى المدينة ، وقد وجد المسلمون أنفسهم مضطرين إلى أن يلتقوا مع المشركين في معارك دامية كان النصر فيها سجالاً بين الفريقين ، ولولا أن كل جندي كان يحمل بين جنبيه قلباً يثق بالله ويخشاه لما صبرت الجيوش الإسلامية على حرارة المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم ، ولتغير وجه التاريخ . ولكن كيف يتأتى هذا من قوم ضربوا الأمثلة الرفيعة في البذل والتضحية والفداء ، وكان همهم أن تقتصر مبادئهم وتسود أهدافهم وهي مبادئ الحق والعدل والفضيلة وهي المثل العليا التي أرادها رب الناس للناس . وصفوة القول أن الضمير الديني هو القوة الدافعة ، التي تدفع كل إنسان إلى العمل الجاد والتفاني فيه ، وإن حاجة الجندي في المعركة إلى الضمير الديني أشد من حاجته إلى السلاح وكم من جنود باعوا أوطانهم بثمن بخس لقلة ضمايرهم وانعدام روح التضحية والبذل من نفوسهم . والله الموفق ؟

دكتور هبيل العظيم شرف الدين

البقاء في هذه الحياة ، وسخر له مافي السموات وما في الأرض ليعمر الكون ويقتنع الإنسان بما فيه مما خلقه الله له ، أقرأ معي قوله تعالى :  
« أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يشركون . ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاقفون . خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون . خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والانعام خلقها لكم فيها ذلء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، (١) » .

بما تقدم يظهر لنا السر في عناية القرآن الكريم بالدعوة إلى التقوى ؛ فالتقوى صمام الأمان ، ومن اتقى الله نأى بنفسه عن الدنيا وراقب الله في كل تصرفاته ، وما أحوج الأمم إلى أبناء عاملين ينموا فيهم الشعور بالمسؤولية والخوف من الله ، حتى صار لكل منهم من نفسه على نفسه رقيب ، من أجل هذا عمل القرآن الكريم على تركيز هذا المعنى في نفوس المؤمنين ، ونمى فيهم الشعور بالمهابة والخوف من الله ، وبهذا نجح في إعداد أمة مسلمة أبناؤها

# حصاناتُ السفراء في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

- ٢ -

وثمة مقصد آخر للدولة الإسلامية سمعت في سبيل تحقيقه إلى توثيق علاقاتها الودية بحيرانها وما تطلبه ذلك من رعاية السفراء ولا كبارهم ونعنى به حرص الخلفاء والحكام المسلمين على دعم الجبهة الداخلية في النواحي التجارية والثقافية من طريق التبادل الاقتصادي والعلى مع الدول المجاورة . وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد إزدهار الحركة الفكرية في عهد العباسيين في بغداد والأمويين في الأندلس بفضل السفارات الثقافية المتبادلة بينهم وبين البيزنطيين والفرنجية في أوروبا . فلا غرو أن يلقى المبعوثون الأجانب في الديار الإسلامية أكرم معاملة وأن يزولوا أطيب منزل ولاسيا إذا ذكرنا ما يسفر عن هذا التقدير من حسن استجابة لدى الجانب الآخر فيجد السفراء المسلمون في القسطنطينية حاضرة الأباطرة البيزنطيين وإكس لاشابل عاصمة الفرنجية وغيرهما من العواصم الأجنبية مثل هذه المعاملة الكريمة أينما قاموا أو ارتحلوا

خلعت الدولة الإسلامية على السفراء الأجانب من الحقوق والمزايا ما فاقت به سائر الدول التي انتظمها المجتمع الدولي في ذلك الحين . وكانت تلك المعاملة المثل أنفكاساً لوعيا السياسي الناضج بما تحققه الدبلوماسية الرشيدة من إقرار حسن الجوار بين الأمم والشعوب وما ينبج عن ذلك من استتباب السلام في العالم وكفالة الأمن والاستقرار للبشر أجمعين . وتلك عليا الغايات التي جاء الإسلام مبشراً بها داعياً إليها حاثاً أبناءه على بلوغها .

ففي ظل السلام الدولي وصفاء العلاقات بين الجماعات الإنسانية يأمن الناس جميعاً على حياتهم وأرزاقهم وحررياتهم فتتاح لهم فسحة من الزمن للتفكير والتأمل في خلق السموات والأرض والنظر في الديانات السماوية فيهدون إلى دين الله الحق ويدخلون فيه أفواجا لا تصرفهم عن ذلك شراغل الصراع بين الأفراد والجماعات في سبيل الاستكثار بالمغانم وتحقيق المصالح الشخصية ولا تصدهم عنه ويلات الحرب والدمار .

مالم تتمكن دار الإسلام من الظهور عليها وعرضت تلك الدول عليها الصلح ، وذلك على أساس احترام ما يقوم بينهما من اتفاقات ومعاهدات وإيقاف الحرب وإقرار التعايش السلس بين الكتلتين المتنازعتين : دار الإسلام ودار الحرب .

ومن مقتضيات إقامة تلك العلاقات العهدية الأخذ بمبدأ منح السفراء الحقوق والامتيازات التي استقرت عليها التقاليد الدولية .

وهكذا منحت الأحكام الشرعية الإسلامية السفراء على اختلاف أديانهم وأجناسهم حصانة وسلاما كاملين في دار الإسلام . وإذا أمعنا النظر فيما نصت عليه هذه الأحكام في موضوع الحصانات الدبلوماسية وجدناها تسير أحدث مبادئ القانون الدولي المعترف بها في عالم اليوم .

ونلاحظ في هذا المقام أن الفقهاء المسلمين قد أخذوا بأحدث نظرية تستند إليها الحصانات ونعني بها نظرية الوظيفة . فكانت السند القانوني لتحويل السفراء الأجانب هذه الحصانات هو تمكينهم من تأدية مهامهم طوال إقامتهم في ديار المسلمين على أتم وجه وأفضل . ولقد أكد الإمام محمد بن الحسن الشيباني في شرح السرخسي على السير الكبير أهمية منح الحصانة الدبلوماسية للسفير بسبب وظيفته ، كرسول يجب أن يمكن من النهوض بوظيفته على الوجه المطلوب .

وفضلا عن ذلك ، فإن المنافسة السلبية التي كانت تسود العلاقات السياسية بين العالمين المسيحي والإسلامي في الصدر الأول من العصر الوسيط كان من ظواهرها المميزة تسابقهما في إظهار العظمة وأبهة الملك والتمسك بقواعد السلوك الدولي الحميد ومآثر الحضارة ، ومن آيات ذلك حسن استقبال السفراء وإكرام وفادتهم وشمولهم بمختلف الامتيازات والعصانات .

ولئن كانت الحوافز السياسية التي ذكرناها قد اقتضت منح السفراء الأجانب في الدولة الإسلامية حقوقا وإعفاءات قاصرة عليهم ، فلا يخفى أن هذا المنح يتفق مع الأحكام الشرعية الإسلامية بل هو منبثق منها ومردود إليها . فالإسلام يأمر بالعرف ويدعو إلى رعاية الذميين وهم أصحاب الديانات السبوية من اليهود والنصارى . وقد قسم الفقهاء المعمورة بحيث تضم ثلاثة أقسام : دار الإسلام وهي البلاد التي تظهر فيها شعائر الإسلام وتسرى أحكامه . ودار الحرب وهي البلاد التي لم يغلب أهلها على الإسلام ولا تسرى فيها أحكامه . ودار الصلح كما أسماها وخصصها الإمام الشافعي رضي الله عنه . ويعني الأخذ بمضمون هذه النظرية الإسلامية العامة جواز قيام علاقات ودية وعهدية مؤقتة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ،

الدبلوماسية الإسلامية حتى لقد بسطت حمايتها على خدم السفير وعبيده وهو مالم تبلغه أشد الدول توسعا في منح الامتيازات ، ولا سيما إذا ذكرنا ما سجله التاريخ من زيادة أعضاء بعض البعثات الدبلوماسية في العصور الإسلامية حتى أربى عددهم أحيانا على المائة تبعا لأهمية السفارة وعلو قدر السفير رئيس البعثة ورئيس دولته .

وكانت رعاية السفراء وحمايتهم تبدأ منذ اللحظة التي يبلغون فيها أرض الإسلام حتى ساعة مغادرتهم لها بعد إنجازهم مهمتهم . فكان الخليفة أو السلطان يرسل مندوبيه إلى حدود الدولة الإسلامية ليستقبلوا المبعوثين الدبلوماسيين ويصطحبهم إلى عاصمتهم . ويندر أن ترفض الدولة قدوم أحد السفراء ، بل لا يكون ذلك إلى في وقت وجود حالة غير طبيعية كحالة الحرب بين الدولتين .

وقد عنيت الدولة الإسلامية أشد العناية بقواعد استقبال السفراء ومراسم الحفاوة بهم لإجلالاً لشأنهم واحتراما لصفهم . وكانت هذه المراسم تبدأ باستقبال السفراء في أطراف الدولة ، حيث « ينزلون في مساكن تليق بهم ويجرى عليهم من النفقات والأطعمة ما يرغد به عيشهم . وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسبما تدعو الحاجة إليه ... وإن كانت الطرق والمسالك تحتاج إلى خفراء كان أجود أن يسير معهم الخفراء والدلاء » .

وقد حرصت الدولة الإسلامية على تمتع السفراء بكافة أنواع الحصانات وشمولها جميع أفراد حاشية السفير حتى خدمهم وعبيدهم فبسطت حصانتها عليهم جميعا واعتبرت أية إهانة تلحق بأحدهم إهانة موجهة إلى شخص السفير ، وهذا على خلاف مانص عليه القانون الدبلوماسي الحديث من قصر الحصانات على من تتوافر فيهم صفة التمثيل الدبلوماسي أو بتعبير آخر من يقومون بعمل دبلوماسي ، ذلك أنه لا يجوز التوسع في الامتيازات الدبلوماسية نظرا لأنها استثناء من مبدأ المساواة بين الأشخاص . والممثلون السياسيون هم رؤساء الهيئات الدبلوماسية ومعاونوهم الرسميون من مستشاري السفارة وأعمال سرها والمحققين على اختلاف فئاتهم وقد جرى العرف على تسمية هؤلاء الدبلوماسيين بالحاشية الرسمية وتحمي الامتيازات أيضا أسر هؤلاء الدبلوماسيين أي زوجاتهم وأبنائهم القصر الذين يقيمون معهم في دورهم . أما الحاشية غير الرسمية مثل أمين المحفوظات والكتبة والخدم فلا تمتد إليهم الامتيازات إلا من باب المجاملة ، وتختلف الامتيازات التي تسبغ عليهم باختلاف الدول ويسير أغلبها على سياسة الاتعاقص من تلك الامتيازات وعدم التسامح فيها نظرا لتزايد أفراد الحاشية غير الرسمية ولأن الامتيازات تتعلق بالوظيفة لا بالشخص .

وتبين مما تقدم مدى التسامح الذي تنسم به

حيث يجلسه الحاجب أو أمير المجلس . . .  
فإن سأله الملك عن شيء من أحوال مرسله  
أجاب عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان ،  
ويترك ما عنده من المشافهة والأسرار إلى  
مجلس الخلوة ... ثم يشير إلى حاجبه بانصرافه  
إلى دار الضيافة للاستراحة ، وإن كان معه  
هدية فليخاطب الحاجب عنه الملك أن الملك  
الفلاني قد بعث هدية يلتبس قبولها : فيشير  
الملك بحضورها ، وهي محصلة عند أقرب  
الآبواب ، فتعرض عليه بما فيها من دواب  
وجوارح وثياب ، مع ثبوت يتضمن ذلك  
إلا الجوارى ، فلا تعرض ، بل يمتن بها  
إلى دار الحريم بعد استئذانه مع الخدام ،  
والقهرمانة تعرض ذلك ... » .

فإذا انقض هذا الحفل وأقام السفير  
وحاشيته في الديار الإسلامية ظلوا أعراف  
على أهلها في رعاية الخليفة رئيس الدولة  
فصينت حرمتهم الشخصية وتمتعوا بهذه  
الحصانة كاملة غير منقوصة ، شاملة سلامة  
الشخص وأمنه وحرية وعدم مصادرة  
أمواله .

وقد استثنى السفراء غير المسلمين من  
شروط الأمان الذي يمنح لغير المسلمين في أثناء  
وجودهم في دار الإسلام ، فلا يشترط لبقاء  
السفير مدة سنة واحدة ، بحيث إن زادت  
يوماً واحداً اعتبر ذمياً واكتسب جنسية

وعندما يقترب ركب السفير من حاضرة  
الدولة الإسلامية ، تعد الاستقبالات الفخمة  
وتقام الزينات ويجتمع الناس على جوانب  
الطرق التي سيصلحها إلى دار الضيافة :  
ويترك في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ولا يمكن  
أحد من الاجتماع به ، ثم يستدعى وقد ترتب  
دار الملك في ذلك اليوم وتجتمع العساكر  
والجند ، ويجلس الملك على سرير الملك  
في أحسن أبهة وزى ، وتصطف السليمانية  
حوله بالسيوف ، ثم يمد السباط وتأكل  
الناس أكل خدمة لا أكل نعمة وأركان  
الدولة جلوس على قدر مراتبهم ، ويدخل  
الرسول والحاجب معه والمهمدارية تتقدمه .  
فإذا وصل بحيث يلحبه الملك يخدم ( يؤدي  
التحية حسب المراسم المتبعة ) الرسول ثم  
يتقدم إلى وسط الدار ، ثم يتقدم إلى المكان  
الذي يليق به لمخاطبة الملك ، فيخدم ويقف  
الحجاب والتراجم حوله ، فيبلغ سلام مرسله  
ويخدم عنه الخدم اللائقة بهما . فيقابل الملك  
تلك التحية بما يليق بها من الجواب بالقيام  
والخدمة أو القيام حسب ما يقتضيه حال  
المُرسل والمرسل إليه . ثم يخرج الكتب  
التي معه فيضعها على وجهه وعينه ثم يطرحها  
بين يدي الملك ، فإن أراد الملك إكرام  
صاحبها فليقم لتناولها ، وليش بالخدمة عند  
فضها وقراءة اسم مرسلها . ثم لا يلبث قليلاً حتى  
يشير إليه الملك بالجلوس فيتأخر ويجلس

للسفراء في ظل الدولة الإسلامية ، إجلالا لشأنهم واحتراما لصفتهم وتمكيناً لهم من القيام بأعباء وظيفتهم في سهوله ويسر مهما ارتكبوا من جرم فادح وإثم كبير .

وإلى جانب الحرمة الشخصية والإعفاء من القضاء الجنائي ، أعفت الدولة الإسلامية السفراء من الضرائب التي فرضتها على الوافدين إليها ، والتي كان أهمها العشر والمكوس . وفي هذا يقول أبو يوسف « لا يؤخذ من الرسول الذي بعث به ملك الروم عشر » .

وكانت جميع أمتعة السفراء تعفى من الرسوم الجركية عند قدومهم إلى ديار الإسلام ، وكان يسمح لهم بأن يخرجوا - لدى مغادرتهم لها بعد انقضاء مهمتهم - ما يشاءون من المتاع طالما كان ذلك لا يتعارض مع أمن الدولة ، فلا يؤذن لهم مثلاً بنقل السلاح لاستخدامه في دار الحرب ضد دار الإسلام .

وكان السفراء ، لاسيما سفراء بين نقطة ، يتمتعون بحرية القيام بالأعمال التجارية في أثناء ممارستهم شؤون الدبلوماسية ، وقد شجعهم على ذلك إعفاؤهم من كافة الضرائب والمكوس وتخويلهم من الأباطرة البيزنطيين الحق في حمل بعض البضائع معهم وبيعها في أسواق البلد الموفدين إليه سداداً لفقات البعثة من (البقية صفحة ٧٢١)

الدولة الإسلامية ، بحق الإقليم ، كما كان شأن غير السفراء من غير المسلمين .

وقد أكدت النصوص الفقهية الإسلامية الحصانة الدبلوماسية كقول أبي يوسف في كتاب الخراج : « إن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه ، فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب ، وهذا كتابه معي ، وما معي من الدواب والمتاع والريق هدية له ، فإنه يصدق ولا سييل عليه ولا يتعرض له ولا لما معه من المتاع والسلاح والريق والمال ، وكذلك لو أن المسلمين أسروا مركبا في البحر وقال نفر من ركابها : نحن رسل بعثنا الملك ، فلا يتعرض لهم ، وبذلك شملت الحصانة الدبلوماسية السفراء الأجانب في سفرهم برا وبحرا .

أما الحصانة في المسائل الجنائية فقد احترمتها أيضا الدولة الإسلامية ، فيقول جمهور من الفقهاء : بأن الحصانة لا تنتهك حتى ولو ارتكب السفير جريمة زنا أو سرقة أو ما شابههما ، وحين نذكر الحد الذي يقام حسب الشريعة الإسلامية على الزاني والسارق ونقارنه بالعقوبة المقررة لهاتين الجريمةتين في القوانين الجنائية الحديثة وهوانها بالقياس إلى العقوبة الإسلامية ، ندرك مدى التسامح في منح الحصانات والامتيازات الدبلوماسية

مؤمّن به ربيد لتطوّر الفقه الإسلامى :

## بين شريعة الوحي وصناعة الفقه

للأستاذ فتحى عثمان

فى القرآن والسنة أحكام اعتقادية ، وقصص إخبارية ، ووصايا أخلاقية ... وكل هذه تخرج عن نطاق الأحكام الشرعية بمعناها ...

فإذا ما استقرأنا آيات الأحكام وأحاديث الأحكام ، وجدناها تعرض لآلوان متعددة من القواعد :

١ - أخلاقيات العدالة : وهناتجه النصوص إلى تربية ذوق تشريعى ومزاج فقهى دون تفصيل أو تحديد . وكل شريعة من الشرائع تحرص على هذا الأساس الأصيل من المبادئ العامة للعدالة ، ويتميز الإسلام بإرساء أخلاقيات التشريع على أساس من العقيدة الدينية مما يجعلها أعمق جذوراً ، وأوسع نطاقاً ، وأطول أمداً .

ومن هذا الباب قول الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً » . « يأياها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » .

٢ - قواعد تشريعية مجملة : فإذا ما انتقلنا إلى دائرة التشريع بمعناه الأخص ، وجدنا بعض الأحكام الشرعية هى تقرير لمبادئ العدالة فى مجالات العلاقات الإنسانية بصورة عامة ، وهذه القواعد أقرب إلى تكوين فلسفة تشريعية ، من تقديم أحكام تفصيلية مباشرة .

ومن هذا الباب قوله تعالى « يأياها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » . وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

٣ - أحكام تشريعية تفصيلية : وهنا نجد النصوص الشرعية تواجه حالات جزئية معينة بأحكام مفصلة ، ومن هذا الباب أحكام



أو تشريع حل وحرمة .. إلخ. وهذا تشريع عام إلى يوم القيامة. أما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف الإمامة والرياسة العامة للسليين : كإفاد الجيوش ، وإفاد الأموال ، وإفاد اليهود ، وتصيب الولاية والقضاء فليس بتشريع عام ، ولا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام . وما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف القضاء له هذا الحكم نفسه ، فن كان له حق على آخر ويحدده وله عليه بينة فليس له أن يأخذ حقه إلا بحكم الحاكم . ويشير تحديد الوصف الذي ورد به الأثر النبوي خلافا بين الفقهاء بالطبع في بعض الأحيان . ومن ذلك حديث « من أحيأ أرضاً ميتة فهي له » فإن جمهور الفقهاء يأخذونه كحكم شرعي عام ، بينما يذهب أبو حنيفة إلى صدوره باعتبار الإمامة ورياسة الدولة فقط . ومما كان محل خلاف أيضاً حديث الرسول لهند بنت عتبة « خذى لك ولولئك ما يكفيك بالمعروف » ، وحديث : « من قتل قتيلاً فله سلبه » <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

هذه هي قواعد « الشريعة » بمعناها العلى الصحيح ... وهذه الأحكام هي التي جاء بها الوحي ، وتلزم لها الطاعة على وجه الدوام .

(١) شافوت : فقه الأركان والسنة ص ٣٧ - ٤٠ .

الشعائر التي يقصد بها محض التعبد ، وبعض الأحكام في بعض صور المعاملات .

وأبرز مثل في القرآن لهذا النوع في نطاق القانون المدني ( الإثبات ) آية التداين « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... » إلخ الآية ، وفي نطاق القانون الجنائي آيات الحدود : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... » ، « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... » . وتضم أحاديث الرسول أمثلة شتى لهذا النوع من الأحكام التفصيلية .

غير أن ما ورد في السنة من أحكام مفصلة للبعاملات ينبغي أن ينظر إليه بتدبر وتعمق « وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما سبيله الحاجة البشرية كالطعام ، والنوم ، والمشى ... ومنها ما سبيله سبيل التجارب والعادة الشخصية أو الاجتماعية كالذي ورد في الزراعة والطب وهيئة اللباس ... وما سبيله التدبير الإنسانى أخذاً من الظروف الخاصة كطرق الحرب - وكل ما نقل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعاً .

« وما كان سبيله التشريع من السنة على أقسام : منها ما صدر على وجه التبليغ بوصف الرسالة كتيان يحمل القرآن أو تخصيص عموم ، أو تقييد مطلق ، أو تقرير عبادة ،



و « الشريعة ، في هذا الضوء :

- أخلاقيات للعدالة ليست محل جدل في أى عصر ولا عند أى فكر .

- وقواعد بجملة هى معين لا ينضب لثروة

تشريعية متجددة وهى فى إجمالها محل اتفاق .

- وتبقى بعد ذلك الأحكام التفصيلية ،

وهذه بدورها - فيما تتعلق بالأحكام المستمدة

من السنة على الأقل مجال بحث ونظر لتمييز

الأحكام - الشريعة العامة ، من

الأحكام التى صدرت من الرسول بمحض

الاجتهاد العقلى ، وقديما سأل الصحابى رسول

الله حين أصدر أمره كقائد جيش بالنزول

فى مكان معين : أهو منزل أنزلك الله ، أم هو

الرأى والحرب والمكيدة ، فأجابه الرسول :

بل هو الرأى والحرب والمكيدة ، فقال

الرجل فى بساطة وأمانة وحكمة : ليس

هذا بمنزل !!

- ومع ذلك فلم هذه الأحكام علتها

المقصودة ، وقد قرر فقهاؤنا فى أصولهم

« الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً ،

ولهم مباحث جليلة فى « الاستحسان ، بالاعدول

عن قياس جلى إلى قياس خفى لشاهد أولى

بالاعتبار ، فضلاً عن القاعدة العامة التى تقرر

أن الضرورة ، تبيح المحظور .

- وتبقى بعد هذا مجالات واسعة لم ترد فيها

أحكام مفصلة ، فهى إما مندرجة تحت

القواعد الكلية الجملة العامة التى تقرر مبادئ

العدالة ، وإما مندرجة فى حكم الإباحة

الأصلية : « خلق لكم ما فى الأرض جميعاً .

« وسخر لكم ما فى الأرض جميعاً منه . » ومن

هنا كانت « المصلحة المرسله » مصدرأً فقهيأً

مثمرأً ، وقد يقيد المباح من أجل المصلحة .

ومن هنا كان المجال فسيحاً أمام « صناعة

الفقه » ...

. فقد كان فقهاؤنا يتسكرون أحكاماً

تشريعية كثيرة ، إعمالاً للقواعد العامة

الجملة ، وهى وإن كانت توضع وتصاغ بحيث

تتضح مأخذها ومصادرها فى نصوص

التشريع ، إلا أنها فى حقيقتها جهود عقلية

إنسانية ، جاءت ثمرة لمزاج فقهي معين

صاغته أخلاقيات الشريعة وفلسفتها التشريعية

مثلة فى قواعدها السكينة العامة .

. وكان فقهاؤنا يحددون فى فهم الأحكام

التى وردت بها النصوص ، عن طريق تبين

علة الحكم - بعد القطع بثبوت النص ،

ودراسة ظروف التطبيق .

ومن هنا ينبغي أن نضع تراثنا من الفقه

الإسلامى موضع الصريح ، ولا نخاط فيه

بين الوحى المنزل ، والصناعة الفقهية

إن قسماً كبيراً مما تحتويه مدونات الفقه

الإسلامى ، صناعة عقلية ، وجهد إنسانى ...

« الفقه الإسلامى هو فقه محض : لا تقل

وعراقة ذلك من عراقة القانون الروماني... وهو لا يقل عنه في دقة المنطق، وفي متانة الصياغة، وفي القابلية للتطور، وهو مثل صالح لأن يكون قانوناً عالمياً بل كان بالفعل قانوناً عالمياً - يوم امتدت دولة الإسلام من أقاصى البلاد الآسيوية إلى ضفاف المحيط الأطلسي. وكما أنبت القانون الروماني بعد أن أحييت دراسته في العصور الوسطى القوانين اللاتينية والقوانين الجرمانية الحديثة - وهى القوانين التي تعيش أوروبا اليوم في ظلها، كذلك الفقه الإسلامي إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد قمين بأن يثبت قانوناً حديثاً لا يقل في الجدة ومسيرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية، ويكون هذا القانون مشتقاً من الفقه الإسلامي اشتقاق هذه القوانين الحديثة من القانون الروماني العريق...

وقد صنعوه فقهاً صحيحاً : الصياغة الفقهية وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة فأنت تقرأ مسائل الفقه الإسلامي في كتبه الأولى - ككتيب ظاهر الرواية لمحمد، كما تقرأ مسائل الفقه الروماني في كتب فقهاء الرومان في العصر المدرسي، ثم تنتقل إلى مرحلة التبويب والتنسيق والتحليل والتركيب في الفقه الإسلامي فتقف على الصياغة الفقهية في أروع مظاهرها في أدق صورها، ثم يقول هؤلاء الفقهاء الأجلاء في كثير من التواضع إن هذا هو الإجماع أو القياس أو الاستحسان أو الاستصحاب أو ما شئت من المصادر التي ابتدعوها، وأن الأصل في كل هذا يرجع إلى الكتاب والسنة، والواقع من الأمر أنهم صنعوا فقهاً خالصاً هو صفحة خالدة في سجل الفقه العالمي ... (١).

والفقيه المشرع الكبير - العميد السهوري - قد أبرز بعباراته السالفة الفكرة في وضوح وإن لم يشأ أن يعرض لمناقشة نصوص السنة نفسها من الداخل، وتبين ما هو ملزم على وجه الدوام وما هو غير ذلك، ومدى الإلزام والدوام في النصوص ذات الأحكام الملزمة على وجه الدوام.

(١) الدكتور السهوري : بحث نشرته الجامعة العربية.

« ويقال عادة : إن مصادر الفقه الإسلامي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ... أما للكتاب والسنة فهما المصادر العليا للفقه الإسلامي، وقد قصدت بالمصادر العليا أن أقول إنها مصادر تنطوي في كثير من الحالات على مبادئ عامة ترسم للفقه اتجاهاته ولكنها ليست هي الفقه ذاته، فالفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني

به ، ولا يكون أماننا يحجبنا عن أصول الشريعة وروحها ، وعن ظروف واقعنا القائمة .

« وقد جرى العرف بين كثير من العلماء في القرون المتأخرة ألا يفرقوا بين أحكام الشريعة الإسلامية في ذاتها وبين ما يصل إليه علماء المسلمين باجتهادهم وفقههم من أحكام والشريعة هي أمر الله إلى الناس ، أما

الأحكام الفقهية فهي أحكام من صنع البشر وصلوا إليها عن طريق الفقه والاجتهاد ،

وكان من أبرز نتائج هذا الخلط بين أحكام الشريعة وغيرها من الأحكام الفقهية أن نزلت أحكام من نفوس عامة المسلمين منزلة الإجلال وأحاطوها بطابع التقديس دون أن يكون لهم في ذلك أى سند أو دليل ، بل إن المسلمين ظنوا كذلك أن الاجتهاد لا يخرج عما وصل

إليه أهل عصر بعينه وما اتصف به أهل العصر من فهم وما جروا عليه من طرق

في التفكير ، (١) !!

إنه فارق دقيق ... ينبغي اعتباره عند دراسة شريعة الوحي وصناعة الفقه ، كأساس لتطوير علمي رشيد .

فخري عثمان

(١) محمد أسد (ليوبولد فايس) : بحث الدولة المسلمة .

نحن إذن أمام صناعة فقهية إنسانية كبرى . أمام جهود فقهية وتشريعية وقضائية يجب أن تنسب لأصحابها ... تنسب لمالك ولأبي حنيفة وللشافعي ولأبي حنبل والأوزاعي وللشوري ولليث ولداود ولأبي حزم وغيرهم وغيرهم ولا تنسب لشريعة الإسلام إلا باعتبارها مدرسة كبرى جامعة لها طابعها العام لحسب .

ومن أجل هذا الجهد الإنساني اختلف هؤلاء الأئمة ، واختلف تلاميذ كل إمام فيما بينهم ، واختلفوا مع إمامهم في بعض الأحيان ، وهل تغيب دلالة اختلاف أبي حنيفة مع صاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن ومع زفر ؟؟ .

وعلينا نحن أن نبدأ البناء من الأساس . وأن ننظر إلى التجارب الفكرية السابقة النظرة التاريخية الصحيحة ، فهي سوابق لجهد أسلافنا الإنساني علينا أن نتبعها بلواحق من جهدنا الإنساني ، ولا بأس من أن نفيد من محاولات من سبقونا على سبيل الاستئناس .

علينا أن نبدأ من دراسة الكتاب والسنة ، ومن محاولة تحليل أحكام الكتاب والسنة وفهمها في ضوء واقع عصرنا وثقافته ويكون تراث أسلافنا إلى جوارنا نستعين

# علوم نبغ فيها العرب

للدكتور جمال الدين الرمادى

نبغ العرب في الشعر نبوغاً عظيماً ، وأدركوا فيه القدر الممل ، والذروة العليا ، واستطاعوا أن يصلوا إلى المعاني الدقيقة ، والخيالات الرقيقة ، والصور المبتكرة ، والأسلوب العذب الرصين ، والعبارة الشكلية الأنيقة ، كما نبغ العرب في الفصاحة والبلاغة ، وضروب البيان ، وغاصوا في علم التاريخ والجغرافيا ، والسيرة ، ونشروا في ذلك التأليف الكثيرة ، والكتب العديدة ، بيد أن هذه الألوان من المعرفة ، أصبحت معروفة لدى الخاص والعام ، وامتد ذكرها في الآفاق وتغنى بأثرها الركبان .

ولكن هناك علوماً ومعارف شق أجادها العرب أيما إجادة ، ولكن عنصر الأدب والشعر طغى عليها فطمست إلى حين معالمها حتى يخرج من ينفذ عنها تراب السنين ، ويجلو عنها صدى الدهور ، ويستخرج منها تاريخاً حافلاً ، وماضياً زاهراً زاهياً ، يتألق سناه ، ويسير الناس على هداه . ومن ذلك أن العرب ألفوا مراجع في الاقتصاد السياسى مثل كتاب : الجواهر وأصنافها لمحمد بن شاذان الجوهري ، وألفه

في القرن الثالث الهجرى للخليفة المعتضد المتوفى عام ٢٧٩ هـ ، وكتاب مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ ، وكتاب الإشارة إلى محاسن التجارة للشيخ أبى الفضل جعفر ابن على الدمشقي ، وبحث في جيد الأعراض ورويتها ، وغشوش المدلسين ، كما يشمل فصولاً في حقيقة الأموال ، كما يضم وصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم .

وتنبه العرب إلى ارتباط الحاجات بالتجارة وتدرج الحاجات والإنتاج ، وأثر الترف في طرق المعيشة ، وعلاقة الترف بالأثمان ، والإنتاج ، ومساوى الترف الأخلاقية ، والحرية الاقتصادية ومجالاتها ، وبينوا أن كثرة الترف تدفع الأسعار إلى الغلاء . فالطلب على مواد الترف طلب غير مرن ويؤدي إلى غلاء الأثمان ، ومن جهة أخرى نرى أن احتياج الدولة إلى فرض مكوس متزايدة تزيد على غلاء الأسعار ، أو يجتهد المنتج أو التاجر في نقل المكوس على عاتق المستهلك .

وتنبه العرب إلى أن المدنية حاجة اقتصادية وحاجة دفاعية ، فهى المسكان الذى يترعرع

ودكا كين الصيادلة على أقرباذين ألفه سابور  
ابن سهل المتوفى عام ٢٥٥ هـ حتى ظهر أقرباذين  
أمين الدولة ابن التليذ المتوفى عام ٥٦٠ هـ  
وذكر الفرنجة أن العرب هم الذين اكتشفوا  
حامض النتريك وزيت الساج وحامض  
الكبريتيك والبوتاس وروح النشار ،  
ونترات الفضة ، وأكسيد الزئبق .

ونبغ منهم ابن البيطار الذى تبحر  
فى دراسة النبات ، وألف كتاب ، المغنى  
فى الأدوية المفردة ، ومنه نسخ خطية  
فى ليدن والمتحف البريطانى وأكسفورد  
وباريس - وكتاب جامع مفردات الأدوية  
والأغذية - وطبع فى مصر عام ١٢٩١ هـ  
ثم ترجم إلى اللغة الألمانية وكتاب ميزان  
الطبيب .

ونبغ نبوموس بن شاكر فى العلوم  
الهندسية ، وألف ابن الهيثم كتابا فى أوائل  
القرن الخامس للهجرة جمع فيه الأصول  
الهندسية والعندية من إقليدس وإبلينوس .  
ومن أشهر كتب المسلمين فى الجبر كتاب  
الجبر والمعادلة ، وعفى العرب بشرحه ،  
وتفسيره والتعليق عليه .

واشتهر من علماء الفلك فى الإسلام  
أبو معشر البلخى ، وسهل بن بشر ، وحنين  
ابن إسحق ، والبيررنى وغيرهم ، ونادى

فيه العيش والذى يتولد فيه التضامن .  
الاجتماعى من أجل الحياة .

ولسكن الترف والتضامن لا يعتبران الدافع  
الوحيد لتأسيس المدن ، بل تدعو إلى ذلك  
حاجة الدولة ، فالمدينة نتيجة لمقدمتين أحدهما  
اقتصادية وهى الحاجة إلى الدعة ، والآخرى  
سياسية وهى الحاجة إلى الدفاع .

تذبه العرب إلى كل هذه الشؤون الاقتصادية ،  
وحفلت بها مؤلفاتهم مثل مقدمة ابن  
خلدون وصباح الأعشى فى صناعة الإنشا  
للقلقشندى - وإغاثة الأمة بكشف الغمة  
للقرينى - ونحو ذلك - وكان لهم شأو كبير  
فى هذا المضمار الاقتصادى لا يمكن نكرانه  
أو نسيانه .

وألف العرب فى السياسة ومنهم أبو زيد  
البلخى المؤرخ الجغرافى الذى كتب كتابين  
الكبير والصغير - وكتب فى السياسة المدنية  
أبو نصر الفارابى الفيلسوف المشهور -  
ومن الكتب الهامة فى هذا الباب كتاب  
« سياسة الممالك فى تدبير الممالك ، لابن أبى  
ربيع - وجاء فى مقدمة الكتاب أن مؤلفه  
ألفه للعقاصم العباسى المتوفى عام ٢٢٧ هـ .

وبرع العرب فى الكيمياء والصيدلة  
والطب ، وهم من الأوائل الذين اشتغلوا  
فى علم الأدوية وتحضيرها - وظل العرب  
فى النهضة العباسية يعتمدون فى المارستان ،

والمحدوج لظعائهم ، والرماح والقسي  
والسهام لسلاحهم وأما أهل الحضرة ، فقد  
استخدموا الشجر في بناء بيوتهم وإغلاق  
أبوابهم وعمل مقاعد للجلوسهم ، وتعرض  
العرب لصناعة الخمر وإنشاء المراكب  
البحرية ذات الألواح .

وبرع العرب في صناعة الحياكة والخياطة  
واعتبروا هاتين الصناعتين من ضروريات  
ال عمران ، وكذلك نبغ العرب في صناعة  
البناء ، وهي أولى صنائع العمران الحضري  
وأقدمها ، وقد بدأت باتخاذ البيوت والمنازل  
للسكن والمأوى ودفع الحر والبرد ، ثم  
تطورت وتعددت وتعقدت على مر الزمان ،  
ودخلتها فنون شتى في التجميل والتنسيق  
والتنجيد والزخرفة وما إلى ذلك حتى غدا  
الفن الإسلامي يهر العيون ويخلب الأوفاد .

وبرع العرب كذلك في صناعة التوليد ،  
واشتهر في هذه الصناعة عدد كبير من السيدات  
وتسمى القائمة في ذلك منهن بالقابلة ، واستعير  
في اسمها معنى الإعطاء والقول ، كأن  
النفساء تعطى الجنين وكأنها تقبله كما كانت  
تخفف عن الأمهات آلام الوضع ويعمين  
على الولادة الميسورة .

وكتب العرب في ضرورة تدخل الدولة  
في المجال الاقتصادي والتنمية الصناعية  
لإنعاش وسائل العيش لأن الدولة شديدة

المسلمون بإبطال علم التنجيم حيث أنه يقوم  
على أسس واهية ، ودعائم ضعيفة ومضوا  
يقيسون العروض ، ويرصدون الأفلاك ،  
ويراقبون السيارات ، ويتبحرون في دراسة  
ما كتبه الأوائل والأواخر في علم الفلك .

ومن الطريف أن المسلمين فضلا عن هذه  
العلوم والمعارف الآتفة الذكر لم يغفلوا قيمة  
التدبير المنزلى وهو عندهم فرع من الحكمة  
العملية وتعريفه : معرفة اعتدال الأحوال  
المشتركة بين الإنسان وزوجته وأولاده  
وخدامه ، وطريق علاج الأمور الخارجة  
عن الاعتدال ، ومن الكتب التى تدخل  
في هذا النطاق كتاب « الطبخ » لإبراهيم  
ابن المهدي ، وغيره لابن ماسويه ، وإبراهيم  
ابن العباس الصولى ، وجحظة والرازي  
وغيرهم .

وبرع العرب في الأعمال المهنية والصناعات  
الدقيقة ، واهتموا بالتجارة ، واعتبروها  
من ضروريات العمران إذ أن الله سبحانه  
وتعالى جعل للإنسان في كل مكون من  
المكونات منافع تسكمل بها ضروراته  
وحاجاته ، وكان فيها الشجر فإن له من المنافع  
مالا ينحصر بما هو معروف لكل أحد ،  
وقد اعتبروا منافع البدو في الشجر تختلف  
عن منافع أهل الحضرة ، فأما أهل البدو  
فيتخذون منها العمد والأوتاد لحيامهم

أنس بن مالك ، ومن أبرز مؤلفاته كتاب « عجائب المخلوقات ، في الفلك والجغرافيا الطبيعية عند العرب ، ووصف الأرض وما فيها وما عليها ، ورتب كلا من الحيوانات والنباتات على حروف المعجم ، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد الذي طبع في غوتنجن عام ١٨٥٠ م ، وابن بطوطة صاحب الرحلات المشهورة ، وله كتاب « تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ، وقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغاً بهذه الرحلات وترجموها إلى اللغات الأجنبية وعلقوا عليها تعليقات كثيرة ، وبدر الدين الزركشي المتوفى عام ٧٩٤ هـ وصاحب كتاب « الفرر السوافر فيما يحتاج إليه المسافر » ،

وهكذا كان فضل العرب سابقاً شاملاً ، وكان مجدهم لا يقتصر على الشعر والأدب وتراث أمراء القيس والناطقة والأعشى وغيرهم في العصر الجاهلي أو حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما في صدر الإسلام أو الأخطل وجريير والفرزدق في العصر الأموي أو بشار والمتنبي وأبي العلاء المعري وأبي تمام في العصر العباسي وابن خفاجة وابن زيدون وابن سهل في الأندلس - بل لم يقتصر مجدهم على ما كتبه الجاحظ وابن العميد أو عبد الحميد أو من إليهم من الكتاب العرب أو المستعمرين - إنما تطاول مجدهم

الارتباط بالعمران والحضارة ، والعمران من غير الدولة لا يتصور وفي ذلك يقول ابن خلدون : ( إن الصنائع وإجاداتها إنما تطلبها الدولة ، فهي التي تنفق سوقها ، وتوجه الطلبات إليها ، ومالم تطلبه الدولة ، إنما يطلبه غيرها من أهل المصر ، فليس على نسقها لأن الدولة هي السوق الأعظم ، وفيها نفاق كل شيء ، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق منها كان أكثر ضرورة ) .

كما كتب العرب في التعاون مما يعتبر اليوم مادة جديدة للدراسة في الجامعات واعتبروا أن النوع الإنساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون ، وأن الاجتماع إذا فقد التعاون تهاوى بنيانه ، وتداعت أركانه ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش بنفسه فقط ، فهو أحوج ما يكون إلى تسخير جهوده لخدمة الآخرين ليستفيد من تسخير الآخرين جهودهم لخدمته .

وبرع العرب كذلك في كتب المعاملات والإدارة وتنظيم الحكم ويعتبر كتاب فتح القدير لكمال الدين همام وصباح الأعشى للقلقشندي ، وكتاب الأحكام السلطانية للواردي من أخصب الكتب في هذا الباب

أما الرحلات فظهر فيها مؤلفون ناهون ، نذكر منهم القزويني الذي ظهر في القرن السابع للهجرة ، ويرجع نسبه إلى الإمام



أن يرتضوا أقدامهم - ويرهبوا أعداءهم -  
ويمدوا سلطانهم .

ولم يكن الدين حائلا بينهم وبين بلوغ هذه  
الغايات النبيلة أو الوصول إلى هذه الأهداف  
الكرمة - إنما كان عوناً لهم على العلم وحافزاً  
لهم على المعرفة ، فإذا العصى من الأمر يسهل  
وإذا القصى من الأمل يقرب - وإذا العسير  
من الخطب يهون .

وما أحوجنا اليوم - ونحن ننفذ عن  
أبداننا - أقال الماضي ونحطم قيود التقليد  
البغيض - أن نسترجع أمجاد آبائنا الأولين  
في هذه المعارف والعلوم حتى تكون لنا عبرة  
وأسوة حسنة ، وفي ذلك فليقتنافس المتنافسون .

جمال العرين الرمادي

حتى شمل العلوم البحتة والعلوم التطبيقية  
والفنون الجميلة والفنون النافعة ، وتطرق  
عليهم إلى المعامل وآنية الاختبار وروائح  
الأمحاض والبخار - وضروب الصناعات  
الثقيلة التي تمخر البحر أو تدب على الأرض  
أو يحارب بها الأعداء .

وكان لهم شرع وقانون يعصمهم من الخطأ ،  
ويردعهم عن الخطيئة ، ويوضح لهم منازل الحق  
وهو الشرع الإسلامي والدين الحنيف ،  
والكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .  
وقد استطاعوا بفضل تمسكهم بأهداب هذا  
الدين العظيم ، وهذا الشرع السوي المستقيم ،

( بقية المنشور على صفحة ٧١١ )

والامتيازات ما يماثل نظائرها في أعظم  
الدول الحديثة تطوراً في هذا المضمار . وفي  
ذلك ما ينهض أبلغ دليل على سماحة القواعد  
الشرعية في الإسلام في معاملة الأجانب ،  
ورسوخ قدم السياسة الإسلامية في محيط  
العلاقات الدولية ، وعراقتها في ميدان الفن  
الدبلوماسي ، وصدورها في هذا كله عن  
مبادئ العقيدة الخالدة في الدعوة إلى السلام  
العالمي ، واحترام العرف والقوانين الدولية  
الحميدة وإقرار التعاون والتآخي بين الناس  
جميعاً . وصدق الله العظيم : « يا أيها الناس  
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً  
وقبائل لتعارفوا » . رائد من فتح الباب

أرباح التجارة حتى كانت تصدر لإيهم أحياناً  
تعليلات تحتم على ذلك . فكانوا - حسب  
التقاليد البيزنطية . ينمون العلاقات التجارية  
إلى جانب قيامهم بالمهام الدبلوماسية . فعند  
تولى امبراطور جديد عرش بيزنطة يوفد  
السفراء إلى شتى الدول الأجنبية - وفي مقدمتها  
الدولة الإسلامية - لإعلان ذلك ، حاملين في  
الوقت ذاته بعض البضائع لبيعها في الأسواق .  
من ذلك سفرة الامبراطور ليسابين إلى  
بلاط الإخشيد للسماح لسفراء الروم بالتجارة  
في القاهرة وقد لقي هذا المطلب موافقة  
لإخشيد مصر ( سنة ٥٣٢٤ - ٩٣٦ م ) .

وهكذا منحت الدولة الإسلامية السفراء  
الأجانب في ديارها من أنواع الحصانات



# الإسلام دين التوحيد

للاستاذ عباس طه

إلى خياله فصور له عالماً عالياً وراء هذا العالم  
تعمره آلهة وأنصاف آلهة وملائكة  
مقربون ، وأن من هذا العالم تنزل على  
الناس النعم والنقم ، ومنها تصدر الأوامر  
للعوامل الطبيعة أن تسخر على بعض الناس  
وأن تضن على الآخرين . وما زال بهم  
الخيال حتى صور لهم ما يجب أن يتقرب به  
إلى تلك الأرواح العلوية من القرابين والهدايا  
المنوعة من الأطعمة ومن ضروب العبادات  
ركوعاً وسجوداً وصياماً وجهاداً الخ .  
ومن هذه الحالة الساذجة نشأت الأديان  
الكبرى المعروفة حاملة طابع واضعيتها من  
الرجال أصحاب المطامع الواسعة أو من الرجال  
ذوى العقول الراقية أمثال - باسكال ،  
جول سيمون ، أرنست رينان - وأضرابهم  
من وصلوا من العقيدة بالخالق إلى درجة  
التوحيد والتنزيه المطلقين . ولم يحفز العلماء  
الماديين إلى مثل هذا التطرف في الحكم  
إلا وقوفهم مع الحس المجرد وزعمهم أنه  
لا سبيل إلى سائر المعقولات الإنسانية غير  
الحواس الخمس .

إن الدراسات الدينية التي توالى في العالم  
المتصدين منذ أكثر من مائة سنة كشفت  
عن أمور كثيرة حليفة بإنعام النظر .

أولها أن التدين صفة عامة لجميع بني البشر  
حديثهم وقديمهم فلم يعثر على أمة لا دين لها ،  
ولا على قبيل من القبائل البائدة قبل أن  
يدون التاريخ إلا ولها آثار تدل على أنها  
كانت تدين لنحلة ، وأنها كانت تعرف أن  
وراء المحسوسات عالماً محجوباً عن الأبصار  
فيه كائنات ترجى معونتها وتستدر رحمتها .

ولما انتصف القرن التاسع عشر زادت  
الدراسات الدينية تغلغلاً في صميم الأديان  
القديمة فظهر ما بينها من الصلات الوثيقة  
وما يجمعها من العقائد والتقاليد .

كان مذهب الماديين في تدين الإنسان  
إلى ما قبل مائة وخمسين سنة أن الإنسان  
لما ظهرت فيه صفة العقل واتسع مداها  
للخيالات والتصورات اضطرب خيال المخاوف  
التي تحيط به من كل جانب ، والمخاطر  
التي تناوئه من كل مكان أن يعتصم بملجأ  
يحتسئ فيه من هذه النوازل ولو توهمها ، فلجأ

حتى في نظر العلماء الذين لا يؤيدون الأديان الشكلية مثل جيو Guyo مثلاً فقد كتب في كتابه (اللا دينية في المستقبل) يقول: (إن نظرية الفلاسفة الحسيين كان ينتظر سيادتها المطلقة على العقول منذ بضع سنين وقد كان رضا الكثيرين بدون أن يستنتجوا منها سائر نتائجها الضرورية، أما الآن فقد اتضح أنها واهية).

أما النظرية السائدة اليوم في البيئات العالية للدراسات الفلسفية بسبب أنها غير ظنية ويمكن تحقيقها إذا صعد الإنسان ببحثه إلى مناشئ العقائد الإنسانية. وهذا الأمر مهما يكن صعباً، فإن وراءه رجالا يهتمون به غاية الاهتمام، وأحسن من تصدى لهذا الموضوع الجليل فأجاد هو الأستاذ «ماكس مولر»، الألماني، فإنه بسط فيه كتاباً جليلاً - أصل الدين وارتقاؤه - أثبت فيه بالنصوص الدينية السنسكريتية، وهي أبعد الديانات عهداً أو أقدمها تاريخاً، أن الإنسان أول ما عبد عبد الخالق جل وعلا على صفته غير المحدودة. وأما هذه الأوثان والأصنام فليست إلا بنات الخيال استدعتها محبة الإنسان للبس كل ما يشعر به في نفسه فقال: «إن هذه الآلهة الجسمة ليست إلا تمثيلاً طرأ على الإنسان بعد تلك الفسكرة الطبيعية وبناء على هذا فقد ركع آباؤنا وسجدوا أمام الله الحق حتى قبل أن يجسروا على الإشارة إليه باسم».

ولكن الروحيين وزيد بهم الذين يعتقدون بأن العالم مركب من عنصرين: أحدهما مادي فإن والآخر روحاني باق، قد قرروا أن الإنسان اهتدى إلى عالم الروح بما ركب فيه منه ولولا ذلك لم يشعر به ولم يهتد إليه، وقد أظهر الإنسان حتى في أشد أدوار توحشه تعلقه بذلك العالم واعتداده به أكثر مما أظهر من تعلقه بالعالم المادي، ومن يتأمل فيما فرضه على نفسه من للعبادات الجسدية والتضحيات القربانية والشكائم التي اتخذها لصد ميوله طائعا محتاراً يجد أن أثر العالم الروحاني على نفسه كان شديداً إلى حد لا يمكن القول معه بمذهب الحسيين. فلو كان الخوف من جوائح الحياة هو الذي اضطر الإنسان لياجاً إلى عالم ما وراء الطبيعة، لحقت وطأة الاضطراب عنه كلها ازداد عليه بأسباب تلك الجوائح، ولكن المشاهد خلاف ذلك، فقد اشتد تطلع أهل العلم إلى ذلك العالم اشتداداً بزوا به المتوحشين والجهال أضمافا مضاعفة. ولا يعقل أن مثل الطبيعي العبقري - باسكال - والفيلسوف السياسي جول سيمون والنقاد الفرنسي الكبير أرنست رينان - وغيرهم يبقون مع أثر ورائي سدها ولحمته الوهم، ولا يتخلصون منه مع بلوغهم درجة الإمامة في الفلسفة والنظر السليم.

ولا جرم أن نظرية الماديين قد سقطت

إن قول الأستاذ - ما كس مولر - إن الإنسان مفسطور على توحيد الله يعد ترديداً لقوله تعالى: « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقوله : إن النوع البشرى كان له دين واحد هو ما ذكرناه آنفاً من التوحيد موافق لما ذكر في القرآن وهو قوله تعالى: « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، الآية » ، ومضاهها كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فأرسل الله لهم أنبياء ورسلا يهدونهم إلى الحق ، وهم ما اختلفوا إلا بسبب ما تسلط عليهم من الأهواء والخيالات والصور الذهنية المختلفة وذلك بدليل قوله تعالى في آية أخرى: « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » ، ومعناه صريح وهو أن الناس كانوا في مبدأ أمرهم على دين الفطرة الحق فاختلفوا بانباع الأهواء والاختلاف بالباطيل ولو لا كلمة سبقت بتأخير معاقبتهم إلى يوم القيامة ، لقضى بينهم عاجلاً فيما فيه يختلفون بإهلاك المبطل واستبقاء الحق . فهذا الاستكشاف العلوي الذي لم يجد الأستاذ - ما كس مولر - تصديق للقرآن فيما ذكره عن دين الإنسان ولكن حفره إليه ما ثبت من

ثم جزم هذا المؤلف بأن أصل الأديان كلها واحد ، وما استدعى اختلافها إلا ما أحدثته النزعات الإنسانية والأهواء النفسانية من حب التحديد والتقييد والحصص هذا كلام لم يخاف العقل ولا النقل وهو مصداق لقوله تعالى « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » ، وقوله « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين . ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم » .

ولا مرأه أن أول ما كان عليه الإنسان من الدين هو التوحيد الخالص من شوائب الخيالات ، وأنه كان عاماً في جميع النوع البشرى فلما دخلت عليه التلوينات الخيالية تعددت أشكاله ، وتنوعت صوره وذهب كل فريق من الناس بما تأثر به عقله منها فأصبح للناس أديان شتى وابتنى على تسكيرها وقوع النزاع بين الجماعات البشرية .

فأطفي السائلة على الياسية وأهلك مئآت  
الألوف كما حدث في مسينا بإيطاليا سنة ١٩١٠  
إذ زلزلت الأرض هناك زلزالاً شديداً فهدم  
الدور على أهلها وأطفي المياه على المدينة  
فقتل من أهلها نحو مائتين وخمسين ألفاً  
وكانت كارثة ارتاع لها الناس جميعاً .

إن العالم اليوم يتطلب الدين الأول للإنسان  
الموافق للفريزة التي فطر عليها الإنسان  
خالصة من شوائب الخيالات ، وهذا هو  
الإسلام بأخص معانيه ، وليس له معنى غيره  
وإن كان لا بد من الاستشهاد بقول عالم  
اجتماعي على صحة ما نقول فهذا الأستاذ - هنري  
برنجيه - يقول في المجلد ٢٤ من مجلة المجلات  
الفرنسية .

إذا كان النقد التاريخي قد هدم كل الأشكال  
المتحجرة في الأديان ، فإنه لم يستطع أن  
يعدو على الفريزة الدينية بل شهد باستمرارها  
وشيوعها في كل دور من أدوار التاريخ ،  
فكل تلك الآلهة المختلفة والمتعاقبة تشهد  
على أن الإنسان مفعور على الاعتقاد بالله  
رغم أنفه ،

إلى أن قال : هذه هي الشرارة  
السيكولوجية ( النفسية ) التي استخلصها  
من رماد العصور الماضية تاريخ المقارنة بين  
الأديان فمن المستحيل عليه أن يطفئها ولكنه  
سينقلها إلى المستقبل ؟

باسم الله

مراجعة أقدم المخطوطات والمحفوظات البشرية  
في اللغات الهندية القديمة ، وفي البيثة التي  
يرجح أن الإنسان الأول سكنها وتكاثر  
فيها ، وانتشر منها إلى سائر بقاع الأرض .

وزاد الله تعالى هذا الأمر بياناً فصرح  
بأن الإسلام الذي أنزله على رسوله محمد صلى  
الله عليه وسلم ليس بدين جديد ، ولكنه  
الدين الأول الذي أنزله على نوح ، وهو محدود  
بأنه أبو البشر الثاني ، فإنه قد ثبت أن جوامع  
مائية كانت اجتاحت ذرية آدم إلى نوح وكان  
هددم قليلاً على نسبة قرب نوح من آدم .

وقد أشبهه على بعض الناظرين هذا الأمر ،  
وقالوا : كيف يطغى الماء على اليابسة فيحتاج  
أمة برمتها ، كأنهم لا يعلمون أن الحوادث  
الأرضية كثيراً ما أحدثت ما يعرفه من  
تقبع الأرض - الخليفة بعد تدوين التاريخ ، فقد  
ثار مرة بركان فيزوف سنة ٧٩ بعد الميلاد  
ففسد مدينة بومبتي برمتها وأباد أهلها جميعاً  
وهم لاهون (١) ، وكثيراً ما حدث زلزال

(١) بومبتي مدينة من مقاطعة نابولي بإيطاليا  
كانت مشهورة بلهى الأسرياء الرومانيين وكان يسكنها  
ثلاثون ألف نسمة فلما ثار بركان فيزوف القريب منها  
غمرها كلها فجاء ببطقات من الرمال والصخور  
للسائلة والحجم البركانية ، ثم غي النسيان عليها حتى  
سنة ١٧٤٨ ففتح فلاح إيطالي على تماثيل على  
الأرض فأمرت الحكومة بالحفر هناك فأنكشفت  
لهم المدينة .

# مايقال عن الإسلام

## تطور الفكر السياسي الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

على نهج الأكثرين من المستشرقين، وطريقتهم الغالبة عليهم أنهم لا يزنون الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالإسلام وبالأمم الإسلامية وفيما يتعلق بغير الإسلام وغير المسلمين، فهم ينظرون - أبداً - نظرة جانبية إلى المسائل الإسلامية، ولا يعممون النظر على قاعدة واحدة إلى هذه المسائل وإلى نظائرها في البلاد الأوروبية والأمريكية، وعندهم - دائماً - أن مسائل الإسلام موسومة بالغرابة والمخالفة لما عداها من المسائل العالمية، فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولى، ولا يحسبون أن التعليل العلمي يتسع لتفسير الإسلاميات وغير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل، وقد تسربت طريقتهم هذه في التأليف إلى عقول قرائهم وتلاميذهم من الشرقيين المسلمين وغير المسلمين، فكلهم يبتدئ البحث بالتفرقة بين ما يبحثه من شؤون الإسلام وما يبحثه من أمثالها في التاريخ القديم

كتاب حديث من مطبوعات أواخر سنة ١٩٦٢ طبعته هيئة فان نوستراند Van Nostrand لدراسة العلوم السياسية بمطابعتها في الولايات المتحدة والبلاد الانجليزية، وعنوانه العام (الحكومات والسياسة بالشرق الأوسط في القرن العشرين) وموضوعه البحث في تطور نظام الحكم في البلاد الإسلامية التي يطلق عليها اسم الشرق الأوسط مع بعض التوسع، وأشهرها مصر وتركيا ولبنان وسورية والعراق والجزيرة العربية وإيران، ومؤلفه ه. ب. شرابي أستاذ مساعد لتدريس علم التاريخ بجامعة (جورجتاون) ولا نعلم عنه شيئاً غير ما جاء في تعريفه بقلم الناشرين لكتابه، وخلاصته أنه تعلم بالجامعة الأمريكية في بيروت وأتم دراسته بجامعة شيكاغو وتخرج منها سنة ١٩٤٨ ثم نال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة بعد خمس سنوات.

على أن الظاهر من طريقته في الكتابة عن الموضوعات الإسلامية أنه يجرى فيها

بل غير معقول ، فإنما المعقول دون غيره  
أن توضع القواعد الدينية وتوضع الرخصة  
فى تعديلها على حسب شروطها ومناسباتها...  
أما أن يتنزل الدين بنصوص قواعده  
ونصوص تعديلاتها معا فذلك ما لم يحصل  
قط فى شرع دينى ولا فى شرع موضوع .

قال المؤلف فى الصفحة الحادية عشرة  
ب عنوان الشريعة : « إذا دققنا فى القول لم نجد  
فى الإسلام نظرية مستقلة للحكومة ، إذ كل  
ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل فى نطاق  
الديانة ، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات ،  
والمسلم الذى يدين بالله وبرسالة نبيه محمد  
عضو من أعضاء الجماعة الإسلامية بحق الانتماء  
إلى الديانة فقط ، لا بحق القرابة أو اللغة أو  
العنصر... ومن الوجهة السياسية تنقسم  
الجماعة الإسلامية ، أو الدولة الإسلامية ،  
بسمات أربع وهى :

- ١ — أن الله رأسها والقرآن كما تنزل  
على النبىء دستورها الوحيد .
- ٢ — وأن كلمات الله هى الشرع الوحيد  
وليس للجماعة أن تجرى لها شرعا غيره .
- ٣ — أن وظيفة دستور الحكومة  
وشكلها وأحكامها أبدية ولا يمكن تغييرها  
كيفما يختلف الزمان والمكان .
- ٤ — أن الغاية من الحكومة هى إقامة  
الدين وتنفيذ كلمات الله .

أو التاريخ الحديث من شئون الأمم الشرقية  
والغربية الأخرى ، وكلهم يخص الإسلام  
بمنظار (خاص) من أول نظرة ، ولا يحمل  
ذلك المنظار نفسه حين يتحول بالنظر  
إلى سواه .

وأظهر ما يظهر ذلك فيما كتبه المؤلف  
عن تطور الفكر الإسلامى قديما وحديثا  
إلى أواسط القرن العشرين ، فإنه يجعل  
الإسلام فى تقديراته مطالبا بأحد أمرين  
مستحيلين : أحدهما أن ينص فى عقائده من  
مبدأ الأمر على أحكام غير دينية تتبع  
فى نظام الحكومة ، فهو إذن دين وغير دين ،  
وعقيدة وشىء مخالف للعقيدة ، وذلك أغرب  
ما يخطر على البال بالنسبة إلى الدين خاصة  
وبالنسبة إلى كل نظام من أنظمة الشرائع  
والدساتير على التعميم .

والأمر الآخر أن يتنزل الدين الإسلامى  
بنصوص قواعده ومصحوبة بنصوص تعديلاتها  
وتعليقاتها التى تغنى المسلمين عن التصرف  
فيها على حسب المصالح والضرورات ،  
فيحصل التعديل والتصرف قبل أو ان الحاجة  
إليه ، ويصح من ثم أن يقول المؤلف ومن  
على رأيه إن التشريع الحكومى فى الإسلام  
غير متجهر وغير مخالف للسنن المعهودة  
فى غيره من التشريعات !..  
ومثل هذا التصرف ، أيضا غير ممكن ،

الموافقة على وقفها أو تعليقها على حسب الطوارئ والضرورات، فهل يكون الدستور الصالح كذلك ولاغرابية فيه، ثم تكون الغرابية كل الغرابية في دستور الإسلام؟.

وبين أيدينا الساعة خبر عن دستور دولة عصرية يصح أن يقال فيه إنه من أخبار آخر ساعة، لأنه مكتوب على رأس سنة ١٩٦٣ في تقويم يسمى بتقويم «إيطاليا»، وهي دولة عرفت الحكم «الشيوقراطي»، أو الديني، وعرفت حكم الملوك والأمراء، وعرفت الحكم الدكتاتوري، وهي تعرف اليوم نظام الحكم الديمقراطي ومن أحزابه حزب يسمى بالحزب المسيحي، وخلاصة نظامها السياسي كما جاء في الصفحة الأولى من التقويم لسنة ١٩٦٣ «أنه قائم على أسس التقدم الاقتصادي والاجتماعي، مع احترام الحرية الديمقراطية واستقرار العملة والمشاركة الكريمة في الدفاع عن العالم الحر وتشجيع الدعوة إلى الوحدة الأوروبية والتعايش السلمي بين أمم العالم».

وليس مع هذه المبادئ نص واحد من نصوص الدستور المكتوب أو نصوص قوانين المعاملة والعقوبات، فإذا في هذا التعريف بأسس الحكم في هذه الدولة، أو في الدولة البريطانية، يتعذر نقله إلى التعريف بدستور الإسلام؟.

قال: «ويتضح من هذا أن الشريعة — وهي جملة الأوامر الإلهية — ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون في العصر الحديث — ولكنها قضايا معصومة ترسم للسلم أحكام سلوكه في حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا وفي الأسرة والبيت».

وليس يعني لنا في هذا المقام أن تناقش تصوير المؤلف لحقيقة الإسلام، ولكننا نقلناه بحرفه لنسأل: وهل للدستور أو للقانون على الأساس الصحيح في كل صورة من صور قاعده تخالف هذه القاعدة في جملتها؟.

وهل يصل المؤلف ببخسه يوما إلى دستور «وضعي»، قويم بدأ العمل به في أمته بجميع تفصيلاته وتعديلاته دفعة واحدة؟ وهل في دساتير العالم دستور لم يقر على قواعد ثابتة لا تتغير مهيأ تتغير بعد وضعها نصوص المواد والقوانين المتفرعة عليها؟.

إن أقدم الأمم الديمقراطية عملا بالحكم النيابي هي الأمة البريطانية، ودستورها في أساسه قواعد لا تقبل التغيير وأن تغيرت المواد التي لم تكتب بتفصيلاتها حتى اليوم.

ومن هذه القواعد حرية الفرد، وحرية الاعتقاد، وحرمة المنزل، ومبدأ النيابة وتقرير الضريبة، ومبدأ المسؤولية الوزارية ومبدأ السيادة البرلمانية في وضع القوانين، ومبدأ أسريان القوانين في جميع الأوقات واشتراط

إن هذه الضرورات والشبهات مرجعها كله إلى حق السيادة المطلق ، وهو حق الإمام الراعي وأهل الذكر والرأى المتفق عليه بين جمهرة الرعية .

فهل في هذا الوصف قيد شعرة من الانحراف عن حقيقة الدستور الإسلامى ؟ وهل هو على هذا الوصف بدعة في الدساتير التي تصلح للتطبيق وينتظم عليها أمر الجماعات الإنسانية ؟

إن المستشرقين وتلاميذهم ، وأصح من ذلك أن المستغربين ، وأتباعهم من الشرقيين هم الذين يبتدون بالاستغراب - أصلا - في كل بحث من بحوثهم الإسلامية ...

وأن هؤلاء لا يكلفون ، أنفسهم أن يبتدئوا بالبحث في شئون الإسلام « غير مستغربين » ولا مفرقين بين نظرة ونظرة وميزان وميزان ، ولكنهم لو تكلفوا ذلك في كل ما يحشونه لعلوا أن الغرابة هنا حاصلة واسكنها في طريقهم وفي اتجاه عقولهم أو نيات ضمايرهم وليس في الإسلام شيء من الغرابة ، إلا ما استغربه المستشرقون وتلاميذهم من الشرقيين !

عباس محمود العقاد

اتنا لا نغير حرفا من نظام الحكومة الإسلامية إذا قلنا على هذا المنوال : إن قواعد الحكم كلها منصوص عليها في آيات القرآن الحكيم .

إن الإمام يتولى الحكم بالبيعة . إن الإسلام يوجب على المسلمين أن تكون فيهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنها « أهل الذكر » الذين يسألون عن أحكام الذكر الحكيم .

إن السيادة التشريعية موزعة بين الإمام وأهل الذكر وإجماع الأمة ، أو ما هو في حكم الإجماع .

إن أحكام الشريعة الإسلامية تنفذ في كل زمن وفي كل مكان ، ولا يعلق تنفيذها أو يؤجل إلا وفقا لسيادة التشريع . إن الفرد حر مسؤول .

إن مصلحة الأمة أساس في تطبيق الشريعة وفي وضع الأحكام التي لم تذكر بتفصيلاتها وعوارضها في آيات الكتاب .

إن المجتمع الإسلامى ينكر احتكار الثروة ويحرم الربح بغير عمل ويقرر من ثروة الأمة كلها حصة العجزة والمحرومين .

إن الحدود الجنائية لا تعطل أبدا إلا لعللة واضحة من علل الضرورات والشبهات .



# مختار من الشعر القديم والحديث

في رماب النبوة :

يا حبيب الله

هو - تاذ إبراهيم نجا

نادنى . . إني قريب منك ، يا خير البرية  
يا حبيب الله ، يا أجل نفس بشريه  
يا أبر الخلق بي ، يا أكرم الناس عليه  
نادنى ، فالشوق لم يترك من الصبر بقيه

\* \* \*

أنت في روحي لإشراق ، وفي قلبي محبه  
لم يذق ما ذقته فيك من الوجد أحبه  
حيما جئت وقلبي كله شوق ورغبه  
قلت للغربة ، من أجلك ، ما أحلاك غربه !

\* \* \*

منذ أن كنت صغيراً حدثوني عن صفاتك  
عن رفيف النور في وجهك ، عن حلو سماتك  
عن سنا الرقة في طبعك ، أو في بساطك  
فتمشقتك ، حتى غبت في أعماق ذاتك

\* \* \*

ومضى العمر بنا في هذه الدنيا الكبيره  
وقرأت السيرة الغراء مرات كثيره  
فتمجلت قصه تعرض أحداثا مثيره

قصة صاغت من الليل قلوباً مستنيرة

\* \* \*

كم تحملت عذاب الجسم . . آه لعذابك  
وتحملت عذاب النفس من أجل صحابك  
وتغربت ، وكم قاسيت من ظلم اغترابك  
وتساميت ، فما تشكو لغير الله ما بك

\* \* \*

لو طلبت المجد ، وافاك بملك أو إماره  
أو طلبت المال ، لباك وأهداك نضاره  
أو طلبت الجاه ، جاء الجاه يوليك اقتداره  
حسب نور الشمس أن يبعث في الكون شعاره

\* \* \*

عشت لا تطلب إلا أن يرى الليل النهارا  
فترى إشراقة النور عيون تتواری  
ويفيض النور نبعا صافيا يسقي الحيارى  
وربعما يملأ الكون نماء وازدهارا

\* \* \*

أيها العابد في غارك ، في غار حراء  
أيها الباحث عن بدرك في ليل الخفاء  
هكذا تستنزل الوحي قلوب الأنبياء  
هكذا تستقبل الدنيا تباشير الضياء

\* \* \*

أيها الداعي إلى الله ، وفي الكون جهاله  
أيها الهادي إلى نبع السنا ركب الضلاله  
كم تحملت أذى الشرك ، وقاسيت نضاله  
يا رسول الله ، ما أعظم أعباء الرسالة !

\* \* \*

أيها السارى على الصحراء فى ظل السكينة  
ورفيق العمر يفديك من الأيدى اللعينة  
وعلى البعد قلوب مؤمنات فى المدينة  
مخرجت بالحب أعيادا وإنشادا وزينه

\* \* \*

أيها الواقف فى بدر تصف المسلمينا  
ضارعا لله أن يمحى بغى المعتدين  
مشفقا أن يرجع الباطل بعد الحق دينا  
ثم لاح النصر خفاق السن فى العالمينا

\* \* \*

أيها السائر فى الصحراء ، والجند كثير  
تبتغى مكة إذ جاءك بالفتح البشير  
وحوايك قلوب تمنى لو تطير  
وعلى وجهك إشراق ، وفى قلبك نور

\* \* \*

أيها الظافر فى مكة ، والكفار أسرى  
وجباء الظلم والطغيان تعنو لك قسرا  
والآلى كم حاولوا قتلك ، لا يلقون عذرا  
ثم كان الصفح من قلبك إحسانا وبراً

\* \* \*

يا رسول الله ، ما أروع هاتيك الصفات !  
ليتنى أدركت أيامك يا خير الهداة  
فأتانى النور من قلبك يمحو ظلماتي  
وفديت لللمحة الغراء منه بحياتي

\* \* \*

يا حبيب الله ، ما زال الهوى غضا نضيرا

## فلسفة البخل

لمؤلفه: تاذ على الجنى

قد يستطيع الإنسان أن يعطل كثيراً من أخلاق الناس ،  
ولكنه يعجز عن تعليل البخل في بعض البخلاء !! فمثلاً كيف  
تستطيع أن تجد علة للبخل لدى رجل واسع الثراء ، مريض  
الجسم ، طاعن في السن !! وهو مع ذلك يبخل على نفسه  
بالطعام الجيد ، واللباس الحسن ، والمركب الفاره ، بل يبخل  
أن يستطب للداء ، ويشترى الدواء !! .

بصفات الإنسان أصبحت طباً      غير أنى بالبخل على قاصر (١)  
هو خلق تاه الأوائل في كش      ف متاهاته ، وضل الأواخر  
وهو بالله ، والرسول ، وبالقر      آن ، والخير ، والفضيلة كافر  
وهو للشر وارد ، وعن الخمسة —      واللؤم ، والنذالة صادر  
كيف يرضى بأن يعيش فقيراً      ذو غنى يقتنى نفيس الذخائر  
كيف يرضى بأن يعيش على الحر      مان مثر يقتنى يقيم الجواهر  
كيف يرضى بأن يعيش مقلداً      من به « البنكنوت » راح يفاخر  
كيف يرضى أن يلبس السمل الب      لى من يستطيع لبس الحباثر (٢)  
كيف يشقى في جمعه المال من يو      قن يوماً حلوله في المقابر  
عاش في شقوة ، وفي ضنك عيش      وهو أن يسكن الفرايس قادر  
كان « نيسان » شهره أبد الدهر —      ر، فلم يرض نحسه غير « ناجر » (٣)

\* \* \*

(١) الطب بفتح الطاء : الماهر الحاذق في عمله كالطبيب .

(٢) السمل محركة : المخلق .

(٣) نيسان : من شهور الربيع وهو أبريل شهر الورد ، وناجر من شهور الصيف ، وهو رجب أو صفر .

رب مال في كنزه يجهد النا  
 يالدينا يلقي بها د حاتم الجو  
 شهد الله : أن فلسفة البخ  
 من يكن حل لغزها ، ومعا  
 قد عذرنا الفقير إن شح لكن  
 قتل البخل والبخيل ، فهذا  
 يالتعس البخيل يعبد ربا  
 وثن لا يزال يعبده قو  
 لو على البر أنفقوه لباتوا  
 س لأعدى أعدائهم هو صائر  
 د ، فقيراً ، ويحز اليرد ماد ،  
 ل تفوت النهى ، وتعبي البصائر  
 ها ، فإنى في حله جد حائر  
 لم نجد للغنى في البخل عاذر  
 زق سوء ، وذاك داء يخامر  
 سى المال ، وهو أجف فاجر  
 م طعام الأحلام حق السرائر  
 في وئام ، والعيش أخضر ناضر

### على الجندى

(بقية المنشور على صفحة ٧٣٢)

قلبي المشتاق يسقى غصنه ماء نعيما  
 فما الغصن ، وقد أينع في قلبي زهورا  
 يا حبيب الله ، خذ ما شئت زهرا وعيرا

\* \* \*

سوف أحيأ طول أيامى أناجيك بحبي  
 وأنا المشتاق لا يهفو إلى غيرك قلبي  
 أنت ما أرجوه من دنياى فى بعدى وقربى  
 لمن تكرمتم وناديت ، فبالروح ألبى

\* \* \*

نادنى لى قريب منك يا خير البريه  
 يا حبيب الله ، يا أجمل نفس بشريه  
 يا أبر الخلق بى ، يا أكرم الناس عليه  
 نادنى ، فالشوق لم يترك من الصبر بقيه

ابراهيم محمد نجما

# الكتيب

## في العاصفة

ديوان شعري للشاعر كيسانى سند ، ظهر في صيف عام ١٩٦٢  
عن مكتبة عالم الكتيب بالقاهرة في ٩٠ صفحة .

المعاصر ، وحول رسالة الشعر ووظيفته  
في الحياة .

### ٢ -

ونعود إلى الشاعر وديوانه ، تأمل كل  
جانب من جوانبه ، تأمل الدارس الناقد .  
تدور فلسفة الشاعر في ديوانه حول  
أمور ثلاثة :

الأول : الشعور الكامل بدور الفن في  
الحياة ، وأثره في مستقبل البشر ، ورسالته  
الحررة الجريئة الصريحة ، العاملة على دعم قيم  
الإنسانية ومثالياتها النبيلة .

ويتضح ذلك بجلاء في أولى قصائد الديوان  
« الطريق الشائك » ، التي يصور فيها كفاح  
الشعراء ونضالهم من أجل مستقبل أهمهم  
والعالم جميعا ، ويقول فيها :

يا كم عبرنا قفطرة

وأبحرنا أمواجها

رهيبه مزججـرة

### ١ -

شاعر من أعماق الريف ، نشأ كما ينشأ  
أبناءؤه ، يلفهم الفقر والجوع والحرمان  
بظلاله ، ولكن قلوبهم الكبيرة تصدح بالحب ،  
بالأمل ، بالحياة ، بأغاني النصر ، بابتسامات  
الربيع ، بالإنسانية والسلام والأمن .

شاعر صادق الإحساس والتعبير ، عميق  
النظرة والتفكير ، دقيق الآراء والتصوير .  
مبتعد عن كذب الشعور ، وزيف الأداء ؛  
يحب البساطة في كل صورها ، بساطة البحر  
الشعري الذي ينظم قصيدته منه ، وبساطة  
الأسلوب الذي يبرز معانيه فيه ، وبساطة  
الكلمة التي يختارها لنقل خفي مشاعره ،  
ودفين أحاسيسه ، إلى الناس .

وديوان « في العاصفة » ، القليل الصفحات ،  
حرى من النقد بالدراسة والمناقشة ، لأنه  
يعطينا مفاهيم كثيرة حول الفن ، والصورة  
الشعرية ، وطريقة الأداء عند الشاعر

وكم سعدنا قمة	الإسانية . . فالحب هو كما يقول الشاعر :-
عالية	مسورة الحب أى منجسم
نبعث عن أغنية	فى قلب إنسان ترى
صغيرة ،	لون الضحا من لونه
وزادنا على الطريق	والعطر بين الزهر
ورق	وهو يدعو الشعراء إلى الحب والغناء
وأمنيات فى الصدور	لكل الناس ، حتى لحصوم الحياة ، يقول
غضنة	يخاطب كل شاعر من أصدقائه فى الفن :-
إلى أن يقول :	غن لهم ، إرث لهم
يا إخوة سيقبلون	قلوبهم من حجر
والليالى	واقترح لهم نافذة
ويسلكون دربنا	فى قلبك الخوضر
مواكبا	أخى الحياة غنوة
طريقهم	بالحب ، حب البشر
وأرضهم	وقصيدة ( ذات ليلة ) توحى بنزعة حب
فلتذكروا أنا عبرنا	الحير المتأصلة عند الشاعر ، ففيها يقول :
ألف ألف	إن فى هذه الليلة ماتت امرأة فقيرة خيرة ،
ولم تزل عظامنا	لم يبال بموتها أحد . .
من حولكم مبعثرة	كانت ككثير فى القرية
ومثل ذلك قال الشاعر فى قصيدته «يا شعر»	مصباحا خابى الأضواء
وفى قصيدته «الصفصافة» يجعل الشاعر	ومانت فيها كذلك امرأة غنية بخيلة :
الفن أبنا له ، ويقم من نفسه حارسا عليه	عاشت ما عاشت ما وضعت
يرعاه ويتعهد ، لينمو ويكبر ، ويصبح	لبنات فى أى بناء
ثقيثا كبيرا فى حياة الناس والأصدقاء .	ما غرست بضع شجيرات
الثانى : الإيمان بالخير ، وبالحب ،	للجهد بين الصحراء
حب الحياة ، وحب البشر ، وحب	

نلاحظ أن الشاعر كلما حاول تصوير الأغنياء صورهم بصورة مكبرة مغالى فيها ، ويتضح ذلك في قصيدته : « أغنية لإقطاعي » ، وإنسان بلا أسطورة ، ولا أحب هذا الغلو الذي ليس له داع في أو واقعي ، فالغنى في ذاته ليس رذيلة وشر ، وإنما الشر في أن لا يؤدي الغنى به حقوق مجتمعه عليه .

الثالث : التفاؤل والابتسام للحياة ، والثقة بالفجر ، بالربيع ، بالسعادة ، وأنها لا بد أن تنتصر على الظلام ، والحريف ، والشقاء ، يصور الشاعر في قصيدته « أمل » كيف مر الحريف على حياته ، فتركه شقيا محروما فقيرا ، ثم فجأة طلع الربيع ، ورمى له بشيء ، فإذا الصباح يطل مبسما إليه .

وتبسمت كل الحياة

ة تبسمت في مقلتيه .  
والشاعر لم ينظم قصيدته هذه لهذا الغرض وحده ، وإنما بدأها مخاطبا حبيته بأن تعود إليه ، لأنه صار يملك كل شيء ، فقد ذهب الحريف وجاءه الربيع ، والشاعر لا يقول هنا إنه صار يملك كل شيء ، وإنما يقول « ما زلت أملك كل شيء » ، لشدة تفاؤله بالحياة ، وإيمانه بنفسه ؛ ولا يعني كل شيء بما يملك ، ولكنه يعني كل شيء من أسباب الوصول إلى النجاح في الحياة .

وفي قصيدته « يا رياح الحريف » ، والكلمات الطيبة ، نجد صورا من تفاؤله

وفي هذه القصيدة لا يسلك الشاعر طريقاً خطايا يملأها يسلكه غيره من الشعراء ، ولا يدعو في إضجار إلى الخير دعوة الواعظين والأخلاقيين . ولكنه يكتب بعرض الصورتين ، صورتى المرأتين ، الخيرة الفقيرة التي لم يدر بموتها أحد :-

رحلت لم يدر بها أحد

من يدرى موت الفقراء  
في الفجر انتظرت يقظتها  
كالعادة بعض الأشياء  
القطة وصغار طيور  
كانت تأتيا بغذاء  
فبكاه الطير بزققة  
وبكتها القطة بمواء

وهنا نجد الصورة صادقة مترنة مستمدة من الواقع المثير... أما الصورة الثانية ففيها مغالاة وتضخيم كثير . .

كانت سيدة تخدمها آلاف عبيد وإماء ولا يريد الشاعر العبيد والإماء حقاً ، لأن ذلك كان في عصر مضى وانقضى منذ زمن بعيد ، وإنما يريد بهم الفلاحين والفلاحات الذين يعملون في أرضها كالعبيد . . ويستمر الشاعر في تكبير هذه الصورة :-

إن ضحكك فتحت مقبرة

أو ألق سلة أقداء  
ولماذا هذا التكبير والتجسيم ؟ إنما



ثم يصور كيف قابل وفاة أمه بالحزن ،  
وهو طالب صغير ، عاد من أسبوط فلم يجدها :  
ولما رجعت تلبست أمي  
وناديت لكنها لم تجب  
لقد جئت من سفرى مجهدا

وودعت دنياى بين الكتب  
ولما سئمت وبج النداء

عدوت لأبحث في كل درب  
وأبحث في الغرف الخاويات

ملاعها ها هنا لم تغب  
ثم يستمر في شعره الحزين إلى أن يقول :  
ولما انتبهت وقتحت عيني

رأيت المهوم على منكبي  
وأبصرت نفسى كطير غريب

يخاف من الطير ذى الخلب  
وأعرض عنى كل الحبين

أعرض عنى حق أبى  
والقصيدة دقيقة حية من شعور ، وفيض  
من قلب ذكى ، وفن ثرى .

وفي قصيدته «جنة الحب» يصور والده  
وحنانه الذى كان له وحده ، ثم كيف تزوج  
وأفرغت زوج الأب في جنة طفله حقدًا ،  
ويصفها بالتنين :

سنوات مرت كشوان  
وإذا بالجنة مسودة

وابتسامته للحياة ، وكذلك نراه في قصيدته  
« الشمس والعاصفة » التى نظمها من أسطورة  
يابانية وصور فيها الشمس وهى تنطلق من  
إسارها ، من الغيوم وآثار العواصف  
والأعاصير ، فتملأ الوجود حياة وروحا  
وأملًا ...

### — ٣ —

ومن ثقة الشاعر بالغن وبالحب ، وتفاؤله  
بالحياة ، نستطيع أن نتعرف إلى قصة حياته ،  
التى صور جوانب منها فى بعض قصائده ...  
فى قصيدته « الوحدة » يتحدث عن شقائه  
وهزلته وموموه و فقره وآماله الجريحة ،  
ويأسه القاتل ، وعن انتصاره على كل هذه  
الأسباب الموغلة فى الهزيمة .

وتتوالى الأحداث على الشاعر ، تموت  
أمه ، فيلتهم الحنان فى قلب أبيه ، ولكن  
الوالد سرعان ما يتزوج فتضيق الحياة أمام  
عينيه ، ويفقد عطف الأب حتى أصبح  
لا يجده ، يقول الشاعر من قصيدته « الطير  
الغريب » :

أبى لا يزال ، ولكن طوى  
طوى ظله . . فاحتوانى الهجير  
وأبى ماتت . . وكنت أنا

أعيش بحلم كبير ، كبير  
وقلت : أبى سيكون أبى  
وأبى وظلى ونبى الغزير

منه وهو وزن راقص ، ومن الوافر ومجزوء  
الكامل ، والسريع .. وفي الديوان قصيدة  
واحدة من البسيط ، عنوانها « إليها » .

وهذا يدل على عناية الشاعر بموسيقاه ،  
وجعل الشعر وسيلة من وسائل الغناء ..  
وكثيراً ما يستعمل لفظة غناء ومشتقاتها في  
شعره ، وفي الديوان قصيدة عنوانها « هكذا  
غنى الفلاح » ، وهى تمثل فرح الفلاح بالإصلاح  
الزراعى وبأرضه الصغيرة التى أعطيت له ،  
وقصيدة أخرى عنوانها « أغنية عمل » .

الثانى : كثرة الصورة فى شعره ، يقول  
مثلاً فى قصيدته « إفريقيا » التى يتحدث عن  
وثبتها وتحورها :

إفريقيا تنهض واقفة

من رد إلى الميت صوابه  
وقفت والريح مزججة ..

فازدادت فى الريح صلابه  
بركان يتدفق ، نار

أمواج تهدر ، صخابه  
سيل يتحدر ، أموات

تبعث ، تتحرك غابة  
ومثل ذلك كثير فى شعره .

الثالث : بعده عن التقرير والخطابية فى شعره  
ومن ثم نجده يتناول موضوعات قصائده من  
طريق غير مباشر .. يريد أن يتحدث إلى  
الناس ليحبوا الخير ، فيتحدث إليهم عن

لقتها نار ، تنين  
قد أفرغ فى الجنة حقدته  
كالفرخ الأزغب مرثاء

فى العش وقد أصبح وحده  
قد صرت ، فإحساس يقيم  
إحساسى بالغربة بعده

وفى قصيدته « ثم افترقنا » يرثى أباه ،  
يذكر كيف نسيه بعد وفاة أمه ، ثم كيف  
تركة وافترقا ، ثم يقول :

قد مات وأصبح جثماناً  
سيموارى بتراب اللحد

فشمرت ببركان الذكرى  
يتمدد وحشا فى قيد

وهذه الموم والاحزان والحياة  
المسكودة هى التى صاغت الشاعر ومواهبه وفنه  
أدق صياغة ، ودعته إلى أن ينظم كل ما يشعر  
به شعوراً صادقا ، وشعراً مؤثراً أخذاً .

— ع —

ولندع حياة الشاعر إلى فنه وشعره ، الذى  
يتميز بخصائص عدة :

الأولى : حلاوة موسيقى الشاعر ، وقصائد  
الديوان كلها ملتزم فيها الوزن الشعرى  
والقافية ، وإن تعددت القافية للقصيدة  
الواحدة فى كثير من شعره .. والبحور التى  
نظم منها الشاعر هى البحور القصار غالباً ، فقد  
نظم من الرجز والخفيف والمتدارك الذى أكثر

وفي قصيدته «إنسان بلا أسطورة» يقول  
على لسان فتاة تتحدث عن غنى أحبها :

حماقتي ، فأرتبى بمحضنه أقرر  
وكلمة « حماقتي » هنا جاءت في غير مكانها ،  
فهى تتحدث عن حب الغنى لها ولا تتحدث  
بلسانه . وإذا قلنا إن الذكر الباطنية قد  
قفزت بكلمة الغنى « حماقتي » وهو يكررها  
على سمعها ، فذكرتها على لسانها ، لتصور  
ما كان يخاطبها به من كلمات حب ، فإن ذلك  
يكون غموضا لا يغفر للشاعر .

ومع ذلك كله فإن بساطة الشاعر في أسلوبه  
جعلته سهلا على الأذن ، خفيفا على القلب ،  
قريبا من الفهم . . ولا يناقض ذلك رمزية  
الشاعر في بعض صوره ، فإن مرد ذلك إلى  
المعاني لا إلى الأسلوب .

وبعد فديوان « في العاصفة » نغمة حلوة  
فيها صدق وصراحة وقوة طبع وسلامة  
ذوق ، وهى تدل على اكتتال الملكة  
عند الشاعر ، بما يصاحبها من طاقات  
فنية متميزة .

وأحب لشعراء اليوم أن يقرأوا هذا  
الديوان ويتفهموا منهج الشاعر فيه ،  
ويحكموا عليه أولا ، فقد يكون في ذلك  
ما يفيدهم من حيث لا يشعرون .

محمد عبد المنعم فهايمى

أمرأتين ماتتا في ليلة واحدة ، ويترك للذهن  
عملية الموازنة واستخلاص الحكم وأسبابه .  
ويريد أن يقول إن الربيع جاء بعد أن عاث  
في حياته الخريف ، فلا يذكر ذلك مباشرة  
بل يقول لحبيته : عودى إلى فقد جاءنى  
الربيع وذهب الخريف ، وكأن ذلك غير  
مقصود من القصيدة . وهكذا .

الرابع : حب الشاعر للتكرار تأكيذاً  
لمعانيه ، ومن مثل ذلك قوله :

وتسمع في البعد ضجة عرس كبير كبير  
وأى ماتت وكنت أنا أعيش بحلم كبير كبير -  
قد مال نحوى هامسا ، ورمى بشئى لى ، بشئى -  
مازلت أملك كل شئى ، أى شئى ، أى شئى .  
ويشير هذا التكرار إلى محاولة الشاعر  
إدراك أحماق نفسه وتصوير كل ما في جوانحه  
من عواطف ومشاعر وأخيلة ومعان .

الخامس : بساطة الأسلوب والتعبير ،  
وإن كانت هذه البساطة قد تقوده إلى العامة  
حيناً ، كما في كلمة « المترهبين » وصحتها  
« المترهبين » وقد تقوده إلى استعمال كلمات  
لم تستعمل كقوله في فتاة صغيرة :

رحماتة رفت على موكبى .  
وإلى التجوز النحوى حيناً كقوله :  
أم الأهل فى الأحد لاقوا الحماما .  
بضم القاف للوزن ، وكان الواجب فتحها  
ولكن لو فتحت لانكسر الشعر .

# انبثاء وآراء

جائزة الدولة التقديرية:

د. ستاد الزيات

الفن ، فقد اجتمعت في الدستور المعجز روعة  
النظام مع روعة النظم ، وجلال المعنى مع  
جمال البيان ...

وأحاسب الفنان المرحف تلتقط احتياجات  
مجتمعة في سرعة واستيعاب ، وأجهزته الفنية  
تعالجها وتبرزها ألوانا شتى ... وهو في هذا  
كله يحقق ذاته كما يخدم مجتمعه في بساطة  
ويسر ، ودون تمزيق أو تقطيع .

لأننا نحى هذا الرائد السباق ، ونحى آثار  
مدرسته على كيانتنا وثقافتنا ... فقد استهل  
الطريق الشاق في وقت تتكسر فيه الألسنة  
بالرطانة ، وتزيع فيه القلوب بالإلحاد ،  
وتتداعى الأمة بالتفيع والخذلان !

ويحى على المجتمع العربى الذى شب عن  
الطوق ، فاضطر الاستعمار إلى الجلاء ، وبرزت  
شخصيته القومية والروحية والفكرية — يحى  
عليه بحكم شريعته فى العدل ومحاياء فى الفضل  
أن يثمد على الأديب الكبير ... الذى ارتاد  
الطريق ، فى أصالة وشجاعة ، وثبات وإيمان؟

فسمى عثمان

يطيب لكاتب هذه السطور أن يحى  
صاحب « الرسالة » ، بتقدير الدولة ، بعد أن  
انعقد على جبينه تقدير الجماهير طوال السنين .  
زادها الله طولا ، وزاد فى عمر صاحبها بركة  
وفى جهوده توفيقا .

لقد كان الزيات خير رائد لمدرسة تحمل  
عنوان « الرسالة » ... فلا يقوى على أعباء  
« الرسالة » ، إلا ذوو الجذ وأولو العزم ، ولقد  
كان الزيات جادا فى تكوينه لنفسه ، جادا  
فى كفاحه ، جادا فى أدبه ، يحترم عقول قرائه ،  
ويمحص الفكرة كما يتخير اللفظ والأسلوب .

وصاحب « الرسالة » كاتب هادف قبل أن  
يشغق المشغقون : هل الفن للفن أو الفن  
للحياة ، وهو مؤمن فنان ، يعرف أن الغيرة  
والحماس لا يغنيان عن الجلال : جمال الفكرة  
وجمال العبارة على حد سواء .

إن تلاميذ مدرسة « القرآن » قد عرفوا من  
زمن كيف يعبر عن مطالب الحياة بروائع

## هيم العلم :

شهدت القاهرة في اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر ، والثامن عشر من شهر رجب حفلها السنوى الكبير في تكريم العلماء والناخبين في مختلف ألوان العلوم والفنون والآداب ، ووقف السيد / الأستاذ أحمد حسن الزيات فألقى أمام السيد / الرئيس جمال عبد الناصر كلمة شكر باسم جميع الفائزين بالجوائز التقديرية والتشجيعية ، وضمنها الإشارة إلى ما اتسم به هذا العهد من نهوض في جميع مرافق الحياة وظهور الشعب بمظهره القيادى الاشتراكي فيه . وكان من أبلغ ما رد به الرئيس على ذلك وعلى تحيات الحاضرين أن أعلن أنه هو الآخر ينال جائزة في كل اجتماع تقدم فيه الجوائز ، هذه الجائزة هي الاطمئنان على مستقبل الجمهورية العربية المتحدة والأمة العربية بصفة عامة . ويرى القراء في غير هذا المكان كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات .

## فرعون موسى :

السيد الأستاذ ورئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء السلام عليكم وبعد : فقد جاء في أهرام الجمعة ١٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٢ م في ص ٦ باب حقائق أن فرعون مصر الذى طرد بنى

إسرائيل من بلاده لم يعرف وإن كان الاعتقاد السائد أنه رمسيس الثانى . .

ولا خلاف في أن فرعون مصر هو رمسيس الثانى المشتهر باسم منفتاح وهو ابن رمسيس الثانى وخليفته . ويوجد في دار الآثار المصرية لوح كبير من الحجر الأسود عليه قصة خروج بنى إسرائيل في عهد رمسيس الثانى . والذى جعل الأستاذ برستد وهو من أعظم العلماء في تاريخ مصر القديم يتشكك في اسم فرعون موسى أن جثته وجدت ، وقد قال في تاريخه إن وجود جثة رمسيس الثانى يجعلنا نتشكك في المعلومات التى تقول إنه فرعون موسى لأن فرعون موسى غرق في البحر الأحمر بنص التوراة . . هذا ما قاله برستد . وأقول إن القرآن الكريم نص على إخراج جثة فرعون ليكون آية لمن خلفه . فوجود جثة رمسيس الثانى يؤيد لقرآن الكريم إذا أضيف إليه النص التاريخى الهيروغليفى الذى في دار الآثار أصبح الشك في حقيقة فرعون موسى أمراً لا اعتبار له .

وبما يلاحظ أن جثة هذا الفرعون هي الوحيدة التى انفردت بين جثث الفراعنة المحفوظة في دار الآثار بأها تكسو بعض أجزائها طبقة من الملح . ومن العجيب أن أحد المؤرخين المعاصرين قال : إن وجود هذه الطبقة الملحية يدل على أن رمسيس الثانى كان مصاباً بالأملح التى تسبب بعض الأمراض ومنها

المنحدرة يستغل هذه الطاقة الاستغلال السيئ، فيملأ فراغ المراهق بالأفكار الملوثة ويسكب في غريزته الظالمية ما يزيد للانحراف ظمناً، ويوجه طاقته أسوأ توجيه ونحن - كأباء محافظين، إذا تحدثنا بين أسرتنا - نحرص على أن نترك من الحديث ما لا يصح أن يطرق أسماع أبنائنا وبناتنا، ونلقى على الآباء والأمهات، والمربين والمريبات، تبعة كبرى، في توجيه الجيل الناشئ. التوجيه الصحيح، وإحاطته بإطار قوى نفيس من الرعاية، يصون صورته وجوهه من القشوي، والتثوث، والتمزق فما بالناس نبيح كل حديث، ونذع من شاء يكتب ما شاء لمن يشاء، وينفث في وعى الناشئين والناشئات سموماً من القصة المبتذلة المتبرجة!

أليس من واجبنا أن نمنع الفساد والانحلال؟ ومن حق النشء على الدولة أن تحميه، وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي.

إن المداد الذي يسود به الكاتب الكتب والصحف إنما هو دواء شاف، أو سم زعاف، وإن السم الذي يدسه بعض محترفي الأدب فيما يسمى القصص الواقعي هو - كما قلت - أشد السموم خطراً وقتكاً.

وتاجر القصة المنحدرة مثله كمثل بائع

الرومازم - ولست أدري لماذا لم يفتن هذا المؤرخ إلى أن وجود هذه الأملاح نشأ عن أن جثة فرعون التي تشبعت بماء البحر المالح ثم بعد العثور عليها وضعف في مواد التحنيط وأهمها النطرون - ومعلوم كيميائياً أن عنصر الصوديوم من مركبات ملح الطعام وهو أيضاً في النطرون - فلما وضعت الجثة المشبعة بماء يملح الطعام في النطرون ( وكلاهما قلوئى ) - طرد أحدهما الآخر فظهر على الجثة فانفردت بهذه الظاهرة دون باقى جثث الفراعنة .

وهذا شاهد مادي على صدق القرآن الكريم يدحض آراء الذين يتشككون في القرآن الكريم وفي وجود الله سبحانه وتعالى من شيوخين وملاحدة .

### عبد السموم النصارى

دسونس - بحيرة

المهمرات ممنوعة والقصص الفائرة مباحة :

الحشيش والأفيون ممنوعان بحكم القانون، ومنعهما يقلل من ضررهما، ويحد من تفاقم خطرهما، وإذا كان الاتجار بهما أو بأحدهما يؤدي إلى السجن، وتناولهما أو أحدهما يؤدي إليه أيضاً، وكثيراً ما يؤدي إلى الموت؛ فإن القصة المنحدرة قتل معنوي للشباب، وهدم للجتمع الذي نعمل لبنائه. والشباب طاقة مستعدة لأي نشاط: صالح، أو غير صالح، وصاحب القصة

وتستسهله ، وتمضى فيه ، ولاسيما إذا وجدت  
تغاضيا وتهاونا ، بل تشجيعا ورعاية ،  
على عكس البانية التي تتجه دائما نحو الصعود ،  
وتجدد في الصعود لذة ، وإن كان شاقا ،  
والمشقة حلوة من أجل المجد ، وإعلاء البناء .

ومن صميم الواقع قصص : مجنون ليلي ،  
وعنتر بن شداد ، وغالد بن الوليد وغيرها  
وكم في الواقع من مثل عليا فالهم لا يطلقون  
كلمة الواقع إلا على الانحدار ، وما لم  
يدافعون عنه بأنه الشيء الذي لا يمكن  
تجاهله ، أو التخلص منه .

إن في الرجال من صنعوا المجد ، وأنوا  
من الواقع ما كان أحلاما ، وحققوا من  
الآماني ما كان في حكم المحال .

وإن في النساء من بلغن مكانا رفيعا من  
التضحية ، والرضا بالحرمان في ظل الحب  
النظيف ، بل منهن المحاربات اللاتي شاركن  
الأبطال في ميادين القتال .

إن العزم والقوة والإقدام في الرجل  
العربي صفات جدية بأن يكون مادة فنية  
للقصة الرفيعة التي توجه بها إلى المجد وإلى القوة .  
وإن الحياء والخفر والصبر والتضحية  
صفات متوافرة في المرأة العربية ، توافرا  
أكثر مما عندها من الصفات المضادة ، فلماذا  
لا نعرض صورا من الواقع في مثله العليا .

هامربر

الحلوى المتجول ، الذي لا يحصل على الربح  
إلا من أيدي ضحايا أبرياء ، في الحارات  
والأزقة ، لا يفتحون عيونهم ليروا الأتربة  
والذباب ، عند ما يفتحون أفواههم لالتهام  
الحلوى المكشوفة الملوثة .

وتاجر القصة المنحدرة يغافل القانون ،  
وهو واثق بأنه لن يعجز عن إثارة قارئه  
السطحي ، والانحدار به ، متملقا غريزته  
تملقا مكشوبا ، لأنه لا يملك وسيلة يستميله  
ويجذبه بها سوى تلك الوسيلة ؛ وغايته أن  
يضعف الجنسان أمام الغريزة الهائجة ، وأن  
تهون في تقديرهما كل القيم .

إن الخشيش والافيون يقتلان البشر ،  
ولكن تشديد العقوبة على تناولهما ، والاتجار  
بهما يقلل من ضررهما ، ويبقى الناس شرهما ،  
وأما السلاح الذي يدمر ويفتك ، ولا يرد  
خطره ، لأننا لا نحرمه ، فهو تلك السموم  
التي تدخل بيوتنا في قصص وروايات ،  
فيقرأها أبناءنا وبناتنا على أنها أدب ، وتدخل  
السينما صورا متبرجة عارية ، فيشاهدها أبناءنا  
وبناتنا على أنها ترفيه وتسلية ، وهي الوباء الذي  
تصعب الوقاية منه ، والذي يسحق قوانا المعنوية  
سحقا ، ويهدم كيانتنا من حيث لا ندري .

وقد يقول المحترف الهابط ، أو من يدافع  
عنه : هذا هو الأدب الواقعي ، وأقول  
إن الطاقة الهادمة تتجه إلى الانحطاط ،

مع بعير:

إن المراقب لما نشره صحافتنا خلال السنوات القليلة الماضية يلحظ زيادة مطردة في نشر الأدب الخليع، والأخبار المشيرة للفرار البهيمية، والصور شبه العارية، الجارحة للشعور السليم واللفظة السليمة. ويشترك في هذا صفحنا ومجلاتنا بدون استثناء وإن كان هناك اختلاف في الدرجة فإذا ترى الصحافة من وراء ذلك؟ وماذا يريد الصحفيون بمثل هذه التفاهات التي لا تربي نشأ ولا تصلح جيلاً؟ وفي الواقع إذا نظرنا إلى الصحافة الغربية التي تعتبر بالنسبة لأمثال هؤلاء الصحفيين بمثابة مصدر الإلهام، وجدناها تختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي تسير عليه صحافتنا. فإنه مع التسليم بأن هناك صحفاً ومجلات متخصصة في نشر مثل هذا الأدب وأشد منه إلا أن الصحف والمجلات المعتادة لا تتدهور إلى هذا المستوى حتى لا تؤذي بصر القارئ العادي ولا تدفعه من طرف خفي نحو الرزيلة. ومن هذا نستشف أن التليذ قد فاق أستاذاه ولكن في الطريق السقيم ذي العواقب الوخيمة. ومن المسلم به أننا لو كنا نقبض أحكام ديننا الحنيف لكننا نرى مثل هذه الأشياء، وما كان هناك حاجة لكتابة هذه السطور. ولكن مثل هذا الأدب الماجن ترفضه كل

نفس إنسانية تبغى رقي الإنسانية والإنسان. وبأباه كل خلق قويم. ولما كنا بصدد مرحلة تكوين نشأ جديد وشباب قوى لكي يحمل أعباء المستقبل فإن مثل هذه الصحافة لا يمكن أن تؤدي إلا إلى هدم ما يبني وإفساد كل ما ينشأ.

محمد سلطان أبو هلى

جامعة هارفارد

«المجلة» نشرنا هذه الرسالة لأنها تحمل إلينا من بعيد عاطفة قلب مسلم يحرص على مصلحة إخوانه ومواطنيه.

ويعيننا أن الصحافة وقد آلت بالتأميم إلى يد الأمة المؤمنة المتديفة ستنتج الاتجاه الذي يرضى عنه الكاتب وترضى عنه الأمة.

سافر إلى بيروت عبر البحر:

تحت هذا العنوان قرأت كلمة الأستاذ علي برهان خلص منها إلى جواز كلمة «عبر» مضافة إلى شيء آخر كالبحر مثلاً. كما يكتبه كثير من رجال العصر نثرًا وشعرًا. محتجا على صحة هذا الاستعمال بقول الشاعر سواد بن قارب في وصف ناقته:

فشمرت عن ساق الإزار ووسطت

في الذعبل الوجناء «عبر السباب» وأقول للأستاذ الفاضل: إن «عبر» هنا ليست مما نحن فيه، وإنما هي وصف



وفضيلته من كتاب المجلة ومن همداً إحدى كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن بد من نشر المقال وإلقاء تبعة كلامه عليه دون غيره . .

ومعنى هذا الكلام كما فهمت شخصياً أن المدنى ينشر مقالاته باعتباره عييداً لسلكية الشريعة لحسب ١١ وذلك خطأ واضح لأن الأستاذ المدنى كاتب إسلامى مرموق تحتل مقالاته كبريات الصحف العلمية والأدبية قبل أن يلى المهادة بأكثر من ثلاثين عاماً ؛ ١ ومجلة الأزهر ومن قبلها مجلة الرسالة لم تكن لتجمل من المنصب الرسمى سبيلاً للفنر والديوع ، ولا ندرى كيف تورط الأستاذ عبد الرحيم فودة فى ذلك ، وهو بمن يعرفون أقدار الناس . إن للأستاذ فودة أن ينقد الرأى ، ولكن ليس أن يقول ما ينكره العيان .

( أبو حسام )

التعليق :

ليست مكانة فضيلة الأستاذ المدنى موضع الخلاف فيما كتبت وإنما الخلاف فى نسبة المثالية إلى قول الله ، وقه المثل الأعلى . .

عبد الرحيم فودة

للناقة ؛ جاء فى القاموس وغيره : ناقة عبر أسفار - مثلثة العين - أى قوية تشق ما مرت به ، وكذلك يوصف بها الرجل والجماعة ؛ تقول : رجل عبر أسفار ، ورجال عبر أسفار ، ومعنى البيت : ناقة قوية على شق الصحارى : وأما عبر ، المقصودة فهى بفتح العين وكسرهما - والكسر أفصح - ومعناها شاطئ الوادى وناحيته ، تقول مثلاً عبرت الوادى أو الأنهر : قطعته من عبره إلى عبره ، يقول المتنبي فى مدح سيف الدولة

فأبصرت بدرا لا يرى البدر مثله

وغاطبت بحرا لا يرى العبر عائمة

أى من عام فيه لا يرى شاطئه ، وإذن يكون معنى قولهم : سافر إلى بيروت عبر البحر ، يساوى قولهم : سافر إلى بيروت شاطئ البحر ، والخطأ فيه بين مالم يحمل على وجه ولست أرى له وجهها .

على الجندى

المطابقة :

جاء بالعدد الأخير من مجلة الأزهر تحت هذا العنوان ما يلى :

« يرى القراء فى هذا العدد مقالا عن المثالية فى نظر الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد المدنى ،

# فِنْ اَصَابِيْرَ الْجَنِيْزِ الْفِتْوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بِسْرَفِ عَلَيْهِ :

السؤال :

أنا مصرية مسلمة أعيش في أمريكا ، ولا يوجد حولي من يرشدني إلى حل لمشكلة دينية اعترت والدي ، وألخصها في الآتي :

في سنة ١٩٣١ تزوج أبي من سيدة فرنسية ، بعد أن أسلمت وكانت مسيحية ، وقد حسن إسلامها ؛ فأدت الصلوات ، وصامت رمضان ، ورزقهما الله بابنة عمرها الآن ثمانى سنوات . وقد حدث بعد هذه المدة أن اختلف والدي مع زوجته ، خلف يمين طلاق وكرره ثلاث

مرات في وقت واحد . وبعد أن هدأت ثورته أفهمها أنها لا تجوز له إلا إذا تزوجت من شخص آخر ؛ فرفضت أن تزوج من آخر ثم تعود لوالدي ، فتخالطنا غالطة الأزواج مرة ثانية ، وتناسيا موضوع الطلاق ، ولكن دهمت والدي الوسواس من جراء هذا الأمر ؛ فذهب إلى القنصل المصرى وشرح له الموقف ؛ فقام القنصل

بكتابة خطاب يخبرها فيه بطلاقها من والدي ؛ فانفصلا على أثر ذلك بضعة شهور . ولكن عاودهما الحنين واكتشفا أنهما لا يستطيعان الفراق ؛ فتزوجا على الطريقة الأوربية ، وأتت زوجة أبي في ظل هذا الزواج بطفل ، واتبأت أبي بعد ذلك حالة من تأنيب الضمير ، وصادف أن أدركته بعض الحسائر في عمله فعزا ذلك إلى غضب الله عليه لما صدر منه ، ولهذا يريد البعد عنها ولا يدري ماذا يفعل ، وشفقة بحاله رأيت الكتابة إليكم والاستفسار .

س - ح بأمريكا

[ تاديع ورود الخطاب ٨ أكتوبر ١٩٤٨ ]

الجواب

اطلعت اللجنة على كتاب س - ح المرسل من أمريكا إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، والمحول إليها من فضيلته ونفيده ؛ بأنه قد ذهب بعض الصحابة وكثير من التابعين إلى أنه لا يقع

وظاهر أنه لم ينشئ طلاقاً جديداً أمام السيد  
القنصل ، غير الذى وقع أولاً على أنه  
لو فرض أنه أنشأ طلاقاً آخر أمام السيد  
القنصل كان له أن يراجعها ؛ لأن له عليها طلاقه  
ثالثة ، ولا تأثير للخطاب الذى أرسل إليها  
من القنصلية فى شيء من هذه الأحكام .

### المسائل

١ — المفارسة جارية بين الناس على ما فى  
مذهب السادة المالكية من جميع الوجوه غير  
أنه حدث فى هذا الزمان شجر الخروع الذى  
فى الغالب ما ينبت من غير قصد، ولا يذكر فى  
عقد المفارسة ، فهل يعطى منه لرب الأرض  
ما يعطى له من الأشجار التى يطول مكثها فى  
الأرض أم لا ؟ مع أن عقد المفارسة فى  
الزيتون أو النخيل وإذا غرس الخروع  
فإنما يفرس لوقاية الأرض من الرمل أو  
الرياح . مكثه فى الأرض لا يتجاوز ستة  
أعوام تقريباً فما حكمه ؟ .

٢ — يحدث أن يموت أبو المرأة فلا تطلب  
ميراثها حتى إذا ماتت قام بنوها بطلبه فيمنعون  
منه بحجة أن حيازة ميراث الأم تجاوزت  
الخمس سنة فهل يسقط الميراث لمدة الحوز  
المذكور أم لا ؟ وهل مدة الحوز التى يسقط  
بها الميراث متفق عليها فى المذهب أم لا ؟ .

صالح قساج صبراته - طرابلس

هذه الصيغة وإن تكررت فى وقت واحد  
إلا طلقه واحدة رجعية ، وقد أفق بهذا  
بعض مشايخ قرطبة واختاره غير واحد  
من مشايخ الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية ،  
وقال الشوكانى فى نيل الأوطار : إنه الحق ؛  
استدللاً بما ذكره من الأحاديث ، وهذا  
الرأى يتفق مع حكمة مشروعية تفريق  
الطلاق ثلاث مرات ؛ لأن الله سبحانه وتعالى  
لم يشرع تفريقه الا ليتدارك المطلق الأمر  
بعد الطلاق الأولى أو الثانية ، ويتدبر .  
فإذا تبين له أن المصلحة فى الطلاق سرح  
الزوجة بإحسان ، وإن تبين له أن الخير  
فى بقاء الزوجة أمسكها بالرجعة ، وهذه  
الحكمة لا تتحقق فى إيقاع الطلاق ثلاثاً بلفظ  
واحد . ولا بتكرره ثلاثاً فى مجلس واحد  
وقد جرى القضاء من قبل سنة ١٩٣٠  
على أن الطلاق المقترن بعدد الثلاث يقع  
واحدة بعد أن كان العمل من قبل على وقوعه  
ثلاثاً ؛ وبما ذكرنا يقين أنه لم يقع على والد  
السائلة إلا طلقه واحدة رجعية ، وبما أنه  
قد اتصل بزوجه قبل أن تنقضى عدتها  
كما هو الظاهر من السؤال فقد حصلت  
المراجعة بهذا الاتصال ؛ لأن الرجعة تحصل  
شرعاً بالقول : كأن يقول الرجل لزوجه :  
( راجعتك أو رددتك لعصق ) ، وتحصل  
أيضاً بالفعل ولو بمقدماته كاللس بشهوة .

## الجواب :

نجيب عن الاول بأن شجر الخروع الذى وجد فى الأرض التى وقع العقد على غرس نوع من الشجر فيها ( النخل والزيتون ) .

هذا الشجر إن كان بالأرض قبل عقد المغارسة فهو لرب الأرض خاصة ، وإن وجد بعد عقد المغارسة فهو مشترك بين رب الأرض والعامل على حسب شرطهما من مناصفة أو مثالثة أو غيرهما ، سواء أنبته العامل أو نبت بنفسه .

وعن الثانى بأنه إذا كانت العادة جارية بأن المرأة لا تطلب من إختوتها ميراثها من أبيها خوفاً منهم أن يقطعوها أو لا ينصروها إذا وقع الخلاف بينها وبين زوجها كما هو المعروف فى بعض الجهات فسكوتها المدة الطويلة عن المطالبة مع حوز إختوتها لمقدار ميراثها لا يسقط حقها منها طال مدة السكوت والحيازة ، ولورثتها من بعد وفاتها أن يطالبوا بهذا الحق .

## السؤال :

هل هناك ما يمنع من تفسير القرآن تفسيراً جديداً يشتمل على أحدث العلوم والنظريات ويخلو من الإسرائيليات ... إلخ

محمود رحباني - بيروت

## الجواب :

تفسير القرآن الكريم تفسيراً يشتمل على أحدث النظريات والعلوم يؤدى إلى حمل النص القرآنى على ما لم يقصد منه أولاً وبالدات . والقرآن لم تقف نصوصه العلية العامة عند حد معين ، بل هو لا يتعارض مع الواقع الذى يأتى به العلم ويأبته من نظريات ومعلومات تتفق مع عقيدة الإيمان وأحكام الدين الثابتة ، ويشهد لذلك ما بدا فى المجال العلى حديثاً من اكتشافات لم تكن قد ظهرت للناس من قبل .

وأما ما نوه عنه السائل من وجود قصص لإسرائيلية فى تفسير بعض الآيات ، فذلك صحيح إلى حد ما ، غير أن الوهى العلى الدينى لم يترك هذا بل قد بينه أتم بيان على يد المحققين من متقدمين ومتأخرين .

## السؤال :

تقدم السيد / عبد العزيز البليدى الخطاط بتميش قناطر الدلتا بطلب للوزارة أشار فيه إلى أنه قد قرب على الانتهاء من كتابة المصحف بطريقة مبسطة تعطى للقارى نطقاً صحيحاً للكلمة وهى طريقة الإملاء الحديثة ويقترح كتابة المصحف بهذه الطريقة ويلتمس النظر فى الموافقة على تداوله ونشره بهذه الصورة ليستفيد منه الجمهور .

مصاحف عثمان التي كتبت في عهده على حسب ما نزل به جبريل من عند الله وأقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه .

ورسمه كتاب الوحي حين نزوله ، ثم أمر عثمان بتوزيع تلك المصاحف على الأمصار وتحريق ما سواها بما كان مكتوباً عند بعض المسلمين صيانة لوحدة الأمة ومحافظة على سلامتها من التفسك والضعف بسبب الاختلاف في المصاحف .

فإذا نحن الآن أجزنا كتابة المصحف بغير الرسم العثماني فإنما نفتتح باب الفتنة ونكون قد ساعدنا أعداء القرآن على النفوذ إلى قداسته يغيرون ويبدلون حسب ما يريدون وفي ظل قواعد الإملاء الحديثة .

هذا — ولسنا مهما بلغت فينا الغيرة على كتاب الله والحرص على تيسيره وحفظه بأكثر في ذلك من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقد أقرأوا مصاحف عثمان ، وأقرأوا عثمان على أمره بتحريق ما عداها من المصاحف تحقيقاً لوعده الله تعالى المؤكد بحفظه في قوله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإن محاولة التغيير فيما أجمع عليه الصحابة تعتبر تشكيكاً فيما أنبتوه من علم وقصد وحيطة في جانب القرآن الكريم ، وذلك أمر خطير يجر علينا وبالاعظيا لانستطيع رده إذ هو ماس بأصل الدين ومصدر التشريع الإسلامي

وقد رؤى الرجوع إلى الأزهر في ذلك للاختصاص ، فارجو إبداء الرأي .  
وكيل وزارة الأوقاف المساعد

### الجواب :

كان القرآن يكتب عقب نزوله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبأملائه على كتاب الوحي ، ثم جمع في المصحف على عهد أبي بكر ثم في المصاحف على عهد عثمان ولم تكتب المصاحف في عهد عثمان لتقرأ برواية واحدة وإنما كتبت لتقرأ بمختلف الروايات المشهورة ، والرسم الذي يتحمل ذلك إنما هو الرسم العثماني في جميعها .

وقد اختصر القرآن بكلمات يتلفظ بها لا على نظام كلام الناس ، من ذلك أوائل السور - ألم - كهيعص - حم - هق . . إلخ . كذلك اختصر بكلمات ترسم لا على نظام رسم كلام الناس : من ذلك زيادة الواو في : سأوريكم آياتي - والياء بأييد - والآلف في لا أذبحنه - وكتابة الصلوة - والزكاة - والربو - بالواو مع نقطتها بالآلف ، وكذلك كتابة « والضحي ، وبيحي ، بالياء مع أن أصلهما الواو كالصلوة والزكاة ، وفتح تاء التأنيث في مواضع مع ربطها في أخرى إلى غير ذلك مما هو كثير في القرآن وتكفلت ببيانها كتب الرسم الخاصة بالمصحف .

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على

ولا ينهض مبرراً للتغيير في الحروف بالزيادة أو النقص أو التغيير في الرسم .  
فالمسلمون من لندن الصحابة والتابعين إلى اليوم على الإبقاء على هذه الحروف كما وردت جيلاً عن جيل وطبقة عن طبقة على نحو ما قررنا .  
وخلاصة ما سلف أن الخروج على ما توارثناه في شأن المصحف خروج على ما أجمعت عليه الأمة في أمر كتابها ( القرآن الكريم ) وهو غير جائز .

### السؤال :

- ١ - هل يجوز ذبح الحيوان أو الطير في أى مكان من جسمه متى أدى ذلك إلى سيلان دمه .
- ٢ - هل يجوز في الذبح استعمال الآلات الحديثة كلما كينات أو غيرها من الوسائل المستعملة في بعض الجهات .

الدكتور فضل الرحمن

رئيس المعهد المركزى للأبحاث الإسلامية  
بالباكستان

### الجواب :

نقيد عن الأول : بأن الذبح الشرعى مكاناً معيناً من الحيوان أو الطير لا يجوز تعديده إلى أى مكان آخر ، وإن سال الدم من ذلك المكان . الآخر ذلك المكان المعين للذبح شرعاً هو الحلق واللبة - الوهدة - وهى ما بين الصدر والعنق ، لإجماع الأمة على ذلك ، ولما روى

الذى هو القرآن وذلك مالا يستسيغه مسلم على الإطلاق .

فالواجب على المسلمين إزاء ذلك أن يحافظوا على المصحف الإمام - مصحف عثمان - فلا يخالفوا رسمه بتغيير شيء من حروفه متابعة للصحابة رضوان الله عليهم في سد باب الفتنة أن تنفث سمومها في صفوف المسلمين بسبب ذلك .

وإن تذر بعض العلماء لدفع الحيرة من القارىء كأن يهدف إلى محاولة الاستغناء عن الموقف - المعلم - بمجرد القراءة في المصحف .

فالقرآن شأنه خطير لا بد فيه من الموقف - المعلم - ثقة عن ثقة يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتصل السند الذى هو من خصوصيات هذه الأمة وليستطيع القارىء أن يعطى الحروف حقها من الإظهار والإدغام والإخفاء ونحو ذلك من الأحكام المبينة في علم التجويد .

وحيث كان لا بد من الموقف سواء أكتب المصحف بخط الإملاء الحديث - على فرض ذلك أم بخط المصحف الإمام ، فالإبقاء على الرسم العثمانى أخرى وأولى أن يتمسك به .

وإن تعلق شخص بما حدث في المصحف من نقط وشكل وتشير وتخميس وغير ذلك فإن هذا ليس تغييراً في رسم المصحف ،

بعشرين درهما ، فأخذ ابن عمر عشر هذا البعير بدرهمين ، فدل على أن ذبح غير المقدور عليه يحصل بعقره في أى مكان في جسمه .

ونفد عن الثانى - بأنه لا مانع شرعا من استعمال الآلات الحديثة في الذبح من الماكينات وغيرها متى كانت محددة مسيلة للدم كالسكين ونحوه ، ولم يكن لإزهاق الروح بها بخنق أو نحوه واستعملها من تحمل ذبيحته من مسلم أو كتابي؛ لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وما أنهر - أسال - الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر . فكل محدد أسال الدم من مسكين أو حبر أو خشب أو ليطه - قشرة القصب - داخل في موم الحديث بل إذا كانت الآلات الحديثة أحد وأسرع في الذبح كانت أولى بالاستعمال لأنه من باب الإحسان والرفق بالحيوان قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتله ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . وقوله في الحديث ، وذكر اسم الله عليه ، محمول على الندب عند الشافعية وليس شرطا إجماعيا في حل الذبيحة ، بل المراد ألا يذكر اسم غير الله تعالى فإن ذكر عليه غير الله تعالى كان حراما لقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » .

عن قوله صلى الله عليه وسلم « الذكاة في حلق البقرة » ، وأيضا هو بجمع العروق ، فالذبح فيه أيسر على الحيوان وأسهل في خروج روحه وأكثر خرجا للدم ، فيكون أطيب للحم الحيوان ، وهو الغرض المقصود من الذبح . نعم - غير المقدور على ذبحه في ذلك المكان كبعير ند ، أو حيوان سقط في بئر مثلا فيجوز ذبحه بعقره عقرا مزمعا للروح في أى مكان من جسمه ، بحيث يكون من شأن العقر فيه خروج الدم وزهوق الروح بسبب ذلك العقر وحده ، فلا يكفي العقر في نحو الحافر والذيل والقرن ، ولا من كون رأسه في الماء مثلا بحيث لو ترك لمات وذلك لما روى رافع بن خديج قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فند - شرد - بعير وكان في القوم خيل يسيرة فطلبوه فأعيام فأهوى إليه رجل بسهم فبسه الله - قتل - فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما غلبكم منها فاصنعوا به هكذا متفق عليه . ولما جاء أنه حرب - هاج - ثور في بعض دور الأنصار فضر به رجل بالسيف وذكر اسم الله ، فمسل عنه على رضى الله عنه فقال : « ذكاة وحية » - سريعة - وأمرهم بأكله - وجه الدلالة : أنه لم يتجر مكان الذبح ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة وأنه تردى - سقط - بعير في بئر فذكى من قبل شاكلته - خاصرته - فبيع

# بَيْنَ الصُّفِّ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق

عبد الرقيب فوره

هذا القرآن ذلك الكتاب

لو كان هذا القرآن كلام محمد - عليه السلام -  
لكان خليقا بأن يحتفل له كل عربي  
من كل مذهب ودين ، لأنه كان ولا يزال  
الكتاب الذي لا يضاهيه أو يدانيه كتاب  
آخر لعالم أو باحث أو مصلح ؛ ولأن العرب  
راوا على هداه لأول مرة طريقهم إلى القوة  
والعزة والحضارة ، وصاروا بفضلها في فترة  
لا يحسب لها حساب في عمر الأمم أقوى أمة .  
وأعز أمة . وأجود أمة . وأسعد أمة .

بل لو كان هذا القرآن كلام محمد لكان خليقا  
بأن يحتفل له كل إنسان من كل جنس ولون  
ودين ، لأنه كان ولا يزال الكتاب الذي  
لا يضاهيه أو يدانيه كتاب آخر في توحى  
الخير العام للناس جميعا ، وفي إقامة صرح  
الاستقرار والسلام على قواعد العدل والإخاء  
والتعاون على البر والتقوى د يا أيها الذين  
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله  
ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ،

د ولا يجر منكم شأن قوم على أ دلوا  
اعدلوا هو أقرب للتقوى ، د لا يهاكم الله  
عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم  
من دياركم أن تبرؤم وتسخطوا إليهم إن الله  
يحب المقسطين ، د يا أيها الناس إنا خلقناكم  
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل  
لتعارفوا ، د لا إكراه في الدين قد تبين  
الرشد من الغي ، إلى آخر ما تفيض به آيات  
القرآن وعظائمه من معان سامية . وهادى  
عالية . لو أخذ الناس بها أنفسهم واسترشدوا  
بها في سلوكهم . لكان لهم منها نظام يجمعهم  
على السلام والوثام ، والتعاون النام  
على الصالح العام .

لو كان هذا القرآن كلام محمد لكان هذا  
موضعه وموقعه من نفوس الناس جميعا  
فكيف به وهو كلام الله الذي كان ، وما يزال ،  
وسيقظ المعجزة الخالدة للناس جميعا ، والذي  
حملة ونقله إلى الناس جميعا . كيف به وهو الذي  
بقى يتصدى ويتحدى الإنس والجن أن يأوا  
بمثله متظاهرين متآزرين د قل لئن اجتمعت



التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء  
بذبيها . بقي القرآن في حرز حرز إنجازا  
لوعده الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول  
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ،  
ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية  
من التحريف والتبديل وانقطاع السند ،  
حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها  
إلى حفظ الناس . فقال تعالى « والربانيون  
والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله » ،  
أى بما طلب إليهم حفظه ، والسر في هذه  
التفرقة أن سائر الكتب الصاروية جىء بها  
على التوقيت لا التأييد ، وأن هذا القرآن  
جىء به مصدقا لما بين يديه من الكتب  
ومهيئنا عليها فكان جامعا لما فيها من الحقائق  
الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته . وكان  
سادا مسدها ، ولم يكن شئ منها ليسد مسده ،  
ففضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة وإذا  
فضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم  
العليم . .  
د . ع . ف .

من جريدة الشعب

### تتمه

لعله لم يكن يدور بخلد فضيلته رحمه الله  
أن القرآن سيسجل على « أسطوانات »  
« وأشرطة » ، فقد تسر بذلك سبب ثالث  
من أسباب حفظه إنجازا لوعده الله إذ يقول  
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن  
لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . .  
لقد بقي هذا القرآن على ضعف صلة المسلمين  
بمعانيه وبعمامل القوة فيه محفوظا في الصدور  
والسطور . لم ينله تحوير أو تغيير ، وبقيت  
لغته هي اللغة التي امتلأت بها آذان الغابرين  
من آباؤنا العرب ، وكتابته هي الكتابة  
التي امتلأت برسومها أعينهم ، وكان ذلك  
تصديقا لأخباره بالغيب في قوله تعالى  
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ،  
بل كان تطبيقا لتسميته قرآنا وكتابا في قوله  
تعالى « إن هذا القرآن يهدي للهي أقوم » ،  
وقوله « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى  
لللتقين » .

يقول المغفور له فضيلة الدكتور محمد  
عبدالله دواز في كتابه النبأ العظيم : وفي تسميته  
بهذين الاسمين ( قرآن وكتاب ) إشارة  
إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين .  
لا في موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه  
في الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما  
فتذكر إحدهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ  
حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب  
المنقول إلينا جيلا بعد جيل على هيئته التي  
وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة  
كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد  
الصحيح المتواتر ، وبهذه العناية المزدوجة

### حبلى الله :

قال صلى الله عليه وسلم : « القرآن حبلى الله  
المتين ، لا تنقض عجمائه ، ولا يخلق عن كثرة  
الرد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ،  
ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم » .  
من تفسير الكشاف

### كن رجلاً ..

وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه  
ليطحن . لا يعنيه حلو ولا مر  
ولا تتوقع أى جنينك واقع  
إذا انطبقت يوماً حوادثها النكر  
ولكن تلقى الدهر غير مفزع  
بصدرك ولنعم الخطوب كما تعرفو  
الرافعى  
من كتاب المساكين

### المؤمن القوي :

.. علينا إذا أردنا أن نأخذ مكاننا من جديد  
في قيادة الإنسانية أن نعتقد - اعتقاداً حقيقياً  
يظهر أثره في كل ما نقول أو نفعل - ما يراه  
شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال من أن المسلم  
لم يخلق ليندفع مع التيار ، وبساير الركب  
البشرى حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه  
العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية  
اتجاهه ، ويمثل عليها إرادته ، لأنه صاحب  
الرسالة . وصاحب العلم اليقين ، ولأنه المستول

عن العالم وسيره واتجاهه ، فليس مقامه مقام  
التقليد والاتباع ، إن مقامه مقام الإمامة  
والقيادة ، ومقام الإرشاد والتوجيه . ومقام  
الأمرو للنهى ، وإذا تنكر له الزمان . وعصاه  
المجتمع وانحرف عن الجادة . لم يكن له  
أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ويسلم  
الدهر ، بل عليه أن يثور عليه وينازله ،  
ويظل في صراع معه وعراك ، حتى يقضى الله  
في أمره ، إن الخضوع والاستكانة للأحوال  
القاسرة والأوضاع القاهرة . والاعتذار  
بالقضاء . والقدر من شأن الضعفاء والأقزام ،  
أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب ،  
وقدره الذى لا يرد ..

من مقدمة لكتاب

« ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين »

لأبي الحسن الندوى

### مسلم ..

أسرت قريش مسلماً في غزوة  
ففضى بلا وجل إلى السيف  
سألوه هل يرضيك أنك سالم  
ولك النبي فدى من الإجحاف  
فأجاب . كلا : لاسلت من الردى  
ويصاب أنف محمد برحاف

محمود غنيم

من مجلة الرسالة

## الجمعة

لا يكن أحدكم إمعة : يقول أنا مع الناس .  
إن أحسن الناس أحسنهم وإن أساءوا أسأت  
ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس  
أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن يتجنبوا  
إساءتهم :

حديث شريف

من كتاب المنتخب

## الروح

يقول « بيكون » حين يخرج الإنسان من  
الحياة البدائية التي تكون التقاليد فيها  
مسيطرة على الحياة ، يحدد المرء نفسه يعيش  
في عالمين ، ويخضع لولاين ... فهناك العالم  
المألوف الذي يعرفه عن طريق حواسه ،  
وهناك عالم قريب إلى ذهنه ، ولا يعرفه إلا بعيني  
عقله ، وهو - الإنسان - مشدود بين هذين  
القطبين للوجود ، وهذا الصراع بينهما هو  
الموضوع الحائل لأحاديث البشر .

إن الإنسان لا يستطيع أن يمنح ولاده  
كله لأى من العالمين ، والتباين السائد بينهما  
هو ما يصنع تماسه ، والتوافق العرضي بينهما  
في حياة القديسين وأعمال الأبطال والمباقرة  
هو ما يصنع أمجاد الإنسان .

لم يقل « بيكون » ما هى الروح ، ولم  
يتحدث - كما يتحدث الفلاسفة - عن طبيعتها  
أهى أزلية أبدية أم أبدية لا أزلية ؟ ولكنه  
كشف عن جانب « علوى » فى الإنسان  
يدعوه إلى التمسك والتمسك على حين أن جانباً  
آخر فى الإنسان يجره إلى الانحدار والإسفاف

أقول إن الجانب المقسمى هو الروح  
أو النفس ، وأن الجانب المسف هو الجسد .  
لك أن تفهم هذا ، ولكن « بيكون » يكره  
أن يكون له موقف مع أشياء لا تقع تحت  
الملاحظة والتجربة كالنفس والروح ونحوهما  
لأنه يتحدث عن شيء تستشعر وجوده فى  
كيانك . يتحدث عن شيء حال مقسام فيك .  
ينزع بك إلى مستويات رفيعة من الفضائل  
والأخلاق ولكنه مشدود إلى دواهي الجسد  
ومطالبه ، ولك أن تفهم من هذا ما نشاء .

عبد الكريم الخطيب

من كتابه قضية الألوهية بين الفلسفة والدين

« ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر  
ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا .

قرآن كريم



# مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

## مجلة شهرية جامعة

تَبَصُّرٌ عَنِ مَشِجْنَةِ الْإِسْلَامِ فِي زَوْنِ كُلِّ شَهْرٍ عَرَبِيٍّ

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المفتون  
إدارة اجتماع الأزهر  
بالقاهرة

ت ١ ٤٦١٤

الجزء السابع — السنة الرابعة والثلاثون — رمضان سنة ١٣٨٢ هـ - فبراير ١٩٦٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤  
٢٤٤٤٦  
دوريات

## بعض الكلام في شهر الصَّيَّام

بقلم : أحمد حسن الزيات

قال الناس وقلنا في شهر رمضان ما هو أهله ، ولكن القول فيه مهما يكثر يقل في جانب أثره الروحي والنفسي والاجتماعي والقوى ما في ذلك شك . ولو أنك تدبرت أركان الإسلام الخمسة في طبيعتها وشريعتها لتبين لك أن الصوم أشدها اتصالا بالله وأقواها انفعالا بالضمير . فإذا كانت الشهادتان إسلاما لأنهما ذكر ، والصلاة والزكاة والحج إيمانا لأنها تصديق ، فإن الصوم وحده إسلام وإيمان وتقوى ؛ ذلك لأن الرجل قد يشهد

بوحداية الله وبنبوة محمد ، ولكنه لا يقيم صلاة ولا يؤتي زكاة ولا يؤدي حجة ، وقد يقيم هذه الأركان الثلاثة كلها أو بعضها رياء وسمعة ، أو اضطرارا وعادة ، ولكنه لا يصوم رمضان إلا إذا أراد مخلصا أن يحمل صدره بالذكر ، ويظهر نفسه بالعبادة ، ويزود قلبه من مذخور الخير بما يقويه على احتمال الفتن والمحن في دنيا الآمال والآلام بقية العام كله ، وإلا كان له مندوحة عنه بإسرار الإفطار إذا لم يخش الله وخشى الناس .

طبعه الكشيف ، وقال إبراهيم بن أدهم :  
 « إن ينال الرجل درجة الصالح حتى يغلق  
 عن نفسه باب الرخاء ويفتح عليها باب الشدة .  
 وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للريدين  
 رياضة ، وللتائبين تجربة ، وللزاهدين سياسة ،  
 وللهارفين تكرمة » .

ولكن بعد المتصوفين غالوا في تعذيب  
 الجسم تهذيب الروح فكان منهم من لا يأكل  
 في أربعين يوماً إلا أكلة واحدة . وهذا أشبه  
 بما يفعل اليوم زهاد الهنود ، والإسلام  
 يسر لا عسر ، والفضيلة هي الطريق الوسط ،  
 وقد قال الرسول الكريم لرجل أكثر الصيام  
 والقيام حتى غارت عيناه : « إن هذا الدين  
 متين فأوغل فيه بروق . إن المنبت لا أرضا  
 قطع ولا ظهراً أبقى » .

على أن هؤلاء القوامين الصوامين قد  
 انقرضوا فلم يعد يستقبل رمضان منهم أحد .  
 إنما يستقبله اليوم أقوام بعد عهدهم عن  
 الإسلام الصحيح فعادوا أشبه بذلك الأعرابي  
 الذي أسلم في أول الإسلام ثم قدم على ابن  
 عم له في بعض المدن قبل أن يذوق حلالة  
 الإيمان ويستشعر لباس التقوى ويستبطن  
 حقيقة الدين فأدركه شهر رمضان . فقيل  
 له يا أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان . فقال  
 وما شهر رمضان ؟ قالوا الإمساك عن الطعام .  
 فقال أبالليل أم بالنهار ؟ قالوا بالنهار . قال

فالتقوى إذن هي العنصر الجوهرى لعقيدة  
 الصوم . هي سره ورقبه وغايته ، وذلك هو  
 المفهوم من قول الرسول صلوات الله عليه ،  
 « قال الله كل عمل لابن آدم له إلا الصيام فإنه لي  
 وأنا أجزي به . وهو المعلوم من قوله تعالى :  
 « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام  
 كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .  
 والتقوى كلمة تجمع الحدود والقيود التي تضمنها  
 معنى الصوم . وجماعها مجاهدة النفس ومخافة الله ،  
 وقد اجتمعا في قوله تعالى : « وأما من خاف  
 مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة  
 هي المأوى » ، ومن مجاهدة النفس فطامها  
 عن اللذة واللهو ، وكفها عن الأذى والافسوس ،  
 وفي ذلك تقوية للإرادة ؛ لأن الإرادة إنما  
 تقوى برياضة النفس على الحرمان المؤلم  
 كما يقوى الجسم برياضة البدن بالجهد العنيف ،  
 إن مظهر الخوف الخشوع ، وإن مظهر  
 المجاهدة الجوع ، وإن الجوع أثر أشد في تصفية  
 النفوس وتلطيف الطباع ؛ لأن كدر النفس  
 يكون في الأكثر من كدر الجسد ، فقد قالوا  
 إن البطنة تذهب الفطنة ، لذلك اتخذ كثير  
 من أئمة الدين وأقطاب التصوف الجوع سبيلاً  
 إلى تهذيب النفس وتقوية العقل وإذكاء الروح ،  
 قال الإمام علي رضي الله عنه يصف العارف بالله :  
 « قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله  
 ورق غليظه ، يريد بجليله بدنه الضخم وبغليظه

تتألق بالنور ، والمنازل تتقلب في الأنس ،  
والخوانيت ساهرة الليل والبيوت نائمة  
النهار ؛ ولكنك لا تجدد اليوم ما كنت  
تجده بالأمس من التقوى التي تعمر القلب  
والخشوع الذي يغمر المشاعر .

\*\*\*

لا أزال أذكر رمضان القرية وأنا  
في الكتاب . كان كل شيء وكل شخص فيها  
لرمضان : فالنساء قبل الظهر يخزن الفطائر  
للسحور ، وقبل العصر يطهون الطعام للفطور ،  
والرجال ينامون من بعد صلاة الفجر إلى  
متوح الضحى ثم يمشون الهوينى بين الحقول  
غاشى الأبصار والاصوات لا يزيطون  
ولا يعيطون ولا يسمي أحدهم بالأذى إلى أخيه ،  
حتى إذا دنا الأصيل تجمعوا في المساجد  
أو على المصاطب يستمعون في سكون إلى  
موعظة أو قصة ، فإذا دخلت الشمس  
في المظفل فرشوا الحصائر أمام بيوتهم  
وجلسوا عليها تحت الجدران وأمامهم  
الصواني موقرة بطيبات الرزق يدعون إليها  
عابري السيل وطالبي الصدقة ، ثم لا يلبث  
الإخاء المحض والقرابة الواشجة أن يجعلوا  
الصواني المتعددة صينية واحدة يصيب منها  
من يشاء ما يشاء ، ثم تدور عليهم فناجين  
القهوة كل ليلة من بيت ، فإذا فرغوا من  
الطعام والشراب فضلوا أن يغسلوا أيديهم

أفترضون بدلا من هذا الشهر ؟ قالوا لا .  
قال وإن لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا تضرب  
وتحبس . فصام يوما ثم لم يستطع ، فتحول  
عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمى وقد زرت مصرهم

تهياً أبا عمرو لشهر صيام  
فقلت لهم ها تواجرا بى ومزودى  
سلام عليكم فامكثوا بسلام  
وبادرت أرضا ليس فيها مسيطر

على ولا مناع أكل طعام  
نعم يستقبل رمضان اليوم أكثر الناس  
بعقلية هذا الأعرابي فيستقبلونه لابعباريه  
ركنا من أركان الدين يقيمه من أقامه ويهدمه  
من هدمه ، ولا بابعباريه طهورا للنفس  
ونورا للقلب وجلاء للشاعر ، إنما يستقبلونه  
باعتباره تقليداً من التقاليد الموروثة وعيدا  
من الأعياد المقررة يرخون لأنفسهم فيه  
الاعنة فيفتنون في اللذة ويفدقون في اللهو ،  
ويقضون الليل على الموائد والنهار على الأسرة .  
وبين الإفراط في اللهو والأكل والنوم ،  
تضيق حكمة الإسلام من فريضة الصوم .

إن رمضان اليوم أصبح ثلاثين عيداً  
للفطر لا ثلاثين يوما للصوم ، فهو لفظ ضاع  
معناه ، واسم فقد مساه ، ورسم كحيل من  
رسوم الفاطميين ، تجد فيه المسابح في أيدي  
الرجال ، والمصباح في أنامل الأطفال ، والمآذن

وأفواههم بالوضوء في المسجد، ثم يبدؤون ليلاهم بعد صلاة العشاء والتراويح، ثم ينصرفون إلى استماع القرآن واستقبال الإخوان ومسامرة ساذجة مشتركة تجمع أفتانا من شهى الحديث . كان في كل بيت قارى مجود يقرأ القرآن ، وساق نشيط يوزع الحلوى ، ومتكلم لبق يروى أحاديث المدينة وأخبار ( الأهرام ) وحوادث القرية ، فكان الرجال بلحاهم المرسلة وعمائمهم الضخمة وزعابيظهم الفضفاضة ينتقلون من دار إلى دار ، ويتنقلون على الخشاف بالنقل والأسيار ، وقد طووا أحناء صدورهم على مواخاة بعضهم لبعض في الله فلا تنافس ولا تحاسد . وكلما انقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم ، حتى إذا لم يبق إلا رابعه الأخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت فندبوه في البيوت والمساجد ، ونعوه على الأسطح والمآذن ، وبكره يوم الجمعة (اليتمية) أحربكاه . كذلك كان رمضان القرويين في زماننا الأول ، كان وحده هو الباقي لهم من غفلات العيش ولحظات السعادة ، فلما انتقلت إليهم عدوى المادية من مرضى المدنية انطفأت في قلوبهم التقوى ، وفشا في شبابهم الإفطار ، وأوشك رمضان أن يصبح غربيا في القرية كما أصبح غربيا في المدينة ، ولا يدري إلا الله ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه الروحية التي تتجلى في الصوم ، ولهذه الغيرية التي تتمثل في الصائم ! **أحمد من الزينات**

## من كلام الزهاد

قال الحسن البصري : لا تزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث : شبابيه فيما أبلاه ، وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه ، وفيما أنفقه . وقال أبو حازم : إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوى عنا . وقال زياد ابن زياد : أنا من أن أمنع الدماء ، أخوف من أن أمنع الإجابة . وقال له عمر بن عبد العزيز : يا زياد ، إنى أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف . وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام . وقال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا .

# المادية تنهدم

للأستاذ عباس محمود العقاد

سئل ردهط من علماء الغرب عن مصير الإنسان ، فقال العالم المشهور د سير جوليان هكسلي ، ماخواه : إن إدوار التطور الكبير قد انتهت بالنسبة إلى النوع الإنساني ، إلا ما يكون منها خاصا بالدماغ والفكر ، فإن النوع الإنساني لا يزال قابلا في هذه الوجهة للزيد من التقدم والنماء ، وليس المنظور أن يكون هذا التطور د عضوياً حيوياً ، في بنية الدماغ ، فإن حكم الدماغ من حيث النماء الجسدي كحكم سائر الوظائف الحيوية ... ولكن الأفكار التي تتولد من مباحث العلم والفن على الأجيال المتعاقبة تزيد محصول الإنسان من المعرفة فتزداد قدرته على التفكير الصحيح تبعاً لذلك ، ويحدث التجاوب بين العارفين في البيئة الواحدة فيصح بعضهم تفكير بعض ويأتي من تجمع الأفكار وتصحيحها ما هو منتظر للنوع الإنساني في مجموعه من تطور العقل وصحة التفكير .

والذين خالفوا السير جوليان هكسلي في تطور الدماغ من البنية الجسدية لم يخالفوه

في اعتقاده أن التقدم سيأتي من معالجة التفكير ، وأن مرانة الذهن على التفكير في مصاعب الحياة هي التي يرتبط بها النماء في حجم الدماغ وفي قدرته على الفهم والإدراك ، ثم في تَعَوُّده أن يعمل بداهة وارتيالاً ما يعمله اليوم بعد التنبيه والاجتهاد . وقرر هكسلي وموافقوه من العلماء والمفكرين الذين سئلوا عن مصير الإنسان أن هذه الآراء جميعاً أبعد ما تكون عن د المادية ، أو عن تلك الفلسفة التي تربط مصير الإنسان بجسده ، وبالمعيشة المادية التي تعيشها الجماعة وتفرضها على عقول أفراده .

فلا عمل للمادية في توجيه مستقبل الإنسان ، وإنما هي الأفكار والعلوم مناط التقدم كله ، ومناط الاتجاه - من ثم - إلى أطوار من الرقي والنماء تعلو على أطواره اليوم

وعقب المفكرون الدينيون على هذه الآراء فوافقها الكثيرون منهم ، ولكنهم قالوا إن نجاة النوع الإنساني مما يهدده غداً



وكل هذه الآراء من أقوال كبار المفكرين إنما تهدم المادية باسم الفكر والمعرفة وتعتمد على الفارق بين جانب الإنسان العقل وجانبه الجسدى لترجيح القول باعتماده في تقدمه بعد اليوم على الناحية الفكرية منه ، أو على الناحية التى تأتى من تجمع المعلومات والانتفاع بها في حياته العلمية .

ولكن الفلسفة المادية - فيما نرى - لن تهدم من ناحية التفكير وحده ، ولا من ناحية الدماغ المفكر دون النظر إلى مادة بدنه ومادة الكائنات الطبيعية من حوله ، بل تهدم الفلسفة المادية لا محالة من كل نظرة واقعية ننظرها إلى حقيقة المادة وحقيقة تركيبها مستقلة عن الفكر ، بل هن الدماغ وهو محمول على المادة من بعض نواحيه .

إن المادة نفسها ليس لها قوام أصيل يقاس بغير مقاييس الفكر المحض ، كما تقاس الفكرة عن الروح وعن عالم التجريد والمجردات .

فقد كان العلماء وغير العلماء يقيسون المادة بالشبر أو بالشعرة وبالقصبة أو القيراط وبالمتر أو جزء من ألف من المتر ، وكان هذا كله مما يوصف بالامتداد ويدخل في العقل الإنسانى بقياس الامتداد في الفضاء أو الامتداد في الزمان ولكن هذا الامتداد من ناحيته الزمنية أو المكانية يزول اليوم

لن يكون معلقاً بأفكاره العلمية ولا بمباحثه في شئون الفلسفة الطبيعية ؛ لأن هذا النوع الإنسانى إنما يأتيه خطر الفناء من جانبين اثنين : أحدهما كوارث الكون الكبرى ولا حيلة له في دفعها بعلومه وفلسفاته ، والجانب الآخر كارثة الحرب الذرية ، وهى بعض آثار التقدم العلمى ولن يكون خلاص النوع الإنسانى منها على يد العلم المتقدم ؛ لأنه هو مصدر الخطر ووسيلة الكارثة المرهوبة وسلاح الحرب الشعواء التى تودى بحياة هذا النوع أو تبقى ما بقى منه في حالة كحالات الهمجية الأولى ... وقد سئل اينشتين مرة : ماذا يكون سلاح الحرب العالمية الرابعة إذا كانت الذرة هى سلاح الثالثة ؟ فقال جاداً غاية الجد وساخرأ غاية السخرية : ستكون سلاحها الحجارة ! ... يشير بذلك إلى رجعة الإنسان كرة أخرى إلى العصر الذى سبق عصر القوس والسيوف ، فضلاً عن عصر الطيارة والصاروخ .

قال أولئك المفكرون : إن الخطر إذا كان من نفس الإنسان فلا نجاة له بعلوم العقل وغترحات الصناعة ، وإنما تكون نجاته بعلم من عالم الروح تنتفع به الضمائر والعقول . إنما تكون نجاته بالدين ، وبالإيمان الدينى والعقيدة الإلهية ، ولا نجاة له في غير هذا الطريق .

ويقال أيضا في الكلام عن تفجر الذرة إن هذه الشرارة تنقذ في جزء من عدة آلاف جزء من الدقيقة ، وإنما تصل بالإشعاع إلى جزء من عدة آلاف جزء من السنتيمتر بسرعة الشعاع .

فكيف يدرك هذا الجزء بحساب الامتداد الزمنى أو حساب الامتداد فى الفضاء ؟ .

إن دقة واحدة تستنفد الثانية ، ونحن نقسم الثوانى إلى ثوانث فلا نتصور كيف تكون الدقة بعد انقسامها إلى ستين ثلاثة فكيف نتصور الجزء من الآلاف الكثيرة بحساب هذا الامتداد .

وماذا بقى من الفارق بين حقيقة المادة وحقيقة الروح ؟ وماذا بقى من الفرق بين نهاية عالم الخفاء ونهاية عالم الشهود على يد التجارب العلمية ولا نقول على يد السبعات الصوفية أو التجليات الروحية ؟ .

على أن هذه الأجزاء المادية التى تحسب بالملايين لا تدرك بالبصر الإنسانى حين تتجمع تحت المنظار الكبير ، وإنما تدرك إذا عولجت بالأصباغ الكيمنية ثم ظهرت لونا تلحح العين ولم تظهر بغير هذه الصورة إلا مقدورة مفروضة بعلم الحساب .

وكذلك تدرك الناسلات وتدرک الصبغيات التى سميت بهذا الاسم لأن الصبغة هى الوسيلة

أمام المقاييس التى تقاس بها ذرات المادة وخلايا الحياة فى تركيباتها الجسدية ، وبوشك أن يعود العلم بالمقاييس جميعا إلى شىء لا امتداد له كالمقطة الهندسية التى يعرفها الرياضيون بأنها شىء لا طول له ولا عرض ولا عمق ولا اتساع ولا امتداد على الإجمال . وأنها مع ذلك أساس جميع الأبعاد .

لقد وصلنا اليوم إلى القياس بوحدة الانجستروم Angstrom وهو قياس واحد على عشرة آلاف من الميسكرون Micron . وما الميسكرون بالنسبة إلى المقاييس التى تفهم بالامتداد ؟ .

الميسكرون هو جزء واحد من ألف ألف جزء من المتر الواحد .

فهناك إذن أشياء يبلغ من دقتها أن تقاس أو تحسب بحساب جزء من عشرة آلاف مليون من أجزاء المتر الواحد ...

فما الفرق فى التصور بين هذا الجزء وبين المعانى الذهنية التى تدرك بالتقدير الرياضى أو التقدير الفلسفى المجرد من كل مادة محسوسة ؟ إن هذا الفرق ينتهى بما نسميه « المادة » ، إلى نهاية لا تدرك بغير التقدير والتفكير بل يسهل تقدير الروح والتفكير فيها بمقياس المعانى الذهنية ويظل إدراكنا لوحدة الانجستروم صعبا عسيرا لاختلاطه باللاحق به من عالم المحسوسات .

فإذا كانت الصبغة تدخل عشرات الملايين من هذه الجزيئات في عالم الحس بالمنظار الكبير، فأين من عالم الحس تلك الخاصة التي تفرقت في كل جزء من هاتيك الجزيئات التي لا ترى بالصبغة ولا بغير الصبغة ؟

كل ما يلزمنا لإدراك المعاني المجردة يلزمنا هنا لإدراك الناسلة بخاصتها التي كنت فيها وراء العين ووراء الحدس ووراء الحساب .

وعلى هذه الوتيرة تنتهي المادة على أيدي الماديين في صميم علومهم التي عزلوها قديما عزل الأبد عن عالم المعنى وعالم الروح وعالم الخفاء .

والقد صح عند الذين استخدموا المادة لنسكران كل عالم غير العالم المحسوس ، أن القرن التاسع عشر كان عصر الكفر بما وراء الطبيعة أو بما وراء المادة . وعصر الإيمان بالمادة دون سواها ودون ما وراءها ، واضح من ذلك أن القرن العشرين هو عصر الكفر بالمادة وعصر العودة إلى ما وراءها ، وعلى أساس المقررات المادية يجوز للباحث « الطبيعي » أن يقول : لعل القرن الحادى والعشرين سينفذ بالقول والضمائر إلى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور ؟

عباس محمود العقاد

الوحيدة التي تقرب الملايين منها إلى عالم الإدراك أو عالم المحسوسات . وإلى هنا يمكن أن يقال إن العالم المحسوس يشملها مادامت الصبغة تظهر منها الملايين أو أضعاف الملايين .

ويصح هذا القول إذا كانت الصبغة تظهر لنا الخصائص التي تحتويها الناسلة الواحدة من جملة هذه الملايين .

والناسلة الواحدة لا تظهر منها خاصة واحدة للصبغة ولا للحساب ؛ لأن هذه الخاصة لا تنتقل دفعة واحدة من الخلية إلى مكانها المقدور في تكوين جسم الإنسان ، بل تنتقل ثم تنقسم مرة ثم تنقسم ألف المرات ، ثم تخرج منها في كل مرة صورة بعد صورة بعد مئات الصور يتولد منها في النهاية كل ما احتوته واشتملت عليه قبل هذه التقسيمات .

فالناسلة التي يتولد منها الجنين وتفشى في النهاية لون العين أو لون الشعر أو لون البشرة لا تنتقل بهذه الخاصة مباشرة أو على صورة واحدة ، ولكنها تخرج منها خاصة بعد خاصة بعد أخرى على الترتيب الذي لا يختلف في حالة من الحالات ، وتمضى الناسلات بخواصها المختلفة في حيزها الصغير فلا يختلط بينها عمل واحدة بعمل الأخرى ولا يتيسر للنظر ولا للصبغة ولا للحساب أن يفصل في لحظة واحدة بين هذه الأحوال .

# مناهج الإسلام

## للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

اهتم التشريع الإسلامى بالأسرة على أساس إدراكه العميق للسكانة الاجتماعية التى تحتها فى بناء الأمة .

وكان فيما سنه من القوانين ووضعها من الأحكام خاصا بها ، محافظا على أصوله ومبادئه التشريعية العليا التى جعلت من الإسلام دين الفطرة الصالح لكل مجتمع على اختلاف الزمان والمكان .

وهذه المبادئ التى يقوم عليها التشريع الإسلامى عامة ، والتى جاء تشريع الأسرة فى نطاقها ترجع إلى ما يأتى :

١ - فهو يعمل على أن يحول بين المشكلة والمجتمع ، ولا يترك فى المجتمع ثغرات تدخل عليه منها المشكلات ثم يبدأ بعد ذلك فى حلها وعلاجها .

وبذلك يعالج المشكلات فى المنبع ، ولا يتركها حتى تصل إلى المصب ، بل يعالجها قبل أن تتخلق لكيلا تتخلق .

٢ - وهو يلتزم مسامرة الفطرة ، فلا يعالج ما يعالجها إلا فى ضوء الاعتراف بحقها ، ولا يفكر أبداً فى معاندتها ومقاومتها ،

وإن فكر وعمل على تهذيبها وتعديلها وتخفيف غلواتها فى كثير من الأحيان .

٣ - وهو كذلك لا ينكر الواقع العملى ، والسنن التى يقوم عليها الاجتماع ، ولا يحاول أن تكون مثاليته صماء جافية لا تحس بما حولها ، ولا تتحرك إلا فى الاتجاه الذى اختارته لنفسها ، كما أنه لا يدور كرها فى دوامة هذا الواقع ، ولا ينزل مرغما على حكمه وإن جار ، ولكنه يعامله معاملة الراكب الحاذق المرن لفرس جامحة ، إذ يقعد صهوتها متمكنا منها ثم يمسك بلبامها ، ويوجهها إلى الطريق الذى يبتغيه تاركا لها بعد ذلك مرحها وحيويتها واختيالها الطبيعى دون ما شطط منها ، أو قصور منه .

فهو واقعى فى مثاليته ، مثالى فى واقعيته ، إذا ساغ هذا التعبير .

وهذان المبدآن الأخيران هما اللذان جعلتا منه شريعة الوسط ، التى تأبى الإفراط ، وتتنزه عن التفريط ، وتمشى فى الطريق الذى يوصف بأنه « سواء السبيل » ، أو « الصراط المستقيم » ، وبذلك استحققت أن تكون هى

منها زوجها ، وبث منها رجلا كثيراً ونساء .

٢ - والروابط الأسرية ترجع إلى ما يأتي :

( أ ) العلاقة بين الزوجين :

\* مركز الرجل في الأسرة .

\* مركز المرأة في الأسرة .

\* حق كل من الزوجين على صاحبه .

( ب ) العلاقة بين الأبوين وأولادهما :

\* قيمة الأولاد وحقوقهم على الوالدين .

\* فضل الوالدين وحقوقهما على أولادهما .

( ج ) العلاقة بين ذوى القربى :

\* حقوق الأقارب في البر وصلة الرحم .

\* أولوية الأقارب في حقوق التضامن الاجتماعي .

ولنأخذ في تفضيل ما أوجلهما بقدر ما يتسع

له المقام :

( أ ) العلاقة بين الزوجين :

الزواج رابطة مقدسة في نظر الدين :

لا نعلم حقداً من العقود اهتم به الدين

أكثر من اهتم به بعقد الزواج :

فنحن نرى القرآن الكريم بلفت الأنظار

إلى أن « الزوجية » آية من آيات الله

الكونية : « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها

عما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما

الشريعة الشاهدة على الناس أي الحاكمة والفاصلة حين تختلف المناهج ، وتتعدد الشرع .

« وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شهيذاً » .

\*\*\*

على أساس هذه المبادئ العليا ، وضع

التشريع الإسلامى مناهجه لتقوية الروابط

الأسرية ، وفي ضوئها نبين إن شاء الله

تعالى هذه المناهج ، ونسأله التوفيق .

١ - إن الأسرة - في أصل اللغة ، كما قال

ابن منظور المصرى في « لسان العرب » :

هى الدرع الحصينة ، وهو معنى يرمز إلى

إلى القوة ، وكذلك الأسر في الأصل هو

بمعنى الشد والربط ، وقد سمي الحبل أو القيد

أيضاً بالإسار .

ولهذه المعانى التى تدل على القوة والتماسك

والترابط سميت عشيرة الرجل وأقاربه

الأذنون بالأسرة .

والأسرة عمادها الأول هو « الزوجية » ،

وعن الزوجية يتفرع الأولاد ، وينبت في

المجتمع الرجال والنساء الذين تتكون منهم

الامة ، وهكذا كان أصل النوع الإنسانى :

« خلقكم من نفس واحدة ، وخلق

«ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً ويُنزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها» .  
«ومن آياته أنكم ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت» .

«ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره» .

كل ذلك يدل على أنه يعتبر الزواج ذا أهمية كبرى ، ودلالة على قدرة الله وحكمته ورحمته ، وشبيهة بما للآيات الكونية العظمى من دلالات .

هذا إلى ما يوحى به التعبير بقوله : « من أنفسكم » ، في هذه الآية ودخلت منها زوجها ، في آية أخرى من ملاحظة التجانس والنوعية في الخلق ، حتى يتحقق لكل من الزوجين الأنس بصاحبه ، والتشابه المفضي إلى السعادة ، ثم ما يوحى به التعبير بقوله « لتسكنوا إليها » وجعل بينكم مودة ورحمة ، من أن الزواج هو أساس الاستقرار والطمأنينة ، التي يجدها المرء في سكنه الذي يأوي إليه ، أو في سكنه نفسه حين يأمن ويهدأ ويشعر بالسعادة ، وهو مبعث المودة التي هي الحب المنبعث عن عاطفة صادقة ثابتة ، والرحمة التي هي انعطاف وميل يؤديان إلى الرفق والإحسان ، كل ذلك جعله الله في الزواج فكان به آية من آيات قدرة الله وحكمته ورحمته ، ولهذا أقسم

لا يعلمون ، ، « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » .

فالآية الأولى تقرر أن الكون كله قائم على سنة التزاوج فيما نعلم وفيما لا نعلم ، والآية الثانية تجعل هذا التزاوج فيما يختص بالإنسان آية من آيات الله تعالى .

وكون التزاوج هو السنة التي يقوم عليها الكون في أنفسنا وفي غيرها مما نعلم ومما لا نعلم يوحى إلينا بخطر شأنه ، وبأن ننظر إليه نظرة جادة ، ونعتبره ركنا أساسيا في الحياة لا غنى عنه ، ولا ينبغي أن نرتكب ما يزلزه ، أو أن نستعين بأحد طرفيه ، وهما الذكر والأنثى .

وكونه آية من آيات الله يوحى أيضا بأن الله يريد أن ندرك ما يرتبط به من المعاني الكونية التي تجعله علامة واضحة على قدرة الله تعالى وحكمته ، وقد ذكرت الآيات الكونية لفتا للنظر إليها في آيات أخرى كثيرة من كتاب الله تعالى :

ففي ذلك قوله عز وجل :

«ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم» .

«ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله» .

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ينظر إلى الزواج ، ويلفت أنظار الناس إليه ، باعتباره عقداً مقدساً كبير الشأن ، وسنة كونية من السنن الدالة على قدرة الله ورحمته وبإلغ حكمته .

فمن واجب المسلمين أن يعرفوا له ذلك ، وألا يتخذوا آيات الله في شأنه هزوا ، وألا يقصدوا منه إلا ما يحقق أمر الله ، ويقيم حدوده .

\*\*\*

وقد شرع الإسلام مناهج لتقوية هذه الرابطة المقدسة وتحقيق ثمراتها على وجه يصلح به المجتمع ، وتسعد به الأسرة ، ولم تكن تشريعاته خاصة بعهد قيام الزوحية ، بل عامة لهذا العهد ، ولما قبله ولما بعده ، ولم يكن في هذه التشريعات مجافياً للطبيعة ، ولا متناسياً للواقع ، ولكنه كان في نطاق المبادئ التي صدرنا بها هذا البحث ، فكان هو تشريع الرحمة والمصلحة الوسطية والصراط المستقيم . وإلى العدد المقبل ، إن شاء الله تعالى ، لناخذ في بيان هذه المناهج ، والله المستعان .

**محمد محمد المرنى**

عميد كلية الشريعة

الله تعالى بالذكورة والأنوثة ، كما أقسم بالليل والنهار ، والشمس والقمر ، والفجر والغسق ، فقال جل شأنه : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والأنثى . »

والقرآن الكريم يعبر عن رابطة الزوجية بعبارة قريبة من العبارة التي يعبر بها عن عهد الإيمان ، إذ يقول عن رابطة الزوجية « عقدة النكاح ، في مثل قوله تعالى : « إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح » ، « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى

يلغ الكتاب أجله ، ويقول عن عهد الإيمان « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها . »

كما يعبر عن رابطة الزوجية بالميثاق الغليظ فيقول « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ، بينما يعبر بهذه العبارة نفسها عن عهد الله الذي أخذه على أنبيائه الكرام ولا سيما الذين أرسلهم إلى الأمم في أشهر مراحل التاريخ البشرى ، إذ يقول :

« وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ، ومنك ومن نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . »

# نِجَاحُ الْقُرْآنِ

## نَصْرَةُ الْحَقِّ مَكْفُولَةٌ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ اللطيف السَّجَّيِّ

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق  
ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون ، »

وكذا فى قوله « إن الله هو المسيح بن مريم ،  
وقوله « إن الله ثالث ثلاثة » .

والن كان هذا الابتداء متشابهاً بين الـامتين  
فكل يسلك مسلكه فى لفظه ، وكل يكذب  
الآخر فيما هو عليه ، وقالت اليهود ليست  
النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست  
اليهود على شيء ، ومع هذا التشابه ، والتناوب  
فهم على طرف بعيد من أهل القرآن .

٣ — فإن أمة محمد لم تتجاوز معالم دينها  
فما رسم الله ، وفيما يهضمه العقل الإنسانى  
الطلاق من قيود العصبية . فـالله سبحانه إله  
واحد ، منزه عن الولد ، وعن كل شبه يعلق  
بقديسته ، أو يشوب عظمته .

ودين الله لدينا ولدى السابقين علينا بنجوة  
من إلفك هؤلاء المؤتفكين .. وعزير والمسيح  
بريثان مما نسب إليهما .

والقرآن الكريم يكشف عن أغراض  
المبطلين التى يرمون إليها من هذا الابتداء  
المؤمن فى الكفر بالله ، والمؤمن كذلك  
فى احتقارهم لعقليتهم ، وحشوم فى الدين  
ما تأباه العقلية الإنسانية ، ولا يتفق مع

١ — كانت لليهود محاولات فى الضلال ،  
ولامعان فى ابتداءع الأباطيل ، حتى أصبح  
اللون الذى يعرفون به أنهم خارجون على  
الدين ، ومبدلون لكتاب الله - التوراة -  
وقاتلون للأنبياء ، وناكثون للمهود ،  
وساقطو المروءة والغيرة إلخ إلخ .

وفى الحق أن التاريخ يسجل عليهم أكثر  
وأكثر مما يدعون لأنفسهم من مآثر فى العلم  
وعماراة الدنيا ، ففضلهم فى الحياة لا يقاس  
بما اقترفوا من مآثم فى جانب الله ورسله ،  
ولا يذكر أمام ما تدفعهم إليه نزعاتهم من  
لفساد ، وما يبذرون من بذور الشقاق أينما كانوا .

وقد تحدث الله عنهم فى موضوعنا بأنهم  
اقتروا على الله ، ونسبوا إليه بنوة العزير له  
« وقالت اليهود عزير ابن الله » ، وما كان  
العزير إلا واحداً منهم ، تميز عليهم بعلبه ،  
ونشاطه فى إحياء شريعة موسى بينهم بعد أن  
كادت تذهب معالمها قبل عهده بالحياة .

٢ — ويشبه اليهود فى ذلك أهل الإنجيل ،  
فقد تورطوا جميعاً فى قوله : « إن المسيح  
ابن الله » وقالت النصارى : المسيح ابن الله ،



ومناطق العجب أنهم يؤفكون : أى ينصرفون عن الحق إلى الباطل ، ويخوضون فيه كثيراً دون أن يجرهم إنكار ، ولادعاء عليهم ، ولا تهديد لهم .

وكشف القرآن عنهم - رابعا - بقوله تعالى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، يعنى هذا الانحراف يراد به إطفاء النور الذى يقبلج في دعوة الله إلى الحق - على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم - لا لسبب سوى الحقد على من أرسل إليهم من غير قومهم ، وبسكتاب بعد كتبهم ، وبشريعة أكمل من شرائعهم في تجديد الحياة الدينية على منهج غير مدخول بتبديل ، وهو خالد خلود الدنيا إلى متنهاها - وذلك كأنه شأنهم مع الأنبياء من قومهم فليس جديداً منهم بعد .

والله تعالى يزيدهم نكالا ببيان أن هذا الدين نور الله المستمد من عنده ، بعد أن اعتبر تدينهم بما يقولونه مجرد اختلاق من أفواههم ، لا يعدو الكفر الصراح والضلال البعيد ... ويزيدهم نكالا كذلك بأن جهودهم في مقاومته فاشلة ، يؤكد أنه سبحانه سيتم نوره على ما يريد مهما يكن لهم من عناد وكرامية ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

هـ - ونحن نرى تعاقب الأجيال من أهل الكتاب ، ونرى تقدم العقلية بينهم ، ورواج الثقافة فيهم ، ومع هذا كله لا يزالون على

تشريع الله ولو من طريق الشبهة العلية في قليل ولا كثير .

لماذا يحاولون رفع بشر من عباد الله إلى مقام الألوهية ، وهم في هذا ينزلون بمقام الألوهية إلى منزلة الإنسانية ، وتعالى الله عن ذلك علواً كثيراً .

٤ - كشف القرآن عن غوايتهم من وجوه - أولها - قوله سبحانه « ذلك قولهم بأفواههم ، يعنى هذا اختلاق تقذف به أفواههم ، وليس مستمداً من كتاب ولا مروياً عن رسول ولا ناجحاً عن بحث صحيح . ومع أن هذا معتقدهم فقد اكتفى القرآن باعتباره قولاً من الأفواه لإشارة إلى احتقار هذا الاعتقاد وأنه لا يستحق أن يذكر ، أو يشار إليه ، وإنما هو مجرد كلام لا وزن له في ميزان الحق والصواب .

والوجه الثانى قوله تعالى « يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل ، يعنى أن هذا التهريج مسبوق بمثله من أمم كافرة . . فإن كان أهل الكتاب يعلمون عن غيرهم هذا فهم أمثالهم فيما يعاب عليهم من غبارة وجود . . وإن لم يكونوا عالمين بمن سبقهم ذلك فقد عرفهم القرآن شيئاً لم يعلموه ، وندد عليهم كما ندد على أسلافهم في تلك الضلالة العمياء . والوجه الثالث قوله تعالى « قاتلهم الله أنى يؤفكون . . » فهذا دعاء باللعنة عليهم ، وعلى من سبقهم إلى الكفر ، وهو دعاء مزوج بالتعجب والإنكار المزمى بعقولهم جميعاً .

هذا جرت سنة الله قديماً وسففته لا تتخلف وقد قال تعالى في ذلك «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» .

٦ - وفي هذه الآية تبرز لنا وللناس بشائر النعم في نصرة الحق وهزيمة الباطل من جديد . فقد بدأنا نقرأ كثيراً مما يكتبه علماء أهل الكتاب منكرين بعقولهم الرشيدة ما يساق لهم من تليفق باسم الدين، وينكرون ما يفتري به على الله ورسوله ، ويأبون أن يكونوا على عقيدة لا تهنضمها العقول إزاء ما يرون في القرآن من نزاهة عن هذا كله . كما رأينا أخيراً ذلك النبأ عن حركة جديدة في روسيا ... نشطت هذه الحركة هناك ضد اللادينية الخيعة على الدولة الشيوعية . فالدولة بسطت أجنحة قوة في نطاق واسع من أرض الله ، وغرما عليها وسلطانها أن يقول قائنها ، إننا طغنا بالفناء كله فلم نر الله هناك ، هذه الدولة بدأت تتلقى مواجهة بالاعتراض على إباحيتها ، وتتلقى الطعنات في لادينيته في نفس الوقت الذي تفخر فيه بما وصفت إليه من علم يشرق على مشارق الدنيا . ولعل هذا النبأ يقرب إلى أذهان البائسين تحقيق وعد الله ، ووعد الله لا يتخلف مهما طالت الأيام .

هبة المطبف الصبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

ماورثوا من تاليه البشر ، وانقسامهم على بعضهم في شأن الأنبياء ، ورنى اللجاج فاشياً من جانهم ، والخصومة للإسلام شائعة منهم في كل مسلك يسلكونه مع المسلمين .

فهل يفاد من ذلك أن الله ممكن للباطل ، أو أنهم على حق ؛ وأنهم تحسكوا في بعض المسلمين لأن الله يقرهم على ما هم فيه ... ؟ إن الإسلام في ذاته حق ، ولا حق غيره ، وإذا كانت الغلبة لأعدائه فلا سباب تتعلق بالناس ، لا بالدين ، وتجاوز المسلمين لمنهج دينهم يكون جريمة منهم ، واقه يجزيهم بتسليط العدو عليهم ، ليؤدبهم على فعلاتهم ، دون أن يكون ذلك قادحا في الدين ، ولعله عقاب يعمر أن دين الله في مقام العزة عنده ، وأنه يثار من خرجوا عن حوزته ، ليعودوا إليه في إخلاص ، وغيره ، وذلك نمط حكيم في معاملة الله للعباد في دنياهم .

وقد مرت بالمسلمين فترات ذهبية كانوا فيها أعز شأنًا وأكرم مقاماً ... فلما تريضوا في نشاطهم ، وتعاوضوا عن مراقبتهم لأنفسهم كان من عدل الله أن يمكن الغير منهم . وأما الدين نفسه فلا يزال مشرقاً ، وسيظل كذلك رغم ما يراد به من سوء ، ولا يمكن للباطل أن يغلبه مهما تضافرت الحيل ، وكثرت حوله الأباطيل .

والتجارب في الحياة لا تقاس بأجالنا القصيرة ، فقد يكون الزمن طويلاً في حسابنا ولكنّه قصير في جانب الحياة الدنيا ... وعلى .

# مَنْ مَعَانِي الْقِرْآنِ

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

« قَرَأْتُ كَرِيمَ »

بل يصدق على المعاني النفسية والوجدانية  
مَنْ كَانَ يُرَادُ بِهَا ذَلِكَ . كَالْإِيمَانِ وَمَا يَتَّصِلُ  
بِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْعِقَابِ  
وَالطَّمَعِ فِي الثَّوَابِ وَمَنْ ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ  
الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ  
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ  
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » ثُمَّ نَوَّهَ بِهِ  
السَّائِغَاتِ وَالصِّفَاتِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْمُوصُوفِينَ  
بِهَا حَيْثُ يَقُولُ « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وَإِذَا كَانَتْ ثَمَرَةُ الصِّيَامِ التَّقْوَى كَمَا يَقُولُ  
سُبْحَانَهُ « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وَكَانَتْ ثَمَرَةُ الْقَوَى  
الَّتِي تَكُونُ مِنَ الْهُدَى ، وَالْوَصُولِ إِلَى الْفَوْزِ  
وَالْفَلَاحِ كَمَا يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ « أُولَئِكَ عَلَى  
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » فَلَيْسَ  
وَرَاءَ هَذَيْنِ شَيْءٌ تَطْمَحُ إِلَيْهِ النَّفْسُ السُّوْيَةُ ،  
أَوْ تَتَعَلَّقُ بِهِ غَوَالِي الْأَمَالِ ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَتْ  
التَّقْوَى خَيْرَ زَادٍ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :  
« وَتَزِدُّوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ » وَكَانَتْ خَيْرَ لِبَاسٍ كَمَا يَفْهَمُ  
مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ « وَلِبَاسِ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ »

عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُؤَدِّ

يَسْتَعْمَلُ « كُتِبَ » بِمَعْنَى حُكِمَ ، وَقَضِيَ ،  
وَأُوجِبَ ، فَمَعْنَى كُتِبَ اللَّهُ الصِّيَامُ  
فَرَضُهُ وَأُوجِبَ .

وَالْوَقَايَةُ فَرَطُ الْحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ ، وَمِنْهَا  
أَخَذَتْ كَلِمَةُ « التَّقْوَى » لَتَدُلَّ عَلَى كُلِّ مَا يُرَادُ  
بِهِ اتَّقَاءُ الشَّرِّ أَوْ الْعِقَابِ ، وَابْتِغَاءُ  
الْخَيْرِ أَوْ الثَّوَابِ .

الْمَعْنَى :

يَخَاطَبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِمَجْلَاسِهِ وَكُتِبَ  
وَرُسُلُهُ - وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ - فَيُنَادِيهِمْ بِمَا يَشِيرُ  
فِيهِمُ الْإِسْتِعْدَادَ لِقَبُولِ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ ، وَالْإِقْبَالَ  
عَلَى أَدَاءِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ « يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا » فَإِنَّ ذَلِكَ يَشِيرُ فِيهِمُ الشُّعُورَ  
بِأَنَّ إِيْمَانَهُمْ بِهِ ، وَاطْمَئِنَّانَهُمْ إِلَى حُكْمَتِهِ  
وَرَحْمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ يَدْفَعُهُمْ إِلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِهِ  
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَيُنَبِّئُهُمْ - جَلَّ شَأْنُهُ -  
بِأَنَّهُ أَوْجِبَ الصِّيَامَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَوْجِبَهُ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِنَّ ثَمَرَةَ الصِّيَامِ التَّقْوَى ، وَعَسَاوَمُ  
إِذَا صَامُوا ، وَأَخْلَصُوا صِيَامَهُمْ لِلَّهِ أَنْ يَتَوَخَّوْا  
لِرِضَا رَّبِّهِمْ . وَيَفْعَلُوا مَا يَقِيهِمْ غَضَبَهُ وَعِقَابَهُ ،  
وَمَعْنَى التَّقْوَى يَسَّعَ كُلَّ قَوْلٍ وَكُلَّ فِعْلٍ مَقَى  
كَانَ يُرَادُ بِهِ اتَّقَاءُ الشَّرِّ . وَابْتِغَاءُ الْخَيْرِ ،

# صَلاح المجتمع بصلَاح أفرادِه

للأستاذ علي الحسنى الندوى

المعسكر الشيوعى لتقييم القسط والحق ، وكذلك لم يكن المعسكر الشيوعى فى وقت من الأوقات لينازح الأحلاف الأوربية فى سبيل إقامة العدل لأنه لم يكن حريصا على إقامة الدين والفضيلة ، إنما يصارع ويحارب ليكون هو المعسكر الوحيد فى العالم الذى يهيمن على وسائل البشرية ؟ وياحتكر التجارة العالمية ليس لمصلحة البشرية ، بل ليكون الذين يؤمنون بمبادئه وينضمون إليه سعداء على حساب الأمم والشعوب التى يسيطر عليها .

إن مرد هذه المصارعات كلها هو شهوة النفس وعبادتها ما لم تتغير هذه النفسية الشريرة الفاسدة المتعفنة فلا مطمع فى صلاح العالم أو سعادته ورفاهه .

المهم أو الأمم أن يتغير الإنسان . إن كل شئ فى هذا العالم خاضع للإنسان ، والإنسان خاضع لنفسه وخميره وعقيدته فإذا كانت هذه صالحة كان الإنسان صالحا وإذا صلح الإنسان صلح العالم ( ألا أن فى الجسد مضغة

إن هذا التنافس الذى نتحدث به الصحف والذى قد يؤدى إلى حروب طاحنة — تستمر سنين طولا لا تطحن الأمم — هو تنافس فى الأغراض فقط لا تنافس بين الخير والشر ، وإن هذا الصراع القائم بين الأمم الأوربية ليس معناه أن أمة منها تريد أن تسيطر على العالم لتقضى على هذه الأوضاع الفاسدة ولتخدم الإنسانية ، وتنفذ قوانين الله وتحارب الفساد ، وتسوى بين الناس وتقيم القسط والعدل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة كما قال تعالى : الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

إنما هو تنافس على القيادة كل أمة تريد أن تملك الحكم لتنفذ شهواتها . إنما النزاع هو من يكون صاحب الأمر والنهى وتكون له قوة إرضاء الشهوات وخدمة المصالح الذاتية والحزبية .

أمريكا وحليفاتها مثلا — لم تكن تنازع

رجل لم يتعمق ولم يرسخ ، يتحدثون عن مشاكل السياسة والاجتماع ، ويعتقدون أنه إذا جاء الحزب الفلاني ذهبت المشكلة ، فإذا ما جاء الحزب واجهنا المشكلة نفسها بل ما هو أكبر منها ، وكثيراً ما نواجه مشاكل جديدة أخرى ، ثم نجرب حزبا آخر فإذا هو شر من الأول وصدق الشاعر إذ قال :

الأنهار الأيام أبناء واحد  
وهنئ الليالي كلها أخوات  
فلا تطلبين من عند يوم وليلة  
خلاف الذي مرت به السنوات

إلى متى تجرى هذه التجارب على الإنسان المسكين؟ وإلى متى نقفحص ونشرح ثم نرجع من غير طائل؟ ومن الخطأ الاهتمام بالمجموعات والمؤسسات والهيئات الاجتماعية والحكومات دون الاهتمام بالأفراد ، مع أن الأفراد هم أساس المجتمعات والحكومات والأحزاب والمؤسسات - نقول لهم : أيها السادة دونكم الأفراد ، فأصلحوهم وهيشوهم لهذا الهيكل الاجتماعي ، فسيقولون ما لنا والأفراد ، نحن في عصر اجتماعي طابعه الاجتماع - فنقول لهم : آمنا بالاجتماع ولكن الأفراد اجتمعوا على أساس عقيدة واحدة ، التقوا على غاية واحدة ، فإذا لم يكن الأفراد أين يكون المجتمع؟ ولكنهم يقولون إن الأفراد يصلحون بصلاح المجتمع

إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب .

لقد أصبح الناس مؤمنين - بحكم ما يكتب ويقال من أناس لم يتعمقوا في العلم - بأن صلاح العالم هو في وجود حكومة على أساس كذا وكذا ، أو في تولي الرجل الفلاني أو الحزب الفلاني الحكم وما دروا أن المجتمع فاسد لفساد الضمائر والقلوب ، وما لم تصلح فلا يؤمل الصلاح ، هذا قول مجرب خبير لا قول إنسان منطو على نفسه ، قول رجل تهاى له - بحمد الله - من الدراسة العميقة الشيء الكثير .

قد يدخل الرجل إلى غرفة مظلمة فلا يستطيع أن يجد طلبه إذا لم يدر الزر الكهربائي ، ولكن الرجل الخبير بمجرد دخوله الغرفة يعرف موضع الزر فيديره فيسرى النور في التيار ويضيء جذبات الغرفة ويقضى الرجل حاجته - وهذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام ومن سار على أثرهم - هذا الزر هو الإيمان ، إذا انفتح انطلقت منه موجة النور لتضيء العالم كله .

إنني أرى بعض الرجال في البلاد العربية والإسلامية وغيرها يبدوون كباراً في العقل والتفكير والتجربة ، ولكن تفكيرهم قاصر غير ناضج ، يتكلمون عن المشاكل حديث

أليس أكثرهم فاسدين ودون المستوى الواجب فكيف تتحول هذه المصائب المجرمة إلى مجموعة صالحة رفيعة المستوى عالية في الأخلاق؟ العالم كله مع الأسف غاصع لهذا المنطق حتى في المستويات العلمية .

إن مديري البلديات والجامعات والمؤسسات العلمية والحكام لو كانوا في الزمن الأول لما استحقوا أقل من الطرد، بل لكانوا في السجون لقد طغت هذه العقلية على الأفكار حتى أصبح الذي يثير مسألة الأفراد يتهم بالرجعية.

يا أصحاب القلوب المؤمنة أنتم المجتمع، على قسما وجوهكم وضما تركم وعقولكم يرقد المستقبل الزاهر الذي تؤمله، فهبثوا نفوسكم تهيئة روحية خلقية إيمانية، هذا هو نداء الوقت وواجب الساعة وجهاد اليوم .

لقد وجدت الحديث من العالم الإسلامي حديث كل بلد حلته وزرت فيه لإخواننا وهو حديث كل مجلس حضرته . إن العالم الإسلامي حقيقة قائمة تسعى على قدميها لا ينكر فضله إلا جاهل أو أحمق .

أنا أو من به وشاهدته في الهند وباكستان وتركيا وسوريا ومصر، وأنتم أيها الإخوان جزء من العالم الإسلامي . إذا كنتم تعتقدون أنه يعيش بغيركم وليس عليكم مسؤولية فأنتم مخطئون أخشى إنني كثيرا ممن يهتمون

إن مثل هؤلاء الذين يهتمون بالمجموعات دون الأفراد مثل من يجمع أخشابا منحرة متأكلة مخرومة، يريد أن يصنع منها سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة، فإذا قال له رجل صاحب نظر: إن هذه الأخشاب لا تصلح لبناء سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة، قال إن هذه الأخشاب لا قيمة لها، إنما المهم السفينة، فإذا تكونت السفينة فقدت الألواح شخصيتها، فلا يهمك إن كانت الأخشاب فاسدة منخورة .

إن الفاسد فاسد، إذا اجتمع الفاسد مع الفاسد ينتج الصالح؟

إن اللص لص، ولكن إذا اجتمعت اللصوص أصبحت حارسا للدينة؟؟

هذه هي عقلية أوربا - إن اللصوص لصوص في أفرادهم ولكنهم أمناء في مجموعهم ما هذا المنطق؟

الذئب ذئب ولكن الذئب إذا اجتمعت أصبحت راعية؟

إن الجرة تحرق البيت، ولكنها إذا اجتمعت الجرات أصبحت بردا وسلاما؟؟

هذا شيء مضحك ولكن أليس هذا هو الأساس الذي يعمل في المدرسة والحكومة والمحكمة؟

من أين جاءت الحكومة والقضاء والجنود؟

وهذه القضايا التي لا يستطيعون معالجتها إن  
الاشتغال بالغير سهل ، ولكن الاشتغال  
بالنفس صعب ، والإنسان يتوخى السهولة ،  
ولذلك اندفع العالم الإسلامي كله إلى الاهتمام  
بغيره ، هذا تفكير يجب أن يعالج ، فكل  
بلد عربي جزء من العالم الإسلامي فيجب على  
كل منا أن يهيئ نفسه ليكون لبنة صالحة للبناء ،  
فكن لبنة مجامدة مؤمنة صادقة ، طاهرة  
النفس ، واضحة التفكير ، قوية العاطفة ،  
فإذا كنا كذلك فصدقوني أننا نستطيع أن  
نغير تيار الفساد .

الازمة أزمة رجال ، فأي الرجال ، وإن  
كثيرا من الناس يحرصون على الحكومات  
ويعتقدون أنها هي المفتاح ولكننا يسير  
الحكومة الرجال ، فنم هؤلاء الرجال وكيف  
هم ؟ هذا هو داء العالم الإسلامي فهيثوا نفوسكم  
لمعركة المستقبل ، معركة الأخلاق والإخلاص  
والتضحية فإذا وجد رجل واحد يستطيع  
أن يفسى نفسه ومصلحته ومصلحة أسرته  
وأصدقائه وحزبه ويستهدف مصلحة بلده  
وأمة لاستطاع أن يحدث انقلابا .

على الحسنى النوى

بكل شيء غير نفوسهم ، وهذا هو الواقع فعلا .  
- أنا أفكر في العالم ولو أننى جزء منه  
فلأصلح هذا الجزء . ولكننى أرى كثيرا  
من الإخوان لا يفكرون في نفوسهم ويعتقدون  
أن العالم الإسلامى هو كل ما يغير نفوسهم  
ههنا أن نصلح نفوسنا وليعتقد كل منا أنه  
مستول فإذا أصلحت هذه الأجزاء صالح العالم  
الإسلامى . إن مثلنا أيها الإخوان كمثل ملك  
أعلن أنه يريد حوضا مملوءا باللبن « الحليب »  
وأنه سيدفع الثمن لكل من يجلب الحليب  
فقال أحد اللبانيين فى نفسه . . لو أفرغ  
سطلا من ماء فإن هذا الماء لا يؤثر فى  
الحليب الكثير ، فأفرغ سطل ماء بدلا من  
حليب ، وفكر آخر نفس التفكير ، وهكذا  
سرت الفكرة بين الجميع ، وجاء المسلك فى  
الصباح فوجد حوضا من ماء .

هذه قضيتنا ، إن كل فرد منا يقول إذا فسدت  
فإذا يضر العالم الإسلامى ؛ وبهذا أصبح  
كل العالم الإسلامى فاسدا ، لو فكرتم لرأيتم أن  
كل حديثكم عن غيركم .

انصفوا نفوسكم أيها الإخوان ومالككم

# من أيام الإسلام الخالدة

## يوم بدء الدعوة

### للدكتور سعد الدين الجيزاوي

تخليد ذكرى بعض الأيام أو الشهور أو السنين التي تحدث فيها أمور ذات شأن في تاريخ أمة ما ، أمر محبب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولة مثلاً ، أو ذكرى لحظات رهيبة تقرر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو انبثت فيها صوت نبيه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، وتحير ، وتقرير مصير . وفي ذلك وأمثاله ما يشهد عزائم الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدماً في معترك الحياة الصاخب . وقد تكون الذكرى مؤلة فتعيد إلى الأذهان صورة نكبة كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها عبرة ، ويتجنبون مزالق السوء التي لم تورث الخطئين والغافلين إلا اللعنة وسوء الذكرى .

وطبيعي أن العبرة ليست في نفس الفترة التي تحدد من يوم أو من شهر أو من سنة ، بل هي فيما صاحب تلك الفترة أيا كانت من أحداث ربطت بين ما فيها من عبر ، وبين الزمن الذي حدثت فيه .

وفي تاريخ قيام الدعوة الإسلامية أيام كثيرة كان لكل منها شأن خطير ، جعلها تخلد بين الأيام ، وتذكر على مر الأيام وكر السنين .

فقد عرف التاريخ الإسلامي يوم الهجرة الذي اختاره عمر بن الخطاب مبدأ للتاريخ الإسلامي ، ولا يخفى ما في تسجيل حادث الهجرة على هذه الصورة الكريمة ، وربطه بتوقيت شؤون الأمة الإسلامية ، ... لا يخفى ما في ذلك من عبر يستلهمها المسلمون كلها هل هلال المحرم من كل عام .

وعرف التاريخ الإسلامي يوم بدر ، إذ كانت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وصار المسلمون يذكرون أجدد مواقف البطولة كلما حل السابع عشر من رمضان في كل عام .

كذلك عرف التاريخ الإسلامي يوم فتح



تتفق وجلال تلك المناسبة ، لا على أنها ليلة تفتح فيها طاقة من السماء ، يدعو من يراها بما يشاء ؟ أو أنه من صلى فيها مائة ركعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ؟

في تاريخ السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بلغ سن الأربعين ، حُبب إليه الخلاء ، فكان يذهب إلى غار حراء يقضى فيه الأيام والليالي ذوات العدد ثم ينزع إلى أهله فيتزود ، ثم يعود إلى خلوته وحق جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد فأرسلنى إلى أن قال : فغطى الثالثة ثم أرسلنى فقال : اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بها على خديجة بنت خويلد رضى الله عنها فقال : زملونى زملونى ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسى . . . إلى آخر الحديث .

ولم يرد في كتب السيرة تحديد دقيق لهذا اليوم - الذى كان فيه أول نداء بآيات الكتاب الكريم - بالنسبة لعمر الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما يشير إلى حادث آخر يمكن أن يربط به ويحدد على ضوءه .

مكة في العشرين من رمضان ، وصار المسلمون يذكرون في هذا اليوم من كل عام تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة من رجس الوثنية ، ونهاية عهد الشرك ... ثم أجد مواقف القساح وكرم الأخلاق .

وعرف التاريخ الإسلامى ليلة الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من رجب كل عام ... ثم يوم عرفة في التاسع من ذى الحجة ، ثم أيام العيد الأكبر ومناسك الحج ، والعيد الأصغر وفرحة ختام الصيام ... إلى غير ذلك من الأيام الحبيبة إلى نفوس المسلمين جميعاً ، لأنهم يجدون في تكرارها كل عام سعادة وسروراً .

وهناك يوم من أيام الإسلام الخالدة ، جدير بأن تحرى ، ويحدد ، ويعرف ، وأن يحتفل به ؛ لأنه اليوم الذى بدأ فيه وضع الأساس الأول لهذه الدعوة الكبرى التى كانت رحمة للعالمين ، وفصلت بين عهدين متناقضين : عهد الظلمات وعهد النور .

ذلك هو : الذى بدأ فيه نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، يوم حراء ، يوم نادى جبريل عليه السلام محمداً أن : اقرأ .

مق كان هذا اليوم ؟ وإذا كان هو المقصود بليلة القدر ، فلماذا لا يكون احتفالنا بذلك الليلة على صورة

وهذه الآية صريحة في أن نزول القرآن كان في يوم من أيام رمضان ، ولكنه لم يحدد وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين ، والإنجيل لثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين مضين ، (١) . وأورد الإمام الزنخشري في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال : أولها : أن المراد : ابتدئ فيه إنزال القرآن ، وكان ذلك في ليلة القدر .

وثانيها : أن المراد : أنزل جملة إلى سماء الدنيا ، ثم نزل إلى الأرض نجوما .

وثالثها : أن المراد : أنزل في شأنه — أي رمضان — القرآن تعظيما لشهر الصوم وربما كان القول الأخير بعيدا ؛ لأنه يفيد أن نزول القرآن ليس بلام أن يكون في شهر رمضان .

وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم ، (٢) » وقد اختلفت الأقوال في هذه الليلة : هل المراد بها ليلة القدر أو نصف شعبان ؟ ولكن أكثر الأقوال على أنها ليلة القدر

ولو تأملنا الفترة التي قضاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه جبريل بأول نداء ، لوجدنا أنها بمثابة الإعداد الروحي لتقوية نفسه ، وتهيئة قلبه لتلقي ذلك النبأ العظيم ؛ لأن أمر الوحي ليس بالأمر اليسير ، ولا سيما في فترة من الزمن كان الناس يناقون فيها أخبار الجن ، والرؤى والقول ... حتى إنه قال لخديجة : لقد خفت على نفسي . ولقد ظهر أثر هذا الإعداد الروحي في ثبات الرسول الكريم عندما قالت له قريش : « وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبترئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . »

نعم . لقد ثبت الرسول الكريم ، ولم يتزعزع بمثل هذا القول ، ولا بغيره من مثل : « ساحر كذاب . » و « إن تبعون إلا رجلا مسحورا . » و « إن هذا إلا سحر يؤثر . » إن هذا إلا قول البشر ، ... بل كان يجيب بأمر ربه في ثبات و يقين : « قل : أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض . » ولقد تحدث القرآن الكريم عن إنزاله في أكثر من موضع :

قال تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... » (١) .

(١) الحديث ١١٣ من الكافي الثاني ، في تفرج أحاديث الكشف لاسفلائي . وهو مروي عن أحمد والطبراني .

(٢) سورة الدخان ٣ ، ٤ .

(١) البقرة ١٨٥ .

القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام ،  
ويكون المراد بأنزلناه : ابتدأنا في إنزاله ،  
وإلى هذا ذهب الشعبي فقال : : المعنى : إنا  
ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر ، (١) .

وهذا لا يمنع أن يكون المراد نزوله جملة  
واحدة إلى سماء الدنيا ثم بدء نزوله على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهل من الممكن تحديد رمضان ، الذي  
بدأ فيه نزول القرآن بالنسبة للهجرة ؟ .

لقد حدثنا التاريخ أن الرسول عليه  
الصلاة والسلام قد هاجر إلى المدينة بعد  
أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة . وهو يومئذ  
ابن ثلاث وخمسين .

فهل يمكن على هذا أن يقال . إن يوم بدء  
الوحي كان في السابع والعشرين من شهر  
رمضان قبل الهجرة بثلاثة عشر عاماً ؟ .

وإذا أمكن ذلك فهل لنا أن نعيد النظر  
في أمر الاحتفال بليلة القدر على أنها ليلة  
حراء ؟ ليلة بدء الوحي ؟ .

لقد احتفل القرآن نفسه بهذه الليلة المباركة  
ووصفها بما هي جديرة به من تكريم ،  
فقال تعالى : : إنا أنزلناه في ليلة مباركة ؛  
إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم ، (٢)  
وقال تعالى : : إنا أنزلناه في ليلة القدر .  
وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من

وهو الأصوب لأن هناك سورة كاملة (١)  
بينت أن المراد بالليلة التي نزل فيها القرآن  
إنما هي ليلة القدر ، ولكن بقي ضرورة  
معرفة أمرين :

متى كانت ليلة القدر ؟ وما المقصود بنزول  
القرآن فيها ؟ .

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد ليلة  
القدر ، ولكنهم يكادون يجمعون على أنها  
في شهر رمضان ، وأنها كانت في السابع  
والعشرين منه .

وأما المقصود بنزول القرآن في هذه الليلة  
فقد ذهب فيه المفسرون إلى قولين :

أولها وهو الأكثر أن المراد أن القرآن  
قد أنزل في هذه الليلة جملة واحدة من اللوح  
المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم أخذ بعد ذلك  
ينزل منجماً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم  
وقد تم إنزاله جميعاً في ثلاث وعشرين سنة ،  
وهذا القول لا يفيد متى بدأ نزول أول آية  
أى متى بدأ التنجيم : هل في ليلة القدر عند  
ما نزل القرآن إلى السماء الدنيا أو بعدها .

وثاني القولين : أن المراد هو بدء نزول  
القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم أى أنها  
ليلة النداء الأول من جبريل عليه السلام .  
وأعتقد أن هذا القول أقرب إلى الواقع ؛  
لأن الذي يعنى الناس إنما هو نزول

(١) تفسير الكشاف ص ٢٢٥ ج ٤ .

(٢) سورة الفخان ٣ ، ٤ .

(٣) هي سورة القدر .

يطوى النهار ويطوى الليل مبتلا  
قربى لبارئ هذا الكون والنسم  
في هدأة من سكون لا يخالطها  
إلا تسابيح قلب طاهر وفم  
إلى أن قال :

وضمه ضمها بجبريل في مقعة  
ليودع النفس سرا غير منعدم  
ومن ذلك ما جاء في «ملحة أمير الأنبياء»  
للشاعر عاصر بحيرى<sup>(١)</sup> فقد أفرد فصلا خاصا  
بعنوان : فوق جبل النور ، من ستين بيتا ،  
وصف فيها فترة التحنث التي سبقت الوحي ،  
وصور فيها تأملات الرسول صلى الله عليه  
وسلم ، وتفكره فيما يراه حوله من أمور  
لا يرتضيها العقل السليم ، ثم ما كان يحس به  
في قرارة نفسه من ضرورة التغيير ، وتحطيم  
هذه الأوثان .

ومما جاء في هذا الفصل قوله :  
ونام محمد بالغار يوما  
قد استوفى مجاهدة وصوما  
فشاهد في الكرى حلما رهيبا  
فيالك في جميع الدهر حلما

(١) الشاعر عاصر بحيرى هو الآن رئيس قسم  
إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد ،  
وللملحة المشار إليها من مائتين وألف بيت مقسة  
هشرات هفوات وهي في سيرة النبي عليه الصلاة  
والسلام .

ألف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها  
ياذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع  
الفجر .

وربما لم يكن الغرض من ذكر «ألف  
شهر» ، تحديد تلك الفترة من الزمن بل هو  
لمجرد التأكيد ، وعلى كل حال فإنها أفضل  
من «ألف شهر» ، إذ لم يقل لأنها تساوى  
تلك المدة .

ولاشك أن تلك الليلة جديرة بأن تتفوق  
في فصلها على زمن طويل ، ولقد ورد أن  
النبي ذكر لأصحابه يوما أن رجلا من  
بنى إسرائيل قد لبس السلاح في سبيل الله  
ألف شهر ، فاستعظم المسلمون ذلك فأُنزل الله  
«ليلة القدر خير من ألف شهر» ، وعلى هذا  
يكون . فضل هذه الليلة التي بدأ فيها نزول  
القرآن الذي يرسم للناس طرق الفلاح -  
ويرشدهم إلى سعادة الدارين أكثر من فضل  
هذا الجهاد ، وفي هذا ما فيه من توجيه النظر  
إلى عظم القرآن الكريم .

ولقد وجدت عند كثير من شعراء عصرنا  
الحديث وقفات طيبة عند هذا اليوم الكريم  
يوم بدء الوحي أكتفى بذكر بعضها :

ومن ذلك ما جاء في بردة الشاعر  
أحمد محفوظ :

أوى إلى جبل في الله يصعده  
حال أشم ، منيع الظهر والقم

رأى ملكا يميناه كتاب  
تقدم نحووه ، فدنا وأوما  
وقال ، وقد أشار إليه : « إقرأ ،  
فلم يظهر لذلك القول فهما  
هنالك غطه غطا شديدا  
وأرسله ، فكاد عليه يغشى  
وقال له ، وقد خلاه : « إقرأ ،  
فجأبه : وهل حصلت علما ؟  
فعاد فغطه غطا جديدا  
شديدا ، ثم أرسله فهما  
وجدد قوله المأثور : « إقرأ ،  
خاف الموت والأمر المعنى  
وقال دوما الذى أقرأ ؟ فكانت  
سؤالا عنده المقدور تما  
هناك تلا عليه الروح فصلا  
من القرآن أول ما يسمى  
ثم أخذ يصف نشاط الرسول عليه الصلاة  
والسلام بعد ذلك ، وما كان من ذهابه إلى  
خديجة وقص ما رأى عليها وما دار بينهما  
من حوار ، ثم ما تلا ذلك من إعلانه أمر  
الدعوة ... وبده النصال إلخ ...  
ونلاحظ أن مثل هذا الموضوع يقيد  
الشاعر حتى ليكاد يكون مجرد ناظم لأنه مضطر  
إلى ذكر الأحداث كما رواها التاريخ ، وهى  
مهمة ليست باليسيرة .  
واقصد صور المرحوم احمد شوقي في نهج  
البردة يوم بدء الوحي في أربع صورة ، وكان

في حديثه شاعرا قبل أن يكون مؤرخا قال :  
سائل حراء ، وروح القدس : هل علما  
مصفون سر عن الإدراك منكم ؟  
كم جيئة وذهاب شرفت بها  
بطحاء مكة في الإصباح والقسم  
ووحشة لابن عبد الله بينهما  
أشهى من الأنس بالأحباب والحشم  
يسامر الوحي فيها قبل مهبلة  
ومن يبشر بسمى الخير يتسم  
إلى أن قال ، وهو أروع ما قال شوقي :  
ونودى : اقرأ ، تعالى الله قائلها  
لم تتصل قبل من قبلت له بقم  
هناك أذن للرحمن فامتلات  
أسماع مكة من قدسية النعم  
أرأيت تصورا أبدع من هذا ؟ ثم استمع  
إلى تصويره لقريش عند ما علوا بهذا النبأ  
العظيم .  
فلا تسئل عن قريش : كيف حيرتها  
وكيف نفرتها في السهل والوعر لم  
تسألوا عن عظيم قد ألم بهم  
رمى المشايخ والولدان باللم  
وفي « ظل البردة » ، للرحوم الشاعر محمد  
عبد المطلب تصوير بديع كذلك لم يتقيد فيه  
الشاعر بعبارات كتب السيرة كما فعل طاهر  
محيرى . قال :

( البقية على الصفحة التالية )

من علماء الإسلام :

## عَالَمٌ مِثَالِي يَتَرَفَعُ

لِلأَسَاطِدِ مُحَمَّدٍ وَجَبَّالِ بَيْتِي

كأنوا أهل من للوك جلالة وأعز سلطانا وأختم مظهره  
من كل بحر و الشريعة زاهر ويربكه الخلق العظيم غضنفره  
شوق

يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الأول للدولة العباسية ، وكان من الهيبة والحشية بمنزلة توحى الرعب وتبعث الفزع فيمن يخاطبونه ويشاركونه الحكم من أمراء ووزراء وقواد... ولو نظرنا إلى تاريخه نظرة فاحصة لرأيناه - وإن ملك الدنيا ودانت له الرقاب - غير سعيد بأهله وسلطانة فقد رأى الرجل من الأحداث المتناقضة المتضاربة منذ صباه النامي ، إلى أن لقي ربه ما أورثه القلق والحيرة واليأس ، فقد كان يظن إبان نشأته الأولى في حكم الأمويين أن ما تعانيه نفسه من فزع ، وما تلقاه عشيرته من مضض سيزول حتما بزوال الدولة الأموية المستبدة ، ولذلك جاهد وجالد ، وانتقل إلى شق الأقاصى النائية ليبدش بيوم جديد تشرق فيه الشمس على العالم الإسلامي ساطعة منيرة

(بقية المنشور على صفحة ٧٨٢)

لما أظلم الورى إن دعوته  
وثار نور الهدى يسطو على النعم  
أوفى على قلبه داع أهاب به  
من جانب القدس : هذا نورنا فتم  
وحوله من قريش كل معتم  
في حماة الكفر يهوى خلف معتم  
قامت وحشت بينهم نفس له أنست  
بوحشة البید ، وارتاحت إلى الوجم  
مستأنسا بحلال الله يشهد  
في النار بين خشوع البید والألم

حق تبين أعلام النبوة في  
ما قدر رأى ، ثم لم يرتب ، ولم يهم  
أوحى إليه كما أوحى إلى رسل  
من قبله بالهدى والملة القيم  
بالتور ، بالحق بالفرقان أرسله  
الله الذي علم الإنسان بالقلم  
والله الموفق للصواب ؟

دكتور سمير المير الجبرائيل

ولأنه يرى في وجوههم عيون الثعالب  
 يدرونها ذات الشمال وذات اليمين ، وهو  
 بعد مضطر إلى مصانعتهم والتغاضي عن بعض  
 ما يأتون ليكونوا أعوان شدته ، ونصره  
 كرمته !! ليت شعري أيستقيم له في هذا  
 العباب المضطرب هدوء واثق ، أو اطمئنان  
 مريح . لقد أخذ يستعيد تاريخ حياته ،  
 ويفكر في بعض من يعرفهم من ذوى  
 النفوس الخيرة ليكونوا مستشاريه ونصحاؤه  
 فلم يكده يثر على أحد . ثم لمع في ذهنه فجأة  
 خيال صديقه القديم العالم العابد الزاهد عمرو  
 ابن عبيد ، فرأى فيه مثلاً للصراحة المخلصة  
 والزاهية الخالصة من المآرب والهوى ،  
 والرجولة المترفعة عن الرغبات والميول ،  
 فبعث إليه من يستدعيه مكرماً مبجلًا . ولأنه  
 ليأمل أن يجد بعض الراحة معه حين يجلس  
 لحظات مع نفس ملائكية لا تفكر في غير  
 نوازع الحق والخير والجمال .

لم يكن عمرو بن عبيد بالحامل الذكر  
 أو المجحول القدر فقد كان عالم البصرة ورأس  
 متكلميها وله جدل يفهم الخصم ، ولسان  
 يفاق الصخر ... وإن اختلف أعداؤه معه  
 في آرائه الاعزالية وتسلكه القدرى ورأيه  
 في العدل والمعصية فهم متفقون جميعاً - إلا  
 من ندر - على لمهارة نفسه ونزاهة ضميره ،  
 ومثانة خلقه ! وإن أستاذة الحسن البصرى

ثم تغيرت الدنيا وتحقق الحلم المشتبه وأصبح  
 خليفة يأمر فيطاع ، فهل هدأت نفسه قليلاً  
 من شجنها الثائر ووسيدها المقيم ؛ لأنه لينظر  
 فيجد نفسه مضطراً إلى أن ينقلب على أصدقاء  
 الأمس ممن بنوا بحبه ورفعوا أخلاقه فقتل  
 دماؤهم على شفرات سيوفه وتساقط رقابهم  
 بضربات أنانيته وحذره !!

ثم إنه لا يقتصر في ذلك على أصدقائه  
 وأعدائه ممن لا تربطه بهم أواصر الدم  
 والنسب بل يلتفت إلى أبناء همومته فيتخذهم  
 خصوماً أشد خطراً ، وأقرب أثراً من الأبعد  
 الغرباء ، ويعمل فيهم جبروته فيقتال الأرواح  
 ويسفك الدماء !! وليت شره اقتصر على  
 بني العمومة بل انتقل إلى بني العباس أنفسهم  
 فهو يقصى ولي عهده بتدبير ظالم ، ليمهد السبيل  
 إلى نجمه ، ثم يقتنع أنصاره وخلصاءه فلا  
 يفلت من يده أحد ، ويظن الظنون في ملوأي  
 وزرائه ونيات قواده فيعصف في الغد بصديق  
 الأمس ، ويحدث من الارتباب والقلق  
 في نفوس حاشيته ما يجعل الوزير المطاع  
 يترقب يومه في حذر وإسفاق ... بل هو  
 يسر أغوار خلصائه ومعارفه محلاً معللاً  
 فيجدهم مثله طلاب جاه ونفوذ ، وعشاق  
 أموال وقصور ، فليس فيهم من يخلص له  
 النصيحة بنفس صادقة وسريرة طاهرة ،

إليه بعض تلاميذه ذات صباح فقال له :  
يا أبا عثمان إني لأرحمك بما يقول الناس فيك  
فقال يا ابن أخي ، أسمعني أقول فيهم شيئاً ؟  
فقال : لا ، فإياهم فارحم ١١

هذا الرد الوجيه البليغ يكفي على قصره  
أن يكون مفتاحاً للشخصية قائلة ، فإنه  
ليكشف لك النقاب عن مشاعره وأحاسيسه  
لترى بذاته الداخلية أفقا رحيباً من التسامح  
والعفة والنقاء : وهذا بعض ما جذب  
المنصور إليه فبعث يستدعيه ١١

لقد فكر عمرو بن عبيد في دعوة المنصور  
إذ بلغته ، وأخذ يسائل نفسه ماذا يروم مني  
هذا الرجل وقد اعتزلت قصره وبلده ،  
وما فكرت في زيارته منذ ولى أمور الناس  
مع أنه كان من أصدقائي الأقربين أيام شبابه  
في الحكم الأموي ، فكان ينزل إلى مسكني  
فيعرف زوجتي وأولادي وأقربائي ويرى  
بنفسه ما آتى وما أدع من الأمور ١١ لقد  
مضت السنون الطويلة دون أن أخطر على ياله  
في مضمار عظمته المرهوبة وسلطانة العريض  
يعلم الله أني أفر من هؤلاء المتسلطين فرار  
الصحيح من الأجرب ، وأعرف أن في التقرب  
إلهم مشاركة إيجابية فيما يقتربون من المآثم  
إن لم يجاهوا بالنصيحة الحاسمة والمعارضة  
الصريحة كما أمر الإسلام ثم ماذا أصنع الآن ؟  
أرفض الدعوة أم أجيها ؟ .

ليعبر عن شعور عارفيه حين يقول عن  
تلميذه التي تكلمة يفوح منها عبر المحبة والتقدير  
وقد خبره في حلقات الدرس ، واكتشف  
سلوكه في معاملة الأنداد والنظراء فاندفع  
يقول عنه في ثقة وإعجاب :

« عمرو ! وما عمرو ! رجل كأن الملائكة  
أدبته ، وكأن الأنبياء ربته ، إن قام بأسر  
قعد به وإن قعد لأمر قام به ، وإن أمر بشيء  
كان أزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان  
أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن  
منه ، ولا باطناً أشبه بظاهر منه .

هذه التزكية المشرفة من إمام خطير الرأي  
والمكانة والثقافة في عصره كالحسن البصري .  
لا تكفي لدفع لجاجة بعض خصومه في الرأي  
فاندفعوا وراء حقودهم الشخصية إلى مهاجمة  
دينه وحقيدته ، وإذا كان الرجل قد ألغى  
بالحجة والعقل ، ورى تقولهم بالوضع  
والافتراء ، وأول ما يعتمدون عليه من  
الآيات والأحاديث والنصوص ، فقد  
رموا منه بداهية دهياء ، إنه قد رزق من  
سلامة القول وفصاحة العبارة ما ملك أزمة  
العامة والخاصة ...

فليس لخصومه معه في جميع هذه النواحي  
سبيل إلى المجابهة والعناد . وقد غلت الحقود  
المريضة ببعضهم فاندفعوا يسبون سبائاً  
جارحاً يبرأ منه الخلق الأصيل حتى لقد جاء



أما حاشيته المتملقة فلا بد أن ينالها نصيب من اللوم والتفريط ، فقد كانت عون الباطل على رسالته وما برحت تميل مع السلطان حيث يميل ، لتضمن الجاه الزائف وتحتل في فظاعة الرئاسة ما تصل إليه الأيدي من قصور وضياح وأموال ، وتلك ثالثة الأثافي من منطق العالم الصابر الزاهد العميوف !!

وحان موعد اللقاء ، فما أن علم أبو جعفر بوصول عمرو حتى أسرع في استدعائه وتخطى إلى حضرة الخلافة مئات الوجاه من الأعيان والقواد والعلماء ممن قعدوا يلتسمون الإذن ويتنظرون على أحر من الجمر أن يشملهم الخليفة برعايته فيسرع في قبول المشول ، وقد علم الخليفة من سيليقي من العلماء المخلصين ؟ فوطن نفسه على الاستكانة والامثال وحسبه أن يسمع صوت الحق النزيه بريثا من الأغراض والشبهات ، وأدركته حصاقته فرأى أن يقتل من حجرة الخلافة ذات الأرائك المذهبة والفارق المزركشة إلى حجرة متواضعة فشت بالحصير كيلا يعلن الرجل احتجاجه قبل السلام !! وقد هش للقاء صاحبه وعاقه وقبله ، ثم رفع إليه عينه وهو يقول في انكسار : عظمي يا أبا عثمان !

فنظر عمرو إلى الخليفة نظرة تنطق بجميع ما يضر من سخط وإنكار ثم جللته سكينه

هذا ما تردد في نفس عمرو ! غير أنه لم يلبث أن قطع كل تردد ، وصمم على زيارة أبي جعفر لا ليلاطفه ويخادعه بل ليقول كلمة الحق فيما يأتي من الأشياء وهو بعد كما يعلم المنصور لا يخشى في الله لومة لائم ! بل يقذف بالحق على الضلال ...

فكر أبو عثمان أثناء طريقه فيما سيواجه به أبا جعفر من أشياء ، فهو في ميزانه النزيه قد حاد عن طريق الخلافة الراشدة فيما قام به من تجبر وإرهاب إذ جعل كل همه أن يثبت قوائمه عرشه فتم ذلك على أشلاء الضحايا ومع رنات الشكالي والتنادبات ، ولم يعتبر بما أصاب الدولة الأموية من انهيار حين سلك مسلكها الولي . بل لم يعتبر بما حكاه القرآن عن إرم وعاد وفرعون ذى الأوتاد عن طغوا في البلاد ، ولا بد أن يواجه بذلك ليرتدع عن غيه ولم يهتم عمرو بعاقبة . فحسبه أن أسي أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دنياه ، ثم إن الخليفة من ناحية ثانية قد نكث ببيعة ولي العهد وأجبره على التنازل عن حقه لولده المهدى !! وولاية العهد عن طريق الوراثة في منهج عمرو وفي رأى الإسلام الصحيح مفسدة تضر بالدولة وتقدم الفضل السكول ليحتل مكان الحازم الإداري الصبور ! فليواجه أبا جعفر بذلك ليكون على بصيرة بما تحت قدمه من بركان ،

متهكاً وقال هذا أخو الشيطان ! ويلك  
يا ابن بجالد ! خزنت نصيحتك عن  
أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين  
من يريد نصيحتك ! يا أمير المؤمنين إن هؤلاء  
اتخذوك سلباً لشهواتهم ، فأنت كالأخذ  
بالقرنين وغيرك يحلب ، فاتق الله ، فإنك  
ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث  
وحديك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك  
شيئاً !!

أخذ الحاضرون من رجال الحاشية بصراحة  
أبي عثمان ! وعلوا أن الرجل قد هتك  
بصائرهم المدخولة بما قال ، وعقدت ألسنتهم  
قد افعلوا يتلاحظون بنظرات ضارعة منكسرة ،  
وتطلعوا إلى الخليفة في حذر فسمعوه يقول :  
يا أبا عثمان أعني بأصحابك فاستمعين بهم دون  
هؤلاء ، فرد الرجل في قوة : أظهر الحق  
يتبعك أهله !

يا لها من ساعة حرجة فرج فيها العالم  
الناسح عن نفسه بعض ما يعتلج بها من  
شجون ! لقد ذكر رأيه صريحاً في جبروت  
الحاكم وطمع الحاشية ، وبقي أن يعلن رأيه  
في المهدي ولي العهد الجديد ! فنظر بين  
الحاضرين إلى شاب مترف عليه دلائل  
الإمارة والجاه ، وتوقع باستشفافه المهم  
أن يكون الشاب ولي العهد ، فرفع رأسه  
ليسأل المنصور من هذا الفتى يا أبا جعفر !

وحشية جعلت وجهه طاقه من نور واندفع  
يقرأ بعد البسملة قول الله :

« ألم تركب فصل ربك بعاد . إرم ذات  
العماد . التي لم يخلق مثنها في البلاد . وتمد الذين  
جاءوا الصخر بالواد . وفرعون ذى الأوتاد .  
الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد .  
فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك  
لبالمرصاد » ! وكرر الآية الأخيرة في تحد  
جريء عنيد ! ففهم أمير المؤمنين ما يعنى  
أبو عثمان ، وملكته رعشة مرتجة فتساقطت  
من عينيه الدموع !!

فلم ينقطع الرجل عن قوله ، وصاح :  
« إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك  
منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذى صار  
إليك إنما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى  
إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو  
بعدك ، وإنى لأحذرك ليلة تتمخض صبيحتها  
عن يوم القيامة يا أمير المؤمنين !! »

وكان سليمان بن بجالد كبير حاشية المنصور  
يسمع ويرى فاستفظع ما طرأ على الخليفة  
من حزن واضطراب وصاح بأبي عثمان رفقا  
بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم ،  
فرفع عمرو رأسه وقال له من أنت ؟ فقال  
أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ، قال  
لا ، وما أبالي إلا أعرفه ! فأجاب المنصور  
هذا أخوك سليمان بن بجالد ! فضحك عمرو

خادعة ، أو مشورة وموهومة وكم شاهد في مدى حياته مئات من هؤلاء يتوجهون إليه وبريق الذهب يخطف أبصارهم فايزالون يسألون ويلحفون !! إنه ليكشف دخائل هؤلاء جميعا فيرى نفسه - وهو الخليفة - فريسة يتطلع إليها الصائدون بمبائل مسترة تدب خفية إلى خزائنه ووظائفه فتفوح منها رائحة الآثورة والاستكلاب !! وما يزال صدره يجمش بأمثال هذه المعاني حتى تجبره على التعبير عنها في نغم منظوم فيجد لسانه يغنى بهذه الشطرات البليغة :

كلكم طالب صيد      كلكم يمشى رويد  
غير عمرو بن عبيد

فأى عالم ذلك الذي رنح أوتار الخليفة حتى دفعه - وهو غير شاعر - إلى مديحه بشطرات من الشعر كانت في حقيقةها متنفسا سريعا لمشاعره المتلاطمة ، ذلكم هو أبو عثمان عمرو بن عبيد !!

**عمرو رجب البيومي**

المدرس الأول بدار المعلميات بالفيوم

فرد الخليفة هذا ابني محمد وهو المهدي ، ولي عهد أمير المؤمنين ، فاهتبلها فرصة سانحة وقال : والله لقد سميت اسمي ما استحتمه بعمل ، وألبسته لبوسا ما هو من لبوس الأبرار ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه !! .

تضايق الخليفة من صراحة الرجل وأراد أن يتخلص من لقائه فسأله في تصنع : هل من حاجة ؟ فقال نعم ، فتمجل أبو جعفر يسأل وما هي ؟ فقال أبو عثمان ألا تبعث إلى حق آتيك ؟ قال إذن لا نلتقي . قال عن حاجتي سألتني ، ونهض قائما فودعه الخليفة ، ومكث حائرا لا يدري ما يصنع فكأنه تقيد في مجلسه ثم جعل يفكر في منطق هذا البطل العظيم ، وكيف صدقه أقول حين كذب عليه الناس وتذكر بكل مرارة فاقته وحرمانه وكيف ضن معها بكرامته أن يأخذ رهما أو ديناراً هما بعض حقه في بيت المال ، وتدافعت في خيلة الخليفة صور المتلقين والمداحين من يلتمسون الكسب الكثير وراء نصيحة

قيل في العلم :

أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث التحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره .

أرب مقارنة :

## عمورية وواترلو بين أبي تمام و فيكتور هيجو للأستاذ العوضي الوكيل

قصيدتان من أدب الحرب ، إحداهما شرقية والأخرى غربية ، لشاعرين في الذئابة من شعراء العربية والفرنسية ، هما أبو تمام حبيب ابن أوس الطائي وفيكتور ماري هيجو .  
أما أبو تمام ، فهو حبيب بن أوس الطائي ، شامي المولد ، انحدر إلى مصر صدياً وفيها تأدب ، وحفظ الشعر قصيده ورجزه ، وعالج القريض ، ثم تحول إلى بغداد واتصل بالبلاط العباسي ، زمن المعتصم وغيره ، وتوفي سنة ٢٣١ هجرية .

وأما هيجو فهو فيكتور ماري هيجو ، ولد سنة ١٨٠٢ ميلادية في مدينة بيزانسون التي تقع إلى الجنوب الشرقي من باريس ، وفي طفولته زار مع أبيه عدة بلاد أوروبية . وفي سنة ١٨١٩ نال إحدى الجوائز الأدبية في الشعر من أكاديمية تولوز . وفي سنة ١٨٤٨م انتخب نائباً في الجمعية التأسيسية الفرنسية وأدركته المنية في ٢٣ من مايو سنة ١٨٨٥م فشيخته فرنسا إلى مقره الأخير تشييعاً وطنياً رائعاً .

وقصيدة أبي تمام تكاد تبلغ خمسين بيتاً ، وهو يسجل فيها انتصار المعتصم على الزوم

في موقعة عمورية ، مادحاً إياه بالبطولة والشجاعة ، وقد استلها بمقدمة ترتبط بقصة ، ذلك أن المنجمين كانوا قد حذروا المعتصم فتحها في الأوان الذي عزم فيه على هذا الفتح ، وقالوا إنا نجد في كتبنا أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب ، ولكن المعتصم لم يسمع قول هؤلاء المنجمين ، وسار بجيشه إليها ، فأتم الله عليه نعمته ، وتمكن من فتحها ، والاستهلال يرتبط بتلك القصة ، وفي عشرة أبيات من القصيدة البسيط ، يبين الشاعر فضل السيف ، ويسخر سخريه لاذعة من المنجمين وعليهم ، لا من العلم بعامة ، فليس مثل أبي تمام من يجهل فضل العلم ، فيضنه في مقام الموازنة مع السيف ، ولكنه علم المنجمين ، ذلك العلم الذي يستقيه المنجمون من الشهب السبعة ، ونزولها في أبراجها بين صفير الأصفار أو رجب ، والمنجمون يتحدثون باسم النجوم والأبراج ، وهي نفسها غافلة لا تدري ما يدور في أفلاكها وأبراجها . وفي الأبيات الخمسة التالية يذكر الشاعر عظيمة الموقعة ، وأنها لعظمتها تسمو

عن أن تصفها الخطب أو يصورها  
الشعر، وأن الله حقق بها للسليين أمانهم .  
وفيا بعد ذلك يصف الشاعر تحصينها  
وامتناعها على الفاتحين والغزاة ، ثم انتصار  
العرب ، ذلك الانتصار الذي كانت السنون  
والأحقاب تدخره للمعتصم ؛ يقول أبو تمام :  
وبرزة<sup>(١)</sup> الوجه قد أعيت رياضتها

كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب  
من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد  
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب  
بكرو ، فإفترعتها كف حادثة  
ولا ترق لايها همة النوب  
حق إذا غرض الله السنين لها

تخضع البخيلة كانت ذبدة الحقب  
ثم يمتحن أبو تمام فيدخل المعركة مع  
الداخلين ، ويصف بريشته الواعية ما حل  
بالمدينة من الدمار والحرب ، وما خرت تحت  
أنقاضها من فوارس وأبطال .

كم بين حيطانها من فارس بطل  
قانى الذوائب من آنى دم سرب  
لقد تركت أمير المؤمنين بها  
لنار يوما ذليل الصخر والحشب  
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى  
يشله<sup>(٢)</sup> وسطها صبح من الذهب

حقى كأن جلايب الدجى رغبت  
عن لونها أو كأن الشمس لم تنب  
ويلتفت أبو تمام إلى ذلك الدمار والحرب  
التفاته غريبة ، فهو منتصر وفي عينيه يلوح  
هذا الدمار والحرب جميلاً باهراً ، محبوباً  
كأنه ديار الأحبة المعمورة يطوف بها  
المحبون في إعجاب :

ما ربع مية معمورا يطيف به  
غيلان أبهى ربى من ربها الحرب  
ولا الحدود وقد آدمين من خجل  
أشهى إلى ناظرى من خدها الترب  
سماجة<sup>(٣)</sup> غنيت منا العيون بها  
عن كل حسن بدا أو منظر عجب

وحسن منقلب تبدو عواقبه  
جات بشاشته عن سوء منقلب  
فإذا فرغ الشاعر من تصوير هذا الشعور  
الغريب مضى إلى المعتصم ، ليوفيه حقه من  
التعجيد والمدح لما ناله من انتصار مؤزر ،  
ولا ينسى أن يذكر أن المعتصم نفر إليها  
حين نقلوا إليه أن امرأة تستغيث به فيها  
وتقول « وامتصاه » ، ويذكر كيف انهزم  
أمامه أعظم قادة الأعداء ، ثم يهتف به قائلاً :

خليفة الله جازى الله سعيك عن  
جرثومة الدين والإسلام والحسب

أعدائه ، وولنجتون ، ذلك القائد العنيد ،  
يتراجع قليلا أمام جنود نابليون ويوشك  
أن يصبح محصوراً في غابة قريبة .

ويقلق نابليون لأنه لم يراستامة من أعدائه  
في الكفاح كتلك الاستامة ، ولأن النصر  
السريع لم يواته كالعادة ، ولأن الحرب تدور  
في حقد وموجدة في جو ملاء تراب المعركة ،  
وزمام المعركة في يد المقادير :

أتى المساء ووجه الأفق معتكر  
وأوشكت ظلمات الليل تفسد<sup>(١)</sup>

وللصراع ققام ثم منقشر  
والضرب زلزل منه السهل والجلل  
والنصر أوشك أن يدنو إلى يده  
وأن يصح له في حربه الأمل

أدعى عدويه محصور بغابته  
قد شد أطنابه من حوله الفشل  
يرى بمنظاره ما لا يسر به  
ويرقب الجند في الساحات تقتتل  
دارت رحى الحرب في حقد وموجدة

والأفق بالعثير المبثوث مهتمل  
ويظهر « بلوخر » ، القائد الحليف لولنجتون  
من بعيد ، فيشتد أمل الحليفين في الانتصار  
على خصمهما الكبير ، وتصير أرض المعركة

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها  
تنال إلا على جسر من التعب

إن كان بين صروف الدهر من رسم  
موصولة أو ذمام غير مُنْقَضِب

فبين أيامك اللاني نصرت بها  
وبين أيام « بدر » أقرب النسب

أما قصيدة فيكتور هيجو ، فإن موضوعها  
يدور حول وقعة واترلو الشهيرة التي هزم  
فيها نابليون بوناپرت أمام الانجليز وحلفائهم ،  
ونفى بعدها إلى جزيرة سنت هيلانة .

وكان لنابليون حرس امبراطوري يفتخر  
به ، ويعتقد أنه لا شيء في الوجود يستطيع  
أن يعترض طريقه ، فأراد أنه أن يخفف من  
غلواء كبريائه وغروره بحرسه فأراه هذا  
الحرس في وقعة واترلو وهو يذوب - كتعبير  
هيجو - ذوبان الشمعة قاربها النار . لقد  
رأى نابليون بعينه جنده الأقوياء الأشداء  
يسقطون في الميدان صرعى فرادى  
وجماعات .

وقد استهل هيجو القصيدة ، بوصف  
مراة الصراع بعد أن حل المساء وبعد يوم  
طويل من القتال العنيف ، والضرب الذي  
زلزل منه السهل والجبل ، وغبار المعركة  
ينتشر في أجوائها ، ونابليون يمسك بمنظار  
الميدان ، ويتتبع حركات المعركة بينه وبين

[١] الشعر المنسوب إلى هيجو هنا من ترجمة  
صاحب المقال ونظمه .

صفوف من الفولاذ ، لا الجند ، حطمت  
فما بينها إلا طعين بجندل  
وذابوا كما ذابت لدى النار شمع  
وكل أمرى رهن بيوم يؤجل  
وهيجو في قصيدته ، يقص ، ويسترسل  
ولا يقدم للقصيدة بما يجعل أن الحرب كانت  
للاتقام أو لثأر أوشى من ذلك كما فعل  
أبوتام ، ولم يعن هيجو بأن يسبق على  
المنتصرين أوصاف الشجاعة والاقتدار  
في المعامع ، لأنه مهزوم ولعله أراد أن يبرر  
هزيمة ابن جلدته ، بعد أن أوقع به القائدان  
المتحالفان الرومى والانجليزى ، ولم يستطع  
كذلك أن يرسم لنا - كما فعل رصيفه العربى  
ما حل بالمنزعين من التدمير والتعطيم ، بل  
لأنه لم يذكر لنا - كما ذكر أبوتام - نتائج  
هذه المعركة الهامة ، وكل ما عنى به تصوير  
دخول الحرس الامبراطورى المعركة ،  
وتصوير هلاكه وهزيمته تحت نيران أعدائه .  
إن وصف المدينة المغار عليها ، التى  
أصابها التدمير والتخريب ، بلسان المنتصر  
المزهو بانتصاره ، وبالصورة التى صورها  
بها أبوتام هيئات أن نجد له مثيلاً  
فى أى أدب من الآداب العالمية ؟

كالجيم العارية . وتتمزق الأعلام وتختلط  
بالأشلاء ، ويخرقارح الطبل على نافخ البوق ،  
وأزهى الملابس والقلائس يطلخه وحل  
الأرض بالطين . ويتهاوى الجنود كما يتهاوى  
الأوراق ويميلون كما تميل السنابل .

روح القتال تغيرت وجهاتها  
والأرض تحسبها جميعاً عاوياً  
وكان كل كتيبة طود ، غدا  
من هول ما يرى به متداعياً  
كم قارع للطبل خر ، ودونه  
أزهى القلائس ما غدون زواهيها  
مالوا بميل السبيلات فواضجاً  
وتجدلوا فرط الجراح دأومياً  
والامبراطور العظيم تراه فى  
قلق ، وقد أمسى عبوساً عانياً  
قطوى صحاف الحرب بين يدي فنى  
يا طالما نشر الصحاف حوالياً  
ولا يجد نابليون مقرأ من أن يدخل  
حرسه الخاص المعركة ، ويتقدم الحرس ذو  
التاريخ المجيد فى المعارك :

لم فى ديفولى ، ذكره عبقرية  
وفى فرد ليياندرى النصر عنهم

ويتحلم الحرس ، ويذوب :

العرضى الوكيل

# اجتهاد أبي حنيفة وموقفه من الحديث

للأستاذ محمود الشريف

لا أصلح للقضاء . فقال له : كذبت ١١ فرد أبو حنيفة : قد حكم على أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء ، لأنه ينسب إلى الكذب ، فإن كنت كاذباً فلا أصلح ، وإن صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح ، فردوه إلى السجن .

وكما رفض القضاء بين يدي أبي جعفر رفضه بين يدي يزيد بن عمرو بن هند عامل مروان على العراق في دولة بني أمية ، وضربه ابن هبيرة بالسياط ثم خلى سبيله ، وكانت أمه إلى جواره تقول له : يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه . فأجابها : يا أمّهُ لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنني أردت أن يعلم الله أني صفت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة ، وظل في حبسه حتى مات بعيداً عن تحقيق أغراض السلطان الذي قال فيه عندما كان يوصي تليذه . أبا يوسف : كن من السلطان كما أنت من النار تنفع بها وتباعد عنها ولا تدن منها فإنك تحترق . ومن أبرز صفاته : قوة الحجة وبراعة

مع ظهور الإسلام تقدم الفكر وارتقت الحياة العقلية ونهضت الحضارة الإسلامية ، وبلغت ذروتها في العصر العباسي فأخذت زخرفها وتكاملت ، ونشطت الترجمة ونقل إلى اللغة العربية كثير من ذخائر الفرس واليونان والهند .

وفي هذا العصر ظهرت نهضة أصيلة لم تقم على علوم أجنبية ولم تركز على الترجمة ، هي النهضة التشريعية التي انبثقت من فقه أبي حنيفة ونبتت من حلقة العلية بمسجد الكوفة . وقد عاش الإمام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت قرابة سبعين سنة منذ مولده بالكوفة سنة ٨٠ هـ إلى وفاته ببغداد سنة ١٥٠ هـ . شاهد خلالها أحداث الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد كان متين الخلق قوى الشخصية لا تلين له قناة في الحق ، ورعاً عظيم الحشية لله ، طلب منه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء فرفض ، فعوقب بالضرب والسجن ، ثم دعاه الخليفة مرة ثانية من السجن وعرض عليه ما عرضه أول مرة فقال أبو حنيفة له :



الكوفي، وداود إبراهيم النخعي، وقد تلتذ على يد حماد وقال عنه، كما جاء في الجزء الثالث من تاريخ بغداد (صحبته عشر سنين ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة فأردت أن أعزله وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يوماً بالعشي وعزى أن أفعل، فلما دخلت المسجد ورأيت أنه لم تطب نفسي أن أعزله فجلست وجلست معه فجاءه في تلك الليلة نعي قريب له قد مات بالبصرة وترك مالا وليس له وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه فما هو إلا أن خرج حتى وردت على مسائل لم أسمعهامنه فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من ستين مسألة فوافقني في أربعين منها وخالفني في عشرين فأليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات).

ولما مات أستاذه حماد سنة ١١٩ هـ رأى أصحابه وتلاميذه أن خير خليفة يملأ مكانه في الفتيا والدرس والتعليم هو أبو حنيفة فأجابهم إلى ما طلبوه منه. وذاع صيته وارتفع شأنه وصار يجلسه العلي في المسجد مثابة لختلف الطبقات من حكام وأمرأ وقواد. وتلتذ عليه أئمة جاءوا من بعده مثل داود بن يوسف، وداود بن المزيلى. وعن حلقة أبي حنيفة يقول الأستاذ عبد الحليم

الاستدلال قالوا عنه لو أراد أن يقيم الدليل على أن هذه السارية (الاسطوانة) ذهب لفعل، وكان مع هذا كله إذا جمع المال تسابقت كفءاء في توزيعه على الفقراء وذوى الحاجة ...

كان تاجراً صناعته الفسكرة. ومفسكراً اشتغل بالتجارة، بل كان من أكبر تجار الكوفة في عصره، ومن خلال هذه الحرفة تكشف أخلاقه وتقواه، فلم تله تجارة ولا يبيع عن ذكر الله، وعرف بالأمانة في تجارته ومعاملاته.. كان لا يبخس ولا يخذع ولا يبيع شيئاً به عيب إلا بعد أن يبين للشترى ذلك العيب. بعث بمحتاج (بضاعة) إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة وأعله أن في ثوب منه عيباً وأمره أن يبينه للبشرين فباع حفص المتاع ونسى أن يبين العيب واستوفى الثمن كاملاً لهذا الثوب المعيب فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه البحث عن المشتري ولكنه لم يهتد إلى المشتري فساء ذلك أبا حنيفة وانفصل من شريكه وتصدق بثمن الثوب كله حتى لا يدخل في ذمته وماله شيء فيه شبهة.

تطلعت نفسه منذ صغره إلى المعرفة الحقة ورغب في العلم والاستزادة من معينه فاتجه إلى دراسة الفقه الإسلامى واتصل بكثير من أعلام الفقهاء في العراق كحماد بن سليمان

الجندی فی کتابہ . و أبو حنيفة بطل الحرية والقساح ، : لم تكن حلقة أبي حنيفة كسائر الحلقات ، بل كانت تأتي كل يوم بجديد يتجلى فيها طابع التطهر في الجسم وفي العقل معاً ، فلا يستعملون الماء إذا استعمله سواهم ، ومن أجل ذلك اتخذ أتباع أبي حنيفة للوضوء حياً ذات صنابير فنسبت هذه الصنابير إليه والحنفيات ، لأن استعمالها للوضوء يمنع استعمال الماء مرة أخرى والماء المستعمل غير طهور وعند أبي حنيفة ؛ فالحنفية التي تفتحها صباح مساء هي الذكرى المتجددة لهذه الحلقة المتألفة في طهارتها . وقد أسس النعمان مذهباً فقهياً أخذ أحكامه أولاً من كتاب الله ومن الأحاديث التي صححت عنده من سنة رسول الله عليه السلام ، ثم من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم فإذا لم يجد في كل ما تقدم حكماً اجتهد فيه برأيه واستعمل عقله لإيجاد حكم غير موجود في هذه المصادر التشريعية السالفة قال ابن عبد البر صاحب كتاب الانتقاء : قال أبو حنيفة عن أساس مذهب في استنباط الأحكام : أخذ بكتاب الله ، فما لم أجد فبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فما لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول أصحابه ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم فإذا انتهى الأمر إلى إبراهيم النخعي أو ابن سيرين أو غيرهم

فهؤلاء قوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا ، ومن هذا تتضح لنا الأصول والأسس التي قام عليها مذهبه وهي : القرآن والسنة وإجماع الصحابة ثم القياس أي الرأي والاجتهاد فكان أبو حنيفة يقيس المسألة على أخرى ليردها إلى أصل من أصول الكتاب أو السنة أو اتفاق الأئمة ، فيعمل فكره ويحكم عقله .

سئل أبو حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالف قولك ؟ قال : أترك قولي لكتاب الله . قيل : فإذا كان خبر رسول الله عليه السلام يخالف قولك ؟ قال : أترك قولي لخبر رسول الله . قيل : فإذا كان قول الصحابي يخالف قولك ؟ قال : أترك قولي لقول الصحابي . قيل : فإن كان قول التابعي يخالف قولك ؟ قال : إذا كان التابعي رجلاً فأنزل رجلاً ، وكان يقول : هذا رأيي فن جاءني بأحسن منه قبلناه ، ولا غرو فهو رائد من رواد الفكر الناضج والاجتهاد المستنير أراد أن يأخذ الدين عن أصوله الصحيحة ويقيم مذهباً على أحاديث ثابتة صحيحة سليمة فكان يفحص الأحاديث ولا يعمل بواحد منها إلا إذا ثبت عنده أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه . ومذهبه مملوء بالمسائل والأحكام التي تعتمد على أحاديث رسول الله وصحابته فهو لم يترك الأحاديث النبوية كما يشاع عنه ، إنما اعتمد على ما ثبتت صحته عنده .

إن صح هذا التعبير ، وكان يرجع إليها فيما يأخذ ويدع .

ويقول المرحوم أحمد أمين في كتابه « ضحى الإسلام » ، عن مسلك أبي حنيفة في الحديث « كان له مسلك خاص ، وهو التشدد في قبول الحديث والتحري عنه وعن رجاله حتى يصحح » وكان لا يقبل الخبر عنه رسول الله عليه وسلم إلا إذا رواه جماعة عن جماعة ، أو كان خبراً اتفق فقهاء الأمصار على العمل به أوردى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في جمع منهم فلم يخالفه أحد .

ويقول الأستاذ عبد الحلیم الجندي في كتابه السالف « أما أحاديث الأحاد التي يرويها واحد عن الرسول أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر عن واحد عن الرسول . وما أكثرها . فلا يطمئن إليها أبو حنيفة .

لأن هي الحرية العقلية التي اعتمد عليها أبو حنيفة فيما اعتمد ، وكانت مبدأ من أهم مبادئه ، أحدثت ثورة فكرية قوية وبمشت حركة عقلية أنتجت في عصر أبي حنيفة كما يقول المرحوم أحمد أمين « رقياً عظيماً واستخرجت أحكاماً ونظريات هي خير نتاج العصور الإسلامية .

### محمد الشريف

مراقب الكتاب بوزارة التعليم العالي

بقول نعيم بن عمرو سمعت أبا حنيفة يقول : « عجباً للناس يقولون إنني أفتي بالرأى وما أفتي إلا بما أئثر عن النبي ، وقد ورد ذلك في كتاب المناقب للسكي الجزء الأول .

وقال يحيى بن آدم ، وكان من كبار فقهاء المحدثين بالعراق ، « زعم بعض الطاعنين أن أبا حنيفة قال بالقياس - الرأى - وترك الحديث وهذا كذب واقتراء عليه ؛ فإن كتبه وكتب أصحابه بملاوة من المسائل التي تركوا العمل فيها بالقياس وأخذوا بالآثار الواردة فيها ، ثم ذكر يحيى بعد قوله هذا بعض هذه المسائل .

وكان أبو حنيفة عالماً بالحديث حجة فيه ، يقول أبو يوسف أكبر أصحابه « ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواضع ما فيه من أبي حنيفة وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني .

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه « عن أبي حنيفة » ليس لمباحث منصف أن يرمى أبا حنيفة بأنه كان يترك عامداً بعض ما صح عنده من الحديث والآثار ليأخذ بالرأى والقياس ، حاشاء أن يكون فعل شيئاً من ذلك وإلا لما كان مؤمناً حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عنه ، بله أن يكون اماماً من أئمة الشريعة الإسلامية الخالدين . غاية ما في الأمر أنه كان بصيراً بالأحاديث والآثار وكان له أصول وقواعد في « فقه الحديث ،

# الآلة والآداة

للمستاذ محمد مجت الأثرى

ثم نزل بها التنزيل، لتكون عمود الدعوة العظمى، ولسان الشريعة والعقيدة والحضارة والفكر، وانساحت مع العظماء الفاتحين العرب في جنبات الأرض شرقاً وغرباً، وامتدت معهم امتداد المحيط الأعظم لا تدرك شواطئه، لجرت على يفس الصعيد هنا وهناك ماء وظلا وجنى، واستسلمت لاسحر بيانها الأبدية، فتناغى بها من ليسوا أهلها واستجابت لسل كل نداء، وتلونت بكل إناء، وكان لها على كل لسان مذاق.

وبعد أن وسعت كتاب الله لفظاً وغاية، آية آية، ووفت بمطالب الإسلام العظمى في الدعوة والتشير والفتح، جرت مع السياسة والإدارة أشواطاً بعيدة واستلهمتها الحضارة والنفس الإنسانية كما استلهمها الدين عقيدة وشريعة ونظاماً، فأمدتها بما طمحت إليه من إبانة، وما أدركها في طريقها الطويل فناء، ونهضت بمنطق أرسطو، وعبرت فأحسن التعبير عن فلسفة الإغريق وثقافات الصين والهند وفارس، وانداحت دائرتها للصوم والفنون والآداب التي عرفتها عصور العرب الذهبية وكانت تربو على ثلثمائة عدا، بينها

كل كائن حي، يدخل عالم الحياة طفلاً، ثم يتدرج إلى الشباب فالكمولة فالشيخوخة التي تسلم إلى الفناء... إلا كائناً واحداً كان استثناء من القاعدة، ذلك هو هذه اللغة العربية.

فإنها دخلت عالم الحياة طفلة كما تدخلها الأحياء كافة. ثم درجت في مراحلها التاريخية حتى اكتملت قوتها، فوفقت لا تريم عند شباب دائم لا يشيب، بل يشب شباباً، ويتجدد على هرم الزمن، آخذاً في نموه صعوداً على نظام الارتفاع. ذلك بما استكن في طبيعة تكوينها من القوة التي تعطيها الحياة الدائمة من باطنها الحي وتحفظ عليها شباب السن مع استبقائها متميزة في نفسها.

ولدت هذه اللغة الكريمة العظيمة في زمن قديم لا يعرف أوله، واجتازت مراحل تطورها الطبيعي التاريخي، حتى شارفت الجماهير الأخيرة مكتملة النضج تنفص هروفاً فترة وقوة وحياة، متميزة باستعلان الشأن واستعلائه بصيرورتها عمود القومية ولسان مفاخرها ومآثرها في الوجود.

جملة ، وزاحت لغة التخاطب في المنازل والأسواق والمجتمعات ، فاحتلت آلاف من مواضعها مكان المواضع العربية في التجارة والصناعة والزراعة ونحوها من شؤون الحياة .

وأعان على ذلك شيوع الجهل والامية في الناس ، وخمود جذوة القومية العربية ، وفقر الحاسة للغة العربية ، بما رزأت به الدول الأجنبية الباغية تلك المجتمعات : من سد منافذ المعرفة بوجوه أجيالها الناشئة ، وتغليب سلطان لغاتها على سلطان اللغة العربية تغليباً حصرها في دائرة ضيقة بين أسوار عالية تحجب عنها الأفق الذي تطمح ببصرها إليه . حتى إذا تنفس فجر هذا العصر ، وبدأت الأمة العربية تنسم نسيم الحرية ، وتحاول أن تسترجع الذاهب من سلطانها السياسي والقومي والاجتماعي .. كانت المدنية العصرية قد دخلت الأقطار العربية على حظوظ متفاوتة من القوة والضعف بعلومها وفنونها وصناعاتها ومخترعاتها وضروب أنشطتها ورياشها وآبئها وصنوف مطاعها ومشاربها وطبقت تفرض على اللغة العربية أسماءها الدخيلة التي تميزها أفواجا لآثر أفواج ، كما تفرض نفسها على الحياة العربية بكل مقوماتها ومفاهيمها ومسمياتها وأعيان آلائها وأدواتها ومختلف مظاهر الحضارة .

كثير مما لا يهتدى إليه أهل التمدن الحديث إلا بعد أن نضج تمدنهم في القرن التاسع عشر الميلادي ، كالسياسة المدنية والشرعية وتدبير المنزل والاقتصاد السياسي والعمران والاجتماع وفنون الحرب وآلاتها ونحو ذلك من مبتكرات العقل التي جالت فيها أقلام القوم وأنت منها بالبدائع والروائع .

وكما عذبت في فم ابن البادية والنسجمت مع نوازعه وأفكاره وطبيعته بداوته ، وأبانت فأجادت الإبانة عن مقاصده ورغباته وأهوائه ... عذبت كذلك في فم الحضري المثقف الذي ربي في أحضان الترف والنعيم ، وأسلمت قيادها لمطالب معيشته ونوازعه النفسية وخطراته الفكرية والشعورية وحاجاته العمرانية والمدنية ، وتلونت بألوان حياته في جده وهزله ، ومدت له في كل شأن من أسبابها ما شاء ، وما غانته في أرب من آرايه .

حتى إذا انحسر سلطان العرب من منا ومن هنا ، وتراجع التمدن العربي الإسلامي أمام طوفان الغزاة - المغول والصليبيين والأسبان - انحسر سلطانها من الشرق والغرب وسال سيل العجمة في الأوطان العربية ، وهجمت الألفاظ الأجنبية الدخيلة على الألفاظ العربية الأصلية في الدواوين فأبعدتها منها

سيطر الرأى الذى يحقق سلطان اللغة العربية وقدرتها على الاستقلال بنفسها فى التعبير عن الحاجات والأفكار وعن شئون الحياة جليها ودقيقتها وعن مطالب العلوم والعنون والصناعات ، مستغنية بثروتها عن الاستعارة من اللغات ، إلا ما تقضى به الضرورة فى بعض الحالات .

على أنه ينبغي أن نذكر فى صراحة تامة أن المندى أمام اللغة العربية فى هذه الأشياء ما يزال بعيداً ، وكلما قرب بعد ، ذلك لأن الحضارة زداد فى كل يوم تقدماً وانفساطاً واتساعاً وقمعد بكثرة ما يتطور أو يتجدد من شئونها ولا سيما شئون الفنون والصناعات والمخترعات ، وذلك كله يفتضى من علماء اللغة أن بدأوا وبواصول الأدب ، وأن يضطهوا دائماً فى غير تلبث ولا وناء بمجهود عفيف مستمر يتكافأ مع حركة الإنتاج المتدفق وحواوزه السريعة لا أستاذى ولا أعرف البطء ، لأن الحياة العصرية مدفوعة بالحركة والسرعة والنشاط الذى لا يفتقر . ومن وفى عن الاندفاع منها خلته وراء ما فيظل فى الساقاة أو وراء الساقاة منقطعا .

وأن أول ما يقتضى من علماء اللغة المبادرة إلى التعبير عنه وتسميته تسميات عربية دقيقة هو ما يدور بين الناس من أسباب العيش ووسائله وما يكون اتصاله بحياتهم أقرب

هنا وقعت اللغة العربية أمام حالة جديدة خطيرة من غزو اللغات الأوروبية الحديثة بعد غزو اللغات الشرقية القديمة ، تؤذنها بشر مستطير أثيم واحتلال لغوى أجنبي مقيم ، وتقتضيها الاستعصام بقواها الطبيعية لدحر هذا الغزو وهزيمته .

وبدأت فى غمرة الموقف تتأمل تأمل المستبصر فى العواقب ، ما الذى تصنعه : هل تأذن لهذه الألفاظ الأعجمية الدخيلة أن يسيل سيلها وتفرقها بصيغها وأشكالها ولغائها بل رطاناتها المتعددة عن طواعية واستسلام ؟ أو تقبلها كلها أو بعضها بعد إخضاعها لأصول التعريب ، كما فعلت إبان تاريخها المديد عندما اتصلت بشعوب الأرض اتصال الند بالند أو اتصال الغالب بالمغلوب فأخذت قليلا وأعطت كثيرا ، وما فرطت من مقومات شخصيتها الأصلية شئ ؟ أو تضطلع بما تطلبه الحياة منها من ألفاظ هربية خالصة تؤدى المعانى الأجنبية بالنقل وبالاقتقاق من صميم مادتها الأصلية ، وهى بها فارهة وغنية أكبر الغنى ؟ وفى هذا نشب الخلاف بين اللغويين وجماعات من الدارسين والباحثين فذهب كل فريق مذهبا ينبع من طبيعة دراسته وتلقيه ووعيه الخاص ، ثم لم يلبث أن خفت حدته وطفق يزول رويداً رويداً كلما تطورت الحياة العقلية والعلمية وازداد الشعور القومى ، حتى

ويلائم بينه وبين الحاضر من غير قسر ولا إغناء فتستعمل الألفاظ العربية التي نسبت في معانيها الأصلية ، وفيما يشبه معانيها الأصلية أو يكون لها بها صلة غير المشابهة .

ولا ريب في أن التوسع في أوضاع اللغة القومية حتى تفره وتغني بنفسها أبقى على حياتها وأضمن لدوام شبابها وتجده من الصلاح للدخيل باقتحامها واحتلال مكانها كما يود الناس ، أن يكون .

إن دواوين اللغة العربية تفيض بأسماء الآلات والأدوات والأثاث والرياش والماعون وألفاظ الشؤون العامة التي تشتد حاجة الناس إليها . وقد استخرجت من كنوزها ما استطعت ، وجملته على طرف الثمام من متناوليه ، ليستعملوه في التعبير عن المعاني الجديدة وفي إطلاقه على المسميات المستحدثة على النحو الذي أشرت إليه وهو سبيل مسلوكة في اللغة العربية منذ القديم . والوسيلة الثانية : هي وسيلة الاشتقاق الذي هو في اللغة العربية أشبه بـ " المولد " generator في الصناعات الآلية ، ما يفتأ يولد لها الطاقة بعد الطاقة ويمدها بالقوة والقدرة على الحركة والعمل ما تحرك فكما أن هذا هو شأن " المولد " في الصناعات الآلية ، فكذلك الاشتقاق في اللغة العربية يمدها ما امتد بأهلها البقاء على وجه الزمن

من غيره ، وما لا ينفصلون عن تناوله واستعماله لحظة من اللحظات من أجهزة وآلات وأدوات كهربية وبخارية يمارسونها في المصانع أو يرتفقون بها في المنازل والفنادق والمطاعم وهي وما إليها من صنوف الرياش والأثاث والماعون من الكثرة والتنوع والتعقيد والشيوع بالمسكان الذي لا يوصف ومعظمها يتطلب تسميات عربية فصيحة مأنوسة تسوغها الأذواق .

ولشد ما يستشعر الإنسان الضيق والخرج حين يستعمل هذه الأشياء فيتمذرع عليه الوقوع على أسماء عربية لها ، أو يتقبح لبعضها على أسماء عامية ، أو معربة ومنها ما أصابه أشنع التحريف فأفسد معناه كالذي سمعته ذات يوم من عامل في مصنع يمالج أداة عطبت في سيارة ، فسألته عن اسمها ، فأرأته يتردد ، ثم قال بعد لأي بسداجة العامي البريء : اسمها — أكرمك الله — " نذل " وهو لا يعلم أن أصلها الانكليزي Needle معناه الإبرة ، ولم يحضر بباله أن يفكر فيم يقال لهذه الأداة التي تشبه الإبرة " نذل " بحيث لجأ إلى التأدب مع مخاطبه وإكرامه عن ذكرها له حين اضطر إلى إسماعه إياها استجابة لسؤاله ، ومثل هذا كثير .

والمشكلة القائمة تحل بوسيلتين :  
الوسيلة الأولى : هي أن يستحيا القديم ،



فقدوا مطلقه وحرروا مباحه وحجروا به واسعا .

أما وقد تجددت حياتنا على نحو يتطلب منا الاستبحار في كل شيء ومن ذلك اللغة ، فلا مناص لنا من أن نعيد النظر في قاعدة ( اسم الآلة ) هذه ، وأن نبجسها بجسداً جديداً متعمقا يوضح غموضها ويكشف معالم ميدانها الفسيح وينتهى بها إلى غايتها من الانتفاع بها في توسيع مادة اللغة في جانب من أهم جوانبها بالقياس إلى الحياة الحاضرة .

\* \* \*

بحثت هذه القاعدة في كتب النحو على طريقتين مختلفتين ، سارت بها كل منهما على منهج بحثي في سائر أبواب النحو . أولهما ما أسميه بالطريقة العربية ؛ لأنها تقوم على الاستقرار اللغوي ومراعاة الاستعمالات العربية الأصلية فتعقد ولا تعقد . والآخرى ما أسميه بالطريقة الانجليزية ، لأنها تسير على منهج من التعليل المنطقي قلنا تلتفت معه إلى الاستقرار اللغوي ، وتفرض شروطا تحرم أنواعا من مباح الاستعمالات العربية ، فتعقد وتعقد .

( ١ ) فأما الطريقة العربية ، فقد تناولتها من ناحية أبنية بعض الصيغ الاشتقاقية التي تلحق أروها ميم مكسورة . للتفريق بينها وبين صيغ أسماء المكان والمصدر التي تكون على

ويساعدها على نموها وتطورها دائما وعلى إسعاف الحياة بما تتطلب منها من الأعاظ .

وسبيل هذه الوسيلة سبيل لا حب معروف ، قد عبده اللغة العربية بفطرتها المستقيمة ، ونوعت الآلات التي تبلغ براكبها غاية البعيدة في سهولة ويسر . . . لكنه تخيفه الخالمون وجاروا عليه فضيقوه وألقوا فيه الحسك والشوك ، وقصروا سلوكه على آلة معقدة مغلقة مثقلة بالقيود البطيئة الحركة كراحلة صديق الشاعر القاهري الظريف « البهاء زهير » :

تمشى فتحسبها العيو ن على الطريق مشكله  
مقدار خطاواتها الطوي لة حين تسرع أتمله  
وتخال مدبرة إذا ما أقبلت مستعجله  
تهتز وهي مكانها فكأنما هي زلزله  
واعنى بهذه الآلة ، قاعدة ( اسم الآلة ) كما وردت في كتب النحاة المتأخرين ، وما أريد بما أصف من حالها غير المجد الذي يمكننا من النهوض بأداء الأمانة .

على أن بحث اسم الآلة هذا في جملته وأساس تناوله ، لم يتوسع فيه النحاة من من قدماء ومحدثين ما توسعوا في غيره من مباحث النحو واللغة ؛ لأن الحياة القديمة لم تكن تدعو لبجسه وتلح على تعمقه ، فأوجز الأوائل فيه الكلام إيجازا شديدا ، ونقله الأواخر عن نهجه في لغة العرب



ومسعط ومدهن ومدق ومكحلة ، فإن هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم .

وقال ثعلب في « الفصيح » ، وابن السكيت في ( إصلاح المنطق ) : « كل اسم في أوله ميم زائدة على مفعل ومفعلة ، مما ينقل أو يعمل به ، فهو مكسور الأول ، نحو :

مطرقة ومروحة ومرآة ومئزر ومحلب للذي يحلب فيه ويخيط ومقطع ، إلا أحرفا جئن نوادر بالضم في الميم والعين ، وهن : مدهن ومنخل ومسعط ومدق ومكحلة ومنصل وهو السيف ، ذلك هو منحنى الأوائل في المسألة ، وهو يتلخص في أمرين :

(١) أن القصد هو بحث بناء مفعل ومفعلة ، وضبط حركة الميم التي تلحقهما بالكسر لما ينقل أو يعمل به من الأسماء ، والفتح للكان والمصدر ، إذ كانت العوام تلحن في ذلك فتفتح ميم مفعل ومفعلة مما ينقل أو يعمل به ، وإنما هي بالكسر . وليس القصد أن يحصر اشتقاق اسم الآلة بهذه الصيغ الثلاث حسب ، فإن ذلك لا دلالة عليه في هذه النقول .

(٢) عبر سيبويه عن الآلة لا بلفظها بل بملحوظها وهو قوله « ما يعالج به » ، وأتى الكسائي بصريح لفظها مجموعا (الآلات) غير أن مفهومها عنده هو « ما يوضع ويرفع » ، فهل يفيد هذا التعبير ما أفاده تعبير سيبويه ، أو هو يفيد معنى (الأداة) كما أفهمها منه ،

مثالها وتفتح ميمها ؛ إذ كانت العرب تفرق بين دلالات الصيغ المتشابهة بالحركات وغيرها ، فتقول مثلا « مقص » ، للشيء الذي يقص به ود مقص ، للنصدر والموضع الذي يكون فيه القص ، لم يذهب إلى أبعد من ذلك ولا إلى أكثر منه مما يستدعيه البحث التفصيل .

فقال سيبويه من أئمة نخاة البصرة الأوائل في ( الكتاب ) ، وأوجز : « باب ما عالج به : أما المقص فالذي يقص به ، والمقص المكان والمصدر . وكل شيء يعالج به فهو مكسور الأول كانت فيه تاء التأنيث أو لم تسكن ، وذلك قولك : محلب ومنجل ومكسحه ومسلة والمصفي والخرز والخيط . وقد يجيء على مفعال ، نحو : مقرض ومفتاح ومصباح وقالوا المفتح كما قالوا المخرز . وقالوا المرسجة كما قالوا المكسحة » .

وقال الكسائي من أئمة الكوفيين في ( كتاب ما تلحن فيه العوام ) : « وما كان من الآلات مما يوضع ويرفع ، مما في أوله ميم ، فأكسر الميم أبدا على مفعل ومفعلة تقول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة وبجرة ومسرجة ومشربة ومرفقة ونخدة ومحسة ومظلة ، فهذا كله مكسور الأول أبدا ، سوى منخل

ثم جملة جار الله الزخشرى . وقد يكون غيره سبقه إليه ، عنوان الباب في (المفصل) .  
(ب) — وأما الطريقة الأجمية ، فقد تناولت القاعدة على منهج بحثها بالتعليل المنطقي وفرض الشروط التي تحرم المباح من الاستعمالات العربية . ووضعت لها تعاريف على أنحاء تتقارب في أشياء وتباعد في أخرى .

ولعل لا أبعد عن الصواب إذا زعمت أن الزخشرى هو واضع أساس الطريقة الأجمية لاسم الآلة ، وإن كان تعريفه له يوم لأول وهلة أنه بسبيل من نهج الأوائل . إن لم يكن غيره سبقه إلى ذلك . ونص تعريفه : اسم الآلة : هو اسم ما يعالج به الشيء . وينقل ، ويحجى . على صيغة مفعول ومفعلة ومفعال ، وشطر التعريف الأول منقول من الطريقة العربية من ثعلب وابن السكيت مع فارق بين الواو في نصه أو في نصهما كما رواه السيوطى . . ولكن شطره الآخر قد عدل به عن طريقة الأوائل في تناول الباب من جهة التفريق بين دلالة حركة ميم مفعول ومفعلة بالسكسر والفتح إلى حصر الاشتقاق بهذه الصيغ الثلاث ( التي أخذها من سيبويه . ولم يذهب كما نبه سيبويه على قلة مفعال فجعلها كلها على مستوى واحد من الشيوخ ) دون غيرها من صيغ الآلة الاشتقاقية المتعددة في اللغة

وبين الآلة والأداة فرق لا شبهة فيه سأفصله في موضعه من هذا البحث ، وقول ثعلب وابن السكيت : وما ينقل أو يعمل به ، نص على هذا التفريق . فكأن ثعلبا وابن السكيت قد استدركا بهذا الملاحظ الجديد على قاعدة سيبويه الساذجة ما نقصما ودلا به أيضاً على ما فاته من الموامة بين المعنى العلاجي والتشيل له ، لأن من أمثلته : المحلب ، للذي يحلب فيه ، وهو وعاء يكرن فيه الشيء . ولا يعالج به كما يعالج بالمقص مشلا ، وشتان ما هما ، فذلك أداة وهذا آلة . وهذا الملاحظ هو في الوقت نفسه تصحيح لكلام السكسائي أيضاً .

هذا ، وقد تردد لفظ الآلة في كلام الفراء المنوفى سنة ٢٧٦ هـ في التفريق أيضاً بين دلالات حركة ميم مفعول ومفعلة بالسكسر والفتح ، نقله ابن قتيبة في أدب الكاتب - السلفية ٣٣٤ ، فقال : وقال الفراء : يقال مرقاة ومرقاة ، والفتح أكثر ، وكذلك مسقاة ، ومسقاة ممن جعلهما ( آلة تستعمل ) كسر ، مثل مغرفة ومقدحة ومصدغة . ومن جعلهما موضعاً للارتقاء وللسقي نصب ، على فتح الميم فيهما .

وذكر لإصطلاح ( اسم الآلة ) على بن على الرماني المنوفى سنة ٣٨٤ هـ في شرحه كتاب سيبويه مدرجاً بعد قول سيبويه : باب ما عالج به ، .

ومفعال ومفعلة بكسر أولها ، والأصل في الآلة مفعال ، والآخران منقوصان منه ، كالحلب والمفتاح والمكسحة لما يستعان به في الحلب والفتح والكسح .

وقال صاحب الجمع ٢/١٦٨ : « بناء الآلة مطرد على مفعل بكسر الميم وفتح العين ومفعال ومفعلة كذلك ككشف ومجذع ومفتاح ومنقاش ومكسحة والمفعل بضمين ، والمفعل بفتحين ، والفعل بالكسر : يحفظ ولا يقاس عليه ، كمنخل ومسقط ومدفن وآرث آلة تأريث النارأى لإضرارها وسراد ما يسرد به أى يخز .

وقال بعض الشراح : « المفعلة لا تنقاس ،

وقال نظام الدين النيسابورى : « وهذه الأوزان ، أى مفعال ومفعل ومفعلة قياسية لا من حيث أنه يجوز أن يشق كل منها من أى فعل اتفق وإن لم يسمع ، بل من حيث أن كلا منها إن كان قد ورد السماع به فى فعل معين أمكن أن يطلق هو على ما يمكن أن يستعان به فى ذلك الفعل ، كالمفتاح ، فإن كل ما يمكن أن يفتح به البيت يسمى مفتاحا وإن لم تكن الآلة المعروفة بذلك .

**فهرست برهنة اخرى**

( البقية فى العدد القادم )

العربية ، وهذا القيد الذى يحرم ذلك هو من صميم القيود التى فرضتها الطريقة الأعجمية ، ولم يقل به الأقدمون .

ثم جاء الحائفون فأضافوا إليه قيودا أخرى ، وصاغوا قاعدتهم صياغات متنوعة وإن عليها الاختلاف والاضطراب ، وهى كثيرة لست بسبيل نقلها إلى هذا المكان وإنما حسبى منها نقل ما يستجمع أصولهم فيها لأدل على فسادها بالقياس إلى الاستعمالات اللغوية عند العرب .

قال صاحب روح الشروح على (المقصود) : « أما اسم الآلة فاسم مشتق من يفعل لما يعالج به الفاعل المفعول ، ولذا لا يبنى إلا من الفعل الثلاثى المتعدي .

وقال الزنجباني صاحب « العزى » : « وأما اسم الآلة ، وهو ما يعالج به الفاعل المفعول لوصول الأثر إليه ، فيجىء على مثال مفعل ومفعلة ومفعال . كحلب ومكسحة ومفتاح .

قال السعد التفتازانى : « وقد علم من تعريف الآلة أنها إنما تكون للأفعال العلاجية ، ولا تكون للأفعال اللازمة ، إذ لا علاج لها .

وقال الشيخ زكريا فى ( شرح الشافية ) : « الآلة للفعل الثلاثى ، وهى اسم لما يستعان به فى الفعل المشتقة هى منه ، تجىء على مفعل

# الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرفاوى

## خاتمة المقال

أصدرت الوزارة عن مجلسها الإسلامى الأعلى بعض أجزاء من « دوطاً مالك » ، برواية محمد بن الحسن الشيبانى ، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب للعزیز للفيروز بادى .

وفى مثل ذلك الوقت قررت كلية الحقوق فى جامعة القاهرة ، بتوصية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، أن تطبع كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطى مع حواشيه . وهذه الكتب وأشباهاها كان من الخير ، أو من الطبعى ، أن تحقق وتصدر عن الأزهر . وقد أناط قانونه الجديد هذه المهمة به ، ونعتقد أنه سيمكن منها على وجه كاف منتج كريم .

أما المهمة الثانية فى هذه المادة من قانون « تطوير الأزهر » ، التى تنيط به حمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب والعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ، فذلك مما يستطيع الأزهر أن يؤديه للعالم وللإسلام عن طريق مبعوثيه وعن طريق رسائل تكتب بفهم وإدراك ، مع

« الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة » .

هكذا حدد قانون « تطوير » (١) الأزهر مهمة هذا المعهد العظيم ورسائله ، أو بعض هذه المهمة والرسالة .

أما المهمة الأولى : وحفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، فهى عمل طالما تمنى المخلصون للأزهر والإسلام أن يقوم به . وقد رأينا من ذلك فى السنة الماضية بعض نشاط لوزارة الأوقاف ولكنه كان مشوباً بشئ من الخطأ والخطر تحدثنا عنه يومئذ (٢) .

(١) المادة : ٢ من القانون ، الباب الأول فى الأحكام العامة .

(٢) انظر مقالنا : « حول تقويم الفكر الدينى » مجلة آخر ساعة فى ٤ أكتوبر ١٩٦١ « العدد ١٤٠٦ » .

يمكن أن يراجعها أمثال هؤلاء الفاقهين البصراء من رجال الأزهر ورجال الثقافة الإسلامية . ثم يعلقون عليها بما يوضح أو يفسر أو يصحح ويعتمدها الأزهر ترجمة يجيزها وبقرها وينشرها في العالم كله لمن يقرءون الانجليزية .

هذا هو جانب الإيجاب في هذه المهمة : لإظهار حقيقة الإسلام وحمل الأمانة فيه ، وهناك ، في هذه المهمة ، جانب سلبي لا يقل أثراً ولا خطراً عن هذا الجانب الإيجابي .

فهناك من السكتب الإسلامية — أو التي تصالح الناس على نسبتها للإسلام — ما هو معارض لجوهر الإسلام مدار له . أو ما هو معوق لنهضة المسلمين مفسد لعقيديتهم . وما دام القانون قد احتفظ للأزهر بحق المراجعة والاعتراض وطلب المصادرة لما يطبع وينشر فيجب أن تراجع هذه السكتب على ضوء ما فيها من الضرر والشر والمخافة لصحيح العقيدة ، لا على ضوء الاعتبارات العامة وشعور الجماهير واعتبار الرعاية لواقع والمألوف المرضى من الناس ، أو من عامة الناس . لأننا لو راعينا هذه الأمور لما تطور الأزهر وما تحررت الآراء الخاطئة في الشريعة وما تغير شيء مما ألفه الناس وارتضوه ودرجوا عليه .

بين يدي وأنا أكتب هذا المقال كتاب من السكتب الإسلامية ، القديمة ذات

العلم والعقده فما يمكن أن ينشر . ويفيد ، بين سكتا ، إفريقيا لا يمكن أن ينشر بين المثقفين من أهل أوروبا وأمريكا ، وقد يضر نشره بينهم ، بل هو في اعتقادي ، محقق الإضرار . هذا ما أقصده وأنا اذكر : د الفهم والإدراك ، قبل العلم والعقده . فالوضع هنا مما يحتاج إلى ذكاء وفهم ودراسة لعقليات هذه الشعوب وثقافتها ومشاكلها ونايحتها وشئونها الحاضرة وأوضاع المجتمعات فيها ، يحتاج إلى شيء كثير من ذلك ، وقد يحتاج إلى أقل منه من « العلم والعقده » .

ومن الشئون التي تتصل بذلك أوثق الاتصال ، ترجمة معاني القرآن ونشرها باللغات الأوربية . واللغة الانجليزية بخاصة وقد كان لأمر هذه الترجمة ضجيج وعجيج قبل ثلاثين سنة لم يسفر عن شيء . ثم تجدد ذلك قبل سنوات قريبة كان صوت التقليديين فيه أشد هلواً وعتواً من رأى المفكرين الفاقهين المدركين . وأعتقد أن هذا الأمر يمكن أن يحسم بأن يقوم الأزهر المتطور بمراجعة ترجمة شهد المختصون من العلماء للفاقهين وأهل اللغة بصحتها وسلامتها ، مثل ترجمة السيد محمد علي الهندي مثلاً . هذه الترجمة — وقد شهد لها كثير من أهل العلم والدراية والفهم للقرآن وهم في الوقت نفسه أهل بصر وذوق في اللغة الانجليزية —

وكذلك أجده فيه أن الله تعالى خاطب الشيخ وفوض له أن يفعل ما يريد بالأولياء فيقبل منهم من يشاء ويرد من يشاء . . . ١٠٠ والكتاب كله من هذا الطراز . وقد قرأته وقرأه قبلي ، كما قلت قبل قليل ، مئات الألوف من الناس على مدى قرون كثيرة ، وما تزال ألوف وألوف تقرأه قبل تطوير الأزهر ومع تطويره وبعد تطويره ما دام لم يتخذ حياله وحيال أمثاله شأنا حاسماً يبري دين الله من هذا الذي هو شرك كله وشركه على المسلمين والناس جميعاً

ولا يقولون قائل إن هذا اللون من الثقافة الإسلامية ، قد أدر شأنه وضعف أثره . فهذا الكتاب الذي عرضت طرفاً مما فيه ألف قبل قرون عن شيخ مات في القرن السابع الهجري ، قبل أكثر من ثمانية قرون ، ثم يطبع في عصرنا هذا فيكتب ناشره تحذيراً لكل « من تجسارى على طبعه » ، بغير إذن . وما ذلك إلا لما يعلمه ويوقنه من إقبال الناس عليه ورغبتهم فيه ، بل لهفتهم عليه . وبعض المسلمين أو كثير منهم يقرأ ما في هذا الكتاب وأمثاله أو يروي به يقصه معتمداً أو موقناً أنه يقدم لنفسه بذلك إلى الله عبادة وقربى . بل إنى أجده كتاباً آخر ألفه في عصرنا الحديث هذا عالم ، لا يزال حياً وهو يتحدث في كتابه هذا عن الجن والسكر والتسلط

الذئوع والرسوخ ، وأنا أقرأ في هذا الكتاب . كما قرأه مئات الألوف من المسلمين وغيرهم من قبلي ، فأجده يقول - في كرامة شيخ من الشيوخ - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج قد بلغ سدرة المنهى ومعه جبريل ، فتخلف هذا عن رسول الله ثم قال : يا محمد لو دنوت أنملة لاحترقت فأرسل الله روح الشيخ . . . . إلى ذلك المقام - الذي توقف عنده ملاك الله جبريل - ووضع الشيخ موضع اليراق حتى ركب النبي عليه السلام على رقبته . أى رقبته الشيخ ، وأمسك عنان الشيخ بيده وسار حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، وعند ذلك قال النبي عليه السلام للشيخ : يا ولدى وحدقة عيني ، قدسى هذه على رقبتك ، وقدماك على رقاب كل أولياء الله تعالى . وأجده يقول إنه ، أى الشيخ ، وهو في المهد رضيع ، كان يمنع نفسه عن ثدى أمه في رمضان من الفجر إلى الغروب . لأنه صائم . . . . وكذلك يقول إن من ذكر اسم الشيخ على غير وضوء فارق رأسه جسده فيموت ! ولكن أهل بغداد طلبوا من الشيخ الشفاعة والرحمة في ذلك فشفعهم ورفع ذلك عن أهل العناد . وأجده في هذا الكتاب أن هذا الشيخ كان يحى الموتى بإذنه . . . فتوجه إلى القبر وقال قم « يا ذى » فانشق القبر وقام الميت حياً حقيقياً ، كما كان في حياته مغنياً .

وسلامة العقل وسلامة الحياة جميعا . ومثل هذه الكتب هو الذى يجب أن يصادر ، لا غيره .

وأعتقد أنى أطلت [١] فى أمر هذه الكتب وصلتها بالأزهر والطور ، ولكننى أعتقد أيضا أن القارىء يرى معنى خطرها وضررها وأنها تستحق منى هذا القدر من الإطالة ، ومنه هذا القدر من الصبر .

وهذا لون من الثقافة ليس إسلاميا ولكن ضرورى لرجل الفكر الدينى الذى نرجوه من الأزهر المتطور ، ذلك هو دراسة النهضة الأوربية المعروفة بحركة الإصلاح ، وماسبقها من النهضة ، أو الثورات المسيحية . وحركات « الصلح الفكرى » ، أو الاحتجاج — حركة لوتر وكلفن — وأثر الفكر الإسلامى وحرية للعقيدة الإسلامية فى ذلك . والصراع بين العلم والدين فى العصور الوسطى . هذه وأمثالها ألوان من الثقافة ليست إسلامية ولكن دراستها بفهم واستيعاب وتوسع ، مما يجب أن نجده عند رجل الفكر الدينى ، ولا يكون رجل دين مثقف ، ولا بيئة دينية ذات أثر وخطر إلا إذا درس ودرست تلك بعناية وفهم ، وكانت هذه المشاغل والمشاكل من

والعزيمة ، وعن الغواصين والترايع والطيارين والقرناء ويذكر فى ذلك « الأثير » ، والعلم الحديث ، ويذكر ، إلى جانب ذلك ، زواج الجنى وتناسلهم والإحصار بينهم وبين بنى آدم ... ١ ويذكر أن عصى موسى تقدمت ، إلى فرعون ، بعد أن صارت حية ، تريد ابتلاعه وفتحت فاهها فكانت سمته ثمانون ذراعا .

فهذه « الثقافة الإسلامية » ، ما زالت باقية عميقة الجذور ، وما زالت الكتب والمؤلفات فيها توضع وتنفرد يقوم على تأليفها وطبعها « علماء » تخرجوا فى الأزهر وتعلوا فى فرنسا حتى نالوا منها « شهادة » . وعلى الأزهر المتطور أن يمسك له سبيلا إلى تبرئة الإسلام من مثل ذلك وإلى الحميلة بين هذه « الثقافة » الإسلامية أن تسم عقولهم وتفسد عقيدتهم وتحول بينهم وبين ثقافة العصر وحياة الناس فيه والسبيل إلى ذلك عندى أن يؤلف الأزهر المتطور لجنة من أصحاب الفكر الدينى الفاعلين المستديرين فتراجع هذه الكتب وأمثالها وما يرسل إليها من الشكاوى فيها ثم تضع قائمة بما ترى ضرره وخطره منها . ويصدر قانون من الدولة بتحريم الطبع لآى كتاب منها بغير إذن هذه اللجنة ، واللجنة لا تأذن .

بذلك تنفادى مصادمة الشعور العام وعدم الإمكان فى مصادرة هذه الكتب ونحول فى المستقبل القريب بينها وبين سلامة العقيدة

[١] انظر أمثلة أخرى لهذا النوع من « الثقافة الإسلامية » فى مقالنا : « الشورى الرابعة ضرورية محنومة » ، عدد جادى الآخرة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر ، نوفمبر ١٩٦١ :

الحدث الهام أو سجله أو اهتم به مع أن الخطر، أو الاخطار، التي تواجه الأديان جميعا أخطار مشتركة. وقد وفينا ذلك في بعض كتبنا [١] وفي تلك السنة نفسها نجد السيد ظفر الله خان، وزير خارجية باكستان السابق ورئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة، يفتتح اكتتابا لجمع مبلغ كبير «خمسة ملايين دولار، تخصص لبناء «أمم متحدة روحية» في واشنطن تشترك فيها الديانات الست العالمية الكبرى، التي تعتنقها أكبر مجموعة من البشر. ويستطيع الأزهر، أو كان يستطيع، أن يعرف كل شيء عن هذه الجامعة وهذا الحدث الهام وهذا المال الكثير من سفارتنا في أمريكا. وقبل ذلك قدمت إلى بلادنا بعثة أثرية عالمية أقامت في دير سانت كاترين، بسينا، تفتش عن الوثائق وتنبش على الكتب والمحفوظات وتجمع التاريخ؛ وفيه قدر كبير من التاريخ الإسلامي والعربي لراجع وتدرس وتكتب وتؤلف وتفسق، واشترك معها بعض جامعاتنا المدنية، وقد راجعت وبجست وصور وتسدخت وأخذت قليلا أو كثيرا من الوثائق والصور.

وقبل هذا وذاك نشرت جريدة انجليزية دينية، وأذاعت ما نشرته وكالة الأنباء تعبر

هموم فكره وإفكار أهلها وثقافة عقله وعقولهم.

ونرجو من الأزهر المنظور، أن يترك السلبية ويخرج من الانعزالية في الثقافة العامة وشئون الفكر والحياة الروحية التي تضطرب في العالم كله.

وسأضرب لذلك الأمثال من الماضي لنفيد منها ونعتبر بها المستقبل. ففي السنة الماضية كان حادث من أهم الأحداث التي يجب أن يهتم بها ويسجلها ويتابعها رجل الفكر الديني المستنير — من كل دين — وهو اجتماع المؤتمر المسكوني للكنيسة الكاثوليكية في روما. وكان أعظم وأضخم اجتماع من نوعه في تاريخ هذه الكنيسة، اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف من الرؤساء والبطاركة والأساقفة والكرادلة يمثلون وخمسا وثمانين دولة، وبحث فيه هؤلاء شئوننا بالغة الأهمية في موقف الأديان — وبخاصة المسيحية طبعاً — حيال الخصومات الحادة الشريرة التي تتعرض لها العقيدة في العالم كله من الشيوعية والانحلالية معا، وما يمكن — أو يجب — أن يتخذه القائلون على العقيدة لحمايتها من تلك الغوائل والمخاطر والشرور والخصومات التي تريد أن تبتلعها من أصولها وتبيدها وتمحو أثرها من ضمائر الناس وقلوبهم، وما أعتقد أن الأزهر والفكر الديني في وطننا العربي تابع هذا

[١] الفصل الأخير: «حنة العقيدة» من كتابنا: «تقويم الفكر الديني».



ونستطيع أن نقول أشياء أخرى في  
« الأزهر والتطور » ، وما ينتظر منه أو يجب  
عليه في ذلك ، ولكن الذي نحرص على قوله  
في الختام هو هذا الكلام الموجز القصير :

إذا استطاع الفكر الديني في « الأزهر  
المتطور » أن يصل الدين بدنيا الناس في العالم  
المعاصر ، وأن يربط الشريعة بالحياة القائمة ،  
ولا يضيق صدر أصحابه فيفرطوا ويجمدوا  
ويحاربوا في غير ميدان أو تكون حربهم  
للصديق والعدو معا - كما سجل عليهم « قانون  
التطور » ، وتحدث عنهم بذلك الناس من قبل -  
واستطاع أن يؤمن بأن بعض رسالته هو  
« تبيض » هذا « الورق الأصفر » ، وعرضه  
على الناس عرضا يفهمه الناس ويرضى عنه  
الناس كما يرضى عنه الحق والعقل ولم يسارع  
أصحاب هذا الفكر وبهرلوا ويتابعوا  
متأثرين بالدوافع والعوامل والمؤثرات ،  
أو ما يظن من ذلك ، فيفقدوا سمتهم وطابعهم  
وقارهم وخصائص ثقافتهم وإيمانهم برسالتهم ،  
إذا استطاع الفكر الديني في « الأزهر المتطور »  
أن يدرك ذلك وأن يقوم عليه في مستقبله  
القريب ، فقد حق لنا أن نسعد وأن يسعد  
المسلمون أيضا ، لما ينالهم عند ذلك وينال  
دينهم وحياتهم من خير كثير .

محمد الشرفاوي

عن رأى الفاتيكانيان ، نشرت تلك وأذاعت  
هذه مقالا تدعو فيه العالم المسيحي لأن يقننه  
إلى قوة الإسلام ، وأن يفيد من ذلك في  
حرب خصوم العقيدة الذين يهاجمونها بلا  
رحمة ، تفهد الشيوعية .

والشيء الجديد في ذلك هو هذا الاعتراف  
بقوة الإسلام والحرص على التعاون مع  
رجاله في صد الشيوعية [١] وأى الهيئات  
تقصد بهذا الحديث سوى الأزهر ، قبل غيره ،  
وأى هذه الهيئات الإسلامية أجدر بالانتباه  
والإفادة من الأزهر .

ولست أقصد بإفادة الأزهر واهتمامه بذلك  
تلك الاستفادة العاطفية التي تقوم على إظهار  
السرور باعتراف العالم المسيحي أو الفاتيكانيان  
بما في الإسلام من قوة والسعى للتخالف معه  
ضد قوى الشر ، فالإسلام له هذه القوة  
وأعظم منها سواء اعترف الغير له بذلك أم لم  
يعترف ، بل أقصد ذلك الاهتمام القائم على  
الإدراك والمعرفة والإحاطة بحقائق الأمور  
والمتابعة للأحداث الهامة التي تجري والحرص  
على المشاركة فيها والإيجابية حيالها .

\* \* \*

[١] تحدثنا عن ذلك في مقالنا : « تعالوا  
نجاهد معا » - عدد شهر شعبان ١٣٨١ هـ ،  
يناير ١٩٦٢ .

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أ. محمد الشرباصي

- ٤ -

والجزية لغير المسلم تقابل الزكاة للسلم ،  
ولذلك لا يصح إطلاقها على الزكاة ، ويفضـب  
المسلم إذا قيل عما يدفعه إنه زكاة ؛ وفي عدد  
٢٥ يونيه سنة ١٩٣٥ من مجلة « الشورى »  
كتب أمير البيان المرحوم شكيـب أرسلان  
مقالا أشار فيه إلى هذه الناحية ، وكان مما قاله  
قوله : « إن لفظ الجزية كلمة شرعية ، ولها  
مكان معلوم في الشرع ، فلا يقال لما يأخذه  
الإمام من المسلمين ، لا ، بل ثقلت على العرب  
جميعا في صدر الإسلام ، فالذين لم يسكنوا  
أسلموا منهم مثل نصارى بنى تغلب مثلا  
عند ما ضربها عليهم سيدنا عمر أجابوا بأنهم  
لا يؤدون جزية .

قيل : فلما أُنذروهم بالبطش بهم أو يدفعوها  
قالوا : إنا نؤديها ، ولكن لا على أنها جزية ،  
بل على أنها إتاوة . قال : فأجابهم سيدنا عمر  
رضي الله عنه : ها توها وسموها ما شئتم .

فأنت ترى أن الجزية ثقيلة اللفظ ( يعنى  
على المسلم ) ، وأن استعمالها ألغى من عهد  
بعيد ، ولا نزال نقرأ في الجرائد المصرية :  
الجزية الجزية ، للسال الذي كانت مصر  
تؤديه للدولة العثمانية ، وهو استعمال بغير

ومن الضرائب في الإسلام « الجزية » ،  
وهي - كما في لسان العرب - ما يؤخذ من  
أهل الذمة ، وهي عبارة عن المال الذي يعقد  
الكتابي عليه الذمة ، وقد سميت « جزية »  
لأنها مشتقة من الجزاء ، فهي جزاء من الذي  
يدفعه إلى الدولة المسلمة في مقابل تحقيقها  
الآمن له .

ومناسبة تشريعها أن الرسول عليه الصلاة  
والسلام علم في السنة التاسعة للهجرة أن الروم  
بقيادة هرقل يريدون مهاجمة المسلمين ، فأمر  
بالخروج إليهم في غزوة تبوك في شهر رجب ،  
ثم صالح القوم على الجزية ، وجاء ديوحنا  
ابن روبة ، النصراني صاحب « أيلة » ، وصالح  
النبي على أن جعل له على كل رجل في أرضه  
دينارا في السنة ، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار (١) .

والجزية ضريبة موضوعة على الروم -  
كما يقول الماوردي (٢) - وهي تؤخذ مع بقاء  
الكفر ، وتسقط بالدخول في الإسلام ،  
بخلاف الخراج الذي يؤخذ مع الكفر  
والإسلام ، لأنه متعلق بالأرض الخراجية .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٦٦

(٢) الأحكام السلطانية ، ص ١٣٦ .

عمله ، لأن الخليفة لا يأخذ الجزية من أمته ، وكان الأولى أن يقال : خراج مصر ، أو بالأقل : إتاوة مصر .  
والأتراك كانوا يقولون (مصر ويركوسى) أى خراج مصر ، ولفظة : (ويركو) من فعل (ويرمك) أى أعطى ، فكان (الويركو) هو ما يعطى ، وفى اصطلاح الدولة هو المال المقطوع المضروب على الأملاك الصرفة ، وله دوائر تجبیه ، وكانت مصر باعتبار أنها عثمانية تدفع هذا الخراج كما تدفعه سائر البلاد العثمانية ، فما معنى تسميته بالجزية ؟ .  
وقد علق شيخ العروبة المرحوم أحمد زكى باشا على مقال الأمير شكيب فى عدد ١٦ يولييه ١٩٢٥ من «الشورى» فقال : «ولقد كان للشعم العربى مكانه فى صدر الإسلام ، فأبى بعض الذين حقت عليهم الجزية أن يقبلوا التعبير بها ، واختاروا لفظ (الإتاوة) على ما شرحه الأمير شكيب ، بيض الله وجهه وأعلى رأسه .»

والجزية لا تؤخذ من النساء ولا من الصبيان ، وإنما تؤخذ من الرجال الأحرار القادرين فقط ؛ ومذهب الإمام الشافعى أنها لا تقبل إلا من أهل السكتاب ، ومن المجوس سواء أكانوا عربا أم عجم ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .» واستدل أيضا بأن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من المجوس بالبحرين .

والجزية فى مقدارها على ثلاث درجات ، فلبقذارها حد أعلى ، وحد وسط ، وحد أسفل ، تبعا لغيرى المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر «الملازمة» فى الجزية كما شرعها الإسلام . وعلى وجود روح «التيسير» فى أخذها

والجزية فى مقدارها على ثلاث درجات ، فلبقذارها حد أعلى ، وحد وسط ، وحد أسفل ، تبعا لغيرى المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر «الملازمة» فى الجزية كما شرعها الإسلام . وعلى وجود روح «التيسير» فى أخذها

والجزية فى مقدارها على ثلاث درجات ، فلبقذارها حد أعلى ، وحد وسط ، وحد أسفل ، تبعا لغيرى المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر «الملازمة» فى الجزية كما شرعها الإسلام . وعلى وجود روح «التيسير» فى أخذها

ولقد حدث أن صالح أبو عبيدة بن الجراح بعض مدن الشام على الجزية في مقابل المنعة ، ثم عجز عن منعته ، فسكتب إلى كل وال عن خلفه على هذه المدن يأمره بأن يرد على أهلها ما جبي منهم من الجزية والخراج ، وأن يقولوا لهم : « إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع ، وأنكم اشتريتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا أقمه عليهم » .

فلما قالوا ذلك لهم ، وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم قالوا : « ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا ، وأخذوا كل شيء بقى لنا حتى لا يدعوا شيئا <sup>(١)</sup> » .

ويصح أن يشارك أهل الذمة في الدفاع عن الدولة ، ولا يكون عليهم في هذه الحالة جزية إذا انفقوا مع المسلمين على ذلك ، « وإذا كانت الجزية في مقابل المنعة فإن المسلمين رضوا في بعض الوقائع أن يعفوا أهل الذمة من الجزية ، حين تعهد إليهم هؤلاء أن ينهضوا معهم بواجب الدفاع ، كما حدث حين غزا حبيب بن مسلمة الفهري أهل ( الجرجومه ) شمالى سورية فطلبوا الصلح على أن يكونوا

ويرى الإمامان مالك والأوزاعي أن الجزية تؤخذ من كل كافر ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم ، وسواء أكان عربيا أم غير عربي ، ويؤيد هذا الرأي أخذ النبي الجزية من مجوس البحرين ، مع أنهم يعبدون النار فهم كفار .

ويشترط في دافع الجزية الذي توافره الأمان شروط هي أن لا يذكر القرآن الكريم بظعن أو تحريف ، وأن لا يذكر الرسول بتكذيب أو ازدراء ، وأن لا يذكر دين الإسلام بدم أو قذح ، وأن لا يهتك عرضا لمسلمة أو يتزوجها ، وأن لا يفتن مسلما عن دينه ، ولا يتعرض لماله أو دينه ، وأن لا يعين أهل الحرب <sup>(١)</sup> . وهذه الشروط في جهاتها توحى بمعنى الحرص على حماية المجتمع الإسلامى من عوامل الفتنة والاضطراب ، والتذكير لدافع الجزية بحق الدولة عليه ، لأنها ترعاه فيجب ألا يسمى في هدمها أو الفساد فيها .

ومقابل الجزية هو الحفاظ والمنعة ، وكفالة حرية العقيدة والعبادة ، وقد كتب خالد بن الوليد عهداً لصلوبا بن نسطونا وقومه جاء فيه :

« إنى عاهدتكم على الجزية والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم <sup>(٢)</sup> » .

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ١٦ .

(١) الخراج لأبي يوسف ، ص ١٣٩ .

ولو امتنع أهل الذمة عن دفع الجزية كان ذلك بمثابة النقض لعهدهم ، وقد ذكر الماوردي أنه « إذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يسبق بذلك قتلهم ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبي ذراريهم ، ما لم يقاتلوا ، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا بأمنهم من أدنى بلاد الشرك ، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها ، (٣) »

وأظن أن ما سبق من حديث عن الجزية يرينا بوضوح مبلغ التيسير الذي وفره الإسلام في تشريعها ، كما يرينا وجه الحكمة في تشريعها ، فهي ليست طغيانا ولا انتهابا ولا استبدادا ، ولكنها ضريبة واجبة تؤخذ من القادرين عليها في مقابل ما تنفقه الدولة من أموال وجهود لحفظ الأمن في الداخل ، ولصد العدوان من الخارج

\* \* \*

ومن الضرائب في الإسلام « الخراج » ، والخراج في لغة العرب اسم للكراء والغلة ، وهو شرعا جزء يؤخذ عن الأرض كالأجرة أو الكراء ، وإنما يسمى خراجا لأنه يتعلق بخراج الأرض أى غلتها ، وغلة الأرض تسمى خراجا ، ومن المادة جاء قول الله تبارك وتعالى في سورة « المؤمنين » : « أم تسألهم خراجا فخراج ربك خير ، وهو خير الرازقين . »

أعوافا للمسلمين ، وعيوننا ومسالخ في جبل الحكم ، فقبل منهم ذلك .

وأيضا حين توجه عبد الرحمن بن ربيعة إلى ناحية ( الباب ) جهة قزوين عرض عليه حامل الفرس شهر براز الصلح على أن لا يؤدي الجزية قائلا : « إنى يازاء عدوك وأمم مختلفة ويدي مع أيديكم ، وجزيتنا لا ليكم النصر لكم والقيام بما تحبون . »

فلما رفع ذلك إلى سراقه بن عمرو الذي كان قائد الجند قبل ، وصار سنة ، وكتب سراقه إلى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه ، فالجزية إنما كانت إذن بمثابة ضريبة مالية ، للمساهمة في واجب الدفاع ، نظير ضريبة الدم التي كان يدفعها المسلم في حومة القتال للدفاع عن الدولة كلها ، (١) »

وتشمل المنعة هنا كفالة حرية العقيدة وحرية العبادة ، وقد روى الطبري مثلا الكتاب الذي كتبه النعمان بن مقرن لأهل فارس بشأن الجزية وقد جاء فيه : « أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم ، ولا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ، ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم ، على كل حالم في ماله ونفسه ، على قدر طاقتهم ، (٢) »

[١] كتاب الخراج في الدولة الإسلامية ، للدكتور

الريس ، ص ١٥٦ .

[٢] تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢٤٥ .

[٣] الأحكام السلطانية ، ص ١٣٠ .

للمسلمين ، قصير وقفا لهم ، ويكون الخراج المضروب عليها أجرة (١) .

ويقدر الخراج المضروب على الأرض بما تحتمله ، وقد روى أن عمر بن الخطاب حين وضع الخراج على سواد العراق ضرب في بعض نواحيه على كل جريب - وهو ثلث فدان مصري تقريبا - قفيزا ودرهما ، والقفيز وزن ثمانية أرطال وثمنه ثلاثة دراهم بوزن المثلقال (٢) .

وينبغي أخذ الخراج دون « حيف بمالك ولا إجحاف بزراع ، كما يقول الماوردي ؛ كما يراعى في كل أرض ما تحتمله ، فالأرض التي تروى بلا جهد ليست كالتى تروى بجهد ، والأرض الخصبة القوية ليست كالأرض الضعيفة الرديئة ، وهكذا ، والواجب اعتبار « اختلاف الأرضين ، واختلاف الزروع ، واختلاف السقى ، ليعلم قدر ما تحمله الأرض من خراجها ، فيقصد العدل فيها فيما بين أهلها وبين أهل الثرى ، من غير زيادة تجحف بأهل الخراج ، ولا نقصان يضر بأهل الثرى ، نظراً للفريقين ... .. » .

وجاز أن يكون خراج كل ناحية مخالفاً لخراج غيرها ، ولا يستقصى في وضع الخراج

والمراد بالخرج في الآية الكريمة الأجر أو النفع ، والمراد بالخرج فيها رزق الله في الدنيا ، أو أجر الله في الآخرة ، وهناك من يفرق بين الخرج والخراج بأن الخرج من الرقاب والخراج من الأرض .

وقد ذكر الزنجشري في مادة « خرج ، من أساس البلاغة أن الخراج ما يأخذه السلطان وأنه يقال للجزية الخراج ، فيقال : أدى خراج أرضه ، وأدى أهل الذمة خراجهم وسهم (٣) .

وفي « لسان العرب ، أن الخرج والخراج واحد ، وهو شيء يخرج القوم في السنة من مالهم بقدر معلوم .

والأرض في هذا المقام أربعة أنواع ، فأحدها ما أحياء المسلمون فهو أرض عشرية لا يوضع عليها خراج ، لأنها من باب إحياء الموات ؛ وثانيها ما أسلم عليه أصحابه فهم أحق به ، وتصير أرضاً عشرية عند الشافعى ، وقال أبو حنيفة إن الإمام بخير بين أن يجعلها خراجاً أو عشراً ، وثالثها ما ملكه المسلمون من محاربيهم المشركين بالقوة والقهر ، فيكون غنيمة للمسلمين ، ورابعها ما صالح المسلمون عليه غير المسلمين ، وهذه هي أرض الخراج وقد ينزل أصحاب الأرض الخراجية عنها

[١] انظر الأحكام السلطانية ص ١٣١ .

[٢] انظر للمصدر السابق ، ص ١٣٢ وانظر الخراج في الدولة الإسلامية ، ص ٢٦٢ - ٢٧٩ فيه تفصيل وتحليل .

[٣] أساس البلاغة ج ١ ص ٢٢٢ .

اجتهاد ، وأن الجزية مقدر أقلها بالشرع ، وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، وأما الخراج فتقدير أقله وأكثره بالاجتهاد ، وأن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بالإسلام ، والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام (١) .

\* \* \*

ومن الضرائب في الإسلام « العشور » . والعشور هي الرسوم التي تؤخذ على أموال أهل الحرب وأهل الذمة الذين يعمرون بها على ديار الإسلام ، وتؤخذ أيضا على عروض تجارتهم ، وعلى الأموال والتجارة التي تدخل دار الإسلام أو تخرج منها ، وهي تقابل اليوم الضرائب الجبركية ، وقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف عن العشور :

« يؤخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ، من كل ما مر به على العاشر - وهو المحصل - وكان للتجارة ، وبلغ قيمة ذلك مائة درهم فصاعدا ، أخذ منه العشر ، وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائة درهم لم يؤخذ منه شيء » ، وكذلك إذا بلغت القيمة عشرين مثقالا أخذ منها العشر ، فإن كانت قيمة ذلك أقل لم يؤخذ منها شيء ، وإن أضاف بعض المرات إلى بعض وكانت قيمة ذلك ألفا فلا شيء فيه ، ولا يضاف بعض ذلك إلى بعض .

غاية ما يحتمله ، ولجعل فيه لأرباب الأرض بقية يجبرون بها النوائب والحوادث .

حكى أن الحجاج كتب إلى عبد الملك ابن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من أموال السواد ، فنهى عن ذلك ، وكتب إليه : « لا تمكن على درهمك المأخوذ أحرص منك على درهمك المتروك ، وأبق لهم لحوما يعتقدون بها شحوما » (١) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام حين شرح الخراج لم يشرعه إرهابا ولا ظلما . وإنما راعى الطاقة والاحتمال ، ودعا إلى اليسر والرحمة ، وجعل هذا الخراج في مقابل التمتع بشيرات الأرض في ظل الأمن العام الذي تحققه الدولة ، وبفضل ما تهيمه من وسائل الارتفاق كمد الطرق وشق الأنهار وتوفير الآلات وغير ذلك من المنافع والخدمات .

وهناك بين الجزية والخراج وجوه اتفاق ووجوه افتراق ، فأما وجوه الاتفاق فهي أن كلا منهما يؤخذ من غير المسلم ، وأنهما من أموال النية ويصرفان في أهل النية ، وأنهما يجبان بحلول الحول ولا يستحقان قبل مروره .

وأما وجوه الافتراق فهي أن الجزية منصوص عليها في القرآن الكريم وأن الخراج

ذلك اليوم من قابل ، . وكان هذا سبباً في إسلام الذئبي .

ويروى أن عمر قال للذئبي : « ليس له عليك في مالك في السنة إلا مرة ، » .

وكذلك كتب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يقول لواليه : « وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجارتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فما نقص فبحسب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعه ، فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لهم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مثلها من الحول ، » (١) .

وفيما يتعلق بتكامل القيمة التي يجب فيها العشر وعدم تكاملها نجد أيضاً هذا النص : « وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيء ، وإن اختلف عليه بذلك مراراً وكل ذلك لا يساوي مائتي درهم ، ولو أضاف بعض المرات إلى بعض فكانت قيمة ذلك إذا جمع تبلغ ألفاً فلا زكاة فيه أيضاً ، ولا ينبغي أن يضاف بعض المرات إلى بعض ، » (٢) .

وقال يحيى بن آدم : « إذا دخل الحربى أرض الإسلام فإنه يؤخذ منه العشر ، فإن رجع بماله قبل الحول لم يؤخذ منه شيء في الحول بعد المرة الأولى ، وإن أقام بأرض

وإذا مر عليه بمائتي درهم مضروبة ، أو عشرين مثقالاً تبرا ، أو مائتي درهم تبرا ، أو عشرين مثقالاً مضروبة أخذ من ذلك ربع العشر من المسلم ، ونصف العشر من الذئبي ، والعشر من الحربى ، ثم لا يؤخذ منها شيء إلى مثل ذلك الوقت من الحول ، وإن مر بها غير مرة ، » (١) .

وهناك تفصيل لا بأس به ، وهو أنه إذا كان المال المأخوذ عليه هو نفس المال الذى تكرر مروره فلا يؤخذ عليه شيء ، وإن كان المال قد تغير ولم يتغير المار به يؤخذ عليه . ويقول أبو هيب في كتاب « الأموال ، :

« فأما أهل الحرب فكلهم يقول : إذا انصرف إلى بلاده ثم عاد بماله ذلك أو بمال سواه : أن عليه العشر كلها ، لأنه إذا دخل دار الحرب بطلت عنه أحكام المسلمين ، فإذا عاد إلى دار الإسلام كان مستأنفاً للحكم ، كالذئبي لم يدخلها قط ، لا فرق بينهما ، » (٢) .

وهناك أكثر من شاهد على عدم تكرار الضريبة ، فقد حدث أن عاملاً لعمر كرر أخذ الضريبة على فرس من ذئبي ، فشكا الذئبي إلى عمر فكتب عمر إلى الوالى : « من مر عليك فأخذت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٦ و ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٢) الأموال ، ص ٥٣٩ .



وأول من وضع العشور في الإسلام هو عمر الفاروق رضى الله تعالى عنه ، ويقول أبو يوسف في ذلك : « فإن عمر بن الخطاب وضع العشور ، فلا بأس بأخذها إذا لم يتعد فيها على الناس ، ويؤخذ بأكثر مما يجب عليهم » (١) .

وروى أن أهل « منبج » - وكانوا أهل حرب - كتبوا إلى عمر بن الخطاب يقولون « دعنا ندخل أرضك تجاراً وتعشرنا » فشاور عمر أصحاب النبي في ذلك فأشاروا به ، فكان أول من عسر في الإسلام ، ولقد سأل مالك بن أنس محمد بن شهاب الزهري : لم أخذ عمر العشر من أهل الذمة ؟ فقال : كان يؤخذ منهم في الجاهلية فأقرهم عمر على ذلك . ولكن هذه الرواية غير مسلمة ، والأولى أن نقول مع أبي عبيد بن سلام : « وإنما فعل عمر في العشر ما فعل لما أهلتك من مصالحته إياهم عليه ، ولم يكن شرط عليهم منه شيئاً ، وكذلك دهر أبي بكر ، وإنما فتحت بلاد العجم في زمن عمر ، فلماذا كان الذي كان (٢) » .

ومن السهل علينا أن نلح ما في تشريع العشور من عدالة وحكمة ، فهو أولاً قد نشأ عن المصلحة كما رأينا ، فغير المسلمين هم الذين

الإسلام حولاً فإنه يمرض عليه : إما أن يرجع إلى أرضه ، وإما أن يوضع عليه الجزية على رأسه ويكون ذمياً ، لا يقبل منه إلا ذلك .

ولقد كتب زياد بن حدير إلى عمر في أناس من أهل الحرب يدخلون أرض الإسلام فيقيمون ، فرد عليه عمر يقول : « إن أقاموا ستة أشهر نخذ منهم العشر ، وإن أقاموا سنة نخذ منهم نصف العشر » (١) .

ولكن الإمام مالك يشدد القول هنا ، لما يرى أنه إذا مر الذمي بالمال والتجارة أخذنا منه نصف العشر ، وإن لم يبلغ مائتين ، ويؤخذ منه كلما مر ، وإن مر بماله في السنة مراراً ، وإن ادعى أن عليه ديناً لم يقبل قوله (٢) .

هذا في المال الذي يدخل دار الإسلام أو يخرج منها ، وأما الأموال أو التجارة في الداخل ومن المسلمين فليس عليها شيء ، يقول المارودي :

« وأما أعشار الأموال المنتقلة في دار الإسلام من بلد إلى بلد فمحرمة ، لا يبيعها شرع ، ولا يسوغها اجتماع ، ولا هي من سياسات العدل ، ولا قضايا النصفة » (٣) .

(١) الحراج لابن آدم . ص ١٧٢ .

(٢) الأموال لأبي عبيد ، ص ٥٣٥ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٨ .

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٤ .

(٢) الأموال لابن سلام ، ص ٥٣٤ ، ٥٣٥ .

عرضوا على المسلمين أن يملأوا بالأموال والتجارة مقابل نصيب يدفعونه ، وهو ثانياً تقتضيه المعاملة بالمثل ، لأن غير المسلمين يأخذون نصيباً من أموال المسلمين إذا دخلوا ديار غير المسلمين ، وهو ثالثاً يجعل العشور في مقابل ما تقوم به الدولة الآخذة من توفير المصالح العامة ، وتمهيد الطرق ، وحفظ الثغور وغير ذلك .

ويمكن أن نعتبر من الضرائب في الإسلام الخمس الذي يؤخذ في المعادن المكتشفة ، وفي الركاز وهو المال أو المعدن المدفون قديماً في الأرض وقد قال الحديث : « وفي الركاز الخمس » . وأهل هذا من باب قياسه على الغنيمة ، وبعضهم قاسه على الزرع وقال : فيه الزكاة . ولكن ابن سلام رجح قياسه على الغنيمة قائلاً : « وكذلك هو عندى في النظر : أن يكون بالمغمم أشبه منه الزرع ، لأنه وإن كان يتكلف فيه الإنفاق والتغير بالنفس فكذلك مجاهدة العدو ، بل الجهاد أشد وأعظم خطراً ، وقد جعل الله

في الغنيمة منهم الخمس ، فأدنى ما يجب في المعدن أن يكون مثل ما ينال من العدو ، ومع هذا أن حكم الزرع يخالف لحكم الذهب والفضة ، لأن الزرع إنما يجب عليه الزكاة مرة واحدة حين يحصد ، ثم لا يكون فيه بعد ذلك شيء . وإن مكث عند صاحبه سنين ؛ وإن الذهب والفضة لا زكاة فيهما عند الفائدة حتى يحول عليهما الحول ، فوجب حينئذ فيهما الزكاة ، ثم لا تزال الزكاة جارية عليهما في كل عام ، فأرى حكمهما قد اختلف في الأصل واختلف في الفرع .

وأبين من هذا فيما يختلفان فيه أن الواجب في الزرع من الزكاة العشر أو نصف العشر ، والواجب في الذهب والفضة من الزكاة ربع العشر ، فهذا اختلاف متفاوت شديد<sup>(١)</sup> . وهذا الخمس يضم إلى المال العام لقضاء

مصالح الأمة ؟ **أحمد الشر باصی**

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

قال الحسن البصري : إن الله جعل الصوم مضماراً لعباده ؛ ليستبقوا إلى طاعته فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف آخرون غابوا ، ولعمري لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ، ومسيء بإساءته ، عن تعديده ثوب أو تطويل شعر .

مع بنى إسرائيل :

## الزَّعَّةُ الْعِصْرِيَّةُ وَالصَّهْيُونِيَّةُ

لِلْأَسَازِ عِبْدِ الرَّحْمَنِ فُودَهُ

عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين .  
قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك  
فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان  
عدو مبين ، فقد ظهر أن الأحد عشر كوكبا  
هم أخوته ، وأن الشمس والقمر هما أبواه ،  
وقد كان من أمر هؤلاء مع أخيه  
ما خافه أبوه وأبوه . إذ قالوا ليوسف  
وأخوه أحب إلى أئبنا منا ونحن عصبة إن  
أبانا لى ضلال مبين ، اقتلوا يوسف وأطرحوه  
أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من  
بعده قوما صالحين ، ثم ألقوا أخاهم فى غيابة  
الجب وجاءوا بأباهم عشاء يكنون ، قالوا يا أبانا  
إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا  
فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا  
صادقين . وجاءوا على قيصه بدم كذب قال بل  
سوات لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ، ثم  
صار أمرهم إلى ما صار إليه مع يوسف ،  
فانكشف لهم أمره ، وألقوا إليه أمرهم  
وقالوا د نالته لقد آثرك الله علينا وإن كنا  
لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله  
لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميعى هذا

إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم  
عليهم الصلاة والسلام ، وكلمة إسرا معناها  
عبد أو صفوة ، وإيل معناها الله ، فإسرائيل  
هو عبد الله أو صفوته ، ولم يذكر يعقوب  
بهذا الاسم مقطوعا عن الإضافة إلى بنيه إلا  
فى آية واحدة من القرآن الكريم هى قوله  
تعالى : د كل الطعام كان حلا لبنى إسرائيل  
إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن  
تنزل التوراة ، وقد ذكر الله يعقوب مع  
أبيه إسحق وجده إبراهيم فقال : د واذكر عبادنا  
إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيذى  
والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى  
الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ،  
ويفهم من ذلك أنه عليه السلام كان ذا قوة  
وعمل صالح ، وبصيرة نيرة ، وتذكر لما  
فى الدار الآخرة ، وأنه كان من الذين  
اصطفاهم الله ومن الأطهار الأخيار الذين  
فازوا برضاه .

أما بنو إسرائيل ، فقد كانوا فى مبدأ أمرهم  
اثنى عشر رجلا ، كما يفهم من قول يوسف  
عليه السلام لأبيه د يا أبت إنى رأيت أحد

بقلمها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .  
تركهم موسى وذهب لتلقى التوراة  
فعادوا في غيبته إلى الوثنية . واتخذ  
قوم موسى من بعده من حلبيهم عجلا  
جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم  
ولا يهديهم سبيلا اتخذه وكانوا ظالمين .  
اختار منهم موسى عليه السلام سبعين  
رجلا ليقدموا توبتهم أمام الله . فلما رأوه  
يخاطب ربه تتردوا عليه وقالوا : يا موسى  
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم  
الرجفة وقال موسى يدعوا ربه ورب لو شئت  
أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل  
السفهاء منا إن هي إلا قنتك تضل بها من تشاء  
وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا  
وارحمنا وأنت خير الغافرين .

رفضوا أن يقبلوا التوراة ولم يذهبوا لها  
إلا حين رفع الله الجبل فوقهم حتى صار  
دكانه ظلة وظنوا أنه واقع بهم .

أمرهم موسى بأن يدخلوا الأرض المقدسة  
فقالوا : يا موسى إن فيها قوما جبارين ولنا  
لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها  
فأنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون  
أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا  
دخلتموه فإنكم غالبون وهى الله فتوكلوا إن  
كنتم مؤمنين ، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً  
ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا  
إنا ها هنا قاعدون . قال رب إني لا أملك

فألقوه على وجهه أنى يأت بصيرا وأتوني  
بأهلكم أجمعين . فسادوا ورجعوا بأهلهم  
أجمعين ، وكان ما كان . ورفع أبويه على  
العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا  
تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ،  
وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء  
بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني  
وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه  
هو العليم الحكيم .

لقد هاجروا إلى مصر مع أبهم ليعيشوا  
في ظل أخيم بعد أن جعل أميناً على خزائنها  
ومسكن الله له في الأرض . يتبوا منها حيث  
يشاء . ثم عملوا من بعده في خدمة الغزاة من  
أعداء البلاد التي أكرمتهم وآوتهم .

رحل الغزاة عن أرض مصر ، فبقى هؤلاء  
فيها حتى تفاقم شرهم وانكشف أمرهم وظهر  
أنهم جواسيس في عهد رمسيس .

أنجاهم الله من آل فرعون ومن الفرق  
بقيادة موسى عليه السلام فلم يلبثوا حين  
وجدوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، أن  
قالوا لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة  
قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرما هم فيه  
وباطل ما كانوا يعملون .

أمدهم الله في صحراء سيناء بطعام المن  
- وهو كالصمغ حلو الطعم سهل الهضم -  
والسلوى - وهو طائر السمائي - فقالوا لموسى  
عليه السلام : لن نصبر على طعام واحد فادع  
لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من

فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين .

كان النبي الذي لجأوا إليه يدعى صمويل والملك الذي عين عليهم يدعى دشاوول أو طالوت . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه ذو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين .

لم ينتصر جيش طالوت على جيش جالوت كما يذكر المفسرون والتاريخ - فقد روى أن الجيشين التهما في عدة معارك فلم يرجح فيها جانب على جانب ، فبرز جالوت يتصدى ويتحدى ونادى طالوت ليخرج إلى مبارزته على أن يكون للقاتل مملكة المقتول ، فتهيب طالوت لقاءه . ولم يجرؤ على مواجهته . ونادى في عسكره من قتل منكم جالوت زوجته ابنتي وجعلته شريكا لي في ما سكي . فلم يجرؤ واحد منهم كذلك على لقاء جالوت ثم حدثت المعجزة . فقد ذهب شاب صغير إلى اخوته وهم يحاربون مع طالوت . وسمع بما وقع من جالوت : فتقدم إلى طالوت وطلب منه أن يأذن له بمبارزة هذا الجبار

إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين .

آل أمرهم بعد وفاة موسى وهارون إلى فتاه يوشع ابن نون فسار بهم إلى الأرض المقدسة بعد انقضاء المدة التي كتب الله عليهم أن يقضوها ثأمين ، ودخل بهم القرية التي أمرهم الله أن يدخلوها ويستغفروه حين يدخلون بابها خاشعين خاضعين ، فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ، وعاقبهم الله بالوباء كما يفهم من قوله « فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » .

اشتبكوا مع جيرانهم الكنعانيين والمديانيين والفلسطينيين والآراميين في نزاع دائم وحروب متصلة فلم يدعهم أولئك وهؤلاء يطمثون في الأرض التي نزلوها واحتلوها ثم دارت عليهم الدائرة في أسدود بالقرب من غزة . وأخذ منهم التابوت ووضع في معبد « داجون » فجمعوا شتات قلوبهم المنهزمة . واستجمعوا شجاعتهم المتوهمة وقالوا « لنبي لم ابث لنا ملكا تقاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا

وقد عظم أمر هذا الملك في عهد سليمان عليه السلام . وكان ذلك استجابة من الله لدعائه إذ قال : « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ، بدليل قول الله بعد ذلك : « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » . وبدليل قول الله في موضع آخر : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها وأسلنا له عين القطر ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور » .

وقد انهار هذا الملك بعد موت سليمان ، وعاد بنو إسرائيل إلى ذل الأسر والتشرد ، فعدا عليهم بختنصر وساقهم أسرى إلى بابل ، ثم عادوا إلى فلسطين ليقعوا في قبضة اليونان ثم في قبضة الرومان .

وكان طبيعيا - لو كان الأمر عندهم منطلق حق وطبيعة سليمة - أن يرحبوا بالإسلام ، ويؤمنوا بنبية عليه السلام ، لأنه جاء مصدقا لما معهم ، ولأنهم كانوا يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف

الذي يتحدها ، ولما أذن له وقدم له ما يحتاج إليه من فرس وسلاح ودرع لم يقبل وقال : إن لم ينصرني الله فلن يغني عن هذا السلاح شيئا : ثم أخذ مقلعه وتوجه إلى جالوت ، ولما أبصره جالوت أدخل الله في قلبه الرعب منه . على ما كان يتمتع به من بأس وقوة . فقال له : « أتقتل بالمقلاع كما تقتل الكلاب ؟ قال داود نعم : وقذفه بحجر أصاب جبهته ، ثم وثب عليه وافتزع منه السلاح وجزبه رأسه وبذلك كانت الهزيمة وكان ما يحكيه الله بقوله : فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الملك والحكمة وعليه مما يشاء » .

والمأمل في قول الله « وآتاه الله الملك والحكمة وعليه مما يشاء » ، وقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبي معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغات وقدر في السرد » . وقوله : « واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ... وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » . المتأمل في هذا وغيره يدرك أن هذا الملك الذي أطل بنو إسرائيل : كان ملك داود لا ملك بنى إسرائيل .

وكان بمعجزات وخوارق سماوية ، لا بجهود العصابات الإسرائيلية . وكان ثمرة نبوة مؤيدة من السماء ، لا ثمرة لهذه الشجرة التي تعرف باسم بنى إسرائيل .

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، ولا شك أنه كان منهم أئمة كما يفهم من قول الله « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ، ولا شك أن الله أنعم عليهم وآثام ما لم يؤت أحداً من العالمين ولسكنهم لم يقابلوا النعمة بما يذنبون لها من شكر ، بل كان منهم الغدر والكفر كما أشرنا فيما ذكرنا ، ومن ثم كانت نهاية القرآن بأمرهم وبأخبارهم ، ليسكشف للناس طويامهم وسوء نواياهم حتى يحذروهم فلا يقعون في شباكههم وشراكههم فإنهم كما يقول الله « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ، وكما يقول « كلباً أوقدوا ناراً للحرب أطلقها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين ،

### النزعة العنصرية :

والنزعة العنصرية سمة لازمة لبني إسرائيل ، وقد بقيت طابعهم الغالب على حياتهم حتى بعد أن أصبحوا أجناساً كثيرة كما يذكر الدكتور محمد عوض في كتابه الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، إذ يقول : والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة إسرائيل قلبا يقفون لحظة واحدة لكي يذكروا أنه لو أن هذا الوهم صحيح لكان اليهود في جميع

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، ويتوعدونهم بأنهم سيحاربونهم مع نبي آخر الزمان الذي أظلمهم أوانه ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وقد حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما حاولوا قتل عيسى ، وقتلوا كثيراً من الأنبياء بغير حق وكانوا كما يقول الله لهم « أفسلكم جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

### الموضح العامة :

هذه الأحداث والمواقف تعطينا صورة عن بني إسرائيل . وتكشف لنا الملامح العامة لطبيعتهم ومنهج حياتهم ، وسلوكهم ، وهي إلى ذلك تشف عن خبث الطوية ، وسوء النية ، والغدر ، والمكر ، فإذا كان أصلهم إسرائيل . من الأطهار الأخيار الذين اصطفاهم الله ، فإنهم بالنسبة إليه كما يقول الله « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، ومن ثم كان خطابه لهم بجملة « يا بني إسرائيل ، تأنيبا لهم وتثريبا عليهم ولا شك أن منهم الأخيار ولكنهم قليل بالنسبة إلى الأشرار كما يفهم من قوله تعالى

تقوم عليها مدينة القدس وهيكل سليمان - فكان من ذلك . الصهيونية .

والنزعة العنصرية قد تكون فطرية أو ميولا طبيعية ووطنية ، ولكنها إذا انحرفت إلى الشعور بالغرور والكبر وما ينشأ عنه من ظلم وجور كانت مصدر شر وفساد كبير ، وأول مثل لذلك موقف إبليس مع آدم ، فقد أبى أن يسجد له مع الملائكة امتثالا لأمر الله ، ثم كان جوابه حين سأله ربه « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك » هو قوله « أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين » .

ويظهر أن إبليس لم ينجح مع قوم كما نجح مع بني إسرائيل ، ومن ثم جاء الحديث إليهم عقب الحديث عنه وعن موقفه مع آدم ومع ربه في مطلع سورة البقرة ، لأن الحسد طبيعته فيهم كما كان منه ، ولأن الكيد والمكر . والانانية والنزعة العنصرية - وهى صفات وثمرات شيطانية - ، تبدوا فيهم كما بدت منه . وسنعرض لذلك بتفصيل قليل .

عبر الريم فودة

أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطيع ، لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن الفروع تشبه الأصل وتشابه فيما بينها تشابها شديداً ، ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشقر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر ، ورأينا بينهم السمر ذوى الشعر المجعد في هضبة الحبشة ، والسود في جنوب الهند ، والصفر المغول في الصين ، ورأينا بينهم الطوال القامة . والقصار ذوى الروس الطويلة والعريضة . ويوشك ألا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجده بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها من سلالة جنسية واحدة .

ولكن النزعة العنصرية جعلت من شريعة الله التى جاء بها موسى شريعة يهودية وجعلت من الاجناس المختلفة التى اعتنقت هذه الشريعة جنسا واحداً يهوديا ، وربطت مشاعر اليهود على اختلاف ألوانهم ومواطنهم بصهيون - وهو تل من التلال التى كانت



# من أعلام المسلمين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

- ٣ -

وعدت في مقالى السابق أن أقدم نماذج من مرافعة مولانا آزاد أمام القضاة الإنجليز الذين يحاكمونه بتهمة إثارة الشعب ضد الحكومة ومقاطعتها ، وكان قد أمضى في المعتقل أربع سنين أيام الحرب الأولى وأفرج عنه في يناير سنة ١٩٢٠ ثم لم يلبث أن اعتقلته الحكومة في ديسمبر سنة ١٩٢١ ووجهت إليه التهمة السابقة وكانت حركة العصيان المدني على أشدها وسيق إلى المحاكمة . وأمام القضاة الإنجليز وقف وألقى أروع مرافعة عرفها التاريخ .. ويشهد الله أننى منذ اطلعت على هذه المرافعة وأنا مأخوذ بقوتها وروعها .. ذلك أننى لم أطلع - فيما اطلعت عليه من أقوال الزعماء المسلمين وغير المسلمين - من وقفوا موقف مولانا آزاد - لم أطلع على ما يماثلها من قريب أو بعيد ، وقد بلغ من إعجابى بها أننى حرصت على أن أطلع عليها ما استطعت من أصدقائى وأنا أحس ارتياحا وسرورا لاطلاعهم عليها ومشاركتهم لى فى الإعجاب بها ..

ومن أجل هذا وجدت صعوبة شديدة وحرجا كثيرا وأنا أحارل اختيار نماذج من هذه المرافعة لأقدمها هنا تحقيقا لوعدى فكل موضوع فيها بل وكل سطر يعتبر نموذجا رائعا يسرنى أن تقرأه وتحس ما أحسه من إعجاب وسرور .. وهى تقع فى نحو أربع وأربعين صفحة عادية ، فإذا أختار منها وماذا أدم حق أرمى بعض رغبى ؟ . وهل أقدم لك المقال المحدد الصفحات من نماذج أنقلها ؟ وماذا يكون لى إذن من مجهود ؟ وكان هذا هو الحرج .. ولكنى واثق على كل حال أنك بعد أن تنتهى من قراءة هذه النماذج ستعيش فى جو الإعجاب بها وتنسى أننى شغلتك بنقول نقلتها لى لك ، بل إن الشوق سىستبد بك لى طلب المزيد منها أو الاطلاع عليها كاملة ، وأستطيع أن أقدم لك من الآن وهذا بالاطلاع عليها كاملة فى الكتاب الذى سأطبعه قريبا عن المسلمين فى الهند فى ظل الاستعمار البريطانى وجهودهم فى حركة التحرير .. ولقد طالت المقدمة فيها بنا لى الموضوع .. بدأ مولانا آزاد مرافعته فقال :

ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم لإثبات جريمتي ، الخطبتين اللتين ألقيتا في بعض مجامع «كلكتا» ، وهما لا يحتويان على جميع الأمور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحضر ، والتي إن قدمت لها كانت أنفع لمقصدها ، علمت أنها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المستند الذي يعتبر في مثل هذه الأيام كافيا لإنزال العقاب ، مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى ، ولذلك غيرت مقصدي وقلت إن العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له ، فأردت أن أثبت بلساني الأمر الذي لم تستطع الحكومة لإثباته مع علمها به ، وشدة رغبتها في إثباته ، وإنى أعلم أن قوانين المحاكم لا توجبه على ، ولا تضطرني إلى الاعتراف به من تلقاء نفسى ، ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية ، وهو الذى يسوقنى إلى ما سأقوله ، إذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا لأن الخصم لا يستطيع إثباته .

ويستمر في مرافعته فيقول :

ليس ببدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنائية في عهد الاستبداد ، وأن يكون محاربو وجوده الباطل جناة وأثمة وأهلا للعقاب الشديد . وما دام الأمر كذلك فإنى أعلن على مسمع من الحكومة والمحكمة بأننى

«أيها القضاة ، إنى كنت عازما على ألا أقدم للحكمة بيانا ما لأنها مكان لا رجاء لنا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكوى إليه » ، وإنما همى كنمرج الطريق إلى المنزل لا بد من قطعه للسابل ، ولذا تقف فيه وقفة على كره منا ، ولما لدخلنا السجن تواء ، ونطوى بعض الصفحات فنجده يقول للحكمة بعد أن سرد تاريخ المحاكمات والذين وقفوا في قفص الاتهام من الأبرار والفجار يقول :

«وإنى إذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأرائى قد شرفت بالوقوف فيه ، ويسبح روحى بحمد الله ويلهج لسانى بشكرك من غير قصد منى ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، إذ أحسبني في هذا القفص محمودا للبلوك والسلطين العظام ، فأين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدرى . وياليت الإنسان الغافل العاكف على هواه يشعر بنفحة منها ، وإنى أقول حقا إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثل في هذا المكان ، ولنذروا النذور من أجله .

ولا يترك وقتا يمر بعد هذا الكلام حتى يقدم الدليل عليه ... الدليل الأقوى على إداتته بعد أن غاب عن ذهن الحكومة التي تحاكمه فيقول :

«إنى كنت عازما على السكوت في المحكمة ،

أن الناس كلهم متساوون في الإنسانية ، متساوون في الحقوق . إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل ثورة فرنسا بأحد عشر قرناً وليس مجرد إعلان بل وضع نظاماً عملياً للديموقراطية الحقبة بالغاً في الكمال منتهاه .

إن الإسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة إسلامية لم تشكل برأى الأمة وانتخابها ، فإذا يكون موقفهم - إذن - من هذا الحكم « البيروقراطي » الأجنبي ، وهب أن تقوم الآن في الهند حكومة إسلامية على نظام شخصي أو تكون مستبدة فإن الإسلام يوجب على أن أسميها أيضاً ظالمة وجائرة ، وأسمي لإسقاطها وإزالتها كما أفعل الآن .

« ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلماً ، مثل مطالبة بأن يتنازل عن حياته الإسلامية ، فإن كنتم لاترون لأنفسكم أن تطالبوا أحداً بأن يرتد عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلماً بأن يمتنع عن قوله للظلم إن أظلم لأن معنى كلنا المطالبتين واحد ، إن التصديق بالحق وإعلانه عنصر ضروري للأمة الإسلامية ، فإن فصل عنها فقد أكبر ما تمتاز به ، ويمضى في مرافعته العظيمة من سمو وتقديس للحرية وتضحيات من المسلمين في سبيلها فيقول :-

« إن المسلم يتحتم عليه ألا يتقنع في إعلان الحق ، ولا يبالي في أداء فرضه بمصيبة وابتلاء ،

أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكاباً واقرقتها اقترافاً ، وأنتي من أولئك الجناة الذين بذروا هذه الجناية في قلوب أممهم ، ووقفوا حياتهم على سقيها وتنميتها وشميرها . ثم يمشى في صراحته وجراته المنقطعة النظير فيقول :-

نعم إنى قلت «إن الحكومة الحاضرة ظالمة ، وإن لم أقل هذا فإذا أقول ياترى ، وأيم الله إنى لأعجب كيف يطلب منى أن أسمي شيئاً بغير اسمه ، وأن ادعو الأسود بالأبيض ؟ إنى مادمت أعتقد أن هذه الحكومة من أولها إلى آخرها شر على شرف كيف أدهولها وأقول دوى ولا تصلحى ؟ » .

وأمام قضائه الانجليز يقف معتداً بدينه وإيمانه ويلقى عليهم درساً عن نظرية الإسلام الذى يدين به إلى الاستبداد فيقول :-

إنى مسلم ، ولأنى مسلم ووجب على أن أندد بالاستبداد وقبحه ، وأشهر مساويه ، وليعلم أن الإسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية ، وإنما جاء ليرد إلى النوع الإنسانى حريته المنغصوبة التى كان قد اغتصبها الملوك المستبدون الذين كانوا يعتقدون أن الحقوق للقوة والذسلط والتهر والغلبة ، ولكن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن إن الحق ليس فى القوة ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد هباد الله ويذلهم ويسخرهم ، وبين

بل يصدع به حيثما كان ولولاقي دونه الحما .  
وتصير هذه الفريضة أوكد وأوجب عندما  
يسود الظلم والجور ويمنع الناس من إعلان  
الحق بالعنف والشدة ، إن التوحيد أساس  
الإسلام وقطب رحاه وهو يعلم المسلمين أن  
الخوف والخشوع لا يكونان إلا لله الواحد  
وأن من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل  
غيره أهلا للخوف والطاعة وهذا ما لا يجتمع  
مع التوحيد أبداً .

« إن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة  
عامة إلى التضحية والبسالة والجرأة والاستهانة  
بالموت في سبيل الحق وقد ابيضت عن الدهر  
ولم تر مثل هذه الضحايا الكثيرة العظيمة  
التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من  
من أدوار حياتها في سبيل إعلاء كلمة الحق ،  
وتراجم علمائها ومشايخها وسادتها تنبؤ عن  
هذه الضحايا .

« ألا فلتعلم الحكومة قانون ( ١٢٤ ) من  
العقوبات الهندية ولا يرد عنه دينه وأداء  
فريضته ، إذ أكبر عقاب في هذا القانون حبس  
المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتمناه  
إن كان لا بد منه في سبيل الحق .

ويمضى الرجل العظيم في مرافقته فيرد لهم  
تاريخ المسلمين الأول في ظل الحرية ، وتاريخهم  
في ظل الملوك والولاة المستبدين من بنى أمية  
والعباسيين وكيف كان العلماء والعوام يجاهدون

الظالمين بظلمهم ولا يخافون الحاكم ولا نائبه  
ويتقبلون الموت في سبيل الجهر بكلمة الحق  
عند هؤلاء السلاطين المسلمين ، ومرد من  
هذا التاريخ أمثلة رائعة ثم قال : -

فإذا كننا نحن المسلمين نعامل حكومتنا  
الإسلامية هذه المعاملة حينما تكون ظالمة فإذا  
يرجوه منا عمل هذه الحكومة الأجنبية ؟  
وهل تكون الحكومة الانجليزية الهندية  
المتسلطة علينا بالقوة أكرم علينا من  
الحكومات الإسلامية التي تعتبر طاعتها واجبة  
علينا شرعاً وديناً ؟ ، وهل دولة الملك جورج  
الحامس ونيابة اللورد ريدنج « حاكم الهند »  
أعز علينا من خلافة عبد الملك بن مروان  
و نيابة الحاج بن يوسف الثقفى ؟ ولو غضضنا  
الطرف عن الفرق الشرعى العظيم بين الحكومة  
الأجنبية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية  
غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية الإسلامية  
وأنزلناهما منزلة واحدة ، أفلا نقول في  
حكومات « جيمس فورد » وريدنج <sup>(١)</sup> ما قلناه  
في حكومات الحاج وخالد القسرى من قبل ؟  
قد قلنا يومذاك : اتق الله فقد ملأت الأرض  
ظلالاً وجورا ، وهذا هو الذى نقوله لكم اليوم ،  
ولا نزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول  
نحن من الوجود ، ويستمر في جرأة المؤمن  
الواقف بربه يبين لهم ما كان يجب على المسلمين

الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون ١٣٤ يعاقب عليه ١١ .

« ولست أنكر أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب المخزي وتسلط الأجانب عليهم ؛ لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الإسلامية وكسبوا جميع ذرائع العبودية حتى أصبحوا بحالتهم هذه أكبر قننة للإسلام ... ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية التعاليم الإسلامية البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم ، والى توجب عليهم أن يحميوا أحراراً أو يموتوا كراماً وليس بينهما سبيل .

ثم يلخص موقفه من الحكومة في هذه السمكات القليلة : « إن اعترافى في هذا الباب جليلة وصریحة وإنى أعتبر الحكومة الحاضرة المستبددة حكومة غير شرعية ، وعندما محضاً في عين الحق والقانون ومئات الملايين من أبناء البلاد .

ثم يصف هذه الحكومة كما يراها الملايين فيقول : « لقد رأوا جرأتها في سحق الحق غير قليلة وهمتها في لبس الصدق بالإفك غير ، كيلة ولسانها في تكذيب الحقائق غير عي ولا متعلم » .

ثم يعبر مرة ثانية وثالثة ورابعة عن رأيه في هذه الحكومة فيقول « يا ليت شعري إن لم أقل لهذه الحكومة ، إنك ظالمة فيما أن تتوبى

أن يفعلوه تجاههم ، وكيف أنهم كانوا متساهلين مع أعدائهم فيقول : -

« إن الشريعة الإسلامية رسمت للمسلمين خطتين إذا ظلموا : خطة ضد استبداد الحكومة الإسلامية ، وخطة ضد استبداد الحكومة الأجنبية ، فالأولى تنحصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أما الثانية فليست إلا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب ... ولقد كان يجب على المسلمين في الهند الآن أن يتخذوا الخطوة الثانية فيحاربوا الحكومة الإنكليزية بالسلاح ويتفانوا في جهادهم ، لكنهم آثروا الأولى . . وأهلنا أنهم يقاطعونها ولا يتعاونون معها ، أى أنهم يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الإسلامية الجائرة .. فهلا كان يجب عليها أن تفكر في صنيعتهم وتساعهم معها ؟ .

فحسبهم أنهم يعاملونها كما عملتهم لحكوماتهم الإسلامية .

« وإني هنا أقول حقاً إنه لا يؤلمنى أبداً أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتى ، وإنما لا تحاكنى إلا لزوجنى في السجن إذ أن هذا أمر لا بد منه ، وإنما الذى يؤلمنى فيفتت كبدى هو أن أرى الحالة تنقلب انقلاباً تاماً ، فبدلاً من أن ينتظر من المسلم صدق اللمجة والقول الحق يطلب منه السكوت عنه وكتان

وقال : « إنني أدعو لجميع هؤلاء بدعوة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم لقومه : اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

وبعد ذلك وجه كلامه إلى القاضي فكان أروع من كل ما قال :

وأنت أيها القاضي ماذا عساي أن أقول لك إن أقول لك؟ إن أقول إلا ما قاله المؤمنون قبلي في مثل موقعي هذا « فأقض ما أنت قاض وإنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إن الحكومة ما دامت فاسدة فلا رجاء في صلاح عملها . .

إني أختتم مرافعتي بكلمات لفريد إيطاليا وشهيد الحق « فاردينو بروثو » الذي كان ينف مثلي أمام المحاكم فقال « عاقبوني بأكثر ما يمكنكم أن تعاقبوني به ، أيها القاضي ... لقد طال الحديث وآن أوان الوداع وإن ما يدور بيننا الآن سيسجله التاريخ ويعتبر به المعتبرون ... فلهم بنا نفرغ من هذا العمل الذي سيكون عبءاً وتذكراً للآيتين ، فالمرحى ينتظرنا ، والمستقبل يترقب فراغنا ، لنسرع في المجيء إليك ، ولتسرع أنت في القضاء علينا ، وإن هذا العمل لا يطول قابلاً حتى يفتح باب محكمة أخرى ، وتلك المحكمة محكمة قانون الله والحق ، الزمان يقضى فيما ويكون قضاء حكماً وحكماً نافذاً .

أخى . . ما أروع ما نقلته لك وما أروع ما تركته كذلك وضاق به نطاق المقال ( البقية على الصفحة التالية )

أو تزولى . . فإذا أقوله ؟ أفا كذب وأقل لها ، لا بل إنك عادلة فلا تتوبى ولا تزولى ؟ لعمر الله إن هذا لن يكون أبداً ... وهل يستحق الظلم أن يبدل اسمه أو يسمى بغير اسمه لأنه يملك القوة والسجون والمشاق ؟ كلا بل أقول كما قال رائد إيطاليا وبطل حريتها « مازيني » : « قررة عيني في هذه الجناية » .

ويسير البطل المسلم الهندي في طريقه إلى القمة حتى يثبت أقدامه عليها ، ومن قته هذه يقول لقضاته الانجليز : -

« إن كانت محتويات هاتين الخطبتين اللتين أحاكم من أجلهما لا تلائم الحكومة وترواني أستحق العقاب لأجلهما تحت قانون ١٢٤ فلم لا تعاقبني على جميع خطبي وهي كلها مثلها بل أشد وطأة على الاستبداد منها ، بل إنني مضطر هنا إلى التصريح أمامكم بأنني ارتكبت هذه الجناية مراراً يستحيل عدها بل ماعملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية » وهما السنتان اللتان خرج فيهما من السجن ...

« لقد قلت في هاتين الخطبتين : إن الحرية لا ينبت نبتها ولا تستوى على سوقها إلا إذا سقيت بماء الظلم والقهر . وهما هي ذى الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها » . ثم وجه كلامه في آخر مرافعته إلى الشهود والنائب العام من أبناء وطنه ولم يسكنهم ولكنه وبخهم لمساعدتهم للحكومة المستبدة

# هَدَى الْقُرْآنُ فِي إِصْلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ

لِلأَسْتَاذِ مَنْشَاوَى عَيْبُودَ

إذا تطلع القادة الراشدون إلى منهج إصلاحى سديد يقوم الأفراد ويجعل منهم لبنات قوية صالحة في بناء مجد الأمة ويكون مجتمعاً مثالياً فاضلاً فإن أيسر السبل وأقومها لبلوغ تلك الغاية الكريمة مدارسة القرآن الكريم والاستمساك بهديه القيم إذ هو المنهل العذب الذي يروى ظمأ القلوب ، ويوفر لها ما تصبو إليه من حكمة وسداد ، والنور المبين الذي يشرق على العقول فيعصمها من الأفكار الطائشة والمذاهب الهدامة ، ويعمرها

بالهداية والعرفان ، ويدفع أصحابها إلى الصراط المستقيم . والسلوك القويم . ويوجههم إلى الإنصاف بأكمل الحالات وأفضل الخلال وأصالح الأعمال مشجعاً لهم على ذلك بما ينتظرهم من أجر وفير وعطاء جزيل : . إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً (١) . .

(١) سورة الإسراء . .

( بقية المنشور على ص ٨٣١ )

ما أروع ما قاله هذا الزعيم المجاهد المسلم الذي أعاد لنا في العصر الحديث أجداد أمثال له في تاريخنا القديم جهرُوا بالحق ولم يخشوا إلا الله . . وما أحوجنا وأحوج المسلمين وبخاصة شبابهم - موضع الأمل والرجاء فيهم - أن يقرءوا مثل هذا ويحفظوه ويعوه ويكون لهم غذاء وتعبئة روحية ينطلقون بها في مضمار الحياة يحطمون أغلال الظلم

ويدكون أسوار الاستبداد وينطلقون بأهمهم من حياة الظلام والظلم إلى النور . . إلى الحرية . . إلى الحياة الإنسانية إلى الحياة الإسلامية . . ما أحلاها . وما أسعد الذين يعرفونها ويقدرونها ويعيشون لها وفي ظلها أحراراً شرفاء كراماً أعزاء . .

( الحديث موصول )

عبد المظعم النمر

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت <sup>(١)</sup> ، ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين <sup>(٢)</sup> ، ، إلى غير ذلك من الآيات التي تهدي المسترشدين وتزيدهم تبصرة وذكرى وإيماناً بربهم وإنابة إليه وثقة به وتوكلاً عليه .

والقرآن يهدي للتي هي أقوم في العبادات فيأمر بك بأدائها خاشعاً لربك . مستحضراً في نفسك أن تعبدك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وهل يسمع المؤمن قول العليم الحكيم صاحب القهر والسلطان : إن الله كان عليكم رقيباً ، <sup>(٣)</sup> وقوله : ألم يعلم بأن الله يرى ، <sup>(٤)</sup> ثم لا يحاول أن يعمر قلبه بمجلال الله وعظمته . وخشيته وسطوته ؟

إن هذا الخطاب الإلهي سيأخذ حتماً بمجامع قلبه ويدفعه إلى امتثال أمر ربه . والحرص على مرضاته والتزود من طاعته حتى تكون العبادة خلقاً ومنهاجاً ، والإخلاص في أدائها غاية وأملاً .

هدى القرآن للتي هي أقوم في تنظيم المجتمع وتوثيق الصلة بين أبنائه فأحكم الرابطة بين

وما من شأن من الشئون يتعلق بالفرد أو المجتمع إلا ويهدي القرآن فيه إلى ما كان أعظم نهجاً وأوفر رشداً ، وأزكى عاقبة ، وأهدى سبيلاً .

ففي العقيدة يهدي للتي هي أقوم بتطهير النفوس من دنس الشرك ، ورجس الوثنية ويخلصها من الخضوع لغير بارئها الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأوجد فأبدع .

وفي الخضوع لله وحده تكريم للإنسان وتقدير لأدميته ، وسمو بإنسانيته ، وتشريف له يجعل لإذعائه مختصاً بمصدر الوجود والإنعام .

ولا يخفى ما لهذه العقيدة الرشيدة من أثر جليل في احتفاظ المؤمن بعزته وكرامته ومراقبته لربه في جميع الأحوال والتصرفات ، ومن راقب ربه فلن تطوف بذهنه خواطر السوء ، ولا تلج إلى قلبه نزعات الشر ، وحرص على التزود من القول السديد والعمل الجيد .

على أن القرآن لم يكره الناس على هذه العقيدة لإكراها بل هدى في الدعوة إليها أيضاً بالتي هي أقوم فلفت الأنظار إلى ما أودع من الدلائل في الأنفس والآفاق وما تشهد به الفطر الصافية والألباب الواعية : وفي أنفسكم أفلا تبصرون <sup>(١)</sup> ، ، أفلا

(١) - سورة الفاشية .

(٢) - سورة لقمان . (٣) - سورة النساء .

(٤) - سورة العلق .

(١) - سورة الذاريات .



المشكلة ينجم عنه خطر داهٍ وشر مستطير  
يحتاج الأمة . ويقضى على بنائها من القواعد  
وحسبك شاهدا على ذلك قوله عليه الصلاة  
والسلام ( اتقوا الشح فإن الشح أهلك من  
كان قبلكم حلهم على أن سفكوا دماءهم  
واستعملوا محارمهم ) (١) .

ولرعاية المجتمع أيضا شرع القرآن المعاملات  
بين الناس تيسيرا لمصالحهم وتحققا لرغبتهم  
في المعاوضة والمبادلة . وهدى فيها للتي هي  
أقوم فوضع لها أسسا قوية تنتج المقصود من  
شرعيتها مع المساواة بين الطرفين في صيانة  
حق كل منهما وتبادل المودة والثقة بينهما فأمر  
بالتعاون والتناصح ونهى عن الغش والحيانة  
وحرم أكل الأموال بالباطل وبالغى التحذير  
من الربا والتخويف من سوء عاقبته . فكشف  
عن حقيقته وبين أنه خداع براق يفر ظاهره  
وهو في الواقع مجنب للخراب والدمار ومحول  
هدام يقضى على النظام الاقتصادي ويحبط  
الثروة ويجهلها هشيا تذرؤه الرياح قال تعالى :  
« يمحى الله الربا » (٢) وتوعد آكله بأشد  
أنواع الويل والشبور حيث جعلهم معرضين  
لحرب من الله لا قبل لهم بها ولا طاقة على احتماها  
فقال - جلست حكيمته : « يا أيها الذين آمنوا  
اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم

الآغنياء والفقراء فأقامها على أساس من العدالة  
والتكافل الاجتماعي والرعاية الحازمة فاحترم  
ملكية الغنى لماله لكنه أوجب فيه حقا للفقير  
ينى بحاجاته ويوفر له الحياة الكريمة قال تعالى :  
« والذين فى أموالهم حق معلوم . للسانل  
والمحروم » (١) وقد سبى القرآن هذا الواجب  
حقا تكريما للفقير واحتراما لشعوره وتوفيرا  
لعرته . وتبيننا له أنه لا يأخذ صدقة أو منحة  
ولنما يتقاضى حقه الذى كان مدخرا له عند  
غيره . كما أن فى هذه التسمية أيضا إعلانا  
للغنى بأن هذا المقدار الذى تعلق به حق الفقير  
تلتزم المساواة إلى إخراجة . ولا يجوز التسويف  
فى أدائه . أو التهاون فى الوفاء به . وبذلك  
ينعم الجميع بالعيش الرغيد . والحياة الباسمة .  
ويقادولون المودة والصفاء . ويصبجون بنعمة  
الله إخوانا يتنافسون فى العمل الخير المجتمع  
وإسعاده .

هذا وقد عنى القرآن الكريم بمشكلة المعوزين  
والسكادحين عناية فائقة لم تغفر بمثلهما فى  
تشريع ما يدل على هذا ما تجده ما ثلثا فى الكثير  
من آياته وسوره من ذكر الفقير والمسكين  
وتحريك القلوب للعناية بهما والاهتمام بشأنهما .  
ولنما سارع القرآن إلى علاج هذه المشكلة  
لأن علاجها فى الواقع أنجع وسيلة لصيانة  
المجتمع وتوفير أمنه وهما ته - وإغفال تلك

(١) رواه مسلم

(٢) - سورة البقرة .

(١) سورة المارج .

فقد أرشدت الآية الكريمة إلى فضيلة البر بهم والتزام العدل معهم وختمت ذلك بما يجعل النفوس مسارعة إلى الامتثال توافقة إلى تحقيق تلك الأهداف الرشيدة حيث جعل العدل مع هذه الطائفة مـراجاً للظفر بحجة الله وعظيم مشوبته - وليس أروع من هذا في إشعال جذوة الحماس إلى القيام بالواجبات والإحسان في أدائها وضمان الحقوق وصيانتها.

والسر في أن الواجب علينا نحو تلك الطائفة ورد التعبير عنه في الآية بعدم النهي هو أنه ربما يطوف بالأذهان أن مخالفة هؤلاء الناس في الدين تحظر البر بهم وتسوخ الاستخفاف بحقوقهم . فجاءت الآية الحكيمة على هذا الأسلوب الرد على ما عساه يحظر بالبال مبدية أسباب الحكم علينا بوجوب البر بهم والعدل معهم .

وما أوسع ما تدل عليه كلمة البر والعدل من صور كريمة ومظاهر رائعة .

يهدى القرآن الأمة الإسلامية إلى الحالة التي هي أقوم في تنظيم علاقتها الدولية بغيرها فيأمرها أن تتحصن بالسلاح والقوة التي تهرب أعداءها وأن تعنى بالمرابطة وحماية الشغور والحدود ومداخل العدو لتعيش الدولة آمنة مطمئنة لا تمتد إليها يد الطامعين ولا تتحرك لها قلوب المستعمرين قال تعالى:

مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله (١) .

هدى القرآن إلى التي هي أقوم في تماسك الأمة وتناصرها وتوحيد كلمتها وإعلاء شأنها وإبقاء هيبتها في نفوس أعدائها وجعلها منيعة الجانب مرهوبة السلطان فدعا إلى الوحدة والوئام وحذر من الفرقة والانقسام فقال عز شأنه : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٢) .

ولتوثيق عرى الاتحاد والتآزر بين جميع عناصر الأمة تعرض القرآن لمعاملتنا مع قوم خالفونا في الدين ولكنهم رضوا بالإقامة في ظل الإسلام وحمايته على أن يلتزموا معنا خطة المسالمة فلا يعلنوا علينا حرباً ولا يظاهروا عدواً يقاتلنا وتتعاون نحن وهم على جلب الخير ودفع العدوان وأخذ كل فريق منا على صاحبه بذلك عهداً مؤكداً وميثاقاً غليظاً - والقرآن يهدينا في شأن هؤلاء التي هي أقوم فيقول : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتسخطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٣) .

(١) سورة البقرة .

(٢) سورة الأنفال .

(٣) سورة الممتحنة .

هذا عرض القرآن لموضوع الصلح مع قوم اشتعلت يفتنا ويذهب نار الحرب فهدانا في ذلك لقي هي أقوم أيضا فأرشدنا إلى قبول عرضهم للصلح مادمننا قد آنسنا منهم حسن النية ونبيل الغاية وأخذنا الحيلة لسلامة أمن الدولة قال تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » (١) .

وصفوة القول أن هداية القرآن لقي هي أقوم في إصلاح الفرد والمجتمع ما أكثرها وما أروعها وما تعرضنا لذكره منها ليس إلا نماذج يسيرة من هذا البحر الزاخر الذي لا تنتهى عجائبه ولا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وما أحوجنا ونحن في شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن - إلى أن نبدا عهدا كريما بمدارسة هذا الذكر الحكيم فنستوحيه في جميع شئوننا العلاج الناجع والتوجيه الحازم ونأخذ أنفسنا بهديه الرشيد . و نقيمها على صراطه المستقيم لنظفر بتكريم العلى الكبير حيث قال سبحانه : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا ننصيح أجرا المصلحين » (٢)

### منسأوى عبور الخولى

( ١ ) سورة الأنفال .

( ٢ ) سورة الأعراف .

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » (١) .

ولم تحدد الآية الكريمة نوع القوة التى نعدها لتفسر فى كل زمان بما يربح خصوم الإسلام . والإعداد على هذا النحو هو السبيل الوحيد لضمان الأمن والسلام والوقاية من الحروب وويلاتها ولذا يعبرون عنه بالسلم المسلح ؛ إذ السبب الحقيقى للحرب بين دولتين إنما هو اختلال ميزان القوة فيهما وتضاؤل قوة الدولة المعتدى عليها فى نظر الدولة الباغية .

وما أرشدت إليه الآية الحكيمه هو هدى الله فى نشر الأمر بين الناس لا ما ترعاه تلك الدول العاتية من حماية السلام ، وأقامت لذلك مجلسا يسمى مجلس الأمن وأحاطته بسياج براق من الدعاية الزائفة . وما هى إلا الأساليب الماكرة الخادعة التى تخفى وراءها روغان الثعالب وغدر الذئاب واغتيال الأمم المستضعفة والتهام الشعوب المغلوب على أمرها .

والإسلام دين السلام حقا ولا يحارب إلا من وضع العقبات فى طريق دعوته وهدد أمنه وسلامته ونازع سلطانه وسيادته ومن أجل

( ١ ) سورة الأنفال .

# الثورة الوطنية والفنية في شعر أحمد محرم

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

— ١ —

وتحدث عن ظلمهم لشعوبهم فقال :  
رأيت ملوك الناس لا ينصفونهم  
وخير الملوك المنصف المترفق  
يقمعون صرح الظلم في كل أمة  
إذا ملكوا والعدل بالملك أخلق (١)  
ورأى أنهم يعيشون على حساب الشرف  
والضمير فقال :

من حق الشاعر الكبير الخالد ، أحمد محرم ،  
على وطنه ، أن يذكره ، وأن يقدر فيه الشاعر  
الثائر ، الذي عاش لأمته ، وضحي من أجل  
حريتها وهزتها ومجدها أغلى التضحيات .

من حقه على بلاده - في نهضتها التحررية  
العربية الكبرى - أن تحنق بشعره ، الذي كان  
غذاء لثورتها ، وشعلة أضاءت لها الطريق إلى  
غايتها ؛ والذي نادى بالثورة وبشر بها قبل  
ميلادها بوقت طويل .

— ٢ —

كذب الملوك ومن يحاول عندهم  
شرفاً ، ويزعم أنهم شرفاء  
لا المجد مجد بمد ما هبث به  
أبدى الملوك ، ولا السناء سناء  
مالوا عن الشرف الصميم وأحدثوا  
ما شئت الأوهام والأهواء  
لو جاور الشرف الملوك لأورقت  
صم الصخور وضأت للظلماء  
وتدد بعباس وخيائته الوطنية لمصر فقال :

لقد عاش محرم عدواً للسلطنة والحزبية  
السياسية ، وللجحتل وأذنا به ، وللجمعية  
والإقطاع . حارب كل هذه الأركان المتداهية  
الواهية ، وحاربه . حتى لفظ أنفاسه ،  
ولاقى ربه .

ماذا بدا لك فاعتزلت صفوفنا  
أو أصبحت حرب الغزاة سلافا ؟  
أنتخون مصر وما تحول نيلها  
سما ، وما انقلب الضياء ظلاما ؟

(١) ذم الملوك ، وأزرى بهم ، وتدد  
بفسادهم ، من مطلع شبابه إلى آخر حياته ..  
فقال في تصوير استبدادهم :

بغت الملوك على الشعوب وغرها  
من تسوس تجاوز وسماح

(١) ٢ : ٨٦ الديوان .

(ب) وحارب كذلك الحزبية السياسية المستعلة الفاسدة، فقال في جنايتها على الشعب .

شعب بأيدي الجاهلين تقوده

أهواؤهم قود الذليل المضارع (١)

ودعا إلى الانقضاء من حول الزعماء الحزبيين ، فقال :

دعوا الزعماء إن لهم لدينا

يدين بغيره الشعب الرشيد

إذا ذكروا الزعامة فهي دعوى

يكيد بها الكنانة من يكيد

وكان شعار الحزبي يدعو إلى تجميد الزعماء ، لا إلى البذل والفداء من أجل استقلال الوطن ، فقال محرم يندد بهذا الشعار الزائف :

هو الحق الذي نسعى إليه

ولسنا عنه ما عشنا نحيد

إذا لم يحفظ استقلال مصر

فلا سعد يطاع ولا سعيد

(ج) وحارب محرم المحتلين حرباً لا هوادة فيها ، فقال من قصيدته في مأساة دنشواي ، يتدد بالانجليز وأعوانهم :

بني القاميز كونوا كيف شئتم

فلن ندع الكفاح ولن فليسا

خذوا أنصاركم إنا نراهم

لنا ولقومنا الداء الدفيننا

هم الأعداء لسنا من ذويهم

وليسوا في الشدائد من ذوينا

ذمنا عهدكم فتم نراكم

تشدون الرجال مودعينا ؟

ولقد شدوا الرجال عن مصر مرتين خلال عام واحد ، ولكن بعد وفاة محرم بإحدى عشرة سنة .. ويقف الشاعر أمام الانجليز وجهاً لوجه ، فيقول :

حماة النيل إن النيل عان

يريد العدل والحكم الزهيا

أسأتم في سياستكم إلينا

وتلك سياسة ما نرضيها (٢)

ومخاطب أنصار المحتلين وأذنانهم ، وينذرهم ثورة الشعب ، وهو يتنبأ بها من وراء الغيب فيقول :

يا أيها الناس إن الله يأمركم

ألا تكونوا لاهل الظلم أعوانا

إني أخاف عليكم حادثاً جمللاً

لا تملكون له رداً إذا حانا

ويذكر أذنان المحتلين بذنبهم وبيلاهم فيقول :

وأشد أبناء البلاد عداوة

من لا يرى المختل من أعدائه

هي في جلالتها حمى أبنائه

ومضاجع الماضين من أبنائه

لا النيل إن رمنا الحياة بجامل  
أنا لها كلا ولا الأهرام  
ونادى بمحاربة الجهل وأكثر من تصوير  
جنايته على الأمة ، فقال :

الجهل أصبح داءها المودى بها  
ومن البلية أن تموت بدائها  
وحارب الرشوة ، وصور أثرها على  
الشعب ، فقال يخاطب الموظف :  
قتلت برشوة حقاً ضعيفاً

له من إثمها كفن ورمس (١)  
ودعا إلى تصنيع بلاده فقال :

أبنوا المصانع شما تبلغون بها  
شأوا الألى رفعوا شم العرائين  
أينهب القوم آفاق الدنيا صعدا  
ونحن مرعى الأمانى والأطاني  
ودعا إلى حرية الصحافة فقال :

لا تظلموا الأقلام إن سبيلها  
هون الضعيف ونصرة المخدول  
ونعى على صحافة المحتلين أكاذيبها وافتراءاتها  
فقال :

صحف يزل الصدق عن صفحاتها  
ويظل جد القول عنها نايباً (٢)  
هـ — وحارب الإقطاع وصور شره في  
أكل حقوق الشعب المسكين فقال :

يا مدمن الأعمال في طلب الغنى  
لا تظلمن العامل المسكين

(د) وحارب محرم الرجعية في شتى  
صورها ، الرجعية الفكرية التى يقول عنها:  
أعجب قوما من أولى العلم أنهم

يسرون بين الناس في نوره عمياً (١)  
والرجعية الاقتصادية والاجتماعية التى شن  
عليها حرباً لا هوادة فيها ، فدعا إلى تعليم البفت  
في زمن كانت الدعوة إليه فيه كفراً وإلحاداً :  
وجامل ظن أن العلم منقصة

للبنات ، فانتقص التعليم وانتقدا  
مهلاً قرب فتاة أهلكت بلدا

بجهلها ، وعجز أفسدت بلدا (٢)  
وحارب الطائفية الدينية في مصر ، فقال :

أسنى على المتباهضين وقد رأوا  
أن الفلاح تودد ووثام

شرعوا العداوة بينهم لم يوصهم  
دين المسيح بها ولا الإسلام (٣)

ومن أجل ذلك دعا إلى الإخاء الوطنى في  
كثير من قصائده ، يقول :

الدين لله العلى وإنما  
دين الحياة تودد ووثام

إن كان للواشى المفرق مآرب  
فلنا كذلك مآرب ومرام

أنظّل صرعى والشعوب حثيثة  
ونعيش فوضى والحياة نظام

(١) ٢ : ٨٠ الديوان .

(٢) ٢ : ١٧٦ المرجع .

(٣) ٢ : ٤٧ المرجع .

(١) ٢ : ١٨٨ الديوان .

(٢) ٣ : ٩٨ المرجع .

سبحان ربى هل هممت بمفطع  
أم جئت أمرا فى الزمان عجبا  
ما كان إلا أن مررت بمنكر  
فنبئت عنه وقلت فيه صوابا  
إن الغواية إذا هممت بنصحهم  
ألفيتهم متذمرين غضا  
ويوبخ زمانه وعصره وقد جهلا مكانه  
ومنزلته فيقول :

ويله زمنا حملت به الأسى  
وشقيت فيه بكل خلق منسك  
ويله زمنا سيعرف موضعى  
ويرى مكانى إن حييت ومظهرى  
ولئن هلكت لتعلمن مكانتى  
أهم نشرت لها زمان البحترى  
أعليت فى الأمم الحوالى جددا  
ورفعت رتبة عصرها فى الأعصر  
قلم من الروح الذكى يمدده  
ماشاء ربك من نطاف السكوتر (١)  
ويبين بعد مذهبه ودعوته الوطنية عن  
مذاهب من حاربوه ودعواتهم فيقول .  
دعوني وما أَرْضى لنفسي وجنبوا  
هواى هواكم ليس مذهبا معا  
لكم شأنكم لى أرى غير رأيكم  
وإن لنفسي دونكم متطلعا

(١) ص ٤٠ عرم شاعر المروبة والإسلام  
للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشى . ١٤٠ مشاهير  
شعراء العصر .

أطعمت من دمه الحزائن جمة  
ولبثت قطعته البلاء فنونا  
وأندر الإقطاعيين الثورة فقال :  
إنى أرى خلال الحوادث موقفا  
جملا يقيم قيامة المثرينا  
مهلا موالينا أجمع واحد  
مالو تفرق جاوز المليون ؟  
ونظيل لا نرجو نظاما صالحا  
يقضى الحقوق ولا نرى قانونا  
وقال فى جنباياتهم على الشعب :  
أضروا الشعب واستلبوا قواه  
وآفة كل شعب مسترفوه

### — ٣ —

ولقد حاربه كل هذه الأركان التى كان يقوم  
عليها بناء مصر آنذاك ، حاربه الملكية  
البائنة ، والحزبية الفاسدة ، والجمعية الماكرة  
والإقطاع المتعمر ، وحاربه المحتلون وأذنانهم  
كذلك . . . فعاشر طول حياته فقيرا بائسا  
محروما ، حتى يقول فيما يقول :

ظمئت وفى فى الأدب المصنفى  
وضعت وفى يدي الكسز الثمين  
لربى ما عملت وعند قوى  
ديونى حين تلمس الديون  
ويصور حق هذه الأركان المتداعية عليه

فيقول (١) :

أكلف جد الأمر نفسي ولا أرى  
سوى أمة خرقاء شيعتها الهزل  
أردت لها عز الحياة فأعرضت  
تريد حياة ما يفارقها الذل  
ولكنه لا يسخط على أمة ، بل يستغفر  
لها ولقومه ، فيقول :  
أستغفر الله عن قومي وأسأله  
حظا لمصر من الخيرات موفورا  
وفي استنهاض همم للعاملين من أجل مصر  
يقول :

أمن ركب العواصف أو ترقى  
إلى السبع الطبايق كمن تروى  
حياة الحاملين لهم عقاب  
فما أقسى العقاب وما أشد  
وتشتد به الحاجة ، وقعضه الحرمان ،  
فيقول في ثورة هارمة :

وحدى حملت صروف الدهر فادحة  
ما خانتى منكبي فيها ولا عضدى  
وحدى بليت بنفس ليس يعجبها  
ما يعجب الناس من رأى ومعتقد  
ولا يطيب لها إلا الذى كرهوا  
من مركب خشن أو مطلب فكده  
وحدى شقيت بهذا الشعر أجمله

أحدوثه الدهر أو أنشودة الأبد  
أصوغه من شعاع الشمس ليس يحجبه  
ستر من الحقد أو سور من الحسد

سأسكت حتى ما أرد تحية  
وأبعد حتى ما تروالى موحدا (١)  
وتعرض عليه المناصب والأموال ليسكت  
فيقول :

ولست ببائع نفسي وديني  
ولو أوتيت ملك المشرقين  
سأملأ هذه الغبراء مجدا  
وأترك أهلها صفر اليدين  
على التاريخ بعد الموت حتى  
وعنه الله يوم الدين دبنى (٢)

ويفضل البؤس والحرمان على خيانة  
أمة فيقول :

ما أبالى حين تسمو أمتي  
من ترى من بعد هذا أو سما  
من أياذى الله أنى لم أخن  
عهدما الأوفى أريد المغنا

مرحبا بالبؤس من أسبابه  
عفة البائس عن أن يأثما  
راودنى عصابة عن حقها  
وأبى العرق الكريم المنتهى (٣)

وحين يرى الأمور في مصر لا نبشر بخير ،  
يقول في حسرة دامية (٤) :

(١) ٢ : ٧٥ الديوان .

(٢) ٢ : ٧٨ للرجع .

(٣) ٢ : ١٥٩ المرجع .

(٤) ٢ : ٨٠ الديوان .



وحدى وفيت بعهدى والوفاء أذى  
يحنى على الروح ما يحنى على الجسد  
من كان يمشى وراء الموت متشدا  
يبغى البقاء فإني غير متشد  
ولا يدري محرم مكانه ووجوده ، فيقول  
في حيرة :

وجودى لست لى فلن تكون  
أمر أنت عن نفسى مصون ؟  
وجودى ما عرفتك غير معنى  
تغلغل فى الخفاء فما بين  
غريق فى الظلام ولا ماض  
ولا حصن يلاذ به أمين  
أقيم عليه سور من عباب  
فضل على جوانبه السفين  
أطل ويضرب التيسار وجهى  
فأين أنا أحر أم سجين  
- ٤ -

لقد عاش محرم لبلاده ، لوطنه ، لشعبه ،  
لأمته ، وامتلا قلبه حبا لمصر الخالدة التى كان سر  
حبها همومه والتفكير فى حاضرها سبب أدوائه ،  
فقال :

ولست وإن ظلمت أذم مصر  
فمصر الهم والداء الهخيل  
ويقول فى تصوير حبه لأمته :  
فإن يسألوا ما حب مصر فإنه  
دى وفؤادى والجوانح والصدر

لنفسى وفأتى إن وفيت بعهدا  
وبى لا بها إن خنت حرمتها الغدر  
أخاف وأرجو وهى جهد مخافتى  
ومرمى رجأتى لا خفاء ولا نكر  
هى العيش والموت المبعض والغنى  
لأبنائها والفقر والأمن والغدر  
هى القدر الجارى ، هى السخط والرضا  
هى الدين والدنيا ، هى الناس والذهب  
ويفندى مصر وطنه الحبيب بكل ما تملك  
يداه فيقول :

مصر الحياة وحبها الشرف الذى  
بطرازه الغالى أدل وأعجب  
نفسى وما ملكت يدائى لأمتى  
وسراة آبائى وما أنا منجب  
أبنى لأنك للبلاد وإنها  
لك بعد والدك التراث الأطيب  
ويهب لأمته حياته فيقول (١) :

وهبت الصبا والشوق والحب والهوى

لمصر وإن لم أقض حق الهوى مصرا  
بلاد حبتنى أرضها وسماؤها  
حياتى وأجرى نيلها فى فمى الدرا  
ويؤكد أن مصر فى حياته كل شئ ، فيقول :  
مصر الرخاء والنعيم والرغد  
مصر الرفيق والصديق والولد  
مصر النصير والظهير والسند  
مصر الهوى ، مصر الصبا . مصر الهرم

ويذكر أن حب بلاده تغلغل في نفسه وأحماق قلبه ودمه وفؤاده فيقول :  
فإن يسألوا : ما حب مصر ؟ فإنه  
دنى وفؤادى والجوانح والصدر  
تدق فيها الوحي شعرا وإنما  
سقانا بها النيل الذى كله شعر  
ويقول يعبر عن ثقته بشعبه :  
أقول لمصر مصر الحياة  
حياة الغد الدائم المتصل  
لقد جدد شعبك فى شأنه  
فما يتوانى وما يتسكل  
وفى إيمانه ببلاده ، وحنينه إلى استقلالها ،  
يقول (١) :  
وما المرء إلا قومه وبلاده  
فإن يذهب يلقى الأذى حيث يمس  
وما من فتى تغشى المهانة قومه  
فيقطع أن يلقى من الناس مكرا  
ولم أركلأوطان أكبر حرمة  
وأكرم ميثاقا وأعظم مقصدا  
من العار أن تشقى بلادى وأسما  
وكلسوت أن يقضى عليها وأنما  
أحن إلى استقلالها وإخاله  
إذا ما رأينا الصديق أمرا محتما  
ومن أجل حبه لمصر ، أحب محرم النيل  
شريان حياتها ، ومصدر رخائها ، فذكره فى

كثير من شعره ، وأهدى إليه الجزء الأول  
من ديوانه ، فقال :  
فيانيل أنت المنى والحياة  
وأنت الأمير وأنت الأب  
وبانيل أنت الصديق الوفى  
وأنت الأخ الأصديق الأطيب  
وأنت القريض الذى أقتنى  
فهزى به الشرق والمغرب  
ولقد أحب محرم العمل الوطنى الشريف ،  
ودعا إليه ، فقال (١) :  
أشرح لأمتك الحياة ولا يكن  
لك فى حياتك غير ذلك مأرب  
ما المرء إلا قومه وبلاده  
فانظر إلى أى المواطن تنسب  
وكان محرم يغرس الإيمان بالوطن فى قلوب  
الشعب ، ويقضى على الخرافة القائلة بأن  
مناهضة المحتل وأساطيله عبث ، ومن أجل  
ذلك كان يؤكد فى مواضع كثيرة من شعره  
أن الحق قوة ، والنصر له ، وأن الضعيف  
الذى يقف الحق بجانبه هو القوى المنتصر  
إذا طلب حقه وجاهد دونه ، يقول :  
الحق أسطول الضعيف وجيشه  
إن شن حربا أو أراد مغارا  
ويقول :  
لاتحسبن الحق صيحة عاجز  
الحق عزم صادق وجلاد

إلى القومية والوحدة العربية ، فقال فيما قال  
من شعره :

أمم العروبة جاء يومك فأعلمي  
وإلى مكانك فانهضي وتقدمي  
ضمي للقوى وتجمعي في وحدة  
عربية تحمي اللواء وتحتمي  
هذا السبيل لكل شعب ماجد  
على اللواء إلى العروبة ينتمي  
أمم العروبة جد جدك فانظمي  
من هقدك المنشور مالم ينظم  
لك أن تسودي تحت رايتك التي  
خفقت لها الدنيا فسودي واسلي  
وصور نكبة فلسطين في كثير من قصائده  
فقال فيما قال :

في حمى الحق ومن حول الحرم  
أمة تؤذى وشعب يهتضم  
فزع القدس وضجت مكة  
وبكت يثرب من فرط الألم  
يا فلسطين اصطلها نكبة  
هاجها لقوم عهد مضطرم  
ومع هنصره التركي فلقد كان أحد محرم  
عربي الروح والفكر واللسان ، وكانت  
العروبة عنده كل شيء ، يتحدث في شعره  
عن قضاياها ، ويدافع عن أممها المكلفة  
في سبيل حريتها واستقلالها . بل لقد تغلغل  
روح العروبة في كيانه ونفسه تغلغل الدم  
في مسارب البدن ، حتى ليقول يرد على الذين

ونادى بالتضحيات الغوالي من أجل  
الوطن فقال :

نظن بمصر إن عدت العوادي  
وامكننا بأنفسنا نجود  
وكم هتف محرم في شعره بالجللاء ، ونادى  
به ، ودعا إليه ، وبشر به ، يقول فيما يقول :  
هو الجللاء وإن ريعت له فمة  
يود ساداتهم لو أنهم خدم  
لقد نذباً محرم في شعره بالثورة ، ثورة  
الشعب على الفساد السياسي ، وعلى الاحتلال  
والرجعية والإقطاع ؛ وكأنه كان يرى ويسمع  
من خلال الغيب صيحة الحرية تدوى على  
لسانه جمال عبدالناصر وصحبه الأبرار ، فقال :  
لا بد للشعب مهما لان جانبه  
من وثبة تفزع الأفلاك والشهباء  
وقال من قصيدته البعث المؤمل (١) .  
وما أنا من روح الإله بأيس  
وإن ملأ الهمة الجوانح والصدرا  
فيارب لا تبعث إلى منيتي  
إلى أن أرى البعث المؤمل والنشرا

— ٥ —

هذا هو محرم في ثورته الوطنية العارمة ،  
كان أسبق الشعراء إلى الإيمان بالثورة  
والدهوة إليها ، والتنبيه بها ، الثورة من أجل  
مصر وحدها ، ومن أجل مستقبل شعبها  
الحر الآتي

وكان محرم كذلك من أعظم الشعراء الداعين

عوامل الضعف في أمته وفي الشعر العربي ،  
الذي قلده أروع القلائد والآيات .

دعا محرم من مطلع شبابه إلى أن يكون  
الشعر تعبيراً جميلاً لطيفاً ، ومعاني أنيقة  
شريفة ، فذهب في مقدمة الجزء الأول من  
ديوانه الذي ظهر عام ١٩٠٨ إلى أن آلت  
الشعر رقة النفس ورسوخ العقل ، وأن من  
الضروري له حسن الأسلوب والصياغة  
وجودة النظم وجمال التركيب ، إلى تخيير  
السكلم الرشيق ، وتخييل المعاني الأنيقة ،  
ويتحدث عن الشاعر وسماته ، فيقول :

مستبد بحسب الدنيا له  
وهو خصم المستبد المحتكم  
ينظر النظرة تستقصي المدى  
وتريه النور يجري في الظلم  
فيلسوف كشف الله له  
عن خفايا كل سر مكتم  
فإذا ما أخذته لحمة

من جلال الفن أغضى واحتشم  
هو عبد الفن والناس له  
في حمى الفن عبيد وخدم  
يسأل الأقوام : ما هنصره ؟

هو من نور وعطر وفنم  
هو خلق بارع بما اصطنى  
مبدع السكون وخلاق النعم  
ولقد غذى أحمد محرم القصيدة العربية

قالوا له : مالك وللعرب ، ولست منهم في شيء  
من النسب ؟ (١) :

قالوا : هبكت أتبعي بينهم نسباً  
هيهات مالك في الأعراب من نسب  
فقلت والشعر تنميني روائعه  
لولا الأعراب قد هربت من أدبي  
وكما عاش محرم شاعراً ، فقد عاش ثائراً ،  
حق لي يتحدث عن عاصفة في ثورتها ، فيقول  
فيما يقول من قصيدة رمزية له :

حرة لم تعرف القيد ، ولا  
سمعت بالسجن فيما تسمع  
وبنظم قصيدة عنوانها « ثورة القدر » ،  
يتحدث فيها عن ثورة إبليس الخاطئة -  
وثورة القدر الحق عليه ، فيقول فيما يقول فيها :

ثورة خاطئة لو لم تقم  
في ظلال العرش ما ثار القدر  
- ٦ -  
ولقد كان شعر محرم أكبر مظهر لثورته ،  
ولروحه الثائرة الشاعرة ، إذ ثار على الفن  
وتقاليد في عصره ، ثار على الاحتذاء  
والتقليد ، وعلى بلاغة العاطفة والانفعال ،  
وعلى ضعف التجربة الشعرية فيه . ثار على  
الأساليب الكلاسيكية الميتة ، والقوالب  
الشعرية الجافة ، وعلى المعاني الضعيفة  
المستخذية ؛ وحارب كل ذلك فيما حارب من  
(١) ٢ : ٤٢ الديوان .

واضحة غالبية على قصيدته . ولعل محرم كان البذرة لفن إيليا أبي ماضي في القصة الشعرية . وقد طرح شاعرنا الصنعة اللفظية من شعره ، وساق فيه بين اللفظ والمعنى ، بين الأسلوب والفكرة ، بين الطبع وموهبة الفن القادرة المصورة ، وأيد حركة التجديد في الشعر ، ودعا إليها ، التجديد الذي يقوم على استلزام ما في القصيدة الشعرية من عناصر وأصول ، وينهض بخصائصها الفنية ، وبحفظها من الجمال والمتعة والروعة والتأثير ولا يقوم على أشلائها ومن أجل هدمها . .

لقد كان أحمد محرم أحد عميد الشعر العربي الحديث ، وكان هو وشوقي وحافظ ومطران وشكري مدرسة شعرية متكاملة البناء . وكان يؤمن بالفن وسلطانه ، وبالشعر وسحره ومن ثم اتخذ منه لسانا يبين به عن أفكاره الوطنية والوجدانية والإنسانية النبيلة .

عاش محرم مضطهدا محروما من كل شيء ، ومات عن ثمانية وستين عاما ، وهو لا يحصد القوت ولا أبسط أسباب الحياة ، معترزا بنفسه وفنه وكرامته ، وبوطنه وأمته ، أكبر اعتزاز . مات الشاعر الخالد ، والتأثر الحر ، والوطني الذي ألهمته بلاده وألهمها أجل الأفكار والمثل والمبادئ والرسالات ؟

محمد عبد المصنم خفاجي

أستاذ بكلية الدراسات العربية

بالموسيقى الرائعة ، والغنائية الساحرة ، وبالعاطفة الحارة القوية الصادقة ، وبالتجارب الشعرية العميقة ؛ وغذاها كذلك بالفكرة الوطنية الثائرة الملهمة ، وبكل المعاني والقيم الإنسانية الجليلة النبيلة ؛ وغذاها بالطبع والموهبة ، وبالديباجة المشرقة ، وبالأسلوب البليغ الرفيع العذب ، الذي هو مزيج من الكلاسيكية الجديدة ، والرومانسية للصادقة في التعبير عن حياة الشاعر ونفسه ومختلف أحاسيس ومشاعره ، وأجاد محرم الحديث في الطبيعة ، ومن روائعه فيها قصيدته « الطبيعة وقتاة الريف » ، كما أجاد في الحديث عن الفلاح ، وعن الحب ، وفي الوطنية والاجتماع ، وفي الحكمة والتأمل ، وفي التعبير عن وجدانه ونفسه ، وعن كل جديد مبتسكرا اهتدى إليه عقل الإنسان في زمنه .

وكان أعظم جانب من جوانب شعر محرم هو شعره الديني والإسلامي الذي بلغ الذروة فيه بالإلياذة الإسلامية التي نظمها في سيرة الرسول الأعظم وحياته وجهاده وحرابه وبطولات أصحابه وتضحياتهم من أجل نشر رسالة الإسلام وتبليغها للناس كافة ؛ وفي الحق أن الإلياذة كانت من أعظم الأعمال الفنية في الشعر العربي الحديث .

ولقد كان محرم كذلك من أسبق الشعراء إلى مزج الشعر بالقصة ، فظهرت الازدهار القصصية

# الإسلام ونظرية التطور

للأستاذ الحسيني عبد المجيد هاشم

بالعلم الحقيقي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. إنه يجعلها بما يجعل العقول البصيرة تخرج لجلالها وإذعاناً لدقة العلم وروعة التصوير وهو إن كان ليس بكتاب على يتعرض للاستيعاب والتفصيل لكل الجزئيات العلمية فلنا من هديه وقواعده العامة ونهجه ما نميز به بين الطيب والحديث والجائز وغيره .

والحق أن الكاتب كان موافقاً في رده وتحليله وكنت على وفاق معه حتى قرأت السطور التالية وهي قوله : « وإذا كان التطور هو السنة التي تنتظم كافة ما نرى ونحس من الكائنات وتنتقل بها من حال إلى حال : حال حسية أو معنوية عضوية أو وضعية أو روحية فإننا نستطيع أن نرى بعض هذه الحقيقة في مثل قول الله تعالى : « يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ، فكل يوم يمر بل كل لحظة يتجدد فيها للكائنات شأن جديد يصير بها إلى حال جديدة غير التي كانت بالأمس ، وليس ضرورياً أن نرى ذلك التفسير والانتقال واضحاً بملامحه الجديدة التي تميزه

تناول هذا الموضوع الأستاذ البهي الخولي في مجلة منبر الإسلام عدد شعبان رداً على صفحي في جريدة الأخبار عرض لنظرية التطور وأصل الإنسان والجناس المعزوة لدارون ، ثم دعا رجال الدين أن يقولوا كلمتهم ويوضحوا آراءهم في هذه النظرية. وقال الأستاذ الخولي: إن الكتب السماوية كتب هداية ربانية وإرشاد إلى ما ينير القلوب ، وليست لتقرير النظريات العلمية في مختلف ميادين المعرفة كالفلك والطب والجيولوجيا وعلم الحيوان إلخ فذلك يخرج الأديان عن طبيعتها ويصرفها عن أهدافها - والإشارات العلمية التي بالقرآن لم ترد لتقرير حقيقة علمية ولا يجوز إطلاقاً أن نسميها علماً بالمعنى المعروف في المصطلحات الحديثة وإنما هي أمثلة جديدة تضاف إلى شواهد صدق القرآن ، .

وأقول حقيقة : إن القرآن كتاب هداية ثم هو إذا تعرض ليجلي نظريات علمية في أي حقل علمي فإنما هو حديث الذي يعلم السر في السموات والأرض ، وهو المنفرد

البشر إلى الإنسان الأول آدم عليه السلام .  
فهل ياترى كان أقل منا تكويناً وحسناً  
وهاء بل علماً ؟ الجواب - لا وإلا لما كان  
أهلاً للخلافة في الأرض ولما فاق على الملائكة  
في مشهد رباني جليل حتى اعترفوا بخلافته  
« وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض  
خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك  
الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال  
إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها  
ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء  
هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم  
لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال  
يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال  
ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض  
وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . »

ولوحث نظرية التطور والنشوء والارتقاء  
التكويني لكان بطبيعة الحال الإنسان الأول  
في الوجود هو أقل الناس خلقاً وأقبحهم  
منظراً ؛ لأننا نحن نتيجة تحسين وارتقاء  
سنين طويلة ضاربة في أعماق الزمن ، فاطرح  
هذا الحسن بدرجات هذه النسبة ستحصل إذا  
على إنسان هزيل للغاية - وأي تكريم لو صح  
ذلك والله يقول للإنسانية جمعاء في كل  
الآزمان « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم  
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات  
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ، -  
إذا صح ما روى في البخاري أن الله خلق

عن ملاحظه السابقة وقد يكون التغيير ظاهراً  
وقد يكون باطنياً وقد يتم ببطء شديد فلا  
تتضح معالم المباينة إلا بعد أجيال أو بعد  
ملايين السنين كما يقول علماء التطور ، .

وهنا لست على وفاق مع الكاتب في هذه  
السطور وإنى أخالفه وأخالف علماء التطور  
غير هيباب أو عابى بأن أرمى بعذم التطور  
الفكري . ثقة بما في القرآن من نصوص ترد  
كل قائل بنظرية التطور التكويني للإنسان  
لا في ملايين السنين ولا أكثر من الملايين .  
أما تفسير الآية التي ذكرت « يسأله من  
في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ،  
فأدق تفسير لها ما قاله النبي صلى الله عليه  
وسلم وذكره الكاتب في المقال ، ولكني أقول  
لم يذكر النبي التفسير مروته وتمشياً مع أهل  
البيئة البدوية وتجنباً للبلبله الفكرية ، كما قال  
الكاتب . والتفسير هو ( من شأنه أن يغفر ذنبا  
ويفرج كرباً ويرفع من يشاء ويضع من يشاء ) .  
وتقول لمن أراد أن يعرف حكم نظرية التطور  
ونظرة الدين إليها اقرأ معنى قوله تعالى :  
« ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، خلق  
الإنسان منذ القدم على أحسن صورة وأكمل  
هيئة وخلق إنساناً منذ النشأة الأولى له خصائصه  
وميزاته الفريدة عن كل جنس آخر .

وعليّنا أن نرجع عبر القرون والآزمان  
على ضوء النصوص الدينية الصادقة إلى أبي

وعلى نظام التطور ومقياسه الزمني بالنسبة  
للدومنين بنظرية دارون وشبهها فبعدكم سنة  
يتطور القرد والغوريلا وأشباههما إلى نوع  
إنساني ، وما مصير النوع الإنساني الحالي  
حينئذ هل سيحال على الاستياداع أم يصير  
نوعاً ملائكياً بمرور الزمن وتقدم السنين ؟  
بعد ذلك نقول للسائل لرجال الدين عن  
موقفهم من فكرة التطور والارتقاء هذه  
الفكرة غير سائغة إطلاقاً عند رجال الدين  
والنصوص السايية تأبأها على أى وضع  
سواء نظرية داروين أو جان دى لامارك  
أو غيرهما أو ما يشبه ذلك ويقاربه بأى  
صورة من صور الارتقاء التكويني للإنسان .  
ولا يفوتنا أن نبين للسائل : أن الدافع  
إلى القول بهذه النظرية واعتناقها إنما هو  
الجهل الفاضح بقدرته الله الخالق العظيم .  
والغرض من الدعوة إليها تشكيك الناس في  
عقيدتهم الحققة حتى لا يعبدوا الله الذى خلقهم  
ولا يعترفوا بقدرته وفضله وخلقهم لهم فى أحسن  
تقويم . وإنما يعززون وجودهم للطبيعة وتطورهم  
إلى الزمن وحده ، فهو السكفيل بتحسين  
النوع ، وهذه فكرة خبيثة لا يقرها الدين  
ويصهرها فتدوب أمام أضوائه القوية وفقنا  
الله إلى سواء السبيل ، وهذا نال الطريق المستقيم .

المحيدى عبد المجيد هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق الدينى

آدم على صورته : فأى جلال وأى بهاء  
كانت الصورة الأولى - للإنسان الأول :  
إن مراحل التكوين الحقيقى الذى نعرفه  
ما أرشدت إليه الآيات فى سهولة ويسر  
فى أزمنة متقاربة ملبوسة :

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .  
ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة  
علقة نعلقها العلقه مضغة نخلقنا المضغة عظاما  
فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر  
فتبارك الله أحسن الخالقين » ، ومراحل حياته  
على ظهر الأرض رسمها فى قوله : « والله الذى  
يخلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف  
قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة » .

ولو أننا بنظام التطور وسرنا على حسابه  
الزمنى فكم كانت تساوى يا ترى هذه الطفرة  
الكبرى فى عرف أصحاب الارتقاء ، وهى التى  
ما بين تطور الطين الذى لا حياة فيه إطلاقاً  
إلى بشر سوى تقع له الملائكة ساجدين كما  
تخبرنا الآية . « إذ قال ربك للملائكة إني  
خالق بشرأ من طين . فإذا سويته ونفخت فيه  
من روحي فقعوا له ساجدين » .

بماذا نفسر على ضوء نظرية التطور  
الاختلاف القائم بين الإنسان من الطول  
والقصر والألوان ؟ هل وجد النوع الإنسانى  
فى البدء على دفعات وبمرور الزمن سيمصير  
النوع القصير طويلاً عند نضوجه الزمنى أم  
أن بدء النوع الإنسانى زمن واحد هو ميلاد  
آدم وزوجته على ظهر الأرض ؟



# الحشو.....!

## (حشو اللوزنج - حشو الأكر)

### للأستاذ علي الجندى

لم ترقبها ، والنافعة أتك ولم تحسبها ، وربما رزق الطفيلي ظرفا يحظى به حتى يحل محل الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم ، والأحباب الذين وثق بالأنس منهم وبهم . وتمثيل الحشو المحبب بالطفيلي الظريف من النكت البارة الدقيقة !!

فالحشو عنده قسمان : قبيح وحسن ، والحسن يعد من أنماط البلاغة العليا كما رأيت .

وهذا ابن سنان : أن الحشو ينقسم إلى ثلاثة أقسام ؛ وذلك أن كل كلمة وقعت حشواً ؛ لا تخرج عن أمرين :

إما أن تؤثر في الكلام تأثيراً محموداً ، وتفيد فائدة مختارة ، وهذا حشو محمود .

وإما ألا تؤثر شيئاً ، بل يكون دخولها كخروجها ، فوجودها وعدمها سواء .

وإما أن تؤثر في الكلام نقصاً ، وفي المعنى فساداً ..

وهذان القسمان مذمومان ، وثانیهما أحق بالذم من أولهما .

فالحشو المذموم عند ابن سنان ، بعضه قبيح ولكنه لا يفسد الكلام ، وبعضه يتعدى القبح إلى إفساد الكلام .

يقول ابن سنان الحفاجي : من وضع الألفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً . وأصل الحشو : أن تأتي الكلمة مقصوداً بها لإصلاح الوزن ، أو تناسب القوافي وحروف الروى في المنظوم ، وتأليف الفصول والابحاج في المنثور ، من غير معنى تفيد أكثر من ذلك .

وأطلق المبرد كلمة الحشو على الاستعانة ، وهي هنده : أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع إليه ؛ ليصحح به نظماً أو وزناً إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام منشور ؛ كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة ؛ مثل قولهم : ألسنت سمع ؛ أهمت ؛ أين أنت ؟ وما أشبه ذلك . ويقول عبد القاهر : وأما الحشو ، فإنما كرهه وذم وأنكر ؛ لأنه خلا من الفائدة ، ولم يحل منه بعائدة ، ولو أقاد لم يكن حشواً ولم يدع لغواً ، وقد تراء مع إطلاق هذا الاسم عليه واقعا من القبول أحسن موقع ، ومدركا من الرضا أجزل حظ ؛ ذلك لأن فائدته إماك على بجيئه ، بجيء ما لا يعمل في الإفادة عليه ، ولا طائل للسمع لديه ، فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث

إن نوال الممدوح لا يختص بوقت دون وقت ، فلا معنى لتأريخ صلته بالسبت ، بل لعل ذكر اليوم هنا يفيد من طرف خفي : أنها كانت فلتة من الممدوح ، لا طبيعة راسخة حتى صح أن ينوه الشاعر بهذا السبت العجيب في تأريخ الجوائز والصلات !! .

حشو اللوزينج :

والحشو المحمود في عرف البلغاء يسهونه : حشو اللوزينج .

واللوزينج : ضرب من الحلواء الثمينة ، يذكر بإزاء الفالوذج أو الفالوذق بفتح الدال ، وبينهما منافسة حادة ، وإن شئت فقل : بين آكليهما .

واللوزينج : بإسكان الواو ، وكسر الزاوي ، وفتح النون ، فارسي معرب ، يشبه القطائف ، ويؤدم بدهن اللوز .

وكان حميد أبو الحارث يسميه : قاضي الحلوة ، وقد وصفه ابن الرومي من قصيدة مشهورة تعد أبداع ما قيل فيه ، منها : مستكشف الحشو ولكنه

أرق جلدأ من نسيم الصبا  
من كل بيضاء يود الفقى  
أن يجعل الكف لها مركبا  
لو أنه صور من خبزه

ثغر ، لكان الواضح الأشنبا  
ومن النوادر : أنه قيل لبعضهم : التمر

ومما مثلوا به للحشو القبيح قول أبي تمام في بعض ممدوحيه :

جذبت نداء غدوة السبت جذبة

نفر صريعا بين أيدي القصائد  
فغدوة السبت حشو لا فائدة بذكره ، ولا يحتاج إليه ، ووجوده في الكلام ألبسه هجنة وغلظا وسخفا ، وبخاصة : أن ذكر الأيام في الشعر مما يذهب بروقه ، ويورثه الثقل والقدامة ، ولعل هذا اليوم اليهودي - وهو السبت - أثقل الأيام جميعا !! .

وقد ذكر البهاء زهير « الخميس » في بعض قصائده الغزلية ، فلم يأت جاسيا جافيا كسبت أبي تمام ؛ لأن الخميس كان موعداً مضروباً للقاء من يحب ، فلم تكن مندوحة عن ذكره ، وتذكير من أحب بإخلاف الوعد فيه ، وذلك حيث يقول :

وكنتم وعدتم في الخميس بزورة

وكم من خميس قد مضى وخميس  
وكذلك جاء « السبت » أيضاً في قول بعض العصريين :

السبت عيد لأنني فيه ألقاك

لاتحرمي العين يوم السبت رؤياك  
ولاخفاء في جهامة كلمة السبت ، ولكن مما يخفف وقعها ويعتذر به عنها : أنها وقعت هنا موقع « الخميس » في قول البهاء زهير المتقدم ، ولكن ما عذر أبي تمام في ذكر السبت ؟ ! .

فقد تم الكلام عند قوله : « في جنة الفردوس » .

ثم قال : غير معجل : أى بعد عمر طويل ؛ لأن الجنة لا يتوصل إليها إلا بعد الموت .

وقد جاءت للتبني قلائد نفيسة من هذا النوع البديع .

فمن ذلك قوله :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه

- يا جنتي - لظننت فيه جهنما

فقوله : « يا جنتي ، حشو مستغن عنه ،

ولكن وقع موقعه من الحسن والملاحة

والطاقة لمطابقته جهنم ؛ فأصبح كأنه لبراعته

لا يستغنى عنه ، وصار هو الأصل .

وقوله :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب

يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

خاشاك هنا : لفظة دخلت لكمال الوزن ؛

لأنك إذا قلت : - احتقار مجرب يرى كل

ما فيها فانيا - كان كلاما صحيحا مستقيما .

ولكنها أفادت مع أصل الوزن ، دعاء

حسنا للدوح في موضعه :

وقوله :

نهبت من الأعمار ما لوحوته

لهنئت الدنيا بأنك خالد

فقوله : لهنئت الدنيا بمنزلة الحشو ؛

إذ كان المعنى يتم بدونها ، ولو استوى له أن

يقول : نهبت من الأعمار ما لم حويته لخلدت

يسبح في البطن !! فقال : على هذا التقدير

يصل اللوزينج فيها التراويح !!

وحشو اللوزينج يضرب مثلاً للشئ يكون

حشوه أجود من قشره وأفضل ، ذلك : أن

حشو اللوزينج خير من اللوزينج نفسه ،

فيشبه به الحشو في الكلام ؛ لأنه مع إمكان

الاستغناء عنه ، يعد أحسن وأجمل من

الكلام الذى جاء فيه . وقد عرفه الشهاب

الخفاجي في شفاء الغليل : بأنه اعتراض في

الكلام يحسنه عند الأدباء .

وهذا الضرب من البيان الفاخر نادر

الوقوع في كلام العرب لنفاسته وجلالة خطره .

ومن أشهره قول عوف بن محم الحزامي

من قصيدته المشهورة ، التي يمدح فيها عبدا لله

ابن طاهر ، وأولها :

يا بن الذى دار له المشرقان

طراً ، وقد دان له المغربان

والبيت المقصود :

إن الثمانين - وبلغتها -

قد أحوجت سيمي إلى ترجمان

بفتح تاء - وبلغتها ،

فهى جملة دعائية يستغنى عنها في الكلام ،

فهى فيه حشو ولكنها أحسن منه ،

أو أحسن ما فيه .

ومنه قول البحتري في مدح المتوكل العباسي :

وجزيت أعلى رتبة مأمولة

في جنة الفردوس ، غير معجل

أبى الحسين بن سعد ، فقل له : هل تعرف  
ثانياً لقول عوف بن علم الحزاعي ؟ :  
إن الثمانين - وبلغتها -  
قد أحوجت سمي إلى ترجمان  
في كون الحشو خير من المحشو .

فسار إليه وبلغه رسالة ابن العميد فقال :  
سألتني عن ذلك محمد بن علي بن الفرات ،  
فسألت عنه ، أبا عمرو ، غلام ثعلب ، فقال :  
سألت عنه ثعلب ، فلم يأت بشيء .

ثم بلغني : أن حميد الله بن عبدان سأل عنه  
المبرد ، فأنفذه قوله عدي بن زيد العبادي  
لابنه زيد بن عدي - وهو في حبس النعمان  
ابن المنذر اللخمي - :

فلو كنت الأسير - ولاتكنه -

إذا علمت «معد» ما أقول  
فقوله : ولا تكنه ، حشو ، ولكنه في  
الحسن نظير «بلغتها» في قول عوف بن محم  
الحزاعي .

حشو الأكر .

وإذا كان الحشو الممدوح يسمى «حشو  
اللوزينج» فقد سموا الحشو المذموم : «حشو  
الأكر» وهو ما كان فيه الظرف أقبح من  
المظروف ، أو الحشو أقبح من المحشو !!

وفي ذلك يقول الأديب الظريف جمحظة  
البرمكي : أشدت أبا الصقر شعرألى ، فاهتز  
له وقال : يا أبا الحسن ، لاتزال تأتينا بالفرز  
والدرر . إذا جاءنا غيرك بحشو الأكر !! .

علي الجندري

في الدنيا ، لكان المعنى مستقيماً ، لكنه -  
لما احتاج إلى ألفاظ يصح بها الوزن -  
جاء بقوله : «لهنت الدنيا» فأتى بزيادة  
من المدح ، وفضيلة من التقريض والوصف  
لإخفاء بحسن موقعها .

ومن طرائف حشو اللوزينج قول صاحب  
ابن هباد :

قل لأبي القاسم إن جثته  
هنت - ما أوليت - هنته  
كل جمال فائق رائق

أنت - برغم البدر - أوتيته  
فقوله «برغم البدر» : حشويتم الكلام  
بدونه ، ولكن حسن مجيئه هنا ، ودق  
مسلكه وظرف وقعه ، لأنه يدل على أنه  
فائق البدر جمالا ، فالبدر لذلك حاسد له ،  
ومغيظ منه ، وحائق عليه !!

ومنه قول الضحاك بن عقييل :  
ولو جاورتنا العام «سمر» لم نبلى<sup>(١)</sup>

- على جدبنا - ألا يصوب ربيع  
وقد عقب على ذلك ابن خلكان في وفيات  
الأعيان بقوله : «فه دره !! ما أحلى هذه  
الحشوة !!» ثم قال : وأهل البيان يسمون  
هذا النوع : «حشو اللوزينج» .

ويروى الثعالبي : أن أبا الفضل بن العميد  
قال لأحد خاصته من الأدباء : اذهب إلى

(١) لم نبلى : أصله لم نبال . وهذا الفعل قد يشذ عن  
حكم المنقوص الجزوم فيعامل معاملة الثلاث الأوجوف  
في الشعر ؛ فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم  
ويسكن ما قبل آخره .

نحو مزاج رشيدي لتطوير الفقه الإسلامي :

## الفقه صناعة إنسانية متطورة

للأستاذ فتحي عثمان

كان فقهاؤنا يتسكرون أحكاما تشريعية كثيرة ... إعمالا للقواعد العامة المجملة التي وردت في الشريعة .

آثار الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأحكام الفقهية ...

نقرأ في أحكام ( الركاز ) :

( إذا وجد في أرض معدن صلب ، فهو إنسانية ، أثمرها مزاج فقهي معين من أخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

وإذا وجد في أرض معدن صلب ، فهو إنسانية ، أثمرها مزاج فقهي معين من أخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

ومن الأمثلة الواضحة لذلك حديث الرسول ( لا ضرر ولا ضرار ) ، فقد كان ينبوعا لأحكام متجددة في رفض صور من المعاملات والتصرفات ، تشوبها شائبة الضرر لأحد الأطراف . وقد وجد فيه الفقه المعاصر أصلا طيبا لحظر ( التعسف في استعمال الحق ) .

في الأولى : تكون أربعة أخماس المعدن لصاحب الأرض ، وأما الخمس فيكون لبيت المال .

وإن كانت غير مملوكة : كانت القيمة كلها للواجد ...

ويرى أبو حنيفة : أن الأرض التي ليست عليها وظيفة العشر أو الخراج يكون المعدن فيها كله لمالك الأرض ، ولا شيء لبيت المال أصلا ...

على أن هذا المزاج الفقهي كان يتأثر بواقع المجتمع في ذلك العصر البعيد ، كما كان يتأثر بأخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

أما إذا كان المعدن سائلا كالنفط والقار وغيرهما من الزيوت المعدنية ، فلا شيء فيه لبيت المال بالاتفاق ، وعللوا هذا بأن المعدن السائل شبيه بالماء !! فكما أنه لا يجب شيء في المال المستخرج من الأرض ، كذلك لا يجب شيء فيما يشبهه في السيولة والميوعة !!

من ذلك مثلا أن استخراج المعادن من المناجم كان عملا باهظ التكاليف ، ولم تكن الآلات التي تيسر مثل هذا العمل أو تعين عليها قد ظهرت في الوجود ، وكان الإنتاج محدوداً والحاجات محدودة ، ومن هنا انعكست

نظرية محكمة في بيان ( جوهر القاعدة القانونية ) .

لأنه الفقيه الفرنسي فرانسو جيني أستاذ فلسفة القانون الذي نشر في الفترة من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٢٤ كتابه في « العلم والصياغة في القانون الخاص » .

ويرى « جيني » أن القاعدة القانونية جوهر يقوم على :

معرفة الواقع وحاجاته ومقتضياته من طريق ما تسجله الملاحظة والتجربة .

فرض الواجب في شأن هذا الواقع وفق ما يمل به العقل من مثل عليا وغايات بعيدة .

كما أن القاعدة القانونية شكل : يصنعه رجل القانون بفنه ، ليصنع هذه المواد الأولية التي يتكون منها الجوهر في قالب منضبط صالح للتطبيق العملي .

ويعبر جيني عن المواد الأولية التي يتكون منها جوهر القاعدة القانونية .. بالعلم .

وعن القالب الذي تصاع فيه هذه المادة .. بالصياغة ، أو الصناعة ، أو الفن فلنستعرض مع « جيني » عناصر « العلم » في القاعدة القانونية :

نجد أولا الأصول الواقعية أو الطبيعية أو المادية : وتشمل الظروف المادية التي يواجهها الإنسان ، سواء أكانت متصلة بتكوينه العضوي أو نفسيته أو خلقه ،

فهل تمشي هذه النظرة الفقهية مع نظرة عصرنا إلى البرول ؟؟

وهل تمشي أحكام المعدن الصلب مع الأورانيوم مثلا ؟؟

وفي شركات ( المضاربة ) التي يكون فيها رأس المال من شخص والعمل من شخص آخر ، نرى الفقهاء يقررون الأنصبة على أساس التقدير المستمد من بيئتهم .

ومن البديهي أن الفقه لا يقيد كل متعامل أو متعاقد بهذه النسب ، وفقهاؤنا القدامى لم يدخلوا في حساباتهم صورة مجتمعنا الصناعي المعاصر ، الذي يمتلك فيه صاحب رأس المال الآلات فيشتغل عليها المئات والآلاف من العمال ، وهؤلاء لا يقوم بهم تلك أو نصف حسب ١١

في هذه الشواهد وأمثالها صور من الصناعة الفقهية ...

صناعة تستهدف مثاليات العدالة الإسلامية ، وقواعد الشريعة المجملة ، لكنها لا تستطيع أن تنفصل عن ظروف المجتمع في ظروفه الزمانية والمكانية ١١

\* \* \*

ولكي نتبين الصناعة الفقهية على حقيقتها لنستوضح معالمها من فقيه غربي أخرج

ليبيان دور كل من هذه العناصر في تكوين نظامه .

فالأصول الواقعية : تكشف عن أن أساس اختلاف الجنس بين الرجل والمرأة . والأصول التاريخية : تدل على وجوب خضوع الزواج لرقابة سلطة اجتماعية .

والأصول العقلية : تبين أهمية نظام الزواج والمجتمع وبالتالي أهمية ثباته واستقراره . وأخيرا تأتي الأصول المثالية : لتقتصر الزواج على امرأة واحدة أو تبيح تعدد الزوجات ، ولتجيز الطلاق أو تحرمه .

فإذا اكتمل « العلم » بهذه العناصر ، جاء دور « صياغة » القاعدة القانونية في جانبها المادى أو المعنوى <sup>(١)</sup> . . . ولعل في هذا التحليل الزائع ، كشف عن الأصول «الديناميكية» التى تتداخل وتتفاعل لتكوين «الفقه» بجانب الأصول الثابتة أو الموجهات المثالية ١١ .

\* \* \*

من هنا نستطيع أن نقين كيف تفاعلت الأصول الواقعية والتاريخية مع الأصول المثالية في إنتاج الأحكام الفقهية التى نقلها إلينا التراث الإسلامى ...

ونحن نحتاج إلى دراسة تراثنا الفقهى دراسة تاريخية نتعرف فيه على تجارب

[ ١ ] كمال عبد العزيز: الوجيز في نظرية القانون - للتفعيل يراجع : حسن كيرة : أصول القانون .

أو كانت متصلة بالطبيعة نفسها من تربة ومناخ، أو كانت مجرد ظروف اقتصادية أو خلقية أو دينية أو اجتماعية .

ثم نجد الأصول التاريخية : ويقصد بها التطورات التى مرت بها النظم القانونية المختلفة من واقع تاريخ القانون والعلوم الاجتماعية ، لنصل الحاضر بالمضى ، ونتوقى الطفرة والاجتماع .

وتأتى بعد ذلك الأصول العقلية : وهى ما يستخلصه العقل من الحقائق الواقعية والحقائق التاريخية فيصقلها ويحورها لتتفق مع الغاية من القانون ، فهى لا تتضمن من المبادئ والقواعد إلا ما يبدو للعقل على ضوء الواقع والتاريخ أن طبيعة الأشياء تفرضه فرضا محتوما ، أى المبادئ الضرورية وحدها دون السكالية والمثالية .

وأخيرا تأتي الأصول المثالية : وهى المثل العليا التى يترسمها الإنسان للوض بالقانون في مدارج السكال ، ويستلهما من العاطفة لا من التفكير وهذه الحقائق المثالية هى التى تعمل على تطوير القانون لو بقيت الحقائق الطبيعية والتاريخية والعقلية دون تغيير .

هذه عناصر « جوهر » القاعدة القانونية . أو عناصر « العلم » فى هذه القاعدة ، وفقا لما ارتآه جينى ...

وقد ضرب الفقه الكبير مثلا من « الزواج ،

\* دراسة قانونية مقارنة : لقوانين  
المتطورة القائمة - غير الإسلامية ، ومدى  
 تفاعلها مع واقع البيئات التي تعيش فيها ،  
 وتطورها لتلبية احتياجاتها ومجاراة نموها .  
 \* إن بعض الأوضاع القانونية اليوم  
يقوم على أساس وجود أوضاع اقتصادية  
حديثة لم يكن لها نظير في الماضي الاقتصادي  
الإسلامي ، وذلك كالشركات القانونية المساهمة  
المقفلة اليوم Anonyme وعقود التأمين  
 Assurance وما فيها من أحكام هامة نظمها  
 القوانين ، إلى غير ذلك من الأوضاع  
 الأخرى : وإن المبادئ الحقوقية في الفقه  
 الإسلامي ذات سعة ومرونة وقابلية عجيبة  
 للاستيعاب والتفريع . فالتصوص الأصلية  
 لهذه الأحكام والمبادئ — في القرآن  
 والحديث النبوي — يمكن حصرها في  
 بضعة عشرات من الصفحات ، وقد كانت  
 صالحة وكافية لأن يتفرع عنها ويستمد منها  
 خلال العصور الإسلامية الأولى فقه عظيم  
 كالبهر المحيط ، ومذاهب حقوقية اجتهادية  
 ونظريات مهمة فيها ، تكونت منها مكتبة  
 فقهية في الإسلام بلغت آلاف المجلدات ،  
 وكل حكم فيها مقرون بدليله من تلك  
 النصوص بطريق الشمول أو قياس الحوادث  
 الجديدة على الحوادث التي تناولها النص .  
 فكل الأوضاع الاقتصادية اليوم يمكن

أسلافنا ، وكيف استفادوا من فلسفة  
 الإسلام الأخلاقية والتشريعية في معالجة  
 واقع عصرهم ومشكلات بيئتهم ... فدراسة  
 تراث الفقه الإسلامي لا بد أن تكون على  
 أساس من النظر التاريخي ، وينبغي أن  
 تقوم على أساسين :

\* دراسة تاريخية ذات شقين متكاملين :  
 للجتمع الإسلامي وتطوره ، والفقه الإسلامي  
 وتطوره ، مع بيان تبادل التأثير والتأثير  
 بين التطور الاجتماعي والتطور الفقهي .

\* دراسة فقهية مقارنة : تدرس المذاهب  
الفقهية ككل ، ولا تعتمد الأساس المذهبي  
في الدراسة . فأيا كانت الخلافات الفكرية  
بين أصول المذاهب الفقهية ، فقد توخت  
هذه المذاهب لمؤثرات موحدة من واقع  
البيئة ومن موجبات الإسلام .

ولا بد أن يلحق بهذه الدراسة المقارنة  
 ويتممها دراسة الشرائع المعاصرة للإسلام  
 أو السابقة عليه ، وبخاصة الشريعة اليهودية  
 والقانون الروماني .

هذا هو الأساس المنهجي في دراسة تراثنا .  
 أما بالنسبة لمستقبلنا الفقهي فلا بد من  
 دراسة تقوم على أساسين :

\* دراسة واقعية : لمجتمعنا والمجتمعات  
المعاصرة ، ويعين عليها ما يعرف بعلم الاجتماع  
القانوني .



ويفتق من الشريعة الإسلامية ، كما انبثقت الشريعة اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الرومانى . وأحب أن أشير إلى أن القانون الحديث الذى يشتق من الفقه الإسلامى يجب أن يكون فى منطقته وفى صياغته وفى أسلوبه فقها إسلامياً خالصاً ، لا مجرد محاكاة

للقوانين الغربية . فإننا إذا اقتصرنا على اعتبار أن هذه هى الغاية من تطور الفقه الإسلامى ، لا نكون قد صنعنا شيئاً ويكون الأولى لنا أن نقبس مباشرة من القوانين الغربية دون حاجة إلى دراسة الفقه الإسلامى أقول ذلك لأننى لاحظت أن بعض المشغلين بهذه المسألة يعتمدون على إيراد نصوص

من القوانين العربية ، ثم يحاولون أن يخرجوا هذه النصوص على أحكام الفقه الإسلامى ، دون أن يراعوا فى ذلك أصول الصياغة فى هذا

الفقه ، ثم ينتهون من هذا البحث السطحي إلى أن نصوص القوانين العربية هى الشريعة الإسلامية ذاتها !! مثل هذا العمل لا يحمل

طابع البحث العلمى الصحيح ، وليس من ورائه كسب يذكر ، لا للفقه الإسلامى ولا للقوانين الغربية ، <sup>(١)</sup> لأنه عمل شاق ... ولكن ضرورى . وعلى الله قصد السبيل ؟

فنى عثمان

تخريج أحكام جديدة لها على أسس الفقه الإسلامى ونظرياته كما فعل الفقهاء السابقون وتلك الأحكام الجديدة — بعد تخريجها وبناءها على قواعد الفقه الإسلامى — تلحق به وتصبح جزءاً منه ، وتصبح نظرياته مرجعاً للاجتهاد القضائى والتفسير القانونى فيها ، بالطريقة التى تضخم بها الفقه الإسلامى نفسه ،<sup>(٢)</sup> والأوضاع الاقتصادية القائمة التى أشار إليها الباحث الفقيه مرتبطة بالتطور الاقتصادى جملة ، وتحوله من اقتصاد ساكن إلى اقتصاد متحرك ، ومن اقتصاد يدور فى فلك محدود دورة بطيئة إلى اقتصاد عالمى يدور دورات سريعة متلاحقة متدافعة متداخلة ... ولا بد من دراسة واقع المجتمع وتطوره للاستهداء بعد ذلك بهدى النصوص الإسلامية الموجهة .

( والغاية من دراسة الفقه الإسلامى على هذا النحو أن تنتهى بعد عشرات السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه وتذب فيه عوامل التطور ، ويعود فقها صالحاً للتطبيق المباشر مسيراً لروح عصره ، وتكون نهضة الفقه الإسلامى هذه شبيهة بنهضة الفقه الرومانى فى العصور الوسطى . وينبت الفقه الإسلامى قانوناً مدنياً متطوراً يحارى المدنية الحديثة

[١] مصطفى الزرقا : بحث فى كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .

[٢] السهنورى : بحث بمجلة الجامعة العربية .

# مهمات الصوم

للأستاذ توفيق محمد صيَّام

كالسويس والقاهرة وواحة سيوة مثلا بواقع أربع دقائق لكل درجة فالارض في دورانها حول محورها من الغرب إلى الشرق أمام الشمس تقطع زمنا  $= \frac{60 \times 24}{360} = 4$  دقائق لكل درجة وبالعكس ذلك يكون قانون (ب) الآتى :

قانون (ب) يتساوى طول النهار في جميع البلاد التى تقع على خط عرض واحد . كالسويس والقاهرة وواحة سيوة بينما يختلف في البلاد التى تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط ومن أجل هذا تزيد الساعات ( ساعات الصوم ) أو تنقص باختلاف البلاد التى تقع في خط طول واحد حسب القانون الآتى :

قانون (ج) ميقات الصوم ، ( يطول النهار صيفا كلما اتجهنا شمالا في النصف الشمالى لخط الاستواء بينما يقصر كلما اتجهنا جنوبا ، وبالعكس من ذلك يقصر النهار شتاء كلما اتجهنا شمالا في النصف الشمالى أيضا بينما

إذا استعان أحد على تحديد الزمان بالساعة وعلى تعيين المكان بالبوصله فإن ميقات الصوم هذا القانون الجديد يشبه أن يكون أداة يستعان بها في تحديد الزمان والمكان معا لمعرفة مقدار ساعات الصوم لكل يوم في أى مكان ... لقد ألمح الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بقوله ( إن الزمان قد استدار ) مشيرا إلى ذلك النظام الفلكى البديع فثلا كان رمضان من مدة ١٦ سنة في وسط الصيف وهو ذا موثك أن يكون وسط الشتاء وبعد مدة مساوية سيعود إلى أواسط الصيف بعد كمال الدورة في ٣٢ سنة تقريبا ضروره أن العام القمرى يتقدم في كل سنة عشرة أيام عن العام الشمسى .

ومن نتائج هذا النظام الفلكى حصلنا على هذه القوانين ا ، ب ، ج ، ( ميقات الصوم وهو مطلبنا في هذا البحث ) .

قانون (ا) ينحد وقت الظهر ( الزوال ) في جميع البلاد التى تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط مثلا بينما يتوالى في البلاد التى تقع على خط عرض واحد

والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة  
فهما يختلفان بالأمسكنة فإن عند من يقول  
الأرض كرة فكل ساعة هيئتها فتلك الساعة  
في موضع من الأرض صبيح وفي موضع  
آخر ظهر وفي ثالث عصر وفي رابع مغرب  
وفي خامس عشاء وهلم جرا . هذا إذا اعتبرنا  
البلاد المخالفة في الأطوال ( أما البلاد المختلفة  
بالعرض فكل بلد يكون عرضه الشالى أكثر  
تكون أيامه الصيفية أطول ولياليه أقصر  
وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه  
الأحوال المختلفة في الأيام والليالي حسب  
اختلاف أطوال البلدان وهروضا أمر  
عجيب ) ٥٠١ . وكذلك وجدت هذه النظرية  
في كتاب شرح المواقف للشرىف الجرجانى  
ص ١٥٠ ٧ في قسم العناصر قال :

( فالشمس في أى جانب كانت من جانبى  
الشمال والجنوب كان نهارهم أى نهار الذين  
في ذلك الجانب الذى فيه الشمس أطول  
من ليلهم وفي الجانب الآخر يكون الأمر  
بالعكس فإذا كانت في جانب الشمال كان ليل  
الجنوبيين أطول وإذا كانت في الجنوب كان ليل  
الشماليين أطول ) ٥٠١ .

كما وجدت هذا القانون برسائل إخوان  
الصفا وتذكرة الأنطاكى وابن خلدون قال  
في مادة جغرافيا ص ٣٢ ثم إن أزمنا الليل

يطول كلما اتجهنا جنوبا وبالضد من ذلك  
يقال في النصف الجنوبي لخط الاستواء .  
فتلاحظينا كنا في رمضان بدمياط في وسط  
الصيف وجدت المغرب يؤذن بالقاهرة في  
حين بقى على غروب الشمس عندنا حوالى  
ثمان دقائق ، وبما أن النهار يطول من طرفيه  
فإن الفجر حينذاك يكون قبل فجر القاهرة  
أيضاً : وجدت مشكلة حينذاك لم تحسمها جملة  
الإذاعة ( وعلى المقيمين خارج القاهرة أن  
يراعوا فروق التوقيت ) وتادية لأمانة العلم  
وحسباً لتلك المشكلة التى ستجدد كلما عاد  
رمضان إلى وسط الشتاء أو وسط الصيف  
فكان واجبى أن أبين ذلك القانون وأكشف  
عن مراجعه فتبعت كتبنا القديمة لتحقيق  
هذا القانون فوجدت شبيها له في تفسير الفخر  
الرازى لقوله تعالى : « اختلاف الليل  
والنهار » ص ٦٤ ٢ قال : ذكروا  
للأختلاف تفسيرين أحدهما إقتعال من قولهم  
خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثانى  
فاختلاف الليل والنار تعاقبهما في الذهاب  
والجىء . وبهذا فسر قوله تعالى : « وهو الذى  
جعل الليل والنهار خلفه » ، الثانى أراد  
اختلافهما في الطول والقصر والنور والظلمة  
والزيادة والنقصان :

وهندى فيه وجه ثالث وهو أن الليل

والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالى عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهى طول الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدى لليل وبرأس السرطان للنهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة كذلك في آخر الإقليم الثانى فيما يلى الشمال فينتهى طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبها الصيفى إلى ثلاث عشرة ونصف ساعة ويبقى بالاقصر من الليل والنهار ما تبقى بعد الثلاث عشرة والنصف من جملة أربع وعشرين ، الساعات الزمنية

لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الإقليم الثالث مما يلى الشمال أيضا يقتصران إلى ١٤ ساعة وفي آخر الرابع إلى ١٤ ونصف ساعة وفي آخر الخامس إلى ١٥ ساعة وفي آخر السادس إلى ١٥ ونصف ساعة وفي آخر السابع إلى ١٦ ساعة وهناك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الأقاليم في الأطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل لإقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال موزعة على هذا النحو ) . ١ . ٥ .

توفيق محمد صبيح

إمام مسجد جمال الدين شبيحه

## من صحيفه بشر في تعليم الخطابة

خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرها وأشرف حسبا ، وأحسن في الاستماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ومعنى بديع .

واعلم أن ذلك أجدى عليك بما يعطيك يومك الأطول بالسكد والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .

وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين ألفاظك . ومن أراغ ( أراد ) معنى كريما فليتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف .

# حياة الأنبياء بعد الموت

## للأستاذ عباس طه

عن الأنبياء كما أسلفنا ، وإن كان التفاوت بين درجات الحياة بحيث لا يعلمه إلا الله ، وما نحن أولاء نشاهد في هذا العالم من مراتب الحياة المتفاوتة بين أنواع الحيوانات وأصنافها إلى أن تصل إلى أعلاها ما يجعل الأمر في غاية الجلاء والوضوح . وإلى القارىء شطراً من أدلة حياة الأنبياء وكلام العلماء في ذلك .

أما الكتاب فقد وردت فيه الآيات المتعددة الدالة على حياة الشهداء ، وقد انعقد الإجماع على أن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء قال ابن حزم في المحلى بعد ذكره الآيات الواردة في حياة الشهداء مانصه : ( ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامه من كل من دونهم ومن خالف في هذا فليس مسلماً ) ١ هـ .

وأما السنة ففيها شيء كثير من الأدلة على حياتهم ، من ذلك حديث ( الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون ) رواه أبو يعلى والبيهقي من طرق متعددة من حديث أنس بن مالك ، قال المناوى في شرح الجامع الصغير : ( رجاله ثقات صححه البيهقي ) ١ هـ . ومثل ذلك للحافظ

الأنبياء أحياء في قبورهم بلا مرية ، وهم أولى بذلك من الشهداء الذين ورد فيهم النص القرآن في قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » . بل الحياة ثابتة لجميع من فارق الدنيا ولو كفاراً ، كما يدل عليه حديث أهل القليب الذي في البخارى ، وجاء في الصحيح أيضاً أن الميت بعد دفنه يسمع قرع نعال المشيعين ، وأن الروح تنادى حامل الجنائز وأنه يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه لصعق . وقد رأى صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج موسى عليه السلام يصلى في قبره ، كما رآه في السماء السادسة وقد راجعه مراراً في أمر الصلاة ، وقد وضع البيهقي رسالة في حياة الأنبياء ، والمسيوطى أيضاً رسالة تسمى ( أنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء ) . أما قوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » فعنايه أن روحك ستفارق بدنك وتدخل في عالم آخر ، فلا تشتغل بتدبير الجسم ، ولا تسرى عليها أحكام هذا العالم ونواميسه ، وإلا فقد ثبتت حياة الأموات كلهم فضلاً

عنا بحيث لا نراهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم) ١٥١ .

وقد نقل كلام القرطبي هذا أيضا ، وأقره الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في شرحه لعقيدة أهل السنة ، ونص عبارته : قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمر : إن الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد موتهم ومقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء ، كان الأنبياء بذلك أحق وأولى ، مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصا بموسى عليه وعليهم السلام ، وقد أخبرنا أيضا صلى الله عليه وسلم أنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا عنا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم) ١٥١ .

ويحقق ما ذكره هؤلاء الأئمة من تواتر الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء أن حديث

السخاوي في القول البديع ، ثم له طرق أخرى أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء ، وبها يصير من الصحيح المتفق عليه ، ومنها حديث الإسراء ، فقد ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى قائما يصل في قبره ، وأنه اجتمع بالأنبياء وصلى بهم .

وقد نص كثير من الأئمة والحفاظ ، كالقرطبي في التذكرة ، وابن القيم في كتاب الروح ، والحافظ السيوطي في غير ما كتاب من كتبه ، على أن أحاديث حياة الأنبياء في قبورهم متواترة ، قال السيوطي في مرقة الصعود : ( تواترت بها الأخبار ) . وقال في إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه : ( حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وصائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا ، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك ) ١٥١ .

وقال ابن القيم في كتاب الروح نقلا عن أبي عبد الله القرطبي ( صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ، خصوصا بموسى ، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسلم عليه إلا رد عليه السلام ، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبوا

الإسلام زكريا في شرحهما عليه ، والسيوطي في ألفيته وفي شرحه لتقريب النووي .

( إذا تقرر هذا هرف أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلأ أو مسندأ صحيحأ أو ضعيفأ كما صرحوا به ، كان حجة قطعأ ، بل اشترط جمع من أهل الحديث والأصول كونه ضعيفأ لتقوم الحجة بالجموع ( المرسل والمسد ) وإلا كان المسند الصحيح كافيا في الاحتجاج .

وهذا الحديث ورد من طريقين آخرين موصولين ، أحدهما إسناده جيد والآخر ضعيف ، فالأول من حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البزار وأبو الزرقاني في شرح المواهب اللدنية على أن إسناده جيد ، والشهاب الحفاجي في شرح الشفا على أن إسناده صحيح ، كما جاء في نص ملا علي قاري في شرح الشفا على أن إسناده صحيح .

والطريق الثاني للحديث المذكور عن أنس ابن مالك ، كما عزاه له السنخاوى في القول البديع ، والسيوطي في الجامع الصغير ، إلا أنه أورده مختصرا وقال المناوى : إن إسناده ضعيف . فلو لم يرد إلا حديث أنس الضعيف لكان مرسل بكر بن عبد الله المزني حجة على رأى الجميع بانضمام حديث أنس إليه ، فكيف وقد انضم حديث ابن مسعود الصحيح إليهما ؟ .

عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وسلم ، واستغفاره لأمتة ، وسلامه على من يسلّم عليه ، ورد من عشرين طريقا ، وحديث الإسراء ورد من طريق خمسة وأربعين صحابيا وقد نص الحاكم والحافظ السيوطي على أن حديث الإسراء متواتر ، قال بعضهم : لاشك أنه يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم حى على الدوام ، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد يسلّم عليه في ليل أو نهار .

أما حديث : حياتى خير لكم ، فهو صحيح محتج به في هذا المقام وفي غيره بلا مرية .

وما قاله المحدثون فيه نقول : هذا الحديث رواه ابن سعد في الطبقات من حديث بكر بن عبد الله المزني مرسلأ بسند صحيح كما نص عليه واحد من الحفاظ ، وقال بعضهم : إنه حسن نظراً لإرساله ، وقد نازع بعضهم في الاحتجاج به من حيث إرساله لا من حيث سنده ، ولكن فاته أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلأ أو موصولأ ولو ضعيفأ ، صار حجة عند جميع الطوائف من أهل الأصول والفقه والحديث ، كما نص عليه ابن الصلاح في علوم الحديث ، والنووى في التقريب وفي مقدمة شرح مسلم وغيرهما من كتبه ، وكذا الحفاظ بن حجر في النخبة ، والعراقي في الألفية ، والسنخاوى وشيخ

وما رواه عدد جم يجب  
إحالة اجتماعهم على الكذب  
فتواتر وقوم حددوا  
بعشرة وهو لدى أجود  
ومشى عليه في كتاب ( الفوائد المتكاثرة )  
ومختصره ( الأزهار المتناثرة ) فحكم بتواتر  
أحاديث لا تزيد طرقها على العشرة ، وهناك  
من يكتفي في التواتر بأقل من ذلك كما هو  
مبين بكتب الأصول وغيرها ، وقد ذكرنا  
ما يزيد على العشرين وقد حكم جماعة من  
الأقدمين بالتواتر في الخمسة والأربعة ،  
ومنهم ابن حزم في ( المحلى ) و ( الأحكام ) ،  
والطحاوي في شرح معاني الآثار ، والقاضي  
أبو الطيب الطبري وغيرهم . أما حديثنا  
فتواتر على جميع الاصطلاحات ، لوجود  
ما يزيد على العشرين في كل طبقة من طبقات  
رواته وتواتر هذا الحديث في معناه  
لا في لفظه .  
ثم يأتي بعد ذلك أنه تقرر في كتب الفقه  
والأصول وكتب الكلام أن منكر المتواتر  
بعد قيام الحجة عليه كافر بالله باري السموات  
ومدبر الكائنات .

### عباس طه

بل نقول : عندنا في الحديث ما هو أكبر  
من ذلك كله ، وهو أن الحديث متواتر  
تواترا معنويا لورود معناه من حديث جماعة  
من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر ،  
وهم عبد الله بن مسعود ، ولحديثه طرق تزيد  
على الخمسة ، وأنس بن مالك ، ولحديثه طرق  
تزيد على الستة ، وأبو هريرة ولحديثه طرق  
تزيد على العشرة ، وعمار بن ياسر ، وأبو أمامة ،  
وعلى بن أبي طالب ، وابنه الحسن ،  
وابن عباس ، وأبو بكر الصديق ، وأوس  
ابن أوس الثقفي ، وأبو الدرداء ، وأبو مسعود  
البدرى الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ،  
وابنه عبد الله بن عمر .  
وروى مراسلا عن جماعة من التابعين  
منهم بكر بن عبد الله المزني ، والحسن  
البصري ، وخالد بن معدان ، وابن شهاب  
الزهري ، ويزيد الرقاشي ، وأيوب السخيتاني ،  
وفي الباب غير المذكورين من الصحابة  
والتابعين ، وهذا القدر كاف في إثبات  
التواتر وخصوصاً على رأى من يثبت بسبعة  
أو عشرة ، وهو الذي رجحه الحفاظ  
الصيوطي في ألفيته حيث قال :

من المجاز في القرآن الكريم :

« فن شهد منكم الشهر فليصمه » . والشهر لا يغيب عنه وعليه فالجواز في الآية معناه : فن  
كان منكم شاهداً ببلده في الشهر فليصمه . أي فن كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه .



# مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

## الجهاد في الدين الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدعوة إلا مدافعين أو دافعين لمن يصدون  
الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوى السلطان ،  
وكذلك كانت وقائعهم مع مشركى الجزيرة  
العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس  
والروم ... وقبل غزو فارس بزمان طويل  
كان كسرى يبعث ببعوثه في طلب صاحب  
الدعوة الإسلامية حياً أو ميتاً ، لأنه خاطبه  
داعياً إلى الإسلام .

ولا يمتنع حسن النية في الكتابة عن الإسلام  
بين الغربيين ، وبخاصة بين الذين يشيرون  
منهم على رؤسائهم الدينين ويحتشدون  
في تصغيرهم إلى جانب غيرهم من أتباع  
الديانات الأخرى ، فن هؤلاء من يحتشد  
في تكبير شأن الإسلام كما يحتشد في تصغير  
خصومه ، ولكنهم يحتاجون - مع حسن  
النية - إلى حسن الفهم والنفاز إلى حقائق  
التاريخ لتصحيح الأقاويل التى شاعت  
على السماع عن فريضة الجهاد في الإسلام ،  
فإن الذين لم يحسنوا فهم هذه الحقائق

بعد متابعة الكتب التى تؤلف عن الإسلام  
في الغرب خلصت لى وسيلة من وسائل  
الاختبار السريع للنية الحسنة والفهم الحسن  
عند مؤلفيها ؛ وهى النظرة العاجلة إلى مجمل  
آرائهم حول مسألة الجهاد في الدين الإسلامى ،  
فإنها هى المسألة التى شاعت على السماع  
بين غير المسلمين ففهموا منها أن شريعة  
السيف وشريعة الإسلام شىء واحد ، وقد  
يكون لهم بعض العذر إذا نظرنا إلى أناس  
من المسلمين كادوا يحسبون أن انتشار الإسلام  
بالسيف حقيقة تاريخية مفروغ منها ، وقد  
أشرنا فى مقدمة كتابنا عن « عبقرية محمد »  
إلى واحد من هؤلاء كان يتحدث عن بطولة  
النبي عليه السلام فإذا هو لا يفهم منها إلا أنها  
بطولة سيف و قتال ، وأن النظرة العابرة  
إلى البلاد الإسلامية لتكفى لتقرير وقائع  
التاريخ فى هذه المسألة ، وخلاصتها : أن أكثر  
البلاد عدد مسلمين هى أقل البلاد غزوات  
إسلامية ، وأن المسلمين لم يهاجروا قط فى صدر

أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح ، وهو أظهر بطلانا من أن يبطل بالمراجعة والمناقشة ، لأن القائل به سواء ، ومن يقول أن رجلا واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبعث فيهم الخوف من سيفه - وحده - ويسوقهم كرها إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ثم يحملون السيف معه لتخويف الآخرين ! وأول كتاب حديث قرأنا فيه تفسيراً دسليماً ، لأخلاق المسلمين التي يستوحونها من دينهم هو هذا الكتاب الذي اخترناه ليكون موضوع مقال اليوم عما يقال في الإسلام ، وعنوانه « دولة الباكستان ، مؤلفه ( البروفسور شبروك وليامز ) صاحب الدراسات الواسعة في شئون الشرق الأوسط وشئون الهند والباكستان ، فقد سبقه كثيرون من كتاب اللغة الانجليزية وكتاب اللغات الأوربية الأخرى إلى تحليل حركات المسلمين في الهند مع الدولة البريطانية ومع طوائف الوطنيين هناك من غير المسلمين ، فكانت خلاصة تحليلاتهم لتلك الحركات جميعاً أنها وليدة التعصب الديني أو وليدة الروح العدوانية التي انفردوا بها بين أبناء وطنهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب : (Rushbrook Williams) يعلل هذه الحركات للبرة الأولى بين أبناء لفته وعقيدته بأنها

محسبون - مخلصين - أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاة والصيام وسائر الشعائر المفروضة ، ويمدون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أمور العقائد على الإجمال ، وحقيقة الأمر أن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه فريضة الجهاد فضلاً عن الأساس الديني - يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم .

فماذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو وطنه أو نحو عرضة ؟ إن الإسلام لا يقول شيئاً غير الذي يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على المرء أن ينكص عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه ، ويعيبون عليه أن سالم من يقاتلونه في سبيل حريته وحرية بلاده وليس بالدين الصالح للإيمان به دين ينزل بحرية الضمير عن مرتبة الحرية في الوطن والمعاش من نواذر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الإيقوسي الذي يسميه نقاد الغرب بنبي الكتاب ... فهو ينتهي بزعم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والغشامة ، ولا يرضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه

ياقرار قواعد الحكم كما تعين على التقدم الاقتصادي ... وإن يكن من الحق أن شعور الجماهير من هذه الوجهة غلبت عليه للبواعث الدينية من الناحية الاجتماعية أوفر من ناحيتها المذهبية ... .

وأطال المؤلف الكلام على النظريات السياسية الإسلامية التي تقابل ما يسمى « بالابديولوجي » في اصطلاح المذاهب الاجتماعية أو السياسية فقال ماخواه إن تلك النظريات لا تعارض نظاما من الأنظمة الدستورية في الأمم الديمقراطية على اختلاف هذه الأنظمة في أساليب الإدارة وتوزيع السلطة على طريقة الجمهوريات الرئاسية أو النيابية ، وأن الحاكم لا يملك أن يستأثر بالسلطة على أى وجه من الوجوه مستقدا إلى نصوص القرآن .

وقد يعتبر كلام المؤلف عن علاقة الدين بالوطن أبلغ رد على الذين جعلوا الإسلام « مسئولا » عن اعتبار المشاركة في العقيدة سببا من أسباب إقامة الدول ، لأنه لم يفس في بحوثه المختلفة أن دهوى إسرائيل لم تقيم على أساس غير أساس المشاركة في العقيدة ، وهى - على هذا - موضع العطف والتأييد ممن يعلنون شريعة الديمقراطية ويحسبون رعاية المسلمين لاعتبارات الدين « تمصبا » مقصورا على المسلمين ؟

عباس محمود العقاد

وليدة البحث : « لا عن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطلق من قيود المستغلين وحسب بل هى وليدة السعى إلى إقامه بلا تسود فيها آداب الإسلام ، وتمنع فيها ظلم الأغنياء للفقراء . ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعى التى يتعلمونها من سماحه الشريعة . »

ويقول عن « تقاليد » الإسلام : « إن هذه التقاليد تشمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله وتقرر أوامر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون ، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجرون عليه وإغاثة الموعوزين والمحرومين وبذل الحياة نفسها فى سبيل الصراط المستقيم . . . ومعاملتهم - من ثم - للبلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلو فى إثبات وجودهم والتصلب فى إملاء تقاليدهم الحرفية أو الوقوف موقف الإحجام والاعتذار . »

ووصف ما يشعر به جمهور المسلمين من أبناء الهند أو يفهمونه بداهة من معنى الدولة فقال أن التفاصيل السياسية لم تشغل أذهانهم : « ولكنهم تطلّعوا إلى سياسة تسود فيها آداب العقيدة الإسلامية وتقوم على العدل الاجتماعى والحكم السمع الرفيق وتستجيب لحاجات الشعب وضروراته ، ونحى الفقير من قسوة المستغلين وتتكفل

## مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

### مشاعر إقبال نحو العرب

في وحدتهم ، وحريتهم

المؤنثانين : الصاوي على شعوره ، وعبد الباري أنجم

لقد أتاح الستار عن صورة آدم ، وكشف  
التقاب عن فطرته الكامنة ، وأنشأ في كيانه  
القلب النابض الخفايا . كل معبود زائف  
تحطم وتوارى أمام نور هداه ، وكل غصن  
يابس اكتسب حلل النوار من فيض نداء .  
يا ثورة العروبة التي تدفق من حرارتها  
جهاذ بدر وحنين !

ومن ميدان بطولتها ظهر الصديق ،  
والفاروق ، وعلي ، والحسين !

لقد ارتفع تكبير الصلاة والآذان ؛  
ليكون تكبيراً يمتد إلى صفوف الميدان !  
ووجدت العروبة مفاتيح كنوز الدارين !  
حين قدمت إلى صلاح الدين سيف الواد ،  
ولم يزد البسطامي تقوى العباد ، وحين  
تبادل القلب والعقل نشوة المنى ؛ من كأس  
واحدة ؛ كان مزاجها علم الرازي وروحانية  
جلال الدين الرومي ! ...

لأنها مزايا الشرح المبين ، والعلم الحكيم ،

يا أمة العرب : التي أشرقت على الدنيا  
بمواضرها المنيفة ، وصحرائها الخالدة !  
من الذين أيقظوا وعي البشرية ؛ بندا :  
لا كسرى ولا قيصر ! ، وردوا الخليفة إلى  
سلطان عالمها الأكبر ، ومن الذين أبلغوا  
رسالة القرآن ؟ لأول مرة في قريب المسكونة  
وبعيدها ! وفي المتقدم من الشعوب  
والمتخلف منها !

من الذين رفعوا مصباح التوحيد على  
مشارف الحياة ؛ ودوت أصواتهم في  
الكون بلا إله إلا الله !

يا أمة العرب : ألم تجد الأجيال غداة  
الحكمة على خوانكم ؟ ألم تنزل آيات  
الوحدة والإخاء في شأنكم ؟ أليست هي  
أنسام الحياة الخصبية من نبيكم ؟ قد أنبت  
شقائق العرفان على رمال صحرائكم ، إلى والله  
لقد ربيت الحرية وليدة في مهد رسالته ،  
فأيوما الحاضر إلا ظل من أمسه ، وشعاع  
من شمس !

بسرا به الخادع ! وكيف نسيت أن هقارب  
الفتنة مطوية في ثوبه اللامع ! ، إنك ما لم  
تزد لإبله عن حوضك ، وشبهه عن أرضك  
لن تجحد إلى الخلاص من مكروه سيلا إن  
دهاه ألقى بالشعوب في طوفان الفقر ، وقسم  
وحدة الوطن العربي إلى مائة وطن ! .

إذ كانت قوة الجماعة منبثقة من الدين  
قالدين عزم وإخلاص وبقين ، تجاوز أيها  
العربي مقام الحاضرة والبادية ، وارتفع  
بطموحك إلى العلا ، واعقد مضارب خيامك  
في المستوى الجدير بمقامك ، وجه ناقتك  
إلى معركة الفداء بعزيمة أقوى دفعا من رياح  
الصحراء ، إن العصر الحاضر من مواليد  
أيامك ، وإن نشوته من عصارة أحلامك  
كنت فيما مضى شارح أسرارده ، ولم يكن غيرك  
مخططا لمعماره ، حق إذا تبناه الغرب ! أسفر  
عن وجهه معشوق خليع ، قد عرى من حلية  
الكرامة ، وناموس الحياء ، وحين بدا في طلاء  
الحسن للناظرين ، كان عر بيذا منحرفا وعلى  
غير دين ! .

يارجل الصحراء : قوم المعوج بمالك  
من عزم وإقدام ! وإلى هدفك الأسنى وجه  
مسير الأيام وفي هذه المعاني تقول شعرا :

\*\*\*

شعب العروبة والمجد المؤثل في

بدو وفي حضر حق ضحي المحشر !!

ونظام العمران ، وحكمة الدين ! أنشأت  
في لفائف الصدور قلوباً تتخطى حدود  
الإمكان ؛ ولا تقف في مراحل المجد عند  
مكان ! . ولم كان لتوجيهات العروبة وأصدائها  
من آثار تطل على الدنيا بمفاتها ! دفي تاج  
محمل ، وقصر الحمراء ! من أجرى إلى  
الأندلس ! .

لإنها آثار تعجز عن محوها يد الفناء ،  
وتفرض على من يراها ضريبة الثناء ! . في  
مظاهرها جلوه السحر للعيون ، وعن إدراك  
خفاياها يكبو العارفون ! .

الحمد إلى غير حد . وسلامنا الموصول  
إلى النبي الآواب ! الذي حقق معجزة الإيمان  
في قبضة من تراب ! . إنه الإيمان الذي  
يمنح المؤمن مضاء السيف البتار ، ويخلق  
من حداة إبل الصحراء ، فرسان خيل  
الاقدار ! .

واما لهذا الطموح القاهر ! كيف تحطم ،  
وواحربا من هذا اليأس كيف تحكم ! ؟ .  
تقدمت الشعوب بأعمالها في مراحل الزمن  
كيف تناسيت كنوز صحرائكم ، وكنتم أمة  
واحدة ، فكيف أصبحتم أمما وشعوبا .  
إن كل من تحلل من قيد ذاتيته لم يطلب له  
في العيش بقاء ، ومن أسلم زمامه للدخيل  
قضى على نفسه بالفناء .

أيها العربي : كيف طواك سحر المستعمر ؟

- من الذى حرر الدنيا لحاقها  
وأسمع الخلق لا كسرى ولا قيصر؟  
من قبلكم أبلغ الآيات ناطقة  
بوحى من خلق الدنيا وسواها؟  
من غيركم رفع المصباح مؤثلاً  
ووحدة الخلق لما وحد الله؟  
لم يطعم الناس إلا من موائدكم  
علماً شهياً وتهذيباً وعرفاناً؟  
في شأنكم أنزل الله الكتاب فأصبح  
ستم بنعمته في الخير إخواناً؟  
من حول البيدر وضاً والمصادرراً  
وأثبت الورد في الصحراء للعرب؟  
استغفر الله ما غير النبي بها  
أغنت شمائله فيها عن السحب؟  
فكل رب قديم في الوجود هوى  
بعزمه ساجداً لله لكباراً  
وكل غصن هشيم من نداء هدا  
يمجدد الحسن أوراقاً ونواراً  
وهاها لها جذبات طالما حفزت  
منا الخطأ وأثارت للعلامها؟  
قد أبدلتنا القبايل من بواعثها  
يأساً مريراً ومن أنوارها ظلاً؟  
كل الشعوب أهدت من مواردها  
حصن الرغاء وسارت للنبي قدماً؟  
وملء صحرائكم لو تعلمون غنى  
وثروة وكنوز تغدق النما؟  
كيف انقضى حفلكم وانقض سامركم  
وكان بالأمس مثل العقد منتظاً؟  
توحدت من قديم الدهر أممكم  
ما بالها انقسمت في أرضها أمماً؟  
قد خادعتكم من المستعمرين يد  
وسم العقارب في أكمامها استترا؟  
كم أهدروا من شعوب آدميتها  
كم أيقظوا قتنا كم أفسدوا فطراً؟  
توارث العرب الأحرار وحدثهم  
مدى عصور وأجيال وأزمان؟  
حتى إذا جاء الاستعمار قسمها  
إلى شعوب وأقسام وأوطان؟  
اضرب خيامك في دنيا وجودك لا  
تقف بها عند رسم الدار والدمن؟  
وادفع بناقتك الميدان أسبق من  
ريح الصحارى وأنفذ وحدة الوطن؟  
يا أيها العربي انظر لعصرك في  
دنيا يفوز بها من أحكم النظرا؟  
بالعزم . بالعدل . تبني ما تؤمله  
إن شئت للكون تعميراً فكن عمراً؟  
الصاوى على سمنونه ، عبد الباري أبحم

# الكتاب

نقد وتعريف : لمؤلفه محمد عبد الله السمان

١ - عبد الملك بن مروان :

للدكتور ضياء الدين الريس

هذا الكتاب هو العدد العاشر من سلسلة أعلام العرب ، التي تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، وتقوم بنشرها مكتبة مصر بالقجالة ، والمؤلف أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .  
الدكتور الريس في أكثر من ثلاثمائة صفحة ترجم لعبد الملك بن مروان - موحد الدولة العربية - في عشرة فصول : الخليفة والدولة ، دولة آل مروان ، عبد الملك وأسرته مرتين ، ثورة الشيعة بالعراق ، صراع بين القوى ، نحو توحيد الدولة ، عام الجماعة وإتمام الوحدة ، فتوحات وإصلاحات ، ثم شخصية عبد الملك وسياسته وخلفاؤه .

يتحدث الدكتور في الفصل السادس عن الصراع بين القوى في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، أما هذه القوى ، فالعرب بين الشام ممثلة في الخلافة ، وبين

الحجاز ممثلة في قوة عبد الله بن الزبير المناهض لخلافة بني أمية ، والحرب بين الشام أيضاً وبين العراق ممثلة في الشيعة تارة ، وفي أشياع عبد الله بن الزبير تارة ثانية ، وفي الخوارج تارة ثالثة .

ويتحدث في الفصل السابع والثامن عن توحيد الدولة العربية ، وكيف رسم الخليفة خطة مزدوجة : سياسية وحربية ، حتى استولى على العراق ثم على الحجاز ، واستطاع أن يوحد الدولة العربية تحت راية الإسلام ، وكان عام ٧٤ هـ عام الجماعة وإتمام الوحدة العربية الإسلامية ، أما أهم العوامل التي ساعدت على انتصار الخليفة ، فهو شخصيته التي كانت متمعة بالصفات المتميزة التي تؤهله للزعامة .

وينتخب الدكتور هذه الترجمة الطيبة في الفصل العاشر بإلقاء أضواء على شخصية الخليفة ، في إطار تحليل دقيق ، وبقيم شخصيته الفذة على دعامتين : قوة الإرادة والشجاعة ، ويضيف إليها صفة ثالثة هي الحزم ، ويعتبر أن صفة

القوة بعد ذلك هي الطابع العام لشخصية عبد الملك بن مروان ...

لا شك أن الدراسة التي قدمها الدكتور الرئيس في ترجمته لعبد الملك بن مروان ، دراسة تاريخية متممة - اعتمد فيها على أقرب المصادر التاريخية إلى الثقة - وإن كانت هناك ملاحظات فإنما على تقديره وتكييفه هو للأمور والأحداث ، فهو يرى : أن الدولة الأموية كثيراً ما صورت على غير حقيقتها ، أو كتب تاريخها على غير ما يرضى الحقيقة والعدل ، وطالما حمل عليها وأسوء تقدير رجالها ، وذلك لأنها قامت نتيجة صراع ، فكان لها منذ نشأتها أعداء كثيرون ، وبقى العداء لها مستحكماً إلى اليوم ، ويكنى أن يقرر الدكتور أن الدولة الأموية قامت نتيجة صراع ، وليس على أساس من رضا المسلمين وإجماعهم ومشورتهم ، ولم يكن لقيامها مظهر التقدير من جانب الأمة الإسلامية ، وقد أقامها السيف والمال والدعاء السياسي ، ثم إن مؤسسها ( معاوية ) حين كان أول من ابتدع ولاية العهد لابن الخليفة من بعده ، كان أيضاً أول من خرج على إطار الإسلام ، في إلزام المسلمين حكماً عصبياً قبلياً ، وإلى هذا وذاك يمكن أن يرد العداء المستحكم لها إلى اليوم ، أما الخلافة التي أنت متقادة إلى عبد الملك

ابن مروان ، فلم يكن هناك فضل لأحد سوى الوضع التقليدي في إسماعيل الخلافة إلى ولي العهد . ترافقها طلائع الشعراء وأصحاب الحاجات ، والنعميون ، وكبار رجال الدولة الرسميون .

ويذكر الدكتور الرئيس قصة موقعة الحرة ومؤداها أن بني مروان حين اضطروا إلى هجرة المدينة - والحرب قائمة بين قوة عبد الله بن الزبير وقوة الأمويين بالشام ( أخذت عليهم اليهود والموائيق : أن لا يظاهروا عليهم عدواً ولا يدلوه على عودة وكان أن لقيهم مسلم بن عقبة بجيش أموى لهاجة المدينة ، وذلك بوادي القرى ، فدعا بعمرو بن عثمان : فقال له خبرني ما وراءك وأشر علي ، فقال : لا أستطيع ! وقد أخذ علينا اليهود والموائيق ، أن لا ندل على عودة ولا نظاهر عدواً ) وجاء دور ( عبد الملك ) فرسم له خطة الهجوم ، وكان أن نجحت الخطة ويرى الدكتور إن صحت القصة - أنها تشهد له بما كان يتمتع به من مواهب الذكاء وسداد الرأي والخبرة حتى بالحرب ، وهذا المسلك لا يمكن لمؤرخ دقيق أن يدافع عنه ، فضلاً عن أن يكون في نظره مثار غفر ومظهر تقدير لصاحبه أما شعر الشعراء بعد ذلك فلا أظن أن له مكاناً في الدراسات التاريخية إلا من قبيل الحفاظ



تناولت الدراسة : صفاته وأخلاقه ومؤلفاته وقيمته ومبادئه ، وعلمه ومعرفته وفي الفصل الثالث ، تناولت دعوة وآراءه وموقفه من الحضارة الأوروبية ، وتحرير المرأة ، ودوره في التربية النظرية والتربية العملية . أما الفصل الرابع فقد عرض للشوكة العربية ، ومكانه في مذكرات عرابي ، وكتاب مستر بلنت ، . « التاريخ السري لاحتلال الإنجليز مصر » .

أعجبني في هذه الدراسة إبرازها لتقيم عظيمة في شخصية : علي مبارك لاسيما الشجاعة الأدبية والمادية ، والشجاعة قيمة قد تتوافر في أي شخص ، ولكن الملابس والظروف قد تحول دون توافرها ، في كثير من الأحيان فعلى مبارك يسجل في عهدي لإسماعيل وتوفيق في كتابة « نخبه الفكر » ، أن السائس الأعظم لابد أن يكون طالما شرعيا وكذلك نوابه وعماله ، وأن بلاد المسلمين بلغت ذروة مجدها وغاية سعادتها وعزها عندما كان السلاطين والعلماء كلاهما من أهل المعرفة . ثم رجعت بلاد المسلمين القهقري عندما تطلب على الحكم فيها أهل الحشونة والجهل . فوقع المسلمون تحت تصرف الأهواء وتنازع الأغراض . فوقفوا في السير ثم تقهقروا حتى تدهوروا . . .

وعلى مبارك يعين قاضيا ورئيسا لمحكمة

على التراث الشعري ، وليس سندا صالحا يعتمد عليه في إبراز قيم الأشخاص الذين دخلوا التاريخ بحق وبغير حق .

هذه ملاحظات عابرة ، لا تقل كثيرا من أهمية الدراسة التي قدمها لنا الدكتور الرئيس والتي قدم لنا فيها تحليلا للأحداث التاريخية التي لم تزل موضع نقاش اليوم .

## ٢ — على مبارك :

للأستاذين : عبد الله المشد ومحمود الشرقاوى هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة الأنجلو بالقاهرة ، نال جائزة مجمع اللغة العربية للدراسات الأدبية ، وقد تناول في دراسته حياة ودعوة وآثار عالم مصري دخل التاريخ من أوسع أبوابه ، حتى أصبح جزءا من تاريخنا في فترة من الفترات ، كان الحكم فيها حكم سلطة وقوة لشعب مسلم مغلوب على أمره .

والدراسة التاريخية التي قدمها لنا المؤلفان الجليلان : الأستاذ الشرقاوى سكرتير تحرير مجلة الأزهر السابق وفضيلة الشيخ المشد مدير الوعظ العام بالأزهر ، في أربعة فصول تناولت في الفصل الأول « علي مبارك » منذ أن ولد في قرية « برمبال » لإحدى قرى محافظة الدقهلية عام ١٨٢٣ إلى أن لقي ربه عام ١٨٩٣ م ، بعد أن ألفت أضواء مريعة على نشأته وكفاحه ، وفي الفصل الثاني

حياة : حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها ، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود ، كما يحدد غاية وجوده الإنساني ، ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه .

فالاستاذ سيد قطب يبني دراسته على أساس أن كل دين منهج حياة لأن هناك ارتباطا وثيقا بين طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة التصور الاعتقادي ، بل إن هناك ما هو أكبر من الارتباط الوثيق ، هناك الانبثاق الحيوي ، انبثاق النظام الاجتماعي من التصور الاعتقادي ، وعلى أساس أن الفصام التكد بين الدين والحياة في الغرب عاجلت به المسيحية ، ملاسبات سيئة في بدء نشأتها وعند انتصارها السياسي . والاساس الثالث : أن الرجل الأبيض قد انتهى دوره كما يقول الفيلسوف الانجليزى براترند رسل والاساس الرابع : أن الحضارة المادية — حضارة الرجل الأبيض في طريقها إلى النهاية والاساس الخامس والآخر : أن هناك مخلصا له سمات وملاح لا تنطبق إلا على هذا الدين ، وبهذا يكون المستقبل له .

إن المؤلف الغنى على أى تعريف جال بنا جولة ممتعة . استطاع من خلالها إقناعنا بأن

مصريين وطنيين انهموا بوضع قنبلة تحت مجلس الحديوى لإسماعيل فى الأوبرا ولكنه لم يذن أحدا لعدم كفاية الأدلة ، وهذه شجاعة كفالة بأن تضع على مبارك فوق القمة .

ولم يعجبني فى الدراسة اتجاه المؤلفين إلى الدفاع عن على مبارك - فيما اهتم فيه ، إذ نيل من قدره ، وإن كانا قد عرضنا فى كتابهما ماله وما عليه ، ولكن رأيهما كان دائما فى جانب على مبارك ولا سيما فى موقفه من الثورة العراقية ، فأى خذلان لحركة عراقى - مهما كانت أخطاؤها أو أى إسلام لها قد لا يجد مبررا ، وإن أى تعاون مع الاحتلال بعد هزيمة عراقى أو مع مثل الاحتلال « توفيق » لا يجد من الأعذار ما يمحو وصمة العار عنه . إن هذ الدراسة التاريخية لها تقديرها لدينا ، وحسبها أن عرضت تاريخنا أمينا فى نقله وعرضه ، واتجاه المؤلفين إلى رأى معين ، لم يחדش قيمة هذه الأمانة .

المستقبل لمرزا الربيع .

للاستاذ سيد قطب

كتاب جديد نشرته مكتبة وهبة بعابدين ، للأستاذ سيد قطب ، بعد أن صدر له كتابان قريبان من كتابه الجديد هما : خصائص التطور الإسلامى ، وهذا الدين .

يقرر الأستاذ سيد قطب أن الإسلام منهج

لمفهوم الأسرة بمعناها العام (جماعة المسلمين) وبمعناها الخاص (الزوجان والأبناء) ثم أخذ يعرض أبحاثاً مركزة في ترغيب الإسلام في تكوين الأسرة، وأهمية الزواج، والخطبة وعناصرها ومنها المهر ومراسم الزفاف، ثم سياسة المنزل وتربية الأولاد وتعدد الزوجات.

وتحت عنوان (الأسرة الإسلامية في حاضرها) تعرض لمعامل انحلال الأسرة في الغرب. وتحدث عن صلة الرحم وفسرها بالإحسان إلى الأقربين والعطف عليهم، وعند حديثه للأسرة العامة - أى الجماعة الإسلامية - تحدث عن العلاقات الواجب إحيائها، ومنها ما هو إيجابي: كالتكافل الإجتماعي المالى، والتضامن الجماعي السياسى، والإيثار والمساواة والعدل والإنصاف والتضحية وإصلاح ذات البين، وصيانة الأعراض والنصيحة ومنها ما هو سلبي: كالحب وتجنب الأذى وإقالة العثرات والعفة عن الظلم.

الحق أن هذه الرسالة بحث إسلامي جدير بالتقدير، ونصوصه سليم المصدر والرواية والسند، وإن كان هناك ما هو جدير بالملاحظة، فهو الترتيب والتخطيط الداخلي للبحث، حيث لم يعن بهما العناية الوافية، فالقارئ ينتظر أن يقرأ عناصر هذه المبادئ

الإسلام وحده حري بأن يكون مختصاً لهذا العالم من جبروت المادة وطغيان الانحلال، ورواسب الاستبداد، واستطاع تقديم نماذج من الملابس التي عزلت المسيحية عن الحياة ولكنه لم يحدثنا عن ملابس عزل الإسلام نفسه اليوم عن الحياة، ولا عن العوامل التي أقامت فاصلاً من فولاذ بين الإسلام وبين طبيعته التي تؤكد أنه منهج متكامل لهذه الحياة، ومن أبرز هذه العوامل، تلك العقليات الراكدة التي أسهمت لمساهما فعالاً في إقامة هذا الفاصل.

والحق - مع احترامنا للأستاذ سيد قطب وقلبه وإيمانه - أن العاطفة الدينية قد احتلت في كتابه الجديد المركز الأول، وإن كانت العاطفة بمنزلة بغيرة على الإسلام ومقوماته، وكأنه اللائقة به، والذي تعاونت شتى الظروف اليوم على أن تزحزحه عنه راغماً، في غفلة من الشعوب المسلمة التي تلهو في غفلتها، وفي غفلة من العلماء الذين تخلف عنهم شجاعة إخوانهم في العصور السالفة، والتي لم تكن تخشى إلا الله.. والله وحده.

٤ - مبادئ الإسلام في تنظيم الأسرة:  
للاستاذ أبو الوفا المراغى.

هذا بحث صدر ضمن سلسلة كتب إسلامية التي يصدرها المجلس الإسلامى الأعلى بوزارة الأوقاف، وقد بدأ الأستاذ أبو الوفا المراغى مدير المكتبة الأزهرية هذا البحث بتفسير

عن الزكاة كركن ثالث من الأركان يتحدث وبلقى أضواء على ملاح الاشتراكية في الإسلام فالإسلام بمدلوله الواسع الشامل يشتمل على أجمل صور الاشتراكية ، أما الأساس الذي تقوم عليه اشتراكية الإسلام فهو يختلف اختلافا جذرياً عن الأساس الذي تقوم الاشتراكية عليه في غيره ، فهو في اشتراكية الإسلام تعبير عن شعور كل فرد بحق أخيه عليه ، وهو عبادة مالية لا بكل إيمان المرء المؤمن بدونها ، ولا يسلم إسلامه بغيرها .

وقد يرى بعض القراء أن لفظة الدين تشمل الدين في عموميته ( السماوى بالطبع ) لأن العنوان : الدين عند الله . . . لا يشير إلى غير ذلك ، حيث أن الدين الوضعى لا تربطه بالسماوية رابطة ، وعلى هذا رأى كان يجب على المؤلف أن يتناول الأديان الكتابية جميعاً ، ولكن يظهر من الدراسة أن المقصود بها أن تكون تطبيقاً لقوله تعالى : إن الدين عند الله الإسلام . .

وأنا أرى أن الدراسة كان ينقصها جانب المقارنة ، وبعض الردود على شبهات أثارها الاستشراق على بعض نواحي الإسلام التي تعرض لها في كتابه الأستاذ فودة .

محمد عبد الله السحمان

على سبيل المحصر لتستقر في ذهنه ، كما أن الأستاذ المؤلف الفاضل يشير إلى حكم الإسلام فيمن يعبت بحكمة الطلاق وتعدد الزوجات وقد ذكر أن كليهما ضرورة يلجأ إليها المضطر ، وكان واسع الأفق فيما تناوله متصلاً بمثل هذه القضايا التي لم تزل المعركة حولها حامية الوطيس .

٥ - الميرين عنده الله :

للاستاذ عبد الرحيم فودة

هذا البحث صدر أيضاً ضمن سلسلة الكتب الإسلامية التي يصدرها المجلس الإسلامى الأعلى ، والمؤلف هو وسكريتر تحرير مجلة الأزهر في غنى عن أن نعرف به قراء مجلة الأزهر .

أما البحث على إيجاز ، فقد قدم فيه دراسات طيبة عن الوحي في ضوء العلم وشهادة الواقع ، وعن الطابع الإلهي في القرآن ، وعن أساس الدين وهو العبادة ، وعن مكانه الصلاة والزكاة والصوم والحج من الدين ، وكذلك تناولت الدراسة مفهوم الدين وعموميته وصلته بالحياة ، وموقفه من العلم والمجتمع .

كما تناولت الدراسة علاقة الدين بالحضارة والتطور والنظام والسلام ، وهو في الحديث

# أَنْبَاءٌ وَأَرْاءٌ

يصطنعه بعض من يتحدثون إلى الجماهير ، ويتناولون في حديثهم تفسير بعض آيات القرآن الكريم .

استمعت إلى ندوة عقدت في (التليفزيون) بمناسبة الإسراء والمعراج ، وكان أحد المتكلمين فيها الشيخ محمد قنح الله بدران المدرس بكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية .

وقد عرض في حديثه لتفسير الآيات الأولى من سورة النجم ، وراق له أن يتحدث أحيانا باللغة العامية ، وبما هلق في ذاكرتي من هذا الحديث قوله : أن محمدا مر في رحلته ( بمحطات ) . محطة بيت المقدس ، ومحطة قاب قوسين ، ومحطة سدره المنتهى ، وأنه قام في المحطة الأولى بعملية ( تفتيش ) وفي المحطة الثانية وهى ( محطة قاب قوسين ) وقد أعاد الشيخ التعبير - تلقى التعليمات في الصلوات وغيرها . وبعد أن ( عمل شغله ) ونطقها الشيخ بضم اللام - في ( محطة قاب قوسين ) تأخر ( جبريل ) لأنه ليس إلا ( تشريفاتي ) أراد الله أن ( يفسح ) نبيه فصعد به إلى محطة سدره المنتهى .

السلام دين الفطرة :

ورد للسيد الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية من الصومال نبأ أبان عن النصر الذى يحرره الإسلام بالرغم من الدعاية التى يثيرها التعصب التبشيري المستند إلى الحكومات الاستعمارية فى إفريقيا والنبا يقول :

فى الوقت الذى تزدحم فيه حملات التبشير مع اختلاف مذاهبها فى منطقة شرق أفريقيا نجد شأبا مسيحيا مانغاريا تتذوق مشاعره حلوة الإسلام فيفر من وسط الزحام التبشيري إلى مكتب بعثة الأزهر بالصومال ليشر لإسلامه ، ويؤكد أن الإسلام دين الفطرة ، وقد أعجبه فى الإسلام احترامه وإكرامه للإنسان دون تفرقة بلون أو عقيدة . ولهذا فقد قرر عن اختيار أن يكون مسلما يشرف نفسه بهذا الدين السمع الحنيف .

محطة ( قاب قوسين ) :

أعذر إلى القراء إذا كان هذا العنوان يجرح أذواقهم ، أو يسيء إلى شعورهم أو يبدو ركيكا تافها فإنى لم أجد كلمة أدق من هذه الكلمة فى الدلالة على الأسلوب الذى

بعض أساتذة الجامعة المصرية على طلابه في تفسير قوله تعالى : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) حيث قال : ( ليس محمد إلا ساعي بريد ) .

وإني لأجزم أن أى رجل من العامة يستحى أن ينطق بمثل هذه التعبيرات .

على أن الذى نرجوه من الإذاعة ومن غيرها أن ترقى لا أن تهبط بلغة الحديث ، وعبء ذلك يقع على المتحدثين أنفسهم أكثر مما يقع على المشرفين على شئون الإذاعة وليست اللغة العربية لغة جامدة أو ضيقة ، بل هى لغة مرنة واسعة ، يستطيع أى متحدث من هؤلاء الذين يقفون على مثل هذه المنابر أن يصطنعوها وأن يبلغوا ما يريدون من تفهيم المستمعين .

والدليل أمامنا وفي أيدينا ، فبعض المتحدثين لا يستعمل في حديثه كلمة عامية واحدة ، ومع ذلك هم من أحب المتكلمين إلى الجماهير .

هذا ما أرجوه فإذا ركب بعض الأساتيد رأسه ، وأنى إلا أن يتحدث لغة عامية ، فليراح أذواق الناس ، ولا سيما عندما يتعرض لمقدماتنا الدينية واهه المستعان .

على العمادى

هذا قليل من كثير مما سمعته في هذه الندوة ولقد عجبت أشد العجب كما تأملت أشد الألم لهذا الأسلوب الذى يذاع على الناس ، ويمس أكرم ما نعتز به في عقائدنا .

ولست أدري لماذا يلجأ هؤلاء السادة لمثل هذا الأسلوب ، ومن الممكن أن يتحدثوا بأسلوب عربى سهل لا يستعصى فهمه على أحد من أوساط الناس ، ولعلنا لا نجعل أن التعليم ، والصحف ، والإذاعة وغيرها قد رفعت من مستوى الجماهير فأصبح أكثر من يستمعون إلى الإذاعة المسموعة أو المنظورة يفهمون ما يقال باللغة العربية السليمة :

ولقد كان بمن استمع إلى هذا الحديث — معى — وأنكره تلاميذ في المرحلة الإعدادية لم يرقهم أن يقول الشيخ عن جبريل إنه ( تشرىفاتى ) ولا عن محمد صلى الله عليه وسلم إنه ( عمل شغلته عند محطة قاب قوسين ) ثم ذهب ( يتفصح ) عند محطة سدره المنتهى .

وقد فهم بعض المستمعين أن ( قاب قوسين ) اسم موضع في السماء ، لأن الشيخ كرر التعبير دون أن يشير إلى شرحه ، وأنا أعتقد أن الشيخ لم يرغب عنه معنى هذا التعبير ولكن صنيعة يشعر بها فهم هؤلاء المستمعون .

ولقد ذكرنى هذا الحديث بما أم — لاه

## موازنة المقارنات :

منه أيضا ( ما يساق من موازنات في داخل  
الآداب القومى الواحد ، سواء أ كانت هناك  
صلات تاريخية بين النصوص المقارنة  
أم لا . (١) أما الآداب المقارن بالمعنى السابق  
فمثاله أن تقارن مصرع كليوباترا ، لأحمد  
شوقي بمن كتبوا في هذا الموضوع من أدباء  
الغرب مثل « شكسبير » « دريدن » الإنجليز  
و « لاشابل » و « مارموتل » وغيرهما  
من الفرنسيين .

أو ندرس مثلا أحمد شوقي وتأثره  
بلافونتين في فن « الحكاية على لسان  
الحيوان » .

ومن هنا كان وضع المقال تحت العنوان  
المذكور فيه خلط ، لانعدام الصلة بين  
« البحرى » و « الفريدى فينى » من  
الناحية التاريخية ومن ناحية هدف كل من  
القصيدتين . وكل ما بينهما من صلة هو التوافق  
في الاسم وفي الانتهاء بالقضاء على الذئب .

عبد الوارث عيسى

- دار العلوم -

نرحب بهذه الملاحظة ، مع ملاحظة أن  
الاصطلاح الذى ذكره الكاتب لم يصل إلى  
الحد الذى يقال فيه « لامشاحة في الإصلاح »  
وقد أراد الكاتب بالمقارنة الموازنة ؟  
« المجلة »

نشرت مجلة الأزهر في عدد شعبان مقالا  
للأستاذ العوضى الوكيل يوزان فيه بين قصيدة  
« البحرى » في الذئب ، وبين قصيدة  
للشاعر الفرنسى « الفريدى فينى » في الذئب  
أيضا ؛ وقد وضع المقال تحت عنوان « أدب  
مقارن » وكان يفغى أن يكون العنوان هو  
« موازنة » ، إذا لمقال منها وليس من الآداب  
المقارن .

لأن للآداب المقارن مفهوما محددًا عند  
دارسيه - يخالف المفهوم الشائع لكلمة  
« مقارن » أو « مقارنة » - هذا المفهوم هو  
( البحث في الصلات التاريخية بين الآداب  
المختلفة وما لهذه الصلات من تأثير  
أو تأثير ) (٢) .

وإذن فليس من الآداب المقارن - بهذا  
المفهوم ( ما يعقد من موازنات بين كتاب  
من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية  
حق يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير (٣)  
كما في قصيدتي الذئب في مقال الأستاذ العوضى  
ومثلها قصيدتا « البحيرة » للبحرئى  
وللامرتين الفرنسى .

ومن تعريف الآداب المقارن السابق يخرج

[١] الآداب المقارن . تأليف د . محمد غنيمى

هلال ط ٣ - ٨ .

[٢] المرجع السابق ص ١١ .

[٣] المرجع السابق ص ١٣ .

### مجمع اللغة العربية في المغرب

قالت البنية المغربية ما يأتي : يدرس المغرب امكانية تكوين مجمع مغربي للغة العربية ، وتدرس هذا الموضوع لجنة مكونة من ممثل وزارة الدولة للشئون الإسلامية ووزارة التربية الوطنية والمكتب الدائم لمؤتمر التعريب التابع لجامعة الدول العربية .

وتدخل هذه الفكرة في إطار الدعوة التي وجهها مؤتمر التعريب لسائر الدول العربية لتكوين مجامع عليية في كل بلد منها على أن توحد هذه المجامع في مجمع واحد أو تحت اتحاد واحد لتقوم بعمل مشترك لصالح اللغة العربية في كل أقطارها .

والفكرة مهمة جدا وخاصة في بلاد المغرب العربي التي استبدت اللغات الأجنبية فيها بميدان التعبير العلمي والحضاري ، فالمسميات الحديثة عليية وحضارية أغلبها أجنبي ، وما تزال تطنى الأعجمية على المصطلحات بتطور الحضارة والعلم حتى إنه يخشى أن يأتي يوم لا تجد فيه العربية مكانها في عقول المثقفين وأقلامهم . ولكن مجامع اللغة العربية يجب أن تكون عليية أكثر منها نظرية ، وإحياء القديم لا يجب أن يطنى على مسابرة الحديث ، وتجديد اللغة لا يجب أن يحتنى وراء صقلها والمحافظة على قديمها . لهذا نعتقد أن مهمة هذه المجاميع يجب

أن تكون مهمة تجديد بتببع المبتدعات الحضارية والعلمية الجديدة وصياغة مصطلحاتها في الفاظ وتعايير والعمل على إدخالها في كتب الدراسة العلمية واللغوية في جميع المدارس العربية لتتكون الاجيال الحديثة تكوينا عربيا ، ولتستعيد قدرتها على التفكير والتعبير باللغة العربية السليمة .

وإذا كانت هذه مهمة كل مجمع من مجامع البلاد العربية ، فيجب أن تكون مهمة اتحاد المجامع حتى يستطيع هذا الاتحاد أن ينسق بين جهود المجامع وأن يحصل من إنتاجها انتاجا لجميع البلاد العربية لا لبلد واحد فقط .

ومن المهام التي يجب أن تضطلع بها المجامع المحلية دراسة اللغة العربية في كل قطر واستخراج المصطلحات والتعايير السليمة التي ينبغي أن تدخل اللغة الفصحى ، ففي كل بلد عربي ترسبت كلمات وتعايير لا توجد في غيره ، وتلك ثروة للغة العربية لا ينبغي أن تضيع .

ففى أن تجد هذه المجامع طريقها إلى النور في أقرب وقت ، فإن الأعباء التي ستقوم بها لا تنتظر .

### ذكرى مصطفى صادق الرافعي

اجتمعت اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى مصطفى صادق الرافعي بنادى طنطا الرياضى في تمام الساعة السادسة من مساء الأحد الموافق



مكافأة وتقدير الأحياء وتخليد ذكرى  
الراجلين والاعتراف بفضلهم ومع هذا  
الاتجاه الكريم للثورة الخالدة تجتمع اليوم  
اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى الرافعي تستلم  
من خلق الثورة وتستضيء بمبادئ السيد  
الرئيس العظيم في تكريم الخالدين ، ولقد  
عرضه أياها الأخوة فكرة هذه اللجنة  
الموقرة على السيد المحافظ فوجدت سيادته  
متحمسا ومؤيدا لها كما أنه يرجو لنا النجاح  
والتوفيق والسادد وإنه من حظ هذه المدينة  
المباركة أن تكون منتدى حياة ومثوى وفاة  
هذا العلم العظيم والأديب الكبير، وإنني أرجو  
وأتمني من كل قلبي أن تحقق هذه اللجنة التي  
لخصم النخبة السكرية الممتازة من مواطني  
طنطا العريضة ما يترقبه منها أدب الرافعي  
ولإنتاجه كما وأنه من حسن الحظ أن يكون  
من بيننا الأستاذ الكبير محمد عبد الرحمن  
المدير العام للتربية والتعليم الذي نرجو  
في وجوده أن توفق اللجنة في خطواتها  
وإنني على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تقرره  
اللجنة من مشروعات .

وطلب المجلس من الأستاذ محمد إبراهيم  
مصطفى تلاوة المقترحات ، وناقشت اللجنة  
هذه الاقتراحات واستقر الرأي على ما يأتي :  
أولا : الموافقة بالإجماع على إطلاق اسم  
مصطفى صادق الرافعي على شارع البورصة

١٣ شعبان ١٣٨٢ - ١٣ يناير ١٩٦٣ بحضور  
السادة اللواء سيد مكرم خليل رئيس مجلس  
مدينة طنطا والأستاذ محمد عبد الرحمن  
المدير العام لمديرية التربية والتعليم بالغربية  
والآنسة إقبال حسن حميدة دار المعلميات  
وعضو مجلس المحافظة والأستاذ محمد شفيق  
الملواني سكرتير عام مجلس المدينة والأستاذ  
عبد اللطيف الشنواني المحامي وعضو مجلس  
المدينة والدكتور محمد الرافعي المدير العام  
المساعد بالمنطقة الطبية بالغربية والدكتور  
فوزي عبده حكيم باشي مستشفى الجذام بطنطا  
وعضو مجلس المدينة والسيدة زينب الرافعي  
مديرة التأمينات الاجتماعية بالشئون الاجتماعية  
بالغربية والأستاذ محمود سعيد الإخصائي  
الاجتماعي ومندوب الثقافة الحرة بطنطا  
والأستاذ محمد إبراهيم مصطفى رئيس الشئون  
العامّة وممثل الشبان المسلمين بالغربية والأستاذ  
سيد وهي ممثل الصحافة بالغربية .

وقد افتتح السيد اللواء سيد مكرم خليل  
الجلسة قائلا :

إننا في عهد الحرية والإنصاف وإن الثورة  
لم تنصف الأحياء فحسب بل امتدت رعايتها  
إلى إنصاف العاملين والمخلصين من أبناء  
الجمهورية ممن صادفهم ظروف صعبة  
ولم يخلدوا في العهود البائدة عهود الملكية  
والرأسمالية والطغيان فعمدت الثورة إلى

وبين أصدقائه من الشخصيات البارزة أمثال سعد زغلول والأديبة مي ومالدي الأسرة حالياً من مخلفات .

### مول فهرس العدد

طالما طالعنا مجلة الأزهر الشريف بمقالات وبحوث قيمة هي خلاصة آراء وأفكار انتفع بها كثير من القراء ، وقد دأبت المجلة على نشر فهرس مع كل عدد ولكن منذ فترة لا أجد بها فهرساً للوضوعات وهو مهم بالنسبة للقارئ . وإذا كانت المجلة مزدحمة ففي غلافها ما يكفي لوضع الفهرس كما كان يحصل في الأيام السابقة بالنسبة لهذه المجلة . وأرجو أن تظالنا في عددها القادم وقد حوت فهرس العدد ولسيادتكم الشكر ؟  
محمد عبد الرحمن الكردي

المدرس بالأزهر

(المجهر) اكتفيننا بالفهرس السنوى العام لأن فهرس العدد يغنى عنه أن يتصفحه القارئ بسرعة ، ولعلنا نوفق فيما بعد إلى إجابة طلب الأستاذ .

بطناً على أن يسمى شارع الراضى حالياً ( الشيقى بك سابقاً ) باسم الفيلسوف الكبير يوسف كرم .

ثانياً : الموافقة بالإجماع على إقامة تمثال نصفى يوضع فى مدخل دار كتب المدينة على أن تطرح مسابقة إقامة التمثال على المثالين بالمواصفات التى تقررها اللجنة الفنية التى سيشكلها مجلس المدينة لهذا الغرض على أن يفضل أبناء الغربية فى حالة تماثل الكفاءة .

ثالثاً : الموافقة بالإجماع على إقامة مسابقة سنوية تكافئ بها أحسن البحوث فى مؤلفات الراضى على أن تنظمها مديرية التربية والتعليم وتخصص لها من ميزانيتها الحالية الجوائز المناسبة كما تحدد شروطها ومواعيدها .

رابعاً : الموافقة على إطلاق اسم مصطفى صادق الرافعى على مدرسة القاصد الثانوية بطناً .

خامساً : الموافقة بالإجماع على تخصيص ركن ياحدى قاعات دار الكتب بالمدينة تجمع به مخطوطاته والخطابات المتبادلة بينه

## باب الفتاوى :

## مِنْ ضَائِرِ لِحْزَنِ الْفِتْوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه :

## السؤال :

موعد الصيام وتوحيده

١ - بماذا يتحدد بدء موعد صوم رمضان على أهل الفلبين حتى يجب عليهم الصوم ؟  
٢ - وإذا تحدد بدء موعد صوم رمضان في بلد إسلامي كالجهورية العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم . فهل يتحدد بذلك بدء موعد الصوم في جميع البلاد الإسلامية فيجب عليهم ؟

السكرتير العام المساعد للجنة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم .

## الجواب :

يتحدد بدء موعد صوم رمضان لأهل الفلبين كغيرهم من البلاد الإسلامية فيجب عليهم الصوم ، بكمال شعبان ثلاثين يوماً أو برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان في حق من رآه عند جميع العلماء .

ويتحدد بدء موعد الصوم في حق من لم يره

فيجب عليه الصوم بثبوت رؤية الهلال عند القاضي وحكمه بذلك فيقول ثبت عندى رؤية الهلال أو حكمت بذلك ، وثبتت الرؤية بشهادة عدلين يقول كل منهما عند القاضي : « أشهد أنى رأيت الهلال » فيحكم القاضي بثبوت الرؤية على ذلك ، كما ثبتت بالاستفاضة عند جماعة يؤمنون بواقعهم على الكذب عادة عند مالك وأبي حنيفة . وبشهادة العدل عند أحمد ، وعند أبي حنيفة إذا كان في السماء حلة من غيم أو ضباب أو غيرهما وعند مالك في حق أهل بلد لا يمتنون بأمر الهلال ، وهو الصحيح من مذهب الشافعية لقوله صلى الله عليه وسلم : ( صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوماً ) ولما ثبت من أنه صلى الله عليه وسلم قبل شهادة الأعرابي وحده وشهادة ابن عمر وحده فصام وأمر الناس بالصيام للاحتياط في أمر العبادة .

وعن السؤال الثانى : نفيد بأنه إذا ثبت تحديد

بدء موعد الصوم في بلد إسلامي كالجهورية

### ثبوت الرؤية عن طريق المذيع

#### السؤال :

هل يجوز أن نأخذ بنجر رؤية هلال رمضان عن طريق المذيع فيثبت الشهر عندنا في رؤية الهلال في مصر أو في مكة إذا بلغنا الخبر عن طريق المذيع ؟  
مبعوثو الفلبين

#### الجواب :

لكم أن تعتمدوا في ثبوت رؤية الهلال على إخبار المذيع لكم بأن هلال رمضان أو شوال قد ثبت في مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية في وقت كذا ويثبت الشهر عنكم بذلك لأن المذيع طريق مأمون الخطأ متى كان صادراً من بلد إسلامي يعتمد على إذاعته .

### ثبوت الرؤية نهراً

#### السؤال :

إذا وصل خبر ثبوت الرؤية عن طريق المذيع نهراً فماذا يفعل أهل بلاد الفلبين ؟  
مبعوثو الفلبين

#### الجواب :

يجب عليهم الإمساك بقيمة اليوم الذي علوا فيه ولو سبق تناول مفطر حفظاً على حرمة اليوم ثم يطالبون بقضاء ذلك اليوم بعد انتهاء شهر رمضان .

العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم ، لزم حكمه جميع البلاد الإسلامية في الأرض جميعها عند مالك وأحمد وأبي حنيفة والشافعي وبعض أصحابه ؛ لأن الحكم منوط بالرؤية وقد ثبتت بشهادة الثقات عند القاضي وحكم بها وبشهود الشهر وقد حصل بذلك ، والكثير من أصحاب الشافعي على أنه إنما يجب على من قرب من بلد الرؤية دون من بعد ويحصل القرب باتحاد المطلع في الأصح وعلى ذلك بعض أصحاب مالك وأبي حنيفة قياساً على طلوع الفجر وشروق الشمس وغروبها ، ولا شك أن ذلك يختلف باختلاف البلاد وتباعد الأقاليم فليكن الهلال مثله ومن المقرر أنه إذا رؤى في بلد شرقي لزم أن يرى في البلد الغربي ولا يلزم من رؤيته في الغربي أن يرى في الشرقي لتقدم الشروق والغروب في الشرقي عن الغربي .

ونرى ترجيح ما عليه الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد من توحيد بدء موعده الصوم في جميع الأقطار والبلاد الإسلامية بثبوتها في إحداها وإن اختلفت مطالعها ، فإن المطالع مهما اختلف فإنما ذلك بساعات لا تبلغ نهار الصوم بخلاف الفجر والشروق والغروب فإن الاختلاف قد يكون بما يستغرق وقت الصلاة فاختلف الحكم .

قضاء رمضان :السؤال :

شخص فرط في صيام رمضان مدة من السنوات لا يعرف عددها وهو الآن يندم على ما فاتته ويريد قضاء الصيام السابق ولكن كبر السن قد يحول دون قضاء هذا الصوم فماذا يفعل ؟  
عمر عبد القادر الآمين

الجواب :

يجب عليه قضاء ما فرط فيه من الصوم ويعمل بما غلب على ظنه من عدد الأشهر التي فرط فيها ، فإذا عجز عن القضاء لكبر سنه أو مرضه مثلاً كان عليه الفداء عن كل يوم مد من الطعام ، فالشهر الواحد يخرج عنه كيلتين أو ثلثهما .

الحقن وحكمها في رمضان :السؤال :

١ - أرجو بيان الحقن التي تفطر والحقن التي لا تفطر ؟

٢ - توجد حقن تشمل على فيتامينات تؤخذ في العضل ، فهل مثل هذه الحقن تفطر إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها في نهار رمضان ؟

الجواب :

الحقن التي تؤخذ في العضل أو في الوريد لا تفطر لأنها من منفذ غير منفتح انفتاحاً ظاهراً محسوساً

وعن الثاني نقيض بما أفدنا به عن الأول وعليه فالحقن التي تشمل على فيتامينات ، إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها في العضل أو الوريد في نهار رمضان لا تفطر .

هل تغني الصدقة في المريض عن قضاء الصيام :السؤال :

١ - سيدة مصابة بمرض السل وطلال علاجها مدة ثلاث سنوات وقد أشار الطبيب عليها بالإفطار في شهر رمضان خلال هذه المدة وكانت تصدق على الفقراء المستحقين ثم شفيت الزوجة وتابعت الصيام بعد شفائها ولكن في قاهرها ريب وتنوى أن تقضى الثلاثة أشهر المتروكة فهل تقضى المدة المتروكة جميعها في آن واحد أم تكفي بالنفقة التي دفعت في حينها أم تقضى الصيام بصورة تدريجية ؟  
صلاح الصويغ

(عرعر - المملكة العربية السعودية)

الجواب :

الفدية التي دفعت وفعت الموضع فلا تطالب بالقضاء بعد شفائها وهذا على الراجح من مذهب الشافعية رضي الله عنهم .

## الوحدة فى الأمور الشرعية

### السؤال :

فى بلادنا (جمهورية جنوب إفريقيا) مشكلة كبيرة يمر بها المسلمون البالغ عددهم حوالى المائة ألف مسلم وتتلخص هذه المشكلة فى أن مطلع القمر فى بلادنا يختلف من مكان لآخر ويوجد لدينا ما يسمى بالمجلس الشرعى نظراً لعدم وجود حكومة إسلامية فالمسلمون فى بلادنا منقسمون إلى فريقين : الأول يؤيد المجلس الشرعى ، والفريق الآخر يعارضه فى قراراته . وسبب هذه المعارضة هو عدم وجود السلطة بالنسبة للمجلس إذ أنه ليس منصبا من حاكم إسلامى أو حكومة إسلامية .

- ١ - فهل لهذا المجلس السلطة الشرعية ؟
- ٢ - هل لهذا المجلس ولاية على عامة المسلمين فى أرجاء بلادنا ؟
- ٣ - هل يجب علينا اتباع آراء وقرارات هذا المجلس ؟

قاسم بن الإمام أمين

من مسلمى جنوب إفريقيا

### الجواب :

فى تلك البلاد التى ليست فيها حكومة إسلامية يجب على جماعة المسلمين فيها أن يختاروا من أهل العلم فيهم من يتولى تصرف

شئونهم الإسلامية ويقوم بوظيفة الحاكم الشرعى وإذا تم هذا كان على جماعتهم اتباع هذه الهيئة المختارة فيما تقرره مما ليس فيه مفسدة لله تعالى جمعا للصوف وتوحيدا للكلمة .

وعليه فالذى حصل فى تلك البلاد من تأليف مجلس من جماعة العلماء وقع فى محله والمجلس الذى كونوه سلطة الحاكم الشرعى فيجب اتباعه فيما يراه . مما يحقق مصلحة المسلمين ، ولا تجوز مخالفته منعا للتنازعات وتفريق الكلمة والله تعالى يقول : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم .

الصيام فى بلاد النهار فيما والليل عدة شهور

### السؤال :

يعيش بعض الناس فى بلاد النهار فيها عدة شهور وكذلك الليل فكم كيف يؤدون الصلاة والصيام فى أوقاتها ؟

الحاج على قليج آلب  
(رواق الأنراك)

### الجواب :

هؤلاء يقدر لهم شروق وغروب ومقادير الأوقات بحسب أقرب بلد إليهم فيها شروق وغروب معتادان .

## صلاة التراويح

## السؤال :

أرجو بيان كيفية صلاة التراويح وكم عددها ؟

أحمد أحمد كبصو

قل رفعت - إعزاز - سورية

## الجواب

الثابت أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه رضى الله عنهم ثمان ركعات فى جماعة ثم أتتها فى البيت عشرين ركعة وكان يسمع له أزيز كأزيز النحل فجمع عمر الناس على عشرين وهذا هو المذكور فى كتب الفقه فى باب صلاة التراويح .

## زكاة الفطر

## السؤال :

أرجو بيان نصاب زكاة الفطر ؟

إبراهيم وكمال يوسف

## الجواب :

نصاب زكاة الفطر على مذهب الإمام مالك رضى الله عنه هو ثمانيه أقداح بالكيل المصرى تجزى عن ستة أشخاص وهى من غالب قوت بلد المزكى .

ويخرج الشخص عن نفسه وعن تلزمه نفقته بقرابة أو زوجية أو نسب والأفضل إخراجها قبل صلاة العيد وبعد صلاة الفجر . وعلى مذهب المالكية أيضا يصح تعجيل الزكاة قبل العيد بيومين ، ويجوز على بعض المذاهب إخراجها من أول شهر رمضان . ويجوز أيضا فى بعض المذاهب إخراج قيمتها .

## تعليق على

## زكاة الزرع

## السؤال :

فى الفتاوى المنشورة بعدد رجب اختارت لجنة الفتوى فى زكاة الزرع رأى أبى حنيفة استنادا على أنه الأرفق بالعباد ، على أن هذا الرفق ذو شقين وفى الغالب يتأتى بمراعاة جانب الفقراء فى هذه المسألة كما شاهدته أنا .

عبد الله الشريف

طالب بكلية الشريعة

## الجواب :

ربما كانت الظروف التى صدرت فيها الفتوى تقتضى الأخذ برأى أبى حنيفة تيسيرا على الزارع . فإذا كانت الحال تقتضى الرفق بالفقراء فالجنة ترى الأخذ برأى غير أبى حنيفة من إيجاب الزكاة على الزارع متى اجتمعت شروطها .

# بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرزاق فوده

## المصطلح والقومية العربية :

.. وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى رأيين في علاقة الإسلام بالقومية العربية لأستاذين أزهريين : أحدهما الأستاذ عبد الرحيم فوده . وثانيهما الأستاذ محمد الغزالي ، فقد جعل الأول عناصر القومية أو مبادئها خمسة هي : البيئة . واللغة . والتاريخ . والمصالح المشتركة . والدين ، واعتبر هذا العنصر الأخير مندجاً ومشتبكاً في كل العناصر الأربعة المتقدمة . إذ يقول : « إذا كانت البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة - كما قدمنا - من أهم المقومات التي تقوم عليها كل قومية ، فإن الدين يندمج فيها ، ويمتزج بها ، ويدخل في كل عنصر من عناصرها . ويشترك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها ، (١) ونحن إذا نظرنا ملياً فيما يهدف إليه لا يخرج قوله عن لزوم الدين وضرورته لحياة المجتمع حياة فاضلة ، وهو لا يمنع تعدد الأديان في المجتمع الواحد

(١) انظر ص ٤٧ من كتاب الإسلام والقومية العربية الطبعة الأولى ١٩٦١ .

والقومية الواحدة ، فهو يقول في معرض الرد على من لا يريد اعتبار وحدة الدين أساساً للقومية العربية نظراً لوجود عدة ديانات - أخرى غير الإسلام - في الوطن العربي ما يلي : قد يقول قائل : وكيف تؤثر ديننا على دين في مجتمع يقوم على عدة أديان وتنقسم أهله عدة عقائد . وفي ذلك ما فيه من إغضاب فريق وإرضاء أو مجاملة فريق على حساب فريق ؟ والجواب على ذلك أن الحرية تنسج لعدة عقائد تقوم عليها عدة طوائف ، بحيث تعمل كل منها في ظل عقيدتها الخاصة بها منفردة عن الأخرى .. ثم تلتقي جميع الطوائف لتتضامن وتعاون على تحقيق الهدف المشترك والمصلحة العامة وبذلك نضمن بمجموعات قوية في بناء الأمة بهدء بعضها أزر بعض . وقصارى القول أن تعدد الأديان وتعاونها يمكن في الجماعة الواحدة ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد . ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ، وكل الذي كان يهدف إليه المؤاف هو تأكيد أهمية الدين وحاجة الجماعة إليه ليقبها من الأعاصير ، ولذلك نراه يقول : « ومن هذا الجانب



يعترف بكل دين سماوى وتلاقى فيه فضائل كل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية وقد فصلت فى كتاب الإسلام والقومية العربية كل ما يتصل بهذه المعانى ، ولم أقصده به مجرد الحديث عن ضرورة الدين ، وإنما قصدت به الرد على فريقين كنت ولازلت أراها منحرفين فريق الذين يرون فى الإسلام ديناً عربياً لا يتجاوز العرب إلى غيرهم ، وفريق الذين يرون تنحية الإسلام عن مفهوم القومية العربية ، فكلاهما منحرف عن الجادة بعيد عن الحق لأن الإسلام من حيث موضوعه وتشريعه عام لكل الخلق والأنام ، وهو من حيث اللغة التى نزل بها القرآن ونطق بها النبى عليه الصلاة والسلام عربى لم تنكسب قومية ما كسبته القومية العربية به ، بل لم يقم للقومية العربية كيان فرض وجود على الوجود إلا على عدهاء ونوره .

وحسبى وحسب القراء هذا التعليق القصير على كلام رجل يتمتع بكثير من التقدير .

### بعض الظن لائم

لقد ظن أهل الغرب أو بعض أهل بعض ظنون الناس والناس ما ثم بان بقاء المسلمين جميعهم على الجمل أعصاراً من الدين ينجم

أظهر الحاجة إلى الدين ، ويظهر الدين ضرورة لا يحيد عنها لرد مختلف الأعاصير والفتنارات التى تهدد كياننا الاجتماعى ، وقد عرفنا الدين الذى يعترف بكل دين سماوى ، وتلاقى فيه فضائل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية . ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية (١) .

من كتاب القومية العربية

للأستاذ عبد الرحمن البزار

عميد كلية الحقوق ببغداد سابقاً

### التعليق

إن مكانة الأستاذ الفاضل السيد عبد الرحمن البزار بين قومه فى العراق وبين كبار الأحرار المجاهدين فى سبيل القومية العربية أطل على قلبى وهو يتحرك ليرد عليه ويلفت النظر إلى ما عقب به فى كتابه على كلامى من استنتاج خاطئ ، فإن قوله : ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ليس هو النتيجة المعقولة لامتزاج الإسلام بكل العناصر التى تتكون منها القومية العربية من لغة وبيئة وتاريخ ومصالح مشتركة ، وليس هو كذلك النتيجة المعقولة لقولى : وقد عرفنا الدين الذى

(١) انظر ص ٥١ من الكتاب المشار

إليه .

إن أهال أجدادنا في فلسطين وإرثها وحمايتها هي وصية صريحة لنا بالمحافظة عليها، وحجة ناطقة علينا إن نحن قصرنا فيها أو فرطنا في جنبها، فبالتراث بنوى حماة الأسلاف الصالحون، وأضاعه الأخلاف المفرطون.

ما أضاع فلسطين إلا العرب، وقد جاءتهم النذر فتباروا بها، ثم حق الأمر وهم خارون فادهشوا، ثم وقعت الواقعة قابلسوا، وعدم خطبائهم إلى الخطب ينمقونها. وشعراؤهم إلى القصائد يزرقونها، وساستهم إلى الدعوى يلفقونها، وعامتهم إلى الخرافات يصدقونها بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يمدقونها، وإلى الأهواء ينفقونها، وعدم خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها، وإلى الهمود يمزقونها. وقضى الأمر، وأوسعناهم سبا وراحوا بالأبل. وبعد أن كنا نقول نحن أهل فلسطين، أصبحنا نقول ما قالته الجريمة في مكة.. بل نحن كنا أهلها.

ولا أدري كيف تنتصر أمة تقطعت بسوء صنيعها أما، ثم نذات في الذل حتى صارت تطلب الرحمة من معذبا، وتعلمي الدية لغاتلها ثم ارتكست في السقوط حتى أصبح نصف ملوكها صليانا، وأكثر أدلائها عميانا

**محمد البشير الإبراهيمي**

من مجلة الرسالة عام ١٩٦٣

لقد جهلوا الإسلام كل جماله فأذوه ذما شأن من ليس يفهم جميل صدق الزهاوي من كتاب الزهاوي وديوانه المفقود للاستاذ هلال ناجي،

### قاضية

بلغنا أيام انحلال الأندلس أنه كان في بلد فيها يسمى «لوشة» قاض كانت تفتي أمراته وتشير بالأحكام فينفذها فقال الشاعر الساخر بلوشة قاض له زوجة وأحكامها في الوري ماضيه فياليتها لم يكن قاضيا وباليها كانت القاضية الأستاذ محمد أبو الميرون من مجلة لواء الإسلام

### ارث النبوة الخاتمة

إن فلسطين إرث النبوة الخاتمة من النبوات المنقادمة، نفذ فيه عمر وصية الإسلام، وحرره أبو عبيدة وأصحابه في الأولين من رق الرومان ورجس الأوثان، وأدت وقائع اليرموك وأجنادين شهادتها على استحقاقنا لهذا الإرث، ثم طهره صلاح الدين وجيشه في الآخرين من أدران الصليبيين. وكانت وقائع حطين وعكا وغيرها تزكية لتلك الشهادة باستحقاقنا لهذا الإرث واقتدارنا على حمايته.

## وفي أنفسكم .. أفلا تبصرون !

ويوجد بالجسم ألف مليون خلية عصبية لكل منها عمل خاص ، ومن الغريب أن هذا العدد يعادل أو يقارب سكان الكرة الأرضية اليوم ، وهذه الخلايا يشرف عليها وينظمها المكتتب الرئيسى فى دقة بالغة وفى تنسيق عجيب ، ومن الغريب أن هذه الخلايا لا تتشابه وإنما تختلف حجما وشكلا ومظهرا ، بعضها يشبه العنكبوت وبعضها يشبه الشجرة ، وبعضها عصوى الشكل ، وبعضها مثل كتلة من الأشجار البحرية ، وبعضها تستطيع العين رؤيته ، وبعضها لا تستطيع أن تميزه وقد تمتد فروع بعضها امتدادا ضئيلا ، وقد تمتد فروع البعض الآخر ابتداء من أعلى المخ إلى نهاية الحبل الشوكى ، وهى مسافة لا تقل عن ثلاثة أقدام ، وهذا يذكرنا بسكان كوكبنا الأرضى فتبارك الله العظيم الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى .

دواؤك فيك وما تبصر

وداؤك منك وما تشعر

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

المركتور حيدر محمد أبو المجر

من محاضرة فى موضوع الملكات

النفسية فى القرآن الكريم

إن أماننا كتاب الله الكريم ، وهو معجزته الخالدة ، وآيته الكبرى ، فيه ضياء للقلوب وهدى للعقول ، وشفاء للنفوس ، وبشرى للمحسنين ، وفيه إشارات كلية بجملة آيات الله الكونية . المادية منها والمعنوية ، أما التفصيلات الجزئية فقد أودعها الله كتاب الكائنات ، أو كتاب الحياة ، فالقرآن الكريم يرشدنا إلى أن ندرس آيات الله الكونية فى مذكوت السموات : دأفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . كما يرشدنا إلى أن نجوس فجاج الأرض باحثين منقبين : دأفلم يسيروا فى الأرض فتسكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . وهو مع هذا وذاك يدعونا إلى أن نتدبر العوالم الخفية فى النفوس البشرية فيقول : دوفي أنفسكم أفلا تبصرون .

وإذا تدبرنا النفس البشرية ، ونفذنا إلى داخلها وأمعنا فى مجاهلها صادفنا الجهاز العصبى ، وهو همزة الوصل بين العوالم المادية والعوالم المعنوية فى آفاق النفس البشرية ، وهو أشبه بجهاز حكوى مركزى تركيزا شديدا فى مكتب رئيس يتصل مباشرة بعدد ضخم من المكاتب الفرعية التى يعمل فى خدمتها ملايين الوطنيين . هؤلاء الموظفون هم الخلايا العصبية التى نسميها ( النيورونات ) .

# مجلة الأندلس

مجلة شهرية جامعة

بصيرة من مشيخة الأندلس في أول كل شهر رجب

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المفتون

إدارة الجامع الأزهر  
بالقاهرة

ت ٤٦١٤

يفترق في العيد

عنا من محو العقائد

بذل الاشتراك

٤٠ في جمهورية العربية المتحدة

٥٠ غارح الممورية

ولمدرسين الطلاب تحفيظ على

الجزء الثامن — السنة الرابعة والثلاثون — شوال سنة ١٣٨٢ هـ — مارس ١٩٦٣ م



٢٤٤٤٦  
دوريات

الجامعة المصرية

## من ذكريات العيد في القرية بقتلم : أحمد حسن الزيات

سأترك العيد الذي بزغ سناه لليوم في هلال  
شوال إلى الناعمين الغارين من براعم الصبا  
وأزهار الشباب ، فإن العيد صحة وزينة  
وبهجة ومتعة ، والشموخ لم يعد لهم من كل  
أولئك شيء . لم يعد لهم إلا الذكريات  
الحلوة تعاودهم من عيد إلى عيد . وقد  
طاودتني في صباح يوم الفطر وأنا أنظر  
بعيني السكيلة من شرفة البيت إلى زمر  
الأطفال يمرحون في أثوابهم الجديدة ،  
ويظهرون بلعهم المختلفة ، ذكريان : ذكرى  
من ذكريات القلب في الطفولة ، وصورة  
من صور العيد في القرية ، لا أزال أجد  
أثرهما في النفس حيا على موت الذاكرة ،  
جديداً على بلى العمر . فأنا أنخيلهما اليوم  
كما أنخيل حقيقة الواقع ، وأنمئلهما الساحة  
كما أنمئله حوادث الأمس .  
كان ذلك وأنا في العاشرة من عمري ،  
أغدو إلى الكتاب في الصباح وأروح منه ، إلى  
البيت في المساء ، ومعى في الغدو والروح  
رفيق من لداتي في السن ومن جيرتي في الحارة ،

البالغ . ومع ذلك كان راضيا مطمئنا لا يمد عينيه إلى متعة ، ولا يحسد غيره على نعمة .

\* \* \*

ذهبت أيام رمضان الغر وإليه الطهر من تلك السنة ذهب النسمات الرخية هبت على الدنيا من رياض الجنة فعمطت الأنفاس ولطفت الطباع وقربت ما بين السماء والأرض . وأصبح يوم ( الوقفة ) فإذا الكهول والشباب من أهل القرية يمتطون حميرهم في نشاط ، ويسلكون طريق السوق في زباط ، ليشتروا من المنصورة حاجة العيد من لحم و ( فطرة ) ، وكان أكثر الفطرة اتمر والحروب وأقلها البندق وعين الجمل . وكان ضعاف الدين من النشء يسمون يوم ( الوقفة ) عيد الشباب ، لأنهم كانوا يستبشرون فيه الإفطار ليملاؤا بطونهم بالجمان من أصناف ( الفطرة ) بحجة انتقاء الأجود منها قبل الشراء . وكان تجار النقل يتساعون في هذا ( الاختبار ) وإن أسرفوا فيه استمالة لهوام واجتلابا لسواهم . وكان من تخلف في القرية من النساء والأطفال ينتظرون رجوع العير بالأخراج الموقرة على صبر نافذ وشوق شديد . فإذا ما رجعوا نفحوا المتشوقين المتشوفين بقبضات مختلفات من التمر أو الزبيب فيزفزون البنون ويزغرد البنات ويقع البيت كله في زباط شديد ، ولكنهم يتذكرون

لا نكاد نفترق بياض النهار وقليلًا من سواد الليل ... كان هذا الرفيق هو صديقي الأول في المرحلة الأولى من مراحل العمر . وكنت أحبه دون سائر الرفاق لمشابهة بيني وبينه في الخلق والطبع والهيئة ، فضلا عما كان يتميز به من وسامة تلوح على وجهه ، ووداعة تشع من عينه ، ورقة تشيع على فمه ، وطيبة تنبعث من قلبه . كان رقيقا في لعبه فلا يعمد إلى الحشونة ، عفا في حديثه فلا يميل إلى الفحش ، وثرأ لإخوانه فلا يخص نفسه بلعبة أو متعة ، فذكرته لكل لاعب وكتابه لكل قارئ . وعونه لكل محتاج ، وكان مقيا للصلاة في أوقاتها الخمسة . فإذا أقبل شهر رمضان تعاقبنا التبليغ وراء سيدنا وهو يصل التراويح إماما في بيت الله ، وتناوبنا تلاوة القرآن معه وهو يحكي رمضان قارئًا في بيت العمدة .

كان أبوه الفلاح النجار من الأجراء ( التلمية ) في تفتيشه على باشا شريف لا تزيد يوميته على ثلاثة أرباع القرش ، ولا سنويته على فدان من أرض الدائرة يزعه شعيرا أو ذرة . لذلك كان لا يملك من الثياب إلا جلبابا واحداً يشتريه له أبوه في العيد الصغير فيلبسه على اللحم العام كله . وكان يحرص على صيانة هذا الجلباب أشد الحرص فلا يمزقه باللعب العنيف ، ولا يبله بالغسل

يكل بعضها نقص بعض ، فإذا فرغوا من ذلك ناموا بقية الليل على مهددة الأحلام ومناعة المنى ، وتركوا النساء أمام الأفران والكوانين ينضجن الحخب ويطهون اللحم ويصنعن الحلوى حتى الصباح .

\* \* \*

فرغت أنا وصديقي عبد الحافظ النجار من قراءة ما تيسر من كتاب الله على أرواح موتانا ، ورأينا الناس ينصرفون فانصرفنا ولم يبق من شعبة فانوسى إلا عقب لا يكاد يبلغ بنا الدار .

وفي أثناء الطريق قال لى رفيقى بصوت خافت ولهجة حزينة : ربما لا أراك غدا ، فكل عام وأنت طيب . فقلت له وأنا أحدهم بنظرى فى استغراب ودهشة : ولم لا ترانى يا عبده ؟ لقد أعددت لك الكرة للعب والحبلى لتتأرجح . فقال : لا أحب أن يرانى الصبيان وليس على جسدى جديد ، ولا فى رجلى حذاء ، ولا فى يدى قرش ، ولا فى جيبى فطرة ، لم يستطع أبى أن يحقق لى شيئا من ذلك لأنه مريض منذ ستة أشهر فانقطعت أجرته من (وسية) الباشا بانقطاع عمله .

فقلت له وأنا أربت على كتفه : هون عليك يا عبده فإن أكثر الأطفال على مثل هذه الحال ، وما دمنا معا فكل شئ جديد ، وكل يوم عيد . فقال لى بلمحة العزوم الصارم :

أن رمضان الحبيب يلفظ أنفاسه الأخيرة مع الشمس الغاربة فتتشع الأصوات وتنهل العبرات ويخامر الناس الخوف من انطلاق الشياطين المقيدة فيجلس الصبيان على أبواب الحجرات يكررون البسملة ويضربون حديداً بحديد ، حفظاً للبيت من دخول شيطان مريد .

فإذا دوى مدفع الإنطار الأخير من البندر ، ورفعت صوائى الطعام من الحارة ، وقضيت صلاة المغرب فى المسجد ، خرج أهل القرية جميعاً إلى المقبرة ومع كل أسرة فانوس يحمله الرجل ، وسبت من الفطير تحمله المرأة ، حتى إذا بلغوها وضعوا المصابيح على أوجه القبور وجلسوا أمامها يستذكرون ويستمبرون وقد اختلط ندب النساء بتلاوة الفقهاء : أولئك يعددون مناقب الموتى بمراثين الموقعة ، وهؤلاء يكررون على كل قبر سورة (يس) بتلاوتهم المسرعة . ثم تعود القرية الحية من القرية الميتة ليتجهزوا للعيد بجهازه فيقضون الهزيع الثانى من الليل فى طسوت الاستحمام أو فى دكان المزين . والاغتسال بالماء الحار لا يعرفه الفلاحون إلا ليلة العيد وليلة العرس ويوم الموت ! ثم يعددون زينتهم فيكثرون العائم ويصبغون الأحذية ، ومن لا يحسن لوث العمامة أو لا يملك علبه (الورنيش) ذهب بطربوشه أو حذائه إلى قريه أو جاره . والقرية كلها أسرة واحدة

تحت الجدار القصير وأخلدت إلى السكون ،  
إلا إذا حركتها طبيعة الحياة فيصيح ديك  
أو تقوق دجاجة ، فلما قضينا حاجتنا  
من متع العيد كلها جلسنا عن جانبي الجدة  
الطيبة وألقينا إليها السمع لقساقت فيه الكلم  
المعذب من ( حدوتة ) طويلة مشوقة حتى  
بدت في جفينا فترة الكرى فغفونا على  
حصىرتنا إلى أن انطلقت مدافع الغروب  
على شاطئ النيل بالمنصورة ، وجلجل صوت  
أبي عامر بالأذان على سطح الزاوية .

\* \* \*

كان هذا العيد المحصور بين صحن الدار  
وحظيرة البقرة ومجلس الجدة أسعد من عيد  
الآخرين الطليق بين ساحة القرية وبحالي  
الحقول وملاهي البندر لأنه كان عيد قلبين  
صغيرين لم ترسب فيهما أكداد الحياة بعد ،  
نخلوا من المم والحقد ، وامتلأ بالرضا  
والغبطة ، والأرض على رحبها تختصر أحيانا  
في مكان ، والسعادة على تفرقها تجتمع كلها  
في وجودك مع إنسان ، والصداقة الطفلية  
الأولى صيقة لأنها احتلت القلب على خلو ،  
لاصقة لأنها خالطت الشعور عن جاذبية ،  
باقية لأن حدثان الدهر تجري عليها وهي  
راسخة في القاع .

\* \* \*

ظلت صداقتنا البريئة الحلوة تنمو مع

هيات ! لن أجعل الصديان يشعرون أني أصغر  
منهم شأننا وأن أي أضعف من آباتهم قدرة ،  
وساقضى مع ابني المريض وأمي البائسة  
وجدتي العجز العبد الذي اختاره لنا القدر ،  
فقلت له وقد يئست من صرفه عن عزمه :  
ليكن ما تريد . وسأعيد معهم ومعك .

وغدوت عليه في داره بعد صلاة العيد وزيارة  
المقبرة ووجبة الإفطار ومعنى نصبي كله من  
النقل والكلع . وقضينا يوما من أسعد الأيام :  
نلعب بالآلات النجارة ، ونلهو بأوراق اللعب ،  
ونستذكر ما حفظنا من السور القصيرة ،  
ثم نركض وراء الكرة من الغناء إلى الحظيرة ،  
ومن الحظيرة إلى الغناء ، وذهبت فحئت  
بجمل المحراث وشددناه من طرفيه إلى عرق  
غليظ في سقف الزريبة وأخذنا تتأرجح ،  
وكان كل شيء في الدار مبتهجا بابتهاجنا  
مغتبطا لاغتباطنا ، فالأب قد نسي مرضه  
وقعد القرفصاء يرامقنا بعين قريرة ونفس  
مطمئنة ، والأم قد تركت عملها وجعلت  
تبارك مرحنا بالنظر الخنور والقلب  
المطوف وتحمد الله على أن جاء العيد  
لابنها في الدار بعد أن رفض أن يذهب إليه  
في القرية ، والكلب الأليف كان يقبع  
خطواتنا من مكان إلى مكان ، وهو ينبج  
كأنه يضحك ، ويبصص كأنه يحامل ،  
والدجاجات قد أخلت لنا صحن الدار وجشمت

مشاءنا وهو اطفنا ثلاث سفين طبعنا آثارها  
في المكتب وفي الملعب وعلى ضفاف بحر  
شبين، حتى دما مصروبا الكولر سنة ١٩٠٢  
فصحا أهل القرية ذات صباح فإذا كل غرفة فيها  
مرريض، وإذا كل ساعة فيها جنازة، فهان  
الموت ورخصت الأموات حتى لا يعاد محتضر  
ولا يشيع ميت ولا يعزى حي. كان الموت  
الوحي الذريع يتخطف جيرتي في الحارة  
واحدا بعد واحد، نخلت الملاعب من  
الأطفال والمصاطب من الرجال والمكاتب من  
الصلية، وهجم الوباء الهندي الأصفر على دار  
عبد الحافظ فاختطف والديه في أسبوع،  
وبقيت الجدة على حصيرتها الحشنة تبكي الابن  
وتندب السكنة وتحنو بأضلاعها المشقة على  
الحفيد، ولكن حنوها الشديد لم يدفع قضاء  
الله، فأصبح عبد الحافظ يشكو ظمأ لا ينقعه  
ماء، وقيثا لا يمنعه دواء، وإسهالا لا يقطعه  
شيء، فعلت جدته أنه الموت، فضجت  
بالصراخ ورنّت بالعويل، وسمع الجيران  
جزعها فشاركوها من بعيد. وكان أبي قد حرم  
علينا غشيان الدور ومخالطة الناس، ولكنني  
تسللت إلى دار المريض العزيز فوجدته يكابد  
هول الداء وحده، فلا أبوه يخفف عن كبده

سعار العطش، ولا أمه تمسح عن ثوبه رنجع  
القيء، فانهلت بواذر دمعي، وأحسست حرقة  
الحزن في صدري، وكان بيتنا يشرب الماء  
مغلي فلم يصب أحد منا بسوء، فظننت أن  
الدواء في هذا الماء، فحملت منه قنينة إليه  
كما حملت مثلها بالأمس إلى (زهرة) بنت  
الحارة صديقتي وصديقتي. فلما رآها في يدي  
افترت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة غائمة،  
فجرعته منها جرعات، ثم جلست بجانبه  
أبل صداه بالقنينة من لحظة إلى أخرى حتى  
وقف الماء في حلقه فلم يستطع أن يسبغه.  
ثم شخص بصره وحشرج صدره وأخذه  
فوافق ضعيف ثم لفه سكون شامل !

أبدأ لن أنسى هذين اليومين من حياة  
صديقي الأول : يوم قضيت معه يوم العيد  
وهو يقاسي هم الوحشة، ويوم قضيت معه  
يوم الموت وهو يكابد ألم الوحدة ! !

وا حسرتاه على قريني الصغيرة ! لقد أقبل  
عليها عيد الفطر من تلك السنة الحزينة،  
والموت قد ختم على أكثر الدور، وتقل  
نصف أهلها من الدور إلى القبور !

أحمد حسن الزيات



# فن الشعر العربي وحيد في لغات العالم

للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الرأي ويذهب في قراءته لبعض قصائدها مذهباً يدعو إلى إعادة النظر في مسألة العلاقة بين الأوزان العربية والفارسية ، وإلى مطالعته هذه يشير الباحث الفاضل الدكتور محمد غنيمي هلال ، فيقول في الطبعة الثانية من كتابه عن الأدب المقارن بعد تمهيد عن أثر العرب في آداب الفرس : ( إن الأدب الهلوي أو الإيراني القديم راجت فيه نزعة شعبية يقصد بها إلى شرح وجوه نظر مختلفتين في شكل حوار أو جدل ... وقد بقى لنا من الأدب الإيراني القديم حوار أدبي عنوانه - الشجرة الأشورية - وهي النخلة. ... موضوعه حوار بين النخلة والتيس أيهما أفضل من الآخر ، وقد وصلت هذه القطعة إلينا مكتوبة على طريقة النثر ، ولكن العالم الفرنسي - بنفست - اكتشف أنها في الأصل ذات وزن وقواف ، وأن النسخ كتبوها في صورة النثر جهلاً منهم بالشعر الإيراني القديم ، وهذا الوزن قريب من المتقارب المشوي المعروف في العربية

من المقرر في تاريخ الأدبين العربي والفارسي أن اللغة العربية انفردت بفن العروض ، وأن بعض أوزان الشعر في اللغة الفارسية مستعار من أعاريض العرب ، ويغلب أن تكون الاستعارة من قبائل العرب التي اتصل بها أناس من رواد الشعر الموزون بين شعراء الفرس الأقدمين .

وقد كان الجاحظ يقرر هذه الحقيقة على علم بوجوده المقارنة فيها ، وقد ألمعنا إلى قوله في هذه المسألة وعقبنا عليه في أحد الفصول من كتاب اللغة الشاعرة .

والأديب الفارسي ( محمد عوف ) يعرض لهذه المسألة كما عرض لها الجاحظ ويرى أن ( بهرام جور ) كان رائد الشعر الموزون بين شعراء الفرس الأقدمين ؛ لأنه عاش بين العرب وتأدب بأدابهم ، كما هو مشهور .

ولقد مضى الرأي على هذا الاعتقاد إلى السنوات الأخيرة ، ولكن المستشرق الفرنسي ( بنفست ) Benveniste يستخلص من مطالعته في اللغة الهلوية القديمة رأياً غير

وقصها الملحنون فصارت (أناشيد) تعزف على الآلات بمصاحبة الأصوات أو بغير مصاحبتها .

ومن أمثلة هذه الأغاني النثرية أغنية بائعات اليانصيب في بعض المسرحيات الفكاهية ، ونكتفي منها بهذه الكلمات :

(خذلك نمرتين وإن كسبت ابق تعالى فسحنا)  
ومثلها أكثر الأغاني في المسرحيات الفكاهية فإنها تتوقف على الموسيقى لتحسب من الكلام المنظوم ، تبعاً لنظم الغناء .

أما الشعر الذي يقال عنه إنه موزون في اللغات الأجنبية فليس له فن من الوزن مقدور بغير مقادير التلحين على اختلاف القاعدة في تقسيم ألحانه . فهم تارة يحسبونه بالسطر وتارة بعدد المقاطع وتارات أخرى بعدد النبرات أو هدد مواضع الوقوف ، وحكمه من الناحية الفنية حكم الكلام المنشور الذي لا فرق بين المرسل منه والموزون في اعتماده على الغناء وتطويعه الألحان الموسيقية

وليس بالمتعذر على العارف بفن العروض العربي أن يقطع سطراً من الشعر الانجليزي بمقياس التفاعيل في توزيع الحروف الساكنة والمتحركة ، دون أن يكون للتفاعيل أساس من بنية الكلمة التي تنتظم في اللغة العربية على قواعد مطردة للأوزان والحروف التحريك والفسكين .

ثم في الفارسية الحديثة بعد الفتح الإسلامي).

ونحن لا نحسب - بعد اطلاعنا على خبر هذا الكشف الجديد - أن الحقيقة تتغير في أمر انفراد اللغة العربية بالفن العروضي ؛ لأن المسألة في أساسها ليست بمسألة وجود الوزن الشعري في آداب اللغات الأخرى ، فإن وجود الوزن في أشعار أمم غير الأمة العربية لم يكن قط موضع خلاف بين مؤرخي الآداب الغربيين أو الشرقيين ، وإنما يدور البحث في هذه المسألة على حقيقة لا شك فيها كذلك : وهي انفراد الشعر العربي بفن عروضي مستقل عن الغناء سواء تغنى به الناظم أو اكتفى بإنشاده بغير تنغيم أو بغير (موسقة) كما يقال في الاصطلاح الحديث . فالأمر المحقق أن هذا الفن العروضي خاص بلغة العرب لا نظير له في لغة أخرى من اللغات على اختلاف أصولها السامية أو الهندية الجرمانية .

أما وزن الشعر وتطويعه للغناء فلا خلاف في عمومه بين كثير من أمم العالم ، ولكن الفرق بين الوزن الذي يتوقف على الغناء والوزن الذي يستقل بنظمه على مجوره المختلفة وتفاعيله المتعددة هو أن الشعر والنثر سواء في قابلية (الموسقة) والإيقاع ، وعندنا في اللغة العربية الدارجة أغاني مشورة

باختلاف مقاديرها الموسيقية ، هي والخاصة ،  
التي انفرد بها الكلام العربي كله ووجب  
أن يكون لها أثرها في استقلال فن الشعر  
عن فن الغناء ، ويعمل في تمكين هذا  
الاستقلال الفني أن مصاحبة الشعر للغناء  
في حذاء الإبل كانت تجري على وتيرة واحدة  
باختلاف السرعة أو الأناة في حركة البعير ،  
ولعل هذه الوتيرة هي أساس التلحين في فن  
العروض وفن الغناء معا عند شعراء العرب  
الأقدمين ، وبين الإيقاع على وزن مطرد  
والإيقاع على وزن قابل للتغيير فرق ظاهر  
هو الفرق بين حركات سير الإبل وحركات  
الرقص عند الأمم الأخرى ؛ فإن الرقص  
يجري على نغمات تختلف باختلاف حركاته  
ولا يلتزم قاعدة غير القواعد الموسيقية العامة ،  
ولهذا سميت التقسيمات التي تقابل التفاعيل  
عندنا باسم الأقدام Feet في اللغات الأوروبية  
وليس لها ضابط مستقل عن ضوابط الموسيقى .  
ونعود إلى الكشف الذي اهتمدى إليه  
العالم الفرنسي فنقول : لأنه مما ثبت استعارة  
الوزن الفارسي من الأعاريض العربية ولا  
ينفها ؛ لأن وجود بعض الشعر الفارسي  
موزونا وبعضه الآخر غير موزون أو غير  
مضبوط بالأعاريض على جملة البحور دليل  
على وجود أصل للشعر الفارسي مرسل في  
الكتابة وفي الإنشاد ، وليس للشعر العربي

ومن أسباب هذا الفارق - فيما نعتقد - أن  
الكلمات في اللغات الأجنبية تتألف بلصق  
بعض الحروف ببعض على غير وزن مطرد ،  
ولكنها في اللغة العربية تألف على قواعد  
من أوزان معلومة وقوالب مطردة ، ويمكن  
أن تتقابل فيها السواكن والمتحركات بين  
التفاعيل وبين الألفاظ على نظام مطرد لا يتغير  
وليست المدة الزمنية التي يتلى فيها السطر  
أو المقطع أو النبرة هي محور التقسيم والتنغيم  
ولكن المحور الذي يدور عليه كل تقسيم وتنغيم  
في اللغة العربية هو أوزان الاشتقاق وجريان  
الكلمات كلها على أوزان متكررة حتى  
في الجوامد أو الأعلام التي تنقل إلى اللغة  
العربية ، وتصاغ عند النقل بصيغة تشبه  
أوزان المشتقات .

وشبه هذا السبب في هذا الفارق بين أوزان  
الشعر عندنا وأوزان الشعر عندهم أن الحركة  
مقدورة في كلمتنا على حسب درجاتها من  
الامتداد ، فعندنا الحركة التي يمثلها الشكل  
بافتحة أو الكسرة أو الضمة أو السكون ،  
وعندنا حركات حروف العلة كالألف والواو  
والياء ، وعندنا حركات حروف العلة الممدودة  
أو المضاعفة التي تمتد بامتداد حرفين كالألف  
الأمال وياء الإيمان والواو بعد الحرف  
المهموز في مثل كلمة الموءودة .

فهذه الأوزان التي تلازم جميع المشتقات  
والجوامد ، وهذه الحركات التي تختلف

ومما قاله في هذا المبحث الغنى العلمى فى مقام المقارنة بين فنون الشعر أن الشاعر اللاتينى الكبير هوراس كان يفخر بأنه استهوى عرائس الشعر اليونانى إلى زيارة وطنه الرومانى وهو يقصد بذلك محاكاة أوزان الشعر الغنائى فى لغة اليونان . . . قال : ولكن مامن أحد يستطيع أن يفخر باستهواء عروس الشعر العربى إلى زيارة الجزر البريطانية أو يفخر « بنجلزة » تلك العروس العصية ، وكل ما يمكن أن يقال إن الشعر العربى قد يمثل مزيج من بلاغة الشاعر بوب اللفظية ، ومن بلاغة الشاعر شلى العاطفية ومن نزعة الشاعر لورنس الصريحة ، ولكنه وصف لا يغنى عن الحقيقة ولا يصلح بديلا لها لمن لا يعرفها .

قال وإن اللغة العربية لغة تقية صافية على نحو لم يتوافر لغيرها من لغات الحضارة ، وأنها مع ذلك تستطيع أن تؤدى العبارة التوراتية المقدسة كما تستطيع أن تؤدى عبارات الأدب ، واستشهد الكاتب برأى الشاعر المعاصر المشهور « عزرا باوند » الذى يصف الشعر العربى وصفا « اصطلاحيا » بأسلوبه المعروف ، ويمكن أن يقابله باللغة العربية أن هذا الشعر جامع بين القدرة التصويرية والقدرة الموسيقية ، وأنه ما يروق البصر والسمع فى آن .

أصل سابق للأعارض من الكلام الموزون بوزن البحور والتفاهيل ، فهو فى مقام الاستعارة أولى بالأصالة والتقدم على الشعر الذى هرف فيه المنظوم وغير المنظوم . وبين أيدينا - ونحن نكتب هذا المقال - عدد شهر يناير من مجلة « الإنكوانتر » Encounter أو المساجلة والمناوشة فى أقرب معنى لها باللغة العربية ، وهى مجلة عالمية تفسر للختصين بموضوعات الأدب والفن أحدث البحوث فى النقد والتحليل على نمط الدراسات العصرية ، ويغلب على بحوثها الاستقلال عن المذاهب والنزعات المتضاربة التى يتحيز لها بعض أصحاب الدعوات المتطرفة ، وقد نشرت فى هذا العدد الأخير منها فصل بعنوان « عروس الشعر العصرية » للسشرق ديموند ستيوارت يعنى بها فن الشعر العربى ويخلص من المقال كله إلى تقرير رأى الغالب على العارفين بهذا الفن من أدباء الغرب : وهو الشهادة له بأنه أدق الفنون وأعصاها على المحاكاة وأحوجها إلى العناية عند النقل والترجمة ؛ لأن مزاياه ليست من قبيل المزايا الشائعة فى آداب الأمم ، وليس له نظير فى اللغات السامية نفسها التى تنسب لها اللغة العربية ... وهو يصف اللغة العبرية « بالبرورية » بالقياس إلى لغة الضاد التى وسعت ثقافة عالم واسع من عوالم الحضارة العالية .

هؤلاء بإهمال أوزانه التي لا يقدرُونَ عليها ، فإن  
عجزهم عن نظمه شاهد على تجردهم من إلهام  
المطبوعين الذين يقدرُونَ عليه بغير تعليم ،  
وقد يسكون من القادرين عليه من يحمل كلمة  
العروض ولا يدري معنى التفاعيل .

وقد انفردت اللغة العربية بهذا الفن المطروح  
لأهله ، العصى على الغرباء عنه ، فليس من  
حقها علينا وليس من حقنا على أنفسنا أن  
نفقد مزايها بأيدينا ، لأنها بلغت تمامها  
عندنا ولم تبلغ هذا التمام عند غيرنا .

عباس محمود العقاد

ولم نفهم من قول الكاتب عن عروس  
الشعر العربي إنها « أعصى هرائس الشعر » ،  
إلا أن مراسها صعب على غير أهله ، وأن  
صعوبته إنما يحسها من يحاوله وهو غير  
مطبوع عليه وليس فيه صعوبة على قرائه  
ولا على الموهوبين من ناظميه والمشفوفين  
بمحاسنه ، وهي حقيقة واضحة من سهولة نظم  
أوزانه على المطبوعين من شعراء اللهجة العامية  
أو الزجالين الأميين والنائمات الأميات .  
ولامصلحة للشعر في أن يستبيحه غير المطبوعين  
من المتعلمين أو غير المتعلمين إذا اقتحمه

## قصور العرب في النقد

للغريب ، كانت أجود . وكلما كانت المعاني  
أرسخ في القدم ، وأصل في الابتكار ، كانت  
أفضل . ومن ذلك كان أغلب النظر مقصوراً  
على الآيات المفردة الشاهدة على صحة الكلمة ،  
أو سلامة القاعدة دون النظر إلى علاقتها  
بالقصيدة . وكان الرأي مجتمعاً على تقديم الشعر  
الغريب على المأنوس ، وتفضيل الشاعر  
القديم على المحدث ، وقد أغرقوا في إبطار  
الجاهلي على الإسلامي ، من غير ميزة إلا  
الأقدمية ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء :  
« لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ،  
ما فضلت عليه أحداً » .

من كتاب ( في أصول الأدب ) للزيات

من أسباب قصور العرب عن النقد البياني ،  
أن أسبق الأدباء إلى النقد هم اللغويون  
والنحاة . كانوا هم قضاة الشعر في أواخر  
القرن الثالث ، إليهم يحتمك الشعراء ، وعندهم  
بأخذ الملوك والأمراء ، حتى قال الخليل بن  
أحمد : « إنما أتم معشر الشعراء تبع لي ،  
وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت  
قولكم نفقتم وإلا كسدتكم » .

وغير هؤلاء اللغويين والنحاة من النظر  
في الشعر إنما كان جمع الشواهد على غريب  
الألفاظ وصحة القواعد ، وتسجيل معاني  
الشعر ، ومن ابتكرها ومن سرقها . فكلما  
كانت القصيدة أحفل بالشواهد ، وأجمع

# مناهج الإسلام

## للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

— ٢ —

عرفنا نظرة الإسلام إلى عقد الزوجية ، واحتماره إياه من أهم العقود والمواثيق التي يجب رعايتها ، وألا تتخذ آيات الله في شأنها هزوا . وأن الإسلام من أجل هذا حرص على تشريع كل ما يقوى هذا العقد العظيم ، ويجعله مؤدياً إلى الغايات المقصودة منه .

وتبدو هذه العناية التشريعية فيما يأتي :

المناهج التي شرعها لما قبل العقد .

المناهج التي شرعها لتثبيت الحياة الزوجية .

المناهج التي شرعها لما بعد انقضاء الحياة

الزوجية بالطلاق أو الموت ، ولإيكم البيان :

أولاً : المناهج التي شرعها لما قبل العقد :

### الترغيب في لزواج :

١ — فمن ذلك أنه يرغب في الزواج ،

ويحث عليه القادرين ، أما غير القادرين ؛

فيرشدكم إلى ما ينبغي أن يستعينوا به حتى

يقدرُوا :

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ،

ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء . »

وأول ما يفهم من هذا الحديث رغبة

المشرع في الإقبال على الزواج ، فهو يدعو

إليه معشر الشباب الذين هم في با كورة العمر ،

والذين هم أقدر بحكم سنهم على التوفية بحقوقه

وبحقوق الفطرة الإنسانية فيه . وقد جرت

العادة بأن الزوجية المبكرة في السن الصالحة

لها ثمر استقراراً بين الزوجين ومحبة ،

وتعين على الاحتفاظ بذكريات من الشباب

تظل على مدى الأيام نسياً معطراً لجو الزوجية

حتى في عهد الكهولة والشيخوخة ، أما الزواج

الذي يرى الذي لا يتم إلا حين تكون جذوة

الشباب قد خمدت أو كادت ؛ فإنه يكون أشبه

بالصدقة المستحقة ، وقد لا يشمر ثمراته

المرجوة ، وإذا أثمر كانت ثمراته في كثير

من الأحيان أشبه بثمار الصيف على أبواب

الشتاء ، أو بثمار الشتاء على أبواب الصيف .

لذلك كان الشباب هو الفرصة المناسبة

للزواج ، وكان من حكمة دين الفطرة أن يلفت

إلى هذه الفرصة داعياً إلى انتهازها .

وأمر آخر في هذا الحديث الشريف : هو

تخصيصه هذه الدعوة إلى الزواج بمن استطاع

الذين فسروا الحديث به فنقول : هل أردتم بهذا أن الصوم له أثر حسي في إضعاف الجسم يترتب عليه إضعاف الرغبة الجنسية ؟ إن كان هذا هو مرادكم فإن به شيئاً من الضعف ، إذ أن الطب والتجربة لا يقران ذلك ، بل الصوم فيه تقوية للجسم ، وتصفية الفضلات المعدة وما يثقل البدن ويعوقه عن أداء وظائفه ، وفيه إراحة للأمعاء وتنشيط لسائر أجهزة الجسم ، وقد ثبت أن الامتلاء والتخمة يضعفان الرغبة الجنسية ، وإن كان المراد ما في الصوم من تهذيب نفسى يجعل المرء متصلاً بربه ، بعيداً عن تلبية نوازح الفطرة من حرام ؛ فذلك معنى مقبول في ذاته ، وكأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يصف الصوم علاجاً نفسياً لا علاجاً جسياً لمن لم يستطع تكاليف الزواج ، فيقول له : استعن بالصوم فإنه علاج نفسى تهذيبى يجعلك فى حصانة من تلبية دواعى الشهوة ، حين تشعر بأنها تلح عليك . وأنتك لا تستطيع أن تؤديها من حلال ، فيمنعك صومك أن تؤديها من حرام ؛ لأن الصيام بما له من قوة تهذيبية يصونك ويحجزك .

نقول : هذا المعنى فى ذاته حسن ، ولكنه تسكليف على جانب كبير من الشدة والعسر ، فإننا إذا جئنا إلى الشباب الذين هم فى باكرة العمر ، وفضارة الصبا ، وقلنا لهم : أتم الآن غير مستطيعين لتكاليف الزواج بسبب قلة

الباءة ، ، وقد فسر هذا اللفظ فى اللغة بمعنيين : أحدهما عقد التزويج نفسه ، والآخر الأمر الجنىسى الذى يكون بين الرجل والمرأة . ولكن ينبغى أن نسق بعد المعنى الثانى من أول الأمر ، ولا تقبل تفسير الحديث به ، كما فعل بعض الشراح ، لسبب واضح فى الحديث نفسه هو أنه يقول : « ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء » . ومن كان غير مستطيع للباءة بالمعنى الثانى ، فليس فى حاجة إلى أن يوصف له الصوم أو غير الصوم ليقمع عنه الشهوة ، فالغرض أنه غير قادر . ويبقى المعنى الأول ، وهو عقد التزويج ، واستطاعته هى القدرة على تكاليف الزواج ونفقاته ، فهو يقول : من كان منكم قادراً على نفقات الزواج وتكاليفه فليتزوج ، فإنه - أى الزواج - أغض للبصر ، أى أشد غضاله ، وأحصن للفرج ، أى أكثر إحصانا . وهذا يدل على أن الأمر الموجه إلى الشباب ليس عاماً ، وإنما هو خاص بمن قدر منهم على تكاليف الزوجية والتزاماتها . والشطر الثانى من الحديث وهو قوله : « ومن لم يستطع فعله بالصوم ، فإنه له وجاء » قد فسر بمعنى منقول مشهور ، وهو أن الصوم من شأنه أن يضعف نوازح الشهوة ويقمعها ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يصفه لمن لا يجدون تكاليف الزواج . ونود أن نقف قليلاً ههنا هذا المعنى لنناقش

وقال أبو عبيدة : كل ممسك عن طعام ،  
أو كلام أو سير ؛ فهو صائم .

وعلى هذا فالمراد بالصوم في هذا الحديث  
الصبر والتعفف وربط العزيمة على الانتظار  
حتى يسر الله أمر الزواج ، وهذا هو الشأن  
في كل ما يرغبه المكلف وتتجه إليه نفسه :  
عليه إن أراد شيئاً وعجز عنه ، ولم يستطع  
أن يصل إليه من وجه حلال ، أن يصبر  
ويكافح نفسه ويصوم عن هذا الشيء . ويمسك  
عنه ، ويتريث حتى يصل إليه من حله .

وهذا المعنى هو الذى يتفق مع قوله تعالى  
في شأن غير القادرين على تكاليف النكاح :  
« وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى  
يفنيهم الله من فضله » . فقوله عليه الصلاة  
والسلام : « فمن لم يستطع فعليه بالصوم ،  
- أى بالإمساك عن الزواج مع الصبر  
ورباطة الجأش - هو فى معنى قوله تعالى :  
« وليستعفف الذين لا يجدون » .

وبهذا يتفق الحديث مع الآية فيما يصفاه  
من علاج اجتماعى لمن لم يستطع تكاليف  
إنشاء أسرة ، وإقامة بيت ، ويكون هذا  
العلاج فى تناول المكلفين على اعتبار أن  
مطالب الحياة لا يمكن أن تتحقق لكل  
إنسان من أول الأمر ، وأن على الإنسان  
أن يصبر ويستمسك بإرادته القوية ،  
ويصوم عما لا يستطيع ، حتى يجد السبيل  
إلى تحقيقه من وجه شريف .

مرتباً بكم وعدم كفايتها لإنشاء بيت زوجى ،  
فعليكم أن تنتظروا وأن تصوموا فى فترة  
الانتظار حيناً بعد حين حتى تهذب نفوسكم ،  
وتنقمع بهذا التهذيب شهواتكم الفطرية ؛  
إذا قلنا لهم ذلك ؛ فلا شك أننا نكفهم -  
وهم فى هذه السن - تكليفاً شاقاً لا يستطيعونه ،  
أو هم هلى الأقل يتبرمون به ، وقد يضيقون  
به ذرعاً ، والله تعالى لا يحب أن تؤتى عباداته  
على كره وتضرر وامتناع .

ولذلك لا أستريح أيضاً لهذا التفسير .

والرأى عندى - وإن لم أكن رأيت لأحد  
من قبل - هو أن المراد بالصوم فى هذا  
الحديث الصوم اللغوى ، وهو : الإمساك  
عن الشيء . أيا كان - قال صاحب التهذيب :  
الصوم فى اللغة هو الإمساك عن الشيء  
والترك له ، وقيل للصائم صائم إمساك عن  
المطعم والمشرب والمنكح ، وقيل للصائم  
صائم إمساك عن الكلام - يشير إلى قوله  
تعالى : « إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم  
اليوم إنسياً » . وقال الخليل : الصوم قيام  
بلا عمل - ومنه صامت الشمس عند انتصاف  
النهار إذا قامت ولم تبرح مكانها ، وصام  
النهار صوما إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ،  
قال امرؤ القيس :

فدعها ، وسل الم عنك بحجرة

ذمول ، إذا صام النهار ، وهجرأ



على الزواج ، وترغب فيه ، وينبغي أن تحمل على هذا الحديث في أنها مخاطبة للقادرين .  
 منها ما رواه أنس من أن نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لا تزوج ، وقال بعضهم : أصلي ولا أنام ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأنام ، وأتزوج النساء . فن رغب عن سنتي فليس مني .

وعن سمرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل - رواه قتادة وقرأ ، ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، إلى غير ذلك من الأحاديث التي تتجلى فيها رغبة المشرع في عقد الزواج ، وحث القادرين عليه ، والتي تدل على كراهية العزوبة والتبتل ، ولو أن الناس عملوا بها لما قامت أزمت الزواج ، ولما وجد في المجتمع شبان متعطلون بدون مبرهن أداء وظيفة الزوجية المقدسة ، ولا شبابات تنطوي عليهن البيوت زمانا حتى يصبحن عانسات ، وقد كن آנסات !

مقياس الاختيار للزوجة الصالحة (٢) ومن ذلك أن الإسلام يرسم للأزواج منهج الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة التي من شأن زواجها أن يستقر ويثبت .

\* فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وبعد هذا التحليل للحديث يقين لنا أنه يقرر أمورا من شأنها أن تكون تقوية للرابطة الزوجية عندما يوثق عقدها ، وهذه الأمور هي :

\* ترغيب القادر على الزواج في الزواج ، فإنه إذا أقدم عليه القادر كان ذلك أدعى إلى استقرار البيت الزوجي ، وقوة الرابطة بين الزوجين .

\* كراهيته لغير القادر ، لأنه سيؤدي إلى تحمل ألوان من الصعاب ، ومعااناة كثير من المشكلات ، التي لا يستطيع معها إقامة حدود الله .

\* الاعتماد على قوة الإرادة في المكلف ، وإرشاده إلى أن يصبر على رغبته حتى يهيئ الله له ما به يكون تحقيقها من وجه شريف ، وفي ذلك حث له على أن يصون نفسه ، ويحتفظ بشرفه ، ويظل عفيفا لا تدنسه فاحشة ، ومن استطاع أن يكون كذلك ؛ فإنه حين يتزوج يكون الزوج النظيف الطاهر الثوب الذي لم ينسق وراء دواعي الشهوات المحرمة ، ولم يعرف إلا زوجته ، ولم ينتقل من أحضان امرأة إلى أخرى ، وفي ذلك توطيد أي توطيد لبيت الزوجية ، وتوثيق أي توثيق لروابطها الشريفة .

\*\*\*

هذا وهماك أحاديث أخرى كثيرة تحت

تمشيا مع عقلها الباطن الذى لا يقتنع بذلك .  
 \* ولا أن تنشذ ذات الحسب فقط أى التى  
 ليس لها مع حسنها ونسبها صفات خلقية  
 وخلقية تجعلك سعيدا بها ، فكم من حسنية  
 نسيية ، ولكنها صعبة الخلق ، جاحدة ، تتعب  
 معاشرها ، وتحول حياته إلى جحيم ، فن  
 ابتغى فى زوجته الحسب والنسب فقط دون  
 صفات الزوجية الصالحة ، فقد ابتغى لنفسه  
 ألوان المتاعب والصعاب فى كثير من  
 الأحيان .

\* ولا أن تنشذ ذات الجمال الرائع التى تعد  
 تحفة من التحف ، مكثفيا بجمالها ورواقها  
 دون الصفات الأخرى التى هى ضرورية  
 فى تحقيق السعادة ، فإن الجمال وحده قد يكون  
 سببا من أسباب الشقاء ، وما لم يكن إلى  
 جانبه صفات تصونه وتحفظه فإنه يكون عبئا  
 على الزوج أكثر منه متاعا له ، وقد يكون  
 أيضا عبئا على المرأة نفسها ، ومن لقة لها ،  
 إذا يفرها بالتكبر والتعالى على زوجها  
 أو يعرضها للكثير من عوامل الفتنة ،  
 أو يجعلها على الإسراف فى التزين والتبرج  
 تمشيا مع غرورها واقتنائها بجمالها .

\* فلم يبق إلا اختيار ذات الدين ، أى ذات  
 الفضيلة والخلق التى تعرف واجبها فى كل ناحية ،  
 فذلك هى التى تعد كسبا وظفرا ، ولهذا يقول  
 الرسول صلوات الله عليه : ( فاظفر بذات الدين  
 تربت يداك ) أى اخترها واستمسك بها واطفر

د تسكح المرأة لأربع : لما لها ، وحسبها ،  
 وجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت  
 يداك ،

والمراد بذات الدين : ذات الخلق والفضيلة ،  
 اللذين يمثلها الدين ويحققهما ، ومن أول  
 ذلك أن تعرف حق ربها ، وحق زوجها ،  
 وحق أولادها وليس المراد من تسكتنى  
 بالصلاة والصوم فحسب ، مع كونها لا ترعى  
 ما استرعاه الله عليه د فالمرأة راعية فى بيت  
 زوجها ومسئولة عن رعيتهما ،

ويدلنا ذلك على أن الإسلام لا يشير عليك  
 حين تختار زوجتك :

\* أن تنشذ ذات المال ، فإن المال وحده  
 ليس من شأنه أن يسعد دائما ، ولا سيما  
 إذا كان مال المرأة ، فإن الرجل الذى يتطلع  
 إلى مال زوجته يتعب كثيرا تعباً نفسياً ،  
 ويتعب زوجته ، ولا يمكن أن تكون  
 السعادة كاملة فى الواقع الذى تهدى إليه  
 التجارب ، إلا إذا أحسن الرجل بأنه هو  
 المنفق وهو صاحب الخير والإعداق من  
 ماله الخاص ، وكذلك المرأة إنما يسعدها أن  
 ترى الرجل كالصا منفقا يفرها بكسبه  
 ونفقته ، فإذا أحست بأنه يعتمد على مالها  
 ويطمع فيه عاجت من هذا الإحساس ألما  
 بمضا تسكتهم أو تبديه ، ويكون وقودا  
 لكثير من أسباب الشقاق والنزاع وتكدير  
 صفو الحياة الزوجية أرادت أم لم ترد ،

ومن تزوجها لما لم يزد الله إلا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة ، ومن تزوجها لم يردبها إلا أن يغض بصره ، ويحصن نفسه ، بآرك الله له فيها ، وبارك لها فيه ) .  
ويقول صلى الله عليه وسلم :  
( تزوجوا الودود الودود ) .

والودود : هي التي يكون حبها منبعثا عن إقبال روى أكثر من أن يكون إقبالا شهويا ، أو عشقا ماديا ، ومن علاماته طهارة النفس من الانانية في سبيل من توده ، والرغبة في إسداء الإحسان إليه المرة بعد المرة في تحن ولذة .

قال العلماء : وإنما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اختيار من تحقق فيها هذان الوصفان ؛ لأن مراد الزوجية بتحقيق بهما ، ولا يتحقق بدونهما ، فالودود ترضى نفس الزوج من جهة المتاع النفسى ، والودود تحقق الغرض الأول من سنة الزواج وهو التناسل .  
وإذا كانت الزوجة ودودا ولم تكن ولودا لم تتم سعادته ، ولا سعادته بها ، وكذلك إذا كانت ولودا ولم تكن ودودا .

ويعرف هذا الوصفان في الأبقار من أقاربهم ، إذ الغالب سريان طباع الأقارب بعضهم إلى بعض .

( والبحث موصول إن شاء الله )

**محمد محمد المرنى**

عميد كلية الشريعة

بزواجها ، وليس معنى هذا ألا تتبغى الصفات الأخرى في الزوجة ، فلا تنتظر أبدا إلى المال ، ولا إلى الجمال ، ولا إلى الحسب ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يرشدك إلى ألا يكون ما عدا الدين هو المقصود لك فقط ، ويقول لك : إن الناس قد جرت عادتهم غالبا أن يقصدوا إلى هذه النواحي وحدها ، فأنهم من يقصد المال ، ومنهم من يقصد الجمال ، ومنهم من يقصد الحسب والنسب ، فإذا رأى ما يقصده متحققا غفل عن الصفات الفاضلة ، ولم يعن بها ، ولم يكلف نفسه العلم بتحقيقها أو عدم تحقيقها ، غير ملتفت إلى عواقب ذلك وآثاره السيئة في حياته الزوجية المستقبلية ، ولكن الحسيف الواعى هو الذى يجعل مقصوده الأول ، الدين والخلق ، ولا مانع من أن يبتغى مع ذلك ما يرضيه ويسعده ويرج نفسه من الصفات الأخرى .

وهكذا نرى الدين يرشد إلى حسن الاختيار ، ويعطى هذا الدرس النافع في قواعد الاختيار ، على اعتبار أن ذلك هو الأساس الأول في استقامة الحياة الزوجية ، التي هي شركة الحياة .

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

( لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ، ولا لمالها فلعل ما لها يطفئها ) .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

( من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا ،

# أربّ مقارن :

## بركة وبحيرة

### بين البحرى ولامارتين

#### للأستاذ العضى الوكيل

البركة فى الشرق ، والبحيرة فى الغرب  
البركة وصفها شاعر العمرين الخالد ، وفابغة  
الشام الأكبر ، والبحيرة وصف نفسه عندها  
وذكرها بما يناسب ، شاعر الفرنسية  
الفعل ، وقينارتها المترنمة .

الشاعر العربى هو أبو عبادة البحرى ،  
الذى ولد بمنيج ( قرأت ميمها بالفصح فى  
بعض المصادر وسمعتها مضمومة من بعض  
الأدباء السوريين ، من جيران منيج ) على  
مسافة أربعين ميلا تقريبا من حلب ، فى سنة  
٢٠٤ هـ وهى قرية تشتهر بالمياه الجارية  
والخضرة الفاتنة ، وهو شاعر من الشعراء  
الطائيين ، جمعت قبيلته المفاخر فى جاهليتها  
وإسلامها ، والبحرى نسبة إلى جده الأعلى  
بحتر . وتوفى سنة ٢٨٤ هجرية بعد أن عمر  
ثمانين عاما قضاه فى التجوال وانتجاع  
الخلفاء والأمراء .

والشاعر الفرنسى هو الفونس دى لامارتين ،  
يطلقون عليه فى فرنسا شاعر الطبيعة أحيانا  
وشاعر الحب والجمال أحيانا . ولد فى مدينة

( ماكون ) الفرنسية فى الحادى والعشرين  
من أكتوبر سنة ١٧٩٠ م ، لأب محارب  
شريف المحدث ، يتصف بين قومه بالسباحة  
والمرودة ، وزار إيطاليا وهو فى نحو  
العشرين من عمره ، وطوف بأرجائها ،  
وقضى فى ذلك عاما كاملا ؛ وعمل بالسلك  
السياسى الفرنسى فاختار إيطاليا أو اختيرت له  
ومن نتاجه الأدبى « التأملات » ، و « الأغنية  
الجديدة » ، و « موت سقراط » ، و « الأغنية  
الآخيرة لسياحة هارولد » ، ثم « الهارمونيات »  
وفى سنة ١٨٣٢ وهو فى حوالى الأربعين  
من عمره قام برحلة إلى الشرق ألهمته كثيرا  
من الأحاسيس والخواطر ؛ ودون عنها  
مذكرات . وتولى منصب وزير الخارجية  
الفرنسية وعضوية الحكومة المؤقتة بعد  
ثورة سنة ١٨٤٨ التى كان لامارتين أحد  
زعمائىها . وفى أثناء توليه الحكم لم ينس الأدب  
فكتب فى النثر « جراتسلا » و « رافايل »  
و « المناجيات » .

عاش لامارتين عمرأ يكاد يكون فى عدد

بينها وبين دجلة ، فيجعلها في المقام الأول والبحر في المقام الثاني ، ولكنه لم يبين وجه هذا السبق ، ولا في أية ناحية يكون ؛ لأنه أطلقها قضية واسعة بلا قيد ، ولكنه حين قرنها أو قارنها بدجلة ذكر أن الحسن في كليهما يتنافس ويتفاخر ، فالحسن هو الموضوع الجامع بينهما يقول البحرى :

بحسبها أنها في فضل رتبها  
تعد واحدة والبحر ثانيها  
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها  
في الحسن طوراً وأطواراً تباهاها  
ثم يعود إلى مياه البركة بالوصف ، ولعله يقصد بذلك إلى بيان ما فضلت به على البحر ، وما جعل دجلة تغار منها ، يقول :

كأنما الفضة البيضاء سائلة  
من السبائك تجرى في مجاريها  
والبيت التالى لذلك يبدع غريب وجميل معاً ، لأنه يصور وقع نسيم الصبا على مياه البركة ، وهو في هذا البيت يشبه غضون وجه الماء الناشئة عن هبوب ريح الصبا ، بغضون الدروع المصقولة :

إذا علتها الصبا أبدت لها حبكا  
مثل الجواش مصقولا حواشيها  
ونرى أن البحرى ألقى على البركة - من خياله - بريح الصبا ، فأبدت الحبك وأشبهت الجواش مصقولة الحواشى ، ولكنه ضن

سنيه كعمر البحرى لأنه مات في الثانى من نوفمبر سنة ١٨٦٩ م بعد تسعة وسبعين سنة ودفن في « سان بوان » في غير احتفال ضخم أو حشد كبير لبعض الاعتبار السياسية أو غيرها .

قصيدة البحرى في مدح المتوكل على الله ، الخليفة العباسى ، ووصف بركته ، تبلغ الأربعين بيتاً (١) منها عشرة أبيات هى المدخل إلى ما أراد من مدح الخليفة ووصف بركته ، وطبيعى أن تكون في الغزل ، وفى علوة ، حبيبته أو فى غيرها ، وإن كان هو قد ذكر ليلى فى مطلع القصيدة ، وهو يختم هذا المقطع الغزلى الجميل بهذه الأبيات الأربعة الرائعة الشائنة :

لولا سواد هذار ليس يسلىنى  
إلى النهى لعدت نفسى عواديا  
قد أطرق الغادة البيضاء مقتدراً  
على الشباب قصبينى وأصليا  
فى ليلة ما ينال الصبح آخرها  
علقت بالراح أسقاها وأسقاها  
عاطيتها غضة الأطراف مرهفة

شربت من يدها خيراً ومن فيها  
ثم يدخل دخولا مفاجئاً بلا تمهيد إلى البركة ، فيعقد موازنة بينها وبين البحر ، ثم

(١) مرجعنا ديوان البحرى طبعته مطبعة هندية بالموسكى بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

أما رأت كلى الإسلام يكلوها  
 من أن تعاب ، وباني الجدد يبنها  
 والبحترى حين يرى شيئاً هائلاً بالغا  
 الغاية في الإبداع والإتقان ينسبه إلى الجن ،  
 جن سليمان أو غيرهم فهو هنا يقول :  
 كأن جن سليمان الذين ولوا  
 إبداعها فادقوا في معانيها  
 وهو في قصيدة الإيوان يقول :

ليت شعري أصنع إنس لجن  
 مسكنوه أم صنع جن لإنس  
 وهو يشير في الشطر الأول إلى خرابه  
 حتى أصبح مسكناً للجن .

وصورة النجوم حين تبدو في ماء البركة  
 منعكسة ، يصورها البحترى في بساطة  
 بلا تعقيد ، ووصلها كأنها حديث قروي  
 يتعجب !

إذا النجوم تراءت في جوانبها  
 ليلاً حسبت سماء ركبت فيها  
 وقد أعجب أحد النقاد المحدثين بهذا البيت  
 حتى جعله صورة فنية في شعر العرب كله ،  
 قل أن نجد له مثيلاً .

وقد وضع المتوكل في البركة سمكا ، وعلى  
 حافاتها وضع مقاعد للجلوس ، وبالقرب منها  
 رسم صورة للدلفين (وهو الدرفيل) وجمع  
 البحترى صفة السمك ورسم الدلفين في قوله :  
 لا يبلغ السمك المحصور غايتها  
 بعد ما بين قاصيا ودانها

على البحر وعلى دجلة بمثل هذه الرياح ، فلم  
 يلق عليهما من خياله ريحا ، ولم يلتفت حتى  
 لما يلقيه الله عليهما من هذه الرياح في بعض  
 فصول السنة ، أو بعض آناء الليل والنهار ،  
 وفي البيت الذي يلي هذا محابة واضحة لبركة  
 المتوكل ، رتها البحترى بترنيمة البارح الفاتن  
 ليجعل الفضل للبركة بغير منازعة من البحر  
 أو من دجلة .

فاجب الشمس أحيانا يضاحكها  
 وريق الغيث أحيانا يباكيها  
 أما الشطر الأول فهو يشير إلى سقوط  
 ضوء الشمس عليها ، ولعمان مياها على إثر  
 ذلك مما يمكن أن يشبه بالضعك ، وأما  
 الشطر الثاني ففيه دقة ملاحظة عجيبية لشاعرنا  
 العظيم ، فإن المباكة - بصيغة المشاركة -  
 تقتضى أن تبكى البركة إذ جادها ريق الغيث ،  
 فإذا سقط على مائها ارتدت قطرات منها صعدا  
 إلى أعلى ، فكأنها ترد على بكاء الغيث ببكاء  
 منها ، وهي ملاحظة عجيبية تدل على دقة الشاعر  
 وبراعة تصويره .

وفي وسط هذا الجو الشعري الجميل ، يضع  
 البحترى بيتا في مدح المتوكل ، فيخندش  
 شعورنا به خدشاً ، ومالنا ولهذا المديح  
 في وسط هذا الجو الجميل من مياه البركة  
 ودجلة ، ونسيم الصبا وحاجب الشمس  
 وريق الغيث ؟

يعمن فيها بأوساط بجنحة  
كالطير تنقض في جو خوافها  
لحن صحن رحيب في أسافلها  
إذا انحططن وبهو في أعاليها  
صور إلى صورة الدلفين يؤنسها

منه انزواء بعينين يوازيها  
ثم لم ينس الشاعر ما حوّلها من الحضرة  
والنضرة فقال :

تغنى بسايتها القصوى برويتها  
عن السحاب منحلّا عزاليها

وهو معنى غريب وطريف أن تكفي  
الرؤية وتغنى البساتين عن طلب الرى ...

محفوظة برياض لا تزال ترى  
ريش الطواويس تحكيه ويحكىها

أما قصيدة لامارتين « البحيرة » فهي من  
مشهورات الأدب الفرنسى على مدى الزمان ،  
ويقول عنها أحد النقاد عند ذكر وفاة  
جوليا حبيبة لامارتين :

« وما هو جدير بالذكر في هذا الموضع ،  
أن هذه الحادثة الغرامية ، قد أنتجت للأدب  
الفرنسى ثماراً شبيهة ، وزهوراً بهية ، لا يزال  
يتبعها على الآداب الأخرى عجباً وغفراً ،  
وذلك مثل قصيدة البحيرة التي بلغت من الشهرة  
حداً لم تبلغه إلا بضع قصائد للافريد دى  
موسيه ، وفيكستور هيجو والكونت دى ليل ،

وقد ترجم البحيرة إلى العربية نظماً ونثراً  
كثيرون ، ومنهم الدكتور نقولا فياض  
الذى نظمها معربة واستعملها بقوله :

أهكذا تنقض دوماً أمانينا

نطوى الحياة وطيف الموت يطوينا

يستهل لامارتين قصيدته بقوله :

هكذا ، دائماً ، نذفع إلى شواطئ جديدة (١)

في الليل الأبدى ، حيث لا عودة .

ألا يمكننا في بحر السنين الخضم .

أن نلقى مراسيلنا ولو يوماً واحداً ١٩ .

\*\*\*

ليه ، أيتها البحيرة ، لقد أتم العام وشيكا  
دورته .

وإلى جانب الموجات الجيبية التي كان يجب

أن تراها من جديد .

انظري ... إنني جئت وحيدا ... أجلس

على هذه الصخرة حيث رأيتها - أيتها

البحيرة - تجلس ! .

والاستهلال بهذه الصورة يصور عاطفة

مفجوعة في نفس الشاعر الذي فارقه حبيبته ،

ونأت عنه ... وآب إلى مكان ملتقاهما

وحيدا يتلصص عزاء نفسه فلا يجد إليه سبيلا .

ثم يوجه حديثه إلى البحيرة مذكراً إياها

بأنينها وتكسر أمراجها على الغاطي .

(١) الترجمة لصديقه زوج كاتب المقال .

وما مر أمام عينيه من مناظر خلابة في البحيرة  
وما حو لها ، قد امتزجا في نفسه فبقيت الذكرى  
تمثلة في سكون البحيرة ، وفي عواصفها ،  
وفي تلاها الضاحكة وفي شجرات الصنوبر  
الداكنة ، وفيها هناك وهنا من صخور رهبة  
المنظر تقف على شاطئ البحيرة . يقول :

« إحفظي أيتها الطبيعة الجميلة على  
الأقل ذكراها .

تسكن في سكونك ، في عواصفك .  
أيتها البحيرة الجميلة ، وفي مناظر تلك  
الضاحكة .

وفي شجرات الصنوبر - هذه - الداكنة ،  
وفي هذه الصخور المتوحشة . التي تتعلق  
فوق مياهك .

تسكن في النسمة التي ترتعد وتمر .  
في ضجة الشيطان .  
في ذلك الكوكب ذي الطلعة الفضية تبيض  
بها صفحتك .

وبين من ذلك أن لامتري ، قد صرف  
همه إلى بث عاطفته المشبوبة ، وإن يكن  
قد صور بخطوط بعيدة دقيقة هذه البحيرة  
بشطآنها وصخورها وأشجارها وكانت مناظره  
مزوجة بأحاسيسه وعواطفه بخلاف زميله  
العربي الذي انصرف إلى الوصف الحسي ،  
مراعيا الدقة البالغة فيه ، حتى إنه لم ينس  
أن يذكر لنا ملاحظته في عيون الدلفين

ثم بالبحر وهي ترمي بزيد الأواج تحت أقدام  
الحبيبة .

ثم يجري حديثه عن الزمن يمر على  
السعداء فيتمنون لو طال ، وعلى التعساء  
الاشقياء فتكون سعادتهم في مجلته ومروره  
مسرعا .

وفي خلال ذلك يصور الزمن والإنسان  
بصورة تبلغ الذروة في جمالها وإبداعها يقول :

لنسرع !  
لنستمتع !  
إن الإنسان ليس له مرمى ، والزمن  
ليس له شاطئ .  
هو يجري ، ونحن نمر .

ولأنه ليتشبث بلحظات النشوة والسعادة ،  
فيتعنى لو بقيت على الأقل ذكراها بعد أن  
تذهب ويقول إن « الزمن الذي أعطاها ،  
هو نفسه الزمن الذي عاها ، ولن يعيدها  
إلينا أبدا . » ويقف برهة ليسائل الأبدية  
والعدم ، والافق الغام ، لماذا تبتلع الأيام  
وماذا تفعل بها ؟ .

وينصرف من هذا كله إلى توجيه الخطاب  
إلى البحيرة ، وإلى صخورها الخرساء ،  
ويقول إن الزمن تستطيع كفه أن تمحوها  
كما تستطيع أن تبحث فيها الشباب .

على أن ذكرى حبيبته ، وما قضاه معها  
عند البحيرة من لحظات السعادة والهناء



المرسوم تجاه البركة من ضيق أو اتساع . الحق أن درة لامارتين فريدة من فرائد الشعر أبدع البحترى في وصفه إبداعاً عظيماً ، إلى نعم ، ولكنه لم يزد على ذكر ما رآته عينه في البركة وما حولها ، ونسى نفسه هناك ، وماذا يحمله على ذكرها ، وليس له عند البركة غرام ضاع أو حب تبدد ، على أن لامارتين رأى البحيرة ورأى نفسه فيها ، أو العكس ، رأى نفسه ورأى البحيرة فيها ، هذا صحيح ، وذلك صحيح ، ألم تلاحظ أنه بعثر ذكريات أيامه ولياليه على سكون البحيرة ، وعواصفها ، ومناظر تلالها ، وقسوة صخورها ، وفي أشجار الصنوبر التي تقف بجوارها .

المرسوم تجاه البركة من ضيق أو اتساع . الحق أن درة لامارتين فريدة من فرائد الشعر أبدع البحترى في وصفه إبداعاً عظيماً ، إلى نعم ، ولكنه لم يزد على ذكر ما رآته عينه في البركة وما حولها ، ونسى نفسه هناك ، وماذا يحمله على ذكرها ، وليس له عند البركة غرام ضاع أو حب تبدد ، على أن لامارتين رأى البحيرة ورأى نفسه فيها ، أو العكس ، رأى نفسه ورأى البحيرة فيها ، هذا صحيح ، وذلك صحيح ، ألم تلاحظ أنه بعثر ذكريات أيامه ولياليه على سكون البحيرة ، وعواصفها ، ومناظر تلالها ، وقسوة صخورها ، وفي أشجار الصنوبر التي تقف بجوارها .

### العوضى الوكيل

## المال مال الله والإنسان مستخلف فيه

الإنسان حين يهبه الله شيئاً من ملكه الواسع بطرق التملك الشرعية وقواعد الكسب النظيفة الشريفة ، يصبح خليفة عن ربه في هذا المال ، أو يصبح - بتعبير العصر ، والله المثل الأعلى - وكيلاً عن الله في المال . ومن الأمور المتفق عليها أن الوكيل يجب عليه أن ينفذ أوامر موكله وإلا لم يكن صالحاً للخلافة أو الوكالة ؛ ولذلك يقول القرآن عن المال : « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، أى المال الذى جعلكم الله مسيطرين عليه بمقتضى استخلافه لكم فيه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المال مال الله وأنا عبده » .

## بين الكسائي وسيبويه : كيف نكتب البحوث الأدبية للأستاذ محمد رجب البيومي

المرموق ، فأسرعت إلى قراءة المقال قبل  
سواء من موضوعات العدد ، فوجدته يدور  
حول مناظرته لسيبويه في المسألة الزنبرية  
الذائعة لدى كل من درس النحو العربي !!  
وقد زاد عجبى وأكاد أقول لم أصدق عيني مرة  
ثانية حين وجدت الكاتب المطلع يكتب  
اسم ( الفراء ) العالم النحوى الجليل ( الفراء )  
هكذا بالغين لا بالفاء ويكرره تسع مرات  
كيلا يظن بخبول أنه خطأ مطبعي يتكرر  
ويتكرر حتى يصل إلى المرة التاسعة !!

هكذا يا قوم يجهل اسم الفراء لدى أديب  
يتحدث عن أهلام النحاة ويوازن بين الأئمة  
في مجلة أدبية تقوم على النهوض بالأدب العربى  
أما والله لو جهل اسم الفراء تليذ في القسم  
الابتدائى بالأزهر يقرأ قطر الندى باللسنة  
الثالثة وشذور الذهب بالسنة الرابعة لرسم  
في الامتحان !!

فكيف لا يعرفه محققو اليوم عن يتصدون  
لتحرير خلاقات النحاة ويحكمون على سيبويه  
والكسائي في مجلات الأدب بالفطر الشقيق !  
أهذا ارتقاء أم انحدار ؟ ...

ما كنت أظن أن الصحافة الأدبية في أيامنا  
هذه ستتحدر بالأدب انحدارا وخيم العاقبة  
حتى تلتقيت العدد السادس من السنة الخامسة  
من مجلة الغربال اللبنانية ، فتصفحت رموس  
موضوعاته على مجل ، فأدهشنى أن أجد عنوانا  
كبيرا يحتل رأس صحيفة كاملة بخطه العريض  
الممتد ، وكدت أن أكذب عيني ، ولكننى  
أحدق ، وأحدق ، فأجد العنوان يقول :  
« الكسائي وصمة عار في جبين الضاد ، وأنا  
رجل أعرف الكسائي وقد قرأت ترجمة  
حياته في أكثر من كتاب ودرست آراءه  
في العلوم العربية في شق المراجع العلمية ،  
ولا أذكر فيما قرأت أن هذا العالم اللغوى  
النحوى القراء أتى من الأفعال ما يجعله عار  
العربية بكتبها ورجالها .

هذا إذا جردناه من روايته الأدبية  
وقراءته السبعية وتخريجاته العلمية وجعلناه  
بجرد إنسان يأكل ويشرب وينام ! وقلت  
في نفسى لعل الكاتب الأديب قد عثر على  
مخطوط نادر لم يعرف عنه أحد شيئا ، فأسرع  
إلى إعلان ما اكتشفه من عار هذا العالم

الشدة المسرفة في القسوة ، فكان الكسائي من الرواية والقراءة والنحو يفرض علينا أن نكبره ونعرف فضله . ومهما يجمع الجمعون على أن القول ما قال سيديويه فإنني أحب ألا ننسى أن مذهب سيديويه وأصحابه في النحو كان مذهب قياس وتعليل ، وأن مذهب الكسائي وأصحابه كان مذهب سماع وتقليد للعرب وأن لكل من المذهبين خطره وقيمه . هذا وقد انساق كاتب المجلة في تأييد حكمه على الكسائي إلى ذكر أقوال تاريخية لأناس ينتقصون الرجل من مثل قول ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً يقيس عليه حتى أفسد النحو » .

ومن مثل قول الأصمعي : « أخذ الكسائي اللغة عن أعراب من الحطمة ينزلون بقطر بل فلما ناظر سيديويه استشهد بلغتهم عليه » . ومن مثل قول محمد الزبيدي :

كنا نقيس النحو فيما مضى

على لسان العرب الأول  
فجاء أقوام يقيسونه

على لغى أشياخ قطرب  
فكلهم يعمل في تقض ما

به يصاب الحق لا يأتلي  
إن الكسائي وأصحابه

يرقون في النحو إلى أسفل

وقد ذكر الكاتب الفاضل بين مصادره كتاب الأستاذ كامل كيلاني « صور جديدة من الأدب العربي » ، وقد رجعت إلى الكتاب فوجدت السيد الأديب قد لحصه تلخيصاً مقتضياً ، ولم يذكر حقيقة واحدة ليست به ، والحق أن الأستاذ الكبير كامل كيلاني رحمه الله قد قسا على الكسائي قسوة عنيفة ولكنها قسوة الدارس الفاحص الذي يعرف مقام صاحبه فهو لم ينحدر إلى مثل هذا العنوان المزعج الذي ارتضاه صاحب المقال ، وشجعه رئيس التحرير فكتبه بالبنط العريض على رأس صحيفة كاملة ، ومع أن الأستاذ كامل كيلاني لم ينحدر انحدار الكاتب - وحاشاه أن يفعل - فقد كانت قسوته على الكسائي موضع مؤاخذه صادقة من تعرضوا لكتابه ولم يفت الدكتور طه حسين أن يشير إليها في المقدمة التي افتتح بها الكتاب حيث يقول ما نصه ص ١٥ :

« وكامل شاب شديد النشاط لا يخلو من حدة وعنف ، فهو إذا اقتنع لم يقتنع بعقله وحده ، وإنما اقتنع بعقله وقلبه وشعوره ، وفيه كرم يتجاوز به الإنصاف إلى الإسراف في الإنصاف ، فهو لا يكتفي بأن ينصف المظلوم بالحكم له ، بل يريد أن يعاقب الظالم بالإلحاح عليه وتشديد النكير » .

وما أرى أن الكسائي يستحق منه هذه

إن من يتعرض لمثل هذه المناظرة ، لا يكتفى بأن يذكر ما كان ، دون تنقيب عن البواعث والأسباب كما فعل الأديب في مقاله ، فقد كتب ما لا يخرج عن أن الكسائي كان صنعة اليرامكة وحين علم بقدم سيبويه إلى بغداد ذهب محزوناً إلى يحيى وجعفر البرمكي . فقال : أنا وليكما وصاحبكما ، وهذا الرجل إنما قدم العراق ليذهب محلي . قالاً : فاحتل لنفسك فإننا سنجمع بينكما .

و حين تقابل الرجلان قال الكسائي : يا بصرى كيف تقول : كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي ، أو فإذا هو إياها ، فقال سيبويه : فإذا هو هي . فقال الكسائي : أخطأت ولحنت ، فأسرع يحيى بن خالد بن برمك ليقول : هذا موضع مشكل فن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائي : هؤلاء الأعراب على الباب ، فأذن لهم فدخلوا فقال الكسائي : كيف تقولون : قد كنت أحسب أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا الزنبور إياها ، فقالت طائفة فإذا الزنبور هي . وقالت أخرى فإذا الزنبور إياها بعينها ، فقال للكسائي : هذا خلاف ما تقول يا بصرى !! ، فرد يحيى مخاطب سيبويه : قد تسمع أيها الرجل ! وينكسر سيبويه ويستكين !! ه .

ذلك تلخيص ما قال ، وهو به لم يقدم

ونحن نعلم أن مثل هذه الأقوال وحدها لا تخفض عالماً له مكانته ، إذ أن المتنبع المنقب عن تراجم العلماء في الشرق والغرب يجد أمثال هذه الأقوال تالصق بأفذاذ العلماء من خصومهم ونظرائهم !! ولا يخلو عالم ما من طعنات وجهت إليه ودونها خصومه ، حتى إن أبا حنيفة مثلاً على رسوخ قدمه في الفقه ، وقوة عقله في الاستنباط ، واتساع أفقه في الرأي وصدق يقينه في العقيدة قد رمى بالمرور والمعضية ، وتجراً بعض خصومه فوضع كتاباً كبيراً في ثلبه يحمل من الأقوال ما يشين !! ولم يضر أبا حنيفة العظيم أن قيل فيه ما قيل ، بل جاء من تلاميذه من دحض الباطل فأزهقه بميزان التحقيق والإنصاف ، فالإكثار من هذه النقول المغرضة لا يفيد شيئاً دون دراسة آراء الرجل ، وتقويم أفكاره ، ورسم اتجاهه ومنحاه !! وهي بعد ليست ذات غناء .

وأنا هنا في هذا المقال لا أبرئ الكسائي من التحامل على سيبويه ، فتلك من الحقائق التي لا يستطيع إنكارها أشد الناس حماسة للكسائي ! ولكني أمتنع أن يكون السبب الجارح طريق البحث العلمي ، وأنكر أن يتعرض كاتب إلى الخط من شأن الثقات من الأئمة بنقول مبتورة ، وحوادث لا تجد حظها من التحليل والتفسير !! .

جديدا يشيع رغبة القارىء أو يسلف تمهيدا  
يفسر ما اطرده عليه الأمر من تفضيل رجل  
على رجل دون مزية تعليه ! وكان عليه أن  
يذكر - أولا - أن سيديويه بصرى ، وأن  
الكسائى كوفى ولقد كانت البصرة سابقة  
مجلية فى خدمة العربية قبل الكوفة ، إذ أن  
أكثر متقدعى العلماء بصريون درسوا اللغة  
وجمعوا شواردها وأصلوا قواعدها ، حتى  
صاروا أساتذة غيرهم ، وقد ذهب الكوفيون  
إلى علماء البصرة ينهلون من مواردهم  
ويجلسون منهم بجالس التلاميذ من الأساتذة ،  
وكانت الطبقة الأولى من علماء الكوفة تلاميذ  
الطبقة الثانية من علماء البصرة والكسائى  
نفسه قد طلب النحو كبيرا ، وتوجه إلى  
الخليل البصرى يقطف من روضه ويأكل  
من ثمره ثم قرأ كتاب سيديويه نفسه فزاد به  
علما واطلاعا ، كل ذلك قد أحل البصرة محل  
الصدارة من العربية وعلومها وجعلها ترتضى  
فى النحو مذهبا قويا حين تقعد القواعد على  
أساس الأعم الأغلب من المرويات ، وتعتبر  
الشاذ نادرا لا يقاس عليه .

هذه واحدة : أما الثانية فقد كان على  
السكانب أن يذكر أن الدولة العباسية قد  
احتضنت علماء الكوفة دون علماء البصرة .  
فجعلتهم أساتذة الدولة الرسميين يترأسون  
المجالس ويقيمون المناظرات ويأخذون  
النذر والهبات ويعلمون أولياء العهد وأولاد  
الخلفاء والأمراء ، فزاد نفوذهم وعلت كلمتهم .  
ولم تنظر الدولة فى إعلاء كلمتهم وتفضيل  
مكاثرتهم إلى ما حصلوه من الثقافة فى العربية  
بل نظرت إليهم نظرة سياسية فرأتهم يميلون  
إلى بنى العباس وكانوا فى مبدأ أمرهم علويين  
يخلصون لبنى هاشم ، فهم أنصار أهل

أما علماء الكوفة فلم يكن لديهم ما يؤهلهم  
إلى القياس النجوى وضوابطه فجعلوا مبدأهم  
الأول قبول ما ورد عن العرب مما يندرج  
تحت قاعدة أولا يندرج ، وزادوا فاعتبروا  
الشاذ النادر أصلا ، وجعلوا يقيسون عليه !

واستحقاق ١١ فإذا كانت الأخلاق الفاضلة تحرم عليه أن يستعين بوزراء الدولة وصنائعهم من أعراب البادية على قهر الحق وغمط الينبوع فإن حرصه الأكيد على منزلته العالية التي يعرفها له الناس جعله يركب الصعب فيتأمر على وفاد طارىء يحصل معه كفاءته وامتيازته ١.

ونحن لانحاول أن نبرر مسلكه ، ولكننا نفسره على وجهه الصحيح ونعتبره مع ذلك خطأ تورط فيه تحت تأثير قاهر ، لظروف خاصة يترفع عنها قليل من الناس ، ويخضع لسلطانها كثيرون !! ويخيل إلى أن مبالغات كثيرة قد أحاطت هذه المناظرة ، ومن أهمها ما يقال من أن سيديويه قد مات بعدها بقليل متأثراً بانهمزاه ، وهذا ربط للسبب بغير أسبابها ؛ لأن سيديويه لم ينهزم إلا علافاً في معتقد نظرائه من العلماء ، فكلهم قد اعترف بصوابه وسداده ، وزاد الاخفش فلجأ إلى الكسائي ليوبخه ويناقشه بمشهد من تلاميذه ومريديه وليعلن حق سيديويه وباطل الأعراب من المتحيزين ، ولم يجرؤ عالم في حياة سيديويه أن يقول بغير رأيه في مسألة الزبور والعقرب غير بضعة أفراد يلتفون حول الكسائي ليستعينوا بجأه ، وهم بينهم وبينه يعترفون بأصالة سيديويه وتوقيفه .

البيت ١ وهم بعد قيام بنى العباس حصن دفاعهم الممكنين وصياح قوتهم الناهضة .

أما البصرة فأموية متعصبة ١ لذلك كان الكوفيون من هذه الناحية وحدها أولى بالتصدر والاستعلاء ١ ، وكانت منزلة الكسائي وهو رئيس علماء الكوفة لعهد أرقى المنازل العلمية في بلاط الرشيد فهو مؤدب الأمين ولى عهد الرشيد ، وصاحب سمر الحليفة ورفيق سفره ، فإذا نهض سيديويه ليحتل مكانته بعلمه وذكائه وشبابه فلا بد أن يلتجئ الكسائي إلى من يعتصم به ويحميه ١ ولا بد أن يقف وزراء الدولة من البرامكة منه موقف المؤيد المعين ، ولقد كان سيديويه يظن أن السبق العلمي وحده سيضمن له الفوز في مناظراته فذهب الواقع المؤلم بظنه الحميد !! .

على أنى أقدم ذلك وأبجمله ؛ لأقرر أن الكسائي بشر له أطاع الإنسان وراغبه ، وهو فيما بينه وبين نفسه يستشعر قوة سيديويه وتمكنه ، ويعرف أنه استفاد من كتابه العظيم قبل أن يراه ويتأكد أن هذا الشاب البصري الذي يتفقد حماسة ، ويتأجج قوة وشباباً يستطيع في جولاته الأولى أن يذل شيخوخته ، وبكشف الكوفة عن مكان الصدارة ليحتلها البصريون عن جدارة

اللهم إلا إذا عد بعده عن السيطرة في قصور الخلفاء انهما في مرأى من يجعلون أقدار العلماء وفق المناصب والألقاب ! وهؤلاء ليسوا من ذوى الرأى بحال ...

نستطيع بعد ما تقدم أن نحكم في اطمئنان بأن كاتب الغربال قد تسرع في عنوان مقاله من جهة أولى . كما أغفل البواعث والأسباب من جهة ثانية ، وهو مع ذلك قد غفل عن حقيقة القول الجارحة بما تلحق عادة بجميع الفضلاء ، وله ولكل كاتب يدعى البحث أن يراجع مناهج تفكيره من جديد ليعلم أن الكسائى لم يكن بزلة واحدة وصمة عار في جبين الضاد وأن الحياء العلبي يلزمنا بالحكم الناقد دون تخرج ، ولو كنا نسالك مسلك هذا المتسرع ، لقلنا : إن مقاله عن الكسائى كان وصمة عار في جبين البحوث العلبيه . ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك إذ لا يعقل أن تنهى عن خلق وتأتى مثله فتخسر الجولة في الميدان ؟

**محمد رجب اليومى**

المدرس الأول بدار المعلميات بالفيوم

أما بعد وفاة سيويه فقد أنصفه جميع من كتبوا عن المناظرة في مدى ألف عام أو تزيد ، ومن أحسن الظن بدخيلة الأعراب لجأ إلى التأويل المتعسف فجاءت توجهاته بمنأى عن السداد ، ولعل ابن هشام النحوى هو أشهر من تبرع بتخريج رأى هؤلاء إذ تصدى في معنى اللبيب إلى إيجاد إعراب مفتعل يجعل كلمة إياها مقبولة بعض الشيء ، وابن هشام من الرصوخ بحيث يستطيع أن يخطئ الصواب ، ويصوب الخطأ في عصر يعتمد على التأويل البعيد ! وهو أيضا بشهادة ابن خلدون قريع سيويه ونظيره حيث يقول في مقدمته : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع عن ظهور عالم بمصر يقال إنه أنحى من سيويه وهو ابن هشام ، فإذا ما تصدى لتأويل جملة يظن أن بعض الأعراب قد نطق بها فإنما يتعرض لتعليل شيء شاذ نادر لا تبني عليه قاعدة صحيحة كما يتوهم الكسائيون . وحسب سيويه أن ينصفه العلماء في حياته ويتجمع خلفاؤه من بعده على تأييده ! فأين الانهزام الشنيع ؟

قال عمر بن عبد الله الأغماتى :

ترجع عنه نفسه داخرة  
بل ملكا فيها وفي الآخرة

من يطلب العز بغير التقى  
اعرض عن الدنيا تكن سيداً

# القهوة حرام...!

## قصة لها دلالة

للأستاذ محمود الشرفاوى

إذا حرم الله على الناس أن يأكلوا أو يشربوا شيئاً تحريماً صريحاً قاطعاً ، كما حرم القرآن الميتة والدم والخنزير ، وكما حرم القرآن وحرمت التوراة لحم الخنزير ، فقد قطعت جبهة قول كل خطيب ، كما يقول المثل العربى القديم .

لكن بعض الناس وبعض المفتين ورجال الفكر الدينى يقدمون على تحريم أشياء تطوعاً منهم واجتهاداً . يفعل هؤلاء ذلك ميلاً منهم إلى التشدد والتزيد والصرامة . وقد يرى بعضهم أن ذلك خير له وأكرم لمنزله وأظهر لحسن سمعته بين الناس ، ويسمع ذلك البعض من الناس ويطيع اعتقاداً منه بأن هذا التشدد وهذه الصرامة والتزام ما لا يلزم ، بتحريمه ، يجعلهم أقرب إلى الله وأدنى إلى مثوبته .

\*\*\*

نحن وكثير من المتصوفة والعلماء نقول ويقولون عن « القهوة » ، إنها : « خمر الصالحين » ، ولكنها لم تستقر على هذا الوصف ، بل لم يحلل شربها ، إلا بعد مقارح وسياط ضرب بها شاربوها ، ودماء جرت من الذين كانوا يقولون بأنها حلال ويبيحونها لهم .

وهذه القصة ذات الدلالة كتبها مؤرخ عالم من رجال القرن العاشر الهجرى ، هو الشيخ عبد القادر الحنبلى الأنصارى ، وعنه تلخصها فى هذه السطور<sup>(١)</sup> . . . اعلم أن القهوة هى الشراب المتخذ من قشر البن ، أو منه مع حبه المجسم ، أى المقلى . . . من قائل بحرمتها

ولكن بعض الناس وبعض المفتين ورجال الفكر الدينى يقدمون على تحريم أشياء تطوعاً منهم واجتهاداً . يفعل هؤلاء ذلك ميلاً منهم إلى التشدد والتزيد والصرامة . وقد يرى بعضهم أن ذلك خير له وأكرم لمنزله وأظهر لحسن سمعته بين الناس ، ويسمع ذلك البعض من الناس ويطيع اعتقاداً منه بأن هذا التشدد وهذه الصرامة والتزام ما لا يلزم ، بتحريمه ، يجعلهم أقرب إلى الله وأدنى إلى مثوبته .

حال هؤلاء وأولئك يذكرنا بما قصه القرآن الكريم عن أولئك الذين ابتدعوا الرهبانية<sup>(٢)</sup> وما كتبناها عليهم ، وإذا حرم الإنسان على نفسه ما لم يحرمه

(١) كتابه : « عمدة المتصوفة فى حل القهوة » .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحديد .



عقد العلماء مجلسا عند هذا الأمير أصدروا فيه حكمهم بتحريم القهوة : « وكتبوا بذلك محضرا أنشأه لهم الشيخ شمس الدين الخطيب وطلبوا من السلطان منع الناس من شربها بعد ثبوت حرمتها : « ولما انصرفوا - أى كبار العلماء - من مجلسهم بعد تحريم القهوة ، أخرج الأمير خاير بك المنادين فى الأسواق والطرقات بتحريم شربها ومنع الناس من ذلك وشدد فى ذلك حتى أنه عزز جماعة من باعها وكبس مواضعهم وأخرج ما وجدته فيها من قشر البن وأحرقه وسط المبيع » .

ولم يكن شمس الدين الخطيب وجماعته هؤلاء وحدهم هم الذين أقتوا بتحريم القهوة . بل جاء بعدهم - فى سنة ٩٣٩ هـ - الشيخ العلامة واعظ العصر شهاب الدين أحمد السفاطى الذى رفع إليه سؤال هذه صورته :

ماقولكم ، رضى الله عنكم ، فى شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون أنه مباح ... فهل ذلك جائز أم حرام ؟ ... ، فأجاب الشيخ العلامة واعظ العصر : « بحرمتها وأنها مسكرة ... » .

وبعد ذلك بثلاث سنوات تحدث الناس إلى الشيخ مرة أخرى فى أمر القهوة فى مجلس وعظه : « فأتى بحرمتها وصمم على ذلك فى مجالسه بالجامع الأزهر » .

مفرط فى ذمها والتشنيع على شربها . . . . وبالنقائل بحرمها فادعى أنها من الخمر وقاسها به وسأوى . . . . إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجدل والفتن وحصول ما أدى إلى منازعات ومحن بمكة والقاهرة والمنع من بيعها وكسر أوانها بل إلى تعزيز باعها بالضرب وغيره ، وإلى تأديبهم بضياغ مالهم وإحراق القشرة المتخذة منه فى كرات متواترة ، وبالنقائل لهما أن شاربها يحشر يوم القيامة ووجهه أسود من قعور أوانها . . . ) .

ثم يقول الشيخ العالم المؤرخ : إن القهوة عرفت بمصر ، أول ما عرفت ، فى « حارة الجامع الأزهر » ، وكانت تشرب فى نفس الجامع « برواق الين » ، كما كانت تشرب بمكة فى نفس المسجد الحرام . وبقى الحال على هذا إلى أن ظهر « عالمان » ، أخوانا كان بمكة ثم خرجا منها إلى القاهرة قالا بتحريمها وتأثم شاربها وتعزيره ، وأيدهما فى ذلك عالم آخر كبير من علماء عصره هو : « شمس الدين الخطيب نقيب قاضى القضاة سرى الدين ابن الشحنة وأناس آخرون فأغرى شمس الدين الخطيب الأمير خاير بك معمر باش مكة ومحتسبها إذ ذاك على إبطالها من الأسواق ومنع الناس من شربها ، وقرر عنده أنها موصوفة بتلك الأوصاف القبيحة ورغبه فى ذلك جدا ، ثم

في قصة القهوة هذه نجد الناس قد عرفوا نباتا طيبا مما لم يحرمه الله فشر به ووجدوا منه نشاطا وخفة ومنافع ، فحمدوه وأقبلوا عليه سنين كثيرة ، حتى خرج عليهم شيخان أخوان وعالم كبير أو عالمان حرموا هذا النبات الطيب وأدخلوا في عداد المسكرات وسلطوا على الناس حاكما آثما يضربهم ويسجنهم ويوقع عليهم الشر ويدد أموالهم ويحرق بضاعتهم ، ويعتدى على كرامتهم ، ويعطل أسباب رزقهم

كل ذلك كان ، باسم الشريعة والدين ، وبقى هذا الشر واقعاً على الناس نصف قرن أو يزيد . ثم بقى منه ظل وأثر يمتد وينحسر أكثر من مائتي سنة .

وكذلك نجد في عصور كثيرة متباعدة ، من قال بتحريم الدخان ، شرباً ومضغاً ، منهم العالم الكبير الشيخ على الصميدى الذى قيل في سيرته أنه كان إذا رأى من يشربه : « كسر آلة الشرب ولو كانت في يد أمير الأمراء » (١) .

وقد رأينا في عصرنا هذا من يقول بتحريمه ويقيم الحد على شربه ، ومن يقول بتحريم سماع الراديو لأن فيه شيطانا ... !

(١) تفصيل ذلك وترجمة الشيخين الصميدى والسيواس في كتابنا : « دراسات في تاريخ الجبرى ، مصر في القرن الثامن هجرى » . الجزء الثانى من الطبعة الثانية .

عند ذلك ثارت الفتنة وعلت نارها : « قتعصب جماعة من القوم لما سمعوا منه ذلك ، وخرجوا إلى بيوتها من تلقاء أنفسهم ... وكسروا أوانها ، وضربوا جماعة ممن كانوا هناك ، فقام بسبب ذلك فتنة » . وبعد أربع سنوات أخرى « بينا جماعة في بيوت القهوة يستعملونها في شهر رمضان بعد العشاء ، وافاهم العسس وأخرجوهم منها بهيئة شنيعة ، بعضهم بالحديد وبعضهم مربوط بالحبال ، فباتوا في منزل السوباشاء « السجن » ، وضرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة » .

وبعد ذلك بخمس سنوات أخرى - ١٩٥٠ هـ - ورد إلى مكة مرسوم من السلطان : « بمنع القهوة وإبطالها ، وإلزام باعها بمنع التسبب فيها وإبطال محالها » .

وقد أطلت في هذه القصة التى سجلها الشيخ عبد القادر الأنصارى ليدرك القارىء معنى مقدار هذه « الفتنة » التى أثارها علماء ومفتون بتحريمهم القهوة ، وما أصاب الناس من عنف وشر مدى نصف قرن فى مصر والحجاز بسبب هذا التحريم .

بل بقيت من هذه الفتنة آثار وآثام لما بعد ذلك بقرنين ، فى القرن الثانى عشر فى القاهرة ، نجد الشيخ على السيواس - وكان من كبار علماء عصره - يقول بتحريم القهوة ، وأن صديقاً له أهداه « فرق بن » فى زواج بخته فألقاه فى المرحاض ؛ كأنه خمر نجس .

إلا طلبة واحدة<sup>(١)</sup>، وأن هذه الوثيقة الشرعية، التي حررت في «المجلس الشرعى» الذى انعقد لتقرير اتهام ابن تيمية، أرسلت من دمشق إلى الملك الناصر فى القاهرة فأمر بسجن ابن تيمية فسجن، وبقي فى سجنه هذا حتى مات.

وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلبة واحدة، الذى كان تهمة يؤخذ بها ابن تيمية ويدخل فيها السجن حتى يموت، هو الذى لا يقول بغيره الآن قاضى شرعى فى مصر، وكان هذا الحكم هو الذى يجرى به العمل فى عهد النبی عليه السلام وفى عهد خليفته أبى بكر وشطر من عهد عمر، حتى أمر هذا بوقوعه ثلاث طلاقات تصعبا على الناس وعقوبة لهم على تسرعهم فى كبة الطلاق.

وهذا ما كننا نضع المبادئ والتعديلات الجديدة لقانون الأحوال الشخصية، فى السنوات الثلاثين الماضية، كان فقه ابن تيمية - هذا السجين الشهيد - مرشداً لمشرعينا إلى مبادئ وآراء تسائر حياة المسلمين المعاصرة وتلبى ضرورات حياتهم الحاضرة، فى وقت كانت فيه أصوات تملو بأن يترك ما لله وما لقيصر لقيصر، أو أن «يفصل الدين عن الدولة»، كما يقول الأوروبيون، وكانت

وفى تاريخنا المعاصر نجد ثورة عارمة - بلغت حد التفكير وإهدار الدم - قامت على فتويين شهيرتين<sup>(٢)</sup> للشيخ محمد عبده وأولاهما تتواء بإباحة الذبائح التى يذبحها غير المسلمين، ونحن الآن، بعلم فقهاؤنا ومفتينا وعلماؤنا ومواقفتهم، نستورد بأموال الدولة كثيراً مما يسد حاجتنا من هذه الذبائح ويأكلها المسلمون غير آثمين ولا متحرجين. لأن أقطاب الشريعة بينهم أفتوهم، أو أفتوا الدولة بذلك. وثانى الفتويين ما قاله الإمام محمد عبده فى لبس البرنيطة. فقد أباح لبسها فلقى من التهمة والتأنيب مثل ما لقي من قتواه تلك. وانظر الآن للروس الحاضرة والكاسية حتى بين العلماء أنفسهم حيث يلبس بعضهم «القلنسوة»، كما يقولون. انظر هذه الروس بعد نصف قرن من فتوى الشيخ عبده لتعرف ما نريد أن نعرف. وتذكر ما نريد أن نقول.

وفى أوائل هذا القرن أفتى بعض العلماء، بأن تأليف الجمعيات التعاونية حرام؛ لأنها منظمات شيوعية...!

وقد شهد ابن بطوطة، حين زار دمشق، مجلساً شرعياً أخذت فيه على ابن تيمية - على حد تعبيره هو - «أمور منكورة»، منها أن المطلق بالثلاث فى كبة واحدة لا تلزمه

(١) ص: ٥٧ من رحلة ابن بطوطة

(الطبعة الثانية).

(٢) فتوى الشيخ محمد عبده المشهورة (بالترنغالية).

## من أعلام المسلمين في الهند : مولانا أبوالكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

ملخص ما نشر « تربي تربية دينية . وأضاف إليها الثقافة الغربية ، وكان نصيجه مبكراً فبدأ في نهاية العهد الثاني من عمره في إصدار المجلات الدينية ليوظف المساهمين ويدفعهم إلى تحرير بلادهم فاضطهدته الحكومة وأغلقت صحفه ثم اعتقلته إبان الحرب الأولى وخرج بعد أربع سنين ليواصل جهاده ويدفع الهنود إلى مقاومة الانجليز في حركة العصيان فقدمته الحكومة للمحاكمة وأمام المحكمة ألقى أروع دفاع وأجراه وأعلن اغتياله بالتهمة للوجهة إليه ، وإصراره على المضى فيها وقال للماضى في ختام مرافقته « فاقض ما أنت قاض » .

### هاكم المذنب يعود تائباً إلى « مولانا »

[غاندى]

— ٤ —

الطائفي الممتد ، وزاد الانجليز - بالاعيين المعروفة - من حدة هذا الخلاف ، فبدأ مولانا آزاد كفاحه لتهدئة الفتنة الطائفية المشتعلة ، ولتقريب وجهات النظر بين أعضاء الحزب المنقسمين ، وانتخب رئيساً لدورة الحزب المنعقدة في دهل سنة ١٩٢٣ وكان في الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان انتخابه مع صغر سنه دليلاً على قوة مركزه وتقدير الجميع له ، فقد اختير رئيساً بموافقة الفريقين المختصمين ويقول : « وروى أننى كنت أصغر الرجال الذين انتخبوا لرئاسة المؤتمر سناً . » واستطاع بحكمته ومكانته في الحرب أن

بعد أن انتهى مولانا آزاد من مرافقته الخالدة الجريئة أصدرت المحكمة حكمها عليه بالسجن سنة ، فبقى في السجن حتى أفرج عنه في يناير سنة ١٩٢٣ م ، وخرج من سجنه ليجد الخلاف الطائفي قد استحكم بين المسلمين والهندوس ، وتصعدت الوحدة الوثيقة التي جمعت بينها فترة من الزمن ، ولم ولن تشهد الهند مثيلاً لها في تاريخها ، حتى ليتمكن لنا أن نسميها الفترة الذهبية في تاريخ الشعب الهندي . ولم يقتصر الخلاف على ذلك بل امتد إلى داخل حزب المؤتمر ، إلى الأعضاء أنفسهم ، وكان ذلك أمراً طبيعياً في وقت اشتدت فيه الحنة إلى هذا الحد ، ووقع الشعب فريسة الخلاف

ضد ألمانيا دون الرجوع لأى أهل البلاد وكان هذا القرار صدمة لحزب المؤتمر ، إذ اعتبره قراراً مهيناً للبلاد وممثليها في البرلمان والحكومة ، فكان لا بد له أن يجتمع ويدرس الموقف ، ويتخذ قراراً بشأنه ، وترك الكلام هنا لمولانا أزداد حيث يقول في مذكراته :

« وكانت الهند في حالة من الرهبة والترقب وازدادت رئاسة المؤتمر في هذه الظروف المهددة الغامضة أهمية جديدة وكان الأصدقاء قد ألحوا على في العام الماضي أن أتولى رئاسة الحزب ، لكنني رفضت لأسباب مختلفة على أنى أحسست هذا العام أن الموقف يختلف عن سابقه ، ولا يبعد أن أكون مقصراً في تأدية واجبي أن أبيت مرة ثانية ، ورأيت من واجبي حيال أزمة الحرب هذه أن انتهر للخدمة كل فرصة تتاح لى وأودى واجبي بكل طريق تتفتح أمامى ، فلم أتردد في قبول الرئاسة حين أعاد غاندى طلبه منى ذلك ، ولم تكن في انتخابات الرئاسة منافسة ذات بال ، وفشل معارضى الوحيد أمام أغلبية ساحقة ، ولا شك أن إلحاح غاندى على مولانا أزداد أن يقبل رئاسة الحزب في هذه الظروف العصيبة تم اختياره من الأعضاء وقضه في موضع شاذ بالنسبة لقضية البلاد كان على المؤتمر أن يناقش فكرة دخول الهند الحرب. مع أن نائب الملك قد أعلن ذلك فعلا

يحفظه من الانهيار ويحافظ على تماسكه ويسير به في طريق الكفاح من أجل حرية الهند حتى أعلن حزب المؤتمر سنة ١٩٣٠ حركة العصيان المدنى الثانية المعروفة بخرق قوانين الملح ، وقابلت الحكومة هذه الحركة بالشدّة فأخذت تعتقل زعماء الحزب واحدا بعد الآخر وترج بهم في السجون ، وكان كل رئيس للحزب يعين من يخلفه ، واختير مولانا أزداد رئيساً فاختار من بعده الدكتور « أنصارى ، رئيساً إذا ما اعتقل ، وسار في طريقه يتحدى الحكومة وألقى خطاباً سياسياً في مدينة « ميرت ، فقبض عليه وظل سجيناً سنة ونصف سنة في سجنها .

وخرج من سجنه ولكنه لم يمكث شهوراً حتى عاد إليه بعد أن رجع غاندى من مؤتمر المائدة المستديرة دون أن تنجح المفاوضات سنة ١٩٣١ ، وألقت الحكومة القبض عليه وعلى زعماء الحزب وقضى مولانا في سجنه أكثر من سنة .

وفي سنة ١٩٣٥ م خاض حزب المؤتمر الانتخابات وفاز بأغلبية ساحقة وكان مولانا أزداد في مقدمة الفائزين بعضوية البرلمان على مبادئ الحزب ، وبدأ حزب المؤتمر يشترك في الوزارات على أساس قانون الحكم الذاتى الذى صدر سنة ١٩٣٥ وعند ما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ م أعلن نائب الملك في الهند دخول البلاد الحرب

على أساس نظريته في عدم العنف واستبدت به هذه النظرية حتى وقف يعارض دخول الهند الحرب حتى ولو كان استقلال الهند هو الثمن . وقف في الحزب يعارض مولانا آزاد ويخشى أن تستجيب إنجلترا لطلب الحزب فتعلن استقلال الهند فتدخل البلاد الحرب مع إنجلترا !! إلى هذا الحد تسلطت عليه عقيدة عدم العنف حتى أصبح لا يهتم بشيء ولو كان استقلال البلاد مثلاً يهتم بها

استقلال البلاد الذي هو غايتها وآمالها والتي ظلت تجاهد وتضحى من أجله السنين الطوال برفض غاندى تحقيقه إذا جاء عن طريق دخول البلاد الحرب واشتراك أبنائها في إراقة الدماء !! ...

بل قد بلغ الأمر بغاندى إلى حد أنه ذهب إلى الحاكم العام في الهند وقال له إن واجب الشعب البريطانى هو التورع عن استخدام السلاح وعليه أن يعتمد على المقاومة بالقوة الروحية ، حتى ذهل الحاكم من هذا الخيال الغاندى وصرف غاندى من مجلسه بطريقة غير معتادة اشتكى منها لمولانا آزاد حين التقى معه بعد المواجهة . . ومع هذا نجد غاندى قد وجه خطاباً مفتوحاً إلى الشعب البريطانى يحدّثه فيه عن طريقة عدم العنف ووجوب اتباعها مع هتلر . .

بهذه الروح الخيالية وقف غاندى في حزب المؤتمر يعارض رأى مولانا آزاد ... وكانت مناقشات المؤتمر كلها نظرية واقترافية : ماذا

بالغلبة ساحقة دليل أى دليل على مكانة الرجل والثقة في كفايته ومقدرته على تسيير السفينة في هذه العواصف الهوجاء ، ولو كان هناك في أعضاء الحزب من يقوم مقامه لما كرر غاندى طلبه ولما فاز بعد ذلك بالأغلبية الساحقة ... وهل يعنى ذلك إلا أنه الرجل الثانى في الهند بعد غاندى ...

ولقد كان لمولانا آزاد رأى في دخول الهند الحرب أو عدم دخولها يختلف فيه عن غاندى إذ كان رجلاً عملياً واقعياً لا يذوب في المثل التي يذوب فيها غاندى حتى تبعده عن الواقع وتضعه في موضع شاذ بالنسبة لقضية البلاد كان على المؤتمر أن يناقش فكرة دخول الهند الحرب مع أن نائب الملك قد أعلن ذلك فعلاً من جهة ؛ لكن بقى للشعب مثلاً في حزب المؤتمر أن يتخذ رأياً في هذا الموضوع مهما يكن الواقع . لقد كانت الهند تذكره النازية الفاشستية وتميل إلى الديمقراطية ، ومع ذلك فإن مولانا آزاد رأى أنه لا يمكن لبلاده أن تحارب في صف الديمقراطية ومن أجل حرية الدول الأخرى - كما يقول الخلفاء في الوقت الذي ترسف هي فيه في أغلال العبودية فإذا بادرت الحكومة البريطانية وأعلنت استقلال الهند فسيكون من واجب الهنود جميعاً أن يضحموا بكل نفس ونفيس في سبيل حرية الشعوب الأخرى ...

أما غاندى فلم ينظر للموضوع من هذه الزاوية ... بل نظر إليه من زاويته الخاصة

ثم الثاني . . وهكذا . . ولكن سرعان ما شملت الحركة البلاد . فأخذت الحكومة تقتل الزعماء وكان في مقدمتهم مولانا آزاد حيث حكم عليه بالسجن سنتين .

وبينما كان هذا يجري في الهند كانت وطأة الحرب قد اشتدت على الحلفاء حيث هجم الألمان على الاتحاد السوفيتي وقامت اليابان بهجوم على الولايات المتحدة في ميناء اللؤلؤ . وحينئذ بدأت انجلترا تفكر في طريقة لتخفيف حدة التوتر في الهند فقررت إرسال بعثة على رأسها سيرستافورد كرييس إلى الهند لمفاوضة زعمائها وأعلنت ذلك في ١١ مارس سنة ١٩٤٢ م ووصلت البعثة إلى الهند لا بد لها أن تخرج الزعماء من السجن لتجري معهم المفاوضات وفي مقدمتهم مولانا آزاد رئيس الحزب غرج دون أن يكمل مدة السجن وكان أول لقاء له مع كرييس في ٢٩ مارس سنة ١٩٤٢ . حيث بدأت المفاوضات بينهما لتقرير مصير الهند وعرض مولانا آزاد مقترحات كرييس على اللجنة التنفيذية للبوثير التي أخذت تدرسها وبدأت وجهات النظر تختلف حولها . يقول مولانا آزاد في مذكراته .

د وخائف غاندى منذ البدء في قبول المقترحات ، وعرفت أن خلافه يرجع إلى نفوره من الحرب أكثر من نفوره من هذه المقترحات فكل مقترح يسوق الهند إلى

نعمل لو عملت بريطانيا كذا . وماذا يكون موقفنا لو لم تفعل ... واختلف المؤتمر ووقف بعضه مع مولانا آزاد ، والآخر مع غاندى ... وأخيرا استطاع مولانا آزاد أن يجمع المؤتمر على قرارين أولهما . تصويب سياسة هدم العنف للحصول على الحرية وثانيهما وقوف الهند في صف الديمقراطية بشرط أن تنال حريتها واستقلالها أولا . .

وفي أغسطس سنة ١٩٤٠ م دعا الحاكم العام مولانا آزاد لمقابلته وإجراء مباحثات معه فرفض مولانا آزاد الدعوة لأنها لم تكن مبنية على أساس احترام رأى الهند بل على الخضوع للأمر الواقع والسير على أساسه .

وفي الوقت الذي كان فيه حزب المؤتمر يمسج بتيارات مختلفة ومناقشات حادة ، قطعت إنجلترا حبل الخلاف وأراحت المؤتمر منه حين رفضت إعلان استقلال الهند ... وكان من الغريب حقا أن يفرح غاندى لهذا الرفض ؛ لأن معناه عدم تقرير دخول الهند الحرب وبالتالي عدم المشاركة في سفك الدماء بينما حزن الآخرون ، وبدءوا يفكرون ، في الطريق الطويل الشاق الذي يجب أن يسلكوه تجاه الدولة الباغية لانتزاع حرية البلاد منها ... وإن كان موقف الطرفين قد توحد على عدم دخول الحرب وهنا بدأ غاندى يفكر في إعلان حركة العصيان المدني ولكن بالطريقة الفردية ، دون أن يكون لهذا العصيان شكل جماعي فيبدأ واحد . .



أما غاندى فكان حسن الظن باليابان ويرى أنها سوف لا تهاجم الهند إذا انسحبت انجلترا منها ... وأخذ في الوقت نفسه يذكّر في القيام بحركة لا عنفية مثل حركاته السابقة بقصد إرغام انجلترا على الخروج من الهند وكان عنوان حركته « ارحلوا عن الهند ، واعتقد أن انجلترا سوف لا تستطيع مقاومة هذه الحركة في الوقت الذي وصلت فيه اليابان إلى حدود الهند وأنها سترغم على الاستجابة لمطالب البلاد . بينما كان مولانا آزاد يخالف غاندى في حسن ظنه باليابان . ويرى أن انجلترا ستضرب حركة غاندى بقوة وتعتقل الزعماء . وحينئذ يبقى الشعب بدون قواده في هذا الفترة الحرجة من تاريخه وأن الحركة ستقلب حينئذ إلى حركة عنيفة يخرب الشعب فيها ويهدم ويقتل .. وهذا ما لا يريده غاندى .

وهكذا اختلف مولانا آزاد مع غاندى .. كل منهما له رأيه وحجته .. ولم تكن هذه أول مرة يختلف فيها القطبان الكبيران لكن غاندى لم يتحمل مخالفة مولانا له ، فأسرع وكتب خطاباً له في السابع من يوليو سنة ١٩٤٢ يطلب منه أن يستقبل من رئاسة المؤتمر ما دام مختلفاً معه في الرأي ، كما طلب من جواهر لال نهرو هذا الطلب . وفوجئ كبار الأعضاء بهذا الطلب وبهتوا ورأوا أنه إذا استقال آزاد ونهرو فستحل بالمؤتمر

المساهمة في الحرب مهما كثر نفعا وربحا للهند لا يستجلب رضا غاندى وموافقته ، وبجانب ذلك لم يرقه الجزء الأخير من العرض البريطاني الذي قال بأن المؤتمر والرابطة الإسلامية ستتاح لهما بعد نهاية الحرب فرصة لتسوية قضية الطائفية ، <sup>(١)</sup> .

واستمرت المفاوضات أسبوعين متتالين ، يجتمع مولانا آزاد ممثل الهند مع سير كريس ليلا ويصطحب معه أحياناً جواهر لال نهرو ثم يجتمع باللجنة التنفيذية للمؤتمر نهراً ليعرض عليها ما دار من مفاوضات ، وأخيراً أخفقت المفاوضات .

وفي الوقت الذي غادر فيه كريس الهند كان شبح الهجوم الياباني يزداد اقتراباً منها ، حتى أخذت الحكومة تعد عدتها لاستقبال الهجوم ووضعت خطط الانسحاب من كلكتا وتدمير المنشآت في البلاد التي تنسحب منها على النحو الذي وضعته حينما اعتزمت الانسحاب من مصر أمام هجوم « روميل » . وكان رأى مولانا آزاد رئيس المؤتمر أنه لا يمكن أن نستبدل سيلاً بسيد ولا بد من المقاومة ؛ ولذا أعد المتطوعين من الشعب وقسم كلكتا إلى مناطق يتولى المتطوعون الدفاع عنها وعرة قد تقدم الجيش الياباني عند ما تنسحب انجلترا من كلكتا ...

(١) نقابة الهند أبريل سنة ١٩٦٠ .



لقد أثبتت الحوادث صدق تفكير مولانا أزداد وبعد نظره . . فعند ما وافقت اللجنة على رأى غاندى وأصدر قراره ببدء حركة لا عنفية فى أغسطس ١٩٤٢ لم تقف الحكومة مكتوفة الأيدى كما كان يظن غاندى ويقدر بل بادرت باعتقال الزعماء جميعاً وأودعهم سجوناً متفرقة وبقي الشعب بدون قواده يواجه تدبير الإنجليز وإرهابهم .

أودع مولانا أزداد سجن مدينة دأحمد نجرن فى ولاية الكجرات مع نهرو وثمانية من الأعضاء . . وفى أبريل سنة ١٩٤٣ توفيت زوجته بعد مرض طويل ولم يكن له أولاد يقفون بجانب أمهم وهى تجود بأنفاسها ، وسرت بين الشعب آخر كلماتها الحزينة وهى تناجى زوجها بعد أن رفضت الحكومة السماح له برؤيتها وهى تودع الحياة ، وشارك الشعب قائده لوعته وحزنه وأحاطه بقلبه وعواطفه وكان موقفاً لا يحتمله إلا رجل من طرازه . . وزاده صعوبة أن أخته لحقت بزوجته بعد ثلاثة أشهر دون أن يراها كذلك . .

ثم نقل مولانا إلى سجن آخر فى البنغال شرقى الهند وبقي فيه حتى أفرج عنه مع بقية الزعماء فى ٥ يونيو سنة ١٩٤٥ . عند ما بدأ فى الأفاق انتصار الحلفاء ونهاية الحرب واتجهت بريطانيا إلى تصفية قضية الهند . خرج ليتولى المفاوضات مع الإنجليز لتقرير مصير الهند ، درة التاج البريطانى .

هيم المنعم النمر

ضربة تهدكيانه وتقوض بنيانه كما أن الشعب سيفقد ثقته فى زعمائه . . . ولذلك نتائجهم السيئة على الحركة الشعبية فى مثل هذه الظروف التى تمر البلاد بها . . .

وقد أدرك غاندى خطأه فى اليوم الذى أرسل فيه الخطاب إذ لم يمتص على إرساله بضع ساعات حتى استدعى مولانا أزداد وأخذ يعتذر له عما حدث وعند اجتماع اللجنة فى نهاية اليوم وقف أمامها غاندى فى شجاعة نفسية تعود عليها واستهل أعذاره بقوله :

« ها كم المذنب يعود تائباً إلى مولانا ، ويقدر ما تدل هذه الحادثة على شجاعة غاندى النفسية فإنها تدلنا أيضاً على مكان مولانا أزداد من مركز قيادى خطير فى الهند كلها . كان هو الذى يقود الحركة السياسية التحريرية فى الهند مع غاندى ، ويحمل عبئها ويدير دفتها فى أخرج الأوقات التى مرت بها . . كان مولانا أزداد يمثل العقل الواعى المدبر للحركة بينما كان لغاندى روحانيته التى أثر بها على الشعب فانقاد له ولو بدون تفكير ، وكانت روحانية غاندى تمنح به أحياناً بعيداً عن الصواب والهدف الذى تسعى إليه البلاد ، فيقف له مولانا أزداد « العقل المدبر الواعى ليصح اتجاه الحركة إلى الهدف المنشود كما رأينا موقفهما عند ما كان يبحث المؤتمر مسألة دخول الهند الحرب فى أول هذا المقال . . »

# المدينة الفاضلة

للأستاذ سعيد زايد

والدعائم التي يقيم عليها صرح مدينته لجأ إلى مبدئه الفلسفي في النفس يستفقيه . فرأى أنه قد قسم القوى التي توجد في الإنسان إلى ثلاث: الشهوانية ومركزها البطن وفضيلتها العفة ، والغضبية ومركزها الصدر وفضيلتها الشجاعة والفكرية ومركزها الرأس ، وفضيلتها الحكمة . وما دام في الفرد هذه القوى الثلاث فإن في الدولة أيضا قوى ثلاث ، أو بعبارة أدق يتكون المجتمع من طبقات ثلاث : العمال والصناع والزراع وفضيلتهم الإنتاج ، والجند وفضيلتهم الدفاع ، والفلاسفة وفضيلتهم الحكمة أو التأمل . وإذا كان الفرد لا يصير عاملا محترما إلا إذا تغلبت قوته الفكرية على قوته الآخرين ، وأعنى بهما الشهوانية والغضبية ، فكذلك الدولة لا يستقيم حالها إلا إذا تغلبت الطبقة الثالثة أي طبقة الفلاسفة على الطبقتين الآخرين وآل إليها الحكم . فطبقة الفلاسفة وحدها التي تستطيع أن تحقق العدالة وتنفذ إلى مشكلات الأمور بما وهبها الله من حاسة سادسة فوق الحواس

قال الفلاسفة - من قديم الزمان - بالمدن الفاضلة ، وعاشوا في حلها أزمانا ، وتمنوا لحلمهم الجميل الرائع أن يتحقق في عالم الواقع كي ينعم العالم بالخير ، ويتمتع بالحرية ويمارس المساواة ووضعوا نظاما يحل العدل مكان الجور ، والاستقامة مكان الاعوجاج ، والسعادة مكان الشقاء .

دعا إلى تطبيق هذا النظام فلاسفة اختلفت بيناتهم وعصورهم ، فدعا إليه أفلاطون والفارابي وتوماس مور وكامبانيا وغيرهم ، وطبعي أن دعواتهم لا تتفق في تفاصيلها أو هيكلها ، ولكنها جميعا تتفق في الغاية ، وهي نشدان السعادة الكاملة لأبناء المدينة .

ويطول بنا المقام إذا حاولنا عرض آراء كل هؤلاء الفلاسفة ومناقشة أفكارهم ، وإنما نود أن تقتصر على الفيلسوف الإسلامي من بينهم وهو الفارابي ، وفي اقتصارنا عليه لا بد أن نذكر - كقدمة - ملخصا لرأى أستاذه الروحي أفلاطون .

عندما أراد أفلاطون أن يضع الأسس

صادق لا يكذب ، كبير النفس ، كريم ، عادل ، مبغض للجور والظلم ، قوى العزيمة ، شجاع لا يخاف (١) . فالمعلم الثاني « يصف أميره بكل فضائل الإنسانية ، وكل فضائل الفلسفة فهو أفلاطون في ثوب النبي محمد ، » (٢)

ذلك أن مهمة الرئيس ليست سياسية فحسب ولكنه خلقية أيضا ؛ فن الناحية السياسية هو الرئيس الأعلى لكل المدينة ، ووزراؤه ومساعدوه ليسوا إلا منفذين لأوامره ؛ ومن الناحية الخلقية هو النموذج الذى يقلده المدنيون والمثاليون الذى يحتذونه ويتسمون بخطوات سيره . وماعلى الرئيس إلا أن يحاول ما استطاع أن يصوغ جميع الأفراد بطبيعته هو . وهذه الصفات التى يرى المعلم الثانى ضرورتها فى رئيس المدينة ، إذا اجتمعت فى رجل واحد كان هو ، بالطبع ، رئيس المدينة ؛ أما إذا توزعت على عدة رجال ، كانوا جميعا الرؤساء الأفاضل بشرط أن يكون هؤلاء الرجال متلائمين . أى أن يكون منهم الحكيم ، والعادل ، وصاحب العزيمة . . . وهكذا . أما إن خلو جميعا من رجل حكيم ، فإن المدينة تبقى بلا ملك ، ويكون رئيسها ليس

الخمس ، وهى القدرة على إدراك الحقائق العامة وعلى تفهم المعقولات الصرفة .

ف رئيس المدينة - عند أفلاطون - يجب أن يكون فيلسوفا وليس فى مقدور كل إنسان أن يكون كذلك ، فلقد رسم شيخ الأكاديمية منهاجا وفرض مراحل لا بد للبرء من المرور فيها كي يعرج عوده ، فمن تخطاها فهو فيلسوف وحق له أن يكون حاكما للمدينة .

ولقد تأثر الفارابى بما ذكره أفلاطون ، واشترط فى رئيس مدينته شروطا تقربه من الأنبياء ، فهو يقول إن الإنسان مدنى بطبعه لا يكتفى بأن يكون عضوا فى قبيلة ، بل يود أن يكون عضوا فى مدينة أو عضوا فى الإنسانية جمعاء ، ذلك أنه يشعر بعاطفة الأخوة نحو جميع أفراد البشر .

وبعد أن يقرر المعلم الثانى ذلك المبدأ ، يتجه نحو رئيس المدينة - الذى هو واضع النواميس والشرائع - فيرى أنه المعلم والمرشد والمدير ؛ ذلك لأن الفطر تختلف بين كافة البشر ، فمن أوتى فطرة قوية وحصل على السعادة ، يقف موقف المعلم والمرشد لمن لم يعلم السعادة من تلقاء نفسه .

ورئيس المدينة عند الفارابى ، تجتمع فيه جميع الخصال الحميدة ، قوى الشخصية ، تام الأعضاء ، ذكى ، لبق ، قانع فى المأكل والمشرب والنكاح ، غيرى لاحبا لذاته ،

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٨٦ - ٩٠

(٢) تاريخ الفلسفة فى الإسلام ، لدى بود ، ترجمة

محمد عبد الهادى أبو ريدة ، ط ٣ ، ص ١٧٢

للقاهرة .

الإنسانى الذى هو مجموعة من الأمم مجتمعاً  
إنسانياً فاضلاً . فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم  
الإنسان يختص كل عضو من أعضائه بعمل  
معين ، فإذا قام كل عضو بعمله على الوجه  
الأكمل صار الجسم فى مجموعته صحيحاً ، وكذا  
المدينة الفاضلة وبذا تصبح المدينة سعيدة<sup>(١)</sup>.

وكما أن القلب هو العضو الرئيسى فى البدن  
تخدمه جميع الأعضاء ، وكما أن للنفس - عند  
الفارابى - وحدة ، فكذا المدينة الفاضلة ،  
فيها مراتب رئاسات تبدأ بالرئيس الأعلى ،  
وتنتهى إلى مرتبة من الخدمة ، ليست فيها  
رئاسة ولادونها مرتبة أخرى<sup>(٢)</sup> . وكذلك  
تصير المدينة الفاضلة فى انسجامها وتسلسل  
مراتب أفرادها ، شبيهة أيضاً بمراتب  
الموجودات التى تبتدىء من الأول وتنتهى  
إلى المادة الأولى والاسطقسات ، وارتباطها  
واتلافها شبيهاً بارتباط الموجودات المختلفة  
بعضها ببعض واتلافها<sup>(٣)</sup> .

هذا هو رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابى  
وهذه هى الناحية السياسية التى تلتبس عند  
الفيلسوف العربى ، فهو لم يضع شكلاً عاماً  
للحكومة توزع فيه الاختصاصات على وظائف  
مختلفة ، بل ركز جل اهتمامه فى الرأس معتقداً

بملك ، وبذا تتعرض للهلاك . ورئيس المدينة  
يتمزج امتزاجاً كلياً وجزئياً فى العقل الفعال  
ويتلقى عنه الرغبات والهداية مباشرة ويتيسر  
له ذلك بالطريق الكسبى الذى يتلخص فى  
الرياضات والمجاهدات والتأمل والنظر ،  
أو بالهبة الإلهية .

والمجتمعات عند الفارابى قسمان :  
مجتمعات كاملة ، ومجتمعات غير كاملة .  
أما الكاملة فهى ثلاث<sup>(١)</sup> : العظمى ،  
وهى جماعة من أم كثيرة أى عبارة عن المجتمع  
الإنسانى بأسره . والوسطى ، وهى عبارة عن  
أمة واحدة . والصغرى ، وتتكون من أهل  
مدينة واحدة .

وأما غير الكاملة ، فهى مجرد اجتماعات فى  
القرى أو فى الطرق أو فى البيوت<sup>(٢)</sup> . ومن  
الطبيعى أن تتخلف الأمم بعضها عن بعض  
بفعل العوامل الجغرافية والأخلاق والشيم  
الطبيعية واللغة ، وما إلى ذلك .

والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو  
وسيلة السعادة ، وبه تنال ، وتصير المدينة  
فاضلة ، وبه أيضاً تصير الأمة التى هى مجموعة  
من المدن أمة فاضلة ، وبه كذلك يصير المجتمع

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٧٨ - ٧٩ .

(٢) السياسات المدنية ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ص ٥٤ .

(١) السياسات المدنية ، الفارابى ، ص ٣٩ ،

طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٦ هـ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وعقد لذلك كتاباً قائماً بذاته . وسواء أقصد الفارابي أيضاً إلى النتائج أم لم يقصد فإن قوله بوجود إعطاء كل شخص العمل الذى يتفق مع طبيعته هو نفس ما يدعو إليه علم النفس الحديث فى نظريات التربية التى تقول بوجود تمهيد الطفل وملاحظته فى الصغر وتوجيهه إلى الوجهة التى تتفق مع استعداداته ... وإن لتقسيم العمل أيضاً أثره من الناحية الاقتصادية ، فإدام كل شخص سيوجه إلى العمل الذى يتفق مع طبيعته وميوله ، فإنه لا بد أن يعود ذلك بالإنتاج الوافر العميم على الوطن .

على أننا إذا وضعنا رأى المعلم الثانى فى المدينة الفاضلة تحت مجهر علم الاجتماع الصحيح ، نرى أنه لا يسير وفق قوانينه ، ولا يراعى مقدار تحققها عليه . صحيح أن الفارابي قال بتقسيم العمل ، ولكنها كانت لديه فكرة ينقصها الكثير من الصقل والتوسع ، فهى لم تنتج عنده من دراسة قائمة على الملاحظة والتجربة ، لأنه لم يكن يعنيه أن يعرف الميول ولا الرغبات التى تسيطر على العقل الجمعى ، بل كان يعنى عناية كلية بما ينبغى أن يكون ولا شأن له بما هو كائن ، وهو بذلك لم يحاول أن يدرس المجتمع دراسة منظمة ثم يستخلص القوانين التى يسير عليها ويضع لإصلاحه وفعلها مراعيها فيها التدرج الذى يسير بالأشياء سيراً طبيعياً لا يحس فيه

بأنها إذا صلحت ، صلحت بقية أعضاء البدن فاشترط فى رئيس مدينته أن يكون كاملاً من جميع الوجوه ، ومادام كذلك فإنه لا بد وأن يبنى الإصلاح ونشر العدالة والمساواة ، وإذا قلده الأفراد وساروا على نهجه فإن الخير لا بد أن يعم المدينة وينتشر فى ربوعها لواء الحق والطمأنينة .

على أنه هنا يجب أن نفرق بين المدينة الفاضلة والمجتمع الإنسانى عند الفارابي ، فلقد أراد الفارابي أولاً أن يدعو إلى مجتمع إنسانى يعم فيه العدل والمساواة والإخاء ، وهو قد أخذ هذه الفكرة من تعاليم الدين الإسلامى لا من أفلاطون ، ولكنه عندما رأى صعوبة تحقيق هذه الفكرة عدل عنها وقصر كلامه على مدينة محدودة ، ففصل فيها القول ودعا إلى التأخى والتآزر ليتكون منها جسم واحد تسرى فيه روح واحدة .

ولقد تكلم الفارابي فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » فى فصل « القول فى صناعات والسعادات » عن تقسيم العمل فوزع الأعمال بالنسبة إلى الطبائع ، ودعا إلى إعطاء كل شخص العمل الذى يتفق مع طبيعته لتستقيم الأمور ، وسواء أقصد الفارابي إلى النتائج التى تستخلص من قوله هذا أم لم يقصد فإنه يعد سابقة لدوركهيم زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية الذى دعا إلى تقسيم العمل

وإلى ما ينبغي أن يكون بدون أن يضعوا أساسه على ما هو كائن ... ولقد صدق توماس مور حين سمي مدينته باسم المدينة « التي لا توجد في أى مكان » ، فالمدينة الفاضلة حلم الفلاسفة قديما وحديثا ، وستظل حلما ما تخفف شيئا من غلوائها ، وينظر دعائها إلى الواقع بعين فاحصة ، ويبنوا لإصلاحهم بمقدار ما تسمع به ظروف المجتمع ، وبمقدار تقبله للإصلاح المنشود .

سليم زهير

الفرد أن شيئا غير موافق لطبيعته قد أقحم عليه. وإنما استوحى فلسفته وفلسفة أسانذته وخيل إليه أن أى إصلاح إنمائيهم بمجرد رسم طريق بدون مراعاة للطبائع وبدون أن يبني كلامه على الوقائع المحسنة وعلى القوانين التي يسير عليها المجتمع.

وليس الفارابي بدعا في هذا الميدان ، لجميع الفلاسفة الذين قالوا بالمدينة الفاضلة لم يراعوا فيها قوانين المجتمع ولم يحاولوا أن يتفهموا عقلية الشعب الذي يعيشون وسطه ، وإنما اتجهوا إلى مبادئهم الفلسفية

### ( بقية المنشور على صفحة ٩٢٤ )

وحماماتها، وكان الغزالي إذ ذاك في الإسكندرية فعلم ، وغص قلبه بما علم .

\* \* \*

الدلالة في قصة القهوة هذه وفي كتاب الإحياء وما بينهما مما فصلناه دلالة بيّنة واضحة قوية ، والعبرة التي يجب أن يعتبرها رجل الفكر الديني منها مثيرة بصيرة منيرة : أن يقتصد في تحريم ما لم يحرمه الله ، وأن يدرك تطور الحياة وسيرها الحتمي كما يحفظ نصوص المكتوب والمسموع ، وأن يضع عينه على مجتمع الناس ومقبل أيامهم كما يضعها على ماضيهم ، وأن يكون آمينا على العقيدة - أمانة الفهم والعقل وسعة الأفق - وآمينا على الحرية أيضا .

محمد المرفاوي

« قصة القهوة » ، هذه وأشباهها من حججهم في ذلك .

والمسلمون إلى يومنا هذا يصفون الإمام الغزالي بأنه « حجة الإسلام » ، ويضعون كتابه : « إحياء علوم الدين » ، حيث يضعون من الصدارة ، ولكن تاريخه يقول إن كتابه هذا عند ما وصل إلى المغرب ثار عليه وعلى صاحبه بعض « العلماء » ، لا لأن فيه آراء خالفت شيئا مما جاء به القرآن الكريم أو صحيح الأحاديث ، بل لأن فيه آراء خالفت فيها الغزالي بعض مذهب الإمام مالك ، وجمع كتاب « إحياء علوم الدين » من الأسواق ومن عند أصحابه فأحرق في المغرب من بلاد المسلمين ، جمع وأحرقته النيران في مساجد المغرب والاندلس

مع نجي إسرائيل :

## الزَّعَّةُ العِصْرِيَّةُ والصَّهْيُونِيَّةُ

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ٢ -

مقياس التفاضل بين الناس :

له في التفاضل ، وإنما هو آية من آيات الله الدالة على قدرته وحكمته كما يفهم من قوله سبحانه ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، والناس من جميع الاجناس أخوة يفتنون إلى أصل واحد فينبغي أن يسودهم الشعور بالأخوة وأن يتعارفوا ويتآلفوا كما يقول الله : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، وهم كذلك على اخلائهم شعوبا وقبائل من هذه الأرض التي يقول الله فيها : منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

من التلويح :

ولكن الأحبار من اليهود ما زالوا يبنون إسرائيل وإمامة اليهود يصلونهم ويمدونهم في الغنى حتى وقع في أخلادهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أبناء الله وأحباءه وقد كانوا كما يقول الله : يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم

تتفاضل الأشياء في تقديرنا وشعورنا على أساس الحاجة إليها . أو المنفعة التي ترجى منها . أو ندورها بالنسبة إلى غيرها ، أو الخبرة التي بذلت في إخراجها وإنتاجها ، ولكنها لا تتفاضل أمام الله لشيء من ذلك ، لأنه الغنى وكل ما سواه محتاج إليه ، ولأنه لا تفارت أمام قدرته في خلقه ، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ولا شيء مما يصنعه الإنسان يرقى إلى صنعه جل شأنه كما يقول سبحانه : هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ، ومن ثم كان المقياس الذي يتفاضل به الناس عنده هو التقوى كما يفهم من قوله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وكانه المسلمون خير أمة أخرجت للناس ، لأنهم كما يقول الله فيهم : تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

فاختلاف الألوان والألسنة لا مدخل

\* إذا ضرب أمي « غير يهودى » يهوديا فالأمي يستحق الموت .

\* الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو مقدار الفرق بين اليهود وباقي الأمميين .

\* إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين على الديانة اليهودية هي نطفة حصان .

من القرآن :

وقد سجل القرآن الكريم هذه الظاهرة في أكثر من موضع ، وعقب عليها بما يكشف زيفها وفسادها ، بل قرن الحديث إليهم بالحديث عن إبليس مع آدم إشير إلى ما بينهم وبين إبليس من مشابة وصفات مشتركة كالأعزاز بالعنصر ، والحمد والحمد والمكر والكيد فإن هذه الصفات ثمرات شيطانية خبيثة ، وهى من أبرز صفات بنى إسرائيل واليهود بوجه عام .

وحسبنا أن نعرض بإيجاز هذه المزاعم وتعقيب القرآن عليها بأملوبه العف النظيف العالى ..

فهم يزعمون أنهم أولياء لله دون غيرهم من الناس ، والله يعقب على زعمهم بقوله « قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .

عما يكسبون ، ومن ذلك الذى كتبوه ونسجوا خيوطه من الأباطيل والأضاليل ما يعرف عند اليهود باسم التلود ، فإنه الكتاب الذى يحتل عندهم الميزة الثانية بعد التوراة - على ما فى التوراة من تحريف وتزييف ، بل إن بعضهم يذهب إلى تفضيله على التوراة كما ذكر ذلك الأستاذ عبد الرحمن عثمان فى بحثه القيم عن الصهيونية ، وقد نقله الأستاذ الشيخ محمد الغزالي فى كتابه . الاستعمار أحقاد وأطماع ...

إن هذا الكتاب الذى يعتمد عليه اليهود كل الاعتماد ويسترشدون به فى تحديد علاقاتهم بغيرهم وعلاقة بعضهم ببعض ، قد تم وضعه فى ألف عام ، وملىء بكثير من الخرافات والأساطير والأوهام ، وأبرز ظاهرة فيه هو الزعة العنصرية المنحرفة كما نرى فى هذه الكلمات التى جاءت فيه .

\* إنه لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض ولاحتجبت السماء . وامتنع المطر .

\* إن اليهود أبناء الله وأحباؤه ، أما باقى المخلوقات فهى بذور حشرات وسائمة كالأنعام .

\* اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه . فمن يصفع اليهودى كمن يصفع الله .



### الصهيونية وليدة النزعة العنصرية

من هذه المزايعم الآثمة الظالمة التي اوجت بها النزعة العنصرية . نبتت فكرة الصهيونية ، وهي تهدف إلى ربط مشاعر اليهود بصهيون ، وتوجيه نشاطهم السياسى . والأدبى والاقتصادى والحربى . إلى إنشاء وطن يهودى . وإقامة دولة فى فلسطين . يكون مركز دائرتها صهيون وهو من التلال التي قامت عليها مدينة القدس حيث كان هيكل سليمان عليه السلام . وقد أشرنا إلى ما كان لسليمان عليه السلام من سلطان على الجن ، إذ كانوا يعملون له ما يشاء امن محارب وتمانيل وجنان كالجواب وقد ورر راسيات ، وإلى أن ملك سليمان كان عطاء من الله كما يفهم من قوله تعالى بعد الحديث عن ملكه وسلطانه وهذا عطاؤنا فامتن أو أمسك بغير حساب .

ولكن الأحلام والأوهام وجدت سبيلها إلى نفوس اليهود ، وظلت تتفاقم وتتعاظم حتى أصبح العالم فريسة لدسائسها ومحنها رفتهها فإن سياستها تهدف إلى السيطرة عليه واستغلاله واستغلاله . ليتعم لهم ما يوهموه من السيادة على كل من سواهم ، والمأمل فى قرارات المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى مدينة بال عام ١٨٩٧ يجد هذه الروح سافرة ظاهرة ، ويجدد وراء هذه الروح الفزعة العنصرية المخربة المدمرة ، فقد جاء فيها أن

\* وهم يزعمون أنهم ان تمسهم النار إلا أياما معدودة والله يعقب على زعمهم بقوله : قل أنخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ،

\* وهم من فرط التعصب لعنصرهم وجنسهم يرفضون الإيمان بما أنزل الله على غيرهم كما يفهم من قول الله : وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه . وهو الحق مصدقا لما معهم ، ثم ينقئ عنهم الإيمان بما أنزل الله عليهم كما ادعوا فيقول : قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين .

\* وهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فيرد الله عليهم بقوله : قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق .

\* وهم يستبيحون أموال غيرهم ويقولون ليس علينا فى الأميين سبيل ، فيصفون الله بأهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

\* ثم هم يزعمون أنه ان يدخل الجنة إلا من كان هودا فيرد الله عليهم بقوله : قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .

العزة والمهابة والجبروت . إنه المسيح المنتظر من سبط يهوذا ونسل داود .

### الآرية والسامية :

وهذه النزعة العنصرية اليهودية التي أثمرت ثمرها المرير في الاتجاهات الصهيونية كان لها أثر مقابل أو مماثل في التفكير عند الدول الاستعمارية .

فقد زعم اليهود أنهم يمتازون عن غيرهم بمواهب عقلية خاصة ، وقيل إن كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود كأنما صاغ الله أدمغتهم من نور كاشف . وأدمغة غيرهم من ظلام دامس .

وهذه الفكرة التي شاعت وذاعت . نذكرنا بفكرة أخرى شاعت وذاعت في جو البلاد التي نكبت بالاستعمار . فقد قيل كذلك إن العقل الآري يمتاز عن العقل السامي بخصائص العمق في البحث والاستقراء والاستقصاء . والنفوذ إلى ما وراء القشور من اللباب ، وأن العقل السامي - واليهود ساميون كما يزعمون - سطحي البحث ضحل القرار ، يقف عند ظواهر الأشياء ولا يتجاوزها إلى أعماقها ودقائقها وحقائقها .

وهذه النظرية إن صحت تهدم ما يقال عن مواهب اليهود لأنهم ساميون ، وإن صح أن هقيلة اليهود كما قيل ويقال انهدمت النظرية التي تشيد بالعقلية الآرية .

من مصلحة اليهود اشعال الحرب بين الدول حتى يتيسر نقل الحرب إلى الميدان لاقتصادى وبذلك يضطر الغريبان المتحاربان إلى وقوعهما في قبضتنا لتفوقنا في هذا المضمار ، والعمل على خلق الضائقات المالية للحكومات لتنمية روح الكراهية في العمال تجاه الحاكمين ، وبذلك نهيمن على الجهاز الحكومى وخاصة لأن في أيدينا الصحافة وفي قبضتنا البرلمان ، والعمل على رفع ضغاف الأخلاق إلى مناصب الحكم ليستجيبوا في يسر إلى رغباتنا ، وشغل الشعوب في أوقات السلم بالأفكار المتعارضة وبموجات الانحلال ، وبذر بذور الخلافات وتشجيع المحاولات التي تهدف إلى الهدم والتدمير ، وزعزعة الإيمان والعقائد في القلوب حتى لا يبقى على الأرض سوى اليهودية .

ثم ختمت القرارات التي أقتطفنا منها هذا الجانب بهذه العبارة .

بعد كل هذا لن يبقى أمامنا سوى أن نخطو الخطوة الأخيرة نحو عرش صهيون وهو بحاجة إلى العنف . وسيجلس ملكنا المحبوب على هرش سليمان ليحكم العالم وستحف به نخبة من حكام صهيون من نسل داود تعاونه في مهمته الصمدانية . وسيكون حكمهم حازما وعنيفا لحير الإنسانية ، وأما الملك فسيكون مثال

وقوله فيهم د وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجبتاكم .

وقد جرى المفسرون على تأويل العالمين بأهم عالمو زمانهم وهم الوثنيون وعندى أن ذلك لا يخلو من تكلف وتعسف . وأن الاشتراط بالغة التي نزل بها القرآن يضى لنا الطريق إلى فهم الآية على سلامتها واستقامتها .

فقد ضيق العرف مفهوم كلمة الفضل حتى صار يفهم منها الخير بدون الشر ، أما مفهومها في اللغة فهو الزيادة أو كما قيل بالنص الفضل ضد النقص .

فإذا وضعنا إلى جانب قوله تعالى في بنى إسرائيل د وأنى فضلتكم على العالمين قوله في المسلمين د كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقوله د وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجبتاكم ، تعين لدينا ما ينطق به الواقع وبشده التاريخ من أن الزيادة التي تميز بها هؤلاء على غيرهم أو على عالمي زمانهم . من كثرة أنبيائهم - وقد قتلهم بغير حق - وكثرة النعم التي أنعم بها الله عليهم وقد قابلوها بالكفر دون الشكر ، تشهد عليهم ، ولا تشهد لهم وتضم تاريخهم بأنهم ليسوا كما يزعمون د شعب الله المختار ، بل كما قال هارون لأخيه موسى عليهما السلام د إن هذا الشعب شرير د فقد ذكرت التوراة ذلك ، ونطق الواقع بذلك د

والصحيح أن كلمتا النظريتين مجرد زعم كاذب . ووهم خاطيء ، وأهما مظهران لعنصريتين منحرفتين . عنصرية الدول الاستعمارية ، والعنصرية اليهودية الصهيونية أما التفوق العقلي فمردد إلى الظروف الاجتماعية والمادية ، وأسلوب التوجيه العلمى والتربية والشعور بالحاجة . وما إلى ذلك من العوامل التي تساعد على إيقاظ المواسب ، وتعمل على إخمادها

وقد عاش اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الأوروبية غارقين في ظلام الجهل والذل دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا .

وعاش د الآوريون - الآريون وغير الآريين - آلاف السنين ذنابا جائعة تحترف الصيد أو السطو دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا .

إنها أوهام عنصرية تعرض في صور الحقائق العملية لنؤدى وظيفتها في خدمة الاستعمار أو الصهيونية .

وهم وسوء فهم :

ومن الهم وسوء الفهم تفسير قول الله في بنى إسرائيل د وأنى فضلتكم على العالمين ، على معنى أن الله اصططاهم واجتباهم وجعلهم خير العالمين . فإن ذلك يتناقض مع قول الله في المسلمين د كنتم خير أمة أخرجت للناس ،

ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

فالسبب الذى رفع العرب - وهم الاميون - هو أنهم انتفعوا بالرسول الذى بعثه الله منهم وكان من مظاهر قدرة الله فيه أن يعلمهم - وهو أمى مثلهم - الكتاب والحكمة وما يدخل تحت مفهوم الكتاب والحكمة ، وبذلك ارتفعوا إلى القمة التى لم تصل إليها أمة . وصارت إليهم مقادة العالم فى كل شئ . كان يعرفه العالم ، وكان ذلك بفضل الله كما يقول سبحانه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

أما السبب الذى وضع اليهود وجعلهم كما يقول الله فيهم " ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله " فهو أنهم لم ينتفعوا بالتوراة ولم يعملوا بما فيها فكان مثلهم كمثل الخار يحمل أسفارا . ثم هم مع ذلك يزعمون أنهم أولياء الله ، وهم كما يقول الله " ولنجدنهم أحرص الناس على حياة ، ولذلك طلب إلى النبي أن يتحداهم ويقول لهم " تمنوا الموت إن كنتم صادقين " فى أنكم أولياء الله من دون الناس . وذكر أنهم لن يتمنوه أبدا بسبب ما قدمت أيديهم وما اقترفوا من ألوان الإجرام والآثام ..

ووصفهم القرآن بأنهم " ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويهطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض " .

إن خير الناس هم الذين يجدون فى دينهم فضائل كل دين ، ويفرض عليهم دينهم أن يؤمنوا بالأنبياء والرسول من كل دين ، لهم الذين يقول الله فيهم " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " ، وهم الذين يقول الله لنبيهم " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " .

#### العرب واليهود :

وقد جا ذكر العرب مع اليهود فى سورة الجمعة ، وذكر السبب الذى رفع العرب ، والسبب الذى وضع اليهود ، وذلك حيث يقول الله : " هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخار يحمل أسفارا بنس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين

## وعد الآخرة ..

كما ذكر الله . فلم تمتد أيديهم بالقتل والتشريد والتخريب .

وقد عادت الكرة لبني إسرائيل وكثرت أموالهم وعلوا علوا كبيرا ؛ لأن نفوذ الصهيونية وصل إلى قمة مداها ، وكان من آثاره إنشاء إسرائيل في صدر هذه الأمة وامدادها بالأموال والبنيين ، وتوجيه الدول الاستعمارية إلى مناصرتها ومظاهرتها حتى صارت وصار بنو إسرائيل أكثر فقيرا .

ولكنهم - وهم كما ذكرنا لا يصلحون لإقامة دولة - ينتظرون المصير الذي يشير إليه قول الله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم . وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة . وليتبروا ما علوا تبيها .

أما متى يكون ذلك ، فالجواب عنه عند الله . ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا ، وأما السبيل إلى ذلك . فهو ما تشير إليه قول الله بعد ذلك : إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا .

عبد الرحيم فوده

صحيح أن اليهود تمكنوا في ظل الاستعمار وبمجهود الصهيونية أن يتسللوا إلى فلسطين وأن يقيموا فيها دولة إلى حين ، ولكن وعد الآخرة ينتظرهم ، ويضع أمامنا وأمام أعيانهم مصيرهم ، فإن المتأمل في قوله تعالى : وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد نجاسوا خلال الديار وكان وعدنا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر فقيرا ، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة . وليتبروا ما علوا تبيها . . . المتأمل في ذلك يدرك أن العباد الذين شرفهم الله بالانتساب إليه هم المسلمون الذين يعبدونه لا يشركون به شيئا ، لا الفرس الذين كانوا يعبدون النار والكواكب ، وأنهم من أصحاب محمد وأتباعه بدليل قوله أولى بأس شديد ، فإنهم كما يقول الله : أشداء على الكفار رحاء بينهم ، . . . وقد كان من أمرهم في فتح إيلياء أوبيت المقدس أن جاسوا خلال الديار

# نفاية القرآن

الإسلام ينهى عن المتابعة باسم الدين  
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

يأبى الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان  
ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون  
عن سبيل الله .

ولم يصارحهم بنهى يتعلق بهم ، بل يسوق  
لإلهم القصص عن كثير من أحبار اليهود ،  
ورهبان النصارى : أنهم كانوا يرتكبون  
على حساب الدين مآثمين كبيرين .  
أحدهما - أنهم يأكلون أموال الناس  
بالباطل .

والثانى - أنهم يصدون عن سبيل الله .  
ومن خلال هذا القصص اللاذع عن  
الأحبار والرهبان نذكر أموراً هامة مقصودة ،  
ولكننا نرجى الكلام عليها حتى نبين ماصنع  
ويصنع أولئك الأحبار والرهبان .

( ١ )

١ - كانوا ، ولا زالوا يستغلون ثقة الأتباع  
فيهم ، ويتنزهون اطمئنان الأغرار لإلهم ،  
فيتخذون المظهر الدينى وسيلة إلى كسب المال ،  
وتصيد المنافع فى ظل هذه الثقة المظلومة  
ويتحدثون بالسنة الأتقياء ، ومنطق الزهاد ،

يريد الإسلام أن تكون الدعوة إليه  
خالصة من الشوائب ، بعيدة عن وجوه  
الاستغلال ، فإنه دين الله المحصن من كل  
ذيف ، فمن حقه أن تكون الدعوة إليه  
ملائمة له فى برامتها بما يداخلها ، أو يبعد بها  
عن طهره وتقواته .

إذ لا يتفق عقلاً أن تكون الدعوة  
المدخولة وسيلة إلى التعريف بالحق ، ولا سيلاً  
إلى الاقتناع به ، والدخول فيه .

وحينما تكون الدعوة على أصلها المشروع  
تكون هى الوسيلة التى شرطها الله على الدعاة  
أن يدعوا الله مخلصين له الدين .

وحينما تتوافر للدين هذه الدعوة البريئة  
يتضح أن هذا هو الدين الذى يرتضيه الله  
فى قوله « ألا الله الدين الخالص » .

وحينما ننظر فى مقامنا هذا نرى أن  
الله يناجى المؤمنين بوصفهم : مؤمنين ،

(ب)

١ - ثم كانوا بجانب أكلهم للمال بالباطل من وجوهه وغير وجوهه يصدون عن سبيل الله ، فعلمهم هذا حدود منهم عن دين الله الذى شرعه قديما وحديثا وبين فيه الحرام ، وغيره ، وهو - كذلك - صد لغيرهم عن سبيل الهدى بالتضليل ، وبث المعارف المزيفة ، وكف الناس عن الإسلام بالمحاولات المختلفة : تكون من طريق الإغراء بالمال للبحث ، وبإفساء المدارس والمستشفيات التبشيرية .

٢ - وتكون بإرسال البعثات إلى الجهات البدائية ، والمواطن المغفلة من الرقابة والمخادعة لأولئك البسطاء .

٣ - وهكذا مما يقيمون من حفلات : فيها ما فيها من مغريات ولهو وطيب عناق . فالقرآن الكريم يحدثنا عن هذا كله - مما نعرف ، أو لا نعرف - فى أسلوب بجل ... هو قوله تعالى : « لئلا تكون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله » . والذى ندركه من خلال هذا ، وأرجأنا الكلام عليه هو :

١ - إن الله - تعالى - وجه خطابه إلى المؤمنين بوصفهم هذا : لأن فى ذلك تكريما لهم ، واستهناحاً لغيرتهم الدينية أن تفطن لما يلقى عليها من جانب الله - سبحانه .

ثم يبسطون أيديهم للهدايا ، ويستخدمون الجاه الدينى فى قضاء المنافع ، ويستدرجون الناس بالدعوات من أفواههم المتعبدة - فى زعمهم .

٢ - يغربون بالناس فيجمعون الأموال قريبة منهم إلى القديسين فى الأديرة ، وفى تجديد المقابر ، والتوسع فى المعابد .

٣ - تصديهم لمغفرة الخطايا ، إذ يتقدم المذنب إلى بعض القساوسة ، ويعترف بما لديه من أسرار مآثمه ، ويدفع ما يطلب إليه من مال ، ويأخذ صكاً بمغفرة ذنوبه ، ليتقدم به فى اليوم الآخر فيكون ناجياً من العذاب فى جهنم .

وإن هذه الخدعة بالذات لسبب فى شيوع الفواحش فى تلك الأوساط ؛ اعتماداً على تناول هذا الصك فيما بعد ، حق كان من أثر هذا التضليل قيام ثورة المذهب الإصلاحى - البروتستانت - ضد الكاثوليك فى بعض الأوطان المسيحية وقتاً ما .

٤ - أخذ الرشوة من ذوى النفوذ للتبديل والتغيير فى كتبهم على ما يوافق أهواء الحكام وأخذ الربا فى كل وقت - وبخاصة لدى اليهود - الذين نفشت حيلهم فى نظم ربوية لا تكاد تحصر ألوانها : بين بنوك ، ومصانع ومؤسسات ، ومتاجر ، ومعاملات فردية .

هل هذا كله مجرد الحير وما يلاحقه  
لتعريف المسلمين بما بينهم وبين أهل  
الكتاب من فروق ؟؟

لا : فهنا هدف مقصود ، سكّت القرآن  
عن التصريح به ، لا تسامحاً فيه ، ولا عناية  
للمسلمين ... بل مبالغة في استنفاض  
مشاعرهم ، ولفتاً إلى أن الإشارة قد تغنى  
عن العبارة ... وإن نوعاً من التكريم قد  
يحدث ما لا يحدّثه السيف في التهذيب  
والتقويم .

ذلك الهدف : هو توجيه علماء الإسلام  
والقائمين بتبليغ دعوته أن يكونوا أمناء  
على دينهم ، وعلى علمهم ، وعلى إرشاد  
الناس في دعوتهم ، فلا يكونون كالأخبار ،  
والرهبان فيما ارتكبوا من المتاجرة باسم  
الدين ، مع الانهماك في الدنيا بأساليب ملوثة  
بلون الدين ، واتخاذهم الدين قنطرة إلى  
المآرب ، ووسيلة في الزلنى إلى ذوى النفوذ .  
ويحذر القرآن أهل العلم في المسلمين أن  
يتأولوا في أحكامه متابعة لأهواء الناس ،  
واستناداً إلى نفوذ يحميهم من صولة الأقلام  
الناقدة بالحق .

فذلك الانطلاق يكون تبجحا في مجال  
الاحتشام ، وهواة في مواطن التخرج  
وإذا ابتلى الإسلام من بعض رجاله بشيء  
من الطموح المادى على حساب دينهم ،

٢ — وإن التشنيع بهذا على أخبار اليهود  
ورهبان النصارى كتبرئة للمسلمين من مقارنة  
هذا كله ، وكشهادة بأن المسلمين أمناء على  
دينهم ، فلن يبدلوا في تشريع الله ، ولن  
يغيروا في كتابه - القرآن - ولن يستحلوا  
ما حرم الله ، ومن فعل هذا منهم فلن يكون  
عن تبديل ، ولن يكون استحلالاتاً للحرم ،  
غير متخرجين كما فعل أولئك المفترون على  
ربهم ، وإنما يكون خطأ منهم ، ثم يتوب  
الله على من تاب .

٣ — إن إسناد هذا المنكر إلى كثير من  
الأخبار والرهبان يعتبر تبرئة الكثيرين  
وإنصافاً لهم : وهذا هو الواقع الذى قرره  
القرآن في غير موارد .

وذلك شأنه معهم في مواطن أخرى ،  
فقد وصفهم مرة بأنهم أمناء على المال ،  
حتى لو استودعت بعضهم قطاراً من الذهب  
لأداه إليك ، دون مساس به ، وإن كان  
بعضهم لا يؤتمن على دينار واحد ...

ووصفهم كذلك بأن منهم أمة قائمة  
- مستقيمة - يتلون آيات الله ، ويستجيبون  
للحق ... ويأمرون بالمعروف ، وينهون  
عن المنكر ... وهؤلاء هم الذين دخلوا ،  
ويدخلون في دين الإسلام ، ولا يتعصبون  
للتقليد الوراثى لليهودية أو النصرانية .  
ثم لننظر :



ويكون هذا لإطفاء لجذوة النشاط العلمي  
في صدور الشباب من طلاب الثقافة الإسلامية  
إذ فيه لغتهم عن تلقى الثقافة الإسلامية  
أو تشجيع لهم على التقليد الخاطى في التلاعب  
بأحكام الله، والانطلاق في التحلل منها وراء  
التأويل، والتأرجح، والهراوة في سبيل  
المتاجرة بالدين.

وما ينبغي لنا أن نتغاضى عن توجيه  
الكتاب الكريم فيما يحكيه عن الأحبار  
والرهبان حفظ الله شريعته، وحفظ علينا  
ديننا جميعاً ؟

عبد اللطيف السبكى

والسير فيما رسمه الأحبار والرهبان في مسالكهم  
كان ذلك حجة على الإسلام لدى أعداء  
الإسلام ولم يكن هناك فارق بين علماء  
الإسلام وبين أحبار اليهود ورهبان النصارى  
وقد شنع الله عليهم.

وهذه هي الفتنة البغيضة التي تمحاشاها  
سلف المسلمين في دعائهم ربنا لا تجعلنا  
فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك  
أنت العزيز الحكيم.

وهذه فتنة - كذلك - للمسلمين  
الآخذين عن العلماء فيما يقبونه من فتاويهم  
وأعمالهم.

## الوحدة العربية

ولكن من الأحلام ما يتوقع  
وإن كثرت أوطانه فهي موضع  
لنا الشرق حد والعروبة موقع  
إذا دميت من كف بغداد إصبع  
للك ذرا الأهرام هذا التصدع  
لسالت بواى النيل للنيل أدمع  
لبات له أكبادنا تتقطع

[ على الجارم ]

لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة  
إذا عددت راياته فهي راية  
فليس حدود الأرض تفصل بيننا  
تذوب حشاشات العواصم حسرة  
ولو صدعت في سفح لبنان صخرة  
ولو بردى أنت لخطب مياهه  
ولو مس رضى عاصف الريح مرة

## من معاني القرآن

هذا الواجب وترك أدائه . أو أنكر مكانة هذا البيت فلم يحترمه ويعظمه . فإنه لا يضر بذلك إلا نفسه ، لأن الله غنى عن كل ما سواه ، والمتأمل في هاتين الآيتين يجد أن البيت وضع للناس كما يقول الله . فليس لأحد أن يحتكر القيام عليه ، أو يتجر بما يحجي إليه ، أو يحول دون حجة ، وليس لقوم أن يستأثروا بخيره دون غيرهم ، وقد نسب الله إلى نفسه حيث قال : « وهدينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وسماه البيت العتيق » ، « والمسجد الحرام » ، وجعله كما يقول سبحانه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » . وكما يقول : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

ومعنى هذه العبارات الواضحة الصريحة أن هذا البيت لله ولكل من يؤمن بالله ، وأنه كما قال صلى الله عليه وسلم : « البيت قبله لأهل المسجد ، والمسجد قبله لأهل الحرم ، والحرم قبله لأهل الأرض في مشارقها ومغاربها من أمق » .  
ويكفي هذا القدر . الذي لا يضيق به صدر .

عبر الهمم قودة

إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .

بكة . اسم لمكة ، مباركا . كثير الخير ، بينات . واضحات ، مقام إبراهيم . المكان الذي كان يقوم فيه بالعبادة ، آمنا . مطمئنا لا يشعر بخوف .

### المعنى

إن أول بيت جعله الله متعبداً للناس هو الذي بمكة وهو الكعبة أو المسجد الحرام ، فليس قبله مسجد أقيم لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهو كثير الخير والبركة ، ينتفع به الحجاج والمقيمون حوله ، ويجد الناس في حجة وفي الاتجاه إليه أثناء الصلاة هدى لهم على اختلاف ألوانهم وموطنهم ، فيه علامات واضحات تدل على جلال منزلته ومكانته ، إذ به مكان قيام إبراهيم فيه لبنانه ولعبادة ربه . وفيه الأمن يشعر به داخله فلا يخشى عدوانا عليه أو انتقاما منه ، وقد أوجب الله حجه على من يستطيع حجه من الناس . ويجد السبيل إليه ، ومن أنكر

# القرآن ينهككم باليهود

للدكتور سعد الدين الحيزاوي

وتوجهاته أى اعتراض ، وقد أراد الله تبديد هذا المعنى من أول الأمر ، في وقت تأسيس العقيدة الإسلامية ... فقد وجهت الآيات أنظار المسلمين ألا يسلكوا ما سلكه اليهود مع موسى عليه السلام بكثرة أسئلتهم ومقترحاتهم ومطالبهم التي عجزوا عن الوفاء بها فاستحوا غضب الله ولعنته ... فنزل قول الله تعالى : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل » (١) . وفيها إرشاد للمسلمين ، وتحذير ... وتهكم مرير باليهود في هذه الإشارة بماضى أسلافهم

ولقد تجرأ اليهود يوما فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول له - كشرط لدخولهم في الإسلام - : إن كنت نبياً حقاً فاطلب من ربك أن ينزل علينا كتاباً من السماء جملة واحدة كما أتت الألواح إلى موسى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » ، ولقد كان هدف السائلين أن يظهر عجز محمد ويسوغوا قولهم بهتاناً

(١) سورة البقرة الآية ١٠٨ .

دأب اليهود في دسائسهم ومحاولاتهم تشكيك الناس في رسالة محمد عليه الصلاة والسلام بما كانوا يوحون به من أسئلة عن أمور مجهولة بالنسبة للعرب ، لكنها في التوراة ، ويعرفها اليهود كما يعرفون أبناءهم ، ثم بما كانوا يوعزون به من مطالب هم يعرفون أنها مستحيلة ، مثل أن يكلم الله الناس ، أو أن يحمل جبال مكة ذهباً ... حتى جرى ذلك على ألسنة من يجهلون : « وقال الذين لا يعلمون : لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية . !! » ... فأجابت الآية في أسلوب تهكمي بما يعلبه اليهود في كتابهم : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قومهم ، تشابهت قلوبهم » (١) . والإشارة هنا إلى المعاندين لرسولهم من الأمم السابقة وفي مقدمتهم اليهود الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يرهم الله جهرة حتى يؤمنوا به .

ولما كانت آيات التشريع تنزل متدرجة ، وقد يحل حكم مكان حكم حسب مقتضيات التطور ... ولما كان القرآن وحياً من عند الله تعالى ، وينبغي ألا يكون على تشريعاته

(١) سورة البقرة الآية ١١٨ .

وما تضمنته التوراة قبل أن يدخلها تحريف :  
 « وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » . ثم  
 تجيب الآية بأن الذي أنزل التوراة ...  
 هو الله تعالى ، وهو الذي أرسل موسى ،  
 ثم عيسى ، ثم محمداً ، وغيرهم من الرسل  
 الكرام : « قل : الله . ثم ذرهم في خوضهم  
 يلعبون (١) » .

وقد أشارت آية أخرى إلى فضل رسالة  
 محمد على اليهود في تصحيح معلوماتهم : « إن  
 هذا القرآن يقصص على بني إسرائيل أكثر  
 الذي هم فيه يختلفون (٢) » .

\*\*\*

ورداً على ما كان من اليهود من محاولات  
 لبلبلة الأفكار وتشكيك الناس فقد نزلت  
 بعض الآيات توجه أسئلة إلى اليهود إمعاناً في  
 كشف خباياهم ، وإظهاراً للكثير مما يكتُمون  
 من الحقائق الثابتة عندهم بصدق رسالة محمد  
 عليه الصلاة والسلام .

وطبيعي أن اليهود لم يجيبوا عن الأسئلة  
 التي وجهت إليهم ، كما أن السماء لم تحك  
 إجابات على أسئلتهم مثل الذي رأيناه في  
 الأسئلة التي كانت توجه إلى مشركي العرب (٣)  
 للنظر في ملكوت السماوات والأرض ،

وزورا أنه ليس بني ، ولكن السماء أجابت  
 بإشارة لاذعة إلى ما كان من أجدادهم الآثمين :  
 « فقد سألو - أي أسلافهم - موسى أكبر  
 من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم  
 الصاعقة بظلمهم ... (١) » .

ولما ألم اليهود وضايقتهم ذلك الكشف  
 عن كثير مما يكتُمون من أخبارهم ،  
 والتبكي المتوالي في الإشارات إلى ماضي  
 أسلافهم الآثمين ... تجرأ أحدهم وقال :  
 ما أنزل الله على محمد ، ولا على موسى ،  
 ولا على عيسى ، ولا على أحد شيئاً ، ولعل  
 هذا العائل كان من جهلاء القوم ، أو لعله  
 أراد أن يعبر على طريقة « على وعلى أعدائي » ،  
 غير أن السماء قد أخفت هذا القائل في  
 أسلوب لاذع يلخص موقف بني إسرائيل  
 من التوراة : « وما قدروا الله حق قدره  
 إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء » ،  
 قل : من أنزل - الكتاب الذي جاء به موسى  
 نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس  
 تبدونها وتخفون كثيراً ؟؟ . وفي هذا  
 التفصيل ما يخزي اليهود ، لأنهم يسكرون  
 أن يعرف أحد عنهم شيئاً من أمثال ذلك .  
 ولكنه الوحي ، ولكنه الحق الذي لا بد  
 أن يذاع ثم استمرت الآية تبين لهم أن محمداً  
 قد جاءكم بكثير من حقائق دينكم ،

(١) سورة الأنعام الآية ٩١ .

(٢) سورة النمل الآية ٦٦ .

(٣) مثل : « وأئن - ألتهم . ليفولن : الله » .

(١) سورة النساء الآية ١٥٣ .

وأنهم قد عرفوا الحق في رسالة محمد، ولكنهم كتموا، وأنكروا ما عرفوا حسدا من عند أنفسهم، والسؤال هنا للتقرير، لأن المسئولين يعلمون المسئول عنه سواء عن معجزات أنبيائهم وموقف أسلافهم منها، أو عن الآيات الواردة في التوراة عن صفات محمد عليه الصلاة والسلام، ويكون السؤال موجها بقصد الإحراج واللوم على كتمان ما يلون، ويتضمن أيضا تبييها وتوبييها.

٢ - وقوله تعالى :

« واسألهم عن القرية <sup>(١)</sup> التي كانت حاضرة البحر، إذ يعدون في السبت، إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يستطيعون لا تأتيتهم، كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون » <sup>(٢)</sup>.

أشارت هذه الآية إلى مسألة من مسائلهم السابقة التي لا يعلم خبرها إلا خاصة الخاصة من علمائهم، فإذا ما أخبرهم بها محمد عليه الصلاة والسلام، وهو لم يقرأ كتابهم، كان ذلك دليلا قاطعا على أنها قد جاءت من طريق الوحي وفي مثل هذا الإخبار ما يكفي لأن يقنعهم بصدق محمد، ويجعلهم يتبعونه، أو يكفون عن أذاه، ولكنه الحق والشر

والاستدلال بما يحويه الكون من نظام بديع على قدرة الله تعالى، إذ لم يكن الغرض حاجة اليهود وجدالهم لأن الرسالة المحمدية لم تكن - في أساسها - موجهة إليهم، وإنما كان الغرض هو القضاء على ما كان اليهود يحاولون إثارته من فتن بسبب - إدعائهم علم الكتاب، ثم الكشف عن فساد ما يدعيه هؤلاء اليهود من أباطيل وإظهارهم على حقيقةهم، وحق لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، و« د يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء ».

ومن ذلك :

١ - قوله تعالى : « سل بني إسرائيل : كم آتيناهم من آية بينة ١١ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب » <sup>(٣)</sup> وتاريخ بني إسرائيل ملوء بما كان لأنبيائهم من معجزات، وفي مقدمتها معجزات موسى عليه السلام، وما رآه قومه من دلائل على قدرة الله تعالى . . . كذلك في كتبهم آيات بينات لا تقبل شك ولا تأويلا، بأن رسولا سيخرج من بين صفوف العرب يتصف بكذا وكذا . . . ولا شك أن اليهود الذين عاصروا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام قد كان من بينهم علماء متضلعون في دراسة التوراة

(١) قبل إنها « آية » أو « مدين » أو « طبرية » (تفسير الزمخشري) وسياق الآية يدل على أنها كانت على ساحل البحر .

(٢) الأعراف ١٦٣ .

(٣) البقرة ٢١٢ .

الأحفاد : « ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق؟ ودرسوا ما فيه، »<sup>(١)</sup>  
 ٣ — وقوله تعالى :  
 « فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسأل  
 الذين يقرءون الكتاب من قبلك ، لقد  
 جاءك الحق من ربك ، فلا تكونن  
 من المعترين، »<sup>(٢)</sup> .

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
 شك مما أنزل إليه ، وليس المراد من هذا  
 التعبير أن يزيل الرسول الشك بسؤاله اليهود  
 عما عندهم من علم به ، وإنما هو على طريقة  
 التعبير في قوله تعالى « قل : إن كان للرحمن  
 ولد ، فأنا أول العابدين ، » . ومحال أن يكون  
 للرحمن ولد وإذن فعال أن يعبد غير الله .  
 وإنما المراد في هذه الآية لإحراج اليهود  
 باعتراف محمد عليه الصلاة والسلام بالتوراة  
 التي أنزلت على موسى وهم يعرفون ما فيها  
 من أصول الديانة ، وصفات الله والبشرى  
 بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وإذن فإن  
 ما عندهم من العلم يؤكد صحة نبوة محمد ، وأراد  
 الله بتوجيه هذا السؤال تأكيد علم الأحبار  
 بالرسوخ في العلم بصحة الرسالة المحمدية  
 لا وصف الرسول الكريم بالشك .

الذي جبلوا عليه وقصة هذه الآية أن اليهود  
 كانوا قد نهوا عن الصيد يوم السبت ، غير أن  
 أكثرهم كان لا يلزم حرمة هذا اليوم ، وقد  
 أراد الله أن يبتليهم فكانت الأسماك تظهر  
 على سطح الماء إغراء بصيدها في اليوم الذي  
 يعترفون فيه ألا يصطادوا ، فإذا ما عزموا  
 على الصيد اختفت حسرة للخالفين .

وقد احتال بعضهم على الصيد في اليوم  
 المحرم بحفر حفرة قريبة من الشاطئ . ودون  
 مستواه ، ومد جدول بينها وبين البحر ، فإذا  
 ما ظهرت الأسماك دخلت في تلك الحفرة فيقوم  
 المعتمدون بسد الجداول حتى لا تستطيع  
 الأسماك العودة إلى البحر ، ثم يأخذونها  
 في اليوم التالي ، وقد استمر عدوانهم  
 ومخالفتهم أمر ربهم ولعنوا على لسان نبيهم  
 داود عليه السلام ، ولم يبالوا بوعظ الواعظين  
 ولا بما حل بهم من ضيق وعذاب ، واستمر  
 فريق منهم مصريين على عدوانهم حتى حقت  
 عليهم كلمة الله تعالى فسخطهم قردة خاسئين  
 « وإذا قالت أمة منهم : لم تعظون قوما الله  
 مهلككم أو معذبهم عذابا شديدا؟ قالوا معذرة  
 إلى ربكم ، ولعلمهم يتقون ، فلما نسوا ما ذكروا  
 به أنجيئنا الذين ينهون عن سوء ، وأخذنا  
 الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون  
 فلما عثوا عما نهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة  
 خاسئين ، إلى أن تشير الآيات إلى مخالفات

(١) راجع الآيات ١٦٤ إلى ١٧١ من سورة  
 الأعراف .

(٢) يونس ٩٤ .

ومرة أخرى توجه الآيات النظر إلى اعتراف الرسالة المحمدية بالرسالات السابقة . وبديهي أن المقصود هنا هم اليهود ؛ لأنهم الموجودون في البيئة التي نزل فيها القرآن من قوم موسى . والمراد : سأل أحبار اليهود ، العالمين بما أنزل على موسى ، هل يجدون في كتابهم إشاراً كما باقه تعالى ؟ وإذن فلن نقرأ الرسالة المحمدية بالإشراك بالله . وعلى هذا يكون الأصل العام الذي جاء في رسالة موسى عليه السلام بتوحيد الإله هو نفس الأصل الذي يدعو إليه محمد عليه الصلاة والسلام .

وكان ينبغي إذاً أن يسلم اليهود بصدق دعوة محمد . ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة إلى أن يتجه إلى اليهود ليسألهم ، وإنما هو التقرير لأصل الديانات في توحيد الله الذي جاءت به الديانات السماوية جميعاً : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ... » (١) .

دكتور محمد الدين الجبرادى

ثم استطردت الآيات تعرض بمن لم يثبتوا على الإيمان وكذبوا بآيات الله ولا تكونون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين . إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حق يروا العذاب الأليم .

وطبيعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل أحداً لأنه فهم المراد من الآية وقد سمعها اليهود وعرفوا المقصود منها فازدادوا غيظاً وكرهاً .

وقد روى أن ابن عباس قال عند نزول هذه الآية : ( لا والله ما شك طرفه عين ولا سألت أحداً منهم ) .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا أشك ، ولا أسأل ، بل إنه الحق ) .

٤ - وقوله تعالى : « واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) .

(١) الزخرف ٥٥ : « وأعتقد أن هذه الآية هي للمدينة لا الآية ٥٤ كما ورد بالمصاحف وذلك لأن الآية ٥٥ « فاستخف قومه فأطاعوه » ، إنهم كانوا قوماً فاسقين » جاءت في سياق الحديث عن فرعون وهي متسقة مع ما قبلها وما بعدها أما الآية ٥٤ فإنها بعد نهاية حديث عن استغراب قريش لاختيار محمد رسولاً . ختم بقوله تعالى « إنه قد ذكر لك ولقومك ، و-وف تسألون » وبعدها حديث جديد عن موسى عليه السلام « ولما أرسلنا موسى بآياتنا » والسورة كلها مكية عدا آية واحدة : قبل إنها ٥٤ وأرجح أنها ٥٥ .

# الآلة والأداة

للأستاذ محمد هجيت الأثرى

- ٢ -

والأحظ على ذلك أن الأمرين الأول والثاني متقوضان بدلالة الاستقراء اللغوي على خلافه ، وأن الأمر الثالث لم يرجع بحته إلى طبيعة اللغة ، وإنما يرجع إلى التعليل المنطقي الذي هو أساس الطريقة الأنجمية في النحو العربي وإلى دعوى كثرة الورد وقلته ، ومن أجل ذلك اختلفوا فيه ولم يفتنوا به إلى رأى جميع .

وهذا وذلك لا يصح أساساً لقاعدة ، ولا يصح كذلك أن يسمى ما يبدى على مثله قاعدة ، فإن القواعد إنما تبنى على استقراء الجزئيات ومناحي اللغة في استعمالها وأن تكون إلى هذا جامعة مانعة متفقا عليها كما جرى عليه عرف العلماء . وأين هذا مما كشفته من أمرها ؟

بل إننى لأذهب في ناحية الاستقراء إلى أدنى مراتبه في الباب ، وأريد استقراء أقوال علماء اللغة الأوائل فيه لا الاستقراء اللغوي العام ، فلا أجد أصحاب هذه القاعدة قد مارسوه . فنحن إذا عدنا إلى ما قدمته من أقوال هؤلاء العلماء في الكلام على الطريقة العربية ،

تتلخص هذه النقول ونحوها مما لم أنقله في ثلاثه أمور :

الأمر الأول :

أنها تنحصر اشتقاق اسم الآلة بالفعل ، وبأن يكون معلوماً وثلاثياً متعدياً ، وتمنعه من اللازم والمزيد ومن أسماء الأعيان وإن ورد في كلام العرب عشرات بل مئآت من الأسماء المشتقة منها

الأمر الثاني :

أنها تفصر الأوزان الاشتقاقية على مفعل ومفعول ومفعلة على اختلاف في أيها هو الأصل .

الأمر الثالث .

أنها اختلفت في قياسيتها ، فقال الأكثرون . بطرد مفعول ومفعول ومفعلة ، وقاس بعضهم على مفعول ومفعول ومنع القياس على مفعلة ، واشترط بعض آخر السماع فيها كلها ومنعوا أن يطبق القياس ويعمل به إلا في المسموع ، فكادوا يطلون القياس ويسدون باباً في شأن اسم الآلة ...



ولكن هذا العجب يزول حين نرد الأمر إلى طبيعة التقليد الذي يتعبد بكل مألوف عن تعصب، وتكون منه عند صاحبه عادة التسليم لكل مقروء بحيث لا يخطر في نفسه أن يفكر في بحثه وتقدمه للخلوص إلى الحقيقة التي هي مطلب الإنسان المثقف .

وإذا بلغت بالبحث إلى أثر المسألة في عصرنا ، فقد لزمنا استيفاءه أن أعرض لظاهرة من نقدها عند لغوى مفكر متعمق للغة ومدرك لحاجات العصر ، نقل نتائجها عنده على النحو الذي تهدي إليه إلى مجمع اللغة العربية في بداية تأسيسه قبل ثمانية وعشرين عاما ، ورعى في جملة نقده إلى صوغ اسم الآلة من كل فعل ثلاثي أو غيره متعدد أو لازم ومن أسماء الأعيان أيضا ، ولكنه وقف فيه عند ترجيح أقوال اللغويين على أقوال النحاة ولم يتعمقها ولم يرجع إلى أقوال النحاة القدماء وطريقتهم في بحث اسم الآلة ، ولم يبين أسرار الاشتقاق من هذه الأشياء ودلالات الفروق التي تنشأ من كل نوع منها ، ووقف أيضا عند بحث الصيغ الثلاث مفعلة ومفعل ومفعال ، ولم يتعرض لصيغة أخرى يضيفها إليها . وبحثه هذا على ما ذكرت من نقصه صادف ما يستحقه من عناية ، فنوقش ، وشايحه عليه فريق من الأعضاء ، وعارضه آخرون معارضة شديدة . لماذا ؟ لأن أقوال النحاة لا تقبل الرد لكن إذا كانت

وهرضنا القاعدة عليها ، امتدينا إلى أنهم إنما عرفوا منها قول سيبويه وحده في المعنى العلاجي الذي استنبطوا منه شرط اشتقاق اسم الآلة من الفعل الثلاثي المتعدي دون غيره . وقول سيبويه ليس هو وحده في البسب ، فإن إلى جانبه أقوالا لغيره من علماء اللغة الأثبات الذين قصروا جهدهم كله على الاستقراء وتعمق اللغة ، تصحح قول سيبويه كما شرحتة آنفا ، فهل عرفوها ثم تخيروا منها كلام سيبويه ورجحوه عليها ؟ وإذا كان ذلك ، فهل من حقهم أن يفعلوه ، وأن يرجحوا قولاً على قول ولا يذكروا علة ترجيحهم ؟ أو ليس من حق اللغة وحق أصحابها أن يطالبوا بأداء أمانتها في صدق وأن يأخذوا بحجج الباحثين أن ينطلقوا مع الأهواء أو يتسكعوا في الدراسات القاصرة ؟ أو أقول إن القوم لم يعرفوا أقوال هؤلاء العلماء كما يدل عليه ظاهر حالهم ، فيتحقق بذلك رأيي في أنهم لم تكن لهم تجربة حتى في أدنى مراتب الاستقراء تخولهم أن يضعوا قواعد اللغة العربية على هذا النحو من التحجير الذي تأباه طبيعة اللغة العربية ولا تفره مناحي استعمالات أصحابها العرب ؟ .

ولست أعجب بعد هذا شيء عجبي لمثل هذه القاعدة المعوقة أن تسلك سبيلها إلى الأذهان ، ثم تحتاز العصور حتى تبلغ عصرنا وتكون فيه ( نافذة المفعول ) كما يقال !

للوصول إلى تحرير المسألة ، أمضى بالبحث إلى غايته ، فأقرر أولا : أن أوزان أسماء الآلة والأداة لا تنحصر في ثلاثة كما توهمه قاعدة النحاة ، وإنما هي كثيرة ، ومنها فاعل وفاعلة وفاعول وفاعيل وفميلة وفاعول وفعالة ومفعول ومفعولة ومفعل ومفعلة .

واقرر ثانيا أن العرب قد اشتقت عليها كل ما من الأفعال المتعدية واللازمة ، ومن الثلاثية وغير الثلاثية ومن المصادر وأسماء الأعيان ، ولهذا سر دقيق سأكتشفه .

وما وسع العرب من التصرف بعقلها في لغتها وتنويع أوزان كلامها واشتقاقاته ، ينبغي أن يسعنا أيضا ، فلا يحرم علينا ما أحلوه لأنفسهم ، ولا يحجر علينا الواسع مما توسعوا فيه ما لم نرد الخروج على مقاييسهم ، ونحن إلى ذلك في دهرنا أحوج منهم إليه .

والعرب إذ تتوسع في لغتها بالاشتقاق وتنويع صيغه ، إنما تتصرف بحرية تجرى مع غريزتها اللغوية في إقامة دلالات الألفاظ على المعاني ورموزها عن الفروق التي تميز معنى عن معنى ، فلتشتق مثلا الاسم من الفعل المتعدى وتريد به المعنى العلاجي الذي يوصل أثر الفعل إلى منفعله ، كالمقص والمنشأ والمكسحة والسداد والحاملة والساطور والصدافة . وتشتق من الفعل اللازم لتدل

أقوال النحاة أنفسهم متعارضة ، بعضها ينقض بعضا ، فكيف لا ترد ؟ وأين تبقى قاعدة الأصوليين في رد القولين المتعارضين : « إذا تعارضا نساقطا ؟ أفلا ينبغي أن يسقط ما نساقط من نفسه ؟

ولم يذنه مجمع اللغة العربية من مناقشة الموضوع إلى نتيجة حاسمة ، وإنما انتهى إلى قرار بإقرار القاعدة ، ونوه المقرر أو شارح القرار بعظم بركته . وقال بالنص : « إن مجمع اللغة العربية الملكية وجد في الأوزان الثلاثة سدادا من عوز ، ولم يتوسع في صوغ اسم الآلة من أى فعل أو اسم عين ، وإنما راعى جمهرة المسموع ، إلى آخر كلامه .

ولكن من الحق أن نقرر إن مجمع اللغة العربية في الناحية العملية لم يجد يوثق في هذه الأوزان الثلاثة سدادا من عوز ، فخالفها في أحيان كثيرة إلى أوزان أخرى من نوع فاعلة وفعالة صاغ عليها عشرات من أسماء الآلات والأدوات يتعرفها متابع دراساته في مجلته ومحاضر جلساته وبجاميع مصطلحاته في غير عناء ، وهو فعل هذا كما فعل كثير من الباحثين والمترجمين قبله من قبل ومن بعد دون أن يتخذ فيها قرارا ، أو يتذكر هذا القرار فيرتد إليه وينزع عن إباحتها ذلك .

\*\*\*

بمد هذا التفصيل الذي لم يكن بد من تأسيه

واللغة نظام تابع في مساراته لهذا النظام العام ، تجرى بسبيل لا يحد عنه وليس بمجد في بنا . قواعدها وضوابطها أن تقصر النظرة على كثرة ورود شئ . وقتله دون استكناه هذا السر الذي كشفناه ونعرفه .

أما الأصل الذي جرى عليه البصريون وخالفهم من مقلدة النحاة ، فهو من أفسد الأشياء . أوقعهم في أشياء من التناقض والاضطراب ، وانتهى بهم إلى الحكم على معظم أعاظ اللغة العربية بأشذوذ ، وقيد حرية التصرف فيما كانت العرب تتصرف فيه وحرم المباح من الاستعمالات العربية الأصيلة أن يقاس عليها . حتى اعتبر المقيس على ما يظنونه قليلا شاذاً أو عامياً ، كما ظن لزيدي مثلاً ( المزولة ) بالعامية ، مع أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم تجر إلى مفسدة ، وأية مفسدة في زيادة - أحراد الاشتقاق على مقاييس كلام العرب في المشتقات دون المركبات ، كثر ورودها أو قل ؟ ولماذا يكون المقيس على القليل ، على فرض صحته ، شاذاً أو عامياً ؟ فليس مذهبوا إليه من هذا الأصل العائد في بناء الضوابط وإنما الأصل هو ما نبينته من سر النظام اللغوي في أصل الطبيعة العربية من حيث مساهمها في الكلام

فهو الذي ينبغي أن تبني عليه الأحكام ، لتفسير الضوابط المستحدثة لهطرة اللغوية ،

على قيام المعنى بنفسه ، وأن مدلوله هو غير مدلول المشتق من الأفعال المتعدية كالمعرف والمرجعة والمصباح والسراج والمائلة والدراجة ، وتشتق من الاسم الجامد وتقصده اختصاصه به ، كالخضرة من الخضمر لأنه يسند بها ، والخزة من الخد والمصدغة من الصدغ والموركة من لورك والمرفقة من المرفق لأنها تتخذ لها وتوضع تحتها .

ولا ريب في أن جميع هذه المعاني الاشتقاقية المتنوعة الأخذ والدلالات ، قائمة في النفس دائماً ، محتاج إليها في الاستعمالات أبداً . وإنما يقوى بعضها ويكثر ويضعف بعض آخر ويقل على حسب ما يتوفر له من الدواعي والحاجات . فمقدرة تشتد الحاجة في زمن إلى نوع من اللفظ يستكثر بالوضع والاشتقاق ، وقد تضعف الحاجة في زمن إلى هذا النوع وتشتد نوع آخر فيضعف لأرل وتضيق دائرته ويوت كثير من ألفاظه ويتسع الثاني وتكثر أفراده وتقوى أسرته ، وقد تشتد الحاجة في زمن آخر إلى هذه الأنواع جميعاً فتستعمل كلها وتستكثر أفراد كل نوع استكثاراً لا يحد .

وهكذا تسير اللغة في ركب الحياة ، وتجرى مع الحاجة صعوداً أو صبيحاً على حسب الأطوار التي تتجدد أو تتقلب عليها الحياة في نظامها للعام .

ومنهم ابن الأعرابي وتعلب وابن فارس ، وهو أن كل لفظ من المترادفات فيه ما ليس في الآخر من معنى وقائدة ؛ لأن كثرة الألفاظ بمعنى الواحد إذا لم تكثر بها صفات هذا المعنى كانت ضربا من العبث الذى تجمل عنه هذه اللغة الحكيمة المحكمة . ويتسارق مع هذا المذهب ما قدمت آتفا من قول ثعلب وابن السكيت « ما يعتمل به أو ينقل » ، الذى استنتجت منه إرادتها التفريق بين الآلة والآداة بدلالة التمثيل للقاعدة بأسماء تنوعت دلالات ما اشتقت منه عن تعدية ولزوم .

فلا جرم أن بين ( الآلة ) و ( الآداة ) فرقا ، لأن الآلة التى يعالج بها ، وتكون واسطة بين الفاعل ومنفعلة فى وصول اثره إليه هى غير الآداة التى يرتفق بها .

وهذا القول بوجود الفرق بينهما إنما يجرى بسبيل من دلالة تنويع العرب الاشتقاق فى هذا الباب من الأفعال المنعدية التى تفيد العلاج تارة ومن اللازم وغيره تارة لإفادة معنى آخر ، وفائدته عظيمة فى حل المشكلة حلا يلائم قطرة اللغة فى إطلاق حرية اشتقاق أسماء الأجهزة وأسماء الآلات وأسماء الأدوات من الأفعال والأسماء التى تلائم معانيها ووظائفها .

وقديما فرق أصحاب العلوم بين الآلة والآداة ، وهو ما نستانس به فى هذا الشأن ،

وليتنفع بكل مورد من موارد اللغة على وفق النظام الطبيعى الذى خلقت منه وعليه .

وأقرر بعد هذا وذاك أن هذا التقسيم الذى أستحدثه كما يلائم كل الملازمة السر اللغوى الذى أرادته العرب فى تنويع أوزان أسماء الآلة والآداة وتنويع ما تشق منه . كذلك يلائم كل الملازمة طبيعة الحياة للصناعية وحاجاتها فى العصر الحاضر إذ هى تضع أمامنا أجهزة وآلات وأدوات ، يختلف بعضها عن بعض ويفرق أصحاب الصناعات بينها بحسب وظائفها .

وأما ( الآلة ) و ( الآداة ) فإن كلام المعجمات والمترادف من كتب اللغة وبعضها ناقلا عن بعض ، موجزا إيجازا شديدا لا يخرج عن تفسير الآلة بالآداة والآداة بالآلة ولا يشير إلى فرق ما بينهما إلا قليلا يؤخذ بالاستنتاج ، كقول الزبيدى فى مستدركات الناج « والآلة ما اعتملت به من أداة » .

ومؤدى كلام هذه المعجمات أن الآلة والآداة لفظان مترادفان أوقعتهما العرب على معنى واحد ، كما تقول السيف والعصب ، والأسد والليث والغضنفر ، والخمر والراح والقرقف ، وهو مذهب لبعض علماء اللغة فى المترادفات ، والصحيح ما عليه الأكثرون

مثلهم هذا الإغراق في الإطلاق ، كما لم أحب أن أجد مجرد المخالفين من النحاة النازعين إلى مذهب البصريين في التقليد .

والأوزان التي أريد إضافتها وإباحة الاشتقاق عليها ، هي :

١ - فعال : وهذا الوزن هو الوزن الوحيد الذي حظى بعناية النحاة به بعد الأوزان الثلاثة المذكورة . ولكنهم حكموا بعدم اطراده بناء على قاعدتهم في الكثرة والقلّة ، وإذا كان كل ما عرفوه منها — كما قال بعضهم — سبع كلمات ، إلا بعض القدماء قال بقياسه ، لأن فيه كثرة عرفها وجعلها أولئك ، وهي في الحقيقة أكثر مما جاء من العرب من اسم الآلة على مفعلة ومفعول ومفعول ومن هذا نقبين مالمح حظ هؤلاء فيما زعموه من استقرار اللغة العربية ومن دعواهم بناء أحكامهم على الكثرة التي يزعمون . وقد استقصى بعض المعاصرين ما ورد على هذا الوزن من أسماء الآلة ، لجمع منها كما قال أكثر من اثنين وأربعين كلمة ، وأحصيت أبا مئتين . وقد لاحظت أن العرب قد عاقبت بين فعال ومفعول في كلمات غير قليلة ، مثل : سنان ومسن ، وصراد وصررد (١) .

ولقد ألفت بجمع اللغة العربية — في

فاستعملوا كلا منهما في معنى خاص ، فأطلقوا ( الآلة ) على العلوم الآلية ؛ لأنها في عرفهم هي الوساطة بين الفاعل ومنفعله في وصول أثره إليه وقالوا : إن إطلاق الآلة على العلوم الآلية كالنطاق مثلا مع أنها من أوصاف النفس ، إطلاق مجازي ، وإلا فالنفس ليست فاعلة للعلوم غير الآلية ، لتكون تلك العلوم واسطة في وصول أثرها إليها وأطلقوا ( الأداة ) على الحرف المقابل للامم والفعل وهو ما فله النحاة والمفطقيون .

\*\*\*

وكما أقرر إطلاق قيود الاشتقاق في هذا الباب انسياقا مع أغراض اللغة في تنويع دلالات المشتقات بحسب تنوع ما اشتقه منه من الأفعال وغيرها ، ومع أغراض الصناعات الآلية المختلفة في العصر الحاضر ، وأنا معتقد صحة مذهبي ومعنى الحجج التي أطنن إليها . . . أقرر كذلك إضافة أوزان أخرى اشتق عليها العرب من مثل مفعلة ، ومفعول ، ومفعول تنفيسا للغة من كرب التنصيق عليها من غير مسوغ ، وفتحنا للمسالك الكلامية أمام الناطقين بها ، من غير نظر إلى كثرة أوقلة ، ما دام كلام العرب قد جرى به كما هو مذهب الكوفيين في إجازة القياس حتى على المثال الواحد المسموع وإن لم أحب أن أغرق

(١) السراد والسررد : المصنف وما يجرز به .

فقالوا : نجار ، وخباز ، وسباك ، وأن من أسلوب العرب إسناد الفعل إلى ما يلبس الفاعل ، زمانه ومكانه ، أو آله ، فقالوا : نهر جار ، وبوم صائم ، وليل ساهر ، وعيشة راضية . وعلى ذلك يكون استعمال صيغة فعالة أسما الآلة استعمالاً عربياً صحيحاً .

وأرى هذا يصح اللجوء إليه إذا صحح دهرى عامية هذا الاستعمال ، وهى ليست بصحيحة ، لأن استعمال وزن فعالة أسما للآلة استعمال هربى فصيح من قديم استعمالات اللغة كما رويت من أمثله ، وإيس بعامى ، وهو يقر لا بتخريججه بالتعليل المنطقي ، بل لأنه نص فى استعماله القديم وزناً من صميم أوزان الآلة فى اللغة العربية وقد استخرجت من هذه الأوزان — بالاستقراء ما استخرجت ، وعرضتها مع أمثلتها فى هذه الدراسة الناقدة على أنظار السادة القراء ، ليروا فيها رأيهم ، فيقرروها أو يرفضوها ، أو يقرروا بعضها ويرفضوا بعضها آخر ، والله الموفق .

محمد بهجة الأثرى

الناحية العملية — قد انشاق منذ أول نشأته إلى استعمال بعضها فى مواضعه العلمية والفنية دون أن يلتفت إلى قاعدة النحاة التى أقرها يومئذ كما قدمت . وألغيت المحدثين من خاصة وطامة وقد حملتهم مطالب الحياة على استعمال أوزان غير مباحة عند النحاة للسميات الآلية المستحدثة ، قد صاغوا أسما آلة على وزن فعالة ، ولم يستفتوا فيها النحويين ؛ لأنهم وجدوها سائغة فى الذوق ومؤدبة المعانى التى يريدون ؛ ولأن حاجتهم إليها لا تسمح لهم بالمراجعة والتلبث وانظار صدور الفتاوى . وكثر ذلك فى استعمالاتهم وظنه بعض الأدباء عامياً ، فأحب إدخاله فى زمرة للفصيح ، فافترح على مجمع اللغة العربية إضافة صيغته إلى الصيغ الثلاث المعروفة « لتيسير على الناس وتقريب العامية من الفصحى » . وأقر المجمع الموقر الاقتراح ، ولكن بعد أن خرجته تخريجاً منطقياً بأن ( صيغة فعال فى العربية من صيغ المبالغة ، وأنها استعملت أيضاً بمعنى النسب أو صاحب الحدث ، وعلى الأخص الحرف ،

مع البلاغيتين :

## اللفظ والمعنى

للأستاذ علي العمّاري

قال أحد الباحثين في علم الجمال : « إن المضمون والصورة في الفن لا ينفصلان ، ولا يمكن أن يفكر فيهما على أنهما قابلان للقسمة ؛ لأنه لا يمكن أن يفكر في أنهما عنصران مجتمعان » .

والطريقة الوحيدة للتعبير عن علاقتهما هي أن يقال : إن أحدهما أحد مظهري الآخر ويشبهون اللفظ والمعنى بشقي المقراض لا يقطع أحدهما بدون صاحبه .

وخلصوا من كل ذلك إلى أن جمال الأدب لا بد فيه من حسن اللفظ وجودة المعنى جميعا ، وظنوا بذلك أنهم قالوا الكلمة الأخيرة وربما نسوا أن القدماء أنفسهم تحدثوا حديثا كهذا ، وأنهم رأوا — بحق — أن الغاية في البلاغة أن يجمع الكلام الحسن من طرفيه اللفظ والمعنى ، وليس يقدر على ذلك إلا امرؤ في طبيعته فضل من احتمال غيرته ، وفي قريحته زيادة من القوة على صناعته ، حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل إلا على مثله من المعنى ، ولا اللفظ الشريف الفخم إلا على مثله من المعنى .

هذه قضية كثر حولها الجدل ، وغاض فيها القداى والمحدثون ، وتناولها النقاد من العرب ، ومن غيرهم ، ويبدو أن الكلمة الفاصلة لم تقل بعد ، وإن كان بعض من كتبوا ظنوا أنهم أتوا بالقول الفصل ، ودونوا الحكم الذي ليس إلى الشك فيه سبيل رأو القدماء يطيلون الجدل حول السر في بلاغة الكلام وروعته ، وينقسمون إلى طائفتين كبيرتين : طائفة ترجع ذلك إلى تخير اللفظ ، وشرفه ، وطائفة ترجمه إلى إصابة المعنى ، وجودته ، فظنوا أنهم لو قالوا : إنه لا يوجد لفظ ومعنى مستقلان ، وأنهما ليسا كلماء والقدرح بمعنى أنه يوجد معنى أولا ثم يسكب ، وأن الإنسان حين يتكلم إنما يتكلم معنى ولفظا في وقت واحد ، فليس للمعنى كيان بلا لفظ .

وقالوا : إننا لا نتحدث عن مضمون وصورة على أساس استقلال المضمون عن الصورة ، في المنشأ والتكون ، بل على أساس أن الصورة هي ظاهر المضمون ، وأن المضمون هو باطن الصورة .

صدق على ذلك ، وقد قال ابن قتيبة ، في بيت لبيد بن ربيعة :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه

والمرء يصلحه المجلس الصالح

« هذا ، وإن كان جيد المعنى والسبك

فإنه قليل الماء والرواق ، فالبيت وإن كان يتضمن معنى جيدا ، وقد صيغ صياغة محكمة ،

غير رائع ولا رائق ، هذا حكم ابن قتيبة ، وأعتقد أنه لا يزال حكمنا ، وإن بعد العهد

بيننا وبين هذا العالم الجليل ، فأنا ما قرأت هذا البيت ، أو تأملته إلا حكمت عليه حكم

ابن قتيبة . ولم يكن القول بتفضيل أحد المتلازمين (اللفظ والمعنى) من رأى

البلاغيين وحدهم بل أثر ذلك عن أصحاب البيان أنفسهم :

سمع خالد بن صفوان - الخطيب المشهور - رجلا يتكلم كثيرا فقال : أعلم - رحك الله -

أن البلاغة ليست بخفة اللسان ، وكثرة الهذيان ، ولكنها بإصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة .

وقال ربيعة الرأي : إني لأسمع الحديث غفلا فأشغفه ، وأقرطه فيحسن ، وما زدت فيه شيئا ، ولا غيرت له معنى .

ولا نزال نرى اختلاف الأساليب ، واستحسان فريق من الناس لأسلوب دون

أسلوب ، ولا يمكن أن يقول عاقل : إن أسلوب

نعم ، وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ، ويوفر على الحديث قسما من الصواب ، ويحقق لكلام حظه من المعنى ، ويضع جميعها

مواضعها ، ويصفها بصفاتها ، ويوفر عليها حقوقها من الإفصاح والإعراب .

وقد أكد الأوائل - أيضا - أنه لا معنى إلا بلفظ ، ولا لفظ يخلو من معنى ، وأن

الإنسان يرتب المعاني في نفسه ، ثم يحذو عليها الألفاظ (١) .

ولنألفدوا الحديث عن اللفظ ، والحديث عن المعنى لأن لكل منهما صفات

مستقلة عن صفات الآخر ، قال ابن الأثير ، « وليس لقائل هنا أن يقول : لا لفظ إلا

بمعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى ؟ فإنني لم أفصل بينهما ، وإنما خصصت اللفظ

بصفة هي له ، والمعنى يحمي تبعا فيه ضمنا ، وتبعا (٢) .

غير أننا لا يمكن أن ندعى أن كل كلام حسن مقبول قد قرى الحسن من جهته ،

بل الحقيقة أننا وغيرنا نستحسن كلاما لجودة معناه ، وإن كان لفظه دون الغاية في الفصاحة ،

ونستحسن كلاما آخر لما فيه من لفظ عذب ، وإن كان معناه عاديا ، والذوق السليم شاهد

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣٤٩ .

(٢) للمثل السائر - ١ - ٢٧ .



ومحجونهم بأن الأدب فن ، ولا بد في الفن من التأنق ، إلى حجج كثيرة أخرى ، وكل ذلك يدور حول أدب اللفظ كما يسميه المجدودون - وأدب المعنى ، فن الضروري أن يقول النقد كلبته في هذه القضية كلها جد ما يستدعي الحديث فيها .

على أننا نستطيع أن تصور فصلا بين اللفظ والمعنى ، فن التجارب التي يعانها الشعراء والكتاب أن المعنى قد يترامى لأحدهم ، ويقوى إحساسه به حتى ليكاد يلمسه ولكنه لا يهتدي إلى تصويره وربما أسعفته الذاكرة فوجد لفظا يلبسه إياه .

ومعنى هذا - عندي - أن المعنى وإن لم تكن له صورة مستقلة بغير لفظ ، قد يكون خيالا في خاطر الشاعر أو الكاتب ، وقد يكون بصورة عامة .

كان الشاعر الناشئ يرى صاحبه تسير في شارع من شوارع الإسكندرية فيذهبها بنظراته (دون أن يجرؤ يوما على الحديث معها ، وطال ترده على هذا الشارع ليراه تسير فيه ، ثم علم أنها رحلت إلى مدينة أخرى فظل يهبط إلى هذا الشارع كل يوم في الميعاد الذي كان يراها فيه ، وهو موقن أنه لن يراها وكان في نفسه حديث لم يفصح عنه بالالفاظ ، ولكنه أفصح عنه بتصرفه ، فهو مدرك تمام الإدراك لماذا يسير في هذا الشارع ،

الملاحظ وابن العميد متاثران ، حتى إن الكاتبين من مدرسة واحدة يختلف أسلوبهما كما نراه في أسلوب القاضى الفاضل والعماد الأصمهانى ، وقد وصف ابن الأثير أسلوبين من أساليب الشعراء فأبرز الفرق بينهما حيث قال : الالفاظ تجري من السمع بحرى الأشخاص من البصر ، فالالفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والالفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص في دماثة ولين أخلاق ، ولطافة مزج ، ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم ، واستلموا سلاحهم ، وتأهبوا للطراد ، وترى ألفاظ البحترى كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحليل بأصناف الحلى <sup>(١)</sup> .

ومهما قيل : إن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه ، فإن هذا الاختلاف في الأساليب بما يؤكد أمر الفصل بين الالفاظ والمعاني .

وقد شهد جيلنا هذا معارك كثيرة تدور حول الجديد والقديم ، وتغصب أقوام للجديد وناضلوا دونه ، وكان أقوى ضرباتهم موجها إلى الأساليب القوية الرائعة ، وهم يعدون هذه الأساليب - كما يقول أحدهم - (حلاوة محضنة) ولا يعتقدون بشئ إلا المعنى ، وكل ما يتطلبونه من الأسلوب أن يكشف عن هذا المعنى ، ويعارضهم المتمسكون بالأسلوب البياني .

ومن عجب أن أكثر هؤلاء الذين يابون أن ينحصر كل من اللفظ والمعنى بحديث ، وينقلون عن الغربيين أن المعنى واللفظ ليسا كالماء والإناء ، ينسون بعد قليل أو كثير من صفحات كتبهم هذا الذى آمنوا به ، ويعودون إلى حديث الفصل بينهما ، فهذا الذى قال ما نقلته فى أول هذا المقال ، لم يلبث أن عاد إلى الأمر الطبيعى فذكر تشبيها مؤداه أن اللفظ والمعنى منفصلان ، قال : وقد مرت عصور على الأدب ، العربى كان صورة ظاهرها راق ، وباطنها فراغ ، كحبة الجوز الفارغة .

حبة الجوز الفارغة هذه لفظ بلا معنى ، وحبة الجوز الأخرى المملوءة لفظ ومعنى ، ولكنهما منفصلان انفصال الماء والإناء . على أن هذا الأدب الذى يشبه حبة الجوز الفارغة كان له أنصار ومعجبون والأدب الآخر الذى يقابله ، والذى يشبه لب الجوز بعد أن أزيلت عنه قشرته الجليدة البراقة له - أيضا - أنصار ومعجبون .

فلنترك الأمور على طبيعتها دون أن نلج عليها بالتدقيق الفلسفى ، ولنتحدث عن اللفظ والمعنى .

وقبل أن نصل إلى رأى المختار فى هذه القضية نعرض لآراء البلاغيين والنقاد

ولا أمل له فى لقاء صاحبه ، ثم نظم هذا الذى طالما جرى فى خاطره فقال :

وأسير فى هذا الطريق وما دعا

داع ، ولكن كنت فيه أدراك  
فاستراحت نفسه ، وهذا خاطره ، وخيل  
إليه أنه قيد شيئا كان يحاول الإفلات منه .  
وقد ينظر الأديب إلى معنى فى بيت من  
الشعر - مثلا ثم ينظمه فى سلك آخر وليس  
المعنى الثانى هو بكل حذافيره المعنى الأول ،  
وإن كان هو هو فى الجملة ، مثال ذلك ما صنعه  
ابن الأثير فى بيت المتنبي :

لا تعذل المشتاق فى أشواقه

حتى يكون حشاك فى أحشائه

فقال :

لا تعذل المحب فيها يهواه

حتى تطوى القلب على ما طواه  
حقيقة بين المعنيين اختلاف فى الجزئيات ،  
قطى القلب على الهوى ، غير أن يكون القلب  
فى القلب ، ولكن هيكل المعنى واحد  
فى النصين .

فمن الواضح أن ابن الأثير تصور معناه  
قبل أن يكسوه ألفاظه ، فلما صاغه أضاف  
إليه بعض التفاصيل ، ولا يمكن أن نقول  
إنه صار معنى آخر من كل وجه .

والشيخ عبد القاهر فى مثل هذا الموضع  
كلام سنعرض له عند الحديث عن رأى  
الشيخ فى اللفظ والمعنى .

ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يمتنون بحسن العبارة بمجرد اللفظ ، ولكن صورة وصفة وخصوصية تحدث في المعنى ، وشيئاً طريق معرفته على الجملة العقل دون السمع .

أما معاصروه فقد أرادوا من العبارة والأسلوب الألفاظ ، ويستبعد أن يكونوا أرادوا بها - كما أراد الأوائل - المعاني ، لأنهم لو أرادوا ذلك لاتبعوا ذلك من قولهم ما ينبغي عن غرضهم وإذ لم يقولوا ذلك ثبت أنهم إنما يريدون من الألفاظ ما يفهم منها في اللغة .

وهذا واضح في كلام بعض البلاغيين المتأخرين عن عبد القاهر ، فقد قال ابن الأثير أن العرب وإن كانت تعنى بالألفاظ إلا أن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف قدراً في نفوسها ، وأول ذلك عنايتها بألفاظها لأنها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقها إلى إظهار أغراضها أصلحها وزينوها ، وبالغوا في تحسينها .

وقد تردد في كلامهم لفظ (النظم) وهو - عند عبد القاهر - ليس شيئاً غير توخي معاني النحو بين الكلم .

يؤخذ من كلامهم أن المعاني أنواع : المعنى الأول ، والمعنى الثاني ، والمعنى الثالث . فالأول هو المعنى الحقيقي للألفاظ ، والثاني

القداسي ، ونمهد لهذه الآراء بتحديداتهم للفظ ، وللمعنى .

اللفظ - عندهم - يطلق على معان :

يراد به الكلمة المفردة ، ويراد به الأسلوب ، والأسلوب - كما عرفه عبد القاهر - الضرب من النظم والطريقة فيه . وإن كان عبد القاهر يرى أن ذلك معنى من المعاني ويحمل عليه كلام الأوائل ، وهو يتحدث عن المقلدين من معاصريه ، أو من الذين عاشوا في زمن قريب من زمنه ، ويحفظهم في أنهم : ( حملوا كلام العلماء في كل ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم : لفظ متمكن غير قلق ولا ناب به موضعه إلى سائر ما ذكرناه قبل ، فعملوا أنهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبه من الفضيلة وهم يمتنون لفظ اللسان ، وإجساس الحروف ، ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى ، والخاصة التي حدثت فيه <sup>(١)</sup> ) .

ويذكر فصلاً للبرزباني في الموشح يشيد فيه باقتدار البحترى ، واهتمامه شاعر آخر إلى نقاء العبارة ، وحسن المأخذ ، ثم يقول :

يشرب بكفه ، وهذا ليس ببخيل فيشرب  
بكف من مخل ، ثم يقول : وهو معنى لطيف .  
وفي قول النابغة للنعمان :

خطاطيف حجن في حبال متينة

تمتد بها أيد إليك نوازع

أراد : أنت في قدرتك على تكخطاطيف  
عقف ، وأنا كدلو تمد بتلك الخطاطيف .  
ويذكر ابن قتيبة أنه رأى العلماء يستجدون  
معناه ، ثم يقول : وعلى أنى لست أرى  
المعنى حسنا .

وهذا التفسير الأخير للمعنى هو الشائع  
في كتاب ابن قتيبة ، وهو مراده حينما يذكر  
للشاعر معنى سبق إليك ، وأخذ منه ، فإنه  
يحمى بالبيتين أو الأبيات تتفق في جملة  
المعاني الجزئية .

ومن عجب أن الإمام عبد القاهر يجعل  
التشبيه غرضا ، ويؤول كلام الأرائل عندهما  
يقولون معنى العبارة ، والتشبيه كذا ، بأن  
المراد بالمعنى هنا هو الغرض ، فيقول في فصل  
من دلائل الإعجاز : « لا يكون لإحدى  
العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها  
في المعنى تأثير لا يكون لصاحبها . فإن قلت :  
فإذا أفادت هذه ما لا تفيد تلك فليستا  
عبارتين عن معنى واحد ، بل هما عبارتان  
عن معنيين اثنين : قيل لك : إن قولنا  
( المعنى ) في مثل هذا يراد به الغرض ، والذي

هو لازم المعنى الأول ، وهذان ظاهران  
في المجاز والكنية ، أما المعنى الثالث ، فهو  
لازم اللازم ، ولنضرب مثلا بقول النبي  
صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون  
من لسانه ويده » . إذا قلته وأنت تريد إنسانا  
بمعينه ، فعناه الأول هو انحصار الإسلام  
فيمن لا يؤذى الناس لا بلسانه ولا ييده ،  
ومعناه الثاني معنى كنهائي ، وهو نفي الإسلام  
عن المؤذى مطلقا ، ومعناه الثالث معنى  
تعريضى ، وهو نفي الإسلام عن شخص معين .

وقد يقصدون من المعنى الغرض ، وهكذا  
فهم الشيخ عبد القاهر في بعض كلام الأوائل :  
( ولا يفرنك قول الناس قد أتى بالمعنى بعينه  
وأخذ معنى فلان فأداه على وجهه فإنه تسامح  
منهم ، والمراد أنه أدى الغرض ) (١) .

وفسر المعنى في موضع آخر بأنه حكمة  
أو أدب أو تشبيه غريب ، أو معنى نادر .  
ويفهم من كلام ابن قتيبة في مقدمة الشعر  
والشعر أن المراد بالمعنى تارة هو المعنى  
العام ، فتراه يقول مثلا : هذا الشعر لم يقل  
أحد في الهيبة أحسن منه ، أو لم يقل أحد  
في الكبر أحسن منه ، وقد يريد المعنى  
الخاص فهو يذكر قول الأعشى :

ياخير من يركب المطى ولا

يشرب كأسا يكف من مجحلا

ويشرح الشطر الثاني بقوله : إن كل شارب

# الإسلام في ذروة انتصاراته

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

منذ نزلت رسالة الله الخالدة على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام ، وهي تخوض أعنف المعارك ، وتلاقى أضخم الخصومات ؛ وانتصر الإسلام في جميع معاركه ؛ لأنه دين الحق ، ودين القيمة ،

وشريعة الحياة .. انتصر في معاركه مع الوثنية فهدم صروحها ، وخفض عروشها ، وأزال دولتها من الوجود ، وكان محمد صلوات الله عليه يؤذن بفنائها ، منذ بعث إلى الناس كافة ؛ حتى وهو في أشد المحن والخطوب ، كان يبشر

( بقية المنشور على صفحة ٩٦٥ )

أراد المتكلم أن يثبت أنه ينبغي نحو أن تقصد تشبيه الرجل بالأسد فتقول : زيد كالأسد . ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول : كأن زيدا الأسد فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يقصر عنه حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي (١) .

فالذي نعرفه أن الغرض في مثل هذا التركيب هو المدح ، أما وصف الرجل بالشجاعة فإنما هو معنى ، وقد انفقت العبارتان في أدائه ، وإن زاد توكيده في إحداها .

ومن الألفاظ ، والاصطلاحات التي تدور في هذه القضية ( الصورة ) و ( الفكرة ) وكلية التصوير أكثر ورودها في كلام الشيخ عبد القاهر ، وجاءت في عبارات الجاحظ ، ويبدو أنهم أرادوا بالصورة تركيب الكلام ، على هيئة خاصة فتشمل الألفاظ ، والأوزان والقوافي في الشعر ، أو السجع ، والجناس في النثر . ومن أهم ما تعتمد عليه الصورة المجاز والكنية والتشبيه ، وهي مواد الخيال .

أما الفكرة فتقابل الصورة ، وهي في حدودها الضيقة عبارة عما يشتمل عليه النص من معان ، فإذا توسعنا قليلا أضفنا ما يشيع في النص من عواطف وانفعالات .

والحديث بقية ،

اكنتم عن الناس خبرنا . و يلتفت رسول الله إلى سراقه قائلا : كيف بك يا سراقه إذا لبست سوارى كسرى وتاجه ومنطقته . . ثم يسكت ، ويسكت سراقه متعجبا مشدوها ؛ سوارا كسرى وتاجه ومنطقته !! يا المعجب . . وتمضى الأيام ، ويتنصر الإسلام على وثنية الفرس ، ويحطم أمبراطوريتهم الضخمة في عهد عمر بن الخطاب ، في معارك عظمى ، هزم فيها يزيد جرد الثالث وجيشه اللجب ، وأخذت خزائنه تحملت إلى عمر في المدينة ، وفيها تاجه ، وجواهره ؛ ولم يلبث عمر أن دعا سراقه ، فدخل عليه ، فاستدناه منه ، وألبسه سوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، وقال له : ارفع يدك ، وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلب السوارين كسرى الذى كان يقول : أنا رب الناس ، وألبسهما سراقه ، رجلا أعرايا من مدج ، ورفع همر صوته ينادى للناس ، ثم أركب سراقه ، وطيف به في المدينة ، والناس من حوله ، يحتفلون بهزيمة كسرى ، وبصدق محمد رسول الله فيما بشر به وهو في هجرته . . وبذلك زال أكبر معقل الوثنية ، كما انتهى من قبل معقلها في الجزيرة العربية ؛ بفتح مكة . .

ثم انتصر الإسلام في معاركه مع خصومه من أتباع الديانات الأخرى انتصارات مدوية . .

بانقضاء سلطانها ؛ ففي هجرته صلوات الله عليه ، وهو يسير في طريقه إلى المدينة ، وشباب مكة من أتباع الوثنية يعدون خلفه ليردوه إلى مكة ، حتى يظفروا بالجوائز الطائلة التى وعدتهم بها قريش ؛ ولحقه منهم سراقه السكناني المسكى ، حتى كاد أن يبلغ الرسول ، وحتى لقد سمع قراءته ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكسر الالتفات ، وما هو إلا أن ساخت يدا فرس سراقه في الأرض ، فنزل من فوقها ، وأقامها ، ثم ركبا حتى كاد أن يصل إلى رسول الله ، وهتف قائلا : يا محمد إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، ولانى خرجت أطلبك ، وأطلب بطلبك المال والمجد ، وكبا به فرسه مرة أخرى . فأقامها ، وضرب القداح يستشير آلهته ، أيستأنف السير ، وأشارت عليه : أن لا ، ولكنه ركب جواده ، وانطلق في أثر محمد وصحبه ، حتى أصبح منه على مد البصر ، فلكر جواده ، ولكنه كبا به كبوة شديدة ، وألقى به بعيدا ، حتى كان سراقه يقول فيما بعد ، وهو يقص قصته : لقد شعرت حينئذ أنه قد قدر أن تفوز قضية محمد ، وهتف سراقه : أنا سراقه ، انظرونى أكلبكم ، والله لا أريكم ، ولا يأتكم منى شيء تكروهونه ، والتفت محمد (ص) إليه ، فاقرب منه وقص عليه قصص الناس في مكة وما يريدونه به ، وعرض عليه سراقه الزاد والمتاع ، فلم يأخذ منه شيئا ، وقال له :

الأيض ، وجنوب إيطاليا ، وفي الأندلس  
وفي قارة أفريقية ، وفي البحار الكبرى ،  
وكذلك حروبه مع التتار ، ثم مع الاستعمار  
الفرنسي والإنجليزى والأوربى بوجه عام ،  
كانت ولا تزال مضرب الأمثال فى تاريخ  
الاتصارات الكبرى .

واليوم ، وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان  
يقف الإسلام فى عصر الذرة ، أمام العلم  
فى سلطانه وجبروته وقوته ، يقف وقفة المجد  
والعظمة والجلال ، وقفة الشرف والقوة  
والاعتزاز ؛ لأنه لا يهزم فى معركته الحاضرة  
مع العلم ، ولن يهزم أبداً ، لأنه المنتصر العظيم  
فى انتصاراته .

وإذا كان الإسلام قد احتك برجال العلم  
القديم ، من أهل المذاهب والآراء والديانات  
المختلفة والثقافات المتنوعة ، ودل على شيوخ  
ومنعة لا ترام ولا تنال ، وقضى الحق بأن  
ينتصر على كل أولئك انتصارات كبيرة ، كان  
مظهرها قوة دعوته وذيوها حيناً بعد حين ،  
وثبات مبادئه وشرائعه فى مواجهة الحياة والعلم  
لأنها من القوة والسمو والرفعة بحيث يعشى  
الابصار نورها ، ويعجز العقول جبروتها ،  
ويؤيد العلم فى تطوره أنها الحق الذى لا لبس  
فيه ، والصدق الذى لا يعتريه الباطل من بين  
يديه ولا من خلفه ، وأنها فى تجددتها  
وصلاحيتها لكل زمان ومكان تتمشى  
مع أحدث المبادئ وأعظم التشريعات .

وانتصر كذلك فى معركة الحياة ذاتها ؛  
فأكثر المبادئ التى تفوز فى الحرب ،  
ولكنها تفشل فى السلام ... ، وليس من  
ذلك الإسلام ، ودعوته الكبرى الخالدة ،  
فقد انتصر فى معارك العلم والمدنية والحضارة  
وقضى على الوحشية والهمجية والجهل  
والاستبداد والطغيان ، وعلى عصور الإقطاع  
والرق والجاهلية ، ونشر مكان ذلك أسمى  
المبادئ ، وأنبأ الأفكار ، وأمثل الآراء  
والأخلاق ؛ وجمع أما كثيرة حول كتاب الله  
الحكيم ، فانتخذه لها إماماً وقائداً ومرشداً ،  
وحقق وحدة إسلامية بين شعوب تختلف  
دماً ولغة وأخلاقاً وتقاليده ونظماً ، وحدة  
هزت المشرق والمغرب ، وكانت حديث  
الناس فى جميع المجتمعات القديمة ؛ وأثل  
المسلون للحضارة الإنسانية مجدداً لا يطوى ،  
ومفاخر لا تنبذ ولا تزول ، وسبقوا إلى  
كثير من العلوم والصناعات والنظم ، مما جعل  
مدنيتهم المادية من الرفعة فى مستوى عقيدتهم  
الدينية من القوة والمنعة ، وخلفوا وراءهم  
من الآثار ما لا يزال المؤرخون يكتشفون  
من غرائبه ما يطفون به معاشريهم .

— ٢ —

وهكذا خرج الإسلام فائزاً منتصراً من  
جميع ما صادفه من الخصومات فى تاريخه  
الطويل ؛ ومعاركه مع الصليبيين ، وفى جبال  
البرانس ، وعند بواتيه ، وفى جزر البحر



والإسلام الذي احتك باليهودية والمسيحية  
وبالنحل الفارسية والسورانية والسكندانية  
والإغريقية والفرعونية ، يقف اليوم أمام  
الفلسفات الأوروبية المختلفة ، والنزعات  
المتباينة المتناقضة ، وقفة فيها إيمان بالانفس  
وشموخ بالحق ، واعتزاز بالقوة ، وعلى  
ما بلغه العلم اليوم من خوارق ومعجزات ،  
فإنه حتى الآن لم ينقض مبدأ من مبادئ  
الإسلام ، ولا أنكر أصلا من أصوله ، ولا  
استطاع أن يهدم نظرية من نظراته الشاخصة  
إن العلم في جلال عنفوانه سيكون من أقوى  
أصدقاء الإسلام وأنصاره ؛ لأن الفلسفات  
الإسلامية ، والأصول القرآنية ، تتلاقى  
وأماها من التي اهتدى إليها العلم أشرف  
التقاء ، وليس بينهما موطن نزاع على شيء  
من الأشياء ، حتى دعاة المادة الجدلية ،  
الذين يضللون الإنسانية يشعرون في أعماق  
نفوسهم أنهم ليسوا على شيء ، وأن الإسلام  
والقرآن حق لا ريب فيه ، ودعاة المذهب  
المادى الذين يقولون بخلو الوجود من غير  
المادة وقواها ، لا يستندون على أساس  
متين من العلم ، ولا على تجربة حسية مرغمة  
والعلم بعد أن بلغ أوجه قوته ،  
يأبى أن ينقاد للذين ينعتون بالعدم  
أو بالوجود ما ليس لهم به علم ثابت ، وهذا  
هو الأصل الأول للفلسفة الحية ؛  
وبما أننا نجعل أصول الكائنات ومصادرها ،  
فلا يجوز لنا أن تنكرو وجود شيء سابق عليها

ولما كان سولون المشرع اليونانى القديم قال  
كلمة رددتها من بعده الأجيال ، وهى : «أنا لم  
أشرع لأهل أثينا شريعة كاملة مصدرها  
الخيال ، وإنما وضعت لهم قوانين توافق  
حاجاتهم وتلائم استعدادهم ، فإن من حق  
كل مسلم أن يقول إن شريعته ، كانت أغنى  
الشرائع ، وأسمىها ، وأقواها على مواجهة  
الحياة والعلم في كل عصر وجيل .

واليوم يقف الإسلام أمام العلم ، العلم في  
عصر الذرة ، أمام جبروت العقل الإنسى  
الذى وصل إلى الفضاء ، فلا يطأطأ رأسه  
بل يشعر بالفخر ، أليس الإسلام هو الذى  
بشر ببلوغ الإنسان الفضاء ، فقال كتابه  
الحكيم : « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق  
والقمر إذا اتسق ، لتركبن طبقا عن طبق ،  
وكان من معجزات الإسلام الكبرى الإسراء  
حيث طيف بالرسول الأعظم فى الآفاق  
والأكوان والسموات السبع ، حتى بلغ  
سدره المنتهى وسمع كلام الخالق جل جلاله ،  
وتلقى وحيه الكريم .

إن العلم الذى يقولون عنه إنه جبارعات  
ومارد قوى ، وإنه ما صارل ديننا إلا تغلب  
عليه - ليقف اليوم مهورا بعظمة الإسلام  
وجلاله ، وبعظمة القرآن كتابه الحكم ،  
فى كل نواحيه ، فى مبادئه ، فى دعواته ،  
فى تشريعاته ونظمه ، فى جوانبه الإنسانية  
والروحية والمادية والاجتماعية ، فى نظراته  
الفكرية والسلوكية ، فى كل شيء احتوى عليه .



لأنها لم تكن موجودة قبل الكائنات ، ولكن الكائنات هي التي اقتضتها ، ... وإلى أى حد تنحصر هذه النواميس في دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها علم ؟

إن العلم في عصر الذرة يقف متضائلا أمام عظمة الكون ، وجلال الخلق وإبداعه وسمو القوة التي تحكم مصائره ، إنه يقف على عتبة هذا الكون العظيم مذهولا بما يشاهد ، مشدوها بما يرى ، متحيراً في أسرار هذه العظمة الباهرة ، وآثار هذه القوة الخارقة القادرة ، فن الذي خلق الضحى والليل إذا سبحا ، والنهار إذا تجلى ، والقمر في عليائه ، والشمس في رفعتها ، والنجوم في زينتها ؟ من الذي خلق هذه الأجرام العلوية ، الضخمة ورفعتها ؟ وأوجد هذه المجموعات المتوالية من الأكوان العجيبة الغريبة ؟ .

ليس هناك شيء إلا الله ، الذي خلق الحياة وصورها ، وأبدع كل شيء خلقه ، وكل شيء أوجده .

وجود الله أصل يستدعى الإيمان به وبرسالاته ورسله وبالعالم الروحي ، وبالبعث والحساب واليوم الآخر ، وصدق الله العظيم حيث يقول في الكتاب الحكيم : « سنجريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل

شيء شهيد ؟ » . محمد عبد المنعم خفاجي

أو لا حق لها ، كما لا يجوز لنا أن نثبت ذلك وإذا كانت هذه هي أبجديات الفلسفة الحسية فإنه ليس منها في شيء ما يذهب إليه الماديون من حكمهم الجازم بقدم المادة وأبديتها ، وبعدم وجود عالم أرفع من عالمها ... وإذا كانوا ينكرون العالم العلوى بدعوى أنه مما لا تدركه أبصارنا ، فإن في الوجود الذي نعيش فيه ظواهر مادية كشفها العلم وقررها ، ونحن لا نعلم بوجودها ، فهل يتفق مع العقل والعلم أن نذهب إلى وجوب نكرانها ؟ كلا ، إن الإنسانية تعيش وما تزال تعيش في جهالة بمحقائق كثيرة من أسرار الحياة ، فلا تزال تجهل سر الحياة ، وأسرار كثير من الأمراض التي تصيب جسم الإنسان ؛ وحواسنا نتخذعنا في أشياء كثيرة ، ولا نستطيع أن نتكشف لنا كل ما هو موجود ، بل إنما قد تعطينا أحكاما كاذبة عن الكون المحيط بنا ، ومن الخطأ الكبير أن نقول إن ما نشاهده في هذا الكون هو كل ما فيه ... على أن الكثيرين من أعلام العلم الحديث وسدته قد أمتبوا عن طريق العلم وجود عالم أعلى من عالم الطبيعة ، فكيف نكذبهم بدعوى تقوم على التوهم المحض الذي تقوم عليه وعلى التحكم الباطل دعوة المادية الجدلية .. وهذا دأمل بوترو ، الفرنسي يؤكد في كتابه « تغلب النواميس الطبيعية » : « أن من الخطأ أن يقال إن النواميس هي التي تدبر الظواهر الطبيعية ،

## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

قيام القسريّات الإسلامية على  
الإنسانية والثرائم والعمل :

وإن الباحث ليلس هذا واضحاً في موقف  
الشريعة الإسلامية من الربا ، فقد حرّمته  
في أى صورة من صوره ، وسواء أكان  
قليلاً أم كثيراً ؛ لأن إحلال القليل يؤدى  
إلى الكثير ، ولا يغلق باب هذا الشر  
المستطير ، القائم على أساس استغلال حاجة  
المحتاجين ، واضطرار المضطرين ، والشارع  
الحكيم ينظر إلى المال على أنه له وظيفة  
إنسانية إجتماعية أولاً ، وإقتصادية ثانياً  
ولا ينبغي أن يعطى الجانب الاقتصادى على  
الجانب الإنسانى والإجتماعى ، وهو أن  
يكون لسد حاجات الناس ومنافعهم ، ووسيلة  
للكسب الحلال وأن لا يكون دولة بين  
الأغنياء ، فإذا استغل هو على أنه سلعة ،  
أو اتخذ وسيلة للكسب غير المشروع ،  
كأنتهاز حاجة الفقراء والمعوزين ، والإضرار  
على حسابهم واستنزاف دماهم فقد انحرف به  
عن وظيفته ، وخرج عن الغرض الذى  
أوجده الله له ، وقديماً قال بعض المنحرفين

« إنما البيع مثل الربا ، فرد الله سبحانه  
وتعالى عليهم بقوله : « وأحل الله البيع  
وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى  
فله ما سلف وأجره على الله ، ومن عاد  
فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحى  
الله الربا ويورث الصدقات ، والله لا يحب  
كل كفار أثيم . » (١) .

وإذا كان الله سبحانه قال في آية أخرى  
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً  
مضاعفة ، وانقوا الله لعلكم تفلحون . » (٢)  
فليس ذلك تجويزاً للربا القليل كما يزعم بعض  
الزاعمين ، وإنما هو تنفير من الربا بذكر  
أشنع صورة ، وأقبح حالاته ، إذ مثل القيد  
لا مفهوم له كما قال الأصوليون وليس أدل  
على هذا من أن آخر آية نزلت في الربا ،  
بل قيل إنها آخر آية نزلت من القرآن الكريم  
جاءت مطلقة عن التقييد وهى قوله سبحانه  
« يا أيها الذين آمنوا انقوا واذروا ما بقى من  
الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا  
بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم

(١) البقرة ٢٧٠ ، ٢٧٦ .

(٢) آل عمران ١٣٠ .

ردوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسره وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون <sup>(١)</sup> وفي إنظار المعسر أو التعفف عما عنده بالنزاع له عليه وهو المراد بالتصدق ما يلتقي أضواء على رعاية الجانب الإنساني في التشريعات الإسلامية .

أما القوانين الوضعية فلم تسم إلى درجة الإسلام في تشريعاته فأباحت قليل الربا دون كثيرة ، وبذلك أبقت للشر أبوابا مفتحة كثيرة ، ولم تفر الجانب الإنساني ، والخلق العناية التي حرص عليها الإسلام في تشريعاته ، وليس أدل على إفلاس القوانين الوضعية في معالجة المشاكل مما يعاينها العالم اليوم من مشاكل خلقية وإنسانية واقتصادية ، وإن جل مشكلاته الاقتصادية ترجع إلى إحلال الربا وجعله أساسا للاقتصاد ، وما ذلك إلا لغلبة التشاح والآثرة ، ولوسادت بين الدول روح البذل والتعاون ، والتراحم والسماحة لما عاش في هذا الجو المشحون بالقلق والخوف والفرع ، ولكن الشح وصدق الرسول الكريم حيث قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا

محارمهم ، نعم . كم سفكت دماء زكية طاهرة ، وكم اسحلت محارم للأفراد والجماعات بسبب الجشع الاقتصادي ، الذي هو الداء الدوي للمستعمرين !! وما دام النظام الربوي هو الذي يقوم عليه الاقتصاد في العالم ، فلا تزال النفوس ممتلئة بالشح ، وما دام التشاح فلا يزال شبح الحرب المدمرة يراعى للعالم في كل وقت وصدق الله في قوله : « فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله ، !! ولو استخدم ما تنفقه دول العالم على التسليح المدمر في المعونات الاقتصادية التي لا يحدها إلا الجانب الإنساني لعم الرخاء الدنيا ، ولعاش الناس جميعا إخوة متحابين ، يسودهم التراحم ، ويرفرف عليهم لواء السلام وإنك لتلئس

إنسانية الإسلام أيضا في تشريعاته المتعلقة بالحروب والمعاهدات والعلاقات الدولية مع أن الحروب يغاب عليها روح الانتقام والتنكيل لا روح الإنسانية والرحمة فقد حرم الإسلام المثلة في الحروب وغيرها ، وأوجب العدل عند الاقتصاص من الأعداء بل بالغ في الإنسانية فحب في العفو قال سبحانه : « وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، وإن صبرتم لهو خير الصابرين » <sup>(٢)</sup> ذلك أنه لما مثل المشركون بقتلي المسلمين في أحد ولا سيما سيد

ومسلم في صحيحهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان ، <sup>(١)</sup> .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن بريدة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : اغزما باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا أقيمت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلل ، فإذا ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون

الشهداء حمزة وراحم المسلمون على هذه الحالة العارية عن الإنسانية قال المسلمون : لئن أمكننا الله منهم لنمنكن بهم فأنزل الله هذه الآية فقالوا : بل نصبر ونعفو ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المثلة ، رواه البخاري ، كما نهى عن التعذيب بالنار ولو كان المعذب مهدد بالدم روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث <sup>(٢)</sup> فقال : إن وجدتم فلانا وفلانا <sup>(٣)</sup> فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردما الخروج : إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإذا وجدتموهما فاقتلوهما ، والنبي صلى الله عليه وسلم حين نهى عن المثلة أراد الإنسان والحيوان على السواء ، وكذلك حين نهى عن التعذيب بالنار ، أو إيجاب أحد على الدخول في الإسلام كما منع الإسلام من قتل النساء والصبيان في الحروب ، روى البخاري

#### (١) القطعة من الجيش

(٢) كانا زجلين كافرين ، لم يراعى آداب المروءة العربية ، فاعتدا على السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى مهاجرة من مكة إلى المدينة كان أبوها ، فتضا بميرها فمقطت من عليه ، وكانت حاملاً فأجهضت ، وقد مرضت بسبب هذا العمل المشين الذي يتم من النذالة مرضاً شديداً .

(١) وقد أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث إذا لم يقانلوا ، فإن قاتلوا فقال الجمهور : يفلون وقال البعض : لا يقتلون .

أنا براكب ، إني حذست خطاى هذه فى سبيل  
الله ثم قال له : إنك ستجد قوما زعموا أنهم  
حبسوا أنفسهم لله فذرهم ما زعموا أنهم حبسوا  
أنفسهم له ، وستجد قوما خصوا عن أوساط  
رؤوسهم من الشعر فاضرب ما خصوا عنه  
بالسيف <sup>(١)</sup> وإني موصيك بعشر : لا تقتلن  
إمرأة ، ولا صبيا ، ولا كبيرا هرمأ ، <sup>(٢)</sup>  
ولا تقطعن شجرا مشمرا ، ولا تحرقن عامرا ،  
ولا تعقرن شاة ، ولا بعيرا إلا لما كلة  
ولا تحرقن نخلا ولا تفرقنه ، ولا تغلل ،  
ولا تبجن ، <sup>(٣)</sup> .

وكذلك كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه يوصى قواده بهذه الوصايا الذهبية ،  
وأن يفوا بالعهود ، وبأمان من يؤمن من  
الاعاجم ولو بالإشارة ، حتى ولو لم يقصد  
ذلك ، وظنه أمانا ، فقد كتب إلى القائد البطل  
سعد بن أبي وقاص يقول : « إني قد ألتى فى  
روعى أنكم إذا لقيتم العدو هزمتهم ،  
فاطرحوا الشك ، وآثروا التقية عليه ، فإن

لهم فى الغنيمة شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين  
فإن هم أبوا <sup>(١)</sup> فسلهم الجزية ، فإن هم  
أجابوك فأقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم  
أبوا — يعنى عن الجزية — فاستعن بالله  
وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن ،  
فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه  
فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن  
اجعل لهم ذمتك ، وذمة أصحابك ؛ فإنكم  
أن تحفروا ذمتكم ، وذمت أصحابكم أهون  
من أن تحفروا ذمة الله ، وذمة رسوله ،  
وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزل  
لهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ،  
ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري :  
أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ <sup>(٢)</sup> وعلى هذا  
الدرب فى رعاية الجانب الإنسانى فى الحروب  
فى الإسلام سار الخلفاء الراشدون ومن جاء  
بعدهم من الخلفاء والأمراء .

روى الإمام مالك فى الموطأ عن يحيى  
ابن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيموشا  
إلى الشام فخرج يمشى مع يزيد بن أبى سفيان ،  
وكان أمير ربيع من تلك الأرباع فزعموا  
أن يزيد قال لأبى بكر : إما أن تركب وإما  
أن أنزل ، فقال أبو بكر : ما أنت بنازل ولا

(١) الأولون هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى  
الصوامع . وهؤلاء هم العباسة ومعنى خصوا : حلفوا  
ذلك .

(٢) إلا إذا كان له مشاركة فى الحرب بالرأى أو  
القيادة فإنه يقتل  
(٣) الموطأ — كتاب الجهاد وباب النهى عن قتل  
النساء والولدان فى الغزو .

(١) يعنى عن الإسلام وهى الخصلة الثانية من الخصال  
الثلاث : الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال .  
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٢ ص ٣٧

لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرقة - من المقارقة وهي المخالطة - بإشارة أو بلسان ولا يدرى الأعجمى ما كلمه به ، وكان عندهم أماناً فأجروا له مجرى الأمان ، وإياكم والضحك ، والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء سلامة ، وإن الخطأ بالغدر هلكة ، وفيها وهنكم وقوة عدوكم ، وذهاب ريحكم ، وإقبال ريحهم واعلموا أنى أحذركم أن تكونوا - يعنى بعدم الوفاء - شيناً على المسلمين وسبياً لتوهمهم <sup>(١)</sup> ،

وكذلك كان سميحه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه - روى الإمام مالك فى الموطأ أنه بلغه أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى عامل من عماله أنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية يقول لهم : اغزوا باسم الله فى سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله والسلام عليكم .

ويطول بنا القول لو أننا تقبنا آثار هذه التشريعات الإنسانية الرحيمة فى تاريخ المسلمين على توالى العصور ، ولا يفوتنا أن تنوء بما كان من البطل العربى المسلم صلاح الدين الأيوبنى فى معاملته الإنسانية الرحيمة للصليبيين وأسراهم على حين كان قلب الأسد ، ملك

الانجليز وغيره من قادتهم ينسكون بالمسلمين وأسراهم شرتسكل من غير أن يراعوا إلاً ولاذمة ، ولا رحمة ولا إنسانية ، وكم قتلوا من أطفال أبرياء ، ونساء ضعاف ، وشيوخ فائين فائين من هذه التشريعات الإسلامية الرحيمة فى الحروب ، القوانين الوضعية فى القديم والحديث ؟ نعم لقد بدأت القوانين البشرية فى العصر الأخير تنقسم بالإنسانية والرحمة ولكنها لم تعد أن تكون حبراً على ورق ، وليس لها آثار ظاهرة فى سلوك واضعها وتصرفاتهم فى الحروب ومالنا نذهب بعيداً ؟ وهذا القرن العشرون قد شهد حربين عالميتين مدرتين أربقت فيهما بحار من الدماء وكم فيها من ملايين الأطفال والكهول ماتوا ، وكم من ملايين النساء انتهكت حرماهم وكم فيها من ملايين البشر مثل بهم ، وسل الروس ، وما فعلته بهم جحافل الألمان حينما غزت بلادهم ، بل سل الألمان وما فعلته بهم جيوش الحلفاء لما همزمو ولا يزال بعضهم إلى وقتنا هذا يرسفون فى قيود الأسر ، والذل ، والاستعباد .

هذا ولا يزال فى إنسانية التشريعات الإسلامية مجال للحديث فى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شربة

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٥ -

وينبغي أن نلاحظ الفروق الموجودة بين الزكاة الشرعية والضريبة الوضعية ، فالزكاة ركن ديني وفرض إسلامي . وأما الضريبة فهي إجراء يقوم به ولي الأمر أو الدولة . والزكاة محددة القدر ثابتة القيمة ، والضريبة تختلف تصاعدا وتنازلا ، والزكاة محددة المصارف في آية التوبة ، والضرائب لعموم المصالح ، والزكاة لها صفة الدوام والاستمرار ، والضريبة تقف عند الاستغناء عنها . والزكاة تؤخذ من المسلم فقط ، والضريبة تؤخذ من المسلم وغيره .

وينبغي أن نلاحظ أن الحقوق اللازمة في مال المسلم ، والتي اصطلاحنا على تسميتها بالضرائب تمتاز بطائفة من المميزات . فهي تمتاز بأنها تهدف إلى الصالح العام وتحقيق المصالح الجماعية والاجتماعية ، وإزالة حاجة المحتاج ، وتقوية ما يحتاج إلى تقوية ؛ وليس هناك مصرف شخصي للزكاة ، وبيت مال المسلمين هو مجمع الضرائب ، وهو لجميع الأمة ، وكل عاجز فيها عن عمل أو عن نفقة يتكفل به بيت مال المسلمين . ومن مميزات هذه الضرائب الخاضعة

اقتدار المال ، ويظهر ذلك بوضوح في زكاة رأس المال المدخر الذي يحول عليه الحول . فإن فرض الزكاة فيه يدفع بصاحبه إلى تحريك لاستثماره وإنمائه ، حتى لا يظل جامدا يتناقص كل عام بما يؤخذ منه للزكاة ، والرسول صلى الله عليه وسلم بلغت إلى هذا المعنى حين يقول : « من ولي يتبأ له مال فليتجر له ، ولا يتركه حتى نأكله الصدقة ، ويعني بالصدقة هنا الزكاة .

واقعد تحدث ، آدم سميث ، وهو من رجال الاقتصاد الأعلام في القرن الثامن عشر ، فقال إن مبادئ الضرائب الأساسية هي : العدالة ، واليقين ، والملازمة ، والاقتصاد ، وهذه المبادئ متحققة في ضرائب الإسلام بصورة واضحة رائعة ، ففيها العدالة ، إذ تؤخذ الضريبة الإسلامية من القادر المالك للنصاب ، وبعد مضي المدة المقررة ، وعند بعض الفقهاء تسقط الزكاة عن المدين ، ولا يتكرر أخذ الضريبة ، والحديث يقول : « لا ثلثي في الصدقة ، ولا تؤخذ زكاتان في حول واحد .

على شط الفرات ؛ وحذيفة عامله على ماوراء دجلة . فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي له مطيعة ، ولو شئت لأضعفت . وقال حذيفة : وضعت عليها أمراً هي له محتملة ، وما فيها كثير فضل ؛ وقد سر عمر بذلك (١) .

ويقول الإمام أبو يوسف للرشيد في كتاب « الخراج » : « أما العشور فأريت أن توليها قوماً من أهل الصلاح والدين ، وتأمرهم ألا يتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به ، فلا يظلموهم ، ولا يأخذوا منهم أكثر مما يجب عليهم ، وأن يمثلوا ما رسمناه لهم ، ثم تتفقد بعد أمرهم ، وما يعاملون به من عرجهم ، وهل يجاوزون ما قد أمروا به ؟ فإن كانوا قد فعلوا ذلك عزلت وعاقبت ، وأخذتهم بما يصح عندك عليهم لمظالمهم أو مأخوذ منه أكثر مما يجب عليه .

وإن كانوا قد اتهموا إلى ما أمروا به ، وتجنبوا ظلم المسلم والمعاهد أثبتهم على ذلك الأمر ، وأحسن إليهم ، فإنك متى أثبت على حسن السيرة والأمانة ، وعاقبت على الظلم والتعدي لما تأمر به في الرعية ، يزيد المحسن في إحسانه ونصحه ، وارتدع الظالم عن معاودة الظلم والتعدي ، (٢) .

\*\*\*

ويروى لنا عامر الشعبي أن رجلاً من بني تغلب من نصارى العرب مر على زياد ابن جدير الأسدي ومعه فرس ، فأراد زياد تقاضي الضريبة عليها - ضريبة العشور - فقوموا الفرس بشرين ألفا ، وقال زياد للرجل : أعطني الفرس وخذ مني تسعة عشر ألفا . أو أمسك الفرس وأعطني ألفا . وهذا تخيير يدل على الأمانة والإنصاف والتيسير .

ولما أراد زياد أن يأخذ من هذا الرجل على الفرس ذاتها ضريبة في مرة ثانية مر بها ، اشتكى الرجل إلى عمر - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - فمنع عمر زياداً أن يفعل ، وقال له : « ومن مر عليك فأخذت منه صدقة ( المراد هنا ضريبة العشور ) فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، إلا أن تجد فضلاً ، أي زيادة على ما أخذت عنه ، وكانت هذه الزيادة تستحق الأخذ عليها ، وكان هذا العدل من عمر سبياً في أن يترك الرجل دينه ويدخل في الإسلام (١) .

وما يدل على عدالة الإسلام في ضرائبه أن عمر يقول لحذيفة وعثمان بن حنيف : لعلكم حملتم الأرض مالا تطيق . يقول هذا محذراً منه ، وكان عثمان عامله إذ ذاك

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(١) الخراج لأبي يوسف ، ص ١٣٦ .



غموض ، والإسلام الحنيف قد حدد المقادير : العشر ، ونصف العشر ، وربيع العشر ، وفي زكاة الماشية حدد المقادير التي تؤخذ فيها الزكاة ، وحدد النصيب الذي يؤخذ في كل مقدار ، وحدد المصارف التي تصرف فيها هذه الأموال ، فتحقق اليقين والوضوح . ويوجد في ضرائب الإسلام عنصر « الملامة » ، إذ ربط الإسلام دفع الزكاة بميقات واضح ملائم للدفع . وهذا الميقات إما حولان الحول — أى مضى العام — في التقدين والتجارة ، أو يوم الحصاد كما في زكاة الزرع ، أو نهاية موسم الزرع وعند بيع الغلة كما في الجزية ، أو عند الدخول إلى داخل بلاد الإسلام كما في العشور . . . الخ .

والضريبة الإسلامية — كالزكاة — تؤخذ من وسط المال ، لامن أفضله ولا من أخسه ، والحديث يقول : « إياكم وكرائم أموالهم » ، ويقول عن المال المزكى : « إن الله لم يسألكم خيره ، ولم يسألكم شره » .

ويوجد في ضرائب الإسلام عنصر « الاقتصاد » ، إذ نلاحظ فيها عدم الإرهاق لصاحب الأرض في تقدير الخراج كما سبقت فصوص تشير إلى ذلك ، ونلاحظ فيها مراعاة المصلحة العامة وتحقيق الإصلاح الاقتصادي عند تحديد المصارف لهذه الضرائب .

وتتميز الضرائب في الإسلام بالرفق في أخذها ، فزكاة المال تؤخذ بعد ادعائه عاماً ، وزكاة النعم تؤخذ كذلك بعد عام ؛ وزكاة التجارة تؤخذ بعد عام يكون مجسلاً كافياً للتجار والاكساب ، وزكاة الزرع تؤخذ عند الحصاد وجمع المحصول ، والقرآن الكريم يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

والجزية تؤخذ عند نهاية الموسم الزراعى ليكون ذلك أيسر على دافعيها ، كما أنها لا تؤخذ إلا من الذكور البالغين الأصحاء القادرين ، يعنى منها النساء والأطفال والشيوخ والمكفوفون والفقراء والرهبان .

ولقد أوصى على بن أبى طالب أحد عماله فيما يتعلق بأهل الجزية ، والخراج فقال له : وانظر إذا قدمت عليهم ، فلا تبين لهم كسوة : شتاء ولا صيفاً ، ولا رزقاً يأكلونه ، ولا دابة يعملون عليها ، ولا قنبرين أحداً سوطاً واحداً فى درهم ، ولا قمقه على رجله فى طلب درهم ، ولا تبسع لأحد منهم عرضاً من الخراج ، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، فإن أنت خالفت ما أمرتك به يأخذك الله به دونى ، وإن بلغنى عنك خلاف ذلك عز لك ، (١) .

ويوجد مبدأ « اليقين » فى ضرائب الإسلام ، واليقين يراد به هنا التحديد بلا

منهم فليكن فقها عالما مشاورا لأهل الرأي عفيفا ، لا يطلع الناس منه على هورة ، ولا يخاف في الله لومة لائم . ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة ، وما عمل من غير ذلك خاف عقوبة الله فيها بعد الموت ، تجوز شهادته إن شهد ولا يخاف منه جور إن حكم ، فإنك إنما توليه جباية الأموال ، وأخذها من حلها ، وتجنب ما حرم منها ، يرفع من ذلك ما يشاء ، ويحتج من منه ما يشاء ، فإذا لم يكن عدلا ثقة أميناً فلا يؤتمن على الأموال ، (١) .

وتتمتاز ضرائب الإسلام بعنصر « الاستقرار » ، إذ لها صفة الدوام والثبات ما دام مصدرها قائماً وهو ملك النصاب واعتبار الوقت : حولان الحول ، أو يوم الحصاد .

وهذا الاستقرار لم تعرفه الضرائب في المجتمعات الأخرى إلا منذ عهد قريب ، لأن هذه المجتمعات كانت تفرض الضريبة بمقاييس خارجة عن الدخل والكسب ، مثل عدد الأبواب والنوافذ والخدم ... إلخ . وفرنسا قضت دهرأ طويلا وهي ما زالت تنتخب في تقدير الضرائب بمقاييس مذبذبة ، وانجلترا لم تفر الضريبة بصفة مستقرة إلا في

وتتمتاز هذه الضرائب أيضاً بحسن التطبيق عند جمعها ، والله تعالى يقول عن جامعى الزكاة مثلاً : « والعاملين عليها ، لمعلمهم مصرفاً من مصارف الزكاة الشرعية ، فكأنهم يقومون بعمل ديني يستحقون عليه جزءاً من الضريبة الإلهية ، فيجب أن يتقوا الله ويحسنوا في الجمع ، والحديث النبوى يقول : « العامل على الصدقة بالحق كالغازى في سبيل الله » .

وقال أبو يوسف لأمير المؤمنين الرشيد : « ومرياً أمير المؤمنين باختيار رجل أمين ثقة عفيف ناصح مأمون عليك وعلى رعيتك ، فوله جميع الصدقات في البلدان ، ومره فليوجه فيها أقواماً يرتضيه ، ويسأل عن مذاهم وطرائقهم وأماناتهم ، يجمعون إليه صدقات البلدان .

وقد بلغنى أن عمال الخراج يبعثون رجلاً من قبلهم في الصدقات فيظلمون ويعتسفون ، ويأتون مالا يحل ولا يصح ، وإنما ينبغى أن يتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح ، فإذا وليتها رجلاً ، فليكن ممن تثق بدينه وأمانته ، أجر عليه من الرزق بقدر ما ترى ، .

وقال أيضاً : « رأيت — أبى الله أمير المؤمنين — أن تتخذ قوماً من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج ، ومن وليت

الفطر مثلاً تؤخذ حبةً من غالب قوت البلد ، وقد يصح دفع القيمة ؛ والخراج يؤخذ فيه من كل دجرب ، أربعة أو خمسة أو ستة أو ثمانية دراهم حسب جودة الأرض ، والجزية في أصلها تؤخذ نقوداً ، ولكن عمر أخذ إبلاً في مقابل الجزية ، يقول ابن سلام : « وكذلك فعل رحمه الله حين كان يأخذ الإبل في الجزية ، ويذكر أيضاً أن عمر أخذ في الجزية ثياباً بدل الدنانير ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إن على كل حالم ديناراً أو عدله من الثياب » .

وقال عنقرة بن عبد الرحمن الشيباني : « كان على يأخذ الجزية من كل ذى صنع ، من صاحب الإبر إبراً ، ومن صاحب المسان مسان ، ومن صاحب الحبال حبالاً (١) » .

كما يجوز تأخير اقتضاء الجزية حتى يبيع أهلها غلاتهم ، لينتمكوا من دفعها حينئذ ، ولا يرغمهم على البيع إذا لم يريدوا ، ويأخذ من الغلة بقدر الجزية .

وما يدل على روح التطور في الضريبة الإسلامية أن عمر لم يقسم أرض السواد المفتوحة على الجنود ، بل قال لهم : « قد أشرك

سنة ١٨٧٤م . وأمر بها فرضت ضريبة الدخل بصفة دائمة مستقرة سنة ١٩١٣م . وبلجيكا لم تترك تقدير الضريبة على أساس المظاهر الخارجية إلا في سنة ١٩١٩م . ولكن الإسلام العظيم شرع ضرائبه منذ وقت مبكر على أسس سليمة قوية مستقرة ثابتة .

\*\*\*

ولقد أخذ الناس في القرن العشرين يعرفون مبدأ « النوعية » في الضرائب ، والواقع أن الإسلام قد سبق إلى ذلك ، فضرائبه بمعناها العام متنوع ، فهناك ضريبة على الرووس من غير المسلمين - وهي الجزية - ولذلك تسمى الجزية ضريبة الرووس ؛ وهناك ضريبة رءوس المسلمين ، وهي زكاة الفطر ، إذ تجب على كل رأس مهما كان صغيراً ، ذكر أكان أو أنثى ، وهناك ضريبة على العقار ، وهي ضريبة الخراج المضروبة على ذات الأرض المفتوحة أو المصالح عليها ، وهناك ضريبة على المحصول ، وهي زكاة الزروع والثمار ، وهناك ضريبة على رأس المال ، وهي زكاة الذهب والفضة والتجارة ، وهناك ضريبة على الحيوان ، وهي زكاة الماشية ... إلخ .

وتتميز ضرائب الإسلام بقايليتها للتطور ومسايرة طبائع الأمور وهدم الجنود ، فزكاة

(١) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

الله الذين يأتون من بعدكم في هذا اليوم ،  
 فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ، ولئن بقيت  
 ليلفن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا التي  
 ودمه في وجهه ، . وأبقى عمر الأرض بدون  
 قسمة ، وأعطاه لمن يزرعها ويؤدى عنها  
 ضريبة العتار - وهي ضريبة الحراج - وكان  
 من الممكن قسمتها وجعلها أرضاً عشوية  
 كما في نظام الزكاة .

وقال عبد الله بن عمر : د كان عمر يأخذ  
 من النبط : من الزيت والحنطة نصف العشر ،  
 لكي يكثر الحل إلى المدينة ، ويأخذ من القطنة  
 العشر ، [١] والقطنة - بكسر القاف - هي  
 الأشياء التي ليست بمواد تموينية أساسية ،  
 مثل الثياب التي ليست بضرورية ونحوها ،  
 فهي إذن أشبه بالكاليات ، ولذلك رفع  
 ضريبته وزاد فيها ، وأما المواد التموينية  
 الأساسية ، فقد خفض عليها الضريبة حتى  
 يشجع جالبها على الإكثار من حملها إلى الناس  
 فتسهل عليهم الحياة .

ولقد كان التشريع الإسلامي بعيد النظر  
 وهو يقعد القواعد في شأن الضرائب ،  
 ولنضرب مثالا على ذلك ، فالخمر والتحزير  
 وما أشبههما مال غير متقوم وغير محترم في نظر  
 الإسلام ، ويحرم امتلاكه والاتجار فيه .  
 ولكن لفرض أن تجارا تاجروا في هذه

والأشياء ، وسروا بها في بلاد الإسلام ، فهل  
 تتركهم دون أخذ ضرائب منهم ، مع أن غيرهم  
 يؤخذ منهم على طيب المال وحلاله ؟ .  
 الجواب : لا ، بل نلجأ إلى التقويم ، إذ جاء  
 في كتاب الحراج ، لأبي يوسف هذا النص :  
 د وإذا مر أهل الذمة على العاشر - عامل  
 الضرائب - بخمر أو خنازير قوم ذلك  
 على أهل الذمة ، يقومه أهل الذمة ، ثم يؤخذ  
 منه العشر ، والتقويم هنا ينبغي أن يتم على أيدي  
 أهل الخبرة ، ولذلك روى عن إبراهيم النخعي  
 ما يلي : د إذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة ،  
 أخذ من قيمتها نصف العشر ، لا يقبل قول  
 الذي في قيمتها ، حتى يؤتى برجلين من أهل  
 الذمة يقومانها عليه ، فيأخذ نصف العشر  
 من الثمن ، [١] .

ونلاحظ في ضرائب الإسلام عنصر  
 د المعاملة بالمثل في الضرائب الجمركية ، ، فقد  
 كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر يقول له :  
 د إن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون دار  
 الحرب ( وطن الأعداء ) فيأخذون منهم  
 العشر ، . فككتب إليه عمر : د خذ أنت منهم  
 كما يأخذون من تجار المسلمين ، [٢] . وفي رواية  
 أنه قال لعمر : د إن تجار المسلمين إذا دخلوا  
 دار الحرب أخذوا منهم العشر ، . فرد عليه

ولقد كان التشريع الإسلامي بعيد النظر  
 وهو يقعد القواعد في شأن الضرائب ،  
 ولنضرب مثالا على ذلك ، فالخمر والتحزير  
 وما أشبههما مال غير متقوم وغير محترم في نظر  
 الإسلام ، ويحرم امتلاكه والاتجار فيه .  
 ولكن لفرض أن تجارا تاجروا في هذه

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٣ و ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(١) المصدر السابق ، ص ٥٣٣ .

في الزكاة وهو الشخص الذي يعينه ولى الأمر الممثل للدولة ، كى يقدر المحصول ويحدد قيمة زكاته قبيل حصده ، كما أنه يجوز للدولة المسئلة أن تحارب مانع الزكاة كما فعل أبو بكر مع مانع الزكاة فى حروب الردة المشهورة .

ومما تحسن الإشارة إليه أن الإسلام حرص على تأكيد العنصر الإلهى أو الدينى أو الروحى فى تشريع الضرائب ، ولذلك نحمد القرآن الكريم عند حديثه عن الحقوق اللازمة فى المال يذكر بنعمة الله وفضله ومنه بهذا المال على صاحبه ، فهو يقول : « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما أخرجنا لكم من الأرض ، » ويقول : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، » ويقول : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم . » ويقول : « وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم حصاده ، ... إلخ .

وهكذا يؤكد القرآن فى نفوس المؤمنين به أن ما يدفعونه من حقوق إنما هو شكران لله على نعمته وفضله .

« واقع خير الشاكرين ، »

قائلا : « خذ منهم إذا دخلوا إلينا مثل ذلك العشر ، [١] .

ومن لطائف النظم الضرائبية الإسلامية أن الإسلام قد سبق إلى نظام إعطاء إيصال لدافع الضريبة يفيد تقاضيا منه ، فقد كتب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز إلى ذريق ابن حيان الدمشقى - وكان يتولى مكس مصر ، أى الضرائب الجركية فيها - فشرح له نظام ما يأخذ ، ثم قال له عن الأشياء التى تؤخذ عليها الضريبة : « ثم دعها فلا تأخذ منها شيئا ، واكتب لهم كتابا بما تأخذ منهم إلى مثلها من الحول ، [٢] .

ونلاحظ كذلك أن القوانين المعاصرة ترى أن الدولة لها الحق فى الاحتفاظ لنفسها بطائفة من السلطات والإجراءات لتقاضى الضريبة ، مثل الغرامة والحجز ، وهناك ما يقابل هذا أو نحوه فى الشريعة الغراء ، فبعض الفقهاء يرى أخذ شطر من مال الذى يأبى دفع الزكاة ، للحديث الذى يقول : « من أباهما فإنى أخذها وشطر ماله ، . وبعض الفقهاء يرى استيفاء الزكاة من تركة الميت قبل أى حق آخر من الحقوق المتعلقة بالتركة ، وبعضهم يرى بطلان بيع المحصول الذى لم تؤد زكاته ، وهناك نظام « الحارص ،

(١) الحراج ليحيى بن آدم ، ص ١٧٣ .

(٢) الحراج لابن يوسف ، ص ١٣٧ .

# العلم والعمل في الإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادى

نزل الكتاب المبين على النبي الكريم فقال تعالى في القرآن الكريم : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وفى هذا تمجيد للعلم ودعوة إلى طلبه ، وإشادة بأهله وعارفه ، وغفر لمريديه وطالبه كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وما الحكمة والموعظة الحسنة إلا العلم الجامع لأمر الدنيا والدين . ومن هنا كانت دعوة الإسلام دعوة العلم - وتحطيم معازل الجهالة العمياء ، والضلالة الظلماء كما كان طلب الاستزادة من العلم منتهى الفخر والمجد ، والشرف والعزة ، فقال عز وجل : « قل رب زدنى علماً » .

فالعلم بحر لا ساحل له ، بحر خضم مسجور وكلما أمعن العالم فى علمه ازداد معرفة بحقائق الأشياء ، ودقائق الأمور ، وأدرك موقفه من الله عز وجل ، فى هذا الملكوت الواسع ، وهذا الملك الفسيح . واستطاع أن يكشف لنفسه وأهله وعشيرته ما يحقق لهم السعادة فى الدنيا والآخرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فضل العلماء : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . كما قال أيضاً : « إذا أتى على يوم لا ازداد فيه

العلم والعمل فضيلتان عظيمتان حث عليهما الإسلام ودعا إليهما الرسول ، والصحابه ، والتابعون ، ومن لف لفهم من أهل رأى والنهى ، والحكمة والحجى .

والعلم والعمل شعاران من شعارات الثورة فى العهد الاشتراكي الجديد ، فبالعلم تفتح الأبواب المغلقة ، وتفتح الآفاق المجهولة ، ويسهل العصى من الأمر ، ويدنوا القصى من الأمل ، وينمحي التخلف والتخاذل ، ويتلاشى التهاك والتكاسل ، وينطلق الدفع الثورى قدما إلى الامام لا يحول دون الوصول إلى أهدافه حائل ، ولا يعوقه عن بلوغ مراميهِ عائق ، وبالعلم نبني مجتمعا جديدا لا أثر فيه للاستغلال أو الاحتكار ، ولا مجال فيه للطبقية البغيضة ، أو تحكم رأس المال ، وبالعلم نحطم تلك الأصنام الفكرية والمادية التى ظلت ردها من الزمان تهيم على أفكار البشر ، وتتحكم فى رقاب الشعب ، وتستنزف دماءه ، وتستحوذ على خيراتهِ .

والعلم والعمل صورة جميلة تبهج العين والقلب والعقل جميعا ، بيد أنها ينبغى أن توضع فى إطار خلاص من الحلق القويم ، والسلوك الحميد ، والسجايا الفاضلة ، والشيم النبيلة . والعلم والعمل دعوة إسلامية كبرى منذ

المحسبات وشاعت على لسان الرسول الكريم  
فلأت الآفاق ، واعتنقها الناس في مشارق  
الأرض ومغاربها ، ووعوا في صدورهم  
وبين خفاياهم ذلك الحديث النبوى الشريف  
« من طلب الدنيا فعليه بالعلم ، ومن طلب  
الآخرة فعليه بالعلم » .

فنحن اليوم عندما ندعو إلى العلم - ويسجل  
الميثاق بين سطور هذه الحقيقة الخالدة  
فيقول : « فإن العلم للجمع يجب أن يكون  
شعار الثورة الثقافية في هذه المرحلة ، على أن  
بلوغ النضال الوطنى لأهدافه سوف يسمح  
لنا في مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نسام  
إيجابيا مع العالم في العلم للعلم » .

فإنما يحقق بذلك الدعوة الإسلامية الكبرى  
التي رن صداها في أنحاء العالم الإسلامى منذ  
نحو أربعة عشر قرنا من الزمان .

غير أن العلم لا تزدهر ثماره ، ولا يحين  
قطافه بدون العمل ، فالعمل صنو العلم فلا محل  
في الحياة لتواكل أو ضعيف ، ولا مكان في  
الاجتماع لتكاسل أو هزيل .

والله عز وجل دعا إلى العمل بعد أن سخر  
الأرض لبني آدم فقال تعالى : « وسخرنا لكم  
ما فى الأرض جميعا » .

والله جل جلاله وتعالى آلاؤه لم يذل لنا  
الأرض غسب إنما سخر لنا الفلك لتجرى في  
البحر بأمره . كما سخر لنا الليل والنهار ، والشمس  
والقمر كل يجري لأجل مسمى ، ودعانا بعد

علما يقربنى من الله عز وجل فلا بورك لى فى  
طلوع شمس ذلك اليوم ، .

وقال فى حديث آخره العلماء ورثة الأنبياء ،  
أما هلى بن أبى طالب فله فى العلم أقوال  
كثيرة جرت على كل لسان منها قوله : « ليس  
الخير أن يكتر مالك وولدك ولكن الخير  
أن يكتر هلك » .

وسئل ابن شهاب أأفضل العلم أم العمل ؟  
فقال « العلم لمن جهل . والعمل لمن علم » .  
وقال الشافعى رضى الله عنه ، طلب العلم  
أفضل من صلاة النافلة » .

أما الشاعر العربى القديم فقال فى العلم :  
العلم يحمى نفوسا قط ما عرفت

من قبل ما الفرق بين الصدق والمين  
للعلم للنفس نور يستدل به

على الحقائق مثل النور للعين  
ورغم أن العلم قد قسمه القدماء إلى علوم  
معقولة وعلوم منقولة ، كما قسمه بعض آخر  
إلى علوم شرعية أو دينية وعلوم دنيوية ،  
فإنه كان عند المسلمين عمادا من أعمدة الحياة  
وقواما من قوام الدنيا .

حقا تطورت العلوم بحكم الزمن ؛ وحقا  
طرا على العلم كل مستحدث طريف وكل مبتكر  
غريب ، وحقا أصبح ما كان بالأمس خيالا  
وهما اليوم حقيقة ملبوسة وواقعا محسوسا  
بيد أن العلم ظر مع هذا كله ورغم هذا كله  
دهوة إسلامية كبرى نزلت مع آيات القرآن

أو مدعاة إلى التخاذل والاستسلام والنكوص  
عن طلب المحالي فقال رضى الله عنه .

« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول  
اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر  
ذهبا ولا فضة » .

كما دعا عمر إلى علو الهمة في العمل لأن  
صغر الهمة موجب للانحطاط والانحسار  
فقال « لا تصغر من همتك فإن لم أر  
أقعد بالرجل من سقوط هيمته » .

وهكذا كان العمل دعوة إسلامية كبرى  
كذلك ، ولن تتحقق الغاية المرجوة من العز  
والسؤدد دون أن يتقن كل منا عمله ، ويقبل  
عليه بصدر منشرح ونفس راضية مرضية مخلصاً  
في أدائه متفانياً في إنجازه واضعاً نصب عينيه  
جميل ثوابه وعظيم عقابه وقول الرسول الكريم :  
« ما من عبد يخلص لله العمل أربعين يوماً إلا  
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

والعمل اليوم شعار من شعارات الثورة  
في العهد الجديد ، وعندما أعلن السيد الرئيس  
نقطة التحول في المجتمع العربي الجديد قال  
« دقت ساعة العمل الثوري » .

وهو في دعوته إلى الإسلام ويرجع إلى  
جذوره الأولى في الدعوة إلى العمل ونقض  
التراخي والكسل .

« قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون » ، « مال الدرع الرمادي »

ذلك إلى العمل والسعى لطلب الرزق دون  
ركود أو خمول ، ودون تقصير أو قصور .

فقال تعالى : « فانتشروا في الأرض وابتغوا  
من فضل الله » .

كما قال تعالى : « فامشوا في مناكبها وكلوا  
من رزقه وإليه النشور » .

وقال الرسول الكريم في الدعوة إلى طلب  
الرزق ( من طلب الدنيا حلالاً وتمتعاً عن  
المسألة وسعيها على عياله ، وتمطفاً على جاره ،  
لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ) .

كما قال أيضاً ( إن الله يحب العبد يتخذ المهنة  
يستغنى بها عن الناس ) .

فما أجمل هذه الأقوال الحكيمة ، وما أندر  
هذه الدرر الثمينة ، وما أشرف هذه الدعوة  
النييلة إلى العمل ، والإقبال على الصنائع  
والحرف ، وامتهان المهن الشريفة التي يصلح  
بها حال المجتمع ، وتدفعه إلى الرفعة والرقى .

وفي حديث آخر يفصل الرسول هذه  
الدعوة فيقول « إن الله يحب المؤمن المحترف ،  
ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً  
« أجل ما أكل العبد كسب يد الصانع » .

وفي فضل التجارة قال الرسول : « عليكم  
بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » .

أما الفاروق عمر بن الخطاب فكان  
كالرسول الكريم يستنكف البطالة والبطالين  
ويكره التعطل والمتعطلين ويمقت أن يكون  
الدين وسيلة إلى الكسل أو ذريعة إلى الخمول



نمونه سید لطیف الفقہ الہندی :

## فلنصنع فقہنا

للأستاذ فحی عثمان

\* وجاء عمر فوجد الغائبين يغنمون الأرض العقارية في البلاد المفتوحة ، كما يغنمون الثروات المنقولة من مال أو عتاد : د وقد ذهب عمر إلى خلاف ذلك ، فاعتبر الأراضى من الفىء الذى تتعلق به حقوق المسلمين عامة حاضريهم وآتيهم ، رعاية لمصلحة الأجيال وحقوقها في بيت المال ، وفقا لما ينبىء به النظر السديد إلى مجموع النصوص القرآنية لا إلى بعضها دون بعض . فأبقى عمر الأرضين لأهلها ، وطرح عليها ضريبة الخراج ، لأن ذلك أصلح لإحيائها وأعم وأدوم لنفعها وريعتها .

\* واجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين في عام الحجة المسمى د عام الرمادة ، واكتفاه بتعزير السارق بدلا من قطع يديه : د وهذا من عمر ليس تعظيلا لحد السرقة الشرعى . بل هو اجتهد حكيم منه في تطبيق شرائط هذه العقوبة ؛ لأن من شرائطها شرعا ألا يكون السارق مضطرا إلى السرقه اضطرارا ، فقد اعتبر عمر في ذلك شبهة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة

منذ صدر الإسلام ، وأعلام الفقہ الإسلامى لا يعيشون في قيود الحروف التى وردت بها النصوص ، وإنما يعيشون مع النصوص في واقع اجتماعى وفكرى سليم ، ومن هنا تخلد النصوص وتتجدد الفقہ ، وتكون حياة الفكر صورة لحياة المجتمع . جاء عمر بن الخطاب ، وفي القرآن آية تتلى تعطى د المؤلف قلوبهم ، من الزكاة د لكن عمر نظر إلى علة النص لا إلى ظاهره ، فقد كانت علة إعطائهم تأليفهم لاتقاء شرهم عند ما كان الإسلام ضعيفا ، فلما قوت شوكة الإسلام زال الداعى إلى إعطائهم . وقد أبطل عمر عطاء كان قد أنفذه رسول الله وأبو بكر لعينة بن حصين والأقرع ابن حابس قائلا : د إن رسول الله كان يتألفكم والإسلام يومئذ قليل ، وإن الله قد أغنى الإسلام . اذهبوا فاجهدوا جهدا ، لا يرضى الله عليكم إن رعيتم .

نعم ...

د اذهبوا فاجهدوا جهدا ... . هذا شعار المجتمع الجديد الآخذ في الظهور ، مجتمع لا يعطى بغير عمل !!

وحدوث النوازل التي تتطلب معرفة حكم الله فيها ...

« ثم إنهم آمنوا بعد ذلك بأن الأحكام التي قد تؤخذ من النصوص أو التي أخذت منها في زمن ما ، قد تتغير على مر الزمن واختلاف البيئة ، وذلك لتغير عللها التي أدت إليها ، أو لأن المقاصد المرادة منها

أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى لتغير الظروف والأحوال ... وقد حفظ لنا التاريخ الصادق الأمين في مجال التشريع أحكاما عديدة توافق هذه النصوص في روحها ومقاصدها ، وإن خالفت أحيانا ظاهرها أو خصصتها أو قيدتها ... ونرى من المفيد أن نضع بين أيدينا هذا البيان الموجز لما ذكرناه ...

\* ذهابهم إلى أحكام لم تكن موجودة من قبل معالين لها بأنها خير ، أو لأنها توافق العلل التي تؤخذ من النصوص : وذلك كما في حكم ميراث الجد ، وقتل الجماعة بالواحد ، والحكم بالدية بعد عفو أحد أولياء الدم .

\* تغييرهم لبعض الأحكام الثابتة من نص

القرآن أو السنة ، وذلك لتغير العلل التي كانت أدت إليها أو لزوالها : ومن ذلك إسقاط عمر سهم المؤلف قلوبهم ، وتقدير الدية نقداً بدل الإبل ، وإجازة التقاط الإبل الضالة .

ماجئة ، وقد قال النبي : ادرموا الحدود بالشبهات ، ، ويروى عن عمر قوله لعبد الرحمن بن حاطب : « أما لولا أني أظنكم تستعملونهم وتجميعونهم ، حتى لو وجدوا ما حرم الله لاكلوه - لقطعنهم ، ولكن واقع إذ تركتهم لأغر منك غرامة توجعك (١) » .

عاش المسلمون إذن - منذ جاء الإسلام وظهر جملة الأول - مع نصوص القرآن والسنة في الحياة ... ولم يعتزلوا بأنفسهم ، أو نصوصهم ، عن الحياة ١١

ومن هنا عاشت النصوص معهم ، وأثمرت هذا التراث الضخم الجليل من الفقه :

فقد عرفوا أن الأحكام التشريعية التي جاء بها الكتاب والسنة لم تشرع عبثاً ، بل إنها قد شرعت لعل لا بد من الفحص

عنها ، ومقاصد يقصد إلى تحقيقها ... وقد أدام إلى هذا اليقين ما وجدوه في القرآن نفسه وكذلك في السنة من التصريح أو الإشارة إلى علة الحكم والتشريع ... وكان من النتائج الطبيعية لهذا أن عمل هؤلاء الفقهاء والأعلام على تعرف هذه العلل والمقاصد ، وكان هذا منهم تبعاً للبناءات

(١) دكتور يوسف موسى : محاضرات في تاريخ الفقه الاسلامي ( فقه الصحابة والتابعين ) ، مصطفى الزرقا : المدخل الفقهي العام - الجزء الاول .

ولقد جعل فقهاؤنا من مصادر فقهم :  
مصادر ثابتة هي نصوص القرآن والسنة - وإن  
كان - فهم النصوص لا يمكن أن يكون ثابتا  
نتيجة تحكم عوامل متغيرة في هذا الفهم ، كما  
جعلوا من مصادر الفقه الإسلامى مصادر مرنة  
قد تدخل عموما تحت اسم « الاجتهاد » .

وهم لم يكتفوا بالبحث عن علة الحكم  
الوارد به النص ، وتقرير أن الحكم يدور مع  
علائقه وجوداً وهدماً ، بل فتحو أبواباً واسعة  
للاجتهاد الفقهي ، منها النظر للعرف ، ومنها  
تقدير المصلحة ، ومنها الاستحسان .

فإذا ما اعترض سبيل المصلحة المتفقة مع  
مقاصد الشريعة نص شرعى مانع : د فهل  
يعمل عندئذ بالنص دون المصلحة ،  
أو بالمصلحة دون النص ؟

\* فإذا كان النص قطعياً في دلالته وثبوته :  
لا يتصور أن تعارضه مصلحة تقتضى خلافه  
لأن معيار المصلحة هو النظر الشرعى .

\* د أما إذا كان النص غير قطعى في دلالته  
أو في ثبوته : فالاجتهاد الشافعى لا يقبل  
تخصيص النص - ولو كان غير قطعى -  
بالمصلحة ، لكن إذا اعترض سبيل تطبيق  
النص ضرر عارض فعندئذ تحكم قاعدة :

الضرورات ، واختيار أهون الشرين ، فإن  
الضرورات تبيح المحظورات ... مثال ذلك

\* ذهايمهم إلى النهى عن بعض الأحكام  
الأحكام الثابتة بالكتاب أو السنة ، دفعا  
لما يترتب عليها من مفسد خطيرة بعد أن  
تغير الزمن : ونستطيع أن نذكر لهذا من  
باب التمثيل رأى عمر في تقسيم الغنائم العقارية  
بالعراق ونحوها ، ورأيه في زواج الكتاتية .  
\* استحدثهم أحكاما زاجرة اقتضاها

الزمن مع ما فيها من ترك ظاهر النص  
أو تخصيصه : ومن هذا حكم عمر بإمضاء  
الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وحكمه فيمن  
تزوج امرأة لا تزال في عدتها من زوج  
سابق ، والحكم بتضمين الصناع مع أن  
أيديهم أيدى أمانة كما هو معروف .

\* وأخيراً نرى من كبار التابعين من  
يتركون العمل بالنصوص المطلقة أو العامة  
لأنهم رأوا العمل بها يناهى المصلحة ، فكان  
أن عملوا بما يحقق هذه المصلحة وإن كان في  
هذا تقييد للنص أو تخصيصه أو ترك ظاهره :  
ومن ذلك إجازة التسعير ، ورد شهادة  
القريب لقريبه أو الزوج لزوجته والعكس ،  
وعدم قبول عروة بن الزبير توبة من تاب بعد  
تلصص منه وقطع الطريق <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

(١) دكتور يوسف موسى : محاضرات في تاريخ  
الفقه الإسلامى ( فقه الصحابة والتابعين ) .

لأجل بقاء النظام على أحسن إحكام . ولهذا نرى فقهاء المذهب خالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه لعلهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به أخذنا من قواعد مذهبه .

\* \* \*

ما معنى هذه الأصول الفكرية والسوابق التاريخية الكبرى ؟؟

معناه أن علينا واجبا ثقيلا ... أن نصنع فقها !

نعم ... نصنع فقها ، كما صنع أسلافنا فقها .

إن القانون علم وصياغة - كما يقول جيني . وأمامنا أشواط بعيدة عن العلم ...

\* العلم بمبادئ شريعتنا .

\* والعلم بواقع مجتمعنا وعالمنا .

\* والعلم بتراث فقها .

\* والعلم بما وصلت إليه المعرفة القانونية في عصرنا .

ومن تفاعل هذه الأصول ، تأتي الصياغة التي نستهدى فيها بسوابق الفقه الإسلامي ، كما نستأنس بصياغة غيرنا من فقهاء الشرائع والتقنيات الأخرى .

يقول العميد السنهوري في بحثه المشهور بمجلة القضاء العراقية ( العدد الأول من السنة

الثانية - مارس ١٩٣٦ :

ما لو ترس الأعداء المحاربون بجماعة من أسرانا الذين في أيديهم ، وكان يخشى من ترك الأعداء أن يظهروا علينا ، فإنه يجوز بل يجب رميهم بالسلاح ، وإن ترتب عليه قتل من ترسوا لهم من جندنا المعصومة دماؤهم بالنص القرآني القاطع ( المستصفي للغزالي ) ،

ويسائر الحنابلة الشافعية في ذلك وإن كانوا يعتبرون المصلحة مصدراً فقهياً ، على أن المالكية والحنفية يرون : أن المصلحة

تخصص النص عند التعارض ، والتخصيص عند الأصوليين هو قصر النص على بعض ما يشمله لفظه على سبيل التفسير والبيان لمراد الشارع <sup>(١)</sup> .

وقد عاش فقهاؤنا دائماً مع بيئاتهم وفي عصورهم . ونحن نجد من الفقهاء المتأخرين مثلاً ابن عابدين يقول في (رسالة نشر العرف) : « إن كثيراً من الأحكام يبينها المجتهد على ما كان في زمانه ، فتختلف باختلاف الزمان : لتغير عرف أهله ، أو لحدوث ضرورة ، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبنية على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد ،

(١) الزرقا : المدخل الفقهي العام - الجزء الأول .

يد الصياغة فأحسن صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي والشمول وفي مسيرة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي تتلقاها اليوم عن الفقه الغربي الحديث .

« ولاني آتي بأمثلة أربعة :

« يدرك كل مطلع على فقه الغرب أن من أحدث نظرياته في القرن العشرين : نظرية التعسف في استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، ونظرية تحمل التبعة ، ومسئولية عدم التمييز .

ولكل نظرية من هذه النظريات الأربع أساس في الشريعة الإسلامية ، لا يحتاج إلا إلى الصياغة والبناء ... » .

**فهم عماد**

( لا أريد الاختصار على شهادة الفقهاء المنصفين من علماء الغرب : كالفقيه الألماني كوهلر والأستاذ الإيطالي دليفيشيو والعميد الأمريكي ويجمور - وكثيرين غيرهم ممن يشهدون بما انطوت عليه الشريعة الإسلامية من مرونة وقابلية للتطور ، ويضعونها إلى جانب القانون الروماني والقانون الانجليزي . وقد أشار الأستاذ لامبير الفقيه الفرنسي المعروف في المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي انعقد في مدينة لاهاي سنة ١٩٣٢ إلى هذا التقدير الكبير للشريعة الإسلامية الذي بدأ يسود بين فقهاء أوروبا وأمريكا في العصر الحاضر .

« ولكني أرجع للشريعة نفسها لاثبت صحة ما أقوله ...

« ففي هذه الشريعة عناصر لو تولتها

## العرب إخوة

العرب أمة واحدة :

هذه حقيقة مؤكدة ، لا تنقصها دعوى مدح في الشرق ولا في الغرب ؛ فالعربي في مصر أخو العربي في نجد ، وفي صنعاء ، وفي بغداد ، وفي دمشق ، وفي بيروت ، وفي الدار البيضاء من أقصى المغرب : أبونا واحد وإن زعم من زعم أننا لآباء ، ووطننا واحد وإن حال الاستعمار بوسائله ، أن يجعله أوطاناً ، وهدفتنا في الحياة واحد ، وإن جهل باحث في الشرق أو في الغرب ، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة .

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جنس ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام . فإن أخوة الشعور بالآلم لتربطنا قلباً إلى قلب من شاطئ الخليج العربي إلى شاطئ الأطلسي فما يكاد عربي يشكو ألماً حتى يتداعى له سائر العرب من قريب ومن بعيد بالسهر والحي . ( جمال عبد الناصر )

# طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيب

من الوزن والتقفية ، ما كان ليكتفى بهذا التعريف أو يقطع بأنه حد جامع مانع . واهلك قائل فهذا مجرد تحكم من الذوق للعربي أن يعد أوزان الخليل وما إليها هي الأوزان ، ثم يضرب عما عدا ذلك ، وهذا التحكم لا ينبغي أن يقيدها نحن الآن .

والحق أنه ليس بتحكم . ولكنه مذهب وأسلوب تفرد به ذوق العرب ، وقد استوحوه من بيتهم وبجنية اغتهم . ذلك بأنهم كانوا في أول أمرهم قوما بدوا لا يحسنون من الصناعات كبير شيء . وكانت لغتهم هي صناعتهم . فأقبلوا عليها كل الإقبال . وافتنوا في صوغها أشد افتنان . وجعلوا شعرها ذروة تجتمع عندها قابات ما يستطيعونه من الملكة والإتقان والإبداع .

وقد بنوا شعرهم حين أحكوه على عناصر ربعة من النغم . أولها الموازنة . وثانها السجع . وثالثها التجنيس . ورابعها الوزن المقفى . والعناصر الثلاثة الأوليات قد سبق الحديث عنها . إذ هي مادة ما قبل الشعر ، حين كان شعرا ، وهى ناشأ إيقاع النثر الذى ذكرناه آنفا واستشهدنا به . كما قد حيزت

إن النثر العربي له مذاهب فى الإيقاع أشبه أشعار الإفرنج . وزعمنا أن الجاحظ والنوحى سدى والصاحب وأضرابهم عمدوا إلى أشكال فى الصياغة قريبة من أشكال الشعر الإفرنجى . ونحسب أنهم لو وقعوا فى لغة إفرنجية لعدوا بصنيعهم هذا من شعرائها على أننا نعلم أنهم لم يوصفوا فى اللغة العربية بنعت الشعراء ولو على سبيل المجاز . ولم توصف أساليبهم بأنها من قرى الشعر ولو على سبيل التوسع .

ذلك بأن الذوق العربى لم يكن يرى إيقاع النثر داخلا فى حيز الوزن والعروض ، مهما يبلغ من درجات الإتقان والروين . ولقد نجهر فنبى على هذا أن الذوق العربى قد لا يرى أن كثيرا من أشعار الإفرنج تدخل فى حيز الوزن والعروض على ما يذكره لها نقادها من مصطلحات هذين فى أصانيفهم . وآية ذلك أن الذوق العربى قد اكتفى فى تعريف الشعر بأن قال : —

« هو الكلام الموزون المقفى ، وعندئذ أن هذا التعريف حد جامع مانع ، ولو قد كان يعد شيئا من إيقاع النثر وسجعه ذا مشابهة

المعروف . ولقد يهم بعض من يتعرض  
لدرس الأعاريض المربية ، فيحسب أنها مجرد  
مقاطع طوال وقصار وليس الأمر كذلك .  
نعم - قد نقول - فعولن مفاعيلن ، مقطع  
قصير فقطعلمان طويلان ثم مقطع قصير فثلاثة  
طوال . ولكن مثل هذا القول ليس في حقيقته  
إلا وصفا تقريبا يجاء به في معرض التعليم ،  
من أجل التيسير والتبسيط . وليس المراد به  
التحليل والاستقصاء .

وقد جريت في كتابي « المرشد » على هذا  
المذهب لأنني أردت أن أعين أصحاب المللكة ،  
من لم يشعروا إلى درس العروض في متونه  
المعروفة ، على أن يلبوا بأطرافه في غير ما هناء  
كبير ، وعلى منهج ربما كان أقرب إلى أذواق  
أصحاب المللكات . ولقد أخذ على الأستاذ  
الكبير بلاشير في مقال جيد كتبه في مجلة  
أرايكا (١) أني لم أعترف بسابقة بعض  
المستشرقين من أمثال قابل وهارتمان وجابار  
حين أقبلت على شرح العروض بطريقة  
المقاطع القصيرة والطويلة ، وهي طريقتهم ،  
دون الأسباب والآثار . والحق أني  
قد اعترفت لهم بهذه السابقة اعترافا محضا  
لذا قلت في مستهل تمهيدى عن بحث الأوزان  
( المرشد - ١ - ٧٤ ) ، ولا أريد أن أعنى  
القارى بالحديث عن التفصيلات من حيث

بمذاخيرها إلى صناعة الشعر من بعد فصارت  
من متمات جرسه ورفينه . وقد فصلنا الحديث  
هنا بعض التفصيل في الجزء الثانى من كتابنا  
« المرشد » .

والعنصر الرابع هو الفاصل بين الشعر  
و « ما قبل الشعر » ، وهو الذى يجعلنا نقول  
عن الأمثال وعن الخطب وعن نثر الجاحظ  
وعن جمع البديع وعن زخارف القاضى الفاضل  
أنهن جميعا لسن بشعر . وهو الذى يجعلنا  
ننظر في كل ما انتظمه الوزن الخليلى والقافية  
الخليلية فنقول إنه داخل في مدلول شكل الشعر  
وإن كان عسى أن يخرج بعضه من هذا المدلول  
حين يمرض على مقاييس الجودة والتأثير ،  
كأراجيز الفقه والعلوم مثلا وكرموز الشاطبية  
ولامية الأفعال .

وحقيقة هذا العنصر - أى عنصر الوزن  
المقفى - أنه نسب موسيقية محضة ، تؤلف معا ،  
ليكون منها قالب موسيقى محض . ومن هنا  
كانت طبيعة إيقاعه تختلف عن طبيعة الإيقاع  
الذى فى سائر أصناف « ما قبل الشعر » ،  
والإيقاع فى هذه الأصناف يدور على جرس  
اللفظ ، وألوان الخارج ، وموازات العبارات  
ولكن الإيقاع فى القالب الموسيقى الذى  
ينشأ عن الوزن المقفى ، يدور على تناسب  
ضربات ، لها أبعاد زمانية ، أشبه شيء  
بالضربات التى تصحب التأليف الموسيقى

(١) أرايكا، ليدن ١٩٥٩ - ص ٢٠.

واللعل ، خشية ألا يخفى أمرها عنه كل الخفاء .

ولقد حرصت في كتابي والمرشد ، أن أستدرك هذا النقص بالجمع بين المذهبين من طريق المزاوجة بين الأجزاء الثمانية ( فعولن - مفاعيلن - مفاعلاتن - فاعلاتن - متفاعلن - مستفعلن - فاعلن - مفعولاتن ) ورموزها المقطعية . وقد جربت هذه الطريقة في التعليم فوجدتها مجدية تقول مثلاً : —

هذا الجزء هو مفاعيلن التي تقع في الطويل أو مفاعلاتن التي تقع في الوافر حين يدخلها الزحاف وفي المزج وفي مجزوء الوافر التي هو ضرب من المزج حين يدخله الزحاف . فتي وجدت هذا الجزء في أول البيت فهو إما مزج وإما وافر ، إلخ . ومتى وجدته هكذا ( ٧ - ٧٧ - ) فهو وافر ليس غير . وأساليب المعلمين بعد ، ثقبان ، وليس هنا موضع البسط وللتفصيل . هذا وهنا أمر في غاية الأهمية في النظام التحليلي ينبغي التنبيه عليه ، وهو أنه يبرز جانب الموسيقى المحضة في أوزان الشعر . وهذا مرادنا من قولنا إن مذهب المقاطع مقصر عن حقيقة إدراك النسب الزمانية .

ولقد نبه الأستاذ بلاشير في مقاله القيم إلى هذا التقصير من طرف خفي ، ودعا

زحافاتهما وعللها . فهذا أمر قد فرغ محدثوهم وقدمائهم - من درسه . ومرادى أن أحاول بقدر المستطاع تبين أنواع الشعر التي تناسب البحور المختلفة . ولقد فطن الأستاذ بلاشير إلى مرادى أيما فطنة . فأعجب مع هذا كيف غابته الذي فاتته من احتراس . وما أردت إلا ما قدمت ، فهذا هذا .

وإني ، بعد ، أكرر ما قلته في المرشد ، من أني أعيب على قدماء العروضيين ما أسرفوا من المصطلحات ، وما جنحوا إليه من فساد القسمة في بعض الدوائر . وأوثر على مذهبهم في التعليم ما أخذ به المستشرقون من استعمال علامات المقاطع القصار والطوال فهي في جملتها أيسر مثالا من حفظ التفصيلات وأجزائها وأسماء عللها وزحافاتهما . على أني لا أغفل في هذا الموضوع عن تنبيه القارئ إلى ما أراه من عجز هذا المذهب عن أحكام تقطيع الأبيات في العروض . إذ أكثر جهده منصب على تحليل التفصيلات من حيث كمها المقطعي . والبيت العربي يحتاج المرء في تقطيعه إلى معرفة موضع الضرب والعروض ونصف الضرب ونصف العروض وكسورا من ذلك أيضا . فمن هنا لا يكاد دارس العروض يستغنى عن الاستعانة بالنظام التحليلي ، وأن ينظر في كثير من أصناف الزحاف



امتدى إلى معرفة العروض من سماع النقر بالنحاس وأصوات الصفارين .

وفي نظام الخليل الذى تبعه ، غير هذا الذى يروونه عنه ، ما يدل دلالة واضحة على إدراكه لحقيقة النسب الزمانية والموسيقا السكّنة فى الأعارىض . من ذلك مثلاً تقسيمه الطويل إلى أربعة أقسام فى كل قسم منها فعولون تقابلها فعولان من القسم التالى ومفاعيلن تقابلها مفاعيلن . وفعل ذلك فى المديد والبسيط وسائر البحور . وقد كان يسميه مثلاً أن يجعل الوافر فعان مفعلاتن فاعلونا أو فاعلاتن . ولكن تحريره النسب الزمنية الجاه إلى مفاعلاتن مفاعلاتن فعولن ، فى الضرب والعروض .

وأدل من هذا على إدراك الخليل لموسيقا العروض توهمه أبجراً مثالية . وقد أخطأ فى هذا الزوم من حيث المنهج التعليمى . كما قد أخطأ من حيث حاق الاستقراء . إذ لا معنى للنص على ما لا وجود له . ولكنه قد أصاب من حيث الإراغة إلى تبين النغمية ، المحضة فى الأعارىض . إذ قد كانت الدائرة فى عرف ذلك الزمان ، الإغريقى المنطق ، رمزاً للكمال . وكان الخليل يعلم بذوقه ويأدركه أن الأوزان ما هى إلا أشكال موسيقية ، فالتس لها نموذج الكمال فى الدائرة ، وحين استعصى عليه أن يضع كل بحر موجود

إلى استدراكه دعوة صريحة (١) ولقد حرصنا فى المرشد على التنبيه إلى جانب الموسيقى المحضة السكّنة فى الأعارىض من طريق الأمثلة التى تقرب هذا المعنى كقولنا مثلاً فى المديد (١ - ١٤٨)

تن تن مستعلن تن تن  
فاعلن تن تن تن تن تن تن  
وفى السريع (١ - ١٥٥) .  
يا صاحبي مستعلن عندنا  
ياسيدى عن عندنا عندنا  
وأمثال هذا كثير .

وقد كان الخليل وأصحابه على ما فى نظامهم من عسر وتمقيد وهفوات يدركون حقاً طبيعة النسب الموسيقية فى أصل الأعارىض . وقد ذكر هذا المعنى صريحاً صاحب معجم الأدباء بمعرض حديثه عز الخليل إذ قال إن معرفته بالإيقاع هى التى أعانته على اختراع للعروض (٢) . وقد ذكر قصة طريفة لحواها أن ابناً للخليل دخل عليه وهو يقطع بيتاً من الشمر ، فريح من منظره ، وظن أن أصابه مس من الجن ومضى ليخبر الناس بذلك . وذكر القفطى فى أنباء الرواة (٣) أن الخليل

(١) انظر به .

(٢) معجم الأدباء ٧٣/١١ .

(٣) أنباء الرواة ، طبعة بولاق .

حيث حملوا الأعرىض حملا مطلقا على طريقة المقاطع القويمة التي إن صلت مطلق الصلاحية في توضيح الأوزان الإفرنجية ، فإنها لا تصاح إلا على وجه تقريري في توضيح الأوزان العربية . خذ مثلا قول دريد ابن الصمة : —

يا ليتني فيها جذع  
أخب فيها وأضع  
أقود وطفاء الزممع  
كأنها شاة صدع

طريقة التقطيع الحديثة تريك أن البيت الأول (١) ، باليتنى فيها جذع ، مكون من هذه المقاطع : —

— — — — — / - ٧ - - - / - ٧ - - -

وأن البيت الثاني مكون من هذه المقاطع : —

/ - ٧ - - - / - ٧ - - -

وكما ترى فإن د كم ، المقاطع في البيتين مختلف ويكون الشاعر على هذا قد تجوز في تصنيفه . وطريقة التقطيع القديمة كذلك على أن الشاعر زاحف في البيت الثاني زحافا محتملا . وهي في هذا أدق وصفا لحقيقة تصنيفه من الطريقة الأولى . ألا أنها كأنها ترى في ما صنعه نوعا من شذوذ .

والحق أن الشاعر لم يشذ ولم يخطئ في نسبة الزمانية حيث يقال إنه زاحف . وكأنما (١) شطر سطور الرجل يث عند العروضيين .

في دائرة ، ثم أصلا دائريا ينبع منه ذلك البحر فنسبه إليه وبني أنظمة الزحاف والعلل على ما اقتضاه هذا التوم .

وأحب أن الخليل ومن اتبعوه قد أتوا من حيث أنهم كانوا نحاة . وقد جرت الخليل عادة النحو إلى أن يسلك بالعروض مذهبا نحويا . وقد كان رجلا عظيم الذكاء دقيق المداخل إلى العلل في أبواب النحو . ذكر سيويه مثلا أنه كان يمتنع من حذف الأصل من أمثال سفرجل ، ويرى أن تحقر على سفرجل لتكون بمنزلة دينير كما ترى مع علمه بأنه ليس سفرجل في كلام العرب (١) فهذا بعينه هو الاتجاه الذي اتجه في العروض إذ اقتتل أوزانا في ضوء الذوق العربي ، ثم نفي وجودها .

ولقد اضطر الخليل ، في حمله العروض على طريقة النحو ، إلى أن يستكثر من الاصطلاحات التي قدمنا لك ما نراه من عيبها . وإنما اضطره إلى هذه الاصطلاحات ما تعود من اتباع القواعد الشواذ في منهج النحو . والعلل والزحاف كلها تنزل منزلة الشواذ من قواعد البحور المثالية وغير المثالية . ولعمري ما أثرها من شواذ .

وكما أخطأ الخليل حيث حمل العروض على مناهج النحو ، أخطأ أكثر المحدثين (١) الكتاب ٢/ ١٠٧ .

يؤمن بذلك . ذلك بأن كل عروض إنما هو شكل موسيقي تام ذو أبعاد زمانية ثابتة النسبة بعضها إلى بعض ، وليس بمجرد مقاطع طوال وقصار تدل على كم كلاسي . وهذه الأبعاد الزمانية بمنزلة القوالب من المقاطع اللفظية طولها وقصارها . ودريد حين قال :-

يا ليتني فيها جذع  
أخب فيها وأضع

إنما أراد وزنا مداره على ثلاثة أبعاد زمانية متساوية ثالثها مقسوم إلى بعدين متلاحقين وهو وزن الرجز .  
وصورة جزئه الحقيقية هكذا :-

\*\*\*

تم تم تم تم

الرتان الأولى والثانية لكل واحدة منهما حين زمني منفرد . والثالثة والرابعة في حين زمني واحد مما مساو لكل واحد من الحيزين قبله . وقصارى الشاعر في محاكاة هذه الأبعاد ومحاولة إبرازها إلى الأذن الموسيقية أن يجعل لكل واحد من البعدين الأولين مقطعا منفردا ، وما أخرى أن يكون طويلا . والبعده الثالث مقطعين معا ، وما أخرى أن يكون أولها قصيرا ليكون أدل على التلاحق .

وقد حاكى الخليل هذا الوجه المحتمل في طريقة الشعراء فمثل لجزء الرجز بقوله :  
« مستفعلن ، ولكن هذا التمثيل كما ترى

وصف تقريبي وليس بحمد كامل ؛ لأن « مستفعلن » هذه في الإمكان تصورها « متفعلن » أو « مفتعلن » - وذلك بأن يصب الشاعر مقطعا قصيرا ( كما يقول اللغويون ) في قالب الضربة الأولى التامة فيصير الوزن هكذا :-

\*\*\*

م تف علن  
تم تم تم تم

\*\*\*

فيكون الشاعر كأنه استشعر سكتة بعد « م » ، هذه من غير محاولة منه لتقصير الضربة . ونفك ههنا - من قبيل الاستطراد - إلى موضع (علن) في بياننا . وهي إما يسميه العروضيون « وتدا بمجوعا » . وعندى أنهم قد راموا بذكر الوند المجموع (علن) والمفروق (تفع) نوعا من البيان النغمي ، ومن هنا أرهم أدق من الذين اكتفوا بالبيان المقطعي وحده . إذ (علن) و (تفع) فيهما معان نغمية أكثر من مجرد قولنا ( - ٧ ) أو ( - ٧ ) . وقس على ذين قولهم «فاصلة كبرى» و «فاصلة صغرى» وما أرى القوم إلا قد عجزوا عن الكتابة الموسيقية فالتمسوا الأسماء للنغم ومع الذى قدمته من تأثرهم بنظام النحو .

( البقية في العدد القادم )

دكتور عبد الله الطيب

# النسخ في تقدير علماء الأصول

للأستاذ عباس طه

القسمين ؛ نسخ الكتاب ، ونسخ السنة ،  
والأول وهو نسخ الكتاب أى نسخ آية  
من القرآن ينقسم إلى نسخ حكم ونسخ تلاوة ،  
ولمّا صدق التعريف على القسمين أى نسخ  
الحكم ونسخ التلاوة ؛ لأن كلا منهما فيه نسخ  
الحكم ، وذلك أن معنى نسخ التلاوة نسخ  
حكم التلاوة ، أى أن هذه الآية كانت لتلاوتها  
أحكام تلاوة القرآن ككونها يثاب على  
تلاوتها ، ويصح الصلاة بها ، ولا يجوز  
للجنب أن يتلوها ولا للحدث أن يمسه  
وهي مكتوبة ، فنسخت هذه الأحكام .

وأما نسخ الحكم المدلول لها كترتب المتوفى  
عنها حولا ، وكالوصية للوالدين والأقربين  
وأمثال ذلك ، فالنسخ هو للأحكام على كل  
حال ، ولمّا سمي أحدهما نسخ حكم والآخر  
نسخ تلاوة للفرقة بين القسمين .

ثم النسخ جائز عقلا وثابت شرعاً ،  
أما جوازُه عقلا فلأن الله تعالى هو الأمر  
الناهي باختياره ، وليس في العقل ما يمنع  
من أن يأمر بشيء في وقت وينهى عنه  
في وقت ، سواء أ قلنا إنه يفعل باختياره  
بدون تقيد بحكمة أو علة ، أو قلنا لا يصدر  
عنه فعل إلا لحكمة وفائدة ، فعلى الأول

النسخ هو رفع استمرار حكم شرعى بخطاب  
شرعى متراخى ، أو هو الخطاب الشرعى الدال  
على رفع استمرار حكم شرعى سابق . والغرض  
من قولنا بخطاب شرعى الاحتراز عن قطع  
استمرار الحكم الشرعى بالموت ، أو الجنون  
أو نحوهما . وكلمة متراخى للاحتراز عن رفع  
الحكم بغاية متصلة بالخطاب المثبت له . نحو  
قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام إلى الليل » .  
فإن كلمة إلى الليل غاية وليست نسخاً لاتصالها  
بالخطاب المثبت للحكم الذى انتهى بالغاية .

وقولنا ( بخطاب شرعى ) فى التعريف  
الأول ، أو ( الخطاب الشرعى ) فى التعريف  
الثانى : المراد منه الوحي الإلهى الذى يوحى  
الله إلى نبيه عليه السلام فيبلغه النبى إلى قومه  
بأى وجه من وجوه الإبلاغ ، سواء أ كان  
قولاً أو فعلاً أم تقريراً ، وسواء أ كان  
القول مسوقاً للإيجاز مع بيان الحكم أم لم يكن  
كذلك ، وذلك لأن جميع ما يصدر عن  
الرسول فى مقام التشريع إنما هو عن الوحي  
الإلهى ، لا فرق فى ذلك بين التشريع الابتدائى  
والتشريع الناسخ لحكم سابق .

ومن هذا يعلم أن النسخ جميعه موجه  
للأحكام ، ومع ذلك فإن النسخ ينقسم إلى

قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ، نسخت بالآية السابقة عليها في التلاوة وهي متأخرة عنها في النزول ، وهي قوله تعالى : « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً ، وذلك أن ترتيب التلاوة غير ترتيب النزول ، وليس المقام الآن في بيان ذلك ، بل هو معروف شائع وتلست حكمته في فن التفسير ، كقوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، الآية ، تدل على وجوب ثبات الواحد للعشرة ، نسخت بقوله تعالى بعدها : « الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، الآية ، فإنها تدل على وجوب صبر الواحد لل اثنين دون ما زاد عليهما . ومن النسخ نسخ التوجه لبيت المقدس في الصلاة بالتوجه للكعبة ، ونسخ وجوب صوم عاشوراء بوجوب صوم رمضان ، ونسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث ، أو بقوله صلى الله عليه وسلم : ( لا وصية لوارث ) على الخلاف بين الفقهاء في ذلك .

ومن هنا يحىء سؤال هل ينسخ كل من الحديث والآية بالحديث أو بالآية ؟ أى هل ينسخ الحديث الحديث والآية ، وتنسخ الآية الآية والحديث ؟ أما نسخ الحديث بالحديث والآية بالآية فلم يخالف فيه

الأمر ظاهر ، فإنه متى كان اختياره كافياً في الفعل أو في الخطاب ، فيجوز أن تتعلق إرادته بالأمر بالشئ في وقت والنهي عنه في وقت آخر ولولم يكن لذلك سبب ، كأمره بالصوم في اليوم الأخير من رمضان ونهيه عنه في اليوم الأول من شوال ، وعلى الثاني وهو أنه لا يصدر فعل أو تكليف إلا للحكمة وثمرة ، لا مانع أن يكون في الفعل مصلحة في وقت ومفسدة في وقت آخر فيؤمر به في الوقت الأول وينهى عنه في الثاني ، ومثل ذلك المريض يكون تناول الدواء مفيداً له حين مرضه فيأمره الطبيب بتناوله ، ويكون مضرأ له بعد سلامته فينهاه الطبيب عنه حينئذ ، أو كالغذاء الجيد لا تتحمله المعدة المريض الضعيف فينهى عنه ، فإذا شفى من مرضه وسلبت معدته واحتاج إلى ما يعيد قوته حتم عليه الطبيب تناول ما كان يمنعه منه . واعتبر ذلك في تربية الطفل يعطى من الغذاء الخفيف ما يناسبه حتى إذا شب زيد له من متين الغذاء بمقدار ، ومنع من رضاع أمه ، إذا كان ذلك لا يناسبه بعد كبره . ولا شك أن الأمم عرضة لأدواء شتى في التربية فيصح أن يناسبها في وقت ما لا يناسبها في وقت آخر . وفي القرآن الكريم ما يدل على جوازها وهو قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » . وأما ثبوته شرعاً فلا دلة كثيرة - منها

إما بالتبليغ على ما هو رأى بعضهم في معنى التبيين ، وإما بتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان الجمل وما أشبه ذلك ، وعلى كل حال لم يقل أحد بأَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يبحى بوحى لأحكام غير ما ورد في القرآن . وأما نسخ الآية بالحديث ففهم من جوزه ومنهم من منعه ، والمجوزون أكثرهم على أنه لم يقع وإن جاز عقلاً ، لأن كلا من الناسخ والمنسوخ من عند الله على ما سبق ، ويقولون فيما توهم فيه أن فيه نسخ الآية بالحديث : إن الناسخ آية لا حديث . فن ذلك آية الوصية للوالدين والأقربين « كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين » : توهم فيها أنها نسخت بحديث « لا وصية لوارث » ، فيقولون : إن الناسخ في الحقيقة آية الموارث ، فقد بينت لكل ذى حق حقه ، فلم يرجع أمر التقسيم والإعطاء إلى الوصى كما دلت عليه آية الوصية المنسوخة ، ويكون حديث « لا وصية لوارث » لبيان نسخ آية الوصية بها ، ولذلك روى أنه عليه الصلاة والسلام قاله بعد نزول آية الموارث .

ومن ذلك آية الجلد : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » : توهم فيها إنما نسخت بالسنة ، وهو فعله صلى الله عليه وسلم ، وأمره برجم ما عر إذ ثبت عليه الزنى وهو محصن ، فيقولون

أحد من مثبتي النسخ ، ما لم يؤد إلى نسخ حديث متواتر بحديث آحاد ، فإن الناسخ لا يكون أقل قوة من المنسوخ ، وأما نسخ الحديث بالآية أو الآية بالحديث فقد اختلف فيه ، فالمجوزون يقولون : كل من عند الله ، وهو الحاكم والمكلف ، والنبي مبلغ ، سواء بقول من نظمه هو أو بالنظم القرآنى الكريم ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فكل من الحديث والآية معناه موحى به من الله ، والفرق إنما هو في اللفظ المؤدى به ، فإذا كان اللفظ المؤدى به من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحديث وإذا كان نظمه ولفظه بما أوحى به مع مراعاة الإعجاز فهو القرآن ، ويكون متعبداً بتلاوته حينئذ . والنسخ على كل حال لحكم من الأحكام ، سواء أكان الحكم المدلول عليه بالنص السابق ، أم كان الحكم المتعلق بلفظه على ما سبق في التقسيم .

والممانعون لنسخ الحديث بالآية استندوا إلى قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، فظنوا أن السنة البيان خفس ، وليس لهم فيه حجة ، فقد أجمع المسلمون على أن من الأحكام ما ثبت أصله بالسنة ، فليست السنة قاصرة على البيان وليس في الآية دليل على انحصار أعماله صلى الله عليه وسلم في البيان ، وغاية ما تدل عليه أنه يكون منه بيان ما نزل إليهم ،

بالقرآن ثم نسخ الناسخ ، وغاية الأمر أن  
النسخ في الأول نسخ الحكم المدلول للآية مع  
بقاء تلاوتها ، والثاني نسخ الحكم مع بقاء  
التلاوة ، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم .

وملخص هذا الرأي أن نسخ الآية  
بالحديث جائز عقلاً ، ولكن لم يثبت قطعاً ،  
ولو ثبت ما لازم منه محال ، بشرط أن يكون  
بالحديث متواتراً . والقائلون بوقوعه  
يستدلون بهذا الذي ذكرناه .

أما المانعون الذين يقولون بعدم جواز  
نسخ الآية بالحديث ، فإنهم يستدلون بقوله  
تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت  
بخير منها أو مثلاً » ، فإنها تدل على أن الذي  
ينسخ الآية آية مثلاً أو خير منها .

ويقول الأولون : لا دلالة فيه على أن  
المأتى به هو الناسخ ، بل كل ما يدل عليه  
هو أنه إذا حصل نسخ لحكم آية أو تلاوتها  
أتى الله بآية أو حكم مثلاً أو خير منها  
في الثواب الأخرى أو في نفع العباد  
وتربيتهم ، ولا يلزم أن يكون المأتى به هو  
الناسخ ، بل يوثق بحكم أو بآية عند النسخ .  
والفرق بين المعنيين واضح . وسنشرح  
الخيرية عند بيان حكمة نسخ التلاوة أو  
الحكم ، وإنما ننبه هنا على أن مرجع الخيرية  
ثواب العبد أو نفعه ، لا أن إحدى الآيتين  
خير من الأخرى في ذلك ؟  
( وللبحث بقية إن شاء الله ) ؟

في دفعه : إن هذا تخصيص للعام لا نسخ ،  
إذ نسخ هو رفع الحكم كلية ، والتخصيص  
إبقاؤه مع قصره على بعض أفرادها ، فهو من  
البيان المدلول عليه في قوله تعالى : « لتبين  
للناس ما نزل إليهم » ، ومن الفقهاء من  
يقول : إن التخصيص نسخ ، فإنه رفع الحكم  
عما كان يتناول قبل التخصيص ، وهؤلاء  
يقولون إن النسخ هنا بآية نزلت ثم نسخت  
تلاوتها وبقي حكمها ، وهي ( الشيخ والشيخة  
إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ) ،  
فقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه خطب  
الناس فقال : خشيت أن يطول بالناس  
زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب  
الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل  
ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد  
أحصن ، ، وروى أبو داود عنه أنه  
رضي الله عنه خطب وقال : « إن الله بعث  
محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه  
كتاباً فكان فيما أنزل عليه آية الرجم - وهي  
الآية السابقة - فقرأناها وعيناها ، ، ثم  
قال : ( لولا أن يقال إن عمر زاد في الكتاب  
لكتبته على حاشية المصحف ) ، ومعنى ذلك  
أنها بعد نسخ تلاوتها لم تعد من الكتاب  
الكريم ، وقد سمع الحاضرون للخطبة ولم  
ينكر عليه أحد ، فاعتبر إجماعاً سكوتياً ،  
وهو كاف في صحة روايتها وأنها كانت قرآناً  
ونسخت ، فيكون ذلك من نسخ القرآن



# مَائِقَاتُ الْعَزَلِ وَالْإِسْلَامِ

## بُطُولَةُ صَلَاحِ الدِّينِ

لِلأَسَازِ عِبَاسٍ مُحَمَّدٍ الْعَقَّادِ

في القرون الماضية ولا سيما القرن الثامن عشر وما يليه ، فأُنعم بها على الشعراء والمؤرخين والممثلين والمصورين من جميع الطبقات ، ولكن نسبة الإناعام عليهم تزداد في السنوات الأخيرة ، وبخاصة في السنوات التي أعقبت ظهور حزب العمال ، وكان منهم ثلاثة من حملة الأعلام المعروفين في الشرق هم : توينبي المؤرخ ، وسمرست موام القصاص ، وجب المستشرق ، وكلهم من طبقة غير الطبقة التي تسمى عندهم طبقة الأعيان ، أو النبلاء .

ولا محل للمقارنة بين موام وجب في الموضوعات التي يكتبان فيها ؛ لأن موضوع أحدهما القصة وموضوع الآخر الاستشراق ، ولكن المقارنة بين توينبي وجب مما يستدعيه النظر في كتابة كل منهما عن التاريخ الشرق والإسلامي على الخصوص فإن توينبي يحسن عرض الحوادث ويقصر غاية التقصير في فهم الشخصيات ، ولا سيما شخصيات البطولة والعظمة ، ومن قصوره عن ذلك أنه ظن أن أبا سفيان وقومه بنى أمية غلبوا النبي عليه

الأسَاز د هاملتون جيب ، مستشرق معروف في البلاد العربية ، يكتب في الأدب والتاريخ وفي الشؤون الاجتماعية المتصلة بهما ويقسم بين زملائه المستشرقين بسمة الأثران وتقدير التبعة ، واجتناب المساس بالشعور فيما يبحثه من المسائل التي تختلف فيها الآراء وتمتزع بالعقائد الدينية ، وقد عرف في بلاده وفي البلاد العربية باسمه الثاني أو لقبه المشهور د جب ، قبل الإناعام عليه بترتبة الفروسية أو الرتبة التي تؤهل صاحبها للقب من ألقاب النبلاء ، وهو لقب السيد أو د السير ، باللغة الانجليزية . فأصبح يذكر - بعد اللقب - باسمه الأول مع اسم أبيه على حسب التقاليد المرعية عندهم في تسمية أصحاب الرتب والألقاب ، فهو يذكر الآن باسم هاملتون جيب ، ويكاد الذين يقرءون هذا الاسم في الشرق أن يشكل عليهم الأمر فيحسبوه كاتباً آخر غير الكاتب المعروف بينهم منذ سنين . وقد كان الإناعام بالألقاب هلى الأدباء والفنانين معهودا في البلاد الانجليزية



والأبطال ، ولكنه يجعل هذا الإعجاب حكما بأسباب ولا يتركه حكما «غاييا» بغير أسباب وبغير مبالاة بإحضار «البطل» في مقام الوزن والتقدير ، أو مقام التمييز بين بطل وبطل وبين نوع من العظمة وسائر أنواعها التي ينتسب إليها العظماء ، على اختلاف الميادين والأعمال . بل ينبغي للتاريخ أن يقسم البطولة إلى أنواع وأقدار ، فليس كل بطل مخلوقا على مثال أقرانه من الأبطال ، وليس كل بطل قرنا لكل عظيم موصوف بصفات البطولة ... بل ليس كل عظيم معدودا من الأبطال ؛ لأن العظمة قد تعوزها خاصة البطولة في الصميم : وهي خاصة الإيمان بالمثل الأعلى والفداء ومغالبة النفس في هوى من أهوائها الغلبة المطاعة ، وأعمها وأشيعها هوى الشهوات واللذات وهوى «الأنانية» في حدودها المحصورة التي لا تتعدى صاحبها في مطالبه وأمانيه . وما أعيد نشره للأستاذ هاملتون جب بعد الإلزام عليه كلام له عن البطل الإسلامي الكبير صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية الذي كثرت المقارنة بينه وبين أبطال هذه الحروب من قادة الأمم الغربية .

فلا شك عند المستشرق الحكيم في بطولة صلاح الدين ولا في عظمة هذه البطولة ، ولا في استحقاقه للشهرة التي ذاعت عنه وحوله بين أبناء الغرب والشرق على السواء ، ولكنها بطولة تقوم على تمحيص الأعمال والغايات

السلام في ميدان السياسة واستخلصوا الملك من بيت بني هاشم ومن آل النبي أجمعين ... ولم يفهم الموقف برمته منذ قام بالأمر الخليفةتان الصديق والفاروق ، ومنذ نهى النبي عليه السلام عن العصية وعن ورائة الأنبياء ، ولا يستطيع أحد يفهم طبائع العظمة أن يضع محمداً عليه السلام في ميزان المقدرة العقلية والنفسية ويضع أمامه أيأ سفيان أو أبناء ثم يحكم لهؤلاء بالرجحان في طبيعة من هذه الطبائع على أي اعتبار ، ولكن تقدير «الشخصيات» والحوادث معا يستوفى حقه في كتابة «جب» ، فلا يغفل عن الفوارق بين دلائل العظمة والبطولة في قادة التاريخ الإسلامي ولا يفوته أن يرجع بهذه الفوارق إلى أسبابها «الواقعية» التي تحتوي أحيانا طرقا من الأسباب «النفسانية» كما كشفت عنها دراسات علم النفس الحديث . والبطولة - كما لا يخفى - تهول عقول الناس فيجمعونها كلها في نوع واحد من الإعجاب والتعظيم ، ومقتضى الإعجاب والتعظيم عند أكثر الناس أن يكون البطل في الذروة من كل خلق لإنساني معظم محبوب ، فهو مثل في الشجاعة ومثل في الكرم ومثل في الدماء ومثل في البلاغة ومثل في كل ما يمتاز به النخبة الممتازون ... أما الناقد التاريخي فينبغي أن يكون له ميزان أصح وأعدل من هذا الميزان ، فلا يلغى التاريخ إعجابنا بالبطولة

وتختلف أوقاتهم التي يستعدون فيها للشاركة في كل ميدان وكل هجمة أو مدافعة تأتي على استعداد أو على حين غرة - كل أولئك فن من فنون التعبئة العسكرية لا يقدر عليه كل قائد ولا يقدم عليه كل فارس ، ولو كان أعلم بالفروسية من صلاح الدين .

وقد جاء في ابن الأثير أن ضابطاً من الموصل رأى صلاح الدين وهو يعان على ركوب فرسه فقال ما معناه : انظر إلى العواقب يا من يعينه على ركوب فرسه أمير من آل سلجوق ومن سلاله الأتابك زنكي ١١ .

ولكن هذا الفارس الذي كان بين قواده من هو أخبر منه بفنون الفروسية لم يكن في زمانه كله من هو أقدر منه على جمع القوى وتأليف الشباب واختيار الزمن والموقع الذي يصلح للهجوم أو يصلح للدفاع .

ولقد كان صلاح الدين حصيفاً ذكياً عليماً بطباع الناس ، ولكنه لا يوصف بالمكر والدهاء ولا يحسب من دهاء الساسة الممدودين في تاريخ الإسلام ، وكان وفاؤه بالوعد مضرب المثل في معسكر الفرنجة ومعسكر الإسلام ، ولكنه لو لم يكن حسن الظن بالناس لما تورط في بعض وعوده التي اضطره الوفاء إلى المحافظة عليها ؛ لأنه كان يأبى الغدر وينتظر من غيره مثل هذا الإباء ، فيصدق ظنه في حين وتخييب ظنونه في أحيان ، ولكنه كان يملك القدرة على تدارك الخطأ

ولا تقوم على الشهرة العامة والصفات الجملة ، أو هي بطولة من نوع مقدور بأسبابه حتى بين البطولات العسكرية التي هي وحدها مجال مدسع لأنواع من البطولات المختلفة ، كبطولة القيادة وبطولة التعبئة وبطولة الحركة السريعة وبطولة الهجوم أو بطولة الدفاع .

وصلاح الدين كان بطلاً منتصراً في أكثر مواقعهم وميادينه ، ولكن بطولته في القدرة على التعبئة أكبر وأبرز من بطولته في فن القيادة وتوجيه الجيوش في إبان المعركة ، فإنه في هذا المجال لم يكن مستجعماً لثقة العسكريين المحترفين من حوله ، ولم تكن مخالفتهم إياه بالامر السادر في بعض الظروف المحرجة وإن تبين فيما بعد أنهم مخطئون وأنه كان على ضواب .

والتعبئة الروحية كانت في مقدمة فنون التعبئة التي أتمتها بطل الحروب الصليبية ، فإن هذه التعبئة الروحية كانت ألزم له من سائر فنون التعبئة العسكرية في جمع القوى وابتعاث الغيرة وكبح عوامل الآثرة بين أتباعه ومنافسيه ، ولكن التعبئة العسكرية لم تكن في بابها أمراً يسيراً يستطيعه كل من تصدى له من المجاهدين الغيورين ، لأن تسيير جيش من أمم الشرق الأوسط بين العرب والاكراذ والترك والرايا والمواليين للعباسيين ومواطنيهم المواليين للفاطميين ، وتسكين هذا الجيش من أجناد مختلف بواعثهم إلى الاشتراك في الحرب الصليبية

بقوته العسكرية وثروته المالية وعلاقاته بأرباب القوة والثراء في الولايات الأخرى . وآية البطولة في صلاح الدين أنه غلب نفسه كثيراً كما غلب أعداءه من الفرنجة والمسلمين ، وأنه حكم نفسه كثيراً قبل أن يحكم رعاياه من المطيعين له أو المتمردين عليه .

وقد كانت هذه النظرة الواقعية إلى كنه العظمة التي اتصف بها هذا البطل العظيم وليدة الاطلاع الواسع على مصادر أعماله ومصادر تاريخ عصره ومصادر الأقوال التي نسبت إلى المتصلين به ممن عاملوه في ميادين سياسته وحروبه ، ومن بين هؤلاء من يخالفونه في الدين ومن هم على دينه وعلى مذهبه السني ولكنهم يتعصبون لأمراء الموصل المخنفين عليه ، أو على مذهب الشيعة ولكنهم يحضونه الشاء لأن غيرتهم الإسلامية غلبت على كراهيتهم للرجل الذي قضى على دولة الفاطميين .

ونرى من مراجعة الطرائق التاريخية التي يقبها المستشرقون أن طريقة « جيب » في تمييز « أنواع البطولة » بين من كتب عنهم من قادة المسلمين هي المثل المختار لمن ينصف البطولة حيث كانت ويبني لإنصافه على الأسباب والأعمال ، وعلى وجوه التمييز بين دواعي الإعجاب والتعظيم ، ويعينه على ذلك اطلاع واسع وقدرة على العلم بما يأخذ به وما يدعه مما يطلع عليه ؟

عباس محمود العقاد

بعد وقوعه ، لفرط إيمانه بحقه وحق القضية التي تصدى لها ووقف جهوده عليها . ومن عادة الناس أن ينظروا إلى أكبر أعمال البطل وأولها على القدرة والكفاية فيحسبوا أنها هي المقصد الذي تحراه من جميع أعماله وهي الغاية الأولى والأخيرة من جميع جهوده وتدابيراته . ولا خلاف على أن العمل الأكبر الذي تصدى له صلاح الدين وأفلح في إنجازه هو صد الجيوش الصليبية والتغلب على أمراء الصليبيين وقادتهم في ميادين الحرب والسياسة ، ولكنه من الخطأ أن يقال إنه هو العمل الذي توخاه وانصرف إليه بتدبيره وسعيه من بداءة حياته ، فإنما كان شاغله الأكبر قبل كل شاغل عناء أن يدعم الدولة الإسلامية المتصدعة ويقتلع جذور الفساد والشقاق من دواوينها ومعاهد إدارتها ، وقد كان صلاح الدين (الإداري) المدبر هو صلاح الدين الحق في رأى نفسه ورأى المتعقبين لمساعيه ودواعي أعماله ، ويزداد حقه في الإكبار والإعجاب كلما لوحظ من مساعيه المتتابعة أن أغراض الطموح ومطامع النفس لم تسيطر عليه ولم تصرفه عن غايته الشاملة من تدعيم الدولة العباسية وتغليب أسباب الألفة بين أجزائها على أسباب التفرقة والانقسام ، وهو على علو همته واعتداده بكفايته لم يطمع في كل ما كان يستطيعه من السلطان ولا في كل ما كان ميسوراً له

# الكتب

نقد وتعريف بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - ما لا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين :  
في الكتب تؤيد سعة صدر علماء السلف  
ونفورهم من التعصب للرأى .

القضية التي تناولها فضيلة الشيخ عبد الجليل  
عيسى تعتبر من الخطورة بمكان ، فهي تمس  
كيان الفقه الإسلامى فى اتجاهاته ، ومكانة  
الفقهاء المقلدين وضيق الأفاق من المجتهدين  
فقد بلغت فوضى الخلاف فى المسائل الفقهية

فى كتب المتأخرين بوجه خاص حدا لا يطاق  
ويكفى مثالا لهذا ، اختلاف العلماء فى صيغ  
ما لا يحتمل الخلاف ، فصينة الأذان أو  
الإقامة مما تكرر ألوف المرات فى عصر  
النوبة والخلفاء الراشدين ، وأمام جماهير  
المسلمين ، ويرى فضيلة المؤلف أن مثل هذا  
يمثل خطرا على سلامة نقل التشريع عن  
الرسول - صلوات الله عليه .

إن الخلاف فى المسائل الفرعية أمر لا هيب  
فيه ، إذا كانت وجهات النظر غير متناقضة  
وإذا تجرد الخلاف نفسه عن رزايا التعصب  
والهوى ، وما دام الخلاف نفسه يستجلى  
مرونة التشريع وسماحته ، أما إذا أدى

للاستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى  
نشرت هذا الكتاب الجديد دار القلم  
بالقاهرة لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى  
شيخ كليتى أصول الدين واللغة العربية  
بالأزهر الشريف سابقا .

الكتاب يقع فى حوالى مائة وستين صفحة  
من القطع المتوسط ، تناول فضيلة المؤلف  
فيه الخلاف بين المعقول وغير المعقول ،  
وما يسوغ فيه الخلاف بشرط عدم التعصب  
وما لا يسوغ فيه الخلاف ، وأخطر أنواع  
الخلاف ، وبعض الخلافات التى تستلقت  
النظر ثم بيان بعض أسباب هذه الخلافات  
وأثارها السيئة مشيرا إلى كلام الإمام محمد  
عبده فى المنار ، والإمام الغزالى فى الإحياء  
والحافظ بن حجر فى شرحه للأحاديث ، وشيخ  
الإسلام بن تيمية فى مجموعة رسائله وفتاويه  
ثم عرض فضيلته نبذا جاءت متفرقة

وتقويم الخلق والتربية الدينية وعزة النفس ،  
والارتقاء الروحي ، ثم قوة العلم وتعرض  
الدعوة إلى العلم ووسائله وشتى ألوانه الدينية ،  
ثم قوة الاقتصاد ، وتناقش قيمة المال والملكية  
كوظيفة اجتماعية وعلاقة المالك بالمال ،  
والاهتمام بالطبقات الفقيرة ، ثم قوة التماسك  
الاجتماعي ، وتناقش الحرية بأنواعها ، والعدالة  
والعمل والروابط الأدبية والحكم ، والنقل  
الأخير قوة الجهاد ، ويناقش قضية السلام ،  
والعهود والمواثيق والقتال .

هذه دراسة مستفيضة على جانب من الأهمية ،  
استعرض فيها فضيلة المؤلف العناصر التي  
تألف منها القوة الحقيقية التي تصل بالامة  
إلى غاياتها ، وهي عناصر تناولت الحياة  
جميعا ، وهي - كما يرى - ليست مثل القوة  
التي اصطاح الناس عليها ، فهي قوة في العقيدة ،  
وقوة في الخلق ، وقوة في العلم ، وقوة في المال  
وقوة في التماسك الاجتماعي ، وقوة في التنظيم  
السلي وقوة في الاستعداد الحربي ، وقد كانت  
هذه القوى العامل الأساسي في نجاح الامة  
الإسلامية في أول أدوار حياتها التاريخية  
وما زالت كذلك حتى غيرت ما بنفسها ،  
وأخلفت ما عاهدت الله عليه فغير الله ما بها ،  
وكان العامل في هذا التغيير - في نظر المصلحين  
هو التنازع على الحكم والسلطان ، والتعصب  
للجنس والنسب ، والاختلاف في أصول الدين

الخلاف إلى تناقض الآراء . فأصبح بعضها  
يحمل ما يحرمه البعض الآخر ، فهنا يتمثل  
الخطر الأكبر .

وفضيلة المؤلف في هذه الدراسة المركزة  
يصور أسباب الخلاف وآثاره التي أوهنت  
روابط الامة الإسلامية ظاهرا وباطنا ، وأبرز  
أن الفقه الإسلامي إزاء هذه الفوضى يمر  
بمحنة وأية محنة هذه المحنة التي صاغها الجود  
والزمت وضيق الأفق ، وقد استطاع أن  
يشخص الداء وله من الأسانيد ما يؤيده  
ولكننا كنا ننتظر أن يعنى فضيلته بإيجاد  
حل سريع وعلاج حاسم لهذه المشكلة ،  
وأن يضع الخطط التي تنقذ سمعة الفقه  
الإسلامي من المهازل التي تسربت إليه من  
طريق المتأخرين من الفقهاء .

\* \* \*

## ٢ - عناصر القوة في الإسلام :

للأستاذ الشيخ سيد سابق

هذا الكتاب نشرته مكتبة وهبة بباعدين  
للأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة  
الأوقاف ، ويقع في حوالى مائتين وأربعين  
صفحة من القطع الكبير .

أما الفصول التي تناولها الكتاب فهي قوة  
العقيدة وتعتمد على الإيمان بالله والحق ،  
ثم قوة الخلق وتناقش الضعف الإنساني

### ٣ - مع الضمير الإنساني :

للأستاذ خالد محمد خالد

« مع الضمير الإنساني في مسيره ومصيره »  
كتاب جديد للأستاذ الأديب خالد محمد خالد ،  
قامت بنشره مكتبة الإنجلو بعماد الدين بالقاهرة .  
يذكر المؤلف في مقدمة كتابه : أن كتابه  
يمثل رؤية تاريخية لموكب الضمير الإنساني  
في رحلته الجليلة منذ بدأ مسيره حتى يومنا  
هذا ، رؤية تسعى إلى استجلاء الخصائص  
التي يقود الضمير بها قافلة الإنسان صوب  
كاملها المقدور ، كما تحاول استشراف  
المستقبل الواعد لبني الإنسان من خلال  
التجربة الحية للضمير .

وهو يعني هنا بالضمير الإنساني ، تلك  
البصيرة التي أفاءها الله على الجنس البشري  
في مجموع أفرادهِ وعقربياته ورؤاه ، يعني  
إرادة التفوق التي تقود بالاحتياجات النبيلة  
وحدها القويم جميع العائلة البشرية لتعاق  
مصير الخير العظيم .

إن هذه الدراسة تعتمد على أربعة أسس :  
الضمير في عصر الرؤيا حيث نراه يستشرف  
في حذق كل رحم مكشوفة بين البشرية  
والكون والعالم ، وفي عصر النبوة حيث  
نرى الضمير في حجة الأنبياء يزكي الكثير  
من رؤاه السالفة ، ويمنحه من نوره  
ما يشد رصده ويثبت خطاه ، وفي عصر

وفررعه وإرجاف المرجفين ودسائس  
المستعمرين ، والابتعاد عن روح الإسلام  
والتعلق بالشكل دون الجوهر .

إن فضيلة الشيخ سيد سابق قدم دراسة طيبة  
في كتابه ، ولكن من حق القارئ أن يقسمال :  
لم أراد فضيلته دراسة عن القوة التي لم يتعارف  
الناس عليها ، وهي القوة التي تتمثل فيها  
مشكلة اليوم ، فالقوة الروحية والأخلاقية  
من شأنها أن توجه القوة المادية ، والإسلام  
عنى بالقوتين معا ، وتولى تنظيمهما .

وفضيلة المؤلف - في قوة العلم - لم يعن  
إلا بالعلوم الدينية وحدها : من تشريع  
وتوحيد وتفسير وحديث وفقه وسيرة  
وتصوف ، بينما الإسلام يعتز بالعلوم الدينية  
والدنيوية على السواء ، وعلماء السلف من  
المسلمين قدموا للإنسانية من المعارف مازالت  
تعز به في ميادين الفلك والطب والهندسة  
والرياضة ، وما إلى ذلك مما حمل أوربا على  
الاعتراف بفضلهم .

كف أود بعد ذلك أن تكون الأحاديث  
النبوية التي ساقها فضيلة الشيخ سيد سابق  
مخرجة ، وإن كان لم يورد إلا الصحيح . حتى  
تكون لهذه الدراسة القيمة التقدير الجدير  
بها لدى المثقفين الإسلاميين .

#### ٤ - العقيدة وخطر الانحراف :

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
ظهر هذا البحث في العدد الأخير من سلسلة  
الثقافة الإسلامية بالقاهرة ، وهو بحث على  
جانب من التركيز مع خطورة الموضوع ،  
تناول الدكتور فيه أولا : العقيدة وأثرها  
في بناء الأمم ، ويعنى بالعقيدة المعتقد النفسى  
الذى تطمئن إليه النفس ، ويمتلئ به القلب ،  
سواء كان عقيدة دينية مصدرها الوحي ،  
أم عقيدة سياسية أو اجتماعية ، وإذا كانت  
العقائد التى تبين على النفوس ضروبا متعددة ،  
فإن أعلاها - بلا ريب - العقيدة الدينية  
فى الله الواحد الأحد .

يرى الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ  
للشريعة بكلية حقوق القاهرة أن للانحراف  
عن العقيدة درجات أدناها أن يعتمد المؤمن  
على حوله وقوته فى بعض ما يريد القيام به  
من أمر متناسيا أنه ليس شيئا بدون حول  
الله وقوته ، وأما أعلا درجات الانحراف  
عن العقيدة فهو أن يسوء ظن المؤمن بالله ،  
ومن ثم يصل به الحال إلى النفاق .

وبعد أن عرض سيادة الدكتور العقيدة  
الصحيحة ومقاييسها ، والجانب الخطير  
فى الانحراف عنها : الإيجاف منه والسلبى ،  
عرض لمظاهر هذا الانحراف عن الإسلام  
وعقائده ، فى بعض التشريعات والقوانين

العقل حيث نجد العلم بكل قوانينه ،  
والإنسانيات بكل جيشانها وبهاثها ، يحملان  
المشعل ليقبها به كلمة الضمير ، ثم فى عصر  
غاندى والذرة - وهو يرمز إلى عصرنا  
الحاضر - حيث يتمثل فيه نهاية مسير الضمير  
وبداية مصيره ، فيستبين للبشرية طريقها  
الأوحد ، ويستكمل وحدته ورشده .

للقارىء أن يسأل : ماذا يقصد الأستاذ  
خالد ، أريد أن يجعل الضمير الإنسانى يمر  
بمراحل أربع ، وأن عصر النبوة هو المرحلة  
الثانية ، التى تلاها مرحلتان فى عصر العقل  
وعصر الذرة ، وبلغ رشده - فقط - فى  
العصر الأخير ؟

إذن فعصر النبوة الذى انتهى بمحمد لم يبلغ  
فيه الضمير الإنسانى نهاية نموه ، وبذلك لم  
تلب النبوات حاجة البشرية كاملة ، أرجو  
ألا يسكون هدف هذا البحث كذلك ،  
فإن الضمير الإنسانى استكمل نموه برسالة  
الإسلام خاتمة الرسالات ، ثم عاد أدراجه إلى  
الانحطاط بعد ذلك ، وفى عصرنا الحاضر -  
عصر غاندى والذرة ، استوى الضمير  
الإنسانى اليوم على الحضيض ، وما الشقاء  
الذى تعانيه الإنسانية والبشرية فى عالمنا من  
جرائم الحروب المدمرة لإدليل على أن الضمير  
الإنسانى فى معزل عن الحياة يشقى جوانبها .



ليتمتع إلى ما لا صلة له بالموضوع أحيانا ويجنح به الإسهاب أحيانا أخرى إلى قليل من التكرار، ومع ذلك فهو عالم جليل جرىء لم يقصر به عليه عن الدخول في معارك حامية الوطيس مع الزنادقة من الفلاسفة والمنحرفين من الصوفية .

## ٦ - حياة رسول الله :

للأستاذ محمود شلبي

أصدرت هذا الكتاب مكتبة القاهرة بالأزهر في أكثر من مائتين وتسعين صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف يذكر في مقدمة كتابه هذا أنه يعتمد اعتمادا كلياً على سيرة ابن هشام ، ويجعلها مرجعه الأول ، متعمداً المحافظة على ألفاظها وإيرادها بنصها ، لأن بلاغتها منقطعة النظير ، أما مجهود المؤلف فإنه سيحضر في حذف الإشعار من سيرة ابن هشام ، وإبعاد ما لا جدوى منه ، وما يختلف فيه ، وما لا يتفق مع روح العصر .

إن الأستاذ محمود شلبي يستعرض أولاً فترة ما قبل البعثة ، ثم فترة البعثة ، ثم الهجرة ، ثم فترة ما بعد الهجرة وهي مثقلة في غزوات الرسول ، ثم فتح مكة وحجة الوداع ، ثم خاتمة حياة الرسول حيث لحق بالرفيق لأعلى . وللكتاب ميزة من الجور أن ننكرها ، فقد قدم لنا حياة رسول الله في كتاب موجز سهل القراءة والاستيعاب معا .

محمد عبد الله السهام

التي يحكم بها المسلمون اليوم ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، ونظام متكامل ، فلا يصح أن يؤمن المسلمون ببعض ويكفرون ببعض .

## ٥ - الاستعجاب بالفقر :

لشيخ الإسلام ابن تيمية

الناشر مكتبة أنصار السنة المحمدية بعابدين ، وابن تيمية في بحثه هذا ، يعرض ويناقش الحديث الذي في الصحيحين عن أبي هريرة : احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأوجد لك ملائكته ، فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي كلمك الله تسليماً ، وكتب لك التوراة ، فبكم تجد فيها مكتوباً وعصى آدم ربه فغوى ، قبل أن أخلق ؟ قال : بأربعين سنة ، قال : فحج آدم موسى .

ويعرض ابن تيمية الآراء المختلفة تجاه الحديث ، ومنها ما أنكره ، ومنها ما أوله تأويلاً فاسداً ومنها ما جعله حمداً في سقوط الملام عن المخالفين لأوامره ورسوله .

ويجول ابن تيمية جولة واسعة مع القدرية والمرجئة والمعتزلة بشتى فرقها ، ويناقش حقيقة المحبة والفناء في الله ، ويصب جام غضبه - كعادته - على الفلاسفة والصوفية ..

إن الملاحظ على شيخ الإسلام ابن تيمية الإسهاب في الموضوع الذي يناقشه ، حتى



# انبثاء وآراء

على مبارك لم يكن خائفاً :

يقول الأستاذ محمد عبد الله السمان في نقده  
كتابنا « على مبارك ، حياته ودعوته  
وآثاره الذي نشر في العدد الماضي من  
« مجلة الأزهر » - رمضان - يقول الأستاذ  
السمان إن دفاعنا عن على مبارك وموقفه من  
الثورة العراقية « لم يعجبه ، ... ولا أريد أن  
أناقش هذا القياس الذاتي في النقد : مقياس  
الإعجاب الذاتي والرضى أو عدم الرضى في  
تقييم العمل الأدبي والتاريخي . بل أريد أن  
أعود لتبرئة عظيم من أكبر عظماء وطننا  
العربي في القرن التاسع عشر من تهمة الخيانة  
والتسكّر لوطنه . فلم يكن على مبارك ضالعا  
مع « الثورة » العراقية منذ مقدماتها الأولى  
الأولى حتى يقال إنه خانها ، بل كان نصيراً  
ومؤازراً وأميناً لها عند ما كانت « حركة » .  
فلما بدأت تأخذ طريق العنف والثورة ظل  
على ولائه « لمبادئها » في الإصلاح ، مع  
نصحها لها ؛ لأنه كان يعرف قدرتها ويعرف  
أوضاع العالم يوم ذاك ويزن هذه وتلك  
بميزان العقل لا بميزان العاطفة . كان هذا  
رأيه ، ورأى الشيخ محمد عبده أيضاً ، وبقى

على ولائه لهذا الرأي لم يتحول عنه قبل  
الثورة ولا بعدها ولا في أثنائها وكان في  
بعض هذه المواقف أكثر شجاعة من بعض  
الذين اشتركوا في « ثورتها » ، وكان في كل  
المواقف يكسب ثقة عراقي والعراقيين حتى  
لأنهم اختاروه سفيراً لهم عند توفيق لإبان  
استحكام الأزمة بينه وبينهم وسافر فعلاً  
مندوباً عنهم حيث اجتمع بتوفيق في  
الإسكندرية ، كما دعوه لمؤتمرهم المشهور  
في وزارة الداخلية بالقاهرة .

ولا أريد أن أعود لما فصلناه في كتابنا :  
« على مبارك والثورة العراقية » . فقد  
بيننا فيه - محايدين منصفين - موقفه منها  
وشهادة المعاصرين له ، ومنهم عراقي -  
ونفصنا عبارات ثقيلة مظلماً أحاطه به عبد الله  
النديم - لأسباب أعتقد أنها نفسية عاطفية -  
بل أريد أن أسجل هنا شهادة لم نستطع  
تسجيلها في الكتاب ؛ لأننا لم نكن وصلنا  
إليها ، وهي شهادة من عدو لمصر ورجالها ،  
شهادة انجليزى استعماري ليس مطلوباً منه ،  
مثلنا ، أن يدافع عن رجالنا ويظهر شرفهم  
ويعلن براءتهم من تهمة الزيف الوطني . بل

أو الاتهام الذى ألقاه الأستاذ السليمان اليوم على مبارك وهو يناقش كتابنا وألقاه من قبل أستاذ فى جامعة الإسكندرية على الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما ، لا أريد أن أقول إن هذا الاتهام بالخيانة والزيف الوطنى ونحوهما مما يلحق على عظماء تاريخنا زيدا واعتقادا من قائلها بأن فى ذلك مسaire وإرضاء ؛ لأنى أعتقد أنه من الآسود الواضحة أن الثورة الواقعة من نفسها المؤمنة برسوخ القيم الوطنية لدى شعبها ، هذه الثورة لا يرضيها ولا يعجبها ، ولا يسرها إلقاء تهمة الزيف الوطنى والخيانة على من يستطيع المؤرخ المنصف أن يبرئهم منها بحقائق ثابتة مقنعة ، ذلك خير لضميرنا العلى وكرامة رجالنا وطهارة تاريخنا من إتهام الأبرياء أو إبقاء التهم معلقة على رؤوسهم ونحن نستطيع أن نبرئهم منها بالحق ، بل ذلك ليس خيرا لنا فقط ، بل هو واجبنا .

وهذه النقطة بالذات أثارها هن كتابنا من قبل قارى من جامعة القاهرة فى جريدة الأخبار وناقشه فيها الأستاذ الكبير عباس العقاد ، فكان مما قاله فيها ما يلى :

أما موقف على مبارك من الثورة العراقية فخلاصة القول فيه أن الرجل كان ثائرا يدعو إلى الإصلاح وتنظيم الحكم النيابى ولكنه لم يكن دعرا بيا ، فى خطته وفى طريقة تنفيذه

لعل هوأه أن يجعلهم على عكس ذلك . هذه الشهادة كتبها د سير ولیم ولكوكس ، المهندس الكبير الذى تحدث عن على مبارك فى كتابه : « أربعون سنة فى خدمة مصر » فقال إن هذا المصرى العظيم كان ، لمقته الاحتلال ولغته ، يمنع تلقيب المهندسين الانجليز ، والسير ولكوكس واحد منهم ، باللقب العسكرى الانجليزى الذى كان يطلق عليهم ، ولم يعترض عليه مسئول مصرى غير على مبارك ، وزير الأشغال يومئذ ، كما أنه ، كما ذكر السير ولكوكس ، كان يحد من سلطة المهندسين الانجليز ويعترض على المالية ولا يجيزها إلا إذا كانت بأمر منه . وليس هذا وذاك بالأمر اليسير والاحتلال البريطانى يوم ذاك فى سطوته وهنفوانه ، وليست هذه صفة الخائن المتواطى المشكوك فى ولائه لوطنه .

وشهادة أخرى هى شهادة الواقع الذى لا ينكر ولا يجحد دلالته : فقد أغضب على مبارك الخديويين ، أكثر من مرة ، وبقي متعتلا عن العمل سنوات طويلة بسبب ذلك ، وتولى لكفايته وإخلاصه ، أعظم الأعمال وأهم الوزارات فى مصر ثم مات فقيرا .

\*\*\*

لا أريد أن أقول إن مثل هذا الكلام

هذا الخبر: هو إن مؤتمر ديوان الكنائس في أنحاء أندونيسيا المنعقد في مدينه سورابايا بهماوة الشرقية اتخذ قرارا في جلسته السرية في حيز برنامج عشرة سنوات المكون من عشرة فصول أهمها جعل جزيرة جاوة بأكملها نصرانية في مدة ٢٠ عاما ، وتحويل كل أنحاء أندونيسيا إلى نصرانية في بحر ٥٠ عاما على أن يكون هناك وزير ديني خاص للنصارى .

هذا القرار السرى الفاضح يدل دلالة صريحة على أن النصرانية رغم الخلاف التاريخي الناشب بين البروتستانت والكاثوليك قد اتحدت وتكتلت لمناهضة الإسلام في عقر داره ، ونوت تحطيم القوى الإسلامية متأكدة من أن الحكومة القائمة لن تعارض أية فكرة دينية معادية طالما الجمهورية الأندونيسية تحمى نشاط التبشير وتعطى المساعدات الكفيلة باتعاش حركة التنصير كما أنها تتيح دخول الأجانب من دعاة النصرانية دون قيد ولا شرط متمشية في ذلك مع مبادئ بانجا-ميلا التي أمم مبدأ فيها الإيمان بالله أى الإيمان بوجود إله ، يدخل في ذلك الهندوكية الموجودة حالياً في جزيرة بالي .

إذا لجأنا إلى واقع الأمر نجد أن المسلمين لم يجدوا هونا إلا من وزارة الشؤون الدينية لمدارسهم المتعددة المنازع بينا النصارى

لأيه . وقد فصل من وظيفته وحق به الغضب غير مرة لاتنقاده نظام الحكم الحديوى في كتبه وفي أحاديثه ... ولم يكن على مبارك ، على التحقيق من أتباع القصر المحايين لسياسته ولا من أتباع عرابي المتقادين له في جميع خططه ، ولكنه - على ما يظهر - لم يكن مؤيدا لمسلك عرابي في المرحلة الأخيرة بعد حوادث الإسكندرية (١) .

محمود الشرقاوى

### التبشير في أندونيسيا

صيحة مسلم غيور

إن حياة الإسلام في أندونيسيا تحتاج إلى هناية ، وهناك خبر هام يهم المسلمين في أنحاء المعمورة قاطبة لأنه خبر يقرر مصير الإسلام في تلك البلاد الإسلامية التي كانت في مقدمة الاقطار الإسلامية تمصبا للإسلام وكانت الحركة الاستقلالية قائمة على أكتاف العلماء ورجال الدين وأبناء الإسلام ، ولم يكن المسلمون موالين للاستعمار ولكن الأسف يملأ قلوبنا حينما نجد أنفسنا في أيام الاستقلال أقل شأنا ، وأضعف حالا عن ذي قبل ، قد شتتت شملنا السياسة النفعية ، والأغراض الشخصية ، والاختلافات المذهبية ، وتنازع البقاء في تقرير العز لمن يتولى أزمة الأمور ومناصب الحكم .

(١) يوميات الأستاذ العقاد - جريدة

الأخبار في ٨ أغسطس ١٩٦٢ .

ولا ريب أنها تمتشى قدما بمساعدات الدول الخارجية بالمال والرجال .

والزائر لأندونيسيا يرى أن الكنائس قد انتشرت أكثر مما كانت في أيام الاستعمار وقد أنشئت الكنائس في المناطق التي كانت محرمة ولا سيما في المناطق التي كان فيها سلاطين مسلمون ، هؤلاء الذين كانوا يحمون الإسلام بقواهم الفكرية والمادية وبسلطتهم القانونية والتنفيذية .

والأسف الشديد نجد المدارس النصرانية عامرة بأبناء الإسلام والاعتقاد السائد أن تلك المدارس أكثر اهتماما بالتربية وبالنظافة والنظام .

هذه الأمور نجدها الآن في أندونيسيا الإسلامية وقد لعبت النصرانية فيها دورا هاما وأخذت طريقها في النمو المطرد مما نخاف أن تتحقق معه الأمنية التي تسعى النصرانية إلى تحقيقها بكل ما لديها من قوة .

هذا وأرجو منكم نشر مضمون هذه الكلمة دون ذكر كاتبها ولكم مني مزيد الشكر .

« مسلم أندونيسي »

استولوا على جميع مخلفات الاستعمار من مدارس نصرانية استعمارية ومن كنائس استعمارية ومن ملاجيء وغيرها وهي أحسن الأمكنة وأجملها ثم يأخذون مساعدات من وزارة الشؤون الدينية تتساوى في مبلغها مع ما يتقاضاه المسلمون رغم كثرة عددهم بجانب ما يأخذون من مساعدات خارجية من دول أجنبية .

والجدير بالذكر أن النصارى يوحّدون صفوفهم في تنمية الفكر وفي تقوية الناحية المادية حتى جمعوا أموالا واشتروا أراضى واسعة في مناطق عدة لإعدادها في بناء مدارس وكنائس وملاجيء ومؤسسات وقد استطاعوا جمع أموال طائلة بطرق لولبية عدة مثل طبع كتب صحيحة واجتماعية داخلها التبشير ثم يبيعها في البيوت والمدارس وغيرها دون أن يشعر المرء بدعاية نصرانية فيتأثر بها الأبناء الصغار .

والمدارس النصرانية أكثر المدارس إمكانية من ناحية العلم والمادة ، ومن ناحية الاستعداد الروحي والمادى ومن ناحية الجمال والمال ومن ناحية التفكير والتدبير ،

## تصويب في هذا العدد

في صفحة ٩٧١ العمود الثاني السطر ٢٠ جاءت الآية الكريمة بحرفة وصحتها : « فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ... » إلخ الآية الكريمة .

# مِنْ ضَائِرِ الْجَنَةِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه :

عليه أداؤه ودام ذلك أكثر من خمس صلوات سقطت عنه الصلاة لعجزه ، ولو كان عقله سليماً على ظاهر الرواية وعلى الفتوى . ولذا لا يلزمه الإيصاء بالفدية لسقوط الصلاة عنه وفاقه أحق بقبول العذر منه .

وأما إذا كان قادراً على الصلاة ولو بالإيماء ، ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإيصاء بالفدية ، فيخرج عنه وليه وهو من له ولاية التصرف في ماله بوراثه أو وصاية ، من تلك تركته عن كل صلاة حتى الوتر نصف صاع من بر أو دقيق ، أو صاعاً من شعير أو تمر أو قيمة ذلك . وهي أنفع وأفضل ( وللصاع قدحان وثلاث بالكيل المصري ) فإن لم يوص جزاء أن يتبرع عنه وليه بها .

وإذا صلى عنه لا يسقط الفرض ؛ لأن الصلاة عبادة بدنية محضة لا تقبل النيابة . نعم يجوز أن يصلي ويحمل ثواب صلاته للميت في حسنات الميت ، ولكن ذلك شيء آخر غير سقوط الفريضة عن الميت .

ألا دأبه قبل دخول الوقت :

السؤال :

هل يصح الأذان قبل دخول وقت الصلاة بخمس دقائق ؟

مرسى محمد علي

الجواب :

الأذان قبل دخول وقت الصلاة لا يصح طال الزمن أم قصر ؛ لأن الأذان شرع للإعلام بدخول الوقت الشرعي فلا يكون قبله .

سقوط الصورة :

السؤال :

ما هو إسقاط الصلاة المعروف وهل هو شرعي أم لا ؟ ومتى يجب وكيفيته ؟

الدكتور أحمد أحمد موسى

الجواب :

يجب على المسلم أن يؤدي الصلاة ولو من قعود إذا كان مريضاً أو بالإيماء برأسه ، ولا يجوز له إخراج الفدية عن صلاته وهو حي فإن تعذر

الأبويح ديناً ، وعليه أن يتمسك بدينه ويؤدى جميع فرائضه ويعتمد عن جميع ما نهى الله عنه ، وعليه أن يؤدى الصلاة لأنها عماد الدين وإذا أمكن أن يؤديها بعيداً عن أمه في مسجده أو غيره حتى لا تثار ولا تتأذى كان ذلك أولى ، حرصاً على حسن صحبتها المأمور بها في قوله تعالى : « وصاحبهما في الدنيا معروفاً » وإذا لم يمكنه أداء الصلاة إلا حيث تراه أو تعلم به فعليه أداء الصلاة ولو تأذت بذلك عملاً بقوله تعالى : « وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما » ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » ، ولا يضره دعاؤها عليه « وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » ، أما الجنة تحت أقدام الأمهات ، فلك فيما يرضى الله تعالى دون ما يفضيه ويخالف أوامره .

زكاة المال الذي دفع كمبروره :

السؤال :

اتفقت مع جماعة أن أشتري منهم أرضاً بمبلغ ٥٥٠ جنيه ودفعت عربوناً من القسيمة قدره ٣٠٠ جنيه في سنة ١٩٥٦ ومنذ ذلك التاريخ لم يفصل في دعوى كانت على الأرض المذكورة بين الشركاء بما حال دون تسليمها إلى وقبض باقي الثمن حتى أول سنة ١٩٦٢ حيث استعدوا لتسليمها إلى وقبض باقي الثمن

حكم ترك الصلوة كسرو :

السؤال :

رجل تارك للصلاة كسلاً وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤدى الزكاة وسبق له الحج ويتصدق كثيراً فما حكم هذه الأعمال ؟  
عبد العظيم إبراهيم محمد

الجواب :

ترك الصلاة كسلاً مع الإيمان بفرضيتها يستوجب عقاب تارك الصلاة . وما يفعل بعد ذلك من أنواع الطاعات الأخرى مثل الحج وأداء الزكاة والتصدق في سبيل الله كل هذا يثاب عليه .

هل يصلى المرء ولو غضبت أمه ؟

السؤال :

شاب في السابعة عشر من عمره نشأ بين أب مسلم وأم مسيحية يعترف بالإسلام ويؤدى فرائضه ما عدا الصلاة لأن أمه تغضب وتشتد لذلك وتقول له : إنك مسيحي تبعاً لي ويريد أن يعرف حكم الإسلام في الجهر بالصلاة لو غضبت أمه ؟

على عبه الملك

الجواب :

هذا الشاب مسلم تبعاً لأبيه المسلم ولا يضره إن كانت أمه مسيحية فإن الولد يتبع خير

ما يبلغ نصاباً ومضى عليه الحول بعد قبضه ،  
وكذا إذا قبض دون النصاب وكان عنده ما يكمل  
النصاب ومضى عليه الحول .

### زكاة أدوات الإنتاج :

#### السؤال :

أمتلك مصنع نسيج أرضه ومبانيه  
وماكيناته الموجودة به كما أمتلك محلاً تجارياً  
فما هي الزكاة المفروضة على كل نوع من هذه  
الأنواع ، وهل الديون التي على هذه الأشياء  
تدخل في قيمة رأس المال أو تقدر الزكاة  
بعد استبعاد قيمة الديون من رأس المال ؟  
محمد حافظ بشير

#### الجواب :

المصنع أرضه ومبانيه وماكينات النسيج  
الموجودة به لا تدخل في تقويم عروض  
التجارة لأنها معدة للتقنية لا للتبادل بالبيع  
والشراء ، وعلى ذلك فلا زكاة فيها ، وإنما الذي  
يقوم هو العروض بالمحل التجاري وكذا  
الغزل الذي يندس فإن بلغ مجموع ذلك نصاباً  
وجبت فيه الزكاة بمقدار ربع العشر من القيمة  
وأما الديون المشغولة بها ذمتك فالحال منها  
في جام الزكاة لا يدخل في قيمة العروض  
بل تقدر القيمة وتستبعد منها هذه الديون  
فإن بقي بعد ذلك نصاب وجبت فيه الزكاة  
بمقدار ربع عشر الجميع كما تقدم .

إلا أن ظروفى لم تسمح لى بدفع هذا الباقي  
وطلبت منهم فسخ البيع فوافقوا ولسكنهم  
لم يعيدوا إلى العرون .

فهل المبالغ الذى دفعته عربونا وهو الـ ٣٠٠  
جنيه تجب عليه الزكاة منذ تاريخ دفعه ،  
أم من تاريخ عدولى عن استلام الأرض ؟  
أم أنه لا زكاة عليه أصلاً ؟ .

رشدى جميل

#### الجواب :

العربون الذى دفع لشراء قطعة الأرض  
ثم عدل عن الشراء بالإقالة من هذا البيع  
لا زكاة فيه عليك عن المدة التى سبقت الإقالة ،  
لأنه لم يكن مملوكاً لك حينئذ . أما عن المدة  
التي بعد الإقالة يعتبر ديناً في ذمة البائعين ،  
وعليه فتجب زكاته إذا قبض ومضى عليه الحول  
بعد القبض .

### زكاة الدين :

#### السؤال :

أنفقت مبلغاً من المال في تعمیر الوقف  
على سبيل القرض لجهة الوقف فهل تجب فيه  
الزكاة ومتى تجب ؟

رشدى جميل

#### الجواب :

دين القرض يجب زكاته إذا قبض منه

## نقل الزكاة :

### السؤال :

سنوات ماضية وهى قيمة الفرق بين مربوط  
الدرجتين فهل تلزمى الزكاة على هذا المبلغ ؟  
محمود ابراهيم حسين

### الجواب :

لا تجب الزكاة فى هذا المبلغ المحكوم به  
للسائل أخذاً بمذهب الإمام محمد بن الحسن  
من أصحاب الإمام أبى حنيفة رضى الله عنهما ،  
وهو مذهب لبعض الأئمة الفقهاء .

## ضمانه الشيء المتلف خطأ :

### السؤال :

أمتلك جاموسة تساوى من النخس ١٠٠ جنيه  
وبينما هى تحتاز الطريق العام - وهو مقنع  
بمقدار ٣٠ مترا ومرصوف - صدمتها سيارة  
تسببت فى ذبحها لأنها كسرت وأصبحت غير  
صالحة وبيعت لحما بمبلغ ٢٢ جنيها وبحكم الناس  
والعرف بيننا حضر صاحب السيارة بنفسه  
ودفع لى مبلغ ٥٠ جنيها لشراء غيرها بدلها .  
فهل مبلغ الخسوس جنيها المدفوعة منه حلال  
أم حرام ؟

محمد أحمد عجلان

### الجواب :

القاعدة الشرعية أن من أتلف شيئا يمتلكه  
غيره فعليه ضمانه والمبلغ الذى دفعه المتسبب لك  
لا يخرج عن كونه ضمنا لما أتلفه تم صلحا  
بينكما فيحل لك شرعا أخذه .

هل يصح للمزكى أن ينقل الزكاة أو أكثرها  
من محل إقامته إلى بلد بعيد له فيه أقارب .  
عبد الباسط ابراهيم السيد

### الجواب :

نقل الزكاة أو أكثرها إلى أقارب المزكى  
فى بلد بعيد عن موضع الزكاة جائز شرعا  
إذا لم تكن حاجة فقراء بلد الزكاة أشد من حاجة  
من يراد النقل إليهم .

## زكاة ربع الأملاك هل تقضى عنها العوائد ؟

### السؤال :

هل المبالغ المدفوعة للحكومة بصفة عوائد  
أملاك تجزئ عن زكاة ربع الأملاك ؟  
عبد الرحمن المصطفى عبد الرحمن  
كسلا - السودان

### الجواب :

عوائد العقارات السكنية لا بغنى دفعها  
عن زكاة الناتج من ريعها بل يزكى إذا بلغ  
النصاب وحال عليه الحول وتوافرت فيه  
شرايط وجوب الزكاة .

## هل تلزم الزكاة عن فروق متجمدة :

### السؤال :

تسلبت مبلغا خاصا بفروق متجمدة عن



# بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوره

إيه الله معنا :

هذه هي الكلمة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في أذن صديقه أبي بكر رضي الله عنه ليضيء بها قلبه ، ويبدد بها الهواجس التي هجمت عليه ، وهو يرى الخطر يحدق بهما ، ويكاد يطبق هليهما ، فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا تحت قدميه . لقد كانا في الغار ، وكان حول الغار - وفيما وراء الغار - قوى الكفر المتألب المتعزب ، تسعى للفتك بهما ، والقضاء عليهما ، وهما أعزلان لا يملكان غير الإيمان ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم مظاهر الحزن تغشى وجه أبي بكر ، وسمعه يبدي بلسانه ما كان يشعر به في قرارة وجدانه ، فقال ما يحكيه القرآن عنه ، « لا تحزن إن الله معنا » .

وبهذه الكلمة المؤمنة المطمئنة مسرور صلى الله عليه وسلم قلبه الكبير أدق تصوير ، وعبر عما كان يشعر به من ثقة وإيمان أعظم تعبير ، وكان ذلك هو التفسير لقول الله بعد ذلك ، « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

لم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى المدينة استجابة لشعور بضعف أو خوف ، فقد رأى الدنيا كلها تتحداه . وتتألب عليه ، حتى أوشك عمه أن يتخلى عنه ورأى - عليه السلام - في كلامه إليه ما كان يشعر به من قلق وأرق وإشفاق عليه وعلى أهله ، فقال له قوله المشهورة : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

ولم تكن هجرته عليه السلام ضيقا بأرض تحمل فيها من ألوان البلاء والعناء ما تنوء بحمله الجبال ، فقد وقف قبل أن يغادرها يمد بصره إلى الكعبة ، ويودع مكة بهذه الكلمات الطيبات ، « والله إنك لأحب أرض الله إلي ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجنوني منك ما خرجت ، بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يكده يمضي في المدينة عاما وبعض عام حتى شعر بالحنين يشده إليها ، وبنازع الشوق وحب الحق تثير قطلمه إلى وحى يرضى شعوره ، ويريج ضميره ، ويوجهه إلى « أول بيت وضع للناس » فكان إذا فرغ من الصلاة ، رفع بصره إلى السماء ، وقلبه في جوانبها ، وتشوف إلى وحى يرضيه ويهديه ، حتى نزل قوله تعالى :

« ولأنما كانت الحكمة كبرى تفسرها كل الأحداث التي وقعت بعدها ، فكل ما أحرزه الإسلام من قوة وازدهار وانتشار بعد الهجرة هو التفسير الكبير للحكمة والمعبرة التي تستفاد من الهجرة ، وكل ما يقال من الأسباب المعقولة لا يخرج عن معنى قول الله : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فقد كان الكافرون يمكرون به وبالدين الذي بعث به ، فأفسد الله عليهم مكرهم ، وغلب تقديره تقديرهم ، فلم يصلوا إلى رسوله بشر ، ولم يطفثوا نوره ، وقد أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، بل كانوا كما يقول الله فيهم : « يريدون أن يطفثوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

لقد كان الله معه ، وكان يشعر بأن الله معه ، فألقى الله سكينته عليه ، وكتب له ولدينه أن يظهر ويظهر ، وإذا كان ذلك شأنه سبحانه مع الرسل قبله كما يفهم من قوله : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، فكيف لا يكون ذلك شأنه معه . وهو خاتم أنبيائه ورسله ، بل هو منهم كما يقول الشاعر :

كيف ترقى رقيق الأنبياء

يا سماء ما طاولتها سماء

« قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

ولم تكن هجرته صلى الله عليه وسلم — القاسا لراحة يجد فيها برد الراحة ، فقد كان يعرف إنه إذا ترك المشركين في مكة فسيواجههم مع اليهود والمنافقين والكافرين في المدينة ، وفيما حول المدينة ، ثم في كل مكان تشتمل فيه الحرب بين الكفر والإيمان ، وقد لمح بذلك أحد الذين بايعوه في العقبة ، وصرح له عن ذلك بقوله : يا رسول الله . إن بيننا وبين قوم حربا لا ونحن قاطعوها ، فهل صليت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدهنا ؟ فتبسم - صلى الله عليه وسلم - وقال : أتتم مني وأنا منكم ، أسلم من سالمتم وأحارب من حاربتم .

وكان هؤلاء القوم الذين أشار إليهم هذا القائل هم اليهود ، وكانت الحبال التي تشد أهل المدينة بهم هي اليهود ، ولا شك أن اليهود أشد الناس عداوة للؤمنين كما يقول الله فيهم : « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الشعور بالخوف أو الضعف . أو الضيق بمكة والأمل في الراحة والنعيم بالمدينة ،

بين عمرو بن الخطاب وعمرو بن معد يكرب

قيل إن عمرو بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معد يكرب فقال له : ما تقول في الحرب ؟ قال : مرة المذاق إذا كشفت عن ساق ، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف ، قال : فما تقول في الرمح . . ؟ قال : خيلك وربما خانك ، قال : فالتبل . . ؟ قال : منايا تخطيء وتصيب ، قال : فالترس ؟ قال : عليه تدور الدوائر ، قال فالسيف . ؟ قال : عبيدك . ثمكلك أمك ، قال عمر : بل أمك . فقال : الحى صرعتنى ، فاعظ له عمر في القول فقال :

أتوعدنى كأنك ذو رعين

بأنعم عيشه أو ذنواس

فلا تفخر بمسلكك كل ملك

يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر : صدقت . فاقص من ، قال : بل أعضوا أمير المؤمنين ، لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف . أخذ منك أم ترك ، قال : وما هى . . ؟ قال سمعتك تقرأ د إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ، والله لو علمت أنى إذا دخلتها مت لفعلت .

الأستاذ محمود مصطفى ،

من كتاب هيئة الأيام فيما يتعلق بأبى تمام

وكما يقول الله : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

صلى الله عليه وسلم ، ووقفنا إلى الصلاة عليه والارتفاع بهديه ، والاقتراء به في الصبر والتقوى والإحسان ، فإنه كما يقول سبحانه « إن الله مع الصابرين » ، وكما يقول جل شأنه « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . . . » .

من مجلة نور الإسلام

الشجاع عند الخطر :

إن الشجاع إذا فاجأه الخوف لا تنفرت همته ولا تزعزع عزيمته ، بل يثبت ليوأزن بين قوته وقوة خصمه ، ويعالج الأمر لعله يجد مجالا للفوز ، وإلا التمس طريق الفرار صونا لحياته ، ولا عار عليه .

وينشط الجسم حينئذ نشاطا قلما يخطر له ببال ، فقد حدث أحد السامعين أنه رأى رجلا قارا من أسد يحاول اقتراسه ، وفى أثناء فراره تسلق جدارا عاليا ، ولما زال الخطر عاد هذا الرجل إلى تسلق الجدار فشق عليه . وربما لا يحصل الحرب . وإنما يقوم مقامه الاضطراب إذا اشتدت وطأة الخوف كالذهول الذى يحسه المستيقظ وقد شبت النار بمنزله ، وربما برق له شعاع من نور عقله يثير فيه النشاط إلى إخماد النار أو الفرار طلبا للمساعدة .

الأستاذ محمد حسنين النعراوى

من كتاب الغرائز



# مَجَلَّةُ الْإِسْلَامِ

## مجلة شهرية جامعة

بَصْدُرُ عَنْ مَشِجْنَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرِ رَجَبٍ

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
العنوان  
إدارة أجمع الأزهر  
بالقاهرة  
١ ٤٦٤١٤

يَشْرَكُ فِي الْفَيْضِ  
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْفَيْضِ  
بَدَلُ الْإِسْلَامِ  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ غارح الجمهورية  
ولمدرستين والطلاب ينفذون

الجزء التاسع والعاشر - السنة الرابعة والثلاثون - ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٨٢ هـ - أبريل ومايو ١٩٦٣ م



١٢  
٢٤٤٤٦  
دوريات

لِسَمَاءِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد لطفي السيد

بقلم : أحمد حسن الزيات

١٨٧٢ - ١٩٦٣

بين السحر والفجر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر مارس لسنة ١٩٦٣ حين ينسلخ النهار من الليل ، وينبثق النور من الظلام ، تخلصت روح لطيفة من قيدها المادى الغليظ وصعدت إلى مصدرها الأول ومرجعها الأخير : تلك هى روح الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفي السيد ، لفظها في غير قلق ولا ألم كما ينسم الطفل النائم الهادى ، وموت الشيخوخة المطمئنة نقلة روحية سعيدة من فناء منقطع إلى بقاء متصل ، فهو موت وحياة في وقت معا . كالشمس تغيب عن قوم فتكون غروباً في المغرب ، وتطلع في الوقت نفسه على آخرين فتكون شروقاً في المشرق .

وشيوخه لطفي السيد كانت ككوله وشيئته سلاماً وطماً نبينة لم يكدر صفوها حقد على أحد ولا طمع في شيء ، فكانت حياته الوادعة النافعة أشبه بحياة الجدول السلسل الرقراق تفيض على جوانبه الرى والخصب من غير هدير ولا طغيان ولا كدر .

كان في كل أعماله العلية والإدارية والسياسية يستار سيرة العلماء ويستن سنة الفلاسفة ، لا يقول قولاً ولا يعمل عملاً

في خلال حديثه السكلمة الفرنسية أو الهجعة (الشرقاوية) فتكسبه ظرفا ورقة .

وكان مجلسه أشبه بمجلس صديقه أرسطو زعيم المشائين في مماشيه المظلة ، أو شيخه الأفغانى إمام المصلحين في قهوته المفضلة ، يتوخى فيه الفائدة واللذة ؛ فسامعه لا ينفك ، راضى العقل ريان العاطفة . وكان بارعا في سلسلة الحديث سريعا إلى اقتناص المناسبة ، فلا تخشى على الحديث في مجلسه أن يبوخ ، ولا على الصموت في حضرته أن يخرج .

وكان أسبق معاصريه إلى التجديد فلم تعرف قبله في الشرق كلمات الحرية والديمقراطية والاستقلالية بمعناها المطلق . وأجلى مظهر لهذا التجديد كان في نزعة السياسية وطريقته الكتابية ؛ ففي صحيفة (الجريدة) التي كانت لسانا لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية خالصة لا تتصل بالدعوة العثمانية ولا بالجامعة الإسلامية .

وفي هذه الجريدة ابتكر أسلوبا للكتاب لفظه قدر لمعناه ، ووصفه طبق لموصوفه ، وسيله قصد لغايته ، فكان مذهبا جديدا جرى عليه الكتاب والصحفيون إلى اليوم ، وكان من سبقه إلى التجديد أن دعا إلى إصلاح الخط العربى وإنشاء الجمع اللغوى وتعليم الفتاة المصرية .

إلا في حدود المنطق والخلق والقانون ، وكان لعبقريته وبلاغته يرسل القول فيكون مثالا أو حكمة ، ويفعل الفعل فيكون مثالا وقدوة .

وكان في رزانة الحكيم ووقار الحليم يتحدث أو يناقش فلا يستغزه نزق جاهل ، ولا يستخفه غضب مكابر . فإذا اشتد الجدل في حضرته بين اثنين في مسألة فصلا الصوت واحتد اللسان قال لهما : علام الخصومة والخلاف ؟ في المسألة رأيان ، فأحكما من رأى والآخر من رأى .

وكان على شغوف بدنه باهر الجلالة ظاهر الأبهة ، لا يقبل اللغو في مجلسه ، ولا يبالغ في التعبير عن شعوره . فإذا ضحك لا يضحك بملء فم ، وإذا عبس لا يعبس بكل وجه ، وإنما هي الانقسامات الحلوة في كل ما يجب أو يكره .

وكان أظهر مزايا لطفي السيد حديثه ؛ فقد كان آخر طبقة شهبوا وبراعة الحديث من أمثال محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الهلباوى ، فأنت في حضرته لا تشهى الكلام لأن لذتك في أن تسمع ، ولا تثير الجدل لأن همك في أن تستفيد ، ولطفي السيد كان محدثا نقي الصوت حلو النغمة متدد الأداء واضح الجرس فكاهة اللسان متخير اللفظ ، فلو ذهب تكذب ما يقول لكان قريب الشبه بما نكتب ، وكان ينثر

والعامية بقبول ما وضع الصناع والزراع  
والتجار وغيرهم من كل ذى حرفة .

\*\*\*

كان تفكيره الحر وتجديده الواعي أصيلين  
في فطرته ظهر أثرهما على رأيه وهو في رونق  
شبابه . حدثني رحمه الله عن سبب اتصاله بالإمام  
محمد عبده قال : كان الشيخ ينتدب في كل عام  
لامتحان طلاب الحقوق في السنة النهائية ،  
وكانوا قد اقترحوا علينا في امتحان الإنشاء  
أن نكتب في هذا الموضوع : ( كيف كان  
الحكومة حق عقاب المجرم ؟ ) . وجعلوا  
زمن الإجابة عن هذا السؤال أربع ساعات  
على ما أذكر ، فكتب المذاهب الأربعة  
التي قررها العليا . في هذه المسألة ثم عقت  
عليها ففندتها جميعا ونفيت أن يكون للحكومة  
( حق ) عقاب المجرم لأنها قائمة على القوة  
لا على الحق . وأسرفت في التدليل على ذلك  
حتى ملأت الكراسة . ثم خرجت فذكرت  
لرفاعي ما كتبت فاكتأبوا وقرروا جميعا أني  
لا بحالة راسب ، واشتد من جانهم اللوم  
والتقريع حتى ذهب من نفسي كل أمل  
في النجاح . فلما كان يوم الامتحان الشفوي  
وقف الشيخ فقرظ موضوعي وكان قد وضع له  
الدرجة العليا ، ولكنه نصح لي أن أقصد  
الآن في هذه الآراء إشفاقا على . ومنذ  
ذلك اليوم لزمته .

\*\*\*

\*\*\*

قالوا فيه : إنه أستاذ الجليل ، وكان الأصدق  
الأحق أن يقولوا : إنه أستاذ أجيال ثلاثة ،  
فمنذ أن صدرت ( الجريدة ) في عام ١٩٠٨ كان  
فيها وفي ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية .  
كان يندو إلى مجلسه صفوة الشباب والطلاب فيفتح  
قلوبهم للآراء الجديدة ، ويهيئ نفوسهم للقيادة  
الرشيده ، ويجهزهم من اتق النظر الجامح  
والتصرف المرتجل : وقرأ لهم منطق أرسطو  
وسياسته فتخرج عليه طائفة من  
الكتاب والمحامين تزعموا الإصلاح وقادوا  
النهضة . وظلت أستاذيته متصلة الاثر من يوم  
أن خرجت الجريدة إلى الناس إلى يوم أن  
دخل هو في جوار الله .

كان في السنين الثماني عشرة الأخيرة من حياته  
الطويلة الخصبة رئيسا لمجمع اللغة العربية فكان  
لهذه الأستاذية من قوة الشخصية وحضور الذهن  
وصدق التوجيه وسعة الاطلاع واستقامة المنطق  
وحدة النشاط الأثر البالغ في اضطلاع المجمع  
بعب. رسالته . كان من أهم الأعضاء لطيفة  
اللغة ووظيفة المجمع وحقيقة التطور ، يرى  
كما نرى أن اللغة ملك للتكلمين بها  
لا للراضعين لها ، فهم أحرى أن يتصرفوا  
فيها تصرف الوارث فيما ورث ، يعدل ويكمل  
وفقا لحالته وطبقا لحاجته . ففي هذه  
ود المجمع الاعتبار إلى المولد وقبل السماع  
من المولدين ، وقرب المسافة بين الفصحى

وأفلاطون ، وركنها الأدبي على كتاب الله  
وشعر العرب ، كان يحمل القرآن على ظهر  
قلبه وطرف لسانه ، يؤديه آية آية كأنما  
يتلو في مصحف مذكور . وكان كثير المحفوظ  
من الشعر يستمد منه أوعية شتى ويرويه  
عن أعصر محتلفة ، فكنا في مجلس الجمع  
كلما ندعن ذاكراتنا شاهد من القرآن أو الشعر  
أسعفنا به .

وليس معنى ذلك أنه وقف في فلسفته عند  
اليونان وفي أدبه عند العرب ، وإنما كان  
يسير الفلسفة في كل مذهب ، ويتابع المعرفة  
في كل وجه .

ولطفي السيد بعد أولئك كله كان  
حلياً رحباً يرتاح للخير ويدل عليه ،  
ويجنى للسلام ويدعو إليه . وكان أفشأه  
السرية وبيئته القروية يسمت سميت  
الارستقراطيين في الهندام والمظهر ، ويقصد  
قصد الديمقراطيين في المعاملة والسلوك .  
وهو الوحيد في علماء العصر الذي طال أجله  
وحسن عمله ، وجمع بين ثقافة النصف الأخير  
من القرن التاسع عشر والنصف الأول من  
القرن العشرين .

رحمه الله رحمة واسعة وهو ضنا من عليه  
وفضله خير العوض .

أحمد حسن الزيات

كان أول يوم اتصلت فيه أسباني بالفقيد  
العظيم يوم زرته في مكتبته بالجريدة أنا  
وصديقاي طه حسين ومحمود الزناتي نشكو  
إليه فصلنا من الأزهر ونحن في السنة النهائية  
من الدراسة فيه لخلاف ثار بين الطلاب في درس  
أستاذنا المرصني حول فقرة من خطبة للحجاج  
رواها البردفي الكامل ، وكان الخطيب الجريء  
قد أساء الأدب في حديثه عن طواف بقبر  
الرسول فكفروه لذلك . وكنا نرى أن سوء  
التعبير يوجب التعذير ولا يوجب التكفير .  
فلما دخلنا عليه هش بنا وبش لنا وسمع منا  
وسمعنا منه ، ثم قال بلهجته الرزينة إن الأمر  
أيسر من ذلك . ورفع سماعة التليفون وقال  
للشيخ حسونة النواوى وكان شيخ الأزهر  
يومئذ : إن عندي ثلاثة من طلاب الأزهر  
فصلتموهم لرأى رأوه . ولعل من الخير  
ألا تقتلوا في الشباب حرية الرأي ما دامت  
لا تخالف أصلاً من أصول العقيدة ولا نصاً  
من نصوص الأحكام . وسأه أن يلغى قرار  
الفصل ففعل ، وانصرفنا من عنده وليس  
أحد من رجال الفكر وأصحاب البيان أحب  
إلينا منه .

\* \* \*

كانت ثقافة لطفي السيد راسخة الأصل متينة  
القواعد ، أقام ركنها العقلي على فلسفة أرسطو



# الضرائب لا تجزى عن الزكاة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

## الفرد و بين الضرائب والزكاة

والعرفنة حكم الشرع في هذه السألة يجب أن نعرف ( أولا ) الأساس الذى بنيت عليه فرضية الزكاة فى الإسلام ، والإسلام الذى أبيع به للحاكم المسلم أن يضع (ضرائب) على المالكن ، فالزكاة أحد الفروض الدينية والأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام فى وضع الصلاة والصوم وشهادة التوحيد ، مدد يغذى الإيمان ويطهر النفوس ، ويؤديه المسلم بمقتضى إيمانه وتدينه .

أما الضرائب ، فوضعها وضع آخر غير هذا الوضع ، وهو أن الأمة الممثلة فى الحاكم أو الحاكم أمثل للأمة إذا لم يجد ما لا يحقق به المصالح العامة للجماعة كإنشاء دور العلم ، والاستشفاء وتعبيد الطرق وحفر الترع ، والمصانع ، وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ، ورأى مع هذا أن أغنياء الأمة القادرين على المساعدة فى إقامة هذه المصانع قد قبضوا أيديهم ولم يمدوها بالبذل والمعونة جازله - وقد يجب - أن يضع عليهم من الضرائب ما يحقق به تلك المصالح ، دون إرهاق أو إعنات .

وهذا فرق آخر بين الضرائب والزكاة وهو أن مقادير الزكاة محددة معينة بنص الشارع

حرك القرآن الكريم عواطف الأغنياء بكل الطرق ، وأرهم وجدانهم ، واستدر عطفهم على الفقراء والساكنين لإصلاحهم وللجموعة ... تارة بالترغيب وأخرى بالترهيب ، وبعد أن استتب الأمر لجماعة المسلمين ، وتميات النفوس للقوانين والمنظم ، وضع للفقراء حقوقا كورد دائم ... وضعه فى الكفارات والأجزية على الأخطاء التى يرتكبها الإنسان فى حياته الشخصية وعبادته . وضعه فى الزكاة فرضا من الفروض الدينية ينفذه بالقوة ، ويقايل من امتنع عن أدائه ، وضعه فى الذهب والفضة وفى البضائع التجارية وفى الأشياء وفى الزرع بنسب لا ترمق النفي وتسعف الساكنين والفقير ، وتصلح شأنه بنسب يفوق مجموعها مجموع ما يصرفه بعض الأغنياء فى ترفهم وبذخهم ... من غير فائدة تعود عليهم وعلى أمتهم .

وقد كان للزكاة فى صدر الإسلام نظام خاص ، وكن للحكام بها عناية خاصة فى جمعها وصرفها ، كانوا بها يجهزون الجيوش ، ويدفعون المغارم ويؤلفون قلوب الضعفاء ، ويعينون المحتاجين ويقيمون المصالح .



وإذا كان الاتجاه في الضرائب والخراج هو ما ذكرنا ، من أنهما ليسا مبذولين بحكم الدين ، وقضاء واجب النفس في التطهير من خلق الشح ، ولا بقضاء واجب الأخوة الدينية التي أراد الله أن يستكمل بها إنسانية المؤمن ، فلا ينبغي التفكير في محاولة اعتبارهما قائمين مقام الزكاة ، فالزكاة فرض ديني كالصلاة والصوم يجب على الإنسان محاسبة نفسه عليه متى ملك النصاب فارغاً - كما يقول الفقهاء - عن حاجته الأصلية .

نراء إلى الأغنياء :

فهل لأغنيائنا أن يخرجوا هذه الزكاة الواجبة عليهم وأن يضعوا أيديهم في أيدي العاملين ويتضامنوا معهم على إخراج نظام خاص للزكاة والصدقات ، به ينتقلون البلاد من خطر الفقير والمطل ، قطة من الجماعة على حياتها وتنتفع بأموالها وبنها .

هذه هي مكانة الزكاة والصدقات من الشئون الاجتماعية ، وهي مكانة القطب من الرحي ، وهذا هو موقف الإسلام من الزكاة والصدقات وهو موقف يخفف من وطأة الأغنياء على الفقراء ، ويبعث في الفقراء روحاً طيبة للأغنياء ويهيئ للجماعة بأن تنتفع بهؤلاء وهؤلاء ، وهو طريق الخير والإصلاح .

وإن المال الذي يخرج به الأغنياء إلى الفقراء هو في واقع من الأغنياء إلى الأغنياء باعتبار فائده ، وما يعود به من خير وصلاح وأمن

واطمئنان ؟

محمد سلوت

لا تزيد ولا تنقص عما حدده الشرع ( ٢٥٥ في المائة ) بالنسبة للنقد ( والعشر أو نصفه ) بالنسبة للزروع والثمار ، أما الضرائب فقد ترتفع وقد تنخفض بل قد تلغى أصلاً .

الضرائب لا تحسب مع الزكاة

وإذا كانت الزكاة من وضع الله وكانت فرضاً إلهياً يجب إخراجها وجدت حاجة إليها أم لم توجد ، وتكون في تلك الحالة بمثابة مورد دائم للفقراء والمساكين الذين لا تخلو منهم أمة أو شعب ، وكانت الضرائب من وضع الحاكم عند الحاجة - لأن من البين أن إحداها لا تغني عن الأخرى ، فهما حقان مختلفان في مصدر التشريع وفي الغاية ، وفي المقدار وفي الاستقرار والدوام .

وعليه فيجب إخراج الضرائب وتكون بمثابة دين شغل به المال ، فإن بلغ الباقي نصاب الزكاة وتحقق فيه شرطها وهو الفراغ من الحاجات الأصلية ومر عليه الحول وجب دينياً إخراج زكاته .

أما الخراج الذي تأخذه الحكومة على الأراضي الزراعية ، فيرى جمهور أئمة المسلمين أنه حق مغاير لحق الزكاة في دليله ، وسببه ، ومصرفه ، وحكمته ، فلا يمنع أحدهما الآخر وبالمقارنة بين أدلة هؤلاء ، وأدلة مخالفينهم يتبين جلياً رجحان مذهب الجمهور ، مع ملاحظة أن مخالفينهم لا يرون تأثير الخراج على كل أنواع الزكاة ، وإنما يرون تأثيره خاصاً بزيادة الزروع .

# المصدر في اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعتبر اللغة العربية في طليعة اللغات التي ثبت لها الارتقاء بهذه الخاصة النادرة التي لا نظير لها فيما نعلم من لغات الحضارة .

ولنقارن بينها وبين اللغة الانجليزية وهي أشهر اللغات وأشيعها في العصر الحاضر، وعصوها من الكتابات العلمية والفنية لا يزيد عليه محصول لغة أخرى تعاصرها وتضارعها في ارتقاء أبنائها .

فالصيغة المصدرية التي توجد في تكوين اللغة لا وجود لها في اللغة الانجليزية ، وإنما توجد في بعض كلماتها صيغ مشتركة بين الصفة والاسم ، ولا تطرد فيها الدلالة على المعنى المجرد سماعاً أو قياساً للتعبير عن المعاني المصدرية باختلافها واختلاف درجاتها من التجريد .

وفي هذه اللغة صيغة تقابل صيغة اسم الفاعل تؤخذ من الفعل المضارع ، وصيغة أخرى تقابل اسم المفعول تؤخذ من الفعل الماضي ، وصيغة تأتي بإلحاق مقطع صغير بآخر الكلمة يفيد معنى المصدرية حيناً ومعنى الوصفية حيناً آخر ، كقولهم Greatness بمعنى العظمة من Great بمعنى

من أشهر العلامات التي يستدل بها على ارتقاء اللغة أن تكون وافية بوسائل التعبير عن المعاني المجردة ؛ لأن تجريد المعاني من المحسوسات همل من أعمال التفكير يتقدم إليه الإنسان مع تقدمه في الحضارة ، واستمراره زمناً طويلاً على تعود البحث ، واستخلاص الحقائق المعنوية من حقائق الحس والعيان .

ولا يستدل بكثرة المفردات وحدها على وفاء اللغة بوسيلة التجريد ؛ لأن الكثرة على غير قاعدة متأصلة في تكوين اللغة عرض طارئ ، وزيادة في الكم والمقدار ، قد تتوافر لكل قوم يكثرون عدد الكلمات ، ومنها أسماء المجردات كيفما انفقت بغير تمييز بين لغة ولغة في تكوينها الاصيل .

ولأنما تعرف قدرة اللغة على أداء المعنى المجرد ، بدليل واحد لا مراء فيه ، وهو أصالة هذه الوسيلة في قواعدها التي تجري مجرى القياس والسماع المطرد في كل مادة من موادها وكل فصل من أفعالها ... ومن هنا كانت صيغة المصدر موضع المقارنة الصحيحة بين اللغات في هذا الباب ، وكان من الحق أن

من حيث الدلالة المجردة فهو كالمصدر الذى تتخذة فى اللغة العربية وصفا ونقله من التجريد إلى العيان. فإذا قلنا: «الشاهد العدل» أو «السلام الحق» أو «الرجل الضرب» فقد جمعنا للمصدر كل ما يجمعونه لمصادرهم التى لم توجد لها صيغة خاصة بالتجريد، ولكننا حين نقل الكلمة من المصدرية إلى الوصفية نكسبها شروط الوصف من قبول الجمع والتثنية أو قبول التذكير والتأنيث، فنقول الشاهد العدل، والشاهدان العدلان، والشهود العدلون. أو نقول الكلام الحق، والكلمة الحق، والحقوق الإنسانية. وليس فى لفهم وسيلة للانفرقة بين المصدرية والوصفية فى مثل هذا التعبير.

\* \* \*

وجملة القول فى هذا الباب أن أدوات المصدرية عندهم هى بعينها أدوات الاسمية، أى أدوات استخراج الاسم من الفعل والصفة، إما بتقديم حرف الجر «إلى»، To على الفعل وتضمينه معنى «أن»، المصدرية عندنا، وإما بتذيل الفعل والصفة بمقطع صغير كمقطع «شن»، Tion أو مقطع «نيس»، neess وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو خاص بالصفات.

\* \* \*

أما فى اللغة العربية فالمعنى المصدرى المجرد

عظيم، أو قولهم Wisdon بمعنى العقل من Wise بمعنى عاقل، أو قولهم Justice بمعنى العدل من Just بمعنى عادل. وقد يتخذون للدلالة على المعنى المصدرى كلمة ليس لها فعل أصيل وإنما يأتى الفعل من تصريفها الصناعى كقولهم Beuty بمعنى الجمال أو معنى الجليل وأخذهم الفعل منه بإضافة بعض الحروف إلى آخره، فيقولون Beutify بمعنى جمال و Beutifing بمعنى التجميل.

وإذا عبروا عن المعانى المجردة كان هذا التعبير معنى عارضا غير مطرد فى جميع الكلمات، كأنه إضافة طارئة على اللغة لم يكن لها أساس فى تركيب كل مادة من موادها ولا فى اشتقاق كل فعل من أفعالها، وربما غلبت دلالة الوصفية الحسية على دلالة المصدرية المجردة فى معظم هذه الكلمات.

فعنى الخلق عندهم موجود Creation ولكنه يدل كذلك على جملة الكائنات المخلوقة.

ومعنى الحياة عندهم موجود كذلك Life ولكنه قد يكون أقرب إلى معنى المفعول المطلق عندنا من معنى المصدر، فلا فرق بينه وبين قولنا عاش عيشا أو حي حياة، وليست المصدرية فيه تجريدا خالصا محسوبا له حسابه إلى جانب حساب الفعل المحسوس. وعلى أحسن ما يكون هذا المصدر عندهم

القياسي أو المصدر المتواتر على السماع ، ولهذا حسب بعض النحاة أن المصدر هو الأصل في تركيب الكلمات ، وهو قول يختلف فيه ولكن لا خلاف في أصالة المصادر مع الأفعال وسائر المشتقات .

ثم يأتي المصدر الميمي مطرداً من الأفعال الثلاثية وما فوقها بأوزانه المعروفة ، وتأتي المصادر الصناعية من كل اسم على وجه التقريب ، كالإنسانية والحيوانية والنباتية والسبعية والعلية والحجية والواقعية ، وكل ما يراد به معنى الحالة التي تجردت من الحس ودخلت في عداد المفهومات الذهنية .

وهذه المصادر الصناعية هي غاية ما بلغت اللغات الأجنبية من تحقيق معنى المصدر المجرد في بعض الكلمات ، ولكنها لا تطرد في جميع الكلمات ولا تزال ملتبسة بالوصفية أو بالدلالة التي يشترك فيها الإدراك العقلي وإدراك العيان .

وليس أدل على دقة اللغة من تعديد صيغ المصادر فيها للتمييز بين المعاني الخفية التي تتفق في التجريد ولكنها تختلف في حالاته أو موضوعاته اختلافا لا تؤديه صيغة واحدة ، ولا بد فيه من التنويع على نسق معلوم .

فالنظر معنى مجرد .

والمنظر معنى آخر مجرد .

مفروض في كل فعل من أفعالها إلى جانب المعنى المحسوس ، واستقلاله بالتجريد ملحوظ عند المقابلة بينه وبين صيغ المصادر الكثيرة كلها طرأت لهذه الصيغ حالة الوصفية أو العدد أو الكيفية أو الحرفة العامة التي هي حدث ولكنها في حالة التكرار معنى خارجي لا يقترن بالحدث في وقت محدود .

فالعربي يقول زرع زرعاً وزرع زراعة وزرع زرعاً بفتح الزاي ، أو بكسرهما ، على حسب المعنى المقصود .

وكلها مصادر مجردة على اختلاف في درجات التجريد حسب الملابسة العارضة بينها وبين المحسوسات .

فالزراع عمل لا يقبل الجمع والتثنية في معناه الخاص للصدرية ، ولكنه يطلق على النبت المزروع فيجرى عليه في هذا المعنى حكم المحسوسات ، فيقال الزرعان والزروع .

والزراعة صناعة مجردة أو معنى من المعاني الذهنية لا يرى بالعين ، خلافاً لمعناه إذا أطلق على كيفية العمل التي تختلف باختلاف الزراعين والمزروعات .

والزرعة بالفتح مصدر للرة ، والزرعة بالكسر مصدر للهيئة ، وكلتاها تفيدان في التجريد معنى غير معناه في الوصفية أو الاسمية على الإطلاق .

وكل فعل على الإطلاق يأتي منه المصدر

المجردة التي لم ترتبط بهيئة مشعودة أو بعدد محدود ، فإذا جاوزت هذا المعنى بطل عملها في الإعراب وأصبحت في حكم الاسم الذي يدل على ذات أو على شيء محسوس .

فالمصدر يعمل في الإعراب عمل فعله المتعدى أو اللازم ، فإذا صغر لم يعمل لأن التصغير ينقله من التجريد إلى صورة خاصة مشعودة أو موصوفة بوصف مقصور عليها .

فيقال مثلاً : قولك الحق واجب ، ولكن لا يقال هذا في « قول » ، لأن تصغيره قيده بقوله معهود ولم يعممه لمطلق القول .

ويقال إن إتيان المرء عمله واجب ولا يقال إن إتيانته عمله واجبة للرة الواحدة ؛ لأنها خرجت من الإطلاق المجرد إلى التقييد المحدود ولا يكون له معنى المصدر إلا إذا أمكن أن ينوب عنه الفعل مسبوقاً بأن المصدرية ، ولا فرق بين قول القائل « أن يتقن » وبين قوله « الإتيان » ، لأنهما حالتان مطلقتان على السواء .

ويجب على الباحث في المقارنة بين اللغات أن يلتفت إلى الفارق بين وجود المصدرية بهذا التفصيل في أساس تكوين اللغة وبين وجود عدد من المفردات المتفرقة اعتباراً في لغة من اللغات بغير وحدة بينها في الصيغة وبغير تفرقة بينها في العمل ولا في الدلالة ،

فإن الفارق ظاهر بين ورود المعاني المصدرية في عدد من الكلمات المتفرقة وبين ورودها ( البقية على صفحة ١٠٣١ )

والنظارة معنى غيرهما مجرد كذلك .  
والنظرية ومثلها التطبيقية معنيان مجردان ، وإن لاح أن التطبيقية عمل يدوي محسوس ، ولكن « العمل » شيء لا يحس بالعيان ، وإنما يحس العامل والمعمول .  
وموضع الدقة بين هذه المصادر أن النظر عم من المنظر ؛ لأن المنظر محدود بكيفية الناظر في نظره وكيفية المنظور كما يكون عند النظر إليه .

وإن النظارة حالة تحيط بعدة منظورات وتوحى معنى التكرار كما يوحيه معنى كل صناعة يباشرها من يكثر العمل فيها .

وإن النظرية ناحية من نواحي التفسير تقابل الناحية العملية فيه ولا يلزم من كل نظر أن يكون نظرية متبعة في عدة أحوال .  
ولم ترد هذه الفروق فرضاً معتسفاً من فروض النحاة للتعليل والتأليف بعد جمع اللغة والموازنة بين رواياتها وأسانيدھا ، ولكنها تأصلت في العقول كما تأصلت على الألسنة بالأوزان القياسية أو الأوزان السماعية التي تكررت وتشابهت وتقابلت فيها الدلالات على النحو الذي يفسره النحاة ولا يقبل تفسيراً سواه .

ومن الدلائل على أصالة المعاني العقلية في وضع المصادر أنها تعمل عملها في الإعراب مادامت على احتفاظها بالصورة الذهنية

# مناهج الإسلام

## لنقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

رؤية الخطوبة وعهرم حواضر المفاخرة بها : منها بعض ما يدعو إلى نكاحها فليفعل ، .  
٣ - ثم نراه يرشد إلى رؤية الخطوبة . إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه  
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة  
إذا خطب أحدكم المرأة فقد رآه أن يرى وإن كانت لا تعلم ، .

( بقية المنشور على صفحة ١٠٣٠ )

في كل مادة من مواد الكلام على ارتباط بأوزانها وارتباط بين تلك الأوزان ومعانيها المقصودة ، وارتباط بعد ذلك بين الصيغ ودرجات التجريد . وهذا الفارق الواضح هو الفارق بين استعداد اللغة العربية لغرض المعاني المجردة في كل حالة من حالاتها واستعداد غيرها من اللغات لتلقيق هذه المعاني حيثما اتفق على حسب الظروف . وما يجب كذلك على المقارنين بين اللغات أن يحسنوا فهم العلاقة بين مزاج الأمة ومزاج اللغة التي تنشأ فيها . فقد أجمع الباحثون في طبائع الشعوب على وصف العرب بالمزاج الحسي تمييزاً له من المزاج النظري أو الخيالي أو الباطني ،

أو مزاج العمل والواقع ، وقد يكون المزاج الحسي في أمة العرب ملحوظاً غالباً على غيره من الأمم المزجة إذا كان الغرض منه أن معيشة العربي في الصحراء تشحن فيه حس البصر والسمع والشم على الخصوص لانتقاء الخطر وصدق التفكر في السعي إلى معاشه والرحلة بين حواضره وبواديه ، ولكن هذه القدرة الحسية ، قد تزيد من قدرته على التجريد ، ولا تنقص منها ، لأنها تذهب به إلى تمييز أقصى الحس وغاية الشهادة والعيان ، وليس أقدر على تمييز الاضداد ممن ينبغ بالحسلة من الحاصل غاية مداها ، فإنما تميز الأشياء بعضها كما قيل ؟

عباس محمود العقاد

أو المذهب لا تكون كذلك ، فلمؤلاه أقول :  
إن الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية  
ولولبت قفاز من الحرير ، والرسول صلى الله  
عليه وسلم أخبر بالنفوس والاهواء ، وأكثر  
فهما للسواء الذي يحسم الداء .

وبذلك يتبين أن الإسلام جمع بين إعطاء  
الفرصة للخطيب لكي يعرف من ستكون  
شريكة حياته ، واحتاط في الوقت نفسه  
لمصلحة الفتاة لكيلا تكون متعة سهلة للفتى  
في فترة معينة قد يتركها بعدها ولا يتم زواجها .  
ونحن نشاهد أن كثير من المأسي يقع بسبب  
عدم مراعاة هذا الأدب الإسلامي المحفوظ .

وهذا التشريع في الحقيقة تشريع وقائي ،  
وإن كان هناك قيمات كثيرات واعيات  
قويات الإرادة ، لا يمكن أن يصيبهن سوء ،  
كما أن هناك كثيراً من الفتيان فيهم من  
الشرف والاستقامة ما يحصنهم عن ابتغاء  
السوء ، ولكن الأمر ليس أمر شك  
أو ارتياب دائماً ، وإنما هو قبل كل شيء أمراً  
احتياطاً على السمعة ، واجتناب لقالة السوء .  
والخطيبة التي يتركها خطيبها بعد أن يعلم  
الناس أنه كان ينفرد بها ، ويخرج معها دون  
محرم ، لا تكون موضع إقبال غيره من  
الفتيان ، ولكن إذا علم أنها لم تكن كذلك  
كان الناس في اطمئنان إليها .

هي المرأة في قبول الزواج أو رفضه :  
ثم نراه يجعل للمرأة حقاً في الموافقة على

وعن المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة ،  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها  
فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » .

وخطب رجل امرأة ، فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم « انظر إليها فإن في أعين  
الأنصار شيئاً » .

والحكمة في إباحة النظر إلى المخطوبة  
ظاهرة ؛ لأن المرء يتقن شريكه حياته فمن  
حقه أن يراها ليعرف أتوافقه أم لا ، وقوله  
صلى الله عليه وسلم « ذلك أحرى أن يؤدم  
بينكما ، معناه : أن تحصل الموافقة والملاءمة .  
هذا وأكثر العلماء على أن الذي يجوز  
للخاطب رؤيته من المخطوبة هو لوجه  
والكفان فقط .

وانفقوا على أنه لا تجوز الخلوة بها  
دون محرم .

ومن ثم لا يجوز أن يخرج معها منفردين  
للتزهر أو نحوه كما جرت عادة بعض الناس .

وفي مثل ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،  
فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ،  
فإن ثالثهما الشيطان » .

ولعل المراد من الشيطان في هذا الحديث  
وما يمثله هو تلك الخواطر التي تجري  
الطبيعة البشرية بأن تخطر للناس في مثل هذه  
المواقف ، وإني لأعلم أن بعض الناس ربما  
اشتاؤا من تصوير اجتماع الرجل والمرأة  
بهذه الصورة زعماء منهم أن المجتمعات الراقية

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :  
 « إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته - وفي  
 رواية : من ترضون خقه - فزوجوه .  
 إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » .  
**أعظم المنافع بركة أيسره مؤنة :**

ثم نراه يرشد إلى تيسير المهر ، حتى يسهل  
 الزواج . ولا يحمل الزوج بسببه ما لا يطيق  
 فيبدأ حياته الزوجية على وجه من أوجه  
 الارتباك الاقتصادية

ومن هدى النبوة في ذلك قوله صلى الله  
 عليه وسلم :

- ١ - أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة
- ٢ - أخف النساء صداقا أعظمهن بركة .
- ٣ - خير الصداق أيسره .

٤ - وعن أبي سلة قال : سألت عائشة  
 كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟  
 قالت كان صداقه لأزواجه اثني عشرة أوقية  
 ونشأ - قالت : أتدري ما النش ؟ قلت : لا ،  
 قالت فصاف أوقية ، فتلك خمسمائة درهم ،

( وذلك ما يسارى بالعملة المصرية نحو  
 ثلاثة عشر جنيها وربع الجنيه ) ١٣٢٥ قرشا .

٥ - وقال عمر بن الخطاب : لا تغفلوا  
 صدق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا ،  
 أو تقوى في الآخرة ، كان أولاكم بها النبي  
 صلى الله عليه وسلم . ما أصدق رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ،  
 ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من  
 ثني عشرة أوقية .

زواجها أو رفض هذا الزواج ، سواء  
 أكانت بكراً أم ثيباً

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « لا تزوج اليتيم اللئيم حتى تستأمر ،  
 ولا البكر حتى تستأذن » .

وأنت خذساء بنت خدام - وكانت ثيباً -  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشككت له أن  
 أباه زوجها من رجل تكرهه ولا تميل  
 إليه ، فرد الرسول زواجها .

وجاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي  
 خبيثته ، فخيرها الرسول بين أن تجيز هذا  
 الزواج أو تبطله . فقلت : قد أجزت ما صنع  
 أبي وإنما أردت أن يعلم النساء أن ليس  
 للزباء من أمرهن شيء - أي إذا أبين .

**ومروء البحت من مائة لحاب :**  
 ثم نراه يرشد الآباء إلى البحث عن  
 خلق الحاطب قبل إجابته ، لينظروا هل  
 يصلح لها ، وما غايته من هذه الخطبة .

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
 « النكاح رق ، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته » .  
 ويقول الإمام الثوري :

« إذا أراد الرجل الزواج وقال : أي شيء  
 للمرأة ، فاعلموا أنه لص » .

**ومروء قبول الحاطب : المكف :**  
 كما نراه يرشد إلى وجوب تلبية الحاطب  
 وقبوله إذا كان كفثا صالحا .



شأنها أن تكفل الاستقرار الزوجي ، وأن تدرك عن البيت أم البغيات والمفاجآت السيئة والمقلقة .

**قوام الرجل على المرأة :**

فالرجل هو القوام على المرأة .

وفي ذلك يقول الله عز وجل : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وهذا توجيه إلهي يجب على الرجال والنساء جميعاً أن يدركوا سره ، ليؤمنوا به على بصيرة . إن الأسرة مجتمع صغير يتألف منه ومن أمثاله المجتمع الكبير ، ولا بد لكل مجتمع من رئاسة وسلطة يرجع إليها ، ويحسم بها ، وإلا تعرض المجتمع للفوضى وتصادم الآراء والرغبات ، فالأسرة بحاجة إلى أن تسند هذه السلطة إلى أحد أعضائها ، والرجل أولى الزوجين بأن يعهد إليه بذلك .

**أولاً :** لأن هذا هو حكم الطبيعة ، إذ هو الأقوى على تحمل الأعباء ، وتقبل التبعات ، والأقوى على شيء هو الأجدر بالتقديم له .

**ثانياً :** لأنه هو المكلف بالإتفاق ، وبإذن أنال من حقه أن يكون صاحب القول الفصل فيه ، وفي كل ما يستند إليه .

وهذه الآية السكينة تعبر بقوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ، وهناك آية أخرى تقول : « ولا تتموا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على رغبة المشرع في تيسير المهر حرصاً على تشجيع الزواج ، وعدم ارتطام الزوجين في ديون أو التزامات نتيجة للدغالة في المهر والمطالب .

والزوج الذي يبدأ حياته مع زوجته مديناً بسبب الدغالة في مهرها ومطالب زوجها ، يظل ينظر إلى زوجته كمصدر من مصادر ضيقه وعصره ، وخير لها وله أن يستقبلاً الحياة الزوجية بدون ضيق وعسر

وإذن فمن العوامل التي تروج الزواج والزوجة وتسعدهما في حياتهما يسر المهر ، وتكاليف العرس .

ولو أن ذلك فشا في المجتمع ، لحلت أزمة الزواج إلى حد كبير ، فإن كثيراً من الشباب يبدون حياتهم الوظيفية أو نحوها بدخل محدود لا يسمح لهم بادخار مبلغ كبير منه يقدمونه مهراً ، وشبكة ، ونفقات خطبة ، فيجسمون عن الزواج وقد يستمر ذلك بهم سنوات حتى تضيق زهرة شبابهم ، وربما انزلقوا إلى مسالك سيئة النتائج ، ولا تفضي بهم وبمجتمعهم إلا إلى أشد الضرر الصحي والأخلاقي ، ويقابل ذلك في جانب الفتاة تعطل عن الزواج ، فإنه بمقدار ما يحجم الفتيان عن الزواج ، يكثر بوار الفتيات ، وفي ذلك أكبر الخطر على المجتمعات ، حيث يكثر الانحراف والانحلال .

**(ب) وفي أثناء الزوجية :**

نرى الإسلام يسن تشريعات وآداباً من

وفهم من هاتين الآيتين :

١ - أن الله تعالى يريد لفت أنظار الرجال والنساء إلى طبيعة كل منهما وما فضل به بعضهم على بعض : فالرجال مخلوقون لغرض ، ولهم وظيفتهم الطبيعية في الحياة ، وقد هيئوا على وضع جسدى ونفسى يلائمهما ويساعد على أدائها ، والنساء كذلك : خلقن على وضع جسدى ونفسى يلائم ما قصد منهن وكل في ناحيته مفضل بمزايا اكتسبها بحكم الطبيعة ، أى بحكم السنن الإلهية العادلة الحكيمة ، فلا ينبغي أن يتطلب الرجال ما هو من خصائص النساء وما فضلن به وميزن ، ولا ينبغي أن يتطلب النساء ما هو من خصائص الرجال وما فضلوا به وميزوا فان ذلك تمن ، والتنى هو طلب ما لا يكون وهو خروج على الطبيعة ، ومحاولة للخلط في نتائج لا تبررها المقدمات الواقعية .

فإذا ساد هذا الوعى في المجتمع ، كان له إيماء في كثير من جوانبه وكان جديراً بأن يحل كثيراً من المشكلات المعقدة ، وأن يصلح كثيراً من الأوضاع الفاسدة ، وأن يحفظ على المجتمع طبيعته وفطرته .

٢ - أن الزوج والزوجة يكونان شيئاً واحداً هو كل : الزوج بعضه ، والزوجة بعضه ونفضيل بعض أجزاء الجسم الواحد على بعض ليس معناه الأفضلية بمعنى أنه أهر وأعلى ، ولكن معناه فضل الاختصاص بشئ ، لجسم الإنسان مثلاً كل له أجزاء

العين جزء ، واليد جزء ، والألف جزء ، والأذن جزء . وهكذا ، ولكل جزء ميزته في وظيفته الخاصة التى لا يغنى عنه فيها جزء آخر ، فالفضل هنا بمعنى المزية فيما له خلق هذا الجزء ، والتفضيل بمعنى التمييز والتخصيص فالألف من حيث وظيفته وميزته له قيمته وفضله وحاجة الإنسان إليه ، والعين من حيث وظيفتها وميزتها لها مثل ذلك ، وفضل هذا لا يعارض فضل ذاك ولكن إذا أراد الإنسان أن ينظر فانه لا يوجه أنفه للنظر ، وإنما يوجه عينه وإذا أراد أن يشم ، فانه لا يوجه إلى الشم أذنه ولكن يوجه أنفه ، وإذا أراد أن يسمى سعى برجليه ، لا يديه ، وهكذا .

فإذا عرف الرجل والمرأة ذلك استقراح الرجال من النساء ، واستراح الفساء من الرجال على سنة الإذعان لتوزيع الاختصاص .

وما أحسن ما روى عن المغيرة بن شعبه إذ يقول :

النساء أربع ، والرجال أربعة ؛ رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها ؛ ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوام عليه .

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلىن ينتطهران .

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتیان بخير ولا يفلحان .

( البحث موصول إن شاء الله )

محمد محمد المولى

# نَفْحَائِيَّةُ الْقُرْآنِ

## التَّارِيخُ الصَّحِيحُ مِنْ مَقَوِّمَاتِ الْحَيَاةِ

لِلْأَسَاتِذِ عَبْدِ اللطيفِ السَّكِّي

« إن هذه الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض : منها أربعة حرم . »

الزمن في مجرى الأمور ينعقد التاريخ، ويكون مرآة لكل جماعة، ترى في صفاتها ما قدمت من إنتاج، وتمتز بما لها من إيجابية في الحياة أو تبصر من خلالها ما تركت من فجوات خالية من آثار حيوية، وتحس بما فاتها من نشاط، وبما بخلت به من جهود في التعمير . ولعلها حينئذ تنض إلى تدارك رسالتها في جوانب دنيا ما التي استخلفنا الله فيها لنعمل ونجدد، ونسير إلى الأمام .

ومن ذلك يقال : إن التاريخ معلم أمين . وإن يكن التاريخ مرآة يتمثل فيه ماضينا، ويشع نور هديه في مستقبلنا، فهو تقويم أدبي لشخصية الجماعة، تتمدح به، وتستأنس بذكرياته في مساجلة الأجداد من الشعوب، وتفاخر به المتخلفين عن ركب الحياة، وتزود من توجيهاته، وإيمانه ما يجدد فتوتها، ويشير عزيماتها، فتظل وثابة وفي صعود .

من هذه الآية ندرك في سهولة - أولاً - أن الله - تعالى - تعلقت حكمته أن يجعل للناس توقيتاً زمنياً ؛ قدره سبحانه - باثني عشر شهراً ، أثبتها في كتابه المكنون الذي اعتبره سجلاً أزلياً لما يجري في ملكوته - وهو اللوح المحفوظ .

وندرك - ثانياً - وفي وضوح : أن الله جعل من تلك الشهور أربعة حرماً ، ذات اختصاص في جانب التشريع .

والمقام بحاجة إلى تعرف ما هنا في غير إطالة :  
١ - لا شك أن تحديد الشهور باثني عشر يعتبر تنظيماً للزمن ، يضبطه في حدود معينة ، ليسهل علينا التوقيت به ، ولنعرف لأمرنا مبدأً ، ونهايةً ، ونقيس أعمالنا بأزمانها : طويلاً ، وقصراً ، فيكون اتجاهاً في شئون الحياة على بصيرة ولا نخطئ فيها بخط عشواء . ومن هذا التوقيت للأحداث ، واحتساب

الزمنى مناط العبادة ، وتخصيص الحج بأشهر معلومات؟؟.

وانظر : تجد رعاية التقويم أبلغ ما يكون في اعتبار الحج ذات مميزات مكانية بجانب المميزات الزمنية ، وفي اعتبار مناسك الحج مقيدة كلها بالمواقيت .

حتى يصل الأمر إلى اعتبار عرفة ميقاتا مكانيا محدودا لصائر الحجيج في يوم معين من الزمن كل عام .

ثم انظر : تجد التوقيت الزمنى شرطا مأخوذا به في فروض أخرى .

فالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، مقيدة كلها بموعدها الزمنى .

وتسكيف العبي بأحكام الدين .

وعدة النساء بعد خلوهن من الزوجية ، والوصاية على اليتامى ، وتوثيق الديون بين الناس ، والمعاهدات فى الحروب : كل هذا منوط بزمنه المقدر له فى تشريع الله - سبحانه - أو حسبما يتفق الناس فى توثيقاتهم المتعارفة بينهم ...

وهذه التقديرات الزمنية تعتبر تواريخ جزئية فى تقويم الشؤون الفردية ، كما يعتبر التاريخ العام وشيجة اجتماعية فى تقويم الحياة الشعبية .

وحيث تبين لنا من هذا أن شرعة التاريخ من جانب الله منذ خلق السموات

وإن شعبا لا يمتنى بتاريخه ، لأشبه بإنسان ضال عن نفسه ، ومجهول النفس فى بيئته ، فلا حظ له من كرامة النسب ، ولا وزن له بين الأماجد ، وحياته خلو من بهجة الحياة . وإنا لندرك بفطرتنا ما للتاريخ من وحى شخصى ، تتأثر به فى المحيط العائلى .

فالأصول السكرية ، والوراثة العريقة البريئة من الشوائب سلطان قوى فى توجيه الأفراد ، ولها بهاء يزدان به أراء فى قومه ، ويجمع حوله القلوب ، ويسكبه التجلة ، والثناء : مادام يعيش فى إطار النسب المجيد ، بعيدا عما يحرفه فى مساقط الدهماء من الناس .

هذه مراعى التاريخ القى من أجلها بين الله عدة الأشهر . واعتبارها مواقيت للناس وما نحن بحاجة إلى التوسع فى الاستنتاج ، وقد أغنانا القرآن عن تكلف الاجتهاد فى هذا بقوله تعالى : « ويسألونك عن الأهلة - عن الأشهر وتعددتها - قل هى مواقيت للناس ، والحج » . فالتوقيت أمر هام ، وهو تشريع من جانب الله ، وضرورة حيوية للناس تقتضيها الفطرة فى نظام الدنيا .

ويزيدنا بيانا لهذا أن الله سبحانه ذكر صراحة أن الأشهر ميقات لعبادة الحج .

والحج ركن فى الإسلام ، فسنة الله جارية على ربط هذه العبادة بزمناها المعين .

وأى بيان أقوى من ذلك فى اعتبار التقويم

فإذا حاربوا - مثلاً - في رجب سموه شعبان ، ونقلوا إلى شعبان اسم رجب .

فكانهم بهذا لم يحاربوا في الشهر الحرام ، بل في حلال ، وكانهم بهذا على تقليدهم لشريعة إبراهيم .

وهذا التأجيل ، أو النسيء تلاعب في أمور مقدسة ، فيكون كفرا صراحا فوق كفرهم الأصلي .

وخطر هذا ليس قاصرا على مجرد التغيير في أسماء الأشهر ... بل لأنهم نقلوا حكما شرعيا من موعده وتاريخه لخصص له إلى زمن آخر ... وهو وقف الحرب ، وعدم وقفها .

ومن وراء ذلك أيضا ما يطرأ على مناسك الحج ، إذا غيروا في شهر من أشهره ، وزحزحوا أعمالها إلى أشهر غيرها .

وربما شاع ذلك التغيير للأشهر فيحسبه أناس آخرون أنه هو التاريخ الموروث الصحيح ، ويسيروا عليه ... وهذه فتنة للناس في دينهم ، والفتنة في الدين أشد جرما عند الله من القتل ، إذ القتل يكون لنفس واحدة ، أو لافراد ، وقد يكون له سبب يبرره ، ومع بلوغ الشر مداه فهو محصور نوعا .

ولكن فتنة الدين تعم الكثيرين ، وتدفع بالناس إلى الكفر ، وليس بعد الكفر ذنب .

والأرض ، فإهمالها ، أو العبث بها يكون إخلالا بمنهج الحياة المنشودة ، وإفسادا في النظام العام .

والله تعالى لا يحب الفساد ، ولا يأذن به في قليل ، ولا كثير ؛ لأنه يكون جرأة على الله ، وشذوذا عن رسالة الإنسان - فيما عهد الله إليه من إصلاح ، وتعمير في دنياه - إلى متابعة الشيطان في جانب الإفساد .

٢ - كانت قريش في حياة جهلاء ، ومع هذا كانوا يأخذون ببعض التكاليد الدينية ، التي توارثت إليهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - فاحترامهم للكعبة ، ومثابرتهم على الحج ، وتعظيمهم لشهر رمضان أمور يعتقدون بها ، تقليدا سائرا في غصون أزمانهم الأولى .

و ن من تشريع الله أن جعل في العام أربعة أشهر ذات اختصاص : رجب ... ذا القعدة ... ذا الحجة ... المحرم .

فهذه أشهر حرم ، لا يرفع فيها سلاح ، ولا يشر فيها حرب ، وهي للعمرة في رجب كما تعودوها . والحج في الثلاثة الباقية .

وتعطيل الحرب يأمن الناس على أنفسهم ، فيتفرغون للناسك في أطمئنان .

ولكن طغيان قريش كان يدفعهم إلى إنارة الحرب ولو في الأشهر الحرم .

وجهاتهم زينت لهم أن يغيروا اسم الشهر باسم غيره .

أما ما قبل خلق السموات والأرض فمن الغيب ، البعيد عنا ، والذي تفسر سببانه بعلمه ، ولم يهيئ لنا أن نستخدم العلم فيه . بل ، ولا وجهة للعلم إلى محاربة الوصول إلى ذلك - فيما نعهده ؛ لأن العلم الباجت في الكونيات إنما يبحث في عالم الوجود لا في عالم الغيب .

أعني يبحث فيما به - خلق السموات والأرض ، وما بينها .. إن تنهياً له أن يبحث في الوجودات العلوية كأجرام السموات ، والنجوم ، والبروج ، والكواكب والرياح ، والأمطار .

وكذا في الوجودات الأرضية : من جبال وزروع ، وبحار ، ومعادن إلخ .

أما ما يكون من قبيل الغيب قبل الخلق لهذا الكون فلا نعلم منه إلا ما يعلننا الله من طريق الدين .

وكذلك ما يكون ضارباً في أعماق التاريخ القديم فيعرف منه شيء كثير من القصص الديني الصحيح الذي لم يداخله عبث عابث . ويعرف شيء منه من طريق العلم الباحث بالاستقراء . ونظراً لأن القصص الديني مصدر على لنا كانت الكتب السماوية : وبخاصة التوراة ، والقرآن حافلة بالكثير من أنباء الغيب في الماضي السحيق عن البشرية في كثير من عصورها ، وتطورها ، وأحداثها .

لذلك أنكر الله على قريش هذا النسب إنكاراً شديداً ، بقوله - تعالى :

« إنما النسب زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلون عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين . »

فانظر إلى جسامه الخطر ، والتصرف الخاطيء في تشريع الله بالهوى ، والافتراء على الله تهاونا ، أو غرورا بالرأى أو التماسا للشهرة ، وتظاهرا بين الناس بقرة الذنن ، ورجاحة العقل ، أو ما هو مثل هذا ؟ .

إن التهاافت على التجديد في تشريع الله منزلة مردية في الهلاك .

ومن خصائص أهل العلم الأمناء أن محتاطوا لأنفسهم ، ويقلدوا السلف والآئمة فلا يتكلموا إلا عن بينة ، وإمعان ، واطمئنان .

ولأن يكون المفق متعرجا ، ومتهما بقلة علمه ، أو ضيق ذهنه ، خير له وأحب إلى الله من أن يكون فرحا بسمعة زائفة على حساب الدين .

ثم نستطرد قليلا في هذا المقام ، فنقول : إن الله حدد الأشهر باثني عشر شهرا ، وجعل ذلك التحديد منذ خلق السموات والأرض أي منذ صار لهذا الكون وجود شاخص ،

إلى جانب الدين سواء فكلاهما - الدين والعلم -  
فيض من جانب الله ، والله حق ، وما خلق  
السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ،  
ولن يتعارض الحق مع نفسه .

فإذا ما وصل العلم بعد بحوثه الناضجة  
المعقولة إلى مخالفة الظاهر من نصوص الدين  
فلا بأس من تأويل النصوص بصرفها عن  
الظاهر إلى وجهها الحق الملازم لروح التشريع  
والمتفق مع توجيهات النصوص البينة الأخرى .  
والقرآن نفسه يشير إلى التأويل في المتشابه  
- مثلاً - ويشير إلى دراية الراشدين في فقه  
الدين .

فلنترك العلم في سبيله وراء الحقائق ولنأخذ  
عنه ما يقرره في نتائجها ، وسنرى العلم حتماً  
في خدمة الدين كما صاف .

وهذا هو العلم يقلب نظره في آفاق الدنيا  
ويحاول أن يثبت تاريخها الأرض ، ولل البشرية  
منذ سكنتها . ويحاول ، ويحاول ... فلا  
نضيق به ذرعاً ، ولا ننسى به الظن ، ولنا  
من ورائه خير كثير ، والأمر كله لله من قبل  
ومن بعده .

عبد المطلب السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وكانت حافلة كذلك بأنباء الغيب في عالم  
الآخرة .

وكان القصص عن الغيب فيما مضى ، وفيما  
يتعلق بالآخرة من قبيل المعجزات للأنبياء -  
إلا ما بدله بنو إسرائيل في التوراة من  
حذف أو زيادة .

« تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ،  
ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ،  
نحن نقص عليك أحسن القصص بما  
أوحينا إليك ، » « لقد كان في قصصهم عبرة  
لأولي الأبصار » . وكذلك كان الوحي إلى  
سابق الأنبياء بكمير من شئون الغيب :  
دينيا ، ودينويا ، وأخرويا .

ونظراً - ثانياً - لأن العلم الباحث  
في الكونيات ، وفي العقليات سبيل إلى ثقافتنا  
أو للتخلي عن الجهالة كان موضع اهتمام الدين  
أو جديراً بامتداحه ، والحث عليه ، والثناء  
على أهله .

ولاحرج على الدين من إطلاق العلم في سبيله  
ما دام لا يتعدى نطاقه الإنساني ولا يتناول  
في غروره على ما قرره الدين .

وحينما يتعرش العلم ، أو يتعارض مع الدين  
فسبيل التوفيق بينهما أن يترث العلم في تحقيقه  
حق يتهدى إلى الحق ، وحينئذ يحدد نفسه

# الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود

١ — إن الشرق الآن - في جميع أرجائه - سائر نحو للتقدم المادى والتطور الصناعى ، بخطى واسعة .

أو عن الرسول ، صلوات الله عليه ، أو عن أئمة المسلمين - لا تحصى - يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات . . . قل هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون . .

وهو على وجه العموم ، يتخذ المدينة الغربية مثلاً يحتذى ، ويعتبر الحضارة الراهنة في أوروبا وفي أمريكا نتاجاً بديعاً للعصرية والنضوج

ولأنه لمن المعروف ، أن أول كلمة نزلت من القرآن ، إنما هى « اقرأ » ويقول صلوات الله عليه « العلماء ورثة الأنبياء » .

وما لا شك فيه : أن كل محب للشرق ومخلص له ، يحبذ هذا الاتجاه في جانبه المادى - جانب المعامل والمصانع - ويبحث عليه ، ويدعو إليه ، ويأمل أن يصبح الشرق - عما قريب - مساهماً في تطور هذا الجانب ، وتقديمه ، فلا يقتصر دوره على مجرد التقليد .

ويعقب الإمام الغزالي ، على هذا الحديث الشريف فيقول : ( ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة ) .

وموقف الدين من هذا التقدم المادى ، حينما يكون وسيلة للارتفاع الإنسانى ، وطريقاً لنفع البشرية ، إنما هو موقف المبارك المشجع . وإن الدين الذى يذكر كتابه المقدس : أن الله سخر للإنسانية ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، لا يتأنى أن يقف من هذا التسخير الذى يقوم به الإنسان الآن موقف المعارض .

ويقول صلوات الله عليه « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض » .

وفضل رسول الإسلام ، العالم على العابد فى أحاديث كثيرة .

٢ — هذه الروح ، أنتجت ثمرتها اللازمة لها : أعنى الحضارة الإسلامية ، وقد كان للإسلام مدنية ، وكانت له حضارة ، أنتجت عباقرة أفذاذاً : كجابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعة ، وأبى بكر الرازى فى الطب ، وغيرهم كثير . وكانوا يحيون حياة كريمة ، وكانت يديهم

والروح الإسلامية الصحيحة ، تشجع العلم وتجل العلماء ، والآثار فى ذلك - قرآنية كانت



واقعد بدأ علماء الغرب الآن يميلون نحو الإنصاف ، فيتحدثون عن المكتشفات العلمية في الطبيعة ، وفي الكيمياء ، وفي الطب وفي غير ذلك من العلوم التي كان للعرب فضل السبق في اكتشافها ، ويتواضع الغربيون الآن نوعا ما فيما يتعلق بالمنهج التجريبي ، فيصرح بعضهم - كما فعل الأستاذ بريفولت - بأن أسسه وأصوله وضعها العرب .

يتحدث بعض علماء الغرب المنصفين عن المكتشفات العلمية في الحضارة العربية وعن اختراع العرب للنهج التجريبي وعن أثر ذلك كله في الحضارة الغربية الحديثة فيما يتعلق بنشأتها بل وفيما يتعلق بوجودها .

ومن أجل مظاهر الإنصاف في ذلك عند علماء الغرب الذين تحدثوا عن هذا الموضوع كلمة الأستاذ بريفولت ، التي تعبر عن حقيقة هي لا شك واضحة كل الوضوح لمن درسوا تاريخ الحضارة العربية . وتاريخ الحضارة الغربية - يقول الأستاذ بريفولت - : « إن ما يدين به علما ، لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشف مدهشة ، لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ؛ إنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعالم القديم كما رأينا ، لم يكن العلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ورياضاتهم كانت علومها أجنبية ، استجلبوها من خارج بلادهم ، وأخذوها عن سواهم ولم تتألم في يوم من

الإسلامية محمد لم جهدهم ، وتقدر لم نبعهم . وهؤلاء الأئمة الأفذاذ ، هم الذين وضعوا أصول العلم التجريبي ، وبنوا أبحاثهم على الملاحظة والتجربة وقد كان منهم وعلمهم يدرس في أوروبا ، فأخذت أوروبا منهم العلم وعزته لنفسها وأقامت عليه حضارتها الراهنة . والمنهج العلمي للحضارة الحديثة إذا ، إنما هو منهج الحضارة الإسلامية يقول الأستاذ بريفولت : « إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي ، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلمي العرب في الأندلس ، وليس لروجر بيكون ، ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه لغة العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للبرقة الحقة .

والمناقشات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي ، هي طرف من التعريف الهائل لأصول الحضارة الأوروبية ، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون ، قد انتشر انتشارا واسعا ، وانكب الناس في لطف ، على تحصيله في ربوع أوروبا (١) .

(١) من كتاب تجديد التفكير الديني في الإسلام ١٤٩٠ .

هذا الانتاج وتسيطر على استعماله ، يحتاج إلى شيء من التفصيل :

ذلك أن استعماله يمكن أن يتجه إلى الخير وإلى الرقاية والسعادة وإذن فإن الإرادة الإنسانية ، التي تتجه به هذا الاتجاه ، لا تجد من الدين ، إلا العون والمساعدة والاعتباط . ويمكن أن يستخدم النتاج المادى فى الشر والإيذاء ، والسلطان والغلبة ، وإذن فإن الإرادة الإنسانية التى أضرت بالإنسانية لا تجد من الدين إلا اللمعة والمقت ...

وإذا كان الدين يقف موقف المعارض من الاستعمال الضار للبحرعات فليس معنى ذلك ، أنه يقف موقف المعارض من المخترعات نفسها ، ويجب أن يكون هذا واضحاً فى جميع الأذهان حتى لا يأتى قوم لا يميزون بين موقف الدين من الاختراعات ، وموقفه من استعمالها الضار فيصفون الدين بالوجود مع أنه بموقفه هذا ، وبفرقة تلك ، يبلغ الذروة فى هداية الإنسانية والعمل على إسعادها ... وعلى ذلك ، فإنه يمكن أشبهتاً فى الشرق أن تطمئن إلى موقف الدين من الحضارة المادية وأن تعتبره أوقف الوحيد ، الذى يجب على كل مفكر ، أن يتخذة مثلاً أعلى ، يعمل على سيادته لخير الإنسانية ...

أما موقف الدين من الثقافة الغربية ، فذلك موضوع آخر يحتاج إلى مقال آخر ...

المركتور • مير الحليم محمود

رئيس قسم الفلسفة واتوحيد بجامعة الأزهر

الأيام فتمتزج امتزاجاً كلياً بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث فى دأب وأمانة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريباً تماماً عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمى نشأته فى العالم القديم إلا فى الإسكندرية فى عهد الهلاني . أما ما ندعوه العلم ، فقد ظهر فى أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوربي (١) .

وإذا تساءلنا الآن عن موقف الدين الإسلامى من المنهج التجريبي ، ومن العلم المادى ، فإننا نجزم غير مترددين بأن موقف الدين الإسلامى من ذلك ، موقف الداعى المشجع المستحث الأمر . طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وكن عاباً أرمتهلما ، ولا تكن الثالثة قملك .

٣ - وإذا كان الدين يقف من العلم المادى ، ومن التقدم المادى ، موقف المشجع ، فإن موقفه من النيات والإرادات الإنسانية التى تتحكم فى استخدام

(١) من كتاب التفكير الدينى فى الإسلام ص ١٥٠ .

# المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ١ -

١ - المجتمع :

بل يسع العالم الإنساني بما يشتمل عليه .  
ويقتضى إليه من شتى الأمم والأجناس ، فإن  
الإنسان حيث كان ، ومهما يختلف به الزمان  
والمكان هو هو كما برأه الله « حيوان ناطق »  
والناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم  
يقتضون إلى أصل واحد ، فهم أسرة كبرى  
تتكون من أسر صغيرة تسمى الفصيلة أو  
القبيلة أو العشيرة ، وأسر كبيرة تسمى كل  
أسرة منها الشعب أو الأمة ، وقد تقاربت  
المسافات بما وصل إليه الإنسان من وسائل  
المواصلات ، وتقاربت الثقافات بما اخترع  
من أجهزة الإذاعة و « التلفزيون » ، وأدوات  
الطباعة والذشر ، حتى صار الواحد هنا يسمع  
ما يقال في أقصى الأرض ، وهو جالس إلى  
جوار المذياع . ويرى في درر « الخيالة »  
وعلى شاشة « التلفزيون » ما يقع أو يدور  
في جوانب الدنيا من أحداث . وقصص .  
ومشاهد ، ويقرأ في الصحف والكتب  
ما يكتب في مختلف أنحاء هذه المعمورة وقد  
كان ذلك خليقا بأن يوجه الناس جميعا إلى  
التعارف والتعاون على البر والخير لو أن هذه

حيثما يكن اجتماع . ومكان جامع . وروابط  
جامعة . تطلق كلمة المجتمع ، فهي تطلق وتصدق  
على الأسرة لأنها تتكون من أفراد تجمعهم  
روابط النسب . والقربة . والمكان  
والمصلحة المشتركة ، وتطلق على الزرية لأنها  
تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة  
والمصاهرة . والمصالح المشتركة . أو المرافق  
العامة ، وتطلق على « المركز » لأنه يتكون  
من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة موحدة  
ويلتقى أبنائها في المدارس والمعاهد والمساجد  
الكبرى ، والاندية ودور القضاء ، وما يقال  
في « المراكز » يقال في المحافظات التي تتكون  
من عدة « مراكز » ويقال في الدولة أو الجمهورية  
التي تتكون من عدة محافظات وأقاليم يحكمها  
جميعا قانون واحد ، وتشرف عليها حكومة  
واحدة ، ويجتمع أبنائها على عادات وتقاليد  
ومصالح مشتركة ، بل إن معنى كلمة « مجتمع »  
يقتضيه حتى يسع الأمة التي تتكون من عدة  
شعوب تجمعها وحدة الدين واللغة والجنس

والأذواق ، و الأواهب وال الأخلاق ، كما أنهم يختلفون في السمات والملايح ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى : « وقد خلقكم أطوارا » إن معناه خلقكم ضروبا وأحساا مختلفة أو خلقا مختلفة كل واحد منكم على حدة وقيل كذلك : إن معناه مختلفين في المناظر والأخلاق ، وقال الفراء : إن معناه : نطفة ثم علقه . ثم مضغه . ثم عظاما . والآية تقسع لكل هذه المعاني وتسع غيرها مما يكشف عنه البحث والتأمل .

ولا شك أن المجتمعات الإنسانية مع اشتراكها في الروابط والصالح والمعاني العامة يختلف بعضها عن بعض في السمات والملايح ويتميز بعضها عن بعض بخصائص وأشكال مختلفة ، كما يتميز الأفراد في الأسرة الواحدة بمواهب وملايح وأشكال مختلفة بل كما تتميز الأوراق والأغصان في الشجرة الواحدة بأحجام وأشكال مختلفة فقد شاءت حكمة الله أن يكون الاختلاف في العناصر أساس خلق هذا الوجود ، وأن يكون ذلك الاختلاف قانونا مضطردا في تكوين كل موجود

عما تقع عليه العين أو يقع تحت الحواس ، حتى الكلمة التي تقال أو تكتب لتعبر عن ذات أو معنى تتكون من حروف مختلفة والكلام الذي يقال أو يكتب ليعبر عن شعور أو تفكير يتكون من كلمات مختلفة والدوام

الأجهزة استخدمت في وجوه البر والخير ، ووجهت إلى ما يجب أن تتجه إليه مما يدل عليه قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإن ذلك هو المطلق الطبيعي للمعاني الإنسانية في الإنسان وهو إلى ذلك نداء الله الذي خلقهم وبرزهم وأمرهم أن يستجيبوا له إذا دعاهم لما يحميمهم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ، « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ، واتقوا الله الذي تسالون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا .

ولكن هذه الأجهزة لم تستخدم - كما يجب - في الأغراض السلبية ، وإشاعة الأمن والإبناس بين الناس ، وإنما انحرفت بها الأطماع والشهوات إلى خدمة الشيطان ، فأصبحت تستخدم في الحرب الباردة والساخنة وتعمل على إثارة القلاقل والبلابل وإغراء العداوة والبغضاء . وكثيراً ما تستخدم في تخدير ضمير العالمى ، وتضليل الرأى العام .

## ٢ - ١ - المذهب :

والواقع الذي لا سبيل إلى تجاهله أو التغافل عنه ، أن الناس بفطرتهم مختلفون في الميول

والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

### ٣ — الوحدة مرف :

وإذا كانت العناصر المختلفة لا تؤدي وظائفها إلا بائتلافها مع غيرها . كان الائتلاف ضرورة لا يحيد عنها في إقامة المجتمع الصالح السعيد ، ومن ثم كان من أجل ما من الله به على أبناء هذه الأمة حين شرح صدورهم للإسلام أن ألف بين قلوبهم ، وقال لنبيه عليه السلام : « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ، وقال يذكركم بهذه النعمة : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » . وقد كان العرب قبل الإسلام كما قال جعفر ابن أبي طالب لنجاشي الحبشة : ( كنا قوما أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسئ الجوار . ويأكل القوي منها الضعيف . فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه . فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة . وصلة الرحم ، وحسن الجوار .

الذى يستخدم في علاج أى داء يتكون من عناصر مختلفة .

فالاختلاف حقيقة طبيعية لا سبيل إلى إنكارها ، وائتلاف العناصر المختلفة لتؤدي مع ائتلافها وظيفة خاصة أو عامة أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، فإن ذلك ما نظامه في كتاب الله المرئى : وهو هذا الوجود بما فيه ومن فيه ، وفي كتابه المقروء وهو هذا القرآن الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، لأنه كما يقول الله : « نزيل من حكم حميد » ، ومن ذلك قوله تعالى « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ونجرتنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون . سبحانه الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يعلمون » . وقوله تعالى : « ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ، وقوله سبحانه : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » . وقوله جل شأنه : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود . ومن الناس والدواب

الناس للناس من بدو وحاضرة  
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم  
ولنضرب لذلك أبسط مثل وهو الرغيف  
الذي يأكله ، فإن الإنسان يتناول به بعد هذه  
أعمال لا يستطيع بمفرده أن يؤديها ، لأن  
هذه الأعمال يشترك فيها الزارع والطاحن  
والعاجن والحائك ، والبائع ، وما يقال  
في الرغيف يقال في غيره من كل ما يحتاج إليه  
في المسكن والملبس والمأكل وما إلى ذلك  
من الضروريات ، وكذلك شأنه في كل  
ما يتمتع به من الكماليات ، بل إنه - دون  
غيره من بقية أنواع الحيوانات - يشعر دائماً  
بم حاجات متزايدة لا سبيل إلى إشباعها وإقناعها ،  
وهذه الحاجات - على تجمدها وتزايدها -  
تطلب التوزيع والتنويع في العمل وتحريك  
كل القوى والمواهب للإسهام في الإنتاج  
ورفع مستوى الدخل العام ، فليس من العدل  
ولا من المصلحة أن يستأثر كل إنسان بخيره ،  
فيمتنع به دون غيره وليس من الخير أن  
يحرم المجتمع من مواهب وقوى يعطلها  
الحرمان . أو يشلها الظلم عن المشاركة في العمل  
وزيادة الرخاء والثراء ...

ومن ثم كانت الاشتراكية في الإسلام هي  
ما يفهم من قول الله : « إن الله يأمر بالعدل  
والإحسان » .

وسنعرض لها في شيء من التفصيل ؟  
( يتبع )

عبد الرحمن فودة

والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن  
الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم  
وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده  
ولا نشرك به شيئاً . وأمرنا بالصلاة  
والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به .

ثم كانوا بعد الإسلام كما يقول الله : « أشداء  
على الكفار رحماء بينهم » ، وكما يقول : « ذكر رج  
أخرج شطاها فأزهره فاستغلف فاستوى على  
سوقه يعجب الزراع ليغيب بهم الكفار »  
وكما يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس  
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر  
وتؤمنون بالله » .

#### ٤ - الاشتراكية :

ولا شك أن النتيجة الطبيعية للألفة التي  
تجمع بين العناصر المختلفة هي الاشتراكية  
بمعناها العف الذي ينبع من الضمير ويوصى به  
الدين ويتحقق به العدل والفضل ، بل إن  
الاشتراكية العادلة الفاضلة هي النتيجة الطبيعية  
لواقع المحس الذي يعيش فيه الناس ؛ لأن  
الإنسان منذ كان وإلى أن يرث الله الأرض  
ومن عليها لا يستطيع أن يعيش منعزلاً  
عن غيره . منفصلاً عن مجتمعه ، فهو في  
حاجة دائمة لازمة إلى الزارع والصانع  
والخادم والحاكم ، وكل عامل في المجتمع  
يؤدي له خدمة مباشرة أو غير مباشرة . وقد  
عبر الشاعر القديم عن هذه الحقيقة حين قال .

# العلماء سُفراء وفادة<sup>(١)</sup>

## للأستاذ محمود الشرقاوى

في يوم من أيام ربيع الأول من سنة ١٢٠٠ هـ (يناير ١٧٨٦ م) قام حسين بك شفت (١) أحد كبار المماليك ، ومعه طائفة من جنوده قاصداً منطقة الحسينية واقتحم دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار ، كان رئيساً على درايش الشيخ البيوى ، ونهب الأمير حسين دار هذا الشيخ . وفي صباح اليوم التالى ثار جماعة من الحسينية ، وخرجوا إلى الأزهر ، وشكوا أمرهم إلى الشيخ أحمد الدردير ، فشجعهم في ثورتهم ، وغضب لهم وقال لهم أنا معكم . فقام الغاضبون إلى أبواب الأزهر فغلقوها ، وصعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون ، ويدقون الطبول ، وانتشر الناس في الأسواق وقد ظهر عليهم الغضب والتحفز ، وأقفل التجار متاجرهم . فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم : موعدنا غداً لنجمع الناس من أطراف المدينة ، وبولاق ومصر القديمة ، وأسير معكم إلى بيوت هؤلاء الأمراء ننهبها كما ينهبون بيوتنا . وسينصرنا الله عليهم ، أو نموت شهداء . وبعد ساعات

كانت للعلماء ، في جميع عصور الإسلام ، الريادة والقيادة : يرودون الحياة أمام الناس ويقدمون لهم ثمرة هذه الريادة من العلم والتجربة والثقافة والفضائل والتقوى . ويقودونهم - أفراداً وجماعات - إلى طريق الخير والفلاح . وفي بعض عصور التاريخ نجد لهؤلاء العلماء ريادة أخرى وقيادة للسياسة والثورة في سبيل رفع الظلم ورد العدوان . كان ذلك أوضح ما يكون الوضوح في مصر في القرن الثامن عشر ، حين أخش الظالمون في ظلمهم واعتدى المعتدون على وطنهم .

في هذا القرن كانت تقوم ثورات شعبية كثيرة يهب فيها أهل مصر لرد عدوان الظالمين - وعقابهم أيضاً - وكان العلماء يشاركون الشعب إحساسه وثورته ، بل كثيراً ما كانوا يقودونه في ثورته ، ويحرضونه .

### الشيخ الدردير بقود ثورة

وللشيخ أحمد الدردير ، وكان مفتياً للمالكية ومن أكبر علماء عصره ، في ذلك مواقف كريمة تذكر بعضها منها :

(١) يقول الجبرتي إن « شفت » معناها الله دى والأرجح أنها محرفة من كلمة « جفت » التركية . بهذا المعنى .

\* فصل مر الطبعة الثالثة لكتابنا : « دراسات في تاريخ الجبرتي » ، مصر في القرن الثامن عشر .



### الشيخ عباس ووقف المغاربة :

وقبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم إلى طلبة المغاربة ، ولكن واضع اليد سجد هذه الأيلولة وأبى أن يسلم الحق لأصحابه ، ولجأ في ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج فنصره هذا على باطله ، وأقام المغاربة دهورام أمام القاضي فأثبت لهم حقهم ، ولكن الأمر كبر على يوسف بك ، وأبى أن يتمثل لحكم القضاء ، بل أمر بالشيخ عباس - زعيم المطالبين بوقف المغاربة - أن يساق إلى السجن . فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لأخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون وسبوه ولم يمكنوه منه ، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأخبروه الخبر ، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم ، وألا يعاند في حكم أصدره القاضي ، وأرسل الشيخ كتابه هذا إلى يوسف بك مع شيعتين أخارهما لذلك . فلما وصل الشيطان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما وزجرهما جزاً شديداً ثم سجنهما . ووصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير ، وأهل الأزهر ، فاجتمعوا عند الصباح وأبطلوا دروس العلم ، والأذان ، والصلاة . وأقفلو أبواب الجامع . وجلس العلماء عند القبلة القديمة . وكان الأزهر يمجج بالناس ، فصعد الصغار منهم إلى المنارات والمآذن يكثرون من الدعاء على الأمراء . وشارك

من النهار أرسل إبراهيم بك : شيخ البلد وكبير الماليك ، نائبه ، وأميراً آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه .

وفي شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوي ، في طنطا ، وكان الشيخ الدردير في المولد ، وجاء كاشف<sup>(١)</sup> الغربية ، من قبل إبراهيم بك ، ففرض على الناس مغارم ثقيلة ، وأخذ لبلا لبعض الأعراب كانوا يبيعونها في المولد ، فشكوا أمرهم إلى الشيخ ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف ، فخشوا بطشه ولم يذهبوا ، فركب الشيخ بنفسه ومعه بعض أتباعه ، وكثير من العامة . فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه فحضر إليه . وكلمه الشيخ ، وهو على ظهر بغلته ، وقال له : إنكم لاتخافون الله ، واشتد عليه بالزجر والتأنيب . فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن طورهم ، وضربوا نائب الكاشف ، وقامت فتنة بينهم وبين الجند ضرب فيها وأسر واحد من أتباع الشيخ ، وذهب كاشف المنوفية وكاشف الغربية بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ ، ولما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتذرا ومعه كبار الماليك .

(١) كاشف : حاكم .



فيه إسماعيل بك بأن يجيب رغائبهم ويقبل جميع ما يطلبون ، وقال إن ضيقه في ذلك الشيخ السادات ، وظل إسماعيل بك يرسل المتترسين داخل الأزهر يوما كاملا حتى استجابوا ، وفتحوا أبواب الأزهر ، وكان بما شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر الأغا ، ولا والى ، ولا المحتسب قريبا من الأزهر .

### الشيخ السادات يقدّم الثورة :

كان الشيخ السادات ، من أكبر الشيوخ مقاما ، وأعظمهم شأنًا ، وأوسعهم جاها وثروة ، وأعزهم منزلة لدى الناس ، ولدى الأمراء على السواء . ولكنه ، مع اختيار نابليون له عضواً في الديوان ، وزيارته له في بيته ، كان من أكبر خصوم الفرنسيين ، والمحرزين على الثورة عليهم .

فعندما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات . وثبت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه ، ولكن نابليون رده عن ذلك ، مع يقينه من زعامته للثورة ، وقال : إن قتل شيخ في مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين ، ويزيد في حقد المصريين وكرهاتهم له .

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر . وكان السادات من المحرضين عليها . فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما في نفسه

الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط واحتجاجهم على الظلم ، فقامت الحوانيت والمتاجر ، وعرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق سراح الشيخين ، فأطلقهما ، وأرسل شيخ البلد إبراهيم بك ، كبيراً من رجاله إلى العلماء ، فلم يستطع إرضاءهم ، وجاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم ، وينصرفوا لشأنهم . فذهب إليه طلبة الأزهر ، وجوع من الشعب بأيديهم العصي والمساق ، وضربوا أتباع هذا الكبير ورجعوه بالحجارة . فأطلق عليهم هو ورجاله الرصاص . وقتل ثلاثة من الطلبة ، وجرح بعض أفراد الشعب وخشى الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب ، وتزيد ثورة الشعب والعلماء اشتعالا ، فأرسلوا في اليوم التالي كبيراً منهم ، مع الشيخ السادات ، وآخرين من الأمراء . ورأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر ، في وسط هذه الفتنة فجلسوا في مسجد الأشرف ، وأرسلوا إلى أهل الأزهر ومن معهم من الثائرين ، أن طلباتهم أجيبت ، فلم يقنعهم ذلك ، ولم يتركوا أماكنهم . فلم ير إسماعيل بك ، كبير الأمراء ، بدا من أن يذهب بنفسه لإيهم ، فنزل مع الشيخ السادات ، ولم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر ، فجلس مع السادات في مسجد المؤيد ، وأرسلوا إليهم كتابا تعهد

التي كانت محبوسة على زوجة أجداده .  
وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يخرج  
إلا بإذنهم ، وأن يقتصد في نفقاته ، وينقص  
عدد أتباعه وخدمه .

### وبخاف منه الاُتراك أيضا :

وعندما قدمت الحملة التركية الانجليزية  
لحرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر ،  
سنة ١٨٠١ ، وعلم الجنرال منو ، نائب  
نابليون وقائد الجيوش الفرنسية ، أنها نزلت  
أبـقـير في الإسكندرية ، أمر ، للمرة الرابعة ،  
بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير  
المصريين عليهم . وسجن في القلعة ، وبقي فيها  
سبينا حتى بارح الفرنسيون مصر

وقد مات ابن الشيخ السادات وهو في السجن  
فلم يسمحوا له بالخروج ليراه ، بل أذنوا له  
بالسير في جنازته تحت الحراسة ، ثم أعادوه  
إلى السجن .

ومن مواقف الشيخ السادات الوطنية  
الكريمة ، أنه عندما أضرت الحرب والحصار  
بالتُـثـرين في القاهرة ، التزم بالإلتفاق  
على المحاربين والمجاهدين في المنطقة التي كان  
يقيم فيها ، عند قناطر السباع .

ومات الشيخ السادات بعد ذلك في مارس  
سنة ١٨١٣ في عهد محمد علي بعد أن عرف  
له الناس وسجل التاريخ هذه الشجاعة  
وهذا البذل .

**محمود الشرفاوى**

من السادات . وكان يذكر نصيحة نابليون  
فلم يقتله . ولكنه أوقع به من العذاب والمهانة  
شيئاً كثيراً . حيث فرض عليه ضريبة قاذحة ،  
قدرها مائة وخمسون ألف فرنك . فلما رفض  
أن يدفعها أمر بسجنه في القلعة . وكان ينام  
على التراب ، ويمشون به على قدميه في شوارع  
القاهرة ، ويضرب في صباح كل يوم خمس عشرة  
عصا ، ومثلها في كل مساء . وحبسوا أتباعه  
وخدمه . وطلبوا زوجه وابنه فلم يجدوها .  
فعذبوا غادما له عذابا شديداً حتى دل  
على مكانهما ، فسجنوهما . ووضعوا معه  
زوجته في سجن واحد ، فكانوا يضربونه  
أمامها ، وهي تبكى . وهاجوا داره ، ففتشوها  
ونهبوا ما كان فيها من مال ومتاع وحفروا  
أرضها للبحث عما فيها من سلاح ومال .  
وجعلوا على بيته عشرين حارسا . وعندما  
أعادوا تشكيل «الديوان» (١) أخرجوه .

وبعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه  
فيها مرة أخرى خمسين يوما ، ثم أخرجوه  
بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه ، ولكنهم  
عادوا فصادروا جميع ممتلكاته وإقطاعياته  
- وكانت شيئاً كثيراً - وحبسوا مرتباته  
وأوقافه وأوقاف زوجاته ، وبيع الأوقاف

(١) عندما دلى نابليون القاهرة ألب «الديوان»  
من طبةين «المعوى» و «الخصوصى» وكان  
الأخير يتألف من كبار العلماء والتجار وأهل الرأي  
والنزلة من المصريين . وكان رئيسه الشيخ عبد الله  
الشرفاوى ومن أبرز أعضائه الشيخ السادات .

# من معاني القرآن

« إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام  
الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد  
بظلم نذقه من عذاب أليم . »

وجعله للناس جميعاً ، سواء في ذلك المقيم فيه  
وفي البلد الذي يقوم به ، والبعيد عنه في البادية  
والطاريء عليه من خارج مكة . هؤلاء الذين  
يكفرون بالله ويصدون الناس عن سبيله ،  
وعن البيت الحرام لهم من الله عذاب مؤلم  
شديد ، ومن يرد في المسجد الحرام جوراً  
وميلاً عن الحق ، وانحرافاً عن طريق الرشاد  
والسداد ، فقد توعد الله بأن يصيبه بعذاب  
مؤلم شديد يتجرع غصصه ويكابد آلامه .

والمتأمل في هذه الآية ، يجد أن الصد عن  
سبيل الله ، وعن المسجد الحرام قد اقترن  
بالكفر ؛ لأنه بسبيل منه ، أو هو أظهر  
ما يكون منه ، كما يجد أن المسجد الحرام  
للناس لا لفريق من الناس ، وذلك ما يفهم  
من قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام  
قيماً للناس » ، وقوله : « ولذا جعلنا البيت  
مثابة للناس وأمناء » وقد أئذ الله من يريد فيه  
زيغ وجوراً بالعذاب المؤلم الشديد . « ومن  
أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ،  
« ذلك ومن يعط شعائر الله فإنها من  
تقوى القلوب » .

عبد الرحيم فردو

يصدون : يمنعون ويصرفون الناس .  
سبيل الله : طريقه الذي شرعه وصرأطه  
المستقيم ، ومعناه واسع جامع يقناول كل  
بر وخير .

والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه  
واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو  
المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة  
البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرمها بوجود  
البيت فيها .

العاكف : المقيم الملازم للإقامة ، والباد :  
الطاريء عليه من البادية أو من الخارج .

الإلحاد : ميل عن القصد وعدول عن الحق ،  
يقال ألحد السهم عن الهدف عدل عنه .  
وألحد فلان عن الحق عدل وأدخل فيه  
ما ليس منه ، وألحد في الحرم استحل حرمة .

المعنى :

إن الذين كفروا بالله ورسله . وهم مع  
كفرهم يمنعون غيرهم عن الإيمان ، ويصرفونهم  
عن الطريق الذي شرعه الله . والدين الذي  
ارتضاه ، والمسجد الذي عظمه وحرمه .

# أحمد أمين

للاستاذ عبد المعطى السيرى

متواضعة يقول فيها «لأنه كان يقرأ ، ويلخص ما قرأ وما هو يطبع ما لخص» .

يقول هذا وهو يؤدب الفلسفة لينتفع بها الأدباء فيفلسفوا الأدب ...

وتقرأ فيض «خاطره» أو «حياته» ،

فتظن أن الرجل قد وقف حياته على الأدب

الحاضر ، ففي الكتاب الأول يتناول مختلف

فنون الأدب ، فيكتب الدراسات الفنية ،

والنقدية ، ويصور الحياة في شق مظاهرها

ومشاهدتها ... وفي الكتاب الثانى يكتب

ترجمة ذاتية لحياته ، فيسجل ما ألح عليه ،

وما اضطرب فيه ، فإذا بالكتاب صورة

كاملة الملامح ، واضحة الأجزاء ، لجيله ويثته

وبجتمعه ، ويسد بذلك فراغا تشكوه منه المكتبة

العربية لفقرها من كتب الترجمات .

ويفوص في أعماق الأدب الشعبى فيضع

قاموس اللغة والتقاليد والتعابير ، ذلك القاموس

الذى كنا فى أشد الحاجة إليه ، والذى كان

يحتاج إعدادة ووضعها إلى عدة رجال . فهو

لم يدع شاردة ولا واردة مما يضطرب على

ألسنة الشعب فى السوق والبيت والحارة ،

إلا وضمنه الكتاب ، هذا بالإضافة إلى اهتمامه

بالأمثال والأساطير والقصص المتنوعة

لحياة الشعب ...

أثرى أحد أمين المكتبة العربية بما قدمه من

إنتاج قيم ، يضيف إلى معلومات قارئه معارف

ومفاهيم جديدة فى مختلف العلوم والآداب .

وأرخ بأسلوبه الرائع عهداً مجيداً للعلماء

وكيف تحظى بحوثهم بحظ الأدباء ، فأنت

قرأ الكتاب الذى يعالج فيه كتابة التاريخ

فتراه من ناحية الأسلوب كأنه نموذج للأدب

الرفيع ، ومن ثم جمعت آثاره بين عمق العالم

وشاعرية الفنان .

تقرأ الكتاب فلا تود أن تتركه حتى تفرغ

منه . . ولا تدعه إلا لتبدأ فى الرجوع إليه ،

ومع هذا فأنت تقرأ العلم ! تقرأ الفلسفة ،

أو التاريخ ، وقد تعودت أن تقرأهما

بأسلوب العلماء !!

تقرأ قصة الفلسفة اليونانية ، قصة الرجل

الأول الذى ينظر فى الكون حائراً : ما هذا ؟

ولم هذا ؟ وكيف هذا ؟ ويرتقى ذلك الإنسان

ويقطع المراحل ، وتتعاقب الأجيال ،

وتتصل الحلقات حتى تصل إلى العصر الذى

نعيش فيه مسجلة لمختلف الفلسفات ونموها

وتطورها ، وذلك فى عرض فنى ليس بعده غاية

لفنان ، ومع هذا المزج بين العلم والأدب ،

وما يتطلبه ذلك من شمول وتمحيص العالم ،

وانفعال وتوثب الأديب يقدمه صاحبه بمقدمة

الكبير السن ، الكثير المسؤوليات أن يتعلم الإنجليزية وذلك على أثر حديث لصديق عن كتاب للسفشرق الأمريكي ماكدونالد تناول فيه نظام الحكم وتاريخ الفقه ، والمذاهب والعقائد في الإسلام ، فيقسم أن يقرأ هذا الكتاب في لغته !! .

ويوقفه الله فيبر بقسمه ... يذهب إلى مدرسة « برليوس » ، ويبدأ المحمود الشاق فيقرأ في البيت ، ويحفظ في الطريق ، ويذاكر وهو يراقب الامتحانات ، ويراجع وهو يشرف على حصص الدروس ولم يكن في فصل يتعاون فيه مع الطلبة ولا في بيئة تعودت سماع لغة أجنبية ولذلك يقول له الشيخ الحضري : « قد جرب هذه التجربة مئات من طلبة دار العلوم فساروا خطوات ثم وقفوا ، فردد عليه بقوله : « سأجرب كما جربوا ، ولكن سأنجح إذا فشلوا » .

وبمجد نفسه فيعكف على كتاب الإسلام السيد « أمير علي » ، يحاول أن يقرأ في الإنجليزية وكان يجلس في الصفحة الواحدة ثلاث ساعات ، يكشف في المعجم عن كل كلمة وهو جاد صابر ...

ويوقفه الله إلى الإنجليزية تدعى مس « بور » ، وهي مثقفة تنشر المقالات في جريدة التاييمز - فتحدث المعجزة ولم تمام الإلمام باللغة الإنجليزية وأدبها ...

يتحدث عن ذلك فيقول : « ماذا كنت

كان على تواضعه الشديد يعرف لنفسه قدرها ... سأله مرة أحد الصحفيين عن أثر تعيينه عميداً لكلية الآداب فكان جوابه : « لئنني أصغر من أستاذ ، ولاكنني أكبر من عميد !! » .

ويطيب له أن يكشف عن حياته فيقول : « كنت في بدء حياتي العلية كثير الفراغ ، أصرفه في القراءة والكتابة ، فألفت لجزر الإسلام وضحاه ... ثم قل فراغى لاشتغالى بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو في الجمع اللغوي ، وفي مجلس دار الكتب ، ومجلس كلية الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر . والجامعة الشعبية ، ومذيع في الراديو ... وكل هذه أكلت من وقتي ، وبعثت زمني ، ووزعت جهدي مع قلة فائدتها فيما أعتقد ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لرفضت كل هذه الأمور ، ولفرغت لإتمام سلسلة لجزر الإسلام وضحاه ، وظهره ، وعصره ، فقد كان ذلك أجدى وأنفع وأخلد ، ولكن للظروف أحكام ...

ويتحدث عما يروقه في الأدب فيقول : « أكثر ما يعجبني في الأدب ما غزر مضاه ، ودق مرماه ، ولذلك لا يهتز قلبي لأكثر شعر الطبيعة في الأدب العربي لبثائه على الاستعارة والتشبيه ، لا على حرارة العاطفة » .

\*\*\*

ويخطر له وهو الفقيه القاضى الشرعى

من النقاد والمستشرقين بالثناء والتقدير ...  
يقول الدكتور طه حسين : « ولست  
أخفى أنى لم أكن أعرف حدا لهذا الدهش  
الذى كنت أجده حين أرى أحمد أمين  
يتصرف فى المسائل الأدبية والفلسفية والفغوية  
بقدم ثابتة ، ويد صناع ، وعقل يعرف  
كيف يفكر ، وكيف يقتل من قضية إلى قضية ،  
ومن مقدمة إلى نتيجة ، وكيف يضع الأشياء  
بعد ذلك كله فى نصابها معتدلا أحسن اعتدال ،  
لا يعرف التقصير ولا يعرف الإسراف ...  
والحق أن الدكتور طه حسين لم يجاوز  
الحق فى هذا الحكم ، فؤرخ الحياة الإسلامية  
قد بعثها فى صورة واضحة وبأسلوب بين المنهج ،  
سهل المخرج ، لها من جلال العالم الحظ  
الأوفر ، ومن رقة الشاعر النصيب الأكبر ،  
هذا فوق تفردا بطابع العصر الحديث .  
فقد أرخ المرحوم أحمد أمين بفجر الإسلام  
وضحا صفحة مجيدة للتاريخ فى الأدب العربى  
لم يسبقه إليها مؤرخو العربية إذ كان ينقصهم  
فوق التحرر من لفهم وعاداتهم وحزبيتهم  
الإحاطة بالمناهج العلمية الحديثة التى تجعل  
نصيب الاستقراء والاستنباط والتحليل  
فوق نصيب الالفاظ والتراكيب ، فثلا  
مسألة كنضال الفرق الإسلامية كيف كان  
يتم تكوين فكرة سليمة من درس الكتب  
القديمة التى تزخر بمختلف الآراء ، وتعدد  
الروايات ، وبخاصة أن كتابها كانوا كثيرا

للم أجزت هذه المرحلة ؟ لقد كنت ذا عين  
واحدة ، فأصبحت ذا عينين ، وكنت أعيش  
فى الماضى ، فصرت أعيش فى الماضى والحاضر ،  
وكنت أكل صنفا واحدا من مائدة واحدة ،  
فصرت أكل من أصناف متعددة على موائد  
مختلفة ... ولم أجزت هذه المرحلة ثم كنت  
أديا ، لكننى أديبا رجعييا يعنى بزويق اللفظ  
لا جودة المعنى ، ولو كنت مؤلفا لكننى  
جماعا أجمع مفترقا ، أو أفرق مجتمعا من غير  
تمحيص ولا نقد ... فأنا مدين فى إنتاجى  
الضعيف فى الترجمة والتأليف والكتابة إلى  
هذه المرحلة من المراحل الأولى ...

\*\*\*

وكان مضرب الأمثال فى الدأب والجلد  
والصبر ... يتفق مع زميليه عبد الحميد  
العبادى وطه حسين على تأريخ الحياة  
الإسلامية ... على أن يكتب العبادى التاريخ  
ويكتب طه حسين الحياة الأدبية ، ويتناول  
هو الحياة العقلية ، ثم ينصرف كل إلى شأنه  
وتلح المشاغل على الاثنين — العبادى  
وطه ... فلا يصنعان شيئا ، فأما هو فينجز  
ما ألزم به وينشر فجر الإسلام ... ثم يقدر  
أن صاحبيه قد انصرفا عما اتفقوا عليه  
فيكف على الموضوع فينجز ما كان سيضطلع  
به الجميع ... وتظفر المكتبة العربية بذلك  
المرجع العظيم للحياة الإسلامية ... ويتتابع  
صدور أجزاء فجر الإسلام وضحا فتحظى

في شيء ، ولعل نقطة الضعف فيهم أنهم أفرطوا في قياس الغائب على الشاهد ، أعنى في قياس الله على الإنسان ، وإخضاع الله تعالى لقوانين هذا العالم فقد ألزموا الله تعالى مثلاً بالعدل كما يتصوره الإنسان وكما هو نظام دنيوى ، وفاتهم أن معنى العدل - حق في الدنيا معنى نسبي يتغير تصوره بتغير الزمان ، وأن ما كان عدلاً في القرون الوسطى يعد ظلماً الآن ، فكيف إذا انتقلنا من عالم الدنيا إلى عالم الله وكذلك الشأن في قولهم في الحسن والقبح ، والإصلاح والإصلاح ، إنما نرى أن الإنسان إذا ضاقت نظره حكم على الأشياء حكماً ، فإذا اتسع نظره تغير حكمه ... فنظر فقط إلى أسرته كانت بعض أحكامه خطأ بالنسبة لمن اتسعت نظره إلى أمة أو إلى الإنسان عامة ، ونحن في أعمالنا ننظر إلى عالمنا ، والله تعالى رب العالمين قد ينظر في أعماله إلى جميع العوالم ما نعلم منها ، وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور العدل الذى تتصوره نحن في عالمنا هذا - كذلك قولهم في أن صفات الله هي عين الله أو غير الله ... كل براهينهم مبنية على قياس الغائب على الشاهد ولكن الشبه بعمدوم ، وقد فرضوا أن العينية والغيرية والزمانية والمكانية لازمة لكل موجود ، وهذا في نظرى خطأ محض فهى قوانين إنسانية ، وإن

ما يعمدون إلى إرضاء فريق يدينون برأيه دون مراعاة للحق والتاريخ .

إنهم كانوا واحداً من اثنين ، فريق يشرح وجهة النظر لكل فرقة ويقف عند هذا الحد وفريق آخر يعرض لكل رأى ويبدى حجته ولكنه يعمد إلى تقض حجج الرأى المخالف لها بأسلوب يسفه فيه هذا الرأى ، وهكذا ظل تاريخ تلك الفرق ينقصه من يشرح وجهة النظر ويحللها ... ينقصه القاضى العادل الذى يحكم بعد إمعان النظر - من غير حرج ولا تسفيه ، إلى أن أتبع له أحمد أمين الذى يقول : « إن من طلب العلم ودعا إليه علم أن العنف يدعو صاحبه إلى العنف والإصرار عليه دأب إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » . وعلى سبيل المثال نعرض لمناقشة أصل من أصول « المعتزلة » ولعله أهمها وهو العدل يقول : لقد وقفوا - المعتزلة - أمام مشكلة المثوبة والعقوبة فأروا أن ذلك لا يكون له معنى إلا بتقرير حرية الإرادة في الإنسان ، وأنه يخلق أعمال نفسه ، وأن في إمكانه أن يفعل الشيء ولا يفعل ، فإذا فعل بإرادته وترك بإرادته كانت مثوبته أو عقوبته معقولة عادلة ، أما إذا كان الله يخلق الإنسان ويضطره إلى العمل على نحو خاص ، فيضطر المطيع إلى الطاعة ، والعاصى إلى العصيان ثم يعاقب هذا ويثيب ذاك فليس من العدالة



وهذا النظر الشيوعي إلى الإمام يلقى على تاريخ الفاطميين وعلى الدولة الشيعية ضوءاً قوياً مفسراً لسر تقدس الناس لهم حتى يبلغ الأمر أن يقول شاعرهم :

ما شئت لا ما شئت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار

ثم ينتقل إلى أثر الفرق في الأدب فيشير إلى المعتزلة الذين أغفروا من حيث المعاني وقوة العقل ، وسعة الذهن ، وتوليد الأفكار العقلية ونظروهم إلى الكون وإلى الطبيعة وإلى إجراء التجارب عليها ودلالاتها على خالقها ، وغوصهم على المعاني غوصاً وتقلهم الأدب من لفظ رشيق ، إلى معنى حميق ...

ثم يتحدث عن الشيعة وكيف أثروا على الأدب من الناحية السياسية والعاطفية فقد أكثروا من القول في الحق وطلبه ، والإرث وغصبه ، ثم يبكون على حق ضائع ودم أريق وحرمان انتهكت ، ويوت دمرت ، وجثث صلبت وذريت ...

وهكذا كان للناس من الأديين جميعاً فكر و عاطفة ، وعقل وقلب . . وكلاهما لا بد منه ولا غناء عنه للأدب ...

وبعد فهل تراني قلت شيئاً عن الكريم الفقيد ١٤

رحمه الله رحمة واسعة بقدر ما أسدى للعربية - أمة ولغة - من خير وفضل ؟

عبد المعطي المسيري

تساعنا قليلاً قلنا : إنها قوانين عالمنا هذا ، ولنا نستطيع القول بأنها تنطبق على غير عالمنا أو لا تنطبق فيصدر حكماً على الله اعتقاد أنها قوانين شاملة للإنسان جرأة لا يرتضيها العقل الذي يعرف قدره ، ولا يعدو طوره .

من خلال هذه السطور نقدر المنهج الذي سلكه أحمد أمين في التاريخ ، ومن خلالها أيضاً نقدر كيف اتحد عمق العالم ، ويراغ الشاعر محققاً بذلك أملاً كنا نهتف به وتتمناه .

وفي مناقشته لقول الإمام علي في « المتعة » ما يلقى الضوء على نظريته للإصلاح الاجتماعي فبعد أن صور شناعة ذلك الأمر وتسهيله للإباحة وما تجره من فساد واستهتار يقول : « وإذا كان المثل الأعلى للأسرة زوجاً واحداً وزوجة واحدة ، وعروة وثقى باقية أبداً في سعادة ينشأ في أحضانها الأبناء والبنات ، فما أبعد نكاح المتعة عن المثل ، .

ثم يعرض إلى رأى الشيعة في الإمام وكيف أنها لا تتفق مع الإيمان الصحيح ، ولا تستقيم مع النظر المستند إلى الطبيعة ، فهم يرون أن الإمام معصوم ، وأنه مشرع ومنفذ ، ولا يسأل عما يفعل والخير والشر يقاس به فما عمله فهو خير ، وما نهى عنه فهو شر ! ليس في ذلك إفتاء للعقل ، وتسليماً مطلقاً لتصرفات لا يقرها الشرع ولا العقل

ولا الطبيعة ١٥



## نظريّة الإلحاح، بين المستشرقين والمسلمين للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب

الاستشراق :

في السيطرة على قلب البلاد الإسلامية ومشرق  
الدعوة إلى هذا الدين الخفيف ، وهو الشرق  
الأوسط ، وهدم كل آثار هذا الدين ونزع  
تعاليمه من قلوب من يدينون به ، والحد من  
تقدمه وانتشاره عن طريق استبعاد بلاده  
وأبنائه قبل أن يهدد انتشاره الكنيسة ،  
ويعمل على تقويض أركانها .

ولم يتم للغربيين ما أرادوه . فكسوا  
على أعقابهم مدحورين بعد أن دارت رص  
الحرب زهاء قرن من الزمان على فترات  
متفاوتة .

ولكن هذا الروح لم تخمد في نفوس  
رجال الكنيسة خاصة والغربيين عامة بل إنهم  
حملوا للإسلام والمسلمين هذا الشعور الهدام  
الذي ظهر واضحاً جلياً في الاستعمار الحديث  
منذ القرن الثامن عشر .

وكان هدف هذا الاستعمار الغربي دائماً هو :

(١) إضعاف القيم الإسلامية ومحاولة  
تشكيك المسلمين في دينهم .

(٢) تمجيد القيم المسيحية ومحاولة العمل  
على نشرها .

كانت أول مقدمات الاستشراق في التاريخ  
هي الحروب الصليبية في القرنين العاشر  
والحادى عشر الميلاديين ، إذ وجهت  
الكنيسة في أوروبا الدعوى في جميع الدول  
الأوربية إلى المساعدة في تخليص بيت المقدس  
من أيدي المسلمين ، وصورت لهم المغارة التي  
ولد فيها السيد المسيح ، والبحيرة الرائقة التي  
سار عليها ، والهيكل الذي خطب فيه ،  
والأعشى الذي جعله مبصراً ، والمرأة التي  
حبس نزيهاً ، فالجند يحيطون به والطريق  
مخضباً بدمائه ، ثم أعمدة خشبية يجرها من  
ورائه وقد جعلت لكي يصلب عليها ، وقد  
تم صلبه ومات ليخلص البشر من خطاياهم  
( هكذا يعتقدون ) . أفيدع المسيحيون  
كل ذلك لمحمد وجماعته ؟

ونشبت الحروب الصليبية وهي لم تكن  
في حقيقتها وفي الباعث عليها حبا في تخليص  
بيت المقدس ولا رغبة في استرداد قبر المسيح  
وهيكله ، بقدر ما كانت خوفاً متأججاً في  
نفوسهم من الإسلام والمسلمين ، ورغبة

حياتهم وجهودهم العلمية على هذا العمل، ومن هؤلاء الأساتذة المعاصرين جيب Gib وفون جروتوم ودانييل وروزثال وكاتمن وأندرسن وسوتيان وآريرى والفريد جيوم Gillaum وميليو Milliet الفرنسى ولامانس وات Watt وغيرهم .

فصلين أن نهم كثيرا بهذا التيار المعادى وأن تتبع خطوات الإمام الشيخ محمد عبده فى رد هذا الهجوم بكل ما فى الوسع من جهد .

وكان جل ما اعتمد عليه المستشرقون فى رسالتهم الهدامة هو نفي أن الإسلام دين موحى به من عند الله . أما طريقهم إلى هذا الهدف فهو التشكيك فى رسالة محمد بإثبات بشرية القرآن ، وأنه كان يتصنع الوحى ، أو أن ما كان يبدو عليه حين الوحى إنما هى أعراض مرضى عصبى ، ثم أخيرا إلقاء الريب فى قلوب المسلمين عن طريق مناقشة موضوع انعدام المعجزات الحسية على يد النبي صلى الله عليه وسلم .

أولا : لإثبات بشرية القرآن :

ويقدم دليلهم المدعى على نظريتين :

النظرية الأولى : القرآن فيض من خاطر محمد أو انطباع لإلهامه :

ومن القائلين بهذه النظرية المستشرق المجرى اليهودى جولدتسيهر إذ يقول إن محمدا تأثر « بالعناصر الأجنبية ، التى كانت تسود

وكان أول حدث على فى تاريخ الاستشراق هو مكتب الترجمة الذى أمره ريموند ، أسقف طليطلة بإنشائه عام ١١٣٠ ميلادية ، فترجم أعمال ابن رشد وابن سينا والفارابى والكندى . ثم قام هذا المكتب بعمل أول ترجمة عرفت فى التاريخ للقرآن وعرض الأسقف كنيث kennett هذه الترجمة عام ١١٤٣ م على دكتينى لدراستها والرد عليها . فكان هذا هو أول ما عرف عن الاستشراق الغربى .

والاستشراق اليوم علم قائم بذاته . فى كل الجامعات الأجنبية الكبرى ، فى إنجلترا ( كبريدج وأكسفورد ولندن وأدنبرة ) وفى فرنسا ( باريس ) وهولندا ( ليدن وأمستردام ) وألمانيا ( هيدلبرج وميونخ وهامبورج ) وإيطاليا ( روما ) وأمريكا الشمالية ( هارفارد وكولمبيا ونيويورك وكورنل وكاليفورنيا وشيكاغو ويسيل وبرنستون ) وفى كندا ( ماك جيل Mci Gill ) ومونتريال وتورنتو ) - فى كل هذه الجامعات وغيرها دراسات شرقية منظمة تدار على نطاق واسع . لا يقصد منها دراسة موضوعية للإسلام والعلوم الإسلامية بقدر ما يقصد بها تصوير انقطاض ضعف وهمة فى الإسلام والعلوم الإسلامية .

والكتب التى تؤلف اليوم فى هذا النطاق تخرج بالعشرات من أساتذة متخصصين وقفوا

يسكن في قصة زيد بن حارثة وزوجته بنت جحش التي تزوجها محمد (عليه الصلاة والسلام) بعد طلاقها من زيد بناء على أمر من الله عز وجل .

فإن النقطة التي دار حولها الجدل هي أن النبي (عليه الصلاة والسلام) يبرر رغباته الشخصية بوحى إلهي ، ويدعى أن عائشة رضى الله عنها قالت لمحمد عليه الصلاة والسلام : « أرى أن الله يسرع لتحقيق رغبتك » .

ويختتم دانييل كل ذلك بقوله : إن الغريبتين لا يمكنهم التسليم بصحة الوحي المؤقت الذي ينزل لإجابة هي مشكلات سياسية واجتماعية متجددة .

النظرية الثانية : القرآن تسطير للتعاليم التي تلقاها محمد من الأحبار اليهود والقساوسة المسيحيين .

يقول بهذه النظرية مستشرقون كثيرون نذكر منهم ما يلي :

المستشرق جولد تسيهر وهو يقول : إن تبشير محمد ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتي رآها جذيرة بأن توظف عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه .

يقول الأستاذ جون نوس Gohn Noss

منطقة مكة في وقته . وقد بلغ هذا التأثير مبلغه فأدرك بقوة إيمانه الأصول التي تستند إليها تلك الأفكار حتى أصبحت عقيدة انطوى عليها قلبه . وصار من كثرة إيمانه بها يعتقد أنها وحى إلهي وأنه أداه لهذا الوحي . ( كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥ ) ويتمثل جولد تسيهر في هذا الشأن بعبارة قالها هارناك ، عن الأمراض التي تصيب الرجال الذين يرتفعون فوق مستوى البشر ، والذين يستمدون منها حياة جديدة كانت تعتبر بمجهولة من الناس قبل ذلك ، كما يتخذون منها قوة تهدم كل ما يصادفهم من عقبات . ( المرجع السابق ص ٦ ) .

ويستطرد جولد تسيهر في نظريته فيقول : « لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعود السكبان القدماء وضع نبوءاتهم فيه ، ولو جاء في شكل آخر لما رضى أى عربي أن يرى فيه قرآناً موحى به من الله . وما أعظم الفرق بين جميع السور المسكية وجميع السور المدنية . بينما نرى محمداً يسود في الأولى رؤاه الكشفية الإلهامية visions فقرات مسجوعة متقطعة وفق صوت ضربات قلبه المحموم ، نرى الوحي في الثانية يتخذ لنفسه الشكل السجعي لكنه مجرد من اندفاعه وقوته ، حتى في الحالات التي أعاد فيها النبي طرق الموضوعات التي تناوّلها في السور المسكية .

ويقول دانييل مؤلف كتاب الإسلام والعرب : إن دليل الوحي النفسى

أولاً بشرية الفرائد عند المستشرقين :  
ونجمل أدلة المستشرقين في إنبات تخلف

الإيحاء الإلهي عن القرآن فيما يلي :

١ - يعمل المستشرقون فقط على الجزء القصصى فى القرآن ويصفونه بأنه ترديد لما جاء بالعهد القديم والعهد الجديد . وهذا دليل النقل فى نظرهم .

٢ - يوجهون النقد إلى أسلوب القرآن ١١ فينبسبون إليه التكرار والحشو والتخيل ويقول فى ذلك الأستاذ فون جرونوم الأستاذ بجامعة كاليفورنيا بأن محمداً فى القرآن لم يصل إلى مرتبة أفلاطون لأنه فى كثير من المراجع انحدر أسلوبه إلى مجرد فقرات غير متصلة خالية من الترابط المنطقى (١)

٣ - إن القرآن لا يقف عند حد التعارض فى كثير من الأصول العقائدية مع الكتب السماوية السابقة ، بل يتعدى ذلك إلى التصادم بينه وبين الفلسفة وما يقتضيه العقل الطبيعى . وهو فى كثير من المواضع غريب يصدم فى غرابته القارىء الغربى الذى ألف الكتب المنطقية .

٤ - إن القرآن يتضمن سوراً باسم النحل والعنكبوت والدخان وهى أسماء لا تصلح - فى نظرهم - لأن تكون موضوعاً للوحى الإلهى (٢)

٥ - إن طريقة تجميع آياته تدل بذاتها

(١) فون جرونوم - اسلام للمصور الوسطى  
ص ٨٠ طبعة ثانية

(٢) دانييل المرجع السابق ص ٥٨ - ٦١

أستاذ الفلسفة بكلية فرانكلين ومارشال الأمريكية فى مؤلفه « أديان الإسلام » :

إن الإسلام يزعم ويفخر بأن القرآن يكمل أنصاف الحقائق التى أنت بها الأديان السابقة ، مع أن كل من له دراية بالأديان العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن أن محمداً نقل كثيراً من تعاليم الأديان الأخرى . ومع أنه اعتمد كثيراً على التقاليد الموسوية والمسيحية فى تصوير العلاقة بين الإنسان وربّه فى التاريخ ، وكذلك نقل عن السابائيين والزوروسثانيين ، إلا أنه أسبغ على الله - ربه - ثوباً من الخلق العربى والشخصية العربية .

ويرى هذا الرأى أيضاً الأستاذ إبراهيم كاتش أستاذ الحضارة والثقافة العبرية بجامعة نيويورك فيضع مؤلفاً كاملاً لموضوع المصادر اليهودية للقرآن أسماء « اليهودية فى الإسلام » ، إذ يقول فى مقدمته :

إن محمداً لم يكن يقصد فى أول الأمر الدعوة إلى الإسلام كدين جديد ، إذ اعتبر نفسه الأمين الشرعى على الكتاب المنزل من عند الله Scripture لتأكيد « الكتب السماوية القديمة » ، ولهذا السبب لم يجد فى أول الأمر فارقاً بين اليهودية والمسيحية واعتقد أن اليهود والمسيحيين سرحبون به حتى إذا ما تحقق له أنهم لن يعصدهوه ولن يساندوه تقدم بالإسلام كدين جديد .

الإنجيل وهو لاحق للتوراة بحوالى ألفي سنة ؟ ولا يمكن لمحمد أن يكون قد تلقى هذه التعاليم عن اليهود والنصارى كما يزعمون وقد ورد في القرآن ما نصه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والسكفاد أولياء ، مع أن هذا النبي لم يكن وليد حقد عليهم ولا تنافس معهم إذ جاء في القرآن الحكيم : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٢ — أما تنافر أسلوب القرآن وتبويب آياته مع المنطق فهو مردود بأن القرآن لم ينزل دفعة واحدة بل جاء منجماً على ثلاثة وعشرين عاماً حفلت بالحوادث التي كان نزوله مرتبطاً بتطورها ومنها المقشاة ومنها المتجدد ، لذلك كان لا بد عند تقدير هذا العمل الإلهي من أن يعتبر سبب نزول كل آية واهتقاع التاريخ المفصل لكل حادثة وبغير ذلك لا يمكن أن يفهم معناه على وجه سليم وأن تقدر قيمته ، ولا شك أن عظمة القرآن ومنطقه يبرز في ذلك لأن السكلمة المناسبة عند الحاجة إليها كالماء لا تعادله كنوز الأرض عند الظلم .

على اصطناعه ، وتبويبه غير منطقي يصعب معه تبين كيفية ترتيب آياته أصلاً . مناقشة هذه الأدلة :

١ — افترض المستشرقون أن النبي (عليه الصلاة والسلام) اتصل بأخبار اليهود والقساوسة المسيحيين وأخذ عنهم القصص التي وردت بالقرآن بدليل ورودها متشابهة مع القصص التي وردت بالتوراة والإنجيل ، ونقول إنه لم يبق دليل على هذا الاتصال المزعوم ، فضلاً عن أن حقائق التاريخ تكذبه فضلاً عن أنهم يتخذون من هذا الاتصال المزعوم مقدمة لدعواهم ليرتبوا عليها النتائج التي يريدون أن يخلصوا إليها . وفي هذا مصادرة على المطلوب ، فالثابت أن اليهود كانوا متركزين في يثرب وفي خيبر وفي اليمن ومنذ أن هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بدأوا في مناصبته العداء وهو نابذ أخبارهم<sup>(١)</sup> أما المسيحية فكيف تكون أصلاً للقرآن وقد جاء القرآن حرباً على أصولها وأهمها نظرية التثليث وصلب المسيح السلام « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

وفضلاً عن ذلك فلماذا يوجه المستشرقون هذا النقد إلى القرآن لجرد تشابهه مع التوراة والإنجيل في جزئه القصصى ولا يوجهونه إلى

(١) السيد أمير على في مولفه بالانجليزية « روح الإسلام » ، طبعة ١٩٦١ م ٦٦ وما بعدها .

مدلولات المحسوسات وتعريفات المسميات .

٣ — إن الطابع الإلهي في القرآن جلي ظاهر فطريقته في مزج العقائد والمواظ والحكم وأحكام المعاملات والآداب بعضها ببعض في الآيات المتفرقة في السور لم يسبق لها مثيل في كلام العرب .

وفضلا عن كل ذلك فإن خلود هذا الكتاب مع جدته دليل على ألوهيته . إنك في كل مرة تقرأ فيها آية من آياته أو سورة من سوره تجدده كما هو جديدا على السمع تفتح لك فيه معان جديدة لم تكنشفها من قبل ويزداد فهمك إياه فتزدقه وتؤمن به . ولا شك أن هذه الخصائص لا تصدق على كلام البشر ولو كان كلام محمد عليه الصلاة والسلام .

٤ — لو كان القرآن من صنع بشر لما تضمن تلك الآيات التي تبلغ من السمو ما لا يمكن لعقل بشري بلوغه لأنه اختراق للحجب واسقشفاف لأسرارها العليا ومن ذلك قوله تعالى :

« يا معشر الجن والإنس ، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .

أنبيا: العومي المدهي لبس، الأمراض عيبا  
عرض دانييل في مؤلفه (الإسلام والغرب)  
آراء المستشرقين الرهبان في الإيحاء إلى محمد  
برسالة الإسلام فقال :

وكفى تدليلا على تنزيل القرآن من عند الله ما جاء في سورة آل عمران :

« هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيقبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد » .

إن غرابة أسلوب القرآن وتميزه عن الأسلوب البشري هو بذاته دليل على أنه تنزيل من عند الله وأنه أوحى به إلى محمد عليه السلام ، وتظهر هذه الغرابة من مقارنة القرآن بالحديث . ففي تنوعهما وعظم الفارق بينهما دليل على دحض مفتريات المستشرقين ببشريته ؛ لأن الشخص لا يستطيع أن ينوع كتاباته كيفما شاء . فللكتابة خصائص ولوازم كالخط .

ثم إن الغربي مهما تعلم اللغة العربية وآدابها لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة بلاغية تمكنه من الحكم على أسلوب القرآن ، لأنه يظل دائما أسير التفكير بلفظه الأصلية التي بها نطق أول ما تعلم النطق ، وبكلماتها انتقلت إليه

في كثير من الأحيان إلى غار حراء ليتأمل ويفكر . وكذلك لم يشترك محمد مع قريش في ندواتهم الأدبية التي كان الدخول إليها متوقفاً على بلوغ الرجل سن الأربعين ؛ لأن من عادات العرب أن صغارهم لا يجالسون كبارهم وأن الشاب صغير السن لا يسمح له بمناقشة الكبار ولا بالجلوس معهم في مجلس واحد .

ولم يؤثر عن محمد أنه قال أو فعل ما من شأنه أن يدل على حب الرياسة والشهرة أو البحث في شؤون السياسة ، بل لقد كان ليطمه ونشأته بعيداً عن والدين يحنون عليه أثر بعيد في عزوفه وعزلته وسموه عن أترابه . كذلك فإن الثابت أن محمد كان سليم البنية خالياً من الأمراض العضوية والعصبية ، إذ قبضه الله إلى جواره وهو في منتصف العقد السابع من عمره رغم ثلاثين عاماً أمضاها في جهاد وكفاح وحرب وأسفار مرهقة وتفكير مضن بما لا يمكن أن تتحمله بنية رجل مريض بجسمه أو بعقله .

وما أن بلغ الأربعين من عمره وكان محمد خالياً إلى نفسه بالغار متحشناً في إحدى الليالي حتى تمثل له جبريل وناداه : باسمه ثم قال له : اقرأ فقال ما أنا بقارئ ، ثلاث مرات ، وكان الملك بعد كل جواب يضعه إلى صدره ، ويعتصره حتى يبلغ الجهد من محمد مبلغه ،

د ينكر هؤلاء أمثال ريكولد ومارك التوليدى نزول أى وحى على محمد ويذهبون إلى أنها مجرد نوبات صرع epileptic كانت تتباه من حين إلى حين . ويقول سان بدرو إن حديث عائشة عن تصبب العرق من النبي وإصابته برعشة عندما كان يزوره الوحي يثبت صحة ما كان يتهمه به أبناء قريش من أنه كان منجماً أو عرافاً . ثم يعرض دانييل لما يقوله روجر بيكون من أنه في جميع الأديان حتى الوثنية منها ، يؤمن الناس بأن الله قد أوحى بهذا الدين . وعلى هذا يعتقد المسلمون بأن محمداً قد أوحى إليه من عند الله ؛ لأن هذا هو ما قاله لمحمد . ويصل الحد بهذا المستشرق إلى القول بأن ما كان من نبوة محمد ليس وحياً وإنما كان امتلاكاً شيطانياً

**الرد على هذه المزاعم :**

الأمر المسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يظهر بمظهر عقلى أو علمى يدل على مستقبله ولم تكن لديه مواهب أدبية ظاهرة حتى بلغ سن الأربعين . أما قبل ذلك فلم يكن إلا رجلاً صادقاً أميناً يشتغل برعى الغنم والتجارة .

ولا شك في أن الثابت أن محمداً لم يشترك مع قومه في عبادة الأوثان بالكعبة بل كان يفضل الخلود إلى الوحدة ، فيذهب



ثم انقطع نزول الملك عليه مدة ، قوى  
أثناءها محمد واستعد للتلقى واشتد إليه شوقه  
وحينه . ثم بعد ذلك وبينما كان يسير سمع  
صوتا من السماء فرفع بصره فإذا الملك الذي  
جاءه بالغار ، فرجع إلى أهله وتزمل وتدثر  
فزلت عليه الآية :

« يا أيها المدثر . قم فأندر . وربك فكبر .  
وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ثم تابِع  
الوحي فكان تبليغ رسالة السماء . (١)

ولم يكن خوف محمد واضطرابه من الوحي  
واشتداد رعبه حتى يتصبب عرقه ويرتعش  
جسده ، لم يكن كل ذلك نتيجة مرض عصبي  
ولأنما هي حال الرجل الذي يفاجأ برؤيا  
شيء لم يحسب له حسابا ولم ير مثله من قبل  
ولو كان يعلم أن هذا الملك سيظهر له ،  
أو أن الوحي سينزل عليه لو طد نفسه على  
عدم الخوف ، ولما ذهب إلى أهله خائفا  
يلتمس الغطاء والدثار ويخشى على نفسه  
الهلاك وهو الذي دأب على التحدث  
في الغار من قبل وحيداً لا أنيس له  
في النهار ولا مسكن لوحشته بالليل ،  
فلو كان محمد كاهناً أو عرافاً لما انزعج قلبه

وكانه بهذا العمل يوصل إليه قوة روحانية  
ضخمة سيحتاج محمد إليها عندما يتلقى الرسالة  
الإلهية ، فلما ضمه في المرة الثالثة وأرسله  
قال له :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق  
الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم ،  
الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ، (١)  
رجع محمد إلى بيته بهذه الآيات وفؤاده  
يرتجف ، وقال لزوجته خديجة : زملوني  
زملوني ، فلفته خديجة بتيابها وصبرت حتى  
ذالت رعدته ، واطمأن خاطره وقال محمد  
لخديجة : لقد خشيت على نفسي من الهلاك  
والضرر فرددت عليه قائلة : كلا والله ما يخزيك  
الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل  
وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين  
على نوائب الحق .

(١) كان أول اتصال لمحمد بالوحي عن طريق  
الرؤيا الصادقة التي تتحقق كإنلاج الصبح أي أن  
ما كان يراه بمناخه يتم على حقيقته في البقعة . ومثل  
هذه الرؤيا رآها يوسف عليه السلام وحكاما لوالده  
فنها عن روايتها لإخوته :  
« إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحدهم  
كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال  
يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا  
لك كيدا . . . »

(١) تعبيراً عن شدة الوحي وعدم طاقة محمد إياه  
في أول الأمر قال تعالى « إنا سنلقي عليك  
قولا ثقيلا » .

وقصة يوسف موجودة في التوراة ويسلم بها  
اليهود والمسلمون وبذلك يؤمن هؤلاء بالرؤى كما  
يؤمن بها العلم الحديث .



من الذين إذا رأيتهم افتخرت أن تكون واحداً من أشياعهم؟

هل عهد أحد في تاريخ الإنسانية أن المرضى المهوسين يصلحون لقيادة أنفسهم فضلاً عن التصدي لقيادة الأمم وإيصالها إلى أوج لم تصل إليه أمة قبلها ولا بعدها؟

**التفرقة بين الوحي والإلهام :**

والآن ننتقل إلى نقطة هامة في هذا الموضوع وهي البحث فيما إذا كان الوحي إلهاماً يفيض من نفس الرسول الموحى إليه أم أن الوحي شيء جاء من عالم الغيب؟

مضى كفا قد أقننا الدليل العقلي على أن محمداً لم يبتدع القرآن وإنما هو كلام الله لفظاً ومعنى ، كان لنا أن نستند إلى آيات القرآن لتدعيم نزول الوحي :

قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء لأنه على حكيم » .

وقد قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد بعد تعريف الوحي لغة :

« وقد عرفوه شرعاً بأنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه ، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتمثل

ولما ارتعد خوفاً من هذا الملك الذي تحدث معه ، ولكنها التجربة الجديدة التي لم تخاطر له على بال هي التي أحدثت ظاهرة الخوف هذه ، ومن ناحية أخرى فإن الرجل الذي خلق دولة الإسلام من العدم ، لا يمكن أن يكون مصاباً بمرض عصبي ؛ لأنه إن كان مصاباً بهذا المرض وجب أن يكون هدفاً لجميع أعراضه من شذوذ الأخلاق والحساسية المتطرفة والخفقان والهذيان ، ولم يؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان مصاباً بشيء من هذه الأعراض .

وقد كتب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى رداً على مفتريات المستشرقين من أن محمداً كان يتصنع الوحي ما نقله هنا :

إذا كان محمد وهو مستيرى مريض في رأيهم يوفق إلى مثل هذه الأمور الجسام ، حتى يغير سطح المعمورة من حال إلى حال ، بما لم تأت بمثله أقيان الفاتحين ولا كبار الملوك والسلاطين ، بل ولا أولو العزم من المرسلين فماذا كان صانعاً لو كان رسولا حقاً يرى الملك ويسمع منه الوحي ؟ .

ولو كان هذا حال رجل خيالي مريض شاذ الأخلاق ، وعرضه لجميع الأمراض التي ذكرناها ، أى من الصنف الذي إذا رأيت رحمته واستعدت بالله من حاله ، فماذا بقي للصادقين الكاملين وللأصحاح العاملين ،

ويقول سبحانه :

« ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده . »

« قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للسليين ، ( سورة النحل ) . »

\*\*\*

ومن المفيد هنا أن نذكر أن بعض علماء الاستشراق قد اهتموا بالوحي لمحمد . ومن هؤلاء إدوارد موتيه الذي قال في مقدمة ترجمته للقرآن :

( كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بني إسرائيل في القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية وفكرة وجود الألوهية متمكنين من أولئك الأنبياء أسلافة ، فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسى وهذا التضاعف في الشخصية اللذين يحدثن في العقل البشرى المراتى والتجليات والوحي والأحوال الروحية التى من بابها ) .

أما اتهام المستشرقين للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه كان بسخر لإلهامه الداخلى لتحقيق أغراضه التى تنبؤ عن الطريق السوى ، فظاهر الفساد ؛ لأن الحادثة التى يحدثون بها وهى زواج النبي من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة إنما كانت لغرض التشريع

لسمعه أو بغير صوت ، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام : وجدان تستيقنه النفس وتفسق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ، فالوحي revelation غير الإلهام inspiration لاذ يتميز عنه بأن دليله خارجى عن النفس الموحى إليها ، فهو الكلام الذى يلقى فى قلب الرسول سواء من خلف الحجاب كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة ، أو بواسطة ملك مرسل من عند الله فيراه الرسول متمثلا فى صورة بشرية أو غير متمثل ويسمعه منه أو يعيه بقلبه <sup>(١)</sup> .

وإذا شهدنا القرآن وجدنا من آياته الكثير الذى هو دليل نزول الوحي على محمد ، فيقول الله تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزل على قلبك بإذن الله ، مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للؤمنين ، ( سورة البقرة آية ٩٧ ) . »

ويقول أيضا هز وجل :

« ولأنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ، . ( سورة الشعراء آية ١٩١ وما بعدها ) . »

(١) الإلهام أو الوحي النفسى هو الإلهام الفاضل من النفس العالية وهو ما حاول بعض المستشرقين إثباته الذى محمد عليه الصلاة والسلام نبيا لالوحي .

يؤكد إلغاء الشريعة المسيحية (العهد الجديد) بمعجزات أخرى يأتي بها محمد لو أراد نسخ هذه الشريعة بالقرآن .

ومن الغريب أن الأستاذ سويتان لم يورد ما قاله الخليفة المهدي ردا على البطريك في ذلك .

والمسلمون يردون على هذه الحجة بقولهم: إنه رغم إتيان النبي محمد عليه الصلاة والسلام ببعض المعجزات الحسية كسألة نبع الماء من بين أصابعه ، وتسميع الحجر في كفه وانشقاق القمر ، وسجود الجبل بين يديه ، إلا أنها لم يقصد منها أن تكون دليلا على رسالته بل كانت معجزته كتابا وبيانا .

والسبب في اختلاف معجزة النبي محمد عن معجزات من سبقه من الرسل ، أن المعجزات تختلف تبعا لاختلاف نوع الرسالة . فإذا كانت الرسالة محلية ، يقصد بها إقناع قوم معينين من الناس ، كانت أدلة الرسالة حسية مقصودا منها هداية هؤلاء القوم خاصة ، ففي وقت بعثة موسى عليه السلام كان السحر هو مقياس العظمة والجبروت وهو الذي يبحث النفوس على التصديق بمكانة الشخص . فكانت معجزة موسى هي السحر بأوسع معانيه من انقلاب العصاة إلى حية ابتلعت حبال السحرة الآخرين ، إلى انشقاق البحر ليتسع لعبور قومه هربا من فرعون . في ذلك قال الله تعالى : ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه ، .

إذ كان زيد هو ابن النبي بالتبني وكان العرب يحرمون امرأة الدهي كإسراء الابن الحقيقي فأراد الله أن يقضى على هذه العادة فقطع بزواج زينب من النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال عز وجل : فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا .

ثالثا : تخلف المعجزات الحسية كدليل لنفي الإيحاء :

يعرض الأستاذ سويتان Sweetman في كتابه (الإسلام واللاهوت المسيحي) (١) لمناقشة دارت بين الخليفة المهدي والبطريك تيموثي Timothy حول مذهب التثليث في المسيحية وغير ذلك من الموضوعات الاعتقادية الهامة كصفات الله وموت المسيح عليه السلام والكتب المنزلة وغير ذلك . ويقول : إن الخليفة المهدي سأل البطريك بقوله : ( هل تصدق بأن القرآن كتاب منزل من عند الله على محمد ؟ ، فيجيبه تيموثي بأنه لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال مباشرة وكأنه يستطيع أن يؤكد أن الكتب السماوية (الرسالات) أكتتها خوارق ومعجزات . فلما أراد الله أن ينسخ الشريعة الموسوية أكد ذلك بمعجزات عيسى ، وكان يجب لذلك أن

(١) القسم الأول من المجلد الأول طبعة ١٩٤٥ ص ٨٠ .

احترام العقل في الإسلام هو كرامة من  
الكليات : « هل يستوى الذين يعلمون  
والذين لا يعلمون ، .

والقرآن يقدم نفسه بنفسه في تحد ظاهر ،  
فيقول سبحانه وتعالى :

« قل لأن اجتمعت الإنس والجن على  
أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله  
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . ولقد صرفنا  
للناس في هذا القرآن من كل مثل ، فأبى  
أكثر الناس إلا كفوراً ، .

وكان الله على علم بتكذيب الناس للقرآن  
فقال سبحانه :

« أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور  
مثله مفتريات ، وإدهوا من استطعتم من  
دون الله إن كنتم صادقين ، .

هذه هي نظرية الإيحاء \* \* \* ألقيتها إليكم موجزة  
ومنها ترون مدى ما يصل إليه المستشرقون  
من إسفاف في هجومهم على هذا الدين  
الحنيف الذي لم يتلق بعد من أبنائه إنصافاً  
بالدفاع عنه أمام هذه المفتريات ، ولكنه  
لا يزال وسيظل أبداً شاخ البنيان يحفظه الله  
عز وجل إلى يوم الدين ، « يوم يقوم الناس  
لرب العالمين ، .

دكتور محمد البري عبد الوهاب

وفي زمن المسيح عليه السلام كان سبيله إلى  
محاربة الوثنية الطاغية آيات حسية أخرى  
كشفاء الأعشى والأبرص والأكمه وإحياء  
الموتى إلى غير ذلك من آيات عيسى .

أما إن كانت الرسالة قد قصد منها إلى أن  
تكون عامة للخلق جميعاً كالإسلام وأن يختم  
الله بها رسالات الرسل ، فإنه يجب ألا تكون  
خارقة حسية تظهر في عهد الرسول المبلغ لهذه  
الرسالة ثم تنقضى وتصبح في خبر ماض بعد  
وفاته ، بل اقتضت حكمة الله عز وجل أن  
تكون معجزة خاتمة الرسل باقية الأثر لاتزول  
بوفاته بل تبقى خالدة أبد الدهر ناطقة  
بالإعجاز ، معلنة التحدى على المنكرين ما بقي  
أثر للوجود الإنساني .

يقول الله تعالى في عموم الرسالة الإسلامية :  
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً  
ونذيراً ، .

« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد  
وجئنا بك على هؤلاء شهيداً . يومئذ يود  
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى  
بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً ، .

فالقرآن لم يأت إلا بعد أن اكتمل النمو  
العقل في البشرية وأصبح الإنسان قادراً على  
تفهم إعجاز اللفظ ، فكانت معجزة باقية  
تخاطب الأجيال جميعاً ، والأمم جميعاً لأن

# طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيب

- ٢ -

معنى الزحاف

هذا وقد يحى الشاعر في جزء الرجز بمقطع قصير في مكان الضربة الثانية هكذا :-

\*\*\*  
م    ت    علن  
تم   تم   تم  
\*\*\*

وقد يجمع بين النوعين هكذا :-

\*\*\*  
م    ت    علن  
تم   تم   تم  
\*\*\*

وفي كل ذلك تجده يقدر في نفسه سكنات بعد المقاطع . أو فجوات زمانية تحل المقاطع في جوفها من غير إخلال بالناسب . وهذا التقدير للسكنات والفجوات من جانب الشاعر هو الذى سماه الخليل وأصحابه بالزحاف . وعندى أن هذه حقيقة معناه . تأمل مثلا الأبيات السابقة من رجز دريد . فإنك تجده قال في الشطر الثانى :

أخب فيها وأضع

وضربات هذا من حيث نسبها الزمنية هكذا:

أخب    فى    ما    وأضع

تم   تم   تم   تم   تم   تم   تم

والآلف والواو كما ترى حولها لجوات زمانية ، أو بعدها سكنات ، أى التعبير ساغ لك فذاك . وليس بعد أى اختلال فى حقيقة الوزن . وليس ثم اختلاف بين أصول نسب الزمانية فى هذا الشطر وبينها فى الشطرين :-

يا ليتى فيها جذع

أفرد وطفاء الزرع

ولا ريب أن التقطيع العروضى بالمقاطع أو بالأجزاء الخليلية يظهر شيئا كآه خلل وليس به .

وفى اصطلاح العروضيين لفظ الزحاف ما يشعر بأنهم رأوه من قرى الخلل . إذ أصل الزحاف من زحف البعير إذ أعيا جرح فرسه . فكان الشاعر عندهم أصابه إعيا جرح فرس كلامه جرا ليكمل التفعيلة (١) . وأحسب

(١) على أن هذا الوصف نفسه لا يخلو من إدراك عميق لحقيقة الزحاف للموسيقية من جانبهم إذ كما أنهم فطنوا إلى أن النغمة فى ذات نفسها تامة وأن تلك المقاطع زاحفة .

فراومه ، وبقى قليلون من أهل الذوق الأصيل يطلبون السر السكين في موسيقا النفاعيل ، كطلبهم السكال الإيقاع المنطقي . من هؤلاء أبو تمام وأبو عبادة البحرى على حذر منهم وفتية إزاء الذوق الذى كان يعاصرم وقد كان أبو تمام أعمد إلى أن يزاحف فيما يحسى به . إلا أن البحرى كان أخبر بحيث ينبغى أن يقع ، وقد كان المتنبي يمرض عن ظاهر الزحاف إلا الحرم ، وعسى أن يكون من أسباب ذلك أنه كان رجلا محاربا تلتبس في أشعاره السقطات ، فكان لا يألوا تجويدا على أنى أرجح : أنه كان أصيل بطبقة إلى الاندفاع والإقدام فهذا مما كان يحول بينه وبين السكتات الطوال ، وعسى أن يكون مذهبه في الحرم من دلائل إقدامه واندفاعه كقوله :  
لا يحزن الله الأمير فإنى

سأخذ من حالته بنصيب

ويبدو لي أيضا أنه قد استبدل ما يكون من سكتات الأوائل بالاختلاس وهذا قد كان يقع في أشعارهم كالذى رواه سيوبه من قولهم <sup>(١)</sup> :

له رجل كأنه صوت حاد

إذا طلب الموسيقى أزمير

ومن قولهم :

وأيقن أن الخيل إن تلتبس به

يكن لمسيل النخل بعده أبر

(١) السكتات بولاق ، ١ / ١١ .

أنهم أرادوا هذا الاصطلاح أول الأمر  
لأمثال قول الأخطل :-

مفترش كافترش الليث كذلكه

لوقعه كأن فيها له جزر  
وقول امرئ القيس :-

ألا رب يوم لك منهن صالح

ولا سيما يوم بدارة جلجل  
ثم اضطروا إلى إطلاقه على غيره مما يشبه  
من مخالفة المقاطع للانفعيلات . الذى لا يظهر  
أمره لإذن العروض كالذى يقع من الإضمار  
في الكامل ، وشاهد العروضيين كما نعلم :-

وإذا سكرت فإنى مستملك

مالى وعرضى وافر لم يكلم  
وعندى أن نحو ( مفترش ) و ( الأرب  
يوم لك منهن ) ليس بأبعد من صحة النسبة  
الزمنية من ( أحب فيها وأضع ) كل ما هناك  
أن السكتة بعد التاء من « مفترش » أدخل  
في حاق السكتة الموسيقية وأقدم في ذلك  
من أن يلوكمها إخراج الكلام .

وقد كان القدماء من الشعراء يعرفون هذا  
ويدركون صحته وتلذذهم حلاوته ؛ إذ التعبير  
الموسيقى قد كان من ضمن تعبيرهم للشعرى .  
أما المحدثون فقد بعدوا شيئا من الفطرة  
العربية ؛ إذ صار أمر الصناعة التى يدركها  
الحس اللامس والناظر أسرع إلى إجماعهم ،  
وكان الإحكام بملء كل لجوة في النفاعيل ،  
مما يجرى مجرى الصناعة المرتبة الملموسة

## معنى الاختلاس :

والاختلاس كالزحاف سواء بسواء .

وأعجب للعروضيين ؛ إذ لم يذكروا في باب الوزن ولعلمهم اكتفوا بذكر التحويين له في باب إشباع الضمائر كاللدى مربك من استشهاد سيبيويه ، ولا ريب أن الاختلاس مذهب موسيقى صادق التعبير عن نفس المنفى الساخن الجارف - وإقدامه عليه - وكان معاصروه أشد له عيبا منها لكثير من أصناف الزحاف - مما يدل على أصالة الرجل في موسيقا الشعر العربي وصدق فطرته وقته . تأمل مثلاً قوله :

طوى الجزيرة حتى جاني خبر  
فزهت فيه بآمالى إلى الكذب  
تعثرت به الأفواه السنها

والبرد في الطرق والأفلام في الكتب  
وقد جمع في قوله ( تعثرت به ) زحافا خفيا  
مع الاختلاس كما ترى ، وهذا في قصيدة مما  
احتفل له وهو ناضج يعرف كيف يقول ،  
فلا يسبقن إليك أنه قد ذل (١) وقد روى أنه

(١) قد يكون الاختلاس أحيانا من الزلل  
وضف الملائكة بلا ريب كاللدى يقع كثيرا في شعر  
الشريف محمود فباد والتواصي كقوله ( ديوانه ،  
طبع تونس ، رقم ٤ / ٣١ بمكتبة المطارين  
بتونس ص ١٧ س ٥ ) :

وامتز من أهرام مصر قواعد  
وابتر من ديوان كسرى بناء  
والاختلاس في ألف كسرى ، وكقوله ( ص ١٧  
س ١٥ ) :

يفته خوفه أن لسل بيوفه  
لكنها أغصاهم الأضواء  
وقوله : - ( ص ١٨ ) :

كان ربما أشد . تعثرت بك ، (١) فأحسبه  
إن فعل ذلك إنما كان يلتمس ، ألا يخرج  
بالسؤال من بعض من قد بنفس عليه وهذا  
من باب التقية اللازمة أحيانا ، وبين قوله  
( تعثرت به ) و ( تعثرت بك ) بون بعيد ،  
ومكان الجودة من الأولى لا يخفى .

هذا وتأمل اختلاسه في قوله :

ولا إلا بأن يصنى وأحكي

فليت لا يتيه هواكا

هذه هي الرواية الجيدة المشهورة ، وروى  
، فليتك ، وهي منفاة ، وهذه القصيدة آخر  
ما نظمه المنفى وهي من عيون شعره

وحقيقة الاختلاس هي تحويل الضربة  
التامة إلى نذنين متلاحقتين ومن هنا كان  
كأنه عكس للزحاف ، إذ هذا يعوض إيقاع  
المقطع بالسكوت ، وأقول ( كأنه ) لأن  
هذا مجرد تقريب وتمثيل ، ولزيادة الإيضاح

= ويكاد رأيه أن يبارى رؤى

فتلوح بل وجودها الأشياء

وقوله : ( ص ٢٠ )

لقد كان في حلم الأمير وصفحه

ردع يظنه مثلكم لغراء

ورفع الهزة هنا مفكلا إلا أن يكون اتباعا طي  
الحكاية في ردع وهو بعيد . وفل أن يؤق قباد  
من جهة النحو . فيرجع إلى ديوانه ، فسي أن  
يكون هذا البيت من همزية منصوبة إذ هي أن  
تكون مقيدة ، والله أعلم .

(١) ديوان المنفى تحقيق الدكتور عبد الوهاب  
هزام ، مصر ١٩٤٤ ص ٤٢٣ - هامش ٤ .

لمن طلال أبصرته فشجاني  
كخط زبور في عسيب يمانى  
لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع  
كقولك :

فان أمس مكروبا فيارب غارة  
شهدت على أقب رخو اللبان  
وكذلك قولك في الكلمة الصادية :

على نفنقى هيق له ولعروسه  
بمنعرج الوعساء بين رصيص  
وقولك :

فأسقى به أختي إذ نأت  
وإذ بعد المزدار غير القريض  
في أشباه لذلك ، هل كانت غرائزكم لا تحس  
بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان  
مقامض الكلام وأنتم عالمون بما يقع فيه ؟  
كما أنه لا ريب أن زهيراً كان يعرف مكان  
الزحاف في قوله :

يطلب شأواً مرأين قدما حسنا  
فالا الملوك وبذا هذه السواق  
فان الغرائز تحس بهذه المواضع فتبارك الله  
أحسن الخالقين .

فيقول امرؤ القيس : أدركنا الأولين من  
العرب لا يحفلون بمجىء ذلك ولا أدري  
ما شجن عنه . فأما أنا وطبقتي فكنا نمر في  
البيت حتى نأتى إلى آخره . فإذا فنى أو قارب  
تبين أمره للسامع .

أضرب لك مثلاً ما روي من قول المتنبي  
( فليتك لا ) وهذا جار على ترك الاختلاس  
وعلى جزم الوافر ( مفاعلتن ) وما هو مشهور  
من قوله ( فليت لا ) وهو جار على الاختلاس  
وجار أيضاً على جزم الوافر ( مفاعلتن ) ،  
فالأول بيانه عندنا شيء من هذا القبيل :

مفاعلتن  
فليتك لا  
تمتمتمتم

والثاني هكذا :

مفاعلتن  
فليتك لا  
تمتمتمتم

وهذا البيان تقريب وواضح منه ما نرى  
إليه ، إذ قد راث الشاعر في ضرباته الأوليات  
وجعل الأخيرة ثنتين متلاحقتين أو كالثنتين  
المتلاحقتين .

رأى المعمرى :

هذا الذى ذكرناه من أمر الزحاف  
والاختلاس من أنهما من عنصر الموسيقى  
الشعرية نفسه وليس بعيب يحسن تجنبه كما  
رأى أكثر المحذنين وقد تنبه أبو العلاء المعمرى  
إلى جانب كبير منه في وقفته مع امرئ القيس  
في رسالة الغفران إذ قال :

« فيقول ، لا برج منطقياً بالحكم فأخبرنى  
عن كلمتك الصادية والعضادية والنونية التى أولها :



وجلى من هذه المقالة أن المعرى كان يرى نحواً من هذا الذى نقول به من أن أوزان الشعر إنما هي نسب زمنية وضربات موسيقية ففى وقع عند الشاعر أنها استقامت له ، فلا بأس عليه أن يختلس المقطع أو يريث به فى داخل ما اختاره من قوالب الوزن والآيات التى ذكرها المعرى من شعر امرئ القيس مما يوضح هذا أبجل توضيح ... خذ مثلاً قوله : —

شهدت على أقب رخو اللبان

فهنسا فى أجزائه الثلاثة الأول ألوان من الزحف والخطف . إذ بعد ( شهدت ) سكنة يسيرة فى الهمة من ( أقب ) سكنة تكاد تختفى فى المد والتسهيل . وفى اللام الساكنة من « أقب إلخ » اختلاسة راقصة ، سببها لإتمام الجزء الثالث إتماماً مقطعيًا ، والذى يجرى عليه الشعراء مزاحفته بالقبض هكذا ( رخو لبان ) . ولا بد ههنا من التنبيه على أن قلقلة ( اللام ) مما يفسد سياق الموسيقى فى هذا البيت ، وكثيراً ما يقلتها المعاصرون ، وهى حرف هين لين ، والقلقلة تحدث فيه سكنة يزيد بها حجم النغم .

هذا وقول المعرى فى آخر حديثه : —  
« فيقول امرؤ القيس أما فما قلت إلا بزحاف ،  
هو النص الذى أردنا إليه من سياق الحديث

فيقول ثبت الله تعالى الإحسان عليه .  
أخبرنى عن قولك :

ألا رب يوم لك منهن صالح  
ولا سيما يوم بدارة جلجل  
أنتفذه ( لك منهن صالح ) فزاحف الكسف ؟  
أم تنشده على الرواية الأخرى ؟ فأما يوم  
فيجوز فيه النصب والخفض والرفع . فأما  
النصب فعلى ما يجب للفعول من الظروف  
والفاعل فى الظرف ههنا فعل مضمر . وأما  
الرفع فعلى أن تجعل ( ما ) كأنه ، وما الكافة  
عند بعض البصريين نكرة ، وإذا كان الأمر  
كذلك ( فهو ) بعدها مضمر ، وإذا خفض  
يوم فما من الزيادات ويشددسى ويخفف .  
فأما التشديد فهو اللغة العالية وبعض الناس  
يخفف ويقال إن الفرزدق مر وهو سكران  
على كلاب بجمعة فسلم عليها فلما لم يسمع  
الجواب أشأ يقول :

فأرد السلام شيوخ قوم  
مرت بهم على سلك البريد  
ولا سيما الذى كانت عليه  
قطيفة أرجوان فى القعود  
فيقول امرؤ القيس : أما أنا فما قلت  
إلا بزحاف : ( لك منهن صالح ) وأما المعلنون  
فى الإسلام فغيروه على حسب ما يريدون  
ولا بأس بالوجه الذى اختاروه اه (١) .

(١) رسالة الغفران للمعرى تحقيق بشت للعاظم .  
دار المعارف مصر - ١٩٥٠ - ٣٠٧ - ٣١٠ .

وفي خزانة الأدب رأى عسى صاحبه أن يكون  
نظر فيه إلى مقالة المعرى هذه (١) .

### ضربات الوزن

أمله الآن قد وضح مرادنا من القول بأن  
الوزن يدور على نسب وضربات لا على مجرد  
تفعيلات مقطعية ، وما ذكرناه بمعرض  
التبيين عن ألوان الزحاف الظاهر ، والتي  
حسبها المحدثون خللا وليست به ، مما يساعد  
على إبراز هذا المعنى

والآن فلفت القارىء إلى ألوان الزحاف  
الحقى والعلل مما تقبله المحدثون ولم يعيروه  
بأنه تنبو عنه الآذان كالذى تمثلنا به من قول  
دريد : —

أخـب فيها وأضع

وكالذى فى بيت عنقرة : —

وإذا سكرت فإننى مستهلك

مالى وعرضى وافر لم يكلم

قالذى نراه أن هذه الزحافات الخفية

فى ( مستهلك إلخ ) وفى ( أخب ) لم تنشأ  
عن عجز الشاعرين أن يوردا المقاطع التى تطابق  
ضربات ما أخذوا فيه من وزن اعتمادا على خفاء  
هذا المعجز عن أذن السامع . كلا ولكننا  
نرى أن طبيعة الصياغة الشعرية عندهما هى التى  
اقتضت أن يفعلا ما فعلاه . وكذلك يفعل  
كل شاعر . إذ لا تجد شاعرا يجرى ضربات  
وزنه مطابقة كل المطابقة لضربات التفعيلات  
النوذجية ، وإنما يغير وينوع . فيطيل حيناً  
ويقصر حيناً . والعروضى قد يعتذر له  
عن ذلك بأنه غير ناب عن الأذن وإن يك  
دحاقا . والعروضى يخطئ فى هذا الاعتذار ،  
إذ قد غاب عنه أن الشاعر إنما أراد ليسر  
الأذن لا مجرد ألا يذو وزنه عنها . لا بل  
إنما أراد أن يستغل مادة الوزن النغمية  
فى البحر الذى هو بصده أتم استغلال  
ويستخرج خيوة أسرارها ليعبر به عن جانب  
هام من معانيه ؛ ذلك بأن معانى الشاعر لا تقتل  
كلما فى نفسه ليسكون تعبيرها من طريق اللفظ  
المبين ، ولكن جانباً كبيراً منها يروم أن يكون  
تعبيره من طريق النغم والرنين . والزحاف  
من أكبر ما يستعين به الشاعر فى هذا الباب .

(١) أحسبه فى أوائل الجزء الأول وقد منى

الحركات والسكنات والحروف :

على أن سكنات الزحاف وخلجات الاختلاس وضربات الوزن ، كل ذلك لا يتضح انضاحا موسيقيا حقا إلا مع الحركات والسكنات وضروب اللين والإشباع والمد والشد والإمالة والإشمام والنحارج التي تخرج بها الحروف . ولا يسبقن إلى وهمك أن تربط هذا بكلمات الشاعر من حيث هي أدوات للبيان المحض ، ونعني بالبيان المحض مدلول نقول الظاهر فإن لهذه جميعها قوة تعبير نغمية ، أدخل في حاق الوزن منها في الصياغة البيانية مع أن الكلمات نفسها أدخل في حاق الصياغة البيانية منها في الوزن . ولأمر ما اختلفت رنات الشعراء في البحر الواحد اختلافا جسيما . هذا الفرزدق مثلا ، شاعر فحل مبين ، تدير على ضبط الوزن وتنوع زحافه . ولكنه مع ذلك دون صاحبه جرير في قوة الرنين وإيحائيه . وكذلك تجد إذا وازنت ابن الرومي بالبحتري والشريف الرضي بأبي الطيب المتنبي .

وإذا تأملنا قول جرير مثلا :-

دعوتك واليامة دون أهلى  
ولولا البعد أسمعك المنادى  
على علياء ترفع نار خير  
وتقدسح بالورى من الزناد  
إذا ما خفت رد إلى نفسى  
وصار إلى مساكنه فؤادى

لم نجد زادا في التنوع الزحافى على (مفاعيلن) في أول العروض أو الضرب .

ومع ذلك نحس في أبيانه هذه طربا شديدا ورنينا عظيما ومع هذا الرنين إيحاء وجدانيا يصل إلى سويداء القلب ولا ريب أن هذا منشؤه من الصياغة الموسيقية التي ألزمها الشاعر ، حيث أعطى كل ضربة من ضربات تفعيلاته ألوانا تناسب معاني نفسه من الحركة والسكون واللين والمد والإشباع وأصوات الحروف . وإنما تجيء أصوات الحروف بعد ما قدمناه ، ومتى صار الشاعر إليها فقد دنا من الكلمات والبيان اللفظي المحض .

ولا أكاد أرتاب أن الشاعر ربما جاش المعنى في نفسه بشئ من هذا القرى أول الأمر :-

تم ت ت ت ت  
تا ت ت ت ت  
ت تو تو تو تو  
تم تم تم تم  
دهوتك تا دعوتك  
تا دعوتى

ولولا ذاك قد علم المنادى  
دعوتك والفراسة فوق عيني  
دعوتك والتمائم فوق عيني  
دعوتك والمفاوز بين قومي  
دعوتك والمفاوز دون أهلى  
دهوتك واليامة دون أهلى

أرقل لمن كثافات صرورية متباينة . وإذا  
فرضنا الشبه الزمنى الكامل فى جميع هذه  
الدقات فإن الوزن المجرد المبني عليه للتناسب  
الزمنى فهن جميعا واحد ، وليس فيه أدنى  
تفاوت . وهذا التناسب الزمنى المجرد أشبه  
شئ بأعراض الشعر المكننة وراء أرزام  
الشاعر .

والطبائع الصوتية المختلفة الناشئة من دق  
القدم ، ودق الطبل ، ونقر النحاس ونقر  
القرع وهلم جرا ، أشبه شيء بالطبائع النغمية  
التي تضاف إليها القوافي على الأوزان . ولقد  
ألمعنا إلى شيء من هذا المعنى في مقدمة المرشد  
الأول إذ تحدثنا عن ألوان القوافي وضرربنا  
لها أمثالا من ألوان الشعر (١) . وقد أخطأ  
قدامة حيث زعم أن القافية شيء زائد  
على الوزن لأنها كما قال كلمة تزداد عند مقطع  
البيت ليست لها ذات قائمة بنفسها . وقد بينا  
هذا من خطئه في الجزء الثاني من المرشد  
فايرجع إليه (٢) .

ولا أكاد أشك أن الشاعر العربي كان أول  
أمره ينوع القوافي . ولعل هذا أن يستفاد  
من مقال ابن سلام إن أوائل العرب كانت

الذى عندى ، أن الشاعر العربى إنما عمد إلى القافية فقرنها بالوزن ليضفى عليه صيغا نغميا متى اصطبلخ الوزن به صار أكثر تهيؤا لأداء ما يخلج فى صدره من معان . وإن جاز لنا أن نشبه أبعاد الوزن ونسبه الزمانية برنات متناسبة ، فإن موقع القافية من هذه الرنات شبيه بموقع الكشافة من رنات الموسيقى ، مثلا الشدة التى تشد عليها أوتار العود فى قطعة ما ، وللزيادة فى توضيح هذا المعنى نضرب لك أمثالا أخرى ، خذ دقات الطبل ودقات القدم على الأرض ، والنقر على النحاس ، والنقر على قرع مكفأ على وجه الماء ، والصفير المتلاحق على هيئة دقات ، كل أولئك لمن طبائع صوتية متباينة ،

(١) راجع للمرشد ١ - ص ٤٠ - ٧٣ .

(۲) المرشد ۲ ۴۳ - ۴۳ .

الشعبي . وابن هشام يعلق على أكثرها بقوله  
وهذا يجمع لا شعر . وربما روى ما يستقيم  
به وزنهما من بعد .

هذا وكثير مما بلغنا من الأراجيز التي كان  
يتناشدها الأبطال عند المناجزة ( أو ينسب  
إليهم ) إنشادها في معرض القصص ( مما يجوز  
به الاستشهاد ههنا إذ منهجها بقوى هذا الذي  
نذهب إليه من أن القوم كانوا ينوعون  
قوافيمهم قبل أن يصلوا إلى توحيدها . خذ  
مثلا قول ابنة عتبة يوم أحد : —

وبها بنى عبد الدار وبها حماة الأديار  
حربا بكل تار

نحن بنات طارق إن تقبلوا نعانق  
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

( وقد سبق منا الاستشهاد بهذه الأبيات  
في المرشد (١) ) وما يجري مجراها ما كانت  
تتساب به الفتيات في ملاعبهن تلقى إحداهن  
رويا تمدح به أباها وتسبب أبا قرينتها ،  
وتجيبها الأخرى بنحو من ذلك . من ذلك ما  
رواه صاحب الحماسة من قول لإحدى  
المجوازي (٢) : —

سبي أبي ، سبك لن يضيره  
إن معى قوافيا كثيرة  
ينفج منها المسك والذرية

تصنع البيت والأبيات فيما يمن لها  
من حوادث (١) . وأحسب أما أن الشاعر  
القديم ربما كان ينشد بيتا أو بيتين من روى  
واحد . ثم يسكت ويلشد آخرين من روى  
آخر . .

ولعل للشعراء أول اهتمامهم للوزن قد  
كانوا ينوعونه أو يخلطون أصنافا منه . ثم  
استقام لهم طريق العروض من بعد ،  
وأحسب نحو قول القائل : —

الشيخ شيسخ تكلان  
والورد ورد عجلان  
أنفى إليك مرة بن سفيان

ربما صح أن يستشهد به في هذا الموضع  
لاختلاف أعاريضه ، وإن يك كله من بحر  
الرجز (٢) وقد عثرت على أبيات أخرى  
تسبى هذه ندعنى الآن موضعها ولعلمها في  
سيرة ابن هشام . وما يجري هذا المجرى من  
أراجيز السيرة ما رواه ابن إسحق من ارتجاز  
نساء هوازن بعد حنين (٣) : —

قد غلبت خيل الله خيل اللات  
وخيله أحق بالثبات

وفي السيرة بعض أشعار كثيرة مضطربة  
الأوزان مما أرى أنها كانت من قبيل الغناء

(١) طبقات خول الشعراء ص ٢٣ دار المعارف  
تحقيق العلامة محمود محمد شاكر .

(٢) المرشد ١ - ٩٦ .

(٣) السيرة ٤ - ٧٩ .

(١) المرشد ١ - ١٠ .

(٢) الحماسة ، مصر ١٣٣٥ - ٢٠ - ٣٧٧ .

وقد روى المعري في رسالة الغفران بيتين  
من قصير المتقارب ، مما كانت تنغني به  
الجوارى في الأعراس ، لا يكاد يشك الناقه  
أنهما بقية من أسماك تشبههما ، وهما :-

وأهدى لنا أكبشا  
تبجح في المربد  
وزوجك في النادى

وبعلم ما في غدد  
ولا يخفى أن نحو هذا إنما كان يراد به محض  
الترنم ، لتباعد أطراف معانيه ، وأحسب  
أن هذين البيتين خلصا إلينا لارتباطهما ببعض  
ما جاء في الحديث ، إذ هما مذكوران في حديث  
الربيع بنت معوذ بن عفراء ، وفيه أن  
الجوارى أنشدن ، وفيها نبي يعلم ما في غد ،  
فنهان صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يعلم الغيب  
إلا الله . على أنه صلى الله عليه وسلم لم ينهون  
عن الغناء نفسه . والله تعالى أعلم . وحديث  
الربيع مما رواه البخارى رضى الله عنه .

هذا وشواهد الإيطاء والإقواء وتمازج  
المخارج نحو : -

بنى أن البر شىء هين

المنطق الأمين والطعيم

كلها مما يقوى حجتنا في أن أمر القوافي لم  
يبدأ محكما . ولعل أكثر الأنماط الشعبية لم  
تكن تلزم الإحكام أو تعتمد إليه . وفي  
فواصل القرآن ما يثبتنا أن تشابه الوزن  
( البقية على صفحة ١٠٧٩ )

والذريعة طيب يعمل من الصندل المدقوق  
وهى معروفة عندنا في السودان ، وقول  
الأخرى : -

يارب من هادى أبى فماده  
وارم بسمين على فؤاده  
واجعل حمام نفسه في زاده

وأذكر على سبيل الاستطراد أن هذا اللون  
من تساب الفتيات معروف عندنا في قرى  
السودان منه مثلاً قول إحداهن : -

أبوى أنا

الراكب الحرا

المحجلة

وأبوك أنت

الراكب الكديس

يمشى وينيص

والكديس هو القط في عاميتنا

هذا ولا يبعد أن كانت العرب تذهب  
بأناشيد الأعراس إلى شىء من التنويع  
والتسميط ، بدليل اعتمادها الأوزان القصار  
كالذى يروى عن الجرادتين : -

أقفر من أهله مصيف

فبطن مكة فالعريف

هل تبلغن ديار قوى

مهرية سيرها دفيف

يا أم نهمان نوليننا

قد ينفع للنائل الطفيف

مع البلاغيين :

## اللفظ والمعنى

للأستاذ على العمّار

- ٢ -

لم تدون هذه المسألة علياً قبل القرن الثالث ، ويغلب على الظن أن الجاحظ أول من دونها ، ولكن النقاد منذ العصر الجاهلي كانوا يتجهون في تقديم الشعر أو الشعر إلى الألفاظ أو إلى المعاني ، وهما بابان واسمان يدخل تحتها أنواع توجه إليها كلها النقد ، وقد عدد عبد العزيز بن علي الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه بعض هذه الأنواع . فقال وهو يتحدث عن أغاليط الشعر ، ودونك هذه الدواوين في الجاهلية والإسلام هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدرح إما في لفظه ونظمه ، أو ترتيبه ، أو تقسيمه أو معناه ، أو إعرابه . ثم ذكر في موضع آخر بعض المآخذ التي لاحظها النقاد على الشعراء مثل الإحالة وفساد المعنى ، ومثل اللحن والغلط . ونسوق - هنا - أمثلة لمآخذ النقاد على الشعراء فيما يتعلق بالألفاظ :

في نفوسهم أن يبدوه ، ويدينوا له موضع العيب في شعره فدسوا له قينة تغنيه بشعره في المتجردة ، وفيه الإقواء - وهو اختلاف حركة الروى - فلما بلغت قوله :  
زعم البوارح أن رحلتنا غدا  
وبذاك خبرنا الغراب الأسود  
أطالت مدة الدال ، والقوافي كلها مكسورة ، وكانت حين أنشدت أحد الأبيات السابقة لهذا مدت الدال مخفوضة ، وامتد بها الصوت منخفضاً فتبين له عيب شعره فكان يقول :  
« وردت يثرب وفي شعرى بعض العهدة فصدرت وأنا أشعر العرب » .  
وفي رواية أنهم قالوا له قد أقويت ، وأفهموه فلم يفهم ، فجاءوه بمغنية تغنيه ( من آل مية ) وتبين له الياء في القوافي المكسورة والضمّة في القوافي المضمومة .

ومعنى هذا أن أهل يثرب في ذلك التاريخ كانوا يعرفون بعض المصطلحات العروضية التي دونها الخليل بن أحمد فيما بعد ، ولا غرابة في ذلك ولا بعد .

ولما سمع عبد الملك بن مروان - وكان

من ذلك ما حدث للناطقة الذبياني ، فقد كان يقوى في شعره ، فدخل المدينة وأهل الحجاز يعجبون به ويقدمونه ، فلم يجرؤوا لهيبته

ومن أمثلة ذلك ما وقع من نقد في شعر  
للأعشى والنابغة فقد تناظر ربمي ومضرى  
فقال المضرى للربمي : شاعر كم - يريد الأعشى -  
أخنت الناس حين يقول :

قالت هريرة لما جئت زائرها  
ويلي عليك وويل منك يا رجل  
فقال الربمي : أفعل صاحبكم - يريد النابغة -  
تعمل حيث يقول :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه  
فتناولته واتقنتا باليد  
لا ، واه ، ما أحسن هذه الإشارة  
إلا خنت .

( وعندنا أن بيت النابغة ألطف في هذا  
المعنى ، فإنه تناول إشارة وحركة يصحها  
في الغالب كلام من كلام النساء في مثل هذه  
الأحوال ، أما الأعشى فذكر « ويدا ، وكلاما  
تفعله مواجن النساء ، وقد لا يتصل بهذا  
النوع المحبوب في المرأة من الحياء والخفر ،  
ولا يزال دل الفعل ، وحركات الجوارح  
أعشق للتغزلين من خنت الكلام <sup>(١)</sup> ) .

وربما حق لنا أن نقول إن النابغة لم يزد  
على أن وصف مشهدا رآه ، وهذه حركات  
كثيرا ما تقع من النساء المحجبات حين يسقط  
عنهن الحمار وهن مرغمت ، فكان من دقة  
الوصف أن يذكر النابغة هذا المشهد ،

ناقدا ذواقه للشعر - قصيدة عبد الله بن قيس  
الرقيات التي يقول فيها :

لرب الحوادث بالمدينة قد  
أوجعني وقرعن مروتيه  
وجبني جب السنام ولم  
يترك ريشا في مقاديه  
قال : أحسنت لولا أنك خنت في قوافيك ،  
فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافي الممعة  
في الليونة وكان يفضل عليها قوافي متأسكة ،  
ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما عدا كتاب  
الله « ما أغنى عنى ماله . هلك عنى سلطانيه ،  
ذلك أن ( الفرق جسيم بين أواخر هذه  
الفواصل في النغم والروح ، وبين قوافي  
ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يحتذى  
القرآن إلا أنه لم يكن موقفا في ذلك  
الاحتذاء ) <sup>(١)</sup> .

ولا شك أن نقد عبد الملك هذا يتصل  
بالألفاظ لا بالمعاني فلو أن الشاعر قال :  
( وقرعن مروتي ) و ( في مناكبي ) لم يتوجه  
النقد إلى هذه القوافي ، فاللين إنما جاءها  
من الإضافة إلى ضمير الغائب ، وهو شيء  
يحسه الذوق .

وهذا التخنت في الألفاظ غير التخنت في المعاني  
التي تدل عليها بعض الألفاظ ، فقد يكون  
اللفظ في نفسه قويا ولكن دورانه في مجالات  
خاصة يضفي عليه لونا من الظلال يجعله خشنا .

(١) الأدب العربي وتاريخه ص ٢٣١ لأننا إذا  
المرحوم محمد هاشم عطية .

(١) تاريخ اللغة الأدبي عند العرب ص ٣٦  
المرحوم طه ابراهيم .



ولكن انفقوا على أن ذا الرمة كان يجيد التشبيه حتى قال بعضهم إنه لا يحسن غير التشبيه فهل أراد جرير أن تشبهات ذى الرمة تبدو رائعة ، فإذا فُقد عما وراءها لم يكن شئاً فالتقد حينئذ يتصل بالمعاني .

كما أن ذا الرمة كان يكثر من الغريب في شعره فيبدو عند إنشاده أول مرة سامقاً رائعاً فإذا تأمله السامع لم يجد وراءه كبير معنى ، وهو نقد كذلك يتصل بالمعاني .

ويبدو أن ذا الرمة ، كان صاحب طريقة جديدة في وصف الصحراء والكائنات التي فيها سواء كانت كائنات ناطقة أم كائنات صامتة فلم يرق هذا النحو من القول لشعراء عصره ولا لرواته ، ولذلك نجدهم لا يعدونه في الفحول ، وحين يسأل ذو الرمة الفرزدق عن ذلك يجيبه بأن الذي منعه أن يعد في الفحول صفة الصحارى وأبعاد الإبل ، ومرة أخرى يجيبه حين يسأله : مالى لا ألحق بك معاشر الفحول ؟ فيقول الفرزدق : لتجافيك عن المدح والهجاء وأقتصارك على الرسوم والديار . ومن هنا - فيما أعتقد - جاء حكم الأصمعي بأن شعر ذى الرمة لا يشبه شعر العرب ، وقد ظلموا - والله - الرجل !

ومن تقدم للعاني ما ورد في حكومة ( أم جندب ) بين امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وذلك إن امرأة القيس لما نزل في طي تزوج امرأة منهم يقال لها ( أم جندب ) وكان

وليس من الحتم أن يكون وقع من امرأة ماجنة ، وإذا صح أن القصيدة التي منها هذا البيت قيلت حقاً في وصف امرأة النعمان وهي متجردة كما أراد النعمان على ذلك كان للناطقة عذره في تسجيل هذا المشهد ، أما الأعشى فكان في خل من ترك هذه الألفاظ التي يتاجن بها النساء .

ومن تقدم للفظ وصف أبي عمرو بن العلاء لشعر لبيد بأنه ( رحي بزر ) يريد أنه خشن لا يستحليه السمع .

وربما كان منه قول جرير بن الحطاطي في شعر ذى الرمة : ( نقط عروس ، وأبعاد ظباء ) وقد فسر ذلك الأصمعي فقال : شعر ذى الرمة حلوا أول ما قسمه فإذا كثر إنشاده ضعف ولم يكن له حسن لأن أبعاد الظباء أول ما تشم يوجد لها رائحة ما أكلت من الشيع والقيصوم والنبث الطيب الريح فإذا أدمن شمه ذهب تلك الرائحة ونقط العروس إذا غسلتها ذهب ، أو كما قال المبرد : إنما تبقى أول يوم ثم تذهب .

وعلى كثرة ما دارت هذه الكلمة على ألسنة الرواة لم يبينوا لنا هل هذه الصفة في شعر ذى الرمة راجعة إلى الألفاظ التي تخدع بريقها أول ما تلس الأذن ثم تذهب روحها إذا أعيد إنشادها ، أو إلى المعاني التي تبدو لأول وهلة رائعة فإذا تأملها المتلقي لم يجد لها من الروعة ما وجد لأول مرة .

ومن ذلك ما قاله الرشيد للفضل الضبي :  
هل تعرف بيتا أوله أكرم بن صيني في  
أصالة الرأي ، ونبل العظة ، وآخره بقراط  
لمعرفته بالداء والدواء . فقال المفضل : قد  
هولت على فليت شعري بأى مهر تفترح  
عروس هذا الخدر ؟ قال : بإنصائك  
وإنصائك ، وهو بيت الحسن بن هاني :

دع عنك لوى فإن اللوم لإغراء  
وداوى بالتى كانت هى الداء  
وربما جمع النقد بين اللفظ والمعنى ، ومن  
ذلك وصف الأصمى لشعر لبيد بن ربيعة  
بقوله . كأنه طيلسان طبرى . يعنى أنه جيد  
الصنعة ، وليست له حلاوة .

ووصف محمد بن سلام الجحى للبديع بقوله :  
كان عذب المنطق ، رقيق حواشى الكلام ،  
وكان مسلما رجل صدق .

ومن أشهر العبارات فى ذلك كلمة سيدنا  
عمر رضى الله عنه ، فقد كان عمر يقدم زهير  
ابن أبى سلمى ، ويقول فى تعليل ذلك : إنه  
كان لا يعاظم فى المنطق ، ولا يتبع الغريب  
الحوشى ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولم يمدح  
أحدًا إلا بما فيه .

فبعض هذا النقد يرجع إلى اللفظ وهو  
ترك الحوشى أى الغريب الذى يقل دورانه على  
الألسنة ، وبعضه يرجع إلى المعنى وهو البعد  
عن المبالغة فى الأوصاف وإيثار الصدق فى المدح .  
أما المعاظة فقد اختلف العلماء فى تفسيرها

مفركا تبغضه النساء فكرهته زوجه هذه ،  
ثم أنما علقمة الشاعر فتذاكرا الشعر عندها  
فقال كل منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ،  
فقال علقمة ، قل شعراً وأنعت الصيد ،  
وهذه الحكم بينى وبينك يعنى أم جندب  
فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها :

خليل مرا بى على أم جندب  
لنقضى حاجات الفؤاد المعذب  
وقال علقمة قصيدته التى مطلعها :

ذهبت من المجران فى غير مذهب  
ولم يك حقا كل هذا التجنب  
فقال لامرئ القيس : هو أشعر منك ،  
وأيتك ضربت فرسك بسوطك ، وحركته  
بساقك ، وزجرته بصوتك تشير إلى قوله :  
فلزجر الألهوب ، وللحاق درة

والسوط منه وقع أهوج منعب (١)  
ورأيت أدرك الصيد ثانيا من عنان فرسه  
تشير إلى قول علقمة :

فأدركن ثانيا من عنانه  
يمر كمر الراح المتحلب  
فأم جندب إنما نقدت المعانى ، فامتدحت  
معنى علقمة ، ومجنت معنى زوجها  
امرئ القيس .

(١) الهوب - بضم الهزة - شدة جرى الفرس  
الدره - بكسر الدال - جرى فى الهاء - الأهوج :  
الأحقق المنب - بكسر الليم وفتح المعن - الذى  
يستعين بصوته .

والمعاظلة - عنده - أن يداخل الشاعر لفظة من أجل لفظة تشبهها أو يجانسها وإن أخل المعنى بعض الاختلال ، وذلك كقول أبي تمام :

خان الصفاء أخ خان الزمان أخوا

هذه فلم يتخون جسمه الكمد  
فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت  
وهي سبع كلمات آخرها قوله ( عنه ) ما أشد  
تشبث بعضها ببعض ، وما أقبح ما اعتمده  
من إدخال ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها  
وهو ( خان ) و ( خان ) و ( يتخون ) وقوله  
( أخ ) و ( أخوا ) فإذا تأملت المعنى - مع  
ما أفسده من اللفظ - لم تجد له حلاوة  
ولا فيه كبير فائدة لأنه يريد : خان الصفاء  
أخ خان الزمان أخوا من أجله إذ لم يتخون  
جسمه الكمد (١) .

ونحو قوله :

يوم أفاض جوى أغاض تعزيا

خاض الهوى بحرى حجاج المزيدي  
لجعل اليوم ( أفاض جوى ) والجوى  
( أغاض تعزيا ) والتعزى موصولا به  
( خاض الهوى ) إلى آخر البيت ، وهذا غاية  
ما يكون من التعميد والاستكراه مع أن  
( أفاض ) و ( أغاض ) و ( خاض ) ألفاظ  
أوقعها في غير موضعها ، وأفعال غير لائقة  
بفاعليها ، وإن كانت مستعارة لأن المستعمل

وهي في الأصل مداخلة الشيء في الشيء يقال  
تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما  
الأخرى ، وفسرهما قدامة بن جعفر بمداخلة  
بعض الكلام فيما يشبهه من وجه أو فيما كان  
من جنسه ، وهذا ليس بمنسكرك ، وإنما  
النكير عنده فهو في أن يدخل بعض الكلام  
فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ،  
قال : وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة  
مثل قول أوس :

وذات هدم عار نواشرها

تصمت بالماء تولبا جدعا  
فسمى الصبي تولبا ، وهو ولد الحمار ،  
فإن ما جرى هذا الجرى من الاستعارة قبيح  
لا عذر فيه ، وقد استعمل كثير من الشعراء  
الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس  
فيها شناعة كهذه ، وفيها لم معاذير إذا كان  
مخرجها مخرج التشبيه (١) .

ويفهم من عبارات قدامة أن من المعاظلة  
الحسن والقبیح ، ومرجع ذلك إلى إصابة  
الشبه المقبول في الاستعارة ، وقد جعلها  
قدامة من عيوب اللفظ ، ولكن عيب التشبيه  
من عيوب المعاني .

وفسر غير قدامة المعاظلة بتفسير آخر ،  
وطاير على قدامة تفسيره هذا ، ومن هؤلاء  
الآمدى والعسكرى ، وابن سنان ، وابن  
الأنبار ، وهي على تفسيراتهم من عيوب  
اللفظ ، وأول من نبه على غلط قدامة الآمدى ،

(١) يتخون يتنقص ، والعبارات من الموازنة

ص ٢٣٦ ط السادة .

(١) نقد الشعر ص ١٧٤ ، ١٧٥ الطبعة الأولى .

ولا المعنى المعقد ، وإنما هي المداخلة التي ينشأ عنها مثل هذين .

أما العسكري في الصناعتين فكانت شواهد من النوع الذي يسميه علماء البلاغة المتأخرون بالتعقيد اللفظي .

ثم نستطرد إلى التنبيه على ما وقع فيه بعض المحدثين من أخطاء ، قال صاحب كتاب (قدامة بن جعفر) بعد أن ذكر آراء علماء اعترضوا على قدامة : «والذي نستطيع أن نستخلصه من كلامهم أن (المعاظلة) هي كل ما يؤدي إلى التعقيد سواء أكان تعقيداً لفظياً منشؤه تنافر الحروف في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة ، أم كان تعقيداً معنوياً منشؤه ما في الكلام من تقديم وتأخير عن المواضع الأصلية للكلام» (١) .

وفي هذه العبارات القصيرة أغلاط .

فالشواهد التي ساقها الآمدى والعسكري ليس فيها تنافر في الحروف ولا في الكلمات والتعقيد اللفظي ليس منشؤه التنافر وإنما التنافر قسم له . والتعقيد المعنوي ليس منشؤه التقديم والتأخير .

والذي نعرفه في مقدمة كتب البلاغة أن التعقيد اللفظي سببه التقديم والتأخير وما أشبههما ، أما التعقيد المعنوي فنه الاستعارة البعيدة على حد ما ذكره قدامة . وكل ذلك معروف مشهور في كتب البلاغة .

في هذا أن يقال : قد علم ما بفلان من جوى ، وظهر ما يكتمه من هوى ، وبأن عنه العزاء ، وذهب عنه العزاء والتعزى . فأما أن يقال : فاض الجوى أو أفيض أو غاض أو أغيض فإنه - وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة - قبيح جداً . وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى في غاية البعد والهجانة ، ثم اضطر إلى أن قال (بحرى حياء المزبد) فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه أن يقول (المزبدين) صفة للبحرين ، فجعله صفة للحجى ، ويقال إنه أراد ببحرى حياء المزبد قلبه ودماعه لأنهما موطن العقل ، وذلك محتمل إلا إنه جعل المزبد وصفا للحجى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر ، وهذا وإن كان يتجاوز في مثله فإنه إلى الوجه الأردأ عدل به ، وجنب الطريق عن الوجه الأوضح (١) .

وإنما أطلت بذكر كلام الآمدى لآنبه على أخطاء وقع فيها بعض الباحثين المحدثين وواضح أن الآمدى يريد أن المعاظلة قد ينشأ عنها إخلال بالمعاني ، فالمعاظلة عنده هي ذكر لفظة مراعاة للفظه أخرى وهذا حدها ، وهي عيب لأنها قد تؤدي إلى استعارة غير محمودة أو إلى تعقيد في المعنى أو استكراه في الألفاظ ، فهي ليست الاستعارة القبيحة ،

(١) قدامة بن جعفر ص ٢١٤ للدكتور بدوى طبانة .

(١) المصدر السابق ص ٢٣٧ .

من علماء البيان - واعتقد أن ما ذهبوا إليه الحق - يرون أنه ( لا ) . فالاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة فنحن ننقل كلمة من معناها الأول إلى معنى ثان إذا كان بين المعنيين مشابهة فنحنجى . بالاستعارة مقبولة فإذا لم تكن هناك صلة بين المعنيين أو كانت الصلة بعيدة ، والتداخل غير واضح في هذا النقل ، إن لم نقل إنه غير متحقق بالمره .

وأشد غرابة من هذا قول المؤلف : والتناظر كلمة اصطلاحية استخدمها الجاحظ ثم جرى استعمالها على ألسنة البلاغيين والنقاد ، فإلغى في أن يحاول قدامة أن يحدد معنى كلمة المعازلة ، ويحمل لها مدلولاً اصطلاحياً تمايز به من كلمة التناظر التي وضحت دلالتها وتبين معناها ؟

ولو راجع المؤلف هذه العبارات لعجب من تدوينه لها ، فليس أبعد من هذا الكلام عن التحقيق العلى .

فالجاحظ لم يقل إن التناظر هو التعقيد ، ولا هو سبب من أسبابه ، وليس من هم المؤلف المتأخر أن يخالف من تقدمه ، وإذا كان وضع معنى التناظر واستقر فهل يلزم أن يلتزم مؤلف للمعازلة معنى اصطلاحياً آخر ، ولو لم تظهر المناسبة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى ؟ .

وقد ذكر المؤلف أن الآليات التي تمثل بها الآمدى فيها ضرب من تناظر الحروف في الكلمات مجتمعة لأنها تكررت متجاورة ، وهو كلام غير مقبول ، فإن أحداً لم يقل إن في هذا الكلام تناظراً في الحروف ، ولم يشر الآمدى إلى هذا .

والمؤلف يدافع عن رأى قدامة على الرغم من أنه يذكر أن رأى العلماء بعد قدامة يكاد ينعقد على رفض ما ذهب إليه .

وحجة صاحب قدامة في الدفاع عن رأيه غريبة فهو يقول : إن المعنى اللغوى للمعازلة وهو التراكب أو التشوب أو التداخل لا يتنافى مع مذهب قدامة لأن التداخل المغيب يؤدي إلى التعقيد ، وليس شيء يظهر فيه التعقيد مثل الذى يبدو فيما مثل به قدامة .

فما هو التداخل المغيب ؟ وما مثاله ؟ هل هو الذى ذهب إليه الآمدى ومن تبعه ؟ وإذا لم يحقق المؤلف هذا التداخل المغيب بصورة معينة من صور الكلام ، وجعله لفظاً بلا حقيقه ، لينطبق هذا اللفظ أخيراً على الاستعارة المردودة فهل كل غيب يؤدي إلى التعقيد يصح لنا أن نسميه معازلة ؟ والجواب : لا . فهذه اصطلاحات قصد بها التحديد ، ولا مانع أن تؤدي أنواع مختلفة إلى نتيجة واحدة .

والقضية : هل في الاستعارة تراكب وتداخل ؟ المؤلف يرى أنه ( نعم ) وغيره

بما ذكره مؤلف قدامة ، فقد قال : لا نرى في شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد في أكثر شعر الفحول نحو ما نفاه عنه عمر رضي الله عنه .

وأيا ما كان فذكر المعاطلة في قول سيدنا عمر يشير في رأى أكثر النقاد والبلاغيين إلى عيب لفظي نجما منه شعر زهير .

على العماري

والعجب عندي كل العجب كيف ذهبت كل هذه الأغلاط عن أعضاء اللجنة التي ناقشت هذا الكتاب ومنحت مؤلفه الدكتوراه ١٩ إن الكتاب - في جملة جيد ، ولكن كان ينبغي أن تنبه اللجنة لمثل هذه الأخطاء . وبذلك يسلم الكتاب ويصفو .

ثم إن أباهلال العسكري استدلل على غلط قدامة بدليل هو أقرب إلى القواعد العلمية

( بقية المنشور على صفحة ١٠٧٩ )

د ألقيا في جهنم كل كفار عنيد . مناع للخير معتد مربب . الذي جعل مع الله إلهاً آخر فألقياه في العذاب الشديد ، وفي سورة الإنسان تجمه فواصل من أمثال دكان مزاجها سلسبيلا ، دكان مزاجها كافورا ، دقواريرا ، قواريرا ، دجزاء ولا شكورا ، دذلاله قطوفها تذليلا ، .

ثم إن الشعراء أحكمت القوافي كما أحكمت الوزن بعد طول تدرج ، والتمست وحدة الروي فيما تحنفل له من كلام ، وهذا مدلول قول ابن سلام الذي ذكرناه آنفاً حيث قال : إن القصيد إنما قصد على عهد هاشم وعبدالمطلب ابن هاشم .

الدكتور عبد الله الطيب

( للبحث بقية )

والجرس وتقارب المخرج ربما نزل منزلة الروي كالذي في سورة الطور مثلاً : — والطور وكتاب مسطور . في رق منشور . والبيت المعمور . والسقف المرفوع ، وكالذي في سورة ق : — وقال قرينه ربنا ما أطقيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لدي وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد . وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما نوعدون لكل أراب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب . أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد . وكما أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا نسبوا في البلاد هل من محيص ، وقبل هذا —

# الإسلام في تنجانيقا

للأستباز عطيته صقر

في العالم في إنتاجه . وعاصمتها مدينة دار السلام التي تقع على ساحل المحيط ويتكون سكانها من ٦٦ ٪ من الإفريقيين و ٢٩ ٪ من الآسيويين من العرب والهند وباكستان ، و ٥ ٪ من الأوروبيين ، وطابع المدينة ألماني في المباني والشوارع والمظهر العام . يبلغ سكان تنجانيقا نحو ثمانية ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٥٠ ، ويقدره بعضهم الآن بعشرة ملايين نسمة ، وهؤلاء السكان خليط من أجناس مختلفة وقبائل متعددة ، فالإفريقيون ويبلغ عددهم أكثر من ثمانية ملايين يتكونون من ١٢٧ قبيلة أهمها السوكوما والنياكيوزا والماساي والواشاجا والباهايا ، ويذكر الرحالة والباحثون أن قبائل الماساي تعيش على الفطرة ، وهي شديدة البأس في القتال ، غداؤها اللبن بمزوجا بالدم الذي يسحب من عروق البقر بثقبها ثم تضميدها بالبن .

كانت البلاد جزءاً من السلطنة العربية العمانية ، ثم استولت عليها ألمانيا سنة ١٨٨٥ م ثم وضعت تحت الانتداب البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى بمقتضى معاهدة فرساي ، واستمرت تحت وصايتها حتى استقلت منذ عام ثم أعلنت جمهورية في ديسمبر الماضي .

في التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٢ ، وعلى قمة جبل كيليمانجارو Kilimanjaro الذي يرتفع عن سطح البحر ١٩٣٤٠ قدما ، والذي قال عنه جون جيمتر : إنه هو الذي يقطف السحب بنفسجية من الرياح الموسمية الهائمة ، ويمصرها مطراً فيصنع بها الحياة ، يصنع الأنهار والحدائق ، وتحول الأنهار إلى بحيرات ، ويبقى هو شاخنا يحمل الغابات على ظهره . في هذا اليوم وفوق قمة هذا الجبل - الذي يقدهم الأهلون ويصلون له إذا تأخر المطر ، ويعتقد بعضهم أنه عرش الإله - يرتفع علم مكون من اللون الأخضر والذهبي والأسود ليذانا بجمهورية تنجانيقا Tanganyika ، التي نالت الاستقلال في مثل هذا التاريخ من العام الماضي ، بعد ثلاثة وأربعين عاماً كانت فيها مشدودة إلى عجلة التاج البريطاني .

تقع هذه الجمهورية في شرق إفريقيا ، وتحدها شمالاً كينيا ، وجنوباً موزمبيق ، وشرقاً المحيط الهندي وزنجبار ، وغرباً الكونغو . وتبلغ مساحتها ٣٦٢٧٦١ ميلاً مربعاً ، وأهم حاصلاتها الكتان والسيسال الذي تصنع منه أجود الحبال ، والذهب والماس الذي تعتبر تنجانيقا ثالث دولة



حيث كانت لهم بها علاقات تجارية قام بدور كبير فيها عرب الجنوب المشهورين بنشاطهم البحري في المحيط الهندي . وقد زارها المسعودي المؤرخ والرحالة الشهير في بداية القرن العاشر الميلادي مع البحارة العانيين ، ووصفها في كتابه مروج الذهب الذي أتم كتابته سنة ١٩٤٧م ، وقال إن أهلها ماهرون في صناعة المعادن وصيد الفيلة ، ويجعلون للحديد قيمة أكبر من الذهب ، وأن فيهم خطباء ممتازين ، ولهم عقائد دينية الخاصة . وزار ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي مدينة كلوا Kilwa على الساحل ، وقال إنها واحدة من أجمل المدن وأحسنها بناء ، وذكر أن مذهبهم شافعي ، وأن سلطانهم يسمى أبا المظفر حسن .

دخل الإسلام تنجانيقا بشكل واضح في بداية القرن العاشر الميلادي على أيدي التجار العرب ، وكان أول من هاجر إليها من المسلمين - كما يقول أرنولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » - جماعة من العرب نفوا لأنهم اتبعوا تعاليم خارجة على الدين كان يقول بها شخص يدعى زيدا من سلالة النبي ... ولا يبعد أن يكون زيد هذا هو زيد ابن علي حفيد الحسين ، وقد ادعى في عهد الخليفة هشام أنه المهدي ولكنه قتل سنة ١٢٢هـ (٧٤٠م) . وجاء عرب آخرون أسسوا مدنا على الساحل الإفريقي منها مقديشو

وكانت قبل سنة ١٩٢٥ يدير شئونها حكام مسلمون من قبل سلطان زنجبار ، من أصل عربي وسواحيلي ، غير أن حكومة الانتداب أصبحت تتعامل فيما بعد مع رؤساء القبائل ، وتعطى بعضهم شيئاً من السلطة في إدارة الشئون الخاصة بالقبيلة ، واجتهدت في إقصاء المسلمين عن المناصب الرئيسية ، متذرعة - كما هي عادت في سياستها الاستعمارية - بأنهم يهتمون بنشر الإسلام ويهملون شئون الرعية . وللبلاد مجلس وزراء وبرلمان كان عدد أعضائه في أغسطس سنة ١٩٦١ يبلغ ٨٢ عضواً منهم اثنان من العرب ، ١٥ من الهنود ، ١٦ انجليزيا . ورئيس الجمهورية هو يوليوس ناييري Julius Nyerere ونائب الرئيس هو رشيدى كواوا وكان قبل ذلك رئيساً للوزراء وهو رئيس اتحاد نقابات العمال التابعة لحزب تانوا اتحاد تنجانيقا الإفريقي الوطني ، وهو أكبر حزب سياسي تكون سنة ١٩٢٩ باسم الجمعية الإفريقية لتنجانيقا ، ألفها جماعة من الموظفين الانجليز لإلقاء المحاضرات الثقافية ثم تطورت بعد الحرب العالمية الثانية ، ولما عين نيري رئيساً لها سنة ١٩٥٣ حولها سنة ١٩٥٤ إلى حزب سياسي . لم يعرف الغربيون تنجانيقا إلا في مطلع القرن السادس عشر حين اجتاحتها دالميدا D'almeida البرتغالي سنة ١٥٠٥ م . ومن الثابت أن العرب عرفوها من زمن قديم



السواحيل العامى الذى يقول : « إذا تشاجر فيلان فالخشايش دائما هى التى تدوسها الأقدام ، والفيلان هما ألمانيا وانجلترا ، والخشايش هى شعب تنجانيقا .

المدارس الموجودة منها حكومية ووطنية ، ومدارس الإفريقيين بدائية فى نظامها وعلومها ويدرس فى بعضها القرآن والكتابة بالكيسواحيلية . ومدارس الطوائف منظمة وتدرس فيها اللغة العربية مع الانجليزية ، والدين يدرس بقدر ضئيل فى المدارس الحكومية ، وهناك ميل لتعليم البنات بين المسلمين ، غير أنهم طلبوا من الحكومة ألا تكون المدارس تحت سيطرة المسيحيات ، والمسلمون لا يقبلون على دخول مدارس المبشرين ، ويفضلون الجهل على التعلم فيها . وفى المناطق التى يكثر فيها المسلمون توجد

كتاتيب كثيرة ، فى منطقة تابورا Tabora وبخاصة مركز يوجيجي Ujiji الواقع على شاطئ بحيرة تنجانيقا يوجد ٣٣ مكتبا ، والآباء يحبون أن يعلموا أولادهم القرآن ، ويدفع الولد للعلم ٦٠ شلما عند نهاية الدراسة ، وإذا حفظ ٣٠ سورة التحق بمدرسة عليا يديرها أحد المشايخ ، ويوجد من هذا النوع ست مدارس تدرس فيها علوم التوحيد والشريعة إلى جانب العلوم المدنية .

واللغة السائدة هى الكيسواحيلية Ki Swahili وكى معناها لغة ، وسواحيلي

فى منتصف القرن العاشر ، ومن هذه المدن تسرب الإسلام إلى الأهالى ونفذ إلى داخل القارة . وفى أوائل القرن الحادى عشر جاء إليها مهاجرون من الخليج الفارسى بزعامة رجل يسمى عليا ، وهو أحد أبناء سلطان شيراز السبعة ، وأسس مدينة كلوا إحدى مدن تنجانيقا .

والدين الغالب فى هذه البلاد هو الوثنية الإفريقية والآسيوية ، وفيها نحو مليون كاثوليكي ، أما المسلمون فقد اختلقت الإحصاءات فى تقدير عددهم ، وأقربها ما ذكره أطلس التاريخ الإسلامى الذى نشرته جامعة برنستون الأمريكية فى طبعة ١٩٥٤ م حيث يقدرهم بنحو ١٤٦٠٠٠٠ . وتقول نشره فيدس التبشيرية الصادرة فى ١٣/٤/١٩٥٧ إن عددهم ١٨٣٤٠٠٠ من مجموع ٨٥٦٠٠٠٠ فنسبة المسلمين على أقصى تقدير لا تصل إلى ربع المجموع العام للسكان . وقد نشر على لسان أحد الزعماء أن نسبتهم ٧٠٪ ولكن ذلك مراعى فيه مجموع سكان شرق إفريقيا بدوله المتعددة التى تكثر نسبة المسلمين فى بعضها . والحالة العلمية فى البلاد مختلفة بشكل عام .

وكان للاستعمار أثر كبير فى ذلك ، وفى سنة ١٩١١ م كان فيها ١٠٠٠ مدرسة بها ٦٦ ألف تلميذ ، وليس فيها الآن هذا العدد ، وكان المفروض أن يزيد طبقا لسنة التدرج الطبيعى ، ولكن صدق فى تنجانيقا المثل

يسمى عبيدي وهو أول عمدة مسلم لها . ورئيس المجلس التشريعي سنة ١٩٦٢ هو عبد الكريم كريجي من أصل باكستاني واسع الثراء ، ويمتلك مبنى الجمعية التشريعية ويعمل حزب « تانو » . والسلطان عبد الله فونديكييرا وزير في الحكومة وعضو الحزب المذكور وزار القاهرة سنة ١٩٦٢ .

والمسلم هناك يحرص على لبس « الكانزو » وهو قباء خاص من القطن الأبيض وطاقية بيضاء تسمى « الكيبانديكو » ، ويتكلم الكيسواحييلية باعزاز وإن كان يتكلمها .

والتقاضى في تنجانيقا أمام المحاكم التى تقضى بالقانون الانجليزى وبعض التقاليد الخاصة بالبيئة ، والأحوال الشخصية يرجع فيها للوالى وهو يحيلها إلى محكمة زنجبار الشرعية والنساء غير المسلمات سافرات ومثلهن المسلمات الإسماعيليات ، أما غيرهن ففى ستر كامل .

وفى البلاد مناطق يكثر فيها النشاط الإسلامى من أهمها « تابورا » التى يقول عنها الدكتور شيدل فى مجلة العالم الإسلامى التى تصدرها الجمعية الألمانية للثقافة الإسلامية ببرلين : إنها حصن الإسلام المنيع فى إفريقيا الشرقية بها هى وضواحيها ثلاثون مسجداً وكتاباً ، وأربع مساجد كبيرة أصلاً الجمعة ، أحدها للعرب والثانى للهنود والباقيان الوطنيين . وأغلب المؤذنين والمدرسين فى هذه المساجد من سكان الساحل الشرقى وهم يتقنون كتابة

نسبة إلى الساحل ، وهذه هى لغة التخاطب وهى مزيج من لغة السكان الأصليين والوافدين عليها يقول عنها باسيل دافيدسون إن أسسها وعناصرها تتصل اتصالاً وثيقاً بلغات قبائل البانتو الإفريقية ، وإن كان قد لحقها تأثير عربى كبير فى قرون طويلة . وبعض العرب يتكلم العربية فى نطاق

ضيق والغالبية يفاخرون بعروبيتهم مع جهلهم باللغة ، والهنود يتكلمون الجوجارية والأوردية ويعتزن بهما ، وبالرغم من أن لغة الحثمد والمريبات هى الكيسواحييلية فإنها لم تستطع أن تغزو هاتين اللغتين كما غزت اللغة العربية . والعربية لا تدرس فى المدارس الحكومية واللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية . وفى تنجانيقا صحف تصدر بلغات عدة ، أشهرها « تنجانيقا ستاندارد » وتصدر بالانجليزية . وتصدر صحيفة « أو انجازا » بالسواحيلية ، وليست هناك صحافة إسلامية تذكر ...

والمسلمون منتشرون فى أنحاء تنجانيقا ، ويشاركون فى الحياة العامة للدولة جنباً إلى جنب مع سائر المواطنين ، ول بعضهم مراكز هامة فى الحكومة كانت ذات أثر كبير قبل أن تعمل بريطانيا على إبعادهم من المناصب الحساسة ، لتفسح المجال للبشرى لى يصنعوا رجالاً على أعينهم يخدمون أغراض الاستعمار . ونائب رئيس الجمهورية الآن مسلم هو رشيدى كواوا . وعمدة دار السلام

الشيخ أحمد صالح البوسعيدى والى دار السلام والجمعية الإسلامية برياسة السلطان عبد الله فونديكيرا ، ولها مجالس إقليمية فى طنجة برياسة عبد الله كريمجى ، وفى دار السلام برياسة أخيه ، وفى غيرها من البلاد . وقد أنشأت هذه الجمعية ٧٠ مدرسة ، ٥٣ مسجداً فى تنجانيقا .

وأشهر المساجد فى دار السلام المسجد الجامع ومسجد الكلالة ، والمذهب الفقهى السائد عند أهل السنة هو الشافعى وهناك بعض الأحناف . وذلك إلى جانب مذاهب الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية ، والمذهب الأباضى .

ومن الشخصيات الإسلامية المعروفة غير من ذكرنا : الشيخ حسن عمير عالم أهل السنة بدار السلام ، والشيخ حسين جمعة وهو زعيم لإفريقى ومدير مدرسة الحسين ، وتبوا رئيس الجمعية الإسلامية فى تنجانيقا وزنجبار ، والسلطان سعيد فونديكيرا والى السلطان عبد الله وكان له جهد فى نشر الإسلام فى منطقة تابورا وهذا والمبشرون قلقون جداً من نشاط المسلمين فى نشر الدعوة ، ويقررون أن كل مسلم صغيراً كان أو كبيراً يعد نفسه داعية للإسلام وكبار الزعماء لم تفوزهم فى هذا المجال ، ويساعد على انتشار الإسلام زواج المسلمين من غير المسلمات الوافدات من « يوروندا » وغيرها طلباً للعيش فى ظل هذه المناطق

الحروف العربية وقراءتها وإن كان الكثيرون لا يجيدون فهمها ولا يستعملونها إلا فى الأغراض الدينية .

وفى هذه المنطقة يوجد مركز « يوجيجى » وهو ذو أهمية بالغة ، يقع عند نهاية الخط الحديدى الذى يصل دار السلام بالبحيرة ، وقد أنشأ التجار العرب ليكون محطة للقوافل ، وذلك منذ مائة عام تقريباً . ويقدر عدد المسلمين به بنحو ٣٥ ألفاً . والمبشرون فى منطقة كيجوما Kigoma يبدون تخوفاً كبيراً منه . والمسلمون يعتمرون بنظافة مساجدهم ويحافظون على إحياء الشعائر فى رمضان ، ويمدنون الموائد إلى ساعة متأخرة من الليل يتردد عليها كثير من غير المسلمين فيعشقون الإسلام إعجاباً بنظامه التكافلى العظيم . وفى يوجيجى جمعيات لمحاربة البدع كما يوجد نشاط كبير للطرق الصوفية ، فإن إحداها تقيم كل يوم سبت حلقات للذكر على الأنغام والأناشيد .

ومن أهم المراكز الإسلامية أيضاً باجامويو Bagamoyo وطنجة Tanga حيث توجد بها جمعيات كثيرة يفد إليها الراغبون فى المعرفة من أقاصى البلاد ، كما يقوم كبار رجالها برحلات تعليمية فى أنحاء الجمهورية .

ومن الجمعيات الدينية البارزة : جمعية نشر الثقافة الإسلامية تأسست سنة ١٩٥٣ برياسة

الغربية من إفريقيا الشرقية ، وفسروا الدعوة بين الوطنيين ، كما استطاعوا وضع البلاد تحت نفوذهم الاقتصادي والتجاري ، ولأنه لا تزال هناك نواح لم يتمكن فيها الإسلام من ترسيخ قدمه ، رغما من وجود ما يدل على تطور فكري نحو الأفكار الإسلامية بين قبائل الوطنيين من حين لآخر .

والواجب على المسلمين في جميع الأقطار أن يقدروا مثل هذا الكلام وأن يفهموا فرصة تطلع الناس هناك إلى الإسلام وما يحاول المبشرون أن يصنعوه في هذا المجال ، وإذا كان في الأزهر الآن طالبان من تنجانيقا وإذا كان قد أرسل سنة ١٩٤٦ ، ١٩٥٣ بعض علمائه لاستطلاع الأحوال هناك ، فإن هذا غير كاف فيما يجب على الجمهورية العربية بالذات أن تفعله إزاء هذه الجمهورية الفتية ، التي لها وضعها الخاص بالنسبة إلى كثير من الدول المجاورة ، والمقبلة على عهد جديد من الحرية والوحدة والإحساس العميق بالقومية الإفريقية العامة ، والتبرم بسياسة الغرب القائمة على الاستغلال والتفرقة العنصرية التي عانت منها إفريقيا زمنا طويلا وإنما المنتظرون ؟

عطية صفر

مفتش الوعظ بالأزهر

الخيرة ، وهذه فرصة لإسلامهم وإسلام من يتصل بهم من الأفارب وغيرهم . والمبشرون يوجهون أكبر اهتمامهم لمقاومة الإسلام في يوجيجي ، ولكي تأخذ صورة أوضح على هذا أذكر لك ما جاء على لسانهم في نشرة فيدس الصادرة في ١١/٦/١٩٥٥ وهذا نصه :

لا شك أن دين محمد حائز رهيب للرسالة الكاثوليكية ، وليس الخوف من سرعة انتشاره ، بل لأنه يحيل أتباعه إلى متعصبين ضد المسيحية ، إن إيمان المسلم مع بساطته يشع رغبته الدينية ، فهو يسمح له بحرية واسعة في سلوكه ... إن الإسلام يفوق المسيحية في سرعة انتشاره ، فإن التجار وبخاصة الهنود والباكستانيون دعاة بارزون متحمسون حيث يقيمون متاجرهم في الأماكن المزدحمة بالسكان ، بل يقيمون كثيرا منها وسط الأدغال ، وهي دائما مراكز لنشر الإسلام ، والأهالي يودون التخلص من عار الوثنية والجاهلية بهذا الدين الذي لا يكلفهم كثيرا ... هل سيصير الإسلام دين الأغلبية ؟ نحن نأمل ألا يكون ذلك وإن كانت إمكانياتنا للعمل محدودة جدا .

وبعد ، فإن الدكتور شيل قال في مجلة العالم الإسلامي : « إن المسلمين الغرباء تمكنوا في سنة ١٩١١/١٩١٢ من التغلغل إلى المناطق

# الدين وعلاقته بالأدب

عند : ت. س. إليوت

للاستاذ رشاد محمد خليل

يكاد الإجماع في أوساطنا الأدبية ينعقد على ضرورة الفصل بين الدين والأدب ؛ لأنهم يعتبرون الدين حجراً على حرية الأدب وإبداعه ، مع أن هذا الفصل غير ممكن في واقع النفس الإنسانية ؛ لأن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ ؛ والدين والأدب كلاهما يصدران عن هذه النفس ، ويتجهان نحو هدف واحد هو تنظيف الوجدان الإنساني ، وبناء الضمير على أساس سليم ، وهم يحتاجون لهذا الفصل بتاريخ الأدب الغربي وأحكام نقاده ، ويعتبرون كل من يربط الدين بالأدب ملحداً في حق التقدم الإنساني . ونحن نقدم هنا علماً من أعلام الأدب الغربي المعاصر ، داوت حوله في محاقتنا الأدبية معارك حامية ، وانقسم النقاد حول ( معادله الموضوعي )<sup>(١)</sup> بعضهم ينادى به ، والبعض الآخر يتهم عليه ، وإن كانوا جميعاً قد سكتوا عن رأيه في صلة الدين بالأدب ، مع أن هذه الصلة في رأي إليوت وتفكيره أخطر من

قضية المعادل الموضوعي ، المهم أن إليوت باعتراف الجميع أكبر الشعراء الانجليز المعاصرين ، ومن أكبر نقاد الأدب في العالم ، فهو غير منهم على الأقل في مقدراته الفنية ، أو تذوقه ، وحين يتكلم عن العلاقة بين الدين والأدب لا يمكن أن يتهم بأنه يصدر في كلامه عن جهل بالاعتبارات الفنية ، أو يستجيب للوثنة من لوثات الهوس الديني ، وإذا كان نقادنا تحت تأثير تيار النقد المادي المعاصر قد أهملوا رأي إليوت في العلاقة بين الدين والأدب ؛ فإنني أعتقد أن الأمانة تقتضينا أن نكون من الشجاعة بالدرجة التي تمكننا من أن نقدم الرجل من جميع جوانبه لقراء العربية ، ولا نكتفي بنظريته في المعادل الموضوعي ، وذلك نظراً إلى تأثير إليوت العميق في الأدب العالمي وفي أدبنا العربي المعاصر على السواء ، ثم إن اتجاه النقد العالمي إلى فصل الدين عن الأدب لا يستلزم منا الخضوع الأعمى ، وإن رقف إليوت في وجه هذا التيار ليقول رأيه بشجاعة ليؤكد أن سيطرة الاتجاه المادي على الواقع المعاصر ليست خاتمة المطاف ، كما يؤكد أن هذه الخيرة التي تحتاج عالم اليوم أخذت بالفعل تتلصص

(١) المعادل الموضوعي نظرية اشتهر بها إليوت وهي تذهب إلى أن العمل الأدبي ليست مهمته نقل الواقع أو نقل إحساس صاحبه ، وإنما مهمته خلق حالة نفسية عند القارئ تماثل العمل الأدبي نفسه .

الروائيون جميعا ما عدا جيمس جويس  
المسيحية مجرد ترهات ) .

ثم يسخر من الذين يريدون تجزئة العقل  
الإنسانى إلى جزء متدين وآخر غير متدين  
بقوله : ( هل من الممكن أن يؤمن الناس  
بفكرة محدودة دينية كانت أو غير دينية بجزء  
من عقولهم ثم يقرءون الرواية أو الشعر بجزء  
آخر ؟ <sup>(١)</sup> بل إن إليوت لينذهب إلى أبعد  
من ذلك فيجزم باستحالة اتخاذ موقف حيادى  
إزاء العمل الأدبى ( لى أعتقد أن الموقف  
الحايد إزاء الأدب لا يجدى ، حتى ولو كان  
الكتاب الذين يحاولون فرض وجهات نظرهم  
فى الحياة علينا أصحاب أصالة ذاتية فى الحقيقة ،  
أو حتى لو كنا نحن أفرادا أصحاب أصالة  
ذاتية فى الحقيقة ، فإذا ستكون النتيجة ؟  
إن الذى سيكون بالتأكيد هو أن كل قارى  
سوف يتأثر فى قراءته بما كان مستعدا لأن  
يتأثر به من قبل فقط ، إنه سوف يسير  
فى الركب ومن هنا لن يكون هناك أى ضمان  
لكى يصبح رجلا أفضل ) <sup>(٢)</sup> وإذن فالشخصية  
الإنسانية تتلقى الأدب ككل وتتأثر به ككل  
ومهما يحاول الإنسان أن يفصل بين تذوقه  
الأدبى واعتقاده فلن يتيسر له ذلك ( فالحقيقة  
أن ما نقرأه لا يتعلق فقط بما نسميه الذوق  
الأدبى ولكنه يؤثر مباشرة فى تكويننا

طريقها إلى راحة عميقة لن يكون لها مصدر  
فى غير الدين .

وإليوت يعتبر ربط الأدب بالدين مسئولية  
النقد الأدبى فيقول : ( إن النقد الأدبى يجب  
أن يكمل بوجهات نظر أخلاقية وعقائدية  
معينة ، وفى كل عصر من العصور الماضية  
وجد اتفاق عام على مسائل أخلاقية وعقائدية  
قام فى ظلها النقد الأدبى ، ولكن فى عصر  
كعصرنا حيث لا يوجد مثل هذا الاتفاق العام  
نجد من الضروري بالنسبة للقراء المسيحيين  
أن يقوموا قراءتهم خصوصا ما كان منها  
خاصا بالأعمال التخيلية بموازين أخلاقية  
وعقائدية واضحة دقيقة ، فالأدب فى معظمه  
لا يمكن أن يقوم بالموازين الأدبية البحتة  
هذا إذا افترضنا أصلا إمكان وجود أدب  
يقوم بالموازين الأدبية البحتة وحدها <sup>(٣)</sup> .

ثم يستمر إليوت فى نظريته الجزئية فيعتبر  
تطور الأدب الغربى تطورا منحرفا عن  
قاعدة الاعتقاد الغربى وهو المسيحية ، ويرى  
أن هذا الانحراف مر بثلاث مراحل . المرحلة  
الأولى اعتبرت الرواية المسيحية قضية مسلما  
بها فى اعتقاد العصر فابتعدت عن تصويرها  
للحياة ، وفى المرحلة الثانية وقفت الرواية  
من الاعتقاد المسيحى موقف المعارضة وفى  
المرحلة الثالثة وهو العصر الحديث اعتبر

(1) Religion and Literature :  
Selected prose : I.S. Eliot

من الأدب أدب خاص بالعالم المسيحي وآخر خاص بالعالم الملحد<sup>(١)</sup> ) ويدعو المسيحيين إلى تقويم الأدب تقريماً مسيحياً ( إنى أعتقد أنه يقع على عاتق جميع المسيحيين واجب إقامة موازين ومقاييس نقدية معينة لكل ما يزودنا به العالم من أدب ، وبهذه المقاييس والموازين يجب أن نقوم جميع ما نقرؤه ، إن من واجبتنا أن نتذكر أن معظم قراءاتنا الحالية قد كتب بواسطة أناس ليس لهم أى اعتقاد فى نظام سام ، وإن كان بعضه قد كتب بواسطة أناس لهم آراء خاصة فى نظام سام غير نظامنا . إن معظم قراءاتنا الهامة قد كتب بواسطة أناس ليسوا فقط مجردين من هذا الاعتقاد ، ولكنهم أيضا يجهلون حق حقيقة وجود أناس فى هذا العالم ، هم من التخلف للدرجة التى تجعلهم مازالوا مستمرين فى الإيمان بعالم من هذا القبيل . . . إننا بقدر ما نكون واعين بالحواسز التى تفصلنا عن الجانب الأكبر من الأدب المعاصر بقدر ما نكون فى موقف أقل أو أكثر أمناً من أذاه . . ) .

ذلك هو موقف ت. س. إليوت الأدب الناقد الفيلسوف من صلة الدين بالأدب باعتباره مسيحياً ، فما هو موقف أدبائنا وتقادنا من هذه الصلة باعتبارهم مسلمين ؟ .

رشاد محمد خليل

وإن كان ذلك يحدث وسط مؤثرات أخرى إن جملة نكوبتنا - على ما أعتقد - عبارة عن أحسن ما ننتخب عن طريق الامتحان الواعى خلال دراستنا الأدبية . صحيح أن من الممكن أن نقرأ الأدب للتسلية فقط أو الاستمتاع الجمالى إلا أن هذه القراءة لا يمكن أن تؤثر فى جزء مستقل من تفكيرنا فقط ، وإنما تؤثر فىنا ككل ، كوجودات بشرية ، لأنها تؤثر فى وجودنا الأخلاقى والدينى<sup>(٢)</sup> ) .

ويرى إليوت أن الأدب والدين كلاهما مكمل للآخر فيقول : ( لستى تتمكن من إصدار أحكام أدبية سليمة يجب علينا أن نعرف شيئين أولاً : ماذا نكون فعلاً ؟ وثانياً ، ماذا يجب أن نكون ؟ ... لأنه ليس كافياً أن نفهم ماذا ينبغى أن نكون مالم نعلم من نكون ونحن لا نعرف من نكون مالم نعرف ماذا ينبغى أن نكون ، إن الوعى الذاتى بماذا نكون وما ينبغى أن نكون يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب ... إن واجبتنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا نكون وإن واجبتنا كمسيحيين كما هو واجبتنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا يجب أن نكون ، إن واجبتنا كرجال أمثال ألا نسلم بأن ما نكونه هو ما ينبغى أن نكونه ) .<sup>(٣)</sup>

بل إن إليوت ليدعو بحرارة إلى قيام أدب مسيحى ( إن أمنتى الآن هى أن يوجد نوعان



# من أعلام المسلمين في الهند : مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

— ٥ —

صلة بالسابق « قبض على مولانا آزاد في أوائل الحرب العالمية الثانية وظل بالمعتقل حتى أخرج عنه ليتولى للمفاوضات مع « كريبي » ممثل بريطانيا سنة ١٩٤٢ ولما أخفقت المفاوضات ، وبدأت الأمور تتأزم اعتقلته الحكومة الانجليزية مع الزعماء الهنود الآخرين في السنة نفسها وظل في المعتقل حتى أفرج عنه في يونيو سنة ١٩٤٥ لاتجاه بريطانيا إلى المفاوضات لحل مسألة الهند

هنا وهناك وكلما مر الوقت اشتدت الفتن وكثرت الأذاج بين المسلمين والهندوس ... مما جعل المتفاوضين يوافقون على قرار التقسيم ، الذي وافق عليه المؤتمر رغمًا عنه ، والرابطة تساهلت من ناحيتها فيما يتصل ببعض الولايات مثل تقسيم بنغال وبنجاب ، وانتهى الأمر أخيرا إلى إعلان الحكومة البريطانية قرارها بتسليم السلطة نهائيا إلى الدولتين الوليدتين في أغسطس سنة ١٩٤٧ .

وكان مولانا آزاد يؤمن إيمانا تاما بالوحدة فوقف ضد فكرة التقسيم من أولها لم يتخرج عنها إلا مضطرا برغم ما كان يصيبه أحيانا من إيذاء المنتمين للرابطة ...

وهكذا ظل مولانا آزاد يجاهد ويقود المجاهدين ، ويوجه دفة السياسة في حزب المؤتمر ، ويتولى المفاوضات باسمه حتى ظفرت

لقد اتجهت بريطانيا إلى حسم مشكلة الهند بعد أن انهزمت ألمانيا في ربيع سنة ١٩٤٥م وأفاق الحلفاء من كابوس ثقيل ، ولذلك وجه اللورد ويفل نائب الملك في الهند دعوة إلى ممثلي حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية للاجتماع به في يوليو سنة ١٩٤٥ بمدينة دسلا في شمال الهند وكانت الحكومة تتخذها مصيفا لها ، فكان مولانا آزاد - باعتباره رئيسا لحزب المؤتمر - وغاندي هما اللذان يمثلان الحزب في هذه المفاوضات ، وكانت المشكلة الحقيقية أمام المتفاوضين هي التقسيم أو عدم التقسيم . كانت الرابطة تصر على التقسيم ، وحزب المؤتمر يصر على الوحدة ، وانجلترا تكاد تحفض يدها من الهند وتسلبها لأهلها ... ومن وراء المتفاوضين كانت الهند كلها تموج بالخلافات والفتن الطائفية والأذاج



فيها ... وتفتحت له أنهر جديدة من الثقافة والمعرفة لم يكن يعرفها من قبل ، وساعدته هذه الثقافة ، على حسن إدراكه لثقافته الدينية ، وحسن توجيهها ، فكان صاحب الثقافتين الشرقية والغربية ، وصاحب الإمامتين : الإمامة في الدين ، والإمامة في السياسة ، وكانت إمامته في الدين تسبق إمامته في السياسة ، حتى ليقول الأستاذ همايون كبير عنه : « كنت أظن أن مولانا أراد عالم من كبار علماء الدين - كما ظن كثيرون غيبي - ، ولا يعرف من السياسة وحل المشاكل على النهج الحديث إلا قليلا ، ولكني دهشت حينما علمت أن معالجته لكثير من القضايا السياسية ، كانت معالجته علمية دقيقة ، وأحسن من معالجة كثيرين من الساسة الهنود الذين تلقوا علوما حديثة .

ويصفه المهاتما غاندى فيقول : « إنه لا يبارى في العلوم الإسلامية كما كان متبحراً في اللغة العربية ، ووطنيته متينة صادقة كإيمانه بالإسلام .

كان قد تلقى العلوم الدينية ونبع فيها في مستقبل شبابه ، وقبلها كما مثاله من يتخرجون في المدارس الدينية ، ولكنه لم يلبث بعد أن اطلع على الثقافة الغربية واتسعت مداركه أن اضطرب بين الثقافة القديمة والحديثة ، وخرج من هذه المرحلة بعد أن اتخذ له

البلاد باستقلالها ، وظل بعد ذلك رئيسا للحزب حتى سنة ١٩٥٠ ، حيث اختير رئيسا للبرلمان ثم وزيراً للمعارف في وزارة الهند المركزية وظل يشغل هذا المركز حتى توفى . وكان وضعه باعتباره من الأقلية لا يسمح له بتولى رئاسة الجمهورية رغم أن الأنظار كانت تتجه إليه أكثر من غيره . ولكنه مع بقائه وزيراً للمعارف كان يعتبر المرجع الأول في توجيه دفة السياسة الداخلية والخارجية للهند ، لا يقطع فيها برأى دون أخذ رأيه والاستشارة بتوجيهاته ... حتى ليقول نهرو في كلمته التي ألقاها : «

إلى من أذهب الآن للتشاور إذا عنت لي مشكلة سياسية ؟ لقد ترك وراءه فراغه عظيما يتسع كلما تقدم الزمن حتى لا نجد على مروره من يسد ...

وإذا كان مولانا أزداد قد بلغ القمة في جهاده السياسى فإنه أيضا يقتعد القمة في جهاده الدينى بل إنه من طريق جهاده الدينى . طريق إيمانه بدينه الذى يأبى الهوان والذل والاستعباد بدأ كفاحه من أجل تحرير بلاده ... وخطا خطواته إلى القمة ...

لقد تنقف في بصفوة الثقافة الدينية المعتادة في بلاده - كما عرفنا من قبل - وبعد أن انتهى من دراسته الدينية بدأ يشرب الثقافة الغربية ، ويتعلم اللغات الأجنبية ، حتى أصبح ضليعا

وحينما كنت ظمآن لم يكن ظمئى كغبرى  
كان مشربى غير المنهل العام الذى يشرب  
منه الناس .

دخل مولانا آزاد ميدان السياسة من  
طريق الدعوة إلى الدين الصحيح الذى لا يقبل  
الاستعباد ويأبى على أتباعه الرضوخ لذلك  
والهوان مثله فى ذلك مثل السيد جمال الدين  
الأفغانى والشيخ محمد عبده ، ولم يكن غريبا  
بعد هذا أن نجد صرخاته فى المسلمين تقشابه  
فى أسلوبها ومعانيها مع صرخاتها فقد كانوا  
جميعا ينهلون من منبع واحد .. ويهدفون إلى  
هدف واحد منبعم الإسلام وتعاليمه وحيويته  
وعزته وكرامته وهدفهم إيقاظ المسلمين ،  
وبعثهم من جديد ليعيشوا كراما أعزاء كما  
جعلهم الله ... خير أمة أخرجت للناس .

اقرأ معى صرخة من صرخاته للسلبين  
ولاحظ وجه الشبه بينه وبين الأفغانى يقول :  
« إن العقل موهبة من الله وهبها لنا  
لنستخدمها فى الإصلاح ، لا لنضيعها فى الغفلة ،  
فما بالنا لا نميز بين اليقظة والنوم ، وبين  
الموت والحياة ؟ ولا نفكر فيما سيقوله  
عنا التاريخ إذا لم نهض ؟ وكيف لا تفجع  
أكبادنا ، وتلهب أرواحنا ، وتلتاع قلوبنا ؟  
وما يمنعنا أن نعى بمجروحنا الدامية ،  
اتق نكاد تقضى على القوة الروحية ؟ ،  
ما يمنعنا أن نرى ما يجب على العيون أن

منهج الحرية فى البحث أساسا لمعلوماته حتى  
سمى نفسه فى هذه الفترة « آزاد » بمعنى حر .  
وبدأ يدرس ويؤمن من جديد فأزاد إيمانه  
وقوى يقينه واشتدت حماسه لما يؤمن به  
حتى نجاهه يقول :

« إن أمن الكنوز التى قد بها الدين  
الحنيف للعالم هى رسالة الديمتراطية  
والتساوى بين البشر ، أنا مسلم وأعتر  
إسلامى . وبأن تقاليد الإسلام ترائى ،  
وتعاليم الإسلام وتاريخه ونونه وآدابه  
وحضارته هى غنائى وثروتى وواجبى أن  
أحتفظ بهذا التراث وبهذه الثروة . »

ويقول مبينا خطته فى البحث : —  
لا أستطيع أن أومن بأمر راقبله قبل أن  
أغربه بغير بال عقلى وأعرضه على محك فكرى  
ويقول : « إن كل ما وهبت لى أمرتى ويئتنى  
وأسلت لى من أوضاع المجتمع وتقاليد  
أيت أن أقتنع به منذ أول يوم ، فما حالت  
درونى قيود التقليد وعوائده فى أية ناحية  
فصدتها ، ولم تزل عاطفة الفحص والتنقيب  
منى ظامئة أينما حللت ، فلى فى داخل  
فؤادى اليوم يقين ، شاكته الظنون  
بأصنافها وألوانها ، ولى فى أعماق روحى  
عقيدة ، ابتليت بكل بلاء العصيان ، وعذاب  
الشك ، ولقد شربت السم من كل كأس ،  
واختبرت دواءه المضاد من كل مستشفى ،

شيخنا محمدا ، خبر الأيام وخبرته ، فدعاه أعضاء مجلس «جمعية حماية الإسلام» في «لاهور» إلى لقاء محاضرة ، عن «الأساس العقلي للدين» ، وهو لم يبلغ العشرين من عمره . وكم كانت دهشة الحاضرين في الاجتماع ، حين زاوا أمامهم شابا صغيرا ، جاء من بعيد ، ليلقي عليهم محاضرة في هذا الموضوع الديني الجديد ، واتجهت أذهانهم إلى أن يكون نائبا عن «أزاد» ، في قراءة محاضرته ، ولكنهم حين عرفوا أن «أزاد» الذي سمعوا عنه وقرءوا له ، وأعجبوا به ، هو هذا الشاب الصغير الذي يلقي عليهم محاضرته ، ازدادت دهشتهم ولم كبارهم له ...

وحين أصدر سنة ١٩١٢ مجلة «الهلل» في ثوب لم تألفه المجلات الدينية من قبل ، كان قد ثبت أقدامه على الطريق ، فبدأ يتخذ منها منارا قويا للإشعاع ، لبث آرائه ونشرها لإيقاظ الهمم الخاملة ، وهدى النفوس الحائرة بأسلوبه الشيق الجديد ، وصدر العدد الأول الأول بكلمة قال فيها :

«رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا» ، وبعد : فقد حلت بعين اليقظة النابهة سنة ١٩٠٦ ، ومكثت سنين متتالية ، أبحث عن التعبير العملي لهذه الرؤيا ، وكنت في غاية الاشتياق ، لتحقيق هذه البغية ، وما زالت

تراء ، وأن نفقه ما على القلوب أن تفقهه ، ونسمع ما على الآذان أن تسمعه ؟ ألسنا من أتباع الدين القويم وحاملين أمانة الله ، وخلفاءه في الأرض ، فما بالنا نخاف وتتنازل ، ولا نجاهد ؛ لكي نصبح أحرارا ذرى سيادة ، نتمتع بالكرامة ، ونخطو خطوات واسعة في سبيل تخليص الأمم المستعبدة من ربة العبودية ؟ .

«وإذا أهرضنا ولم نستغل مواهبنا ، فسيطوى التاريخ ما خص لنا من باب حافل بالمدح والشرف ، ويفتح لنا بابا آخر يسجل فيه أمام الأجيال : أن الهند سعت إلى الحرية ، وجاهدت في نيل الاستقلال ، ونادت أبناءها للخل لواء الجهاد ، فلما قوم نداهما ، واحتجب آخرون ، ولجئوا إلى مغارات الذلة . وواحسرتا حين يقول : إن هؤلاء كانوا أمة مسلمة تزعم أنها قائدة الأمم ، وزعيمة الأقوام ..»

كان فضجه مبكرا على غير العادة . . وإن كان على سنة المهووين النادرين ، فاندفع بنضجه وموهبته ، إلى خدمة دينه وأمته في وقت مبكر ، فكان يكتب في المجلات ، ثم أنشأ له مجلة سماها «الصدق» ، قبل الهلال والبلاغ وأخذ يكتب فيها مقالاته الدينية على أسلوب عقلي جديد عرف به ، حتى ظنه القراء الذين لم يروه ،

معه ، وتنفض عنها غبار الخوف والجبن ،  
وتقتحم الحياة وصعابها دون تردد .. ويذكرهم  
بأجسادهم ، وأسلافهم ، ليعيدوا سيرتهم ،  
ويكونوا خير خلف لهم ، وينذرهم عاقبة  
القعود والجحود ، وترك الميدان لغيرهم  
يسبقهم ، بينما يسجل التاريخ لهم صفحة  
خزى وعار .

فيقول مفتتحا كتابه بآيات فاصلة من  
القرآن الكريم .

« يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير  
أم الله الواحد القهار . ما تصدون من دونه  
إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله  
بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ... الآية .. »  
ثم يقول : « يا قوم اعلوا وأدركوا ، أنه  
ما قدر له أن يكون سيكون ، وما من أحد  
يحول دون حدوده ، وسيأتي يوم تكون  
الحمد فيه قد اجتازت آخر مراحل التطور  
السياسي ، وسيسجل التاريخ تقدم البلاد  
وخطواتها في سبيل النهضة ، أفلا فكرتم فيما  
سيسجله التاريخ عنكم .. إلخ .. »

وفي الوقت الذي يهز فيه النفوس بهذه  
الكلمات يتجه إلى العلماء الذين يقودون العامة  
ويقضونهم بالمعلومات الدينية فيكتب لهم في  
صدر مجلته مقالا باللغة العربية أحيانا وهو  
يجيدها ، وهم يعرفونها كذلك ليزحزحهم  
عما اعتادوه من تقليد ، ويدفعهم

بين الآمال والعزائم ، ولطالما هاجنى القنوط  
مهاجة عنيفة ، للتغلب على عزائمي ، والنيل  
من إرادتي ، لكنني تشبثت بعزيمة المستحكمة  
معتمدا على عون الله وثقا بتأييده ، إلى  
أن حان يوم أقول فيه : « هذا تأويل رؤيائي  
من قبل قد جعلها ربى حقا ، ولا يخفى على  
عالم السرائر ، وعارف الخفايا ما يحيط بي  
من المشاكل المصنية ، وما يهددني من الآلام  
والأحزان ، مما يكاد يذهب معه وعي ،  
ويجرمني طمأنينة البال ، بيد أننا لا نجد  
مهربا لترك حياتنا تسير معطلة ، وتضيع  
سدى . »

ومالنا نشغل - كمادتنا - بالحديث عن الفشل  
والخيبة ، وشكوى الدهر !! ليت شعري ..  
ماذا دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لا بد  
أن تكون مقرونة بالطمأنينة والهدوء ،  
وما يمنعنا أن نقوم في وجه النوائب والآلام  
ألا ترون أن الغواصين يسبحون البحر إلى  
شاطئ السلام ، بينما يرتعد الخائفون وجلًا  
وهم راكبون في السفن ، إلا أن الحياة مقرونة  
بالشدائد لا فكاك لها قبل الموت ، فهلا  
روض الشاكون الناحبون نفوسهم ، لاحتمال  
المشاق ، ومكابدة الشدائد ، فعبروا الأبحر  
دون خوف أو خشية ١٩ .

وهكذا بدأ يخاطب العقل بجانب العاطفة  
ويغوص إلى أحماق النفوس ، فيهرها لتفسير

# تدرّج القرآن في تشرّيعات التحريم

للدكتور سعد الدين الحيزاوي

جاء الإسلام لينبني مجتمعاً سليماً ، متكامل الجوانب على أسس صالحة لكل زمان ومكان ، مكان مجتمع كانت تسوده الفوضى ، وتنتشر فيه عادات ألغها الناس دون نظر إلى ما فيها من صلاح أو فساد ، ولم يكن ذلك عجيباً من قوم ألغوا عبادة الأوثان لا لمنافع رأوها فيها ، بل لأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون . وبعد أن اخترقت دعوة التوحيد شغاف

القلوب ، وتنهت العقول إلى ما كانت فيه من غفلة ، أصبحت النفوس مستعدة لقبول مبادئ الإصلاح ، واقتلاع ما كان متصلاً من سيئ العادات ، وقبيح الأفعال ، أسوة بما اقتلع من جذور الوثنية والإشراك . ومن ثم فقد تداركت رحمة الله العباد بما جاءتهم به آيات الكتاب الكريم من تشرّيعات صالحة ، ومبادئ سليمة ، اطمانت إليها

( بقية المنشور على صفحة ١١٠١ )

للقضاء على الحرافات والبدع ، التي اندست على الإسلام ، وتسربت لأذهان العامة ، فاعتبروها خطأ — من الدين ، وليست من الدين في شيء ، كان يدعو العلماء للتحرر العقلي ، وتناول القضايا الدينية ، بروح العالم المفكر الفاهم لأهداف الدين وروحه ، الذي لا يهتم بالقشور ، ولا يثير خلافات عليها ، يفرق بها ، كلمة المسلمين . ويزيد من ضعفهم وكان يهدف من هذا كله إلى فهم روح الدين ، الذي لا يرضى بالذل والاستعباد ، ولا بالتأخر والجمود والضعف ، حتى إذا فهم العلماء هذا استغلوا نفوذهم وسط عامة الشعب المسلم فبعثوا فيه الممّع النائمة ، ودفعوه إلى الركب المتحرك العامل .

وحينما كنت بالهند وقع في يدي العدد

أول من مجلته « البلاغ » التي أصدرها بعد ما عطلت السلطات البريطانية مجلة « الهلال » وكان هذا العدد بتاريخ الجمعة ( ٤ ) من المحرم سنة ١٣٣٤ ١٢٨٨ نوفمبر ١٩١٥ م ) فكانت افتتاحية هذا العدد باللغة العربية ففرحت بها أيما فرح ، وأقبلت على قراءتها بشغف ، فلبست فيها روح جمال الدين الأفغاني ، وأحسست فيها أسلوباً مثل أسلوبه ، وقدرة فائقة ، وتوفيقاً بالغاً في الاستشهاد بالقرآن والسنة ، كانت الافتتاحية طويلة وعنوانها « الاجتهاد والتقليد » حرصت على نقلها كما هي كماثر من آثار مولانا آزاد باللغة العربية أحتفظ به حتى تتاح الفرصة لدراسة شاملة عن مولانا آزاد ... وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد المصنم النمر

الاجتمع السليم الذي يتفق مع قوم قد عرفوا ربهم ، وآمنوا به وبرسوله ، ورسخ في نفوسهم أن هناك يوماً آخر يقوم فيه الناس لرب العالمين فيحاسبون على كل كبيرة وصغيرة : الخير خير والشر شر ، حساباً عادلاً ولقد كان من العادات الشائعة في الجاهلية عادة شرب الخمر ولعب الميسر . فأما الخمر فقد كانت لها مجالس يغشاها الفتيان والشيوخ وفي كثير منها النساء والفتيات ، ولم يكن هناك تخرج أو تأثم في تناولها ، اللهم إلا قبيل ظهور الإسلام حين كانت هناك إرهابات عامة تؤمن بضرورة عهد جديد تتغير فيه عامة الأوضاع فقد أخذ بعض عقلاء القوم يتخرجون بعض الشيء عن مجالسها وتناولها .

ونظراً لأن شرب الخمر كان من الأمور المسيطرة على النفوس ، فقد تدرج التشريع الإسلامي في تحريمها ، وكان هذا التدرج على مراحل أربعة : المرحلة الأولى كانت في آية النحل . « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً » (١) ، وفي تفسير هذه الآية عدة أوجه .

منها أن المراد بالسكر : « الخمر » . وأن ذلك قبل التحريم ، ثم نسخت الآية بآية المائدة : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر

نفوسهم ، وأقبلت عليها قلوبهم ، فراخوا ، يتقلبونها بصدور رجة ، ويتفهمونها ، ويستزبدون في تفهمها ، ويستفسرون عما يخفى على فهمهم منها ، وكانت الآيات تجيهم عما يسألون في رفق وتدرج ووضوح ، فكانت أحكام تأتي بعد أحكام : تنسخها ، على قول من يعتبرون النسخ من علماء التفسير أو تقييد لإطلاقها ... حتى كملت هذه المبادئ السامية في تشريعات الإسلام يوم : نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » (المائدة ٣) . ونعرض في كلتنا هذه صورة من أسئلة المؤمنين ، وإجابات السماء عليها تبين كيف كان التدرج في التشريع :

قال تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل : فيهما إثم كبير ، ومنافع للناس . وإثمهما أكبر من نفعهما » .

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل العفو . كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون . في الدنيا والآخرة .

« ويسألونك عن اليتامى . قل : إصلاح لهم خير ، وإن تخالطوهم فإخوانكم . والله يعلم المفسد من المصلح . ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم » (البقرة ٢١٩ - ٢٢٠) . وكانت هذه الأسئلة وأمثالها صادرة عن يقين ، رغبة في الاطمئنان إلى إرساء قواعد

وكانت المرحلة الثالثة عند ما خلط بعض الصحابة آيات من القرآن الكريم عند ما كان يوم بعض إخوانه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فغتم كثيرا وانتظار حكم السماء وسرعان ما نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) وهنا ترك أكثر الصحابة شربها ، ولإلى هذه المرحلة لم يكن هناك تحريم بات ، وإنما كانت الآيات تحذيرا وتقيها على ما في الخمر من أضرار .

أما المرحلة الأخيرة فقد كانت عندما تلاهى جماعه من المسلمين بالمدينة المنورة وتضاربوا وثارَت بينهم فتنة أشبه بما كان يجرى فى الجاهلية من التفاخر والتهاجى بعد أن لعبت الخمر برءوسهم ما لعبت « وغضب الرسول لما حدث ، وغضب كبار الصحابة ، واتجه هم إلى الله يسأله أن يبين لهم فى الخمر بيا نانا شافيا ، واستجاب الله فأنزل على رسوله هذا البيان الشافى « يا أيها الذين آمنوا : إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٢) وهنا قال عمر : قد أنتمينا يا رب .

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

ومنها أن المراد بالسكر : الخمر أيضا ولكن مقابل الرزق الحسن أى أنكم تتخذون مما هو حلال مباح : نوعين : أحدهما الخمر وهو خبيث ، والآخر ما تأكلونه طيباً من هذه الثمرات وترى بكونه من مكاسب .

ومنها أن المراد بالسكر : « النفيذ » الذى لا يعتبر خمر فى بعض أقوال الحنفية ، وهو ما طبخ من عصير التمر والزبيب والعنب حتى ذهب ثلثاه ، وعلى هذا لم يكن هناك نسخ « والأقوال الثلاثة مقبولة ، وأولها هو المناسب لتدرج التشريع (١) .

والمرحلة الثانية فى تحريم الخمر كانت الآية التى صدرنا بها هذا المقال ، فعند ما رأى كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب ، ومعاذ ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر أبدا أدركوا أن وراء هذا الامتناع سرا وراحوا يسألون الرسول الكريم عن حكم الله فى شربها فنزلت الآية الكريمة مناسبة للظرف الذى وجه فيه السؤال من فترة التشريع وعندئذ أخذ كثير من الصحابة يمتنعون عن شربها .

(١) وقد عرفوا الخمر بأنه ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وكذلك تقبع الممر أو الزبيب الذى لم يطبخ وذهب ثلثاه فلعاء الحنفية على خلاف فى إباحته ، والقاعدة العامة فى تحريم الخمر أن : « كل ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

(١) الذمء ٤٣ .

(٢) للسائدة ٩٠ - ٩١ .



ووزع قيمته على الفقراء ومن خرج له أحد السهام الثلاثة الأخيرة ألزم بدفع ثمن البعير كله ، وقد كان هذا العمل من مفاخر الجاهلية إلى أن تنوسى هذا الأصل وصاروا يتخذون السهام للريح دون نظر إلى معونة الفقراء ، واستمروا بذلك بطول الزمن ثم بالغوا فيه حتى إن الرجل كان يقامر بكل ما يملك ويصبح معدما بعد يسار .

ولما كان الإسلام ينشد المجتمع الصالح فقد وجه أنظار المسلمين عند ما سألوا عن حكم هذا العمل بأن ما فيه من مضار أكثر مما فيه من منافع ، ثم نهى عنه كلية هند ما قرنه بالانصاب ، وخاطب المسلمين بفصل الأمر : فاجتنبوه .

ولم يكن تحريم الخمر والميسر عبثا بل كان لحماية الأبدان والأموال ، وتفصيل ذلك يحتاج إلى صفحات وصفحات ، فتبارك الله الذى شرع لعباده كل ما فيه خيرهم وصالحهم .

ماذا ينفقونه ؟

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : العفو ، » (١) .

ولما كان إتفاق المال من الأمور التى تشق على أكثر النفوس البشرية فقد وجه القرآن أنظار المسلمين فى آيات كثيرة مبينا لهم فضل الإتفاق مرغبا إليهم فى البذل فى مثل قوله

(١) البقرة ٢١٩ .

وهل بعد هذا البيان من دليل على تحريم الخمر ؟ لأنها قرنت فى الآية بالانصاب فهى تعدل فى جرمها عبادة الأوثان ، وفعل الأمر « فاجتنبوه » صريح فى النهى عن شربها .

هذا هو الحديث عن « الخمر » الذى كان جزءا من السؤال ، أما الجزء الآخر وهو « الميسر » الذى صار عاملا فى هدم الأسر وخراب البيوت وخلق طائفة من المتعطلين الواهمين فى كسب غير ثابت ولا مشروع ، فإن فكرته الأولى كانت أشبه شىء بالاكتتاب لمساعدة الفقراء والمعوزين ، إذا كان العرب يادى ذى عند ما يشتد القحط يأتون ببعير يذبحونه ويجزئونه ثمانية وعشرين جزءا ، وكانت لهم عشرة أقداح - أسهم - يوزعون على سبعة منها أجزاء البعير وهى « الفذ » وله سهم واحد ، والتوأم وله سهمان ، وللقريب ثلاثة ، وللحليس أربعة ، وللنافس خمسة وللسبل ستة ، وللعلى سبعة (وهذا هو مورد المثل المشهور عندما نقول : لفلان القدح العللى) .

أما السهام الثلاثة الباقية ( المنجح السفيح والوغد ) فليس لها أنصباء وكانوا يضعون هذه السهام العشرة فى جراب ثم يجيئونها ويطابون من أحدهم لإدخال يده فى الجراب وإخراج سهم على اسم فلان من المستهين وهكذا ، فمن خرج له سهم ذو نصيب أخذه



أنهم أسرة واحدة . وقد نهى الإسلام عن التكفف ودعا إلى العمل ورسم إلى ذلك أمثل الطرق .

### رعاية اليتامى والفساء

ومن حرص التعاليم الإسلامية على سلامة المجتمع وإقامة عدالة اجتماعية شاملة كانت عناية تلك التعاليم بشأن الأيتام الذين لا يملكون من أمر التصرف في أموالهم شيئاً . فقد كانت الولاية على أموال الأيتام إلى بعض أقربائهم ولما كانت هذه الأموال مظنة الطمع فيها ولا سيما إذا كان الولي ضعيف النفس غير أمين فقد توالى الآيات في النصح للأيتام والحرص على ما فيه مصالحهم حتى يشبوا ويكبروا ومن ذلك قول الله تعالى « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن » (١) وقوله « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً » (٢) وقوله: « وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تبدلوا الحديث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حوبا كبيرا » (٣) ولقد تخرج كثير من المسلمين بسبب ما في هذه الآيات من تحذير ، وعزلوا أموال

تعالى « وأنفقوا في سبيل الله » (٤) و « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » (٥) ، منذ الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة (٦) إلى غير ذلك . وحرصاً من المسلمين الأولين على أن يقع إنفاقهم موقعا يرضى الله ورسوله فإنهم راحوا يسألون الرسول تارة عن نوع المال الذي ينفقون - وتارة عن مقداره - وثالثة عن الجهة التي ينفقون فيها .. فكانت الآيات تجيبهم لإجابات تناسب مقام السؤال ففي الآية التي نحن بصدها بيان بأن الإنفاق إنما يكون من القدر الزائد على حاجات المرء الأصلية دون إرهاب وفي موضع آخر كانت الإجابة عن بعض مصارف النفقة الواجبة للوالدين والأقربين ولغيرهم من اليتامى والمساكين ... « قل ما أنفقتم من خير فلولوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٧) .

وليس في دعوة الإسلام إلى الصدقة أو في فرض الزكاة على الأغنياء لمستحقيها ليس في ذلك شيء يدعو إلى البطالة أو خلق طبقة تتكفف الناس وإنما هو نوع من التعاون الاشتراكي يعود فيه ذو اليسار بفصله على المعسر حتى تصلح حاله ويشعر أهل المجتمع

(١) البقرة ١٩٥ .

(٢) ١ - سبأ ٣٩ .

(٣) البقرة ٢٤ .

(٤) البقرة ٢١٥ .

(١) الإسراء ٣٤ .

(٢) النساء ١٠ .

(٣) النساء ، والحوب ، الذنب والإم .

فقد عقب بعد الإجابة على أسئلة المؤمنين عن الخمر والميسر والإنفاق واليتامى بتوجيه النظر إلى أمر هام في بناء الأسرة وهو أن يكون ركنها : الرجل والمرأة مؤمنين ، لأنه إذا كان أحد الطرفين مشركا تسبب عن ذلك فساد الذرية . وقد راعى القرآن هنا حالة نفسية أصيلة في نفوس البشر ، هي الإعجاب والميل الجنسي ، فنهى عن اختيار أحد الطرفين ولو كان قد أعجب الطرف الآخر مادام مشركا فقال تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنن ، ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ، ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار ، والله والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون » (٢٢١ البقرة) . والمقصود هنا : المشركون والمشركات الذين لا كتاب لهم . أما عن أهل الكتاب فقد نزلت آيات أخرى تبيح زواج المسلم من الكتابية دون العكس : « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » . (١)

دكتور محمد الربيع الجبزاوي

اليتامى التي كانت لهم عليها ولاية عن أموالهم ، وأصبحوا يرون في التعامل معهم مظنة للجور وقد كان في هذا العزل خسارة على الأيتام ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتجه إلى الله يسأله البيان ، فنزل قوله تعالى : « قل : إصلاح لهم خير . وإن تخالطوهم فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح » . (١) وقد تضمنت هذه الإجابات أمورا أهمها : أن المحافظة من حيث هي لا ضرر فيها ما دامت النيات في إصلاح شأن اليتيم خالصة ، بل ينبغي أن تكون هذه المخاطلة لازمة على أن تراعى مصالح اليتيم كما تراعى مصالح الوصي نفسه ، واعتبرت الآية أن اليتيم أخ للوصي . وقد لجأت الآية إلى مخاطبة الذات العليا من الإنسان وهو الضمير : « والله يعلم المفسد من المصلح ، أي أن المظاهر لا وزن لها لأن الله تعالى يعلم السرائر . وفي الترغيب في هذه المخاطلة رعاية من الله بشأن الأيتام .

وهكذا نرى كيف كانت إجابة السماء على أسئلة السائلين فيها تعليم وإرشاد ، وكانت متمشية مع ظروف السائلين ومدى حاجتهم إلى المعرفة حينها ، صالحة لكل زمان ، متدرجة مع تطور فترة التشريع .

وتمشيا مع سياسة القرآن في التعقيب بدرس مفيد عقب إجابة السائلين وحرصا على البيان والتفصيل في أدق الأمور التي تتصل بالأسرة

# شكيب أرسلان الناقد

## آراؤه في الشعر

### للاستاذ أحمد الشرباصي

#### حقيقة الشعر :

في سنة ١٩١٢ نشر مصطفى لطفي المنفلوطي كتابه ( مختارات المنفلوطي ) وفيه مقال عنوانه ( حقيقة الشعر ) لأمير البيان الأمير شكيب أرسلان<sup>(١)</sup> ، وفي هذا المقال تصوير لرأى شكيب في حقيقة الشعر ومكانته ، ولذلك يستحق التلخيص والتعليق .

يعبر شكيب عن الشعر بأنه قول ثقيل وعبّ عقل باهظ ، لا يحسنه إلا أصحاب ( السليقة الفائقة ، والطبيعة الصافية التي لا تنح إلا للأجاد ، ولا يؤتاها إلا الأفراد ، يكاد قائله يتجرد من عالم المادة بقوة نفسه ، وشفوف حسه ، ويلحق بالمثل النوراني في مضاء عزمه ، وورى زنده ، وسرعة فكره ، ولو كانت الكهربية شخماً لكانت هي الشاعر ) ثم يذكر شكيب أن القدامى كانوا يحسبون الشعر ( قوة من وراء الطبيعة ، وربما جعلوا له شياطين ، وكان الشعر في الجاهلية دولة وملكا ) . وذكر أنهم كانوا يجلون الذاني

من الشعراء لإجلالهم للأمراء والرؤساء ، وإذا جاءهم رسولهم بكلام معجز أحالوه على الشعر ، كأن الشعر هو ( الدرجة الثانية التي يمكن أن تنزل عنها الآيات من عتبة الوحي ) . ويرى أن الشعر هبة من الله ، وقوة روحية يفيضها على من يشاء من عباده ، فتخلق به في سموات الخيال ، فيرى الطبيعة في أجمل صورها ، ثم بصور مشاهدتها بلغة شبيهة بموضوعها ، فإذا ( فكر سام ، ومقام شريف ، وما أردت من معنى بكر ، ولفظ خل ، لذلك قيل : إن الشعر هو لغة تامة ) . ويشير شكيب إلى أهمية الانفعال في الشعر واستمداد فيوضه من منابع النفس والقلب ، فيقول : ( وإذا تغلغل الشاعر في أنحاء النفس وأحشاء القلب ، وهام في أودية الانفعال ، وأخذ يؤدي من هناك ما يلقيه إليه مضاعفاً هوى ملح ، وشوق هاف ، وحب شاغف وتمن واصب ، وتوسل هالغ ، ورغبة ورهبة وإيمان كإيمان العجائز ، ثم أب من أودية إحساساته وأعطاف فراساته بذلك إلى سامعيه أشجي وأصبي ، وأرقص وأبكى ، وأحرق

لتلا الفراغ الواقع بين المدرك والمدرك ، حتى لا يصل إلى الذهن إلا كاملا بكل قوته ، ولا يحل في العقل إلا بجميع حاشيته .

ويرى شكيب أن الشاعر أن يفن في

الأساليب بحسب اختلاف المطالب ، ويتعرض للموسيقى الالفاظ والمعارات الشعرية . فيقول :

« ولشعر سعة المذهب ، والتفنن في شعوب القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، فهو ملك الكلام ، يتصرف فيه كيف يشاء ، فيه تجسيم المجرد ، وتجرید المجسم ، وتشبيه المجردات بالمحسوسات ، وتلطيف المحسوسات إلى درجة المجردات ، فارة يحسم المجرد حتى يكاد يحس ويمس ، وتقع عليه الأبدى ، وتنعكس أشعة نوره على العين ، وتهتز دقائمه فتهتز طبله الأذن ، وطورا يفهم <sup>(١)</sup> به الملبوس ، ويهلل حتى يشف شغوف البلور ، ويسطع من ورائه النور .

ويرى شكيب أن الكلام لا يحيط بكل الانفعالات مهما كان الإنسان ذلق المنطق قوى الأداء مبين اللسان ؛ لأن الالفاظ تتأصر عن الإحاطة بجميع المعاني : « وأنى للشاعر أن يتغنى لسانه بكل ما يتغنى به جنانه ؟ وأين الثريا من يد المتناول ؟ فإن اللغة رموز محدودة وإشارات مخصوصة ، وهى تطمع أن تعبر عما في النفس البشرية ، والنفس البشرية عالم بنفسه .

(١) يفهم : يرقى .

وأروى ، ونضر وأذوى ، وأياس وأرجى وأفقر وأغنى ، وأسعد وأشقى ، وبلغ من كل مقام الغاية القصوى ، وجذب بأفنان سدره المنتهى ) .

\* \* \*

ثم يذكر شكيب عدة تعريفات وجيزة للشعر ، هى هذه التعاريف :

١ - الشعر مظهر المرء فى أسمى خواطر فكره ، وأسمى عواطف ليه ، وأبعد مرامى إدراكه .

٢ - الشعر هو رؤية الإنسان الطبيعة بمرآة طبعه .

٣ - الشعر شعور عام ، وحس مستغرق يأخذ المرء بكلية ، ويتناول به جميع خصائصه ، حتى يروح نشوان خمرته ، أسهر رأيته ويريه الأشياء أضماقا مضاعفة ، ويصورها بألوان ساطعة وحل مؤثرة تفوق الحقائق .

٤ - الشعر كلام يلقى بلسان الإحساس ، ولطوق ينزل عن وحى الخيلة ، وأوصاف يقضى بها الشوق .

ويلتفت شكيب لفئة شاعرية ، إذ يعلمى للبالغة فى الشعر فيقول : « وإنما كانت المبالغة زيادة على الحقيقة لتكئين السامع من الوصول إلى مقدار الحق ، والحرص على ألا ينقطع منه قسم على طريق الإلقاء وفي أثناء الانتقال ، فكأن هذه الزيادة جعلت

الانفعال في الشعر ، واستمداده من القلب والنفس ، وليت شكيب طبق هذا المبدأ على نفسه في شعره . إذن لصار لشعره شأن آخر ، فقد كان في شعره يجيد الصنعة أكثر من استجابته للانفعال .

٤ - نلاحظ أن تعاريفه للشعر فيها اختصار وتعميم وإبهام ، وقد وقع في هذه التعاريف تكرار لبعض المعاني ، ولعل أقرب هذه التعريفات إلى حقيقة الشعر هو التعريف الأخير : ( الشعر كلام يلقي بلسان الإحساس ، ونطق ينزل عن وحى الخيلة ، وأوصاف يقضى بها (الشوق) لأنه جمع الأصول اللازمة للشعر وهي : الإحساس ، والتخيل ، والوجدان .

٥ - ومن النبضات الحية في المقال تعليقه المبالغة في الشعر ؛ لأن الشعر وصف لإحساس ولو عانى السامع ما عاناه القائل من إحساس ، لذلك كإدراكه ، وتأثر بالشئ المحس كإدراك الشاعر الذي يتحدث عنه ، ولكن الشاعر أحس ولمس ، والسامع سمع فحسب ، وشتان بين الرؤيا والسمع ، فالإحساس أقوى من الإدراك ، والمهادنة أقوى من الحكاية ، والصورة أوضح من الكلمة . فلكي يعوض الشاعر الفرق بين معاناة النجربة والاستماع إلى حديثها ، يعتمد إلى لون مزج المبالغة فيعرض الشئ في شعره مضاعفا ، ويصوره بألوان ساطعة ، ويحليه بحلية تزيد عن الحقيقة .

ثم يعود ليتحدث عن مكانة الشعراء وأنهم أسراء الكلام ، ولهم حق التصرف باللغات ، ويتحدث عن خلود الشعر والعناية بروايته منذ القدم ، وأنه ذكرى الملوك تذهب وتبقى ذكرى الشعراء ، وأن الشعر يحفظ اللغة ويسجل التاريخ ، ويزيل عن القلوب صدا الكروب ، وأن أبقى الآثار الأدبية هو القول ، وأبقى القول هو الشعر ، إذ يتناثر الذر فتناثر الشرر ، وأما الشعر فيرسخ رسوخ النقش على الحجر ، وقد تزول النقوش ولا يمحي الشعر من رءوس البشر !

هذه خلاصة وافية لمقال ( حقيقة الشعر ) ، ونلاحظ عليه عدة ملاحظات :

١ - أتى شكيب في صدر المقال بمفردات غريبة لا حاجة إليها ، وكأنه أراد أن يتفاح بها ، فذكر هذه الألفاظ : ( الحناذيد القرح - المغاوير السبق - الناخعون المكل - المئة الوثيقة ) .

وكان يستطيع أن يقول مكانها : ( المجيدون المبرزون - الأبطال السابقون - الخبراء الكاملون - القوة المحركة ) .

٢ - أجاد التعميل حينما ذكر أن الجاهليين حينما جاءهم كلام الله ولم يخضعوا له قالوا عنه إنه شعر ، كأن الشعر في اعتقادهم هو مايلي الوحي .

٣ - كان موافقا عند ما تحدث عن أهمية

الاشياء الخارجية أو الداخلية من نفس إلى نفس (١) .

٨ - أكثر شكيب في مقاله من المترادفات والألفاظ الخطائية مع تكرار المعاني ، مع أن الموضوع يحتاج إلى دقة وضبط ؛ لأنه يتحدث عن حقيقة الشعر .

### شروط الشعرية :

وللشاعرية في رأى شكيب شروط ذكرها حينما حكم د اشرفى ، بأنه استوفى جميع شروط الشعرية . وهى (النسيج الرقيق المتين ، والأسلوب الرشيق الرصين ، واللغة العربية الفصحى التى لا تؤتى من جهة ، والمعنى المتناهى فى الدقة ، اللابس من اللفظ أجل حلة ، والانسجام المطرد من الأول إلى الآخر فى سكب واحد وسبك متوارد) .

ونلاحظ أن فى الشروط تكراراً ، فما الداعى إلى قوله (اللابس من اللفظ أجل حلة) بعد أن ذكر قبله قوله : (والأسلوب الرشيق الرصين) ؟ . وماذا يريد بالانسجام المطرد من الأول إلى الآخر ؟ أيريد أن يكون لكل كلمة مع صاحبها مقام ، أم يريد وحدة الموضوع وتسلسل الفكرة ؟ .

ولم يسكت شكيب بالحديث عن شروط الشعرية فى نثره ، بل تحدث عنها فى شعره فقال :

(١) محاضرات فى الأدب ومذاهبه ، ص ٧٧ .

٦ - كان شكيب موفقاً حين تحدث عن لزوم تصرف الشاعر فى القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، بحيث يحسم المجرد إذا أراد تقريبه وتمثيله ، ويجرد المجسم إذا أراد له الدقة والعمق المؤديين إلى إثارة التأمل والبحث .

٧ - وكان موفقاً حين ذكر أن الألفاظ مهما كثرت تتقاصر عن الإحاطة بجميع المعاني ، ولذلك قال السكيتيون إن اللغة عبارة عن رموز وإشارات ، وليست رسماً كاملاً ولا نقلاً تاماً ، ود أخذ الأدباء والشعراء ينسكرون على اللغة قدرتها على أن تنقل إلينا حقائق الأشياء ، وقالوا إنها لا تعدو أن تكون رموزاً تثير الصور الذهنية التى تلقيناها من الخارج ، أو كونها من الجمع بين أشقات من الصور التى تلقيناها من ذلك الخارج ، وعلى هذا الأساس لا تصبح اللغة وسيلة لنقل المعانى المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد ، وإنما تصبح وسيلة الإيهام .

ولما كانت وظيفة الأدب الأولى هى توليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارئ أو المشاهد ، فقد قالوا بأن الأدب لا يسعى إلى نقل المعانى والصور المحددة ، وإنما يسعى إلى نشر العدوى ونقل حالات نفسية من الكاتب إلى القارئ . أو على الأصح الإيهام بها ، وبالتالي يسعى الأدب أو الشعر الرمزي إلى أن ينقل وقع

ومن يدري ، لعل هذا هو السر في أن  
شكيب حذف هذا البيت من القصيدة حين  
أوردها في كتابه عن شوقي (١) .

وإذا كان شكيب في مقال (حقيقة الشعر)  
قد وصف الشعراء بأنهم يكادون يلحقون  
بالملا النوراني ، وأنهم كالأمراء والرؤساء  
في مكانتهم وجلالة قدرهم ، وأنهم ملوك  
الكلام ، وأن شعرهم أبقى الآثار ، فلا غرابة  
إذا رأينا يوصي الشاعر بأن يجعل الشعر  
فوق كل شيء ، وفوق كل منعى من مناحي  
الحياة ، مادام يريد أن يكون شاعراً علماً ؛  
فيقول شكيب :

« ولا يجوز للشاعر أن يجعل السياسة  
أو الاقتصاد أو الصناعة أو الفقه أو شيئاً  
آخر من مناحي الحياة فوق الشعر ، بل ينبغي  
أن يكون الشعر هو غرضه الأول ، وأن  
تدور حياته من حوله ، لجميع المشاغل  
تكون له فضلة . ويكون الشعر هو العمدة .

ولهذا قال خليل مطران : ( إن شوقي كان  
يفكر في الشعر قاعداً وقائماً ، وحاضراً  
وبادياً ، وساتراً وبارحاً ، وفي المركبة  
وماشياً ، إلى غير ذلك ... فقد قام نحو الشعر  
بالواجب الذي لم أقم به أنا ولا غيري من جمل  
الشعر فضلة عمله ، ولم يقله إلا عند  
الضرورة .

... ..

والشعر أن تجدد النفوس رضاها  
والشعر ما رسم الضمائر نائلاً  
منها الكائنات ، نالها أحناءها  
والشعر ما ترك المعاني مُشلاً  
فمكاد تلبس بالألأ كف هبها .  
والشعر حيث يقال : من ذا قالها

ما الشعر حيث يقال : من ذا قامها (١)  
وهذه الآيات تذكرنا بمقاله ( حقيقة  
الشعر ) فهناك تحدث عن الطبيعة الصافية ،  
والقوة الروحية ، والتغلغل في أعماق النفس ،  
وأحناء القلب ، والهيام في أودية الانفعال ؛  
وعن مضاعفة الشيء ، وتجسيم المجرى ، والتفنن  
في القول ؛ وهنا يتحدث عن رغبات النفوس ،  
ونجوى الضمائر ، واستبطان ما في أعماقها  
لنشر ما في أحنائها ، وتمثيل المعنويات حتى  
تصير كالمحسوسات ، وحتى تكاد صغائرها  
تلبس بالألأ كف ، فيعجب الناس بمن يحقق  
هذا ، ويهتفون باسمه . فبين المقامين  
تشابه وتقارب .

ولكننا نلاحظ أن البيت الأخير من  
الآيات السابقة لا يعطى شرحاً محدداً ،  
ولعل شكيب اندفع إليه بهوى المقابلة بين  
كلمتي ( قالها ) و ( قامها ) ، مع ما نحسه  
من بعد الكلمة الأخيرة عن لغة الشعر .

(١) كتاب (شوقي) ، ص ٨٥ .

(١) ديوان الأمير ، ص ٤٤ .

واكتفوا بالأماني ، وإنما هي بضائع  
النسوكي .

\* \* \*

واقف يريد شكيب أن يبدى رأيا في بعض  
الشعر ، أو يحدث أن يطلب إليه طالب أن  
يبدى هذا الرأي ، فيأتي حديثه غير محدد ،  
فيه التعميم والتوسع ، والتعبير بالألفاظ  
البراقة والعبارات اللطيفة ، دون أن تستبين  
بها معالم واضحة ، ويمكن أن نسوق على ذلك  
أكثر من شاهد :

يقرأ الأمير في سنة ١٩٣٠ قصيدة للشاعر  
محمد حسن النجدي في مدح الملك عبد العزيز  
ابن سعود ، فيقول عنها :

( قرأت شعراً يعتنقه الطبع ، ويشربه  
الخطير ، ويعرف القادى \* أعجازه من  
صدوره ، وتمثل قافيته من أول كلمة من  
بيته ، يدل على ملكة غير معتادة ، وطبع  
منه في الصفاء ، ومكانة في اللغة رفيعة ،  
وتصرف في القول سلس للقياد ، ويجول به  
صاحبه كما أراد ، فقلت : والله إنه لعبقري  
من يفرى هذا الفرى ، ثم يلحق شكيب  
هذا الشاعر بأبي تمام <sup>(١)</sup> .

وكان من الممكن لشكيب - وهو أمير  
البيان ، والمالك لنواصي القول بأكثر من  
هنان ، والجوال بقلمه في أكثر من ميدان -

قد أعطى شوقي نفسه للشعر ، فأعطاه  
الشعر مالم يخط غهره في هذا العصر <sup>(١)</sup> .

وهو يتحدث هنا عن الشاعر الذي يريد  
أن يأتي أولا ، وإلا فهناك شعراء جمعوا  
بين الشعر وغيره من الأعمال ، وكان شعرهم  
جيدا ، وإن لم تصدروا الطبيعة بين الشعراء

\* \* \*

ويقول شكيب : ( ومن المعلوم أن  
صاحب الصنعة إنما يتقدم فيها إذا كان راغبا  
لا متكلما ، ومغرما لا متبرما ، وكان  
مجتهدا أن يبدع فيها لأجل الإبداع . ولأجل  
سبق غيره من الصناعات <sup>(٢)</sup> ) .

ونلاحظ هنا أنه لم يذكر ( المحبة ) أو  
( الطبع في الشعر ) مع أنه قال في مقالة ( حقيقة  
الشعر ) إن الشعر لا يحسنه إلا أصحاب الطبيعة  
الصافية ، وقال فيها أيضا إن ( الشعر  
هبة من الله ) .

ولو اقتصرنا على الرغبة والمحبة وحدهما -  
دون الموهبة والاستعداد والمهانة والتمرس  
والافتداء والتجربة - لما كفت الرغبة والمحبة  
وحدهما لتخريج شاعر ، فما أكثر الذين  
يرغبون ويحبون أن يكونوا شعراء ، ثم  
لا يكونوا ، لأنهم حرموا الطبع الشعري ،

(١) للرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) للرجع السابق ، ص ٢١ .



بغير الحث على حفظه ، فإنه لا يبلغ الواضف  
منه مشار ما يبلغ هو من نفسه ، فهو الشعر  
الذى يصح أن يقال فيه : عينه فراده ، وسره  
استظماره ، وأمره تبليغه ، وتحليته تسويغه ،  
وروايته رواؤه ، ونعته جلاؤه ، والإشادة  
به نفس لإنشاده ، والفرم به مجرد لإبراده ،  
فهما نهت على محاسنه كان تذهبه على نفسه  
أبلغ وأسرع ، ومهما أقت عليه من البراهين  
كان برهانه فى ذاته أظهر وأسطع .

لأنه لعمري هذا السهل الممتنع ، الدانى  
المرتفع ، القريب البعيد ، المعتمتع بقن  
الامتناع وهو أقرب من حبل الوريد ، وإنه  
هو النوع المرقص المطرب المعرب عما فى  
نفسك بأحسن ما تريد أن تعرب ،  
لا تكلف ولا تعسف ، ولا تصنع ولا  
تزيد ولا تعمل ، بل الجمال الذى لا يحتاج  
إلى تجمل .

وهى الألفاظ على أقدار المعانى ، لا تزيد  
ولا تنقص ، والأثواب على نسبة القدود  
فلا تطول ولا تقصر ، وهى القوافى لا تجدد  
منها قافية إلا معرفة قبل الوصول إليها ،  
وترى البيت كله منصبا عليها ، مصدقا ما خلفها  
وما بين يديها .

وأما دخول الآذان بلا استئذان فإن غذا  
فى هذا العصر شعر أقيت فى وجهه حجابة  
السامع ، وتناولته حتى أفهام البلداء تناول

أن يمد سبب الحديث على هذا النظم من  
الأحكام العامة والآراء المهمة ، كأن يزيد  
مثلا هذه العبارات : « وقرأت شعرا يعظم  
منه العقل ، وتكتحل به العين ، ويحيط  
القارى بمناهي من مبادئه ، ويلج قاصيه  
حين يسمع دانيه . . . » إلخ . وإذا كان  
شكيب لم يمد سبب الحديث هنا على هذه  
الصورة فقد مده ومده فى موطن آخر .

فقد كتب شكيب بتاريخ ١٠ تشرين الثانى  
( نوفمبر ) ١٩٣٨ مقدمة لديوان الشاعر شبلى  
ملاط . فماذا فعل ؟ . إنه لم يحلل الديوان  
ولم يفصل القول عنه ، ولم يذكر ماله  
وما عليه ، ولم يبين طريقة الشاعر فى شعره ،  
ولا خصائص هذا الشعر وبميزاته ، بل انطلق  
يثبت أنه صاحب قلم قدير طبع لا نامله ،  
يستطيع أن يحركه فيرسم لوحات من  
التعبيرات ، وصورا من البيان ، ومعارض  
من النثر الفنى .

ولنصبر على مطالعة المقدمة كاملة . فليست  
بذات طول ، والوقوف عليها مهم لنرى كيف  
تسبح الحقائق مغمورة بطوفان هذه الصيغ  
الرشيقة الجذابة التى تكثر فيها المتوادات  
وتتكرر المعانى .

يقول شكيب رحمه الله :

« شعر الأخ الأستاذ شبلى بك ملاط  
لا يمكن رصفه بأحسن من عرضه ، ولا نفعه

هذا النوع الذى يشرب منه الإنسان ولا يروى  
وكأنما قارنه يأكل فى نومه كما يقال .

تسند أهله أن يأنوا بالم يأت به الأوائل ،  
ففاتهم الأوائل والأواخر معا ، وحاولوا  
أن يبدعوا ويغربوا فما قدروا على شيء سوى  
الإتيان بالأعجم الذى لا يفهم ولا يفهم ،  
وما قاربوا الإحسان إلا عندما استولت عليهم  
السليقة الأصلية ، ونزع لهم العرق العربى  
الصحيح ، فرجعوا إلى ما نشئوا ، نهم بين أمرين :  
لما أن يقولوا ما يفهمه الناس ، وتسيعه  
أذواقهم ، وحينئذ فهو الشعر العربى المطبوع  
على غرار الشعر الجاهلى أو المخضرم أو المولد ،  
وليس شيء من هذا بجديد .

ولما أن يقولوا ما يخالف أسلوب هؤلاء  
ليقولوا بدعا ويحدثوا غير معهود ، فحينئذ  
هو الشعر الذى لا يعرف له قبيل من دبير ،  
ولا شرق من غرب ، وأنا فى شك هل يفهمه  
أنفس قائله ؟ وإن تظاهروا بفهمه !

إن الفصيح لا يتعلق بقديم وجديد . وإنما  
هو ما يوافق الذوق البشرى ، ولا م الطبع  
الإنسانى ، وخاض فى السمع بلا تفكير ،  
وامتزج بالطبع بلا طبع ، وإن هذا مركز  
فى فطرة الإنسان منه وجد الإنسان .

فإن كان للشعر العربى الملائم لذوق هذه  
اللغة مرآة صافية نقية ، فيكون فى شعر الأخ  
الملاط الذى ينادى القارىء كل عبارة منه :

الأبصار الجادة للبروق اللوامع ، فيكون  
شعر الأخ الملاط فى وضوحه ونصوعه ،  
وبروزه وسطوعه ، وتعلق خواتمه بهواديته ،  
وارتباط أواخره بمباده ، وبأنه لا يحير  
قارئاً ولا سامعاً ، ولا يمتع لها ذهناً ، ولا  
يسومهما بقدر الهبابة كذا ولا جهداً ،  
وإن كان يسومهما العلاء فهو علاء دون  
تصعيد جاعد ، ولا كد ناصب ، وإنما يطير  
بك فى آفاق المعالى وأنت على مهاد وثير ،  
ومركب كرش النعام موطأ بالحرير ، وأنت  
راكب جناح الأثير . لا تسمع للملاط بيتاً  
إلا هتمت له : مرحى ، وتظن أنك تسمع  
بيتاً فإذا بك تسمع آية : يا هامان ابن لى  
صرحاً ، .

ولا ينحصر نبوغ الملاط فى المقاصد العالية  
والمراتب النائية ، والمتنازع التى تجد فيها طار  
شعره محققاً دائماً ، وإن كان فى هذا الموطن  
لا يشق له غبار ، ولا يدرك له مطار ، وإنما  
هو مستول على الأمد فى أكثر المواضع .  
وإن كان قد ملك ناحية الجزل فما فاته  
الرفيق . وإن جال فى مأسد السباع فطالما جال  
فى مراتع الآرام ، لا يروى حتى يصيد ،  
ولا يحول حتى يصول ، ولا يصول إلا  
صولة الفحول .

ولعله فاته من مزايى الشعر تقليد ما يقال له  
الشعر الجديد ، وخير له أنه لا يحسن

في المقامات تلاوة وحفظا ، وإما أن شكيب أراد أن يبرهن للناس أنه - وإن قارب السبعين ، وكتب مترسلا في الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع ما كتب بلا تحسين ولا تزيين - قادر على أن يصوغ ذلك النثر الفني المقتضى ثروة لغوية ، وذاكرة قوية ، وقدرة على تصريف القول لتسلم له هذه الصنعة اللفظية الدالة على البراعة والإتقان .

ومهما يكن من أمر فإنك تستطيع أن تسمى هذه المقامة الشكيبية السابقة بما شئت من أسماء ، إلا أن تسميها مقدمة في تحليل ديوان ا .

### أهموم الشرباصي

أن تحتك معنى سريا ، وأن هذا الشعر مذ كان كان عبقريا ، (١)

الحمد لله ، لقد انتهت المقدمة ، بل انتهت تلك الجمل المسجوعة المصنوعة ، المشقة المنمقة ، التي نستطيع أن نجري القلم عليها فنحذف نصفها ونبقى النصف الآخر ، ومع ذلك لا بضيع من المعنى الذي احتوته شيء ا .  
إما أن تكون المجاملة هي التي دفعت شكيب إلى أن يزخرف تقديم الديوان بهذه الألوان من البديع وما إليه . وإما أن شكيب حن إلى المقامات ، التي كان يحفظها ، فأراد أن يضع مقامة على طرازها ، استرواحا لذكرى ذلك الماضي الأدبي العزيز الذي كان يدمن فيه النظر

( ١ ) مجلة الكتاب ، عدد يونية ١٩٥٠ .

قال أبو فراس الحمداني :

عند الجفاء وقلة الإنصاف  
ولو أنه عارى المناكب حافى  
وإذا قنعت فكل شيء كافى  
ومروتي وقناعتي وعفافي  
شرفا ولا عدد السوام الضافي  
بيت الكرام ومنزل الأضياف  
حقى كأن صروفه أحلافى

لا أرتضى ودا إذا هو لم يدم  
إن الغنى هو الغنى بنفسه  
ما كل ما فوق البسيطة كافيا  
ويعاف لى طبع الحريص أبوتى  
ما كثرة الخيل الجياد بزائدى  
ومكارى عدد النجوم ومنزلى  
لا أقتنى لصروف دهرى عدة

# البابية أو البهائية

للأستاذ محمد إبراهيم الجيوشي

نمبر ١٠ :

الإسلام دين الله الخالد وشريعته الباقية :  
« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه  
وهو في الآخرة من الخاسرين » . أنزله الله  
على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم  
تنزيهاً كاملاً خالداً يصلح عليه أمر الدنيا  
والآخرة ، وبني بحاجات البشرية في أعصارها  
المتطاولة وأوطانها المختلفة : « اليوم أكملت  
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت  
لكم الإسلام ديناً » . وفي ذلك إيدان من الله  
سبحانه لرسوله بإتمام النعمة وإكمال الدين .  
ودعوته صلوات الله وسلامه عليه عامة إلى  
الناس كافة في جميع أقطارهم وأعصارهم :  
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » .  
وذلك إيدان من الله سبحانه وتعالى بأن  
الإنسانية قد بلغت رشدها ، وأن بين أيديها  
من موارث النبوة ، ومبادئ الرسل ما يضيء  
أمامها الطريق ، ويفتح لها آفاق الخير والمحبة  
والمساواة ، ما دامت متمسكة بهذا الهدى ،  
مسترشدة بهداه ، وقد تكفل الله بحفظه ورعايته  
وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإناله لحافظون » .  
ومن هنا تميزت هذه الرسالة بالكمال  
والوضوح والشمول ، والقدرة على تقديم

الحل لكل مشكل يعرض ، أو حادث يجد ،  
وكان من طبيعة الرسالة التي حوت هذه  
الميزات أن تكون غائمة الرسالات ، وأن  
يكون صاحبها صلوات الله وسلامه عليه خاتم  
الأنبياء والرسل ، حتى لا تقع الإنسانية فيها  
لاوهام المتنبيين ، وخيالات المشعوذين ، ولهذا  
اقتضت حكمة الله سبحانه أن يذكر ذلك صراحة  
في القرآن الكريم ، ليقطع الطريق على ذوى  
الانحراف العقلي والشطحات الذهنية ، أو على  
الأقل ليضع للإنسانية مبدأ تلجأ إليه كباسول  
لخبول شيطانه ، ووسوس له أنه يوحى إليه .  
وهذا التوجيه من الله سبحانه هو ما يصرح  
به قوله : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم  
ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقد أكد  
النبي هذا المعنى ، في قوله صلوات الله وسلامه  
عليه : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن  
تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وصنى » . وقوله  
في حديث آخر : « علماء أمي كأنبياء  
بنى إسرائيل ، فإذا كانت الأمم السابقة  
في حاجة إلى أنبياء يتعهدونهم بين الحين والحين  
حتى تأتي الرسالة التالية ، فإن الرسالة الخاتمة  
قد زودت الإنسانية بزاد روحى خالد نافع  
يقوم عليه علماء يحفظونه ويعونونه ،

والدروز يطلقونها على الوزير الروحاني الأول الذي يشمل العقل السلكي . .  
وقد ولد محمد علي في شيراز أول المحرم سنة ١٢٣٦ هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٢١ م وكان أبوه تاجراً . قنوي وهو صغير ، فقام خاله بكفالاته ، وأخذ يشتغل بعد ذلك بتجارة أبيه ، ثم ظهر اهتمامه بالأمور الدينية ، وجنح إلى الزهد والتقشف والاستغفال بالتصوف إلى حد الهوس ، حتى لقد كان يصعد إلى سطح المنزل ويظل في الشمس ساعات طويلة وقد انتهت به هذه الحال إلى أن بدأ عليه خلل في تفكيره واضطراب في قواه العقلية .

فبعث به خاله إلى النجف وكر بلاه ، للاستشفاء بزيارة قبري الإمام علي والحسين رضي الله عنهما ، ولكنه طاب له المقام هناك ، فأقام في كربلاء وأخذ يعاود ما كان عليه ، وأكثر من التلاوة والتهجد مما لفت إليه بعض تلاميذ الرشتي فأخذه إلى مجلس شيوخه وكان الرشتي شيخ طائفة الشيعية بعد الأحسائي وكان كلاهما يكثر من الحديث عن الموعود والمهدي والقائم الذي أوشك زمانه ويحث أتباعه على البحث الجاد عنه فوجد الشيرازي في كلام الشيخ الرشتي ما يهدد أحلامه ، ويفتح أمامه باب الأمل فيما هجست به وسأوسه ، فأخذ يكتب ويقلد الرشتي فيما يكتب ، واعتكف مدة

ويكشفون للبشر ما فيه من مزايا وقدرة على مواجهة الأحداث بالحلول الملائمة لها ، وحماية البشر من نزوات الزيغ وموجات الإلحاد . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فإن تاريخ الإسلام شهد كثيراً من المتنبيين الأدعياء ذوى النيات السيئة من قرامطة وإسماعيلية وباطنية وما إلى هؤلاء المنحرفين وكان أكثر ما أصاب العالم الإسلامي في ذلك إنما جاء من وراء العقيدة القائلة بمجيء المهدي ورجعة الإمام وخاصة عند طوائف الشيعة ، فإن هذه العقيدة مازالت تعمل عملها في صفوف المسلمين حتى يومنا هذا وما البائية والبهائية والقدانية إلا ثمرة مرة لهذا الغرس الغريب على الإسلام وتعاليمه ومبادئه الواضحة النقية .

#### البائية والبهائية :

هذا تمهيد لا بد منه لمن يريد أن يتحدث عن البهائية ، فما البهائية ؟ وما مقصدها وإلى أي شيء تدعو ؟ ، وما موقفها من الإسلام ؟ .  
لكي نعرف البهائية لا بد أن نعرف أولاً البائية التي انبثقت عنها البهائية وورثت دعوتها ، وقامت على أنقاضها ، أو صارت امتداداً لها ، فالبائية نسبة إلى الباب وهو محمد علي الشيرازي الذي أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه الباب .

وكلمة الباب معروفة عند طوائف الشيعة والصوفية ، فالإسماعيلية يطلقون كلمة الباب على الشيخ أو الأساس الذي يعلم الناس أمور الدين .

وقامت في البلاد فتن واضطرابات ، ثم انضم إلى أتباعه يحيى نوري الذي لقب فيما بعد بصيح أزل وأخوه حسين على الذي لقب بالهباء وصار زعيم البهائية ، وكذلك امرأة تسمى قرة العين .

وحين بدا للحكومة الإيرانية الخطر الذي يهدد أمن البلاد من دعوة الباب وأتباعه اعتقلته وحاكمته أمام جمع من العلماء حتى أقر بكفره وتاب أمامهم ، ولكن أتباعه أنكروا ذلك ولم يكفوا عن عبثهم وبث الرعب والقلق في نفوس الناس وتهديد من يعترض طريقهم حتى قاموا بأكثر من ثورة في أماكن متعددة ، فلم تجدد الحكومة بدا من اعتقاله وإيداعه السجن حتى تهدأ الفتنة التي نشأت بسببه .

وحق هذه الفترة لم يتأكد من دعوة الباب أنه خارج على ما جاء به الإسلام ، ولكنه في فترة سجنه عقد أصحابه مؤتمرا في صحراء بدشت : يتلقون فيه البشائر التي وردت من الإمام المنتظر ، وعلى الرغم من انعقاد المؤتمر فإن أعضائه لم يكن لديهم رأى موحد عن موقف دعوتهم من الإسلام ، فكان بعضهم يرى أن دعوتهم تابعة لما جاء به الإسلام ، وكان بالمؤتمر فريق آخر يرى أن البابية أمر جديد ودعوة مستقلة ، وكان يتزعم هذا الاتجاه قرة العين واستطاعت أن توجه المؤتمر حتى أعلنت

في المسجد ، ثم أخذ يهمس لمن حوله بأنه باب المهدي ، فاغتر كثير من الناس بمظهره وأقبلوا عليه يسمعون منه وهاجبه آخرون . ويزعم أتباعه أنه حج وكتب في طريقه عدة رسائل ادعى أنها وحى إلهي ، وأعلن بعد أن عاد إلى فارس ، أنه مرآة يظهر فيها نفس الله .

وكان أمره قد اشتهر وأخذ يهاجم رجال الدين ويتهمهم ، ووجد من يسمع له ، ولا عجب في مجتمع مثل هذا أن ينصت إليه ، وهو يؤمن بغيبة الإمام وهودته ، وبمجيء المهدي ، فقد سهل ذلك على الباب أن يجد من يتعلق به ، وقامت المعركة بينه وبين رجال الدين في الوقت الذي انضم له بعض الانصار والتفوا حوله بعد أن تسامع الناس بأمره وأصبحت فتنته على كل لسان ، فأفغى لأصحابه بدعوته الجديدة ، وزاد الأمر فسادا بينه وبين العلماء فرفعوا أمره إلى الحكومة لتمنعه عن نشر مذهبه الباطل وعقيدته المنحرفة الضالة ، وكان قد أعلن أنه « النقطة ، أي منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله وذلك بعد أن تنازل عن لقب الباب لبعض أصحابه .

« وكثر أتباع الباب ، وأخذوا يجوبون البلاد ، يدعون الناس إلى اتباعه ، ويعلمون رؤيتهم له وتلقبهم بركاته ، فهاجت الحواطر

نزر يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم - وقولي هو الحق - لا أمر اليوم ولا تسكليف ، ولا نهى ، ولا تعنيف ، وإنا نحن الآن في زمن الفترة ، فخرجوا من الوحدة إلى السكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم ، وبين نساءكم بأن تشاركوهن بالأعمال ، وتقاسموهن بالأفعال . واصلوهن بعد السلوة ، وأخرجوهن من الخلو إلى الجلو ، فاهن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وإن الزهرة لا بد من قطعها وشما ، لأنها خلقت للضم وللشم ، ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شاموها ، بالسكيف والسك ، فالزهرة تجنى وتقطع ، والأحباب تهدى وتتحف ، وأما ادخار المال عند أحدكم ، وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل زور ، وأساس كل وبال ، ساووا فقيركم بغنيكم ، ولا تعجبوا حلالكم عن أحبابكم ، إذ لا ردع الآن ، ولا حد ، ولا منع ، ولا تسكليف ولا صد ، فخذوا حظكم من هذه الحياة ، فلا شيء بعد الممات .

وكان هذا الخروج الفاجر والإلحاد السافر والحقد الأسود على الإسلام وتعاليمه وشرائعه وعبادته والتسكذيب بيوم البعث والدعوة إلى الإباحية والانطلاق .

كان هذا الفسق المحموم الذي جرى على لسان هذه المرأة التي استعبدتها الشهوة الطاغية والنهم المحموم كان ذلك كله صدمة لكثير ممن ظنوا أن هذه الدعوة تحقيق لمجيء المهدي

أن البابية ناسخة للشرعة الإسلامية ، وأنه يجب إنقاذ الباب بالقوة ، ووقفت تخطب فيهم معلنة أمورا خطيرة تدعو فيها إلى هدم الدين وتقويض دعائم الشرعة والتحلل من قيود الحلق والدعوة إلى الإباحية في المال والنساء ، وذلك مادعا إليه القرامطة من قبل وكان حسين على المقلب فيما بعد بالبهاء من رؤساء هذا المؤتمر ، ومن الحدير أن نعرض على القراء نص خطبة قره العين حتى يقفوا بأنفسهم على مدى ما تحمله هذه الدعوة من كفر صراح ، ومن اجتراء على قواعد الأخلاق والسلوك ومن إهدار لقيم الإنسانية الفاضلة ومن عجيب أن تبهر بهذه الدعوة امرأة يأخذ البايون قولها على أنه دين يتبع وشرعة تقام قالت : « اهلوا أن أحكام الشرعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب .

وأن أحكام الشرعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن ! لا كل غافل وجاهل ، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ، ويسخر العباد وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة ، حتى لا يبقى إلا دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد ، وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا

الباب مبشرا د بهاء الله، وسلفا له وهم أكثر أتباعا من الازلية .

### تعاليم الباب :

قام الباب بتلفيق عدة من التعاليم جمعها من الديانات المختلفة وأطلق عليها دينه الجديد ودعا إليها أتباعه ومريديه ونجملها فيما يأتي :

١ — ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا في الجنازة .

٢ — جعل القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيراز ، أو مكان بيئته ، أو البيوت التي عاش فيها هو وأتباعه وفرض على أتباعه الحج إليها .

٣ — أنكر وجوب الطهر من الجنابة .

٤ — جعل للعدد - ١٩ - عند البابية تقديرأ خاصا ، ولذا فهم يقدسونه جدا .

فالسنة عندهم تسعة عشر شهرا ، والشهر تسعة عشر يوما ، ويديرشون جماعتهم مجلس يتألف من تسعة عشر عضوا .

والصوم عندهم تسعة عشر يوما من شروق الشمس إلى غروبها وهو يقع في أول الربيع في شهر بابه .

وقد أباح الباب لأتباعه خمسة أيام قبل الصوم يقضونها في لهو وجون وإقبال منهوم على الشهوات والنزوات بلا قيد ولا حد .

ولا بد من قراءة تسع عشرة فقرة من كتاب البيان في كل يوم ، ويجب أن يدعو

الذي يصيحي الشريعة وينشر العدل فإذا بهم يفاجئون بهذا الإلحاد ينساب ثقنه وتنطلق عقاربه ، فتعقبوا هؤلاء المارقين وطاردوهم واختفت المرأة مع أحد دعاة الباب وكان يلقب بالقدوس ، وقد أورد الاستاذ عبدالرحمن الوكيل كثيرا من أخبار هذه المرأة في كتابه ( البهائية ) .

وانتهى هذا الصراع بقتل الباب رأس هذه الفتنة ومحركها ، وتعرض أتباعه للاضطهاد والمطاردة وقهقروا في كثير من البلدان .

وعلى أثر قتل الباب أعلن يحيى نورى الملقب بصبح أزل أنه خليفة الباب وتوجه إلى بغداد ففتحه الحكومة التركية إلى قبرص ، أما أخوه ميرزا حسين على الذي لقب فيما بعد بهاء الله ، فقبض عليه ثم أفرج عنه ورحل إلى كربلاء . ورحل بعضهم إلى روسيا ، وأقاموا لهم مسجدا هناك وكانت هذه الدعوة تجدد عطفها من الروس لأنها تمهد السبيل لأطاعتهم في إيران ولم يفرج عن ميرزا حسين على إلا بشفاعة قنصل روسيا وشهادته ببراءته ، وتنازع صبح أزل وأخوه بهاء الله على خلافة الباب ، وادعى كل منهم أنه المقصود بقوله من يظهره الله ، وهذا دليل آخر على كذبهم وباطلهم ، وقد أدى خلافهم إلى انقسام البابية إلى الازلية والبهائية ، والازلية هم المتمسكون بتعاليم الباب المحافظون عليها وهم أقلية ، أما البهائية فتعتبر



وهن الجنة لأنها الفرح الروحي الذي يشعر به المؤمن بالمظهر الإلهي .

وعن النار لأنها الحرمان من معرفة الله في تجلياته في مظاهره البشرية .

والباب هو البرزخ المذكور في القرآن لأنه بين موسى وعيسى .

وقد صرح الباب في رسالة بعث بها إلى الألويسي صاحب التفسير المشهور بأن دينه ناسخ الإسلام فقال : كل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى ليلة القيامة ويعني بها الليلة التي أعلن فيها أنه القائم أو المظهر الإلهي الجديد ، ولهذا حرم على أتباعه قراءة القرآن حتى أحرق البايون المصاحف وزعم أنه أفضل من محمد وأن كتابه أفضل من القرآن ، وأن محمداً بمقام الآل وهو بمقام النقطة .

هذا الكفر الصراح نادى به البابية وورثته البهائية وزادت عليه ألواناً أخرى أكثر ضلالاً وكفراً ، وأن كان الباب قد زعم أن الله قد أنزل عليه كتاباً سماه البيان فإن البهلاء ، قد زعم أيضاً أن الله قد أنزل عليه كتاباً أيضاً سماه الأقدس ، .

وستناول في كلمة أخرى البهلاء ومذهبه ومدى ما أضافه من ضلال فوق الضلال الذي ورثه عن الباب ؟

محمد إبراهيم الجيوشي

كل واحد تسعة عشرة شخصاً مرة في كل تسعة عشر يوماً ولو لشرب الماء .

٥ — الزكاة خمس العقار تؤخذ في آخر العام من رأس المال وتعطى للمجلس المؤلف من التسعة عشر عضواً .

٦ — الزواج إجباري بعد سن الحادية عشر ، ويكفي فيه رضا الطرفين ويجوز إيقاع الطلاق تسع عشرة مرة ، وعدة المطلقة تسعة عشر يوماً ، ولا يجوز الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية ، وإلا بعد انقضاء عدتها ومدتها خمسة وتسعون يوماً .

٧ — الميراث سبعة أنواع - الولد ، الزوج ، الزوجة ، الأب ، الأم ، الأخ ، والأخت ، وأكبر الأنصبة للولد .

٨ — العيد عيد النيروز ومدته تسعة عشر يوماً . وفي صباح كل جمعة يجب استقبال الشمس بالسلام .

والبابية يكفرون بأمور الآخرة كما وصفها القرآن ويفسرونها تفسيراً آخر كما فسرهما الباطنية من قبلهم .

فهم يقولون عن القيامة إنها قيام الروح الإلهي في مظهر بشري جديد .

وعن البعث إنه الإيمان بالوهية هذا المظهر الجديد .

وعن لقاء الله يوم القيامة إنه لقاء الباب لأنه هو الله .

## محمود الغزنوى البطل الذى ضم للإسلام أمة للأستاذ محمد رجب البيوى

ولكن خلفاء بنى العباس جميعا من لدن السفاح إلى المستعصم لا يضمون فى سلسلتهم الممتدة بطلا من طراز محمود ! أما أن لنا بعد فى تأليفنا الحاشدة أن توجه اهتمامنا إلى القمم الرواسخ دون أن نعود إلى التريديد والتكرار ! أم أننا نلتصم أيسر السبل فى التأليف !

لقد كان الزمن الذى تألق فى سمانه كوكب محمود الغزنوى لا يسمح بظهور مثله بحال فليست هناك خلافة راشدة تفسح ميدان البطولة المخلصة لامثال خالد وسعد وعمر وأبي عبيدة والمثنى وإيس هناك خليفة أموى راسخ السلطان مرهوب الكلمة ، واسع الملك تحمّش حوله الكفاءات المعنازة من أمثال قتبية بن مسلم ومحمد بن القاسم وموسى ابن نصير ! أما الدولة العباسية لعهد محمود فقد تساقطت جنباتها ، ونداعت أسسها ،

كلما قرأت تاريخ البطل الفذ محمود الغزنوى عجبت كيف لا يجرى اسمه على كل لسان يدين بالإسلام ، وكيف لا تفرد الكتب الخاصة بتحليل خوارقه وتفسير نوادره ! بل كيف تمضى كتب المطالعة المتنوعة فى المدارس والمعاهد دون أن يفرد له باب فى كل كتاب فيعلم الناشئة فى شتى بلاد الخليفة من هو ذلك البطل المعجز الذى أهدى إلى الإسلام مائه مليون نسمة لا يزال أحفادهم اليوم يمثلون الباكستان وكشمير وبعض المدن فى الهندستان ! إن ملكا عظيما كهارون الرشيد يجرى ذكره على كل لسان لا يمكن أن يوازي شيئا إذا قيس بمحمود ! صحيح أن الرشيد خليفة وأن محموداً سلطان يستمد شرعيته من القادر بالله أحد الخفدة من نسل هارون ! !

الفردوس الفارسي ١١ وأبو العلاء بسير مع  
طبعه الناقم الساخط حين يهاجم بطلا تنساقط  
نحت ضربات سيفه أشلاء الضحايا من  
المتصارعين في كل مكان . إذ أن الشاعر الذي  
يرحم الحيوان الضعيف إذ يستفزع ذبحه  
وراقه دمه ، لا بد يرتاع لما يسمع عن  
معارك دامية تفور بالدم ، وتطفح بالهجوم  
والرقاب ! هذا إلى أنه ملك ، وللبوك في  
منطق أبي العلاء غطرسة واستعلاء لابريهان  
إحساسه الرهيف وهم في أكثر أحوالهم ظلة  
جائرون فلا بد أن يهاجمهم الشاعر الفيلسوف ،  
ولا بد أن ينال شيئا من هجومه أعظم ملك  
رن اسمه في عصره رنين الرعد في كل أفق ،  
مهما كان بطلا فذا ذا مثل وأهداف ،  
ولا فحل كان يستحق محمود الغزنوي أن يقول  
فيه الحكميم الفيلسوف :

أسر إن كنت محموداً على خلق

ولا أسر بأني الملك محمود

ما يصنع الرأس بالتيجان بعقدهما

ولأنما هو بعد الموت جلود

ويقول :

محمودنا الله والمسمود خائفة

فمعد عن ذكر محمود ومسمود

ملكنا لو أننى خيرت ملكهما

ومعد صلب أشار العقل بالعود

ففي كل مملكة أمير يحكم أو خليفة يناوى ،  
أو وال يدل و يقيه ، حتى بغداد نفسها تقع  
فريسة لكل طامع من الوزراء . الأباة عبيد  
أتباعه ويحشد جنوده ثم يصل إلى مقر  
الخلافة ليكون أمير المؤمنين لعبة في يده  
إذ يصدر عن أمره ! ويسير في تياره فإذا  
تمكن خصومه من طرده ، وتملكوا الأمر  
من بعده كان أمير المؤمنين رهن مشيئتهم كما  
يبتغون ! هذه الحال المؤسفة من تفكك  
الخلافة الإسلامية وقيام الدولات المستقلة في  
العواصم المختلفة وتشاحن المغرضين على  
الرياسة والسلطان ! أقول هذه الحال المؤسفة  
لم تحل دون ظهور رجل فذ كمحمود الغزنوي ،  
يجمع الكلمة ، ويحشد الجند ثم يغزو بأتباعه  
وقيادته بلاد الوثنية ليعلو الآذان الإسلامي  
في ربوع متناثرة تقدر الأصنام ، وتعبد  
التماثيل من دون الله !

والغريب أن هذا البطل الفذ كان بغيضا

إلى بعض شعراء عصره فارسيين وعربا ، فلم

يرزق شاعراً ملهما يسجل بطولانه في ملاحم

ورائعة كما رزق سيف الدولة أبا الطيب مثلاً .

هل بعد ما بين البطلين من فروق ، بل صدم

بشاعرين كبيرين أخذنا يفتقسانه ويلتمسان

العناكب الوامية للنجى عليه ، وهما

أبو العلاء المعرى العربى ، وأبو القاسم

لا يرضى منزعه الديني ، وبخاصة إذا كان الملك  
سنيا شديداً الغيرة على مقدسات أهل السنة  
وقد شن حروباً طاحنة على القرامطة والملاحدة  
وعقد الأواصر المخلصة بالخلافة العباسية حتى  
منحه القادر بالله لقب يمين الدولة ، وزاد  
الملك في وجهته فاضطهد المعتزلة والرافضة  
فإذا جاء إليه شاعر شعوبي يتحدث عن رستم  
وسهراب والضحاك وذو القرنين وأساطير  
الجبال والبحار ، فلن يجده منه انشراحاً لما  
فعل !! على أنه قد بذل له المعقول من المال  
كيلا يضييع جهده هباءً والفردوس لا يقنع  
بأدون الإغراق والامتلاء ، فأنصرف عنه  
هاجياً ثالبا ، والمسألة مسألة مبدأ قبل أن  
تسكون مظنة بخل وإمساك !!

أذكر أن إيران قد احتفلت منذ أعوام  
بمرور ألف عام على وفاة الفردوس ، وبعثت  
الممالك المختلفة من يمثلها في مهرجان الشاعر  
الكبير بطهران !! وقد تورط بعض الحفباء  
في نقد السلطان محمود الغزنوي إذ منح الشاعر  
ما يظنه بعض حقه ! حتى جاء دور الشاعر  
اللبناني الأستاذ بهاره الخوري فهجا محمود  
الغزنوي هجاء مقدما حين قال :

يا للعقوق أيدي مجده أمته

ويحمل الدهر مولى من موالها

أمن وفات أمة يوما لشاعرها

رماء سافلها عن قوس واشيها

وأبو العلاء وإن كان يفضل عود الحديد  
على ملك محمود الغزنوي فهو لم يفحش في  
حديثه عنه ولن يستطيع ، أما الذي أخش  
وبالغ في الإلحاش حقا فهو أبو القاسم  
الفردوس إذ أنه قضى أكثر حياته ينظم  
تاريخ الفرس في الشاعنة ويعلل نفسه أن  
الملك الغزنوي سيفرقه بالذهب طوقا أن يرجع  
إليه ما نفذ من ثروته الموروثة وضياعه  
للبياتة ، ولكن منحة محمود لم تقنع شاعر  
الفرس المعتز ، فمر من بلاطه مرسل قوارعه  
اللاذعة في هجاء البطل الكبير ! ونحن حين  
نحقق أمر الفردوس في أفق أوسع من  
رغباته الشخصية ، نرى أن محموداً مصيباً فيما  
فعل ، لأن الفردوس قد استجاب إلى نبرة  
الأمير نوح بن منصور الساماني حين اندفع  
ببحث عن أساطير فارس المجوسية ليجمل  
منها تاريخاً يلهمهم تاريخ العرب والمسلمين ،  
فأخذ يبحث ما في خزائن الموابذة والدهاقين  
من الصحف القديمة لتغدو آية فخار ينبي  
عن المجد الغارب ، وحين تم ذلك جعل منه  
الفروس مادة حديثه فقضى ثلاثاً وعشرين سنة  
ينظم الأساطير والخوارق ، ولكن الدولة  
السامانية كانت قد لفظت أنفاسها في هذا  
المدى المتعطل وجاءت الدولة الغزنوية ،  
وملكها محمود لا يشجع هذه النعرات  
العصبية ، بل يرى في صنيع الفروس هراء

واستأنف القتال ، ونحن نسجل هذه الحادثة السريعة لتدبرها على من تابعوا ابن الأثير حين ذكر أن السلطان محموداً قد ولى وجهه شطر الهند ليكفر عن حربه المسلمين ! إذ أن فتح الهند كان في دمه منذ طفولته وقبل أن تنشب الحرب بينه وبين أمراء الدول الصغيرة لعمده !! وقد كانت هذه الحرب حتماً مقدوراً لا يحيد عنه ؛ لأن محموداً قد نظر لأول عهده بالسلطان فرأى الصغار من الأمراء يتصارعون في غير طائل ، وقد تحرش به الأمير الساماني في خراسان وهم بدشتيته ، فكان لابد من نزاله ليأمن جانبه القريب ! كما أن آل بويه بالرى ومن شاكلهم من السلاجقة لا يرحبون بقيام ملك إسلامي كبير ، وسيكونون يتآمرهم المتواصل سداً في طريقه فرأى لعمد نظره أن يضم ممالكهم إلى سلطانه ليجد من الوحدة الشاملة ما يساعده على تحقيق مشروعه الخاطير في نشر الإسلام ! ولو لم يأمن جانب جيرانه من المتربصين بعد أن قضى عليهم بعزمه الواثبة ما استطاع أن يترك بلاده إلى أماكن نازحة تدعوه إلى أن يغمر ظلامها الحالك بنور الهداية والإسلام ! على أن شعوره الديني قد دفعه إلى مهادة الخليفة العباسي ، وحوز قبوله وإعجابه ، فكان ذلك مدعاة لطمئنان نفسه كبير أمدته برصيد ضخم من الثبات !! .

والاستاذ بشارة يجهل محمود الغزنوي دون نزاع ! فليس الملك من السفالة في قليل أو كثير ؟ كما أنه يجهل ملايسات الشاهنامة وتقلبات الزمن بمسئمتها ومنتهاها ولو علم ما تمنى فأفدح !! .

وبعد ؛ فكيف سطر هذا الملك العظيم تاريخ بطولته الخفيل ؟ لقد تفتحت عينه في الوجود فرأى أباه الأمير سبكتكين ذا قدر وبطش ، فهو قائد فارسى محنك ، واثته الظروف لحكم غزنة من قبل السامانيين حكماً قوياً عادلاً ثم طمحت به همته إلى الهند فغزا شملها الغربي مرتين متواليتين ! وانتصر انتصاراً مؤزراً شهده ابنه محمود إذ كان يصحب أباه في غزاته دون أن يتعدى الرابعة عشرة من السنوات ، والمددش الرائع أنه في عمره الناشئ قد أظهر فروسية وحكمة بل وقف من والده موقف المعارض في أمر هام !!

فقد عرض الأمير جييال راجا لاهو جزية ليفوز بصلح يحقن الدماء ، ومال الأدب إلى القبول مكتفياً بما أحرزه من نجاح ، ولكن محمود الصغير يتف في وجهه رافضاً أن تكون الجزية غاية القتال وقال لوأله في إصرار : إننا نبحث عن مثوبة الجهاد في سبيل الله ! لا عن الفضة والنضار !! فنزل أبوه على رأيه

في عدهم الهائل قوة متساندة تقف أمامه موقف المدافع الصبور !! فقد اصطدم في غزاته الأولى ( بجيپال ) صاحب لاهور هدر أبيه ، وكان يخط في نومه ظاناً أن وفاة سيكتكين ستمنع تدفق المسلمين من جديد فأيقظه محمود على رأس عشرة آلاف مقاتل فحشد جنوده على عجل واستعان بمجاوريه حتى اكتمل له أكثر من اثنين وأربعين ألفاً من المحاربين ، ودارت المعركة رهيبه حامية فأبادت الهنادكة إبادة مخزبة ولم يبقو الأمير الهندوكى على احتياك كارثته ففرض نفسه على النار تكفيرا عن خذلانه كما تقضى بذلك تقاليد الهنود ! .

واصل القائد البطل زحفه ، فأحدث الرعب المزلزل في كيان الراحاوات من الحاكمين ، وتجمع أمراء أوجين وكواليار وكننجر وقنوج ودهلى وأجوير ليقتفوا بخيولهم وأفيالهم وجنودهم حشداً كثيفاً أمام الغازى القاهر . وزحفت جيوش الهند مجتمعة لتلقى المسلمين في إقليم البنجاب ! وكان القتال هائلاً مخيفاً ! ففقد المسلمون من أبطالهم عدداً يبيكى عليه . لأن جيش محمود لم يتجاوز ستة آلاف مقاتل ! ولكنه بمحض إيمانه وقوة عزمته قد ثبت بالبقية من رجاله أمام جيوش لم

ومع ما عرف عن والده سيكتكين من الإعجاب بمحمود والمباهاة ببطوراته فقد شاء أن يجعل الأمر من بعده لولده الصغير إسماعيل وهو إنسان ضعيف متردد لا تصل به همته إلى شئ . من آمال أخيه الأكبر ، ولم أرفيا قرأت تعليلاً لذلك ، ولكنى أعتقد أن الأب قد رأى طموح محمود واتساع آماله يخاف أن يقذف بحبشه إلى الهند في حاسة وانتقاد دون أن يسلك مسلك الحيلة في الصبر والانتاد ! وآثر أن يرجع بالملك لإسماعيل ليأمن بهدوئه عثار التوثب والانطلاق ، ولم يكن محمود بالشاب القافع المستكين ، فسرعان ما انتزع الملك من أخيه !! وبدأ فوحده المملكة الإسلامية في فارس ، ليقفز بعدها إلى الهند في عزيمة وإصرار ...

كانت الهند ترزح تحت حكم الإنقطاع ! فكل مدينة تخضع لراجا مثاله يشبع رغبته الخاصة بطغيانه فإذا أنس من نفسه بعض القوة انجحه إلى من يحاوره فسطا عليه ، وضم إمارته إلى إمارته ثم لا يلبث أن يحدد أميراً أقوى منه يستعد لوزاله فتدور الحرب بين الطامعين وطحينها العامة من الراجحين المسيرين من يضطرون إلى الولاء خيفة من الإرهاب الأحمر ، والطغيان المنجبر !! .

لحين صمم محمود على محاربة هؤلاء لم يحدد

أفغانستان على سهل الهندستان في جنوده  
الأتراك الأشداء ، بخيولهم الفارمة ،  
وأسلحتهم الموفورة ، ونظامهم الحربي  
البديع انصباب السيل الدافع . فieber الأنهار  
الصعب ، ويكسر لأصنام الهندية لا يبالى  
تعبا ولا نصيبا ، ثم يكر راجعا إلى غزنة  
يمتلئ اليدين من السبي الرائع والغنائم الهائلة  
بما حوته معابد الهند من كنوز الذهب  
والفضة ، وفنائس الأطلاق وقد انجلى هذا  
الغزو المتتابع عن امتلاك السلطان محمود  
إقليمى البنجاب وكشمير ، وسيطرته على  
ملكه كجرات الواقعة على المحيط الهندي ،  
فدخل الهند في دين الله أفواجا . وترك لهم  
السلطان الفاتح من يعلمهم أصول الدين  
الإسلامي ، ويلقنهم مبادئه فرسخ الإسلام  
من ذلك الوقت في بلاد الهند ، وأصبح ديانة  
قومية ثابتة الدعائم قوية الأساس .

كانت همة البطل أبعد من أن تحد ، فلم  
يكن يجلس ما يفنه وبين نفسه ليفكر في  
المواقف ويفترض الأوهام ، ولكنه كان إذا  
هم ألقى بين عينيه عزمه ، وإذا كنا ندهش  
لعزيمة خالد بن الوليد حين اخترق الصحراء  
يوم البرموك بجنوده ليلبلغ أعداءه من حيث  
لا يتوقعون فقد قام السلطان بمثل ما قام به  
سلفه الخالد حين اخترق صحراء ( الثار ) وهي  
مفازة جرداء تمتد أكبر صحراوات الهند ،

يستطاع التاريخ عدما على الوجه الدقيق إلى  
الآن ، حتى أحرز الانتصار الساحق ، ووجد  
في معابد الهنادكة من الغنائم الذهبية ما أربى  
عن الوصف إلى حد أن جنوده قد تركوا  
صحاف الفضة اكتفاء بما عثروا عليه من  
الذهب ! فليس لديهم من الدراب ما يكفى  
لحمل هذه الكنوز ! وكان النصر في معركة  
البنجاب سلاحا ذا حدين إذ أثار الفضة في  
بلاد الإسلام فأقبل المتطوعون ينسلون من  
كل حذب إلى جيوش محمود . على حين أحدث  
الهلل والرعب في أفراد الشعب الهندوسي  
وقادته فباتوا يترصدون يومهم القريب .

كانت السنوات تمر دون أن يخلو عام واحد  
من موقعة هائلة لمحمود الغزنوي يدمرها  
أعداءه المحتشدين ففتح الملتان وكوا كير  
وما زال ينتقل على شاطئ ( هند مند ) حتى  
استولى على بهيم نقر وناردين وبلغ كشمير  
فغنم بها خمسة أصنام من الذهب الخالص  
مرصعة بأغلى الجواهر ، وحمل من السبي  
والسلاح ما أمد كفاحه بقوة جديدة واصل  
بها النجاح !

قال الأستاذ عبد الحميد العبادي في كتابه  
( صور وبحوث من التاريخ الإسلامي )  
ص ٨٠ : « وقد غزا السلطان ما لا يقل عن  
سبع عشرة غزوة ، فكان ينصب من جبال

وكان الوثنيون يظنونها حصنا طبيعيا لا يستسلم لعدو فاتح ١١ فهم يعتصمون بها آمنين ١١ ولكن العزيمة الحديدية تدفع محمودا إلى قيادة جنده ضاربا المثل بنفسه ، حين يتقدم الكائنات الغازية في فلاة مترامية يشتعل بها القيط ، وتنفجر مرامبها القاحلة هن مهالك ذات أهوال ، فلا ماء يروى ولا شجر يظل ، ولا ثمر يشبع ١١ ولكن الأمل في نصره الإسلام قد أمده بالماء والثر والشجر ، فهانت لديه الصعاب ، واستعذب الآلام حتى بلغ مبتغاه ففاجأ الأعداء .

وقد كان معبد الهنادكة في سومنات معقد إيمانهم وقبلة أنظارهم ، فهم يلتصقون من صنمه النماض في عيونهم مثقلا بأرقام الذهب والؤلؤ والماس مقدرة على الجهاد ، ومعمونة على الزاحفين ، وقد أذاعوا فيما بينهم أن غضب إلههم الأصم في معبد سومنات على أتباعه العصاة هو الذى أمد السلطان الغزنوى بالنصر انتقاما لحقه وثأرا من مروق أتباعه ، وما ظنك بمعبد مقدس ينهض على ست وخمسين سارية ترصع بصقائخ الذهب وقلائد الجوهر ، وتمتلى ساحاته وأركانه بمئات من التماثيل المصنوعة من الفضة الخالصة والذهب الحر ، أما الصنم الأقدس فقد امتلأ جوفه بثروة ضخمة

لا تدخل في حساب عاد أو تبليغ ظن متوهم بما قدفته مئات السنين في جوفه من النفور والقرابين ، وكان الهنادكة يعتقدون أن تناسخ الأرواح في الأبدان يتم حول الصنم في معبده ، وأن هدير البحر المنبسط من حوله صلاة يقوم بها الماء عبادة وطاعة ، أما الخدم من السدة فيتجاوزون الألفين من البراهمة ، ومعهم خمسمائة من الرافعات المنشدات يرتلن حوله التسابيح ١ وقد اجتمع جميع الأمراء الراجيون بكل ما يملكون من عتاد ورجال وخيول وأفيال زيادا هن إلههم العظيم ، ورأوا في الاستنهاد بساحته منتهى الأمل في الحياة ، فدارت معركة رهيبة بين جيوش الإسلام ، وجحافل الوثنية ثبتت فيها القلة الزاحفة ثباتا عدا من الخوارق إذ كان محمود يقسم رجاله فرقا فرقا ، ويجهلهم يتناوبون الأماكن المختلفة كل يوم ، فأوقع في نفوس أعدائه أنه يصحب معه عددا أكثر من عددهم المتراعى ، إذ يرون كل يوم من المسلمين جديدا لم يقعوا عليه من قبل ، وكانت مذبحه خطيرة سقط بها خمسون ألفا من الهنادكة وعبر المسلمون على أشلائهم المتزاحمة طريقهم إلى الصنم بالمعبد ، توجه السلطان إليه بنفسه فهلك عليه بالحديد حتى انفجر جوفه عن ثروات كانت أسيل في



المؤلفات ، وهو بذلك قد سبق نظام الملك السلجوقي في إنشاء المدارس ، مما يبطل دعوى ريادته الأولى في هذا المضمار ، وقد كان من بين من يعمروا ساحاته من أبطال الفكر البيروني العالم الشهير والهمداني والعيني والبستي والثعالبي من أدباء اللغة العربية والعنصرى والمسجدى والأسدي من أدباء اللسان الفارسي ! وقد استدعى ابن سينا على شوق فلم يجب دعوته لصلات قديمة كانت بينه وبين السامانيين ! رأى أن يفي لها فلا يتصل بمن قرض سلطاتهم في الحياة !

وكان عدله المنصف بين أفراد رعيته سببا وطيدا في تعلق المسلمين به ، ومن خوارقه النادرة في إحقاق الحق أن بعض الناس شكوا إليه ابن أخيه إذ ارتكب جريمة قتل ظلما مدلا بمكائنه من عمه ، خفق محمود الأمر بنفسه ، واستمع إلى الشهود في غيظ وغضب فلما تيقن الأمر ، دعا ابن أخيه ، وقاده إلى أحد غرف القصر ، ثم أطفأ المصباح وذبحه وطلب جرعة ماء ، ويقول الباحثون في تحليل ذلك أنه كان يحب ابن أخيه حبا جما ، وقد أطفأ المصباح حتى لا يرى وجهه فتأخذه به شفقة تشل يده عند القصاص ! ! وهذه الحادثة وحدها تجسد لك جمال العدل في أصدق معانيه ! وهي تغني عن مئات الصفحات في تدوين شمائل هذا المنعز المؤمن الحريص !

كل اتجاه مسيل الماء ، ثم حله الملك الظافر ليضمه بين أحجار عتبات مسجده الفخم بغزنة . فكان كل مصطل بطؤه بقدمه خمس مرات ! ! ولعل الدين ينهرون السلطان بحب المال يعرفون أن الهناكة قد عرضوا عليه قبل معركة سومنات أن يفتدوا الصنم بما يريد من مال مهما جل ، ولكنهم صمم على الحرب لأن الهدف من الفتح الظافر هو تحطيم الصنم لا جمع الأموال . وقد صدقت فراسة محمود إذ أن الهناكة المخدوعين في إلههم الذمبي قد خسرهم الشك في ألوهيته حين رأوه يتساقط منفجرا ثم يجر على الأرض في امتنان ، فراهبهم معتقدهم الوهم ، وأقبلوا على الإسلام بدرسون مبادئه حتى اعتنقوه هن بصر وبتين ! !

لقد انتهت غزوات البطل بالنصر ، وإذا كان قد رزق الخطوة السعيدة في جهاده المؤمن ، فقد كانت أعماله الحربية لا تقف حائلا دون إصلاحاته الداخلية إذ أن بلاده تمتعت بكثير من مناحي التنمية والازدهار والرخاء ! وأصبح بلاطه مقصد العلماء والأدباء والشعراء وقد أسس في غزنة جامعة كبيرة حشد لها الأسانذة المختارين من شتى البقاع ، وأجرى على طلابها الرواتب والجرايات وزينها بخزانة ثمينة تجمع أنفوس الكتب ، وأغزر

الطراز الأول ، اتصف بالعدالة ورعاية  
الفنون والعلوم فهو جدير أن يعد من أعظم  
الملوك طرا .

كما نقل الدكتور أحمد محمود السادق في  
حاشيته ص ٩٨ رأى المؤرخ الأوربي  
لين بول في محمود إذ يقول : « إن ذلك  
السلطان الذى أقام تلك المنشآت الضخمة بغزنة  
وأقام دور العلم ودعا العلماء حتى كان يجود  
علمهم بما لا يقل عما يعادل مائتى ألف  
من الجنهات كل عام ، فضلا عما كان يجرى  
على طلبه العلم من الأرزاق لا يمكن أن يسلك  
في زمرة البرابرة الطغاة » .

هذا هو محمود الغزنوى وهذا بعض أياديه  
على الدين والأدب والعلم أفلا يصح بعد ذلك  
أن نفرده عشرات الكتب وأن نمنحه بعض  
ما تمنح نابليون والإسكندر وما نبيال !!

**محمد رجب البيومى**

المدرس الأول بدار المعلمات

لقد هجم بعض الكاتبين من الهنداكة على  
السلطان في تاريخ غزوانه ، وذلك طبعى  
لدى من يتعصبون للقمومية ، ولكن العادلين  
من هؤلاء لو أنصفوا البطل لذكروا ماله  
وماعليه ، ومن بينهم المؤرخ الهندى دبراساد  
إذ يقول قولا عن ترجمة الدكتور أحمد  
السادق بكتاب تاريخ المسلمين في شبه القارة  
الهندية ص ٩٧ :

« إن محموداً ليمد في نظر المسلمين غازيا  
ومجاهداً كبيراً أخذ على نفسه القضاء على  
الشرك في مهاد الوثنية ، وهو في نفس الوقت  
هنداكة طاغية مخرب ، حطم مقدساتهم ،  
ودمر معابدهم وأذى شعورهم الدينى في  
كثير ، ولكن المؤرخ المنصف حين  
لا يسقط من حسابه تقاليد العصر الذى كان  
يعيش فيه واعتباراته ، لا يسهه إلا أن يقرر  
أن محموداً كان زعيماً بارزاً من خيرة القادة  
والزعماء ، وحاكماً حازماً وجندياً عبقرياً من

## دستور عمر لنفسه

قبل أن يضع عمر ، الخليفة الثالث دستورا للولاة وضع دستورا لنفسه : قوامه أن الحكم  
محنة للحكومين ، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ، ولين لا وهن فيه . وأن الخليفة  
مستول عن ولاته ، واحدا واحدا ، في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يعفيه من اللوم أنه  
أحسن الاختيار .

## من معالم الطريق للأستاذ فتحي عثمان

أنه سئل الفقيه نجم الدين: أتفتي بهذا أيضا؟ قال: نعم. كما أفتى به أيضا الحانوتي ومفتي الروم أبو السعود، والشيخ حامد العمادي في فتاواه الحامدية.

و قد نقل صاحب ( الدر المختار ) آخر ( فصل القرض ) أنه ورد الأمر السلطاني وفتوى شيخ الإسلام بأن لا تزيد المنفعة هن خمسة في المائة من مبلغ القرض، فإذا زادت يعاقب الشخص لمخالفة الأمر السلطاني. و نقل ابن عابدين أيضا في حاشيته هنا عن كبار رجال المذهب كالتحصاف ومحمد بن سلة جوازه، وعن بعضهم كراهته. ثم نقل عن السائحاني: ( أنه صدر أمر سلطاني مبني على فتوى أخرى برفع نسبة المنفعة إلى خمس عشرة في المائة وعليها العمل )؛ لأن الأمر بها متأخر عن الأول فكان معدلا له. وعلل ابن عابدين حقوبة من يخالف ويأخذ زيادة عن الحد المحدد في الأمر السلطاني بأن طاعة أمر السلطان بمباح واجبة.

و قد بحث ابن عابدين في أن مجرد مخالفة الأمر السلطاني في عقد لا توجب فساد العقد.

و ذكر حاصل ( الدر المختار ) في آخر باب ( القرض ) من كتاب ( البيوع ) : أن شراء الشيء الرخيص بالثمن الغالي في مقابل الاستقراض من البائع جائز للحاجة، وقد سموه ( بيع المعاملة ) - وهي طريقة للقرض بمنفعة.

و ذكرها أيضا صاحب ( الدر المختار ) نفسه قبل ذلك آخر باب ( المراجعة في البيع ) قبيل فصل القرض باسم ( المراجعة ) : وهي أن يبيع الدائن للدين شيئا بأعلى من قيمته بحيث يحصل للبائع ربح يعادل الزيادة التي يريد لها لقاء تأجيل الدين إلى المدة التي يطلبها المدين.

و قد صرح في هذا المكان من الدر وحاشيته نقلا عن فقهاء المذهب أنه : لو قضى المدين الدين قبل حلول أجله الذي عقدت من أجله المراجعة، أو إذا توفى المدين بعد المراجعة قبل نهاية الأجل فاستوفى الدائن دينه من تركة المدين لحلول الدين المؤجل بسبب وفاته فإن الدائن لا يستحق من المراجعة إلا بنسبة ما مضى من الأجل، وإذا كان قد قبض الربح وجب عليه رد حصته ما بقي من الأجل.

و نقل ابن عابدين هنا عن صاحب الفقيه

تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة ، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن ، ونرجو أن يكون من وراء جمل الفقه الإسلامى مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعين على هذه النهضة .

\* \* \*

ومن أول مجالات هذه النهضة العلمية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن جامعة الأزهر ، وكلية الشريعة منها بوجه خاص .

هذه السكينة تستطيع أن تهبط المناخ الصالح الذى يتحقق في ظل التفاعل الفكرى بين تراثنا الفقهى وبين الدراسات القانونية المعاصرة . ونستطيع أن نسبغ على طريق هذا التكوين الفقهى المؤمل المعالم التالية :

بالنسبة لدراسة الفقه الإسلامى :

ينبغي أن تكون الدراسة الفقهية العالمية في مستوى السكليات دراسة مقارنة ، ولا تكون مقصورة على مذهب معين ، ويمكن الرجوع إلى أمهات كتب الفقه التى اعتمدت على القرآن والسنة بصفة أساسية دون أن تلتزم التقيد بمذهب معين مثل كتب ابن حزم ( المحلى ) مثلاً وابن رشد ( بداية المجتهد ) مثلاً وابن القيم ( زاد المعاد وإعلام الموقعين ) مثلاً والشوكانى ( نيل الأوطار ) والصنعمانى ( سبل السلام ) وهكذا ...

ولكن هذا يدل على أن الأمر السلطانى إذا تضمن النص على بطلان المقد الخالف فإنه يكون باطلا حتما ( الدر المختار ، ورد المختار ٤ ) . وقد ذكر ابن عابدين أيضا في ( رد المختار ) آخر الباب الأول من ( كتاب القضاء ) أن صاحب ( البحر ) ابن نجيم قد نقل عن أئمة المذهب : أن طاعة الإمام في غير معصية هي واجبة ... ، هذا أصل جليل ...

نخرج منه بصورة تاريخية فقهية رائعة لتطور الزمان ، وبرز صور من المعاملات نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية ، ومرونة الفقه الإسلامى في مواجهة الأحداث المتجددة . ونخرج منه بأصل تشريعى جليل يعطى اجتهاد سلطاتنا التشريعية مكانته وأهميته في بناء تشريعاتنا المعاصرة . وكل هذا ، يلقى علينا عبئا أثقل من المسؤولية . المسؤولية لتبنى فقهنا المعاصر ، وتشريعاتنا المعاصرة ، على ضوء الدراسة الجادة الوعى ، والتفاعل الخلاق مع واقعنا الاجتماعى والفسكرى ... يقول العميد السهوى في مقدمته الرائعة لكتاباه ( الوسيط في شرح القانون المدنى الجديد ) :

« جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذى يبنى عليه تشريعنا ، لا يزال أمنية من أهم الأمانى التى تحتاج بها الصدور وتنطوى عليها الجوانح ، ولكن قبل أن

بصفة خاصة من كتب الخراج ، ومنها ما ألفه أبو يوسف ويحيى بن آدم ابن قرشي ، فضلا عما أوردته كتب التاريخ من تدوين الديوان وجمع الزكاة والخراج وتوزيع العطاء والأرزاق إلى غير ذلك من الموارد والمصارف المالية ، وفي مقدمتها كتب تاريخ الطبري والبلاذري وابن عساكر وابن خلدون ... إلخ ، كذلك كتب «السير» التي تقناول قسمه الغنيمة النوى .

ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الخراج للدكتور ضياء الدين الرئيس ، والخراج للدكتور بدوى عبد اللطيف عوض .

٣ - القانون الدولى العام والخاص :  
للشريعة الإسلامية أحكامها فى السلم والحرب والعهد والعلاقات الدولية ، وفى أحكام الذميين والمعاهدين والحريين والمستأمنين ... إلخ ...

وقد وردت مباحث ضافية هن ذلك فى كتب الفقه وخاصة الموسوعات : مثل المبسوط للرخسى ومدونة سحنون ، فضلا عن كتب السير الأرزاعى وأبى يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى . ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة كتاب الدكتور محمد حميد الله الحيدر أبادى بالانجليزية : سير الدولة الإسلامية ، ...

٤ - القانون الجنائى :

يجب الاهتمام بدراسة القسم العام من

وقد سبق أن كتبت فى الفكر الإسلامى والتطور ، أقترح أن يكون التخصص فى الفقه موضوعيا لا مذهبيا : فيكبرن التخصص فى الفقه الجنائى أو المدنى وفى الفقه الدستورى أو الدولى ، لا فى مذهب بمينه ...

وقد تقدمت بمذكرة مسهبة للجهات المختصة أثناء قيام لجان تطوير الأزهر بعلمها تعرضت فيها لفروع الدراسات القانونية المعاصرة ، وإمكان دراسة الفقه الإسلامى على هدى منهجها فى التصنيف والتقسيم ... وأنا أنقل هنا ما سبق أن ذكرته فى المذكرة المشار إليها :

(١) - القانون العام :

١ - القانون الدستورى والقانون الإدارى : يمكن دراسة نظام الحكم فى الإسلام ، وقد أدخلت هذه الدراسة فى دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ويمكن الاستفادة مما كتبه المتكلمون والفقهاء عن الإمامة ومن كتب مثل السياسة الشرعية لابن تيمية ، والطرق الحكمية لابن القيم ، والأحكام السلطانية للباوردى ، ومشها لابن يعلى ، ومقدمة ابن خلدون ، وكتب الحسبة ... إلخ ...

ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الخلافة للسنهورى بالفرنسية والنظريات للسياسة الإسلامية للدكتور ضياء الدين الرئيس ، ...

٢ - القانون المالى : ويمكن الاستفادة

### (ح) الفلسفة القانونية والاقتصادية :

من المرجو أن نفرّد دراسة لفلسفة الحقوقية أو فلسفة الفكر القانوني تجمع فيها آراء الأصوليين ، والمتكلمين والفلاسفة والفقهاء في فلسفة التشريع الإسلامي ، ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : كتاب فلسفة التشريع الإسلامي لصباحي محمّصاني ، وبعض كتابات السهوري .

كذلك من الممكن إلقاء أضواء على الفلسفة الاقتصادية الإسلامية .

على أنه من الأفضل أن تدج الدراسات

الإسلامية في بعض الفروع مع الدراسات

القانونية في دراسة موحدة مقارنة ، فهذا

أعون على التفاعل المنشود ، وعلى تكوين

العقلية القانونية والذوق الفقهي ، وبخاصة

في فروع القانون التي يمكن أن تنسجم فيها

المادة الفقهية الإسلامية مع المادة الفقهية

المعاصرة مثل الأحكام المدنية باستثناء

الأحوال الشخصية والقانون الدولي ،

وكذلك فروع القانون التي لا تشغل الكتابات

الإسلامية فيها حيزاً مذكوراً مثل قواعد

المرافعات والإجراءات الجنائية والأحكام

التجارية والفلسفة الاقتصادية .

\* ونكون هناك دراسة نصية في أمهات

كتب المذاهب لـ يألف الطلاب البحث الجاد

القانون الجنائي ، ويشمل أحكام الشريعة

الإسلامية في الجريمة والجرم والعقوبة ،

ومبحث المسؤولية الجنائية ، ولا تكون

الدراسة مقصورة على الأحكام الجزئية

في القصاص والحدود والتعازير ، كما يلزم

أن تكون هناك دراسة موضوعية تاريخية

لفقه الإجراءات الجنائية في الإسلام ، ومن

الدراسات الإسلامية المعاصرة : التشريع

الجنائي الإسلامي - لعودة ، التعذيب للدكتور

عبدالعزیز عاصر ، الجريمة والعقوبة والمسؤولية

الجنائية لأحمد فتحى بهنسى ... إلخ ... ،

### (ب) القانون الخاص :

الحاجة ماسة لبدل محاولات لتأصيل نظرية

الالتزام في الفقه الإسلامي ، مع الاستئناس

بالدراسات المعاصرة ومن أهمها : السهوري

مصادر الحق في الفقه الإسلامي . الزرقا :

المدخل الفقهي العام . شفيق شحاتة : نظرية

الالتزام في الشريعة الإسلامية . صباحي

محمصاني : نظرية الموجبات والعقود في

الشريعة الإسلامية .

ويحسن إبراز وإفراد بعض مباحث

البيوع والشركات والرهن والكفالة لمحاولة

تبيين ملاح الفقه الإسلامي في الأحكام التجارية .

كما يحسن إبراز وإفراد الدراسات المبعثرة

عن القضاء والشهادة والدعوى والإقرار لمحاولة

تبيين ملاح فقه الإسلامي في أحكام المرافعات .

أن تدرس كذلك في كلية الشريعة مع الاستئناس بالتوجيهات الإسلامية العامة ، مثل : علم الاجتماع القانوني ، علم الإجرام أو علم العقاب ، مبادئ الطب الشرعي ، وذلك فضلا عن دراسة تشريعات العمل والتعاون والإدارة المحلية من التشريعات القائمة .

\* \* \*

ينبغي أن يسود الدراسة في كلية الشريعة أساسا اتجاه عام يتمثل في التجميع والتركيب والتأصيل ، وتقديم النظريات العامة بقدر الإمكان بدلا من دراسة المسائل الفقهية أشتاتا وتفاصيل ، فهذا وحده هو الذي يخلق لدى الطالب ذوقا قانونيا ، بدلا من إلتخام الذاكرة بالمعلومات الجزئية التي لا يمكن أن يتسع للإحاطة بها منهج ولا وقت ...

على أنه لا بد من تعويد الطلاب على البحث واستخدام المراجع وبخاصة المطولات والأمهات ، وتكوين المزاج العلمي الذي درب على معالجة النصوص وتفهم اللغة الفقهية أسلوبا ومنهجيا

وستنتفع الدراسة الفقهية على هذا النحو من الدراسات القانونية المعاصرة ثم يأتي الوقت الذي تقتفع فيه المعرفة القانونية العالمية من جديد بثار الفقه الإسلامي العصري المتطور ... ولكل أجل كتاب .

واقه يقول الحق وهو يهدي السبيل ؟

فنعني عثمان

المتعمق في المراجع الأصلية ، ومن ذلك : كتب الإمام الشافعي والخراج لأبي يوسف والسير الكبير لمحمد بن الحسن والمبسوط للسرخي ومدونة سحنون ... إلخ ...

\* وينبغي أن توجه عناية خاصة لدراسة تاريخ الفقه الإسلامي دراسة حية تقوم على أساس متابعة تطور المجتمع الإسلامي والفكر الإسلامي ، ورصد الآثار المتبادلة بين الفقه والحياة في تاريخ المسلمين .

وبالنسبة للدراسات القانونية المعاصرة :  
\* يرجى الاهتمام بصفة خاصة بدراسة المدخل للعلوم القانونية ، ويجب ألا تقل محاضراته عن ست محاضرات أسبوعيا ، ليتعرف الطالب على الأسلوب العلمي المعاصر في الدراسات القانونية ، ويتفهم روحها وفلسفتها .

\* كما يرجى الاهتمام بدراسة تاريخ القانون مع العناية بصفة خاصة بتجديد منزلة الشريعة الإسلامية في البناء القانوني العالمي . والتاريخ نور كشف ، على ضوئه تتحدد الأصول والمعامل في إطار تركيبي يعين على الفهم الصحيح للعلم على هدى السنن الاجتماعية الإنسانية ، خاصة بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخ منها .

وهناك دراسات قانونية حديثة شرعت كليات الحقوق بجامعة تان في دراستها ، وتنبغي

# النسخ في تقدير علماء الأصول

للاستاذ عباس طه

(معناه - جوازه ووقوعه - أقسامه - حكمته)

- ٢ -

وكذلك يستدل المانعون بقوله تعالى :  
 « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل »  
 قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون .  
 قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت  
 الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ، وذلك  
 أنها تدل على أن الذي يأتي مكان آية آية  
 لا حديث ، وقوله : « قل نزله روح القدس ،  
 يدل على أنه منزل من عند الله ، وذلك هو  
 القرآن . ويدفع المجربون هذين الدليلين بأن  
 قوله : « وإذا بدلنا آية مكان آية ، لا ينفي  
 أنه قد ينسخ حكم آية بحديث ، فإن عبارة  
 ( إذا صنعت كذا ) لا تدل على أنه لا يصنع  
 إلا ما ذكرت ، وقوله تعالى : « قل نزله  
 روح القدس ، يتناول ما نزل قرآنا وما نزل  
 سنة ، فإنه لا ينطق عن الهوى .  
 هذا طرف من أدلة المانعين والمجيزين ،  
 نكتفي به في المجلة علما بأن استقصاء مثل  
 هذا بما يكل أذهان جمهور القراء ، وإنما  
 نلم من مثلها بما تنأوله مدارك الأوساط ،  
 ومن شاء الاستقصاء فليذا المقصد ، ولكن  
 لا نتسع صفحات المجلة لبغيته بل محل  
 ذلك كتب الأصول .  
 ومن منع نسخ الآية بالحديث الشافعي  
 وأحمد ، ومن أجازه بشرط التواتر مالك  
 وأصحاب أبي حنيفة وابن مريح وكثير من  
 المتكلمين أشاعرة ومعتزلة ، على خلاف  
 في الوقوع كما ذكرنا آنفا .  
 أما حكمة النسخ فالكلام فيها في موضعين :  
 ( الأول ) حكمة للنسخ على العموم ،  
 ( والثاني ) حكمة نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ،  
 أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .  
 فالمقام الأول يكفي فيه ما سبقت الإشارة  
 إليه من أن الدين نزل تدريجيا لتربية  
 قوم تأصلت فيهم طادات ومألوقات ، حتى  
 اعتقدوا فيها أنها المكارم ووسائل المجد ،  
 ومرجع الفخار ومقياس عزة النفس ،  
 وقد اختار الله تعالى وجلت حكمته أن  
 يبعث رسوله من هذا الشعب الذي بلغ الغاية  
 العظمى في تقدس أسباب المجد والمفاخر  
 والمآثر ، وغلبت على نفسه وجهة الفخار



نهمهم ليناً. لموا آثامها وعضارها ، ثم اقرأ قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، فزاد تنبههم إلى أنها لا تناسب هذا المنام العظيم ، مقام وقوف العبد بين يدي ربه يناجي به بكلامه بكل خضوع ، ويستنزل رحمته بكل جهد ، فينبغي أن يكون حاضر كل للعقل ، حتى إذا تفتنوا إلى مناقاتها لأعظم مقام تصل إليه نفوسهم ، وجرت حوادث زادت تنبههم إلى ما فيها من ضرر ، تشوفوا من أنفسهم لنحریمها بتناجيا. قوله تعالى : يا أيها آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون . ، أفلا ترى كيف كانت الحكمة البالغة في تربية شعب اصطفاها الله من بين الشعوب باختيار رسول منه ، لما أودع فيه من صفات النبيل والمجد ، فيبقيها له بعد أن ينقيها مما علق بها من الأدرا ن ؟ وكذلك آيتنا التريص حولا والتريص أربعة أشهر وعشراً : كان الأول علاجاً لمادة تأصلت في نفوس أشرفهم ، واعتبرت وفاة من الزوجة لزوجها المتوفى عنها ، وهى أنها تحرم على نفسها الرجل من بعده ، فكان في هذا وفاة حقاً ، ولكنه

والتحدث بالحمد والفرار من المذام بدرجة ما عرفت في شعب غيره ، وبكفى في ذلك تدب ما كان يثرب بينهم من الحروب الطاحنة إلى درجة التغافى بين المتطاحين وبقي ذلك سنوات عديدة فما كانت أسباب ذلك لترجع إلى التزاحم على مال أو متاع أو اقتناء ثروة أو غيرها مما هو هدف الحروب في زمننا هذا ، بل بين المتحضرين كافة في كل وقت ، وإنما كان مرجع حروبهم في الكثير الغالب هو الحية في الشرف والنصرة في النفاخر والاعتداد بالمفضيلة والتبريز في المجد والنبيل ، فنسب هذا شأنه وقد اختاره الله تعالى للقيام بنصرة نبيه ونشر دينه ليس من الحكمة أن يساس قصرأ ، وأن تنزع منه مألوفاته قهرأ ، بل الحكمة كل الحكمة في أن ينقل تديجها من حالة إلى حالة نليها حتى إذا ركن للثانية انتقل إلى درجة نليها رهم جرا .

يتجلى هذا في تحريم الخمر التي كان يتغنى بها شعراؤهم ، ويتباهى بها فتيانهم ويتحدث بها شجعانهم ، يرونها أماراة الرجولة وعنوان الشهامة رسمة الفتوة ، فجاءت الأحكام والآيات تستلها من نفوسهم رويدأ رويدأ ، حتى استقر أمرها على المنع البات وقرأ إن شئت قوله تعالى : « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما » ، فقد

الذى أعدنا له جل شأنه بتغيير الحكم الذى كان يناسب علة متصلة فى الأمة إلى حكم مناسب للدوام والاستقرار فبزاد شكراً ويقوى امثالنا للحكم واقتناعنا بالرحمة المودعة فيه ، فقد يكون انتقالاً إلى أخف فنشكر نعمة للتخفيف ، وقد يكون انتقالاً إلى حكم أشد من الأول فنشكر نعمة التمهيد لنفوسنا ، والتعريض للزيادة فى مثوبتنا ، وتنبع الأحكام التى ورد عليها النسخ تقرأ المعجب المعجب .

وأما القسم الثانى : وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فيظهر فى كل آية بما يناسبها ، وإذا كان السؤال فى آية الرجم فلنخصها بالذكر ، ولنبد فيها ما يظهر لنا عما تنشرح له الصدور .

لقد وردت الآية فى عقوبة هذه الفعلة الفاحشة جحد الفحش فى نفسها ، التى تزداد خُشاً إذا وقعت ممن لم يكن ليظن به أن يتردى فى هاويتها ، ويتلوث برجسها ، ويفتضح بشناعتها ، وهى مع كونها إجراماً خبيثاً فيها معنى الفحش والعار والقيح حتى قبح تكرار سيرتها ، فهى مما يستحى من تكراره ، وهى من الشناعة بحيث ينبغى أن تسلك فى مسلك ما يستحيل ولا يكاد يقع ، وبما ينبغى أن تنزه الأسماع عن تكرار سماعه والألسنة عن تكرار التلفظ به .

زاد حتى خرج عن اعتباره فضيلة ، فالظلم لا يدوم وإن دام دمر ، ولكن العدل إن دام عمر ، فلم يكن من الحكمة أن تقطع صفة الوفاء الأبدى المندسة فى نظرهم إلى الحكم الذى أراد جل شأنه أن يستقر الأمر عليه ، وهو تربص أربعة أشهر وعشراً طرفة واحدة ، بل الحكمة كل الحكمة أن تكون الثغلة على درجتين : ( الأولى ) إلى حالة كان يراها بعضهم والعقول تسيفها بعد الأولى بسهولة ، وهى تربص الحول - ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر . ( والثانية ) بعد هذه وهى ما استقر عليه الحكم ، وهو كاف للوفاء عند الإنصاف .

وهكذا إذا تقيمت الأحكام التى ندرت وأحدثت التأمل ، فإنك ظافر بحكمة تزيدك إيماناً وشكراً وينطق لسانك بقوله جل شأنه : والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لمهتدى لولا أن هدانا الله .

الموضع الثانى : حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم . أو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم . وقد ذكرنا فيما سبق أن معنى نسخ التلاوة هو نسخ حكمها ، أى لم تبق الآية صفة القرآنية - من التعبد بتلاوتها ، وصحة الصلاة بها ، ونحو ذلك . فأما القسم الأول وهو بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ، فتتجل لنا حكمته البالغة فى تربيتها ، ونشهد التدرج فى الكمال

هذا كله في فرض أن يقع من ذاق هذا الامر وعرف قيمته ، وأما أصل وقوعه من لم يعرفه ولا سبق له غشيانه في حلال ، فهو مما لا يكاد يقتلع كلية من الناس ، فالزنى إذا فرض لحقه ألا يفرض إلا من فتيان لم يتخلصوا من جهالة الشباب ، ولم يتزوجوا طعم الزواج ، فقد يعذرون فيه فلا يستحقون ذلك الإعدام المزمى ، وهو القتل كما تقتل الحشرات الخبيثة ، ولكن يؤدبون ، فليكن تأديبهم أمرا مائلا أمامهم تنلى عليهم آيته كل حين ، أما من بلغ درجة الكمال فلا يسع العقل أن يصدر منه هذا حتى يتعرض لحكمه ، فن الحكمه بعد أن علم أمره أن نفسه نلوته ويبقى حكمه معلوما في الشرع ودل على البقاء صنعه صلى الله عليه وسلم مرارا وصنع صحابته من بعده.

ومما يشرح الفرق بين الإجماع والفحش

### ملاحظة

اقرأ في باب أنباء وآراء تعليقا على خطأ وقع في مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب .

عباس طه

# مَا يَقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

## أقوال وأقاويل .....

للأستاذ عباس محمود العقاد

موضوع الإسلام عن موضوع التاريخ  
الإنسانى ، ولا سيما التاريخ المتصل بتطور  
العقائد والنظم الاجتماعية .

وبين يدى الآن خمسة كتب وصلت فى بريد  
واحد ، أربعة منها تتناول الكلام على  
الإسلام والمسلمين فى بعض النواحي العامة  
أو الشخصية ، والخامس منها قد خلا من  
الكلام عن الأديان عامة ، فلا ذكر فيه  
للإسلام ، ولا للسيحية ، ولا لليهودية ،  
أو البوذية ؛ لأنه بحث مقصور على العلاقة  
بين الكيمياء والحياة الحيوانية .

• • •

وأقرب هذه الكتب إلى موضوعات  
الدين كتاب ألفه الأستاذ ف . ك . هابولد  
Happold عن المذاهب الباطنية ، أو المذاهب  
التي نطلق عليها اسم « الصوفية » ، لما فى التصوف  
أحيانا من أسرار روحية يعلمها بعض أهلها  
ويشيع بين طلابها ومريديها أنها تخفى على  
غير الواصلين .

لعالم الفشر فى البلاد الأوروبية عادات متفق  
عليها ، تتكرر فى كل فترة من فترات الثقافة  
العامة على نمط يناسبها .

ولاحدى هذه العادات التي لاحظناها غير  
مرة فى هذا الباب أن مواسم « الطباعية »  
لا تمر فى سنة من السنين دون أن تظهر  
فى الموسم بعد الموسم منها كتب عدة عن  
الإسلام والبلاد الإسلامية .

وقد تلاحق بهذه العادة عادة أخرى تلاحظ  
فى الكتب التي لم يخصصها المؤلفون  
بالموضوعات الإسلامية ولم يقصروها عليها ،  
فقد يصدر الكتاب عن موضوع من موضوعات  
العقائد العامة ، أو موضوع من موضوعات  
التواريخ والرحلات ، أو موضوع شائع  
يتعلق بالحياة البشرية فى أدوارها المختلفة ،  
فلا ينسى مؤلفه أن يتناول شيئا من الدراسات  
الإسلامية من جانبها الفكرى أو جانبها  
التاريخى أو جانبها السياسى ، أو جوانب  
الأخلاق والمصالح الاجتماعية ، فلا ينفصل

الحق في الذات الإلهية ، فليس هناك وحدة أو حلول أو امتزاج بين ذات الخالق وذات المخلوق ، وإنما هناك الحب الذي يبطل « الأنانية » كما تبطل الأثرة في نفس العاشق حبا للعشوق ، ولكن مع الفارق الشاسع بين العشق الإلهي وبين عشق الإنسان للإنسان .

\*\*\*

والكتاب الثاني عن الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق بقلم الأستاذ تيموثي وير Ware الذي تخصص للبحث في تاريخ الأديرة والرهبنات الشرقية مع تاريخ الشعائر والنحل التي يدين بها الرهبان المستمون إليها ، وقد أشار في عرض الكلام على تاريخ بيزنطية إلى أحوال الكنائس والقسوسة ورسائرا أتباعها وأتباعهم في ظل السلاطين العثمانيين ، فشهد للدولة الإسلامية بالساحة في معاملة الرعايا المسيحيين وقال إن السلاطين لم يقصروا عن براطرة الروم في رعاية البطارقة الكبار ورؤساء الدين على العموم ... إلا أنه عاد فقال إن السلطان كان ينظر إلى رعاياه من المسيحيين كأهم طبقة ثائية بعد الطبقة الأولى من رعيته المسلمين ، وقد يكون الخطأ في كلام المؤلف هذا راجعا إلى إهمال المقارنة بين السلاطين والبراطرة في معاملة المذاهب المختلفة ، وإلى نسيان المقارنة بين الأجناس في واجب الإخلاص للدولة التي يتبعونها .

تكلم هابولد عن كل طريق من طرق الصوفية المشهورة في عقائد الهنود والفرس والمسيحيين الأقدمين والمحدثين والإسرائيليين في نشأتهم بفلسطين على الخصوص ، وأفرد للصوفية الإسلامية فصلا كبيرا معززا بالشواهد من الشعر والنثر في كتب الأقطاب البارزين من شيوخ الطرق بين الشعوب الإسلامية ، فذكر جلال الدين الرومي والجلای وابن الفارض والطار والحلاج والبسطامي وغيرهم ممن لم يشتهروا في الشرق والغرب مثل شهرتهم ، وذكر حجة الإسلام الغزالي ليسند إليه ميزان الاعتدال بين المذاهب الصوفية التي يرضاها أهل السنة وبين المذاهب التي جاوزت حد الاعتدال وبلغت من الشطط في القول بالحلول ووحدة الوجود حدا لا يرضاه المجلة من أئمة الإسلام .

وأنصف المؤلف إذ قال : إن الإسلام أشد الديانات الكبرى حرصا على تنزيه الذات الإلهية من عوارض البشرية والتجسيم ، سواء ظهرت في القول بامتزاج الإنسان بالإله ، أو امتزاج الإله بالإنسان ، أو ظهرت فيما يسمونه بالتجلى ويعنون به رؤية « الحق » في صورة إنسان أو مخلوق من المخلوقات .

وقسطاس الاعتدال كما شرحه الإمام الغزالي في مشكاة الأنوار ، أن العابد يفنى في حب الله وينسى أنه فان لأنه ينسى ذاته ولا يذكر وجوده الباطل إلى جانب الوجود السرمدي

وفي الكتاب بيان مفصل لكثير من الحوادث والمشاهد ، وكثير من القضايا الاجتماعية والأزمات السياسية والعسكرية ، ولكن عناية المؤلف بنظرة نابليون إلى هذه الأمور وخطته في تديرها وتصريفها مع دولته ومع المصريين والعثمانيين كانت أهم وأعظم من عنايته ببيان الحوادث لذاتها أو بيان آثارها وتناجها ، وربما كانت عنايته بموقف نابليون من علماء الدين وموقف علماء الدين من البعثة العلمية التي أحضرها معه للدرس والاستطلاع هي الفصل الذي يقال عنه إنه بيت القصيد بين سائر الفصول ، وأنه أجمع الفصول لأسباب التعريف بعقيدة نابليون الذي يحسبه بعض المؤرخين بين عظماء القادة العسكريين وتظهره موافقه من قادة المجتمع المصري الروحيين في مظهره الغالب عليه : وهو مظهر الزعيم الاجتماعي المحنك والقائد السياسي ، أو الدبلوماسي في أكثر الأحيان .

وكان نابليون يرى بعد اختباره لكبار علماء الأزهر أنهم أهل للتوقير والاحترام بحق العلم والمعرفة وحق الورع والتقوى وحق الخلق الكريم والحكمة الراجحة ، وليس بأقاييل منهم من كان أهلا للتوقير والاحترام بحق الثراء وحق النسب العريق ، وكان في مسلكه نحوهم وتودده إليهم يؤمن

ولو أنه قارن بين السلطان والامبراطور - أي سلطان وأي امبراطور - لعلم يقينا أن الامبراطور كان يأبى على المسيحي الذي يخالف مذهبه أن يعيش في ظله آمنا على حياته مساويا لأخيه المسيحي في حقوقه وحرية اعتقاده ، ولم تكن عنده طبقة أولى وطبقة ثانية من رعاياه ، وإنما كانت الرعية طبقة واحدة يحق لها الوجود وطبقات أخرى لا توجد في ظله إلا على خوف وحذر وحرمان من حرية العبادة بغير مصادرة واضطهاد .

وقد يعلم المؤلف من مقارناته لأسباب التفرقة بين رعايا السلطان أنهم يفترون اضطرابا بحكم الفوارق الجنسية والعنصرية ، وأنهم يعاملون بحسب إخلاصهم للدولة التي تعامهم ، تفرقة في درجات الولاء لا تفرقة في الحرية الدينية التي تكفلها الدولة لأهل الذمة من رعاياها

\*\*\*

والكتاب الثالث عن بوناپرت في مصر للكاتب الانجليزي كرشيفور هيرولد الذي يكتب عن التاريخ الفرنسي والشخصيات التاريخية بأسلوب التبليغات الصحفية ، ويحيد الوصف في هذا الأسلوب غير مستخف بأمانة التحري التي يغفل عنها كثير من طلاب التحويل والاستشارة بين المؤرخين الصحفيين أو الروائيين المؤرخين .

وهو يعتقد أن الجامع الأزهر أثر من آثار صلاح الدين ويأخذه الزهو بهذه العلاقات الأزهرية التي جمعت بينه وبين البطل الإسلامى الكبير فى مقام واحد .

• • •

وختام ما نقله من الكتب الأربعة فصل عن الساعات الأخيرة فى حياة الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله ، وهو فصل من فصول الكتاب الذى ألفته السيدة ماري رولات بنت السير رولات محافظ البنك الأهلى على عهد الاحتلال ، وقد اختارت لكتابها اسم بناء مصر الحديثة وقصدت بهم بناء النهضة منذ عصر الثورة العربية ، وأولم فى تقديرها الأستاذ الإمام رائد الدعوة الثقافية - الروحية - قبل الجيل المعاصر .

ومعظم معلوماتها عن نشأة الأستاذ الإمام مستمدة من تراجمه العربية ولكنها اعتمدت على مصادرها فيما روته عن أخباره الأخيرة وكتبت ما أوردته منها بأحلوب ينم على التعظيم والإكبار .

قالت : « لأنه كان يحس آلام المرض قبيل وفاته ولكنه كان لا يزال مشبع النفس بكثير من مشروعات الإصلاح ونيات السعى والعمل : صحيفة كبرى ، وجامعة جديدة ، وسياحة إلى فارس والهند وروسيا لتفقد أحوال المسلمين فيها وتدعوه ضرورة الصحة

فأنهم دون غيرهم مناط القدوة الاجتماعية وسرجع الطاعة والاعتبار للهيئة الحاكمة ، وقد حاول أن يستخلص منهم الفتوى الدينية بوجوب طاعته ولكنه قنع منهم آخر الأمر بالمعاونة على المشورة واجتناب ما يدعو إلى الثورة والتمرد من جانب المصريين .

ويقول مؤلف الكتاب إن علماء الأزهر قد احتفظوا بوقارهم ورسالتهم العقلية أمام عجائب العلم الحديث التى خيل إلى هباء البعثة أنها تقع عندهم موقع السحر من أبناء الشعوب البدائية ، ولكنهم قد نظروا إليها - فعلا - نظرتهم إلى حيل السحرة وأصحاب الشعوذات وإن كانوا قد فهموا أنها تستند إلى علم جدير بالتحقيق من قبيل ما عرفوه أو سمعوا به من حكمة الأولين .

قال المؤلف إنه لم تمض حقبة قصيرة على عهد نابليون حتى كان الإفريقيةيون والآسيويون قد عللوا ما وراء تلك الحيل من أسرار الكهرباء والكيمياء ، وتبين أن السداجة كانت من نصيب علماء الحملة لأنهم قدروا الدهشة فى غير موقعها من عقول أولئك الحكماء .

ومما يؤخذ من طرائف هذا الكتاب ما أخذ اتأمل والاعتبار أن نابليون على رغبته فى العلم بأحوال مصر وأحوال الجامع الأزهر على الخصوص ، قضى أيامه بمصر

واجتنبت مظاهر التقليد في الصلاة عليه وفاء للراحل الذي قضى حياته في كفاح التقاليد والعزوف عن باطل الثناء ، ولكن المشيعين له من المسلمين وغير المسلمين كانت تغمرهم غاشية الحزن العميق ، وشوهد بين الجمع رجل يغلبه النحيب فأقبل عليه صديق يعزبه ويشاطره المصاب ، ففطر إليه وهو يقول : إنه لا يبكي شجوه وحده ولكنه يبكي لأولئك المحرومين الذين كان من عمله أن يعطوهم عليهم بالصدقات في كل شهر من مرتب الشيخ ... وقد كان عظيماً فقيراً في الحياة وقضى نحبه وهو فقير عظيم .

\*\*\*

ولم يسلم كتاب السيدة رولات من الأخطاء والسهوات ، ولكنها أخطاء وسهوات كأمثالها مما ورد في كتب هذه المجموعة ، قد تحمل على نقص العلم بالواقع أو اختلاف النظر إليه ، قبل أن تحمل على سوء النية ؟

عباس محمود العقاد

أولاً - أن يبدأ بالسفر إلى أوربة للعلاج وإن لم يشعر يومئذ بمبلغها من الخطر ... وقد كان يزور صديقه له برمل الإسكندرية لقضاء أسبوع عنده قبل الإبحار إلى أوربة ولكنه لم يلبث أن شعر باشتداد وطأة المرض وتبريح الألم والاضطراب ، وأقعدته الوهن عن الحركة ثم تعذر عليه المنطق فلم يسمع منه غير ذكر اسم الله يستمد منه العزم والعزاء وطفق يردد في صوت يشبه الهمس الخافت : الله أكبر .. الله أكبر .. وأدركته زوجته بما وسعها من العطف والرعاية وهي تصفى إليه فلا تستبين ما يقول إلا أن تفهم من حركة الشفتين أنه يراد التسليم بكلمتي التكبير ، الله أكبر .. الله أكبر .. ولم يسكد يستطيع قبل أن تفيض روحه إلى بارئها غير التكبير والابقسام وهو ينظر إليها ... وقد وقف القطار الذي يحمل جثمانه من الإسكندرية إلى القاهرة في غير مواضع الوقوف قضاء لواجب الحزن والتشييع بمن كانوا ينتظرونه في الطريق ...

## استدراك

أشرنا في العدد السابق إلى تحريف في الآية الكريمة الواردة في صفحة ٩٧١ العمود الثاني ونعيد نشر الآية الكريمة السابقة لها لسهوا فيها لم نشر إليه وهي : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ووزروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » .



## خطأ الأحمديّة في تفسير قوله تعالى "وخاتم النبيّين"

يرسله الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، آخر الرسل المبلغين عن الله ، فكل دعوى من هذا القبيل باطلة ، وهذا أمر مسلم به ، يمثل جانبا مهما من الإيمان برسالة الإسلام ، من ينحرف عنه فهو خارج على الدين ولو أصر على التثبت بلقب مسلم ، أو رفع عاليا شعارات الإسلام . ويبدو أن بعض المنتمين للإسلام بالاسم لا يؤمنون في قرارة أنفسهم بهذا ، ويودون ببالغ الجهد لو تحول المسلمون كلهم فئسار كوعم في اعتقادهم الفاسد .

وهم من أجل هذا لا يهتمهم في سبيل خدمة أغراضهم المنحرفة أن يهدم الإسلام من أساسه . ولقد قام عضو في إحدى الجماعات المنحرفة (الأحمديّة) في سبتمبر الماضي بنشر المقال التالي :

أرسل إلينا الدكتور تمام حسان المستشار الثقافي للجمهورية العربية المتحدة بنيجريا بمقال كتبه بالانجليزية ردّا على بعض الأحمديّة في تفسير قوله تعالى وما كان محمد أبّا أحد من رجالكم ،<sup>(١)</sup> وتعميلا للنفع رأينا ترجمته وقد أورد سيادته نص مقال الأحمدي ، ثم عقب عليه مفنداً ما حواه من أخطاء وصدر الموضوع بهذه الكلمة كقدمة له :

أخرى في الإسلام :  
العقيدة الإسلامية تهم كل فرد مسلم ، ومن أقوى الدعامات التي تقوم عليها هذه العقيدة : أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله وأنه بلغ الرسالة تامة من غير نقصان .  
فالإسلام إذا دين كامل يشهد بذلك القرآن الكريم ، وليس هناك حاجة إلى نبي آخر

### قول الأحمديّة في "خاتم النبيّين"

النبيين في الآية ، ولكن الدراسة الدقيقة للسياق المفهوم منها ، يزيل ما اعترى الأفهام من غموض هو نتيجة لأخطاء سائدة .

ففي مكة حيث مات أولاد النبي الذكور كلهم في طفولتهم ، هيره أعدوّه بأنه أوتر (والأوتر الذي لا يعقب ابناً ذكراً) ومقصدهم

د ما كان محمد أبّا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيّين ، وكان الله بكل شيء عليماً<sup>(٢)</sup> .

لقد ساد الاضطراب في فهم الوضع الحقيقي والمعنوي للنبي الكريم على ضوء وضعه بنخاتم

(١) نشرنا الأصل الانجليزي بآخر هذا العدد من المجلة

(٢) الأحزاب الآية ٤٠ .

اولها : أن النبي الكريم كان خاتم النبيين بمعنى أنه لا نبي بعده ولا قبله بالمعنى السليم إلا إذا كانت نبوته تحمل خاتم النبي : بمعنى أن كل نبي سابق يجب أن يركيه الرسول ويشهد له - كما لا يمكن لإنسان أن يبلغ مرتبة النبوة بعده إلا إذا كان من أتباعه . فالنبوات المدعاة لا تتأكد إلا إذا كانت متفقة مع الوحي - المبلغ عن الله بواسطة النبي - ومطابقة لتعاليمه .

ثانيها : أن النبي أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء ومصدر الحلية والكمال لهم جميعاً .  
ثالثها : أن النبي الكريم آخر الأنبياء المرسلين بشرائع .

والتفسير الأخير قبله كثير من العلماء الأجلاء كابن عربي ، وشاء ولي الله ، والإمام ملا علي قاري ، والجدد الغزالي وغيرهم . وطبقا لما فهمه هؤلاء الأئمة المحققون : يستحيل أن يأتي نبي بعد محمد بشريعة تفسخ شريعته إلا أن يكون الآتي من أمته .

والسيدة عائشة ذات الدراية والموهبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أزال الغموض الذي اكتنف المراد من قوله تعالى : «خاتم النبيين» حين قالت : (قولوا خاتم النبيين ، ولا تقولوا لا نبي بعده) .

فالفهم من هذا أن التعبيرين عند السيدة

من ذلك أن الدعوة سوف يقضى عليها إذا عدم النبي وريثا ذكرا يخلفه عليها . فجاءت سورة الكوثر لترد على هؤلاء وتنفي مثلبتهم عن النبي وتلحقها بهم .

وكان من الطبيعي بعد نزول سورة الكوثر أن تبدأ نفوس المسلمين ، ويطلبون إلى أن الله سيبارك ذرية نبيهم الذكور ، فيعيشون إلى أن يشبوا عن الطوق ويسيروا رجالا .

فلأجل أن تنفي الآية التي نحن بصدد هذا الفهم أكدت أن النبي لم يكن ولن يكون أباً لرجل ما . وتتعارض هذه الآية في الظاهر مع ما قررته سورة الكوثر : من أن أعداءه هم البقر وليس هو - وللتوفيق الحق بين الآية والسورة يقال : إن رسول الله أب روحى للأمة الإسلامية ، ووصفه بخاتم النبيين يشير إلى أنه أب روحى أيضاً للأنبياء جميعهم ، سابقهم وللاحقهم - فإذا ثبت أنه أب روحى للمؤمنين وللأنبياء فكيف يقال عنه : إنه أب ؟

وعلى العكس من ذلك إذا قلنا : إن خاتم النبيين تعنى أنه آخرهم بمعنى أنه لا نبي بعده فالآية حينئذ تبدو وكأنها نشوز لا تساقب بينها وبين السورة ، وحينئذ لا تدحض افتراء المعاندين بل تدعم اتهامهم وتقويه .

وتمشياً مع معنى خاتم النبيين نستطيع أن نفرض أربعة معان ترد على الفهم :

## تفنيد هذا القول :

هذه هي المقالة التي تعسف كاتبها وركب الصعب ليشوه بها الحقائق ويؤيد قصده الباطل بتفسيره للآية تفسيراً ملتوياً يتصادم مع الشواهد التاريخية ، إذ ليس هناك ارتباط ما بين الآية التي صدر بها المقال وبين سورة الكوثر .

فتاريخ التشريع الإسلامي يقرر أنه عندما عدد القرآن الكريم المحرمات من ذوات القرابة في سورة النساء آية : حرمت عليكم أمهاتكم ... الخ ،

كان بين المحرمات زوجة الابن - ومع وضوح المراد من الابن في الآية وهو الصليبي ، إلا أن بعض المسلمين تخرجوا من الزواج بزوجات الأبناء بالتبني بعدهم - وكان زيد بن ثابت دعيًا للرسول وكان في الأصل رقيقًا وسماء الرسول بعد ضمه إليه زيد ابن محمد - وزيد هذا كان متزوجاً بزوجة قرشية تدعى زينب بنت جحش وكانت تدل عليه لشرفها وسابق عبوديته ؛ حتى نفر منها وأعلن للنبي مراراً رغبته في طلاقها ، فكارن النبي ينصحه بإمسكها ، فاختر الله زينب هذه لتكون مثلاً فارقاً بين الابن الصليبي والدعي - وأمر نبيه بأن يتخذ زينب زوجة له بعد طلاقها من زيد . وشغل

عائشة مختلفاً المعنى ، والدلالة والتناقض بينهما قائم .

رابعاً : أن النبي الكريم آخر الأنبياء بمعنى أن صفاته وسجاياه كاملة ، وفي الدرود من العلو .

وخاتم النبيين مقصود به هذا المعنى إذ عبر عن نهاية الكمال بما لا يقوم به لفظ سواء . وفضلاً عن هذا فقد جاء في القرآن ما يؤيد بوضوح ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ويبين هذا من الآيتين الآتيتين بما يبديد الغموض ، ولا يدع مجالاً للشك :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » (١) .

« يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

والنبي الكريم كان وإخلائه يتابع النبيين من بعده فقد روى أنه قال : ( لو عاش إبراهيم وولده ، لكان نبياً ) . رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز .

وروى عنه قوله : ( أبو بكر خير الرجال ما لم يظهر نبي ) ( كنز العمال (٣) .

(١) الآية ٦٩ - النساء .

(٢) الآية ٣٥ - الأعراف .

(٣) تعليق على القرآن المجيد ج ٢ من المجلد الثاني

وهذه الآيات منسجمة مع القصة السابقة وواضح أنه لا ارتباط بينها وبين سورة الكوثر اللهم إلا في أن كلا منها من القرآن الكريم وإن كانت كل منهما تشير إلى حادثة معينة في حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

والمجمع عليه أن القرآن الكريم يميل في أسلوبه للجواز والإيجاز .

وإذا تدبرنا معاني الآيات السابقة تحقق لنا حبك نسجها إذ الناقد البصير لا يلبس خلا أو تقط ضعف في سلسلة أسلوبها القرآني .

والقرآن حقاً معجزة بلاغية نزلت على أفصح جيل من أجيال العرب ، الذين أوتوا الفصاحة والبلاغة دون سائر الأمم .

والآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأحزاب تتحدثان عن سنة الله في الذين خلوا من قبل ، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ... ويؤخذ من هذا أمران :

الأول : أن ليس هناك حرج على النبي .  
والآخر : أنه سنة الله في الأنبياء من قبل .  
ومن هنا يتبين سوء الاستدلال وخبط الاستشهاد بالآية لتدعيم القضية المفقرة ، كما يتبين بجلاء أن الآية تتسق تمام الاتساق مع ما قبلها ، ومن الممكن توضيح ما تعنيه في ضوء ما يلي :

١ - مضت سنة الله في أنبيائه الذين خلوا أنه لا حرج في تنفيذ أحكام الله .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الوقت برد الفعل الذي سيتتاب عقول الناس نتيجة لواجهه من زينب فأبطأ في التنفيذ فأنزل الله عليه الآيات التي منها الآية التي فسرهما الأحمدى .

والآيات المتصلة بهذه الحادثة تتابع نزولها على النحو الآتي :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً . وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وكان أمر الله مفعولاً . ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً . ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً<sup>(١)</sup> . »

(١) الآيات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ من سورة الأحزاب .

يعترفون بصحته ولكنهم يزيفون المراد باستنتاجات مخترعة .

وبدلاً من اعتمادهم على هذا الحديث الصحيح وسيرهم على مقتضاه نجدهم يختلفون حديثاً وينسبونه للسيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأتون بهذا الحديث المخلوق هكذا « قولوا حقاً إنه خاتم النبيين ، ولكن لا تقولوا إلا نبي بعده » .

وليس من رأي أن أبطل هذا الحديث ابتداءً ولكنني أطالب من ساقه بذكر سنده ورواته من رجال الحديث والمصدر الذي أخذوه عنه ، وأسمح لنفسى أن أثير النقطة الآتية

١ - من الشائع في أسلوب القرآن الكريم استعمال تعبير مكان آخر ما دام كل منهما يؤدي المعنى المراد . ويلاحظ هذا بكثرة في القرآن الكريم كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا وللشكافرين عذاب أليم » . (١)

فاختيار أحد المترادفين كان لمراعاة المشابهة بين الآخر وبين لفظ مثله في اللغة العبرية يعني الهزم والسخرية .

وفي اللغة العربية كلتا الكلمتين تؤدي معنى اتجه إلينا . وعلى هذا النمط يمكن القول بأن السيدة عائشة اختارت أسلوب

٢ - لا حرج مطلقاً في قضية زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زينب .

٣ - محمد ليس أباً لزيد بن ثابت ولا لأى رجل ما ، بل هو رسول الله وخاتم النبيين الذين سبقوه .

ولا جدال في المعنى الحرفي لكلمة « خاتم » ولا يمكن تفسير الخاتم بمعناه المعروف لأن محمداً لإنسان والقرآن الكريم في أسلوبه - كما سبق بيانه - يميل إلى المجاز وإذا كان السياق ينفي عن وجود مجاز في الآية فلنبحث هذا المجاز : كلمة « خاتم » تعنى آخر شيء يلزم وضعه على الوثيقة ، ولا يسمح بإضافة شيء بعده ، هذا هو المعنى - ولا يمكن فهم غيره من الآية .

وأى تفسير آخر يعتبر فرضاً لرأى بشرى على أمر سماوى .

وهذا المعنى - أى أن محمداً آخر الأنبياء تؤيده الشواهد الآتية :

١ - أنه يقضى تماماً مع آية « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » . فالدين الكامل لا يحتاج لنبي آخر .

٢ - المروى أن النبي عليه الصلاة والسلام نفي مجيء أى نبي بعده بقوله : ( لا نبي بعدى ) وليس هناك - من يشك في صحة هذا الحديث حتى الذين يقولون بنبي آخر ، فهم

(١) الآية ١ : سورة البقرة .

الموهود الذى سيؤدى دور المسيح ، وآخر  
عن المهدي المنتظر .

وأخيرا ينبغى أن نتذكر أن الآيه المستشهد  
بها فى انقالة من سورة الأحزاب - ومن  
العجيب أن من استدلوا بها على معتقدهم  
الباطل غفلوا عن آيتين فى نفس السورة هما :  
« إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله  
فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا »<sup>(١)</sup> ،  
« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا  
موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله  
وجيها »<sup>(٢)</sup> .

ترجمة : ابراهيم محمد الاصيل

( ١ ) الآية ٥٧ - سورة الأحزاب

( ٢ ) الآية ٦٩ - سورة الأحزاب

القرآن فى التعبير فقالت : خاتم النبيين مخاطبة  
من لا دراية له بالقرآن وأسلوبه وشامت  
الإيضاح له فقالت : أى أنه لا نبي بعدى .

٢ - ولبعض المتطرفين من الفرق  
الإسلامية عادة هدام - وهى تأييد وجهة  
نظرهم باختلاق محض للأحاديث - والشواهد  
على هذا كثيرة ذكرها علماء التاريخ الإسلامى  
وأقرب مثل على هذا ما ذكر من أن الفرع  
السفياني من البيت الأموى عندما غلبه الفروع  
المرواني على الخلافة ووجد الفرع الأول أنه  
قد أصبح مجردا من القوة المادية التى تمكنه  
من استرجاع السلطة المفقودة ، بحث عن  
القوة الدينية بوضع حديث يتنبأ بالسفياني

تذنيه ... !

فى مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب « نظرية الإيحاء » بين المستشرقين والمسلمين .  
ورد ما يفهم منه أن معجزة موسى سحر ، وفرق كبير واضح بين المعجزة والسحر فالأخير  
الآتى به مذموم بقول الله تعالى : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ، ولا يتفق هذا مع مقام  
الرسالة ، فوجب التنبيه خشية اللبس ، ونزجى الشكر للسيد الدكتور على ما بذله فى بحثه  
القيم من جهود صادقة .

المجلة

# مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

## طاقة من شعر الأسيرة

للأستاذ العوضي الوكيل

### ١ - ولدى

ما لعينيك تروان إذا أفـ  
ما لعينيك تبعثان بقايـ  
ما لعينيك ، يا بني ، وخديـ  
كلما شمتك اطمأن بي العيد  
هات كفيك يا بني بكفي  
كنت لي يا بني بالأمس حلماً

كنت من قبل يا بني أغنى  
وأحي أطيفاه ومرائب  
وأغنى به ، وأهفو إليه  
ثم أقبلت يا بني وفي عيـ  
نفحتني بألف ألف ربيع  
فتغنيت يا بني بعينـ

شدت شعرا ، أو إن سمعت غفاه  
خطرات بعيدة ، وضيا  
لك أضامات أمامي الظلواء  
ش ، وغادرت شقوني أشلاء  
رقتا كالنسيم طاف مساء  
ثم أصبحت منية تترامى

### ٢ - على أنشأ طيء

أبني ما نسف المصيف تسلذه  
تمشى على رمل الخليج فتزدهى  
ولقد تظل على الرمال مشيداً  
تلهو وقلبي في يمينك خافق

بألذ من أنفاسك العطرات  
رملائه من هذه الخطوات  
منها صروحا شيخ الشرفات  
يشدو هواك بهذه الخفقات  
تبني وتهدم ناقد العزمات

ترنو إلى البحر الواسع تحاله  
ولقد يقوم الموج حولك ماثراً  
وأنا وأملك نحتولك بنظرة  
ولقد أشاركك الغداة ملاعباً  
أبني فقدم ما بنيت فأنثو  
وغداً ستبني لي شواخ ذكراً  
تبني لقومك في العلاء آمه  
وتظل تقدمهم إلى الغمرات

### ٣ - نموذج حياة

دلفت إلى السكولة غير وان  
وقلي لا يزال فتى طروباً  
تدله بالمشاك والمثاني  
ولي بيت كأبيات المعاني  
تعاطيني الوفاء به حسان  
أغني في خماله هزاراً  
أغنيه وحولي من بنيه  
« دسوقي » به يصغى ويشدو  
نعيش كأننا في بيت شعر  
نعيش كأننا في غير كون  
نعيش كأننا في غير دنيا  
لسان بالثناء عليك رطب  
وأقوال مدبجة الحواشي  
وجوه في لقائك ضاحكات  
فلا يغورك من راض رضاه  
بني لكم على الأيام مجدى  
لئن لم أبني من حجر بناء  
وحسبي أنني أحياء حياتي  
وفي حين لا يرجى وفاء

وشابت لمتى قبل الأوان  
وإن بك ممة غير الغواني  
وبالنسرين أو بالاقحوان  
ومعنى لا يشبه بالمعاني  
فأرجع بالوفاء إلى الحصان  
أهاب بشدوه طيب المسكن  
عصافير تزقزق للأغاني  
« وعمدوح » يساجلني المثنى  
رقيق الصوغ ، علوى المعاني  
ملىء بالثفاق وبالدهان  
تعج بكل ذى حقد جبان  
فهل تدري بما تحت اللسان  
لها سم كسم الانفوان  
وأضلاع على السوى حوان  
فإن رضاه رهن بالزمان  
ومجد الشعر مجد غير فان  
فأني للقصائد خير بان  
طهور القلب واليد واللسان  
وصول للخليل ، وإن جفاني



# الكتاب

دراسة في كتاب : الزهاوى وديوانه المفقود<sup>(١)</sup> . . . !

الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

أمثال : الزهاوى الشاعر لأدهم ، وحقيقة الزهاوى للعبیدی ، ومحاضرات عن الزهاوى الجاني ، والزهاوى شاعر الحرية لأنور الجندي ؛ وما كتب عنه من فصول كثيرة نشرت في العديد من المؤلفات ، ومن مقالات ظهرت في مختلف الصحف والمجلات في العالم العربي ؛ وجدنا أن هلال ناجي قد استوعب هذه الدراسات ، وجمع ما تفرق منها ؛ وأبدى رأيه في الكثير منها ، وفي مختلف الآراء عن الزهاوى وشاعريته . .

٢ — يشتمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة فصول :

تناول المؤلف في المقدمة الإشارة إلى ما كان بينه وبين الزهاوى من صلات روحية ، كانت الحافز له على دراسته في هذا الكتاب ؛ وإلى منهجه فيه ، وإلى ديوانه « النزغات » ، الذي نشره لأول مرة في هذا السفر القيم ، وإلى أشياء أخرى تدور حول ذلك .

١ — الزهاوى ( ١٨٦٣ — ١٩٣٦ م ) شاعر من كبار شعراء العربية في العصر الحديث ؛ وقد ترك شعره دويماً في كل مكان ، في حياته وبعددها . . ولا يزال موضع الدراسة والبحث حتى اليوم .

وإذا كان ما صدر عنه من دراسات وبحوث يعد قليلاً نادراً بالنسبة لمكانته ومنزله في الشعر الحديث . . فإن دراسة ضخمة جادة ، قد كتبها الأديب العراقي الأستاذ هلال ناجي ، ونشرتها له دار العروبة بالقاهرة ، تعد أوفى ما ظهر من دراسات حتى اليوم عن الزهاوى وشعره ؛ وقد جمعت كل ما تفرق من دراسات وبحوث ومقالات عنه وعن فلسفته وشاعريته ؛ وإذا وازنا بينها وبين ما ألف عن الشاعر من كتب ، من

(١) دراسة كبيرة تقع في ٣٨٦ صفحة من القطع الكبير للأديب العراقي الأستاذ هلال ناجي ، نشر دار العرب بالقاهرة عام ١٩٦٣ .

أما الفصل السابع فقد اشتمل على تحقيق لديوان الزهاوى « النزغات » ونسبته إليه ، وعلى متن الديوان ...

ويلى ذلك عدة ملاحق ، منها مقالة للزهاوى نشرت فى المؤيد عام ١٩١٠ فى الدفاع عن المرأة ، ومقالة له نشرت فى السياسة الأسبوعية فى ٣ سبتمبر عام ١٩٢٧ حول النثر والشعر ، ودراسة نشرت عن الزهاوى فى كتاب « الشعر والشعراء فى العراق » بقلم أحمد أبو سعد الذى طبعته دار المعارف ببلبنان عام ١٩٥٩ ، وأخرى للدكتور داود سلوم فى كتابه « تطور الفكرة والأسلوب فى الأدب العراقى » المنشور فى مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٩ .. ويلى ذلك ذكر مصادر الكتاب وفهرست الموضوعات .

٣ - ولا شك أن هذه الدراسة ذات خطر كبير فى باب الدراسات الأدبية عامة ، فإن مؤلفها جمع فيها ما عثر عليه من آثار الشاعر وآرائه وما كتب عنه والعديد من الآراء فى الأدب والنقد ، وفى باب الدراسات المتخصصة فى شعر الزهاوى وشاعريته ، لما حوته من ترجمة دقيقة له ، ومن عرض لآثار شعره وشاعريته ، ومن توفيق فى نشر ديوان كامل من دواوين الزهاوى لم ينشر من قبل ، وهو « النزغات » . ولهذا الديوان قصة طريفة أشار إليها المؤلف أثناء حديثه عنه ، وكنت أنا

وفى الفصل الأول يتحدث عن حياة الزهاوى .

وفى الثانى يذكر آثاره العلمية والشعرية وبعض مقالاته .

وفى الثالث يتحدث عن شعر الزهاوى ، ويطيل فى الكلام على شعره الفلسفى ، ويوازن بينه فى هذا الجانب وبين المعرى موازنة طويلة . ولقد اقتصر فى الحديث عن شعره على هذه الناحية وحدها من نواحى شاعريته وشعره ، مشيراً فى أثناء ذلك إلى تأثره بالرصافى ، وآثار التجديد والتقليد فى شعره .

وفى الفصل الرابع يتحدث عن آراء الزهاوى فى الشعر والشعراء .

وفى الخامس يعرض لآراء المستشرقين فى الزهاوى ، ومن بينهم : كامبفاير ، ودلافيدا ، وكراشكوفسكى ، وويدمر .

وفى السادس يعرض لما كتب عن الزهاوى من كتب وبحوث وما نشر عنه من مقالات . وإن كان قد يفوته بعض ذلك من فصول كتبت عن الزهاوى فى مثل : كتاب مذاهب الأدب ، وقصة الأدب المعاصر ، ومن رواد الأدب المعاصر ؛ ومن آراء أخرى قيمة عن الشاعر فى كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ، للنقاد مصطفى السحرى ؛ ومن بحوث منشورة عنه فى بعض المجلات الأدبية كمجلة « أبولو » ، وغيرها .

ونشرها لأول مرة في هذا الكتاب الضخم الذي أتحف به قراء العربية وأدبها .

٤ - وهذه الدارسة القيمة سوف تنير - ولا شك - السبيل لكل من يريد الكتابة عن الزهاوى وشاعريته وفلسفته ، وهي - وإن سارت على منهج فيه الكثير من الشمول والتحليل - ذات طابع متميز ، وتنطق بما بذل المؤلف فيها من جهد ، وما وفق إليه فيها من نتائج .

ولمّح لعل ناجي التهنئة حقاً على هذا الجهد الرائع الذي خدم به الزهاوى والدراسات الأدبية المتصلة به وبالأدب العراقي المعاصر .

وفي الحق إن الفترة التي أقامها هلال ناجي في القاهرة ، والتي امتدت من خريف عام ١٩٥٩ حتى عودته إلى وطنه العراق في الخامس عشر من فبراير عام ١٩٦٣ ، كانت فترة خصبة في حياة هذا الأديب المتوثب إذ أخرج فيها ديوانه « لفجر آت يا عراق » وكثيراً من كتبه ، ومن بينها : كتابه عن الزهاوى ، وكتاب « صفحات من حياة الرصافي وأدبه » .

ومن القاهرة نبعت إليه في بغداد كل تحية وتهنئة وإكبار .

محمد هبة المصطفى

وأديبين معروفين هما مصطفى السحرتي ووديع فلسطين نعلم أنه في حيازة الأدبية العربية الآنسة صفية أبي شادي التي تقسم حالياً في واشنطن وقد فسر الأديب حليم متري سر ذلك لي بأن الزهاوى أودع الديوان لدى سلامه موسى لنشره ، وبعد حين أعطاه سلامه موسى للدكتور أحمد زكي أبو شادي لنشره ، ومضت الأيام وهاجر أبو شادي إلى نيويورك في عام ١٩٤٦ ثم توفي في واشنطن في ١٢ أبريل عام ١٩٥٥ ويصمت مكتبته الحافلة هناك بشمن زهيد واحتفظت ابنة الشاعر من بينها بكتبه المطبوعة والمخطوطة ، وبآثار أدبية قليلة من بينها ديوان الزهاوى المخطوط « النزغات » . وعن طريق نشرت أخبار أدبية في مختلف الصحف والمجلات في العراق عن الديوان .

وسعى وديع فلسطين والسحرتي لدى صفية أبي شادي لإرسال الديوان إلى القاهرة للاطلاع عليه فأحضرتة معها في زيارتها لوطنها مصر في صيف عام ١٩٦١ ، وأودعته لدى وديع فلسطين للاطلاع عليه لا لنشره الذي احتفظت به الأديبة حقاً لنفسها للملكيتها للمخطوطة ، واستعار الأديب العراقي الكبير هلال ناجي المخطوطة

# أَبْنَاءُ وَأَرْأُ

وفاع عن الامام الأعظم :

اطلعت على ما حرره وحققه الأستاذ محمود الشريف في (مجلة الأزهر - رمضان سنة ١٣٨٢) عن أخذ الإمام أبي حنيفة بالحديث إلى حد أن الحديث الضعيف أولى عنده من الرأي ، فذكرني ذلك بفرية مكشوفة ذكرها القاضي ابن خلكان ، ونقلها عنه الأستاذ المخلص الدكتور الحوفي في كتابه الممتع الطبري (١٨٢) وهي :

أن أبا يوسف كان يحفظ المغازي وأيام العرب وأنه مضى ليستمع لابن اسحاق أو غيره ، وتخلف عن مجلس أبي حنيفة ، فلما أتاه قال له يا أبا يوسف من كان صاحب راية جالوت ؟ فقال أبو يوسف : إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله علي رؤوس الملأ : أيهما كان أولا وقعة بدر أم وقعة أحد ، فإنك لا تدري أيهما كانت قبل الأخرى ، فأمسك عنه أبو حنيفة .

وهذا اختلاق تكذبه شواهد الواقع ، لأن أبا حنيفة هو الذي يحدث أصحابه في مسانيدهم عن تفصيل سيدنا عمر أصحاب بدر فيما فرض لهم في الديوان على باقي أصحاب الغزوات المتأخرة وهو الذي يتلو في ختماته

ليلا ونهارا (ولقد نصركم الله بيدروا أتم أذلة المعروف نزولها في أحد ، وهو الذي أمل على أصحابه (كتاب السير الصغير) ولا يعقل أن يجهل الإمام تاريخ الغزوة التي فيها تجلت قوة جيش الإسلام في أول معركة يخوضها . وابن خلكان نقل ذلك من (الجليس الصالح للمعافى الجريري) مع إغفال السند ، ولو ذكره لرأى القارئ فيه كذبا مشهورا وهو محمد بن الحسن بن زياد النقاش الكذاب المنكر الحديث - على ما في تاريخ بغداد للخطيب وميزان الاعتدال ولسان الميزان .

والمعافى الجريري ليس من رجال التحري في النقل ، وكتابه هذا يجمع بين الجد والهزل ومن دلائل ذلك ما يحكيه عن المأمون من أنه حمل الإمام الشافعي على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما في لسان الميزان ، مع أنه لم يلقه في عهد خلافة البتة ، وهذا كذب بحت .

وابن خلكان يلذ له تسجيل ما يحط من الإمام النعمان من كل مصدر قالف ، ولا ينزه قلبه عن تدوين أسطورة الأباريق الرصاص عن حماد مجرّد المكشوف الحال ، وصلاة القفال التي لا يشك في اختلاقها .

من القادرين اعتماداً على قدرتهم المالية، وبهذا يضيع ركن هام جداً من أركان الإسلام ، فإننى أرجو أن تبين لجنة الفتوى النص<sup>(١)</sup> الشرعى الذى اعتمدت عليه من الكتاب والسنة ولا أحب - مقدماً - أن يكون الاعتماد على قول فقيه مجردا عن الدليل ؛ لأن هذه الأمور الهامة لا يجوز الاعتماد فيها على مجرد قول فقيه من الفقهاء ؛ إذ أن العبادات يجب أن تنقذ في شأنها عند ما ورد سواء أكان خاصاً بأدائها أم بقضائها لا يجوز فيها قياس ، فهل عند لجنة الفتوى نص اعتمدت عليه في فتواها ؟

### عبد المنعم النمر

وحولت المجلة هذا الخطاب إلى لجنة الفتوى فردت عليه بالخطاب التالى :

السيد الأستاذ رئيس تحرير مجلة الأزهر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ورد إلى لجنة الفتوى خطاب من الأستاذ عبد المنعم النمر وهو حول إلينا من إدارة المجلة ، وفي هذا الخطاب يعترض الأستاذ على فتوى صدرت من اللجنة ( سنة ١٩٥٨ ) ونشرت بالعدد الأخير من المجلة ، وموضوع الاعتراض فتوى تتعلق بإسقاط الصلاة وحكم الفدية فيها .

واللجنة تفيد الأستاذ أن الفتوى صحيحة

نقلت هذا التحقيق من كتاب ( حسن التقاضى للعلامة الكوثرى ) بتصرف وزيادة . وقد روى الموفق المكي بسند صحيح ما وقع لأبى يوسف مع النعمان في هذا الشأن وليس فيه جرح ولا غمز بالإمام أبى حنيفة .

### مسامح الدين الورائى

### إسقاط الصلوة عند العجز :

السيد الأستاذ الكبير رئيس تحرير مجلة الأزهر السلام عليكم ورحمة الله ورد في « باب الفتاوى » عدد شوال من مجلة الأزهر فتوى عن إسقاط الصلاة وهل هو شرعى أولاً ... إلخ ، وجواب لجنة الفتوى عليه .

ولقد لفت نظرى أن لجنة الفتوى أقرت إسقاط الصلاة بالفدية كما يفعل العوام حيث جاء في فتواها : « وأما إذا كان قادراً على الصلاة ولو بالإيماء ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإيصاء بالفدية ، إلخ ما جاء بالفتوى ... ولما كان هذا أمراً يصادم روح التشريع ، لأن الصلاة تطهير للنفس وقد مات تارك الصلاة فلا مجال لتطهير نفسه وتركية خلقه ، والصلاة عبادة بدنية لم أطلع على نص يجيز النياحة فيها ولا يجيز الفدية التى قالت اللجنة الموقرة إن تارك الصلاة يجب عليه الإيصاء بها ، ولما كان هذا يفتح الباب واسعاً لإهمال الصلاة ولا سيما

(١) طالع رداً مفصلاً من لجنة الفتوى في هذا الموضوع في باب الفتاوى من هذا العدد

الفارغة من عصابة مجرمة اختارت أن يكون إقليم الناظور من شمال المغرب مركزاً لنشر مذهبها الذي لا يتلاءم مع طبيعة الشعب المغربي المتشبث بأذيال دينه الحنيف، وقد أثارَت محاكمة البهائيين في الأيام الأخيرة الماضية ضجة عالمية، تناولتها عدة صحف داخلية وخارجية بالتعليق نتيجة للحكم العادل الذي أصدرته محكمة الناظور على تلك الشلة المارقة من الشباب الذين سوات لهم أنفسهم أن يهاجموا الإسلام في معقله الحصين.

واسكن الشيء المؤكدهو أن الشعب المغربي بل معظم الطبقة المثقفة منه لا يعرفون لا قليلا ولا كثيراً عن النحلة البهائية رغم أن مسألة البهائية استطاعت أن تغزو البيوت وأن تتردد على الألسن، لذلك ألتبس من سيادتكم أن تخصصوا دراسة مستفيضة عن هذا المذهب الدخيل في الإسلام بمجلتكم الموقرة تنويراً للفكر وتعميماً للفائدة، وسأكون مديناً بالجميل لسيادتكم إذا ما ليتم طبع هذا، ودمتم للعلم مناراً، وللإسلام نخاراً والسلام.

إدريس الطاهري الحسني

الرباط - المغرب الأقصى

إجابة لطلب السيد الكاتب نشرنا بحثاً عن ذلك المذهب في هذا العدد

المجلة

وهي تقليد للمذهب الحنفية، وفي المذهب أدلته التي اعتمد عليها من القرآن والسنة وتستحسن اللجنة للأستاذ وهو عالم أزهري أن يراجع كتب المذهب ليقنتع.

وليس من منهج اللجنة أن تهجر المذاهب المعتدة وتقصّد مباشرة إلى الاستدلال بالقرآن والسنة فإن ذلك تشكيك في المذاهب الصحيحة ولجوء إلى الاجتهاد من جديد وفيه تضيق في الإقناع.

وليس من عمل اللجنة أن تعيد البحث في كل أمر لا يعجب القارئ وبخاصة من يستطيع البحث بنفسه فضلاً عما في ذلك من النزوع إلى رغبات شخصية لا تقف عند حد.

ومن الخير أن يكون مثل هذا الاعتراض في صيغة الاستفهام لا في صيغة الإنكار قبل التثبت من الحق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

البرهانية

اطلعت في عدد من مجلة الأزهر الغراء (رجب سنة ١٣٨٢) في باب معرض الكتب على مقال تعريفى لكتاب البهائية من تأليف الأستاذ عبد الرحمن الوكيل، وكما كان يودى لو كان المقال المذكور دراسة وافية تعرف بهذا المذهب الدخيل على الإسلام.

ذلك أن البهائية قد تسربت إلى بلادنا، واستطاعت أن تعشش في بعض العقول

# فِنْ ضَائِرِ الْجَنَّةِ الْفِتْوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه

الاحمدية في بحث كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ  
الحضر حسين ، ونشرته مجلة نور الإسلام في  
هددها الصادر في رجب سنة ١٣٥١ هـ ،  
من ذلك : ما زعمه غلام أحمد في خطبته  
الإلهامية أنه نبي مرسل ، إذ جاء فيها :  
« أرايتم إن كنت من عند الله ثم كذبتوني  
فما بالكم أيها المكذبون » . وقال : « إنكم  
ترون كيف تنصر الناس وارتدوا عن دين الله  
ثم تقولون ما جاء مرسل من عند الله ما لكم  
كيف تحسمون » . وقال : « فأنعم الله  
على هذه - يعني أمة الإسلام - بإرسال مثل  
عيسى وهل ينكر بعده إلا العميون » .  
وقال : « وكان عيسى علما لبنى إسرائيل وأنا  
علم لكم أيها المفرطون » . ومنه ما جاء  
في منشور وضعه أحد رؤسائهم وعربه  
السيد / عبد المجيد كامل وطبع في مصر :  
« إن طريق الوحي لا يمكن أن يسد في  
وجوه الناس » . وفي هذا المنشور : « إن  
المهدي والمسيح قد ظهرا في الهند بمحل يقال  
له ( قاديان ) وأنه يوجد الآن آلاف من

رأى العرب في الاسميرية :

السؤال :

أبلغتنا وزارة الخارجية عن مشروع إقامة  
مسجد في مدينة أمستردام بهولندا - ولإمكان  
بحث الموضوع من جانب الوزارة نرجو  
التفضل بالإفادة عما يأتي :

١ - رأى الأزهر في الطائفة الاحمدية  
ومدى تمسها مع تعاليم الإسلام الصحيحة .

٢ - رأى بالنسبة لصلاحية مساجد  
بعض الطوائف المتشكك في مذاها مثل  
طائفة الاحمدية الباكستانية لأداء الصلاة  
لجميع فئات المسلمين .

٣ - هل يرى الأزهر أن تأييد الطائفة  
الاحمدية في إقامة مسجد لها في أمستردام أمر  
جدير بالرعاية ؟

وكيل وزارة الأوقاف المساعد

لشئون التخطيط والدعوة

الجواب -

اطلعت اللجنة على نصوص من مذهب

جئت فختتم الانبياء ، . إلى غير ذلك من الأحاديث المتواتر معناها المفيدة انتهاء النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا انعقد إجماع الأمة وصار معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحده .

وإن طائفة هذا شأنها وشأن أتباعها لا يجوز بحال أن تساعدوا بأى وجه من وجوه المساعدة لا فى مسجد ولا فى غيره ، فإن مساجدهم ، ليست إلا للتضييل والإغواء وتخاها تنصب ليضطادوا بها الشباب الغض من أبناء المسلمين يغترون بهم ويوقعونهم فى شباكههم ينفثون فى روعهم من سمومهم ما يضلون به عن الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد بل إن واجبا على جميع المسلمين فى جميع بقاع الأرض أن يضيقوا الخناق على أمثال هذه الطائفة الضالة المضلة حتى تنقرض كما انقرض من قبلهم الحارث بن سعيد الذى ظهر أيام عبد الملك بن مروان واغتربه خاق حتى وقع فى يد عبد الملك فقتله ولم يبق له فى الأرض أثر ، وكما انقرض إسماعق الآخرس الذى ظهر فى أول حكم العباسيين واتبعه طوائف وقتل فانقطعت قممته .

ومساجد هؤلاء مع مساجد المسلمين كمسجد الضرار الذى أقيم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم بقصد الضرار وتفرقة جماعة المسلمين ، وتجميع طوائف المخالفين فيه .

حواريه يستمعون الوحي الإلهي ، ومازعه أيضا غلام أحد من أنه أوحى إليه : « ولانى جاعلك للناس إماما ينصرك رجال نوحى إليهم » . إلى غير ذلك مما هو كفر صراح وخروج عن دين الله بين وغواية لا لبس فيها ولا خفاء .

وعلى ذلك تفيد اللجنة : بأن مذاهب الطائفة الأحمدية المتفرعة من مذهب غلام أحمد وطائفته القاديانية مذاهب باطلة منافية بعقائدها وعباداتها لعقائد وعبادات المسلمين الصحيحة : فهى تقوم على أن دعائها يوحى إليهم وأنهم أو أن منهم أنبياء ومرسلين يكلمهم الله بما ينطقون به مخالف للقرآن الكريم والسنة النبوية ، فهم بهذا يكذبون قوله تعالى : « ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقوله صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى عن أنى هريرة : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدى » . وقوله كما فى صحيح البخارى عن أنى هريرة أيضا : « إن مثلى ومثل الأنبياء قبل كمثل رجل بنى بيتا فأحسسه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين » . وفى رواية مسلم عن جابر : « فأنا موضع اللبنة ،



## الجواب :

الأفضل تقديم الحج على الزواج إذا كان قادراً على الزاد والراحلة فاضلاً عن المسكن وما لا بد منه وعن نفقة من يجب عليه نفقته إلى حين عودته وكان الطريق آمناً ؛ لأنه حينئذ يكون فريضة محكمة ، وهو أحد أركان الإسلام بإجماع العلماء من غير نكير ما لم يخش على نفسه الوقوع في المعصية بتأخير الزواج وإلا قدم الزواج على الحج .

## مع المرأة من غير محرم :

## السؤال :

تريد الزوجة أن تؤدي فريضة الحج وقد حج زوجها قبلها فهل لها أن تذهب بمفردها أو مع جارتها ؟

## الجواب :

لا يجوز شرعاً أن تسافر الزوجة بمفردها ولا مع جارتها ، وإنما تسافر مع محرم لها كإخ أو أخ أو غال أو مع رفقة مأمونة من النساء فقط أو النساء والرجال .

من التوكيل في النطاق والزواج على شرط والاتجار في ملابس السيدات وآلات الترفيه

## السؤال :

١ - يريد توكيل والده في عقد نكاح ابنته

وقد نهى الله النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة فيه وكشف له أمره ونوايا أهله من إقامته ، وقوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضرراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » . وإن الصلاة - وإن كانت تصح في أى بقعة من الأرض متى كانت طاهرة سالحة لأداء الصلاة فيها الحديث « جعلت لي الأرض مسجداً وترتها - أى ترابها - طهوراً ، لا يحل أداؤها في مساجد هذه الطائفة وأمثالها لما يلزم عليه من أخذهم بهذا أداة للدعاية بروجون بها لمذاهبهم ومعتقداتهم الباطلة ، ولما في ذلك من تعريض شبابنا والعامة من المسلمين لتلقى سمومهم والتذهب بمذاهبهم وفي ذلك مفسدة أى مفسدة ، وإن القاعدة الشرعية : أن درء المفسد مقدم على جلب المصالح .

## الحج والزواج :

## السؤال :

شاب أهب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، ويريد أداء فريضة الحج فهل الأفضل أن يقدم الحج على الزواج أو يؤخر الحج إلى أن يتزوج ؟

على أحمد عمر

النساء لا شيء فيه شرعا ؛ لأنها تستعمل فيما هو مباح شرعا كأن تزين بها لزوجها مثلا أثناء خلوتها ، وما يعتريها من حرمة فهو أمر ناشئ من إساءة استعمالها كأن ترتديها أمام أجنبي عنها ، وكذلك حكم الراديو وغيره إذ هي صالحة لأن تستعمل في المباح ولا تبعة على من يتجر فيها إذا ما أساء استعمالها وإنما التبعة على من يسئ استعمالها .

**مرول إسقاط الصلوة عند العجز :**

اطلعت اللجنة على كتاب باب الفتاوى بخصوص فتوى صدرت سنة ١٩٥٨ في موضوع إسقاط الصلاة وهل هو شرعى أولا ، ومتى يجب وما كيفيته ونشرت في مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس ١٩٦٣ م) ، وفي الكتاب يطالب الباب بإلقاء مزيد من الضوء على هذه الفتوى بناء على مكاتبات وردت إليه .

ورأينا أن الخلاف ليس وليد اليوم فإنه من قديم وقد بينه صاحب جمع الجوامع فقال : « وهو أى القياس حجة في الآءور الدنياوية قال الإمام اتفاقا وأما غيرها كالشرعية فمنعه قوم عقلا وابن حزم شرعا وداود وغير الجلى وأبو حنيفة في الحدود والكفارات والرخص والتقديرات وابن عبدان ما لم يضطر إليه ، وقوم في الأسباب

فن له حق التوكيل ، الوالد أم الفتاة ؟ وإذا كان لوالد الفتاة أن يوكل والده فهل لا بد في هذه الحالة من أن يستمد هذا الحق من ابنته بطريق التوكيل ؟ .

٢ - يريد أن يشترط لابنته على زوجها أن يكون لها الحق في فسخ الزواج بدون توقف على موافقة الزوج في حالة ما إذا أراد أن يحملها على أن تسلك طريقا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ؟ .

٣ - ما حكم الاتجار في ملابس السيدات مع ما فيها من تصميمات مخالفة لأحكام الدين وكذلك حكم الاتجار في آلات الراديو والتليفزيون وخلافها مع أنه يساء استعمالها ؟ محمود محمد عطية - أمريكا

**الجواب :**

الأب ولى طبيعى على أولاده فله بهذه الصفة أن يباشر عقد الزواج لبناته ، وأن يوكل غيره في ذلك ، ومع ذلك يستأذن ابنته البكر إذا كانت بالغة رشيدة ، فإن كانت ثيبا وجب استئذانها .

وعن الثانى نفيد بأنه يجوز شرعا للزوجة أو لوليها أن يشترط على زوجها مثل هذه الشروط وأن تجعل العصمة بينها بمعنى أن يكون لها أن تطلق نفسها من زوجها إذا ما خالف الشروط المتفق عليها .

ونفيد عن الثالث بأن الاتجار في ملابس

عنه مكان كل صلاة مد وقد أفق بذلك علماء الحنفية وقال به المحققون من الشافعية ويصلي عنه وتسقط بذلك الصلاة عنه كما قال به علماء الشافعية ، وقالوا هو من عمل الشخص لنفسه ولا يفق به ، وقد صلى السبكي عن قريب له مات ، وأما الحنفية قالوا يصل ثواب الصلاة إليه ولا تسقط عنه وذكر المحب الطبري أنه يصل إلى الميت ثواب كل عبادة تفعل عنه واجبة كانت أو مندوبة ، على أن المسألة لم تعد التخفيف عن الميت والكل متفق على أن لائم التأخير لم يسقط بهذا إنما أمره فيه إلى الله .

أما الحنفية فلم يقل أحد أنه يصام أو يصلي عنه فإن ذمته طاهرة ويحتمل أن يقدر فيؤدى كما لم يقل أحد أنه يفدى عن صلاته وإن قالوا يفدى عن صيامه الآية ، وعلى الذين يطيقونه فدية ، أى لا يطيقونه كما هو أظهر القولين للشافعية والثانى أن الآية منسوخة بآية « من شهد منكم الشهر فليصمه » ، وعليه فالعاجز لهرم أو مرض لا يرجى برؤه لا صوم عليه ولا فدية (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وهو قول في مذهب مالك رضى الله تعالى عنه . والفتوى كما نشرت في المجلة المذكورة في كتب الحنفية وهو بعد هذا واضحة ليس فيها إغراء لقادر بأن يترك الصلاة ابتكالا على الفدية فإن طريق الفدية لم يسلم من المخاطر .

والشروط والموانع ، وقوم في أصول العبادات وقوم الحاجي إذا لم يرد نص على وفقه كضمان الدرك وآخرون في العقليات وآخرون في النص الأصلي وتقدم قياس اللغة ، والصحيح حجة إلا في العادية والحنفية وإلا في كل الأحكام وإلا القياس على منسوخ خلافا للمعنيين . راجع شرح الجلال المحلى وما كتب عليه من حواش وتقريرات إن شئت وليس المقام مقام بسط واستيفاء .

من هذا يقين أن القياس حجة فيما نحن فيه حيث فهم المعنى الذى نيط به الحكم فى الأصل الذى ورد به النص وكان موجودا فى الفرع بلا مانع ، وذلك أنه ورد فى الخبر : « من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه وليه مكان كل يوم مسكينا » ، وورد « من مات وعليه صيام فليصم عنه وليه » ، من الوكلى وهو التقرب فالمراد به كل قريب للبيت وإن لم يكن ولى مال ولا عاصبا ولا وارثا وقد قيل بكل . والحديث فى الصحيحين عن عائشة وابن عباس ولا يقدح فيه عملهما على خلافه فإن الحجة فيما روي لا فيما عملا . والمعنى فى ذلك ما فى المحل من العجز التام فإن الميت قد خربت ذمته وانقطعت عنه أسباب الحياة فلم يعد هناك احتمال أن يقدر فيؤدى مع الحاجة إلى ذلك لنفع المؤدى والمؤدى عنه وهذا المعنى موجود بتمامه فى الصلاة فيفدى

# بَيْنَ الصُّحُفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرزاق بن فراس

بيت الله

... والعرب كانت تعج من ثمانية عشر قرناً إلى الكعبة المكرمة ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها بيت الله على ما كانوا عليه من اختلاف الآلهة وتعدد الديانات وتغاير المذاهب ، وكانوا يقصدونها سنوياً للطواف بها من غير أن يدعيها لنفسه فريق منهم دون الآخرين ، لأنها كانت عندهم بيتاً لله الذي هو إله العالمين ، ورغم ما من شيوخ عبادة الأوثان في سواد قبائل العرب ، فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة أو الحجر الأسود مع احترامهم لها ذلك الاحترام الذي لا يمكن تصوره ، وكانوا يعتقدون أن هذا الحجر نزل من السماء ، وبه أخذ بعض الفقهاء ، ونحن لا ندرى إن كان وصل إليهم من طريق النيازك أو من طريق آخر .

محمد بن أبي البتاتوني : من كتاب الرحلة الحجازية

هذا الحجر . .

إن هذا الحجر الأسود ليس من آثار الجاهلية والوثنية كما زعم المتحاملون على الإسلام ، وإنما هو أثر من آثار أنبياء وعظم الأصنام . إبراهيم عليه

السلام ... هذه حقيقة ينطق بها التاريخ . ويشهد بها الواقع ، ولا نعلم أحداً تطاول إلى إنكارها . أو حاول إثارة الشك فيها وهذا الحجر على مكانته الأثرية وقيمته الدينية لم يسمع عن العرب في الجاهلية أنهم عبدوه فيما عبدوا من الأصنام ، وإنما كان بلونه الأسود العلامة المميزة التي يبدأ منها الطواف حول البيت ، وكان تقبيله لهذا المعنى ولما يرمز إليه من معان أخرى كبرى لا تشوبها شائبة وثنية ، كما يفهم من كلام عمر رضي الله عنه حين خاطبه بقوله : أما والله إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .

أما لماذا قبله رسول الله ، ولماذا قبله اقتداء به مما سكنت عنه عمر رضي الله عنه حرصاً على سلامة العقيدة في نفوس المسلمين ، فلأن تقبيله استجابة طبيعية للإحساس بجلال هذا الأثر الحبيب ، وليس جلالة لذاته ، فإنه كما يفهم من قول عمر رضي الله عنه حجر لا يضر ولا ينفع ، وإنما جلالة لجلال الذكرى التي يحملها ، والمعاني التي يمثلها . فقد يتمثل الناظر إليه معنى ما يرمز إليه

## مول السكبة

وعن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج  
على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه :

أحمل أمى وهى الجمالة  
ترضعنى الدرة والعلالة  
ولا يحجازى والد فعالة

الزخشرى - من تفسير الكشاف

## إلى الله قبلك

يروى أن أعرابيا وقف على باب على بن أبى  
طالب رضى الله عنه فقال : إن لى عندك  
حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك  
فإن أنت قضها حمدت الله وشكرتك ،  
وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك ،  
فقال له على : خط حاجتك فى الأرض ، فإنى  
أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابى على  
الأرض : إنى فقير : فقال على : يا قنبر  
د خادم ، ادفع إليه حتى الفلانية . فلما  
أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتنى حلة تبلى محاسنها

فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

لأن الثناء ليحيى ذكره حبه

كالغيث يحيى نداء السهل والجبالا

لأزهد الدهر فى عرف بدأت به

فكل عبد سيجزى بالذى فعلا

فقال على : يا قنبر ، أعطه خمسين دينار ،

أما الحلة فلبسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك

من كتاب معراج البيان للأستاذ علام سلامة

من امتثال إبراهيم لأمر ربه حين كان يرفع  
مع ابنه إسماعيل قواعد البيت ويقولان :  
« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ،  
وقد يرى فيه ما يرى الناس فى العلم الوطنى  
من معانى الشرف والجلال وهو لا يعدوا  
أن يكون قطعة من قماش على قطعة من  
خشب ، فـد تنازع العرب من قریش على  
شرف رفعه ووضعها فى مكانه حين أعادوا  
بناء السكبة بعد أن هدمها السيل ، وتداعوا  
للقتال ، ثم احتكموا إلى النبی صلى الله عليه  
وسلم ، فوضعه فى رداءه . وأمر كل قبيلة أن  
تمسك بطرف منه ، ثم رفعوه جميعاً حتى  
وصل إلى مكانه من البناء ، فأخذ النبی  
صلى الله عليه وسلم ووضعها فيه بيديه  
الشريفتين .

ح . ف - من مجلة نور الإسلام

## بارب الحجيح

لك الدين يارب الحجيح جمعهم  
لبيت ظهور الساح والعرصات  
أرى الناس أصنافا ومن كل بقعة  
إليك انتهوا من غربة وشتات  
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت  
لديك ولا الأقدار مختلفات  
شوقى - من ديوان الشوقيات

their claim off, they would adduce a saying they attribute to Ayisha, the wife of our prophet. This saying they quote as follows: "Say that certainly He is the Seal of the Prophets, and do not say there is no prophet after Him". I cannot off hand disqualify this saying, but I can ask those responsible for the quotation to shed some light on the chain of its traditionalists, and to state the source from which this saying was taken. Meanwhile, let me agitate the following points of speculation :

1) It is quite the vogue in Arabic styletics to choose an expression to another while both give the same meaning. The Holy Quran itself is no exception in relation to observing this vogue e.g. "O ye who believe : Say not 'ra'hina but say 'unthurna' and hearken; for unto misbelievers shall be grievous woe." (2:104). The choice between these two synonymes was due to the resemblance between the first and a Hebrew word meaning mischievous. In Arabic both words mean "observe us". In the same manner Ayisha might have chosen a Quranic expression, namely "Seal of the Prophets to a non-Quranic one, i.e. "There is no prophet after me".

2) It has been a mischievous habit of some extremists among

Muslims to seek support for their views by sheer fabrication of Hade-aths. This is widely reported by Muslim historians. To give an example of this one should remember that when the Sufiani branch of the Umayyad Dynasty was overtaken by the Marwani branch, the Sufianis, having lost material strength for regaining their supremacy, sought a religious support in fabricating a Hadeath which proficied a promised Sufiani who would play the same role given to the promised Messiah and later to the promised Mahdi.

To conclude, it should be remembered that the verse quoted by the article is taken from Sourat ul Ahzab; one wonders why those who adduced that verse overlooked some two other verses to be found in the same Soura?. These are the two verses :

"Verily, those who annoy God and His Apostle, God will curse them in this world and the next, and prepare for them shameful woe" (33:57).

"O ye who believe ! be not like those who annoyed Moses ; but God cleared him of what they said, and he was regarded in the sight of God." (33 - 69).

other nations, are considered most eloquent.

The verses (38—39) speak of the course of God with those who passed away before . . . Those who preach God's message and fear Him etc. This means that the context is dealing with two points :

1) There is no hindrance to the prophet, and

2) This was the same with past prophets.

At this juncture comes the verse misquoted and misrepresented by the article in question. This verse appears quite in tone with the above illustration, and could be represented in the following light :

1) It has been the course of God with past prophets that there would be no hindrance in relation to God's decrees.

2) There should, in the question of Zainab, be no hindrance to Muhammad.

3) Because Muhammad is not a father of Zaid or any other man of you; he is the Messenger of God and the Seal of the prophets mentioned under No. 1 above.

There is no argument as to the literal meaning of the word "Seal", but the word is not to be given its

literal meaning here, for it is clear that Muhammad was human, and not metallic. And as has been given above, the Quran is fond of using metaphores. Therefore, the context calls for a metaphorical consideration. Let us think of this metaphore. A seal is the last thing to be placed on a document; no other thing is to come after. This is the meaning, the only meaning, one can understand out of the verse. Any other interpretation would be reading a selfish purpose in a devine revelation. This meaning, namely Muhammad is the last of the prophets, is supported by the following evidence :

1) It is completely harmonious with the verse : "This day have I perfected your religion for you and have completed *my favour on you* and have chosen for you Islam as religion". Because a complete and perfect religion is not in need of another prophet.

2) It is related that the prophet (peace be upon him) excluded all possibilities of a future prophet by saying : "there is no prophet after me". Nobody, even those who perpetuate a belief in another prophet, can doubt the authenticity of this saying; they recognise it well, but they dodge its implications.

Instead of relying on this authentic Hadeeth and therefore calling



Prophet advised him to retain her. Now God has chosen this Zainab to be the example of a legal precedent showing the difference in status between the wife of a *real* son and that of an adopted one. Muhammad *was ordered to take* Zainab in marriage after her divorce was completed.

But Muhammad (peace be upon him) who thought of what the wrong implication would be in people's mind, was reluctant over the issue. Therefore God revealed to Him the verses ending with that quoted verse at the beginning of the article alluded to above. The verses relative this incident (33:36 - 40) run as follows :

"It is not for a believing man or for a believing woman when God and His Apostle have decided an affair, to have the choice in that affair; and who rebels against God and His Apostle has erred with an obvious error (36)

And when thou didst say to him God had shown favour to and thou hadst shown favour to, "Keep thy wife to thyself and fear God" ; and thou didst conceal in thy soul what God was about to display ; and didst fear men, though God is more deserving that thou shouldst fear Him ; and when Zaid had fulfilled his desire of her, we did wed thee to her that there should be no hindrance to the believers in the matter of the wives of their adopted sons when they

have fulfilled their desire of them : and so God's bidding to be done. (37).

There is no hindrance to the Prophet about what God has ordained for him; — (such was) the course of God with those who have passed away before, — and God's bidding is a decreed decree! Those who preach God's messages and fear Him and fear not any one except God, — but God is good enough at reckoning up. (38—39).

Muhammad is not *the father of any of your men*, but the Apostle of God, and the Seal of the Prophet's ; for God all things doth know !" (40).

These were verses relevant to the Story of Zainab; it is quite clear that no connection could be established between these verses and Sourat ul Kawthar except that both quotations belong to the Holy Quran, and relate two different incidents of Muhammad's life.

From a stylistic point of view, the Holy Quran is fond of metaphores and conciseness; this is universally acknowledged. Words as well as meanings of adjacent verses are so wonderfully interwoven that a critical reader can find no loopholes or weak points in Quranic style. In fact Quran is a linguistic miracle revealed in the midst of the most eloquent generation of the Arabs, who, among



it quite clear that the expression of the seal of the prophets, and there will be no prophet after him, were considered by her to be contradictory to each other in meaning and significance.

4) That the Holy Prophet was the last of the prophets, but only in this sense that all the qualities and attributes of prophethood found their most perfect and complete consummation and expression in him; "seal" in the sense of being the last word in excellence and perfection is of common use.

Moreover, the Quran clearly speaks of the advent of prophets after the Holy Prophet. The following two verses leave no ambiguity on this point :

" And who obeys Allah and this Messenger of His shall be among those on whom Allah has bestowed His blessings, namely, the Prophets, the Truthful, the Martyrs and the Righteous. And excellent companions are these." (4 : 69)

" O children of Adam : if messengers come to you from among yourselves, rehearsing My Signs unto you, then who shall fear God and do good deeds, on them shall come no fear nor shall they grieve." (7 : 35)

The Holy Prophet himself was clear in his mind as to the continuity of prophethood after him. He is reported to have said : " If Abraham

(his son) had lived long, he would have been a prophe " ( Maja, kitab al Janai'z ), and, " Abu Bakar is the best of men after me, except that a prophet should appear " Kanzal-'Ummal ).\*

\* \* \*

THIS was the article which has taken much pains to distort the actual meaning of the Holy Quran, a meaning that is supported by historical evidence. There is no connection between the verse quoted at the beginning of this article and Sourat ul Kauthar, and there should no such mistake if there would be no deliberate design.

The history of Islamic Sharia states that when the Holy Quran specified the women of relation who are prohibited in marriage to a Muslem (4 : 23), a son's wife was among these. Despite the clear qualification of the son being a blood-son, some of the Muslims refrained from marrying the ex-wives of their adopted sons. The Prophet himself had an adopted son who was an ex-slave. The original name of this son was Zaid Ibn Thabit, but after adoption he came to be known as Zaid Ibn Muhemmad. Zaid had a Quraishi wife named Zainab bent Jahsh who was too proud for her ex-slave husband, and he repeatedly confessed to the Prophet that he wanted to divorce her ; the

---

\* Commentary of the Holy Quran Part II, V. II.

Holy Prophet would be blessed with sons who would live to an adult age. The verse under comment removed that misconception inasmuch as it declared that the Prophet is not, never was, nor will ever be the father of any grown-up young men. The verse under comment while appearing to be in conflict with Sura Kausar in which not the Holy Prophet but his enemies have been threatened with being issueless, in reality seeks to set at rest doubts and misgiving to which this seeming contradiction gives rise. It says that the Holy Prophet is *the spiritual father of a whole Ummat and he is also the seal of the prophets, signifying that he is the spiritual father of all the past and future prophets*. So when he is the spiritual father of all the believers and all prophets how can he said to be amputated i.e. issueless. But if the expression the seal of the prophets be taken to mean that the Holy Prophet is the last of the prophets and that no prophets will come after him, then the verse appears to be out of tune with the context and instead of refuting the objection of disbelievers that the Holy Prophet was issueless, supports and reinforces it.

Briefly, according to the meaning of the seal of the prophets, the expression can have four possible meanings :

1) That the Holy Prophet was the Seal of the prophets, i.e., no

prophet, past or future, can be regarded as true unless his prophethood bears the seal of the Holy Prophet. The Prophethood of every past prophet must be confirmed and testified by the Holy Prophet and nobody can attain to prophethood after him except by being of his followes. All claims to prophethood must be judged and tested by reference to the revelation received by the Holy Prophet and to his teachings.

2) That the Holy Prophet was the best, the noblest and the most perfect of all the prophets and that he was also a source of embellishment for them.

3) That the Holy Prophet was the last of the Law-bear-Prophets. This interpretation has been accepted by many eminent Muslim theologians, saints and savants such as Ibn Arabi, Shah Wali-Allah, Imam Ali Qari, Mujaddid Alf Thani, etc. According to these great scholars and saints no prophet can come after the Holy Prophet who should abrogate his Millat or should not be in his Ummat.

A'isha the talented spouse of the Holy Prophet, has removed all ambiguity about the meaning of the expression, the seal of the prophets.

She is reported to have said :

Say that he ( the Holy Prophet ) is, the seal of the prophets, but do not say that there will be no prophet after him. This saying of A'isha makes

# WRONG INTERPRETATION OF AHMADIYYA ABOUT THE SEAL OF THE PROPHETS

---

Dear Brother - in - Islam,

The faith of Islam is the concern of every individual Muslim. One very important article of this faith is that our Prophet Muhammad (peace be upon him) is the Messenger of God, and that he taught the complete and perfect Religion of Islam. And because Islam is the perfect Religion, as the Holy Quarn testifies, *there was no need for another prophet, to be sent by God, therefore. Muhammad was the last of the God-sent Prophets; any prophet who claims such title after Muhammad could only be self-styled. All this is an integral part of the faith of Islam; and whoever deviates from such belief is a renegade, even if he insisted on claiming the epithet "Muslim", or if he louded Islam in his slogans.*

It seems however that some of those who insist on using the above epithet do not see eye to eye with this article of faith, and try to make all Muslims believe in their deviation, thus aiming for som reason or another to explode Islam from within to serve their own ends. An organ of this deviationary Movement has, last

September, published the following article :

## "SEAL OF THE PROPHETS"

"Muhammed is not the father of any of your men, but he is the Messenger of Allah, an a. . . the Prophets; And Allah has full knowledge of all things." ( 33 : 41 ).

Much confusion and misunderstanding seems to prevail as to what is the real spiritual status and position of the Holy Prophet as indicated by the expression : the Seal of the Prophets. A careful study of the context, however, removes the prevalent misconception. At Mecca when all the Holy Prophet's male children died in their childhood, his enemies taunted him with being amputated (one who has no male issue), meaning thereby that in the absense of male heirs to succeed him his Movement would sooner or later come to an end. In answer to this taunt of disbelievers it was emphatically declared in Sura Kausar that not the Holy Prophet but his enemies would remain issueless. After the revelation of Sura Kausar the idea naturally found favour with the early Muslims that the

# فهرس أبجدى عام

## لموضوعات المجلد الرابع والثلاثين

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
			(١)
٥٥٣ ...	الإرشاد والتطور (كتاب)	٩٥٣ - ٧٩٧ ...	الآلة والأداة ...
٤٤٠ - ٤٢٠ } ...	الأزهر والتطور	٩٥٣ ...	الأبجدية العربية أكل الأبجديات
٨٠٥ - ٦١٩ }		٢٣٨ ...	ابن نيمية (كتاب)
٤٣١ ...	أسباب الفصاحة العربية	١٦١ ...	ابن خلكان المؤرخ
١٤٦ ...	استخراج القياس الأصولي من القرآن	١٧٧ ...	ابن السكيت
٢٤٧ ...	الاستعانة حين يتلى القرآن من أواسطه	٨٢٦ - ٦٧٨ - ٤٦٨ }	أبو الكلام أزداد
١٢٢ ...	استعمال دراهم يزيل آلام الوضع (فتوى)	١٠٩٧ - ٩٢٥ }	
١٧٢ ...	الاستقلال في التشريع	٣٢٨ ...	أبو هلال العسكري
٢٣٩ ...	الأسرة في الإسلام (كتاب)	٥٢٨ - ٣٣٧ ...	أبو بكر الخوارزمي
٣٤٥ ...	الإسلام : دوره في القارة الإفريقية	٧٩٣ ...	اجتهاد أبو حنيفة وموقفه من الحديث
٣٨٩ ...	الإسلام دين الحجة والبرهان	٢٩٨ ...	أحاديث علوم الدين للغزالي
٧٢٢ ...	الإسلام دين التوحيد	١٠٠٩ ...	الاحتجاج بالقدر (كتاب)
٨٧٨ ...	الإسلام دين الفطرة	٢٥١ ...	أحكام عامة في الهبة والوصية (فتوى)
١٢٧ ...	الإسلام في بورما	١٠٥٣ ...	أحمد أمين
٩٦٦ ...	الإسلام في ذروة انتصاراته	١٠٢١ ...	أحمد لطفي لسيد
٦٥ ...	الإسلام في تشاد	٣٩٦ ...	الإخاء منشود والفرقة بغضه
١٠٨٨ ...	الإسلام في تنجانيقا	٢٥٧ ...	أدبنا بين الواقعية والكلبية
٤٧٢ ...	الإسلام في زنجبار	٨٥٠ ...	الأدب العربي المعقول
٥٠٥ ...	الإسلام في الملايا	١٢٩ ...	الأدب رسالة يوجه ولا يوجه
١٠٤١ ...	الإسلام والمهنية الحديثة	١٠١٤ ...	الأذان قبل دخول الوقت (فتوى)
٢٤١ ...	الإسلام وتوازن المجتمع (كتاب)	١١٦٣ ...	إسقاط الصلاة عند العجز (فتوى)
٨٤٧ ...	الإسلام ونظرية التطور		

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الإسلام والعالم	٥٩٣ ... ..	البيان العربي ... .. ٧٨ - ١٩٣	
الإسلام ينهى عن المتاجرة باسم الدين	٩٤٣	البهجة وشرها (فتوى) ... .. ٢٥١	
أشياء غير ممنوعة من الصرف	٥٥٤ ... ..	بين الشريعة الإسلامية } ٣١٤ - ٤٠١	
إعانة الشتاء (قصيدة)	٥٣٩ ... ..	والقوانين الوضعية ... ٤٩٩ - ٦٧٣	
الافراض من البنك بفائدة (فتوى)	٥٦٢	٩٧١	
أقراص منع الحل لمن؟ (رأى)	٥٢٧ ... ..	بين الشريعة والفلسفة ... .. ٢٢٦	
الإفطاع الثقافي ... .. ٢٠٦		بين شريعة الوحي وصناعة الفقه ... ٧١٢	
إقلال راحة الجار بالزار (فتوى)	١٢٣	بين العلم والعمل ... .. ٤٦٠	
أقوال وأقوال ... .. ١١٤١		(ت)	
ألماني يكذب عن الإسلام ... ٣٦٨		تأثير الإسلام في العبادة اليهودية ٥٠٠ - ٥٣٣	
الإمام الأعظم أبو حنيفة دراسات		التاريخ الصحيح من مقومات الحياة ١٠٣٦	
واقية في مذهبة ... .. ٩٥		القبطير في أندونيسيا (نبأ) ... ١٠١٢	
انتفاع المرتين بالرهن (فتوى)	٢٥٠	القبطي وحكمه (فتوى) ... .. ٣٧٣	
إلى العالم الإسلامي شعوبه وزعمائه	٤٢٩	التجارة في القرآن ... } ٧١ - ٢١١	
إلى التي شرب عقلها الشراب (قصيدة)	٣٤٩	٣٢١	
أيام من عمرى (كقاف) ... .. ٣٦٣		التجارة في الرقيق هل هو حرام بنهض	
الإيمان والاستقامة طريق الأمن		شرعى (فتوى) ... .. ٢٤٩	
والسلام ... .. ٢٦٠		تدرج القرآن في تشريعات التحريم ١١٠٢	
(ب)		التربية الأساسية في الخطب المنبرية	
البابية أو البهائية ... .. ١١١٧		(كتاب) ... .. ١١٠	
البهائية رأى، ... ..		ترك الصلاة كسلا (فتوى) ... ١٠١٥	
بركة وبحيرة ... .. ٩٠٩		تشدد في اللغة لا موجب له ... ٥٥٥	
بعض الكلام في شهر الصيام ... ٧٥٧		تشرح الأجسام في رأى لدين (فتوى) ٥٢٣	
بلال بن رباح ... .. ٤٧٢		التضمين أو نيابة حرف مكان آخر ٤٠٥	
البهائية (كتاب) ... .. ٥٤٧		تطوير الفكر السياسى الإسلامى ٧٢٦	
البوظة وشرها (فتوى) ... .. ٥٦٦		تعقيب على نقد ... .. ٣٧٠	

الصفحة	للا موضوع	الصفحة	للا موضوع
٥٥٨ ... ..	حق التوكيل في الزواج والاتجار في أدوات	٥٥٨ ... ..	تعقيب واقتراح
١١٦٢ ... ..	الترفيه (فتوى) ... ..	٦٨٣ ... ..	التفاؤل والتشاؤم
٥٦٤ ... ..	الحلف بالنبي (فتوى) ... ..		تكوين الضمير الديني عند الفرد
٨٨٦ (فتوى)	الحقن وحكمها في رمضان (فتوى)	٧٠٢ ... ..	والجلاء
١١٩ (فتوى)	حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية (فتوى)	١١٥١ ... ..	تنبيهه ، بين المعجزة والسحر ،
٢٤٢ (بريد)	حكم التوسل بالأنبياء وما يصحبه (بريد)	١٢٣ (فتوى)	التوسل بالاولياء وما يصحبه (فتوى)
١٢١ (فتوى)	حكم زواج مختلfi الأديان (فتوى)		(ث)
١٢٢ (فتوى)	حكم عقد القران في شهر المحرم (فتوى)	٣٨٧	الثورة الوطنية والفنية في شعر أحمد محرم
	حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات	٤٣٩	ثورة التوحيد الفلسفي على التعدد الوثني
١٢١ ... ..	النفع العام (فتوى) ... ..	٣٧٩ ... ..	الثقافة في حياتنا الفكرية
٨٦٢ ... ..	حياة الأنبياء بعد الموت ... ..		(ج)
١٠٠٩ ... ..	حياة رسول الله (كتاب) ... ..	٧٤١	جائزة الدولة التقديرية للأستاذ الزيات
	(خ)	٣٨٦ ... ..	الجزيرة تنتفض مرة أخرى
	خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى ، وخاتم	٣٧٤ (فتوى)	الجمع بين المرأة وخاتمها في النكاح (فتوى)
١١٤٦ ... ..	النبين ، ... ..	٢٤٥ ... ..	جمع بحث على أبحاث ... ..
	خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى	٨٦٦ ... ..	المجاهد في الدين الإسلامي
١١٦٧	، وخاتم النبين ، - مقال بالانجليزية		(ح)
٣٨١	خطبة بمجولة للسيدة عائشة في أبيها	١١٦٢ (فتوى)	حج المرأة من غير محرم (فتوى)
٣٥١ ... ..	خواطر عائس (قصيدة) ... ..	١١٦٢ ... ..	الحج والزواج (فتوى) ... ..
٢٨٢	خيانة اليهود من صفات الكافرين	٣٤١ ... ..	الحسبة في الإسلام (كتاب) ... ..
	(د)	٢٣٣ ... ..	الحسن العاري (قصيدة) ... ..
٥٦٢ (فتوى)	الدخان وهل فيه زكاة ؟ (فتوى)	٥٦٧ ... ..	الحشيش شربه وأكله (فتوى) ... ..
٢٢٢-٨٧	دراسات في علم المعنى السيمانتيك	٨٥٠	الحشو . حشو اللوزينج ، حشوا الأكر
١١٥٤ ... ..	دفاع عن الإمام الأعظم (رأى) ... ..	٤٨٥	الحصانات الدبلوماسية في الإسلام
١١٥ ... ..	دم الكيش دواء السكب ... ..	٧٠٧ ... ..	حصانات السفراء في الإسلام
١٠٩ ... ..	دموع الأمير (كتاب) ... ..		

الصفحة

للموضوع

زكاة ربيع الأموال لن تغنى عنها

العوائد ... (فتوى) ١٠١٧

زكاة الزرع ... (فتوى) ٨٨٨

زكاة الزرع وهل تجب على المؤجر

أو المستأجر ... (فتوى) ٥٦٤

زكاة الفطر ... (فتوى) ٨٨٨

زكاة المال الذى دفع كعربون (فتوى) ١٠١٥

الزكاة وهل تلزم عن فروق متأخرة

(فتوى) ١٠١٧

الزهاوى وديوانه المفقود (كتاب) ١١٥٤

زواج أخت الأخ من الرضاع (فتوى) ٣٧٣

الزيتون ... (كتاب) ٥٥٢

(س)

السبعة الأحرف التى أنزل عليها

القرآن ... ٥٠

سلطان الأمة منوط باستقامتها

ودوام النعمة رهين بصيانتها ... ١٧

السمات الفنية فى شعر محرم ... ٥١٢

سن الزواج شرعا وقضاء (فتوى) ٥٢٠

سوريا وسورية ... ٣٨٠

(ش)

شحنة المشاعر الإنسانية ... ٢٧

الشخصية الصاوية للأمة ... ٥٧٦

شخصية ذو القرنين بين قورش

والإسكندر المقدوني ... ٦٩٥

الصفحة

للموضوع

دور العقيدة فى شخصية الفرد والأمة ٢٠٥

دور الكلمة فى اللغة (كتاب) ٥٥١

الديباج الحسروانى (قصيدة) ... ٥٠٤

الدين عند الله (كتاب) ... ٨٧٧

الدين فى موقف الدفاع (كتاب) ... ٥٤٩

الدين وعلاقته بالأدب ... ١٠٩٤

(ذ)

ذنب عربى وذنب فرنسى ... ٦٩٢

الذباح فى النحر الواجب (فتوى) ١٢٢

ذبح الحيوان بالماكينات ونحوها (فتوى) ٧٥١

ذكرى مصطفى صادق الرافعى ... ٨٨١

ذم الهوى (كتاب) ... ٢٣٦

(ر)

رأى الشريعة الإسلامية فى احتفالات

ملكات الجلال والمصايف واليا نصيب

(فتوى) ٥٢٢

رأى الدين فى الأحمدية (فتوى) ١١٦٠

الرؤية من طريق المذباح (فتوى) ٨٨٥

الرؤية وثبوتها نهائياً (فتوى) ٨٨٥

الرصافة وضبطها ... ٥٥٤

الرضاع المحرم ... (فتوى) ٢٥١

(ز)

زكاة أدوات الإنتاج (فتوى) ١٠١٧

زكاة الدين ... (فتوى) ١٠١٦

الصفحة الموضوع

(ط)

- طاقة جديدة في مجالات العمل الإسلام ٤٨٤  
طاقة من شعر الاسرة قصيدة ١١٥٢  
طاروس بن كيسان ... ٤٧٨  
طبيعة الشعر العربي ٩٩١ - ١٠٧٠  
الطريق إلى اتحاد إسلامي (كتاب) ٢٤١  
الطلاق بلفظ الثلاث ... (فتوى) ٢٧٤  
الطلاق وتكريره ثلاث مرات (فتوى) ٧٤٧

(ع)

- عام جديد على أزهري جديد ... ١  
عابد الشمس ... (قصيدة) ١٠٣  
عبد الملك بن مروان ... (كتاب) ٧٨٢  
العز بن عبد السلام ... ٢١ - ١٨٤  
العز بن عبد السلام ... (كتاب) ٥٥٢  
عرب: تحدرها وتطورها ... ١٦٨  
عصرنا الذهبي الرابع ... ٥٧٤  
عصمة المرأة بيدما وهل حكمها فيها  
حكم الرجل ... (فتوى) ٥٢١  
العقد العربي ... (فتوى) ٢٥١  
العقيدة أولا ثم العمل ... ٥٨٩  
العقيدة وأثر الانحراف (كتاب) ١٠٠٨  
العلم والعمل في الإسلام ... ٩٨٣  
العلماء سفراء وقادة ... ١٠٤٨  
علوم نبيخ فيها العرب ... ٧١٧  
على مبارك ... (كتاب) ٨٧٤  
على مبارك لم يكن خائنا (رأى) ١٠١٠

الصفحة الموضوع

- شراء الحب قبل أن يحصد بأقل  
من ثمنه وقع الحصاد (فتوى) ٢٤٩  
شركة من يجد المال مع من يجيد  
العمل ... (فتوى) ٢٤٩  
شكيب أرسلان النافذ ... ١١٠٨

(ص)

- الصدقة وهل تغني في المرض من  
قضاء الصوم ... (فتوى) ٨٨٦  
صفحات من تاريخ المرأة في  
الإسلام ... ٢٧٧  
صلاة التراويح ... فتوى ٨٨٨  
صلاة الجماعة وتمدها في مسجد  
واحد ... (فتوى) ٣٧٢  
صلاة الظهر بعد الجمعة على مذهب  
الشافعي ... (فتوى) ٣٧٢  
صلاح الدين بطولته ... ١٠٠١  
صلاح المجتمع بصلاح أفراد ... ٧٧٣  
الصلاة (سقوطها) ... ١٠١٤  
صياغة مشروع لجامعة إسلامية ... ٢٧٠  
الصيام في بلاد المار والليل فيما عدا  
شهور ... (فتوى) ٨٨٧

(ض)

- الضرائب في الإسلام { ٦٦٨ - ٤٧٧ - ٧٦٤  
٨١١ - ٩٧٦  
الضرائب لا تجزى عن الزكاة ... ١٠٢٥  
ضمان المال المتلف خطأ (فتوى) ١٠١٧



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢٤	القرآن وكتابه بالحروف اللاتينية (فتوى)	٧٨٣	عمرو بن عبيد
٩٤٨	القرآن يتهم باليهود	٧٨٩	عمورية وواترلو
٨٨٦	قضاء رمضان (فتوى)	١٠٠٦	عناصر القوة في الإسلام
٩٢١	القهوة حرام قصة لها دلالة	٨	عوامل الإعراب في اللغة
٥٥٦	قولهم أحسن من ذى قبل	١١٢	عودة إلى البسملة في بدء القراءة
٥٥٤	قولهم سافر إلى بيروت عرض البحر	٧٤٢	عيد العلم
٧٤٥	قولهم سافر إلى بيروت عبر البحر		(غ)
٢٤٥	قولهم لم يكن يعرف		غلة الأرض إذا لم تكف هل فيها زكاة
	القوانين التي وضعها الإسلام ضمناً	٥٦٢	(فتوى)
١٢	وتتفيذا		(ف)
٣٧٤	قانون الوصية (فتوى)	٧٤٢	فرعون موسى
	(ك)	٨٥٤	الفقه صناعة إنسانية متطورة
١١٤	كاد أن	٩٨٦	فقهنا رهمل نصنعه
٣٠٨	كتابة التاريخ المعاصر	١٤٢	فكرة وتطبيق
	الكتاب العربي المخطوط وملاحظات	٥١٢	المكر العربي ومكانه في التاريخ (كتاب)
١١٦	عليه	٧٣٣	فلسفة البخل (قصيدة)
	كرامة العقل وقراءة الحرية من رسالة	٣٥٣	فلسفة تاريخ محمد (كتاب)
٢٤٠	الإسلام	٨٩٨	فن الشعر العربي وحيد في لغات العالم
	كتابة القرآن بطريقة الإملاء الحديثة	٤٤٥	فن الصورة في أدب المازني
٧٤٩	(فتوى)	٥٠٦	في بلادى الجميلة (كتاب)
٥٦٥	الكتاب وترتيبها لحراسة الدار (فتوى)	٧٣٧	في العاصفة (ديوان شعر)
٦١٠	السكندى فيلسوف العرب	٢٣٤	في ظلال الإسلام كل الرجاء (قصيدة)
٩١٥	كيف نكتب البحوث الأدبية	٥٥٧	في محيط النحو
	(ل)		(ق)
٩٦٠	اللفظ والمعنى	١٣٧	قدم السكتات العربية
٣٦١	لغت نظر (تعليق)		

الصفحة	الموضوع
٣٧٥ ... ..	المرأة والشورى في الإسلام
٢٤٨	المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن
١٠٤ ... ..	مزيداً من النور (قصيدة)
٦٠١ ... ..	المساهمة الإسلامية فى الطب
	المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية
٤١٦ ... ..	فى نظر الإسلام
٢٨٧	مسلك الإسلام إلى القارة الإفريقية
٨٧٥ ... ..	المستقبل لهذا الدين (كتاب)
٢٢٩ - ٩٩	المسلمون السود فى أمريكا
٥١١ ... ..	المسلمون فى الهند (كتاب)
٨٦٩	مشاعر لإقبال نحو العرب (قصيدة)
١٠٨٠ ... ..	مع البلاغيين : اللفظ والمعنى
١٠٠٧	مع الضمير الإنسانى ... كتاب
٣٠٥ ... ..	مع القرآن فى الآفاق
٤٩٤ ... ..	معترك المذاهب الفلسفية
٥ ... ..	معنى الهجرة ودواعيها
٣٧٧	المكتبات العامة ورسالتها فى المجتمع
٤٨٧ ... ..	الملكية فى الإسلام
٥١٥	من الأستاذ الدكتور البهى (بريد)
	مناهج الإسلام لتقوية روابط
١٠٣١ / ٩٠٣ / ٧٦٥	الأسرة ... ..
٧٧٧	من أيام الإسلام الخالدة يوم بدء الدعوة
٧٤٥ ... ..	من بعيد ... ..
	من تاريخ الأدب الحديث
٤٤٦ ... ..	بكريه عبد الحليم المصرى
٦١٣ ... ..	من ثمار الإيمان

الصفحة	الموضوع
	( م )
٧٦١ ... ..	المادية تهدم ... ..
٤٣٥ / ٢٠٠ ... ..	المازنى شاعراً
١٠٢٧ ... ..	المصدر فى اللغات
	ما لا يجوز الخلاف فيه عند المسلمين
١٠٠٥ ... ..	( كتاب )
٣٧٨	مؤلف قصة الحضارة فى أيامه الأخيرة
٥٣٧	المؤمن الحر فى نظر لإقبال ( قصيدة )
٨٧٦	مبادئ الإسلام فى تنظيم الأسرة (كتاب)
٧٤٦ ... ..	المثالية
٥٦١ / ٤٣٥ ... ..	المثالية فى نظر الإسلام
٢٥٠ ... ..	بجاملة أهل الذمة ومداهما ( فتوى )
	المجتمع الإسلامى يحمى بالقوة ليمش
١٥٢ ... ..	فى ظل السلام من أعدائه
١٠٤٤	المجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام
١٨٨ ... ..	مجتمع الطبقة الواحدة فى الإسلام
٨٨١ ... ..	بجمع اللغة العربية فى المغرب ( نبأ )
٨٧٨ ... ..	محطة قاب قوسين ( تعليق )
٤٢٤ ... ..	محمد حفظ الرحمن
١٠٦ ... ..	محمد رسول الحرية ( كتاب )
١١٢٣ ... ..	محمود الغزنوى
٤٩٤ ... ..	محيى الدين النووى
٧٤٣	المخدرات ممنوعة والقصاص الداعمة مباحة
٩٣١ ... ..	المدينة الفاضلة
١١١ ( كتاب )	المدينة المنورة فى التاريخ



الصفحة	للاؤ-وع
١١٤٩ - ٩٩٧	المنسخ في تقدير علماء الأصول
٧٦٩	نصرة الحق مكفولة من جانب الله تعالى
٥٨٤/٤٥٤	نظرات في فقه عمر ...
١٠٥٨	نظرية الإيحاء بين المستشرقين والمسلمين
٤٦٣/٦٦٢/٤٢٨	نظرية التنصيف في استعمال الحق
٥٢١	النقد الأدبي من خلال تجاربي ...
	نقل الدم وهل يبطل الزواج

٥٢١ ...	والمصاهرة (فتوى)
٥٢٣	نقل أعضاء جسم ميت إلى حي (فتوى)
١٠١٧	نقل الزكاة ... (فتوى)
١١٥	النسكئة ومعناها حقيقة ومجازاً ...

## (هـ)

٨٣٢	هدى القرآن في إصلاح الفرد والمجتمع
	هل كلمة سيدنا في شهادة أن محمداً
٥٦٨ ...	رسول الله واردة (فتوى)
١٠١٥	هل يصلى المرأة ولو غضبت أمه (فتوى)

## (و)

٥١٤ ...	وجاء أبو بكر (كتاب)
٨٨٧	الوحدة في الأمور الشرعية (فتوى)
١١٣	وضع الزهور على القبور (فتوى)
٢٤٤ ...	والعاديات ضبحا ...

## (ي)

٧٣٠ ...	يا حبيب الرحمن (قصيدة)
٤١١ ...	يحيى بن يعمر العدواني ...

الصفحة	للاؤ-وع
٨٩٣ ...	من ذكريات العيد في القرية
١١٣٢ ...	من معالم الطريق ...
٣٢	من معاني القرآن ...
١٨٣	
٤٠٠	
٤٣٩	
٦٧٧	
٩٤٧	
١٠٥٢	

٤٥٣ ...	منهج القرآن في تربية الفرد
٥٢٠	المهر والشبكة قبل العقد ... (فتوى)
٥٨ ...	الموازنة في التاريخ الإسلامى
٨٨٠	موازنة لا مقارنة ... (تعليق)
١١١	الموجز في التربية الإسلامية (كتاب)
٤٥٧ ...	الموسوعات والمعاجم اللغوية
٣٣ ...	الموضوع في الأدب العربى
٨٨٤	موعد الصيام وتوحيده ... (فتوى)
١٣٢ ...	الميثاق الوطنى في رأى الأزهر
	مهرث ابن أخ شقيق مع أخوين

٢٥٢ ...	شقيقين ... (فتوى)
٨٥٩ ...	ميفات الصوم ...

## (ن)

	نهر منهج جديد في تطوير الفقه الإسلامى
٥١٦ ...	فداء القرآن ...
١٥٨ ...	النزعة العنصرية والصهيونية ٨٢٠ - ٩٣٧